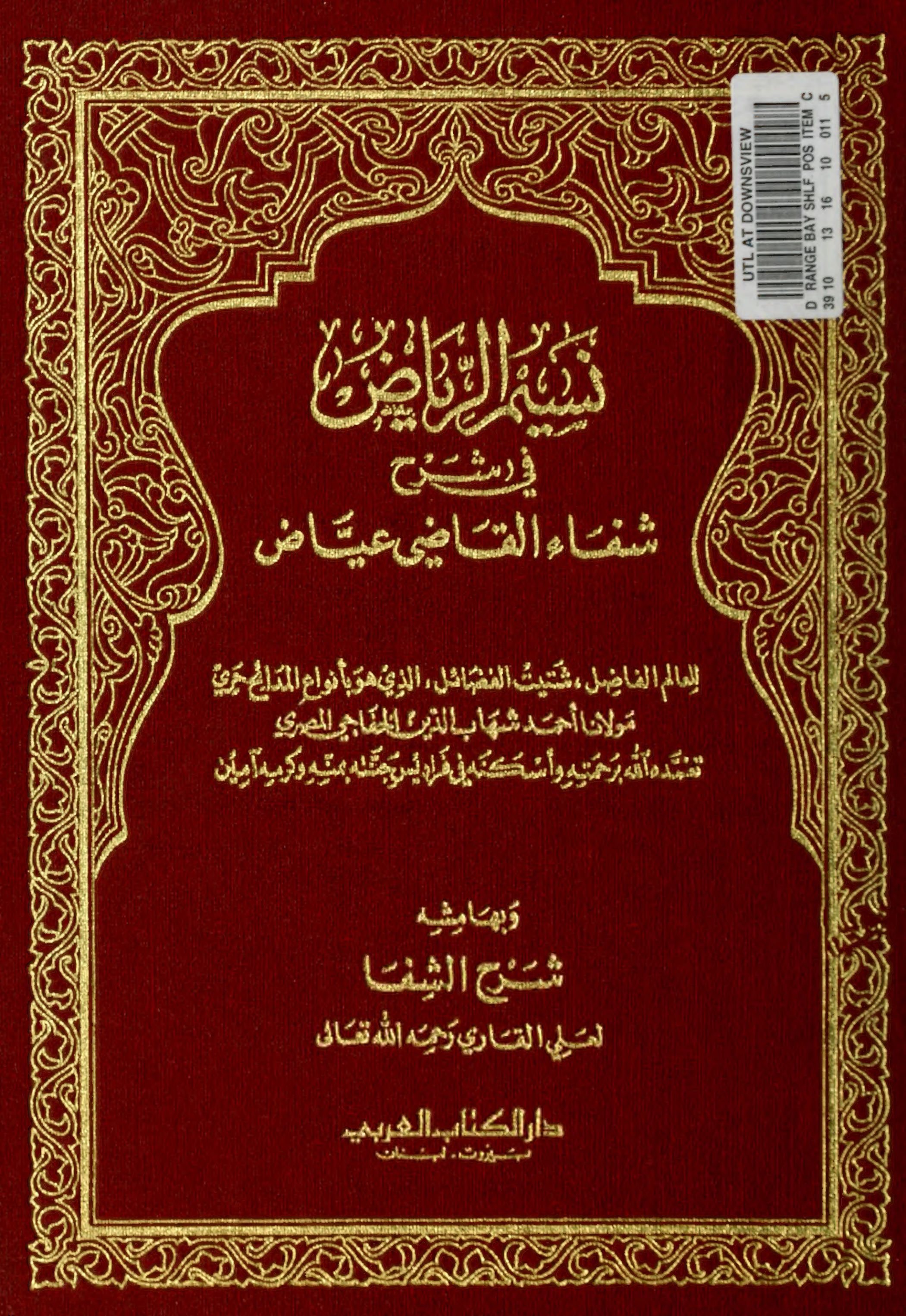
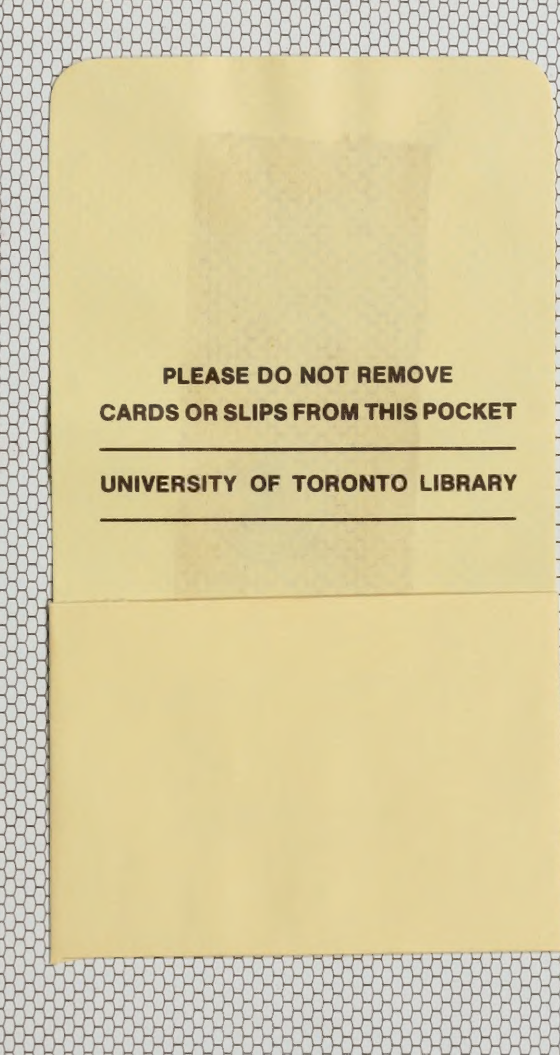
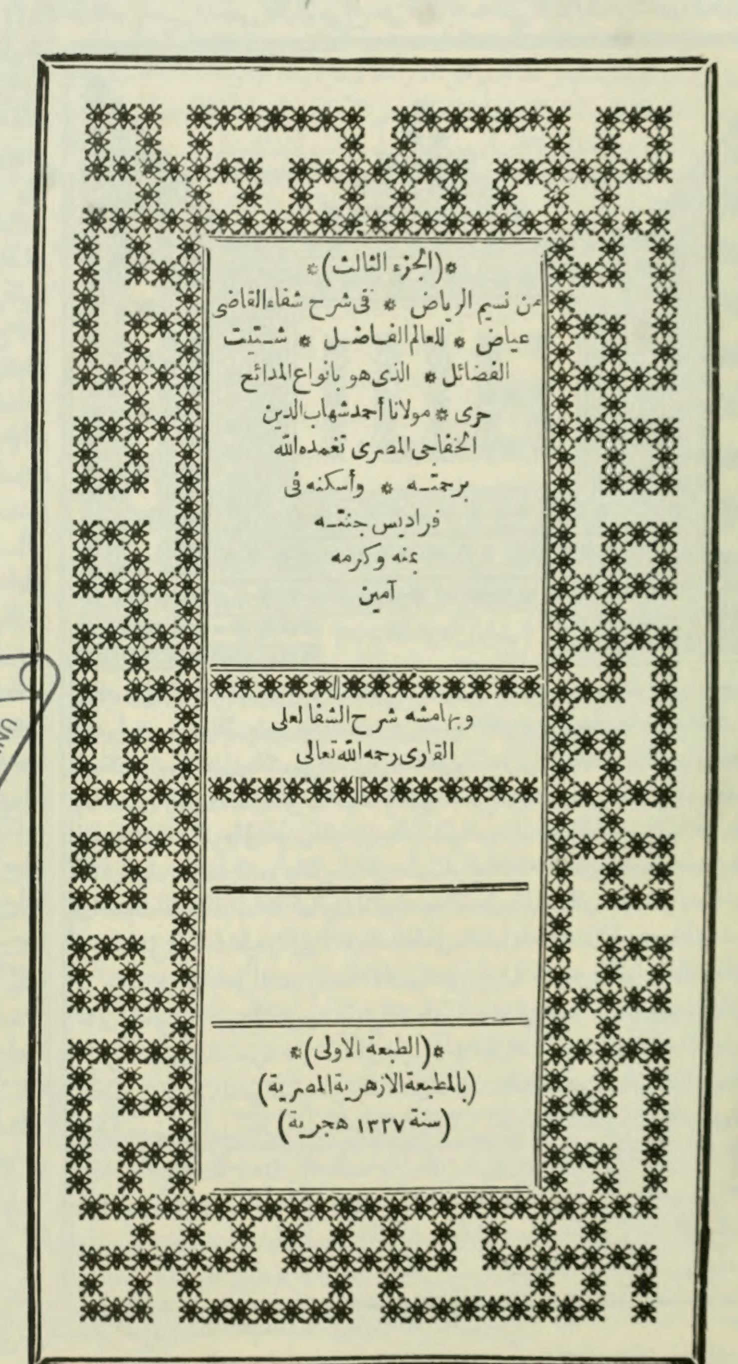

UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 10 13 16 10 011 5
نسيم الرياض
في شرح
شفاء القاضي عياض
للعالم الفاضل، شتيت الفضائل، الذي هو بأنواع المدائح حري
مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري
تغمده الله برحمته وأسكنه في فراديس جنانه بمنه وكرمه آمين
وبهامشه
شرح الشفا
لعلي القاري رحمه الله تعالى
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان


PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET
UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY





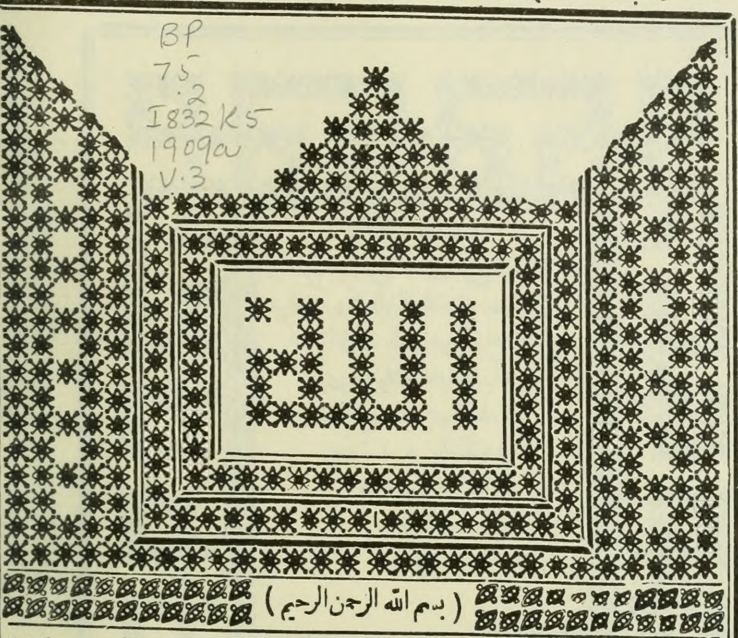


(الجزء الثالث)

من نسيم الرياض * فى شرح شفاء القاضى عياض * للعالم الفاضل * شتيت الفضائل * الذى هو بانواع المدائح حرى * مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجى المصرى تغمده الله برحمته * وأسكنه فى فراديس جنته بمنه وكرمه آمين

وبهامشه شرح الشفا لعلى القارى رحمه الله تعالى

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣٢٧ هجرية)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

* (فصل فى انشقاق القمر وحبس الشمس) * أى فى ذكر معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بشق القمر له وجعله فلقتين وفى منع الشمس عن مسيرها للغروب كما سيأتى بيانه وهذا كان عقب قصة الاسراء وفى معناه رد الشمس الآتى فى قصة على واقتصر فى الترجمة على هذا لانهما فى المعنى سواء ولما سيأتى (قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر) قدم اقتراب الساعة عليها تخويفا للمنكرى ذلك وانباتا له وتقريرا فى نفوس المؤمنين بها اذ تشقق السموات فيها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الحديث بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار باصبعه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة آلاف وكسور وقيل أكثر من ذلك وقد بعث نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخرها ألفا وحيث لم تبق الا صبابة وقوله انشق القمر أى وقع شقه وجعله فلقتين فى الزمن الماضى بمكة معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال المشركون له أرنا آية وهذا ما عليه جمهور المفسرين وقيل ان المعنى انه سينشق فى المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضى لتحققه ورده جماعة وقالوا انه مبنى على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتئام ويكذبه القرآن وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أى دائم أو محكم من أمر الحبل اذا أحكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصحيحين وأخبر به جماعة من الصحابة والى بيان ذلك أشار بقوله (أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى واعراض الكفرة عن آياته) ومعجزاته التى لا يمكن البشر الاتيان بمثلها (وأجمع المفسرون وأهل السنة

* (فصل) * (فى انشقاق القمر وحبس الشمس) قال اليمنى لا يسمى قمرا الا بعد مضى ثلاث ليال من الشهر والكرة الارضية أكبر منه بمقدار مائة وعشرين مرة ومن جملة خواصه انه يبلى الكتان اذا ترك فى سمره ويعفن اللحم اذا ترك تحته وأما الشمس فيقال انها تنور العالمين العلوى والسفلى وان الله جعل فيها خواص اصلاح العالم من الحيوان والنبات والمعدن (قال الله تعالى اقتربت الساعة) أى قربت غاية القرب (وانشق القمر) روى ان الكفرة سألوه آية فانشق ويؤيده قراءة حذيفة وقد انشق القمر ويقويه قوله (وان يروا آية) أى معجزة (يعرضوا) أى عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) أى دائم لترادف الآيات وتتابع المعجزات (أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى) أى فيجب تحققه حقيقة ولا يجوز صرفه الى المجاز بلا ضرورة وحمله على انه سينشق يوم القيامة وانه عبر بالماضى لتحقق وقوعه فى المستقبل (واعراض الكفرة عن آياته) أى وأخبر تعالى باعراضهم عن آياته وهذا مما يدل على وقوعه فانه لا يتصور الاعراض الحقيقى قبل تحققه (واجمع) وفى نسخة صحيحة بالفاء أى فلهذا أجمع (المفسرون) على أى من السلف (وأهل السنة) أى أرباب الحديث أو أهل السنة والجماعة الجامعون بين الكتاب والسنة من السلف والخلف

(على وقوعه) قال الانطاكي في قول القاضي أجمع المفسرون نظر فقد نقل السجاوندي والنسفي في تفسيرهما عن الحسن البصري ان معناه سينشق عند الساعة وكذا أبو الليث قال في تفسيره وأكثر المفسرين قالوا ان هذا قد مضى انتهى ويمكن دفعه بانه أراد بالمفسرين المشهورين منهم أو انه لم يطلع على خلافهم وعلى تقدير الخلاف لا يلزم عدم وقوع انشقاق القمر في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جمعوا على تحققه بالاحاديث الصحيحة وانما الخلاف في معنى الآية هل يراد به الانشقاق الماضي أو الانشقاق الآتي والله سبحانه وتعالى أعلم (أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ) أي أبو علي الغساني (من كتابه) لان المصنف ليس له الا الاجازة في بابه (ثنا) أي حدثنا (القاضي سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي) تقدم ذكرهما (ثنا الفربري) بكسر الفاء وفتح الراء وقيل غيره وقد سبق ذكره (ثنا البخاري) أي صاحب الجامع الصحيح (ثنا مسدد) بفتح الدال المهملة المشددة وهو كاسمه مسدد بصري أسدي (ثنا يحيى) أي ابن سعيد روى عنه أحمد وغيره وأخرج له الائمة الستة (عن شعبة) أي ابن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث (وسفيان) أي ابن عيينة أحد الاعلام وهو الاعور الكوفي (عن الاعمش عن ابراهيم) أي النخعي (عن أبي معمر) بفتح الميمين ازدي كوفي مخضرم (عن ابن مسعود) أي موقوفا كما ساقه القاضي عن البخاري وقد أخرجه البخاري في تفسيره وقد أخرجه أيضا عنه مسلم والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح (قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زمانه (فرقتين) أي فلقتين كما في رواية الترمذي عن ابن عمر بمعنى قطعتين وفي الصحيحين بلفظ شقتين بكسر الشين المعجمة أي نصفين ولفظ في حديث جبير فانشق القمر باثنتين وفي رواية أبي نعيم في الدلائل فصار قمرين (فرقة) بالنصب على البدلية ويجوز رفعها على الابتدائية أي منهما فرقة (فوق الجبل) أي جبل حراء أو أبي قبيس (وفرقة دونه) أي أسفل منه أو قريب منه هذا وقد قال الحجازي يجوز النصب والضم أفصح منه ومنه قوله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله قلت وقد يقال الضم أصح اذا فصل النعت والا فالبدل في مثل هذا التركيب أفصح كما حقق في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين

على وقوعه) في الماضي وقال السبكي رحمه الله تعالى انه متواتر لا يجوز انكاره ورد واقول الماوردي ان الجمهور على خلافه وتأويل ينشق بمعنى سينشق فانه لو وقع لم يبق أحد الا رآه ولم يعتد المصنف رحمه الله تعالى بهذه المقالة وهي لا تخرق اجماع السلف من أهل السنة ومثله ليس من أهل التفسير بل من أهل التأويل عنده الا أن بعضهم نظر في حكاية الاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيريهما انه منقول عن الحسن البصري وكذا قال أبو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكى عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما أرسل أبو بكر بن الطيب رسولا لملك الروم بقسطنطينية وقيل له انه أجل علماء الاسلام أحضر بعض بطارقته لمناظرته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المائدة أخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود ويونان والمجوس الذين انكروها وهم في جواركم فالخم ولم يفه بشئ (أخبرنا الحسين بن محمد) هو أبو علي الغساني الجياني تقدم مفصلا ترجمته (الحافظ من كتابه) لا بقراءته عليه قال (حدثنا القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي) السابق ترجمته وفي نسخة أخبرنا في جميع ما يأتي قال (حدثنا المروزي) تقدم مع بيان نسبته قال (حدثنا الفربري) تقدم بيانه وضبط نسبته قال (حدثنا البخاري) الامام المشهور قال (حدثنا مسدد) عبد الملك بن عبد العزيز الاسدي ومسدد بوزن اسم المفعول لقب له كمسرهد وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماسل بن المستورد محدث البصرة وقال أبو نعيم لو كان في أول هذه النسبة بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين قال (حدثنا يحيى) بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة أربع وتسعين ومائة وسنه ثمانون وترجمته في الميزان (عن شعبة) بن الحجاج العتكي الحافظ أمير المؤمنين في الحديث كما تقدم (وسفيان) بن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي أحد الاعلام الذي أخرج له الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم (عن الاعمش) سليمان بن مهران السابق ترجمته (عن ابراهيم) النخعي السابق ترجمته (عن أبي معمر) الازدي الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون العين (عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في زمانه وحياته والعهد يأتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره وذكره للرد على من يقول انه سيكون بعده يوم القيامة (فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدرية من معنى انشق كقعد جلوسا أو بتقدير وافترق (فرقة فوق الجبل وفرقة دونه) بالنصب بدل من فرقتين والجبل حراء أو أبو قبيس وفوق يجوز رفعه ونصبه ودونه بمعنى في مقابلته منفصلا عنه لا تحته كما قيل

(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لما رآه منشقا (أشهدوا) الظاهر انه خطاب للكفار فانهم أهل الانكار والمعنى أشهدوا على نبوتى أو الخطاب للمؤمنين فالمعنى أشهدوا على معجزتى وأخبروا من بعدى من أمتى (وفى رواية مجاهد) أى فى الصحيحين عن ابن مسعود زيادة قوله (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض طرق الاعمش ونحن بمنى) وفى نسخة زيادة قوله بمنى

لما سيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشهدوا) انما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى يا فلان يا فلان أشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقاله لانه وقع ليلا فى وقت الغفلة أى أشهدوا على معجزتى ونبوتى ووقوع ما طلبوه لانهم أهل بهتان وجحد وفى صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم فى كتاب اغاثة اللهفان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان أخرى وأكثر ما تستعمل فى الافعال واما فى الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر مرتين أى فلقتين ولما خفى هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرتين ويأتى ما فيه عن قريب (وفى رواية مجاهد) التى رويت عن ابن مسعود فى الصحيحين (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره (وفى بعض طرق الاعمش) كما رواه أحمد فى مسنده بزيادة قوله (بمنى) منون وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها لكثرة ما يمنى بها من الدم أى يراق ويقال لها المنازل أيضا ويقال نزلوا اذا أتوا منى قال أنازلة أسماء أم غير نازلة قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة واختلفت الروايات فى محل الانشقاق فقيل بمكة وقيل بمنى وفى أخرى رئى حراء بينهما وقيل شقة منه على أبى قبيس وأخرى على السويداء والذين طلبوا ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ونظراؤهم وهذه الروايات فى محله لا تنافى بينها الان كل راء يرى القمر باذاء مكان رؤيته (ورواه أيضا عن ابن مسعود الاسود) بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان ولم يعينه المصنف رحمه الله لشهرته وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المعمرين بالزهد وكثرة العبادة توفى سنة خمس وسبعين (وقال) أى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل) يعنى جبل حراء على ما تقدم (بين فرجتى القمر) أى فلقتيه وقطعتيه لبعد ما بينهما وهى بضم الفاء وفتحها والضم أولى لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار الحاصل كالغرفة للمغروف والفرجة الفضاء ما بين الشيئين فتجوز به عن المنفرج نفسه اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة أبى عمرو مع الحجاج فى قراءته غرفة وسماعه من العرب

ربما ضاقت النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

مشهورة (ورواه) أى ما ذكر (عنه) أى عن ابن مسعود كما ذكره البيهقى فى الدلائل (مسروق) بن الاجدع الهمدانى الكوفى من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفى فى سنة ثلاث وستين (انه) أى الشق أو ابن مسعود (كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة) يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن حجر هو أحد أجداد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل هو جد وهب جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لامه وقيل عليه أن أم وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل أحد من النسابين ان الاوقص يكنى بابى كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب أيضا بان أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو

وهذا لا يعارض قول أنس وذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلاة والسلام كان ليلته بمكة فراده ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وفيه ايماء الى أنه لم يشاهد القضية بالرؤية بل وصلت اليه بالرواية لانه اذ ذاك كان ابن أربع أو خمس بالمدينة (ورواه) أى الحديث المذكور (أيضا عن ابن مسعود الاسود) أى كما ذكره أحمد فى المسند وأسود هذا تابعى جليل روى عن عمر رضى الله تعالى عنه وعلى ومعاذ وغيرهم له ثمانون حجة وعمرة وكان يصوم حتى احتضر ويختم القرآن فى ليلتين (وقال) أى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل فرجتى القمر) بضم الفاء وتفتح أى فلقتيه (ورواه) أى الحديث المسطور (عنه) أى عن ابن مسعود (مسروق انه) أى انشقاقه (كان بمكة) كما رواه البيهقى فى دلائله (وزاد) أى مسروق فى رواية عنه

(فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة) بفتح كاف فسكون موحدة فشين معجمة يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو كبشة اسم رجل قاله قديما أو فارق دين الجاهلية وعبد الشعرى فشبه المشركون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به وقيل بل كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخت من الرضاعة تسمى كبشة وكان أبوه من الرضاعة يكنى بها وقيل بل كان فى اجداده لامه من يكنى بذلك قيل وذكر بعضهم ان جماعة من جهة أبيه وأمه يكنون بابى كبشة

(فقال رجل منهم) و روى من القوم قيل انه أبو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) أى لعيونكم وقت السحر (فانه لايبلغ من سحره ان يسحر الارض) أى أهلها (كلها) أى جميعها (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا) أى الانشقاق (فأتوا) أى جاء بعضهم من بلد آخر (فسألوهم) أى أهل مكة من قريش (فأخبروهم انهم رأوا ٥ مثل ذلك) أى كما ذكر من انشقاق القمر فرقتين (وحكى السمرقندى نحوه) أى بمعناه مع اختلاف فى مبناه (وقال) أى السمرقندى فيما رواه (فقال) وفى نسخة قال (أبو جهل هذا سحر) أى نوع من الاختلاق (فابعثوا الى أهل الآفاق) أى بنسبتهم الى اختلاف المطالع فى حيز الخلاف والشقاق (حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا) أى أوما رأوا ذلك كذلك هنالك (فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه منشقا) أى بوصف الانشقاق (فقالوا) يعنى الكفار (هذا سحر مستمر) أى دائم بنعت الاستمرار أو ذاهب وماض وزائل ومار (ورواه) أى الحديث السابق (عن ابن مسعود علقمة) أى ابن قيس الليثى النخعى ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وروى عن أصحابه الكرام كأبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم (فهؤلاء الاربعة) أى مجاهدا وأبو معمر والاسود ومسروق وعلقمة (عن عبد الله) أى رووه كلهم عن ابن مسعود على وفق ما رواه عنه معمر فتدبر (وقد رواه غير ابن مسعود) أى من الصحابة (كما رواه ابن مسعود) أى فليس هو شاذا فى هذه الرواية (منهم) أى ممن رواه (أنس وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنهما وهما وان لم يدركا بأعينهما فقد سمعا ممن حضر وروى ومرسل الصحابة بالاجماع حجة (وابن عمر) أى فيما رواه مسلم والترمذى.

ابن زيد الخزرجى ولم يقل أحد ان عمرا يكنى بابى كبشة أيضا وقيل انه أبوه من الرضاعة وهو الحرث بن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة كنى بها وذكر ابن حبيب ان له صلى الله تعالى عليه وسلم أجدادا من قبل أبيه وأمه تكنوا بذلك وانما قالوه لان من عادتهم اذا بغضوا أحدا نسبوه لجد غامض له وفى النهاية انه رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرض آلهتهم شبهوه به فى ذلك وفى القاموس انها كنية وهب بن عبد مناف أو كنية عمرو والد حليمة السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى كل حال أرادوا به تنقيصه فزاده ذلك شرفا (فقال رجل منهم) أى من كفار قريش قيل انه أبو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) حين شقه أو خيل لكم شقه (فانه لايبلغ) أى لا يصل شئ (من سحره ان يسحر الارض كلها) أى أهلها كلهم (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر) غير مكة (هل رأوه) أى القمر أو شقه أو الامر الذى وقع وفى نسخة هل رأوا هذا (فأتوا) أى أتوا من قدم على أهل مكة من غيرها (فسئلوا) أى سئلوهم هل رأوا ذلك (فاخبروهم) لما سألوهم (انهم رأوا مثل ذلك) أى مثل رؤيتهم فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئى واحد وهو القمر المنشق (وحكى السمرقندى) تقدم ترجمته (عن الضحاك نحوه) أى مثل الحديث الذى ذكره أولا (وقال) أى الضحاك فيما رأوه (فقال أبو جهل) لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ما سئلوه (فابعثوا الى أهل الآفاق) بالمد جمع أفق بضمتين أو بضم فسكون وهو هنا بمعنى الناحية وما ظهر من الفلك ومطلع الشمس كما بينه علماء الهيئة وهو الافق المرئى والافق الغير المرئى له احكام أخر والمعنى أرسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد ليسئلوا من بها (حتى ينظروا) أى يعرفوا (أرأوا ذلك أم لا) الهمزة استفهامية وفى نسخة هل رأوا وشاهدوا مثل ما رآه أهل مكة أم لم يروه لانهم خيل لهم أم لم يقع وفى نسخة حتى ننظر بنونين (فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه) أى القمر حالة كونه (منشقا) والفاء فصيحة أى فسئلوهم فاخبروا (فقالوا يعنى الكفار هذا سحر مستمر) أى دائم باق غير ذاهب على حاله الى غير النهاية من المرور أو محكم قوى من امرار الحبل وهو شدة فتله وقال أبو عبيدة معناه باطل وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا انه مستمر لان هذا اشارة الى ما صدر قبله من الآيات المتتابعة يقفو بعضها أثر بعض كما أشار اليه القاضى ولولا هذا لم يتأت ما قالوه فان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التى وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص وللنوع كما حققه النحاة (ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة) بن قيس ابن مالك النخعى الفقيه الكبير التابعى الجليل ولد فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى سنة اثنين وستين والرواية عنه مشهورة فى الكتب الستة (فهؤلاء الاربعة) يعنى مجاهدا والاسود ومسروقا وعلقمة كلهم رووا هذا الحديث (عن عبد الله) بن مسعود رضى الله عنه ثم ذكر له طريقا آخر فقال (وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود) وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابعة له لانه لم ير وحديث الانشقاق رواية مسندها فى غاية الصحة واعتمدها الائمة غيره وهى مما اتفق عليه الشيخان وأحمد بن حنبل وابن الصلاح وغيره رجحوا ما اتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع بصحته (منهم) أى ممن رواه غير ابن مسعود وأعاد ضمير الجمع نظرا لمعناه (أنس وابن عباس وابن عمر

(وحذيفة) أى ابن اليمان كما عند ابن جرير وابن أبى حاتم وأبى نعيم فى الدلائل (وعلى) أى ابن أبى طالب قال الدلجى لا يعرف مخرجه
(وجبير بن مطعم) أى على ما رواه أحمد والبيهقى عنه (فقال على من رواية أبى حذيفة الارحبي) بفتح الهمزة فسكون الراء ففتح الحاء
المهملة فوحدة مكسورة فياء نسبة الى قبيلة من همدان وقيل الى مكان أخرج له مسلم والترمذى والنسائى وفى نسخة الارجى بجيم
بعد راء ساكنة وفى أخرى بزاى بدل الراء قال الحلبى وكلاهما تصحيف والصواب ما تقدم والله تعالى أعلم (انشق القمر) هذا مقول
على كرم الله تعالى وجهه وفى نسخة وانشق القمر بالواو العاطفة اما على كلام سبق له أو أراد الحكاية (ونحن مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم) أى وقد شاهدناه (وعن أنس سأل أهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية) أى معجزة باهرة وعلامة
ظاهرة على صدق ما ادعاه من النبوة ٦ والرسالة (فأراهم انشقاق القمر مرتين) أى فرقتين كما فى نسخة صحيحة (حتى
رأوا حراء بينهما) وهو
جبل عن ثلاثة أميال
من مكة على يسار المار
منها الى منى وهو بكسر
الحاء المهملة ممدود ويقصر
ويصرف ولا يصرف
ويؤنث ويذكر وقد خطأ
الخطابى فتح الحاء وقصر
الراء وقال النووى
والصحيح انه مذكر
مصروف (رواه) أى
الحديث (عن أنس
قتادة) أى بهذا اللفظ
(وفى رواية معمر وغيره
عن قتادة عنه) أى عن
أنس (أراهم القمر
مرتين) أى شقين أو
فلقتين ويؤيده انه فى
نسخة فرقتين وقيل بمعنى
كرتين وقوله (انشقاقه)
بالنصب بدل اشتمال
من القمر وفى صحيح
مسلم فأراهم انشقاق
القمر مرتين قال الحلبى هذه المسئلة فتشت عنها كثيرا حتى وجدتها فى كلام أبى عبد الله ابن امام الجوزية
ذكرها فى كتابه اغاثة اللهفان فذكر كلاما وفيه ان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان تارة وأكثر ما تستعمل فى الافعال واما الاعيان
فكقوله فى الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين أى شقين وفلقتين ولما خفى هذا على من لم يحط
به علما زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة فى زمانين وهذا مما يعلم أهل الحديث ومن له خبرة بأحوال الرسول وسيرته انه غلط وانه لم يقع
الانشقاق الا مرة واحدة انتهى وقال شيخى العراقى فى سيرته التى نظمها انه انشق مرتين بالاجماع وان ذلك متواتر وقد راجعته بكتاب
وذكرت له فيه كلام ابن القيم فلم يرد جوابه على أقول ولعله أعرض عن الجواب اكتفاء بما بين فى الكتاب ان ارادة الفلقتين بالمرتين
هو الصواب وقال العسقلانى وأظن قوله بالاجماع يتعلق بقوله انشق لا بمرتين فانى لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد
الانشقاق ولعل قائل مرتين أراد فلقتين وهذا الذى لا يتجه غيره جمعا بين الروايات هذا

وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم رضى الله عنهم) وهذه الروايات كلها فى الكتب الستة وغيرها مخرجة
فرواية أنس وابن عباس فى الصحيحين ورواية ابن عمر فى صحيح مسلم والترمذى ورواية حذيفة بن
اليمان فى الدلائل وغيرها ورواية ابن مطعم بكسر العين فى مسند أحمد والبيهقى ولذا قال (فقال على
كرم الله وجهه (من رواية أبى حذيفة الارحبى) واسمه سلمة بن صهيف على الاصح نسب لارحب حى
من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة وباء موحدة قبل ياء النسبة وهو
من الثقات المشهورين (انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والجملة حالية
وضمير نحن لعلى ومن كان معه لا لمن تقدم (وعن أنس) خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه من
مرسل الصحابة لان الحادثة وقعت وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من مرجحات حديث ابن مسعود رضى الله
تعالى عنه (سأل أهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) معجزة غير ما رأوه وفى الرواية المتقدمة
انهم سألوه ان يشق لهم القمر (فأراهم انشقاق القمر فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء وفى رواية
فلقتين باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر (حتى رأوا حراء ما بينهما) أى بين القطعتين وما
زائدة للتأكيد وفى نسخة حذفها وحراء بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وهمزة ممدودة وتفتح حاؤه مع
القصر وهو جبل بمكة معروف كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد فيه كذا قاله التلمسانى وقال انه
يذكر ويؤنث ويحرك ولا يحرك ٢ وهذا مما ذكره غيره من أهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابى
من انهم يغلطون فى حراء ثلاث غلطات يفتحون حاءه وهى مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه
وهو لا يمال شئ لا أصل له الا قلة النظر فى كتب اللغة (رواه عن أنس قتادة وفى رواية معمر وغيره
عن قتادة عنه) أى عن أنس (أراهم القمر مرتين انشقاقه) بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال
وفى تقديم مرتين فى هذه الرواية دليل على ما قلناه سابقا من ان التعدد فى الاراءة لا فى الانشقاق وانه
مرتين كما ذهب اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ما قيل من ان أصل المرات فى الازمان والافعال
وانها قد تكون فى الاعيان والاول أكثر وهذا من قبيل الثانى فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين
واحد وان هذا خفى على من قال ان الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الا مرة بلا اختلاف فيه
ودعوى الحافظ العراقى فى منظومته الاجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكر كدعواه
تواتره

٢ أى ينصرف ولا ينصرف

(ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) أى النوفلى (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) أى ابن مسعود ولد أخى عبد الله بن مسعود وهو الفقيه الاعمى أحد الفقهاء السبعة معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم (ورواه عن ابن عمر مجاهد وروى عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمى) بضم ففتح هو الامام مقرئ الكوفة يروى عن عمر وعثمان وعنه عاصم ابن أبى النجود وأبو اسحق (ومسلم ابن أبى عمران الازدى) والمقصود نفى توهم أن يكون أحد من الرواة وقع منفردا أو شاذا فى الرواية بل ثبت تعدد الصحابة والتابعين فى اسناد هذه الحكاية (وأكثر طرق هذه الاحاديث) أى مما بيننا وبين السلف (صحيحة والآية مصرحة) بكسر الراء أى ودلالة الآية فى هذه القضية صريحة فتكاد ان تصير متواترة معنوية وان لم تكن لفظية (ولا يلتفت) بصيغة المجهول أى ولا ينظر عن صوب اقبال قبول (الى اعتراض مخذول) أى متروك النصرة من المبتدعة كطبقة المعتزلة وجمهور الفلاسفة وعامة الملاحدة الواقع فى قول مائل الى المجاز وعادل عن الحقيقة فى مدلول الآية منشئا باصلهم الفاسد بان الاجرام العلوية لا يتأتى فيها الانخراق والالتئام متمسكا (بانه) أى الشان (لو كان هذا) أى الانشقاق واقعا أو لو وقع هذا الامر (لم يخف على أهل الارض) أى كلهم (اذ هو شئ ظاهر لجميعهم) وهذا المقدار بيان الاعتراض وأما بيان خذلانه فهو قوله

تواتره فيها ثم قيل من انه كان مرة بمكة ومرة بحراء وهو على ثلاث أميال من مكة فى طريق الذاهب لمنى وانه يدل على تعدد الازمان والالزم التناقض فى هذه الروايات وهى كلها صحيحة ولا يمكن عادة أن يكون الناس الذى رواه فى ذلك الوقت فى هذه الامكنة الثلاثة وقد قالوا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة ليس بشئ فانهم اذا رأوه بمكة شاهدوا وقوع فلقة منه خلف حراء وأخرى امامه من تعدد النظر لسمته من الافق وان لم يكونوا ثمة كما مر ولا يخفى بعد كون من ذكر من كبار الكفرة معه ليلا بحراء أو غيره من جبال مكة وبراريها فالذى تحرر فى الجمع بين هذه الروايات انه تباعد ما بين الفلقتين جدا ليكون أظهر فى دفع الانكار فانه لو تقارب لقال هؤلاء الحول العقول انه من غلط الحس فلما أشهدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك أشار مرة الى فلقة منه وقال اشهد يا فلان و يا فلان ثم أراهم مرة أخرى فلقة أخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان بمكة ليلا والقمر فى وسط السماء بحذاء حراء وبحذاء غيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد فى الشق ولا تدافع بين الروايات ولا يطعن فى شئ منها وهذا ان شاء الله مما لا ينبغى العدول عنه فان القول بان المرات فى الاعيان لا صحة له فى اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين دفعة واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزأ به فعليك بالنظر الحديد وان تطرح من جمد فكره على التقليد فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر وأيد المعجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يقوى الحديث وصار كالمتواتر وتأويله بانه سينشق اذا قامت القيامة يأباه قوله بعده وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى على من له نظر سديد (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) فرواه عن أبيه عن جده وجبير الثانى روى عنه أبو داود حديثا واحدا قال البرهان ولا أعلم له تخريجا ولا توثيقا ورد بان ابن حبان ذكره فى كتاب الثقات (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) الامام الجليل القدر أحد الفقهاء السبعة وهو ثقة مأمون خرج له أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة (ورواه عن ابن عمر مجاهد) بن جبير وقدمنا ترجمته (ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمى) بضم السين وفتح اللام وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن حبيب الامام المشهور مقرئ الكوفة وحافظ السنة توفى سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الائمة الستة رحمهم الله تعالى (ومسلم ابن أبى عمران الازدى) البصرى هو أبو عبد الله المعروف بالبطين نسب للازد بسكون الزاى المعجمة ويقال لها أسد بالسين أيضا اسم قبيلة عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم حى باليمن واليهم ينتهى نسب الانصار (وأكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة) الطرق هى الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث اليها منها وعبر بالاكثر اشارة الى ان فى بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن فكلها صحيحة مع التفاوت فيها (والآية مصرحة) بما فى الاحاديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من ان فيها ما يمنع التأويل الذى جوزه بعضهم (ولا يلتفت الى اعتراض مخذول) أصل معنى الخذل ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية والمراد به من أنكر هذا بقصد الطعن فى المعجزة لا من أوّل الآية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين كما مر الا انه أيضا لا ينبغى القول به أيضا (بانه لو كان هذا) الانشقاق (لم يخف على أهل الارض) كلهم (اذ هو شئ ظاهر لجميعهم) تعليل لقوله لم يخف

(اذلم ينقل لناعن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) أى انتظروا انشقاق القمر حتى نظروا اشقاقه أو رأوا خلافه فى تلك الليلة وهذامعنى قوله (فلم يروه انشق) أى مع ان القاعدة الاصولية مضبوطة بان رواية المثبت مقدمة على رواية النافى بلاشبهة كما فى رواية الهلال مشاهدة هذا ومن المعلوم انهم لم يترصدوه لكونهم غافلين عن القضية ذاهلين عن المقدمة المطوية وانما أراد المصنف فرض الوقوع فى البلية فبطل قول الدلجى بعد قوله فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف رصده على معرفة انه سينشق فى ليلة فيرصدونه ثم قول المصنف على طريق ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان (ولو نقل الينا عمن لايجوز تمالؤهم) أى توافقهم وتواطؤهم (لكثرتهم) أى المتعاضدة (على الكذب لما كانت علينا به) أى بسبب نفيهم على فرض ترصدهم (حجة) أى دلالة قاطعة ملزمة (اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الارض) أى لاختلاف مطالعه وتباين مقاطعه كما بينه بقوله (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين) وفى نسخة على آخرين (وقد يكون) أى القمر فى مرئى (من قوم بضد ماهو من مقابليهم) أى بضد مرأى من قوم مخالفيهم (من أقطار الارض) أى جوانبها (أو يحول بين قوم وبينه) أى بين القمر (سحاب أو جبال) وكذا حجاب (ولهذا) أى ولكونه ليس فى حد واحد من العباد (نجد الكسوفات) أى محو أحد النيرين (فى بعض البلاد دون بعض) أى من البلاد حتى لايوجد فيها كسوف أصلا وقد نقل الحافظ المزى عن ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه وجد فى بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه بنى ليلة انشق القمر (وفى بعضها) أى ونجد الكسوفات فى بعض البلاد أو فى بعض الاوقات بالنسبة الى بعض العباد (جزئية) أى وقوعها باعتبار بعض أجزائه (وفى بعضها كلية) أى وقوعها بستة فى أطرافه كلها (وفى بعضها لايعرفها) أى الكسوفات (الا المدعون لعلمها) أى الماهرون والحاذقون بمعرفتها

(اذلم ينقل الينا عن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) أى ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه أخذ الرصد المعروف عند المنجمين فهو منقول منه وليس بمعنى لغوى (فلم يروه انشق) رأى هنا بصرية وانشق حال أى وقد انشق ولا يلزم ان يعرفوا انه سينشق فى تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفى فيه سماعهم له من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيرصدوا ما وعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذ الثانية تعليل لعدم الالتفات ثم أجاب بجواب آخر على فرض تسليم ما ذكر فقال (ولو نقل) بالبناء للمجهول (الينا) انهم رصدوه فلم يروه انشق (عمن لايجوز تمالؤهم على الكذب) أى طائفة من الارض لايجوز اجتماعهم على الكذب فى خبرهم (لكثرتهم) من الملا وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على أمر واحد لانهم يملؤن مكان اجتماعهم (لما) اللام جواب لو وما نافية فيهما مخففة (كانت علينا به حجة) أى لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة ودليلا يقوم على عدم وقوعه فعلينا مقدم من تأخير متعلق بحجة لتوسعهم فى الظرف (اذ ليس القمر فى حد واحد) الحد الوصف المميز للشئ مأخوذ من الحد بمعنى الحاجز ومنه حدود الدار أى ليس القمر على حال واحد (لجميع أهل الارض) أى عند جميعهم لاختلاف أحواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع فى ليلة فى بعض البلاد دون بعض كما بينه علماء الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره انشق فى تلك الليلة لم يكذبوا ولذا قال المصنف (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين) ولهذا لو شهد أهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقهاء (وقد يكون) مرأى القمر (من قوم بضد ماهو من مقابلتهم من أقطار الارض) جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع فى بعضها والخفاء فى بعض (أو يحول) بالحاء المهملة أى يكون حائلا مانعا من رؤيته (بين قوم وبينه سحاب أو جبال) شاهقة فلا يرونه مع رؤية غيرهم له (ولهذا) أى لكونه ليس على حال واحد فى جميع أقطار الارض (نجد الكسوفات فى بعض) من البلاد (دون بعض) منها والكسوف معروف وهو كون جرم القمر غير مضئ مسود لحيلولة الارض بيننا وبينه كما بين فى محله (وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية) والكسوف الجزئى كسوف جزء منه والكلى كسوف جميع جرمه نسبة للجزء وللكل (وفى بعضها لايعرفها الا المدعون لعلمها) أى فى بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم ممن لايعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عندهم ويترتب عليه أحكامه وغيرهم لايعرفها بل لايقدر على تصورها وعبر بالادعاء اشارة الى ان مثله ليس بثابت عند علماء الشريعة وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل وما ذكره المصنف بناء على ان الكسوف يكون فى القمر فلا يرد عليه ما قيل من ان الصواب ان يقول الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب كله يقال خسفه الله وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر مطلقا وعليه الاستعمال فى عرف التخاطب وعليه مشى المصنف

(ذلك تقدير العزيز) أى الغالب بقدرته (العليم) أى المحيط علمه بارادته وحكمته ووقع فى أصل المصنف الحكيم بدل العليم ولا يرد عليه انه مخالف لنظم التنزيل لانه ما قصد به الآية اذ ليس عليه شئ من الدلالة هذا (وآية القمر كانت ليلا) أى مبهما وقته ومجهولا ساعته قال الخطابى الحكمة فى وقوعها ليلا ان من طلبها من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعض من قريش خاص فوقع لهم ذلك ليلا ولو أراد الله تعالى ان تكون هذه المعجزة نهارا لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله تعالى بلطفه أجرى سنته بالهلاك فى كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا وخص هذه الامة بالرحمة فجعل آية نبيها عقلية وذلك لما أوتوه من فضل الفهم بالنسبة الى سائر الامم والله سبحانه وتعالى أعلم (والعادة من الناس بالليل) أى بحسب الاغلب (الهدو) بضم الهاء والدال فواو مشددة أو ساكنة بعدها همزة على أصل الكلمة ومعناه قوله (والسكون) أى عن الحركة والمشى والتردد فى الطرق مع قطع النظر عن ملاحظة ما فى السماء وترصدهم الى مراكز القمر ناظرين اليه غير غافلين عنه ولعل ذلك انما كان فى قدر اللحظة التى هى مدرك البصر (وايجاف الابواب) بهمزة مكسورة وتحتية ساكنة فجيم أى اغلاقها بسرعة (وقطع التصرف) أى بالتردد فى داخل البيوت من أغلاقها وأعماقها (ولا يكاد يعرف من أمور السماء) أى لا سيما فى فصل الشتاء (شيأ) أى من أمر السماء لحجاب البناء وعدم توجه نظرهم الى صوب الهواء (الا من رصد ذلك) أى انتظره قصد الاهنالك ومنه قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد أى بالطريق المنتظر (واهتبل به) بفوقية فموحدة أى تحيل واعتنى بنظره (ولذلك) أى ولكون آيته كانت ليلا وفى نسخة وكذلك (ما يكون الكسوف القمرى) أى بخلاف الشمسى النهارى (كثيرا) خبر كان أى لم يكن وقوعه كثيرا (فى البلاد) وجعل الدلجى كثيرا حالا من اسم كان وخبرها فى البلاد (وأكثرهم لا يعلم به) أى والحال ان أكثر الناس أو أكثر أهل البلاد لا يعلم بكسوف القمر (حتى يخبر) أى بوقوعه فى السمر والمعنى لا يقع فيها كثيرا مع عدم تعلق العلم به الا يسيرا (وكثيرا ما) أى وأحيانا كثيرة (يحدث الثقات) أى من العلماء بالهيئة الفلكية (بعجائب يشاهدونها من أنوار) أى ظاهرة (ونجوم طوالع عظام) أى باهرة (تظهر فى الاحيان بالليل) أى بعض الاوقات أو الساعات منه (ولا علم لاحد بها)

المصنف رحمه الله تعالى فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله (ذلك تقدير العزيز العليم) أى سير القمر وأحواله من الكسوف وغيره كله بقدرة الله العلى العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم لا كما يقول الفلاسفة انه بقوة فلكية لاحكام نجومية لا يمكن تخلفها وقيل انه وقع فى أصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه لم يرد الاقتباس من القرآن ولذا لم يقل قال الله تعالى والذى رأيناه فى جميع النسخ العليم (وآية القمر كانت ليلا) أى الآية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت فى الليل قال الخطابى الحكمة فى ذلك ان من طلبها من قريش طلبها ليلا فاراد الله تعالى وقوعها ليلا ولو أراد وقوعها نهارا لتكون محسوسة لكل أحد فعل ذلك ولكن الله جرت عادته باهلاك كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس ان لم يؤمنوا بها فخص الله تعالى هذه الامة برحمته فجعل آية نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم على حال لا يقتضى اهلاكها (والعادة من الناس بالليل) أى فيه (الهدو والسكون) عطف تفسير أى النوم وعدم الحركة كما قال جعل الليل سكنا والهدو بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغامها (وايجاف الابواب) أى اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم وفاء وأصل معناه الاسراع فى السير واستعمل فى الاغلاق لانه مما يسارع اليه عند الحاجة لا سيما ليلا وهو تجوز سائغ شائع فما قيل انه لم يوجد فى كتب اللغة فلعله هنا وجف بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسلب لان بغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لا داعى له ومن يغلق بابه ولا يخرج من بيته لا يرى القمر فكنى به عن ذلك (وقطع التصرف) والنظر لشئ فضلا عن رصد النجوم وكل هذا مبالغة فى ان هذا أمر لا يستبعد (ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيأ الا من رصد ذلك) أى الا من تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا (واهتبل به) أى بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء من قول العرب اهتبل الصيد اذا طلبه من مظانه وهو متعد بنفسه وعداه المصنف رحمه الله تعالى بالباء لانه ضمنه معنى الاعتناء (ولذلك) أى لكونه أمرا ليليا فى زمان غفلة ونوم (ما يكون الكسوف القمرى كثيرا فى البلاد) ما زائدة لتحقيق الكلام وقيد بالقمرى بناء على شمول الكسوف للشمس والقمر واحترز عن الشمس لظهوره (وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر) بالبناء للمجهول أى يخبره الناس العارفون بوقوعه (وكثيرا ما) منصوب على الظرفية أو المصدرية وما زائدة لتأكيد (يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار) بيان العجائب وجمع النور وهو على ظاهره لانه قد يحدث فى الجو نور زائد على ما عهد أو المراد به شعل نارية فى بعض الليالى وينسب لها أمور تذكر فى كتب الملاحم (ونجوم طوالع عظام تظهر كذوات الاذناب التى تمتد فى الافق فى الاحيان بالليل فى السماء ولا علم عند أحد منها) لانها تسير تحت الارض حتى تقطع درجات فى دائرتها

(٢ شفا ث)

أى من غيرهم وفى نسخة ولا علم عند أحد منهم ثم هذا انما يتعلق بانشقاق القمر على ما نزل به الآية وورد فيه صحيح الخبر وصريح الأثر (وأما رد الشمس له) صلى الله تعالى عليه وسلم فاختلف المحدثون فى تصحيحه وضعفه ووضعه والاكثرون على ضعفه فهو فى الجملة ثابت باصله وقد يتقوى بتعاضد الاسانيد الى أن يصل الى مرتبة حسنة فيصح الاحتجاج به (وخرج) بتشديد الراء أى أخرج (الطحاوى فى مشكل الحديث) وهو الامام ١٠ الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبرانى وغيره من الائمة وهو مصرى من أكابر علماء الحنفية لم يخلف مثله من الائمة الحنفية وكان أولا شافعيا يقرأ على خاله المزنى ثم صار حنفيا توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وطحا من قرى مصر قال بعضهم كان أولا شافعيا ثم تقلد مذهب مالك كذا نقله التلمسانى ولعله انتقل من مذهب مالك الى مذهب أبى حنيفة كما يشهد به كتبه فى الرواية والدراية (عن أسماء) وأصله وسماء من الوسامة فابدلت واوه همزة وقيل جمع اسم والاول أولى وهو منقول عن سيبويه ولعل وجهه ان اطلاق الجمع على المفرد بعيد جدا مع ان اسم الجمع لا يجعل علما أبدا (بنت عميس) بضم مهملة وفتح ميم فتحتية ساكنة فسين مهملة وتقدمت ترجمتها (من طريقين) أى باسنادين وكذا الطبرانى رواه باسانيد رجال بعضها ثقاة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) أى مرة (ورأسه فى حجر على) أى ابن أبى طالب كرم الله وجهه (فلم يصل) وفى أى على العصر (حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بعد ما أفاق من الاستغراق (أصليت يا على قال لا فقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) أى لما بينهما من الملازمة (فاردد عليه) أى لاجله (الشمس) أى شرقها كما فى نسخة بالتحريك ويسكن وهو منصوب على الظرفية أى فى ارتفاعها أو على البدلية أى ضوءها

وتصل الى ما فوق الارض فتظهر بعد الخفاء وهو مشاهد كثيرا مفصل فى فنه (وخرج الطحاوى) بالخاء المعجمة المفتوحة وتشديد الراء المهملة المفتوحة قبل الجيم والتخريج نقل حديث بسنده من الكتب المعتمدة ومسانيد الائمة المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوى بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف وواو بعدها ياء نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر المحدث أبو جعفر أحمد بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الازدى ثم المصرى الحنفى لا المالكى كما قيل ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وتوفى ليلة الخميس مستهل ذى العقدة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان أولا شافعيا من تلامذة المزنى ثم تحنف وانتهت اليه رئاسة الحنفية بمصر وله تآليف جليلة (فى مشكل الحديث) هو كتاب جليل له فى الحديث اشتهر بالآثار (عن أسماء بنت عميس) مصغر وهى زوجة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وترجمتها مشهورة وكانت أولا زوجة جعفر بن أبى طالب (من طريقين) وسندين مختلفين فى روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبرانى باسانيد مختلفة رجال أكثرها ثقات وهذا الحديث فى رد الشمس أوحبسها لعلى رضى الله تعالى عنه كما سيأتى قال ابن الجوزى انه موضوع بلا شك ورواياته مضطربة وفى روايه رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود فان الدارقطنى وابن حبان قالا انه كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك أيضا ذكره الذهبى فى الميزان وذكر كلام الناس فيه وانه روى حديث رد الشمس وتعقبه بما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وفى طريقه الثانى فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان انه يروى الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزى ولا اتهم فيه الا ابن عقبة فانه رافضى يحدث بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجر على ولم يكن أى على صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزى ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلة ولم يتلمح الى عدم الفائدة فيها فان صلاة العصر بعد غيبوبة الشمس صارت قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها أداء وقد ذكر ابن تيمية الحديث فى كتاب رد الروافض بطرقه ومافيه وأطال فيه قلت طالعته ورأيت ما ذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وأنشد فيه شعر اللحميرى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) مرة بالصهباء (ورأسه) الشريف (فى حجر على) جملة حالية والحجر مثلث الحاء المهملة قبل جيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت موضوعة على ركبته وهو نائم (فلم يصل) على رضى الله تعالى عنه (العصر حتى غربت الشمس) وغابت فانتبه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لعلى (أصليت يا على) بهمزة الاستفهام وفى نسخة هل صليت (فقال لا) أى لم أصلها (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) لانه لم يزعج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من منامه وانتظر يقظته (فاردد عليه الشمس) أى أعدها لمكانها الذى غربت منه ليصلى الصلاة فى وقتها يقال أردد بالفك ورد بالادغام وهو دعاء وقد سمعت ما قاله ابن الجوزى انه لا فائدة فيه بعد ما صارت قضاء ويأتى ما فيه (مشرقها) أى فى محل شروقها

(قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت) أي رجعت على أدراجها من مغربها بعدما غربت (ووقفت على الجبال والارض) ويروى وقعت بالعين بدل الفاء (وذلك بالصهباء) وهو بالمد ويقصر وهو موضع على مرحلة من خيبر وكذا رواه ابن مردويه بسند فيه ضعف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه (قال) أي الطحاوي (وهذان الحديثان ثابتان) أي عنده وكفى به حجة (ورواتهما ثقات) أي فلا عبرة بمن طعن في رجالهما وانما جعله حديثين لروايته من طريقين هذا وقال ابن الجوزي في الموضوعات حديث رد الشمس في قصة علي رضي الله تعالى عنه موضوع بلاشك وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف رجال اسانيد الطحاوي ونسبوا بعضهم الى الوضع الا ان ابن الجوزي قال انا لا أتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة انتهى ولا يخفى ان مجرد كون راو من الرواة رافضيا أو خارجيا لا يوجب الجزم بوضع حديثه اذا كان ثقة من جهة دينه وكان الطحاوي لاحظ هذا المبنى وبنى عليه هذا المعنى ثم من المعلوم ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والاصل هو العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية واما ما قال الدلجي تبعا لابن الجوزي من انه ولو قيل بصحته لم يفد ردها وان كان منقبة لعلي وقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب فمدفوع لقيام القرينة على الخصوصية مع احتمال التأويل في القضية بان يقال المراد بقوله لما غربت أي عن نظرها أو كادت تغرب بجميع جرمها أو غربت باعتبار بعض اجزائها أو ان المراد بردها حبسها أو بقاؤها على حالها وتطويل زمان سيرها ببطء تحركها على عكس طي الازمنة وبسطها فهو سبحانه قادر على كل شيء شاءه واما ما ذكره الذهبي من قوله وقد روى هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وذكره ابن الجوزي من ان في الصحيح ان الشمس لم تحبس لاحد الا ليوشع فالجواب ان الحصر باعتبار الامم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية اللاحقة

وفي رواية شرقها وهذا في بعض النسخ وهو بفتح الراء وسكونها وهو بدل من الشمس أو منصوب على الظرفية ومعناه ضوءها أو ارتفاعها على الحيطان أو انبساطها على الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى يؤدي الصلاة في وقتها او ينافيه قوله (فقالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الارض والجبال وذلك بالصهباء) في القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا قال غيره ففي قوله (في خيبر) مسامحة أو فيه مضاف مقدر أي في قربها وخيبر بوزن ضيغم أرض بقرب المدينة فيها قلاع وقرى كان بها مساكن اليهود ثم خربت واليه الاشارة بقوله في الهمزية

ردت الشمس والشروق عليه ❊ لعلي حتى يتم الاداء

ثم ولت لها صرير وهذا ❊ لفراق له الوصال دواء

(قال) أي الطحاوي (وهذان الحديثان ثابتان) رواية (ورواتهما) أي أكثرهما (ثقات) جعلهما حديثين والمذكور حديث واحد تسمحا لانه روي من طريقين ذكره واعترض عليه بعض الشراح وقال انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يدر ان الحق خلافه والذي غره كلام ابن الجوزي السابق ولم يقف على ان كتابه أكثره مردود وقد قال خاتمة الحفاظ السيوطي وكذا السخاوي ان ابن الجوزي في موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتى أدرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما أشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف رحمه الله تعالى وأشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوي وأخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال انه حسن وحكاه العراقي في التقريب ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رأسه في حجر علي فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس الى آخره وانكار ابن الجوزي فائدة ردها مع القضاء لا وجه له فانها فاتته بعذر مانع عن الاداء وهو عدم تشويشه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه فضيلة أي فضيلة فلما عادت الشمس حاز فضيلة الاداء أيضا وقد قال ابن حجر في شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت أيضا لهذا الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعى الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد أجيب عنه بانه قاله قبل قصة خيبر أو المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافي مع انه نقل ابن حجر عن المصنف رحمه الله تعالى في الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى أدركها أداء وما روي انه قضاها بعدما غربت الشمس لعله كان في يوم آخر وفي تفسير

(وحكى الطحاوى عن أحمد بن صالح) وهو أبو جعفر الطبرى المصرى الحافظ سمع ابن عيينة ونحوه وروى عنه البخارى وغيره وقد
كتب عن ابن وهب خمسين ألف حديث وكان جامعا يحفظ ويعرف الحديث والفقه والنحو مات بمصر سنة مائتين وثمان وأربعين
وكان أبوه من أهل طبرستان وجرت بين أحمد هذا وابن حنبل مذاكرات وكتب كل واحد منهما عن صاحبه وكان

يصلى بالشافعى (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله) وفى نسخة لمن يكون سبيله (العلم) أى بسير سيد الانبياء (التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة) أى وآيات الرسالة (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو الحافظ أبو بكر الشيبانى عن هشام بن عروة والاعمش ومحمد بن اسحق بن يسار امام المغازى وعنه أبو كريب وابن نمير والعطاردى قال ابن معين صدوق وقال أبو داود ليس بحجة يوصل كلام ابن اسحق بالاحاديث أخرج له مسلم متابعة وقد خرج له البخارى فى الشواهد وأخرج له أبو داود والترمذى وابن ماجه (فى زيادة المغازى روايته) أى فى روايته كما فى نسخة (عن ابن اسحق) أى امام أهل المغازى (لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ليلة المعراج (وأخبر قومه بالرفقة) بضم الراء ويجوز تثليثها أى الجماعة من

الرفقاء (والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة أى القافلة من الابل والدواب يحمل الطعام وغيره
من التجارات (قالوا) أى الكفار (متى تجئ) أى القافلة الى مكة (قال يوم الاربعاء) بالمد وهو بتثليث الباء والاجود كسرها كذا فى
المحكم وقال ابن هشام فيه لغات فتح الهمزة وكسر الباء وكسر الهمزة وفتح الباء وكسرهما فان وهذه أفصح اللغات (فلما كان
ذلك

البغوى والكواشى والثعلبى ان الشمس ردت لسليمان أيضا وروى عن على ان ضمير ردوها عائد على
الشمس فى الآية لعلمها وان لم يجر لها ذكر وأقول ان السيوطى صنف فى هذا الحديث رسالة مستقلة
سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابى الحسن الفضلى أورد طرقه
باسانيد كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزى فى بعض من طعن فيه من رجاله والحاجة التى
أرسل صلى الله تعالى عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم خيبر وما ذكره من الحديث المعارض له لا يعارضه
وهو انه لم يكن لنبى معجزة الا وكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع وسليمان ومن غريب
طرقه ما رواه الطبرانى فى الكبير عن أسماء أيضا قالت اشتغل على رضى الله تعالى عنه مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يا على أصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس فى
المسجد فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها فى العصر فقام
على فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك
فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار فى الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا
صح الحديث علم منه ان الصلاة ليست بقضاء بل يتعين بهذا الدعاء الاداء والا لم يكن له فائدة نعما أورده
وارد عليه ولا حاجة الى ان يقال انه من خصائصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس عليه وقد يقال نظيره على
القول باختلاف المطالع ما لو صام أول يوم من رمضان ببلده ثم سافر وأفطر ووصل لبلد فيها الشهر
ناقص وعلم انه تم ببلدته فهل يلزمه قضاؤه تماما أم لا (وحكى الطحاوى عن أحمد بن صالح) هو أبو جعفر
الطبرى الحافظ الثقة روى عنه أصحاب السنن وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين وله ترجمة فى الميزان
(كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم) أى لمن طريقته ودأبه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فجعل
نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الى سعادة الدارين (التخلف عن حفظ حديث أسماء) بنت
عميس الذى رويته فى رد الشمس (لانه من علامات النبوة) أى من الآيات الدالة على ثبوتها لانه معجزة
عظيمة وهذا مؤيد لصحته فان أحمد هذا من كبار أئمة الحديث الثقات ويكفى فى توثيقه ان البخارى
روى عنه فى صحيحه فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن فى روايته وبهذا أيضا سقط ما قاله ابن تيمية وابن
الجوزى من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وما قيل من ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد
نصهم على وضع الحديث وان كونه من علامات النبوة لا يقتضى تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبأ به
بعد ما سمعت (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو أبو بكر الشيبانى الامام الثقة وقول أبى داود انه
ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال انه صدوق توفى فى سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان
(فى زيادة المغازى روايته عن ابن اسحق) محمد بن يسار صاحب السيرة وروايته مفعول روى (لما أسرى
برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر قومه) من قريش بعد اسرائه (بالرفقة والعلامة التى فى
العير) بكسر العين المهملة وهى الابل والرفقة جمع رفيق مثلث الراء أى أخبرهم بقافلتهم ومن فيها
من الجماعة المترافقين والعلامة هى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقدمها جمل أورق على ما فصل
واشتهر فى السير ويأتى بعضه قريبا (قالوا متى تجئ) جواب لما أى فى أى يوم تصل لمكة وسؤالهم
لامتحانه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال يوم الاربعاء) بتثليث الباء والمد أى تجئ يوم الاربعاء (فلما كان

ذلك اليوم) أى الموعود وهو بالرفع على انه نعت لذلك المتقدم الذى هو اسم كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وفى بعض
النسخ المعتمدة ضبط بالنصب ولا وجه له (أشرفت قريش) أى أقبلت (ينظرون) أى ينتظرون (وقد ولى النهار) بتشديد اللام
المفتوحة أى أدبر أوله وأقبل آخره (ولم تجئ) أى العير (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة) أى بسط فى
ساعاته (وحبست له الشمس) أى بطئ تحركها وقيل توقفت وقيل ردت على ادراجها كما تقدم والله تعالى أعلم هذا وقد حبست
الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم من أيام الخندق حين شغل عن صلاة العصر كما ذكره المصنف فى غير هذا الكتاب وحبست
لداود كما ذكره الخطيب فى كتاب النجوم وضعف رواته كما نقله عنه مغلطاى فى سيرته وفى تفسير البغوى انها حبست لسليمان عليه
السلام لقوله تعالى ردوها على ونوزع بان الضمير عائد الى الصافنات الجياد وأيضا لم يكن هناك مأمورون صالحون لرد الشمس
عليه مع مخالفته للحديث الصحيح الصريح فى حصر حبس الشمس ليوشع مما بين الامم المتقدمة نعم ذكر الشيخ معين الدين فى
معراج النبوة انها حبست لابى بكر رضى الله تعالى عنه أيضا والله سبحانه وتعالى أعلم هذا وقد قال بعضهم حديث رد الشمس له صلى
الله تعالى عليه وسلم ليس بصحيح وان أوهم تخريج القاضى له فى الشفاء عن الطحاوى من طريقين فقد ذكره ابن الجوزى فى
الموضوعات وقال ابن تيمية العجب من القاضى مع جلالة قدره وعلو خطره فى علوم الحديث ١٣ كيف سكت عنه موهما صحته
وناقلا ثبوته وموثقا رجاله انتهى وفى المواهب قال شيخنا قال أحمد لا أصل له وتبعه ابن الجوزى فأورده فى الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوى والقاضى عياض وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبى هريرة انتهى قال القسطلانى وروى الطبرانى أيضا فى معجمه الكبير باسناد حسن كما
حكاه ابن العراقى فى شرح التقريب عن أسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم
أرسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العصر فوضع عليه الصلاة والسلام رأسه فى حجر على فقال له
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرأيت
الشمس طلعت بعدما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبرانى أيضا فى معجمه الاوسط بسند حسن عن جابر ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من النهار انتهى وقال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من
آيات الانبياء وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى
الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر قلت وفى معناه الشمس بل سلطانها أكبر وأبهر وأنور الا انها لكمال قرب غروبها
لم تظهر للاكثر فتدبر وأما ما قال الجوزقانى بعد ان نقل عن ابن الملقن فى شرح العمدة انه روى الحسن وغيره عن أبى هريرة رضى الله
تعالى عنه مرفوعا لم تحبس الشمس الا ليوشع حين سار الى بيت المقدس هذا الحديث فيه رد لحديث اسماء فقد قدمت الجواب عنه
واما قوله وهذا الحديث منكر مضطرب لانه عليه الصلاة والسلام أفضل من على ولم ترد الشمس له بل صلى العصر بعدما غربت
فمردود عليه لانها انما ردت على على ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان كرامات الاولياء فى معنى معجزات الانبياء وقد سبق
عن البغوى انها ردت عليه أيضا فصلى العصر الا فى وقتها مع ان المفضول قد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل كما يلزم من القول
بعدم حبسها الا ليوشع فتأمل وتوسع

ذلك اليوم) بالرفع والنصب والاول أولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى وجد (أشرفت قريش)
بشين معجمة وراء مهملة أى قامت على شرف وهو المكان المرتفع وقوله (ينتظرون) حال أو مستأنف
أى يترقبون قدوم عيرهم وقافلتهم فى اليوم الموعود (وقد ولى النهار) أى قارب ذلك اليوم وهو يوم
الاربعاء ان ينتهى ويدخل الليل بغروب الشمس فيه (ولم تجئ) العير تصل اليهم فى المكان الذى وقفوا
فيه لانتظارها (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى سأل ربه وتضرع اليه ان يمد ذلك اليوم حتى
تجئ العير قبل انقضائه (فزيد له فى النهار ساعة و) ذلك انه (حبست له الشمس) ساعة أى أمسكها الله
بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها فى ذلك اليوم وقد تقدم
انها حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق أيضا وفى سيرة مغلطاى نقلا عن الخطيب فى كتاب
النجوم انها حبست لداود عليه الصلاة والسلام أيضا وقال انه رواية ضعيفة وذكر البغوى وغيره فى
سورة ص انها حبست لسليمان عليه الصلاة والسلام حين عرض الجياد كما مر آنفا (تنبيه) الذى
ذكر هنا من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ما ورد من انها قدمت
صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشرى والبيضاوى فى أول سورة الاسراء وهو انه صلى الله تعالى
عليه وسلم لما رجع من الاسراء فقعد حزينا لعلمه بتكذيبهم له فمر به أبو جهل عدو الله وقال له مستهزأ
هل استفدت من شئ قال نعم أسرى بى فى الليلة الى بيت المقدس قال وأصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال

أتحدث قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانقضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم بما حدثتني به فقصه عليهم فمن بين مصفق و واضع يده على رأسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى بعضهم الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقال له هل لك في صاحبك يزعم انه أسرى به الخ قال قد صدق وانى لاصدقه فيما هو أعظم من ذلك من أخبار السماء فسمى لذلك الصديق وكان فيهم من رأى المسجد الاقصى فقالوا له هل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم التبس عليه بعض أمره فجيء بالمسجد الاقصى و وضع دون دار عقيل فنظره فنعته لهم فقالوا أصاب ثم قالوا له أخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت على عير بني فلان بالروحاء وقد ضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفي رحالهم قدح ماء وعطشت فشربته فسألوهم هل وجدوا ماء في القدح قالوا نعم وهذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكب قعودا نفر فوقع وانكسر قالوا نعم وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا أخبرنا عن عدتها واحمالها وهيآتها ومن فيها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم وهذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا القد قضى محمد بيننا وبينه حتى أتوا كذا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كي يكذبونه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير أورق فرأوها كل ماذكر فقالوا ان هذا الا سحر مبين انتهى مع طي لبعض ألفاظه وهذا مناف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى والعجب من بعضهم اذا اورد هذا هنا ولم ينتبه لما قلنا

فوالله ما أدري أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

(لطيفة) من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل علي كرم الله وجهه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وأنشد ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي * مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك اذ أردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

(فصل في نبع الماء من بين أصابعه) أي خروجه من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف لفاعله (وتكثيره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تكثير الماء ببركة وضع يده الشريفة فيه وهو نبع أيضا وان لم يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة ورويت بطرق متعددة في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها أتى بقدح وفي بعضها جفنة وفي بعضها ميضأة وهي اناء معدة للوضوء وفي بعضها مزادة والماء قليل فكفى جماعة كثيرة في بعضها كانوا خمس مائة وفي بعضها ثمان مائة وفي بعضها خمس مائة وألف الى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه في المعجزات وهذه المعجزة أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام اذ نبع له الماء من الحجر لانه معتاد وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية واما خروجه من لحم ودم فلم يعهد كما قال الشاعر

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان في الكف معنى ليس في الحجر

ولله در الابوصيري في قوله في لاميته

ومنبع الماء عذبا من أصابعه * وذي أياد عليها قد جرى النيل

قالوا هذا الماء أفضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره ان لا يكون عطف تفسير

(فصل) (في نبع الماء من بين أصابعه وتكثره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة وتكثيره ببركته

(أما الاحاديث فى هذا) أى فى هذا النوع من جنس المعجزة (فكثيرة جدا) منصوب على المصدر وأريد به المبالغة فى الكثرة فان ذلك فى مواطن متعددة واعداد مختلفة كما ذكره ابن حبان فى صحيحه فنى بعضها أتى بقدح وفى بعضها زجاج وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضأة وفى بعضها مزادة وفى بعضها كانوا خمس عشرة مائة وفى بعضها ثمانمائة وفى بعضها زهاء ثلثمائة وفى بعضها ثمانين وفى بعضها سبعين انتهى وفى صحيح البخارى فى حديث جابر فى قصة نبع الماء من بين أصابعه انهم كانوا ألفا وأربعمائة وفى رواية عنهم انهم كانوا خمس عشرة مائة وهذه القصة كانت بالحديبية وفى عددهم أقوال مختلفة ثم هذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فان ذلك من عادة الحجر فى الجملة قال الله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وأما من لحم ودم فلم يعهد من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم (وروى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود) أما حديث أنس فرواه الشيخان عنه أيضا الا ان المصنف ساقه شاهدا بسنده الى الامام مالك عنه فقال (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتى عليه حدثنا القاضى عيسى بن سهل حدثنا أبو القاسم حاتم ابن محمد) وقد تقدم ذكره (حدثنا أبو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة

بل من عطف الاعم على الاخص ليشمل ما كان بدعائه وتفل ريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن وأصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا (أما الاحاديث فى هذا فكثيرة جدا) أى كثيرة عظيمة تفوت الحصر وهو مصدر لازم النصب والتنكير وفيه ايماء الى انها لا تدرك الا بغاية الجد والاجتهاد فيها وقال النووى رحمه الله تعالى انها بلغت مرتبة التواتر (روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة) بفتح الصاد مصدر فى الاصل كالصحبة ثم صار جمعا للصحابى (منهم أنس وجابر وابن مسعود) رضى الله تعالى عنهم وأشار بمن التبعيضية الى انه روى عن كثير غير هؤلاء كبلال وابن عباس رضى الله تعالى عنهما لانه وقع بين الجم الغفير منهم فى الحديبية وغيرها كما قال أولا ان أحاديثه كثيرة جدا فلا حاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين لها فى كتبهم من أئمة الحديث حتى صار متواترا تواترا معنويا وانما نص على رواية هؤلاء لقوة صحتها برواية الامام مالك والشيخين لها (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) هو ابن أحمد الفاسى اللواتى نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها مثناة فوقية وهو شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا) القاضى (عيسى بن سهل) ضد الصعب وتقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو القاسم) حاتم بن محمد كما تقدم فى ترجمته قال (حدثنا أبو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاوانى تجعل من الطين ولذا قيل

لا يفخرن امرء بذات يد ❊ فالكسر يدنو لكل فخار

وقيل على المصنف رحمه الله تعالى ان الصواب أبو عبد الله بن الفخار قال ابن رشد أبو عمر الذى يروى عن أبى عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى القرطبى المتوفى سنة ستين وأربعمائة وبقراءته على أبى عيسى سمع الموطأ يونس بن المغيث لكن ابن أبى حاتم لم يذكر روايته عنه وانما روى عن عبد الله محمد بن عمر بن الفخار المتوفى سنة تسع عشرة وأربعمائة ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى سهو من وجهين اذ سماه أبو عمر وهو أبو عبد الله وفى قوله قال (حدثنا أبو عيسى) قال (حدثنا يحيى) اذ اسقط راويا بين أبى عيسى ويحيى وهو عبيد الله أبو مروان وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى على الصواب فى غير هذا المحل فيما مر وفيما سيأتى وأبو عيسى هذا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث اللهم الا ان يقال انه جعل اتصاله فى غير هذا المحل قرينة على تقديره هنا فليتأمل قال أبو محمد القرطبى صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله الخ وصوابه أبو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان أبا عيسى انما تحمل عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى وأبو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير ابن يحيى سمع عم أبيه عبيد الله بالتصغير ابن يحيى وقد تقدم على الصواب فى فصل الحلم والاحتمال ويأتى أيضا كذلك

(حدثنا ابو عيسى) هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثى وقد سبق ذكره (حدثنا يحيى) وفى نسخة عن يحيى وهو يحيى ابن يحيى الليثى وفى نسخة صحيحة قبل قوله حدثنا يحيى حدثنا عبد الله بن يحيى عن أبيه يحيى ويؤيده ما قاله الحلبى انه سقط رجل بين أبى عيسى وبين يحيى وهو عبد الله أبو مروان ولا بد منه وقد تقدم على الصواب وكذا يأتى على الصواب أيضا وحاصله ان عبد الله يروى عن يحيى عن أبيه ويحيى عن مالك

(قال حدثنا مالك) وهو امام المذهب (عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك) وهو عمه لامه (رأيت) وفي نسخة قال أي أنس رأيت (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر) أي وقد قرب وقتها أو دخل فان الحين الوقت (فالتمس الناس الوضوء)

بفتح الواو أي ماء الوضوء بضمها وفي نسخة بضمهما والمعنى ماءه بتقدير مضاف والمؤدى واحد وقيل تطلق على كل منهما لكن الظاهر ان أحدهما مجاز (فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (بوضوء) أي في أناء (فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك الاناء يده وأمر الناس ان يتوضؤا منه) أي من الماء أو من الاناء أو من ماء ذلك الاناء (قال) أي أنس (فرأيت الماء ينبع) بتثليث الموحدة والضم أشهر أي يفور (من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) قال النووي في كيفية النبع قولان أحدهما ان الماء كان يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذاتها وهو قول أكثر العلماء وثانيهما انه تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه (فتوضأ الناس) أي منه (حتى توضؤا من عند آخرهم) أي الى انتهاء أولهم فالقضية معكوسة للمبالغة والمراد جميعهم وقال النووي من هنا بمعنى الى وهي لغة (ورواه أيضا عن أنس وقتادة) (وفي كما في صحيح مسلم (وقال) أي أنس أو قتادة عنه (باناء) أي فأتي باناء (فيه ماء يغمر أصابعه) بسكون الغين المعجمة وضم الميم أي يغطيها ويسترها (أولا يكاد يغمر) شك من الراوي (قال) أي قتادة لانس كما صرح به الترمذي (كم كنتم) أي حينئذ وكم اسم استفهام وسؤال عن العدد (قال زهاء ثلثمائة) بضم زاي وهاء ممدودة أي كنا قدر ثلثمائة

في فصل كنيته قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة المشهور (عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة) الامام المشهور الفقيه وأنس عمه توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة (عن أنس بن مالك) قال فيما رواه مالك في موطأه عنه والشيخان عنه (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد (حانت صلاة العصر) بمهملة ونون أي قربت أو دخل وقتها وهو مأخوذ من الحين بمعنى الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو وهو الماء الذي يتوضأ به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس ثم صار حقيقة في مطلق الطلب (فلم يجدوه فأتي) بالبناء للمجهول (بوضوء) تقديره باناء وضوء بقرينة قوله (فوضع يده فيه) وفي مسلم بقدح زجاج (وأمر الناس ان يتوضؤا منه قال) أي أنس (فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس من عند آخرهم) أي جميعهم وتقدم معنى ينبع وانه بتثليث الباء وقد قالوا انه يحتمل ان الماء خرج من أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع منها وانما وضع يده فيه سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به وتأدبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه وأصابع جمع أصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة أصبوع قال ابن مالك رحمه الله تعالى

تثليث با أصبع مع ضم همزته * والفتح والكسر والاصبوع قد كملا

وعند مثلث العين والأفصح الكسر وهي ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية أو الجر بمن ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله من عند آخرهم لفظ مسموع من فصحاء العرب قديما وقال النووي انه لغة لبعضهم وعندهم من للغاية بمعنى الى ولم يأت على الاصل لان الى عنده لحن عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا ابتدائية لابتداء الغاية اذ لم تسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضؤا كلهم بحيث لو قيل ان ابتداء وضوئهم كان من آخرهم صدق قائله *أقول سمع أيضا من آخرهم بدون عند كما في الكشاف في أول البقرة وما ذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية كما قال وتوجيهه ان ماء الوضوء كأنه مأخوذ ومبذول من آخرهم والمعروف انه لا يبذل الا ما فضل عن حاجته فكأنهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووي أسهل وأظهر وقد نقل انه لغة في شرح مسلم وهي عبارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام فيها (ورواه أيضا) أي كالرواية السابقة (عن أنس) رضي الله عنه (قتادة) كما في صحيح مسلم (قال) أي أنس في هذه الرواية فأتي (باناء فيه ماء) الاناء بكسر الهمزة مفرد وتقدم ان آنية جمعه وليس مفردا كما يتوهم (يغمر أصابعه) بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمرة للشدة (أو لا يكاد يغمرها) يعني انه قليل لا يغطيها وتقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعله تسترا وتأدبا مع الله تعالى الذي لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها أبلغ من نفي الفعل الذي هو خبرها والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم (قال) أي قتادة لانس رضي الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الناس الذين توضؤا من ذلك الماء (قال زهاء) بضم الزاي المعجمة والمد ويقال أيضا لهاء باللام أي مقدار (ثلثمائة) رجل وأصل الزهاء العدد الذي يقدر بالتخمين فقد ينقص أو يزيد بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حذرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقي وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب

(وفى رواية عنه) أى عن أنس (وهم بالزوراء) بفتح الزاى وسكون الواو فراء ممدودة مكان يعرف بالمدينة قرب المسجد (عند السوق) وفى البخارى بالسوق أى سوق المدينة قال الداودى وهو مرتفع كالمنار (ورواه أيضا حميد) بالتصغير وهو الطويل وكان طوله فى يديه وهو ثقة جليل لكنه يدلس أخرج له الائمة الستة (وثابت) تقدم ذكره (والحسن) أى ابن أبى الحسن البصرى (عن أنس) أى كلهم عنه الا أن البخارى انفرد بالاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين) أى كانوا ثمانين أى رجلا كما فى نسخة (ونحوه عن ثابت عنه) أى نحو مروى حميد عن أنس فى العدد ورد

عن ثابت عن أنس (وعنه)

(وفى رواية عنه) أى عن أنس رضى الله تعالى عنه (وهم بالزوراء عند السوق) الزوراء مكان مرتفع قريب من مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وقيل سوقها (ورواه) أى حديث نبع الماء (أيضا حميد) بالتصغير وهو المعروف بالطويل واختلفوا فى اسمه فقيل تيرو وقيل تيرويه وقيل طرخان وقيل غير ذلك وهو أبو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعى أو الدارمى مات وهو قائم يصلى سنة اثنتين وأربعين ومائة وهو ثقة أخرج له الائمة الستة الا أنه نسب للتدليس وترجمته فى الميزان (وثابت والحسن) ابن أبى الحسن البصرى كما تقدم (عن أنس) وتفرد البخارى عن مسلم بالرواية الاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال) كانوا (ثمانين ونحوه عن ثابت عنه) أى عن أنس (وعنه أيضا) أى عن أنس (وهم نحو من سبعين رجلا) وفى مسلم عنه أيضا بين الستين الى الثمانين ويحمل الاختلاف فى روايته عنه على انهما كانا قضيتين فى وقتين ووقعتا حال حدث عنهما واذا كان الامر على التقريب والتخمين فلا اشكال أيضا (وأما ابن مسعود ففى الصحيح) أى الحديث الصحيح أو صحيح البخارى (عنه) أى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (من رواية علقمة) تقدم ترجمته (بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كانوا مجتمعين عنده وبين ظرف والالف فيه اشباع كانه عن الاضافة كما ذكره الصحاح وفى نسخة بينما وهى كبينا فيما ذكر وتقع بعدها الجملة الاسمية والفعلية وقد يتلقى باذ واذا والاصمعى يستفصح تركهما كما هنا (وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء) أى بقية من ماء كان أو زيادة منه على حاجته وقدمنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلبه تحترزا لئلا يتوهم انه موجد له من العدم دون الله وهو الواجد الموجد للكل فتأدب بذلك مع الله ولو شاء لاوجده بدونه وطلبه له من الله تعالى ولو شاء لاوجده ابتداء من غير شئ (فأتى بماء) بالبناء للمجهول والفاء فصيحة أى فطلبوا الماء فوجده بعضهم وأتى به (فصبه فى اناء) أى صبه وسكبه فى اناء آخر مكشوف وكأنه أتى به فى مزادة لا تدخلها اليد (ثم وضع كفه فيه) أى فى الاناء الثانى والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بدعائه أى فدعا الله تعالى ثم الى آخره (فجعل ينبع) بتثليث الموحدة كما مر وجعل بمعنى صار وليس للاسناد مجازيا كما قيل (من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذه القصة هى المتقدمة وانما أعادها اشارة الى تعدد طرقه الدالة على ذلك ويحتمل انها غيرها (وفى الصحيح) أى صحيح البخارى أو المراد فى الحديث الصحيح له ولغيره (عن سالم بن أبى الجعد) الاشجعى الكوفى وهو من كبار التابعين الثقات روى عن ابن عباس وغيره توفى سنة مائة وله ترجمة مفصلة فى الميزان (عن جابر رضى الله تعالى عنه عطش الناس يوم الحديبية) وهو يوم معروف بمكان معروف بين مكة والطائف وهو مصغر بياء مخففة على الافصح ويجوز تشديدها كما تقدم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

أى وعن أنس (أيضا) أى برواية ثابت أو غيره (وهم نحو من سبعين رجلا) ولعل رواية السبعين والثمانين فى غير قصة الحديبية لما سبق من تعدد القضية ثم رأيت النووى قال انهما قضيتان جرتا فى وقتين فحدث بهما جميعا أنس (وأما ابن مسعود ففى الصحيح) أى للبخارى وغيره (من رواية علقمة عنه) كما فى نسخة أى عن عبد الله بن مسعود (بينما) أى بين ساعات أو أوقات (نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حاضرون (وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أطلبوا من معه فضل ماء) قيل انما طلب الماء كيلا يظن انه موجد للماء فان ذلك لله سبحانه وتعالى وفيه ان الكل من عنده تعالى

وفيه ان الكل من عنده تعالى

(فأتى) أى جئ (بماء) أى فى نحو سقاء (فصبه فى اناء ثم وضع كفه) أى مع أصابعه (فيه فجعل الماء ينبع) أى فشرع يخرج (من بين أصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كما ينبع من الارض وفى نبعه احتمالان من زيادة الكمية أو الكيفية وهو أظهر كما يدل عليه طلبه فضل الماء ويشير اليه ما سبق من الترجمة فى قوله وتكثيره ببركته (وفى الصحيح) أى للبخارى وغيره (عن سالم) أى الاشجعى (ابن أبى الجعد) وهو من ثقاة التابعين روى عنه انه قال اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم وأعتقنى فقلت باى حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير البلد زائرا فلم آذن له (عن جابر عطش الناس) بكسر الطاء (يوم الحديبية) بالتخفيف وتشدد بئر بين مكة وجدة قبيل جدة وأما قول الدلجى بين مكة والطائف فوهم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

بين يديه ركوة) جملة حالية والركوة بفتح الراء وتضم اناء من جلد نحو الابريق ذكره الدلجي وهو غير ملائم لوضع اليد فيه اللهم الا أن يقال
ان المراد به وضع اليد على فيه عند خروج الماء منه ثم رأيت في القاموس ان الركوة مثلثة زورق صغير انتهى وهو يحتمل ان فمه كبير
ثم رأيت التلمساني ذكر انها اناء من الادم كالتور يتوضأ منه (فتوضأ منها واقبل الناس نحوه) أي متعطشين اليه (وقالوا) عطف على
واقبل الناس وجعل الدلجي الواو للحال أي قائلين (ليس عندنا ماء الا في ركوتك) اي التي هي موجودة في حضرتك (فوضع النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة) أي ثانيا (فجعل الماء يفور) أي يرتفع متدفقا (من بين أصابعه كامثال العيون) أي كامثال
مياهها أو شبه أصابعه عند نابع عيون الماء أي بين كل أصبعين يفور الماء كالعين (وفيه) أي في حديث سالم (فقلت) أي لجابر (كم
كنتم) أي يومئذ (قال لو كنا مائة ألف) أي مثلا (لكفانا) أي لكونه معجزة (كنا) أي لكنا (كنا خمس
عشرة مائة) يعني ألفا
وخمسمائة وقيد ثمانين
ألفا أو رجلا أو أربعين
أو خمسة وعشرين رجلا
أو ألفا وستمائة بناء على
الاختلاف في عدد
من بايع تحت الشجرة
قال الحلبي فيقال أربع
عشرة مائة وكذا هو في
الصحيح وأكثر الروايات
كما قال البيهقي انه ألف
وأربعمائة هذا وقال
اليمني قوله كنا خمس
عشرة مائة هذه اللغة الى
الآن بنجد سمعتها منهم
لا تألف ألسنتهم الآلاف
بل يقولون عشر مائة
واحدى عشرة مائة
وعشرون مائة وهلم جرا
(وروى مثله) أي مثل
حديث سالم كما في مسند
الدارمي (عن أنس
عن جابر) وهو من رواية
الاصاغر عن الاكابر
فانهما صحابيان قال الحلبي كذا في النسخة التي وقفت عليها الآن بالشفاء وعلى عن التي بين انس وجابر صح يعني من
ان أنسا رواه عن جابر فان صح ذلك فرواية أنس عن جابر ليست في الكتب الستة (وفيه) أي وفي هذا الحديث (انه كان بالحديبية)
يعني فالاختلاف مبني على اختلاف عدد من حضر في تلك القضية (وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت) الوليد هذا ولد في حياته
عليه الصلاة والسلام روى عن أبيه وعنه ابنه عبادة (عنه) أي عن جابر (في حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (في غزوة بواط)
بضم الموحدة وتخفيف الواو وفي آخره طاء مهملة (قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء) بفتح الواو وتضم وفي
نسخة صحيحة الوضوء من غير الباء أي ناد الناس له أو به أو نصبه على الاغراء أي أعطوا أو ناولوا الماء وهو بيان النداء (وذكر
الحديث بطوله

بين يديه) أي عنده في مكان قريب منه (ركوة) بتثليث الراء المهملة وكاف وواو والافصح فيه الفتح
وجمعه ركاء بالكسر والمدوهي اناء للماء من جلد كالابريق (فتوضأ) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها وأقبل
الناس نحوه) أي جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم (وقالوا له ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك) جملة حالية
والاستثناء متصل (فوضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور) أي ينبع ويرتفع
لزيادته (من بين أصابعه كأمثال العيون) أي كان بين كل أصبعين من أصابعه الشريفة عين ماء نابعة
(وفيه) أي في حديث سالم هذا (فقلت) لجابر رضي الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الصحابة (قال لو كنا
مائة ألف لكفانا) ذلك الماء المشاهد من فورانه الدال على عدم انقطاعه (كنا خمس عشر مائة) يعني ألفا
وخمس مائة رجل وهم أصحاب الشجرة وبيعة الرضوان وقد اختلف في عددهم وهذه رواية مشهورة
ولذا اقتصر عليها المصنف رحمه الله تعالى وقيل كانوا ألفا وأربع مائة وصحح هذه الرواية البيهقي وقيل
كانوا ألفا وستمائة وقيل ألفا وخمسمائة وأربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل وثلث
مائة وجمع ابن دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان خرزا وتخمينا لا تحقيقا وتحديدا وراوية سبع مائة
وهم من راويها (وروى مثله) بالبناء للمجهول أي مثل حديث سالم المذكور (عن أنس عن جابر) صحح
في النسخ بدون عاطف بينهما فان صح هذا فليس رواية أنس عن جابر رضي الله تعالى عنه في الكتب
الستة كما قاله البرهان الحلبي (وفيه) أي في هذا الحديث (انه كان بالحديبية) كما في الرواية التي قبله (وفي
رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه) أي عن جابر رضي الله تعالى عنه والوليد هذا ولد في حياته صلى
الله تعالى عليه وسلم وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث وأخرج له
الشيخان والترمذي وابن ماجه وهو يروي عن أبيه (في حديث مسلم الطويل) صفة للحديث
(في ذكر غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وفتح الواو المخففة وألف وطاء مهملة وهي ثاني غزواته
وهي مفصلة في مسلم وغيره ويجوز فتح بائه أيضا وهي اسم لجبال لجهينة على ابراد من المدينة فهي
بقرب الينبع وكانت في ربيع الاول سنة اثنين وفي هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم
(قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء) ناد أمر من النداء محذوف الآخر
المعتل والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بمقدر ومفعول ناد مقدر أيضا أي ناد الناس وقل لهم أعطوا أو
ناولوا الوضوء وهو الماء الذي يتوضأ به وفيه حث لهم عليه (وذكر الحديث بطوله) وفيه ان رجلا

وانه) أي الشان (لم نجد) بالنون وفي نسخة بالياء وفي أصل الدلجي لم يجدوا (الاقطرة) أي شيأ قليلا من الماء (في عزلاء شجب) بالاضافة وهو بفتح العين المهملة فسكون الزاي فلام ممدودة فم المزادة الاسفل والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم ساكنة فموحدة ما بلي من القربة وعتق من السقاية (فأتي) أي جيء (به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فغمره) بالراء أي غطاه وستره في أصل الدلجي بالزاي أي فكبسه بيده وعصره (وتكلم بشئ) أي من الاسماء أو الدعاء والثناء (لا أدري ماهو وقال ناد بجفنة الركب) بفتح الجيم وسكون الفاء وهي أكبر قصاع الاطعمة والركب اسم جمع أو جمع للراكب كالصحب وهم العشرة فصاعدا والباء مزيدة ولما كانت الجفنة محل الآية نوديت فكأنها تعقل أو على حذف أي يا قوم هاتوها أو عدى النداء بالباء لتضمنه معنى الاتيان أي ائت بها وأحضرها (فأتيت بها) أي فجئت بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الحلبي هو مبني لما لم يسم فاعله أي فأتوني بها وفي نسخة فأتيها بضم همزة وكسر ثانية (فوضعتها بين يديه وذكر) أي جابر (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق) بتشديد الراء ونشر (أصابعه وصب جابر عليه) أي الماء (وقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (بسم الله) أي وعلى بركة رسول الله وروي بسم الله كما أمره على ما في أصل المؤلف (قال) أي جابر (فرأيت الماء يفور) أي يظهر مرتفعا (من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت) أي ارتفع ماؤها ودار (حتى امتلأت) ورواية مسلم ثم فارت الجفنة فدارت كذا ذكره الدلجي تبعا للحلبي قيل لان المقام مقام آية فكما نبع الماء استدارت الجفنة وحديث جابر هذا ليس في شئ من الكتب الستة الا في مسلم على ما صرح به الحلبي وغيره (وأمر الناس بالاستقاء) أي بأخذ الماء (فاستقوا حتى رووا) أي بأجمعهم وهو بضم الواو الاولى

من الانصار كان يبرد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماء في سقاء فلما أخبره انه نادى فلم يجد الماء قال له انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في اشجابه من شئ قال فانطلقت اليه وأخبره بما عنده (وانه لم يجد) عند الانصاري (الاقطرة) أراد ماء قليلا جدا (في عزلاء شجب) بالاضافة أي فم قربة بالية وعزلاء بفتح العين المهملة وسكون الزاي المعجمة ولام بعدها مدة بعدها همزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها وجمعه عزالي بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة قيل أو كسرها وسكون الجيم وباء موحدة ما اندم من القرب أو اعواد تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب واشجاب وأصل معناه الهلاك (فأتي به) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل والرواية الاولى وضمير به للمذكور (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه) بفتح الغين المعجمة والميم والزاي المعجمة أي وضع يده عليه وكبسه بها والغمز هنا كالذي في قوله

وكنت اذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما

والغمز بالعين الاشارة بها معنى آخر (وتكلم بشئ لا أدري ماهو) وفي الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتكلم بشئ لا أدري ماهو فكأنه سر من أسرار الله تكلم به بالسريانية ونحوها ليخفى على غيره وقد تقدم حكاية مثله في رد الشمس المتقدم (وقال ناد بجفنة الركب) الجفنة كالقصعة لفظا ومعنى وهي التي تشبع عشرة فاكثر ودونها الصحفة ثم المأكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب والمراد الناس وان يكونوا راكبين بالفعل وهذا وقع في رواية لقتادة والذي في مسلم ناد بجفنة فكأنه لم يكن معهم الاجفنة واحدة وضمن ناد معنى ائت بها بدليل قوله (فأتيت بها) بالبناء للمفعول كما قاله البرهان وغيره ويجوز البناء للفاعل وقيل مفعوله محذوف أي ناد القوم ليأتوا بجفنتهم أو هي منزلة منزلة من يعقل الا أن الله تعالى خلق فيها ادراكا حتى تنادى هي فتأتي بنفسها ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم الا انه لم ينقل لنا مثله (فوضعتها بين يديه وذكر) جابر رضي الله تعالى عنه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده) بالسين والطاء وبهما قرئ أي وضع يده الشريفة (في الجفنة) مبسوطة ليكون أبرك (وفرق أصابعه وصب جابر عليه) ما كان في القربة من الماء (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله) تبركا وأطلب نبع الماء ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه المأثور في سائر الافعال لا لبيان انه يجري بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قال فاعل قال بسم الله جابر كان أوفق بما في الرواية من انه وضع يده في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر صب علي وقل بسم الله فصببت عليه صلى الله عليه وسلم وقلت بسم الله فلا يقال كيف استبد جابر بالصب من غير اذن وان المصنف رحمه الله تعالى غير الرواية ونسب لجابر ما لم يقله فيجاب بان كمال جابر وما علم من آداب الصحابة رضي الله تعالى عنهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم قرينة على ما ذكر (قال) جابر رضي الله تعالى عنه (فرأيت الماء يفور) أي يزيد ويرتفع حتى يتدفق من فار القدر اذا غلا ما فيه (من بين أصابعه) صلى الله عليه وسلم (ثم فارت الجفنة) أي فار ماؤها ففيه مضاف مقدر أو الاسناد مجازي للمبالغة في فورانه (واستدارت) أي دار ماؤها لان الماء اذا زاد بسرعة يرى كأنه يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها استدارت لعظم الامر فانه لا محصل له (حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا) أي أخذ

وأصله رويوا كرضوا ولقوا (فقلت هل بقى أحد له حاجة) يجوز ان تكون هل نافية كما فى قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وفى حديث وهل ترك لنا عقيل من دار أى ما بقى من محتاج الى الماء (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى يده كما فى أصل الدجى وغيره (من الجفنة وهى ملأى) فعلى من الملىء ويجوز ان تكون هل استفهامية ورفعه يده بعد جوابهم ما بقى لاحد حاجة ولا يبعد ان يكون المراد بقوله فقلت تردده فى نفسه انه هل بقى لاحد حاجة اليه أم لا فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده شهادة لنفى البقاء فيكون كرامة أخرى (وعن الشعبى) بفتح أوله تابعى جليل فحديثه هذا مرسل وهو حجة عند الجمهور خلافا للشافعى (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جىء (فى بعض أسفاره ٢٠ باداوة ماء) وهى بكسر الهمزة اناء صغير من جلد يتخذ للماء ويسمى المطهرة (وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها) أى غير ما فى الاداوة هذه وهى لم تكف الجماعة شربا ووضوأ (فسكبها) أى صبها (فى ركوة) أى اناء صغير من جلد يشرب فيها الماء كانت معه كما فى نسخة (ووضع أصبعه) بتثليث الهمزة والباء والاشهر كسر الهمزة وفتح الباء والمراد الجنس أى أصابعه (وسطها) بفتح السين وسكونها أى فى وسطها (وغمسها) أى غطس أصابعه وادخلها (فى الماء وجعل الناس يجيؤن) أى يأتون اليه (ويتوضأون) أى منه (ويقومون) أى عنه وفى نسخة صحيحة ثم يقومون (قال الترمذى) أى صاحب الجامع (وفى الباب) أى وفى الاحاديث الواردة فى هذا النوع من الكتاب (عن عمران بن حصين) وهو كما سيأتى فى الفصل الآتى من هذا الباب (ومثل من هذا) أى ما ذكر من خوارق العادة (فى هذه المواطن الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء أى الممتلئة المجتمعة الغزيرة وفى نسخة الحفيلة بزيادة الياء وهما بمعنى (والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة) بضم التاء وسكون الهاء وتفتح أى لا تتوصل تهمة كذبه (الى المحدث به) بكسر الدال المشددة أى المخبر به (لانهم) أى السلف من الصحابة والتابعين (كانوا أسرع شىء الى تكذيبه) أى تكذيب من أخبر به لو عرفوا انه كاذب فى خبره (لما جبلت) بصيغة المجهول أى خلقت وطبعت (عليه النفس) أى النفوس كما فى نسخة صحيحة

كل منهم من الماء ما يكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم والرى مقابل العطش وفيما رواه المصنف رحمه الله بعض مخالفة لما فى صحيح مسلم بحسب اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفى بعض نسخة فارت الجفنة ثم فارت بالتكرار (فقلت هل بقى أحد له حاجة) أى قال جابر فقلت الى آخره وهل هنا قيل انها نافية كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز ان يكون استفهامية وقوله (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة) الفاء فيه فصيحة أى فقال لا فرفع الى آخره وحديث جابر هذا ليس فى شىء من الكتب الستة غير مسلم (وهى ملأى) بوزن سكرى أى مملوءة بالماء لم ينقص شيأ مما أخذوه (وعن الشعبى) هو من كبار التابعين فحديثه هذا مرسل والمرسل يستدل به عند مالك والمصنف رحمه الله تعالى مالكى المذهب (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أى أتاه بعض الصحابة (باداوة) بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة وألف وواو وهاء وجمعها أداوى وهى اناء صغير للماء من جلد ولذا أضافها لقوله (ماء فى بعض أسفاره وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها فى ركوة) أى صبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه أو أمر بصبها (ووضع أصبعه) بالافراد وقدم تقدم لغات الاصبع وانها عشرة (وسطها) بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية أى وضعه فى وسط مائها وفى الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا كلام فى كتب العربية ليس هذا محله وبيناه فى شرح الدرة وتقدم فيما مر ما فيه الكفاية (وغمسها فى الماء) تفسير لما قبله والغمس بغين معجمة الادخال (وجعل الناس يجيؤن ويتوضؤن) جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة (ثم يقومون) بعد الوضوء (قال الترمذى) أبو عيسى امام أهل السنة المشهور صاحب الجامع وغيره (وفى الباب) أى فى هذا الباب الذى ذكر فيه معجزاته ونبع الماء (عن عمران بن حصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين أى روى عنه مثله (ومثل هذا) الامر المعجز المروى فى هذا الحديث (فى هذه المواطن) جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس (الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء أى الكثيرة الناس (والجموع الكثيرة) أى جموع الناس الكثيرة فى مثل هذه المحافل (لا تتطرق التهمة) بضم المثناة الفوقية وفتح الحاء ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة من الواو والتهمة ما يتوهم ويظن فى شىء على خلاف الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما فى القاموس والصحاح ولا يكون الا اسما لما يتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما فى شرح المفتاح لابن كمال وفيه نظر ويتطرق بمعنى يصل وأصل معناه يجد طريقا (الى المحدث به) بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها (لانهم كانوا أسرع شىء الى تكذيبه) أى تكذيب المخبر عنه أو الخبر لو وقوعه بين ناس كثيرين لا يمكن تواطئهم على الكذب (لما جبلت عليه النفوس

من ذلك) أى الاسراع الى التكذيب (ولانهم) أى من حضر تلك المحافل (كانوا ممن لا يسكت على باطل) فلا يقرونه على ما قاله اذا كذب غيرهم وهم عدول اخلاقه ولا يخافون فى الله لومة لائم (وهؤلاء) المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) الحديث الذى فيه نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم (واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له) أى قالوا انه وقع فى محافل ناس لا يحصون كثرة فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجماء الغفير كجماء الغفير أى كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف منهم أحد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها فى القاموس وليس هذا محل تفصيلها (ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم) أى لم يقل أحد ان ما نقلوه من هذه المعجزة انها لا أصل لها ونحوه (انهم فعلوه وشاهدوه) بفتح همزة ان بدل من ما حدثوا وما فعلوه كوضوئهم وتقديمهم الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وما شاهدوه من نبع الماء وتدفقه وكثرته (فصار) ما ذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيره (كتصديق جميعهم له) أى لذلك الخبر والحديث فيتواتر تواترا معنويا وأمرا مجمعا عليه وفى نسخة لهم

(فصل ومما يشبه هذا) * أى من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (من معجزاته) بيان لما أو حال من اسم الاشارة (تفجير الماء ببركته) صلى الله تعالى عليه وسلم والتفجير الشق الواسع يقال فجر الارض فانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح فاضافته للماء اضافته تجوز من اضافته للمحل الى الحال قال عز وجل وفجرنا الارض عيونا أو التفجير مجاز بمعنى الاخراج وهو شائع فيه وقوله ببركته أى بيمنه ووجوده فى مكان أخرج منه الماء والبركة الخير الدائم وهى فى الاصل من البرك وهو الموضع الذى يضعه البعير على الارض اذا برك ومنه البركة وهو الموضع الذى يحبس فيها الماء وقوله تبارك وتعالى رب انزلنى منزلا مباركا أى كثير الخير وتبارك الله بمعنى زاد خيره الذى أفاضه على عباده وهو لا ينصرف ولا يستعمل فى غير الله (وابتعاثه) وهو افتعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماء حتى يجرى (بمسه ودعوته) أى بلمسه بيده ودعائه فيه وأخر هذا عن نبعه من بين أصابعه لان الاول أقوى فى المعجزة لاحتمال هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجارى وفى بعض النسخ انبعاثه من الانفعال بالنون وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فانبعث وابتعث كانشوى واشتوى وجعل هذا مشبها لذلك لما تقدم (مما روى مالك فى الموطأ) ومسلم فى صحيحه وعزاه المصنف للموطأ دونه لان روايته له أعلى سندا عنده أو لترجيح روايته (عن معاذ بن جبل) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (فى قصة غزوة تبوك) بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة مبينة فى السير (وانهم) أى الجيش الذين كانوا معه صلى الله عليه وسلم (وردوا العين) تعريفها للعهد أى عينا بتبوك نزلوا عليها فى سفرهم هذا (وهى تبض) مضارع بض برقة ردية وحدة وضاد معجمة مشددة من بض الماء اذا سال سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية فيه وهو كناية عن قلة الماء ولذا قال (بشئ من ماء مثل الشراك) بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وألف وكاف وهو سير النعل الذى يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس بمعنى أخدود فى الارض كما قيل (فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع) الماء الذى

(من ذلك) أى لا سراع الى التكذيب (ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل) أى باجمعهم لانكارهم على الباطل ولو من بعضهم لكونه فرض كفاية على كلهم (فهؤلاء) أى المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) أى الحديث الذى سبق من نبع الماء من بين أصابعه (واشاعوه) أى نقلوه وافشوه واسندوه (ونسبوا حضور الجماء الغفير له) وفى نسخة الجم الغفير أى الجمع الكثير كما فى قضية الحديبية (ولم ينكر أحد من الناس) أى ممن حضر تلك الوقعة (عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه) أى من شربهم وسقيهم (وشاهدوا) أى اعينهم فى غيرهم (فصار كتصديق جميعهم لهم) فيكون اجماعا سكوتيا منهم

(فصل)

(ومما يشبه هذا) أى النوع (من معجزاته) وهو نبع الماء من بين أصابعه لكرامته (تفجير الماء ببركته وانبعاثه) بالرفع أى ثورانه وجريانه (بمسه) أى اياه بجارحته (ودعوته) أى بلسانه أو جنانه (فيما روى مالك) أى رواه كما فى نسخة (فى الموطأ) بتشديد الطاء المفتوحة فهمزة وقيل بالف مقصورة وكذا أخرجه مسلم فى صحيحه (عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك) وهى غزوة معروفة كانت سنة تسع الهجرة (وانهم وردوا العين) أى التى كانت فيها (وهى تبض) بكسر الموحدة وتشديد المهملة أى تلمع وتلمع أو المعجمة أى تقطر وتسيل واختاره النووى (بشئ) أى قليل (من ماء) أى مما يسمى ماء (مثل الشراك) بالجر على انه نعت لشئ أو ماء وفى نسخة بالرفع على تقديره هو وفى أخرى بالنصب على انه حال من شئ أى مماثلا للشراك فى طوله وعرضه وهو سير رقيق يجعل فى النعل والمقصود المبالغة فى حد القلة (فغرفوا) أى اغترف القوم (من العين بايديهم حتى اجتمع) أى الماء كما فى نسخة

(فى شئ) أى من الاناء فيه الديهم (ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده) أى الماء المغسول به (فيها) أى فى العين التى بها ماء يسير (فجرت) الفاء عاطفة أى فسالت (بماء كثير فاستقى الناس) أى فشربوا منه وأسقوا دوابهم (قال) أى معاذ (فى حديث ابن اسحق) أى فيما يرويه امام أهل المغازى عنه (فانخرق) بالنون والخاء المعجمة والراء أى انفجر وجرى (من الماء ماله حس) بكسر الحاء المهملة وتشديد السين أى حركة وصوت لجريه (كحس الصواعق) جمع صاعقة وهو صوت شديد وربما كان معه نار الطيفة حديدة لا تمر بشئ الا أتت عليه وأهلكته لكنها مع حدتها سريعة الخمود (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوشك) أى يسرع ويدنو ويقرب (يامعاذان طالت بك حياة) أى مدة عمرك (ان ترى ماههنا)

غرفوه (فى شئ) من الاوانى التى كانت معهم وليس فيه قلب وان الاصل غرفوا فى شئ حتى اجتمع ماء كثير كما توهم (ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه) ضمير فيه للشئ بمعنى الاناء أو للماء وكان الظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله (واعاده فيها) أى فى العين التى غرفوا منها وضمير اعاده للماء لا للوجه كما توهم (فجرت بماء كثير) أى جرى من تلك العين ماء كثير (فاستقى الناس) أى شربوا وسقوا دوابهم (قال) معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه (فى حديث ابن اسحق) صاحب السير فيما رواه عن معاذ فى سيرته (فانخرق) بنون وخاء معجمة وراء مهملة وقاف أى انفجر انفجارا بشدة (من الماء ماله حس كحس الصواعق) الحس بحاء وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع وهو مجاز مشهور ويقال لمشيه حس أى يسمع حركته والصواعق يكون معها أصوات شديدة من الصعقة وهى الصيحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان فى رجعته صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك كما قال ابن اسحق ثم انصرف قافلا من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ماروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة (ثم قال) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد جرى الاستقاء (يوشك) بضم الياء المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسورة وكاف مضارع أوشك وفتح شينه لغة رديئة كما فى القاموس وغيره ومعناه يقرب ويسرع من غير بطؤ (يامعاذان طالت بك حياة) أى ان أطال الله عمرك ورأيت هذا المكان (ان ترى) بعينك وهو فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية (ماههنا) ماموصولة أى الذى ههنا وهو اشارة للمكان (فدملئ) بالبناء للمجهول (جنانا) منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهى البستان أى يكثر ماؤه ويخصب أرضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل اقتصر المصنف منه على بعضه المرادمنه اختصارا (وفى حديث البراء) بن عازب بفتح الباء الموحدة كما تقدم (وسلمة بن الاكوع) أفعل من الكوع بفتحتين وهواعوجاج اليد وحديث البراء فى صحيح البخارى وحديث سلمة بفتحتين فى مسلم (وحديثه) أى حديث سلمة الذى رواه مسلم (أتم) من حديث البراء كما سيأتى (فى قصة الحديبية) التى قدمناها وفيها بيعة الرضوان (وهم أربع عشرة مائة) رجل من الصحابة كما تقدم (وبئرها) أى وماء بئرها (لاتروى) بضم المثناة الفوقية (خمسين شاة) الشاة معروفة وروى اشاء بهمزة مكسورة فى أوله ومفتوحة فى آخره وهى النخلة الصغيرة (فنزحناها) أى أخرجنا جميع مافيها من الماء بطينه (فلم نترك فيها قطرة) من مائها (فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والباء الموحدة مقصور وهو فم البئر وماحولها وبالكسر ماجمع فيهما من الماء وروى شفاها بشين معجمة وهما بمعنى هنا (قال البراء وأتى) بالبناء للمفعول (بدلو منها) أى من تلك البئر أى بماء دلو مانزحوه منها

أى الموضع الذى ههنا لاجل كثرة مافيه من الماء (فدملئ) بصيغة المجهول أى امتلاء (جنانا) بكسر الجيم جمع جنة بالفتح وهو البستان الكثير الاشجار وهى مرة من مصدر جنه جنا اذا ستره فكأنها مرة واحدة بشدة ألفافها واظلالها ونصبه على التمييز قال الحلبى هذا ذكره ابن اسحق فى طريق تبوك وقت الرجعة ولفظه ثم انصرف قافلا يعنى من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة والله تعالى أعلم (وفى حديث البراء) أى على مارواه البخارى عنه (وسلمة بن الاكوع) أى كما رواه مسلم عنه (وحديثه) أى حديث سلمة (أتم) أى من حديث البراء (فى قصة الحديبية) وهم أربع عشرة مائة) أى ألف وأربعمائة (وبئرها لاتروى) أى بضم التاء وكسر الواو أى لاتكفى بمائها (خمسين شاة) قال المزى المعروف عند أهل الحديث خمسين اشاء بفتح الهمزة والمد وهى النخلة الصغيرة ذكره الشمنى وقال التلمسانى وهو الصواب (فنزحناها) أى فنزعنا مافيها كله (فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والموحدة المخففة مقصورا ما حولها وبالكسر ماجمع فيها من الماء وليس مراداهنا وروى شفاها بفتح المعجمة والفاء مقصورا أى جانبها وطرفها (قال البراء وأتى) أى جىء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بدلو) أى فيه ماء (منها)

(فبصق)

فبصق) أى بزق فيه (فدعا) أى بالبركة فى مدتها او كما فى الدلو فيها اوه.ذه رواية البراء من غير شك وترددها (وقال سلمة) أى ابن الاكوع (فاما دعا واما بصق فيها) بكسر الهمزة على الشك فيهما ولعله أطلع على أحدهما دون الجمع بينهما بخلاف البراء فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى كل تقدير (فجاشت) بالجيم والشين المعجمة أى فارت البئر وارتفع ماؤها بوصف الكثير (فارووا أنفسهم وركابهم) أى سقوا ذواتهم ودوابهم (وفى غير هذه الروايتين) أى رواية البراء ورواية سلمة وكان الاولى أن يقول وفى غيرها تين الروايتين كما فى نسخة أو فى هذه الرواية عنهما (هذه القصة) أى قصة زيادة ماء البئر وفى نسخة فى هذه القصة (من طريق ابن شهاب) أى الزهرى (فى الحديبية) وقد أبعد الدلجى حيث قال هذه القصة أى قصة الحديبية اسا له الى قصة الحديبية فى الحديبية (فاخرج) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سهما من كنانته) بكسر الكاف أى جعبته وهى كنانته التى فيها سهامه لانها تكنها وتسترها (فوضع) أى سهمه وهو بصيغة الفاعل ويؤيده نسخة وضعه بابراز الضمير وفى نسخة ضبط بصيغة المفعول وهو أتم مبنى وأعم معنى (فى قعر قليب) أى عمق بئر لم تطو يعنى لم تبن وقيل عادية وهو يؤنث ويذكر ولذا قال (ليس فيه ماء فروى الناس) بكسر الواو أى بأنفسهم ودوابهم (حتى ضربوا بعطن) بفتح المهملتين منزل الابل حول الماء للتبرك فيه اذا شربت لتعاد الى الشرب مرة أخرى وهو ضرب مثل للاتساع والاستغناء لاسيما فى باب الاستقاء والمعنى حتى رووا ورويت ابلهم قال التلمسانى والذى نزل بسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو البراء بن عازب وقيل ناجية

(فبصق) أى ألقى ريقه (ودعا) بعد بصاقه أو هو شك من الراوى هل بصق فيها أو دعا الله لتكثير مائها كما أشار اليه بقوله (وقال سلمة) راوى الحديث (اما دعا واما بصق فيها) بكسر همزة اما فيهما بيان للشك فى الرواية وفى نسخة فاما دعا الى آخره وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل (فجاشت) البئر أى فار ماؤها حتى ارتفع لفمها من جاشت القدر اذا غلت (فارووا أنفسهم وركابهم) أى شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الراء المهملة الابل جمع لا واحد له من لفظه وقد علم ان حديث البراء رواه البخارى ولفظه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ فتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا أى عرفتنا ونحن وابلنا رواء ولم يحتج للقيام بها لاجل الماء وان حديث سلمة فى صحيح مسلم وهو انه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباء الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعانا للبيعة فى أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع حتى اذا كان فى وسط النهار قال بايع يا سلمة فقلت قد بايعتك يا رسول الله فى أول الناس قال وأيضا ورآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعزل أى ليس معى سلاح فأعطانى جحفة أو درقة ثم بايع حتى كان فى آخر الناس قال ألا تبايعنى يا سلمة قلت قد بايعتك يا رسول الله أول الناس وأوسط الناس قال وأيضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه تعلم ما قدمه المصنف من ان حديث سلمة أتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقى للشاء حين قدموا ولذكره كيفية المبايعة وما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى غير هذه الروايتين) كذا فى أكثر النسخ بتوحيد هذه وفى بعضها هاتين الروايتين قيل وهو الصواب لتثنية المشار اليه ووجه الاول بانه وحد اسم الاشارة لاتحاد الروايتين معنى لان القصة فيهما واحدة لكنه لا يخلو من التكلف والروايتان رواية البراء ورواية سلمة (فى هذه القصة) أى قصة الحديبية (من طريق ابن شهاب) الزهرى وقد تقدمت ترجمته مرارا (فى الحديبية) تفسير للقصة (فأخرج سهما من كنانته) هى ما يوضع فيه السهام لانها تكنها أى تسترها (فوضع) بالبناء للمجهول وفى بعض النسخ فوضعه أى أمر بوضعه (فى قعر قليب ليس فيها ماء) القليب البئر المحفورة من غير بناء فان بنيت فهى طوى ويذكر ويؤنث وهو مخالف للرواية السابقة انه كان ماء قليل والذى وضع السهم البراء وقيل ناجية على ما يأتى (فروى الناس) بفتح الراء المهملة والمثناة التحتية بينهما واو مكسورة أى شبعوا هم ودوابهم لقوله (حتى ضربوا بعطن) هو بفتح العين والطاء المهملتين ونون محل تبرك فيه الابل عند الماء بعد شربها لتعود لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى أقاموا من ضرب الخيمة اذا نصبها يقال ضربت الابل بعطن اذا بركت يعنى انهم لما رأوا كثرة الماء نزلوا عنده وهذا الحديث رواه البيهقى مسندا لمروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيها الناس انزلوا فقالوا

(وعن أبي قتادة وذكر) على ما رواه البيهقي عنه (ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة) بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الضاد المعجمة والهمزة مقصورا وقد يمد فوزنها مفعلة أو مفعالة من الوضوء بزيادة الميم للآلة أي مطهرة كبيرة يتوضأ منها والمعنى فطلبها (فجعلها في ضبنه) بكسر ضاد معجمة وسكون موحدة فنون فهاء ضمير أي حضنه بين كشحه وابطه (ثم التقم فمها) أي أدخله في فيه تشبيها له باللقمة لانه أدخل فمه فيها كما توهم التلمساني

ما بالوادي ماء ننزل عليه فأخرج سهما من كنانته أعطاه رجلا من أصحابه فقال انزل للقليب واغرزه فيه ففعل فخاش الماء حتى ضرب الناس بعطن وفيه ان الذي نزل في البئر خالد الغفاري دلاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعمامة وقيل هو ناجية السلمي وكان البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه يقول أنا الذي نزلت كذا في دلائل النبوة (وعن أبي قتادة) هو الحارث بن ربعي وقيل النعمان بن ربعي وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقي أيضا فاذا عطفه فقال (وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش في بعض أسفاره) لانه كان يوما شديد الحر (فدعا بالميضأة) بكسر الميم وياء منقلبة عن واو لانها آلة الوضوء وهي مقصورة وزنها مفعلة وقد تمد فوزنها مفعالة ودعاء بمعنى طلب مطهرة ماء لوضوء فأتي بها (فجعلها في ضبنه) بكسر الضاد المعجمة وسكون الباء الموحدة والنون وهو ما تحت الابط قريب من الحضن يقال أضبنته اذا جعلته في ضبنك وبه سمي العيال كما في الغريبين والمراد انه أمسكها وضمها اليه (ثم التقم فمها) أي أدخل فمها في فيه كما تدخل اللقمة (فالله أعلم) أي قال الراوي اني لا أعلم (نفث فيها أم لا) أي أنفث في تلك الميضأة أم لا والنفث بنون وفاء وثاء مثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ وأقل من التفل (فشرب الناس) من تلك الميضأة (حتى رووا) أي حصل لهم الري المزيل للعطش (وملأوا كل اناء معهم) مما فضل عن شربهم (فخيل) بالبناء للمجهول (الى انها كما أخذها مني) أي مثل ما أخذها مني لم تنقص شيأ مما كان فيها حين أخذها مني وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق مقدار ما كان فيها (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري) محمد بن جرير الامام المشهور (حديث أبي قتادة) المذكور (على غير ما ذكره أهل الصحيح) أي فيه مخالفة لما رواه أصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) أي بهؤلاء المذكورين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم (ممدا لاهل موتة) بضم الميم وسكون الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهي أرض من البلقاء وقرية بين تبوك وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا (عندما بلغه قتل الامراء) ما مصدرية والامراء جمع أمير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل حارث بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بموتة عرض له شرحبيل ابن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل رسول له قبله فأمر رسول الله صلى الله تعالى وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وأرسلهم لقتال شرحبيل وقال ان قتل زيد فأميركم جعفر فان قتل جعفر فأميركم عبد الله بن رواحة فان قتل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لواء دفعه لزيد وأوصاهم كما ذكره أهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما أخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفعت الراية لخالد بن الوليد الى آخر الحديث وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم من أخباره بالغيب كما أشار اليه بقوله (وذكر) أي ابن جرير (حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكر وما شاهده من جعفر وطيرانه في الجنة بجناحين وغير ذلك مما فضله الله تعالى به وعظم قدره (وفيه

(والله أعلم) أي وأنا لا أعلم (نفث) أي أنفخ بريق أو بلا ريق (فيها أم لا) أي أم لم ينفث (وشرب الناس حتى رووا) بضم الواو أي بأنفسهم ودوابهم (وملأوا كل اناء معهم فخيل) أي بصيغة المجهول أي تصور في ذهني (انها) الميضأة ملأى (كما أخذها مني) أي على حالها ما نقص شيء منها وقال التلمساني وروي اليه أقول والظاهر انه تصحيف لديه (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله) أي مثل مروي أبي قتادة (عمران بن حصين) بالتصغير (وذكر الطبراني) وهو محمد بن جرير (حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح وان) وفي نسخة صحيحة ان على انه بيان لما ذكره الطبري مخالفا لغيره وهو أن (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) أي بأصحابه (ممدا) أي معينا (لاهل مؤتة) بضم الميم وسكون الهمزة ويبدل قرية بين تبوك وحوران من الشام (عندما بلغه قتل الامراء) أي أمرائه وهم زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن أبي رواحة (وذكر) أي الطبري (حديثا طويلا فيه معجزات) أي باهرة (وآيات) أي علامات وكرامات ظاهرة (للنبي صلى الله عليه وسلم) أي تعظيما لقدره وتفخيما لامره (وفيه

اعلامهم)

اعلامهم) أي اخباره لاصحابه (انهم يفقدون الماء) بكسر القاف أي يعدمونه ولا يجدونه (في غد) فهو من أعلام النبوة لقوله تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا (وذكر) أي الطبرى (حديث الميضأة) أي كما سبق (قال) أي أبو قتادة (والقوم) أي أصحابه (زهاء ثلاثمائة) أي قدرها تخمينا قال المزى لوجه نصب زهاء ولكن أهل الحديث يرفعونه ذكره الشمنى (وفى كتاب مسلم) يعنى صحيحه (انه) أي النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) أي بعد ما قال لهم انهم يفقدون الماء في غد (احفظ على) أي لاجلى وفى نسخة علينا (ميضأتك فانه) أي الشأن (سيكون لها نبأ) أي خبر عظيم قال القاضى فى الاكمال قال الامام للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث معجزتان قولية وهى اخباره بالغيب انها سيكون لها نبأ وفعلية وهى تكثير الماء القليل (وذكر) أي الطبرى (نحوه) أي نحو ما سبق مما ذكره غيره (ومن ذلك) أي ومما يدل على تفجر الماء من بين أصابعه (حديث عمران ابن حصين) أي كما فى الصحيحين عنه انه قال (حين أصاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه عطش) أي شديد (فى بعض أسفارهم) وفى نسخة من أسفارهم (فوجه رجلين) بتشديد الجيم أي فارسلهما وهما على بن أبى طالب وعمران بن حصين (من أصحابه) كما صرح بهما فى بعض طرق هذا الحديث (وأعلمهما انهما يجدان امرأة) لا يعرف اسمها الا انها أسلمت بعد ذلك (بمكان كذا) وفى نسخة بتكرار كذا وبعين الموضع فى حديث صاحبه خاطب ابن أبى بلتعة وهو روضة خاخ (معها بعير عليه مزادتان) تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالراوية أكبر من القربة وميمها زائدة وهى من مادة الزيادة لزيادتها على القربة وميمها زائدة وهى مادة الزيادة لزيادتها على القربة ولا يبعد ان تكون مأخوذة من الزاد والله تعالى أعلم بالمراد ثم قيل هى الراوية مجاز انما الراوية هو البعير الذى يحملها (الحديث) أي بطوله والمعنى فذهبا على أثرها وطلباها (فوجداها وأتيابها النبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) أي النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اناء) أي مما عنده (من مزادتيها) أي بعض مائهما (وقال فيه ماشاء الله) أي من ثناء أو دعاء أو أسماء (ثم أعاد الماء) أي رد الماء المأخوذ (فى المزادتين ثم فتحت) بصيغة المجهول ولا يبعد ان يكون بصيغة الفاعل (عزاليهما) بفتح العين المهملة والزاى تثنية عزلاء وهو فمها الاسفل واللام مفتوحة وقيل هو جمع فاللام مكسورة (وأمر الناس) وفى نسخة ثم أمر الناس

اعلامهم انهم يفقدون الماء فى غد وذكر) ابن جرير (حديث الميضأة) السابق (قال والقوم زهاء ثلاثمائة) أي قريب من ذلك بطريق الحزر والتخمين كما تقدم آنفا (وفى كتاب مسلم انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) وقد رأى معه ميضأته (احفظ على) وفى نسخة علينا (ميضأتك) هذه وأمسكها عندك (فانه) ضمير شأن (سيكون لها نبأ) أي خبر عظيم وقصة عجيبة فى أمر مائها وكفايته القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة (وذكر نحوه) أي مثل ما تقدم (ومن ذلك) أي من قبيل المعجزة السابقة فى تفجير الماء (حديث عمران بن حصين حين أصاب النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش فى بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه) أي أرسلهما الجهة من الجهات (وأعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا) الرجلان عمران بن حصين الراوى وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل انهما على والزبير بن العوام وفى البيهقى ان عليا خرج فى نفر من أصحابه ولم يسم أحد هذه المرأة لانه وقع فى السير انها أسلمت ولم يذكروا اسم المكان لان فى الحديث انه بروضة خاخ ان كانت القصة واحدة (معها بعير) قال أهل اللغة انه يطلق على الذكر والانثى (عليه مزادتان) المزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهو من الزيادة لانه زيد فيه جلد مع جلد لا من الزاد كما توهمه بعضهم فقولوا تثنية المزود (الحديث فوجداها) أي المرأة (وأتيابها الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل فى اناء من مزادتيها) أي جعل ماء من مائها فى اناء عنده أي وضع فيه بعض ماء المزادتين (وقال فيه) أي فى الماء الموضوع فى الاناء (ماشاء الله ان يقول) المراد به الدعاء وذكر اسم الله عليه ونحوه مما لم يسموه ولذا أبهموه (ثم أعاد الماء) الذى أخذه فى انائه من المزادتين فرده بعد دعائه (فى المزادتين) اللتين للمرأة (ثم فتحت عزاليهما) ببناء الفعل للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلاء وهو فم القربة كما تقدم والتأنيث والجمع وليس للقربة الافم واحد قيل لانها كانت تتعدد فى قربهم عزلاء وان من أسفل وعزلاء وان من فوق وما كان من أسفل يخص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد وليس على حد قوله قد صغت قلوبكما الاختصاصه بما اذا كان المضاف مثنى وانما جنى على مائها الانها كانت حربية والضرورة العطش وقد قيل ان هذه المرأة أسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم (وأمر) صلى الله عليه وسلم (الناس)

ان يملؤا منه (فملأوا أسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يوضع فيه الماء (حتى لم يدعوا شيأ) من أوانيهم (الاملؤه) ماء (قال عمران) بن حصين رضي الله عنه (و) أنا (يخيل الي) بالبناء للمجهول (انهما لم يزدادا الا امتلاء) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ أي حال كوني وقع في مخيلتي ان المزادتين بعد أخذ الناس منهما الماء انهما لم ينقصا بل زادا عما كان عليه (ثم أمر) صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوها من زادهم شيأ بدلا عما أخذ من مائها تفضلا منه فان ماءها لم ينقص (فجمع) بالبناء للمفعول أي جمع الناس (للمرأة من الازواد حتى ملأوا ثوبها) وحملوه على بعيرها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم للمرأة (اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيأ ولكن الله سقانا) من فضله واختلفت الروايات هنا ففي بعضها ما ذكره المصنف فقط وفي بعضها انهم ملئوا أسقيتهم وسقوا ابلهم وانه أمرهم بذلك واستعماله صلى الله عليه وسلم من ماء القربة التي للكافرة لا ينافي النهي منه عن استعمال أوانيهم وانهم نجس وأمره بغسلها اذا اضطروا لاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم وأوانيهم التي يضعون فيها الخمر والخنزير وقرب الماء لا يتوهم فيها ذلك (الحديث بطوله) أي اقرأ الحديث بطوله وتمامه ان أردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى أنه حديث طويل مروي في كتب الحديث كالبخاري وغيره لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها وتعجبها مما رأته من المعجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكن المصنف اقتصر على محل الشاهد منه (وعن سلمة بن الاكوع) رضي الله تعالى عنه تقدم بيانه انه (قال قال نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم) في يوم من الايام (هل من وضوء) بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذي يتوضؤ به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة في المبتدأ المقدر خبره أي هل معكم وضوء وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة ودال مهملة أي اناء من جلد صغير (فيها نطفة) أي ماء قليل وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته لنكتة وأصل معناها القطرة ومنه نطفة الرجل لمنيه (فافرغها في قدح) أي صبها في اناء (فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لضمير الفاعل (ندغفقه دغفقة) مفعول مطلق وندغفقه بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فاء مكسورة وقاف أي نصبه صبا كثيرا من قولهم عيش دغفق أي واسع (أربع عشر مائة) من الرجال وأربع بالرفع خبر مبتدأ مقدر أي ونحن أربع الى آخره أو بدل من ضمير ندغفقه أو توضأنا لانه بيان لعدد من توضأ وكثرتهم مع قلة الماء وصغر الاناء ونصبه على الحالية عن أحد الضمائر (وفي حديث عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي رواه البيهقي والبزار وابن خزيمة في مسنده بسند صحيح (في جيش العسرة) بضم العين فسكون السين المهملتين وهي غزوة تبوك الواقعة في سنة تسع من الهجرة وسميت بذلك لانها اتفقت في زمان كانت النفقة والزاد في غاية القلة عندهم ولذا لم يور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيها كما كانت عادته في أسفاره ولعثمان بن عفان

(فملأوا أسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يتخذ للماء (حتى لم يدعوا) بفتح الدال أي لم يتركوا (شيا) أي من أوانيهم (الاملأوه وقال عمران) وفي نسخة وعن عمران بن حصين (ويخيل الي) بصيغة المضارع المجهول من التخييل وفي نسخة بصيغة الماضي المعلوم من التخيل أي وتصور عندي وتقرر في ذهني (انهما) أي المزادتين (لم تزدادا) وفي نسخة بصيغة الافراد أي كل واحدة منهما (الا امتلاء) بكسر التاء على المصدرية أي من زيادة البركة في الكمية والكيفية (ثم أمر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ان يزودوها من زادهم زيادة على ما توهمت انهم أخذوا من مزادتيها وفي مرادها (فجمع) بصيغة المفعول (للمرأة) وفي نسخة لها (من الازواد) جمع الزاد أي من جملتها (حتى ملأ) أي ذلك الزاد وفي نسخة ملأوا (ثوبها وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيأ) أي من كميته (ولكن الله سقانا) أي بسبب زيادة كيفيته ببركة أسمائه (وعن سلمة بن الاكوع) وفي نسخة وقال سلمة (قال النبي) وفي نسخة نبي الله (صلى الله تعالى عليه وسلم هل من وضوء) بفتح الواو أي أمعكم أو أعندكم أو أتم ماء وضوء (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة أي اناء صغير من جلد يتخذ للماء (فيها نطفة) أي شئ يسير من الماء (فافرغها) أي صبها (في قدح فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لنا (فدغفقه دغفقة) بدال مهملة وغين معجمة ففاء فقاف أي فصبه صبا كثيرا (أربع عشرة مائة) بيان لقوله كلنا أي ألف وأربعمائة (وفي حديث عمر) كما رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والبزار عنه (في جيش العسرة) أي الضيق والشدة وهي غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وكانت في نهار حر ووقت الثمار وكثرة ظلال الاشجار

رضى الله تعالى عنه فيها اليد البيضاء لما جهزهم عماله كما بين فى السير وتسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها والعسرة هى الشدة والضيق (وذكر) عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (ما أصابهم) أى جيش العسرة (من العطش) لقلة الماء (حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه) هو ما فى كرشه (فيشربه) أى يشرب ما عصره منه مع تغيره وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك فى ضرورتهم (فرغب أبو بكر) رضى الله تعالى عنه (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والرغبة طلب ما يحبه ويتعدى للمطلوب بفى فيقال رغب فى كذا ولضده بعن فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالى لمن طلب منه أى تضرع وتذلل (فى الدعاء) أى فى دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من البأس الذى علمه منهم (فرفع يديه) نحو السماء التى جعلها الله تعالى قبلة للدعاء ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر أى ودعا ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه أى يدعوه ويناشده فى سرعة اجابته (فلم يرجعهما) بفتح الياء أى لم يرد يديه من دعائه ويرجع متعد كما فى قوله تعالى فان رجعك الله ويكون لازما أيضا (حتى قالت السماء) أى غيمت وظهر فيها سحاب من قولهم قال كذا اذا تهيأ له واستعد كما فى القاموس وفى بعض الحواشى يقال قالت السماء اذا أرعدت وغيمت وتفسيرها بامطرت لا يناسب قوله (فانسكبت) أى انسكب ماؤها فالاسناد مجازى وكون السماء بمعنى المطر بعيد هنا وكذا كونه استخداما كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

(فملؤا ما معهم من آنية) جمع اناء كاوان وبعضهم ظنه مفردا وهو وهم كما برو الاناء معروف (ولم يجاوز العسكر) فى يجاوز ضمير مستتر راجع للسماء بمعنى السحاب أو المطر المعلوم من السياق وهذه معجزة أخرى (وعن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى الصحابى المشهور وفى الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو يروى عن أبيه وغيره وأخرج له أربعة من أصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيها وتوفى سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطائف (ان أبا طالب قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) أى راكب خلفه وضميرهو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير رديفه لابى طالب (بذى المجاز) بفتح الميم والجيم والف ثم زاى معجمة وذى بمعنى صاحب أى محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه فى الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث رواه ابن سعد عن اسحق بن الازرق عن عبد الله بن عون عن عمرو (عطشت وليس عندى ماء فنزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) عن الدابة التى أردف عليها (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لابى

(وذكر) أى عمر رضى الله تعالى عنه (ما أصابهم) أى المسلمين (من العطش) أى الشديد (حتى ان الرجل) بكسر الهمزة وتفتح (لينحر بعيره) بفتح اللام المؤكدة (فيعصر فرثه) أى ما فى كرشه (فيشربه فرغب أبو بكر) أى مال وتوجه (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدعاء) أى أمره أو فى حمله على الدعاء (فرفع يديه) أى ويدعو ربه ويتضرع لديه ويثنى عليه ويلتجئ اليه (فلم يرجعهما) من رجع المتعدى لم يرديديه بعد رفعهما اليه وفى نسخة فلم ترجعا من رجع اللازم أى لم يتغير اليدان عن حالهما (حتى قالت السماء) أى أمطرت فان القول يستعمل فى جملة من الفعل وقيل مالت وروى قامت بالميم أى اعتدلت بالسحاب أو قامت توجهها بالخيرات (فانسكبت) أى فانصب ماؤها بكثرة (فملؤا ما معهم من آنية) أى جميع أوانيهم (ولم تجاوز) أى السماء المراد بها السحاب وفى نسخة بالتذكير أى ولم يتعد المطر (العسكر) أى ما انتهى عنهم بل كان السحاب كالظلة عليهم وفيه ايماء الى انه ما كان من القضايا الاتفاقية بل كان معجزة وكرامة خاصة لديهم (وعن عمرو بن شعيب) أى ابن محمد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرج له الائمة الاربعة (ان أبا طالب قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) جملة حالية تحتمل احتمالين خلافا للتلمسانى حيث جزم بان ضميرهو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمضاف لابى طالب والرديف الراكب من خلف (بذى المجاز) بفتح الميم والجيم وزاى فى آخره سوق عند عرفة من أسواق أهل الجاهلية (عطشت) بكسر الطاء قال الحلبى وهذا الحديث الذى ذكره القاضى هنا معضل لا أعلمه فى الكتب الستة والرواية عن أبى طالب معلوم ما فيها انتهى وذكر الدلجى عن ابن سعد انا اسحق بن يوسف الازرق ثنا عبد الله بن عوف عن عمرو هو ابن دينار ان أبا طالب قال كنت بذى المجاز ومعى ابن أخى يعنى نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له عطشت (وليس عندى ماء) وروى عنده وروى معى وعند مثلث العين ذكره التلمسانى (فنزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى عن البعير (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال

اشرب) قال الدلجى الظاهر ان هذا كان قبل البعثة يعنى فيكون من الارهاصات ولا يبعد أن يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ولعل فيه ايماء الى انه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات فى أواخر الزمان قريب الالف من السنوات عين فى عرفات تصل الى مكة وحواليها من آثار تلك البركات هذا أبو طالب لم يصح اسلامه واما قول التلمسانى روى اسلام أمه باسناد صحيح وروى اسلام أبويه فمردود عليه كما بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة ردا على السيوطى فى رسائله الثلاث (والحديث) اللام للجنس أى والاحاديث (فى هذا الباب كثيرة) أى غير ماذكر فى هذا الكتاب (ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وماجانسه) أى من أنواع استجابة الدعاء

(فصل)

(ومن معجزاته تكثير الطعام) أى كمية أو كيفية (ببركته) أى بركة حصول وجوده أو وصول يده (ودعائه) أى لربه مقرونا بثنائه (قال) أى المصنف (حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله تعالى) هو الحافظ ابن سكرة (حدثنا العذرى) بضم مهملة فسكون معجمة (ثنا الرازى ثنا الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) يعنى صاحب الصحيح (ثنا سلمة بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة وهو أبو عبد الرحمن النيسابورى حجة أخرج له مسلم والاربعة مات سنة ست وأربعين ومائتين بمكة (ثنا الحسن بن أعين) بفتح فسكون ففتحتين ثقة أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائى (ثنا معقل) بفتح الميم وكسر القاف صدوق تردد فيه ابن معين أخرج له مسلم وأبو داود والنسائى (عن أبى الزبير) بالتصغير حافظ ثقة روى عنه مالك والسفيانان وأخرج له مسلم والاربعة وأخرج له البخارى مقرونا بقوله كان مدلسا واسع العلم (عن جابر ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) أى يطلب طعاما منه لاهله (فاطعمه شطر وسق شعير) الوسق بفتح الواو وتكسر ستون صاعا وشطر الشئ نصفه وهو بفتح أوله ولا يصح كسره قال النووى والشطر هنا معناه شئ كذا فسره الترمذى (فمازال) أى ذلك الرجل السائل المستطعم منه عليه الصلاة والسلام (يأكل منه) أى من ذلك الطعام (وامرأته

طالب (اشرب) قيل هذا كان قبل البعثة قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان أبا طالب كافر لا يستدل بقوله (والحديث فى هذا الباب) أى باب نبع الماء وخروجه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء) أى دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب السقيا وايجاد الماء عند الحاجة له (وماجانسه) أى شابه الاستسقاء من السماء كما ذكرهنا وهو مأخوذ من الجنس وهو معروف

(فصل) مناسب لما قبله لان الاكل والشرب توأمان (ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه) النافعين عند الحاجة وبدأه بحديث رواه مسلم فى صحيحه بسند صحيح وهو (حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله) هو الحافظ ابن سكرة وتقدمت ترجمته قال (حدثنا العذرى) قال (حدثنا الرازى) تقدمت ترجمتهما وبيان نسبتهما قال (حدثنا الجلودى) تقدمت ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح المشهور كما تقدم قال (حدثنا سلمة بن شبيب) أبو عبد الرحمن النيسابورى الحافظ الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفى سنة سبع وأربعين ومائتين قال (حدثنا الحسن بن أعين) أفعل تفضيل من العين وهو الحسن بن أعين بن محمد الحرانى الثقة قال (حدثنا معقل) بفتح الميم وسكون المهملة والقاف المكسورة (عن أبى زبير) محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة (عن جابر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) أى يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا اسمه لانه من أهل البادية والطعام مايؤكل وبه قوام البدن ويطلق على غيره مجازا (فاطعمه) أى أعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطاء كثيرا حتى انه لكثرته يستعمل فيما لم يكن مأكولا فيقال أطعمه السلطان بلدة وهو مجاز مرسل أو استعارة (شطر وسق شعير) الشطر هنا بمعنى النصف وهو أصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة كقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والمراد جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق بعير أى حمله ثم خص وصار حقيقة عرفية فى ستين صاعا بصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ثلاث مائة وعشرون رطلا حجازية وأربع مائة وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف فى قدر الصاع والمدفشطره ثلاثون صاعا وعلى الاول مائة وستون رطلا وعلى الثانى مائتان وأربعون رطلا والكلام فى المقادير الشرعية مفصل فى كتب الفروع (فمازال يأكل منه وامرأته) بالرفع معطوف على الضمير المستتر فى يأكل من غير

وضيفه) أى كذلك فهما مرفوعان أو معهما فهما منصوبان ويروى وضيفه بواو فهي حالية (حتى كاله) أى ليعرف نقصانه وكماله ويوجب
اكتياله ما بين حاله وما آل له فغني بهذه الحركة وزالت عنه البركة (فأتى) أى الرجل (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) أى بانه
كاله وجرب حاله (فقال لو لم تكله) أى ولم تجربه (لاكلتم منه) أى كلكم طول عمركم (ولقام بكم) أى بأودكم مدة بقائكم وفي هذا الحديث
ان البركة أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات وكان الصوفية من هنا قالوا المعلوم شوم * قيل والحكمة في ذلك ان الكائل
يكون متكلا على مقداره لضعف قلبه وفي تركه يكون متكلا على ربه والاتكال عليه سبحانه وتعالى مجلبة للبركة واما الحديث
الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد ان يكيله عند اخراج النفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل
بشرط ان يبقى الباقى مجهولا ثم هذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وذلك انه استعان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحه امرأة فالتمس النبي عليه الصلاة والسلام ما سأله فلم يجده فبعث أبا رافع الانصارى وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند يهودى في شطر وسق من شعير فدفعه عليه الصلاة والسلام اليه قال فاطعمنا منه ثم أكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه كذا ذكره التلمساني وهو خلاف ظاهر ما حرره القاضي ويمكن الجمع بينهما (ومن ذلك) أى مما يدل على ما هنالك من تكثير الطعام ببركته ودعائه عليه الصلاة والسلام (حديث أبى طلحة المشهور) بالرفع صفة لحديث وهو
المروى في الصحيحين عن أنس في قصته وأبو طلحة هذا هو عم أنس بن مالك زوج أم سليم انصارى نجارى خزرجى بدرى أحد
الفقهاء قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم صوت أبى طلحة في الجيش خير من فئة ذكر انه قتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ سلبهم روى
عنه ابنه عبد الله وابن زوجته أنس بن مالك (واطعامه) بالرفع (صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا) وجزم مسلم في روايته
بثمانين رجلا (من أقراص) أى قليلة (من شعير جاء) وفي نسخة أتى (بها) أى بتلك الاقراص وفي نسخة به أى بما ذكر (أنس
تحت يده أى ابطه) يعنى حال كون انس واضعها تحت ابطه من كمال قلتها (فأمر بها) أى بالاقراص أو بفتها (ففتت) بضم الفاء
وتشديد الفوقية الاولى مفتوحة أى فجعلت فتاتا والمعنى كسرها بأصابعه وثردها وفي حديث اذا قل طعامكم فاثردوه

فصل منفرد كما في كن أنت وزوجك الجنة وهو الافصح وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هنا فانه
فصله بقوله منه وهو فصيح أيضا وقد يعطف من غير فاصل أصلا كما في قول على كرم الله وجهه كنت
وأبو بكر وعمر لكنه قليل (وضيفه) أى من ينزل عليهم من غير أهله وهو يطلق على الواحد وغيره وقد
يختص بالمفرد فيقال ضيف وضيفان وضيوف أى لم يزالوا يأكلون منه وهو باق بحاله من غير نقص
لانه لا يزال يكثر ببركة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محل استشهاد المصنف وفي نسخة وضيف
(حتى كاله) غاية لا كله أى استمر أكلهم منه من غير نقص شئ منه الى ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل
عما يأخذ منه فكانت البركة في ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه
من الاتكال على الله وهو أكثر بركة وهكذا جرت عادة الله واما ما ورد في الحديث من قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه وقيل المراد
كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا تخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط ان يبقى الباقى مجهولا غير مكيل
وقيل انه انما كان كذلك لافشائه سرا من أسرار الله تعالى ينبغى كتمه (فأتى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فاخبره) بتكثير ما عطاه له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته (فقال لو لم تكله لاكلتم منه) أى
لاستمر أكلكم منه الى غير النهاية (ولقام بكم) أى لكفاكم مدة حياتكم وكان فيه قوام لكم من غير
نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان استعان به صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحه
فانكحه امرأة فطلب منه طعاما يقوم به وبزوجته ولم يكن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شئ
فبعث أبا رافع وأبا أيوب الانصارى بدرعه فرهناه عند يهودى في شطر وسق من شعير ودفعه اليه قال
فأكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه (ومن ذلك) أى تكثير الطعام ببركته صلى
الله تعالى عليه وسلم (حديث أبى طلحة المشهور) في قصته التى رواها الشيخان عن أنس رضى الله
تعالى عنه وهو زيد بن سهل بن الاسود الانصارى الصحابى رضى الله تعالى عنه توفى سنة احدى وثلاثين
وقيل غير ذلك والمشهور بمعنى انه كثرت روايته في كتب الحديث وتعددت طرقه ويحتمل ان يريد
بالمشهور معناه المعروف في مصطلح الحديث (واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع عطف على
حديث (ثمانين أو سبعين رجلا) وجزم مسلم بالثمانين (من أقراص من شعير) جمع قرص وهو
رغيف صغير (أتى بها أنس) بن مالك وفي نسخة جاء وهو عم أبى طلحة (تحت يده أى ابطه) بكسر
الهمزة والباء وتسكينها والابط ما تحت المنكب وفسره به لان اليد تشمله وغيره والابط يذكر ويؤنث
(فأمر بها) أى بالاقراص (ففتت) يقال فته اذا قطعه باصابعه قطعا صغيرة بقدار اللقمة وقد يطلق

(وقال فيها) أي في حق الاقراص (ماشاء الله ان يقول) أي من ثناء ودعاء واسماء وأمر بمجيء عشرة عشرة حتى أكل القوم كلهم الحديث بطوله قال النووي وانما أذن صلى الله تعالى عليه وسلم لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم فان القصعة التي فت فيها تلك الاقراص لا يتحلق عليها أكثر من عشرة الا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم وقيل لئلا يقع نظر الكثير على الطعام اليسير فيزداد حرصهم ويظنون انه لا يكفيهم فتذهب بركته ويحتمل ان يكون لضيق المنزل وهو أقرب (وحديث جابر) أي ومن ذلك حديث جابر كما رواه البخاري عنه (في اطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق) أي زمن حفره وهو يوم الاحزاب (ألف رجل

من صاع شعير وعناق) بفتح أوله وهي الانثى من أولاد المعز مالم يتم لها سنة (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) أي منه (حتى تركوه) أي على حاله وفي أصل الدلجي لاكلوا حتى شبعوا غايته للاكل حتى تركوه غاية للشبع (وانحرفوا) أي مالوا الى حرف أي جانب وطرف والمعنى وانصرفوا (وان برمتنا) بكسر الهمزة حالية والبرمة بضم الموحدة هي القدر من حجر أومدر (لتغط) بفتح التاء وكسر الغين المعجمة وتشديد المهملة أي تغلي من حرارة النار تحتها حتى يسمع غطيطها وهو صوت غليانها (كما هي) أي على هيئتها الاولى وماهيتها بكمالها كأنه لم يؤخذ منها شيء وما كافة مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدأ والخبر محذوف أي مثل ماهي قبل ذلك (وان عجيننا ليخبز) أي كما هو وكل ذلك بعد ان شبعوا وتركوا وانصرفوا (وكان) أي وقد كان (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق) أي بزق (في العجين والبرمة وبارك) أي ودعا لهما بالبركة (رواه عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم ممدود او يقصر ويجر ولا يجر بناء على انه مفعال أو فعلاء وحديث سعيد هذا عن جابر في الصحيحين (وأيمن) بفتح الميم عطف على سعيد وهو أيمن الحبشي المكي وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته أخو اسامة بن زيد لامه استشهد يوم حنين وحديثه عن جابر في الخندق أخرجه البخاري في المغازي وزيد في بعض النسخ الصحيحة ههنا بعد قوله أيمن

بزنة

بمعنى التكسير مطلقا (وقال فيها) أي في شأنها بان دعا ببركتها وذكر أسماء الله عليها وقيل في بمعنى على كقوله تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل (ماشاء الله ان يقول) أي ماقدره وعلمه من الذكر الذي لم يطلع عليه وهو حديث طويل في الصحيحين اقتصر المصنف على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان أبا طلحة رضي الله تعالى عنه قال لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك شيء فقالت نعم فاخرجت أقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلاني وقد علمت ان الحديث طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعدما أكلوا دفعه لاهل المنزل فأكلوا وأطعموا جيرانهم (وحديث جابر) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البخاري (في اطعامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم الخندق) أي قصة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو معرب كنده بمعنى الحفر (ألف رجل) بالنصب مفعول اطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفية وحديث مبتدأ خبره مقدر أي من ذلك وقوله (من صاع شعير) بالاضافة وفي نسخة من صاع من شعير وتقدم معنى الصاع (وعناق) بفتح العين وهي الانثى من أولاد المعز لم يتم لها سنة وقيل هي التي قاربت الحمل ولم تحمل (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) وفي نسخة لقد أكلوا ولما كان هذا أمرا غريبا خارقا للعادة أكده بالقسم لانه مظنة الانكار (حتى تركوه وانحرفوا) أي أكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل الى جهة أخرى غير التي كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على طرف غير متمكن (وان برمتنا لتغط) البرمة بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ثم ميم وهاء القدر مطلقا أو من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بفتح المثناة وفتح أو كسر الغين المعجمة وبعدها طاء مهملة مشددة أي تغلي غليانا شديدا يسمع لها صوت كهدير النائم والمخنوق (كما هي) أي على حالها الاول لم ينقص منها شيء مع كثرة من أكل منها وهذا محل الشاهد (وان عجيننا ليخبز) أي انهم استمروا على خبز العجين وايصاله شيأ فشيأ لمن يأكل منه ولم ينقص ببركة النبي صلى الله عليه وسلم لانه بصق في البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف بقوله (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك) فيهما ومعنى بارك دعا فيهما بالبركة كما أي الزيادة والنمو (رواه) أي روى هذا الحديث (عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد والقصر والصرف وعدمه على ان وزنه فعلاء أو مفعال وسعيد هذا أخرج له البخاري ومسلم وميناء علم منقول من الميناء وهي مرسى السفن وجوهر الزجاج (وأيمن)

(وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما) أى الراوى عنهما لكن جهالتهما لا تضر لكونهما صحابيين (قال) أى ثابت أو كل من الرجل والمرأة (وجيء بمثل الكف) أى من العجينة (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها) أى يدلكها ويوسعها (فى الاناء ويقول ماشاء الله) أى من الدعاء والثناء (فأكل منه من فى البيت والحجرة) بضم الحاء وتفتح ناحية قريبة من الدار (والدار) أى وما حولها من الفناء (وكان ذلك) أى المقام (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك) أى المرام (وبقى) أى ذلك الطعام (بعدما شبعوا مثل ما كان فى الاناء) أى سابقا ببركته عليه الصلاة والسلام (وحديث أبى أيوب) أى ومن ذلك حديث أبى أيوب بدرى مشهور وهو خالد بن زيد انصارى نجارى عقبى بدرى نزل عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خروجه من بنى عمرو بن عوف حين قدم المدينة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفد على ابن عباس البصرة فقال انى أخرج لك عن مسكنى كما خرجت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مسكنك وأعطاه ما أغلق عليه ولما قفل أعطاه عشرين ألفا وأربعين عبدا مرض فى غزوة القسطنطينية فقال اذا مت فاحملونى فاذا صففتم العدو فادفنونى تحت أرجلكم فدفن عند باب القسطنطينية فقبره مع سورها فقال مجاهد فكانوا اذا محلوا كشفوا عن قبره فيمطرون وحديثه هذا رواه الطبرانى والبيهقى عنه (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما) بضم الزاى أى مقدار ما يشبعهما وفيه اشعار بكمال اختصاصهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار) خصهم بالدعوة كى يسلموا بالالفة ومشاهدة المعجزة اذ كان ذلك أول الهجرة وسماهم أنصارا لعلمه بانهم يسلمون على يديه وينصرون دينه (فدعاهم فأكلوا حتى تركوا) وفى نسخة تركوه أى الاكل أو الطعام والثانى أظهر فى المرام لقرينة المقام ولقوله (ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك) أى فدعاهم فأكلوا حتى تركوه (ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج منهم أحد حتى أسلم) أى أظهر الاسلام أو ثبت على ذلك المرام قال التلمسانى فى الاصل هكذا الا حتى أسلم وصوابه حتى أسلم (وبايع) أى على الجهاد ونصرته عليه الصلاة والسلام لما شاهد المعجزة فى بركة ذلك الطعام (قال أبو أيوب فأكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) وكان عشرين أكلوا بعد المائة والستين (وعن سمرة بن جندب) بضم الجيم والدال وتفتح وحكى بكسرهما وكان الاظهر أن يقول وحديث سمرة بن جندب وهو ما رواه الترمذى والبيهقى وصححاه والنسائى عنه ولفظه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جىء

بزنة أفعل من اليمن وهو أيمن الحبشى المكى والد عبد الواحد بن أيمن مولى عمرة المخزومى الثقة وقال ابن حبان انه أيمن بن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخو أسامة لامه قال البرهان وفيه نظر لان ابن أم أيمن هذا قتل بحنين فقد خلط ترجمة بترجمة وتبعه التلمسانى (وعن ثابت مثله) أى مثل حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمها قال وجيء بمثل الكف) وفى نسخة بملء الكف (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها فى الاناء ويقول ماشاء الله) ان يقول (فأكل منه من فى البيت والحجرة والدار وكان ذلك) أى ما ذكر من الثلاثة (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك وبقى بعدما شبعوا مثل ما كان فى الاناء) وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وحديث أبى أيوب) أى ومن ذلك حديث أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه الذى رواه عنه الطبرانى والبيهقى وهو (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر) حين قدما المدينة فى الهجرة (من الطعام زهاء) أى مقدار (ما يكفيهما) أى طعاما يكفى رجلين فقط وهو بيان لقلته (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم) لما أخبره بذلك ودعاه له (ادع ثلاثين من أشراف الانصار) انما خصهم قيل ليتألفهم كى يسلموا فان ذلك كان فى أول الهجرة وسماهم أنصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفاؤلا بذلك (فدعاهم فأكلوا حتى تركوه) أى شبعوا وتركوا الطعام أو الاكل منه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ادع ستين) أى من أشراف الانصار (فكان مثل ذلك) أى أكلوا حتى تركوه (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم له (ادع سبعين) فدعاهم (فأكلوا حتى تركوا) الطعام والاكل كما مر (وما خرج أحد منهم) أى ممن دعاه وأكل حتى شبعوا (حتى أسلم وبايع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم وفى نسخة الا حتى أسلم قيل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له (قال أبو أيوب) رضى الله تعالى عنه (فأكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) ذكر بعضا منهم وترك الباقى كأنه لكونهم لم يدعهم بأمره والمذكورون مائة وستون غير أبى بكر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن سمرة بن جندب) تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اذ لا يتعلق غرض

(بقصعة) بفتح القاف لا بكسر (فيها لحم فتعاقبوها) أي تناوبها في تناولها الصحابة جماعة بعد جماعة (من غدوة) بضم فسكون ففتحتين لانها معرفة (حتى الليل) أي الى آخر نهار تلك الغدوة مع أخذ بعض الوقف من العشية (يقوم قوم ويقعد آخرون) جملة مستأنفة مبينة للتعاقب والمناوبة فلا ينافي ماقال التلمساني هكذا في الاصل والمعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر وقال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن أي شئ تعجب ما كان يمد الا من ههنا وأشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر) على ما في الصحيحين عنه (كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين) أي رجلا (ومائة) أي رجلا وهو لغة في مائة وثلاثين (وذكر) أي عبد الرحمن (في الحديث) أي في حديثه هذا (انه عجن صاع) من طعام بصيغة المفعول وفي نسخة عجن صاعا (من طعام وصنعت شاة) بصيغة التأنيث للمجهول ويحتمل المتكلم على بناء الفاعل وفي أصل الدلجي وصنع شاة أي فرغ من شأنها وهذا ايجاز بليغ اذ بسطه أن يقول وذبحت وسلخت وقطعت وهذا من كمال صانعه العادة ان يعجز واحد عن القيام بأمورها كلها فقد روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان في بعض أسفاره يأمر باصلاح شاة فقال رجل يارسول الله علي ذبحها وقام

آخر علي سلخها وقال آخر علي طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلي جمع الحطب فقالوا انا نكفيك فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عنكم لان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين أصحابه وقام عليه الصلاة والسلام وجمع الحطب في ذلك المقام (فشوى سواد بطنها) على بناء المفعول ويحتمل الفاعل والمراد بسواد بطنها كبدها خاصة أو مع اليقها عما في جوفها واختاره الهروي والنووي الاول وخص الكبد لانه أصل الحياة وقيل القلب (قال) وفي نسخة ثم قال أي عبد الرحمن (وأيم الله) بهمزة وصل أو قطع وضم الميم ويكسر وهو ألفاظ من ألفاظ القسم كعمر الله وعهد الله وأصله وأيمن الله كما في نسخة وهو جمع يمين والمعنى أقسم ببركة الله وقدرته وقوته (ما من الثلاثين ومائتين) أي أحد (الا وقد حزله) بفتح الحاء وتشديد الزاي (حزة) بفتح الحاء وتضم أي قطع له قطعة من سواد بطنها قال الحلبي قوله حزة بفتح الحاء في النسخة التي وقفت عليها ولا أعرفها ولا أحفظها الا بالضم وهي القطعة المحزوزة وأما بالفتح فالمرة من الحز وليست المراد هنا انما المراد القطعة انتهى ولا يخفى ان الظاهر ان المرة من الحز هو المراد في هذا المقام والله تعالى أعلم بالمرام ثم رأيت الشمني جوز الوجهين فتم النظام (ثم جعل) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) أي من لحم الشاة وما معه من الطعام (قصعتين) أي جفنتين كبيرتين (فاكلنا أجمعون وفضل) بفتح الضاد في الماضي وضمها في المستقبل وبكسرها في الماضي وفتحها في المضارع أي وزاد (في القصعتين) وقيل الاول من الفضل في السودد والثاني من الفضلة وهي بقية الشئ وقد سوى بينهما الجوهري حيث قال فضل منه شئ مثل دخل يدخل وفيه لغة أخرى مثل حذر يحذر

بيان الآتي هنا (بقصعة) بفتح القاف ولا تكسر القصعة (فيها لحم) مطبوخ (فتعاقبوها) أي دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة لان كلا منهم أتى على عقب بعض أي من غير فاصل بينهم لانه محل الاعجاز (من غدوة حتى الليل) بالجر ويجوز رفعه ونصبه (يقوم قوم ويقعد آخرون) تفسير لما قبله من تعاقب القوم وقيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر فيقوم قوم ويقعد قوم آخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن أي شئ تعجب ما كان الا من هنا وأشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهما أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما (كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ضمير كنا له مع غيره من الصحابة وخبر كان (ثلاثين ومائة) ومع النبي حال من اسم كان أوهما خبران أي خبر بعد خبر (وذكر في الحديث انه عجن صاعا من طعام) روي ببناء عجن للفاعل ونصب صاعا وببنائه للمفعول ورفعه وصنعت بمعنى طبخت في قوله (وصنعت شاة فشوي) ببناء المفعول (سواد بطنها) المراد به الكبد خاصة أو حشوها مطلقا والاول أظهر (قال) أي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما (وأيم الله) قسم كعهد الله وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمي فهو مرفوع وجوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل وهو اسم وقيل حرف وقيل انه في الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل في باب القسم ولا يجر بالاضافة بعده الا لفظ الله وجوز ابن مالك جر غيره (ما من الثلاثين ومائة) احد (الا وقد حز له حزة) بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة المشددة والحز هو القطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم (من سواد بطنها) أي كبدها كما مر والحز بعينه بحسب الظاهر وهو أنسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد لهم في تفريقها عليهم (ثم جعل منها) أي طبخ من الشاة ما جعل ملئ (قصعتين فأكلنا أجمعون) بالرفع تأكيد لاسم كان من غير أن يكون تابعا لكل كقوله لاغوينهم أجمعين (وفضل في القصعتين) أي فضل من لحمها مقدار في

(فخملته) أى ذلك الزائد (على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن أبى عمرة الانصارى عن أبيه) أى أبى عمرة وهو أنصارى بدرى له حديث فى بركة الطعام فى بعض غزواته عليه الصلاة والسلام رواه عنه ابنه عبد الرحمن قال ابن المنذر قتل أبو عمرة مع على رضى الله تعالى عنه بصفين أخرج له النسائى فقط كذا قرره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه ابن سعد والبيهقى عنه انتهى وليس بينهما تناف اذ حصر الاول بالنسبة الى صحاح الستة وهما خارجان عنهم البتة (ومثله) أى مثل مروى عبد الرحمن (عن سلمة بن الاكوع وأبى هريرة) كما رواه البخارى عنهما (وعمر بن الخطاب) كما رواه أبو يعلى بسند جيد عنه (فذكروا) أى هؤلاء الثلاثة (مخمصة) بفتح الميمين أى مجاعة شديدة (أصابت الناس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد) جمع الزاد والباء زائد كما فى نسخة أى فطلبها ليبرك فيها فتكثر كميتها أو كيفيتها (فجاء الرجل بالحثية من الطعام) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة فتحتية أى باليسير منه ويكون قدر الغرفة وفى نسخة بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة فنون فتاء وهى ما يحمل فى الحضن (وفوق ذلك) أى فى الكثرة أو القلة (وأعلاهم) أى فى الزيادة (الذى يأتى بالصاع من التمر فجمع على نطع) بكسر النون وفتحها مع سكون الطاء وبفتحتين وكعنب بساط من الاديم كذا فى القاموس وقال الحلبى تلميذه أفصحهن كسر النون وفتح الطاء انتهى وتبعه الشمنى وهو خلاف ما يتبادر عن عبارة القاموس وكذا هو على خلاف ما هو المشهور على السنة العامة من فتح النون وسكون الطاء مع انه أخف أنواع هذه اللغة هذا وقد وقع فى أصل الدلجى فجعله باللام بدل فجمعه بالميم فاحتاج لقوله أى ما جمع من الازواد والظاهر انه تصحيف والله تعالى أعلم بالمراد (وقال سلمة فحزرته) بفتح الحاء المهملة والزاى فسكون الراء أى خمنته وقدرته (كربضة العنز) بفتح الراء وسكون الموحدة فمعجمة وقيل بكسر الراء وصوب لانه للهيئة والفتح للمرة أى مثل جثتها اذا بركت والعنز هى الانثى من المعز وأشار سلمة بهذا الى قلة التمر

القصعتين بعدما أكلوا حتى شبعوا وقد صرح به فى الصحيحين قيل ولو ذكره المصنف رحمه الله تعالى كان أولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقى فيه ثلاث لغات كدخل يدخل وعلم يعلم وبالكسر فى الماضى وضم عين المضارع وهى شاذة أو من التداخل فان كان من الفضيلة فبالفتح والضم لا غير (فحملته على البعير) فيه اشارة الكثرة ما بقى بعد أكلهم كلهم (ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن سعد والبيهقى وصححاه (حديث عبد الرحمن بن أبى عمرة) بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة (الانصارى عن أبيه) أبى عمرة بشير بن عمرو بن محصن الانصارى البخارى الصحابى البدرى قتل مع على كرم الله وجهه بصفين وفى اسم أبى عمرة اختلاف وابنه عبد الرحمن أخرج له أصحاب الكتب الستة لا الدارقطنى فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروى فى بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومثله) أى مثل حديث عبد الرحمن (لسلمة بن الاكوع وأبى هريرة) فى مسلم (وعمر بن الخطاب) ورواه أبو يعلى بسند جيد (فذكروا) أى هؤلاء (مخمصة) بفتح الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهى الجوع من الخمص وهو خلو البطن من الطعام أى مجاعة (أصابت الناس مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى موضع الغزو أو هو بمعنى الغزو نفسه واختلف فى هذه الغزوة والذى فى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة وفى دلائل النبوة انه فى غزوة غطفان وفى غيره عن ابن عباس انه فى مرجعهم من الحديبية كلمه بعض أصحابه وقالوا جهدنا وفى الناس ظهر فانحره لنا الحديث فالقصة وقعت مرتين (فدعا ببقية الازواد) أى طلب من كل رجل منهم ان يأتى بما بقى عنده من زاده (فجاء الرجل بالحثية) بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء المثلثة والمثناة التحتية ويقال حثوة بالواو لانه يقال حثى يحثى وحثا يحثو وهى والحفنة بالفاء والنون بمعنى وهو ماء او اليدين معا وقيل بالفاء فى اليدين وبالثانى أحدهما وروى بالخبنة بخاء معجمة مضمومة وبعدها موحدة تحتية ساكنة ونون وهى ما يحمل فى الحضن تحت الكشح والاول أشهر وأظهر وتعريف الرجل هنا للعهد الذهنى كادخل السوق وليس المراد به رجل معين (من الطعام) اليسير الذى بقى عنده (وفوق ذلك) أى أزيد منه بيسير (وأعلاهم) أى أكثرهم زادا وبقية (الذى يأتى بالصاع من التمر فجعله) أى وضع ما اجتمع من الازواد (على نطع) بكسر النون وفتح الطاء المهملة بزنة عنب بساط من أدم وفيه لغات أربع هذه أفصحها وبفتح نونه مع فتح الطاء وسكونها وبكسر نونه مع سكون الطاء (قال سلمة فحزرته) بحاء مهملة وزاى معجمة وراء مهملة أى قدرته بطريق الحدس والتخمين (كربضة العنز) براء مهملة مفتوحة وقيل انها مكسورة لا غير لان المراد بيان الهيئة وموحدة وضاد معجمة

(ثم دعا الناس) أى طلب النبى صلى الله عليه وسلم (باوعيتهم) الاوعية والازود واحد وقوله فى نص الحديث حتى ملأ القوم أزودتهم قال القاضى فى الاكمال كذا الرواية فيه فى جميع أصول شيوخنا والازودة هى الاوعية كما قال فى الحديث الآخر أوعيتهم (فما بقى فى الجيش وعاء) بكسر الواو أى ظرف واناء (الاملأوه وبقى منه) أى قدر ما جعل كما فى نسخة أى جمع أولا (وأكثر) أى وقد يقال أكثر (ولو ورده أهل الارض لكفاهم) أى لما فيه من خير كثير ولعل هذا معنى قوله تعالى بقية الله خير لكم (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن أبى شيبة والطبرانى فى الاوسط بسند جيد انه قال (أمرنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان أدعواه) أى أطلب أنا لاجله (أهل الصفة) بالضم والتشديد أى من فقراء المهاجرين وكانوا كثيرين ممن لم يكن له منزل فأووا موضعا مظللا من مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فعن ابن سعد بسنده الى أبى هريرة قال رأيت ثلاثين رجلا من أهل الصفة يصلون خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس عليهم أرديه ثم قال أبو الفتح اليعمرى منهم أبو هريرة وأبو ذر وواثلة ابن الاسقع وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة لقد رأيت سبعين رجلا من أهل الصفة وقد عد من أهل الصفة أبو نعيم فى الحلية مائة ونيفا فيهم أبو هريرة وابن الاسقع وأصحاب بشر معويه وفى عوارف المعارف للسهروردى انهم كانوا نحو أربعمائة والله تعالى أعلم وعد منهم سعد ابن أبى وقاص وعمار بن ياسر وعقبة ابن عامر وسلمان و بلال وصهيب وحذيفة وغيرهم قال فى نظم الدرر وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد اذا أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيا واذا أتته هدية أرسلها اليهم وأشركهم فيها وقال صاحب الكشاف أصحاب الصفة كانوا نحو أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مسكن فى المدينة ولا عشيرة كانوا فى صفة المسجد يتعلمون القرآن بالليل و يرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان عنده فضل طعام أتى بهم اذا أمسى (فتتبعتهم) بتشديد الموحدة أى فتفحصتهم (حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة) أى قصعة مبسوطة (فاكلنا منها ماشئنا وفرغنا وهى مثلها) حين وضعت يعنى انها ما زادت ولا نقصت (الا ان فيها أثر الاصابع) أى أصابع الآكلين فانها زادت

من الربوض وهو كالجلوس فى الانسان والبروك للابل والجثوم للطير أى مقداره مقدار جثة عنز باركة على الارض أوهو تقدير لموضع من النطع بموضع ربوضها (ثم دعا الناس باوعيتهم) أى طلب مجيئهم ومعهم أوعيتهم ليأخذوا مما اجتمع عنده فى الحديث حتى ملأ وأزودتهم قال المصنف فى الاكمال كذا الرواية عن جميع شيوخنا والازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وورد أيضا جاؤا باوعيتهم (فما بقى فى الجيش وعاء الاملئوه) مما اجتمع عنده (و بقى منه) أى فضل منه بقية بعدما أخذ الجميع كفايتهم والمصنف اقتصر على محل الشاهد من الحديث لطوله وفيه انهم أكلوا حتى شبعوا ثم حشوا فى أوعيتهم وقبله انهم لما أصابهم الجوع قال له بعضهم لو أمرتنا نحرنا نواضحنا أى ابلنا فقال افعلوا فقال عمر رضى الله تعالى عنه ان فعلوا قل الظهر يعنى ما يركب ولكن ادع بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجىء بكف ذرة والآخر بكف تمر والآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة وقال خذوا فاخذوا كلهم وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله الحديث (وعن أبى هريرة) فى حديث رواه ابن أبى شيبة والطبرانى بسند جيد (أمرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أدعواه أهل الصفة) تقدم ان الصفة محل مرتفع فى الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس فيه وكان فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم محل كذلك فيه المنقطعون عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من فقراء الصحابة الاغراب وغيرهم كسلمان وأبى ذر قال أبو نعيم فى الحلية كانوا نيفا ومائة وفى عوارف المعارف انهم كانوا نحو الار بعمائة ونحوه فى الكشاف ولا ينافيه ماروى انه روى منهم نحو ثلاثين رجلا يصلون مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلا أرديه وهؤلاء هم صفوة خلق الله هنيئالهم وانا نتوسل الى الله تعالى بهم ان يجعلنا فى بركتهم (فتتبعتهم) أى ذهبت لكل واحد منهم فى مكان كان فيه لانهم فى النهار يتفرقون فى المدينة لان كل أحد لا يخلو من حاجة يذهب لها (حتى جمعتهم) عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فوضعت) بالبناء للمجهول (بين أيدينا صحفة) بالرفع نائب الفاعل وهى اناء بين الصغير والكبير تعد للطعام (وأكلنا ماشئنا وفرغنا) أى حتى شبعنا وانتهت ارادتنا للاكل (وهى مثل ماوضعت) جملة حالية أى وهى مملوءة بما فيها كما كانت حين وضعت بين أيدينا (الا ان فيها أثر الاصابع) أى أصابع من أكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشئ بنفسه كما لا يخفى وكان أهل الصفة يسمون أضياف الاسلام

(وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبيهقى بسند جيد انه (قال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين) أى رجلا (منهم قوم) أى بعض (يأكل الجذعة) أى الشاة الجذعة وهى بفتح الجيم وسكون الذال المعجمة الداخلة فى السنة الثانية اذا كانت من المعز وما أتى عليه ثمانية أشهر من الضأن قبل والمراد بها هنا الابل كما ورد مفسرا فى بعض الاحاديث وهو منها مايدخل فى الخامسة أو الرابعة (ويشرب الفرق) بفتح الفاء والراء وتسكن مكيال يسع ثلاثة أصبع بكيل الحجاز وقيل اناء يسع اثنى عشر صاعا بصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ستة عشر رطلا (فصنع لهم مدا من الطعام) أى قدر مد وهو بضم الميم مكيال وهو رطلان ورطل وثلث أو ملئ كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمى مدا قال صاحب القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا (فأكلوا) أى منه (حتى شبعوا وبقى كما هو) أى كأن لم يؤكل شئ منه (ثم دعا بعس) بضم عين وتشديد سين مهملتين قدح كبير من خشب يروى الثلاثة والاربعة من لبن (فشربوا حتى رووا) بضم الواو (وبقى كأنه لم يشرب منه) أى شئ (وقال أنس) أى على مارواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى) أى تزوج ودخل (بزينب) أى بنت جحش قال الحلبى المعروف ان مثل هذه القصة اتفقت فى بنائه بصفية وفى شرح مسلم للمصنف ان الراوى أدخل قصة فى قصة وقال بعضهم فى حديث الصحيح يحتمل انه اتفق الشيآن يعنى الشاة والحيس (أمره) أى أنسا (ان يدعو له قوما سماهم) أى جماعة عينهم باسمائهم وخصهم ثم عمهم بعطف وغيرهم حيث قال (وكل من لقيت) أى فدعوتهم (حتى امتلأ البيت

لان أكثرهم أغراب وقال أكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان أبا هريرة منهم (وعن على بن أبى طالب) فى حديث رواه أحمد والبيهقى بسند جيد (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين) رجلا وهذا كان بمكة فى ابتداء البعثة (منهم قوم) هو فى الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور (يأكلون الجذعة) بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهى من البقر والغنم ما تم له سنة وقيل انه فى البقر مادخل فى الثالثة والمراد هنا الاول أى أقل ما يكفيهم كما يقال لمن دونهم أكلة رأس (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وهو مكيال يسع ثلاثة آصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم أى يرويهم مافيه وفى النسخ هنا اختلاف ففى بعضها بنى عبد المطلب منهم من يأكل جذعة بنى عبد المطلب منهم قوم يأكل الجذعة وفى بعضها منهم قوم يأكل وفى بعضها منهم قوم يأكلون وهذه أقرب وفى التى قبلها اقلاق ما وقال التلمسانى المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا فى بعض الروايات وهى التى تدخل فى الخامسة (فصنع لهم مدا من طعام) أى طبخه وسواه (فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو) ما موصولة وهو مبتدأ خبره محذوف أى قبل الاكل والجملة صلة والمراد انه لم ينقص كأنه ما أكل منه شئ (ثم دعا بعس) بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو قدح من خشب يروى الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من أهله لهم (فشربوا) من العس (حتى رووا) أى تم شربهم منه (وبقى كأنه لم يشرب) منه شئ وتفصيله كما فى الدلائل للبيهقى وغيره بسند صحيح انه لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الآية قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان بدأت قومى بها رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك فدعا عليا رضى الله تعالى عنه وأخبره بذلك وبما قاله جبريل له ثم قال له فاصنع طعاما واعد لنا عس لبن ثم اجمع بنى المطلب وهم نحو أربعين من أعمامه فلما اجتمعوا اقدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله فأكلوا ثم شربوا فلما أراد أن يكلمهم قال أبو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان فى الغد فعل مثل ذلك فلما أراد ان يكلمهم تفرقوا وفى الثالثة قال لهم يا بنى عبد المطلب انه لم يجئكم أحد بأفضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة الى آخر الحديث والذى فى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفا ونادى يا بنى فهر يا بنى عدى ويا بطون قريش حتى اجتمعوا الى آخره ولعل ذلك تكرر فخص أولا ثم عم (وقال أنس) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما) وفى نسخة حين (ابتنى بزينب) بنت جحش أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهو افتعال من البناء وهو التزوج هنا ويقال بنى بها وعليها (أمره) أى أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنسا (ان يدعو له قوما سماهم) أى عينهم باسمائهم (وكل من لقيت) بتاء الخطاب ومن منصوبة محلا بمقدر أى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم أو فقال فدعوتهم (حتى امتلأ البيت) بالناس

والحجرة) وهى موضع منفرد عنه وقيل يريد بالبيت الصفة وهكذا جاء مفسرا فى حديث أنس الآتى فى آخر هذا الفصل وهو قوله تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصنعت أم سليم حيسا الى قوله حتى ملأوا الصفة والحجرة الحديث وكانت لكل واحد من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة هى بيتها (فقدم) وفى نسخة وقدم (لهم تورا) بفتح الفوقية اناء من صفر أو حجارة كالاجانة وهى التى تسمى مركناطسة أو سطلا وقيل كان (فيه قدر مد من تمر جعل حيسا) أى بضم سمن واقط اليه وربما يجعل عوضا عن الاقط دقيق أو فتيت أو سويق (فوضعه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قدامه) أى بين يديه (وغمس ثلاث أصابعه) أى فيه (وجعل القوم) أى شرعوا (يتغدون) بتشديد الدال المهملة المفتوحة من الغداء وهو خلاف العشاء وفى نسخة بالذال المعجمة وهو مايؤكل أعم من العشاء والغداء قال الحلبى فى النسخة التى وقفت عليها بالذال المعجمة وهو غير مناسب لان الغذاء بكسر الغين وبالذال المعجمتين أعم من الغداء بفتح الغين وبالدال المهملة وفى صحيح مسلم فدعا الناس بعد ارتفاع النهار فذكر القصة وفيه أيضا من حديث أطعمنا الخبز واللحم حين امتد ٣٦ النهار أى ارتفع وهذا صريح فى ان ذلك كان فى صدر النهار يعنى فيناسب الدال المهملة لكن فيه ان المعنى الاخص مندرج فى المعنى الاعم والله تعالى أعلم (ويخرجون) أى حتى خرج آخرهم (وبقى التور) أى بما فيه (نحوا مما كان) وهو تمييز لنسبة بقى أو حال من التور (وكانوا) وفى نسخة وكان القوم (احدا أو اثنين وسبعين) وفى أصل الدلجى أحدا وثلاثين أو اثنين وسبعين (وفى رواية أخرى فى هذه القصة) أى قصة وليمة زينب (أو مثلها) أى أو فى مثل هذه القصة وهى قصة وليمة صفية (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) بضم الزاى أى قدرها (وانهم أكلوا حتى شبعوا) بكسر الباء وهذا

(وقال لى) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان شبعوا (ارفع) أى التور وفى أصل التلمسانى لترفع بلام الامر وتاء المخاطب وهو قليل ومنه قوله تعالى فبذلك فلتفرحوا فى قراءة شاذة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لتاخذوا مصافكم هذا وعن ابن عمر مرفوعا اذا وضعت القصعة فليأكل أحدكم مما يليه ولا يتناول من ذروة القصعة فان البركة تأتيها من أعلاها ولا يقوم الرجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يرفع القوم وليعذر فان ذلك يخجل جليسه ولعله يكون له بالطعام حاجة رواه يحيى ابن أبى كثير عن عروة عن ابن عمر فرفعته (فلا أدرى) وفى أصل الدلجى فما أدرى (حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت) بصيغة التأنيث على بناء المجهول فيهما ولعل التأنيث باعتبار معنى التور من الاجانة ونحوها ولا يبعد أن يكون بصيغتى الفاعل للمتكلم على ان المفعول محذوف والتقدير وضعته ورفعته وأقول بل حين رفعت لحصول البركة وتعلق المعجزة حين رفعها بخلاف حال وضعها

المراد به المنزل كله وقيل انه أراد به الصفة التى فيه كما ورد مصرحا به (والحجرة) هى بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة تخصها وأصل معنى الحجرة بقعة تفرز ببناء الحجر ثم عم (وقدم اليهم تورا) بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة كالاجانة أو كالقدح الذى يشرب فيه (فيه قدر مد من تمر) بيان للمد وقد تقدم تفسيره (جعل) بالبناء للمفعول (حيسا) مفعوله الثانى وهو بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة وهو تمر خلط بسمن واقط أو دقيق قال * التمر والسمن بقال الاقط * أو الدقيق الحيس لما يختلط وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول أعرف وأصل معنى الحيس الخلط (فوضعه) صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للتور (قدامه) بين يديه (وغمس ثلاث أصابعه) أى أدخلها فيه لتحصل البركة وليطيب قلوبهم بأكله معهم والسنة ان يأكل بثلاث أصابع ففيه تعليم لهم (وجعل القوم يتغذون) بذال معجمة من الغذاء بمعجمتين وهو أعم من الغداء بالدال المهملة وفى مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح أن يكون بالمهملة أيضا كما فى المقتفى (ويخرجون) من الحجرة (وبقى التور نحوا) تمييز أو حال (مما كان) قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا (وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين) رجلا وهو شك من الراوى وقيل ان هذه القصة فى بنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفية والراوى أدخل قصة فى قصة وقيل يحتمل انه اتفق الشيآن من الشاة والحيس الذى لام سليم وفى قوله بقى التور تجوز أى بقى ما فيه (وفى رواية أخرى فى هذه القصة) أى قصة وليمة زينب رضى الله تعالى عنها (أو مثلها) فيما ذكر من الطعام (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) أى مقدارهم (وانهم أكلوا حتى شبعوا وقال) لى بعد ما شبعوا (ارفع) التور من مكانه (فما أدرى حين وضعت) بضم التاء للمتكلم أى حين وضعته أو بتاء التأنيث الساكنة كالتى فى قوله (كانت) بالتأنيث باعتبار انه آنية (أكثر أم حين رفعت) بالوجهين وروى لترفع بدل أرفع بلام الامر والخطاب والاول أولى وأفصح

(وفى حديث جعفر) أى الصادق (ابن محمد) أى الباقر (عن أبيه) أى أبى جعفر محمد (عن على) أى ابن أبى طالب جده والد محمد وهو زين العابدين على بن الحسين بن على كذا رواه ابن سعد منقطعا لان محمدا ووالده لم يدركا عليا فقول الحلبى رواية الباقر عن على مرسلة فيه نوع مسامحة (ان فاطمة طبخت قدرا) أى طعام قدر اذ ذكرت المحل وارادت الحال (لغدائهما) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة (ووجهت عليا) أى أرسلته (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى أصل التلمسانى فى النبى أى فى طلبه

وهذا حديث طويل فى مسلم اختصره المصنف رحمه الله تعالى اقتصارا على محل الشاهد منه (وفى حديث جعفر) الصادق (عن أبيه محمد) الباقر (عن على) بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه جد والد محمد أعنى زين العابدين بن على بن الحسين بن على فهو حديث منقطع كما رواه ابن سعد رضى الله تعالى عنه فان كان عليا المذكور على الاصغر فالحديث مرسل أو معضل فهو ضعيف (ان فاطمة) الزهراء (طبخت قدرا) أى طعاما فى قدر ففيه تجوز أو هو بتقدير مضاف أى طعام قدر (لغذاء) بالمعجمة وهو كل ما يؤكل فى أى وقت أو بمهملة وهو ما يؤكل أول النهار أى لاجل غدائها وفى نسخة تتغذى به وفى نسخة لغدائهم (ووجهت عليا) أى أرسلته (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لجهته والمراد بيته (ليتغدى معها) وفى نسخة معهم (فامرها) أى قال لها اغرفى من القدر (فغرفت) بالغين المعجمة (لجميع نسائه) التسع المعروفة (صحفة صحفة) منصوب كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة اناء صغير معروف (ثم له ولعلى) أى ثم غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلى (ثم لها) أى ثم غرفت لنفسها ما تتغذى به رضى الله عنها (ثم رفعت القدر) بعدما غرفت لجميع من ذكر (وانها لتفيض) جملة حالية وتفيض بفاء وضاد معجمة من الفيض والمراد انه بعدما غرف منه بقى مملوأ بطعام كثير يسيل من جوانبه ببركته صلى الله عليه وسلم وكأنها بعثت له صلى الله تعالى عليه وسلم ليجيئها ويأكل معها وحده فلما أتت وأمرها بما ذكر فيه لما فيه من مكارم الاخلاق والايثار (قالت) فاطمة رضى الله تعالى عنها (وأكلنا منها) أى أكلنا كلنا من طعامها والضمير للقدر لانها مؤنثة وقيل يجوز تذكيرها وتأنيثها والمراد ان أهل فاطمة رضى الله تعالى عنها وأهل بيتها أكلوا مما بقى فى القدر بعدما فرقته (ما شاء الله) أى الذى أراد انه لنا أو مدة ارادة الله تعالى ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك (وأمر) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر (عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يزود أربع مائة راكب) أى يعطيهم ما يكفيهم من الزاد (من أحمس) بزنة أحمر بحاء وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو حمس وهو من الحماسة وهى الشدة والصلابة ويقال لقريش الحمس لتصلبهم فى دينهم فى الجاهلية (فقال) عمر رضى الله تعالى عنه (يا رسول الله ما هى الا أصوع) بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز ان تبدل همزة كما فى الصحاح وهو اناء يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول فيه لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على أصول وصيعان وفى كثير من الروايات أى فى الحديث آصع بالمد والصواب أصوع انتهى وقوله والصواب أصوع غير مسلم واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وهو مبنى على عدم صحة الاستدلال بالحديث فى العربية وهو على الاطلاق فاسد أى قال عمر رضى الله تعالى عنه ليس التمر الذى عندى يكفى فانه أصوع قليلة فان الصاع مكيال يسع أربعة أمداد والمد رطل وثلث أو رطلان عراقيان على اختلاف فيه كما تقدم والضمير أعنى هى راجع للاصوع وان تأخر لانه مودية كما فى قوله تعالى ان هى الا حياتنا الدنيا قال الزمخشرى هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه وأصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله

والتوجيه اليه أو فى بمعنى الى (ليتغدى معهما) أى فجاءها (فامرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة) وهن كن تسعا عائشة وحفصة وزينب وأم حبيبة وأم سلمة وسودة وميمونة قرشيات وصفية قريظية وجويرية مصطلقية (ثم له عليه الصلاة والسلام ثم لعلى ثم لها) أى ولاولادها أو لمن كان معها (ثم رفعت القدر وانها لتفيض) بفتح الفوقية أى لتفور وتسيل من جوانبها (قالت) أى فاطمة (فأكلنا) وفى نسخة وأكلنا (منها ما شاء الله) أى ان نأكل منها (وأمر) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عمر ابن الخطاب ان يزود) بتشديد الواو المكسورة أى يعطى الزاد (أربعمائة راكب من أحمس) بفتح الهمزة والميم اسم رجل نسب اليه قبيلة معروفة والحماسة الشجاعة والشدة فى الديانة ولذا سميت قريش الحمس لتشددهم فى دينهم وذلك انهم كانوا أيام منى لا يستظلون ولا يدخلون البيوت من أبوابها وفى رواية أربعمائة راكب من مزينة وهى قبيلة من مضر (فقال يا رسول الله ما هى الا أصوع) بضم الواو جمع صاع قال الجوهرى وان شئت أبدلت من الواو المضمومة همزة وفى نسخة آصع بهمزة ممدودة وصاد مضمومة قال ابن قرقول وجاء فى كثير من الرواة آصع والصواب أصوع

* هى النفس ما حملتها تتحمل * وهى العرب تقول ما شاءت انتهى قال ابن مالك وهذا من
جيد كلامه وفيه كلام فى شرح التسهيل لا يسعه المقام (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر رضى
الله تعالى عنه (اذهب) وافعل ما أمرتك به ولا تبال بقلة ما عندك (فذهب) عمر (فزودهم منه)
أى أعطاهم ما يكفى لهم من التمر الذى عنده (وكان) أى التمر (قدر الفصيل) هو ولد الناقة
الصغير (الرابض) أى البارك على الارض وهو بيان لمقداره تخمينا (من التمر) بيان لقدر
(وبقى بحاله) أى لم ينقص شيأ مع اعطاءهم منه وهو من المعجزات (من رواية دكين) خبر مبتدأ
مقدر أى وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم ياء تصغير ونون
و رواه العزفى بالراء بدل الدال و قال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد وقيل مسعد
المزنى وقيل الخثعمى وله صحبة وهذا الحديث رواه أبو داود فى الادب قال أتينا النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فسألناه الطعام فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح
وليس له غير هذا الحديث ولم يروه غير أبى داود (الاحمسى) نسبة لبنى أحمس قبيلة كما تقدم وهو صفة
دكين (ومن رواية جرير) أى مثل رواية دكين ولم يخرجه (ومثله) أى مثل المروى المذكور ما أخرجه
أحمد والبيهقى بسند صحيح (من رواية النعمان بن مقرن) بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المهملة
المشددة وقيل القاف ساكنة والراء مخففة مكسورة وهى احمسى أيضا أو أحمس فخذ من مزينة وتقدم
انهم من ضبيعة من نسل اد بن طابخة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل
وسويد وسنان وعبد الرحمن ولم يسم السابع قال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذين نزل فيهم
* ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية (الخبر بعينه) بالرفع والنصب والباء مزيدة فى التأكيد
يقال هذا عينه و بعينه كما ذكره وتلطف القائل متغزلا فقلت فهذا قاتلى * بعينه وحاجبه
وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهم أو لايهامهم انها الباصرة (الا انه قال) فى هذه الرواية
(أربعمائة راكب من مزينة) فزاد قوله من مزينة وكذا رواه أبو داود فى سننه قيل واختلاف الروايات
يدل على تعدد القصة وفيه شئ (ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جعل القليل
كثيرا (حديث جابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه البخارى (فى
دين أبيه بعد موته) أى فى قصته لما مات أبوه وعليه دين أراد اداءه لغرمائه (وكان قد بذل) بموحدة
وذال معجمة أى أعطى وهو مجاز بمعنى أراد بذله (لغرماء أبيه) جمع غريم وهو صاحب الدين
الطالب له من الغرام وهو اللزوم كما قال تعالى ان عذابها كان غراما (أصل ماله) أراد باصل ماله
بستانا ونخلا له كان يتقوت منه والمال فى لسان العرب لا يختص بالنقود كما فى العرف وشاع
اطلاقه على الابل قديما كما يشير اليه قوله (فلم يقبلوه) اما لانه لا يفى بدينهم أو لعدم
احتياجهم أو لانه لم يكن مرضيا لهم (ولم يكن فى ثمرها) أنث الضمير الراجع للمال نظرا لمعناه لان
المراد به هاهنا النخيل جمع نخل وهى تؤنث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله راجعا لامواله

(فقال اذهب) أى فزودهم منه (فذهب فزودهم منه وكان) أى الذى أعطاهم (قدر الفصيل) أى ولد الناقة اذا فصل عن أمه أى
فطم (الرابض) بكسر الموحدة أى الحقير أو البارك (من التمر وبقى) أى التمر بعد تزويدهم منه (بحاله) أى كأن لم يؤخذ منه شئ
(من) أى هذا الحديث من (رواية دكين) بالتصغير وأوله دال وقيل راء (الاحمسى) رواها أبو داود وفى الادب الا انه قال عن دكين بن
سعيد المزنى قال أتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام أى الزاد فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى
علية بضم العين وتشديد اللام المكسورة فتحتية مشددة أى غرفة فاخذ المفتاح من حجزته بالزاى ففتح أى فاعطانا ما أعطانا قال الحلبى يقال له الاحمسى والمزنى والخثعمى له صحبة وليس له فى الكتب الا فى سنن أبى داود وليس له فيه الا هذا الحديث وهو مختصر منه (ومن رواية جرير) يعنى أيضا (ومثله من رواية النعمان) بضم النون (ابن مقرن) بتشديد الراء المكسورة وقيل بالسكون والتخفيف احمسى أيضا أسلم مع اخوته الستة وقال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذين نزل فيهم قوله سبحانه وتعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية (الخبر) بالرفع أى الحديث هذا (بعينه) أى من غير زيادة ونقصان فيه على ما رواه أحمد والبيهقى بسند صحيح عنه (الا انه
قال) أى النعمان (أربعمائة راكب من مزينة) أى كما عن أبى داود هذا والخبر مرفوع على انه خبر ومثله مبتدأ المعلومة
وأبعد الدلجى بقوله منصوب باعنى (ومن ذلك) أى من قبيل تكثير الشئ ببركة دعائه وعظمة ثنائه (حديث جابر فى دين أبيه بعد
موته) كما رواه البخارى عنه (وقد كان) أى جابر (بذل لغرماء أبيه أصل ماله) أى أراد ان يبذل لهم أو عرض عليهم ورضى لهم ان
يأخذوا جميع ماله وبذل بالمعجمة أى أعطى واما بالمهملة فبمعنى العوض (فلم يقبلوه) أى استحقارا الاصل ماله لعدم الوفاء بكماله
كما بينه بقوله (ولم يكن فى ثمرها سنتين) أى ثمر البساتين المعبر عنها باصل ماله أو ثمر نخيل جابر أو أبيه بكماله

(كفاف دينهم) بفتح الكاف أى وفاء لادائه قال الدلجى ومنه قول الحسن ابدأ بمن تعول ولا تلام على كفاف أى اذا لم يكن عندك كفاف فلا تلام على عدم اعطائه انتهى والكفاف قوت لرزق والاظهر ان المعنى فلا تلام على تحصيل ما يكفيك من المال عن السؤال وتشتت البال ثم صدر الكلام وهو قوله ابدأ بمن تعول من حديثه عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن حكيم بن حزام (فجاءه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعدان أمره) أى جابرا (بجدها) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة أى بقطع ثمرها (وجعلها بيادر فى أصولها) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة جمع بيدر أى جعلها كومات تحت نخيلها (فمشى فيها) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) أى بالبركة فيه (فأوفى) أى أعطى (منه جابر غرماء أبيه وفضل) تقدم الكلام عليه وقال التلمسانى تثلث ضاده والكسر أعلى أى زاد (مثل ماكانوا يجدون) بضم الجيم وكسرها وتشديد الدال المهملة أى يقطعون (كل سنة وفى رواية مثل ما أعطاهم) أى فضل (قال) أى جابر (وكان الغرماء يهودى) خبر كان غير منصرف علم طائفة من اليهود (فعجبوا) بكسر الجيم أى فتعجبوا (من ذلك) أى لما عظم موقعه عندهم مع خفاء سببه اذ هو شأن العجب وسبب تعجبهم هو وفاء دينهم الكثير من الشئ اليسير مع زيادته بدعائه وبركته فان هذا وأمثاله مما ذكر سابقا ولاحقا من أعلى المعجزات وأعظم الكرامات (قال أبو هريرة) على ما رواه البيهقى عنه (أصاب الناس مخمصة) أى مجاعة شديدة (فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من شئ) أى أهل عندك بعض شئ فمن تبعيضية لا زائدة كما قاله الدلجى ثم تنكير شئ للتقليل فيفيد المبالغة فى المطالبة ولو شئ يسير او قدر حقير (قلت نعم) أى عندى (شئ) أى قليل (من التمر فى المزود) بكسر الميم وفتح الواو وعاء من جلد يجعل فيه الزاد

المعلومة من قوله مال ولا الى تفسيره بالفوائد مطلقا فيشمل الالبان والنتاج كما قيل ولا وجه له لما سنسمعه فى الحديث وقوله (سنتين) مثنى سنة وفى نسخة سنين بصيغة الجمع والاول هو الصحيح (كفاف دينهم) بفتح الكاف بمعنى ما يفى به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقى كفافا أى مقدار الكفاية وبفتحها معناه الخيار وهو غير مناسب هنا كقراءة تمر بمثناة فوقية وان صح معنى وسنتين ظرف مستقر لانه متعلق بثمر بالمعنى المصدرى حال من ثمر (فجاءه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعدان أمره بجذها) بفتح جيمه وذال معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها (وجعلها) بصيغة المصدر (بيادر) بمثناة تحتية ودال وراء مهملتين جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذى يوضع فيه التمر لينشف والبر ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة ويصح ارادة كل منهما هنا والظاهر الثانى والبيدر هو الجرين والجرن وأهل العراق يسمونه اندر وجمعه أنادر وفى المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر (فى أصولها) أى جعلها كوما كوما فى أصول الثمار وهى النخل والمراد انه كونه فى حديقة نخله حتى نعلم مقدارها (فمشى فيها) النبى صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر أى فى أرضها أو المراد ما بينها وفعل ذلك لتحصل البركة وينمو ما فيها (ودعا) الله تبارك وتعالى ان يبارك فيها فنمت وزادت (فأوفى منه جابر غرماء) أى أعطاهم مما فى البيدر مقدار حقهم بتمامه من قولهم أوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه أخذه بتمامه وضمير غرماء لابيه لعلمه مما تقدم أوله لقيامه مقامه فى ادائه دينه وفى نسخة غرماء أبيه وهى ظاهرة (وفضل) أى بقى منه بعدما أدى كل ذى حق حقه وهو مثلث الضاد المعجمة والفتح أفصح (مثل ما كانوا يجذون) بفتح المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الذال معجمة أو مهملة أى ما كانوا يقطعونه من ثمارها (كل سنة) أى فيها (وفى رواية مثل ما أعطاهم) أى بقى مثل ما أعطى غرماء أبيه وفيه زيادة كثيرة على ما فى الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفى بدينهم فى سنتين أو سنين (قال) أى جابر رضى الله تعالى عنه (وكان الغرماء يهود) بالنصب خبر كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة وقد ينكر وينون (فعجبوا من ذلك) أى مما رأوه من كفايته ثمرها وزيادته مع انه كان لا يكفى فى سنين وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم العظيمة وهذا الحديث قد علمت انه فى البخارى وكذا فى غيره واقتصر المصنف رحمه الله على محل الشاهد منه وكان أبو جابر عبد الله استشهد بأحد وترك عليه دينا كثيرا وله ست بنات وكان الدين لرجل من اليهود كما علم ثلاثين وسقا فاستنظره جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك فكلم اليهودى فلم يرض فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما مر فأتاه وطاف بيده ثلاث مرات وأمره بان يكيل لهم فكال حتى وفى لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وفيه فلما احضر جذاذ النخل أتيته صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا ما عدناك به فلا تكن من الغافلين (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى مسندا (أصاب الناس مخمصة) أى جوع كما مر (فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل) عندك (من شئ) من جنس الطعام ومن زائدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفى والاستفهام وشئ مبتدأ خبره مقدر كما ذكرناه (قلت نعم شئ نصفين من التمر) قليل (فى المزود) بكسر الميم

(قال فأتنى به) أى فأتيته به (فأدخل يده فأخرج قبضة) بفتح القاف أى مرة من القبض بمعنى مقبوضة كالغروفة بمعنى المغروفة وهى مأخوذة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف وبالضم اسم للشئ المقبوض كالغرفة بالضم بمعنى المغروف والرواية بالفتح كما ذكر الحجازى وهو ملئ الكف قال الحلبي ويفتح أيضا ويؤيده ما فى القاموس القبضة وضمه أكثر ما قبضت عليه من شئ هذا وفى نسخة بالصاد المهملة ففى القاموس قبصه تناوله بأطراف أصابعه وذلك المتناول القبصة بالفتح والضم والقبصة من الطعام ما حملت كفاك ويضم انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى أبلغ فى المعنى (فبسطها) أى يده (ودعا بالبركة) أى لما فيها (ثم قال ادع عشرة) أى فدعوتهم (فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة) بالنصب أى دعوتهم (كذلك) على ما فى نسخة أى فأكلوا حتى شبعوا وهكذا بقيته من هنالك (حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا) أى وتركوا فضلاتهم وقد سبقت الحكمة فى الاقتصار على العشرة فى الجفنة وقيل

خصت العشرة لان لها فضلا حيث ان الله تعالى أقسم بها وفى العشر ليلة القدر وفيها ليلة النحر وفيها يوم عاشوراء وقال تعالى وأتممناها بعشر وقال تلك عشرة كاملة (وقال) وفى نسخة قال وفى نسخة ثم قال أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خذ ما جئت به) أى مع الزيادة الحاصلة من البركة (وأدخل يدك) أى فيه (واقبض منه) بكسر الموحدة (ولا تكبه) بفتح التاء وضم الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم أى لا تقلبه (فقبضت) أى فأخذت (على أكثر ما جئت به فأكلت منه وأطعمت) أى غيرى أيضا (حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مدة حياته (وأبى بكر وعمر الى ان قتل عثمان) وهو عام خمس وثلاثين (فانتهب منى) بصيغة المجهول أى سلب (فذهب) أى فاستمر غائبا عنى فى المكان ولعل فقده حينئذ لفساد الزمان (وفى رواية) أى حسنة للترمذى (لقد) وفى نسخة فقد (حملت من ذلك التمر كذا وكذا) كناية عن تعدد مقدار ما حمله (من وسق فى سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية فى غزوة تبوك) أى من الرواية (وان التمر) بكسر الهمزة والجملة حالية (كان بضع عشرة تمرة) وروى بضعة عشرة ولا ول أولى (ومنه) أى ومن تكثير الطعام ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام (أيضا) كما فى نسخة أى كما وقع مكررا فى مقام المرام (حديث أبى هريرة) كما رواه البخارى (حين أصابه الجوع) يعنى أبا هريرة (فاستتبعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فأمره ان يتبعه فتبعه (فوجد) أى النبى أو أبو هريرة (لبنا) أى قليلا (فى قدح) أى صغير (قد أهدى اليه) أى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

تعالى

وهو وعاء الزاد (قال فأتنى به) فأتاه به أى بالمزود أو التمر (فأدخل يده) الشريفة فى المزود (فأخرج منه (قبضة) بفتح القاف وهى المرة كالضربة أريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ بالكف وبالضم اسم المقبوض (فبسطها) أى وضعها مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها (ودعا بالبركة) أى بان يبارك الله فيها حتى تزيد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما دعا (ادع عشرة) من الناس فدعاهم (فأكلوا حتى شبعوا) من ذلك التمر (ثم) قال ادع (عشرة كذلك) أى فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا وهكذا (حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا) وهذا يقتضى انه كان فى بعض غزواته وقد صرح به فى بعض الروايات وسيأتى (وقال) لى (خذ ما جئت به) لانه أطعمهم كلهم وبقى ما جاء به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه أمره برفعه وان يأخذ كل ما أراد وقال له ولا تكله ليبارك فيه كما مر (وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به) قال (فأكلت منه وأطعمت) أهلى ومن أردت اطعامه (حياة رسول الله) أى مدة حياته (صلى الله تعالى عليه وسلم و) فى مدة حياة (أبى بكر وعمر الى ان قتل عثمان) بن عفان رضى الله تعالى عنهم (فانتهب منى) بالبناء للمجهول أى نهبه الناس وأغاروا عليه فأخذوه فى زمن الفتنة (فذهب) أى عدم ولم يبق منه شئ ولولا ذلك لكفاه مدة حياته لما فيه من البركة (وفى رواية) رواها الترمذى فى سننه وحسنها عن أبى هريرة رضى الله عنه (فقد حملت من ذلك التمر) الذى أعطانيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى جعلته محمولا معى فى اسفارى (كذا وكذا) كناية عن مقدار ما حمله (من وسق) بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كما مر (فى سبيل الله) أى من أسفارى غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا أطلق فالمراد به ما ذكر وفى رواية فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول أصبت بثلاث مصائب لم أصب بمثلهن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقتل عثمان وذهاب مزودى وروى هذا الحديث بطريق آخر قريبة مما هنا (وذكرت مثل هذه الحكاية) بالبناء للمجهول وأنث لانه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وفى نسخة وذكر (فى غزوة تبوك وان التمر كان بضعة عشر تمرة) ذكره لانه أبلغ فى المعجزة لغاية قلته (ومنه) أى من تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (أيضا حديث أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (حين أصابه الجوع) وعلمه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم) أى طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعنى وكن ماشيا معى فتبعه (فوجد لبنا فى قدح) فى بيته (قد أهدى اليه) صلى الله

(وأمره) أي أبا هريرة (ان يدعو أهل الصفة) أي بقيتهم اليه (قال) أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (فقلت) أي في نفسي (ما هذا اللبن) أي ما تأثيره (فيهم) والاستفهام بمعنى النفي أي لا يغني من شبعهم شيأ (كنت) أي أنا وحدي (أحق ان أصيب منه شربة) أي مرة واحدة وأغرب التلمساني في قوله بضم الشين (أتقوى بها) يعني ولعلها تكفيني أم لا ومع هذا امتثلت الامر (فدعوتهم) أي فحضروا (وذكر) أي أبو هريرة (أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياه ان يسقيهم) بفتح الياء الاولى وضمها ولفظ الدلجي وأمرني ان أسقيهم ولعله نقل بالمعنى وتغير في المبنى (فجعلت) أي شرعت (أعطي الرجل فيشرب حتى يروى) بفتح الياء والواو (ثم يأخذ الآخر) أي فيشرب (حتى) يروى وهكذا حتى (روى جميعهم) بكسر الواو ولفظ الدلجي حتى رووا جميعهم بضم الواو على صيغة الجمع (قال) أي أبو هريرة (فأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) أي قدح اللبن (وقال بقيت أنا) تأكيد لضمير بقيت ليصح عليه عطف قوله (وأنت) نحو قوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة (أقعد) أمر أدب (فاشرب فشربت ثم قال اشرب) أي فشربت كما في أصل الدلجي (وما زال يقولها) أي كلمة اشرب (وأشرب حتى قلت لا) أي لا أشرب أولا أقدر على زيادة الشرب (والذي بعثك بالحق) أي الى كافة الخلق (ما أجد) وفي نسخة صحيحة لا أجد (له مسلكا) أي مساغا وهو يحتمل ان يكون جوابا للقسم أو مستأنفا مبينا للامتناع كأنه علة له (فأخذ) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (القدح فحمد الله) أي على ما منحه من البركة (وسمى وشرب الفضلة) أي البقية وفيه ايذان بان أفضل القوم يكون آخرهم شربا ذكره الدلجي وفي الحديث ساقي القوم آخرهم شربا رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي قتادة وغيرهما عن غيره وفيه تنبيه أيضا على وجه حكمة تأخير أبي هريرة عن القوم مع الايماء الى وجه اختيار الايثار لا سيما حال المخمصة والاضطرار والله تعالى أعلم بهذه الاسرار وعن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم دولة قيل يا رسول الله وما دولتهم قال ينادي يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير الا قام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا الى صفوف أهل القيامة فمن صنع معكم معروفا فأوردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل ألم أكسك فيصدقه ويقول الآخر يا فلان ألم أكلمك فلا يزال يخبرونه بما صنعوا اليه وهو يصدقهم حتى يذهب بهم جميعا حتى يدخلهم الجنة فيبقى قوم لم يكونوا يصنعون المعروف فيقولون يا ليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان ممن كان قبلكم ملك مسرف على نفسه وكان مسلما واذا أكل طعامه طرح ثفالة طعامه على مزبلة فكان يأوي اليها عابد فان وجد كسرة أكلها وان وجد بقلة أكلها وان وجد عرقا يعرقه فلم يزل كذلك حتى قبض الله ذلك الملك فادخله النار فخرج العابد الى الصحراء مقتصرا على بقلها ومائها ثم انه سبحانه وتعالى قبض ذلك

تعالى عليه وسلم (وأمره ان يدعو أهل الصفة) ليكونوا تابعين معه وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم (قال فقلت ما) موقع (هذا اللبن فيهم) وما مقداره القليل كاف لهم (كنت أحق) منهم لشدة جوعي وما علمه الرسول من حالي (ان أصيب منه شربة) أي من ذلك اللبن (أتقوى بها) أي يكون فيها تقو به لضعفي بجوعي وليس هذا انكارا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا يليق بمثله فهو انما تعجب منه لما استقر به قبل مشاهدة الحقيقة ومثله من الخواطر لا يؤاخذ بها وقيل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولا حاجة لمثله (فدعوتهم) الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (و) بعد حضورهم (أمرني ان أسقيهم) وفي نسخة وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم (فجعلت) أي شرعت (أعطي الرجل) منهم (فيشرب) بالنصب (حتى يروى) بفتح المثناة أي يروى عطشه (ثم يأخذه الآخر) أي فيشرب حتى يروى وهكذا (حتى روى جميعهم) أي جميع أهل الصفة (قال) أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (فأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) الذي فيه اللبن وهذا القدح يحتمل ان يكون لصاحب اللبن الذي أهداه له أو هو من أقداحه صلى الله تعالى عليه وسلم صب فيه اللبن الذي جاءه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لابي هريرة رضي الله تعالى عنه (بقيت أنا) تأكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله (وأنت أقعد فاشرب) أمره بالقعود لان الشرب قائما من غير ضرورة مكروه (فشربت ثم قال اشرب) مرة أخرى (وما زال يقولها) أي كلمة اشرب (واشرب) بالرفع أي وأنا أشرب والجملة حالية (حتى قلت لا) أشرب بعد هذا نفي للشرب المأمور به واعتذر عن رده بقوله (والذي بعثك بالحق لا أجد له) أي اللبن (مسلكا) أي لم يبق في جوفي محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم ان لم يكن تأكيدا للنفي قبله وما بعده استئناف أو تعليل له (فأخذ) صلى الله عليه وسلم أي تناول من يد أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (القدح فحمد الله تعالى) على ما أنعم به من الزيادة (وسمى) فقال بسم الله (وشرب الفضلة) أي ما بقي منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري اقتصر المصنف رحمه الله تعالى

العابد فقال له هل لاحد عليك معروف تكافئه قال لا يا رب قال فمن أين كان معاشك وهو أعلم به منه قال كنت آوى الى مزبلة ملك فان وجدت كسرة أكلتها وان وجدت بقلة أكلتها وان وجدت عرقا تعرقته فقبضته فخرجت الى البرية مقتصرا على بقلها وسائها فامره تعالى ان خذ بيده فادخله الجنة من معروف كان منه اليك وهو لم يعلم به أما انه لو علم به ما أدخلته النار (وفى حديث خالد بن عبد العزى) أى ابن سلامة الخزاعى له صحبة روى عنه ابنه مسعود الا أن حديثه ليس فى الكتب الستة على ما فى التجريد كما ذكره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه البيهقى عنه (انه أجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أعطاه (شاة) أى تصلح للجزر وهو الذبح ولا تكون الا من الغنم فلا يقال أجزرت القوم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح اذا نزل عليه بالجعرانة وظل عنده وأمسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسل الى رجل من تهامة يقال له محرش بن عبد الله ليأخذ به طريقا الى مكة يأمن فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده فانحدر به الى الوادى حتى بلغا اشغاب قال يا محرش من هذا المكان الى الكر وما والاه فهو لخالد وما بقى من الوادى فهو لك ثم سار به حتى قضى نسكه وأحله محرش أى حلقه ثم رجعا الى خالد (وكان عيال خالد) بكسر العين أى من يعوله (كثيرا) أى عددهم (يذبح الشاة) حال أو استئناف مبين لكثرتهم واللام فى الشاة للجنس فهو فى حكم النكرة أى قد يذبح خالد شاة (فلا تبد عياله) بضم الفوقية وكسر الموحدة وتشديد الدال المهملة من بد الشئ وأبده فرقه وأعطى كل واحد بدته أى نصيبه على حدته قال الهروى وفى الحديث اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا أى متفرقين واحدا بعد واحد والمعنى لا تكفى الشاة كلهم اذا فرقت عليهم (عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الهمزة جملة حالية (أكل من هذه الشاة) أى التى أجزرها اياه (و جعل فضلتها) أى بقيتها (فى دلو خالد ودعا له بالبركة فبثر) بفتح الموحدة فضم المثلثة بعدها راء أى كثر (ذلك لعياله) وفى نسخة صحيحة بالنون والمثلثة المفتوحتين أى انتشر ذلك لعياله حتى وسعهم وقيل أى صبه وأخرجه ورمى به (فا كلوا وافضلوا) أى ودخلوا (ذكر زيادة البركة

منه على محل الشاهد منه كما هو دأبه (وفى حديث خالد بن عبد العزى) الذى رواه البيهقى مسندا عنه ولم يذكره أصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة أبو خناش بخاء معجمة مضمومة ونون وآخره شين معجمة ونونه مخففة وهو خزاعى وله صحبة وروى عنه ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقال التلمسانى انه خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى هاجر الى الحبشة فى المرة الثانية فمات فى الطريق وهو ابن أخى خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها (انه أجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة) بالنصب مفعول أجزر بمعنى أعطى والنبى بالنصب أيضا مفعول أول وأجزره أعطاه جزرة وهى شاة أو نعجة أو كبش أو عنز تعطى لتجزر أى تذبح ولا تكون فى الناقة فانه يقال أجزره أو جزره اذا أعطاه جزورا لغير الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهرى يقال أجزرت القوم اذا أعطيتهم شاة يذبحونها أو كبشا أو عنزا ولا تكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال أجزرهم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح انتهى وفى القاموس هنا كلام غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من تهامة كما فى بعض الشروح هنا (وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة) لاجلهم واطعامهم (فلا تبد عياله) بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة يقال بده بموحدة ودال مهملة مشددة يبده اذا فرقه وقال ابن القطاع بددت الشئ فرقته وأبددتهم العطاء فرقته فيهم وفى المحكم أبد الطعام بينهم اذا أعطى كل واحد منهم نصيبه على حدة وهو بيان لكثرتهم يعنى ان الشاة اذا فرقت عليهم لا تكفيهم وقوله (عظما عظما) أى اذا فرقته عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم (وان النبى صلى الله عليه وسلم) بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه أجزر الى آخره الذى هو مبتدأ مقدم خبره وهو قوله فى حديث خالد (أكل من هذه الشاة) التى أجزرها له خالد (و جعل فضلتها) أى ما بقى منها بعد أكلهم (فى دلو خالد) هو وعاء من ادم وجلد يستقى به الماء فالمراد به هنا جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعاء غيره (ودعا له) أى لخالد ويجوز ان يعود للدلو (بالبركة) أى بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابى خناش (فنثر ذلك) الطعام الذى فى الدلو أى رماه (لعياله) بكسر العين قال الصاغانى فى التكملة انه جمع عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون اسما لواحد كما استعمله الحريرى فى مقاماته وذكره المطرزى فى شرحه (فا كلوا وافضلوا) أى أبقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وبركة دعائه

(ذكر خبره الدولابي) بضم الدال المهملة انصاري رازي سمع محمد بن بشار وغيره من طبقته بالحرمين والعراق ومصر والشام وغيرها وصنف التصانيف وروى عنه ابن أبي حاتم وابن عدي والطبراني وغيرهم قال الدارقطني تكلموا فيه وما تبين في أمره الا الخير توفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلاثمائة هذا وقد قال ابن ماكولا في الاكمال ما لفظه وأما خناش أوله خاء معجمة مضمومة وبعدها نون وآخره شين معجمة فهو أبو خناش خالد بن عبد العزى في الصحابة ذكره أبو بشر الدولابي في كتاب الاسماء والكنى بسنده الى أن قال عن مسعود بن خالد عن خالد بن عبد العزى بن سلامة انه أجزر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبدد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أكل منها ثم قال أرني دلوك يا أبا خناش ووضع فيها فضلة الشاة ثم قال اللهم بارك لابي خناش فانقلب به فنشره لهم وقال تواسعوا فيه فأكل عياله وفضلوا ذكره الحلبي (ومن حديث الآجري) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء بعدها ياء نسبة صاحب كتاب الشريعة وهو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي منسوب الى عمل الآجر (في نكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي فاطمة) أي في تزويجه اياه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة) أي من دقيق خبز شعير أو حنطة (وذبح جزور) أي بعير (لوليمتها) وفي نسخة ويذبح جزورا بصيغة المضارع وفي أخرى وبذبح جزور بمصدر مضاف (قال) أي بلال (فاتيته بذلك) أي فجئت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالذي أمره ان يصنعه من القصعة (فطعن في رأسها) أي في أعلاها بيده لتنزل البركة عليه (ثم أدخل الناس) أي أمرهم الدخول عليه (رفقة رفقة) بضم الراء وجوز تثليثها أي جماعة بعد جماعة (يأكلون منها) وفي نسخة صحيحة فأكلوا منها (حتى فرغوا) أي عنها (وبقيت منها فضلة) وفي نسخة فضلة منها أي بقية وزيادة (فبرك) بتشديد الراء أي فدعا بالبركة (فيها وأمر بحملها الى أزواجه) أي من النساء التسع (وقال) أي لهن بعد ارساله اليهن (كلن) أي بانفسكن (وأطعمن من غشيكن) أي أتاكن وحضر عندكن فان البركة توافي كلكن (وفي حديث أنس) كما رواه الشيخان (تزوج النبي صلى الله تعالى

(ذكر خبره) أي خبر خالد وخبر ما ذكر من الاكل والزيادة (الدولابي) فاعل ذكره وبضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام وألف وباء موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب دولاب وهو الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه الكبار كالطبراني وأبو حاتم وتوفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلاث مائة ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين وفيه كلام مفصل في الميزان في ترجمته وله ذرية مشهورة ولهم دولابي آخر وهو أبو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان وغيره (وفي حديث الآجري) بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة منسوب للآجر المعروف بالطوب نسب لعمله وهو أبو بكر بن محمد الامام البغدادي كما تقدم تفصيله في ترجمته (في انكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة لعلي رضي الله تعالى عنهما) أي عقده نكاحها واللام مزيدة لتقوية (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالا) ان يأتي (بقصعة) مملوءة (من أربعة امداد أو خمسة) من حنطة أو غيرها (ويذبح جزورا) بنصب يذبح بان مصدرية مقدرة وجزورا مفعوله أي ان يذبح أو معطوف على مقدر كما أشرنا اليه أو على أمر بتقدير وأمره أن يذبح والجزور بوزن الشكور رأس من الابل ناقة أو جملا سميت بها لانها مما يجز أي وهي مؤنثة سماعية وان عمت ففيها شبه تغليب فافهم (لوليمتها) الوليمة هي الدعوة لطعام يصنع في النكاح خاصة ويجمع على ولائم وهو مستحب (قال) بلال رضي الله تعالى عنه (فاتيته بذلك) الذي أمرني به من القصعة والجزور (فطعن في رأسها) ان كان الضمير للقصعة فرأسها بمعنى أعلاها وان كان للجزور فهو ظاهر وطعنه فيها ادخال يده فيها أو مسها لتحصيل البركة فيها (ثم ادخل الناس) أي أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بدخولهم ليأكلوا (رفقة رفقة) بالنصب أي حال كون دخولهم جماعة بعد جماعة والرفقة بضم الراء وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المصاحبين (يأكلون منها) جملة مستأنفة أو حال مقدرة (حتى فرغوا) أي أكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من أكلهم (وبقيت منها فضلة) أي فضل منها ما زاد على أكلهم (فبرك فيها) وفي نسخة بها وبرك بتشديد الراء المهملة أي دعا بان يبارك فيها ويجعل فيها البركة وهو الزيادة والنمو وكثرة (وأمر بحملها) أي بحمل القصعة بما فيها أو بحمل الفضلة (الى أزواجه) أي الى بيوتهن (وقال) لازواجه (كلن وأطعمن من غشيكن) بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين أي كل من يأتي اليكن من غير أهل البيت يقال غشيه غشيا وغشاه اذا أتاه اتيانا ما وقد غشيه أي ستره (وفي حديث أنس) الذي رواه الشيخان مسندا (تزوج رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم بعض نسائه) قال الحلبي تقدم ان هذا كان في ابتنائه بصفية (فصنعت أي أم سليم) بالتصغير (حيسا) تقدم مبناه ومعناه
(فجعلته في تور) سبق كذلك (فذهبت) أي أنا وفي نسخة فبعثتني (به) أي بالتور (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

عليه وسلم) بعض أزواجه وهي صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها في مرجعه من خيبر بمحل يسمى
سد الصهباء قال أنس رضي الله تعالى عنه (فصنعت أمي) وكنية والدة أنس (أم سليم) بضم السين
مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة أبي طلحة الخزرجية الصحابية الصالحة القانتة وكان لها منزلة عند
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حيسا) وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن وأقط وتمر وسمن يحاس
أي يخلط بعضه ببعض (فجعلته) أي وضعته (في تور) بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة وراء مهملة وهو
اناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القريبة القعر (فذهبت) بضم التاء وهو ضمير أنس
المتكلم (به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه) على الارض (وادع لي فلانا وفلانا) ممن
كان معه ثمة من كبار الصحابة وخصهما تشريفا لهما ثم عمم فقال (ومن لقيت) أي وادع كل من
صادفته (فدعوتهم) أي دعوت من عينه أولا ولم يقل دعوتهما لان قوله فلانا فلانا مختصر كناية
عمن عينه من القوم أو لان الاثنين جمع على قول (ولم أدع) أي لم أترك (احدا) أي دعوته (لقيته
الا دعوته) كما أمرني به (وذكر) أنس (انهم) أي من دعاهم (كانوا زهاء) أي مقدار (ثلاثمائة) رجل
فاجتمعوا اثمة (حتى ملأوا الصفة) وهي موضع مظلل قدام البيت أو دكة عليه فيه وليس المراد صفة
المسجد المعهودة (والحجرة) وهي البيت الصغير المفرز من الدار (فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم)
بعد اجتماعهم (تحلقوا) تفعل أي استديروا حول الطعام كالحلقة طائفة بعد طائفة من غير ازدحام
(عشرة عشرة) يسعهم مكان الطعام (ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) الموضوع
وهو الطعام الذي جاء (فدعا فيه) بالبركة (وقال ماشاء الله ان يقول) أي ما أراد الله من دعائه الذي
علمه وأبهمه لانه أسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار التي خصه الله تعالى بها (فاكلوا حتى شبعوا كلهم
فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لي) أي لانس (ارفع) التور بما فيه (فما أدرى حين وضع) عنده
قبل الاكل منه (كان) الطعام (أكثر أم حين رفع) بالبناء للمجهول وفي بعض النسخ وضعت ورفعت
واعلم ان هذا الحديث ذكره بعينه عن أنس قبل هذا فاعادته هنا تقتضي ان القصة صح تكررها وانه
وقع مرة في تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بزينب بنت جحش وأخرى حين تزوج صفية وقد
استشكله المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم فقال ما وقع في الحديث من ان تكثير الطعام كان في
وليمة زينب يخالف الروايات المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز واللحم ولم يذكر فيها تكثير الطعام
وانما فيه انهم شبعوا من الخبز واللحم ففيه وهم من الراوي ادخل فيه قصة في قصة فان التكثير في
قصة صفية لا في وليمة زينب التي نزلت فيها آية الحجاب وتعقبه القرطبي بانه لا وهم فيه وانه لا مانع من
الجمع بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم أكلوا وذهب منهم جمع وبقي آخرون يتحدثون
فجاء أنس بالحيس ودعا الناس كما ذكره المصنف رحمه الله هنا وقال ابن حجر أيضا لا وجه لانكاره
تكثير الطعام في حديث الخبز واللحم فان أنسا قال انه أولم بشاة أشبعت الناس وما قدرها حتى
تشبعهم وهم نحو الالف فالظاهر ان المصنف رحمه الله تعالى رأى هنا تعدد القصة ولذا صرح
بزينب أولا ولم يسمها اشارة الى انها صفية الا ان فيه توقفا عندي من جهة أخرى فان وليمة
صفية كانت في السفر وذكر الصفة والحجرة ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لا أم سليم وما قيل من ان أم سليم أهدته له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قدومه
المدينة فرحا بتزوجه لا يخفى ما فيه من البعد وبعد كل كلام فكلام المصنف رحمه الله تعالى فيه

فقال ضعه وأدع لي فلانا وفلانا) أي كأبي بكر وعمر خصوصا (ومن لقيت) أي من غيرهما عموما (فدعوتهم) أي المعينين جميعهم (ولم ادع) بفتح الدال أي ولم اترك (احدا لقيته) أي في طريقي ذاهبا وآيبا (الا دعوته وذكر) أي أنس (انهم) أي المدعوين والمجتمعين لا كما قال الدلجي أي الذين دعاهم (كانوا زهاء ثلثمائة) أي مقدارهم تقريبا (حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا) بفتح اللام المشددة أي استديروا كالحلقة المفرغة (عشرة عشرة) أي كل عشرة حلقة أو كل حلقة عشرة (ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) أي المسمى بالحيس الذي صنعته أم سليم وجاء به أنس اليه عليه الصلاة والسلام (فدعا فيه) أي بما شاء الله من الدعاء (وقال ماشاء الله ان يقول) أي من أصناف الاسماء وأنواع الثناء (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع) فرفعته (فما أدرى
حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت) بصيغة المجهول فيهما ولا يبعد ان يضبط بصيغة المتكلم المعلوم وتأنيث اضطراب
الضمير مع انه راجع الى التور باعتبار الآنية ووقع في أصل الدلجي وضع ورفع بصيغة التذكير فيتعين كونهما للمفعول كما لا يخفى

(وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة) أي التي أولها فصل نبع الماء من بين أصابعه (في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل) وفي نسخة حديث الفصل هذا ووقع في أصل الدلجي حديث هذه الفصول (بضعة عشر) بكسر الباء وتفتح أي ثلاثة عشر أو أكثر (من الصحابة) واما قول الجوهري تقول بضع سنين و بضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لا تقول بضع وعشرون فهو منقوض بقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ ببضع وعشرين درجة ولقوله في حديث مسلم وغيره الايمان بضع وسبعون شعبة (رواه عنهم) أي روى معنى حديث هذا الفصل أو هذه الفصول

عمن ذكر من الصحابة (اضعافهم من التابعين ثم) أي بعدهم رواه عن اضعافهم منهم (من لا يعد) بصيغة المجهول أي لا يحصر وفي نسخة لا ينعد (بعدهم) أي من تابعيهم (وأكثرها) أي وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة (وردت في قصص مشهورة) بكسر القاف أي حكايات مأثورة (ومجامع مشهودة) أي محضورة بما تقدم فيها (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) أي على وفق الصدق حذرا من التكذيب في رواية منها (ولا يسكت الحاضر لها) أي المشاهد لها (على ما أنكر منها) حذرا من ان ينسب اليه ما لا يليق بجنابه

* (فصل) *

(في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي المصنف (حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون) بفتح فسكون فضم موحدة وهو منصرف وقد يمنع بناء على ان مطلق المزيدتين علة عدم الانصراف (الشيخ الصالح فيما أجازنيه) هذه لغة حكاها ابن فارس والمعروف أجازه لي ذكره الحلبي وغيره (عن أبي عمر) وفي نسخة أبي عمرو بالواو (الطلمنكي) بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة (عن أبي بكر بن المهندس) بكسر الدال (عن أبي القاسم البغوي) بفتحتين وهو الحافظ الكبير المسند البغوي الاصل البغدادي ابن بنت أحمد بن منيع البغوي روى عن أحمد بن حنبل عاش مائة وثلاث سنين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان وقال في آخرها وهذا الشيخ الحجازي يعني به أبا العباس أحمد بن الشحنة راوي صحيح البخاري وغيره بينه وبين البغوي أربعة أنفس وهذا شيء لا نظير له في الاعصار وذلك ان الحجازي توفي سنة

اضطراب يحتاج للتحرير (وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة) أي نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته (في الصحيح) من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله أكثر اشارة لضعف بعضها (وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة) يعني توافقوا على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحدة على حدة وتقدم ان البضع بكسر الباء من الثلاثة الى التسعة مع اختلاف في استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده في الحديث وقوله ببضع وعشرين درجة في فضل الصلاة وتفصيله مشهور (رواه عنه اضعافهم من التابعين ثم) رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين (من لا يعد بعدهم) بصيغة المجهول وفي بعض النسخ من لا ينعد بالنون (وأكثرها) أي أكثر أحاديث الفصول الثلاثة (في قصص مشهورة) بحسب الرواية (ومجامع مشهودة) جمع مجمع وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال الفرزدق * اذا جمعتنا يا جرير المحافل * والمشهد من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس وتورية بديعية وما يقع بين كثير من الناس لا يمكن ان يكون غير واقع أو منتقل (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) أي لا ينقل عن مثلها الا الامور الصادقة المحققة (ولا يمكن ان) (يسكت الحاضر) في مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن الحاضر معنى السامع فعداه باللام في قوله (لها على ما أنكره) منها مما خالف الواقع

* (فصل في كلام الشجر) * الآتي بيانه والشجر ما قام على ساق واحده شجرة وما عداه نبات وقد يطلق على بعض النبات شجر كاليقطين والحنطة والكلام ما يتلفظ به اسم ويجيء بمعنى التكليم وتكليمه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يخلق الله تعالى فيه نطقا ولما كان هذا أمرا خارقا للعادة لم يقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل (وشهادتها له بالنبوة) من عطف الخاص على العام (واجابتها دعوته) أي طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم منها ان تجيء نحوه كما سيأتي بيانه منها حديث رواه البيهقي والبزار والدارمي مسندا عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله (حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير في لسان أهل المغرب (الشيخ الصالح فيما أجازنيه) عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس في المجمل ويتعدى باللام والباء والاجازة الاذن في الرواية عنه والكلام على أنواعها ولغتها مفصل في ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا (عن أبي عمرو الطلمنكي) بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (عن أبي بكر بن المهندس) المعروف بابن أبي طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاي وهو معرب وليس في لغة العرب دال بعدها زاي والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفي العرف العارف باحوال البناء (عن أبي القاسم البغوي) نسبة الى بغ ويقال بغا وهي قرية بين مرو وهراة وأصلها بغشور فخفف

ثلاث وسبعمائة فيكون بين وفاته ووفاة البغوي أربعمائة سنة وبضع عشرة (حدثنا أحمد بن عمران الاخنسي) بفتح الهمزة وسكون المعجمة روى عنه ابن أبي الدنيا وغيره (حدثنا أبو حيان) بتشديد التحتية (التيمي) وفيه ان الاخنسي لم يدركه على ما صرح به المزي ولعله أسقط محمد بن فضيل ويؤيده ما وجد في نسخة صحيحة قبله حدثنا محمد بن فضيل ويؤيده ما سيأتي مما ساق المصنف في أول فصل في الآيات في ضروب الحيوانات حديثا في اسناده حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل الخ والله تعالى أعلم (وكان) أي أبو حيان (صدوقا) وقد روى عن أبي زرعة والشعبي وعنه يحيى القطان وأبو اسامة أخرج له الائمة الستة (عن مجاهد) تابعي جليل (عن ابن عمر) وقد رواه الدارمي والبيهقي والبزار أيضا عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فدنا) أي قرب (منه اعرابي) أي بدوي (فقال يا اعرابي أين تريد قال أهلي) أي أريد أهلي أو أهلي أريدهم وفي نسخة الى أهلي أي مرادي التوجه اليهم (قال هل لك) أي ميل ورغبة (الى خير) أي من أهلك أو خير محض لك في حالك ومآلك (قال وما هو) أي ذلك الامر أو الخير (قال تشهد) أي ان تشهد أي شهادتك أو خبر معناه أمر أي اشهد (ان) مخففة من المثقلة حذف اسمها أي انه (لا اله) موجود أو معبود أو مشهود (الا الله وحده) حال مؤكدة أي متوحدا ومنفردا (لا شريك له) أي في وحدانية ذاته وسبحانية صفاته (وان محمدا عبده ورسوله) الى كافة مخلوقاته (قال من يشهد لك على ما تقول) أي من دعوى التوحيد صلى والرسالة (قال هذه الشجرة السمرة) بفتح فضم وهي بدل مما قبلها فانها من الطلح شجر عظام من العضاة له شوك كثير وظل يسير قالوا وهو شجر الصمغ العربي (وهي بشاطئ الوادي) أي طرفه وجانبه (فاقبلت) أي بمجرد قوله عليه الصلاة والسلام هذه الشجرة تشهد على حقية الاسلام وفي نسخة صحيحة فادعها فانها تجيبك وفي أخرى تجبك قال أي الاعرابي فدعوتها فاقبلت وهذا أبلغ في قبول الاجابة والمعنى فشرعت الشجرة في الاتيان اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (تخد الارض) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ومنه الاخدود وهو الشق في الارض أي حال كونها تشق الارض وتسعى اليه على ساق بلا قدم (حتى قامت) أي وقفت كما في نسخة (بين يديه

وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادي ابن بنت أحمد بن منيع وليس هو البغوي المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيي السنة ومولده ذا في رمضان سنة أربع عشر ومائتين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وترجمته في الميزان قال (حدثنا أحمد بن عمران الاخنسي) بياء النسبة لاخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل انه الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك في بعض النسخ وقيل هما واحد وقيل اسمه محمد وتوفي في حدود الثلاثين ومائتين وكان ببغداد وفيه كلام قال (حدثنا أبو حيان التيمي) بحاء مهملة مفتوحة ومثناة تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة أخرج له الستة وتوفي في سنة خمس وأربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وأبي حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سيأتي في كلام المصنف في بعض النسخ وتردد في تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب (وكان صدوقا) وثقة ردا على بعض من طعن فيه (عن مجاهد) تقدمت ترجمته (عن ابن عمر) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنهما (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر فدنا منه) أي قرب منه من الدنو (اعرابي) نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفي النسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده كلام مشهور (فقال) له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يا اعرابي أين تريد) أي تقصد بسيرك وسفرك هذا (قال الى أهلي) أي أريد مكانا فيه أهلي ولم يعينه لانهم نزالة رحالة وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم سؤاله تأنيسا له وازالة لما في نفسه من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن رآه وتوطئة لقوله (قال هل لك الى خير) أي هل تنقاد وتذعن لخير مما أنت فيه (قال وما هو) أي الخير الذي دعوتني اليه (قال تشهدان) مخففة من الثقيلة (لا اله الا الله وحده) حال لازمة أي متوحدا منزها عما يشاركه في ذاته وصفاته وفي كونه معبودا بحق وقوله (لا شريك له) تأكيد لوحدانيته بعد تأكيد (وان محمدا عبده ورسوله) قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطراء في مدحه (قال) الاعرابي (من يشهد لك على ما تقول) من دعوى الرسالة (قال هذه السمرة) بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة وهي شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح وأشار اليها لقربها منه وفي نسخة بعد ما تقدم فادعها فانها ستجيبك قال فدعوتها (وهي) أي السمرة (بشاطئ الوادي) بشين معجمة وألف وطاء مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف والوادي الارض الواسعة المستوية من ودى بمعنى سال لما فيها من المياه السائلة (فاقبلت) الفاء فصيحة أي فدعاها لتشهد له فاقبلت (تخد الارض) بمثناة فوقية وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة أي تشقها ومنه الاخدود وشقها التسعي بعروقها التي في جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك (حتى وقفت بين يديه)

صـلى الله تعالى عليه وسـلم بان قامت محاذية له قريبا منه (فاستشهدها ثلاثا) أى قال لها ثـلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة تخد الارض حالية أو مستأنفة وانما كرر استشهادها تأكيدا لتقرر ذلك فى قلب الاعرابى (فشهدت) له بأنه رسول الله حقا أرسله الله الذى لاشريك له ولم يبين ما نطقت به لانه معلوم من السياق (ثم رجعت الى مكانها) الذى كانت فيه وفى هذه القصة معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله فى الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية يجىء بها ويذهب وقد وقعت على سبيل التحدى فهذه المعجزة منطبق على كل واحدة منها (و) فى حديث رواه البزار مسندا (عن بريدة) بضم الموحدة وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصدر البردة المعروفة وهو أبو عبد الله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابى أسلم قبل بدر وشهد الحديبية ومات بمرو وخراسان غازيا فى أيام معاوية أو يزيد سنة اثنين أو ثلاث وستين من هجرته صلى الله عليه وسلم (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) أى علامة ومعجزة تدل على أنه رسول الله حتى يؤمن به (فقال له قل لتلك الشجرة) مشيرا لسمرة كانت ثمة وهى تلك السمرة المذكورة فى الحديث الذى قبله أو غيرها (رسول الله يدعوك) بكسر الكاف أى يطلب منك المجىء اليه والحركة نحوه (قال) أى بريدة فدعاها (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) أى مالت ميلا شديدا وتحركت فى جهاتها الاربع حتى تخلص عروقها من الارض وتمكنها الحركة نحوه صلى الله تعالى عليه وسلم (فتقطعت عروقها) المتمكنة فى مغرسها وهو اما على ظاهره أو المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله (ثم جاءت تخد الارض) وتشقها (تجر عروقها) من خلفها وهذا يدل على انها لم تقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة أخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التى هى سبب حياتها والجملتان حالان مترادفتان أو متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها (مغبرة) أى مسرعة فى مشيها قال الله تعالى (فالمغيرات صبحا) ومنه المغارة على العدو وهو منصوب على الحال أيضا ومغيرة اسم فاعل من الغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة وقيل انه بباء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة مخففة وقيل الغين ساكنة والباء مفتوحة مخففة والراء مفتوحة مشددة من الغار وهو حال من الفاعل المستتر أو من العروق ولكل منها مذهب بعض (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قريبا منه مواجهة له (فقالت السلام عليك يارسول الله) وفيه شهادة برسالته وتوقيره ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام انما شرع تحية موجبة للرد فى حق البشر لانه أمان وليست من أهله فما قيل من أنه صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافأة لها لا وجوبا اذ ليست مكافأة أمر محتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعاء بالسلامة وقيل انه هنا اسم الله أى الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله (قال الاعرابى مرها) بضم الميم أمر أصله أو مرها مخفف (فلترجع الى منبتها) تفسير للامر ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها فأمرها (فرجعت) لمحلها (فدلت عروقها) أى أدخلتها فى الارض أصلها (فاستوت) أى انتصبت قائمة من غير

فاستشهدها ثلاثا) أى طلب منها ان تشهد له ثلاث مرات (فشهدت) أى ثلاثا (انه) أى الامر (كما قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام ان الله واحد لاشريك له وانه عبد الله ورسوله (ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة) بالتصغير وهو ابن الحصيب بن عبد الله الاسلمى أسلم حين مر به عليه الصلاة والسلام مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق وشهد الحديبية ومات بمدينة مرو بخراسان غازيا وأما بريدة ابن سفيان الاسلمى فلا صحبة له وان ذكره بعضهم فى الصحابة بل هو تابعى متكلم فيه كما رواه البزار عنه انه قال (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) أى علامة تكون معجزة دالة على صدق الرسالة (فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال) أى بريدة (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) أى من جهاتها كلها واضطربت فى مكانها وارتفعت فى شأنها متوجهة بجميع دواعيها الى داعيها (فقطعت عروقها) أى المتعلقة بأصولها (ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها) حالان متداخلان أو مترادفان (مغبرة) بتشديد الراء والباء (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله) قال الدلجى لعله صلى الله تعالى عليه وسلم رد عليها السلام مكافأة لها لا وجوبا اذ ليست مكافأة انتهى وتعليله غير مستقيم كما لا يخفى (قال) وفى نسخة فقال (الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها) بكسر الموحدة سماعا وتفتح قياسا (فرجعت) أى بعد أمرها لها (فدلت عروقها) بتشديد اللام أى أرسلتها ومكنتها (فى ذلك) أى المكان قال التلمسانى الموضع ساقط عند العزفى وثبت عند غيره (فاستوت) أى قائمة

ميـلـ بها (فقال الاعرابى) لما رأى هـذه المعجزة وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (ائذن لى) أمر من الاذن بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية ويجوز ابدالها ياء (أسجد لك) مجزوم فى جواب الامر أو جواب شرط مقدر أى ان تأذن لى فى السجود أسجد لك فأبى صلى الله عليه وسلم ذلك و (قال) له (لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد) أى لو جاز لى أمر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) لوجوب طاعته عليها ولما له عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع والسجود والركوع لا يجوز لغير الله تعالى فى ملتنا وقد قيل انه كان جائزا فى الشرائع التى قبل شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة ولذا قال الله تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا اذا كان الضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام ولذلك جاز سجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام ثم نسخ هذا فى شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابى الاذن فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام بذلك فنهاه عنه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهينا عنه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة (قال) الاعرابى لما نهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن السجود (فأذن لى أقبل) مجزوم فى جواب الامر (يديك ورجليك) تعظيما لك (فأذن له) فى تقبيل يديه ورجليه فقبلهما وفيه دليل على جواز تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان لزهده وصلاحه أو علمه وشرفه وليس بمكروه بل يستحب اذا كان تعظيمه لامر دينى كما قاله النووى فى الاذكار فان كان لامر دنيوى فهو مكروه وقد وردت فى أحاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا رد على المتولى من أئمة الشافعية حيث أطلق القول بعدم جوازه (وفى الصحيح) أى الحديث الصحيح أو المراد به صحيح مسلم لانه روى هذا الحديث مسندا فيه (فى حديث جابر بن عبد الله الطويل) بالجر صفة الحديث ووصفه به لتوجيه عدم ايراده بتمامه هنا (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الى الصحراء (يقضى حاجته) لانه لم يكن فى بيته خلاء وهكذا سائر بيوتهم وهو كناية عن التغوط أى ذهب لاجل ذلك (فلم ير شيأ يستتر به) أى حائلا بينه وبين رؤية عورته بعد كشفها (فاذا بشجرتين) اذا الفجائية والباء زائدة أى فاجاه بغتة من غير ترقب منه أى فاذا هو فالمبتدأ مقدر هنا (فى شاطئ الوادى) بالهمزة أى طرفه وجانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى احداهما) أى توجه الى احدى الشجرتين حتى قرب منها (فأخذ بغصن من أغصانها) أى أمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (فقال) للشجرة (انقادى على) أى طاوعينى وميلى على لتكون ساترة له عن الاعين (باذن الله) أى بتيسيره وتسهيله وارادته لا بقوة جذبى واذن الله يتجوز به تجوزا مشهورا (فانقادت معه) أى طاوعته ومالت حتى سترته كما أراد وانما أمسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما فى الحديث الذى قبله لان ذلك كان لاظهار المعجزة حتى يسلم الاعرابى وهنا لم يقصد ذلك (كالبعير المخشوش) أى كما ينقاد البعير المخشوش لمن يقوده بسهولة وهو اسم مفعول بخاء وشينين معجمتين وهو الذى يوضع فى أنفه خشاش بكسر الخاء والبعير الذى يعسر قوده يخرق أنفه ويوضع فيه شئ يذلل به فان كان عودا من خشب فهو خشاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما قاله الخطابى وبهذا علمت موقع قوله المخشوش هنا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزوم وهى نكتة سرية لم ينبهوا عليها والتشبيه فى السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع فى كلامهم كعكسه فى قوله فى الابل

لمن شجر قد أثقلتها ثمارها * سفائن بر والسراب بحارها

والخشاش

(فقال الاعرابى ائذن لى) همزة الاصل بالياء أى مرنى (أسجد لك) جواب الامر وفى نسخة صحيحة أن أسجد لك (قال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد) أى غير الله سبحانه وتعالى (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) أى لما عليها من حقوقه (قال فأذن لى) وفى نسخة فقال ائذن لى (أقبل) وفى نسخة أن أقبل (يديك ورجليك فأذن له) أى فقبلهما (وفى الصحيح) أى صحيح مسلم (فى حديث جابر بن عبد الله) أى الانصارى كما فى نسخة وهما صحابيان جليلان (الطويل) نعت الحديث (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته) كناية عن فعل الغائط أو البول (فلم ير شيأ يستتر به) أى من عيون الانس والجن فتحير فى أمره (فاذا بشجرتين) أى ثابتتين أو نابتتين (بشاطئ الوادى) أى فى جانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ذهب (الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال) أى لها كما فى نسخة (انقادى على) أى استسلمى لى وأطيعينى (باذن الله) أى بأمره وتيسيره (فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى

والخشاش مأخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله في الانف وقوله (الذى يصانع قائده) صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة الانقياد مستعار من المصانعة وهى المداراة والاعطاء ولذا قيل للرشوة مصانعة كما قاله الراغب (وذكر) أى جابر رضى الله تعالى عنه فى حديثه هذا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) أى بالشجرة الاخرى التى كانت بالوادى (مثل ذلك) أى مثل ما فعل بالاولى بان أمسك غصنا منها حين انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة (حتى اذا كان) صلى الله تعالى عليه وسلم أى حل ووجد (بالمنصف) بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة أى حل فى وسط المكان (بينهما) أى بين الشجرتين وهذا أستراه (قال التئما) بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة أى انضما واجتمعا (على باذن الله فالتأمتا) بتيسيره وارادته والالتئام الاجتماع ومنه التئام الجرح والاستتار من رؤية العورة واجب اذا كان عند من لا يغض بصره ممن يحرم نظره اليها وهذا لا ينافى كون هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم فان اللازم التستر باى وجه كان (وفى رواية أخرى) لحديث جابر رضى الله تعالى عنه من غير طريق مسلم (فقال) صلى الله عليه وسلم (يا جابر قل لهذه الشجرة) التى بشاطئ الوادى (يقول لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحقى بصاحبتك) أى تحركى واذهبى حتى تكونى مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة لكونهما فى واد واحد أو باعتبار ما يؤول بعد اللحوق والانضمام (حتى اجلس) لقضاء الحاجة مستترا (خلفكما فزحفت) بزاى معجمة وحاء مهملة وفاء وفى نسخة فرجعت براء وعين مهملتين بينهما جيم (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) أى بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضى الله تعالى عنه (فخرجت أحضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة والراء المهملة أى أسرع فى العدو من الحضر بالضم والسكون قال الجوهرى الحضر بالضم العدو يقال أحضر الفرس احضارا واحتضر اذا عدا انتهى فهو مضارع المزيد للمتكلم كأكرم يكرم (وجلست أحدث نفسى) حديث النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمعجزة الشريفة التى شاهدها رضى الله تعالى عنه من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما أسرع وعدا لما كان يعلمه منه من المبالغة فى التستر والابعاد عن الناس اذا قضى حاجته لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته الى المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تأدب ولم يمش على تؤدته حتى يقف صلى الله تعالى عليه وسلم منتظرا لبعده عنه (فالتفت) أى حولت وجهى وأنا جالس الى جانبه لانظر ما حدث بعد الحدث (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا) اذا فجائية أى فاجأنى بغتة بعد التفاتى فابصرته ومقبلا اسم فاعل من الاقبال مرفوع خبر رسول وفى نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر أى جاء مقبلا والجملة خبر المبتدأ أو الحال مؤكدة كولى مدبرا (والشجرتان قد افترقتا) وعادت كل واحدة منهما لمحلها وهى جملة اسمية حال من الضمير المستتر فى قوله

الذى يصانع قائده) أى يلاينه ويتذلل له وهو بالحاء والشين المعجمات الذى جعل فى انفه خشاش وهو بالكسر عود يربط عليه حبل ويجعل فى أنفه ويشد به الزمام لينقاد بسهولة ثم ان كان من شعر فهو خزامة أو من صفر أو حديد فهو برة بضم موحدة فتخفيف راء (وذكر) أى جابر (انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) أى من الشجرتين (كذلك) أى مثل ما فعل بالاولى (حتى اذا كان بالمنصف) بفتح الميم واسكان النون وفتح الصاد وتكسر أى وسط الطريق (بينهما) أى بين موضعيهما وهو بيان أو تأكيد (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للشجرتين (التئما) أى اجتمعا وانضما (على باذن الله فالتأمتا وفى رواية أخرى) أى لمسلم وغيره (فقال يا جابر قل لهذه الشجرة) أى التى بشاطئ الوادى (يقول لك رسول الله الحقى) بفتح الحاء أى اجتمعى واتصلى (بصاحبتك) أى بنظيرتك وهى الشجرة التى فى مقابلتك (حتى أجلس خلفكما) أى فاقضى حاجتى مستترا بكما وفى أصل الدلجى حتى يجلس بناء على المعنى (ففعلت فرجعت) أى الشجرة عن حالتها التى كانت عليها وفى نسخة فزحفت بالزاى والحاء المهملة والفاء أى انتقلت من محلها (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) الظاهران القضية متكررة وان الشجرة الواحدة ما كانت تصلح ان تكون سترة (فخرجت أحضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة أى أعدو وأجرى انما فعل ذلك رضى الله تعالى عنه لئلا يحس به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قريب منه فيتأذى بقربه (وجلست أحدث نفسى) أى بهذا الامر الغريب والحال العجيب (فالتفت) أى فنظرت الى أحد طرفى (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فاجأنه بغتة فابصرته (مقبلا والشجرتان قد افترقتا) أى من محل اجتماعهما وانتقلتا الى موضعهما

(فقامت كل واحدة منهما على ساق) أي في منبتها (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) أي خفيفة (فقال برأسه)
أي فاوماله أي فاومأ به الى الشجرتين (هكذا يمينا وشمالا) تفصيل لما قبله اجمالا ولعله كان وداعا للشجرتين أو لمن هنالك من الملائكة
واما قول الدلجي وقد تبعه التلمساني اذنا منه لهما بالرجوع الى مكانهما فيأباه الفاء كما لا يخفى على أهل الوفاء (و روى اسامة بن زيد
نحوه) أي كما رواه البيهقي وأبو يعلى بسند حسن عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه) أي غزواته (هل
تعني) بالفوقية أي تقصد وتعين ٥٠ (مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لقضاء حاجته فيه وتصحف

الدلجي وضبط لفظ تعني بالتحتية وتكلف بقوله هل استفهام اكتفى به عن المستفهم عنه استهجانا للتصريح باسمه ومن ثمه بينه الراوي بقوله يعني مكانا لحاجته نعم هذا انما يصح بناء على نسخة هل ترى يعني مكانا الخ وقد تبعه التلمساني فقال أي ترى أو تجد وهو اما حذفه للعلم به وأما حذفه الراوي لانه لم يسمعه أو لم يفهمه أو لم يجده في أصله انتهى وكله تكلف وتعسف مستغنى عنه (فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس) أي ليس فيه مكان مستقر بهم بل كله خال عنهم فما التفت الى كلامه حيث لم يكن على وفق مرامه (فقال هل ترى من نخل أو حجارة) أي ولو في بعد وأغرب التلمساني في قوله ان بالناس معمول ان أي غاص أو ملآن أو عام أو
كائن وكائن بعيد هنا ثم قال موضع يستتر فيه أو يقضي الحاجة وحذف للعلم به (قلت أرى نخلات) بفتح الخاء أي
(متقاربات) بكسر الراء وتفتح وفي أصل التلمساني مقاربات (قال انطلق وقل لهن رسول الله) وفي نسخة ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يامركن ان تأتين لمخرج رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لمستره بكن (وقل للحجارة) أي لجنسها من الحجارات
هنالك (مثل ذلك) أي كما قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه (فقلت لهن ذلك فوالذي بعثه بالحق) فيه تلويح الى جواز القسم بالامر
العظيم ذكره الدلجي والصواب انه قسم بفعل الله الكريم (لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة) أي ورأيت
الحجارة (يتعاقدن حتى صرن ركاما) بضم الراء أي متراكمة بعضها فوق بعض

مقبل (فقامت كل واحدة منهما على ساق) منتصبة في منبتها مفارقة لصاحبتها والساق حقيقة
فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له فهو نجم ونبت فاذا ظهر على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى
الارض فهو كلأ كما فصله أهل اللغة (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) يسيرة ينتظر
لما أكرمه الله تعالى به من مشي الشجر لاجله (فقال برأسه) أي حركه (هكذا) وفسره بقوله (يمينا
وشمالا) منصوبان على الظرفية أي في جانب اليمين والشمال وقال هنا بمعنى مال أي ميل رأسه
الشريف في الجهتين قال في القاموس قال ابن الانباري يجيء قال لمعان تقول قال فاكل وقال فضرب
وقال فتكلم ومال وأقبل الى آخر ما فصله وقيل قال هنا مجاز عن الاشارة لاشتراكهما في الافهام وقيل
انه اذن لهما في الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر (وروى
اسامة بن زيد) في حديث أخرجه البيهقي في الدلائل وأبو يعلى بسند حسن عنه (نحوه) أي بمعنى
الحديث الذي قبله (قال) اسامة (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه) جمع مغزاة
بمعنى الغزاة أو محلها كما مر (هل) استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به أو استهجان ذكره أو لانه لم يسمعه
أو لم يفهمه أو لم يجده في أصله أي هل ترى مكانا لائقا بقضاء الحاجة واليه أشار بقوله (تعني مكانا لحاجة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحاجة هنا كناية عن البول والغائط (فقلت ان الوادي ما فيه
موضع بالناس) الباء سببية وما نافية أي ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه فهو مملوء بهم (فقال
هل ترى من نخل أو حجارة) مرتفعة يمكن ان يستتر بها كالنخل يقضي الحاجة خلفه ويكون فيه سترة
ومن زائدة بعد الاستفهام (قلت أرى نخلات) جمع نخلة (متقاربات) أي قرب بعضها من بعض وهو
مناسب للسترة بها للجلوس بينها وروي متكاربات بالكاف وهو لغة بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا
كثيرا وقرئ في الشواذ فلا تكهر في لا تقهر وأرى بصرية وكونها علمية بعيد فهي صفة نخلات منصوبة
(قال انطلق وقل لهن) أي للنخلات (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن ان تأتين) أي
تجتمعن وتتزايد قربكن ليكون أستر له (لمخرج رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم أي لمكان خرج
اليه لقضاء حاجته فيه (وقل للحجارة مثل ذلك) أي مثل قولك للنخلات من أمره صلى الله تعالى عليه
وسلم لهن ان تأتين لمخرجه وفي كلام اسامة لم يأمر الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخيل
أو لانها لم تكن مرفوعة حتى تعد ساترة (فقلت ذلك لهن) الفاء فصيحة أي فذهبت فقلت
ما أمرني به لهن (فوالذي بعثه بالحق) قسم أي بالدين الحق (لقد رأيت النخلات يتقاربن) أي
يدنو بعضها من بعض (حتى اجتمعن) في مكان واحد (والحجارة) بالنصب (يتعاقدن) أي ينضم
بعضها الى بعض حتى يصرن كالبنيان المعقود بعضه ببعض (حتى صرن ركاما) بضم الراء المهملة

(خلفهن) أي وراء النخلات (فلما قضى حاجته قال لي قل لهن) أي لمجموع النخلات والحجارات (يفترقن) أي ليفترقن أو مجزوم على جواب الامر مبالغة في تأثيره لهن نحو قوله تعالى قل للذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية ثم قال جابر (والذي نفسي بيده) وغاير بين القسمين تفننا (لرأيتهن) أي النخلات والحجارة (يفترقن) أي بجميع أفرادهن (حتى عدن) بضم العين أي صرن على حالهن ورجعن (الى مواضعهن وقال يعلى ابن سيابة) بسين مهملة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين فالف فموحدة أمه وأبوه مرة وله صحبة أيضا حضر الحديبية وخيبر والفتح والطائف وفي تجريد الذهبي أن يعلى بن مرة بن وهب الثقفي بايع تحت الشجرة وله دار بالبصرة ولم يتعرض لكونه ابن سيابة وقد ذكره في التهذيب فجعلهما واحدا

وكذا المزي جعلهما واحدا ثم قال وزعم أبو حاتم انهما اثنان انتهى وسيأتي قريبا في كلام المصنف ما يؤيد الاول وقد روى حديثه هذا أحمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح عنه انه قال (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير) أي سير سفر (وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر) يعلى (فأمر) أي المصطفى (وديتين) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية أي نخلتين صغيرتين وضبطهما الشمني بفتح الواو فسكون الدال بتخفيف الياء (فانضمتا) أي اجتمعتا وفي أصل الحجازي فانضما قال وصححه المزي بالتأنيث وكذا رأيته في النسخ المصححة (وفي رواية اشاءتين) بفتح الهمزة والشين المعجمة الممدودة

بمعنى وديتين وضبط في نسخة بكسر الهمزة وهو سبق قلم مخالف لما في كتب اللغة (وعن غيلان بن سلمة الثقفي) بفتحتين نسبة الى قبيلة ثقيف وغيلان هذا بفتح الغين المعجمة أسلم بعد الطائف وله عشر نسوة فأمره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمسك أربعا ويفارق سائرهن فذهب فقهاء الحجاز الى انه يختار أربعا كما شاء وفقهاء العراق الى ان يمسك الاربع التي تزوجها أولا وهو ممن وفد على كسرى وخبره معه عجيب قال له كسرى ذات يوم أي ولدك أحب اليك فقال له غيلان الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال له كسرى زه مالك ولهذا الكلام هذا من كلام الحكماء وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر وكان شاعرا توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (مثله) أي نحو ما سبق مروي غيره (في شجرتين) أي من اجتماعهما وافتراقهما

أي بعضها فوق بعض (خلفهن) متعلق بركاما والضمير للنخلات يعني ان الحجارة اجتمعت مع النخل وفي نسخة فاستتر خلفهن فالضمير للنخلات والحجارة (فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن) أي يرجع كل نخلة وحجر الى موضعه الذي كان فيه أولا (فوالذي نفسي بيده) أي الله الذي روحي في قبضة تصرفه وارادته ان شاء أبقاها وان شاء أماتها والنفس لها معان مشهورة منها الروح وغاير بين القسمين تفننا مع مناسبة الاولى للمقسم عليه من ان له دينا حقا وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة الثاني لحاله من ان من آمن بالله وخشيه لا يتكلم الا بالحق لا سيما فيما ذكر (لرأيتهن والحجارة) بالنصب عطف على الضمير وهو مفعول معه والضمير للنخلات واللام في جواب القسم (يفترقن حتى عدن الى مواضعهن) وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم في سعي النخل والحجارة بأمره مرتين وخلق الله تعالى فيها قوة تسمع وتأتمر بأمره والحديث طويل وفيه معجزات أخر من اتيان امرأة له صلى الله تعالى عليه وسلم بولد لها صغير كان يصرع فتفل في فيه فلم يعد له بعد ذلك وان أمه أتت له صلى الله تعالى عليه وسلم بشاة مشوية أهدتها له فقال لها ناوليني منها ذراعا فناولته ثم قال ذلك فناولته ثم قال فقالت انها ذراعين فقال لو سكت لم تزل تناوليني منها وكان ذلك في سفره للحج بمحل يقال له الروحاء (وقال يعلى ابن سيابة) في حديث صحيح رواه أحمد والبيهقي والطبراني ويعلى بزنة يرضى علم منقول من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية وألف وموحدة بعدها هاء اسم أمه فيرسم بالالف وأبوه مرة بن مرازم وقيل مرة بن وهب الثقفي وقيل انهما اثنان وهو صحابي بصري أو كوفي وترجمته مفصلة في الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من أهل الشجرة (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير) بفتح الميم مصدر ميمي أو اسم زمان أو مكان قيل والاول أولى (وذكر نحوا من هذين الحديثين) اللذين قبله في ذهابه لقضاء حاجته وأمره للشجرتين غير انه قال (وذكر فأمر وديتين) تثنية ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء وهي صغار النخل التي تخرج من أصول كبارها فتنقل وتغرس وتسمى فسيلا وفراخا (فانضمتا) أي انضمت احداهما للأخرى كالذي مر (وفي رواية اشاءتين) بفتح الهمزة وكسرها في بعض النسخ خطأ وشين معجمة وألف ممدودة وهمزة وتاء تأنيث مثنى اشاءة وهي من صغار النخل أيضا لكنها أكبر من الودية وهمزة الثانية منقلبة عن ياء وقيل أصلية (وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين) وغيلان بفتح الغين المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن

(وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثله في غزاة حنين) بفتح الغين أي غزوته (وعن يعلى بن مرة) وهو أبوه (وهو ابن سيابة) وهي أمه (أيضا) أي هما واحد لا اثنان كما توهم بعضهم (وذكر) أي يعلى (أشياء) أي من خوارق العادات (رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة) بالتنوين واحدة الطلح شجر عظيم من شجر العضاة وبه سمي طلحة (أو سمرة) تقدم انها بضم الميم وانها من شجر الطلح فأو شك من الراوي كذا قرره الشراح وأرادوا الشك في رواية المبنى مع اتحاد المعنى والاظهر ان السمرة نوع خاص من جنس شجر الطلح ويحتمل ان يكون أو بمعنى بل (جاءت) أي احداهما أو أخراهما (فاطاقت به) أي ألمت به وقاربته على ما في القاموس وفي أصل الدلجي فطافت به أي دارت حوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) أي الشجرة المذكورة (استاذنت) أي ربها (ان تسلم على) أي فاذن لها فجاءت وسلمت (وفي حديث عبد الله بن مسعود) أي عند الشيخين (آذنت) بهمزة ممدودة وفتح الذال والنون أي أعلمت (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن) أي باتيانهم اليه وحضورهم لديه (ليلة استمعوا له) أي اقراءته أول كلامه (شجرة) فاعل آذنت وهي سمرة على ما في بعض السنن قال الدلجي وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته انتهى وفيه انه ثبت تصريح بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم للقراءة عليهم وقد أخبر عم ببعض صورهم عما رآه لديهم نعم فيه ايماء باتيان الشجرة في حضورهم حال الابتداء (وعن مجاهد عن ابن مسعود) نقل الحافظ العلاء عن أبي زرعة انه مرسل ولا مضرة فانه عند الجمهور حجة (في هذا الحديث) أي المتقدم آنفا (ان الجن قالوا من يشهد لك) أي بانك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال هذه الشجرة) أي الحاضرة (تعالي يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء وقد تكسر لامه كما قرئ في تعالوا بالضم وأغرب التلمساني حيث جزم بان اللام مكسورة واقتصر عليها أي ارتفعي الى عن مقامك واطلبي من عندي مرامك

عوف بن ثقيف الصحابي الشاعر أسلم بعد الطائف وتوفي في آخر خلافة عمر وهو الذي أسلم على عشر نسوة وفي هذه الرواية لم تعين الشجرتان (وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين) اسم موضع معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة كما فصل في السير وضمير مثله راجع لما ذكر من أمر الشجرتين (وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا) اشارة الى ما مر من الاختلاف في اسم أبيه كما سمعته آنفا وان سيابة اسم أمه (وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ذكر ابن سيابة أمورا خارقة للعادة من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدها منه صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الغزوة (فذكر ان طلحة أو سمرة رضي الله تعالى عنهما) بفتح المهملة وضم الميم كما مر نوعان من شجر البرية ذات شوك تسمى العضاة وأو للشك من الراوي في تلك الشجرة (جاءت فطافت به) صلى الله تعالى عليه وسلم أي دارت حوله وفي بعض النسخ فاطافت بهمزة قبل الطاء المهملة وهو بمعناه يقال طاف وأطاف ويطوف واستطاف بكذا اذا ألم به ودار حوله وأما كونه من الطوف بمعنى الغائط ويقال منه أيضا طاف وأطاف اذا ذهب الى البراز ليتغوط وانه أسند الى الشجرة مجازا فتكلف لا حاجة اليه وليس في هذا التجوز معنى حسن يرتكب لاجله وان كان صحيحا بحسب اللغة ولا يناسب قوله بعده (ثم رجعت الى منبتها) أي موضعها الاول الذي نبتت فيه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) أي تلك الشجرة (استاذنت ان تسلم على) أي استأذنت ربها ويجوز ان يكون هذا مجازا والمعنى انها طلبت من الله تعالى ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال وهذا صريح في انه لم يكن للتغوط كما قيل (وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه) الذي رواه الشيخان مسندا (آذنت) بالمد بمعنى أعلمت وفاعله شجرة الآتي وقوله (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعوله و (بالجن) متعلق به أي بحضورهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم واستماعهم منه القرآن (ليلة استمعوا له) منصوب على الظرفية أي في الليلة التي استمعوا قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن (شجرة) وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم عيانا في هذه القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة وأعلمته بحضورهم واستماعهم وفي هذه القصة كلام سنفصله (وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث) الذي رواه الشيخان (ان الجن قالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اجتمعوا به (من يشهد لك) بانك رسول الله (قال هذه الشجرة) ثم دعاها للشهادة فقال (تعالي يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء التحتية وهو أمر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم

عم وصار بمعنى أقبل مطلقا وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم يرتضه الزمخشرى وقال انه قرئ به فى الشواذ وانه لغة وعليه قول أبى فراس وهو أسير بسمع تغريد حمامة شوقته لاوطانه * ومعاهد الفه واخوانه

أقول وقد ناحت بقربى حمامة * أيا جارتى هل بات حالك حالى
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى * ولا خطرت منك الهموم ببالى
أتحمل محزون الفؤاد قوادم * الى غصن نائى المسافة عالى
أيا جارتى ما أنصف الدهر بيننا * تعالى أقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة * تردد فى جسم يعذب بالى
أيضحك مأسور ويبكى طليقه * ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعى فى الحوادث غالى

(فجاءت) امتثالا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال تعالى (تجر عروقها) لانها لما خرجت من محلها أخرجت عروقها التى كانت فى داخل الارض فلما مشت انجرت خلفها (لها) أى لعروقها أو الشجرة نفسها (قعاقع) أى صوت قوى كصوت الرحا وهو جمع قعقعة وهى حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة وقيل يجوز أن يراد به صوت كلام جهورى لما اذ أنطقها الله تعالى أو الصوت من شق الارض كما أنها جاءت تخد الارض أو صوت اصطكاك أغصانها وقال الحافظ العراقى حديث مجاهد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرسل نقلا عن شيخه العلائى وابن الصلاح (وذكر) مجاهد (مثل الحديث الاول) أى ما يشابهه لفظا ومعنى (أو نحوه) أى قريبا منه وان لم يكن بينهما شبه تام ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى ما يقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا جمعا بينهما وقوله فى أول الحديث ان الشجرة أعلمته بالجن يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم وقوله بعد انهم قالوا له من يشهد لك يقتضى انه رآهم وخاطبهم ولا تناقض فيه لان القصة تعددت بتحقيقها كما فى كتاب آكام المرجان فى أحكام الجان انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أيس من ثقيف رجع من الطائف لمكة فقام بنخلة يصلى جوف الليل فمر به نفر من الجن جن نصيبين وسمعوا قراءته فآمنوا به وأتوا قومهم منذرين كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى آخره وفى هذا القصة كما فى الصحيح حين لم يقرأ عليهم ولا رآهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم وبين خبر السماء تفرقوا فى الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به صلى الله تعالى عليه وسلم نفر منهم من جانب تهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلى الفجر بأصحابه فلما سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا وأخبروا قومهم وأنزل الله عليه قل أوحى الى السورة كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما قال البيهقى وهذا كان فى أول أمره ولم يرهم وأتاه مرة أخرى داعى الجن فرآهم وقرأ عليهم كما رواه ابن مسعود وفى القصة الاولى لم يرهم وانما الذى أعلمه بهم الشجرة وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم سورة الرحمن فكانوا كلما قال فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وابن مسعود أعلم بقصة الجن من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل وقال السهيلى رحمه الله تعالى انهم كانوا يهود لقولهم من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف فى عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفى مسلم انه قيل لابن مسعود هل صحب أحد منكم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن قال لا وكنا فقدناه ليلة فالتمسناه فى الاودية فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا جاء من قبل حراء وقال أتانى الليلة داعى الجن فذهبت معه

(فجاءت تجر عروقها) أى من محل أصولها (لها) أى لعروقها (قعاقع) بفتح القاف الاولى وكسر الثانية جمع قعقعة وهى حكاية حركة شئ يسمع له صوت من سلاح ونحوه (وذكر) أى مجاهد أو ابن مسعود (مثل الحديث الاول) أى فى مبناه (أو نحوه) أى باعتبار معناه من اتيان الشجرة وبيان الشهادة ورجوعها الى مكانها الاول فتأمل

(قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (فهذا ابن عمر و بريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد) راعى الترتيب بينهم لا باعتبار مراتبهم بل على حسب رواياتهم لكن كان حقه على هذا ان يقدم اسامة و يعلى على ابن مسعود والا فهو أجل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة ثم قوله (وأنس بن ملك وعلى ابن أبي طالب وابن عباس) بناء على ما سيأتي عنهم قوله (وغيرهم) أي كالحسن وابن فورك وابن اسحق من الأئمة المذكورين هنا ومنهم عمر او عمرو على اختلاف فيهما (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) أي باعتبار مبناها أو معناها (و رواها عنهم من التابعين اضعافهم) أي في العدة لا في الرتبة (فصارت في انتشارها) أي فشو هذه القصة (من القوة حيث هي) أي على حالها الاول (وذكر ابن فورك) بضم الفاء يصرف و يمنع وهو الاظهر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار في غزوة الطائف) وهي كانت في السنة الثامنة بعد الفتح و بعد حنين وفي أصل الدلجي زيد وحنين (ليلا) أي من الليالي (وهو وسن) بفتح الواو وكسر المهملة صفة مشبهة من الوسن بفتحتين وهو أول النوم ومقدمته ومنه السنة وأصلها الوسنة كالعدة والمعنى ليس بمستغرق في النوم بل هو نعسان

ثم

وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وأرانا آثارنيرانهم وذكر لنا ما أمرهم به من الزاد وهذه غير الليلة التي أعلمهم بها وذهب معه ابن مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه من أحب منكم ان يحضر الليلة أمر الجن فليفعل فلم يحضر أحد منهم غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا أمرني أن اجلس فيه ثم انطلق حتى قام يقرأ فغشيته اسودة حالت بيني و بينه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر ثم أتاني وفي هذه الرواية ان ابن مسعود قال سمعتهم يقولون من يشهد انك رسول الله الى آخر ما ذكر من قصة الشجرة وما هنا من اعلامه لهم وخروجه معه الى آخره وما روي عنه من انهم التمسوه و باتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن تعددت وقول البيهقي انها واحدة لا يمكن فيه الجمع بين الروايتين ويعينه ما رواه أبو نعيم في دلائله من ان القصة كانت بالمدينة بالبقيع وروى ابن الزبير انه حضرها بالمدينة فهذه مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال باحاديث مفصلة ثم قال دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ست مرات الاولى لم يشعروا بها والتمسوه فيها فلم يجدوه والثانية كانت بأعلى مكة في الجبال والثالثة ببقيع الغرقد قد حضرها ابن مسعود رضي الله عنه وخط عليه الخط والرابعة كانت مع ابن مسعود أيضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير والسادسة في بعض أسفاره مع بلال رضي الله تعالى عنه ولكل منها حديث مسند ان أردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف في معناه مثله * أقول وفيما ذكرناه معجزات أخر منها انقياد الجن له صلى الله تعالى عليه وسلم باختيارهم وهي أعظم من تسخيرهم لسليمان عليه الصلاة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها له وعودها لمحله بعد خروج عروقها من منبتها وهو أمر خارق للعادة وفي الحديث فوائد منها كراهة الاستنجاء بالعظم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن ذلك فيه ومنها ان غيره صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء بعث للجن كموسى عليه الصلاة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف هل بعث منهم رسول أم لا فقيل منهم رسولا يسمى يوسف وثمة فوائد أخر لا يسعها نطاق البيان هنا (قال القاضي أبو الفضل) هو عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه) وهذا فذلكة لما تقدم بقوله (فهذا ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما (وبريدة وجابر) بن عبد الله رضي الله عنهما (و) عبد الله (ابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب و) عبد الله (بن عباس) رضي الله تعالى عنهما (وغيرهم) الى قوله (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) يعني كلام الشجر (أو معناها) مما يدل على ذلك (وقد رواها عنهم) أي عمن ذكر من الصحابة (من التابعين اضعافهم) لتعدد طرقهم والضعف هو المثل أو المثلان (فصارت في انتشارها) أي اشتهار روايتها عنهم (من القوة حيث هي) يعني انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حيث بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء فحيث ظرف مكان مضاف لجملة وهي ضمير القصة مبتدأ خبره محذوف تقديره هي معروفة مشهورة (وذكر ابن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام ثقة جليل القدر (انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف) اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتلعها من أرض صنعاء وهي المذكورة في سورة ن في قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون والطائف هو جبريل عليه الصلاة والسلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث هي كما نقله السهيلي عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطائف وهذه الغزوة كانت في السنة الثامنة من الهجرة (ليلا) متعلق بسار (وهو وسن) بزنة حذر والوسن قريب من النعاس وفي فقه اللغة في مراتب النوم أوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والغمض ثم التغفيف ثم الاغفاء ثم التهويم

(فاعترضته) أى ظهرت فى عرض وجهه (سدرة) أى وهو سائر (فانفرجت له نصفين حتى جاز) أى جاوز (بينهما وبقيت) أى تلك الشجرة (على ساقين) أى من غير التئام لهما (الى وقتنا) أى هذا كما فى نسخة (وهى) أى تلك الشجرة (هنالك) أى فى طريق الطائف (معروفة معظمة) قلت ولعلها كانت فى زمانهم وأما فى زماننا هذا فليست مشهورة (ومن ذلك) أى ومن قبيل ما ذكر من اجابة الشجرة (حديث أنس) كما رواه ابن ماجه والدارمى والبيهقى عنه (أن جبريل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه) أى وقد رأى جبريل النبى عليهما الصلاة والسلام (حزينا) أى من تكذيب قومه له فالجملة حال من ضمير قال (أتحب أن أريك آية) أى علامة على صحة نبوتك وصدق رسالتك (قال نعم) أى أحب أن تريني آية من آيات ربى ليطمئن قلبى (فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة) أى بعيدة كائنة (من وراء الوادى) أى الذى كان فيه والمعنى من قدامه أو خلفه (فقال) أى لجبريل ويحتمل عكس هذا القيل (ادع تلك الشجرة) أى فدعاها (فجاءت تمشى) أى اليه (حتى قامت) أى وقفت (بين يديه قال) كما (مرها فلترجع) أى الى منبتها كما فى نسخة وفى نسخة الى مكانها أى فأمرها بالرجوع الى محلها (فعادت الى مكانها) أى مما كانت فيه أى فى ابتداء حالها (وعن على نحو هذا) أى الحديث الذى رواه أنس (ولم يذكر) أى على (فيه) أى فى مرويه وفى نسخة فيها أى فى هذه الرواية (جبريل) يعنى بل فيه (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه أبو نعيم عنه (اللهم أرنى آية) أى معجزة أطمئن بها وأدفع الحزن عنى بسببها ويكون من جملة نعتها (لا أبالى) أى لا أكترث ولا أحزن (من كذبنى بعدها فدعا شجرة) أى فجاءته (وذكر) أى على (مثله) أى مثل حديث أنس (وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب قومه) أى لا لضيق حاله وقلة ماله فكان حزنه لامر دينه ومرضاة ربه فان قلت سبق فى حديث هند ابن أبى هالة ان ابن القيم قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز أن يكون حزنه على الكفار لان الله تعالى قد نفاه عنه قلت لعل الحزن فى الحديث المفسر هنا قبل النهى عن حزنه على الكفار على ان حزنه لتكذيب قومه لا يلزم أن يكون حزنا عليهم لجواز أن يكون لما نسبوه اليه مما هو معصوم منه وهو الكذب عليه

ثم الضرار ثم التهجاج وهو الهجوج يعنى أنه صلى الله عليه وسلم نعس وهو سائر على دابته بحيث لا يرى ما فى طريقه (فاعترضته سدرة) أى وقع اتفاقا ان شجرة فى طريقه أتت دابته لها بحيث كانت تمنعه عن سيره لسدها طريقه وهو صلى الله عليه وسلم لنومه لم يعدل عنها الطريق أخرى (فانفرجت له نصفين) أى انشقت وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب (حتى جاز بينهما) أى بين النصفين (وبقيت) الشجرة شجرتين (على ساقين) قائمة (الى وقتنا) أى الى زمن أدركه ابن فورك (وهى هنالك) أى فى الارض التى فيها من الطائف (معروفة معظمة) لانها من آثار معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشجر ما ورد فى حديث رواه الدارمى وابن ماجه والبيهقى كما قاله السيوطى وهو (حديث أنس أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا) جملة حالية أى وقد رآه محزونا لعدم اطاعة قومه له فى أول البعثة اذ عرض نفسه على القبائل (أتحب أن أريك آية) أى معجزة تزيل حزنك لانه اذا أطاع دعوته الجماد دل ذلك على ان الناس ستطيعه ولكن تأخيره لحكم خفية (قال نعم) أحب ذلك ليزول حزنى واعلم أن الله سينصرنى ويلين قلوب قومى لاجابة دعوتى (فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادى) الذى كان فيه مع جبريل (فقال) جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم (ادع تلك الشجرة) أى مرها بان تأتى اليك ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل كما توهم فأمرها (فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم بمكان قريب منه (ثم قال مرها فلترجع) الى مكانها الذى كانت فيه فأمرها (فعادت الى مكانها) كما كانت (وعن على) كرم الله وجهه (نحوه) قال السيوطى لم أجده عن على وانما هو عن جابر رضى الله تعالى عنه (ولم يذكر فيها) أى فى هذه الرواية (جبريل) وكلامه له (وانما) الذى فيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال اللهم أرنى آية) أى معجزة ملزمة لمن رآها دالة على انى مستجاب دعوتى وينفذ بلاغى واللهم معناه يا الله كما فصل فى النحو وتقدم منه ما فيه الكفاية (لا أبالى من كذبنى بعدها) لانها معجزة قطعية لا يفيد انكارها وجحدها عنادا ولا أبالى بمعنى لا أعتد ولا ألتفت لمن خالفها قال ابن فارس رحمه الله تعالى فى المجمل اشتبه على اشتقاق لا أبالى فرأيت قول ليلى الاخيلية

تبالى رواياهم هبالة بعدما ✽ وردن المياه بالجم يرتمى

اذ فسر التبالى بالمبادرة للاستقاء يقال تبالى القوم اذا تبادر والماء عند قلته وانتظار بعضهم لبعض فقولهم لا أبالى معناه لا أبادر الى اقتنائه بل أنبذه ولا أعتد به انتهى (فدعى شجرة وذكر مثله) من مجيئها ورجوعها (وحزنه) بالنصب أى التعب والكدر كما (لتكذيب قومه) له فى أول أمره

(وطلبه الآية لهم) أى لقومه المكذبين (لاله) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه على يقين من أمره وعلمه بقدرة ربه (وذكر ابن اسحق) مما رواه فى سيره ورواه أبو نعيم والبيهقى عن أبى امامة بسند من طريقين مرفوعا ومرسلا (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية فى شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت) كما ستسمعه قريبا فى الحديث الذى أذكره لك وركانة بضم الراء المهملة وفتح الكاف المخففة وألف تليها نون وهاء وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى المكى الصحابى الذى أسلم عام الفتح وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة اثنين وأربعين وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة فى المصارعة بحيث انه لم يصرعه أحد قط ولم يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صارعه فصرعه وأما مصارعته لرجل آخر يقال له أبو جهل فلم تصح كما قاله المقدسى وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادى اضم بالمدينة وهو من أفتك الناس وأشدهم فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادى فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له أنت الذى تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بينى وبينك قتلتك ولكن ادع الهك أن ينجيك منى اليوم وأنا أدعوك لامر وهو ان تصارعنى وتدعو الهك وأدعو اللات والعزى فان غلبتنى فلك من غنمى هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعنى وانما غلبنى الهك وخذلنى اللات والعزى وما وضع جنبى على الارض أحد قبلك ولكن عد فان صرعتنى فلك على عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا ثم دعاه ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمى تختارها فقال له لا أريد ذلك ولكن أدعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان ترينى آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلى باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدى ركانة فقال أريتنى أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له اسلم فقال أكره ان يتحدث نساء المدينة وصبيانها بانى أجبتك لرعب قلبى منك ولكن الغنم لك فقال لا حاجة لى بها وانطلق فلقيه أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقال له تخرج الى الوادى وبه ركانة فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أليس الله عصمنى وحدثه الحديث المار والحديث يقتضى جواز المصارعة الا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمسابقة عليه والجواب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلب منه ذلك وانما أقره على مقالته ليريه آية يرجى بها اسلامه أو انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أو تحريه ورده الغنم عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه هنا ثلاثا كما علم وقيل مرتين وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح (وعن الحسن) فى حديث رواه البيهقى مرسلا وهو الحسن بن على رضى الله عنهما وقيل يحتمل انه الحسن البصرى رحمه الله تعالى (أنه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه) فى أوائل البعثة قبل قوة الاسلام وأهله (وانهم يخوفونه) كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك وهو عطف تفسيرى لان المراد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور فى تبليغ ما أرسل به فلا ينافى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم على كمال يقين من الله فى رسالته كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس (وسأله آية) ومعجزة (يعلم بها ان لا مخافة عليه) ان هنا مخففة من الثقيلة وأصلها انه (فأوحى الله اليه ان ائت وادى كذا) من أودية مكة

(فطلبه) بالرفع أى واستدعاؤه (الآية) أى المعجزة (لهم) أى لاستقامة أمته أو اقامة حجته (لاله) أى لا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكمال يقينه فى معرفته وعدم تردده فى طويته (وذكر ابن اسحق) أى امام المغازى وكذا رواه أبو نعيم عن أبى امامة (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد بن يزيد صحابى صارعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأما ركانة المصرى الكندى غير منسوب فختلف فى صحبته كذا حققه الفيروزآبادى (ومثل هذه الآية) أى المعجزة (فى شجرة دعاها) أى طلبها (فأتت) أى جاءت اليه (حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت) أى الى محلها (وعن الحسن) أى برواية البيهقى مرسلا (أنه عليه الصلاة والسلام شكا الى ربه من قومه) أى بعضهم (وانهم يخوفونه) أى بضربه أو حبسه أو اخراجه أو قتله (وسأله آية) أى علامة (يعلم بها) أى يزيد علمه بها ويطمئن قلبه بسببها (ان لا مخافة عليه) ان مخففة من المثقلة أى انه كذا ذكره الدلجى والظاهر ان ان هنا مصدرية ومحلها نصب على المفعولية والمعنى يعرف بها عدم المخافة عليه من ايصال أذيتهم اليه (فأوحى اليه) بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة الفاعل وفى أخرى فأوحى الله تعالى اليه (أن ائت وادى كذا) وروى أرأيت وادى كذا أى أبصرت أو علمت وان مصدرية أو تفسيرية (فان

(فيه شجرة) أي عظيمة وهي بالرفع مبتدأ خبره الجار قبله قال التلمساني أو بالنصب بفعل مضمر أي فانظر فيه شجرة أو أطاب انتهى ولا يخفى تكلفه بل تعسفه كما يدل عليه قوله (فادع غصنا منها) أي من الشجرة أو أغصانها (يأتك) وفي نسخة يأتيك باثبات الياء على انه مرفوع أو مجزوم على لغة (ففعل) أي ما ذكر (فجاء) أي الغصن منها (يخط الارض خطا) أي يشقها شقا بأثرها في الاتيان اليه (حتى انتصب) أي وقف (بين يديه) أي امامه وقدامه وأغرب التلمساني حيث فسر انتصب بقوله حبس وغرابته من جهة المبنى والمعنى لا تخفى (فلبث عنده ما شاء الله) أي من زمان قائما لديه (ثم قال له ارجع كما جئت) أي على وجه خرق العادة (فرجع) أي يخط الارض خطا حتى قام عندته (فقال يا رب علمت ان لا مخافة على) أي بعد اراءتك لى هذه الآية وكان صاحب البردة أشار الى هذه الزبدة بقوله

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

(ونحو منه) أي من مروى الحسن كما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقي بسند حسن (عن عمر رضي الله تعالى عنه) أي ابن الخطاب وفي نسخة عن عمرو أي ابن العاص (وقال) أحدهما (فيه) أي في مرويه أو وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه بعد قوله (اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها أو ذكر) وفي نسخة فذكر أي الراوي المختلف فيه بقية الحديث (نحوه) أي نحو ما رواه الحسن (وعن ابن عباس) كما رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابي أرأيت) أي أخبرني (ان دعوت

المعجمة أي هذا العذق) بكسر العين المهملة وسكون الذال العرجون بما فيه من الشماريخ والعرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ وهي العيدان التي عليها البسر والعذق بالفتح النخلة كلها (من هذه النخلة) أي الحاضرة وأجابني (أتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز) بضم القاف ويكسر وبالزاي أي فشرع يثب اليه متوجها لديه (حتى أتاه) أي أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي) بتشديد الراء أي أخرجه في جامعه (وقال هذا حديث صحيح) ووقع في أصل الدلجي وغيره حسن صحيح فقيل جمع بينهما لروايته من طريقين احداهما تقتضي صحته والاخرى حسنه أو حسن لذاته صحيح لغيره باعتبار تعاضد روايته أو حسن لغة صحيح حجة

(وان فيه شجرة فادع غصنا منها) أي غصنا وطرفا من أطرافها (يأتك) مجزوم في جواب الامر (ففعل) أي أتى لوادي ودعا الغصن كما أمر (فجاء يخط الارض خطا) أي يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساقه منها وهو بمعنى قوله فيما تقدم يخد ويحتمل ان الطاء مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد بالخط أثر مشيه الذي يشبه خط الكتابة كقول الابوصيري

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

(حتى انتصب بين يديه) أي قام عنده (فلبث ما شاء الله) أي جعله مدة من زمان أرادها الله قائما عنده (ثم قال له ارجع كما جئت فرجع) الى مكانه الذي كان فيه والتأم بأصله (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (يا رب علمت ان لا مخافة على) بتسخير الجمادات لامتثال أمري الدال على ان من عصاه سيرجع عما كان عليه (ونحو منه) أي فيما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقي بسند حسن ما هو قريب مما ذكر في هذا الحديث مروى (عن عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (وقال) عمر (فيه) أي فيما رواه (أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها) أي لا أعتد وأهتم به لاطمئنان قلبي وذهاب خوفي (فذكر نحوه وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي مسندا (انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي أرأيت) بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى أخبرني وقل لي وهو مجاز مشهور ورأى فيه علمية أو بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة (ان دعوت) ان شرطية أي أمرت (هذا العذق) اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف وهو العرجون من النخلة وثمار يخها كما بينه بقوله (من هذه النخلة) وقد يطلق على النخلة نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذقا بفتح العين (أتؤمن باني رسول الله) أي أتؤمن بي وبما أرسلت به وتقر بذلك (قال نعم) أشهد بانك رسول الله (فدعاه) أي العذق بان أمره بالمجيء اليه (فجعل) أي طفق وصار العذق (ينقز) بفتح المثناة التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها كما في المحكم وفي الاقتصار على الضم قصور وآخره زاي معجمة ومعناه يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا البيهقي وقال ان الاعرابي من بني عامر (حتى أتاه) ووصل الى مكان عنده بقربه (فقال) له (ارجع فعاد الى مكانه) الذي كان فيه (وخرجه) بالتشديد أي رواه بسند (الترمذي وقال هذا حديث صحيح) متنا وسندا

(فصل) (في قصة حنين الجذع له صلى الله تعالى عليه وسلم ويعضد) بضم الضاد أي يقوى ويؤيد (هذه الاخبار) أي الاحاديث السابقة الواردة في كلام الاشجار ومجيئها الى سيد الاخيار (حديث أنين الجذع) وفي نسخة حنين الجذع أي شوقه اليه وبكاؤه لديه صلى الله تعالى عليه وسلم والجذع بكسر الجيم أصل النخلة والمراد به هنا ما كان من عمد المسجد وكان يتكئ عليه حال الخطبة وسيجيء بقية القصة (وهو) أي وحديثه هذا (في نفسه) أي باعتبار مبناه مشهور أي عند السلف (منتشر) أي عند الخلف (والخبر به) أي بانينه وحنينه باعتبار معناه (متواتر) أي يفيد العلم القطعي لمن أطلع على طريق الحديث الاحادي المفيد بانفراده العلم الظني قال الحلبي وكذا قال غيره انه متواتر وقد أبعد التلمساني حيث قال أراد به التواتر اللغوي يقال تواترت الكتب أي جاء بعضها في أثر بعض من غير ان ينقطع والاول أظهر فتدبر وقد قال السهيلي حديث خوار الجذع وحنينه منقول بالتواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلف وكلهم نقل ذلك أو سمعه من غيره فلم ينكره أحد انتهى وسببه ما بينه المصنف بقوله (قد خرجه) بتشديد الراء أي أخرجه (أهل الصحيح) أي ممن التزم الصحة في رواياته الواردة في كتابه كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة (ورواه من الصحابة بضعة عشر) بكسر الموحدة وتفتح أي ثلاثة أو أكثر الى تسعة اذ البضع منها اليها (منهم) أي بعضهم وهم عشرة منهم (أبي بن كعب) وهو أقرأ الصحابة وقد رواه عنه الشافعي وابن ماجه والدارمي والبيهقي (وجابر بن عبد الله) أي الصحابي ابن الصحابي وسيأتي حديثه (وأنس بن مالك) وهو خادمه عليه الصلاة والسلام وحديثه في الترمذي وصححه (وعبد الله بن عمر) وهو أشهر من ان يذكر (وعبد

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشتهر (في قصة حنين الجذع) الحنين بفتح الحاء المهملة ونونين بينهما ياء تحتية وهو صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه وتوصف به الابل كثيرا قال الجوهري الحنين الشوق وتوقان النفس يقال حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في نزاعها الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وتعريف الجذع للعهد والمراد به جذع كان قائما بالمسجد النبوي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يستند اليه ويخطب قائما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع للجذع حنين لمفارقته له كما يأتي قال البرهان وغيره ان الخبر به متواتر وكذا قال المصنف رحمه الله تعالى هنا وهذا الجذع من سوار المسجد النبوي وهكذا كانت سواريه كلها وسقفه من جريد النخل كما يأتي في رواية جابر رضي الله تعالى عنه ولا بدع في ان يخلق الله تعالى فيه حياة وصوتا فما قيل انه لا يلزم من سماع صوته عنده ان يكون منه مما لا ينبغي ذكره (ويعضد هذه الاخبار) المذكورة في الفصل الذي قبل هذا من كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم أي يقويها أو يؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد وساعدها (حديث أنين الجذع) الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفي تعبيره به اشارة الى أنه لحقه ألم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصوري في قوله

يا أسنا فصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا

واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهي أن حقيقة الحنين في الابل فتحن اذا فارقت أولادها ثم شاع في مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

والمرء يشتاق الديار وأهلها * وحنينه أبدا لاول منزل

وأما الانين فانه مما لا يفهم كالتأوه ففيه اشارة الى ان حنين الجذع لم يكن بكلام يفهم وانما كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعية كأنين المريض فهو من عطف الخاص على العام فتنبه (وهو) أي حديث الجذع (في نفسه) بقطع النظر عن غيره مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه (مشهور ومنتشر) أي شائع بين الخلف والسلف (والخبر به متواتر) لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن تواطئهم على الكذب (خرجه أهل الصحيح) أي رواه مسندا أصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وما وصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر ردا على ابن الصلاح في قوله ان التواتر لا يكاد يوجد كما بينه في شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد في كتابه الاحاديث الصحيحة عنده (ورواه من الصحابة بضعة عشر) تقدم ان البضع من الثلاثة الى تسعة فما زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوه على الصحيح عند أهل اللغة وهو كما بكسر الباء وفتحها (منهم) أي من الصحابة الذين رووه مرفوعا (أبي بن كعب) كما رواه عنه الشافعي في مسنده وابن ماجه والدارمي والبيهقي (وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) كما رواه عنه البخاري (وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه) كما رواه عنه الترمذي وصححه (وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه عنه البخاري

(وعبد الله بن عباس) أي ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وسهل ابن سعد) الساعدي رضي الله تعالى عنهما وحديثهما رواه الشيخان (وأبو سعيد الخدري) رواه عنه الدارمي (وبريدة) بالتصغير وقد سبق ذكره (وأم سلمة) أي أم المؤمنين رواه عنها البيهقي (والمطلب) بتشديد الطاء (ابن أبي وداعة) بفتح الواو وهو من مسلمة الفتح وقد رواه عنه الزبير بن بكار في أخبار المدينة (كلهم) أي جميع المذكورين وغيرهم (يحدث) أفرد ضميره باعتبار لفظ كل أي يحدثون (بعني هذا الحديث) أي وان كانت ألفاظهم مختلفة في باب التحديث وعلى هذا المبنى حصل التواتر في المعنى (قال الترمذي وحديث أنس صحيح) أي اسناده (قال) وفي نسخة وقال (جابر) أي ابن عبد الله كما في نسخة صحيحة (كان المسجد) أي مسجد المدينة وهو المسجد النبوي (مسقوفا على جذوع نخل) بمعنى نخيل فانه اسم جنس ثم بناه عمر ثم عثمان رضي الله تعالى عنهما (وكان) وفي نسخة فكان (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي دائما أو غالبا (اذا خطب يقوم الى جذع) أي معين (منها) أي من تلك الجذوع (فلما صنع له المنبر) بصيغة المجهول وقد صنعه له غلام امرأة من الانصار أو غيره من أثل الغابة وله ثلاث درجات (سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار) بكسر مهملة فمعجمة جمع عشراء بضم وفتح ممدودة وهي الناقة الحامل أو التي أتى لحملها عشرة أشهر على القول الاشهر وظاهر هذا الحديث ان الجذع بمجرد صنع المنبر قبل طلوع سيد البشر صدر منه البكاء لما أحس من علامة قرب البعد عن مقام دنا وحال الاتكاء (وفي رواية أنس) أي وهي قوله فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور أي صاح كصياحه (حتى ارتج) بتشديد الجيم أي اضطرب وارتعد (المسجد) أي باهله (لخواره) بضم الخاء المعجمة وبالواو وفي نسخة بالباء السببية بدل اللام للعلة وفي نسخة بضم الجيم فهمزة مفتوحة بعدها ألف وهو أظهر في هذا المقام باعتبار تمام المرام ففي القاموس جأر جؤارا اذا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة والثور صاحا وأما الخوار بضم الخاء المعجمة فمن صوت البقر والغنم والظباء والسهام انتهى قال الحجازي وأما

(وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما) كما رواه عنه أحمد في مسنده باسناد صحيح على شرط مسلم والدارمي والبيهقي (وسهل بن سعد) كما رواه عنه الشيخان (وأبو سعيد الخدري) بالدال المهملة كما تقدم في ترجمته رواه عنه الدارمي (وأم سلمة) أم المؤمنين كما رواه عنها البيهقي (والمطلب بن أبي وداعة) بفتح الواو والدال المهملة وألف وعين مهملة بعدها هاء ابن الحرث بن صبرة بن سعيد القرشي السهمي الصحابي من أسلم عام الفتح رواه عنه أحمد والزبير بن بكار (كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث) في جميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكأنه اشارة الى ان تواتره معنوي لا اصطلاحي لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه (قال الترمذي) صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته (وحديث أنس صحيح) انما نص على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفي صحة غيره حتى ينافي ما مر من رواية أهل الصحيح له أو لان في بعض رجاله شيئا (وقال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) في روايته (كان المسجد) أي مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة (مسقوفا) اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت عليه سقفا وهو معروف (على جذوع نخل) جمع جذع وقد تقدم يعني ان له سواري وضع السقف عليها من النخل والاضافة بيانية (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب) أي قام للخطبة (يقوم مستندا (الى جذع منها) وكان هنا تفيد تكرار ذلك كثيرا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان كان اذا كان خبرها مضارعا تفيد ذلك في استعمالهم كقولهم كان حاتم يقري الضيف وقال الله تعالى وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وهو مما صرح به في كتب العربية والاصول وفي وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور ولا حاجة لنا به هنا (فلما صنع) بالبناء للمجهول وفي نسخة وضع (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (المنبر) بكسر الميم من نبره بمعنى رفعه ورقاه لانه يرتفع القائم عليه به عن غيره (سمعنا لذلك الجذع) الذي كان يستند اليه صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبه (صوتا كصوت العشار) بكسر العين المهملة وشين معجمة وألف وراء مهملة جمع عشراء كنفساء وهي الناقة التي أتى عليها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها أيضا والمراد خوارها حين وضعها أو عقبه نزاعا لولدها اذا تركه وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفته من ان الحنين أصله في النوق والتشبيه به لشدته وانه لحزنه على مفارقته صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه في النوق كذلك وبزيده حسنا ان النوق تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيه مسموع بمسموع فقط كما قيل (وفي رواية أنس) انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع (حتى ارتج المسجد) بهمزة الوصل وسكون الراء المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم مطاوع رجه فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب وهو بتقدير مضاف أي أهله أو هو على ظاهره بان تتحرك حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة أو لظن ذلك ممن هو فيه (لخواره) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو بعدها ألف وراء مهملة بوزن فعال وهو

بالخاء المعجمة والواو المخففة فصياح الثور ولا أعلم به رواية انتهى والحلبي جعله أصلا ونسب الاول الى نسخة فى الهامش واليمنى اقتصر على الثانى وجوز الشمنى الوجهين والحاصل ان رواية الجيم أعم وفى الدراية أتم والله تعالى أعلم (وفى رواية سهل) أى ابن سعد الساعدى (وكثر بكاء الناس لما رأوا به) أى من الحنين والانين من جهة التبعد عن خدمة سيد المرسلين أو من خشيته من التنزل فى درجته وهو بكسر اللام وتخفيف الميم ويجوز بفتح اللام وتشديد الميم كما قرئ بهما فى قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا (وفى رواية المطلب) أى ابن أبى وداعة السهمى وزيد فى نسخة صحيحة وأبى ويشير اليه قول الحلبى وهو بضم الهمزة وفتح الموحدة ثم ياء مشددة (حتى تصدع) بتشديد الدال اى تشقق (وانشق) عطف تفسير قاله الدلجى وغيره والاظهر ان المعنى واستمر على انشقاقه (حتى جاء) أى أتاه (أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه) أى تسلية لما لديه (فسكت) أى حيث سكن اليه وسيأتى فى رواية انه عانقه بيديه (زاد غيره) أى غير المطلب ومن معه وقال الدلجى فى رواية الشافعى عن أبى بن كعب فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان هذا بكى لما فقد) بالوجهين أى بعد (من الذكر) أى الموعظة البليغة فى الخطبة ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله (وزاد غيره) أى غير ذلك الغير وفى رواية أبى يعلى عن أنس (والذى نفسى بيده) أى بتصرف قدرته وقبضة ارادته (لولم التزمه) أى اعتنقه (لم يزل هكذا) أى باكيا (الى يوم القيامة تحزنا) بضم الزاى اظهارا للحزن الزائد على الصبر (على رسول الله) أى على فراقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) وما أحسن من قال من بعض أرباب الحال

الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر) أى حتى يقرب الى الذكر وما يتبعه من أثر الخير

بناء مطرد فى اسماء الاصوات والخوار فى الاصل كما قال الراغب يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه فى أصوات جميع البهائم وفى بعض النسخ جؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول وقال الراغب قال تعالى اليه يجأرون من جار اذا أفرط فى الدعاء تشبيها له بجؤار الوحشيات كالظباء ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد أى صاح (وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به) البكاء يمد ويقصر معروف وما موصولة والعائد محذوف أى رأوا بالجذع ورأى بصرية وكونها قلبية يجوز على بعد والمرئى حركته ونحوها والباء بمعنى فى أو سببية وفيه تجوز أى للذى رأوا آثاره بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها مصدرية (وفى رواية المطلب) ابن أبى وداعة (وأبى) بن كعب (حتى تصدع وانشق) عطف تفسيرى لان حقيقة الصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر ومنه صداع الرأس لوجعه وانصداع الفجر وهو مبالغة فى شدة صياحه كما يقال صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد الاول قوله (حتى جاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى نزل عن منبره وأتى له (فوضع يده عليه فسكت) أى ترك خواره لما زال ألمه بقربه صلى الله تعالى عليه وسلم منه ومشيه له (زاد غيره) أى غير المطلب وهو فى رواية أبى بن كعب (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر) فقد كقتل من الفقد وهو العدم بعد الوجود فهو أخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله أو الموعظة أو القرآن وجوزان يكون نفس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أطلق عليه الذكر أيضا (وزاد غيره) أى غير الغير أو من ذكر (والذى نفسى بيده) قسم بالله على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم والنفس الروح هنا وبيده معناه بقبضة قدرته وتصرفه حياته ومماته متى أراد (لولم التزمه) هو افتعال من اللزوم وعدم الفراق ثم استعير للعناق كما فى الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه اليه (لم يزل هكذا) أى له صراخ وجؤار (الى يوم القيامة تحزنا على) مفارقة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا التكلف (فامر به نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أمر بعض الصحابة باخذه أو بدفنه (فدفن تحت المنبر) وانما أمر بذلك لئلا يشتغل به الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه سينبت فى الجنة كما سيأتى وان بعض أغصان الاشجار بعد قطعها اذا دفن نبت وطلع من الارض * واعلم ان سوارى المسجد فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم معدودة مفصلة فى تاريخ المدينة كهيئة حرمه ومنبره صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيه أشجار وفى النجار الذى صنعه له صلى الله تعالى عليه وسلم أقوال كثيرة فقيل انه قبيصة المخزومى وقيل انه غلام

(كذا في حديث المطلب) أي السهمي (وسهل ابن سعد) أي الساعدي (واسحق) أي ابن عبد الله بن أبي طلحة وهو تابعي روى
عن أبيه وعدة وعنه مالك والثوري وابن عيينة وجماعة وهو حجة ثقة أخرجه الائمة الستة (عن أنس) وهو عمه من أمه (وفي
بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف) أي في سقف المسجد شك من الراوي ولعل وجه التأنيث كونه جذع النخلة فاكتسب التأنيث من الاضافة وفي أصل التلمساني فدفن قال وفي طريق فدفنت فاراد الخشبة وقال البرقي انما دفنه وهو جماد لانه صار في حكم المؤمن لحبه وحنينه قلت ولعل دفنه تحت منبره ليكون على قربه ولا يحرم من سماع ذكره واما المنبر فقد احترق أول ليلة من رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة وكان ذلك على الناس من أعظم مصيبة (وفي حديث أبي) أي ابن كعب (فكان) أي أولا (اذا صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى اليه) وهو لا ينافي انه عند خطبته كان يعتمد عليه فلما هدم المسجد) أي عند ارادة تجديده وتوسيعه في تجديده وهو في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ليزيد فيه من جهة
القبلة توسعة للامة أو في أيام اباحة يزيد المدينة في أحد الايام الثلاثة (أخذه أبي فكان عنده الى ان أكلته الارض) كذا في النسخة
المصححة والمراد بها الدابة التي يقال لها الارضة سميت بفعلها وأضيفت اليه في آية سبأ بقوله دابة الارض تأكل منسأته قال المزي
المشهور عند أهل الحديث الارضة

العباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم أو باقول باللام غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم
الداري وقيل غلام لسعد بن عبادة وقيل انه غلام امرأة انصارية وقول الكرماني رحمه الله تعالى انه
غلام لعائشة رضي الله تعالى عنها لا مستند له فيه وقيل انها عائشة الانصارية وقيل هي من بني سعد وكان
وضع منبره صلى الله تعالى عليه وسلم في السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم
تكون التاسعة لانه أسلم سنة تسع الا ان يقال عمله قبل اسلامه وهو أول منبر في الاسلام وكان له درجة
ثلاثا ومن قال اثنتين أسقط محل قيامه صلى الله عليه وسلم عليه وقيل انه كان أكثر من ثلاث وكان طوله
أكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو مستنده ذراع ورمانتاه اللتان يمسكهما بيده
الكريمة في قيامه ولما حج معاوية رضي الله تعالى عنه كساه قباطي ثم لما رجع الى الشام كتب لمروان
وهو عامله على المدينة فرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا ثم لما قدم جدده بعض بني العباس
واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى آخر ما فصل في تاريخ المدينة (كذا في حديث المطلب
وسهل بن سعد واسحق عن أنس) وفي بعض النسخ هنا وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت
منبره أو جعلت في السقف انتهى وضميره دفنت وجعلت على هذه الرواية لاعواده أو لتأويل الجذع
بالخشبة واسحق المذكور هو ابن عبد الله بن أبي طلحة الانصاري أخرجه الستة وتوفي سنة اثنين
وثلاثين ومائة من الهجرة وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره أو تسمح فيه لانه قيل دفن في يسار المنبر
وروي دفن في المسجد (وفي حديث أبي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه) أي استقبله
وجعله كالسترة للمصلي من المارين (فلما هدم) بالبناء للمجهول والهدم والهد نقض البناء ونحوه
(المسجد) أي مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وهدمه في زمن عمر رضي الله تعالى عنه لان بناءه في
عهده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان رضي الله تعالى عنه وزاد فيه كما ذكر في
تاريخ المدينة (أخذه أبي رضي الله تعالى عنه) هذا لا ينافي ما مر من انه جعل في السقف أو دفن تحت المنبر
أو في المسجد قريبا منه لجواز وضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له تحت المنبر ثم رفع في السقف لئلا
يداس بالارجل تكريما لاثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم حين الهدم أخذه أبي تبركا به (وكان
عنده الى ان أكلته الارض) ووقع في رواية الارضة بفتحات وهي دويبة صغيرة تأكل الخشب وغيره
من الثياب والكتب وهي العثة وقال الامام المزني ان هذه الرواية هي المشهورة عند المحدثين وما ذكره
المصنف رحمه الله تعالى صحيح والارض فيها امامعناها المشهور ولانها تبلى ما يدفن فيها فاستعير له الاكل
أو هو بتقدير أي دابة الارض وهي تلك المتقدمة بعينها أو مصدر أرض يأرض أرضا اذا أكلته الارضة
وبه فسر قوله تعالى دابة الارض تأكل منسأته كما ذكره السيوطي ولابن عنين

يا أهل مصر وجدت أيديكم * عن بسطها بالنوال منقبضه
لما عدمت النوال عندكم * أكلت كتبي كأنني ارضه

فليس في كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قاله القسطلاني * فان قلت هذا يخالف قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم لو لم التزمه بقي هكذا الى يوم القيامة وكيف يتصور هذا مع قوله تعالى كل من عليها فان قلت
هذا وقع على طريق المبالغة كقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وان لم يقع وهذا على الاحاجة اليه
وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فانه علق بقاءه على عدم فعله به ما فعله فاذا فعله تغير وفني وقد علم الله عما

(وعاد رفاتا) بضم الراء ففاء فتاء فوقية أي وصار دقاقا وفتاتا قال الحلبي قوله الى أن أكلته الارض كذا ما في النسخة التي وقفت عليها بالشفاء والحديث المذكور أعني حديث أبي وهو مطول في مسند أحمد وفيه الارضة وهي دابة تأكل الخشب وهو باختصار في سنن ابن ماجه في الصلاة انتهى وهذا يدل على تصحيح رواية جعله في السقف وينبغي ان يحمل رواية دفنه تحت منبره بعد ان أكلته الارض عند أبي حفظا له عن تفرقه وصونا له عن مهانته وتحرقه وما أحسن مناسبة ماتحت منبره كون قبره لحصول دوام ذكره وتمام شكره فان منبره على حوضه وحوضه داخل في روضه

(وذكر الاسفرائني) بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء وتكسر فراء ممدودة فهمزة فنون فياء نسبة الى بلد في العجم في خراسان وفي نسخة بنون بين ياءين والظاهر ان المراد به أبو اسحق ويحتمل انه أبو خالد (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق) بضم الراء وكسرها أي يشق (الارض فالتزمه) أي اعتنقه تودعا منه (ثم أمره فعاد الى مكانه) والحاصل ان قصة حنين الجذع واحدة لرجوعها الى معنى واحد في المآل وما وقع في ألفاظها من اختلاف الاقوال مما ظاهره التغاير الموجب للاشكال فمن تفاوت تقول الرجال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي خطابا للجذع (ان شئت أردك الى الحائط) أي البستان (الذي كنت فيه) أي أولا على ما

ذكر (وعاد رفاتا) عاد هنا بمعنى صار لا بمعنى رجع لامر كان عليه وهو أحد معنييه كما بين في كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن غراب براء مهملة وفاء ومثناة فوقية كالقناة وهو ما تكسر وتفرق (وذكر الاسفرائني) بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وألف بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ الامام الاصولي المتبحر في سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو أبو اسحق لانه اذا أطلق فالمراد هو وان نسب لهذه البلدة غيره من الائمة كأبي حامد وطاهر بن محمد (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) أي دعا الجذع المذكور (الى نفسه) أي أمره بان يأتيه ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظ نفس هنا لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه ممتنع في غير افعال القلوب وما الحق بها كما وقد أورد عليه نحو قوله وهزي اليك بجذع النخلة وصرهن اليك وقد أجيب عنه بما يطول وقد فصلناه في السوانح والمقام يضيق عنه هنا (فجاء يخرق الارض) أي يشقها مشبه فيها (فالتزمه) واعتنقه (ثم أمره) بالرجوع لمحله (فعاد الى مكانه) الذي كان فيه من المسجد وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الرأي وهو امام ثقة على ان هذا رواه الامام البيهقي في دلائله والحافظ أبو القاسم في تاريخه عن العباس كما في الشرح الجديد ولو وقف عليه المصنف عزاه له (وفي حديث بريدة) علم منقول من تصغير البردة المعروفة وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحرث بن الاعرج السلمي واختلف في كنيته فقيل هو أبو عبد الله وقيل أبو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابي أسلم حين مر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل البصرة وأخرج له أحمد في مسنده وغيره وليس هو بريدة الاسلمي كما توهم فانه تابعي روى أحاديث مرسلة فظن انه صحابي وله ترجمة في الميزان (فقال يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) للجذع حين سمع حنينه (ان شئت) بتاء الخطاب خاطبه لما علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا (أردك الى) مكانك (الحائط الذي كنت فيه) هو في الاصل اسم فاعل من حاطه اذا أحاط به ودار عليه ثم نقل للبستان نفسه الذي فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا ولذا قال الذي كنت فيه (ينبت لك عروقك) بدل من قوله أردك أو مستأنف لبيان علة الرد الى مكانه الذي نبت فيه (ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة) الخوص بضم الخاء المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة وهي كالورق للنخل والثمر بمثلثة واحده ثمرة أي تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها (وان شئت) مفعوله مقدر أي غرسك فقوله (أغرسك في الجنة) جواب الشرط مجزوم (فيأكل أولياء الله من ثمرك) معطوف على الجواب وهو مرتبط بقوله فالتزمه في الكلام الذي قبله تخييره صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحياة الدنيوية والحياة الاخروية (ثم أصغى له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بصاد مهملة وغين معجمة أي أمال رأسه وقربها منه (يستمع ما يقول) أي ليسمع قوله

حالك قبل ان تصير محولا كما بينه بقوله (ينبت لك) بصيغة الفاعل ويجوز بالبناء للمفعول أي يخرج لك (عروقك) وتثبت في محل أصولك (ويكمل) بفتح فسكون فضم وبضم ففتح فتشديد ميم مفتوحة أي ويتم (خلقك) أي خلقتك على ما عليه فطرتك (ويجدد لك خوص) بضم الخاء ورق النخل (وثمرة) بالمثلثة (وان شئت أغرسك) بكسر الراء (في الجنة) أي الموعودة (فيأكل أولياء الله تعالى من ثمرك) أي تمرك (ثم أصغى له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ألقى له سمعه وقرب رأسه اليه (يستمع ما يقول) أي ما يرده عليه

(فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله تعالى) أي في دار النعمة (وأكون) أي ثابتا أو نابتا (في مكان لا أبلى فيه) بفتح الهمزة واللام أي لا أخلق ولا أعتق ولا أفنى قال الحلبي ابلى بفتح الهمزة ووقع في النسخة التي وقفت عليها الآن مضموم الهمزة بالقلم ولا يصح قلت يصح أن يكون مجهولا من ابلاه متعدي بلى كما صرح باسناده صاحب القاموس (فسمعه) أي كلام الجذع (من يليه) أي يقربه والضمير له أي للنبي عليه الصلاة والسلام قيل وممن سمعه ابن عمر رضي الله عنهما قال غاب الجذع فلم ير بعد ذلك ذكره التلمساني (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) أي قبلت أو جزمت على هذا الفعل أو غرست كما أردت (ثم قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن) أي البصري (اذا حدث بهذا) أي الحديث (بكى وقال يا عباد الله الخشبة) أي مع كونها في حد ذاتها ليست من أهل الرقة والخشية (تحن) بفتح فكسر فتشديد نون أي تميل (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه) أي لمكانة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده سبحانه وتعالى أو لاجل مكانه المتبعد من مكانها (فأنتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه) ولله در القائل من أهل الفضائل
وألقى حتى في الجمادات حبه

* فكانت لاهداء السلام له تهدى وفارق جذعا كان يخطب عنده * فان أنين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * أما نحن أولى ان نحن له وجدا اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة * فليس وفاء ان نطيق له بعدا
(رواه) أي الحديث الذي مر (عن جابر حفص بن عبيد الله) بالتصغير (ويقال عبد الله بن حفص) قال الحلبي ويقال جعفر بن عبد الله والصواب الاول وانه حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك يروي عن جده وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه ابن اسحق واسامة بن زيد وجماعة قال أبو حاتم لا يثبت له السماع الا من جده انتهى وحديثه هذا عن جابر في البخاري

ومنه يصغيه وهو من الصغي بمعنى الميل كما علم يقال صغت الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الاناء وأصغيته اذا أملته وأصغيت الى فلان ملت بسمعي نحوه وحكى صغوت اليه أصغو واصغوا وصغيت أصغى قاله الراغب (فقال) أي الجذع (بل تغرسني في الجنة) أي تصيرني من غراس الجنة وتغرسني بيدك (فيأكل مني) أي من ثمري (أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه) أبلى كأفنى لفظا ومعنى من البلاء بالكسر وهو الفناء فاختار الحياة الباقية كسائر أهل الجنة وأشجارها وأبلى بفتح الهمزة وضمها خطأ (فسمعه من يليه) أي سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثاني يحتمل عوده له وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) بضم التاء للمتكلم أي أجعلك من غراس الجنة (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اختار دار البقاء) وهي الجنة كما تقدم (على دار الفناء) وهي الدنيا (فكان الحسن) البصري التابعي الامام المشهور (اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة) يعني الجذع (تحن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم تفسير الحنين (شوقا اليه) مفعول مطلق لقوله تحن كجلست قعودا أو مفعول له والاول أولى لان قوله (لمكانه) لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل انه علة متداخلة فشوقا علة لتحن ولمكانه علة لقوله شوقا أي الخشبة اشتاقت لعلو مقامه وجلالة قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في العصا واحياء عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لان الشوق والكلام يستلزمان الاحياء عند الاشعري وان قيل ان مجرد الصوت المسموع لا يستلزمه كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة أو بمعنى علو قدره وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشرنا اليه (فأنتم أحق) من الجماد (ان تشتاقوا الى لقائه) ونقل عن صاحب القاموس انه استأذن سلطان اليمن في الحج وزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكتب اليه بكلام قال فيه انه صح في الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل بالمؤمن ان يمر عليه أربع سنين ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين وقد تجدد لي من الشوق ما شب عمره عن الطوق وقد تضعضع السن وتقعقع الشن فما هو الا عظم في جراب وقد بلغت دقاقة الرقاب الى آخر ما قاله وقلت أنا حين وقفت على ما كتبه

لم لا أحن الى المختار من اضم * والجذع حن اشتياقا بعد فرقته
اني لاعجب من خشب مسندة * ما هزها الشوق أحيانا لروضته

والشوق نزاع النفس للشيء والهيجان اليه ونقل ابن عطية في سورة الكهف انه سمع الجوهري الواعظ يقول كلب أحب أهل الخير نال بركتهم وشرف صحبتهم حتى ذكره الله في كتابه فالخشبة تحن والكلب يحب هذا عبرة لاولي الالباب وفقنا الله لما يقربنا اليه (رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص) بتصغير عبيد فيهما وقيل انه حفص بن عبد الله بلا تصغير قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك وهو يروي عن جده وروى عنه أصحاب السنن وقال أبو

(وأيمن) الحبشى مولى ابن أبى عمرة المخزومى قال الذهبى فى الميزان ماروى عنه سوى ولده عبد الواحد ففيه جهالة لكن وثقه أبو زرعة وقال ابن القطان اذا وثق وروى عنه واحد انتفت الجهالة وقد أخرج البخارى وحده لايمن (وأبو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة واسمه المنذر بن مالك تابعى يروى عن على مرسلا وعن ابن عباس وأبى سعيد وعنه قتادة وعوف قال الحلبى وقع فى نسخة التى وقفت عليها الآن بالشفاء أبو بصرة بنقطة تحت الباء وهذا شئ لانعرفه ولا أعلم أبا بصرة غير واحد واسمه جميل وهو صحابى غفارى وليس له شئ عن جابر فيما أعلم (وابن المسيب) تابعى جليل (وسعيد بن أبى كرب) بفتح فكسر وهو منصرف وفى نسخة بفتح فسكون وهو همدانى وثق (وكريب) بالتصغير يروى عن مولاه ابن عباس وعائشة وجماعة وعنه ابناه وموسى بن عقبة وطائفة وثقوه (وأبو صالح) أريد به ذكوان السمان وقد تقدم (ورواه) أى الحديث الذى سبق (عن أنس بن مالك الحسن) أى البصرى (وثابت) وهو كاسمه ثابت (واسحق بن أبى طلحة) مر ذكره (ورواه عن ابن عمر نافع) أى مولاه وهو من اعلام التابعين (وأبو حية) بتشديد التحتية كلبى كوفى روى عن عمر وهناك أبو حية روى عن على (ورواه أبو نضرة) وهو الذى سبق ذكره قال التلمسانى وهو فى الموضعين فى الاصل بموحدة من أسفل وصاد مهملة وصوابه بنون مفتوحة وضاد معجمة وهكذا عند الحلبى والانطاكى (وأبو الوداك) بتشديد الدال أى رويا الحديث المتقدم كلاهما (عن أبى سعيد وعمار ابن أبى عمار) بتشديد الميم أى روى الحديث المذكور (عن ابن عباس وأبو حازم) بكسر الزاى وهو سلمة بن دينار الاعرج المدينى أحد الاعلام (وعباس) بتشديد الموحدة (ابن سهل) أى ابن سعد الساعدى كلاهما (عن سهل بن سعيد) أى عن أبيه (وكثير بن زيد) أى الاسلمى أو الايلى (عن المطلب) أى ابن أبى وداعة (وعبد الله بن بريدة) وهو قاضى مرو وعالمها (عن أبيه والطفيل بن أبى) بالتصغير فيهما كنيته أبو بطن لعظم بطنه (عن أبيه) أى أبى بن كعب (قال القاضى أبو الفضل) أى المصنف (رضى الله تعالى عنه فهذا حديث كما تراه أخرجه) وفى نسخة خرجه (أهل الصحة)

حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده (وأيمن) الحبشى والد عبد الواحد بن أيمن مولى بن أبى عمرة المخزومى وقد وثقه أبو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان ابن حبان خلط فى ترجمته وأيمن منقول من أفعل التفضيل من اليمن وهو البركة (وأبو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع فى بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة وهو تحريف وليس لنا أبو بضرة غير أبى نضرة واسمه جميل وليس له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبى وأبو نضرة الاول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدى النضرى له رواية عن ابن عباس وغيره وأخرج له أصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان وكان فصيحا ثقة توفى سنة تسع ومائة (وابن المسيب) سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان يائه تفتح وتكسر (وسعيد بن أبى كرب) بكاف وراء مهملة وباء موحدة الهمدانى وله ترجمة فى الميزان (وكريب) مثله الا انه مصغر وهو ابن رشد بن مولى ابن عباس (وأبو صالح) وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته (ورواه عن أنس بن مالك الحسن) البصرى وقد تقدمت ترجمته (وثابت) البنانى وقد تقدمت ترجمته (واسحق بن أبى طلحة) السابق بترجمته (ورواه عن ابن عمر نافع) أبو عبد الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفى سنة سبع عشرة ومائة وأخرج له الستة (وأبو حية) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية واسمه حي الكلبى الكوفى الامام الثقة والد أبى جناب يروى عن ابن عمر ولهم أبو حية آخر يروى عن على وترجمته فى الميزان (ورواه أبو نضرة) السابق ذكره قريبا (وأبو الوداك) بفتح الواو وتشديد الدال المهملة ثم ألف وكاف وهو جبر بن نوف البكالى وله ترجمة فى الميزان (عن أبى سعيد) الخدرى رضى الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته (وعمار بن أبى عمار) مولى أبى هاشم وهو ثقة أخرج له مسلم (عن ابن عباس وأبو حازم) بحاء مهملة وزاى معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدنى الثقة أحد الاعلام أخرج له الستة (وعباس) بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة وألف (ابن سهل) بن سعد الساعدى توفى سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على التسعين وأخرج له أصحاب السنن (عن سهل بن سعد) أبو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره (وكثير) بفتح الكاف ومثلثة وراء مهملة (ابن زيد) الاسلمى أبو محمد المدنى وله ترجمة فى الميزان (عن المطلب) السابق ذكره وروايه كثير عنه ليس لها ذكر فى الكتب الستة كما قاله البرهان (وعبد الله بن بريدة عن أبيه) عبد الله قاضى القضاة بمرو وعالمها الثقة وترجمته فى الميزان (والطفيل) بصيغة تصغير طفل (ابن أبى عن أبيه) أبى بن كعب وكنيته أبو بطن لعظم بطنه (قال القاضى أبو الفضل) وهو عياض المصنف (رضى الله تعالى عنه فهذا) يعنى حديث حنين الجذع (حديث كما تراه) يعنى انه علم بما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم انه (خرجه أهل

الصحة) أى من أرباب الحفظ والثقة (ورواه من الصحابة بمن ذكرنا) أى من اجلائهم (وغيرهم) بالرفع (من التابعين ضعفهم) أى زائد عليهم أو قدرهم مرتين منضمين (الى من لم نذكره) أى للاختصار أو لعدم الاستحضار أو لعدم الاشتهار (وبمن دون هذا العدد) أى وبجمع أقل من هذا العدد المذكور وفى نسخة وبدون هذا العدد (يقع العلم) أى القطعى (لمن اعتنى بهذا الباب) أى اهتم بشأنه وجمع جميع ما يتعلق ببيانه (والله المثبت) بتشديد الموحدة ويجوز تخفيفها أى من شاء من عباده (على الصواب)

❁ (فصل) ❁ (ومثل هذا) أى ما ذكر من حنين الجذع (وقع له فى سائر الجمادات) أى بقيتها أو جملتها من غير النباتات التى هى قريبة من الحيوانات فهو فى باب المعجزة أقرب وفى خرق العادة أغرب (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) وفى نسخة ابن محمد (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن المرابط) بضم الميم وكسر الموحدة اذن له أبو عمرو الدانى (ثنا المهلب) بتشديد اللام المفتوحة (ثنا أبو القاسم ثنا أبو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا المروزى ثنا الفربرى) بفتح الفاء ويكسر (ثنا البخارى) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) بتشديد النون المفتوحة (ثنا أبو محمد الزبيرى) بالتصغير نسبة الى جده فانه محمد بن عبد الله بن الزبير وليس من ولد ابن الزبير بن العوام بل هو كوفى مولى لبنى أسد قال بندار ما رأيت احفظ منه وقال آخر كان يصوم الدهر (قال ثنا اسرائيل) أى ابن يونس ابن أبى اسحق اسمعيل السبيعى الكوفى أحد الاعلام وثقه أحمد وغيره وضعفه ابن المدينى وغيره أخرج له الائمة الستة (عن منصور) أى ابن المعتمر أبو عتاب السلمى من أئمة الكوفة يروى عن أبى وائل وزيد بن وهب وعنه شعبة والسفيانان (عن ابراهيم) أى ابن يزيد النخعى (عن علقمة) أى ابن قيس (عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال لقد كنا) أى نحن معشر الصحابة معه صلى الله تعالى عليه وسلم (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية والحديث هذا قد ساقه القاضى كما رأيت من رواية البخارى وهو من علامات النبوة وخوارق العادة وقد أخرجه الترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح ذكره الحلبى (وفى غير هذه الرواية عن ابن مسعود) وفى أصل الدلجى وفى رواية عنه أيضا وقال كما فى الترمذى (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الصحة) أى الثقات من المصنفين الذين التزموا فى كتبهم رواية الاحاديث الصحيحة (ورواه من الصحابة من ذكرناه) فى هذا الفصل (وغيرهم من التابعين ضعفيهم) بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابى روى عنه من طرق كما فصله فاذا ضممتهم (الى من لم نذكره) فاذا علمت هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره (و) من (دون) وفى نسخة وبدون (هذا العدد) الذى ذكره (يقع العلم) أى يوجد العلم وتتفق صحته فكيف به (لمن اعتنى) أى اهتم به وتقيد (بهذا الباب) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (والله المثبت) بضم الميم وبالمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة أى توفيق الثبات وعدم تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته (على الصواب) وهو ضد الخطأ

❁ (فصل ومثل هذا) من حنين الجذع واشتياقه ونطقه (فى سائر الجمادات) أى جميعها أو بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع خبر ما بعده أو فاعل فعل مقدر أى ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره واستشهد بحديث رواه البخارى وهو ما أشار اليه بقوله (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) تقدم بيانه وترجمته قال (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن المرابط) بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهى لاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المرى توفى بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين وأربعمائة وكان متفننا فى العلوم سمع من المهلب والدانى وغيرهما قال (حدثنا المهلب أبو القاسم) والمهلب بصيغة المفعول هو ابن أبى صفرة وفى التكنية بابى القاسم وجوازه على الصحيح كلام مشهور تقدم وسيأتى بيانه أيضا قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) على بن محمد بن خلف الحافظ المعافرى كما تقدم قال (حدثنا المروزى) أبو زيد كما تقدم قال (حدثنا الفربرى) تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين فى اسم بلده قال (حدثنا البخارى) صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه قال (حدثنا محمد بن المثنى) وهو محمد بن المثنى أبو موسى العنزى الحافظ الثقة الورع توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين وترجمته مفصلة فى الميزان قال (حدثنا أبو أحمد الزبيرى) بضم الزاى المعجمة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الزبيرى نسبة لجده وليس هو الزبير بن العوام بل هو كوفى مولى لبنى أسد توفى سنة ثلاث ومائتين قال (حدثنا اسرائيل) بن يونس بن اسحق السبيعى الكوفى أبو يوسف الثقة أخرج له الستة توفى سنة اثنين وستين ومائة وترجمته فى الميزان (عن منصور) أبى عتاب بن المعتمر السلمى من أئمة الكوفة (عن ابراهيم) بن يزيد النخعى (عن علقمة) بن قيس تقدم بيانه (عن عبد الله ابن مسعود (قال) أى ابن مسعود (لقد كنا) معاشر الصحابة (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية أى فى حال أكلنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى غير هذه الرواية) يعنى رواية البخارى وهو رواية الترمذى (عن ابن مسعود) أيضا (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الطعام ونحن نسمع تسبيحه) أي قوله سبحان الله وهذا مما استأنس به لان معنى قوله تعالى وان من
شئ الا يسبح بحمده تسبيح حقيقي بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له تذييله بقوله ولكن لا
تفقهون تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن أخرجه الترمذي عن ابن يسار أيضا من طريق آخر وفي
قوله كنا الى آخره دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة كما تقدم وفي هذا معجزة للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وكرامة للصحابة اذ سمعوا ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة أعظم من معجزة فهم منطق الطير
والجبال لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام وفي الدر المنثور للسيوطي ان كل شئ يسبح الا الكلاب
والحمار وتقدم ان التسبيح معناه تنزيه الله عما لا يليق به وأهل الظاهر أوّلوا الآية بلسان الحال
كالزمخشري وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون وذكر المصنف رحمه الله هذه
الرواية لما فيها من التصريح بانه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا
طائل تحته (وقال أنس) في حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه (أخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كفا) أي مقدار ما يملأ الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر أي ملء كف (من حصى) جمع
حصاة وهي صغار الحجارة (فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع
المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفي نسخة في يده (حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) أي وضعهن
وهو استعارة شائعة في الاجرام الصعبة كصببنا الصبرة من المكيل وأصله في المائعات كالماء (في يد أبي
بكر فسبحن) جملة حالية (ثم) صبهن (في أيدينا فما سبحن) وفي قوله حتى سمعنا اشارة الى خفاء صوتهن
وفيه دليل ظاهر على فضل أبي بكر رضي الله تعالى عنه على غيره وايماء الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن
انه ما سمع تسبيحهن أوان التسبيح لم يكن من الجمادات دائما والاول أولى (وروى مثله أبو ذر) رضي
الله تعالى عنه رواه الطبراني والبيهقي والبزار والمثلية في مجرد تسبيح الحصى فلا ينافي قوله (وذكر انهن
سبحن في كف عمر وعثمان) رضي الله تعالى عنهما ولفظ هذا الحديث عن أبي ذر في دلائل البيهقي قال
كنت أتتبع خلواته صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجئته حتى جلست
اليه فجاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم جاء
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فسلم وجلس عن يمين أبي بكر رضي الله تعالى عنه ثم جاء عثمان فسلم
وجلس عن يمين عمر وبين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبع حصيات فأخذهن فوضعهن
في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن في يد
أبي بكر رضي الله تعالى عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم
تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم
تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا أخرجه الحافظ أبو القاسم في تاريخه مسندا عن أنس
رضي الله عنه وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفي
رواية صبهن في أيدينا رجلا رجلا الى آخره وفي الشرح الجديد انه لم يذكر عليا رضي الله تعالى عنه وكرم
وجهه فان كان تسبيحها في يد غيره مخصوصا بالخلفاء فهو خليفة كابنه الحسن أيضا وأجاب بانه لم
يكن حاضرا ثمة أولان خلافته أدركت الفتنة على ان مثله لا يشين مقامه رضي الله تعالى عنه مع ماله
من المناقب * أقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية أبي ذر انه لم يكن ثمة غيره وما في
رواية البيهقي يقتضي انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم علي
رضي الله تعالى عنه وفيهما اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا (وقال علي) رضي الله عنه في حديث
رواه الدارمي والترمذي بسند حسن (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الطعام ونحن نسمع تسبيحه) أي تسبيح الطعام والجملة حالية من ضمير نأكل (وقال أنس) وفي نسخة وعن أنس كما روى ابن عساكر في تاريخه (أخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى) أي حجارة دقاق (فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) أي حولهن واضعا لهن (في يد أبي بكر فسبحن ثم) أي بعده وضعهن (في أيدينا فما سبحن وروى مثله) مثل حديث أنس (أبو ذر رضي الله تعالى عنه) على ما رواه البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي عنه (وذكر) أي أبو ذر (انهن سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما) ولعل القضية متعددة (وقال علي) وفي نسخة وعن علي (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فخرج

فخرج الى بعض نواحيها) أى جهاتها وأطرافها (فما استقبله) أى ما واجهه (شجرة) وفى نسخة شجر (ولا جبل) أى حجر كما روى (الا قال له السلام عليك يارسول الله) رواه الدارمى والترمذى بسند حسن قال ابن اسحق وهذا مما بدئ به صلى الله تعالى عليه وسلم من النبوة (وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلاة والسلام انى لاعرف) وفى رواية ٦٧ الآن (حجرا بمكة كان يسلم على) أى يقول السلام عليك يارسول الله رواه مسلم (قيل انه الحجر الاسود) وقيل انه الحجر المتكلم ومال اليه القاسى وقال انه الحجر المبنى للجدار المقابل لدار أبى بكر قال السهيلى روى فى بعض المسندات انه الحجر الاسود (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت) أى شرعت (لاأمر) بفتح همز وضم ميم وتشديد راء من المرور (بحجر ولا شجر) وفى نسخة صحيحة بتقديم شجر على حجر وهو الاظهر فتدبر (الا قال السلام عليك يارسول الله وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) كما رواه البيهقى (لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) أى انقاد وتواضع له بنحو السلام أو سجود التحية والاكرام كاخوة يوسف عليه السلام له أو كالملائكة لآدم عليه السلام بجعله قبلة (وفى حديث العباس) على ما رواه البيهقى أيضا (اذا اشتمل عليه) أى على عمه (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بنيه) أى بنى عمه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام فالف ممدودة ريطة كالملحفة قطعة واحدة وأما قول الدلجى بهمزة ممدودة فسهو وقلم من أثر وهم نشأ له تبعا للحلبى فى قوله بهمزة مفتوحة ممدودة (ودعا لهم) أى للعباس وبنيه (بالستر من النار) بفتح السين مصدر والاسم بالكسر بمعنى الحجاب ويؤيد الاول قوله

فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم الى بعض نواحيها فما استقبله) وفى بعض النسخ فما استقبلته (شجرة) أى وقعت فى مقابلته وجهه قريبا منه (ولا جبل الا قال له) كل واحد منهما (السلام عليك يارسول الله) بان خلق الله تعالى فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما ولكن الظاهر انه كان فيه حياة أيضا وهذا كما قاله ابن اسحق رحمه الله تعالى كان فى بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته (وعن جابر بن سمرة) رضى الله تعالى عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على) أى يقول السلام عليك يارسول الله ونحوه (قيل انه الحجر الاسود) فقد قال السهيلى وغيره روى فى المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو المأثور وقد قيل انه حجر غيره وانه معروف الى الآن بمكة فى محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون به الآن ويقولون انه الذى كان يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه المعجزة أعظم من معجزة داود عليه الصلاة والسلام فى قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن لانها لم تسبح بيده وفى يد من أراده من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما الا انه لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتاكيده بان وتنكيره اشارة الى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود فلا يقال ما الفائدة فى ذكر حجر واحد وهو صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه كما أشار اليه بقوله (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البزار فى مسنده (لما استقبلنى جبريل) عليه الصلاة والسلام أى نزل على وأتانى (بالرسالة جعلت) أى صرت (لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله) تبشيرا بقاله وتطمينا وانها لعموم رسالته وأمر يقربه الحجر كيف ينكره البشر (وعن جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البيهقى (لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى ابتداء بعثته (يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) أى انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام والسجود لغير الله سبحانه وتعالى انما يمتنع من البشر وهذا محمول على السماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد التصريح به فى الحديث السابق ومثله لا يقال من قبل الرأى فلا حاجة الى ان يقال انه علم من باب الكشف ويحتمل ان الراوى شاهد ذلك فى حال مروره معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى حديث العباس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البيهقى رحمه الله تعالى عن أسيد الساعدى (اذا اشتمل عليه) الضمير للعباس رضى الله تعالى عنه أى الحديث الذى ذكر فيه انه كان فى وقت اشتمل أى ضمه (صلى الله تعالى عليه وسلم) فى ردائه (وبنيه) وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وهاء وهى الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذى له شقتان فان كان له شقة واحدة فهى ريطة براء وطاء مهملتين والجمع ملاء وريط (ودعا لهم) أى للعباس وبنيه (بالستر من النار) الستر ما يمنع المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما يمنعهم من دخولهم للنار وعن ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر ستره ثم شبه بعد التجوز فى

(كستره اياهم بملاءته) كأنْ قال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه (فامنت) بتشديد الميم أى تكلمت بكلمة آمين (أسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء أى عتبته (وحوائط البيت) جمع حائط نعنى الجدار أى وجدرانه المحدقة به من جميع نواحيه (آمين آمين) كرر اماتا كيدا أو تقريرا لوقوعه مكررا أو باعتبار كل من الاسكفة والحوائط وآمين بالمد ويقصر مبنى على الفتح ومعناه استجب أو افعل وفى حديث آمين خاتم رب العالمين (وعن جعفر) أى الصادق (ابن محمد عن أبيه) أى محمد الباقر ابن زين العابدين على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه) جبريل (بطبق) أى من سعف أو غيره (فيه رمان وعنب) أى من فواكه الدنيا أو الجنة (فاكل منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من مجموعهما أو من كل منهما أو من طبقهما (فسبح) أى ما فى الطبق عندا كله قال الدلجى لم أدر من رواه قلت يكفى انه رواه المصنف وهو من أكابر المحدثين ولولا ان الحديث له أصل لما ذكره ولذا قال القسطلانى فى المواهب ذكره القاضى عياض فى الشفاء ونقله عنه عبد الحافظ أبو الفضل فى فتح البارى (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبخارى والترمذى وابن ماجه عنه انه قال (صعد) بكسر العين أى طلع (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان)

قوله (كستره) صلى الله تعالى عليه وسلم (اياهم بملاءته) اذ قال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه (فامنت) بفتح الهمزة والميم المشددة والنون أى قالت آمين طلبا لاستجابة دعائه (أسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء وهى العتبة وما يعلوه الداخل من الباب ومن المجاز وقعت الدمعة على أسكفة عينه أى جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد فيه (وحوائط البيت) جمع حائط وهو معروف أى جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه (آمين آمين) هو اسم فعل أمر بمعنى استجب وفيه لغات أشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم وروى قصرها وتشديد الميم وفيه كلام فى التفسير واللغة مشهور وآمين آمين اما معمول لمقدر أى وقالت آمين أولامنت لتضمنه معنى القول وتكريرها اما على التوزيع أى قالت الاسكفة آمين والحوائط آمين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله آمين تاكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد يغفل عن مثله وهذا الحديث بتمامه فى دلائل البيهقى وفيه انه قال للعباس يا أبا الفضل لا تفارق أنت وبنوك بيتك حتى آتيك فان لى بكم حاجة فانتظروه فلما أتاهم قال كيف أصبحتم فقالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فخمهم معه فى ملاءته وقال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله وفى دلائل أبى نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة أبو الخلفاء وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم وسعيد وأم حبيبة أختهم وفيهم يقول عبد الله الهلالى

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه أو سهل * كستة من بطن أم الفضل

أكرم بها من كهلة وكهل * عم النبى المصطفى ذى الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

ومثل هذه القصة حديث أهل الكساء فى المباهلة المتقدم وهو جمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لخمسة من أهل بيته وهم النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسنان فى كسائه ويقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان معهم كما قيل

أفضل من تحت الفلك * خمسة رهط وملك

وقال الخالدى

أعاذلى ان كساء التقا * كسانيه حبى لآل الكساء

وقال أبو على الضرير لمن وعده بكساء ثم اخلف

من غزل من هذا الكساء ونسج من * هل فى عمان طرازه أم فى عدن

ولاى وقت بعد ريح قرة * هبت وأمطار ألمت تحتزن

أم ذا كساء العز آل محمد * فالضن عن بذل له أم حسن

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا أعظم من المشبه به والمعهود فى التشبيه عكسه كما قيل (وعن جعفر بن محمد عن أبيه) محمد الباقر بن زين العابدين وقال السيوطى لم أجد هذا فى كتب الحديث يعنى المشهورة فلا ينافى اطلاع المصنف رحمه الله تعالى عليه (مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بطبق فيه رمان وعنب) المذكور فى اللغة ان الطبق بمعنى الغطاء والمراد به هنا الوعاء مجاز الانه على هيأته والظاهر انهما من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الآخرة لم يفن لقوله أكلها دائم لا يلتفت اليه كالبحث عن كونهما فاكهة أولا (فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح) أى فاراد الاكل منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية ولم يذكر هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله فاذا ذكره مع الجماد وهو ما لا روح له مطلقا (وعن أنس) بن مالك رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه أحمد والبخارى والترمذى وابن ماجه (صعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر

وعثمان أحدا) بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل ان تسكينه ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة
وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه انه جبل يحبنا ونحبه وأخبر انه سيكون في الجنة
(فرجف) الجبل (بهم) أي تحرك حركة شديدة واضطرب واضطرابه اما لهيبته صلى الله تعالى عليه
وسلم أو لخوفه من الله تعالى أو انه لزلزلة اتفقت عند صعودهم عليه (فقال اثبت أحد) بضم آخره من
غير تنوين أي يا أحد فأمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالثبات وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا
وحياة اذ فهم كلامه وامتثل أمره وهو محل الشاهد في هذا الحديث أي ينبغي ان يكون فيك وقار
وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب المشوش عليهم فلذا قال (فإنما عليك نبي)
يعني نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم (وصديق) يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه (وشهيدان) يعني
عمر وعثمان رضي الله عنهما لانهما ماتا قتلا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال لم يصف
عثمان بالشهادة اختصارا واقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروي انه صلى الله تعالى عليه
وسلم ضربه برجله أي ركضه بها (ومثله) أي مثل الحديث الذي في أحد ما رواه مسلم (عن أبي هريرة
رضي الله تعالى عنه في حراء) بالمد والقصر والتذكير والتأنيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف
على ثلاثة أميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه (وزاد) في هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر
وعثمان وأبي بكر رضي الله تعالى عنهم (ومعه علي وطلحة والزبير) وفي رواية سعد بن أبي وقاص رضي
الله تعالى عنه بدل علي (وقال) في هذه الرواية (فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد) أو هنا بمعنى الواو
للتقسيم وبها عبر المصنف رحمه الله تعالى عند سياقه هذه الرواية فيما يأتي فقال أثبت انما عليك نبي
وصديق وشهيد وسيأتي الكلام عليها ثمه وأراد بذلك ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما
مطلقا لان عمر رضي الله تعالى عنه قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف
في قاتله وعلي رضي الله تعالى عنه قتله ابن ملجم الخارجي الشقي والزبير رضي الله تعالى عنه قتل بوادي
السباع ظلما وطلحة رضي الله تعالى عنه اعتزل الناس فأصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم شهداء
حقيقة وحكما وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اسكن حراء واهدأ حراء الى آخره كما رواه مسلم
والترمذي ولم يذكر سعدا كما سيأتي (والخبر) الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه رواه الترمذي والنسائي (في حراء أيضا عن عثمان) بن عفان رضي الله تعالى عنه (قال) عثمان
رضي الله تعالى عنه في هذه الرواية (ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد) في رواية عثمان (عبد الرحمن)
ابن عوف (وسعدا) ابن أبي وقاص (قال ونسيت الاثنين) تتمة العشرة وهما طلحة والزبير (وفي
حديث) آخر رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة (سعيد بن زيد أيضا) ابن عمرو بن نفيل
أحد العشرة المبشرة (مثله) أي مثل حديث عثمان وفي الصحابة سعيد بن زيد أنصاري أسلمي وهو
غير هذا لانه لا يعرف له رواية (وذكر) في هذه الرواية أيضا (عشرة وزاد نفسه) فيهم (وقد روي) في
حديث الهجرة المذكور في السير ولم يسنده السيوطي هنا (انه) صلى الله عليه وسلم (حين طلبته قريش)

وعثمان رضي الله عنهم أحدا) بضمتين وهو جبل عظيم قرب المدينة (فرجف بهم) بفتح الجيم أي اضطرب من هيبتهم وارتعد من
خشيتهم (فقال اثبت أحد) أي يا أحد (فإنما عليك نبي) أي ثابت النبوة (وصديق) أي مبالغ في ثبوت الصداقة (وشهيدان) أي
ثابتان في مرتبة الشهادة ومنزلة حسن الخاتمة بالسعادة ووقع في أصل الدلجي بعد قوله فرجف بهم فضربه برجله وهو غير موجود في
النسخ المعتبرة وفي أصل التلمساني أو صديق أو شهيد فهي كالواو للمصاحبة أو للتفصيل

(ومثله) أي مثل ما روى أنس في أحد روى (عن أبي هريرة في حراء) بكسر الحاء ومد الراء منصرفا وممنوعا وقصره وهو جبل بمكة على يسار الذاهب الى منى (وزاد) أي أبو هريرة (معه) أي مع ما ذكر (وعلي) أي قوله وعلي بالعطف على ما قبله والمعنى روى ومعه علي (وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد) وفي رواية وسعد ابن أبي وقاص بدل وعلي فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد رواه مسلم والترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ بدل اسكن (والخبر) أي الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي والنسائي (في حراء أيضا عن عثمان قال) أي عثمان ومعه عشرة من الصحابة (أنا فيهم وزاد) أي عثمان (عبد الرحمن) أي ابن عوف كما في نسخة

(وسعدا) وهو ابن أبي وقاص (قال) وفي نسخة وقال أي عثمان (ونسيت) بفتح فكسر والاولى بضم فكسر مشددا (الاثنين)
لعلهما طلحة والزبير (وفي حديث سعيد بن زيد) أي كما رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه (أيضا مثله) أي مثل
الخبر المروي قبله (وذكر عشرة وزاد) أي سعيد نفسه أي ذكرها فيهم (وقد روي) بصيغة المجهول أي في حديث الهجرة من السيرة
(انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش

قال له ثبير) بفتح المثلثة وكسر الموحدة اسم لجبل بظاهر مكة على ما في القاموس وفي النهاية جبل معروف انتهى والمشهور انه جبل عظيم بمنى قبالة مسجد الخيف على يسار الذاهب الى عرفات واما قول الشمنى جبل بمزدلفة ففيه انه متصل بآخر مزدلفة واما قول الحجازى جبل عظيم بالمزدلفة على يمنة الذاهب من منى الى عرفة فظنه انه وقع سهوا وهو من أسمائه وليس بمراد هنا (اهبط يارسول الله) أى انزل عنى (فانى أخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله تعالى) أى بمشاهدة هذا الامر فوقى وتحمل هذا الفعل منى (فقال حراء الى) أى التجئ واصعد الى وارتفع لدى (يارسول الله) وكان الخوف غالبا على ثبير والرجاء على حراء (وروى ابن عمر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) أى على المنبر (وما قدروا الله حق قدره) أى وما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته بجعلهم له شريكا فى ألوهيته ووصفهم اياه بما لا يليق بربوبيته (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يمجد الجبار نفسه) بتشديد الجيم أى يذكر ذاته بوصف المجد والشرف والعظمة وروى يحمد (يقول) كذا فى نسخة وهو جملة حالية (أنا الجبار أنا الجبار) بالرفع باثبات التكرار وهو الذى يجبر العباد على وفق ما أراد ويقهرهم بالفناء عن البلاء (أنا الكبير) أى العظيم الذات الكريم الصفات قال الحجازى أنا الجبار مرتين وأنا الكبير ويروى مرتين (المتعال) أى المتعال وهو الرفيع الشان المنزه عن التعلق بالزمان والمكان ونحوهما من سمات الحدثان وصفات النقصان (فرجف المنبر) أى اضطرب اضطرابا شديدا وذلك لعظمة الله وهيبته (حتى قلنا ليخرن) بفتح اللام والياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء والنون أى ليسقطن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) أى عن المنبر

لما خرج مهاجرا وأرسلوا خلفه من يطلبه منهم (قال له ثبير) بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى ولهم جبال أخر تسمى ثبيرا كلها حجازية وسمى ثبيرا من الثبور باسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمى باسمه (اهبط يارسول الله) أى انزل من على ظهرى واذهب الى مكان آخر تختفى به عنهم ثم علل أمره بالهبوط والنزول منه الى مكان آخر بقوله (فانى أخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله) بالنصب معطوف على يقتلوك وانما خاف العذاب بسبب قتله لانه لم يذكر له ذلك مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشامنه يستحق به العذاب أولانه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذى يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على أرض ثمود فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر أخرى حتى يوجه بان خوفه بمعنى حزنه وتأسفه عليه ونحوه من التخيلات التى لا وجه لها كما قيل (فقال له حراء) اسم جبل كما تقدم (الى يارسول الله) بتشديد الياء المفتوحة تقديره ائت الى أو هو اسم فعل بمعنى أقبل وقال له ذلك لانه ألهمه الله ان يقدره على ان ينشق له ويستتر فى جوفه ونحو ذلك مما تقع به سلامته صلى الله تعالى عليه وسلم وكان هذا قبل توجهه صلى الله تعالى عليه وسلم الى غار ثور الذى اختفى فيه عند الهجرة (وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم والنسائى وأحمد فى مسنده وما ذكره المصنف هو رواية أحمد بلفظه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على المنبر) آية (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته قيل ان بعض أحبار اليهود قال له يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ويقول أنا الملك أنا الله فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرأ وما قدروا الله الآية ونحوه منه فى جامع الترمذى وقال الخطابى انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات أصابع وهو منزه عن مثله ولذا قال (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما تلى الآية (يمجد الجبار نفسه) أى يعظم وينزه ذاته وروى يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفى ذكره الجبار موافقة للقرآن وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهى وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى الذات على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد فى القرآن أيضا وليس من قبيل قوله تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق آخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما خفى على كثير من الفضلاء يعنى المقصود من الآية تعظيم كبريائه توقيفا للعباد على كنه ذاته فلذا قال (أنا الجبار أنا الجبار) وكرره للتأكيد والتهويل (أنا الكبير المتعال) أى المتعالى فى عظمته عما يخطر بالعقول وحذف الياء فى الوقف وهو جائز أى أنا الجليل المتكبر العلى الاعلى المنزه عن الجارحة وفيه اشارة الى ان ما ذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل لجلالة قدره وعظم ذاته (فرجف المنبر) أى اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى قلنا) أى قال من كان حاضرا (ليخرن عنه) أى ليقع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من عليه أو لينهد المنبر وهذا وما قبله من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لنطق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو

محل

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البزار والبيهقى (قال كان حول البيت) أى على جدرانه ذكره الدلجى (ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل) بفتح الموحدة المخففة أو المشددة أى مستمرة (بالرصاص) بفتح الراء على ما فى القاموس قيل ويكسر (فى الحجارة) أى من أحجار البيت ولا يبعد أن تكون الاصنام موضوعة على حجارات كائنة حول البيت منصوبة بتسميرها فيها بالرصاص وكذا كانت الاصنام داخل البيت وفوقه أيضا قال الدلجى وروى أبو يعلى نحوه أى عنه أنه قال (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) أى المسجد الحرام وهو يطلق على الكعبة وما حولها من البقعة (عام الفتح) أى سنة فتح مكة (جعل) أى شرع (يشير بقضيب) أى بسيف لطيف أو عود ظريف (فى يده) حال من قضيب (اليها) متعلق بيشير قال الحلبى وفى رواية صحيحة بقضيب يشبه القوس والقوس قضيب انتهى والتشبيه يحتمل أن يكون من حيثية طوله وعرضه أو من جهة انحراف فى وسطه (ولا يمسها) أى بيده تجنبا عنها الا لبعدها كما ذكره الدلجى (ويقول) أى ما أمره الله به أن يقول (جاء الحق) أى ظهر الحق وأهله (وزهق الباطل) أى اضمحل وذهب أصله (الآية) أى ان الباطل كان زهوقا أى غير ثابت فى نظر أهل الحق دائما (فما أشار) أى به كما فى نسخة أى بقضيبه (الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا) أى ولا أشار به (لقفاه الا وقع لوجهه) أى سقط عليه هيبة مما أشار به اليه (حتى ما بقى منها صنم) أى الا خر ساقطا اما على وجهه واما على قفاه (ومثله فى حديث ابن مسعود) أى على ما رواه الشيخان عنه (وقال) أى ابن مسعود (فجعل يطعنها) بفتح العين ويضم وهو أولى من عبارة الحلبى بضم العين ويفتح لما فى كلام استاذه صاحب القاموس طعنه بالرمح كمنعه ونصره ضربه مع ما فى الفتح من الخفة المعادلة لثقل العين كما حرر فى يسع ويضع ويدع ويقع ثم المراد بالطعن هنا مجرد الاشارة لما سبق صريحا فى العبارة والمعنى يشير اليه فى صورة الطاعن لديه

محل الشاهد (وعن ابن عباس) فى حديث أخرجه الشيخان والبزار والطبرانى وأبو يعلى عن جابر وابن مسعود أيضا (كان حول البيت) فى الجاهلية وقبل الفتح (ستون وثلثمائة صنم) اتخذها قريش آلهة يعبدونها من دون الله (مثبتة الارجل بالرصاص فى الحجارة) أى قيدت أرجلها ومكنت فى الارض برصاص جعل عليها حتى لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص معروف قال الجوهرى بفتح الراء والعامة تكسره انتهى فكسره كضمه لحن من العامة وكون الاصنام حول الكعبة لا فوقها ورد فى كثير من الروايات (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) أى مسجد مكة المشرفة (عام الفتح) أى فتح مكة (جعل) أى شرع وطفق (يشير بقضيب) وعصا كانت (فى يده اليها) أى الى الاصنام المذكورة واليها متعلق بيشير (ولا يمسها) بيده ولا بقضيبه لاستكراهه صلى الله تعالى عليه وسلم لها ولانه لو مسها توهم ان سقوطها بشدة دفعه لها (ويقول) حال من فاعل يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وان جاز بتكلف أى قائلا (جاء الحق وزهق الباطل الآية) والحق التوحيد والاسلام والباطل ضده وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت (فما أشار) بالقضيب (الى وجه صنم) أى ما هو على صورة وجه مقابل له (الا وقع) خر ساقطا (لقفاه) أى على قفاه فاللام بمعنى على كقوله

* وخر صريعا لليدين وللفم * والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أى فى حال من الاحوال الا حال سقوطه (ولا) أشار (لقفاه الا وقع لوجهه) أى أى جهة أشار صلى الله تعالى عليه وسلم اليها من الصنم وقع على مقابلها (حتى) سقطت كلها و(ما بقى منها صنم) قائم اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده فى لغة ضعيفة وقيل انه ضرورة والحاصل انها سقطت كلها باشارته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يمسها واختلفت الروايات فقيل أشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل بعود وهذا فيما كان حول البيت وأما ما كان فى جوفه فأمر باخراجه ولم يدخل صلى الله عليه وسلم البيت حتى أخرجت منه ومحيت الصور التى كانت فيه ولم يتعرض له المصنف مع انه فى الصحيحين لان كلامه فى اطاعة الجمادات له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم ان هذه الاصنام كانت موثقة بالرصاص لو أراد أحد قلعها لم يقلعها الا بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد فهو كتحريك الشجر من مغرسه له صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المصنف رحمه الله وأشار اليه بقوله مثبتة بالرصاص (ومثله) أى مثل هذا الحديث وبمعناه (فى حديث ابن مسعود) الذى رواه الشيخان (وقال) أى ابن مسعود فى روايته (فجعل يطعنها) أى الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع ويجوز ضمها والاول أشهر وأفصح خلافا لمن عكس وقد تقدم اختلاف الروايات فيما طعن به وهى متقاربة والذى مر فى الرواية السابقة انه أشار اليها من غير ان يمسها بيده وما فيها من عصا ونحوها وهذه الرواية تقتضى انه مسها بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها ففيها مخالفة ولذا فسر بعضهم طعنها بأشار اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انها كانت كثيرة فأشار لبعض منها وطعن بعضا منها فلا تعارض فى الروايات

(ويقول) أى كما مر به فى آية أخرى (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) أى ظهر الحق ولم يبق للباطل ابداء ولا اعادة أو ما يبدئ الصنم خلقا ولا يعيده أو لا يبدئ ضر الاهله فى الدنيا ولا يعيده فى العقبى (ومن ذلك) أى من قبيل ما ذكر عن الجمادات (حديثه) أى خبره الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيرا بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصورا وقيل ممدودا واسمه جرجس أو جرجيس بزيادة ابن عبد القيس من نصارى تيماء أو بصرى ذكره ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة لايمانه به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته (فى ابتداء أمره) أى أمر ظهوره (اذ خرج تاجرا) ظرف لحديثه معه أو لابتداء أمره (مع عمه) أى أبى طالب وفيه انه لم يكن فى خروجه معه تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال تتركنى وليس لى أحد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وفى هذه لقى نسطور الراهب وقصته معه مشهورة وفى كتب السير مسطورة فقوله تاجرا حال من عمه لا من ضمير خرج (وكان الراهب) أى بحيرا (لا يخرج) أى فى عادته (الى أحد) أى ممن كان ينزل المكان (فخرج) أى فى ذلك الزمان (وجعل يتخللهم) أى شرع يطلب أحدا فى خلال من كان فى تلك الحال (حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش) (ثم
أى من المشركين (ما علمك) أى ما سبب علمك به وبقربه عند ربه (قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد) أى الاشجار والاحجار (الا لنبى وذكر القصة) أى على ما أوردها أهل الاخبار من انه قال وانى لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه

(ويقول) معطوف أو حال بتقدير وهو يقول (جاء الحق) أى الدين الحق والتوحيد أو وعد الله بفتح مكة (وما يبدئ الباطل وما يعيد) الابداء الايجاد ابتداء من غير سبق ايجاد آخر والاعادة الايجاد مرة بعد مرة أخرى وما هنا جوز فيها أن تكون نافية أى ان الشرك هلك واضمحل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفى أيضا فالمعنى واحد وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه فى الصحيحين وقدم الاول لانه أوفق بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهى مقبولة (ومن ذلك) أى مما ذكر من أمر الجمادات (حديثه) الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيراء واسمه جرجس ويقال جرجيس بياء ابن عبد القيس من نصارى تيما أو بصرى وهو ممن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفى المسئلة اختلاف ذكره البرهان فى النبراس وغيره وقيل ان بحيراء يهودى واسمه بفتح الباء مقصور ويروى مده وتسميته راهبا تؤيد نصرانيته لان الرهبانية وهى الزهد فى المأكل وغيره لشدة رهبته أى خوفه معروفة فيهم كما لا يخفى (فى ابتداء أمره) صلى الله تعالى عليه وسلم أى وهو صغير السن لم يبعث (اذ خرج تاجرا) أى لاجل التجارة (مع عمه) أبى طالب واعترض عليه بانه لما خرج مع عمه المذكور كان عمره تسع سنين وقيل اثناعشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض لعمه وهو خارج وقال له تتركنى وليس معى أحد فأخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة رضى الله تعالى عنها وميسرة هذا لم يذكر فى الصحابة وقد مات قبل البعثة وفى هذه الخرجة لقى راهبا آخر وهو نسطورا وقصته مشهورة أيضا ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى ما لا يخفى وما قيل فى الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه أو حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم المستتر فى خرج وجعله تاجرا لمجاورته لعمه الذى خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا (وكان الراهب لا يخرج) من صومعة له كان يترهب فيها (الى أحد) ممن يمر عليه من ابناء السبيل لان صومعته كانت على طريق قريش فى ممرهم للشام تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم (فخرج) على خلاف عادته لما نزل قريبا منه أبو طالب والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معه وأبصرهم (فجعل) أى صار (يتخللهم) بفتح المثناة التحتية والفوقية والخاء المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة أى يدخل فى خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحدا بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما فى الصحاح (حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أمسك بيده الشريفة (فقال هذا سيد العالمين) أى أشرف المخلوقات كلهم لما رأى فيه من الصفات التى علمها من كتبهم (يبعثه الله) أى يرسله لدعوة الكافة بعد ما نبأه (رحمة للعالمين) أى لاجل رحمتهم جميعا لمجيئه بما يسعدهم فى الدنيا والآخرة كما تقدم (فقال له) أى للراهب (أشياخ من قريش) جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع فى الشريف المتقدم على غيره (ما علمك) بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة أى من أين عرفت هذا (فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له) وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم بأحوالهم فى السفر (ولا تسجد الا لنبى) تعظيما له اذا مر بها أو نزل عندها والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو فى حق العقلاء دون غيرهم كما مر فانهم لا يتصور منهم شرك فالبحث عنه لا وجه له (وذكر القصة) الى آخرها مفصلة كما فى السير وشهرتها تغنى عن ذكرها

(ثم قال) أى الراهب أو الراوى (فاقبل وعليه غمامة تظله فقال أنظروا الى الغمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه) وفى نسخة قد سبقوه (الى فىء الشجرة) بفتح الفاء وسكون التحتية بعدها همزة أى الى ظلها (فلما جلس مال الفىء) أى فىء الشجرة (اليه) فقال أنظروا الى الفىء مال اليه ثم قال أنشدكم الله تعالى أيكم وليه قالوا أبو طالب واذا بسبعة من الروم قد أقبلوا فسألهم فقالوا ان هذا النبى قد خرج من بلاده فى هذا الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال أفرأيتم أمرا أراده الله تعالى أيقدر أحد يدفعه قالوا لا فقاموا عنده ثلاثة أيام ولم يزل يناشده عمه حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده

الراهب زيتا وكعكا قيل وذكر أبى بكر وبلال فيه وهم

(فصل)

(فى الآية) أى الشاهدة بثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من بديع الكرامات ومنيع المعجزات (فى ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ) سبق ذكره (حدثنا أبى) قال الحلبى تقدم أبوه فاضبط فى بعض النسخ بصيغة التصغير تصحيف وتحريف (ثنا القاضى أبو يونس ثنا أبو الفضل الصقلى) بفتح الصاد وتكسر وسكون القاف (حدثنا ثابت بن قاسم ابن ثابت عن أبيه عن جده) أى كليهما (قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران ثنا محمد ابن فضيل) بالتصغير وهذا هو الاصل الصحيح وقع فى أصل المؤلف باسقاط ثنا محمد بن فضيل (ثنا يونس بن عمرو) بالواو وقال أبو معين ثقة وقال أبو حاتم لا يحتج به (ثنا مجاهد عن عائشة) قال يحيى بن سعيد لم يسمع منها قال وسمعت شعبة ينكر ان يكون سمع منها وتبعه على ذلك يحيى بن معين وأبو حاتم الرازى وحديثه عنها فى الصحيحين وقد صرح فى غير حديث بسماعه منها والله تعالى أعلم (قالت كان عندنا داجن) بكسر الجيم ما يألف البيت من الحيوان كالشاة والطير مأخوذ من المداجنة وهى المخالطة والملازمة (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة عندنا مؤخر (قر وثبت مكانه) أى الداجن (فلم يجئ ولم يذهب) أى ولم يغير شانه توقيرا له وتكريما وهيبة منه وتعظيما

(ثم قال) أى الراهب (فاقبل) صلى الله تعالى عليه وسلم للمنزل (وعليه غمامة تظله) دون من معه من رفقته (فلما دنا من القوم) المرافقين له الذين نزلوا قبله (وجدهم سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس) صلى الله تعالى عليه وسلم (مال الفىء اليه) أى الى جانبه لذى جلس فيه والفىء هو الظل أو الظل بالغداة والفىء بالعشى لانه من فاء اذا رجع وهذا هو أصل معناه لكن توسعوا فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الآخر والغمامة السحابة أو البيضاء والمراد الاول وخبر بحيراء صحيح روى من طرق صحيحة الا أنه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستقبلهم بحيراء وقال لهم ما جاء بكم فقالوا ان هذا النبى خارج فى هذا الشهر وانا بعثنا له فقال لهم أرأيتم أمرا أراده الله هل يستطيع أحد رده قالوا لا فقعدهم عما أرادوه وأقاموا معه ورده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا رضى الله تعالى عنهما وقال الذهبى انه حديث منكر وانما طعن فيه لان أبا بكر رضى الله عنه كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه من حديث آخر والآفة فيه من رواته

وما آفة الاخبار الا رواتها *

*(فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات) الآيات جمع آية وهى العلامة والمعجزة لانها علامة نبوة النبى والضروب جمع ضرب وهو النوع (حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ قال حدثنا أبى قال حدثنا القاضى يونس) رجال هذا السند تقدموا كلهم مع الكلام عليهم وعلى أسمائهم فلا حاجة لتكرار الممل (قال حدثنا أبو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وياء نسبة نسبة لصقلية جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر

ذكرت صقلية والاوسى * تأجج نيران تذكارها

وكسر صادها خطأ وان ذكره البرهان ظنا من عنده (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو) كذا فى النسخ وقد سقط منه راو وصوابه حدثنا أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو كما فى بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم وأصحاب السنن الاربعة وترجمته فى شرحها كما تقدم ويونس هو ابن اسحق السبيعى وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب لا يحتج به وترجمته فى الميزان توفى سنة تسع وخمسين ومائة (قال حدثنا مجاهد) وفى نسخة عن مجاهد (عن عائشة) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم وقيل ان مجاهدا لم يسمع منها والصحيح خلافه (قالت) عائشة (كان عندنا داجن) من المداجنة وهى لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تألف البيوت وتعلف فيها وتطلق على غيرها من الحيوانات التى تربى فى البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها عندنا منزلها الذى تسكنه وكذا فى قوله (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قر وثبت مكانه) أى وقف أو ربض فى مكانه

(واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب) أى تردد واضطرب وهذا الحديث رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى والدارقطنى وهو صحيح وفى المدعى صريح (وروى عن عمر) رضى الله تعالى عنه بصيغة المجهول اشعارا بضعفه فقد قال الحافظ المزى لا يصح اسنادا ولا متنا وقال ابن دحية انه موضوع لكن قال القسطلانى قد رواه الائمة فنهايته الضعف لا الوضع فمن رواه الطبرانى والبيهقى قال وروى أيضا باسانيد عن عائشة وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما وما ذكرناه ومثلها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى محفل) بفتح الميم وكسر الفاء أى مجتمع (من أصحابه اذا جاء اعرابى قد صاد ضبا) بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة حيوان معروف يقال اذا فارق جحره لم يهتد اليه وهو لا يشرب وأطول الحيوان روحا بعد ذبحه و يعيش سبعمائة سنة فصاعدا و يقال انه يبول فى كل أربعين يوما قطرة (فقال) أى الاعرابى (من هذا قالوا نبى الله فقال واللات) بواو القسم (والعزى) وهما صنمان كانوا يعبدونهما فى وسط الكعبة (لا آمنت بك) أى بنبوتك ورسالتك وفى نسخة لا أومن بك (أو) بسكون الواو (يؤمن) بالنصب أى الى أن يؤمن أو حتى يؤمن كما فى نسخة (بك هذا الضب) أى فأومن أنا أيضا بك حينئذ (وطرحه بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ألقى الضب بين جهتى يديه يعنى قدامه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له ياضب فاجابه بلسان مبين) أى بين أو مبين حروفه (يسمعه القوم جميعا لبيك) أى اجابتى لك مرة بعد مرة (وسعديك) أى ومساعدتى لطاعتك كرة بعد كرة (يازين من وافى القيامة) أى يا زينة من أتاها وحضر (قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام له (من تعبد) أى عمن يسمى الها (قال

أعبد

لا يتحرك تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من منزله (جاء وذهب) أى مشى فى البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل المعنى انه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتياقا الى رؤيته وهذا حديث صحيح رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والبيهقى والدارقطنى وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لالف الحيوانات التى لا تعقل ومهابتها له وروى داجنة بالهاء وراجن بالراء وقد علم ان قر من القرار وهو السكون وعدم الحركة (وروى عن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى وروى أيضا عن عائشة رضى الله عنها وأبى هريرة وهو ضعيف كما قاله السيوطى وليس بموضوع كما قيل (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى محفل) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع (من أصحابه اذ جاء اعرابى) أى دخل بغتة عليهم رجل من أهل البادية غير معروف (قد صاد ضبا) جملة حالية بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة حيوان برى أكبر من الجرذ دون بيض والاعراب تصطاده وتأكله (فقال) الاعرابى للصحابة (من هذا) سأل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ينكره أو لم يعرفه (قالوا) له جوابا (نبى الله) أى هو نبى الله ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وليس قولك من هذا بضائره * البيت يعرف من أنكرت والحرم

(فقال واللات والعزى) وهما صنمان عبدا فى الجاهلية وأصل اللات اللاء فحذفوا الهاء وأدخلوا تاء التأنيث عوضا عنها وهو من لوى سمى به لالتوائهم فى طوافهم حولها وكان بنخلة والطائف لقريش وثقيف والعزى تأنيث الاعز شجرة من السمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية و يلها فقتلها وقال ياعزى كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد أهانك ثم أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا واقسم الاعرابى بهما لانه لم يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده من قوله (لا آمنت بك) أى بانك رسول الله (أو يؤمن بك هذا الضب) بنصب يؤمن أى الا أن يؤمن هذا الضب فأومن أنا بك أيضا بعد رؤية معجزتك من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك وأو بمعنى الا أو الى غاية لانتفاء ايمانه وهما مما ينتصب بعده المضارع بعد النفى ونحوه وفى نسخة حتى بدل أو (وطرحه) أى رمى الاعرابى الضب (بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم) أى فى مقابلته قريبا منه (فقال) صلى الله عليه وسلم (له) أى للضب (ياضب) بالضم لانه منادى مفرد (فاجابه بلسان بين) كلامه أو بكلام ظاهر مفهوم (يسمعه القوم) الذين عنده (جميعا لبيك) أى اجابة لك بعد اجابة وهو مثنى منصوب على المصدرية كما بينه النحاة (وسعديك) أى مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله فى المعنى والنصب وهما عبارة عن سرعة الاجابة والانقياد والطاعة (يازين من وافى القيامة) أى من تزين وتحسن من كل من جاء الى القيامة والموافاة الحضور والمجىء والقيامة معروفة وانما جعله زينا أى مزينا لاهلها ومن بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شائعة فى لسان عامة العرب فيقولون يازين القوم لاشرفهم وأحسنهم (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للضب (من تعبد) سأله ليقر بعبوديته لله فوصفه بما يعرفه كل أحد (قال)

أعبد (الذى فى السماء عرشه) وهو فى الاصل سرير الملك والعرش والكرسى اجمالا معلوم وتحقيقه فى كتب التفسير والمراد بالسماء مايقابل الارض أو جهة العلو مطلقا فلا ينافى ماورد من انه فوق السموات كما قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وللكلام فى هذا المقام آخر لاتحيط به ظروف الحروف (وفى الارض سلطانه) أى فى الارض ومن فيها ظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين وسلطانه وان كان على كل موجود لكن ظهوره فيمن قد يخالف ظاهر فيها والسلطان فى الاصل مصدر من التسلط والقهر (وفى البحر سبيله) أى طريقه التى جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال الله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر ولذا كانت الكفرة لايدعون فيها سواه كما قال الله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (وفى الجنة رحمته) المختصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا والآخرة (وفى النار عذابه) وفى نسخة عقابه فلما آمن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ليكمل ايمانه (فمن أنا) أى اذا آمنت بى فمن انا (قال رسول رب العالمين) اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات (وخاتم النبيين) فلا نبى بعدك كما تقدم (وقد أفلح) وفاز بسعادة الدارين (من صدقك) وأقر برسالتك (وخاب من كذبك) بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك (فاسلم الاعرابى) لما رأى معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله تعالى والاقرار برسالة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث طويل رواه البيهقى وفيه ان الاعرابى من بنى سليم وانه كان ذاهبا بالضب ليشويه ويأكله فلما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له معه ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من اسلامه وقال لا أتبع أثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الارض أبغض الى منك وأنت اليوم أحب الى من نفسى وولدى فلما أسلم وتشهد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى هداك ان هذا الدين يعلو ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقرآن ثم أعلمه الصلاة والقراءة وعلمه سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه ووفودهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علمت ضعف الحديث وان قال ابن دحية انه موضوع (ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تسخير الحيوانات وانطاقها (قصة كلام الذئب المشهورة) التى رواها أحمد والبزار والبيهقى وصححها (عن أبى سعيد الخدرى) رضى الله عنه وهو سعيد بن مالك الصحابى كما تقدم (بينا راع) تقدم ان بينا من الظروف وان الالف للاشباع أو كفة عن الاضافة فراع فى محل رفع أو جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها وهو معروف وقوله (يرعى غنماله) ذكره لبيان ان الغنم له فليس باجنبى وانه كان يرعى غنما فان الراعى قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف فى اسم هذا الراعى فقيل انه اهبان بن أوس وقد جرى عليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى وانه وقع مثل هذه القصة لابى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فى ذئب أخذ ظبيا ولابى جهل وأصحابه وفى حديث آخر ان الذئب أخذ شاة فتبعه الراعى فقال له الذئب من لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى وان الذى كلمه الذئب اهبان بن أوس الاسلمى وقيل أهبان بن عقبة عم سلمة بن الاكوع أحد أصحاب الشجرة وقيل أهبان بن الاكوع وعند السهيلى انه رافع بن ربيعة وقيل هو أهبان بن عباد الخزاعى وقيل الذى كلمه الذئب سلمة بن الاكوع ويأتى بيان ذلك كله وقيل أهبان ابن صيفى وعن ابن عساكر ان الذى كلمه الذئب رافع بن عميرة الطائى كلمه الذئب وهو فى ضأن له يرعاها ودعاه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره باللحوق به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال

رعيت الضأن أحميها زمانا * من الضبع الخفى وكل ذئب

الذى فى السماء عرشه) أى ملكوته سبحانه (وفى الارض سلطانه) أى ملكه المظهر شانه (وفى البحر سبيله) أى طريق آياته ولعله من باب الاكتفاء فان فى البر كثيرا من عجاباته (وفى الجنة رحمته) أى ثوابه من أثرها المطيعين (وفى النار عقابه) أى من أثر سخطه للعاصين (قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين) أى آخرهم وهو بفتح التاء على ماقرأ به عاصم بمعنى ختموا به وبكسرها بمعنى ختمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيينا ختم النبيين (وقد أفلح) أى فاز (من صدقك) بتشديد الدال أى أطاعك (وقد خاب) أى خسر (من كذبك) أى عصاك (فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة) بالرفع (عن أبى سعيد الخدرى) كما رواه أحمد والبزار والبيهقى وصححه (بينا) وفى نسخة بينما على ان ما زائدة كافة واما ألف بينا فقيل هى اشباع فلا تمنع الجر وقيل مانعة له منه وهو المشهور عند الجمهور (راع يرعى غنماله

فلما ان سمعت الذئب نادى * يبشرني باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبي * عن الساقين قاصدة الركيب
فالفيت النبي يقول قولا * صدوقا ليس بالقول الكذوب
فبشرني لدين الحق حتى * تبينت الشريعة للمنيب
وأبصرت الضياء يضيء حولي * أمامي ان سعيت وعن جنوبي
الا ابلغ بني عمرو بن غوث * واخوتهم جذيلة ان أجيبي
دعاء المصطفى لا شك فيه * فانك ان أجبت فلن تخيبي

وقد علم ان قصة كلام الذئب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (عرض الذئب لشاة منها) أي أتاها لاختطافها وأخذها (فاخذها الراعي منه) أي أدركه وانتزعها من يده وردها (فاقعى الذئب) أي مكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف في اقعاء الكلب والذئب وللاقعاء معنى آخر كما ذكره الفقهاء في كتاب الصلاة (فقال) الذئب بعد اقعائه (للراعي ألا) حرف استفتاح هنا (تتقي الله) أي تخافه وتحذره (حلت) بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح تاء الخطاب أي فصلت وفرقت (بيني وبين رزقي) الذي رزقه الله لي (قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس) وفي نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك (فقال الذئب) مجيبا له (ألا أخبرك باعجب من ذلك) أي من كلام حيوان أعجم (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وتاء تانيث مثنى حرة وهي ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كأنها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة (يحدث الناس بانباء ما سبق) وفي نسخة من سبق أي الامم السابقة وأحوالهم وانما جعله أعجب لانه اخبار بالغيب معجز فلذا عده أعجب من نطق حيوان أنطقه الله الذي أنطق كل شيء وكون الامر أعجب يختلف باختلاف الاسباب والانباء جمع نبأ وهو الخبر (فاتى الراعي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) بكلام الذئب وقصته معه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للراعي قم) من عندي فاذهب الحاضرين (فحدثهم) بما شاهدته ليزداد ايمانهم ويسرهم ما ظهر من معجزاته (ثم قال صدق والحديث فيه قصة) لما فيه من الغرابة وانه من أشراط الساعة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما احدث في أهله ولما لم يكن في هذا الاستشهاد لما هو بصدده أسقطه واعتذر عنه بقوله (وفيه) أي في بعض رواياته (طول) ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا (وروى حديث الذئب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) رواه أحمد والبزار والبيهقي وصححه والبغوي وأبو نعيم بسند صحيح (وفي بعض الطرق) بضمتين جمع طريق تجوزبه عن الرواية (فقال الذئب) للراعي (أنت أعجب) أي حالك أعجب من حالي في حال كونك (واقفا على غنمك) أي مراعيا

وحافظا

عرض الذئب لشاة منها) أي وقت رعي غنمه فاجاء عروض الذئب أي ظهوره في تعرضه لشاة من جملة قطيع الغنم (فاخذها) أي الراعي (منه فاقعى الذئب) أي ألصق أسته بالارض ونصب ساقيه وفخذيه ووضع يديه على الارض (وقال للراعي ألا تتقي الله) أي أما تخاف والمعنى خف الله تعالى فالاستفهام للتوبيخ لا للانكار الداخل على النفي المقيد لتحقق ما بعده كما ذكره الدلجي (حلت بيني وبين رزقي) بضم الحاء أي منعت رزقي عني وهو جملة مبينة قائمة مقام العلة (قال الراعي العجب) أي كل العجب (من ذئب يتكلم بكلام الانس) أي في مقام الانس (فقال الذئب ألا أخبرك باعجب من ذلك) أي وأغرب فيما هنالك (رسول الله بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهي ارض ذات حجارة سود حول المدينة السكينة (يحدث الناس بانباء من قد سبق) وفي نسخة صحيحة ما بدل من وانما كان أعجب لانه اخبار عما لم يعلم به غير الرب (فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره) أي بكلام الذئب له فقال النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم له) أي للراعي (قم فحدثهم) أي الحاضرين والغائبين (ثم قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام بعد ان حدثهم الراعي أو قبله (صدق) أي الراعي في قوله وبالحق نطق في نقله (والحديث فيه قصة) أي طويلة أو عظيمة وهو الاظهر لقوله (وفي بعضه طول) أي في بعض ألفاظه طول أي ليس هذا محل بسط تلك الفصول وروى انه لما جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره صدقه ثم قال انها امارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه ثم وسوطه بما احدث أهله بعده وفي رواية قال والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث أهله بعده (وروى حديث الذئب عن أبي هريرة) أي من طرق (وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك) حال

(وتركت) أى والحال انك قد تركت (نبيا) أى خدمته وصحبته مع انه نبى عظيم ورسول كريم (لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا) أى رفعة ورتبة (قد فتحت له أبواب الجنة) أى وكذا لمن تبعه من أكابر الامة (وأشرف أهلها) أى أطلع أهل الجنة (على أصحابه ينظرون قتالهم) أى فى الغزو وينتظرون وصالهم بالشهادة وحسن مآلهم فى الجنة (وما بينك) أى والحال انه لا حائل بينك (وبينه الا هذا الشعب) بكسر أوله أى قطع هذا الوادى وهو ما انفرج بين الجبلين (فتصير فى جنود الله) أى أحزابه المجاهدين (فقال الراعى من) وفى نسخة ومن (لى بغنمى) أى من يقوم لى برعاية غنمى (قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى) أى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما عنده من غنمه (وذكر) أى الراعى (قصته) أى مع الذئب (واسلامه ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على وفق ما حكاه الذئب له (يقاتل فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عد) بضم العين وسكون الدال المهملة أى ارجع (الى غنمك تجدها) جواب الامر أى تصادفها (بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء أى بتمامها وكمالها ما نقص شئ منها (فوجدها كذلك) أى كما أخبره (وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان) بضم الهمزة (ابن أوس) بفتح أوله أى وروى عنه أيضا (وانه) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (كان صاحب القصة) أى الحكاية (والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع) على ما فى الروض الانف (وانه كان صاحب هذه القصة أيضا) فيه ايماء الى تعدد القصة وتكرر القضية (وسبب اسلامه) أى فى هذه الرواية

وحافظا لها (وتركت نبيا) أى وقد تركت الى آخره فالجملة حالية بتقدير قد (لم يبعث الله نبيا) من أنبيائه السالفة (قط أعظم منه عنده) أى أجل (قدرا) ومنزلة عند ربه وهو تمييز النسبة أعظم (وقد فتحت له أبواب الجنة) بتشديد تاء فتحت وتخفيفها أى هيئت وأعدت له والجملة حالية أيضا وقوله (وأشرف أهلها) يدل على ان المراد انها انفتحت حقيقة لينظر من فيها من الملائكة والاشراف النظر من مكان عال مأخوذ من الشرف وهو المكان العالى (على أصحابه ينظرون قتالهم) أى ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون فى القتال كصفوف الملائكة (وما بينك وبينه الا هذا الشعب) بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعنى انه قريب منك لا عذر لك فى التخلف عنه (فتصير فى جنود الله) اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع العجب من نطقى الذى تعجبت منه (قال الراعى) للذئب لما أشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن لى بغنمى) أى اذا ذهبت اليه من يتكفل لى بحفظ غنمى حتى أجئ (قال الذئب أنا أرعاها) أى أحفظها وأحرسها (حتى ترجع) اليها من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (فاسلم الرجل) وهو الراعى (اليه غنمه) أى سلمها للذئب وتركها عنده (ومضى) الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر) له (قصته) مع الذئب وما كلمه به وما فعله معه (واسلامه) الغنم له (ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل) كما قال له الذئب (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما قص قصته عليه وأسلم وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (عد الى غنمك تجدها بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء أى بتمامها وكمالها لم ينقص منها شئ من قولهم أرض وفرة لم يرع نباتها (فوجدها كذلك) أى تامة غير ناقصة (وذبح للذئب شاة منها) جزاء له على صنيعه وارشاده له (وعن اهبان بن أوس) عطف على قوله عن أبى هريرة وهو بضم همزة اهبان وأوس بفتحها علم منقول معناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقى والبخارى فى تاريخه عنه (وانه كان صاحب هذه القصة) المذكورة فى كلام الذئب (و) انه (المحدث بها ومكلم الذئب) كما فى الروض الانف وانه كان فى غزوة ذى قرد (و) روى أيضا (عن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه) أى ابن الاكوع لاسلامه كما قيل ويجوز فتح همزة انه وكسرها (كان صاحب هذه القصة أيضا) يعنى انها تعددت (و) كانت (سبب اسلامه) وفى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين وهو مكلم الذئب فى رواية هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو أهبان بن الاكوع وعن الواقدى هو أهبان بن أوس الاسلمى الصحابى رضى الله تعالى عنه من أسلم نزل الكوفة وتوفى فى خلافة معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذئب اهبان بن عبادة بن يعيش بن كعب بن أمية بن نقعة بن خزيمة من أسلم وذكر جدى فى التلقيح ان من اسمه اهبان أربعة اهبان بن الاكوع أبو عقبة واهبان بن أوس الاسلمى واهبان بن صيفى الغفارى واهبان بن عباد الخزاعى مكلم الذئب قال وقيل ان مكلم الذئب اهبان ابن أوس انتهى ولم يذكر فى الرواية منهم سوى اهبان بن صيفى والحاصل ان مكلم الذئب على رواية هشام اهبان بن الاكوع وعلى قول الواقدى اهبان بن أوس الاسلمى وعلى قول ابن الاشعث اهبان ابن صيفى الغفارى انتهى ففيه أقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدى فان كانت القصة تعددت فلا

(بمثل حديث أبى سعيد) متعلق بروى المقدرة قبل قوله وعن اهبان والحاصل انه اختلف فى اسم الراعى المتكلم معه الذئب فقيل هو اهبان بن أوس السلمى أبو عقبة سكن الكوفة وقيل اهبان بن عقبة وهو عم سلمة بن الاكوع وكان من أصحاب الشجرة وقيل اهبان بن عباد الخزاعى وقيل اهبان بن صيفى وعن الكلبى هو اهبان بن الاكوع وعند السهيلى هو رافع بن ربيعة وقيل سلمة ابن الاكوع والجمع ممكن بحمل القصة على تعدد القضية واختلاف المراد باهبان فى الرواية (وقد روى ابن وهب مثل هذا) أى مثل ماجرى فى أخذ الذئب شاة (انه جرى لابى سفيان بن حرب) أى والد معاوية (وصفوان بن أمية) بالتصغير (مع ذئب وجداه أخذ ظبيا) أى أراد أخذه (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) أى تعظيما للحرم المحترم (فعجبا) بكسر الجيم أى فتعجبا (من ذلك) أى من انصرافه عما هنالك (فقال الذئب أعجب من ذلك) أى مما تعجبا (محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة) أى الى سببها وهو الايمان (وتدعونه الى النار) أى موجبها وهو الكفران فهذا مقتبس من قوله تعالى عن مؤمن من آل فرعون ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار لاجرم ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وان مرادنا الى الله وان المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد (فقال أبو سفيان) أى لصفوان (واللات والعزى لئن ذكرت هذا) أى الخبر (بمكة) أى فيما بين أهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام أى بلا راع ولا حام كذا فى النهاية ويقال حى خلوف اذا غاب رجالهم وبقى نساؤهم وقيل أى متغيرة أخذا وتعجبوا من خلوف فم الصائم والمعنى ان أهلها بعد سماعهم هذا تغيرت أحوالهم وذهبوا الى المدينة ولم يبق أحد منهم الا دخل فى الاسلام معهم ولعل هذا كان سبب اسلامهم فى آخر أمرهم (وقد روى مثل هذا الخبر) أى الذى جرى لابى سفيان وأحبابه (وانه) بفتح الهمزة وكسرها (جرى لابى جهل وأصحابه) الا انه لم يسلم لما جرى لما سبق له من الشقاوة الابدية فى كتابه هذا وعند ابن القاسم عن أنس كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك فشردت على منه غنمى فجاء الذئب فاخذ منها شاة فاشتدت الرعاة خلفه فقال الذئب طعمة أطعمنيها الله تعالى تنزعونها منى فبهت القول فقال ماتعجبون الحديث وفى الروض أيضا فى غزوة ذات السلاسل وهى فى آخر الكتاب مالفظه وذكر فى هذه السرية صحبة رافع ابن أبى رافع لابى بكر وهو رافع بن عمير وهو الذى كلمه الذئب وله شعر مشهور فى تكلم الذئب له وكان الذئب قد أغار على غنمه فاتبعه فقال له الذئب ألا أدلك على ما هو خير لك قد بعث الله نبيه وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع وأسلم

خلاف وليس فى الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من أبى عقبة فليحرر (بمثل حديث أبى سعيد) الخدرى أى روى سبب اسلامه بمثله (وروى) عبد الله (ابن وهب) السابق ترجمته (مثل هذا) المذكور من كلام الذئب (انه جرى) أى وقع واتفق (لابى سفيان بن حرب) والد معاوية وأم حبيبة المشهور رضى الله تعالى عنهم (وصفوان بن أمية) الصحابى المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما وكانا من أشد الناس عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل اسلامهما فلما أسلما صار صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليهما من نفسهما (مع ذئب وجداه أخذ ظبيا) أى أراد أخذه فجرى خلفه فى الحل ليأخذه بقرينة قوله (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) عنه لانه فى الحرم المحرم صيده أو انه انفلت منه بعد أخذه (فعجبا من ذلك) أى من كون الذئب عرف حرمة الحرم وكف عن صيده امكانه وهو ليس من العقلاء (فقال الذئب) لما سمع تعجبهما أو علمه من حالهما (أعجب من ذلك) الفعل الذى صدر منى (محمد بن عبد الله) موجود (بالمدينة يدعوكم الى الجنة) بدعوته للاسلام الذى هو مقتضى لدخولها (وتدعونه الى النار) بقولكم له لم لاتوافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود فى النار وانما كان هذا أعجب لانه مخالف لما يقتضيه العقل ونطق حيوان أعجم لقدرة الله تعالى واقداره ليس بعجيب كهذا فى النظر السديد والعقل السليم وليس باغرب من عبادة الحجارة (فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت) بضم التاء وفتحها (هذا) أى تكلم الذئب وما قاله (بمكة) أى ذكرته لاهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام والفاء مصدر أو جمع خالف والمراد تتركها خالية من أهلها بان يسلموا جميعا ويرتحلون له صلى الله تعالى عليه وسلم لان من سمع مثله لايتردد فى صحة رسالته صلى الله عليه وسلم وسعادة من اتبعه أو المراد يدعها وأهلها متغيرة فاسدة لما يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة فالاول من قولهم أتيت الحى فوجدته خلوفا أى ليس فيه احد من الرجال بل النساء ويقال لهن خوالف لانهن يخالفن الرجال والثانى من قوله صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك أى رائحة تغيره (وقد روى مثل هذا الخبر) الذى وقع لابى سفيان وصفوان (وانه جرى لابى جهل وأصحابه) أى انهم شاهدوا مثله

وتعجبوا منه ولكن الله أشقاه وأشقاهم (وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وهو من الصحابة شاعر مجيد وشجاع شهم وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية كالصديق رضى الله تعالى عنه وجماعة الا انه كان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور الله قلبه (لما تعجب) لما ظرف متعلق بمقدر أى وقع ذلك أو شرطية جوابها قوله فاذا طائر الخ فان جواب لما قد يقترن بالفاء لكنه نادر (من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة وميم وآخره راء مهملة بوزن كتاب كما فى القاموس وفى بعض نسخ الذيل والصلة للصاغانى بالدال المهملة وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبى (صنمه) بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه (وانشاده) بالجر معطوف على كلام (الشعر) بالنصب مفعول المصدر (الذى ذكر فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة الشعر وضمير انشاده للصنم وسبب ذلك ان مرداس لما احتضر قال لابنه ياعباس أى بنى أعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا يضر ولا ينفع ثم صاح بأعلى صوته ياالهى الاعلى اهدنى للتى هى أقوم فصاح صائح من جوف الصنم

أودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل البيان من النبى محمد

وهو الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

قل للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا طائر سقط) أى خر من الجو بغتة عليه (فقال) الطائر (ياعباس أتعجب من كلام ضمار) بالتنوين والصرف الا انه وقع فى الشعر غير مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جائز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره لتعجبه لانه كلام شيطان فى جوفه وكلام الطائر أعجب منه (ولا تعجب من نفسك أن رسول الله يدعو الى الاسلام) حذف مفعوله للتعميم أى كل أحد اليه (وأنت جالس) فى منزلك متخلف عن اجابة دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم التى هى السعادة العظمى (فكان ذلك) المذكور مما سمعه من الصنم والطائر (سبب اسلامه) لانه لما سمع ما ذكر نهض فى ثلثمائة فارس من قومه وهم سليم فلما رآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تبسم وقال له ياعباس حدثنا بما رأيت فقص عليه القصة وأسلم وقيل ان ضمارا كان صنما لخزاعة يتحاكمون اليه وأن قصة نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكأنه صنم آخر والقصة ونطق الاصنام وأخبارها ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقعت مرارا وفيها أخبار مذكورة فى السير قيل انما تركها المصنف لان النطق المسموع منها من الجن (وعن جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه البيهقى (عن رجل) اسمه أسلم وعن الواقدى ان اسمه يسار وهو رجل أسود كما يأتى قاتل بخيبر حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس فى سيرته فى غزوة خيبر (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر) قوله وهو جملة حالية أى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم مقيم عنده لفتحه والحصون جمع حصن وهى القلعة التى يتحصن بها لا القصر كما قيل ولا حذف فى هذا الكلام وقيل الضمير للرجل ويبعده قوله (وكان فى غنم يرعاها لهم) أى لاهل خيبر والظرفية بمعنى المعية أوهى

(وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وكان الاولى ان يقول ومن ذلك حديث عباس بن مرداس (لما تعجب من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة ويفتح وميم مخففة فألف فراء ذكره الصغانى وغيره وفى نسخة بالدال (صنمه) بالجر بدل من ضمار أو بيان فانه اسم لصنم كان يعبده هو ورهطه (وانشاده) أى ومن قراءته برفع صوته (الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) روى ان مرداس لما احتضر قال لابنه عباس أى بنى أعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا ينفع ولا يضر ثم صاح بأعلى صوته ياالهى الاعلى اهدنى للتى هى أقوم فصاح صائح من جوف الصنم

أودى ضمار وكان يعبد مدة
قبل البيان من النبى محمد
وهو الذى ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدى
قل للقبائل من سليم كلها
أودى ضمار وعاش أهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ثم لحق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم (فاذا طائر سقط) أى وقع ونزل بين يديه (فقال ياعباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك) أى بتخلفك عن مورث انسك (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) وفى نسخة صحيحة يدعوك (الى الاسلام وأنت جالس) أى بعيد عن مقام المرام (فكان) أى كلام الطائر (سبب اسلامه) والحديث هذا كما فى الطبرانى الكبير بسند لا بأس به قريب مما هنا (وعن جابر بن عبد الله) كما روى البيهقى عنه (عن رجل) وهو أسلم أو يسار وهو رجل أسود استشهد فى غزوة خيبر كما ذكره أبو الفتح اليعمرى فى سيرته (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو) أى النبى عليه الصلاة والسلام (على بعض حصون خيبر وكان) أى الرجل (فى غنم يرعاها لهم

فقال يارسول الله كيف بالغنم) أى مع أصحابها (قال أحصب) بفتح الهمزة وكسر الصاد أى ارم بالحصباء وهى دقاق الحصى (وجوهها) أى لترجع الى دور مالكيها (فان) أى لان وفى نسخة بان أى (بسبب ان الله سيؤدى عنك أمانتك ويردها الى أهلها) أى بكمالها من غير خلاف لها (ففعل فسارت كل شاة) أى فى طريقها (حتى دخلت الى أهلها وعن أنس) كما رواه أحمد والبزار بسند صحيح (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائط انصارى) أى بستان واحد من الانصار (وأبو بكر وعمر وعثمان ورجل من الانصار) أى معه (وفى الحائط غنم) وهو بحركتين الشاء لا واحد لها من لفظها والواحد شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكر والاناث وعليهما جميعا (فسجدت له) أى للنبى عليه الصلاة والسلام سجود التحية والاكرام وانقادت له باظهار الاسلام فانه مبعوث الى كافة الانام كما اختاره بعض الاعلام والظاهر ان سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام لقوله (فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها) أى فانها مع قلة عقلها اذا كانت تسجد لك فكيف نحن مع كثرة انتفاعنا بك لكن أمرنا متوقف على اذنك (الحديث) بتثليث المثلثة وسيأتى تمامه (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه البزار بسند حسن (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر) أى أبو هريرة (مثله) أى مثل حديث أنس لا مثل حديث ابى هريرة كما توهم الدلجى فقالوا هذه بهيمة لا تعقل فسجدت لك ونحن نعقل فنحن أحق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها

مجازية لقوله واذا كنت فيهم الآية (فقال يارسول الله فكيف بالغنم) أى كيف أفعل بالغنم اذا أسلمت وهى ملك غيرى وأنا أجير (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (احصب وجوهها) أى ارمها فى وجوهها بالحصباء وهى صغار الحجارة ودقاقها وماقيل من ان حكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى العقل فى قوله

وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لذليل

ومنه الاحصاء بمعنى العد وأخذ العلم والهداية لها الى أهلها هذيان لا معنى له وانما المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم للرجوع لمنازل أصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها كما أشار اليه بقوله (فان الله سيؤدى عنك أمانتك) وهى الغنم التى أسلمت لك أى يوصلها ويبلغها (ويردها الى أهلها) وهم أصحابها المالكون لها فتخرج أنت عن عهدة ضمانها (ففعل) ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها) وانما كان هذا لانه كان مستأمنا وفى يده أمانة لاهل خيبر قبل فتحها فاذا ردها صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطمين قلبه من خروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها فيئا مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح وقيل ان الراعى كان عبدا أسود رقيقا لبعض أهل خيبر فلما غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع خبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود جاءه وأسلم أى أظهر اسلامه فلا منافاة بينه وبين ما مر وحسن اسلامه واستشهد فى تلك الغزوة بحجر أصابه أو سهم ولم يصل صلاة قط فشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وأخبر انه رأى عنده حوريتان من الحور العين كما رواه مفصلا فى دلائل النبوة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم الظاهرة كما لا يخفى (وعن أنس) فى حديث صحيح مسند رواه أحمد والبزار (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائط أنصارى) الحائط معروف ويتجوز به عن البستان وهو المراد هنا (وأبو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط) أى البستان (غنم فسجدت له) صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما له لما شاهدت من نور نبوته وألهمها الله تعالى معرفته (فقال أبو بكر) لما رأى سجودها له صلى الله تعالى عليه وسلم (نحن أحق بالسجود لك منها) يعنى لو كان السجود لغير الله تعالى والجار الاول متعلق بالسجود والثانى بأحق وفى بعض النسخ تقديم لك على السجود لانه ظرف يتوسع فيه ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف عمله (الحديث) وتتمته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لا ينبغى لاحد أن يسجد لاحد وأحد المخصوص بالنفى يشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلاء كما صرحوا به ففى ذلك اشارة الى ان الغنم ونحوها من غير جنس الناس سجودها تعظيما ليس ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف عليه الصلاة والسلام (وعن أبى هريرة) قال السيوطى هذا الحديث رواه البزار بسند حسن وحديث ثعلبة بن مالك الآتى رواه أبو نعيم وحديث جابر رواه أحمد والدارمى والبزار والبيهقى وحديث يعلى بن مرة رواه أحمد والحاكم والبيهقى رحمهم الله تعالى بسند صحيح وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم وأبو داود وحديث عبد الله بن أبى أوفى رواه أبو نعيم والبيهقى (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا) أى بستانا (فجاء بعير) كان فى البستان (فسجد له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر مثله) أى مثل الحديث الذى قبله فقالوا هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق ان نسجد لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصلح

(ومثله) أى مثل حديث أبى هريرة (فى البعير) وفى نسخة صحيحة فى الجمل (عن ثعلبة بن مالك) كما رواه أبو نعيم قال المزى قدم ثعلبة
من اليمن على دين يهود فنزل فى بنى قريظة فنسب اليهم ولم يكن منهم ولم يعرف من الصحابة من اسمه ثعلبة ابن أبى مالك غيره واسم أبى
مالك عبد الله (وجابر بن عبد الله) كما رواه أحمد والدارمى والبزار والبيهقى عنه (ويعلى بن مرة) كما رواه أحمد والحاكم والبيهقى بسند
صحيح عنه (وعبد الله بن جعفر) كما رواه مسلم وأبو داود عنه قال أبو هريرة (كان لا يدخل أحد الحائط) أى
ذلك البستان من غير
أهله (الا شد عليه الجمل)
أى حمل وصال عليه
حفظا لحائطه واستغرابا
لداخله ورعاية لصاحبه
(فلما دخل النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم
دعاه) أى الجمل فجاء
خاضعا وانقاد له خاشعا
(فوضع مشفره) بكسر
الميم وسكون الشين
المعجمة وفتح الفاء فراء
أى شفته (على الارض
وبرك) بتخفيف الراء
أى ناخ (بين يديه
فخطمه) أى فوضع فى
رأسه بخطامه من رسنه
وزمامه (وقال ما بين
السماء والارض شئ)
أى من حيوان أو غيره
(الا يعلم) أى الا أنه يعلم
وفى نسخة لا يعلم أى
ليس يوجد بينهما شئ لا
يعلم قال المزى المعروف
الا يعلم وقد يكون رواية
(انى رسول الله) أى اليه
أو الى غيره (الا عاصى
الجن والانس) أى الا
كافر الثقلين والصيغة
يحتمل الافراد والجمع بان
حذفت نونه للاضافة (ومثله) أى مثل هذا المروى بعينه (عن عبد الله ابن أبى أوفى
وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) أى حاله معهم فى ما لهم (فاخبروه انهم أرادوا ذبحه)
الاولى نحره وكانه أراد ذبحه اللغوى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم) أى لاهل الجمل (انه شكا الى كثرة العمل وقلة
العلف وفى رواية انه) أى الجمل (شكا الى أنكم أردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره

البشر أن يسجد لبشر ولو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها (و) روى (مثله فى الجمل
عن ثعلبة بن مالك) الصحابى وهو ممن استشهد باحد لكن الذى ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة بن أبى مالك
القرظى وأبوه قدم من اليمن على دين اليهودية فنزل على بنى قريظة فنسب اليهم ثم أسلم فقول ابن مالك
صوابه ابن أبى مالك (وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر) فحديث الجمل وسجوده
روى من طرق متعددة مروية عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطى (قال) كل منهم أو عبد الله بن
جعفر (وكان لا يدخل أحد الحائط) من غير أصحاب البستان (الا شد عليه الجمل) شد بالشين يعنى أسرع
وحمل حملة عليه وقال الراغب يقال شد واشتد اذا أسرع وشد عليه حمل يعنى انه كان عقورا هائجا على كل
من استقر به (فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم عليه) أى على الجمل فى البستان (دعاه) وأمره بالاقبال
عليه (فوضع مشفره فى الارض) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وراء مهملة وهو فى الابل
كالشفة للانسان والجحفلة للفرس والخرطوم للسباع والمنقار للطير كما بينه أهل اللغة فى الفروق (وبرك
بين يديه) البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه (فخطمه) أى وضع زمامه
الذى يقاد به فى رأسه وعلى فمه لانه برك عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وانقاد له متذللا بعد ما كان لا
يطاق (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن عنده (ما بين السماء والارض شئ) من الحيون والطيور
وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل الاراضى السبع (الا يعلم) وفى نسخة الا ويعلم (انى رسول الله)
بعلم خلقه الله فيه ويلهمه له (الا عاصى الجن والانس) أى الا من عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر
معرفتى أى معرفة انى رسول الله حقا وعاصى يجوز ان يكون مفردا وأصله عاصين فحذفت النون
للاضافة والياء لالتقاء الساكنين وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان أول من عصى الله ابليس
والا كثر حيث اجتمعا تقديم الجن فى القرآن (ومثله عن عبد الله بن أبى أوفى) هو وأبوه صحابيان رضى
الله تعالى عنهما شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى دعا له النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم حين أتى اليه بصدقته وقال اللهم صل على آل أبى أوفى وحديثه مذكور فى دلائل النبوة لابى
نعيم والبيهقى كما علمت ولفظه قريب مما ذكره أولا (وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) لما أتى منهم وبطش بكل من قرب منه (فاخبروه) وفى نسخة فاخبر بالبناء
للمفعول (انهم أرادوا ذبحه) لانه ضعف كما سيأتى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم
انه شكى كثرة العمل وقلة العلف) وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول والمعلوف يطلق على قوت الدواب
من الحبوب وغيرها وشكايته الظاهر انها بنطق فهو من المعجزات (وفى رواية انه شكى الى انكم أردتم
ذبحه) ونحره وأكثر ما يستعمل فى الابل النحر وفى غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا
استعمل كل منهما بمعنى الآخر ومعرفته ارادتهم ذبحه بالالهام (بعد ان استعملتموه) أى أكثرتم العمل
به من التحميل ونحوه (فى شاق العمل) أى فيما يشق أى يصعب عليه من العمل وقولهم عمل مشق
غير مسموع فكانه مبنى على ان التعدية بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور فى كتب اللغة (من صغره)

فقالوا نعم) قال بئس الجزاء أرادوه له كذا نقله الدلجي والظاهر أردتموه له وفي أصل صحيح تم الحديث بقوله نعم والله تعالى أعلم (وقد روي في قصة العضباء وهي الناقة المشقوقة الاذن ولقب ناقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن عضباء ذكره الفيروزأبادي فقيل انها والقصوى والجدعاء واحدة

وقيل اثنتان وقيل ثلاث ولم يكن بها عضب ولا جدع وقيل كان باذنها عضب

(وكلامها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها) أي بذاتها وحالاتها (ومبادرة العشب اليها في الرعي) أي في رعيها (وتجنب الوحوش عنها ونداؤهم) والاظهر ونداؤها (لها انك لمحمد) أي في زمان حالك أو في مالك (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائني) حكى ابن عباس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ذات ليلة وناقة باركة في الدار فلما مر بها قالت السلام عليك يا زين القيامة يارسول رب العالمين قال فالتفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليها فقال وعليك السلام فقالت يارسول الله اني كنت لرجل من قريش يقال له أعضب فهربت منه فوقعت في مفازة فكان اذا غشيني الليل احترستني السباع فنادت بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذا أصبحت وأردت ان أرتع نادتني كل شجرة الي الي فانك مركب محمد

الى ان بلغ الكبر وعجز عن العمل (فقالوا نعم) اعترافا بماذكر فبئس الجزاء الذي أرادوه وهذا الحديث أخرجه الطبراني وابن ماجة في سننه في غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الداري وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم ماهكذا جزاء المملوك الصالح بعينه فابتاعه منه وأرسله يرعى في الشجر حتى قوي والحديث فيه طويل (وقد روي) بالبناء للمجهول قيل وهذه القصة بهذا التفصيل الآتي لا يعرف راويها (في قصة) الناقة (العضباء) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهي اسم ناقة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف في ناقته العضباء والقصواء والجدعاء بالمد فيهما أيضا هل هن ثلاثة أو واحدة لها ألقاب متعددة أو اثنتان فذهب التيمي والعراقي في منظومته الى انها واحدة ولا عضب ولا جدع أي شق اذن فيها وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب أي شق وفي البخاري ان الجدعاء هي التي هاجر عليها وقيل ان التي هاجر عليها القصواء وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة في الدار فقالت السلام عليك يا نبي الله يا زين القيامة يارسول رب العالمين فالتفت لها وقال وعليك السلام فقالت اني كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت في مفازة فكان اذا غشيني الليل احتوشني السباع ينادي بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد فاذا أصبحت رتعت نادتني كل شجرة الي الي فانك مركب محمد حتى وقعت ههنا فسميت عضباء باسم صاحبها وفيه انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ادع الله أن يجعلني مركبك في الجنة فقال قد قضيت وقد قيل ان هذا الحديث كله في سنده طعن وقد علمت انها واحدة قد سميت عضباء وقصواء وجدعاء بدال مهملة وصلماء ومخضرمة والكل متقاربة المعاني والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصو فاذا جاوزه فهو عضب فان استوصل فصلم ونقل ابن الجوزي عن ثعلب انها كلها ألقاب لناقة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا جدع لها ولا عضب واختاره في القاموس (وكلامها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كلام بمعنى تكليم مصدر والنبي منصوب به مفعوله (وتعريفها له بنفسها) كما سمعته آنفا (ومبادرة العشب اليها) بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد تقدم انه كان يناديها الي الي فالمراد طلبه منها ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف (في المرعى) أي مكان رعيها (وتجنب الوحوش لها) أي عدم أذيتها وأكلها كامر (ونداؤهم لها انك) معدة (لمحمد) ولركوبه وضمير هم للعقلاء وعبر به لصدور فعل العقلاء منها وهو النداء كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ماتت) من الحزن والاسف على فراقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انها التي اشتراها أبو بكر رضي الله تعالى عنه من بني الحريش مع أخرى بثمانمائة درهم فلما هاجر اشتراها صلى الله تعالى عليه وسلم منه بأربعمائة درهم وقد ذكر قصتها مفصلة أبو سعيد في كتاب الشرف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نوق أخر كما بينه أصحاب السير (ذكره الاسفرائني) رحمه الله وقد تقدمت نسبته وترجمته (وروى ابن وهب) رحمه الله تعالى وهذا الحديث لم يخرجوه وأما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته (ان حمام مكة) الموجود بحرمها الى الآن والحمام كل ذات طوق بري أو أهلي وقيل انه مخصوص بالبري وقيل انه كل ماعب وهدر والعب

كرع

صلى الله تعالى عليه وسلم حتى وقعت هنا قال فسماها عضباء شق لها اسما من اسم صاحبها ثم قالت الناقة يارسول الله ان لي اليك حاجة قال وماهي قالت تسأل الله ان يجعلني من مراكبك في الجنة كما جعلني في الدنيا قال صلى الله تعالى عليه وسلم قضيت ذكره التلمساني (وروى ابن وهب ان حمام مكة

أظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جعلت عليه ظلا (يوم فتحها) بفتح فسكون وفي نسخة بفتحات (فدعا لها بالبركة) هذا وقيل انها من نسل الحمامة التي باضت على باب الغار بعد دخول سيد الابرار لكن قال الدلجي وانه قصة العضباء فلم أدر من رواها ولا حديث حمام مكة (وروي عن أنس) في نسخة عن ابن مسعود (وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة) على ما رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عنهم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمر الله ليلة الغار شجرة) وفي نسخة شجرا (فنبتت تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم التاء المبدلة من الواو أي قبالته التي تقتضي مواجهته قال الدلجي هو مجاز عن انباتها كما في كونوا قردة فات الظاهر انه أمر تكوين وانه على حقيقته كما حقق في قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (فسترته) أي تلك الشجرة عن أعين الفجرة وقد ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما دخل الغار ومعه أبو بكر أنبت الله على بابه الراءة مثل الطاعة قال قاسم بن ثابت وهي شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى الراءة من اعلاث الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى منه المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن ذكره السهيلي والاعلاث من الشجر القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ واليبس على ما في القاموس (وأمر حمامتين فوقفتا) بالفاء وروي بالعين أي نزلتا (بفم الغار) أي لئلا يظن الاغيار دخول سيد الابرار ومن معه من أصحابه الكبار قال الدلجي فسمت صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما أي دعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام فيه (وفي حديث آخران) وفي نسخة صحيحة وان (العنكبوت نسجت على بابه) أي على فم الغار (فلما أتى الطالبون له) أي لسيد الاخيار (ورأوا ذلك) أي ما ذكر من وقوف الحمامتين ونسج العنكبوت (قالوا لو كان فيه أحد) أي ممن دخله هذا الوقت (لم تكن الحمامتان ببابه) أي ولا نسج العنكبوت ولعابه (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا) أي ولم يدركوا مرامهم وفي مسند البزار ان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل اليه حمامتين وحشيتين وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرمين من نسل تينك الحمامتين

كرع الماء من غير نفس والهدير وقال الهديل ترجيع صوت الطائر المعروف (أظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اجتمعت لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر قيل ولذا كانت محترمة لا تصاد وقيل انها من نسل حمامتي الغار وسيأتي (يوم فتحها) أي فتح مكة (فدعا لها بالبركة) فاجاب الله دعاءه فيها وكانت محترمة لا تصاد كما تقرر (وروي عن أنس) رواه عنه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم (وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة قال أمر الله ليلة الغار) منصوب على الظرفية والغار غار ثور والذي اختفى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر وقصته مشهورة مذكورة في القرآن غنية عن البيان (شجرة فنبتت) من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها منزلة المأمور المختار وروي بشجرة بالباء الجارة وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح تسمى الراء كما قاله السهيلي وهي بمقدار القامة ولها زهر أبيض وبها شيء شبه القطن يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا واحده راءة كما في كتاب النبات قال الشاعر

ترى ودك السديف على لحاهم * كمثل الراء لبده الصقيع

(تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم ان التجاه بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو وأصله وجاه أي في مقابلته وجهة باب الغار (فسترته) عمن ينظره بحيث لا يراه من طلبه من كفار قريش (وأمر) أي ألهم الله (حمامتين) ذكرا وأنثى فعششتا وباضتا على تلك الشجرة (فوقفتا بفمه) أي بفم الغار لان مثله لا يكون الا مكان خال من الناس وورد في الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم أي دعا لهما بالبركة فانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام به وفي حديث الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا أي اذا بدأتم بالاكل فكلوا مما يليكم ودنا منكم واذا فرغتم فسمتوا أي ادعوا لمن أكلتم عنده وقيل ان الشجرة جاءت تسعى من مكان آخر تشق الارض كما أشار اليه القائل

قامت اليه سرحة سترته من * نظر العدو باحسن الاغصان

(وفي حديث آخر) رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة ابن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شيء في الحرم كما تقدم (ان العنكبوت نسجت على بابه) أي على باب الغار وفمه (فلما أتى الطالبون له) صلى الله تعالى عليه وسلم الذين قصدوا أثره واتبعوه ليأخذوه (ورأوا ذلك) المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار (قالوا لو كان فيه) أي في هذا الغار (أحد) من الناس (لم تكن الحمامتان) يقران (ببابه) الذي منه المرور (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم) لقربهم منه بحيث لو أمعنوا النظر رأوه (فانصرفوا)

(وعن عبدالله بن قرط) بضم القاف وسكون الراء له صحبة ورواية قال ابن عبد البر كان اسمه فى الجاهلية سلطانا فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبدالله انتهى قتل بارض الروم والحديث رواه الحاكم والطبرانى وأبو نعيم عنه انه (قال قرب) بضم القاف وتشديد الراء المكسورة أى ادنى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) بفتحتين جمع بدنة وحكى بضمتين وهى ناقة أو بقرة ذكره الجوهرى وزاد ابن الاثير وهى بالابل أشبه وسميت بدنة لعظمها وسمنها فلا يلتفت الى قول الدلجى وهى خاصة بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى الله تعالى عليه وسلم البقرة بها فى الاجزاء عن سبعة تناول اسمها للبقرة شرعا بل الحديث وآية الحج يمنعانه انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت اطلاق البدنة على البقرة لغة والحاقها بالابل شريعة فالمخالفة فيهما مكابرة ومنع الحديث وآية الحج لهما مصادرة (خمس أو ست أو سبع) شك من الراوى (لينحرها يوم عيد) أى من اعياد الاضحى (فازدلفن اليه) افتعلن من الزلف وهو القرب ومنه قوله تعالى حكاية ليقربونا الى الله زلفى ابدلت تاؤه دالا لمجاورتها الزاى ومنه المزدلفة والمعنى تقربن منه (بايتهن يبدأ) أى فى نحرها قال المزى صوابه بايتهن بتاء التأنيث وفيه بحث (وعن أم سلمة كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء) أى بادية قفراء (فنادته ظبية يارسول الله) فالتفت فاذا هى موثقة (فى اعرابى نائم (قال) أى لها (ماحاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان) تثنية خشف وهو بكسر الخاء وسكون الشين المعجمتين ولد الظبية الصغير

راجعين تاركين للطلب وكانوا فتيان من قريش مضوا خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعهم سراقة القائف يقص أثره فلما انتهوا الى الغار رأوا نسج العنكبوت والحمامتين على بيضهما فقالوا انه لو دخل أحد لم يكن مثل هذا مع قربهم منه بحيث لو طأطأ أحد رأسه رآه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها الشعراء كثيرا ويعجبنى قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل زى
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وانظر الى هذا مع قولى

على غار ثور عنكبوت بنسجه * لقد حاز فخرا فاق كل فخار
لذلك دود القز يهلك نفسه * وقد غار من نسج له بفم الغار

وفيه معان أخر لا نطيل بها تنبيه قول الابوصيرى فى همزيته

أخرجوه منها وأواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الجنانة الحصداء

الجنانة بنونين هى الدرع لانها تجن البدن أى تستره والحصداء المحكمة النسج كما فى كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ جعلوه الحمامة الحضداء أى الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الى العنقود ويفسره قوله فى البردة

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

(وعن عبدالله بن قرط) بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة وهو صحابى ثمالى وكان أميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين وأخرج له أصحاب السنن وأحمد فى مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبرانى وأبو نعيم مسندا (قرب) بالبناء للمفعول أى أتى بعض الصحابة (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) جمع بدنة وهى ما يعد للنحر من الابل خاصة ولا تطلق على البقر وغيرها وان كانت فى حكمها شرعا فى الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات وقال العزفى انه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال ورد بانه على خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الا ان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم بدنها (خمس أو ست أو سبع) الشك من الراوى (لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه) افتعال من الزلفى وهى القرب أبدلت تاؤه دالا لاجل الزاى أى تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله تعالى عليه وسلم رغبة فى أن يذبحها وانقياداله بالهام من الله تعالى (بايتهن يبدأ) فى الذبح وهذه معجزة باهرة (وعن أم سلمة) فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى واسمها هند او رملة كما تقدم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية) أى كلمته بنطق سمعه الناس لا بلسان الحال قالت له (يارسول الله) فالتفت اليها فاذا هى موثقة عندها اعرابى نائم (قال ماحاجتك) حتى ناديتنى (قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان) مثنى خشف بوزن طفل بمعجمتين وهو الظبى الصغير الذى ولدته أمه

(فى ذلك الجبل فاطلقنى) بفتح الهمزة وكسر اللام أى من القيد وأرسلنى (حتى أذهب الى بلدى فارضعهما) بضم الهمزة وكسر الضاد (وارجع) أى اليك (قال أو تفعلين) بفتح الواو أى أتقولين هذا القول وتفعلين هذا الرجوع وفى نسخة صحيحة وتفعلين فالهمزة مقدرة وفى رواية قال أخاف ان لا ترجعى قالت ان لم أرجع فانا شر ممن يأكل الربا وشر ممن ينام عن صلاة العشاء وشر ممن يسمع اسمك ولم يصل عليك (قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت) أى بعدما أرضعت (فاوثقها) أى فربطها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على حالها (فانتبه الاعرابى) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم فى المعالجة لها أو عندها (فقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق) أى نعم هو ان تطلق أو هو خبر معناه أمر وفى نسخة صحيحة أطلق (هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء) أى تجرى (وتقول) أى الظبية (أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله) رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طرق وضعفه جماعة من الأئمة حتى قال ابن كثير لا أصل له وان من نسبه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كذب لكن طرقه يقوى بعضها بعضا وقد رواه أبو نعيم الاصبهانى فى الدلائل باسناده فيه مجاهيل عن أم سلمة نحو ما ذكره المصنف وكذا رواه الطبرانى بنحوه وساقه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة (ومن هذا الباب) أى باب طاعة الحيوانات من طريق خرق العادات لبعض صحابته من تمام بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (ما روى من) وفى نسخة فى (تسخير الاسد لسفينة) غير منصرف للتأنيث والعلمية (مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اعتقته أم سلمة وشرطت عليه ان يخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه مهران عند الاكثر وكنيته أبو عبد الرحمن على الاشهر ولقبه عليه الصلاة والسلام سفينة لقضية مشهورة (اذ وجهه) أى كان التسخير حين أرسله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الى معاذ باليمن) أى حال اقامته فيه لقضائه (فلقى) أى سفينة (الاسد فعرفه) بتشديد الراء أى فذكره (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) أى مكتوبه عليه الصلاة والسلام الى معاذ أو غيره (فهمهم) بهاءين وميمين مفتوحتين فعل ماض من الهمهمة وهى الكلام الخفية (وتنحى عن الطريق) أى وتبعد وتأخر الاسد عن طريق سفينة (وذكر) أى سفينة (فى منصرفه) أى مرجعه (أيضا مثل ذلك) قال الدلجى لم أدر من رواه كذا وقد رواه البيهقى ان لقيه الاسد انما كان حين ضل عن الجيش فى أرض الروم قلت يحمل على تعدد الواقعة كما يشير اليه قول المصنف

(فى ذلك الجبل) تشير للجبل بتلك الصحراء (فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وأرجع) بنصب الافعال الثلاثة (قال أو تفعلين) أى ترجعين الى ان أطلقتك (قالت نعم فاطلقها) والاعرابى نائم لا يشعر بذلك (فذهبت) وأرضعتهما (ورجعت فاوثقها) وربطها كما كانت (فانتبه الاعرابى) ورأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (فقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها) من وثاقها (فخرجت تجرى وهى تقول أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق أخر فلا تلتفت لقول ابن كثير انه لا أصل له لان فى سنده مجاهيل وانما استأذنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك لانه مالكها بالحيازة واتلاف ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو فى قوله أو تفعلين محركة عاطفة على مقدر أى أتقولين ذلك لى وترجعين الى أو استئنافية على القولين فى مثله وفى الحديث معجزات ظاهرة (ومن هذا الباب) أى باب المعجزات اطاعة الحيوانات (ما روى) قال السيوطى لم أقف على هذا الحديث هكذا وأخرج البيهقى انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض الروم الان البخارى ذكره فى تاريخه كما قاله المصنف فلا اعتراض عليه (من تسخير الاسد) أى تذليله وانقياده (لسفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو من خدمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى لقبه سفينة لانه رآه فى بعض أسفاره حاملا الامتعة فقال له انما أنت سفينة فاشتهر بذلك واختلف فى اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسلم وغيره من أصحاب السنن وفى الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه (اذ وجهه الى معاذ) بن جبل حال كونه (باليمن) وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدى العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعتقه وقيل ان أم سلمة أعتقته فخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل معاذ بن جبل لليمن ليجمع الزكاة (فلقى الاسد) فى طريقه (فعرفه) أى قال له (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) فالهمه الله تعالى فهم كلامه وكف عنه (فهمهم) الهمهمة صوت لا يفهم وقيل صوت فيه بحة وفى الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعنى عليه أو على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وتنحى عن الطريق) أى تأخر عنه فى ناحية متباعدة عن الطريق اذهابا لخوفه (وذكر) أى سفينة (فى منصرفه) أى انصرافه ورجوعه من اليمن (مثل ذلك) أى مثل ما وقع له فى

(وفى رواية أخرى عنه) أى عن سفينة كما رواه البيهقى والبزار (ان سفينة) أى من السفن (تكسرت به) أى وسفينة فى تلك السفينة (فخرج الى جزيرة) وهى أرض ينجزر البحر عنها (فاذا الاسد) أى حاضر والمعنى فاجأه بغتة (فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزنى) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وتضم بعدها زاى أى يشير الى ويحرك على (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف أى بما بين كتفه وعنقه (حتى أقامنى) أى دلنى (على الطريق) وفى ايراده هذا الحديث اشارة الى ان كرامة الولى بمنزلة معجزة النبى من حيث الدلالة على صدق النبوة والرسالة فان الكرامة متفرعة على صحة المتابعة (أخذ عليه الصلاة والسلام) كان الاولى ان يقال ومن ذلك انه أخذ عليه الصلاة والسلام (باذن شاة لقوم من بنى عبد القيس) قبيلة كبيرة مشهورة (بين اصبعيه) بكسر الهمزة وفتح الموحدة وجوز تثليث كل منهما فالوجوه تسعة (ثم خلاها) أى تركها (فصار لها ميسما) بكسر الميم وفتح السين أى صار أثر أصبعيه لها علامة وهو فى الاصل الحديدة التى يكون بها ويجعل بسببها علامة فاطلاقه على العلامة مجاز فى العبارة ظاهر العلاقة (وبقى الاثر فيها) أى فى أصل تلك الشاة (وفى نسلها بعد) بالضم أى بعدها قال الدلجى لا أدرى من رواه (وما روى) أى ومن ذلك ماروى (عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار) فى سيرة مغلطاى كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من الحمير يعفور وعفير ويقال هما واحد وآخر أعطاه يصرف سعد بن عبادة (أصابه) أى فى سهمه وفى نسخة الذى أصابه (بخيبر وقال) أى الحمار وهو كان أسود (له اسمى يزيد بن شهاب) يعنى ونعتى ان الله تعالى أخرج من نسلى ستين حمارا كلهم لم يركبه الانبى وقد كنت أتوقعك ان تركبنى ولم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودى وكنت أعثر به عمدا وكان يجيعنى ويضربنى على مارواه ابن أبى حاتم عن حذيفة وفى رواية يجيع بطنى ويضرب ظهرى (فسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) بالقصر وفى نسخة بالتنوين وفى نسخة يعفور كيعقوب

ذهابه فيكون لقيه فى سفره هذا مرتين (وفى رواية أخرى عنه) أى عن سفينة وهذه الرواية هى التى رواها البيهقى والبزار وصححها السيوطى فى تخريجه (ان سفينة تكسرت به) فى بعض أسفاره (فخرج الى جزيرة فاذا الاسد) أى فاجأه بها أسد لقيه فيها والجزيرة معروفة (فقلت) للاسد (أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) أى طفق وصار (يغمزنى) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها وزاى معجمة وأصل الغمز الاشارة بالجفن فتجوز به عن الدفع الخفيف بقرينة قوله (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف وهو رأس الذراع وما بين الكتف والعنق (حتى أقامنى على الطريق) أى حتى أتى بى الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه وقال البيهقى قال سفينة وكنت فى البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجنى الى أجمة فيها أسد فرأيته أقبل الى فقلت يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبل نحوى حتى ضربنى بمنكبه ثم مشى معى حتى أقامنى على الطريق ثم همهم ساعة وضربنى بذنبه فظننته انه يودعنى فكان آخر عهدى به وفيه معجزة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة أيضا رضى الله تعالى عنه (وأخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة) أى أمسكها وأخذ المتعدى بالباء بمعنى امسك بخلاف أخذه فهو تضمين (لقوم من بنى عبد القيس) اسم قبيلة مشهورة (بين أصبعيه) بكسر الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت (ثم خلاها) أى نحى أصبعيه عنها وتركها (فصار ذلك) أى أخذه باذنها يعنى أثره (ميسما) بكسر الميم أصله موسم فقلبت واوه ياء من الوسم وهو الكى فهو اسم آلة الكى من الحديد فاطلقت على العلامة وأثرها مجازا كما يطلق على العضو الذى فيه الاثر كما ورد فى الحديث (فيها) أى الشاة (ونسلها بعد) بالبناء على الضم أى بعدها أو بعد أخذه عهده قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين (وما روى عن ابراهيم بن حماد بسنده) هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا انه ضعيف (من كلام الحمار) ونطقه له صلى الله تعالى عليه وسلم صريحا بمقاله (الذى أصابه بخيبر) أى وجده بها لما افتتحها (وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب) وانه من نسل ستين حمارا كلها لم يركبها الانبى وقال له كنت أتوقع ان تركبنى اذ لم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودى فكنت أعثر به عمدا فكان يجيعنى ويضربنى (فسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) هو فى أكثر النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمى وروى غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمسانى أقول فيه نظر لان زيادة الواو فيه أخرجته عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعفور لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة ألا ترى ان يعفر بضم الياء

(وانه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (كان يوجهه) أى يرسله (الى دور أصحابه) أى بيوتهم (فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) أى يطلب منهم اجابة الدعوة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات) أى ودفن (تردى) أى رمى بنفسه (فى بئر) أى لابى الهيثم بن التيهان (جزعا) أى فزعا (وحزنا) بفتحتين أو بضم فسكون (فمات) أى فصارت قبره رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى منظور وقال لا أصل له واسناده ليس بشئ وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات قلت قصة يعفور ذكرها غير القاضى فقد نقلها السهيلى فى روضه عن ابن فورك فى كتاب الفصول قال السهيلى وزاد الجوينى فى كتاب الشامل أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أراد أحدا من أصحابه أرسل هذا الحمار اليه فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم ان قد أرسل اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رواية فاذا خرج اليه صاحب الدار أوما اليه ان أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد أخرجه ابن عساكر عن أبى منظور وله صحبة نحو ما سبق وقال هذا حديث غريب وفى اسناده غير واحد من المجهولين ورواه أبو نعيم عن معاذ ابن جبل كما تقدم والله تعالى أعلم (وحديث الناقة التى شهدت عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه) رواه الطبرانى عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم من حديث ابن عمر قال الذهبى وهو موضوع وفيه نظر (وفى العنز) أى وفى حديث العنز كما فى نسخة صحيحة وهى الانثى من المعز (التى أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عسكره) أى حال كونه فيما بين جنده فى غزوة له (وقد أصابهم عطش) أى شديد (ونزلوا على غير ماء) أى اضرورتهم (وهم زهاء ثلثمائة) أحوال متتابعة مترادفة أو متداخلة فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ينصرف لذلك قال فى الصحاح لا سود بن يعفر بضم الياء منصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل انتهى وليس فى أوزان الفعل يفعول وفى هذه المسئلة كلام فى شرح التسهيل * واعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير وهو الذى رمى نفسه فى البئر كما سيأتى وقيل هما واحد وقال ابن فورك انه كان من مغانم خيبر وقيل ان عفيرا كان أشهب وهو مما أهداه له المقوقس ملك القبط وكان له حمار آخر أهداه له فروة كان يركبه وآخر أعطاه له سعد بن عبادة وقصة يعفور هذه نقلها السهيلى فى الروض عن ابن فورك فى كتاب الفصول قال السهيلى وزاد الجوينى فى كتاب الشامل (وانه كان يوجهه الى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) ومعنى يوجهه يرسله الى جهة دور جمع دار ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم كانوا اذا خرجوا لدقه الباب ورأوه علموا انه يطلبهم لانه يكلمهم لكنه يفهم ما أمره به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته اذ سخره له وفهم مراده (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات تردى) الحمار أى ألقى نفسه وطرحها (فى بئر) كانت بالمدينة معروفة لابى الهيثم بن التيهان فكانت البئر قبره والتردى تفعل من الردى وهو الهلاك وهو مخصوص بهلاك من ألقى نفسه يقال تردى من الجبل وفى البئر اذا سقط أو ألقى نفسه فيها (جزعا وحزنا) على فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفقده (فمات) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حمار وانه كان يركبه وان ركوبه سنة لا كلام فيه وانما الكلام فى هذا الحديث فانه رواه ابن حبان بسند ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قاله ابن الجوزى وغيره وقال بعضهم لا أصل له (و) مما ذكر من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحيوانات والبهائم ونطقها (حديث الناقة) الذى رواه الطبرانى عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبى انه موضوع (التى شهدت) متعلق بين (عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها) ومالكها الذى قيل انه سرقها فقالت (انه ما سرقها وانها ملكه) فحكم له صلى الله تعالى عليه وسلم بها لان للقاضى أن يحكم بعلمه أو نقول انه من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحديث هو ما قال زيد بن ثابت غزونا معه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة أبصرنا باعرابى آخذ بخطام بعير حتى وقف عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبى الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو ينصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الى آخره (وفى العنز) أى فى حديث العنز الذى أخرجه ابن سعد والبيهقى وابن عدى عن سعد مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنه (التى أتت رسول الله) صفة العنز وفى نسخة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى عسكره) حال أى وهو فى عسكره (وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء) اى فى مكان لا ماء فيه (وهم زهاء ثلثمائة) أى قريب عددهم تخمينا من ثلثمائة رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يحتمل انه على

(فاروى الجند) أي جميع العسكر (ثم قال لرافع) أي مولاه كذا قاله الدلجي لكن مولاه أبو رافع ولذا قال الحلبي رافع هذا لا أعرفه بعينه وفي الصحابة جماعة كثيرة يقال لكل منهم رافع (أملكها) بفتح الهمزة وكسر اللام أي أوثقها أو اربطها واحفظها

(وما أرلك) بضم الهمزة أي ما أظنك تملكها وتحفظها (فربطها) أي وغفل عنها (فوجدها قد انطلقت) أي ذهبت برأسها بحيث لم يدر أحد بها (رواه ابن نافع) وقد سبق ذكره (وغيره) منهم ابن سعد وابن عدي والبيهقي عن مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه (وفيه) أي وفي حديث ابن قانع (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذي جاء بها) أي الله سبحانه وتعالى (هو الذي ذهب بها) فيه ايماء الى ان ايجادها واعدامها كليهما من خرق العادة (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لفرسه عليه الصلاة والسلام) كذا في بعض النسخ المصححة وانما محله قبله بعد قال كما لا يخفى ثم قيل كانت أفراسه صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة وعشرين اتفق منها على سبعة (وقد قام الى الصلاة) أي والحال انه قد أراد قيامه اليها (في بعض أسفاره) متعلق بقام كما هو أقرب أو بقال (وهو أنسب لا تبرح) أي لا تفارق مكانك (بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته) أي في صوب قبلته أو في جهة مقابلته (فما حرك عضوا) أي من أعضائه وهو بضم أوله ويكسر (حتى صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حتى فرغ منها كما في أصل الدلجي وألحق في بعض النسخ هنا وزعم بعضهم انه من الام (ويلتحق بهذا) بصيغة المجهول أو المعلوم ومشابه

ظاهره وان يكون أمر بحلبها والاسناد مجازي (فاروى) بلبنها (الجند) بأجمعهم لما سقاهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والري ضده ومنه أروى والعسكر والجيش والجند بمعنى ففيه تفنن واسناد أروى للنبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه بحلبه وسقيه فهو مجاز أيضا ان لم نقل فاعل أروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله مع بعده (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (لرافع) براء وعين مهملتين بينهما ألف وفاء بزنة اسم الفاعل من الرفع علم لصحابي كانت تلك العنز عنده وتقدمت ترجمته (املكها) أي خذها واتخذها ملكا لك لانها لا صاحب لها اذ وجدت بأرض العدو ويحتمل أن يكون معناه شدها وأوثقها من ملاك الامر أو ملك العجين ونحوه (وما أراك) مالكها أو فاعلا ذلك وهو بضم الهمزة مبني للمفعول أي لا أظنك تملكها أو تحفظها (فربطها) وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع (فوجدها قد انطلقت) أي انحل وثاقها ومضت وغابت عنه فالفاء فصيحة (رواه) أي حديث هذه العنز (ابن قانع) بقاف ونون وعين مهملة (وغيره) من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقي وابن عدي عن جماعة من الصحابة قالوا كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر وكنا أربعمائة فنزلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك علينا وأعلمناه بذلك فجاءت شويهة لها قرنان وقامت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فحلبها وشرب حتى روي وسقانا حتى روينا وقال يا رافع املكها الليلة وما أراك تملكها فأخذت لها وتدا ثم قمت في بعض الليل فلم أجدها فأخبرت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يسألني فقال يا رافع ذهب بها الذي جاء بها وما قيل من انها ليست من جنس حيوان الدنيا وانما هي ككبش الفداء وانما سماها عنزا لكونها على صورتها لا وجه له ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية والذي أوهمه ذلك قوله (وفيه فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لرافع لما أخبره بانطلاقها (ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها) يعني الله أو الملك (و) من هذا القبيل ما روي أنه عليه الصلاة والسلام (قال لفرسه) الفرس واحد الخيل يطلق على الذكر والانثى الا انه مؤنث سماعي وسمع فرسه وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة أفراس مذكورة في السير بأسمائها ومن أين ملكها ولا داعي لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم (وقد قام الى الصلاة في بعض أسفاره) والفرس غير مربوط ولم يأمر أحدا بامساكه بل خاطب الفرس وقال له (لا تبرح) أي لا تزل من مكانك الذي أوقفتك فيه من البراح وهو المكان الواسع وبرح بمعنى ثبت في مكانه وبمعنى زال وهو نفي معين فاذا دخل عليه صار لنفي النفي وهو اثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة وأهل اللغة (بارك الله فيك) دعاء له من البركة وقد تقدم تحقيقها ويأتي أيضا مع زيادة (حتى نفرغ من صلاتنا) ونتمها وهو غاية اثباته في مكانه (وجعله قبلته) أي جعله في جهة قبلته ساترا ومانعا لمن يمر بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على جواز الاستتار بالحيوان والكلام عليه مفصل في كتب الفقه لا حاجة لذكره هنا (فما حرك) الفرس (عضوا) من أعضائه وهو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف (حتى صلى) أي أتم صلاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه معجزة له عليه الصلاة والسلام لفهم الحيوان كلامه واطاعته له وانقياده لعلمه بأنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بعض النسخ هنا زيادة وهي (ويلتحق بهذا) المذكور من معجزاته أو من كلام الحيوانات لان فهم لغة لم يعرفها كفهم العربي كلام العجمي قريب منه

ومشابها (ماروى الواقدى) صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق وعالمها وقد قيل فيه انه ضعيف ونسب الى وضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى برواية الشافعى عنه دليلا على صحة مارواه وترجمته فى الميزان مفصلة وكذا فى أول سيرة ابن سيد الناس (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله) جمع رسول (الى الملوك) من العرب والعجم أى أرسلهم لحجتهم ودعوتهم لما فيه الاسلام وتقوى (فخرج ستة نفر منهم) أى ستة رجال من الرسل والنفر اسم جمع لثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه فى شرح الدرر وقد صرح به الكرمانى فى شرح البخارى وهو عربى فصيح أيضا وكان ارسالهم (فى يوم واحد) خرجوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فيه (فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) من غير مضى زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن أرسلوا اليه مفصل فى السير أيضا وهذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم الشمول بركته لهم (والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه فى كتب الائمة) رضى الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم: (خاتمة) * مما يلتحق بمعجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحيوانات والجمادات ما ذكر فى بعض الكتب وشاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما فى القدس ونقل منه لمصر فى أماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه أثر فيه الا أن هذا لم يضبط لان هذا أمر عدمى لا يعرفه الا من كان حاضرا ثمة وقد ذكر هذا السبكى فى تائيته وغيره قال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية والبلغاء فى منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمى الخليل عليه الصلاة والسلام فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وانه أثره مبلغ التواتر وفيه يقول أبو طالب   وموطئ ابراهيم فى الصخر وطؤه * على قدميه حافيا غير ناعل

وبما فى البخارى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بما أثر ضربه فى الحجر ستا أو سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبى الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود أثر حافر بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بها الى الآن يقال له مسجد البغلة وما ذاك الا من سره صلى الله تعالى عليه وسلم السارى فيها فيكون أوضح فى الدلالة على انه أوتى مثل ما أوتى الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه أعلى منه ونقل المجد الشيرازى عن ابن بكار فى المغانم المطابة بعد ذكره لحافر البغلة ومسجدها انه فى غربى هذا المسجد أثر كأنه أثر مرفق يذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف فاثر فيه وفى آخر أثر أصابعه انتهى وممن ذكر أثر البغلة السيد السمهودى فى تاريخ المدينة وقال انه مسجد بنى ظفر من الاوس شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف بذلك وذكره ابن النجار فى تاريخه أيضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقى فى سيرته ان هذا الاوجود له فى شئ من كتب الحديث وممن أنكره الشيخ برهان الدين التاجى وقال السيوطى فى فتاويه لم أقف له على أصل ولا سند ولا رأيت من خرجه فى شئ من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمى فى شرح الجامع

(ماروى الواقدى) بكسر القاف قاضى العراق يروى عن ابن عجلان وثور وابن جريج وعنه الشافعى رحمه الله والصغانى قال البخارى وغيره متروك وقد ذكرا ترجمته حسنة ابن سيد الناس فى أول سيرته وذكر فيها ثناء الناس عليه وجرحهم له وانه نسب الى وضع الحديث وفى آخرها استقر الاجماع على وهن الواقدى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك) أى لتبليغ الرسالة اليهم وتحقيق الحجة لديهم (فخرج ستة نفر منهم) أى من رسله (فى يوم واحد فاصبح كل واحد منهم) أى صار لما بلغ عندهم وأراد تبليغهم (يتكلم بلسان القوم الذين بعثه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) أى من الملوك واتباعهم من غير تعلم للسانهم وتعرف بشأنهم قال الكلاعى فى النقاية وفى حديث ابن اسحق قال عليه الصلاة والسلام ان الله بعثنى رحمة كافة فادعوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى فقال أصحابه وكيف اختلفوا يا رسول الله قال دعاهم الى الذى دعوتكم اليه فاما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل فشكا عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك الى الله تعالى فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التى بعث اليها (والحديث فى هذا الباب) أى فى معنى هذا النوع من المعجزة (كثير) أى ورد بطرق متعددة وقضايا متكثرة (وقد جئنا منه بالمشهور) أى فى صحته وثبوته (وما وقع) أى وبما ورد (منه فى كتب الائمة) أى المعروفين بالسنة والسيرة

الصغير وزاد انه لم يوجد فى شئ من التواريخ المعتمدة فلا يسوغ نسبته له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره الشيخ الصالح المحدث أحمد المتولى شارح الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قاله مفصلا سبحان من لا ينسى كيف سها السيوطى وقد قال فى خصائصه الصغرى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما وطىء على صخر الا وأثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدرى انتهى * قلت لا سهو ولا نسيان فان السيوطى رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المعجزة وانما أنكر ما يؤثر بعينه فى الاماكن التى ذكرها وكذا ما قاله صاحب المواهب الا ان ما نقله السيوطى من قوله ما وطئ صلى الله تعالى عليه وسلم على صخر الا وأثر فيه لا ينبغى لان الظاهر انه كان فى أول البعثة ككلام الحجر والشجر الذى تقدم وأما كونه لا أثر لقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرمل فقد رواه ابن سبع والنيسابورى وغيرهما بسند ضعيف وقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم ألطف خلق الله وأخفهم ولذا لم يؤثر مشيه فى الرمل ولا ينافيه تأثيره فى الحجارة فانما هو لبقاء أثره وتبكيت حاسديه وانهم أقسى من الحجارة الا انه وقع فى الاحياء ما يقتضى خلافه لانه نقل فيه أثرا فيه ان بعض الصحابة أنكر على أبى موسى رضى الله تعالى عنه دعاءه على المنبر لعمر رضى الله تعالى عنه اذ لم يذكر أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقام بين الملأ بالمسجد وقال له أين من كان قبله فشكاه لعمر رضى الله تعالى عنه فامر باشخاصه اليه من البصرة فلما جاء دق عليه الباب فخرج اليه وقال له أزعجتنى من وطنى فسأله عن سبب شكايته أميره منه فقص عليه القصة فبكى رضى الله تعالى عنه وقال والله ليوم وليلة لابى بكر رضى الله عنه خير من خلافتى يعنى باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشى تارة خلفه وتارة أمامه وتارة يحمله يقصد بذلك اخفاء أثر أقدامه فى الرمل حتى لا يشعر به من يقص أثره * قلت وكان هذا هو مستند ابن خلدون فى مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعاء للسلاطين فى الخطبة سنة وان كان الزركشى قال فى كتاب أحكام المساجد انه بدعة لا ينبغى تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوائد النفيسة الجليلة

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى احياء الموتى وكلامهم) له صلى الله تعالى عليه وسلم واحياء مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله أو النبى صلى الله عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل الحقيقى هو الله وهو أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال فى البردة

لو ناسبت قدره آياته عظما * أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وقد تكلم الناس فى معنى هذا البيت وأوردعليه ان من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن وقد قال صلى الله عليه وسلم آية من كتاب الله خير من محمد وآل محمد فكيف لا يكون فى معجزاته ما يناسب مقداره فى الشرف وأجيب بان المراد بمعجزاته ما أحدثه الله تعالى على يديه والقرآن صفة لله قديمة ومعناه انه لا يعد شيأ من معجزاته عظيما بالنسبة اليه الا أن يكون منها ان كل أحد لو دعا باسمه وتوسل به فى احياء الموتى وقع له ذلك بان يقول اللهم انى أسئلك بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تحيى صاحب هذا القبر وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم (وكلام الصبيان) الذين فى المهد لم يصلوا لسن يتكلم فيه مثلهم ولذا عطف على كلام الموتى لانه ليس من شأنهم الكلام وأخره لانهم أحياء من شأنهم الكلام فهو دونه مرتبة (والمراضع) جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد الصغير على القياس وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الام لانه ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وان الاحسن ان يقول الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدأ رضاعه والاطفال كالصبيان لا تؤدى مؤداه الذى قصده (وشهادتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة) أى قول من فى المهد

(فصل) (فى احياء الموتى وكلامهم) أى للاحياء قال القرطبى فى تذكرته وكذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أحيى الله على يديه جماعة من الموتى قال الحلبى وقد ذكر القاضى فيما يأتى جماعة منهم (وكلام الصبيان) أى الاطفال قبل آوان التكلم (والمراضع) جمع راضع على خلاف القياس وهو أخص من الاول فتأمل ويحتمل ان يكون العطف تفسيريا ووقع فى أصل الدلجى وكلام الصبيان المراضع بالوصف بدون العاطف (وشهادتهم) أى الصبيان (له بالنبوة) أى المتضمنة للرسالة (صلى الله تعالى عليه وسلم

حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتى عليه والقاضى أبو الوليد محمد بن رشد) بضم فسكون (والقاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) سبق (وغير واحد) أى وكثيرون من مشايخنا (سماعا) أى رواية (واذنا) أى اجازة (قالوا) أى كلهم (ثنا أبو على الحافظ) الظاهر انه أبو على الغسانى (ثنا أبو عمر الحافظ) أى ابن عبد البر (ثنا أبو زيد) أى عبد الرحمن بن يحيى كما فى نسخة (ثنا أحمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابى) تقدم (ثنا أبو داود) صاحب السنن (ثنا وهب بن بقية) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية روى عنه مسلم والبغوى ثقة (عن خالد هو الطحان) بتشديد الحاء أحد العلماء ثقة عابد زاهد يقال اشترى نفسه من الله ثلاث مرات يتصدق بزنة نفسه فضة (عن محمد ابن عمرو) أى بن علقمة ابن وقاص الليثى يروى عن أبيه وأبى سلمة وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله (الانصارى عن أبى سلمة) وهو أحد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) قال المزى فى الاطراف كذا وقع هذا الحديث فى رواية سعيد عن ابن الاعرابى عن أبى داود مسندا موصولا وعند باقى الرواة عن أبى سلمة وليس فيه أبو هريرة فهو مرسل (ان يهودية) وهى زينب أخت عبد الله بن سلام وقيل زينب بنت الحارث (أهدت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) بفتح الميم وكسر اللام وتحتية مشددة أى مشوية (سمتها) بتشديد الميم من السم لا من التسمية أى وضعت السم فيها (فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها والقوم) بالرفع ويجوز نصبه وفى نسخة وأكل القوم أى منها أيضا (فقال ارفعوا أيديكم) أى عنها (فانها أخبرتنى) أى حينئذ (انها مسمومة فمات) أى من أكلها (بشر بن البراء) بفتح الباء وتخفيف الراء وهو ابن معرور واياك ان تعجمها فانه تصحيف مغرور وهو خزرجى سلمى شهد العقبة و بدرا وأحدا قيل انه مات فى الحال وقيل لزمه وجعه حتى مات بعد سنة وقضية خيبر كانت فى أول السابعة أو فى آخر السادسة

انك نبى الله ورسوله وعطفه على كلام الصديان من عطف الخاص على العام ثم شرع فى اثبات ما ذكره بحديث أورده أبو داود مسندا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فقال (حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه) أى المتبحر فى معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم الشرعية مطلقا (بقراءتى عليه والقاضى أبو الوليد محمد بن رشد) علم منقول من ضد الغى وهو محمد بن أحمد بن رشد الامام فى كل فن الجليل قاضى قرطبة تولى قضاها بعد أبى القاسم بن حمدين سنة احدى عشرة وخمسمائة ثم عزل سنة أربع عشرة وولى أبو القاسم وذلك فى سلطنة يوسف بن تاشفين (والقاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) الذى تقدمت ترجمته (وغير واحد سماعا واذنا) يعنى انه سمع منهم وأذنوا له فى الرواية عنهم (قالوا حدثنا أبو على الحافظ) الغسانى الذى تقدم قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر الامام المشهور كما تقدم قال (حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى) بن محمد المعروف بابن العطار قال (حدثنا أحمد ابن سعيد) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابى) تقدم قال (حدثنا أبو داود) الامام صاحب السنن قال (حدثنا وهب بن بقية) الواسطى أبو محمد ويقال له وهبان توفى سنة تسع وثلاثين ومائتين و روى له مسلم وأبو داود والنسائى (عن خالد هو الطحان) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المعروف بالطحان كان من الزهاد الصالحين يقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة توفى سنة تسع وتسعين ومائة وولد سنة عشر ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن محمد بن عمرو) بن علقمة وله ترجمة فى الميزان (عن أبى سلمة) أحد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن أبى هريرة) رضى الله عنه (ان يهودية) من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم صاحب الكنز وهو من بنى النضير وقيل انها زينب أخت عبد الله بن سلام (أهدت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) أى مشوية من صلاه بالنار اذا شواه وأصلها مصلوية فقلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها (سمتها) أى وضعت فيها السم يقال سممته أنا والعامة تقول سميته وهو خطأ كما قال السراج الوراق رحمه الله تعالى

رزقت بنتا ليتها لم تكن * فى ليلة كالدهر قضيتها

فقيل ما سميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها

وقد يقال أصله سممتها بثلاث ميمات أبدلت الثالثة ياء على القياس (فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها وأكل القوم) الذين كانوا معه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أى شرعوا فى الاكل (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ارفعوا أيديكم) أى كفوها عن الاخذ منها للاكل وأبعدوا أيديكم عنها وأصل الرفع الاعلاء فكنى به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه (فانها أخبرتنى انها مسمومة) وهو محل الشاهد لانها كلمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شاء الله أسمعهم كلامها (فمات بشر بن البراء) بفتح الباء الموحدة والراء المهملة والمد ابن معرور بسكون العين المهملة وفتح ميمها خطأ وهو صحابى خزرجى شهد العقبة وبدرا قيل انه مات فى الحال وقيل لم يزل

(وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ما حملك) أي أيتها اليهودية (على ما صنعت قالت) أي حملني ما تردد في باطني من انك (ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا) بكسر اللام أي ممن يدعي ملكا (أرحت الناس منك قال) أي أبو هريرة كما رواه البيهقي عنه موصولا وأبو داود عن أبي سلمة مرسلا (فامر بها) أي بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أنس) كما في الصحيحين (وفيه قالت أردت قتلك) ان لم تكن نبيا (فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك) ويروى ليسلط على ذلك ويسلطك على أي على قتلي فاني نبي موعود لاكمال ديني وعصمة روحي (فقالوا أنقتلها) وفي رواية الانقتلها (فقال لا) أي لا تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر فلما مات أمر بقتلها به (وكذلك روى) أي هذا الحديث وفي نسخة وكذلك عن أبي هريرة (من رواية غير وهب) أي ابن بقية وهو شيخ أبي داود (قال) أي أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (فما عرض لها) أي فما تعرض لها ولم يأمر بقتلها (ورواه أيضا جابر بن عبد الله) كما رواه أبو داود والبيهقي عنه (وفيه) أي في حديثه (أخبرتني به هذه الذراع قال) أي جابر (ولم يعاقبها) أي ولم يؤاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما صدر عنها قبل موت بشر منها (وفي رواية الحسن) البصري (ان فخذها كلمني انها مسمومة) قلت في

وفي الجمع بينهما انصاب الشهادة (وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت) أي الشاة بكمالها أو ببعض اجزائها (اني مسمومة) أي فلا تأكل مني (وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق) أي المغازي (وقال فيه) أي في حديثه (فتجاوز عنها) أي عفا ابتداء

مريضا حتى مات بعد سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم (لليهودية ما حملك على ما صنعت) من السم ووضعه حتى حصل منه ما حصل وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قوله حمله كذا وحمله عليه اذا كلفه به قال الله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أي كلفوا أن يقوموا بحقها فلم يفعلوا فالمعنى ما دعاك لصنعك هذا (قالت) الداعي اني أردت معرفة حالك واختبارك (ان كنت نبيا لم يضرك ما) وفي نسخة الذي (صنعت) من وضع السم وأكلك له (وان كنت ملكا) بكسر اللام أي سلطانا (أرحت الناس منك) بموتك فلما لم يضر السم ضررا يظهر لغيره علم بذلك انه نبي وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله عصمه من أذى الناس ولم يمكن أحدا من قتله صلى الله تعالى عليه وسلم باي طريق كان فانما احتجم بعده كما روى هنا بيانا لاستحباب المداواة وتعليما للامة ولذا لم تخبره الشاة قبل الاكل ولينال مرتبة الشهادة العظمى من غير اهانة له صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في السم هل كان في الشاة كلها وفي الذراع زيادة على غيره لانها سألت ما أحب اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الذراع أو كان في الذراع بن فقط لذلك ذهب الى كل منهما ناس وانما سألها صلى الله تعالى عليه وسلم لتقر فتتبين القصة ولانه كان بينه وبين اليهود عهد وهذا نقض له (قال) أي أبو هريرة راوي الحديث كما ذكره البيهقي وان كان رواه مرسلا في محل آخر (فامر بها) أي بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من طريق آخر في الصحيحين (عن أنس) بن مالك (وفيه) أي فيما رواه أنس (قالت أردت قتلك) ان لم تكن نبيا كما مر (فقال) لها (ما كان الله ليسلطك) من التسليط والسلاطة وهي التمكن من القهر والاذية كما قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم (على ذلك) أي القتل وروى على مشدد الجر بياء المتكلم والكاف مكسورة لان الخطاب لمؤنث كما قاله التلمساني (فقالوا أنقتلها) وفي نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام وفي أخرى الانقتلها (قال لا) تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البراء وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين رواية أبي هريرة انه قتلها وبه يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفى عنها مع قتلها للبراء الا ان يقال ان البراء عفى عنها أو على انه لا يقتل بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل في كتب الفقه (وكذلك روى) بالبناء للمجهول أي روى هذا الحديث (عن أبي هريرة من رواية غير ابن وهب) بن بقية شيخ أبي داود انه روى و (قال فما عرض لها) عرض بفتحتين بمعنى تعرض المشدد أي تركها (ورواه أيضا جابر بن عبد الله) كما في سنن أبي داود والبيهقي (وفيه) أي فيما رواه جابر (أخبرتني به) أي بالسم الذي فيها (هذه الذراع) أي ذراع الشاة وهو مؤنث سماعي ولذا قال هذه وكذا الفخذ الآتي مؤنث (قال) جابر رضي الله تعالى عنه (ولم يعاقبها) أي لم يقتلها وفي بعض النسخ (وفي رواية الحسن) البصري (ان فخذها) هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها ما فوق الساق (كلمتني) أي قالت لي (انها) أي الشاة (مسمومة) اما لان السم عمها أو في ذراعها فقط كما مر وهذا لا ينافي ما مر من ان الذراع كلمته لانه لا مانع من ان تكلمه الذراع والفخذ معا ويكون عود الضمير للفخذ بناء على أحد الوجهين (وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت اني مسمومة وكذلك) أي مثل هذه الرواية (وذكر الخبر) السابق (ابن اسحق) في سيرته (وقال فيه فتجاوز عنها) أي عفى عنها ولم يقتلها

(وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن أنس انه قال فمازلت أعرفها) أى أثر سمها (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة فى سقف أقصى الفم (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن سعد وهو فى الصحيح (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) فى وجعه الذى مات فيه وفى نسخة منه (مازالت أكلة خيبر) بضم الهمزة أى لقمتها وخيبر بلدة على اميال من المدينة السكينة أكل بها من الشاة المسمومة (تعادنى) بضم التاء وتشديد الدال أى ترادنى وتراجعنى وتعاودنى ألم سمها فى أوقات معينة لها وهو مأخوذ من العداد بكسر العين وهو اهتياج وجع اللديغ لوقت معلوم فانه اذا تمت له سنة من حين اللدغ هاج به الالم (فالآن) وفى نسخة والآن أى وهذا الزمان الذى أنا فيه (أوان قطعت أبهرى) والاوان بفتح الهمزة وتكسر بمعنى الوقت وهو هنا بفتح النون لاضافته الى المبنى كما فى قوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * أو بضمها على انه مرفوع على الخبرية أى فهذا الزمان أوان قطعت على بناء الفاعل وهو الاكلة ومفعوله أبهرى وهو بهمزة مفتوحة وسكون موحدة وفتح هاء عرق يكتنف الصلب والقلب اذا قطع لم يبق معه حياة وهو الذى يمتد الى الحلق فيسمى الوريد والى الظهر فيسمى الوتين فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا أوان قتلنى السم فكنت كمن انقطع أبهره كذا ذكره التلمسانى والظاهر انه على ظاهره وان السم سرى الى أبهره وقال الداودى الالم الذى حصل له من الاكلة هو نقص لذة ذوقه قال ابن الاثير وليس يبين لان نقص الذوق ليس بالم قلت هو ألم من العذاب الاليم كما يشهد به الذوق السليم

فى أول الامر ثم لما مات بشر بن البراء قتلها به كما مر فى الجمع بين الروايتين أو لم يقتلها بسببه أما لانه لا يوجب القتل أولامر آخر رآه (وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن أنس انه قال فمازلت أعرفها) أى أعرف الفعلة التى فعلتها اليهودية (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة بوزن قناة وهى لحمة فى أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان وأول الحلق وهى لا ترى الا اذا فتح الفم انفتاحا تاما فكأنه يريد بها الفم باطلاق الجزء على الاول كما فى قولهم اللهى تفتح اللهاة فكان لها أثر فى ظاهر فمه من بثرة ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وقيل المراد انها أثرت فى صورته تأثيرا قليلا لا يظهر لمن تأمله فاراد باللهاة الصوت ولا يخفى ما فيه والحديث فى البخارى وفيه كلام فى شروحه والحاصل انهم اختلفوا فى قتلها كما مر وعن ابن شهاب انها أسلمت فتركها لاسلامها وفى الروض الانف انه تركها أولا لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا به الا ان فيه ان فقهاءنا والشافعى قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فاكل منه وهو لا يعلم فمات لا يجب القصاص ولذا قيل انه انما قتلها سياسة أو لنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة والذى فى البخارى ان اليهود سموها لا ينافيه لانه كان بامرهم واتفاق منهم (وفى حديث) عن (أبى هريرة) رضى الله عنه الذى رواه عنه ابن سعد بسند صحيح (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه) يعنى مرضه فعبر عنه بلازمه (الذى مات فيه) أى مات متلبسا به أو فى زمنه وروى منه بدل فيه (مازالت أكلة) بضم فسكون وهى ما يؤكل كالغرفة لما يغرف لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار كما قاله النحاة (خيبر) بمنع الصرف بلدة على أميال من المدينة أهلها يهود (تعادنى) بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وألف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير المتكلم أى تعود الى مرة بعد مرة أخرى فى أوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ما يأتى لوقت كالحمى والسم وقال السهيلى تعادنى بمعنى تعتادنى وقيل هو ما يهيج بعد سنة من ألم اللدغ ونحوه وليس المراد بالالم نقص فى الذوق لانه لا يعد مثله ألما وما قيل من انه المراد مكابرة فى المحسوس لا وجه له مع انه لا ينافى قوله (فالآن) مبنى على الفتح ولا يستعمل بغير أل وهو الزمن الحاضر (أوان قطعت) أى الاكلة بسمها وتأثيره (أبهرى) بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة بزنة افعل التفضيل وهو عرق كبير متصل بالقلب أو داخله وهما ابهران وقيل هو الوريد وهو اذا انقطع بموت صاحبه وقيل انه الاكحل وموته بهذا السم لا ينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس الى آخره لا لانه قبل نزول هذه الآية بل لان المراد عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من قتلهم له بسيف ونحوه مجاهرة بحيث يظهر فى وقته وهذا مع انه سم ساعة لم يظهر فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عد من معجزاته لخفاء أثره وانما قدر الله تعالى تأثيره فيه بعد زمان ليرزقه الله تعالى الشهادة وهذا مما لا دخل لمخلوق فيه ومرضه الذى مات فيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان حمى مع صداع وروى أبو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب وأورد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لد بقسط وزيت فلما أفاق صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنتم ترون ان بى ذات الجنب ما كان الله تعالى ليجعل لها على سلطانا والله لا يبقى أحد فى البيت الا لد ففعلوه واللدود دواء ذات الجنب وقد ورد ان ذات

(وحكى ابن اسحق) أى فى المغازى (ان) مخففة من المثقلة أى ان الشان (كان المسلمون) أى الصحابة والتابعين (ليرون) بفتح اللام وضم الياء أى ليظنون وفى نسخة صحيحة بفتح الياء أى ليعتقدون (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) أى نوعا من الشهادة (مع ما أكرمه الله به من النبوة) أى لئلا يخلو من نوع من أبواب السعادة وهذا لا ينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس اذ المراد به عصمته من القتل على أيديهم واما مادونه فقد احتمل صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذات الله ومرضاته حتى سم وسحر وكسرت رباعيته كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حين أصيبت أصبع رجله بحجر فى طريقه هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت وقد أجيب بان الآية نزلت بتبوك والسم كان بخيبر قبل ذلك والله تعالى أعلم (وقال ابن سحنون) بفتح السين وضم النون منصرفا وممنوعا وهو محمد بن سحنون بن سعيد التنوخى (اجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته) وهو محمول على آخر أمرها فلا ينافى ماورد من عدم التعرض لها فى ابتداء حالها فقول الدلجى ان دعوى ابن سحنون يردها ما مر من حديث أنس وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما من رواية غير وهب بن بقية ليس فى محله اذ سبق ان كل واحد من الحديثين يحمل نفيه قبل موت البراء وهذا معنى قول المصنف (وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك) أى بحسب ما يتبين التخالف هنالك (عن أبى هريرة وأنس وجابر) أى ابتداء لا انتهاء كما يشير اليه قوله (وفى رواية عن ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها) أى بعد موت البراء فارتفع النزاع وثبت ماذكره ابن سحنون من الاجماع (وكذلك) أى مثل هذا الاختلاف أو نحوه قد اختلف (فى قتله للذى سحره قال الواقدى وعفوه عنه أثبت عندنا) أى من قتله (وروى) وفى نسخة وقد روى عنه (انه قتله) ولعله عفا عنه أولا بسبب سحره المتعلق بخاصة نفسه ثم قتله لما صدر عنه بالنسبة الى غيره أو لدفع ضرره عن المسلمين فى آخر أمره أو أوحى اليه بعد عفوه ان يأمر بقتله وهذه الجملة معترضة (وروى الحديث) أى حديث الشاة المسمومة

الجنب من الشيطان وأجيب بان ذات الجنب قسمان مرض حار يكون فى مستبطن الحشاء وهو المنفى وآخر يكون بين الاضلاع وهو المروى فى الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب ذلك السم (وحكى ابن اسحق ان) بكسر الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة من الثقيلة واسمها مقدر أصله انهم (كان المسلمون ليرون) بفتح اللام وهى لام الابتداء ويرون بضم الياء المثناة التحتية أى يجوزون ويجوز فتحها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) بسم الشاة ليكرمه الله بنيل الشهادة (مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون) بضم السين وفتحها ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام المالكى الامام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم (أجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته) كما مر فى بعض الروايات مع ما فيه ودعواه الاجماع مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى مأولة عنده كما مر لا تصفى كدره واليه أشار المصنف رحمه الله بقوله (وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك) الدال على خلاف ماقاله ابن سحنون (عن أبى هريرة وأنس بن مالك وجابر) وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فمع ذلك كيف تصح دعوى الاجماع وماذكر فى الحديث الذى قبل هذا من كون آثار السم تشاهد فى لهواته من تتمة القصة فلا ينافى كون الفصل معقود الاحياء الموتى كما توهم وكذا ماذكر فى هذا الحديث (وفى رواية ابن عباس) التى رواها ابن سعد (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دفعها) أى سلم المرأة التى سمته (لاولياء بشر بن البراء فقتلوها) يعنى ورثته الذين لهم دعوى القصاص (وكذلك) أى مثل ما اختلف فى قتل من سمه وحكمه (قد اختلف فى قتله من سحره) وفى نسخة الذى سحره وهو رجل يهودى من بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم كما صرح به بعد سحره صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان يخيل له ان يفعل الشئ وما يفعله ثم شفاه الله تعالى منه كما سيأتى الكلام على قصته فى كلام المصنف رحمه الله تعالى (وقال الواقدى وعفوه عنه) أى الساحر (أثبت) أى أقوى وأصح وأصل معناه أشد ثبوتا ولزوما فاستعير لما ذكر (عندنا) معاشر أهل السنة والحديث (وروى عنه انه قتله) وفى الوفاء عن زيد بن أرقم قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يهودى فاشتكى لذلك أياما فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له ان رجلا من اليهود سحرك فعقد لك عقدا فى بئر كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها وجاء بها وحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام كأنما نشط من عقال فاذكر لذلك اليهودى ولا أراه فى وجهه قط وقال الثعلبى انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم أما تأخذ الخبيث فتقتله فقال أما أنا فقد شفانى الله وأكره ان أثير على الناس منه شرا ادبى وقتل الساحر ذكره الفقهاء مفصلا فى الفروع وفى السحر وجواز تعلمه كلام مشهور بيناه فى غير هذا المحل (وروى الحديث) أى حديث الشاة المسمومة

(البزار عن أبى سعيد) أى الخدرى (فذكر مثله) أى نحو ما سبق (الا انه قال) أى أبو سعيد (فى آخره) أى فى آخر حديثه (فبسط) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) أى مدها (وقال) أى لاصحابه كما فى نسخة (كلوا باسم الله) أى مبتدئين باسمه ومستعينين بذكره (أكلنا) أى منها (وذكرنا اسم الله) أى عليها (فلم تضر منا أحدا) عن الحافظ ابن حجر انه منكر ذكره الدلجى ولعل وجه الانكار عموم نفى الاضرار مع انه ثبت فى الصحيح موت البراء منه كما سبق به التصريح وكذا تقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تضرر منها الى ان توفى بسببها وحصل له مرتبة الشهادة بها هذا والحديث رواه الجزرى أيضا فى الحصين بلفظ وأمر الصحابة فى الشاة المسمومة التى أهدتها اليه اليهودية ان اذكروا اسم الله وكلوا فأكلوا ولم يصب أحدا منهم شئ وأسنده الى مستدرك الحاكم قال صاحب السلاح رواه الحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد الخدرى وقال صحيح الاسناد انتهى لكن قال بعض مشايخنا وفيه تأمل لا يخفى اذ المشهور بين أصحاب الحديث وأرباب السير انه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة أحد من الصحابة الا بشر بن البراء أكل منها القمة ومات منها وأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باحراق تلك الشاة ودفنها تحت التراب واحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبنى بياضة من الانصار والله سبحانه وتعالى أعلم بالاسرار (قال القاضى أبو الفضل) أى المصنف (وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح) أى الذين التزموا الصحة (وخرجه الائمة) أى البقية من أصحاب السنن المشتملة على الصحيح وغيره من الاقسام (وهو حديث مشهور) أى بين الخاص والعام عند الجمهور من علماء الاعلام (واختلف أئمة أهل النظر) أى من المتكلمين وغيرهم (فى هذا الباب) أى باب خلق الله تعالى الكلام فى الاجسام (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى) أى فى محل من الموجودات أعم من الحيوانات والنباتات والجمادات كما بينه مثلا بقوله (فى الشاة الميتة) بتخفيف الياء ويجوز تشديدها (أو الحجر أو الشجر) ذكرها بالفظ أو للتنويع (وحروف وأصوات) برفعهما عطف على كلام (يحدثها الله تعالى فيها) أى يوجدها فى هذه الاشياء بلا حياة لها العدم توقف ماذكر عليها (ويسمعها) بضم الياء وكسر الميم أى من شاء من خلقه (منها) أى من الاصوات والحروف (دون تغير أشكالها) أى أنواع صورها (ونقلها عن هيئتها) أى حالتها وصفتها وتمام حقيقتها (وهو) أى هذا القول (مذهب الشيخ أبى الحسن) أى الاشعرى (والقاضى أبى بكر) أى ابن الطيب الباقلانى (رحمهما الله تعالى) أقول فعلى هذا كلام الشاة من جنس كلام الحجر وكلام الشجر فلا يصلح أن يكون مستند الاحياء الموتى على ما ساقه المصنف كما لا يخفى بخلاف ما يستفاد من قوله (وآخرون ذهبوا الى

المسمومة السابق لاحديث السحر كما توهم (البزار عن أبى سعيد) الخدرى (فذكر مثله الا انه قال فى آخره فبسط يده) ومدها صلى الله تعالى عليه وسلم ليتناول من لحمها (وقال) لمن عنده من الصحابة (كلوا) متبركين (بسم الله فأكلنا منها فلم يضر منا أحدا) وهو مصادم لحديث البراء الصحيح الذى تقدم وقال السيوطى نقلا عن الشيخ ابن حجر ان هذا الحديث منكر (قال القاضى أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (رضى الله تعالى عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح) الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته (وخرجه الائمة) فى كتبهم كاصحاب السنن (وهو حديث مشهور) بين المحدثين (واختلف أئمة أهل النظر) من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث (فى هذا الباب) أى باب خلق الله الكلام فى أجسام غير ناطقة ثم بين وجوه اختلافهم بقوله (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله فى الشاة الميتة) بالتشديد والتخفيف (أو الحجر أو الشجر) ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظى والنفسى بالاشتراك أو بالحقيقة فى الاول والمجاز فى الثانى أو بالعكس أشار الى أن المراد الاول بقوله (وحروف وأصوات) أى هواء يخرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة ومجموعها هو الحروف ذات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله كلام (يحدثها) أى يوجد تلك الحروف والاصوات (فيها) أى فى تلك الاجسام بلا حياة مخلوقة فيها لعدم توقفها عليها (ويسمعها) بضم التحتية أى يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الاحياء (منها) أى من تلك الاجسام لا من الاصوات والحروف كما قيل (دون تغيير اشكالها) جمع شكل بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال الله تعالى وآخر من شكله أزواج أى هو مثله فى الهيئة ومنه قولهم الناس أشكال وآلاف وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قال الراغب فقوله (ونقلها من هيأتها) أى نقلها من هيأتها الاصلية الى هيئة أخرى لذوات الارواح والنطق (وهو) أى عدم لزوم ماذكر (مذهب الشيخ أبى الحسن) الاشعرى امام أهل السنة (والقاضى أبى بكر) الباقلانى فعندهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام فى الاجسام (و) قوم (آخرون) من أهل السنة (ذهبوا الى) اشتراط ذلك والى

ايجاده) أى الله سبحانه وتعالى (الحياة) وفى نسخة الى ايجاد الحياة لها أولا (ثم الكلام) بالنصب أو الجر أى ثم ايجاد الكلام (بعده) أى بعد ايجاد الحياة بها مع عدم تغيرها عن حالها (وحكى هذا أيضا عن شيخنا) أى معشر أهل السنة (أبى الحسن) أى الاشعرى (وكل) أى من القولين (محتمل) أى لايجاد الحياة فيها أو لعدمها ولما كان التناقض بين القولين دفعه المصنف بحمل القول الثانى على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة وحمل الاول على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلقها فيه بقوله (والله أعلم اذ لم نجعل) أى نحن ويجوز بصيغة الغائب أى أبو الحسن (الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها) أى فيه (فأما اذا كانت) أى الحروف والاصوات (عبارة عن الكلام النفسى فلابد من شرط الحياة لها) أى للاصوات (اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى) أقول ٩٦ وظاهر الآيات والاحاديث يؤيد القول الاول فتأمل منها قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وحديث ان الجبل ينادى الجبل باسمه أى فلان هل مر بك أحد ذكر الله تعالى فاذا قال نعم استبشر الحديث مع انه ليس هناك خرق للعادة فالصحيح من مذهب أهل السنة والصريح من مشرب الصوفية أن الاشياء لها معرفة بموجدها كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وان لها ألسنة مسبحة لخالقها ويفهمها جنسها ومن أراد الله ادراكها (خلافا للجبائى) بضم الجيم وتشديد الموحدة بعدها ألف ممدودة نسبة الى جبى قرية بالسواد وهو من متقدمى المعتزلة وكان اماما فى علم الكلام وأخذه عن يعقوب بن عبد الله الشحام

الذى

البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة فى عصره وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الاشعرى علم الكلام وله معه مناظرات مستحسنة بعدما أقام على الاعتزال معه أربعين سنة ثم رجع حاله وحسن مآله ومال الى مذهب أهل السنة وصار امام الائمة قيل انه مالكى المذهب وقال السبكى أخذ فقه الشافعى عن أبى اسحق المروزى توفى عام ثلاثين وثلثمائة وأما الجبائى فمات سنة ثلاث وثلثمائة (ومن بين سائر متكلمى الفرق) أى فرق الاسلامية اذ لم يوافقه أحد منهم (فى احالته) أى عدم امكانه (وجود الكلام اللفظى) والحروف والاصوات الا من حى مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات (والتزم) أى الجبائى (ذلك) أى ما ذكره من التركيب (فى الحصى) أى الذى سبح فى يد المصطفى (والجذع) أى الذى حن وأن (والذراع) أى الذى تكلم وبين

(ايجاد الحياة بها أولا) قبل نطقها وصدور الكلام منها (ثم الكلام بعده) أى بعد ايجاد الحياة بها (وحكى هذا أيضا عن شيخنا أبى الحسن) الاشعرى كما حكى القول الاول عنه فله قولان فى هذه المسئلة والضمير لاهل السنة المعلوم من السياق والشيخ هو المسن وشاع بمعنى الاستاذ كما مر ولا يلزم أن يكون المصنف رحمه الله تعالى أدركه وتلمذ له كما لا يخفى فى مثله (وكل) من القولين (محتمل) اسم مفعول أى جائز عقلا فيحتمل فيما صدر عنه النطق ان يخلق الله فيه حياة وان ينطقه بدونها ولا تناقض على ما قررناه فى كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل أحد قوليه على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها والآخر على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلقها فيه ومثل هذا لا يلتفت له حتى تسود به وجه الصحف كما لا يخفى (اذ لم تجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات) وحينئذ يحتمل أنه تعالى خلق فيها حياة ويحتمل انه أنطقها بدون ذلك اذ لا يشترط وجوده ولا عدمه (اذ لا يستحيل) ويمتنع عقلا (وجودها) أى الحروف والاصوات (مع عدم الحياة بمجردها) أى وحدها من غير جارحة وحياة ونحوها (فاما اذا كانت) أى الحروف والاصوات أو هذه العبارة التى هى الكلام فالتأنيث لمراعاة الخبر فى قوله (عبارة) أى معبرا بها والظاهر الثانى (عن الكلام النفسى) الذى يعبر به عندهم وتحقيق الكلام النفسى والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل فى علم الكلام يضيق طوق المقام عنه (فلابد من شرط الحياة لها) لانها العلم أو مستلزمة له وعلى كل حال فلابد من الحياة فيها (اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى) اذ لابد له من نفس تقوم به والنفس لا تكون الا ذات حياة وأما الكلام اللفظى فلا يشترط فيه ذلك (خلافا للجبائى) بضم الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة والمد وياء نسبة الى الجباء قرية بالسواد وهو أبو على محمد بن عبد الوهاب بن سلام مخفف اللام ابن خالد بن حمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان البصرى رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلثمائة (من بين سائر متكلمى الفرق) أى فرق أهل السنة والمعتزلة فانه تفرد (فى احالة وجود الكلام اللفظى) أى عده محالا عقلا وعادة (والحروف والاصوات الا من حى مركب) قائم بحسب الصورة (على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات) بأن يكون جسما له آلة نطق وجوف ثم لما ورد عليه ما تواتر من نطق غيره قال دفعا له يلتزمه واليه أشار بقوله (والتزم ذلك) أى وجود التركيب المذكور (فى الحصا) بمهملتين جمع حصاة (والجذع والذراع)

(وقال) أي الجبائي (ان الله خلق فيها حياة وخرق) بالراء أي شق ويروى خلق (لها فما ولسانا وآلة) أي مما يتوقف النطق عليها (مكنها) بتشديد الكاف وفي نسخة أمكنها أي أقدرها الله تعالى (به من الكلام وهذا) أي ما ادعاه دعوى بلا بينة عنه فانه كما قال المصنف (لو كان) أي وجد ذكره (لكان نقله والتهمم به) أي الاهتمام بنقله (أوكد) لكونه أغرب وأعجب فنقله أهم (من التهمم بنقل تسبيحه) أي الحصى في يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وحنينه) أي الجذع اليه (وأخباره) أي الذراع له كذا في شرح الدلجي ولم يوجد لفظ وأخباره في الاصول المعتمدة (ولم ينقل أحد من التفسير) أي شراح الحديث وفي نسخة من أهل السير أي أرباب التواريخ (ولا الرواية) أي من المحدثين (شيأ من ذلك) أي مما ادعاه الجبائي (فدل) أي عدم نقلهم ما دعاه (على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر) أي في نظر العقل وخبر النقل اذ المقام مقام خرق العادة وهو انما يكون على وفق القدرة والارادة وهو سبحانه وتعالى على كل شئ قدير (والله الموفق) أي لتيسير كل عسير وفي نسخة والموفق الله لا سواه (وروى وكيع) الظاهر انه ابن الجراح وقد تقدم (رفعه) بالنصب وفي نسخة بصيغة الفعل أي رفع حديثه (عن فهد بن عطية) بالفاء في أوله وبالدال في آخره وفي نسخة بالراء وكلاهما لا يعرف على ما ذكره الدلجي تبعا للحلبي وفي المواهب عن مهد بالميم والدال ولعله تصحيف وانما رواه البيهقي عن سمر بن عطية بكسر السين المهملة وسكون الميم في آخره راء عن بعض أشياخه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بصبي) أي جيء به اليه (قد شب) أي صار شابا (لم يتكلم قط فقال له من أنا فقال رسول الله) أي أنت رسوله (وروى) بصيغة المجهول وقد رواه البيهقي وابن عساكر (عن معرض) بضم ميم وتشديد راء مكسورة وروى معرض بكسر أوله كأنه آلة (ابن معيقيب) بالتصغير وفي نسخة معيب بخلاف الياء الثانية (رأيت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا) وفي المواهب أسند الحديث الى معيقيب اليماني قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأيت منه عجبا أي خرق عادة متضمنا لكرامة (جيء) أي اليه (بصبي يوم ولد فذكر مثله) أي قال له من أنا قال رسول الله (وهو حديث مبارك اليمامة) قال ابن دحية هو موضوع ذكره الدلجي ولعله موضوع باسناد غير معروف لما تقدم من ان الحديث هذا رواه البيهقي وابن عساكر فتأمل فانه محل زلل

الذي نطق له صلى الله تعالى عليه وسلم لتواتره (وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما) أي أبدعه وميزه عن غيره من الاعضاء كما خرق سمعه وشقه اذا أبرزه وصوره (ولسانا وآلة للكلام (أمكنها) أقدرها وجعلها متمكنة بها (من الكلام) والنطق (وهذا) أي المذكور من الآلة والاعضاء دعوى بلا بينة اذ (لو كان) أي ما ادعاه وقع في الخارج (لكان نقله) أي وجد نقله وسمع فكان فيهما تامة (والتهمم به) تفعل من الهم أي الاهتمام والاعتناء به (آكد) بالمد وأوكد بالواو بمعناه أي أقوى وأشد (من التهمم بنقل تسبيحه) أي تسبيح الحصا (وحنينه) أي الجذع كما تقدم والامر بالعكس فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا لا شبهة فيه ولم ينقل انه روى له فم ولا لسان فما ذكره مكابرة في المحسوسات ودعوى شهد الحس بخلافها (ولم ينقل أحد من أهل السيرة) أي رواة الحديث والسير النبوية (والروايات) وفي نسخة الرواية (شيأ من ذلك) المذكور الذي ادعاه (فدل) عدم نقلهم (على سقوط دعواه) أي بطلانها (مع انه لا ضرورة) داعية (اليه في النظر) والفكر في الامور المعقولة وأما كون الله خلق ذلك وأخفاه فهو من دعواه (والله الموفق) للصواب (وروى وكيع) بفتح الواو والكاف المكسورة وهو أبو سفيان بن الجراح بن مليح بن عدي الراسي (رفعه) أي رواه مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن فهد بن عطية) هو بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة وفي نسخة راء مهملة قال البرهان لا أعرفه بدال ولا براء والذي في البيهقي انه عن سمي بن عطية عن بعض أشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بصبي قد شب) أي كبر وصار شابا وهو (لم يتكلم قط) من طفوليته الى شبابه لانه خلق أخرس (فقال) له (من أنا فقال أنت رسول الله) فانطقه الله معجزة له صلى الله عليه وسلم بعدما كان أبكم وذكر هذا في الفصل الذي بعده أظهر وان كان هذا بتنزيل الابكم منزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق (وروى عن معرض بن معيقب) بميم مضمومة وعين مهملة فيهما وضاد معجمة بزنة اسم الفاعل وقيل الراء مكسورة مشددة وروى معيقب بياء وقيل معيقل بلام (رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا) أي أمرا عجيبا وقع عنده وهو انه (جيء) بالبناء للمجهول أي جاء اليه بعضهم (بصبي يوم ولد) مجهول أيضا (فذكر) راويه وهو معرض (مثله) أي مثل ما مر من انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم من أنا فقال له أنت رسول الله (وهو) معروف في المعجزات بانه (حديث مبارك اليمامة) وفي نسخة وكان يسمى أي ذلك الولد مبارك اليمامة لقوله صلى الله تعالى

(ويعرف) أي حديث المبارك أيضا (بحديث شاصونة) بضم الصاد وسكون الواو وفنون فتاء وضبط في بعض النسخ بتحتية بدل النون وفي أخرى بفتح الصاد والواو وسكون الياء فهاء مكسورة هو أبو عبيد من أهل اليمن (اسم راويه) أي راوي حديث المبارك قال الحلبي هذا الصبي هو مبارك اليمامة وهو مذكور في الصحابة قال الذهبي في تجريده في الصحابة مبارك اليمامة في حديث معرض الصحابة (وفيه) أي في مروي شاصونة (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت) أي فيما نطقت (بارك الله فيك) أي في عمرك أو في أمرك (ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها) أي بعد هذه الكلمة أو الشهادة (حتى شب) أي بلغ زمن التكلم وفيه ايماء الى أن المراد بالغلام هنا هو الصبي قبل ان يصير شابا فهذا غير الصبي الذي تقدم والله تعالى أعلم (فكان) وفي نسخة صحيحة وكان (يسمى مبارك اليمامة) أي لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالبركة أضيف الى اليمامة لانه كان من أهلها وفي القاموس ان اليمامة جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام وبلاد الجو منسوبة اليها سميت باسمها وهي أكثر نخيلا من سائر الحجاز وهي دون المدينة في وسط الشرق عن مكة هذا وقد جمع الجلال السيوطي رحمه الله تعالى جميع من تكلم وهو صغير في هذه الابيات

تكلم في المهد النبي محمد
ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف
وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليهم بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طائر وهذا مؤخر في النسخ كما سيأتي (ويعرف) ذلك الحديث (بحديث شاصونة) بشين معجمة وألف وصاد مهملة وواو ساكنة تليها نون وهاء وهو (اسم راويه) أي راوي هذا الحديث وبيانه ماقاله السيوطي في خصائصه الكبرى قال الخطيب أخبرني علي بن أحمد الرزاز قال حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم املاء قال حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمي املاء قال حدثنا شاصونة بن عبيد أبو محمد اليمامي منصرفا من عدن سنة عشر ومائتين بقرية يقال لها الجردة قال حدثنا معرض بن عبد الله اليمامي عن أبيه عن جده حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا غلام من أنا فقال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم حتى شب قال أبي فكنا نسميه مبارك اليمامة قال شاصونة سمعت هذا الحديث منه منذ ثمانون سنة ولم أسمع منه الا هذا الحديث قال الدارقطني كان الكديمي يتهم بوضع الحديث ومما تكلم به فيه حديث شاصونة وقيل انه حدث عمن لم يخلق بعد فلما بلغه ذلك قال عقدت بيني وبينه عقدة لا أحلها الا بين يدي الجبار فانتهى اليه الخبر فكان لا يذكره الا بالخير وقال الخطيب ان الكديمي لما أملى هذا الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذاب الا أنه قد وقع الينا من غير طريق الكديمي ثم ساقه بسنده الى آخره قال السيوطي فقد وقع روايته من طرق فهو حديث حسن وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع في حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية انه موضوع غير مسلم وتبعه السيوطي هنا من غير تعقب له فبين كلاميه تناف (وفيه) أي في هذا الحديث (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له) أي للصبي حين تكلم (صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد) مبني على الضم أي بعد ذلك الكلام (حتى شب) أي كبر ووصل سن النطق (فكان يسمى مبارك اليمامة) لدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له بالبركة (وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع) بفتح الواو وكسرها سميت بها لانها آخر حجه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكر فيها مايشعر بقرب أجله وانه يودع فيها أمته (وعن الحسن) البصري وقدمنا ترجمته وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي (أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له) تصغير بنت (في وادي كذا) لم يعينه راويه أي رماها ثمة فماتت وقيل انه وأدها على عادة الجاهلية (فانطلق) أي مشى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

معه)

(وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع) بفتح الواو وتكسر وهي سنة عشر من الهجرة (وعن الحسن) أي البصري (أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وأسلم هو وامرأته (فذكر) أي الرجل له (انه طرح بنية) بالتصغير (له في وادي كذا) يعني وانها هلكت على ظنه بها أو تردد في حياتها ومماتها (فانطلق) أي فذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

(معه الى الوادى) أى المعهود (وناداها) أى البنية أبوها أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر (باسمها يا فلانة أجيبى) أى دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باذن الله تعالى) أى امره وتيسيره (فخرجت) أى من الوادى وظهرت فيه (وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما) أى بالحياة الاصلية أو المجددة رددتك عليهما والافتركتك على حالك (فقالت) وفى نسخة قالت (لا حاجة لى بهما) وفى نسخة فيهما (وجدت الله خيرا لى منهما) والحديث عن الحسن لم نعلم من رواه كذا ذكره الدلجى ثم سياقه يحتمل ان يكون من كلام الصغار أو فى احياء الموتى لان القضية تحتملهما الا ان المصنف رحمه الله لم يرتب فى هذا المحل اذ كان اللائق به ان يذكر أولا ما يتعلق باحياء الموتى ثم يأتى بكلام الصبيان على طبق العنوان ثم رأيت الحديث فى دلائل البيهقى صريحا فى احيائها حيث ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أرنى قبرها فاراه اياه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا فلانة قالت لبيك وسعديك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أتحبين ان ترجعى الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله انى وجدت الله خيرا لى من أبوى ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا فقال حق المصنف ان يقدم هذا الحديث بهذا اللفظ فى صدر الباب ليكون مطابقا لعنوان الكتاب ثم يذكر ما اخرجه أبو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد فى جفنة وأتى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاكل القوم وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قامت تنفض ذنبها كذا ذكره صاحب المواهب واما ما ذكروا عنه عليه الصلاة والسلام من احياء أبويه وايمانهما به على ما رواه الطبرانى وغيره عن عائشة فاتفق الحفاظ على ضعفه كما صرح به السيوطى وقال ابن دحية هو موضوع مخالف للكتاب والسنة وقد بينته فى رسالة مستقلة لتحقيق هذه المسئلة ردا على العلامة السيوطى فى رسائله الثلاث المؤلفة وبيانا للدلائل المضعفة (وعن أنس) كما رواه ابن عدى والبيهقى وابن أبى الدنيا وأبو نعيم (ان شابا من الانصار توفى وله أم عجوز) أى مات حال وجودها (عمياء فسجيناه) بتشديد الجيم أى غطيناه (وعزيناها) بتشديد الزاى أى أمرناها بالصبر وحملناها على الشكر لوعد الاجر والحذر من الوزر ودعونا لها بجبر المصيبة ولولدها بالمغفرة (فقالت مات ابنى) أى أمات (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم) أى من نيتى فى هجرتى (انى هاجرت اليك والى رسولك

(معه الى الوادى) الذى ذكره (وناداها) أى نادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنت ذلك الرجل (باسمها يا فلانة أجيبينى باذن الله تعالى) أى بارادة الله تعالى وقدرته والاذن يتجوز به عما ذكر نحو زاما مشهورا (فخرجت) حية من قبرها (وهى تقول لبيك وسعديك) أى اجابة لك بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة والانقياد ولا يستعمل الا مثنى والكلام عليه مشهور فى كتب النحو كما تقدم (فقال لها) لما اجابته (ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما) بعد استقرار الحياة فيك رددتك عليهما (قالت لا حاجة لى فيهما) ولا أريد الرجوع اليهما (وجدت الله) وما عنده من الخير (خيرا لى منهما) ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على ان اطفال الكفار غير معذبين وهو الاصح وفيه من المعجزات احياء الموتى وكلامهم ونطق الطفل الصغير أيضا وقد نطق فى المهد جماعة منهم من ذكر فى هذه الاحاديث وسيأتى تمامه واعلم ان من تكلم فى المهد من الاطفال كثير عدوا منهم عيسى ابن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة بنت فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والجبار مما ذكره المصنف رحمه الله وقد نظمهم السيوطى فى قوله

تكلم فى المهد النبى محمد ۞ ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف ۞ وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى ۞ يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها ۞ وفى زمن الهادى المبارك يختم

وقد تقدمت الاشارة الى ذلك أيضا (وعن أنس) فى حديث رواه البيهقى وابن عدى مسندا (ان شابا من الانصار توفى وأمه عجوز عمياء) وهذا مما يدل على شدة حزنها لكبر سنها وعجزها المحوج لولدها (فسجيناه) بالسين المهملة والجيم أى غطيناه من قولهم سجا الليل اذا ستر بظلمته الارض أو كفناه (وعزيناها) أى صبرناها وسليناها بذكر ما لها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية تسلية أهل الميت عنه وهى سنة معروفة (فقالت لهم) لما عزوها (مات ابنى) فيه استفهام مقدر أى أمات ابنى وانما قالته املا انها لم تعلم أو لتذكر ما بعده أو لذهولها بالمصيبة (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت) الهجرة الانتقال من بلد الى آخر وهذا لا ينافى كونها من الانصار لانها قد تكون فى مكان بعيد هاجرت منه (اليك والى نبيك) الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فالله معها أينما

رجاء) بالنصب أى من أجل أملى (ان تعينني على كل شدة) أى واقعة لى (فلا تحملان على) بتشديد الياء (هذه المصيبة) اذلست أتحملها مطيقة هذا ولا يبعد ان يكون ان بمعنى اذ لكن الاولى ما قدمناه من ان الترديد غير راجع الى علمه سبحانه وتعالى بل الى معلومه من حيث عدم جزمها بكون هجرتها خالصة وقد أبعد الدلجى بقوله تجاهلا منها فيه (فما برحنا) بكسر الراء أى ما ذهبنا من مكاننا ولا زلنا فى موضعنا (حتى كشف الثوب) كذا ١٠٠ فى أصل الدلجى أى الى ان كشفه وفى الاصول المعتمدة ان كشف الثوب أى فما زلنا كشفه وما فارقنا رفعه (عن وجهه) بعد دعائها الى احيائه (فطعم وطعمنا) بكسر العين أى فعاش مدة بدعائها وأكل وأكلنا معه وفيه اشارة الى ان الكرامات نوع من المعجزات بل هى أبلغ منها حيث حصل للتابع ما يحصل للمتبوع من خوارق العادات هذا وليس فيه صريح دلالة على احيائه بعد اماتته لاحتمال اغمائه مع وجود سكتة لكن زال الغم بدعاء الام (وروى) أى على ما نقله البيهقى (عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس) بتشديد الميم قال الحلبى ثابت هذا انصارى خطيب الانصار وقد شهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وذلك انه لما نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآية احتبس ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان فى اذنيه صمم فكان يرفع صوته وقال لقد علمتم انى من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة روى عنه بنوه وأنس (وكان) أى ثابت (قتل باليمامة) وكانت وقعة اليمامة سنة اثنتى عشرة فى خلافة الصديق (فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول) كما

كانت (رجاء ان تعينني) بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين (على كل شدة) الشدة بمعنى الصعوبة هنا أى على كل أمر شاق يصعب على ويعسر تحمله لا سيما فقد الولد مع كبر السن وعدم البصر وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار ان خلوصها فى هجرتها الله ورسوله مما يخفى على غيرها ومن شانه ان يشك فيه لا لانها لا تعلم ذلك لانه ينافى توصيلها به الى الله أو باعتبار القبول أو تجاهلا رجاء للاجابة ورجاء منصوب مفعول له (فلا تحملان) بالحاء المهملة وتشديد الميم ونون التوكيد بمعنى لا تكلفن لان التكاليف كالحمل الثقيل فاستعير له كقوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به (على) بحر ياء المتكلم (هذه المصيبة) يعنى موت ولدها فى هذه الحالة (فما برحنا) أى ما ذهبنا من مكاننا الذى كنا فيه (حتى كشف) ولدها (الثوب عن وجهه) بعد ما غطى به (فطعم وطعمنا) أى قدم لنا طعام أكل منه ولدها وأكلنا معه وذكر وا انه عاش الى وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بقى بعده كما ذكره ابن أبى الصيف وفيه معجزة حيث انه أحيى الميت للدعاء باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال ان هذا كرامة لام الصبى (وروى) الراوى له البيهقى رحمه الله تعالى (عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى) بتصغير الثانى (كنت فيمن دفن ثابت بن قيس) أى حضر دفنه وهو ابن مالك بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج الانصارى المدنى الصحابى وكان خطيب الانصار وشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة (وكان قتل باليمامة) وروى له البخارى والنسائى وأبو داود وكان جهورى الصوت فلما نزل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى احتبس عن الحضور عنده لانه كان يرفع صوته اذا تكلم فسئل عن سبب ذلك فقال قد علمتم انى أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخشى ان أكون من أهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة وقال التلمسانى انه كان باذنه صمم فلذا كان يرفع صوته وفيه ان الاصم لا يحتاج لرفع صوته وقد قال ابن حجر ان الصحابة لم يكن فيهم اصم وكانت وقعة اليمامة فى ربيع الاول سنة اثنتى عشرة فى خلافة الصديق واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن كما روهى بلدة مسيلمة الكذاب وهى على ستة عشر مرحلة من المدينة وقد قالوا انه أوصى بعد موته ونفذت وصيته ولم تنفذ وصية أحد بعد موته الا هو وذلك انه لما قتل كان له درعان فسرقت احداهما وجعلت تحت قدر وكانت أنفس درعيه فرأى رجل ثابتا فى منامه فقال أوصيك بوصية فاياك ان تقول انها حلم فتضيعها انى قتلت أمس فمر بى رجل فاخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فات خالدا يعنى أميرهم فمره فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابى بكر ان على دينا للناس مقداره كذا والدائن فلان وفلان وان رقيقى فلان حر فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى من عنده الدرع فوجدها كما وصف وأخبر أبو بكر بوصيته فاجازها (فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول) أى سمعنا كلامه ففيه مضاف مقدر أو الضمير مفعوله الاول وقوله يقول مفعوله الثانى على ما ذهب اليه أبو على الفارسى من ان سمع اذا تعدى لغير مسموع نصب مفعولين وغيره يقول انه متعد لواحد مقدر والجملة حالية أو مستأنفة وقد خطأ ابن السيد أبا على فى هذه المسئلة فى كتاب الحلل

كما أصلناه فى غير هذا المحل واجبناعنه (محمد رسول الله أبو بكر الصديق) مبتدأ أو خبر أى الكامل فى التصديق والصدق لانه لم يرتب فى تصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق الناس فى ذلك فلذا خص بالصديقية وسيأتى تحقيقها (عمر الشهيد) أى المخصوص بالشهادة الكاملة من بين الخلفاء لان قاتله كافر مجوسى وهو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان فانه من رعاع الناس وهو شهيد أيضا (عثمان) بن عفان (البر الرحيم) ذو البر والاحسان لشهرته بالكرم وهو رحيم أيضا أى ذو رحمة ورأفة بالمسلمين لحسن اخلاقه وشفقته (فنظرنا اليه) لما تكلم بعد موته لتوهمنا انه عادت اليه حياته (فاذا هو ميت) أى فاجأنا بغتة معرفة كونه ميتا على حاله وانما أنطقه الله الذى أنطق كل شئ لتحقق حياة الشهداء قيل وقوله هذا كان عند سؤال الملكين اما ان قلنا ان الشهداء يسئلون وفيه نظر (ذكر) بالبناء للمجهول وهذا مما رواه الطبرانى وأبو نعيم وابن منده ورواه ابن أبى الدنيا عن أنس أيضا (عن النعمان ابن بشير) الصحابى الانصارى الخزرجى البدرى وهو أول من بايع أبا بكر واستشهد مع خالد بن الوليد بعين النهر بعد انصرافه من اليمامة والنعمان أول مولود بعد الهجرة ولد بعد أربعة أشهر منها ومات بقرية من قرى حمص فى ذى الحجة سنة أربع وستين وولاه معاوية حمصا والكوفة (ان زيد بن خارجة) هذا أصح مما وقع فى بعض النسخ ابن حارثة وان كان من بنى الحارث بن الخزرج لانه زيد بن خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك من بنى الحارث ابن الخزرج قال فى الاستيعاب ولم يختلفوا فى انه هو الذى تكلم بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال أبو نعيم الاصبهانى خارجة بن زيد هو الذى تكلم بعد الموت على اختلاف فيه والصحيح انه زيد بن خارجة كما قاله ابن عبد البر وابن الأثير فى أسد الغابة وكذا قال الذهبى وقيل المتكلم أبوه وهو وهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزى ولم يحك فيه خلافا ولابن أبى الدنيا جزء وأفرده لمن تكلم بعد الموت ولم نقف عليه (خر ميتا) أى سقط من قيام فى حال كونه ميتا وأصل معنى خر سقط سقوطا يسمع معه خرير وتقدم ان الخرير صوت الماء والريح ونحوه مما سقط من علو قال تعالى وخروا له سجدا (فى بعض أزقة المدينة) جمع زقاق كغراب وهو الطريق (فرفع) بالبناء للمجهول أى أخذ من مكانه الذى سقط فيه (وسجى) بالبناء للمجهول أى غطى (اذ سمعوه بين العشائين) اذ هنا فجائية والتقدير فبينما هو كذلك اذ سمعوه الخ والعشائين يعنى المغرب والعشاء على التغليب (والنساء يصرخن) بالصاد المهملة والخاء المعجمة ونون النسوة (حوله يقول) مفعول ثان لقوله سمعوه أو حال أو هو جملة مستأنفة كما مر ومقول القول (انصتوا انصتوا) أى استمعوا وكرره للتأكيد (فحسر عن وجهه) بضم الحاء وكسر السين والراء المهملات أى كشف عنه بعدما كان عليه غطاء (فقال) لما كشف عن وجهه (محمد رسول الله النبى الامى وخاتم النبيين) أى آخرهم بعثا كما مر (كان ذلك) المذكور من كونه رسولا ونبيا أميا خاتما للرسل (فى الكتاب الاول) أى فى جنسه من الكتب المتقدمة أو اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ما قدره الله تعالى (ثم قال) زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده أو ان يصح ان يتوجه الخطاب اليه أو مجردا من نفسه مخاطبا مأمورا ان كان قوله (صدق صدق) أمرا كما ذهب اليه بعض الشراح فان كان ماضيا كما رأيناه بضبط القلم واعتمد عليه فى الشرح الجديد وقال فاعله ضمير

محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان) وفى نسخة وعثمان (البر) بفتح الموحدة (الرحيم) أى البار لقومه عامة والرحيم برحمة خاصة (فنظرنا) أى مختبرين حاله من حياة وموت (فاذا هو ميت) فهذا الحديث دليل كلام الموتى لا احيائهم كما لا يخفى (ذكر عن النعمان بن بشير) كما رواه الطبرانى وأبو نعيم وابن منده عنه وابن أبى الدنيا فى كتاب من عاش بعد الموت عن أنس (ان زيد بن خارجة) بالخاء المعجمة ثم الجيم (خر ميتا) أى سقط من قيام أو قعود حال كونه ميتا وجوزان يكون التقدير وقد خر حيا فمات به فى عقبه ويؤيده ما فى رواية ابن أبى الدنيا على مانقله عنه القسطلانى فبينما هو يمشى فى طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفى (فى بعض أزقة المدينة) بكسر الزاى وتشديد القاف جمع زقاق أى بعض طرقها المسلوكة فى داخلها (فرفع) أى جسده (وسجى) أى غطى وجهه (اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن) بضم الراء أى يبكين بصياحهن (حوله) أى ومعهن رجال من أهله (يقول انصتوا انصتوا) بفتح الهمزة وكسر الصاد فيهما أى اسكتوا واستمعوا والتكرير للتأكيد فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب (فحسر) بصيغة الفاعل أى كشف غطاءه (عن وجهه) وفى نسخة بصيغة المفعول ويؤيده انه فى رواية فحسروا عن وجهه (فقال) أى القائل على لسانه كما فى رواية (محمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (النبى الامى وخاتم النبيين) أى آخرهم (كان ذلك) أى كونه رسولا نبيا أميا وخاتما كليا (فى الكتاب الاول) أى اللوح المحفوظ أى الذى كل ما فيه لا يبدل (ثم قال) أى زيد (صدق صدق) أى رسول الحق والتكرير للتأكيد أو صدق فيما أخبر به عن الابتداء كما انه صدق فيما انبأ به عن الانتهاء

(وذكر أبا بكر وعمر وعثمان) أي بخير او بانهم صدقوا فيما عاهدوا الله عليه أو بانهم ممن قال تعالى فيهم والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين وذلك لما كشف له من أحوال الآخرة هذا وقد تصحف على الدلجي حيث قال صدق صدق أمر مخاطب (ثم قال) أي زيد (السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته) وهو سلام وداع اما غيبة واما مشاهدة ويؤيده انه في رواية قال هذا رسول الله الخ قال التلمساني روي تركناه أقول الظاهر انه تصحيف (ثم عاد

مستتر عائد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالامر ظاهر أي صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغ عن الله (وذكر) بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أبا بكر وعمر وعثمان) وكانه لم يذكر عليا رضي الله تعالى عنه لعدم ادراكه خلافته لانه توفي في زمن عثمان كما ذكر ومراده الثناء عليهم رضي الله تعالى عنهم بما فعلوه وأيدوا به الدين الذي بلغه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه (ثم قال السلام عليك يا رسول الله) دعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم وأصله سلمت سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدأ للدلالة على الثبوت ثم عرف ليدل على استغراق أنواع السلام الذي توجه للانبياء وزيادة ومعناه السلامة من النقائص والتكريم والتشريف بما يليق بجنابه كما بينوه وخص وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة بها الذي هو من جملتهم (ورحمة الله وبركاته) والرحمة بمعنى الانعام والاحسان أو ارادة ذلك وفيه دليل على جواز الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافا لمن أباه لورودها في حديث التشهد كما مر ويأتي بيانه أيضا والبركات جمع بركة وهي الخير الالهي وكثرته قال الراغب أصل البركة صدر البعير وغيره وبرك البعير ألقى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم فقيل ابتركوا في الحرب وبركات القتال مكان يلزمه الابطال وسمي محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الالهي في الشئ قال الله تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة (ثم عاد ميتا كما كان) قبل تكلمه حين سجي وكفن * فان قلت المقام والفصل معقود لذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم باحياء الموتى وانطاق من ليس من أهل النطق له وما في هذا الحديث ليس كذلك * قلت هو من امته صلى الله تعالى عليه وسلم وصحابته وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته وقد يقال انه دليل على ما قبله ومؤكد له لانه اذا كان في أمته من يصدر عنه مثله فكيف لا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (في ابراء المرضى) جمع مريض كقتلى وقتيل وابراؤهم زوال مرضهم وحصول شفائهم وأصل البرء والبراءة والتبري التفصي عما يكره ولذلك قيل برئت من المرض اذا خلصت منه (وذوي العاهات) جمع عاهة وهي الآفة ويقال عاه الزرع اذا أصابته العاهة والعاهة قد تخص بالامراض المزمنة وقد لا تخص بها فتكون الامراض ما يعرض عما لم يزمن كالحميات ونحوها فتكون أتم فائدة وهو المراد هنا فليس من عطف المترادفين وتطلق العاهة على بعض الاعضاء كالشلل والعرج والعمى وقد يكون بعضها خلقيا أيضا وهذا هو المعروف (أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره) تقدم الكلام على هذا وعلى معنى الاجازة قال (حدثنا أبو اسحق الحبال) بحاء مهملة وموحدة مشددة كما تقدم في ترجمته قال (حدثنا أبو محمد بن النحاس) بحاء مهملة أيضا كما تقدم قال (حدثنا ابن الورد) عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه راوي سيرة ابن هشام (عن

ميتا كما كان) أي عود البدء واعلم ان صاحب الاستيعاب ذكر في زيد ابن خارجة بن زيد انه هو الذي تكلم بعد الموت لا يختلفون في ذلك قال الذهبي وهو الصحيح وقيل هو أبوه وذلك وهم لانه قتل يوم أحد قال ابن عبد البر توفي في زمن عثمان فسجي بثوب ثم انهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال أحمد أحمد في الكتاب الاول صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الامين في الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجه مضت أربع وبقي سنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس وما بئر اريس هذا وعن سعيد ابن المسيب ان رجلا من الانصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه أبو بكر بن الضحاك والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل) (في ابراء المرضى وذوي العاهات) أي الآفات (قال) أي المصنف (أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد الراء المفتوحة (فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال) أي أبو الحسن أو كل منه ومن غيره (ثنا أبو اسحق الحبال) بتشديد الموحدة (ثنا أبو محمد بن النحاس) بتشديد الحاء المهملة (ثنا ابن الورد) وهو راوي سيرة ابن هشام

(عن البرقى) بفتح الموحدة وسكون الراء وهو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم ابن أبى زرعة البغدادى الزهرى مولاهم (عن ابن هشام) هو الامام الاديب العلامة أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب صاحب السيرة قال السهيلى مشهور بحمل العلم متقدم فى علم النسب والنحو والادب وأصله من البصرة قدم مصر وحدث بالمغازى وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف نسبة الى جده اشتهر بالبكاء وقيل سمى به لانه دخل على أمه وهى تحت أبيه فبكى وصاح وقال انه يقتل أمى روى عنه أحمد وقال ابن معين لا بأس به فى المغازى خاصة (عن محمد بن اسحق) وهو الامام فى المغازى (ثنا ابن شهاب) وفى نسخة ابن هشام والاول هو الصواب والمراد به الزهرى وهو أحد مشايخ ابن اسحق المذكور (وعاصم بن عمر ابن قتادة) أى ابن النعمان الظفرى يروى عن أبيه وجابر وعنه جماعة صدوق وكان علامة فى المغازى مات سنة عشرين ومائة أخرج له أصحاب الكتب الستة (وجماعة) أى آخرون (ذكرهم) أى ابن اسحق (بقضية أحد) أى فى غزوته (بطولها) أى بجميع ما يتعلق بها ومنها هذه القصة بخصوصها وقد رواها البيهقى أيضا (قال) أى ابن اسحق (وقالوا) أى مشايخنا المذكورون (قال سعد ابن أبى وقاص) أى فى غزوة أحد وهو أحد العشرة المبشرة (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولنى السهم لا نصل به) بالصاد المهملة حديدة السهم والرمح وفى نسخة بالضاد المعجمة وهو تصحيف وتحريف (فيقول ارم به) أى فارمى به فيقتل من أصابه وهذا من خرق العادة ولعل هذا كان بعد فراغ السهام التى لها نصل (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا (يومئذ) أى يوم أحد (عن قوسه) وهى المسماة بالكتوم لانخفاض صوتها اذا رمى عنها (حتى اندقت) بتشديد القاف أى انكسرت وفى نسخة حتى اندقت سيتها كذا فى السير (وأصيب) وروى وأصيبت (يومئذ عين قتادة يعنى ابن النعمان) بضم النون هو تفسير من الراوى

(عن البرقى) هو أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبى ذرعة البغدادى الزهرى مولاهم المعروف بابن البرقى نسبة لبرقة اسم مكان (عن ابن هشام) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الامام الاديب النحوى صاحب السيرة هو حميرى معافرى بصرى سكن مصر وتوفى بها سنة ثلاث عشرة ومائتين وله تآليف نفيسة ككتاب الانساب وغريب أشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان وفى تاريخ وفاته اختلاف (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى البكائى لانه دخل على أمه فرآها تحت أبيه وهو صغير فخرج يصيح ويقول ان أبى قتل أمى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وروى له أصحاب السنن وترجمته فى الميزان مفصلة (عن محمد بن اسحق) الامام صاحب المغازى والسير كما تقدم قال (حدثنا ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى شيخ ابن اسحق الامام المشهور كما تقدم ووقع فى بعض النسخ هنا ابن هشام وهو غلط من الناسخ كما فى المقتفى (وعاصم بن عمر بن قتادة) بن النعمان الظفرى الثقة امام رواة المغازى توفى سنة تسع أو سبع وعشرين أو عشرين فقط ومائة أخرج له الستة وترجمته فى الميزان (وجماعة ذكرهم) فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهرى (بقضية أحد بطولها) متعلق بذكرهم والباء بمعنى فى وقضية أحد غزاتها وما وقع فيها (قال وقالوا) أى الجماعة المذكورون الذين رووا هذا الحديث من طريق ابن اسحق التى أسندها المصنف رحمه الله عنهم ورواه البيهقى أيضا (قال سعد بن أبى وقاص) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه فى قصة أحد التى رواها بطولها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولنى) أى يعطينى بيده وهو معنى المناولة ومنه النوال بمعنى العطية (السهم الذى لا نصل به) بفتح النون وسكون الصاد المهملة قبل لام وهو حديدة فى طرف السهم والرمح وفى بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد قال البرهان والصحيح الاول والثانى لا يتضح معناه ولا يستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية وكأنه من تحريف النساخ الا ان معناه صحيح أيضا لان النضل رمى السهام فالمعنى انه ليس مما يرمى به لانه لا نصل له فيؤل الى الرواية الاخرى وان كان لا وجه له هنا (فيقول) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد بعد مناولته السهم له (ارم به) بكسر الهمزة والميم أمر من الرمى والضمير للسهم وفى الكلام مقدر أى فيرمى به ويقتل من أصابه سهمه مع انه لا نصل له ومثله لا يقتل عادة وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان لم يكن محل الشاهد (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ) أى يوم أحد (عن قوسه) يقال رمى عن قوسه وبقوسه لا قوسه (حتى اندقت) أى انكسرت والقوس مؤنثة سماعية وأصل معنى الدق الرض بجرم صلب (وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان) أصيبت مبنى للمجهول أى أصابها سهم فأخرجها وأذهبها وروى أصيب بدون

(حتى وقعت على وجنته) بتثليث الواو والفتح أفصح أى سالت على أعلى خده فأتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتنى تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم أكسه جمالا وفى رواية انه أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماهذا يا قتادة فقال هذا ماترى يارسول الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة أجر جزيل وعطاء جليل جميل ولكنى أكره ان أعير بالعور فردها الى وأسأل الله لى الجنة فقال افعل فأعادها الى موضعها ودعا لى بالجنة وهذا معنى قوله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة مرسلا ووصله ابن عدى والبيهقى عن عاصم عن جده قتادة ورواه البيهقى من وجه آخر عن أبى سعيد الخدرى عن قتادة (فكانت) أى عينه المردودة (أحسن عينيه) لانها المقبولة وكانت أيضا أحدهما نظرا ولا ترمدا اذا رمدت الاخرى ولذا ظهر ضعف قول التلمسانى يجوز أن يكون اكتفى بذكر احدى العينين عن الاخرى اذروى انهما أصيبتا معا فردهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبرئتا ويمكن الجمع بتفرق القضيتين هذا وقد

تأنيث للتأويل بالعضو أو للفاصل بينهما (حتى وقعت) عينه (على وجنته) الوجنة أعلى الخد ومايلى العين من الوجه ويطلق على الخد كله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده) أى أعاد حدقة عينه التى سالت لمكانها (فكانت) العين المردودة بيده صلى الله تعالى عليه وسلم (أحسن عينيه) أى أجملهما وأقواهما حسنا أى أحسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما أصيب وردت عينه فلا يرد عليه ان الشئ لايكون أحسن من نفسه وقوله أصيبت عينه ظاهره انما أصيبت عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروى ان عينيه أصيبتا فيكون من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما بأحدهما وهو فصيح مشهور كما قال نظر بعينه ومشى بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة مشهورة وروى ان عاصم بن عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فقال له من أنت فقال بديهة

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد

فعادت كما كانت لاول أمرها * فياحسن ماعين وياحسن مارد

فقال عمر تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ان شئت رددتها لك وان شئت فاصبر ولك الجنة فقال يارسول الله ان الجنة لعطاء جزيل جميل ولكنى أكره العور فردها واسأل الله تعالى لى الجنة فردها ودعاله وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسى اختلف أهل السير فى عددها فقيل سبع وقيل ست وهى الروحاء والصفراء من بنع والبيضاء من شوحط والزوراء والكتوم سميت به لعدم صوت لها والسداد ورند الرنان لصوتها والتى انكسرت بأحد هى الكتوم كما فى الهدى النبوى والكلام على قسيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أين صارت وتوجيه تسميتها مذكور فى السير وشروحها (وروى قصة قتادة) المذكور فيها رد عينه وهى قصة فيها طول اقتصر المصنف منها على محل الشاهد وذكر أولها لما فيه من المعجزة أيضا (عاصم بن عمر بن قتادة) صاحب القصة (ويزيد بن عمر بن قتادة) كذا فى النسخ كما قاله

وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال

أبونا الذى سالت على الخد عينه

فردت بكف المصطفى ايما رد

فعادت كما كانت لاول أمرها

فياحسن ماعين وياحسن ماخد

فوصله عمر وأحسن جائزته وقال

تلك المكارم لاقعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن قتادة قال كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه واجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا

البرهان

(وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة) أى كما تقدم قيل وهو الذى قدم على عمر بن عبد العزيز كما سبق (ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة) كذا فى النسخ ولم يعرف فى رواة الحديث بل ولا فى حملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض ابن عمر بن قتادة وقال الحلبى الصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة فيكون سقط عن ذلك لان عاصم بن عمر شيخ يزيد هذا ويزيد بن عياض ليثى حجازى حدث عن نافع وابن شهاب والمقبرى وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة وعنه على بن الجعد وشيبان وعدة قال البخارى وغيره منكر الحديث وقد رماه مالك بالكذب وقد أخرج له الترمذى وابن ماجه ولا يحتمل أن يكون يزيد بن عياض يروى عن عمر بن قتادة لان عمر بن قتادة لم يروعنه الا ولده عاصم ولا يعرف الا بروايته عنه وجده ذكره ابن حبان فى الثقاة

البرهان الحلبي والصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة ففيه سقط لان عاصما شيخ يزيد أو سقط عن عاصم ويزيد بن عياض الليثي الحجازي حدث عن نافع الى آخره وكذا وقع في نسخة على الصواب (ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة) رضي الله تعالى عنه وأبو سعيد هو أخو قتادة لامه وقتادة بن النعمان أنصاري أوسي وشهد مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا وأحدا وغيرهما من المشاهد وكانت واقعته يوم أحد وقيل يوم بدر وقيل يوم الخندق والصحيح الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما هل قلعت عينه أو عيناه والمشهور الاول ووقع الثاني مصرحا به في بعض الروايات أيضا كما رواه أبو نعيم الاصبهاني ونقله السهيلي وقال الدارقطني انه غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر في شرح الهمزية وهي زيادة ثقة فتقبل وترجح به رواية الثنتين وهو رد على من قال ان هذه الرواية غلط وفيه نظر وقد اختلف أيضا هل انفصلت أولا فقيل انها بقيت معلقة وقيل سقطت فاتى بها أو بهما في كفه فقال له رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يا رسول الله اني محب للنساء وعندي امرأة أحبها فاخشى ان تعذرني فردها وادع الله لي بالجنة ففعل فكانت أقوى عينيه وأحسنهما وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله تعالى عنهما (و) روى البيهقي انه صلى الله تعالى عليه وسلم (بصق على أثر سهم) أي جعل ريقه ومافيه على جراحة (في وجه أبي قتادة) الحارث ربعي الانصاري السلمي الصحابي توفي بالمدينة وهو ابن أربع وخمسين وقيل ابن سبعين وفي وجه ظرف لغو متعلق بقوله بصق أو مستقر حال أو صفة لسهم (في يوم ذي قرد) بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملتين وروى بضمتين كعنق وهو اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر والقرد الوبر الصوف الردي المتجعد فسمي به لانه معاطن فيها ذلك أو لكثرة طحلبه الشبيه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال أيام العرب وقد تقدم ويقال ذو القرد معرفا وهي غزوة تسمى أيضا غزوة الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها ورده في الهدى النبوي والقرطبي في شرح مسلم وسببها انه كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقاح ترعى بالغابة فيها ابن أبي ذر وامرأة من غفار فاغار عليها عيينة بن حصن الفزاري في أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر وسبوا المرأة فركبت المرأة ناقة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على غفلة منهم ونذرت ان نجت لتنحرنها فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لا نذر في معصية الله ولا لاحد فيما لا يملك وركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونودي يا خيل الله اركبي وكان أول ما نودي به فادركهم في خمسمائة وقيل سبعمائة فاستنقذ منهم عشرا وفروا بباقيها كما فصل في السير (قال) أبو قتادة (فما ضرب) الجرح وأثر السهم (علي) أي ما آلمني ولا أوجعني ضربانه ولا سلط علي ضربانه من الضربان يقال ضرب الدهر بمعنى ألم (ولا قاح) أي سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح وقيح وتقيح والقيح صديد وهو شئ كالماء أصفر يخالطه قليل دم وهذا حديث حسن صحيح رواه الترمذي والبيهقي (وروى النسائي) والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه والنسائي بالهمزة نسبة لنساء بلدة ويقال نسوي بالواو أيضا وأبو عبد الرحمن ابن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الامام المشهور صاحب السنن توفي سنة ثلاث وثلاثمائة على الاصح وله ثمانون ولم يتأخر عن الثلاثمائة من أصحاب السنن غيره (عن عثمان بن حنيف) بضم الحاء المهملة ونون وفاء مصغر وهو أخو عباد وسهل ابنا وهب وله صحبة ورواية وروى عنه أحمد وأصحاب

(ورواها) أي قصة قتادة (أبو سعيد الخدري عن قتادة) فهي رواية الاكابر عن الاصاغر (وبصق) أي بزق (على أثر سهم في وجه أبي قتادة) كما رواه البيهقي من حديث أبي قتادة وهو الحارث بن ربعي وقيل غير ذلك (في يوم ذي قرد) بفتح القاف والراء فدال مهملة وحكى السهيلي عن أبي علي الضم فيهما وهو منصرف ماء على ليلتين وقيل ليلة من المدينة بينها وبين خيبر ويقال لها غزوة الغابة كان يومه قبل خيبر بثلاثة أيام ذكره الحجازي قال ابن سعد كانت في الربيع الاول سنة ست وفي البخاري بعد حنين بثلاثة أيام وقبل الحديبية وفي مسلم نحوه وقال ابن القيم في الهدى وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازي والسير فذكروا انها قبل الحديبية ثم استدل على صحة ما قاله بما أورده فيه (قال) أي أبو قتادة (فما ضرب علي) أي ضربا (ولا قاح) من القيح وهي المدة لا يخالطها دم يقال منه قاح الجرح يقيح اذا حصل فيه مادة بيضاء (وروى النسائي) بالقصر ويمد باسناده في سننه وهو الذي تأخر بعد الثلاثمائة من أصحاب الكتب الستة سمع قتيبة وطبقته وأصحاب مالك انتهى اليه علم الحديث وروى عنه الكتاني وابن السني

(عن عثمان بن حنيف) بضم مهملة وفتح نون وعثمان هذا هو أخو عبادة وسهل وله صحبة ورواية شهد أحدا وما بعدها وهو أحد من تولى مسح سواد العراق لعمر وولي البصرة لعلي

ان أعمى قال يارسول الله أدع الله ان يكشف لى عن بصرى أى يزيل عنه ما حجبه (قال انطلق) وفى نسخة صحيحة فانطلق أى اذهب (فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك) أى ملتجئا ومتوسلا (بنبى) وفى رواية بنبيك (محمد نبى الرحمة يا محمد) فيه التفات (انى أتوجه بك الى ربك ان يكشف لى عن بصرى اللهم) التفات آخر (شفعه فى) بتشديد الفاء والياء أى اقبل شفاعته فى حقى (قال) أى عثمان الراوى (فرجع) أى الاعمى (وقد كشف الله عن بصره) والظاهر ان قوله يا محمد من جملة الدعاء المأمور به فلا يكون التصريح باسمه من باب سوء الادب فى ندائه فلا يحتاج الى تكلف الدلجى بقوله ولعله كان قبل علمه بتحريمه أو قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا وقد رواه الترمذى أيضا وقال حسن صحيح غريب والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه فى الصلاة والحاكم والبيهقى وصححاه (وروى) كما رواه أبو نعيم والواقدى عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) بضم الميم وكسر العين والاسنة بتشديد النون جمع سنان وهو الرمح ويقال له ملاعب الرماح أيضا وتعبيره بالملاعب أبلغ من اللاعب سمى به لتقدمه وشجاعته فكانه يلاعبها قال الحلبى لا أعرف ابنه وأماه وفعامر بن مالك عم عامر بن الطفيل وقد ذكره بعضهم فى الصحابة لكن قال الذهبى فى معناه تجريده والصحيح انه لم يسلم وقد قدم المدينة فعرض عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام فى قصة بئر معونة (أصابه استسقاء) أى المرض المعروف بكثرة شرب الماء وسببه اجتماع ماء أصفر فى البطن

السنن وهو من الاشراف ولى سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنقرره ذا الحديث قريبا الا ان البرهان قال كان ينبغى للقاضى ان يذكر سنده ليعلم انه صحابى لئلا يتوهم ان النسائى سمع منه ومثله سهل (ان أعمى) لم يذكروا اسمه (قال يارسول الله أدع الله لى ان يكشف عن بصرى) المعنى ان يدعو له بان يصح بصره ويزيل الله عنه العمى فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطاء فاما ان يكون على بصره غشاوة وجلدة رقيقة طلب ازالتها أو شبه عدم الرؤية بحجاب حائل بينه وبين المبصرات والرؤية بازالته ففيه استعارة (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمراله (انطلق) أى قم من مجلسك هذا (فتوضأ) أمر بالوضوء (ثم صل ركعتين) نافلة وتسمى صلاة الحاجة ومنه أخذ ان كل من أهمه أمر ينبغى له ويستحب ان يصلى قبل الدعاء تقربا الى الله (ثم قل اللهم) أى يا الله والكلام عليه مشهور ذكرناه فى غير هذا المحل (انى أسالك) وأطلب منك حاجتى هذه (وأتوجه اليك) أصل معنى التوجه المقابلة بالوجه فاريد لاخلاص فى القصة للدعاء والتوسل (بنبيك) وفى بعض النسخ بنبى بالاضافة الى ياء المتكلم (محمد نبى الرحمة) بدل من نبيك أو عطف بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله تعالى الى خطاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه واسطة فى كل ما يصل من الاحسان والفيض الالهى (يا محمد انى أتوجه بك الى ربك) أى أتوسل بك فيما طلبته من الله وهو (ان يكشف عن بصرى) حجابه المانع له عن الرؤية وفيه مقدر أى فدعا فابصر ونداؤه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن فى الدعاء مأثورا مأمورا به كما هنا لقوله تعالى قل اللهم الى آخره فان امتثال الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل ان نداءه صلى الله عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه بتحريمه أو قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ليس بظاهر وعدل صلى الله تعالى عليه وسلم عن دعائه له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا لامته وتواضعا وتأدبا مع الله تعالى وهذا الحديث مسند صحيح أخرجه الترمذى والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس وقد حكى فيه حكايات فيها اجابة دعاء من دعا به من غير تأخر وقد أخرجه البرهان الحلبى من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه (اللهم شفعه) أى أقبل شفاعته (فى) وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فى الدنيا برد بصره أو شفاعته له فى الآخرة أو ما يشملهما وهذا أولى ومنه علم استحباب الدعاء عقب الصلاة (وروى) بالبناء للمجهول والراوى له الواقدى وأبو نعيم عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) قال البرهان الحلبى ان ابن ملاعب الاسنة لا يعرف اسمه ولا ترجمته وأما ملاعب الاسنة فهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى ملاعب الاسنة جمع سنان وهو حديد فى طرف الرمح يعد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمى بذلك لانه فى يوم سوبان بزنة طوفان وهو يوم كان فيه بين قيس وتميم وقعة وكان أخوه طفيل بن مالك فارس قرزل وهو اسم فرس له فر فى ذلك اليوم فقال فيه الشاعر

فررت وأسلمت ابن مالك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمى بذلك ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم لبيد وهو أبو براء عامر وذكره بعضهم فى الصحابة وقال الذهبى الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة المعترس (أصابه استسقاء) أصل

(فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي واحدا يستشفيه (فاخذ) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بيده حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة لغة في حثية بالياء من حثا التراب عليه يحثوه ويحثيه والمعنى أخذ قبضة منها (فتفل عليها) أي بصق قال أبو عبيد النفث بالفم شبيه بالنفخ واما التفل فلا يكون الا ومعه شئ من الريق (فاعطاها رسوله) أي الذي جاء من عنده (فاخذها متعجبا يرى) بضم الياء أو فتحها أي يظن أو يعتقد (ان قد هزئ به) بضم هاء وفتح وكسر زاي فهمز وان مخففة من المثقلة اكتفاء بمرفوعها واسمها ضمير الشان وضمير به راجع الى ابن الملاعب وذلك لما شاع في هذا الباب ان ذلك تراب (فاتاه بها) أي بالحثوة (وهو على شفا) بفتح الشين المعجمة مقصورا ممنونا وهو حرف كل شئ ومنه قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار أي حرفها وطرفها ويقال أشفى المريض على الموت وما بقي الا شفا أي قليل وأشفى عليه أشرف أي والحال انه مشرف على الموت (فشربها) أي بانضمامها الى ما عنده من الماء فكانه عرف بالايماء اليه انه نافع للاستسقاء (فشفاه الله تعالى) أي عافاه مما ابتلاه (وذكر العقيلي) بضم المهملة وفتح القاف صاحب كتاب الضعفاء قال ابن القطان أبو جعفر العقيلي مكي ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم في الحفظ توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) مصغر فديك بالدال المهملة (ويقال فريك) أي بالراء وبالاول رواه البيهقي والطبراني ورواه ابن أبي شيبة بالثاني واما حبيب ففتح الحاء المهملة وروي بضم المعجمة مصغرا (ان أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيأ) وروي انه عليه الصلاة والسلام سأله عما أصابه قال كنت أمرن جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فعميت (فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي نفخ (في عينيه فابصر) أي بهما (فرأيته) أي أبي بعد ذلك (يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين) أي سنة كما في رواية وفي رواية وان عينيه لمبيضتان في المواهب رواه ابن أبي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم

معناه طلب السقي وهو اسم مرض معروف قال في الاساس سقي بطنه واستسقى ويسقى بكسر السين وهو ان يقع الماء الاصفر في بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب لا يكاد ينجو من أصابه منه (فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا يلتمس منه الدعاء وان يشفيه الله ببركته وهذا يدل على انه أسلم بخلاف أبيه كما مر (فاخذ) صلى الله عليه وسلم الماقص عليه قاصده أمره (بيده) الشريفة (حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية بالياء أيضا وهو ملء يده أو يديه وهو من التراب هنا (فتفل) بفتح المثناة الفوقية والفاء وفي نسخة بصق (عليها) أي الحثوة من ماء فمه المبارك (ثم أعطاها) أي حثوة التراب (رسوله) الذي أرسله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذها متعجبا) مما أعطاه وان مثله لا يداوي به الاستسقاء بل يزيده لان مبدأه سدة في الجوف والتراب يزيدها كما يشاهد ممن يأكل الطين (يرى) بفتح الياء وضمها أي يظن (ان قد هزئ به) الضمير للرسول أو للمرسله وهزئ بالبناء للمجهول ويجوز فيه بناء الفاعل أيضا (فاتاه بها) أي بالحثوة (وهو) أي ابن ملاعب الاسنة على (شفا) بفتح الشين المعجمة والفاء مقصور أي قريب من الموت وأصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبئر قال الله تعالى على شفا جرف هار ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر والجملة حالية وبينه وبين قوله (فشربها فشفاه الله) تجنيس بديع أي وضعها في ماء وشربها فشفاه الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر العقيلي) بالتصغير وهو الامام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الضعفاء الذي رتبه الهيثمي وهو ثقة جليل توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) حبيب بفتح الحاء المهملة وموحدتين بينهما ياء مثناة تحتية وقيل انه بخاء معجمة مضمومة وفديك وقيل فويك بضم الفاء ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف وقيل انه بواو بدل الدال وقيل براء مهملة ذكره الذهبي في الصحابة وقيل انه حبيب بن عمرو بن فديك السلاماني وقد اضطرب فيه وفي اسمه وأخرج حديثه هذا البيهقي والطبراني وابن أبي شيبة في مسنده عن رجل من بني سلامان عن أمه أن خالها حبيب بن فديك حدثها ان أباه خرج به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعيناه مبيضتان فسأله ما أصابه فقال كنت أمود جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فاصيبت في بصري فلا أبصر شيأ والى بعض ما ذكر من الاختلاف في اسمه أشار بقوله (ويقال فويك) بواو وبراء بدل الدال (ان أباه ابيضت عيناه) لغشاوة غشيتهما أو هو عبارة عن العمى (فكان لا يبصر بهما شيأ فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمثلثة أي تفل ريقه (في عينيه فابصر) بهما وذهب عنه عماه في ساعته (فرأيته يدخل الخيط في الابرة) لقوة بصره وصحته (وهو ابن ثمانين سنة) وهو من يضعف فيه بصره مثله وان لم يعرض له عارض وليس في الحديث ان البياض لم يزل بعينيه مع شدة نظره وقوته وانه أعظم في المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض زال ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصرح به

(ورمى كلثوم بن الحصين يوم أحد فى نحره) أى صدره (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرأ) بفتح الراء وبكسر وقيل برأ من المرض بفتح الراء وبرئ من الدين بكسرها قال الدلجى لا أدرى من رواه انتهى قال الحلبى كلثوم بن الحصين أبو رهم الغفارى شهد أحدا وبايع تحت الشجرة واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة فى عمرة القضاء وعام الفتح وأصيب بسهم فى نحره فسمى المنحور وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبصق عليه فبرأ روى الزهرى عن ابن أخيه عنه وقد أخرج له أحمد فى المسند والبخارى فى كتاب الادب المفرد وليس له فى الكتب الستة شئ (وتفل) أى بصق رسول الله صلى الله عليه وسلم (على شجة عبد الله بن أنيس) بالتصغير والشجة الضربة فى الوجه والرأس فقط وقد يسمى بذلك ما يكون فى سائر الجسد مجازا (فلم تمد) بضم التاء وكسر الميم وتشديد الدال من أمد الجرح صارت فيه مدة أى قيح والمعنى لم تحصل مادة من القيح فى ذلك الجرح والحديث رواه الطبرانى وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس الى اليسير بن رزام وكان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا ان قدمت على رسول الله استعملك واكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة على تسعة أميال من خيبر ندم اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فطعن له عبد الله بن أنيس وهو يدير السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخرش فى يده من شوحط فأمه فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه (وتفل فى عينى على يوم خيبر وكان) أى على (رمدا) بفتح الراء وكسر الميم أى ذا رمد بفتحتين وهو وجع العين وفى الحديث لاهم الاهم الدين ولا وجع الا وجع العين (فاصبح بارئا) بكسر الراء بعدها همزة أى فصار معافى والحديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى ففى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أين على ابن أبى طالب فقالوا يا رسول الله يشتكى عيناه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عينيه فدعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وفى رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن أبيه قال فارسلنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى على فجئت به أقوده أرمد فبصق فى عينيه فبرأ وعند الطبرانى من حديث على قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم من حديث على فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومى هذا

لانه معلوم (ورمى) بالبناء للمجهول (كلثوم بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصن وهو أبو رهم الغفارى الصحابى وهو من أصحاب الشجرة وشهد أحدا واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح (يوم أحد) لما وقع السهم فى نحره وخشى الموت من وقوع السهم (فى نحره) أى مقدم عنقه عند حبل الوريد الذى لا يعيش من جرحه (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أى فى نحره ومحل جراحته (فبرأ) بفتحات وهمزة مقصورة آخره يقال برئ أيضا بزنة علم وضرب كما قاله ابن السكيت أى حصل له البرء من حينه وهذا الحديث لم يخرجوه (و) روى الطبرانى حديثا مسندا فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (تفل) بتاء مثناة وفاء ولام مفتوحات أى بصق (على شجة عبد الله بن أنيس) الشجة بفتح الشين المعجمة والجيم المشددة جراحة ضربة فى الوجه أو الرأس وقد تطلق على ما فى غيرهما من الجسد والمعروف الاول وأنيس مصغر بن أسعد بن حرام بن مالك بن غنم بن كعب الجهنى الانصارى الصحابى شهد أحدا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه مع عبد الله بن رواحة ونفر من الصحابة الى اليسير بن رزام بخيبر لما جمع جمعا من غطفان لغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا له ان قدمت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله ابن أنيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة بقرب خيبر ندم ففطن له ابن أنيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضرب اليسير ابن أنيس بعصاه فشجه فلما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل فى شجته (فلم تمد) بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة أى لم يبق فيها مدة وقيح يقال أمد الجرح اذا صارت فيه مدة وهى القيح كما فى الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم (وتفل فى عينى على) ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد (يوم خيبر وكان رمدا) بزنة حذر منصوب منون أى به رمد والرمد وجع العين (فاصبح بارئا) أى صار بارئا فى الحال لانه تأخر برؤه الى وقت الصباح وأصبح له معنيان هذا أحدهما والحديث بتمامه فى الصحيحين وغيرهما وفى دلائل البيهقى عن بريدة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربما أخذته الحمى فيمكث اليوم أو اليومين

(ونفث) أى ثلاث نفثات (على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرأت) بفتح الراء وفى نسخة فبرئت بكسر الراء وهى لغة أهل الحجاز وفى نسخة فبرأ وفى رواية فما اشتكاها قط رواه البخارى (وفى رجل زيد بن معاذ) أى ونفث فيها (حين أصابه السيف الى الكعب) أى الى كعب رجله (حين قتل ابن الاشرف) وهو كعب بن الاشرف اليهودى وقصته مشهورة (فبرئت) أى رجله رواه عبد بن حميد فى تفسيره عن عكرمة ورواه ابن اسحق والواقدى أيضا لكن قالا بدل زيد بن معاذ الحارث بن أوس ورواه البيهقى من حديث جابر وذكر بدلهما عباد بن بشر وهو ممن حضر قتل كعب واما زيد بن معاذ فقال الحلبى لا أعرف انه ذكر فى هذه الواقعة بل ولا فى الصحابة أحد يقال له زيد بن معاذ الا ان يكون أحد نسب الى جده أو جد له أعلى بل الذى جرح فى رأسه أو رجله على الشك من الراوى فى قتل كعب ابن الاشرف انما هو الحارث بن أوس بن معاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بدرى قتل يوم أحد وله ثمان وعشرون سنة وقيل الذى حضر كعبا هو الحارث بن أوس بن النعمان الحارثى وقد حكى الذهبى القولين ثم قال وقيل هما واحد نسب الى جده الاعلى لكن افترقا بالنسب كما ترى انتهى وقد سمى فى رواية البخارى الذين قتلوا كعبا منهم الحارث بن مسلم وكذا مسلم فى الجهاد فعليه الاعتماد هذا وقد قال بعضهم ان زيد بن معاذ هو ابن أخى سعد بن معاذ وانه تابعه غير القاضى كذلك ولعلهما اطلعا على المراد

لا يخرج فلما نزل خيبر أخذته فلم يخرج فاخذ أبو بكر رضى الله تعالى عنه الراية وقاتل قتالا شديدا ثم أخذها عمر رضى الله تعالى عنه وقاتل فلما خرج أخبر بذلك قال لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاول الناس لذلك فاصبح وجاء على وقد عصب عينيه فقال ادن الى وتفل فى عينيه ففتحهما وأعطاه الراية وروى انه وضع رأسه فى حجره ثم بصق فى راحتيه ودلك بهما عينيه والحديث طويل والكلام عليه وعلى الاستدلال به لتفضيل على مشهور وغير محتاج للبيان (و) فى صحيح البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت) من حينها والضمير للساق لانها مؤنث سماعا أو للضربة بتقدير مضاف ذهاب أثر الجراحة والتحامها (و) روى عبد بن حميد فى تفسيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم نفث (فى) جراحة (رجل زيد بن معاذ) أى جعل ريقه عليها (حين أصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت) رجله أو جراحتها واعترض البرهان الحلبى على المصنف بان قصة كعب بن الاشرف مقررة فى السير ورواها مسلم فى الجهاد كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا فى قتله باسمائهم وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ بل لا يعرف فى الصحابة من اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون نسبه الى أحد أجداده أو الى جد اعلى له وهو خلاف الظاهر والجرح الذى فى رأسه أو رجله على الشك من الراوى فى قصة كعب انما هو الحارث بن أوس ابن معاذ بن النعمان بن أخى سعد بن معاذ الاشهلى وقد سمى البخارى الذين قتلوا كعبا وسمى منهم الحارث بن أوس بن سعد بن النعمان وهو الذى تفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جرحه وقيل هو الحارث بن أوس بن النعمان وقيل هما واحد وقال التلمسانى ان العزيزى نقل فى تفسيره فى سورة الحشر ما ذكره المصنف بعينه وقال انه زيد بن معاذ وهو ابن أخى سعد بن معاذ فالمصنف لم يقل ما قاله الا عن تحقيق وقع له ولا يخفى ما فيه فانه مصادم للنقول الصريحة ومثله لا يقال بسلامة الامير وكعب بن الاشرف بزنة افعل التفضيل من الشرف يهودى من بنى نبهان وقصته كما فى السير انه لما أصيب أصحاب القليب من كفار قريش وبلغه الخبر قال ان كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكى أصحاب القليب ويرثيهم بشعره تارة وتارة يشبب بنساء المسلمين حتى أذاهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من لابن الاشرف فانه أذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الاشهل أنا لك به يا رسول الله قال فافعل ان قدرت فرجع وأقام ثلاثا لا يأكل الطعام ولا يشرب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لم تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لا أدرى أفى به أم لا قال عليك الجهد فقال لابد ان نقول فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا ما بدا لكم فانتم فى حل من ذلك فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان ابن سلامة أبو نائلة الاشهلى وكان أخا ابن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر وقيس وأبو عبس بن جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضيعه وتحدث معه وتناشد الاشعار وكان شاعرا ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف انى جئتك لحاجة أذكرها لك فاكتمها قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال كعب قد أخبرتك ان الامر سيصير لما أقول فقال انا لا نحب ان ندعه حتى ننظر لم يصير شأنه وانى قد جئتك أستسلفك وقال الدمياطى الذى تحدث معه أبو نائلة وهو الذى نزل له كعب من

حصنه فلما استسلفه وقال له نرهنك ما تثق به قال ارهنوا أبناءكم ونساءكم قال أردت ان تفضحنا فانت أشب أهل يثرب وأعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال ان فيها الوفاء وأرادان لا ينكر مجيئهم مسلحين ولى أصحاب جاؤ الذلك فرجع الى أصحابه وأمرهم ان يأخذوا السلاح ويجتمعوا اليه فلما اقبلوا شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع فى ليلة مقمرة فلما انتهوا الى حصنه هتف به أبونائلة وكان كعب حديث عهد بعرس فقالت له امرأته انك رجل محارب لا ينبغى لك الخروج فى مثل هذا الوقت وان فى الصوت لسوءا وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لودعى لطعنة ليلا أجاب * والبلاء موكل بالمنطق * فقال لها انه أبونائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى وبرز لهم فى ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا امش لشعب العجوز نتحدث بقية ليلتنا قال ان شئتم فتماشوا ساعة ثم وضع أبو نائلة يده على رأسه ثم شمها وقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر من هذا ثم تماشى ساعة وفعل مثل ذلك ثم أخذ بفودرأسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة أشرف عليه أهل الحصون فلما قتلوه أتوا برأسه ويقال انها أول رأس حملت فى الاسلام وقيل بل هى رأس أبى عزة الجمحى وقيل رأس عمرو بن الحمق فأصاب الحارث بن أوس سيف من أصحابه برجله فابطأ عليهم ثم أتاهم يتحامل فحملوه آخر الليل وأتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فاخبروه بقتله وجراحة صاحبهم فتفل على جراحته كما ذكره المصنف على ما فيه وفى هذه القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بما لا يجوز بما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد أجاب عنه الفقهاء وغيرهم بانه لم يقصد ظاهره وهو من المعاريض التى تجوز لمصلحة واذا تأملت ما قالوه تجده يحتمل المدح وقد أذن لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وسيأتى تفصيله فى محله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وفى قوله الى الكعب نكتة يعنى ان الصدمة السيفية امتدت الى ان وصلت الى كعبه وكأنه قصد تجنيسا لان ابن الاشرف اسمه كعب كما علمت فكأنه قال جرح الى الكعب فى قصة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا فيه ما فيه فتأمل (و) نفث (على ساق على بن الحكم يوم الخندق) على هذا صحابى وهو أخو معاوية بن الحكم السلمى وهذا الحديث أخرجه أبو القاسم البغوى فى معجمه كما قاله السيوطى ويوم الخندق هذا كان فى غزوة الاحزاب سمى به لان سلمان رضى الله تعالى عنه أشار على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان يعمله ملوك الفرس قال الطبرى ان أول من عمله منوشهر بن أيدج بن فريدون وهم يزعمون ان فريدون ابن اسحق وأكثرهم على خلافه وخندق معرب كندة ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية (اذا انكسرت) أى ساقه لانها مؤنثة وهى ما بين القدم والركبة (فبرئ) أى صح وزال ما به من الكسر ويقال برئ كعلم وبرأ كضرب وآخره مهموز (مكانه) بالنصب على الظرفية أى كائنا فى مكانه وسرجه الذى ركب عليه (وما نزل عن فرسه) الذى كان عليه لما جاء يستشفيه قال أبو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم عن أبيه قال كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل أخى على بن الحكم فرسا له الخندق فأصاب رجله جدار الخندق فدقها فأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها وقال بسم الله فما أذاه شئ منها وقد عده أبو حاتم البغوى فى الثقات (و) روى البيهقى فى الدلائل عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قال (اشتكى على ابن أبى طالب) رضى الله تعالى عنه مرضا والمرض يسمى شكاة (فجعل يدعو) الله تعالى لما ضجر كما سيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمعه (اللهم اشفه أوعافه) شك من الراوى فى لفظه والمعنى واحد (ثم ضربه برجله) ليقوم من مضجعه (و) قام و(ما اشتكى ذلك الوجع بعد) مبنى على الضم أى بعد ضربه أو دعائه أوهما ولفظ البيهقى عن عبد الله بن سلمة قال سمعت

(وعلى ساق على بن الحكم) بفتحتين صحابى وهو أخو معاوية بن الحكم السلمى (يوم الخندق اذ انكسرت) أى نفث حين انكسرت ساقه (فبرأ) وفى نسخة فبرئ (مكانه) أى ولم يتعد زمانه (وما نزل عن فرسه) أى والحال انه لم يقدر على نزوله عن فرسه اذ جاء يستشفيه رواه أبو القاسم البغوى فى معجمه (واشتكى على ابن أبى طالب) أى مرض أو اشتكى وجعا (فجعل) أى شرع على أو قصد (يدعو) أى يطلب الله تعالى ان يعافيه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه) روى بالضمير وهاء السكت وكذا قوله (أوعافه) والشك من الراوى (ثم ضربه برجله) أى لتصيبه بركة فعله بعد أثر قوله (فما اشتكى ذلك الوجع بعد) بضم الدال أى ما شكاه بعد دعائه واصابة رجله لبعض أجزائه رواه البيهقى

(وقطع أبو جهل يوم بدر يد ابن معوذ) بتشديد الواو المكسورة وتفتح (ابن عفراء) بمهملة ففاء فراء ممدودة قال الحلبي والمعروف ان ابن أبي جهل عكرمة فعل ذلك بمعاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه وكذا نقله أبو الفتح اليعمري ابن سيد الناس عن القاضي عياض ثم قال معوذ صحابي معروف قتل يوم بدر وهو من جملة أربعة عشر قتيلا من المسلمين في وقعة بدر رضي الله تعالى عنهم أقول ولا منع من الجمع فتأمل (فجاء) أي معوذ ومعاذ (يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عليها (فألصقها فالتصقت) بكسر الصاد (رواه ابن وهب ومن روايته أيضا) وكذا رواه البيهقي عن ابن اسحق (ان خبيب ابن يساف) بفتح الياء وفي نسخة اساف بكسر الهمزة ويفتح وأما خبيب فهو بخاء معجمة وموحدتين بصيغة التصغير في النسخ وهو موافق لما في القاموس ومطابق لما ذكره الحلبي وضبطه الدلجي بمهملة وبيائين بينهما مثلثة والظاهر من كلامه انه بفتح أوله وكسر ثانيه (أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حال كونه معه أي بقربه (بضربة على عاتقه) أي ما بين منكبه وعنقه (حتى مال شقه) بكسر الشين وتشديد القاف أي أحد شقيه بانفصاله عنه بحد سيفه (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بامالته الى محله (ونفث عليه حتى صح) أي التأم قال الحلبي وخبيب هذا خزرجي شهد بدرا وأحدا وما بعدهما وكان نازلا بالمدينة فتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه في الطريق فأسلم وشهد بدرا فضرب به رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فتفل عليه ولأمه ورده فانطلق فقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك وكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك الى النار وتوفي في خلافة عثمان

عليا رضي الله تعالى عنه يقول أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا شاك أقول اللهم ان كان أجلي قد حضر فأرحني وان كان متأخرا فاشفني وان كان بلاء فصبرني فضربني برجله وقال كيف قلت فأعدت عليه فقال اللهم اشفه أو قال اللهم عافه فقال علي رضي الله تعالى عنه فما اشتكيت وجعي ذلك بعد (وقطع أبو جهل يوم بدر) اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان المعروف ان القاطع عكرمة ابن أبي جهل لا هو وان المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه وقد نقله ابن سيد الناس عن المصنف رحمه الله (يد معوذ) بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة وتفتح وذال معجمة (بن عفراء) بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة ومدة اسم أمه وهو من جملة شهداء بدر وهم أربعة عشر ومعوذ بن الحارث بن رفاعة النجاري الانصاري رضي الله تعالى عنه وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية وعرف بأمه هو وأخواه معاذ وعوف شهدوا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقي معاذ ابن عفراء الى زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه والذي في سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفراء قتل أبا جهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه وطرح يده وتعلقت بجلدة من جنبه وأجهضه القتال فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه فلما أذته وضع عليها قدمه فقطعها (فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وألصقها فالتصقت) كما كانت في مكانها ببركته وبركة ريقه الشريف الذي تفله عليها وهذا لا ينافي كونه فعل الله تعالى ولا حاجة لذكر مثله (رواه ابن وهب) وقد علمت مخالفته لما رواه ابن اسحق وصححه ابن سيد الناس والمصنف رحمه الله تعالى في غير هذا الكتاب وقيل ان ابن وهب لا شك في جلالته فما رواه يخالف ما قاله ابن اسحق لجواز كون معاذ قطعت يده أيضا وعكرمة قطع يد أخيه معاذ وأبو جهل نفسه قطع يد معوذ وألصقها له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قيل وهذا من غير نقل صريح لا يقبل مثله بمجرد الاحتمال فلا ينبغي ذكره من غير تثبت (ومن روايته) أي رواية ابن وهب التي رواها ابن اسحق والبيهقي عنه كما نقله السيوطي (أيضا) كروايته الاولى (ان خبيب) بالتصغير وخاء معجمة وموحدتين تصغير خب وهو المغفل (ابن يساف) بكسر الياء آخر الحروف وسين مهملة وألف وفاء ويقال اساف بهمزة مكسورة (أصيب) بالبناء للمجهول أي أصابه ضرب بسيف (يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه) وكتفه (حتى مال شقه) الذي أصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصالها (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي رد عضوه الى مكانه الذي كان فيه (ونفث عليه حتى صح) أي التأم وعاد كما كان فيه ويساف هو ابن عتبة بن عمرو الخزرجي شهد ابنه خبيب بدرا وأحدا وكان بالمدينة حين قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه وأسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتأم فانطلق وقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح يعني الضربة التي في محل الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك

(وأتته امرأة من خثعم) قبيلة معروفة (معها صبي به بلاء) أي عارض (لا يتكلم) أي بسببه (فأتى بماء فمضمض فاه) أي فمه (وغسل يديه) الظاهر الى رسغيه (ثم أعطاها اياه) أي الماء (وأمرها بسقيه) أي بشرب الصبي منه (ومسه به) أي مسحه بلله ووقع في أصل الدلجي وأمرها ان تسقيه ومس به أي مس صلى الله تعالى عليه وسلم الصبي بالماء (فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بضم الضاد المعجمة وتفتح أي يزيد ويغلب (عقول الناس) رواه ابن أبي شيبة عن أم جندب مرفوعا (وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (صدره فثع ثعة) بمثلثة ومهملة مشددة فيهما أي قاء مرة (فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود) بتثليث الجيم ولد الكلب والسبع (فشفي) بصيغة المجهول أي برئ من جنونه وفي نسخة فسعى بفتح السين والعين المهملتين أي مشى واشتد عدوا والظاهر انه تصحيف ثم فاعل سعى الجرو وهو الاقرب أو المبتلى وهو الانسب والحديث رواه أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة ففي مسند أحمد حدثنا حماد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان به لمما وانه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة فخرج من فيه مثل الجرو الاسود فشفي وقد ذكره أحمد أيضا من طريق أخرى فقال حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد فذكر نحوه الا انه قال فثع أي سعل انتهى والظاهر ان قوله سعل بيان لسبب قيئه أي فسعل فقاء (وانكفأت القدر) بهمزة مفتوحة بعد الفاء أي انقلبت البرمة وسقطت (على ذراع محمد بن حاطب) بحاء مهملة وطاء مكسورة فموحدة وفي نسخة حاتم وهو غير صحيح والمراد به ابن الحارث بن معمر القرشي من بني جمح ولد بالحبشة قيل هو أول من سمي في الاسلام محمدا له صحبة (وهو طفل) جملة حالية (فمسح عليه ودعا له وتفل

عليه)

الى النار والى ذلك أشار المصنف بما ذكر (و) روى ابن أبي شيبة عن أم جندب أنه صلى الله عليه وسلم (أتته امرأة من خثعم) بخاء معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منها هذه المرأة لانها كانت نازلة بالجبل كما توهم (معها صبي) وهو ابنها (به بلاء) وهو ما يبتلى به الناس وفسره بقوله (لا يتكلم) فان كان بمعنى لا يقدر على الكلام فبلاؤه انه كان أخرس أو أبكم وان كان بمعنى انه به ذهول وعدم عقل للكلام فهو مستأنف وهذا هو المراد كما سيأتي (فأتى بماء) بالبناء للمجهول أي أمر من يأتيه بماء في أناء فأتاه به (فمضمض فاه) مضمض متعد وفاه مفعوله والمضمضة ادارة الماء في الفم فذكر الفم بعده تجريدا وهو لازم ضمن معنى غسل (وغسل يديه) بذلك الماء (ثم أعطاها اياه) أي أعطى المرأة ذلك الماء الذي رده في أنائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه (وأمرها بسقيه) أي أمر المرأة بان تسقي الصبي من ذلك الماء (ومسه به) مصدر مضاف للمفعول أي مسحه بالماء (ف) لما فعلت ما أمرها به (برأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بزنة يقعد ويرقد (عقول الناس) أي يزيد على عقول الناس الذي من أمثاله وهذا الحديث رواه أحمد في مسنده بسند متصل بابن عباس قال ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ان به لمما أي جنونا يأخذه عند طعامنا فيفسده علينا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة أي تقيأ فخرج من فيه مثل الجرو وهو الكلب الصغير جدا وفي كون هذه القصة ما ذكر القاضي بعينه نظر لما بينهما من الخلاف مع احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلا وجه لجعلهما قصة واحدة بل هذه التي رواها أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة ما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم صدره) بيده المباركة الشريفة (فثع ثعة) بفتح المثلثة وتشديد العين المهملة أي قاء مرة واحدة كذا قاله أهل اللغة وقال بعض أهل اللغة ثع بمعنى سعل وروي الحديث من طرق متعددة (فخرج من جوفه) وبطنه (مثل الجرو والاسود) بجيم مثلثة وراء مهملة ساكنة وواو وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار الحنظل والقثاء أيضا وهو يحتمل هنا وجمعه أجر كادل بكسر آخره وحذف الواو بعد قلبها ياء (فشفي) بالبناء للمجهول أي شفاه الله (و) في حديث رواه البيهقي والنسائي والطيالسي مسندا مصححا فيه انه (انكفأت) بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها تاء تأنيث ساكنة أي انقلبت (القدر) التي يطبخ فيها أي وقع ما فيها من طعام حار كالنار المحرقة (على ذراع محمد بن حاطب) بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي الصحابي الذي ولد بالحبشة وهو أول من سمي محمدا في الاسلام وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين وموحدة علم منقول من جامع الحطب وسمي لذلك (وهو طفل) صغير والجملة حالية وفيه تقدير أي فخرق ذراعه (فمسح عليه) أي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على ذراع محمد أو على محمد نفسه (ودعا له وتفل

قيء فبرأ الحينه) أى على فوره رواه النسائى والطيالسى والبيهقى (وكانت فى كف شرحبيل) بضم أوله ويقال له شراحيل (الجعفى) بضم الجيم (سلعة) بكسر السين وتفتح وسكون اللام وهى زيادات تحدث فى الجسد بين الجلد واللحم كالغداة تكون من قدر حمصة الى قدر بطيخة اذا غمزت باليد تحركت (تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين أى لجامها أوزمامها (فشكاها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يطحنها) بفتح الحاء أى يعالجها ويفحصها بكفه (حتى رفعها) أى أزالها من كفه (ولم يبق لها أثر) أى فى محلها رواه الطبرانى والبيهقى (وسألته جارية) أى بنت أو مملوكة (طعاما وهو يأكل) جملة حالية (فناولها من بين يديه) أى بعض ما لديه (وكانت) أى قبل ذلك (قليلة الحياء) لعلها لخلل كان بعقلها (فقالت انما أريد من الذى فى فيك) أى فى فمك (فناولها ما فى فيه ولم يكن) أى من عادته (يسئل شيأ فيمنعه) بالنصب على جواب النفى (فلما استقر) أى مأكولها الذى ناولها (فى جوفها ألقى عليها من الحياء ما) أى شئ عظيم منه حتى بسببه (لم تكن امرأة فى المدينة) أى فضلا عن غيرها (أشد حياء منها) أى ببركته وبيمن همته

عليه) أى نفخ نفخا فيه ريقه الشريف وفى نسخة وتفل فيه (فبرأ الحينه) من غير بطء ومثله يكون فى أيام عديدة ومحمد بن حاطب هذا صحابى ابن صحابى توفى عام أربع وسبعين بمكة وقيل بالكوفة (و) فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى مسندا (كانت فى كف شرحبيل) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين وبموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ولام قال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب عن الاصمعى شرحبيل أعجمى وكذا شراحيل وايل معناه الله ومعنى شراحيل وديعة الله عند أهل اليمن ورأى أكثر البصرية خلافه بل شرحبيل كقدعميل وشراحيل كسراويل جمع سمى به أو بزنة الجمع انتهى وهو عند سيبويه اسم عربى غير منصرف (الجعفى) بضم الجيم نسبة للجعفة مكان معروف وشرحبيل صحابى ذكره الذهبى (سلعة) بكسر السين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة وفيها لغات فتفتح سينها مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعة بزنة عنبة وقول البرهان هنا من فتح أراد الشجة لا وجه له فانها لغة والكل بمعنى ولا ينافى كون السلعة بمعنى الشجة كما فى القاموس والسلعة المتاع الذى يباع أيضا (تمنعه) أى تلك السلعة لكونها فى داخل كفه (القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين المهملة وهو ما يقاد به الفرس ونحوه (فشكاها) أصله شكى منها فضمن معناه (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال يطحنها) أى يريد كفه الشريف عليها بقوة كما تدور الرحا وهو بفتح الحاء ونون كسأل يسأل (حتى رفعها) أى حتى أزالها من كفه (ولم يبق لها أثر) فى كفه بضره ويمنعه ففى قوله يطحنها استعارة (و) فى حديث رواه الطبرانى عن أبى امامة انه صلى الله عليه وسلم (سألته جارية طعاما) أى امرأة صغيرة السن أو خادمة لبعض أهل المدينة (وهو يأكل) جملة حالية أى حال تناوله من طعامه (فناولها) أى أعطاها (من بين يديه) أى من طعامه صلى الله عليه وسلم الذى كان بين يديه (وكانت) الجارية (قليلة الحياء) من الناس لوقاحتها (فقالت) الجارية له صلى الله تعالى عليه وسلم (انما أريد) بسؤالى ان تناولنى (من الذى) وضعته من الطعام (فى فيك) وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من ترك الادب ما لا يخفى (فناولها ما فى فيه) ولم يحرمها ويردها بعنف (ولم يكن) صلى الله عليه وسلم (يسأل) بالبناء للمفعول أى يسأله أحد (شيأ فيمنعه) بالنصب فى جواب النفى فلما استقر) الطعام الذى ناولها من فيه (فى جوفها ألقى) بالبناء للمفعول أى ألقى الله (عليها من الحياء) بالمد وأما بالقصر فهو المطر (ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها) أى حياء لم يكن فى امرأة غيرها الشدته ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فما موصولة أو موصوفة فى محل رفع نائب فاعل ألقى والجملة صلة أو صفة بتقدير العائد أى ما لم يكن به أى بسببه وذكر هذا الان قلة الحياء من العاهات النفسية والجبلة الخبيثة التى يصعب زوالها فمناسبة الحديث ظاهرة هنا وفى هذا الباب من أمثال ما ذكر أحاديث كثيرة من أرادها فعليه بالنظر فى مطولات كتب الحديث

* (فصل فى اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم) * أى دعائه للناس وعليهم (وهذا) الامر المذكور هنا والاجابة وذكرها رعاية للخبر فى قوله (باب واسع جدا) بكسر الجيم منصوب على المصدرية فهو فى الاصل ضد الهزل ثم استعمل فى معنى الزيادة المفرطة المحققة هنا وهو ظاهر (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة) أى لاجل ناس استحقوا ذلك سواء كان ذلك لهم أو عليهم كما أشار اليه

* (فصل) * (فى اجابة دعائه عليه الصلاة والسلام) أى لقوم وعلى بعض (وهذا باب واسع) أى متسع ذيله وما يتعلق به (جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال منصوب على المصدر أى وسعا كثيرا (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة بما

فدعالهم) أي بالخير تارة (وعليهم) أي بالشر تارة وهذا مفهوم كلام المصنف بحسب الظاهر ولكن الاظهر ان المراد به انه دعا لبعض
منهم بالمنفعة ولآخرين منهم بالمضرة ولذا قال التلمساني فكأنه أوصله نفعا وصب عليه شرا (وهذا أمر متواتر في الجملة) وفي نسخة على
الجملة أي لا على التفصيل (معلوم ضرورة) أي عند أهل السيرة (وقد جاء في حديث حذيفة) أي من رواية أحمد بن

محمد بن حنبل في مسنده (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل أدركت الدعوات) أي أثرها (ولده وولد ولده) وفيه تنبيه على صحة معنى ما يقال الولد سر أبيه ويؤيده قوله تعالى وكان أبوهما صالحا قيل كان بينهما سبعة آباء (قال) المصنف (حدثنا أبو محمد العتابي) بتشديد الفوقية (بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) بكسر التاء (ثنا أبو الحسن) وفي نسخة بالتصغير والاول هو الصحيح (القابسي) بكسر الموحدة (ثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف) أي الفربري (حدثنا محمد بن اسمعيل) أي البخاري صاحب الجامع وقد أخرجه مسلم أيضا (ثنا عبد الله بن أبي الاسود) أي البصري من روايه مالك (ثنا حرمي) بفتح الحاء والراء وهو ثابت بن روح وكنيته أبو عمارة ابن أبي حفصة (ثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قالت أمي) وهي أم سليم بنت ملحان (يارسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله) أي حلالا (وولده) أي صالحا (وبارك له فيما آتيته) أي أعطيته من المال والولد فاوتي مالا كثيرا وأولادا مات له في الطاعون الجارف سبعون ولدا من صلبه غير أولاد أولاده

بقوله (دعا لهم وعليهم) فان دعا اذا تعدى باللام كان للنفع لانه أوصل لهم بدعائه ما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان للضر كأنه أنزل عليهم البلاء وصبه عليهم وهذا مخصوص بلفظ دعا ألا ترى صلى الله على محمد فانه تعدى بعلى للرحمة لما فيه من الحنو والشفقة قيل انما أعاده بلفظ الافراد دون الجمع المنوي كدعائه كما تقدم لارادة التنصيص على ما وقع منه فردا فردا فالاول على الاجمال المطلق والثاني على الاجمال التشخيصي وقد أدرج شيأ مما عقد له هذا الفصل في الفصل الذي قبله انتهى (متواتر على الجملة) أي متواتر تواترا معنويا باعتبار معناه الاجمالي وان لم تتواتر افراده (معلوم ضرورة) أي بعلم ضروري غير محتاج لدليل (وقد جاء) أي ورد في حديث رواه أحمد بن حنبل (في حديث حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل أدركت) أي وصلت وأثرت (دعوته) المستجابة (ولده وولد ولده) فوصل أثرها لهم وظهر فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه (حدثنا أبو محمد العتابي) هو بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم (بقراءتي عليه) من صحيح البخاري قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) الذي تقدمت ترجمته وتقدم ويأتي انه يجوز التكني بأبي القاسم على الصحيح من ان النهي مخصوص بعصره صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالجمع بين الاسم والكنية قال (حدثنا أبو الحسن القابسي) الحافظ السابق ترجمته قال (حدثنا أبو زيد المروزي) نسبة لمرو كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخاري قال (حدثنا عبد الله بن أبي الاسود) واسمه حميد البصري الحافظ روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا حرمي) بفتح الحاء والراء المهملتين وهو حرمي بن عمارة بن أبي حفصة العتكي توفي سنة احدى ومائتين قال (حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس) رضي الله تعالى عنه تقدم تراجم هؤلاء كلهم (قال) أنس رضي الله تعالى عنه (قالت أمي) لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسم أمه رميلة وقيل الرميصاء وهي أنصارية صحابية وهي أم سليم (يارسول الله خادمك أنس) بن مالك بن ضمضم بن زيد الانصاري النجاري وكنيته أبو حمزة وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة صغيرا فخدمه وشهد معه المشاهد وفي عمره اختلاف والاصح انه عمر مائة الا سنة وقيل احدى وتسعين وقيل مائة وعشرين وقال النووي الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه آخر من مات بالبصرة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال ابن عبد البر لا أعلم أحدا مات بعده غير أبي الطفيل وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا فروي عنه ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا (ادع الله تعالى له) ولم تعين الدعوة بل فوضتها له صلى الله عليه وسلم (قال اللهم أكثر ماله وولده) أكثر وكثر بمعنى (وبارك له فيما آتيته) أي فيما أعطيته من المال والولد فاجاب الله تعالى دعوته حتى مات له في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا قيل وفي هذا دليل على فضل الغنى على الفقير وارتضوا ان الغني الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسب الناس كما ورد في الحديث القدسي * ان

من

من عبادى من لا يصلحه الا الغنى وان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ودعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة لان من بورك له فيما أوتى لم يكن فيه ضرر ولا تقصير فى الحقوق وهو غنى محمود (ومن رواية عكرمة) بن عمار عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه كما أخرجه مسلم (قال أنس فوالله ان مالى لكثير) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان ولدى وولد ولدى) لكثير أيضا (ليعادون اليوم) المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويعادون بضم الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة وألف بعدها دال مهملة مشددة وواو جماعة ونون أى يزيدون (على نحو المائة) وهو مفعول به من العدد وروى فى الصحيحين وغيرهما يتعادون بزيادة تاء فوقية والمعنى واحد وقد وقع فى نسخ الشفاء بالروايتين أيضا وفى الأساس بنو فلان يتعادون على بنى فلان أى يزيدون انتهى كأن بعضهم يعد بعضا ثم عبر به عما ذكر واقتصر والمعنى انهم يزيدون على ما يقرب من المائة اقتصارا على المتيقن المتحقق (وفى رواية) قالوا هذه الرواية لا يعرف من رواها (وما أعلم أحدا أصاب) أى وجد عنده (من رخاء العيش) أصل الرخاء بفتح الراء المهملة وخاء معجمة ومد بمعنى اللين ثم استعير للسعة والعيش بمعنى المعيشة (ما أصبت) أى كالذى أصبته أنا (ولقد) جواب قسم مقدر وقد هنا للتحقيق وكثيرا ما يقترن بها جواب القسم (دفنت بيدى) بالتثنية (هاتين) اشارة اليدين لبيان انه على ظاهره وحقيقته فى الجارحة لا بمعنى القدرة والتصرف (مائة من ولدى) ثم بين ان المراد بالولد أولاده الكبار لصلبه فقال (لا أقول) ان الولد كان (سقطا) بتثليث السين المهملة وهو ما سقط من بطن أمه قبل مدة تمام حمله وأوان ولادته (ولا ولد ولد) نفاه لان الولد قد يطلق عليه مجازا وعلى ما يشمل الولد الصلبى وغيره بعموم المجاز وهو منصوب بمقدر أى لا أقول دفنت سقطا الى آخره والجملة مقول القول وحديث أنس هذا صحيح روى من طرق مختلفة فى ألفاظها اختلاف يحتاج للتوفيق ان لم تكن القصة متعددة وفى الوفاء لابن الجوزى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى دعائه له وأطل حياته وان أنسا قال فأكثر الله تعالى مالى حتى ان لى كرما يحمل فى السنة مرتين وولد لصلبى مائة وستة وفى مسلم انه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا وما هو الا أنا وأمى وأم حرام خالتى فقالت أمى يا رسول الله خويدمك أنس ادع الله له فدعا لى بكل خير وكان فى آخر ما دعا لى اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وفيه أيضا جاءت أمى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أزرتنى بنصف خمارها وردتنى بنصفه فقالت هذا ابنى أنيس أتيتك به يخدمك فادع الله له وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بأمى فسمعت صوته فقيل يجوز أن يكون مرفوعا أى عرفت صوته فدعته لدخول دارها فدخلها ه (تنبيه) قال ابن قتيبة ان ثلاثة من أهل البصرة رزق كل منهم مائة ولد لصلبه أنس وأبو بكرة وخليفة بن بدر وفى تاريخ ابن خلكان ان تميم بن المعز بن باديس خلف مائة ذكر وستين انثى (ومنه) أى من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف) الصحابى أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو من أغنياء الصحابة رضى الله تعالى عنهم وترجمته معروفة (بالبركة) أى بأن يبارك الله تعالى له فيما رزقه (قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا) من مكانه بيدى (لرجوت) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان أصيب) وأجد

(ومن رواية عكرمة) أى على ما انفرد به مسلم وهو ابن عمار الحنفى اليمامى وكان مجاب الدعوة (قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون) بضم الياء وتشديد الدال أى يعد بعضهم بعضا وليزيدون (اليوم على نحو المائة) قال التلمسانى وفى رواية الصحيحين والمصابيح ليتعادون بزيادة التاء (وفى رواية) وهى غير معروفة (وما أعلم أحدا أصاب اليوم من رخاء العيش) أى سعة المعيشة وكثرة النعمة (ما أصبت) أى ببركة دعوة صاحب النبوة وأثر كثرة الملازمة والخدمة هذا واستدل بعضهم بدعائه عليه السلام لانس على تفضيل الغنى على الفقر وأجيب بأنه مختص بدعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بورك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه مضرة (ولقد دفنت بيدى) بتشديد الياء (هاتين مائة من ولدى لا أقول سقطا) بكسر السين ويجوز ضمها وفتحها وهو الجنين الذى يسقط قبل تمامه (ولا ولد ولد) أى لا أحسبها فى العدد قال الحلبى واعلم ان فى البخارى فى الصوم من رواية حميد عن أنس قال حدثتنى ابنتى أمينة انه دفن لصلبى مقدم الحجاج البصرة عشرون ومائة قيل وكان مقدمه سنة خمس وسبعين وقد ولد لانس بعد ذلك أولاد كثيرة وتوفى فى سنة ثلاث وتسعين ونقل عن ابن قتيبة انه وقع على الارض من صلب المهلب ابن أبى صفرة البصرى ثلاثمائة ولد (ومنه) وفى نسخة صحيحة ومنه أى ومن دعائه المجاب (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة) على ما رواه البيهقى (قال) أى عبد الرحمن كما فى نسخة صحيحة (فلو رفعت حجرا لرجوت ان أصيب)

تحته ذهبا وفتح الله عليه) أي فتوحات كثيرة وأموالا غزيرة (ومات فحفر الذهب) بصيغة المجهول أي استخرج مما كان مدفونا (من تركته) بفتح فكسر أي متروكاته بعد خيراته ومبراته (بالفؤس) بضم الفاء والهمزة وسكون الواو جمع فأس بالهمزة ويبدل كراس ورؤس وكأس وكؤس (حتى مجلت) بفتح الجيم ويكسر أي تنفطت من كثرة العمل (فيه الايدى وأخذت كل زوجة) أي من زوجاته (ثمانين ألفا وكن أربعا) فجملته ثلثمائة وعشرون ألفا (وقيل مائة ألف) بالنصب أي أخذت كل واحدة منهن مائة ألف فجملته أربعمائة ألف (وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه) أي الذي مات فيه (على نيف) بتشديد التحتية المكسورة وتسكينها أي زيادة بمعنى كسر (وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا) أي ألف دينار في سبيل الله كما صرح به عروة بن الزبير وكذا أوصى بالف فرس في سبيل الله كما ذكره الحجازي وغيره (بعد صدقاته الفاشية) أي الكثيرة الشائعة (في حياته وعوارفه العظيمة) أي معروفاته الجزيلة قبل مماته (أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير) بكسر العين أي بقافلة (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) أي جاءت من سفر تجارة (تحمل من كل شئ) أي من من أجناس الاموال وأنواعها (فتصدق بها) أي بالاعيرة السبعمائة (وبما عليها) أي من أنواع البضائع المختلفة (وباقتابها) جمع قتب بالتحريك وهو للبعير كالاكاف لغيره.

(تحته ذهبا وفتح الله عليه) أي يسر له أمور الدنيا بسهولة وتقدم ان أصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال قال الله تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شئ أي وسعنا عليهم باقبال أنواع الخيرات عليهم وهذا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فانه لما قدم المدينة آخا بينه وبين سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله تعالى مالا كثيرا (ومات) في سنة احدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين وهو ابن خمس أو ثلاث أو اثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع (فحفر الذهب من تركته بالفؤس) الحفر معروف وهو في الاصل اخراج تراب الارض قيل المراد به هنا قطعة لانه في صدر الاسلام لم يكن تضرب الدنانير وانما كانت تأتي من غير ديارهم وتجعل الذهب والفضة سبائك وقطعا توزن فكان عنده منها قطع كثيرة لما أريد قسمتها كسرت والتركة بفتح أوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خالصا من حق الغير والفؤس بضم الفاء والهمزة تليها واو ساكنة بزنة كؤس جمع فاس بفتح فهمزة ساكنة وتبدل ألفا (حتى مجلت فيه الايدى) بفتح الميم والجيم ويجوز كسرها وفي آخره لام وتاء تأنيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله والمجل تغير يكون في اليد من كثرة العمل حتى خرج في أيديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم (وأخذت كل زوجة) واحدة من زوجاته (ثمانين ألفا) لم يبين هل هي ذهب أو فضة وهل هي مثاقيل أو دراهم الا أنه وقع التصريح في رواية بانها دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم (وكن) أي زوجاته التي مات عنهن ورثته (أربعا) من النسوة (وقيل) ان نصيب كل واحدة من هؤلاء الزوجات الاربع (مائة ألف وقيل بل صولحت) بالبناء للمجهول (احداهن) أي صالحها بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة (لانه طلقها في مرضه) الذي مات فيه والمطلقة في مرض الموت ترث اذا مات وهي في العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة في كتب الفقه وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى عليه وخالفه في ذلك الشافعي رحمه الله تعالى عليه في أحد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل في كتب الفقه وليس هذا محله (على نيف) بفتح النون وتشديد الياء المكسورة بوزن كيس وهو كل ما زاد على عقد الى ان يبلغ ما فوقه من العقود من ناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه (وثمانين ألفا) من الدنانير (وأوصى بخمسين ألفا) من الدنانير كما ذكره الطبراني في الرياض النضرة قال أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار في سبيل الله وأوصى بحديقته لامهات المؤمنين فبيعت باربعمائة ألف وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل باربعمائة دينار وبالف فرس في سبيل الله وهذا كله (بعد صدقاته الفاشية) أي الظاهرة المشهورة من فشى السر اذا شاع (في حياته وعوارفه العظيمة) جمع عارفة وهي ما يعتاد من الاحسان والعطايا بجعل المعروف عارفا مبالغة تمايحا وهو من لطائفهم المشهورة ثم أشار الى شئ مما ذكر فقال (أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير) بكسر العين المهملة وهي الجمال التي تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له وقد يقال لكل ما تحمل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول لقوله (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) أي جاءته مع قافلة أرسلها للتجارة (تحمل من كل شئ) أي عليها أحمال من أمور مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق عرفي أي من كل ما عهد حمله للتجارة (فتصدق بها) أي بالابل (وبما عليها) من طعام وغيره (باقتابها) جمع قتب بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو اكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه

من الاذى (وباحلاسها) جمع حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء يوضع تحت الاكاف على ظهر البعير وهذا قليل مما ذكر في مناقب ابن عوف وصدقاته فانه لا يعد ولا يحصى وكان أهل المدينة عيالا عليه يصلهم دائما ويقضي ديونهم ويقوم بمؤنة فقرائهم وليس هذا محل تفصيله (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمعاوية) بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما (بالتمكن في البلاد) التمكن تفعل من المكان والمراد به القدرة على التصرف فيها يقال مكنته ومكنت له قال الله تعالى ولقد مكناكم في الارض (فنال الخلافة) أي صار خليفة وسلطانا مالكا للبلاد بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اشارة الى حديث رواه أبو سعد فيه انه قال اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب ومعاوية رضي الله تعالى عنه أسلم هو وأبوه وأمه هند وأخوه يزيد في فتح مكة وقال معاوية انه أسلم في يوم الحديبية وكتم اسلامه عن أبويه وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا فأعطاه من غنائم هوازن أربعين أوقية ولما بعث أبو بكر رضي الله تعالى عنه الجيش الى الشام سار هو وأخوه يزيد معهم فاستخلفه أبو بكر على دمشق ثم أقره عمر عليها ثم أقره عثمان عليها فلما قتل لم يبايع عليا الطلبه بدم عثمان ممن كان معه ممن باشر قتله وجرى بينهما ما جرى في وقعة صفين مما ينبغي الكف عنه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وورد في فضائله أحاديث أخر فكان في أول أمره أميرا لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل أمر علي كرم الله تعالى وجهه لاجتهاد أداه لذلك فلما قتل علي واستخلف ابنه الحسن رضي الله تعالى عنه سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم رأى ان الخطب عظيم تراق فيه دماء المسلمين فسلم الامر الى معاوية باختيار منه فرجع الى المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة وأتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه فسمي ذلك العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعدما كان الحق مع علي كرم الله وجهه كما ارتضاه القاضي أبو بكر بن العربي لا متغلبا كما أشار اليه المصنف بقوله نال الخلافة واندفع ما قيل من ان الصواب ان يقول نال الامارة أو الملك لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا وسيأتي الكلام على ذلك كله وكملت الخلافة بمدة الحسن بعد أبيه ستة أشهر وقيل الخلافة بالمعنى اللغوي لانه خلف من قبله أو الخلافة اتباع السنة (و) دعا صلى الله تعالى عليه وسلم (لسعد بن أبي وقاص) أي دعى دعاء مختصا بسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه كما ورد في حديث رواه الترمذي مسندا متصلا عن سعد والبيهقي عن قيس بن أبي حازم مرسلا وسنذكره وأبو وقاص كنية أبيه وهو مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو أول من أراق دما في الاسلام وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآخر العشرة موتا مات سنة خمس وخمسين وله بضع وستون أو سبعون سنة وثمانون ودفن في البقيع ومناقبه مشهورة (ان يجيب الله دعوته) أي كل دعوة له (فما دعا على أحد الا استجيب له) بالبناء للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال

(وباحلاسها) جمع حلس بالكسر وهو كساء يلي ظهر البعير تحت القتب وفي ذكرها مبالغة في الاستيفاء وتأكيد للاستقصاء هذا وقد قال الحلبي الذي استحضره من صدقات عبد الرحمن بن عوف انه تصدق بشطر ماله أربعة آلاف ثم بأربعين ألفا ثم بأربعين ألف دينار ثم تصدق بخمسمائة فرس في سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وفي الترمذي انه أوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف قال الترمذي حديث حسن وقال الزهري أوصى لمن بقي من أهل بدر الكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ وأوصى بألف فرس في سبيل الله انتهى وروي انه رضي الله تعالى عنه لما حث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصدقة جاء بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله كان لي ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في ماله (ودعا لمعاوية) أي ابن أبي سفيان (بالتمكين في البلاد فنال الخلافة) أي أصابها في الجملة أو على وفق ما أراد اذ الصحيح انه لا يسمى خليفة على خلاف بعد نزول الحسن والمعتمد ان الخلافة تمت بخلافة الحسن بعد أبيه بستة أشهر لقوله عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه أحمد والترمذي بسند صحيح وكذا ابن حبان عن سفينة ثم رأيت انه قيل صوابه الامارة وقد روى ابن سعد دعاءه عليه الصلاة والسلام اللهم علمه الكتاب ومكنه في البلاد وقه العذاب وروي انه عليه الصلاة والسلام قال ان يغلب معاوية وقد بلغ عليا هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته (ولسعد ابن أبي وقاص) أي دعا له (ان يجيب الله دعوته فما دعا) أي سعد (على أحد الا استجيب له) رواه الترمذي موصولا ورواه البيهقي عن قيس ابن أبي حازم مرسلا بلفظ اللهم استجب له اذا دعاك حسنه وقد استجيب له دعاء

دعوات مروية فى الصحيح وغيره منها ان رجلا نال من على كرم الله وجهه بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارنى فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها ما رواه البخارى انه دعا على أبى سعدة اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن قال الراوى فلقد رأيته شيخا كبيرا اسقط حاجباه على عينيه يتعرض للجوارى يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد (ودعا) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بعز الاسلام بعمر أو بابى جهل فاستجيب له فى عمر) رواه الامام أحمد والترمذى فى جامعه وغيرهما

وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وأصل معناه الاجابة قال الترمذى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضى الله تعالى عنه ان سعدا قال يا رسول الله ادع الله ان يستجيب دعائى فقال يا سعد ان الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب طعمتى فانى لا أقوى الا بدعائك فقال اللهم أطب طعمة سعد الحديث ودعواته مشهورة مأثورة وقد أجيب له دعوات مخرجة فى الصحيح وغيره (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (بعز الاسلام) بان الله يعز الاسلام أى يقويه وينصره ويظهره باحد الرجلين (بعمر) رضى الله تعالى عنه (أو بابى جهل) لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما وبتفرسه فيهما الا على التعيين وكان هذا بمكة قبل الهجرة وتمكن المسلمين من اظهار الدين (فاستجيب له فى عمر) بان هداه الله تعالى وأعز به دينه فسبقت له السعادة وسبقت الشقاوة لابى جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله فقتل كافرا يوم بدر فى السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز أهله والا فهو دائما عزيز لانهم كانوا قبل اسلام عمر لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما أسلم رضى الله تعالى عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة وتشريكه صلى الله تعالى عليه وسلم له فى الدعاء مع أبى جهل لانه لم يتعين عنده أحدهما أو لم يعينه لامر ما وقد روى من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم خص عمر بالدعاء فقال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم أيد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه لما تفرس فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لا يعصى أمرهما دعا بذلك ثم لما تبين له باعلام من الله تعالى والهام منه ان اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب له وقصة اسلامه مفصلة فى السير (قال ابن مسعود مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) لانه أظهر ذلك وقاتلهم فى بلادهم كما فعل حمزة أيضا رضى الله تعالى عنه فكان ذلك ابتداء الظهور وكان ما كان مما لم يحل فى خواطر الامكان (و) مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة دعائه ما رواه البيهقى والحاكم وصححه عن عمر رضى الله تعالى عنه (أصاب الناس فى بعض مغازيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش فسأله عمر الدعاء) للناس ان يسقيهم الله من فيض فضله (فدعا فجاءت سحابة) أى ظهرت سحابة عقب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل يسمع نداءه فجاءه فهى تصريحية تبعية أو تخييلية كما فى قوله (فسقتهم) أى شربوا من ماء مطرها وقوله (حاجتهم) مفعوله لتضمنه معنى أعطتهم حاجتهم وهى الماء الذى يزيل عطشهم (ثم أقلعت) أى انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من سقيها قيل هذه الغزاة هى غزاة بدر المشار اليها بقوله فى سورة الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به كما ذكره ابن الجوزى فى الوفاء وساق الحديث بتمامه ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه (فى الاستسقاء) أى فى دعائه وطلبه ان يسقيهم (فسقوا) بالبناء للمجهول

عن ابن عمر به مرفوعا ولفظه اللهم أيد الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بابى جهل أو بعمر ابن الخطاب وصححه ابن حبان والحاكم فى مستدركه عن ابن عباس اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب وفى لفظ أعز الاسلام بعمر وقال انه صحيح الاسناد وفيه عن عائشة اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واما ما يدور على الالسنة من قولهم اللهم أيد الاسلام باحد العمرين فلا يعلم له أصل فى المبنى وان كان يصح نقله بالمعنى بناء على تغليب عمر على عمرو بن هشام وهو اسم أبى جهل وكان يكنى أولا أبا الحكم فكناه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا جهل فغلبت عليه هذه الكنية (وعن ابن مسعود) وفى نسخة وقال ابن مسعود (مازلنا أعزة) جمع عزيز أى أقوياء وعظماء أو ظاهرين قاهرين (منذ أسلم عمر) قلت وفى الآية أى اشارة الى هذه العزة حيث نزل عند اسلامه قوله تعالى يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانه رضى الله تعالى عنه كان تمام الاربعين (وأصاب الناس فى بعض مغازيه) أى سير غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش) أى شديد (فسأله عمر الدعاء) أى الاستسقاء (فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم) بالنصب أى قدر كفايتهم (ثم أقلعت) بفتح الهمزة واللام أى اقشعت السحابة وانجلت (ودعا فى الاستسقاء) أى يوم جمعة على المنبر فى المدينة كما رواه الشيخان عن أنس (فسقوا) بصيغة المفعول

أى سقاهم الله تعالى عقب دعائه ودام السحاب بمطر (ثم شكوا اليه المطر) من كثرته ودوامه المضر بهم (فدعا) بتبان يكف المطر ويقلع السحاب (فصحوا) أى صحت السماء وانكشف غيمها فاسناد الصحو اليهم مجازى وهو بفتح الحاء بزنة رمواو وى بضمها وأصله صحو وانفتل وحذف (ودعا لابى قتادة) الحارث بن ربعى الصحابى وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقى فى الدلائل وبين دعاءه بقوله (أفلح وجهك) الفلاح الظفر وادراك البغية وهو دنيوى وهو نيل ما يطيب به حياة الدنيا والبقا فى عز وغنى وأخروى وهو النعيم المخلد والوجه معروف وقد يعبر به عن الذات كما فى قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (اللهم بارك له) أى لابى قتادة رضى الله تعالى عنه وتقدم معنى البركة (فى شعره وبشره) والشعر معروف والمراد به ما يتحسن ويعد زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن وكنى بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يبقى معمرا على أحسن تقويم كاملا جميع أعضائه (فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة) فى نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له وتوفى بالمدينة سنة أربع وخمسين وقد تقدم ان الفلاح دنيوى وأخروى وما ذكره من تمام خلقته دنيوى فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروى لان الكريم اذا طلب منه أمران فعجل باحدهما دل على انه يعطى الآخر وانما اقتصر على هذا لانه معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل

كما أحسن الله فيما مضى ✽ سيحسن الله فيما بقى

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للنابغة) الجعدى وهو قيس وقيل حبان بن عبد الله بن عمر بن عدس بوزن عمر وفى الشعراء من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبيانى ولكنه اذا أطلق يراد به هذا وهو أحد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مائتين وثمانين سنة وقيل مائتين وأربعين وقيل مائة وعشرين سنة كما يأتى واجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وأخرج له بقى بن مخلد حديثا ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدته الرائية وهى نحو مائة بيت فى نهاية البلاغة أنشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم فدعا له بما ذكره المصنف ولما بلغ قوله فيها

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ✽ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال الى أين يا أبا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شاء الله تعالى ثم لما أنشده صلى الله تعالى عليه وسلم قوله

ولا خير فى علم اذا لم يكن له ✽ بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له ✽ حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يفضض الله فاك) وروى لا يفضى الله فاك بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الضاد يليها ياء ساكنة مضارع أفضى كأعلى يعلى قال المرزوقى فى شرح الفصيح تقول العرب فى الدعاء عليه فض الله فاه وفى الدعاء له لا يفضض الله فاه ومصدره الفض ومعناه الكسر وبعض العرب تقول لا يفضى الله فاك أى لا يجعله فضاء خاليا من الاسنان وهذا كقوله

ء قد ترك البرنى فاء بلادا انتهى ✽ فعلى الاول الفم مجاز عما فيه من الاسنان وعلى الثانى على حقيقته والنابغة لقب له لانه نبغ فى الشعر أى فاق أقرانه والهاء للمبالغة كعلامة (فما سقطت له سن) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له والسن واحدة الاسنان المعروفة وقد تقال وزيادة السن نقص فى السن فالسن الاول العمر والثانى واحد الاسنان (وفى رواية) لحديث النابغة المذكور (وكان أحسن الناس ثغرا)

(ثم شكوا اليه المطر) أى كثرته حيث خيف ضرره فى الجمعة الثانية وهو على منبره (فدعا) أى بكشفه (فصحوا) بفتح الصاد وضم الحاء وفتحهما أى فانكشف ما بهم من السحابة (وقال لابى قتادة أفلح وجهك) جملة خبرية فى المبنى دعائية فى المعنى أى بقى وفاز وظفر (اللهم بارك له) أى لابى قتادة (فى شعره) بفتح العين ويسكن (وبشره) بفتحتين أى ظاهر جلده حتى يستمر أحسنين (فمات) أى أبو قتادة (وهو ابن سبعين سنة) جملة حالية وكذا قوله (وكأنه ابن خمس عشرة) بسكون الشين المعجمة وتكسر رواه البيهقى (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (للنابغة) أى الجعدى واسمه قيس بن عبد الله وقيل عكسه حين أنشده قصيدته الرائية (لا يفضض الله) بضم الضاد المعجمة الاولى وكسر الثانية على ان لا ناهية وضمها على ان لا نافية وهى أبلغ أى لا يسقط وقيل لا يكسر من فض كسر وفرق وروى لا يفض الله فاك من الفضاء وهو الخلاء أى لا يجعل الله فاك فضاء لا اسنان فيه (فاك) أى اسنانك أو اسنان فمك باعتبار أحد المجازين كقوله تعالى واسئل القرية (فما سقطت له سن) رواه البيهقى وابن أبى أسامة وروى مثله عن عم العباس قال يا رسول الله انى مدحتك فقال لا يفضض الله فاك فأنشد الابيات السابقة (وفى رواية فكان) أى النابغة (أحسن الناس ثغرا) بفتح المثلثة وسكون الغين المعجمة أى سنا وقيل هو ما تقدم من الاسنان ويؤيده الاول عموم قوله

(اذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة) هو لغة في مائة وعشرين (وقيل أكثر من هذا) فقيل عاش مائة وثمانين سنة
وقيل مائتين وأربعين سنة وكان في الجاهلية يصوم ويستغفر وبقي الى أيام ابن الزبير وأخرج له بقي بن مخلد حديثا واحدا وفي
الشعراء جماعة غيره يقال لكل منهم النابغة واذا أطلق فهو المراد واختلف في سبب الدعاء له فقيل قوله

بلغنا السماء في مجدنا وسناؤنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا
فقال الى أين يا أبا ليلى قال فقلت الى الجنة فقال نعم ان شاء الله وقال الحديث وقيل قوله
ولا خير في علم اذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له
تأن اذا ما أورد الامر أصدرا
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أجدت فلا سقطت له سن (ودعا لابن عباس) كما رواه الشيخان (اللهم فقهه في الدين) أي علمه ما يحتاج اليه في أمر الدين من الامور الواضحة للمجتهدين (وعلمه التأويل) أي تأويل الكتاب والسنة من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه وأريد به صرف اللفظ عن ظاهره لدليل لولاه ما صرف عن حاله (فسمى) أي ابن عباس

(بعد) بضم الدال أي بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (له الحبر) بفتح الحاء وتكسر أي حبر الامة وهو عالمها سمي به وهو المداد لازاولته له غالبا في اداء المراد وفي نسخة البحر بدل الحبر أي بحر العلم (وترجمان القرآن) بفتح التاء وضم الجيم وضمهما وحكي فتحهما أي مفسره ومعبره والترجمان في الاصل من يترجم الكلام أي ينقله من لغة الى لغة أخرى وفي القاموس الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان

عليه

بثاء مثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وراء مهملة وهو ما تقدم من الاسنان ويقال أثغر الغلام بتشديد المثلثة وأتغر بتشديد المثناة ويطلق الثغر على الفم ويصح ارادته هنا وثغرا منصوب تمييز (اذا سقطت له سن نبتت له أخرى) مكانها الثلا يخلو فمه من الاسنان (وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا) فقيل مائة وأربعين وقيل مائتين وأربعين وقيل مائتين وثمانين لان دعائه صلى الله عليه وسلم له بان لا تسقط اسنانه يتضمن الدعاء له بطول العمر وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه وأكثر أعمار هذه الامة ما بين الستين والسبعين وما زاد لا يزيد غالبا على مائة وعشرين ويزعم الاطباء انه العمر الطبيعي وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الاصمعي في كتاب المعمرين ومنهم سلمان الفارسي وقد اختلفوا في مدته كما هو مفصل في ترجمته وفي الحديث ما يدل على ان مدح الشعراء للاشراف غير منكر وهو وان الاحسان لمن مدحهم بعطية وجائزة أو بدعاء وجميل من القول سنة وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها في بعض كتبه ولولا خوف الاطالة أوردناها هنا (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابن عباس) في حديث صحيح رواه الشيخان وابن عباس هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له دون سائر بنيه وقوله (اللهم فقهه في الدين) معمول مقدر أي فقال أو قائلا الى آخره أي فهمه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقه اذا صار فقيها وفقه بمعنى فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فيخص به كما قال تعالى ليتفقهوا في الدين انتهى (وعلمه التأويل) أي التفسير وقد يفرق بينهما فيقال التفسير بيان معنى القرآن بما هو مأثور عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو كبار الصحابة والتأويل بيانه بما تقتضيه قواعد العربية وهو تفعيل من الاول بمعنى الرجوع الى الاصل ومنه الموئل لموضع الرجوع فهو رد الشيء الى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا فالعلم كقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والفعل كقوله
* وللنوى قبل يوم البين تأويل * وقوله تعالى يوم يأتي تأويله أي بيان غايته المقصودة منه وقوله ذلك خير وأحسن تأويلا بمعنى أحسن معنى وترجمة وقيل أحسن ثوابا في الآخرة فدعاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يعلمه الله الشريعة المحمدية وان يهديه للوقوف على معاني كلامه فأجاب الله دعاءه حتى كان معول الناس عليه في ذلك (فسمى بعد) بالبناء على الضم أي بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له أو بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم (الحبر) مفعول سمى وهو بكسر الحاء وفتحها ومعناه العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعده وأصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه ذهب حبره وسبره أي جماله وبهاؤه أي كان الصحابة وسائر الناس يسمونه بذلك لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم توفي وابن عباس ابن عشر أو ثلاث عشر أو خمس عشر سنة على اختلاف فيه (وترجمان القرآن) ترجمان بالضم كعنوان والفتح كزعفران وبفتح أوله وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام وللترجمة اطلاقات أخر وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى شبه اللف والنشر فان كونه حبر الامة ناظر لقوله فقهه في الدين وكونه ترجمان القرآن ناظر لعلم التأويل والتفسير ودعاؤه صلى الله تعالى

(ودعا لعبد الله بن جعفر) أي ابن أبي طالب (بالبركة في صفقة يمينه) أي تبايعه وسمى صفقة لوضع كل من البايعان يده في يد الآخر عرفا وعادة (فما اشترى شيأ الا ربح فيه) رواه البيهقي عن عمرو بن حريث (ودعا للمقداد) أي ابن الاسود (بالبركة فكان له) وفي نسخة صحيحة عنده (غرائر) بفتح الغين جمع غرارة بالكسر وهي جوالق (من المال) رواه البيهقي في الدلائل عن بضاعة بنت الزبير (ودعا بمثله) أي بمثل ما دعا للمقداد من البركة (لعروة ابن أبي الجعد) قال ابن المديني أخطأ من قال فيه عروة ابن الجعد وانما هو ابن أبي الجعد انتهى وهو صحابي مشهور وحديثه هذا رواه البخاري (قال) أي عروة كما رواه أحمد (فلقد كنت أقوم) أي أقف كما في نسخة (بالكناسة) بضم الكاف موضع أو سوق بالكوفة وكانوا يرمون فيه كناساتدورهم (فما أرجع) أي عنها (حتى أربح) بفتح الموحدة أي أستفيد أربعين ألفا يحتمل الدينار والدرهم (وقال البخاري في حديثه فكان) أي عروة (لو اشترى التراب) أي مثلا (ربح فيه وروى مثل

 هذا) أي الدعاء بالبركة (الغرقد) بغين معجمة فراء ساكنة (أيضا) قال الدلجي لا أدري من رواه (وندت) بنون وتشديد دال أي نفرت وذهبت على وجهها شاردة (له) أي الغرقد (ناقة فدعا) أي النبي عليه الصلاة والسلام على ما هو ظاهر الكلام

عليه وسلم لابن عباس وقع مرارا وروى من طرق صحيحة منها ما روى عنه انه قال أتى صلى الله تعالى عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءا أي ماء يتطهر به فقال من صنع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الى آخره قال ابن المنير مناسبة الدعاء له لما فعله انه يدل على ذكائه لعلمه بانه يحتاج لطلب الماء فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وفي المخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم بما صنعه وفي رواية علمه الكتاب وزدته علما وفهما ووضع يده الشريفة على كتفه وفي رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضمه لصدره وأول من لقبه بترجمان القرآن ابن مسعود وكان أعلم الناس بالفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها وكان يجلس لافادته فكان لا يسأل عن شيء الا وجد عنده علم منه كل ذلك ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي عن عمرو بن حريث (لعبد الله بن جعفر) بن أبي طالب بن عبد المطلب فعبد الله هاشمي مدني صحابي ولد بالحبشة وتوفي سنة تسعين أو ثمانين وروى عنه أحاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين وكان عبد الله ولده من أسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخاء (بالبركة) أي الزيادة والنماء (في صفقة يمينه) أي في بيعه وشرائه ومعاملته وسمى ذلك صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا يصفق أحدهم يده بيد الآخر والصفقة ضرب اليد بصوت وذكر اليمين لان الاكثر في الاخذ والعطاء بها تيمنا (فما اشترى شيأ الا ربح فيه) أي وجد فيه ربحا وفائدة (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي في الدلائل وأبو نعيم (للمقداد) بن الاسود والمقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة ويأتي انه اشتهر بابن الاسود لانه تربى في حجره وهو صحابي مشهور توفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه (بالبركة) أي الزيادة في ماله (فكان عنده غرائر من المال) ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له والغرائر جمع غرارة بكسر الغين المعجمة وهي معروفة وقال الجوهري أظنها معربة قال أبو نعيم قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من حجره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره بخبره فقال له أدخلت يدك في الحجر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد انتهى (ودعا بمثله) أي بمثل ما دعا للمقداد وغيره في حديث رواه البخاري والدارقطني وأحمد في مسنده (لعروة بن أبي الجعد) البارقي وقيل الازدي واختلف فيه فقيل عروة بن أبي الجعد وهو صحابي مشهور أخرج له الستة وأحمد وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال له بارق فنسبوا له وقيل من قال ابن الجعد فقد أخطأ وولاه عمر قضاء الكوفة (قال) عروة (فلقد كنت) جواب قسم مقدر (أقوم بالكناسة) بضم الكاف معناها القمامة ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة وقيل انه يجوز ان يراد حقيقته أي أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب في مثله وهو بعيد (فما أرجع) أي أعود من المحل الذي قمت فيه (حتى أربح أربعين ألفا) مما أبيعه وأشتريه (وقال البخاري فيه) أي في حديث عروة (فكان) عروة رضي الله تعالى عنه (لو اشترى التراب ربح فيه) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مثل هذا) أي مثل حديث عروة المذكور (لغرقدة أيضا) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وقاف ودال مهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاه وبه سمى بقيع الغرقد وهو مقبرة أهل المدينة وغرقدة صحابي يسمى أبا شبيب روى عنه ابنه (وندت له ناقة) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وندماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة بمعنى نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها وأصل معناه انفردت عن اندادها وهذا يختص بالابل ونحوها فلا يقال

(فجاءبها) وفي نسخة صحيحة فجاءبها (أعصار ريح) بالاضافة والاعصار بالكسر ريح عاصف يستدير في الارض ثم يسطع الى السماء مستديرا كالعمود (حتى ردها) أى الاعصار الناقة (عليه) أى على غرقد (ودعا لام أبى هريرة) أى بالهداية كما رواه مسلم وغيره (فاسلمت) فعن أبى هريرة قال دعوت أمى يوما الى الاسلام وهى مشركة فاسمعتنى فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أكره فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يارسول الله ادع الله أن يهدى أم أبى هريرة فقال اللهم اهدى أم أبى هريرة فخرجت مستبشرا بدعوته عليه السلام فلما صرت الى الباب فاذاهو مجاف فسمعت أمى خشف قدمى فقال مكانك ياأباهريرة وسمعت خضخضة الماء ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكى من الفرح فحمد الله وقال خيرا (ودعا على ان يكفى) بصيغة المفعول أى يحفظ (الحر والقر) بضم القاف وفتحها وتكسر البرد أوشديده أى شرهما (فكان) أى على (يلبس فى الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف ثياب الشتاء ولايصيبه) ويروى ولا يسيئه ويروى ولايسوءه (حرولابرد) أى مع اختلاف الاحوال والحديث رواه ابن ماجه والبيهقى

ندالرجل وليس ضميرا لغرقدة كما توهمه بعضهم (فجاءبها أعصار ريح) الاعصار بحروف مهملة ريح شديدة تثير غبارا ويرتفع الى السماء كأنها عمود وهى الزوابع وقيل ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق والمراد الاول هنا (حتى ردها) الاعصار (عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لغرقدة لايناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر ما قلناه وليس من هذا أيضا كما فى الشرح الجديد ماوقع فى غزوة بنى المصطلق لانها هاجت فيها ريح شديدة فاذتهم وكانت ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت ليلا فقال له صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت عظيم من الكفار وهو رفاعة بن زيد فقال بعض المنافقين أيزعم محمد انه يعلم الغيب وهو لايعلم مكان ناقته فاتاه جبريل وأخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الى آخر القصة اذليس فيها ان الريح ردت الناقة عليه فلعل المصنف وقف عليه من طريق آخر فيه رد الريح (ودعا) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم فيه انه دعا (لام أبى هريرة) رضى الله تعالى عنهما بان يهديها الله للاسلام وكانت مشركة (فاسلمت) وهداها الله للاسلام وحازت شرف الصحبة واسمها أميمة بنت صبيح بن الحرث بن دوس كما ذكره ابن بشكوال وأبوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفاء وقيل اسمها ميمونة وحكى القولين ابن الاثير فى أسد الغابة وأما أبو هريرة فقد تقدم الكلام على اسمه والخلاف فيه وكان رضى الله عنه حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فاسمعته مايكره فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يبكى وقال له انى كنت ادعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فاسمعتنى فيك ما أكره فادع الله ان يهديها فقال اللهم اهد أم أبى هريرة فخرج مستبشرا بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت مكانك ياأباهريرة فسمع صب الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت ياأباهريرة انى أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرحا وقال أبشر يارسول الله فقد أجيبت دعوتك وهدى الله تعالى أمى للاسلام فحمد الله تعالى فقال يارسول الله أدع الله أن يحببنى أنا وأمى الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك وحببهم لهما فكان لايسمع به أحد أو يراه الا أحبه كما ذكره مسلم والبيهقى فى دلائله (ودعا) صلى الله عليه وسلم (لعلى) بن أبى طالب فى حديث رواه البيهقى وابن ماجة بسند صحيح متصل بعلى رضى الله تعالى عنه (ان يكفى) بالبناء للمجهول أى أن يكفيه الله تعالى بفضله (الحر والقر) أى المهما وهو بفتح الخاء وتشديد الراء المهملتين وهو ضد البرد والحرارة سخونة تعرض للهواء من نحو الشمس والنار ومنها مايعرض للبدن من الطبيعة كحرارة المحموم والقر بضم القاف وتشديد الراء هو البرد ويخص ببرد الشتاء كما يخص الحر بحرارة الصيف وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج وأصله من القرار لان البرد يقتضى السكون والحر يقتضى الحركة كما قاله الراغب (فكان) على رضى الله تعالى عنه بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له (يلبس) فى زمن (الشتاء ثياب الصيف) الخفيفة كالقميص الواحد (وفى) زمن (الصيف ثياب الشتاء) وهى المضربات المحشوة والثياب الثخينة (ولايصيبه) أى لايجد ويحس (حر ولابرد) أى المهما ويقصد باظهار ذلك انه اختص بامر يخالف به غيره لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا كان لايضره شدة حر الصيف لاسيما فى الحجاز ولا شدة برد فصل الشتاء فغيره بالطريق الاولى وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم له بخيبر لما أصابه بها رمد شديد قال عبد الرحمن ابن أبى ليلى كان على رضى الله تعالى عنه يلبس فى الحر القباء المحشو والثخين ولايبالى بشدة الحر ويخرج فى البرد الشديد بثوب خفيف ولايبالى فسئل عن ذلك فقال انه صلى الله عليه وسلم أعطى الراية يوم خيبر أبابكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال

لاعطين

ودعا لفاطمة ابنته أن لا يجيعها) أي جوعا شديدا (قالت فما جعت بعد) أي بعد ذلك الدعاء أبدا رواه البيهقي عن عمران بن حصين (وسأله) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة (الطفيل) بالتصغير أي ابن عمرو كما في نسخة وهو ابن طريف الازدي الدوسي قتل يوم اليمامة وكان شريفا مطاعا في قومه روى أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة انه قال لما قال الطفيل ابن عمرو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان دوسا قد غلب عليهم الزنى والربا فادع الله عليهم قلنا هلكت دوس حتى قال عليه السلام اللهم أهد دوسا (آية) أي علامة تكون كرامة (لقومه) أي عندهم (فقال اللهم نور له فسطع) أي ظهر ولمع (له نور بين عينيه فقال يارب اني أخاف أن يقولوا مثلة) بضم الميم ويفتح ويكسر وسكون المثلثة أي تنكيل وعقوبة وهي مرفوعة وقيل منصوبة (فتحول) أي فاستجيب دعاؤه وانتقل ذلك النور (الى طرف سوطه فكان يضئ في الليلة المظلمة) وروى الظلماء (فسمى ذا النور) كالحسنين ابني علي وأسيد بن حضير وعباد ابن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان كل سمي بذلك واما ذو النورين فهو لقب عثمان لانه تزوج بنتين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث هذا رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي

لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه فدعاني واعطاني الراية وكان بي رمد فبكو فتفله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت لهما ألما بعد ذلك وانما دعا له برفع الحر والبرد مع ان ما له رضي الله تعالى عنه كان من الرمد ووجع العين لانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان رمده كان من زيادة الدم الذي حصل له من الحر فدعا له بدفع سببه وزاد عليه دفع ألم البرد لانه ضده فربما ذاه لقوته بعد دم ضده وروى يصيبه من الاسماء ونحوه من السوء بدل قوله يصيبه والمعنى واحد (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لفاطمة ابنته) رضي الله تعالى عنها في حديث رواه البيهقي عن عمران بن حصين (الله) مفعول دعا وفي نسخة بالله (ان لا يجيعها) أي ان لا يجعلها متألمة من الجوع وترك الطعام وأكله (قالت) فاطمة رضي الله تعالى عنها (فما جعت) بضم المتكلم (بعد) مبني على الضم أي بعد دعائه وبركته وقال عمران بن حصين كنت معه صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت لي ما جعت بعد يا عمران قال البيهقي بعد ما ذكر الحديث هذا كان قبل نزول آية الحجاب وذكر دفع الجوع عنها بعد دفع الحر والبرد عن علي لما بينهما من المناسبة مما لا يخفى (وسأله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي (الطفيل بن عمرو) بضم الطاء المهملة المشددة والفاء المفتوحة وسكون المثناة التحتية واللام كتصغير عقيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدي الدوسي ويقال له ذو النور وقتل في وقعة اليمامة وتقدم ان وقعتها كانت في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في عام اليرموك في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وهو من كبار الصحابة ومن أصحاب النور وهم ستة أسيد بن حضير بضم الهمزة وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان كما يأتي والطفيل هذا والحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم ولكل منهم قصة مذكورة في محلها (آية لقومه) مفعول سأل أي سأله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة تكون معه يؤمن بها قومه اذا دعاهم للاسلام وكان آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الهجرة ودعا قومه فلم يطيعوه فقال يارسول الله ان دوسا قد عصت وأبت فادع عليها فقالوا هلكت دوس ان دعا عليها فقال اللهم أهد دوسا فعلم ان الله تعالى سيهديهم ببركة دعائه فطلب الطفيل منه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية يهتدوا بها (فقال اللهم نور له) الضمير للطفيل أي اجعل معه نورا يكون آية لصدقه رضي الله عنه (فسطع له نور بين عينيه) أي ظهر بين عينيه نور ساطع وأصل معنى السطوع الارتفاع والظهور وهو المراد هنا (فقال) أي الطفيل لما علم بذلك النور الذي بين عينيه (يارب اني أخاف) من قومي اذا رأوا ذلك النور (ان يقولوا مثلة) خبر مبتدأ مقدر أي هو أو هذا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة ولام بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة الاصلية بقطع بعض الاعضاء وتسويد الوجه ونحوه وهذا هو المراد هنا أي خشي ان يعدوه عارا ويتوهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم نصبه وفتح ميمه وكسرها وهو تكلف لاداعي له (فتحول) ذلك النور (الى طرف سوطه) أي لما شكي الى الله تعالى منه فدعو وتضرع اليه انتقل ذلك النور من بين عينيه الى سوط كان معه والسوط في الاصل بمعنى الخلط فسمي به ما يعد للضرب من جلد ونحوه وهو معروف (فكان) أي سوطه (يضئ في الليلة المظلمة) كالشمع والمصباح (فسمى) الطفيل (ذا النور) أي صاحب النور لذلك وروى الظلماء بدل المظلمة ولا اشكال في شئ من هذا كما توهمه بعضهم وأغرب منه انه قال روي صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم

تكلم فى تأويله بخرافات لاينبغى تسويدها لوجه الصحف وقصة الطفيل كما نقله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان الطفيل سيدا مطاعا فى قومه وشاعرا بليغا فقدم مكة ومشى لقريش فقالوا له انك سيد قومك وانا نخشى ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصيبك فانه يفرق بين المرء وزوجه وولده فمازالوا يهونونى ويحذرونى منه حتى قلت لهم لا أدخل المسجد الاسادا أذنى فحشوتهما كرسفا أى قطنا ودخلت المسجد فاذا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائما يقرأ قريبا منى وأبى الله الا أن يسمعنى قوله فقلت فى نفسى ان هذا المعجز وأنا امرؤ ثبت لا يخفى على الحسن والقبيح والله لأسمعنه فان كان رشدا أخذته أوعناء تركته فنزعت مابأذنى واستمعت له فلم أسمع احسن وأحلى مما قاله فانتظرته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انصرف وتبعته فدخلت منزله معه وقلت له يامحمد ان قومك قالوا كذا وكذا وقد سمعت ماقلت ووقع فى نفسى انه حق فاعرض على دينك وماتأمر به وتنهى عنه ففعل فاسلمت ثم قلت يارسول الله انى راجع لدوس وأنا فيهم سيد مطاع وأنا داعيهم الى الاسلام فادع الله تعالى ان يجعل لى آية تكون عونا لى عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى أشرفت على حاضرة دوس ولى هناك أب شيخ كبير وامرأة وولد فلما علوت الثنية ظهر بين عينى نور كالشهاب فقلت اللهم فى غيره جهى فانى أخشى ان يظنوه مثلة لفراق دينهم فتحول فى رأس سوطى فلقد رأيتنى أسير وانه على رأس سوطى كأنه قنديل معلق فيه فلما قدمت عليهم أتانى أبى فقلت اليك عنى فلست منك ولست منى فانى أسلمت واتبعت دين محمد فقال أى بنى ان دينى دينك فاسلم وحسن اسلامه ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها كما قلت لابى فاسلمت وحسن اسلامها واغتسلت ثم دعوت دوسا فابت وتعاصت على فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمكة فقلت يارسول الله ان دوسا غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم فقال اللهم أهد دوسا فرجعت اليهم وأقمت بين ظهرانيهم أدعوهم الى الاسلام حتى استجاب لى منهم من استجاب ثم قدمت المدينة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أحد والخندق بثمانين أوسبعين من أهل بيتى حتى فتحت مكة وأرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحراق صنم عمرو بن حممة فاحرقه وأقام معه حتى قبض ثم بعثه أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى مسيلمة فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه كما تقدم (ودعا على مضر) أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى حديث صحيح رواه الشيخان والنسائى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمة سميت باسم الجد وهو مضر بن معد بن عدنان وفى وجه تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمراء وتسمى مضر ربيعة وقبيلة ربيعة الفرس لان نزارا أباهم أوصى لمضر بالذهب وهو وقد يؤنث فيوصف بالحمرة ويقال ذهب حمراء وأعطى ربيعة الخيل فقال لها ربيعة الخيل وكان شعارهم فى الحرب العمائم والرايات الحمر وشعار أهل اليمن الصفر وبه فسر قول أبى تمام فى الربيع

محمرة مصفرة فكأنها * عصب تيمن فى الوغى وتمضر

ومضر أبو قريش (فاقحطوا) بالبناء للمجهول أى أصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون وتهلك دوابهم ويجوز بناؤه للفاعل قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لاللتعدية (حتى استعطفته قريش) أى سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطف عليهم ويرحمهم بدفع القحط عنهم وماحل بهم من البلاء (فدعا) الله (لهم) ان يمطرهم ويزيل قحطهم (فسقوا) أى سقاهم الله تعالى عز وجل وأمطر أرضهم فزال عنهم القحط بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم سريعا وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فاقحطوا حتى أكلوا الجراد والدم والعظام

(ودعا على مضر) على وزن عمر وهم قبيلة (فاقحطوا) بصيغة المجهول أى فدخلوا فى القحط باحتباس المطر عنهم وانقطاع الخير منهم (حتى استعطفته قريش) أى طلبوا منه ان يعطف عليهم ويرحمهم (فدعا لهم) أى بالمطر (فسقوا) بصيغة المجهول أى فاعطوا مطرا فاخصبوا رواه النسائى عن ابن عباس والبيهقى عن ابن مسعود وأصله فى الصحيحين

فقال له أبو سفيان أو كعب بن مرة انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار فما لبث الا جمعة حتى مطروا كما رواه أبو نعيم في الدلائل (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (على كسرى) بكسر الكاف وقد تفتح كما مر وهو معرب خسرو وهو لقب لكل من ملك الفرس واسم هذا الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من أولاد أنوشروان وقيل ابرويز معناه المظفر وأنوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلي رحمه الله (حين مزق كتابه) الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليه يحثه فيه على الاسلام وسعادة الدارين وكان بعثه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة السهمي وقيل مع غيره فقطعه تحقيرا له وقيل جعله هدفا ورماه بالسهام حتى تمزق تحبرا منه وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له أرسله الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه وان كان الدعاء بعده حين بلغه خبره بعد زمان اما لان المراد زمان ممتد لان الحين يطلق على مطلق المدة كما في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر أو المراد حين بلغه تمزيقه ففيه تقدير فما قيل انه كان ينبغي ان يقول من أجل تمزيقه كتابه ليس بشئ (ان يمزق الله ملكه) معمول دعا أي بان يمزق الى آخره باهلاكه وانتقال ملكه لغيره فمزق كل ممزق (فلم يبق له) أي لكسرى أو لملكه (باقية) أي نفس باقية من عقبه أو هو مصدر بمعنى بقية وبقاء والمصدر يكون بوزن فاعلة قليلا (ولا بقيت لفارس) هو معرب بارس بالباء العجمية وتطلق على القبيلة وعلى بلادهم (رياسة) أي ملك ونفاذ كلمة (في اقطار الدنيا) وفي نسخة البلاد أي في جميع نواحيها فقطع الله دابرهم وأفناهم بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لما عصوه وتجبروا فلم يزل أمره في انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم مات ابنه بعده بزمن يسير ومالت دولتهم حتى انقرضوا كما فصل في التواريخ والحديث في البخاري والكلام عليه مبسوط في شروحه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أبو داود والبيهقي انه دعا (على صبي) صغير قال ابن حبان اسم الصبي يزيد بن بهرام وقيل انه لا يعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبي أظنه موضوعا لانه أشكل عليهم بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو صلى الله عليه وسلم عليه مع رأفته به وما أجاب به البرهان الحلبي من ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ بعد أحد كما قاله التقي السبكي أو بعد الهجرة كما قاله غيره أو هو من باب خطاب الوضع المتعلق بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على بعده وأبعد منه وأغرب ما قيل ان الله أطلعه صلى الله تعالى عليه وسلم على حال هذا الصبي وانه سيصير متعديا وانه لو لم يكن كذلك أضر بالناس فلذا دعا عليه كما أطلع الخضر عليه الصلاة والسلام على حال الغلام الذي قتله وانه لو عاش كان كافرا وقد قرر أئمة الحديث انه صلى الله عليه وسلم اذا ان يحكم بالباطن أحيانا كما يحكم بالظاهر وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد أفرده السيوطي بجزء ألفه فيه الا انه هنا تعسف لا يلتفت اليه (قطع عليه صلاته) بمروره بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وقطع الصلاة مجاز عن افسادها قبل تمامها حتى يحتاج للاعادة والمصلى اذا صلى في غير العمران يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور بينه وبين القبلة وينبغي ان تكون مرتفعة ارتفاعا ما فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن له سترة في هذه الصلاة أو كانت ومر الصبي بينه وبين السترة وحينئذ فلو مر انسان أو حيوان لا يقطع صلاته عند الجمهور من المحدثين والفقهاء ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه

(ودعا على كسرى) بكسر الكاف وتفتح لقب لكل ملك الفرس وهو هنا ابرويز بن هرمز قال الطبري وتفسيره المظفر بن هرمز بن نوشروان وتفسيره بالعربية مجدد الملك (حين مزق كتابه) بتشديد الزاي أي شقق مكتوبه (ان يمزق الله ملكه) أي يمزق الله ملكه فمزقه كل ممزق (فلم تبق له باقية) أي نفس باقية أو أثر وبقية قال السهيلي ولما دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وقع أمره في الانحطاط الى ان قتله ابن له يقال له شيرويه ومات ابنه الذي قتله بعد أبيه بزمن يسير وسببه ان ابرويز قيل له ان ابنك شيرويه يريد قتلك قال اذا قتلني فانا أقتله ففتح خزانة الادوية وكتب على حقة السم الدواء النافع للجماع وكان ابنه مولعا بالجماع فلما قتل أباه وفتح الخزانة ورأى تلك الحقة تناول منها فمات من ذلك ومات سائر أولاده وأكثر أقاربه بعد دعائه عليه الصلاة والسلام لستة أشهر ومالت عنهم الدولة حتى انقرضوا عن آخرهم (ولا بقيت لفارس) بكسر الراء مصروفا وممنوعا أي لاهل فارس (رياسة في سائر أقطار الدنيا) أي نواحيها رواه البخاري من طريق ابن عباس (ودعا على صبي قطع عليه) أي بمروره بين يديه (الصلاة) أي صلاته كما في نسخة

(ان يقطع الله أثره) ومن جملته مشى قدميه كما قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم (فاقعد) بصيغة المجهول أي صار مقعدا لا يستطيع
النهوض وفي رواية قطع صلاتنا قطع الله أثره وفي أصل الدلجي دابره بدل أثره فتكلف في وجهه بان الدابر في الاصل الآخر ومنه
قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم فلم يبق أحد منهم ثم استعير للزمانة كما يناسب سبب قوة مشيه هذا والحديث رواه
أبو داود والبيهقي ورواه ابن حبان عن سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن مهران يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت وقد ضعف عبد الحق وابن القطان اسناده وكذا ابن القيم وقال الذهبي أظن انه
موضوع ثم على تقدير ثبوته فيه اشكال وهو انه عليه الصلاة والسلام كيف يدعو على الصبي وهو غير مكلف

بالاحكام مع ان القاضي جزم بذلك في مقام المرام وجوابه نقل عن البيهقي في المعرفة ان الاحكام انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد الهجرة قال الحلبي وفي كلام السبكي انها انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد احكام ثم قال الحلبي أو يقال ان هذا من باب خطاب الوضع لانه اتلاف لا يشترط فيه التكليف انتهى وتبعه الانطاكي وقرره التلمساني وفيه ان الصلاة صحيحة بالاجماع فليس من الاتلاف بلا نزاع نعم اتلاف لكمال الحال في حضور البال وهو غير مقتض لهذا النكال ولذا قال الدلجي وأجيب هنا بما لا يشفي ثم أقول ولعل الصبي كان من أولاد الكفار وقد أمره أهله بان يقطع الصلاة على سيد الابرار

فاراهم صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة اظهار المعجزة ودفعا للدلالة أو كان الصبي مراهقا فطنه عليه الصلاة والسلام وليس
بالغا وفي قطعه قاصدا فتبين انه كان صبيا فاجرا أو يكون من باب قضية الخضر مع الصغير مكاشفا (وقال لرجل) هو بر بضم الموحدة
وسكون المهملة ابن راعي العير الاشجعي قيل كان منافقا (رآه يأكل بشماله) فقال له (كل بيمينك فقال لا أستطيع) أي ان آكل
بيميني لعذر بي (فقال لا استطعت) ان تأكل بيمينك دعاء عليه لكونه كاذبا فيما ادعاه (فلم يرفعها) أي يمينه بعد ذلك (الى فيه) أي
فمه لا عند أكله ولا في حال غيره والحديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع واستدل به على وجوب الاكل باليمين ولا دلالة فيه عند
المحققين

يقطعها لانه ورد في أحاديث صحيحة منها ما رواه أبو ذر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا قام أحدكم
يصلي بسترة ما يضعه بين يديه مثل آخرة الرحل فاذا لم يكن ذلك فانه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب
الاسود وخصه لانه ورد في الحديث الكلب الاسود شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه فقيل
انه منسوخ وقيل انه مؤول والمعنى يقطع خشوعه في صلاته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان
لا يشغله عن الله شئ فعله تشريعا للامة (ان يقطع الله أثره) معمول دعا أي دعا صلى الله تعالى عليه
وسلم على ذلك الصبي بان يقطع الله أثره والاثر بفتحتين ما يؤثره مشيه وغيره ويبقى بعده علامة عليه
وقطع الاثر يكنى به في الاكثر عن الفناء والذهاب بالكلية فيقال ما بقي له عين ولا أثر كما قيل

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من المشي فاذا انقطع مشيه انقطع أثره كما تقرر
ويجوز ان يراد المعنى الحقيقي فلذا قيل انه كناية لا مجاز كما أشار اليه بقوله (فاقعد) الصبي وصار مقعدا
زمنا لا يمكنه المشي ليبس أعصاب رجله التي يتحرك بها وروي ان يقطع الله دابره والدابر في الاصل
الآخر كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم فلم يبق منهم أحد فاستعير هنا للزمانة بان
يسلبه الله قوة مشيه وهذا رواه ابن حبان عن ابن مهران قال رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام
يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت
بعد وقد سمعت ما فيه (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله
عليه وسلم قال (لرجل) قال البرهان الحلبي اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون السين وراء مهملة
ومن أعجمه فقد صحف وهو بسر بن راعي العير الاشجعي (رآه يأكل بشماله كل بيمينك) ارشادا له للسنة
فان الاكل بغير اليمين مكروه وقوله كل الى آخره مقول القول (فقال لا أستطيع) أي لا أقدر على الاكل
بيميني (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا استطعت) بتاء الخطاب وهو دعاء عليه بان يسلبه الله
القدرة على الاكل باليمين (فلم يرفعها) أي يده اليمنى لانها مؤنثة سماعا أي لم يقدر بعد دعائه صلى الله
عليه وسلم عليه ان يرفع يده اليمنى (الى فيه) ويحركها لانها شلت وبطل عملها لانه صلى الله عليه وسلم
أمره بالتيمن وهو سنة بالاكل والشرب لقوله اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه
فلا يتركه الا لعذر وقد علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا عذر له وانه انما لم يمتثل أمره الا تكبرا ولذا قال
المصنف في شرح مسلم انه كان منافقا الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحتمل انه كان كذلك في أول
أمره ثم لما ظهرت له هذه الآية تاب وأخلص لله فلا اشكال فيه وما قيل من ان ترك المندوب لا يقتضي
استحقاق العقاب ليس بشئ لان مخالفة أمره صلى الله تعالى عليه وسلم مشافهة بغير عذر لا تجوز

(وقال لعتبة) بضم أوله وفي نسخة بالتصغير (ابن أبي لهب) أي ابن عبد المطلب بن هاشم (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد) أي ليلا وهو مسافر وقد جعله أصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم نائمين فافترسه رواه ابن اسحق عن عروة بن زبير عن هبار بن الاسود والحاكم من حديث أبي نوفل ابن أبي عقرب عن أبيه والبيهقي من طرق عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهم قال الحلبي واعلم ان عتبة أسلم يوم الفتح وكذا أخوه معتب ولم يهاجرا من مكة وهذا هو المشهور وبعضهم جعل هذا عقير الاسد وجعل عتيبة المصغر هو الذي أسلم وصحب والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي والله تعالى أعلم وسبب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ما روى عروة ابن الزبير ان عتبة ابن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد وهو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه أغيثونا يا معشر قريش فاني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله هذا وفي النسخ زيد هنا وقال (لامرأة أكلك الاسد فأكلها) قيل هذا بخطه ليس من الرواية (وحديثه المشهور) أي كما رواه الشيخان (من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش

وليس هذا الرجل جاهليا كما توهمه هذا القائل فخبط وخلط هنا على عادته وليس في قوله قال دون دعا اشارة لما توهمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الحاكم والبيهقي وابن اسحق من طرق صحيحة مسندة (لعتبة بن أبي لهب) اللهبي عدو الله ورسوله واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة أولاد عتبة وعتيبة بالتصغير ومعتب أسلم منهما اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقي واحد منهم على الكفر وهو عقير الاسد وكان عنده ابنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فطلقها وآذاه فدعا عليه بما يأتي فافترسه الاسد بالزرقاء من أرض الشام كما رواه الحاكم من حديث أبي نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال تجهز أبو لهب وابنه عتبة الى الشام فنزل بالسراة قريبا من صومعة راهب فقال لهم الراهب هذه ارض سباع فاحذروا على أنفسكم فقال أبو لهب لمن معه أنتم قد عرفتم سني وحقي فلو أجل فقال ان محمدا دعا على ابني فاجمعوا امتاعكم على هذه الصومعة وافترشوا لابني عليها وناموا حوله ففعلوا ونام عتبة فوق متاع عال فجاء أسد فشم وجوههم ووثب على عتبة فقطع رأسه وذهب قيل انه لم يأكله لما فيه من خبث الطوية ببغض خير البرية الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغر وان عتبة أسلم وحسن اسلامه فهو من كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال البرهان ان الذي في نسخ الشفاء بالتكبير وكذا صححه بعضهم وقال الذي أسلم عتيبة بالتصغير والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي كما في بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى فقد علمت الاختلاف فيه وفي النسخ والاصح منها (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) قال في حياة الحيوان الاسد يسمى كلبا لانه يشبهه في بعض أحواله ويرفع رجله اذا بال فلما أضاف الكلب الى العظيم علم انه أعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قاله الثعالبي والى ذلك أشار بقوله (فأكله الاسد) وفي دلائل النبوة للبيهقي كانت أم كلثوم ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية تحت عتبة بن أبي لهب وأختها رقية تحت أخيه عتيبة فلما انزل تبت يدا أبي لهب وتب قال أبو لهب لابنيه رأسي من رأسيكما حرام ان لم تطلقا ابنتي محمد وقالت أمهما حمالة الحطب مثله فطلقها عتيبة وأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له اني طلقت ابنتك فاني لا أحبك ولا تحبني وشق ازاره وسفه عليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط الى آخره ثم خرج في نفر من قريش الى الشام فكانت قصة الاسد وفي روايتها وتسمية ابنه اختلاف كما مر ولا خلاف في أصل القصة وقد ذكرها حسان رضي الله تعالى عنه في شعره (وقال) صلى الله عليه وسلم (لامرأة يا أكلك) وفي نسخة أكلك (الاسد فأكلها) الاسد قال البرهان الحلبي هذه المرأة لا أعرفها وذكر غيره انها بنت المطعم الانصارية فانها أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مولي ظهره الشمس فضربت منكبه فقال من هذا أكله الاسد فقالت أنا ابنة مطعم الطير ومباري الريح أبو ليل جئت لاعرض نفسي عليك لتتزوجني فقال قد فعلت فرجعت الى قومها وأخبرتهم الخبر فقالوا أنت امرأة غيرى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نساؤه فيدعو عليك فرجعت وقالت له أقلني فأقالها وتزوجت بغيره فبينما هي في حائط بالمدينة افترسها ذئب فالاسد هنا بمعنى الحيوان المفترس فلا يقال ان دعوته صلى الله عليه وسلم عليها لم تتحقق وهذا الحديث سقط من بعض النسخ (و) من ذلك (حديثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (المشهور) الذي رواه مسلم والبخاري (من عبد الله بن مسعود في دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش) قبل

حين وضعوا له السلا) بفتح المهملة مقصورا هو للبهيمة كالمشيمة لبني ادم وهي جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه قال الشمني ان سقطت عن وجه الفصيل ساعة ينتج والاقتلته وكذا اذا انقطع السلا في البطن فاذا خرج السلا سلمت الناقة وسلم الولد وان انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد وقيل يخرج بعد الولد (على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم) أي قريشا مجملا ومفصلا حيث قال اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة وأمثالهم (فقال) وفي نسخة وقال أي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) أي معظمهم فان أشقاهم عقبة بن أبي معيط الذي وضع على رقبته السلا حمل من بدر أسيرا فقتله علي بعرق الظبية بأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له مقفلهم من بدر الى المدينة ولعل الحكمة في تأخير الاشقى ليشاهد العقوبة في أصحابه في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى قال الحلبي وعمار بن الوليد لم يقتل ببدر أيضا وانما جرى له قصة مع النجاشي مشهورة وقد سحر فصار متوحشا وهلك على كفره بأرض الحبشة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (ودعا على الحكم بن أبي العاص) أي ابن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف وهو أبو مروان عم عثمان أسلم يوم الفتح وتوفي في خلافة عثمان (وكان يختلج بوجهه ويغمز) بكسر الميم (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يجلس خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا تكلم يحرك شفتيه وذقنه حكاية لفعله ويرمز مشيرا بعينه أو حاجبه (أي لا) أي أراد به رد الكلام استهزاء وسخرية (فرآه) أي النبي عليه الصلاة والسلام مرة

الهجرة بمكة (حين وضعوا) أي حين اذ وضع بعض منهم فهو من اضافة ما للبعض الى الكل (السلا) بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصورا وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من المرأة وفي النهاية الاول أشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو لو اشئ ان نزع عنه ساعة يولد بقي حيا والاهلك وكذا اذا انقطع في البطن ويقال للولد بعينه سلا أيضا تسمية له باسم محله ويكون فيه دم ونحوه (على رقبته) الشريفة والرقبة مؤخر أصل العنق عند الكتفين (وهو ساجد) عند البيت في صلاته والجملة حالية (مع الفرث والدم) حال من السلا والفرث بالفاء وراء مهملة وثاء مثلثة هو السرجين مادام في الكرش (وسماهم) فاعل سمى ضمير ابن مسعود وضمير المفعول لقريش وهو يدل على ان المراد بعضهم لا الجميع كما أشرنا اليه وهم المستهزؤن المذكورون في الآية وكانوا سبعة كما تقدم ويحتمل ان فاعل سمى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي صرح به سياق أهل الحديث (فقال) أي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) فأجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم وحديث ابن مسعود هذا في الصحيحين كما مر قال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس فقال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به وانتظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سجد فجعله بين كتفيه وأنا أنظر فجعلوا يضحكون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فطرحته عنه فرفع صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بأبي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد وعدهم والذي جاء بالسلا وألقاه عقبة وهو أشقاهم لمباشرته الفعل كأشقى ثمود والكلام على الحديث مفصل في شروح البخاري وأما استمراره صلى الله تعالى عليه وسلم في سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلاة فقد أجابوا عنه بأجوبة منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرها حتى يتحقق نجاستها وكان هذا في آخر الصلاة فلا يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة وتحقق شروط الصلاة المفروضة ثم انه قيل انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ولم يلقوا في قليبها فان عقبة بن أبي معيط أسر ببدر ثم قتله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مرحلة منها وعمارة بن الوليد مات بالحبشة فقيل انه باعتبار أكثرهم وغالبهم على ما فيه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي مسندا من طرق صحيحة (على الحكم ابن أبي العاص) بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموي وهو أبو مروان وعم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو ممن أسلم في الفتح (وكان) أي الحكم (يختلج بوجهه) أي يحرك وجهه وبعضه كحاجبيه وعينيه (ويغمز) بعينيه أي يحركهما مشيرا بهما وهو جالس (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا باشارته وغمزه لمن يراه ممن المنافقين ونحوهم ان ما حدث به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا أصل له كما أشار اليه بقوله (أي لا) فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا العيب كما قيل لانه غير مناسب هنا وان كان ورد بهذا المعنى في اللغة فلا وجه لتفسير يغمز بيعيب لانه كان يخبر المنافقين بأسراره صلى الله تعالى عليه وسلم والا لما قيل انه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله صلى الله تعالى عليه وسلم (فرآه) صلى الله

تعالى

(فقال كن كذلك) وفي نسخة صحيحة كن (فلم يزل يختلج) أي يرتعد ويضطرب (الى ان مات) رواه البيهقي من طرق عن عبد الرحمن
ابن أبي بكر وعن ابن أبي عمرو عن هند بن خديجة وفي رواية فضربه فصرع شهرين ثم أفاق مختلجا قد أخذ لحمه بقوته وقيل مرتعشا
وقال التلمساني قوله يغمز اما يعيب لانه كان يخبر المنافقين بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لانه كان يحكي فعله صلى الله عليه وسلم
في مشيه وأمره ونحوه أولا بالفتح وتشديد الواو خلاف الاخير وروي أي لا باي التفسير يه ولا النافية فعلى الاول
معناه كان يختلج أولا قبل الدعوة ثم اختلج ثانيا بها ومعناه انه كان صحيحا ثم هلك بالدعوة فهو مفعول يختلج أي يختلج أولا أي قبل الدعوة ويجوز ان يريد بالاول زمن الصحة وبالثاني زمن السقم فيكون خبرا لكان أو مفعول يختلج أو أولا يشير الى ما كان عليه من الاستهزاء فكنى باولا عنه لان فعله انما كان عن جهالة ولا يخرجه ذلك عن عداد الصحابة فقد ذكر فيهم وعلى الثاني تفسير لفعله وحذف ما بعدها تشنيعا لذكره لان ذكر مثل هذا لا يليق لان فيه تنقيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه لا يكون كذلك الاولى أو الاحق وماشا كل هذا بموطن أو موطنين في غيبته أو حضوره والله تعالى أعلم (ودعا على محلم) بكسر اللام المشددة (ابن جثامة) بفتح الجيم

وتشديد المثلثة (فمات) في حمص أيام ابن الزبير على ما قاله السهيلي (لسبع) أي بعد سبعة أيام (فلفظته
الارض) بفتح الفاء واعجام الظاء أي قذفته الارض ورمته على ظهرها بعد دفنه في بطنها وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما
لفظته الارض ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن أراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين سوحي جبل فاكلته السباع والسوح هو
الشق (ثم ووري) بضم أوله مجهول واري أي ستر تحت الارض (فلفظته مرات) ظرف للفعلين (فالقوه) بفتح القاف أي رموه (بين
صدين) بفتح الصاد وبضم جبلين أو واديين

تعالى عليه وسلم وهو يختلج (فقال) له (كن كذلك) دعا عليه بان لا يزال وجهه يختلج وفي نسخة كذلك
كن (فلم يزل يختلج الى ان مات) بدعائه وكان موته في خلافة عثمان قبل فتنته والقيام عليه باشهر وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه من المدينة ونفاه الى الطائف ومعه ابنه مروان وقيل ان مروان ولد
بالطائف فلم يزل بها الى ان رده عثمان في خلافته فكان سبب رده وابنه ما كان ولما توفي رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عثمان أبا بكر رضي الله تعالى عنه في رده فقال ما كنت لارد من نفاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رده فوعدني به فقال
أبو بكر رضي الله تعالى عنه اني لم أسمع ذلك ولم تكن معه بينة ثم لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه سأله ذلك فقال كما قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما تولى عثمان بن عفان رضي الله
تعالى عنه عمل بعلمه ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن بسببه في خلافته كما تزعم الشيعة مع
انه رضي الله تعالى عنه علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف في سبب نفيه فقيل انه كان
يستخفي ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكبار الصحابة في أمر المشركين والمنافقين
فيخبرهم به وقيل انه كان يحاكي مشي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحركاته فيفعل مثلها
ويتغامز في مجلسه كما مر فلما علم ذلك منه نفاه وروي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها انها قالت
لمروان لما قال في حق أخيها عبد الرحمن ما قال أما أنت فاشهد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن
أباك وأنت في صلبه تشير الى ما روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل
عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم فلذا قيل

فليت عثمان لم يحكم بعودته * رضي بما حكم الصديق في الحكم

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي وابن جرير موصولا عن ابن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنهما قال بلغنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا (على محلم) بميم مضمومة وحاء مهملة
مفتوحة ولام مشددة مكسورة فميم (ابن جثامة) بضم الجيم وتشديد الثاء المثلثة وألف وميم وهاء واسمه
جثامة بن بدر بن قيس بن ربيعة الكناني الليثي أخو الصعب قيل انه نزل فيه اذا ضربتم في سبيل الله
الآية كما يأتي (فمات) أي محلم هلك عقب دعائه عليه (لسبع) أي عند سبع أو بعد سبع ليال من
دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال السهيلي انه مات بحمص أيام ابن
الزبير وسيأتي مثله وبينهما بون بعيد كما قاله البرهان الحلبي (فلفظته الارض) أي قذفته وطرحته
وأخرجته من بطنها العدم قبوله وهذا مما شوهد كثيرا وورد في الحديث يبقى في كل أرض شرار أهلها
تلفظهم أرضوهم (ثم ووري) بواوين مضمومة فساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية أي ستر وغطي
وغيب فهو مجهول وأراه اذا غيبه (فلفظته) الارض (مرات) فكانوا كلما دفنوه أصبحوا رأوه فوق
الارض تفضيحا له واشارة الى انه من الاشرار فعجزوا (فالقوه) أي أقوا بدنه عيانا (بين صدين) مثنى

صد بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال المهملتين وهو ناحية الوادى أو الشعب أو الجبل (ورضموا عليه الحجارة) رضم بفتح الراء المهملة والضاد المعجمة ومنه من الرضم بالفتح والسكون وهو وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء والصد بالضم والفتح جانب الوادى وهو الارض الواسعة وهذا أحد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعائه عليه الصلاة والسلام انه بعثه فى سرية أمر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فمات فلفظته الارض مرات فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن أراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين صوحى جبل حتى أكلته السباع قال الزبيدى الصوح الشق قال التلمسانى والذى رواه ابن عبد البر مسندا الى القعقاع عن أبيه انه قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية الى أضم فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبرناه نزل يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا الآية وقد قيل ان الملفوظ غير محلم بن جثامة وان محلما نزل حمص اومات بها فى زمن ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما ولهم اختلاف فى سبب نزول الآية المذكورة وفيمن نزلت على أقوال كثيرة وقد اختلف فى محلم هذا بعد تحقق اسلامه وصحبته هل كان منافقا أم لا (وجحده) صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل بيع فرس) أى أنكره وكان اشتراها منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل اعرابى يسمى سواد بن قيس وقيل ابن الحارث وهو صحابى والفرس المرتجز كما قاله الجوهرى وقيل الطرف بكسر الطاء المهملة وقيل النجيب (وهى) أى هذه الفرس (التى شهدت فيها) أى بيعتها (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خزيمة) بخاء وزاى معجمتين ويقال اسمه أبو خزيمة وهو صحابى مشهور وقتل بصفين مع على رضى الله تعالى عنهما سنة سبع وثلاثين ولما شهد له قبل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه رضى الله تعالى عنه (فرد الفرس) بالنصب مفعول رد (بعد) مبنى على الضم أى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هو فاعل (رد على الرجل) الذى جحد البيع وهو متعلق برد وانما ردها صلى الله تعالى عليه وسلم تعففا منه وتكرما (وقال) اذ ردها (اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) أى لا تجعل له بركة فى فرسه (فاصبحت) أى الفرس (شاصية برجلها) الباء زائدة وشاصية بشين معجمة وألف وصاد مهملة ومثناة تحتية وهاء (أى رافعة) رجلها والمراد ان رجلها مرفوعة والاسناد مجازى وارتفاع رجلها كناية عن انها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة كما يشاهد فى الجيف بعد أيام يقال شصا الميت اذا انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله أهل اللغة ووقوع مثله عادة لا يكون الا بعد أيام فوقوعه بسرعة من الآيات أيضا وحاصل قصة خزيمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابتاع الفرس من ذلك الاعرابى وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس يساومونه ويزيدون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشعر فناداه الاعرابى ان كنت مبتاعا الفرس والا بعته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد ابتعته فقال هلم شاهدا فقال خزيمة أنا أشهد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أحضرتنا فقال بابى أنت وأمى أنا أصدقك فى أخبار السماء أفلا أصدقك فى ابتياع فرس فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان كلام الاعرابى قبل اسلامه أو قبل خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق (وهذا الباب) أى باب دعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجابة دعائه وقع كثيرا وروى فى أحاديث كثيرة (أكثر من أن يحاط به) أى لا يمكن أحد من علماء هذه الامة ان يعلم جميع دعواته صلى الله تعالى عليه وسلم فانها كثيرة جدا وما نقله المصنف رحمه الله تعالى منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا ويحصل به اليقين لمن كان من المؤمنين وقوله أكثر

(ورضموا عليه) بفتح الراء والضاد المعجمة أى كوموا عليه (بالحجارة) رواه البيهقى عن قبيصة بن ذؤيب وابن جرير موصولا عن ابن عمر وقال الحسن بلغنى انه دعا الحديث وسبب دعائه على محلم انه كان بعث سرية للغزو فيها محلم فامر عليهم عامر بن الاضبط فلما بلغوا بطن واد قتل محلم عامرا غدرا فجرى ما جرى (وجحده رجل) أى من الصحابة على ما ذكره الدلجى ولعله كان منافقا (بيع فرس) أى أنكره (وهى) القصة (التى شهد فيها خزيمة) بالتصغير (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بانه اشتراه منه مع أنه لم يره وجعل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وحدها مقبولة عن اثنين (فرد الفرس بعد) بالضم أى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل) والمعنى فرد على الرجل فرسه (وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) أى فرسه (فاصبحت شاصية برجلها) أى رافعة من سبب نفخها شصا بصره أى شخص (وهذا الباب أكثر من ان يحاط به) أى بجميع فصوله من فروعه وأصوله

من

(فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان) أي بتحولها وتغيرها عن حالتها الاولى له (فيما لمسه أو باشره صلى الله تعالى عليه وسلم) والكرامة اسم من الاكرام (انا) أي أخبرنا كما في نسخة (أحمد بن محمد) أي ابن غلبون ١٣١ الخولاني (ثنا) أي حدثنا (أبو ذر الهروي اجازة وثنا القاضي أبو على سماعا) تقدم انه الحافظ ابن سكرة (والقاضي أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) أي وغير القاضيين أيضا (قالوا) أي جميعهم (حدثنا أبو الوليد القاضي ثنا أبو ذر الهروي) سبق (ثنا أبو محمد) وهو السرخسي (وأبو اسحق) وهو المستملي (وأبو الهيثم) وهو الكشميهني (قالوا) أي الثلاثة (ثنا الفربري) بكسر ففتح على الاشهر (ثنا البخاري) أي صاحب الجامع الصحيح (ثنا يزيد بن زريع) بالتصغير وهو أبو معاوية البصري الحافظ قال الحلبي وقد سقط واحد بين البخاري وبين يزيد ابن زريع فان يزيد ابن زريع ليس شيخا للبخاري وانما هو شيخ شيوخه والساقط هو عبد الاعلى بن حماد وقد أخرج البخاري هذا الحديث الذي ذكره القاضي في كتاب الجهاد عن عبد الاعلى بن حماد عن يزيد بن زريع بالسند الذي ساقه القاضي قال الحجازي وكذا وجدته في النسخة المعتمدة انتهى وعبد الاعلى هذا روى عن الحماد بن مالك وعنه الشيخان وأبو داود وأبو يعلى والبغوي (ثنا سعيد) أي ابن أبي عروبة (عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل المدينة فزعوا) بكسر الزاي أي خافوا واستغاثوا (مرة) أي وقتا من الاوقات (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قبل الناس حين خرج من المدينة

من أن يحاط به كقولهم أكثر من ان تحصى ومثله كثير وتأويله مشهور فان ظاهره غير مراد اذ لا يعني انه أكثر من الاحاطة وقد بينوه في محله حتى أفرده بعض فضلاء العصر بجزء مستقل والاحاطة بالشيء معناها استقصاء جميع أفراده ۞ (تنبيه) ۞ ان الدعاء معناه التضرع الى الله تعالى في جلب ما ينفع ودفع ما يضر وقد قيل اذا كان كل شيء بقضاء وقدره وقد جف القلم فما فائدة الدعاء وأجيب بانه أمر تعبدي محافظة على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعاء موقوفا عليه كما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن أنكر الدعاء وقال انه لا فائدة فيه فقد ضل عن سواء السبيل فاعرفه

۞ (فصل في كراماته) ۞ صلى الله تعالى عليه وسلم أي ما أكرمه الله تعالى سبحانه به من الامور الخارقة للعادة والكرامة أعم من المعجزة فان المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدي بالفعل أو بالقوة والكرامة لا يشترط فيها ذلك ويكون للنبي وغيره من أولياء الله تعالى سبحانه وان غلب في العرف جعل الكرامة للولي والمعجزة للنبي الا انه لا تختص بذلك على ما عرف وما كان منها قبل النبوة للنبي يسمى ارهاصا لانه تأسيس للنبوة ومقدمة لها (وبركاته) أي ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته من الخوارق (وانقلاب الاعيان) أي تبدل حقيقتها وماهيتها او صورتها وذلك جائز وواقع على الاصح وليس بممتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على هذا وان كان أعظمه فالاولى الاحسن ان يقول في كراماته بانقلاب الاعيان ليس بظاهره الاعيان جمع عين وهي الذات (فيما لمسه) صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة (أو باشره) المباشرة ان يلي الامر بنفسه فهي أعم من اللمس واللمس والمس متقاربان (أخبرنا أحمد بن محمد) بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني شيخ المصنف رحمه الله توفي سنة ثمان وخمس مائة وكان في الحديث وسائر الفنون امام عصره قال (حدثنا أبو ذر الهروي) تقدم بيان ترجمته (اجازة وحدثنا القاضي أبو على سماعا) أبو على هو ابن سكرة السابق ترجمته (والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم (قالوا حدثنا أبو الوليد القاضي) الباجي الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا أبو ذر) يعني الهروي المتقدم قال (حدثنا أبو محمد) السرخسي المتقدم (وأبو اسحق) المستملي المتقدم (وأبو الهيثم) الكشميهني المشهور (قالوا حدثنا الفربري) تقدم بيانه ونعته ونسبته قال (حدثنا البخاري) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا يزيد بن زريع) بالتصغير أبو معاوية البصري ولد سنة احدى ومائة ومات سنة ست وثمانين ومائة كذا في النسخ هنا وصوابه حدثنا البخاري حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد ابن زريع وهكذا هو في صحيح البخاري فسقط منه راو من قلم المصنف قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة كما تقدم وفي نسخة عن سعيد (عن قتادة) تقدمت ترجمته (عن أنس بن مالك) الصحابي المشهور (ان أهل المدينة فزعوا مرة) أي وقع بهم فزع بفتح الفاء والزاي المعجمة والعين المهملة قال المبرد في الكامل الفزع في كلام العرب على وجهين أحدهما الخوف والذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ يقال فزع وأفزع وهو من الاضداد قال زهير

اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم ۞ طوال رماح لا ضعاف ولا عزل

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع والمراد هنا الاول أي وقع خوف استصرخوا بسببه وهو أشهر معنييه (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمع

(فرسا لابى طلحة) أى مستعارا منه (كان) أى الفرس (يقطف) بضم الطاء ويكسر أى يقارب خطوه فى سرعة وزيد فى أصل الدلجى به فقال أى بابى طلحة (أو به قطوف) بضم أوله شك ممن رواه عن أنس ذكر الدلجى أو ممن بعده قال الجوهرى القطوف من الدواب البطئ وقال أبو زيد هو الضيق المشى وقد قطفت الدابة قطفا والاسم القطاف (وقال غيره) أى غير أنس (يبطأ) بفتح الطاء المهملة المشددة فهمزة أى اضيق الخطى وهو من البطئ وعند الطبرى ثبطا أى ثقيلا وقال أبو عبيد فى قوله تعالى فثبطهم أى عوقهم (فلما رجع) أى من الفزع الى المدينة ولم ير بأسا (قال) أى لابى طلحة (وجدنا فرسك بحرا) أى واسع الجرى سريع العدو (فكان) أى ذلك الفرس (بعد) أى بعد ركوبه أو قوله هذا (لايجارى) بضم الياء وفتح الراء من الجرى بالجيم أى لايسابق ولايبارى والمعنى لايسبقه غيره حينئذ (ونخس جمل جابر) بالنون والخاء المعجمة المفتوحتين أى طعنه عند دبره أو جنبه بمحجن أو نحوه (وكان) أى الجمل (قد أعيى) أى عجز عن المشى وتعب عن السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة وفى مضارعه بفتحها أى خف وأسرع وفى النهاية وكثيرا مايجئ فى الرواية انشط وليس بصحيح (حتى كان) أى انتهى نشاطى الى ان صار جابر (مايملك) ويروى لايملك (زمامه) رواه الشيخان

صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا هجم عليهم فسبق الناس كلهم الى الجانب الذى سمع منه الصوت ورأى الناس فى رجوعه فقال لهم لن تراعوا وهو راكب (فرسا لابى طلحة) ركبها عريا من غير سرج عليه وأبو طلحة هو زيد بن سهل الانصارى النجارى الصحابى البدرى وهو أحد النقباء ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم وروى عنه أحاديث كثيرة وتوفى سنة أربع وثلاثين من هجرته (كان يقطف أو به قطاف) بكسر القاف وبالطاء المهملة والفاء والشك فيه من الراوى قال البرهان يقطف بضم الطاء فى قولهم تقطف الدابة بمعنى تبطئ واما من قطف العنب فبكسر الطاء كما قاله الزمخشرى والقطاف بكسر القاف الاسم منه وقال الجوهرى المقطوف فى الدواب البطئ وقال أبو زيد الضيق المشى وهما متقاربان ويوصف به الانسان والخيل وهو عيب فى الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف (وقال غيره) أى غير أنس (يبطأ) مكان يقطف بمثناة تحتية مضمومة وباء موحدة مفتوحة وطاء مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطأ والبطؤ ضيق الخطا فهو قريب من الرواية الاولى والظاهر ان المراد به هنا انه كان يوصف بالبطؤ وينسب اليه ذلك وهو مبنى للمجهول (فلما رجع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الفزع ولقى أباطلحة (قال) له (وجدنا فرسك بحرا) أى كالبحر فى شدة جريه وعدوه بسهولته وهو استعارة تصريحية كما يقال تبحر فلان فى علمه أى توسع (فكان) ذلك الفرس (بعد) مبنى على الضم أى بعد قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له ذلك ببركته (لايجارى) مبنى للمجهول مفاعلة من الجرى وهو مما يوصف به الماء والحيوان أيضا فهو تجريد شبه بالترشيح وفيه مبالغة والمعنى لايسبق فكأنه لذلك لايجاريه أحد بقرينة السياق وهذا الحديث رواه البخارى والكلام عليه مفصل فى شروحه وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا (و) مما رواه الشيخان من هذا النوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نخس جمل جابر) بن عبدالله الانصارى الصحابى المعروف رضى الله تعالى عنهما ونخس بخاء معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه فى جنبه أو نحوه بعود أو نحوه وكان ذلك بمحجن فى يده الشريفة (وكان) ذلك الجمل (قد أعيى) أى تعب وقلت حركته من السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة فى الماضى وفتحها فى المضارع أى أسرع فى السير وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب اعياؤه فابدا قوة وسرعة وفى النهاية روى كثيرا انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها وفى الحديث كأنما نشط من عقال ونشطت الدلو اذا جذبتها بقوة انتهى يعنى ان الصواب هنا انشط من المزيد وأصل معناه الجذب بسرعة واذا صحت الرواية بخلافه فكيف يقال انه غير صواب ولايخفى انه استعارة فيجوز ان يستعار من نشط الدلو اذا نزعها فشبه الجمل بدلو فى بئر وشبه نخسه له حتى جد فى سيره باخراجه من البئر كأنه جذبه وأبدا قوته التى لم تكن ظاهرة فيه (حتى كان) أى جابر أو الجمل (لايملك زمامه) الزمام مقود الجمل ويملك يجوز بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر وللمجهول فهو للجمل ومعناه انه لايقدر على ضبطه وحبسه لانه اشدة نشاطه يجذبه من يده وينازعه فيه والحديث كما فى الصحيحين قال جابر رضى الله تعالى عنه انه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة فابطأ به جمله ومر به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماشانك فقال له ابطأ بى جملى وأعيى فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب قال فصار لايقدر على كفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انه اشتراه منه ثم وهبه له كما فصل قصته فى الحديث وشروحه وفى ثمنه اختلاف أيضا وفيه من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولطف معاملته مع أصحابه وكرمه

وكرمه مما لا يخفى وهذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع كما في شرح البخاري (وصنع مثل ذلك) أي مثل ماصنع مع جابر رضي الله تعالى عنه في حديث البيهقي (بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة وياء تصغير ولام وهو جعيل بن زياد وقيل انه سمرة الصحابي الكوفي وقيل اسمه جعال (الاشجعي) بشين معجمة وجيم وعين مهملة نسبة لاشجع وهي قبيلة وحديثه هذا رواه عنه عبد الله بن أبي الجعد قال كنت في بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة في أخريات الناس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك فقلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت في يده وقال بارك الله لك فيها قال فلقد رأيتني أول الناس ما أملك رأسها وبعت من بطنها عدة كثيرة واليه أشار بقوله (خفقها) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي ضربها (بمخفقة) كانت (معه) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف وهاء اسم آلة من الخفق وهي الدرة وقيل انها عصا والخفق الضرب ومنه خفق الطائر بجناحه وخفقان القلب والخافقان كله يرجع لهذا (وبرك عليها) بالتشديد تفعيل من البركة أي دعا مرارا بالبركة فيها (فلم يملك رأسها) أي لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له وهذا من قولهم ملك العجين اذا عجنه بقوة والملك مأخوذ من هذا وهو حقيقته (نشاطا) أي من شدة نشاطها (وباع من بطنها) أي مما ولدته وحصل من نسلها الخارج من بطنها والبطن حقيقة الجوف ثم شاع في الولد والنسل (باثنى عشر ألفا) وهذه بركة عظيمة لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله كان عنده منها بطون متعددة تتناسل فيكون ذلك ولدها وولد أولادها وفيه لف ونشر فقوله يملك ناظر لقوله خفقها وقوله وباع الى آخره ناظر لقوله وبرك عليها وهو ظاهر وهذا رواه النسائي وابن عبد البر في الاستيعاب (و) في حديث رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ركب حمارا قطوفا) قليل السير متقارب الخطا (لسعد بن عبادة) الانصاري سيدهم المشهور (فرده) أي أعاده صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبه بعدما ركبه أو معناه صيره لان رد يكون بمعناها ويعمل عملها كما صرحوا به فعلى الاول ما بعده حال وعلى الثاني مفعول ثان (هملاجا) بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسي معرب وهو من البراذين ما يسرع مشيه ويكثر نقله على هيئة مخصوصة والعامة يسمونه رهوان (لا يساير) مبني للمجهول أي يسبق كل ما سار معه فعبر بما ذكر مبالغة كما مر في قوله لا يجارى (و) روى البيهقي انه (كانت شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما (في قلنسوة خالد بن الوليد) أي انه رضي الله تعالى عنه وضعها في داخل قلنسوته تيمنا بها والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم السين وفتح الواو وقيل هاء ثم ما يوضع على الرأس وهي معروفة ويقال قلنسية كما في الصحاح (فلم يشهد بها) أي لم يحضر (قتالا) وحربا فقاتل فيه (الا رزق النصر) أي الا نصره الله تعالى على أعدائه فيقتلهم أو يهزمهم ببركة تلك الشعرات التي كانت في قلنسوته وجملة الا رزق الى آخره حال مستثناة استثناء مفرغا من أعم الاحوال وحكى ابن العديم ان ابن أبي طاهر العلوي كان عنده أربعة عشر شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه ان بعض أمراء حلب يحب العلويين وله كرم فارتحل له وأهدى تلك الشعرات له فاكرمه ثم أتاه بعد أيام فعبس في وجهه ولم يلتفت اليه فسأله عن السبب فقال له قال لي فلان ان هذه الشعرات لا أصل لها فسأله احضارها فاحضرت فطلب منه نارا وقدة فأتى بها فرمى شعرات منها في النار فلم تحترق بل صارت أحسن مما كانت فقبل رجله وأنعم عليه بنعم لا تحصى وأكرمه غاية الاكرام (وفي الصحيح) أي في

(وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة فتحتية ساكنة (الاشجعي خفقها) أي ضربها (بمخفقة) بكسر الميم وفتح الفاء أي بدرة (معه وبرك عليها) بتشديد الراء أي دعا بالبركة لها (فلم يملك) أي جعيل بعد ذلك (رأسها نشاطا) بفتح النون أي من أجل اسراعها (باع من نسلها) وفي نسخة من بطنها (باثنى عشر ألفا) وهذا من أثر دعائه بالبركة لها وما قبله من أثر ضربه وتوجهه اليها فهما نشر واقع مرتب لما قبلهما رواه البيهقي (وركب حمارا قطوفا) بفتح القاف (لسعد بن عبادة فرده) أي من محله الذي انتهى اليه أو من وصفه الذي كان عليه (هملاجا) بكسر فسكون ثم جيم أي سريع الهرولة فارسي معرب ويسمى الآن رهوانا (لا يساير) بصيغة المفعول أي لا تسايره دابة الا سبقها رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله ابن أبي طلحة (وكانت شعرات من شعره) بفتح العين ويسكن أي من شعراته كما في نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم (في قلنسوة خالد بن الوليد) بفتح القاف واللام وضم السين ما يوضع على الرأس مثل الكوفية (فلم يشهد بها) أي فلم يحضر خالد بتلك القلنسوة (قتالا الا رزق النصر) بصيغة المفعول ونصب النصر أي أعطى الفتح والظفر رواه البيهقي (وفي الصحيح) أي من رواية مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه

(عن اسماء بنت أبى بكر) أى الصديق رضى الله تعالى عنهما (انها أخرجت جبة طيالسة) بالاضافة كما فى شرح مسلم للنووى وفى
نسخة بالوصف جمع طيلسان بفتح اللام ويثلث فارسى معرب وفى نسخة طيالسية بزيادة تحتية وفسرت بالخلق وهو امامن أصلها
واما المطر أعليها الان هذه الجبة صارت بيد أسماء بعد موت اختها عائشة وهى ماتت بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بنحو خمس وأربعين
سنة وفسرت بالاكسية
وبالخضراء ثم طيالسة
بالتنوين لانها فى زنة
رفاهية وثمانية (وقالت)
أى أسماء (ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يلبسها) بفتح
الموحدة (فنحن نغسلها
للمرضى يستشفى بها)
جملة حالية أو مستأنفة
مبينة وهى بصيغة
المفعول وفى نسخة
بصيغة المتكلم هذا وقال
المصنف (وحدثنا
القاضى أبو على) وهو
ابن سكرة (عن شيخه
أبى القاسم ابن الميمون)
أخذ عن أبى محمد الباجى
(قالت كانت عندنا
قصعة) بفتح القاف
ومن اغالف كلام
أرباب اللغة لاتفتح
الجراب ولاتكسر
القصعة (من قصاع
النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم) بكسر القاف جمع
(فكنا نجعل فيها الماء
للمرضى يستشفون) وفى
نسخة فيستشفون (بها)
أى فيشفيهم الله تعالى
ببركة نبيها (فاخذ جهجاه) بالتنوين وهو بالجيمين والهائين ابن سعد منصرفا
أو سعيد أو مسعود وقال الطبرى المحدثون يزيدون فى آخره الهاء والصواب جهجا بدون هاء فى آخره (الغفارى) بكسر أوله حضر
بيعة الرضوان من عطاء عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما أسلم لم يتم حلاب شاة (القضيب) هو عصا النبى التى كان الخلفاء
يتداولونها (من يد عثمان) أى وهو على المنبر

الحديث الصحيح أو صحيح مسلم لان هذا الحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة (عن أسماء
بنت أبى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنهما (انها) أى أسماء (أخرجت) أى أظهرت وأرت الناس
(جبة) بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وهى ثوب مخيط (طيالسة) قال النووى انه روى باضافة جبة
لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة منون مصروف لانه بزنة ثمانية ورفاهية
ويجوز نصبه على انه صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ وهذه الجبة
كانت عند أختها عائشة أم المؤمنين فلما ماتت بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمسة وأربعين
سنة انتقلت لها والطيالسة نوع من الاكسية قيل انها ذات أعلام خضر ولذا روى جبة خضراء فوصفت
بوصف بعضها وقيل معنى طيالسة خلقة وقيل انه جمع طيلس كصيقل وهو المتقن النسج وقيل
الطيلسان كساء أخضر يعرف بالساج وقيل الطيلسان رداء من صوف تستعمله العجم ولذا يقال يا ابن
الطيلسانى فى الشتم (وقالت) اسماء (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها) أى كان يكثر
لبس هذه الجبة لانه كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون ولبس بطريق
الوضع كما مر (فنحن نغسلها) ونأخذ غسالتها فنعطيه (للمرضى فنستشفى) المرضى (بها) أى بمائها بان
يشرب منه ويمسح به الابدان تيمنا بآثاره صلى الله عليه وسلم فيرزقهم الله الشفاء ببركته وفى مسلم انها
جبة كسروانية نسبة لكسرى أى عجمية وانها كانت مكفوفة بالديباج واستدل به بعضهم على
حل السجاف من الحرير وقيده بعضهم بان لايزيد على أربعة أصابع ولا ينافى كونها من الطيالسة
ماقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يستعمل الطيلسان وكرهه بعضهم لما ورد انه حلية قوم الدجال
(وحدثنا القاضى أبو على) هو ابن سكرة وقد تقدم (عن شيخه أبى القاسم بن المأمون) بن محمد بن
هشام الرعينى السبتى المعروف بابن المأمون الامام المشهور (قال كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ولا
تكسر كما مر وهى الجفنة المعروفة وتخص فى العرف بما كان من الخشب وقيدها النووى بما كانت
تسع عشرة والقائل ابن المأمون فيحتمل انها كانت عنده وصلت اليه بطريق من الطرق ويحتمل
انها كانت بديارهم وبلادهم (من قصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف كجمع جفنة
وجفان ويجمع على قصع أيضا وقصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعدوها ولم يذكروا اصفاتها لانه
صلى الله عليه وسلم كان لايعتنى بها ولا يعدها ولا يدخرها (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى) جمع مريض
(فيستشفون بها) أى يطلبون الشفاء فيحصل لهم بشربهم مما وضع فيها البركة اثارا آثاره (وأخذ
جهجاه الغفارى) جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما هاء وبعد الاخيرة ألف وهاء وقيل ان صوابه
جهجا مقصور لاهاء فى آخره والغفارى بكسر الغين نسبة لغفار وهى قبيلة معروفة واختلف فى اسم
أبيه فقيل هو ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقيل ابن سعد بن حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس
وهو صحابى مهاجرى مدنى وروى عنه أحاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وتوفى بعد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بسنة (القضيب) يعنى قضيب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى كان مع الخلفاء والقضيب عصى قصيرة (من يد عثمان)
ابن عفان لما قام عليه قبل يوم الدار فقيل أخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله

منصرفه الداره (ليكسره) أي أخذه بقصد ان يكسره وظاهره انه لم يكسره لصياح الناس عليه وقال ابن عبد البر وبعض أهل السير انه كسر (على ركبته) أي اتكى على ركبته في كسره كما هو معتاد (فصاح به الناس) بمنعه من كسر قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أمر عظيم وجراءة لم يرضوها ولذا قال ابن العربي لا يصح كسر العصا ممن أطاع أو عصى وهذه العصا كان يعتمد عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب وكذا الخلفاء بعده (فأخذته) أي أصابته ووقعت به وأصل معنى الاخذ التناول فتجوز به عما ذكر (الآكلة) كفرحة وهو داء يصيب بعض الاعضاء فيتأكل أي يتفتت ويتقطع وهو نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور في مفصلات كتب الطب والناس تقول آكلة المد وقد قيل انه خطأ الا ان الثعالبي أنشد لبعض العرب في كتابه ثمار القلوب

ومن أنت هل أنت الا امرأ ✽ اذا صح نسلك في باهلة

وللباهلي على خبزه ✽ كتاب لآكله الآكلة

ولم يخطئه فيه وهو من أئمة اللغة فيصح ان تقرأ عبارة المصنف رحمه الله تعالى به الا ان تعارضه الرواية (فقطعها) أي قطع جهجاه ركبته أو رجله من ذلك لئلا يسري المرض لبدنه فان هذا المرض يعالج بقطع العضو كما قيل ✽ القطع طب كل عضو فاسد ✽ فلا حاجة لما قيل ان ضمير الفاعل للآكلة وذكره بتأويل المرض ونحوه (ومات) الجهجاه من قطعها (قبل) تمام (الحول) أي السنة التي وقع فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب انه تناول العصا من يد عثمان رضي الله تعالى عنه وهو يخطب فكسرها فوقعت الآكلة في ركبته وتوفي بعد عثمان رضي الله تعالى عنه بسنة وهو مناف لكلام المصنف رحمه الله تعالى من وجهين لان ظاهره انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول وفي الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان رضي الله تعالى عنه حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وهو أيضا مخالف لكلام ابن عبد البر في قوله انه أخذها وهو على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس وهجموا المدينة يخرج يصلي بالناس على عادة الخلفاء الراشدين ثم خرج في آخر جمعة فحصبوه حتى وقع من على المنبر ولم يقدر على الامامة فصلى بهم أبو أمامة بن سهل ثم حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القائمين عليه الجهجاه وشافهه بما لا يليق وفعل بالقضيب ما فعل وفي جرأته على قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله تعالى عليه وسلم اشكال لا يخفى فان الظاهر انه يعرف القضيب وحرمته وغضبه على عثمان رضي الله تعالى عنه لا يسوغ له مثل ذلك وعثمان رضي الله تعالى عنه كان مجتهدا مثابا ولا فيما أنكروه عليه وما هذه الاذلة عظيمة لا تليق بمن كان مؤمنا صحابيا (و) روى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه حديثا متصلا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (سكب من فضل وضوئه) السكب بمعنى الصب وفضل وضوئه ما زاد عليه وقال شيخنا المقدسي قدس الله تعالى روحه في كتابه الرزان الوضوء بالفتح في المصدر كما في الصحاح وبالضم مصدر عن اليزيدي والفتح أولى وفي كتاب سيبويه فيما جاء على فعول بالفتح توضأ وضوأ وتطهر طهورا وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن خروف في شرحه زعموا ان الوضوء من أسماء الماء كالوقود ولم يحك عمن يوثق به الوضوء بالضم قلت ولولا انه ضعيف ما تبرأ منه الجوهري والقاضي عياض وتبعه النووي وكلاهما لم يحرراه انتهى ما قاله شيخنا فلك هنا الفتح والضم (في بئر قباء) بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير مصروف ويجوز صرفه أيضا باعتبار المكان والفه ليست للتأنيث وقال في التبصرة انه اسم أماكن ثلاثة وينسب اليه قبائي والى قبا فرغانة قباوي

(ليكسره على ركبته) أي معتمدا عليها (فصاح به الناس) وفي نسخة فصاح الناس به (فأخذته فيها الآكلة) بفتح فكسر وسكون وبكسر فسكون وبفتحتين أي الحكة وفي نسخة بمد فكسر (فقطعها) أي ركبته وتذكير الضمير العائد الى الآكلة بتأويل الداء (ومات قبل الحول) رواه أبو نعيم في الدلائل وابن السكن في معرفة الصحابة وقال ابن عبد البر هو الذي تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب وكانت عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفي بعد عثمان بسنة ذكره الحلبي ثم كسر العصا ليس صريحا في كلام القاضي وهو صريح في كلام ابن عمر ولكني رأيت في حاشية على كتاب الروض الانف للسهيلي عن ابن دحية نقلا عن ابن العربي في كتاب العواصم انه لا يصح كسر العصا ممن أطاع ولا من عصا قلت وكذا يخالف بين قوليهما حيث قال القاضي مات قبل الحول وقال ابن عبد البر توفي بعد عثمان بسنة والله سبحانه وتعالى أعلم (وسكب) أي صب (من فضل وضوئه) بفتح الواو ويضم أي ماء وضوئه (في بئر قبا) بهمز مصروف ويمنع وقد يقصر ولعلها بئر أريس

(فانزفت) أى مافنيت ولانفدت وفى نسخة بصيغة المجهول ففى الصحاح نزفت ماء البئر اذا نزحته كله ونزفت هى فيتعدى ولا يتعدى ونزفت أيضا على مالم يسم فاعله وحكى الفراء نزفت البئر اذا ذهب ماؤها (بعد) أى بعد صبه الى يومنا هذا رواه البيهقى عن أنس (وبزق فى بئر كانت فى دار أنس فلم يكن) أى ماء (بالمدينة) وفى نسخة فى المدينة (أعذب منها) أى أطيب وأحلى ماء من تلك البئر رواه أبو نعيم ولله در القائل من صاحب الشمائل

ولو تفلت فى البحر والبحر مالح * لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا

(ومر على ماء فسأل عنه فقيل) أى له كما فى نسخة (اسمه بيسان) بكسر موحدة وفتح فسكون تحتية (وماؤه ملح) بكسر فسكون مبالغة مالح أى أجاج (فقال بل هو نعمان) بضم أوله وفى نسخة صحيحة بفتحه واختاره التلمسانى للمشاكلة ولو كسر لكان له وجه وجيه اقتضيه حسن المقابلة وهو مأخوذ من النعمة بكسر أولها أو فتحها (وماؤه طيب فطاب) أى بمجرد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل بيسان موضعان أحدهما بالشام وهو المراد فى حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذى مر به عليه الصلاة والسلام فى غزوة ذى قرد فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان فقال هو نعمان وهو طيب فغير صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه فغير الله وصفه ورسمه فاشتراه طلحة فتصدق به فسماه عليه الصلاة والسلام (عطشا)

طلحة الفياض (فأتى) كذا فى نسخة صحيحة والظاهر وأتى بالواو كما فى بعض النسخ المصححة وهو بصيغة المفعول أى وجىء (بدلو من ماء زمزم فمج) بفتح الميم وتشديد الجيم أى ألقى من فيه ماء (فيه) أى فى الدلو وهو مؤنث وقد يذكر على ما فى القاموس (فصار أطيب من المسك) رواه ابن ماجه وروى البيهقى عن وائل الحضرمى ولم يقل من ماء زمزم (وأعطى الحسن والحسين) أى كلا منهما (لسانه فصاه) بتشديد الصاد (وكانا يبكيان)

والقصر لغة فيه أيضا (فانزفت) البئر أى انقطع ماؤها (بعد) مبنى على الضم أى بعدما سكب فيها فضل وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم ونزفت بفتح الزاى المعجمة ويجوز كسرها فهو مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضا لانه ورد متعديا وغير متعد فمن اقتصر على الثانى فقد قصر وقد ورد ثلاثيه متعديا ومزيده لازما على خلاف القياس ككبه الله تعالى فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها فى السوانح والمصنف رحمه الله تعالى قال انه صب فضل وضوءه أى بقيته ووقع فى رواية انه تفل فيها وعد هذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم ان من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تفجير الماء فى بئر الحديبية وبئر تبوك لانه ثمة وقع التحدى لمشاهدة الكفار له وهنا لم يقصد التحدى كما قيل (و) روى أبو نعيم فى دلائله أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (بزق) بزاى وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق من فيه (فى بئر كانت فى دار أنس) ابن مالك خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يكن بالمدينة) بئر من آبارها (أعذب منها) أى أحلى وألذ من مائها وهذا كان بين أظهر المؤمنين فلذا لم يعده معجزة كما أشرنا اليه (ومر) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ماء) فى بعض أسفاره (فسأل عنه) أى عن اسمه (فقيل) له (اسمه بيسان) بموحدة مكسورة وقال التلمسانى بالفتح وهو الظاهر لموازنته لنعمان الآتى ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة وألف ونون (وماؤه ملح) جملة حالية أى لاعذوبة فيه فلما سمى بما يوهم البؤس ضد النعيم لم يحب صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتشاءم به فغيره لانه كان يحب الفال الحسن (فقال بل هو نعمان) بفتح النون فعلان من النعيم والنعمة وبيسان موضعان أحدهما بالشام وهو فى حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذى مر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة ذى قرد وهو المذكور هنا فغير اسمه فغير الله ماءه فاشتراه طلحة رضى الله تعالى عنه وتصدق به فقيل له طلحة الفياض وضبط الانطاكى فى حواشيه هنا نعمان بضم النون والصواب ما تقدم وفى الشرح الجديد انه بكسر النون فكأنه قصد بذلك موافقة بيسان وملح هو الفصيح ومالح لغة أيضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا كما قيل لورودها فى النظم والنثر كثيرا ولولا خوف الاطالة أوردنا ذلك (وماؤه طيب) هذا من جملة مقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا تناقض كلامه (فطاب) ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لما غير اسمه وقال انه طيب (و) روى ابن ماجه فى حديث آخر مسندا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (أتى) بالبناء للمجهول أى أعطاه بعض أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وجاء له (بدلو) مملوء (من ماء زمزم) ورواه البيهقى عن وائل الحضرمى الا انه لم يقل فيه انه من ماء زمزم (فمج فيه) أى ألقى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فمه وريقه (فصارت) رائحته (أطيب من رائحة المسك) وقريب منه قصة نافع أحد القراء السبعة المذكورة فى شروح الشاطبية (و) من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه الطبرانى عن أبى هريرة انه (أعطى الحسن والحسين لسانه) الشريف أى وضعه فى فمهما (فصاه) أى جذبا ريقه وشربا منه (وهما يبكيان) جملة حالية أى باكين

(عطشا) تمييز أو مفعول له والعطش حرارة تقتضي اشتهاء مايشرب (فسكتا) فسكن عطشهما وتركا البكاء وكان الاحسن ان يذكر هذا مع قوله وكان يتفل في أفواه الصبيان الى آخره (و) في حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه (كان لام مالك) الانصارية الصحابية وهي أم سليمان بنت ملحان قيل والصواب ان يقول أم أنس بن مالك وفي الصحابة أم مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر لان أم مالك هذه ليست أم أنس وقد قالوا انه لا يعرف اسمها وفي شرح المصابيح للتوربشتي ان أم مالك في الصحابة اثنتان أم مالك الانصارية وأم مالك البهزية وهي صاحبة العكة انتهى (عكة) بتثليث العين المهملة والمشهور ضمها وهي صفن من الجلد يوضع فيه السمن غالبا وكافها مشددة (تهدي فيها النبي صلى الله عليه وسلم سمنا) أي ترسل به اليه على طريق الهداية وهو بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتحها لحن قال الزيدي السمن للبقر غالبا ويكون للمعزى أيضا وفي القاموس ان سلاء الزبد ولم يقيده (فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها) الامر هنا بمعناه اللغوي لان قوله لا تعصرها نهي لا أمر أو هو باعتبار لازمه لان النهي يلزمه الامر بالكف وعلى الاول هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف ليخرج بقية ما فيه مما قل ففيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لقلة ما فيها واحتقاره وتعظيم ما قل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة ولذا قيل ان فيه دقيقة لمن نظر بعين الحقيقة ويعصر بكسر الصاد كضرب يضرب (ثم دفعها) أي دفع صلى الله تعالى عليه وسلم العكة (اليها) أي الى أم مالك المهدية له (فاذا هي مملوءة سمنا) أي فاجأها بغتة ملؤها من ذلك فمملوءة بزنة المفعول مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها (فيأتيها بنوها يسألونها الادم) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها وهو جمع ادام هو ما يؤتدم به مع الخبز كالسمن والعسل واختلاف الفقهاء في اللحم هل يسمى اداما عرفا ام لا فلا ينافي ما ورد في الحديث سيد ادام الدنيا والآخرة اللحم وقيل الادم ما يصلح به الطعام (وليس عندهم شئ) يعني من الادام (فتعمد اليها) أي تقصدها وتمسكها بيدها وعمد يعمد بفتح الميم في الماضي وكسرها في المضارع ويجوز العكس كما في شرح الفصيح للبلي (فتجد فيها سمنا) كما كانت فلا تنقص (فكانت تقيم ادمها) أي تجده قائما أي باقيا على حاله (حتى عصرتها) غاية للاقامة أي لما عصرته انتهت اقامة السمن في العكة وفقدته وذهبت بركته لما خالفت أمره صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم الحكمة في ذلك ان عصرها يضاد التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها الله تعالى بزوال ما أنعم به عليها ولم يذكر هذا في المعجزات لانه لم يتحد به ولانه حصل في بيت أم مالك وفي أسد الغابة لابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فلما أخذتها اذا هي مملوءة فاتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت يا رسول الله نزل في شئ فقال ماذاك يا أم مالك قالت رددت على هديتي فدعا بلالا وسأله عن ذلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك يا أم مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم ان تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله أكبر عشرا وهذا صريح في ان ماذكر كان بركة لامعجزة بملاحظته عليه السلام كما قيل فتدبر (و) في حديث رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم (كان يتفل) بفتح المثناة التحتية وسكون التاء المثناة الفوقية وضم الفاء وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقي بيوم عاشوراء (في أفواه الصبيان) وافواه جمع فم باعتبار أصله لان اصله فوه والصبيان جمع صبي والمراد بهم الصغار الذي يرضعون ولهذا قال (المراضع) بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول من الرضاعة وهي مص الثدي لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل فان فعيل لا يجمع على مفاعل وادعاء انه على خلاف القياس لا حاجة اليه وفي

(عطشا) جملة حالية وعطشا مفعول من أجله لا تمييز كما اختاره الحلبي (فسكتا) أي بسكون عطشهما رواه الطبراني عن أبي هريرة (وكان لام مالك) أي الانصارية روى عنها عطاء بن السائب بواسطة رجل أو البهزية روى عنها طاوس والظاهر ان المراد بها الاول وقال الشارح الصواب أم أنس بن مالك فسقط ذكر أنس قاله أبو علي الغساني وهي أم سليم بنت ملحان (عكة) بضم مهملة فكاف مشددة اناء من جلد يجعل فيه السمن (تهدى) بضم التاء وكسر الدال أي ترسل (فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا) أي ليتأدم به (فامرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تعصرها) بضم الصاد أي أمرها بترك عصرها (ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسئلونها الادم) بضم فسكون وبضمتين وهو كل ما يؤتدم به (وليس عندهم شئ) من الادام أو من السمن (فتعمد اليها) بكسر الميم أي تقصد على العكة (فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها) وفي نسخة أدمهم أي تديم ذلك الادام (حتى عصرتها) رواه مسلم عن جابر (وكان يتفل) بضم الفاء وكسرها (في افواه الصبيان المراضع) بفتح الميم أولاد المراضع كما قاله الحلبي وهو الظاهر وقال الدلجي جمع رضيع بمعنى مرضع اسم مفعول

(فيجزئهم) بضم الياء وكسر الزاي فهمزة وتسهل لا كما قال الدلجي بفتح التحتية أي يكفيهم (ريقه الى الليل ومن ذلك) أي من
قبيل كراماته (بركة يده) أي الحاصلة (فيما لمسه) أي مسه بها مطلقا (أي غرسه) أي من شجر وغيره كما في
أصل الدلجي وفي النسخ المصححة وغرسه (وسلمان) بالواو وهو الظاهر لانه حديث مستقل رواه البيهقي عن سلمان انه عليه الصلاة والسلام غرس له (حين كاتبه مواليه) وهم يهود وأصله من فارس من قوم مجوس فخرج يطلب الدين وطريق اليقين وجعل ينتقل من دين الى دين حتى أخذه قوم من العرب فباعوه فكاتبوه (على ثلاثمائة وديه) بتشديد التحتية صغير فسيل النخل (يغرسها لهم) بكسر الراء (كلها) بالرفع أي جميعها (تعلق) بفتح اللام وتضم أي أي تمسك أو تحمل (وتطعم) بضم التاء وكسر العين أي تعطي الثمرة أو تدرك (وعلى أربعين أوقية) بضم الهمزة وتشديد التحتية على المشهور وبحذف الهمزة وفتح الواو في لغة وهي كانت أربعين درهما من فضة في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد هنا وزنها (من ذهب قال) الحلبي انما
كاتب سلمان مولاه ففيه مجاز ولكن جاء في بعض طرقه وهو في المسند انه عليه الصلاة والسلام اشتراه من قوم (وغرسها
من اليهود بكذا وكذا درهما وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك (فقام النبي صلى الله عليه وسلم

بعض النسخ مراضيع بزيادة الياء فان صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل في جمع خاتم خواتيم
الان ابن عصفور قال انه شاذ وادعاء بعضهم انه ضرورة لا يصح فانه ورد في الحديث الاعمال بخواتيمها
وما قيل ان تقدير هذا الكلام صبيان المراضع وهن الامهات خطأ اللهم الا ان وقع له رواية صبيان
المراضع بالاضافة ولم نجده في شيء من النسخ (فيجزيهم) بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الزاي
المعجمة وهمزة أي يكفيهم وأهل الاصول فسروا الاجزاء بالصحة وفي المحصول وشروحه كلام في الفرق
بين الاجزاء والصحة (ريقه) الشريف (الى الليل) أي فيكفيهم عن الرضاعة النهار كله ببركته صلى
الله تعالى عليه وسلم فيقوم المص منه مقام لبن الام الكثير (ومن كراماته) أي من كرامات النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ما رواه البيهقي (بركة يده فيما لمسه) اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على
الشيء فقوله بيده تأكيد أو تجريد كنظرت بعيني والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم (وغرسه
لسلمان الفارسي) أي لاجله كما سيأتي والغرس وضع أصول الشجر في الارض لينمو وفي نسخة أو
غرسه فهو شك من الراوي وسلمان هو أبو عبد الله الفارسي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو من قرية يقال لها جي من قرى أصبهان أو رام هرمز لم يتخلف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بعدما أعتقه وكان من علماء الصحابة وزهادهم المعمرين وكان رضي الله تعالى عنه يعمل
الخوص ويأكل منه مع ان عطاءه من بيت المال خمسة آلاف كل سنة وكان اذا أخذها تصدق بها قال
النووي اتفقوا على انه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة وتوفي بالمداين ودفن بها
سنة خمس أو ست وثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود فاشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منه وقصته مشهورة
(حين كاتبه مواليه) من اليهود وهذا ينافي ما قاله البرهان انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه وجمع
الموالي ولم يكن له الا مولى واحد تجوزا وقد قيل انه على ظاهره لانه ورد انه اشتراه من قوم من اليهود وفيه
نظر والمولى هنا هو السيد وهو مشترك بينه وبين العبد وله معان أخر والكتابة معلومة مفصلة في كتب
الفقه (على ثلاثمائة ودية) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة تحتية مشددة قبل الهاء وهي صغار
النخل (يغرسها لهم كلها تعلق) بفتح التاء الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام ثم قاف أي تنبت
بعد غرسها ويتم غراسها من علقت المرأة اذا حبلت وقال بعض الشراح تؤكل ثمرتها من علق يعلق
كعلم يعلم وقيل تدرك وتضم لامه كيكتب فهو متداخل من بابين والمراد الاكل هنا وهو الظاهر وجملة
كلها تعلق بدل مما قبله وقوله (وتطعم) أي يوجد فيها ما يؤكل من ثمرها ويؤيد ان المراد بما قبله تدرك
وان جاز ان يكون عطف تفسير وهو بوزن يكرم (وعلى أربعين أوقية) بضم الهمزة وتشديد الياء
ويقال وقية أيضا بفتح الواو وقال السعد في شرح الكشاف الاوقية أفعولة فاصلها أوقوية فاعلت أو
فعلية من الاوق وهو الثقل والمراد أربعون درهما كما في كتب اللغة وعند الاطباء وهو
المتعارف الآن انها عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم وقال الزمخشري انها اثنان وأربعون درهما انتهى
وقيل انها سبعة مثاقيل (من ذهب) بيان للاوقية وانها ليست من فضة ولفظ الوقية وقع في حديث
رواه الشيخان فقول بعضهم انها عامية كما في النهاية لا وجه له اللهم الا ان يريد انها المشهورة بين
العوام فلا ينافي تصحيح أهل اللغة لها كما في القاموس وغيره والنش بفتح النون وتشديد الشين المعجمة
عشرون درهما (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من مجلسه الى محل عين لغراسها فيه

(وغرسها له بيده) الشريفة تبركا (الا واحدة) منها (غرسها غيره) قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان ووفق بينهما بانهما غرساها معا أو ان كل واحد منهما غرس واحدة (فاخذت كلها) يعنى انها طلعت وادركت فيه مجاز كأنها أخذت من الارض ما قامت به ونمت كما يدل عليه الكلام (الا تلك الواحدة) التى غرسها غيره (فقلعها) من محلها (وردها) أى اعادها الى محلها (فاخذت) أى نبتت وادركت ببركة يده الشريفة ومسها وهو من معجزاته الباهرة صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله الا واحدة يدل على بطلان التوفيق بانه غرس كل واحد منهما ودية وفى السير انه صلى الله تعالى عليه وسلم غرسها كلها من غير ذكر الواحدة فينبغى ان يحمل على القصة اجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما (وفى كتاب البزار) بموحدة وزاى معجمة وألف وراء مهملة نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين وهو الحافظ المشهور (فاطعم النخل) أى أثمر ذلك النخل الذى غرسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (من عامه) أى فى سنته التى غرس فيها ومن ابتدائية (الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها) واضافة العام له حقيقية لوقوع الغراس فيه (وأعطاه) أى أعطى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان مما كوتب عليه (مثل بيضة الدجاجة) أى قدر حجمها لا وزنا كما قيل (من ذهب) جاءه من الغنائم (بعد ما أدارها على لسانه) الشريف ليحصل فيها بركته ولا حاجة الى ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بالبركة فيها ولم يسمع فانه لا يقال مثله بالرأى (فوزن) سلمان رضى الله تعالى عنه (منها لمواليه) أى لمن كاتبه كما مر (أربعين أوقية وبقى عنده مثل ما أعطاهم) وهى أربعون أخرى وكانت فى رأى العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها زادت وزنا ورجحت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من نمو الاعيان وقيل يجوز ان يكون فاعل وزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا بقى وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة وقصة سلمان رضى الله عنه طويلة مفصلة فى السير وحاصلها انه كان بجىّ وهى قرية بفارس كان أبوه رئيسها وهو ممن يعبد النار فرسلمان برهبان فى كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه أمرهم وقال هذا خير من ديننا فلما أخبر أباه بذلك نقم عليه وقيده مخافة ان يتبعهم فارسل سلمان اليهم يقول اذا كان عندكم من يذهب الى الشام فاخبرونى به وكانوا قالوا له ان ديننا هذا بالشام فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجاء الى الشام ودخل كنيسة فيها قسيس يتعبد بها فاستمر عنده الى ان مات فذهب لآخر بعمورية ثم لآخر بالموصل ومكث عنده فمرض وأشرف على الموت فقال له ان مت ما أفعل قال ان ديننا هذا قديم وقد دنا زمن نبى على الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته فقال به خاتم النبوة ولا يأكل الصدقة ويأكل من الهدية فمر به قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات اكتسبها من عمله فاعطاها لهم على ان يحملوه الى أرض العرب فغدروا به وأسروه وباعوه من يهودى وقيل ابتاعته امرأة والاصح الاول فكان يخدمه حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وغرسها له) أى لسلمان أو لمالكه (بيده الا واحدة) بالنصب (غرسها غيره) وهو عمر بن الخطاب على ما ذكره ابن عبد البر بسنده فى الاستيعاب وهو فى مسند أحمد أيضا وفى طريق أخرى ذكرها البخارى فى غير صحيحه ان الذى غرسها سلمان فيجمع بينهما بان واحدة غرسها عمر وأخرى غرسها سلمان أو ان يكونا غرسا واحدة فلم تطعم ويكون الراوى مرة عزا غرسها لعمر ومرة عزا غرسها لسلمان ان كان الراوى واحدا وهو بريدة كما رواه أحمد وان كان غيره فيكون فيه مجاز ١٣٩ كذا حققه الحلبى ويؤيد الثانى من القولين قوله (فاخذت كلها) أى نبتت واثمرت (الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وردها) أى بيده الكريمة (فاخذت) أى أخذت عروقها ونشبت فى محلها (وفى كتاب البزار) بتشديد الزاى وفى آخره راء (فاطعم النخل) أى جنس ما ذكر (من عامه الا واحدة) أى التى غرسها غيره عليه الصلاة والسلام (فقلعها وغرسها فاطعمت من عامه وأعطاه) أى سلمان (مثل بيضة الدجاجة) بفتح الدال ويثلث أى مقدارها وزنا أو حجما (من ذهب بعد أن ادارها) أى تلك القطعة التى هى كالبيضة (على لسانه) أى مبالغة للبركة فى شانه واذا جاز حمله على حقيقته فلا معنى لقول الدلجى لعله أراد بذلك انه برك عليها أى دعا فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده فظن انه انما أرادها عليه (فوزن) أى سلمان (منها لمواليه أربعين أوقية وبقى عنده مثل ما أعطاهم) أى كمية وازيد منه كيفية وكان سلمان من المعمرين عاش على الاصح مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وقيل أربعمائة سنة فى المجوسية ومائة فى اليهودية ومائة فى النصرانية ثم لما أسلم قال يارب عمرنى فى الاسلام مائة سنة فعاش مائة فى الاسلام وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه وهو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وما ترك شيأ يورث عنه

المدينة فبينما هو على نخلة من النخيل وسيده الذى اشتراه منهم تحتها اذا برجل غريب جاء الى سيده المذكور وقال هل سمعت ما فعله الانصار قدم عليهم رجل من مكة وهم معهم بقباء الآن فلما سمع سلمان مقالته عراه نافض كالحمى ونزل يسأل الرجل عما قاله فنهره سيده فاضمر مقالته ثم ذهب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بتمرات من نخل سيده فاكلها فلما رأى العلامات المذكورة جاء وكاتب سيده على ماذكره المصنف رحمه الله تعالى فان قلت تقدم فى الحديث انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سلمان منا أهل البيت فكيف يكون هذا وهو مكاتب وكيف أكل صلى الله تعالى عليه وسلم مما أتى به والعبد لا يملك شيأ قلت أجاوا عنه بوجوه منها انه وردانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه منه مما ذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه علم انه لم يمسه الرق كما روانما باعوه ظلما وغصبا ولو سلم فهو مولى موالاة لا مولى رق ولذا قبل صلى الله تعالى عليه وسلم ما أهداه له لانه أجزه له أو أذن له سيده فى دفعه لمن يريد (وفى حديث حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وليس مصغرا وهو صحابى ترجمته فى الاستيعاب وغيره وهذا الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت فى الدلائل عن المسور بن مخرمة (سقانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق) بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن ثم يجعل فى ماء ونحوه من المائعات ويشرب فهو طعام وشراب وشربة بفتح الشين المرة من المشروب وليس بضم الشين كما قيل فهو مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل (شرب) صلى الله تعالى عليه وسلم (أولها وشربت آخرها) يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته (فما برحت) أى لم أزل بعدما شربت سؤره (أجد شبعها) أى يحصل عندى الشبع بزنة العنب وهو معروف (اذا جعت) أى اذا جاء وقت الجوع والحاجة الى الطعام (وريها) بكسر الراء وهو برد يحصل فى الجوف من الماء ونحوه يغنى عن الماء (اذا عطشت) أى جاء وقت الحاجة الى الشرب والضميران للشربة (وبردها اذا ظمئت) بزنة علمت بهمزة بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظمأ وهو العطش فغاير بينهما فى العبارة تفننا أى لم يفارق بعد شربها الشبع والرى لبركة سؤره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده عن أبى سعيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أعطى قتادة بن النعمان) بن زيد ويكنى أبا عمر وهو صحابى مشهور توفى سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وهو الذى ردت عينه كما تقدم وهو من الانصار (وصلى معه العشاء) جملة حالية بتقدير قد أى وقد صلى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العشاء (فى ليلة مظلمة مطيرة) أى ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق باعطى (عرجونا) بضم العين وسكون الراء المهملتين وضم الجيم كعنقود وبكسر وفتح كفردوس وبهما قرئ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه فعلول واليه ذهب صاحب القاموس والصحيح الاول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لقتادة (انطلق به) أى خذ العرجون واذهب به لمنزلك (فانه سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا) أى مقدار عشرة أذرع فى طريقك حتى تبصرها وليست العشرة من الاشبار كما قيل (فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) وهو ضد البياض والمراد جسم أسود والسواد يطلق على الجثة والشبح وفى توثيق عرى الايمان للبارزى انه كان هيئة قنفذ فاذا رأيته

(وفى حديث حنش) بمهملة فنون مفتوحتين فمعجمة (ابن عقيل) بفتح وكسر القاف وفى بعض النسخ المصححة بالتصغير وهو حديث طويل رواه قاسم بن ثابت فى الدلائل من طرق موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة عنه وقال الشارح لم أر له أثرا فى كتاب الصحابة لابن عبد البر ولا خبرا فعلى من رآه أن يرسمه هنا (سقانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت) بكسر الراء أى مازلت (أجد شبعها) بكسر ففتح (اذا جعت وريها) بكسر راء فتشديد تحتية (اذا عطشت) بكسر الطاء (وبردها اذا ظمئت) بكسر الميم من الظمأ وهو العطش الشديد من كثرة الحر أو شدة الحرارة (وأعطى قتادة بن النعمان) بضم النون (وصلى معه العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة) جملتان معترضتان وردتا اعتراضا بين أعطى ومفعوله الثانى كذا ذكره الدلجى والظاهر ان الجملة واحدة وان قوله فى ليلة ظرف لقوله صلى (عرجونا) بضم العين والجيم ويكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو أصل العذق الذى يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولعله هو العذق مطلقا وقيل اذا يبس واعوج وهو الملائم لقوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم (وقال انطلق به (فاضربه فانه سيضئ لك بين يديك عشرا) أى عشرة أذرع أو نحوها والعدد اذا حذف مميزه جاز تذكيره وتأنيثه (ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) أى جسما ذا سواد أو جسما وشخصا

(فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاءله العرجون) هو أصل العذق كما تقدم (حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) رواه أحمد عن أبي سعيد بسند صحيح وفي توثيق عرى الايمان للبارزي فانه قد تبدل فانه شيطان ولا تنافي فانه له تمثل بصورته أسود (ومنها) أي ومن كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان (دفعه) أي اعطاؤه عليه الصلاة والسلام (لعكاشة) بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفه (جذل حطب) بكسر جيم ويفتح وسكون ذال معجمة أي أصل شجرة وأراد به هنا عودا وقيل هو الحطبة أو الخشبة الغليظة (وقال اضرب به حين انكسر سيفه) ظرف لدفعه (يوم بدر) أي زمن وقعته (فعاد) أي فتحول (في يده سيفا) وفي نسخة فصار فيكون مجازا عنه اذ لم يكن قط سيفا فيعود (صارما) أي قاطعا (طويل القامة أبيض) أي بريق اللمعان (شديد المتن) من المتانة وهي القوة أو قوي الظهر فان المتن هو أصل الشئ الذي به قوامه بمنزلة الظهر للاعضاء ومنه متن الحديث (فقاتل به) أي في وقعة بدر حتى انقضت (ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف) أي لقتال الكفرة (الى ان استشهد) أي عكاشة (في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يقال له) وفي نسخة يسمى (العون) بالمصدر للمبالغة أو بمعنى المعين أو المعان والله المستعان رواه البيهقي وقال الخطابي يجب ان يعلم ان الذين لزمهم اسم الردة من العرب كانوا صنفين صنف منهم ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا الى الكفر وهم المعنيون بقول أبي هريرة وكفر من كفر وهم أصحاب مسيلمة ومن نحا نحوهم في انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فاقروا بالصلاة وأنكروا الزكاة يعني اعطاءها الا وجوبها وهؤلاء هم أهل بغي وانما لم يخصوا [بهذه التسمية خصوصا لدخولهم في غمار أهل الردة بخلاف المسلمين فاضيف الاسم في الجملة الى الردة اذ كانت أعظم الامرين خطبا وصار مبدأ

(فاضربه حتى يخرج) من البيت (فانه) أي السواد المرئي (الشيطان) تصور بهذه الصورة (فانطلق) قتادة (فاضاءله العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) من بيته كما أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية بالمعنى فان لفظ الحديث كما رواه أبو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشاء وهاجت السماء وأظلمت وبرقت فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتادة فقال له قتادة قال نعم يا رسول الله علمت ان شاهد الصلاة قليل فاحببت ان أشهدها فقال له اذا انصرفت فأتني فلما انصرف أعطاه عرجونا وقال خذه فيضيء امامك عشرا وخلفك عشرا الحديث وفي مجيئه متعديا فعشرا مفعوله ولازما فهو منصوب على الظرفية والشيطان المراد به واحد من الجن المردة أو ابليس بعينه (ومنها) أي من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم في قلب الاعيان ما رواه البيهقي في حديث مسند وهو (دفعه لعكاشة) ابن محصن الصحابي المشهور وهو بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول واصله العنكبوت أو بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع أصل معناه الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطاء والتسليم كما يقال دفع له المال (جذل حطب) بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو عود غليظ أو أصل من أصول الشجر ومنه المثل أنا جذيلها المحكك وهو عود ينصب لتحتك به الابل الجرباء فاستعير لمن يرجع لرأيه ويستشفى بهدايته في المهمات والحطب ما يبس من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقد كان قال يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله ان يجعلني منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام آخر فقال مثل مقاله فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عبد البر الثاني كان من المنافقين ورده السهيلي بانه ورد في رواية فقام رجل من خيار المهاجرين وأيضا ورد انه انما قال للثالث واعل الساعة الاولى كانت ساعة اجابة انقضت أو لانه عرف صلى الله تعالى عليه وسلم انه لو دعا له استرسل الامر وطال وعم مثله الناس وهو مما يكتم (وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر) أي في وقعة بدر كما مر في اطلاق اليوم على مثله (فعاد في يده سيفا) أي صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس مناسبا هنا وبمعنى صار كما فصل في محله وقوله (صارما) أي قاطعا ومنه الصرم وهو الهجر والقطيعة (طويل القامة) أي طويلا مستقيما (أبيض) اللون (شديد المتن) أي قوي الجرم صلبا من المتانة وهي القوة ولذا سمي الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضاء وقوامها به (فقاتل به) ببدر حتى انقضت (ثم لم يزل) السيف (عنده) أي في ملكه وتصرفه والعندية للحضرة ونزولها ان أخرمنها هذا (يشهد) أي يحضر (به المواقف) أي قتال الكفرة (الى ان استشهد في قتال أهل الردة) واستشهد بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله تعالى منه الشهادة وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو مشهور وقوله الى ان استشهد الى آخره غاية لبقائه في يده فلا ينافيه بقاؤه عند أهله بعده كما توهم (وكان هذا السيف يقال له العون) سمي هذا

قتال أهل البغي مؤرخا بايام علي رضي الله تعالى عنه اذ كانوا منفردين في عصره ولم يختلطوا باهل شرك في دهره (ودفعه) أي ومنها دفعه عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن جحش) بفتح الجيم فسكون مهملة (يوم أحد وقد ذهب سيفه) جملة حالية اعتراضية (عسيب نخل) أي جريدة منه مما لا خوص عليه وما نبتت عليه الخوص فهو سعف والخوص الاوراق (فرجع) أي انقلب (في يده سيفا) رواه البيهقي وفي سيرة ابن سيد الناس انه أعطى سلمة بن أسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب كان في يده فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة انتهى ونقله الواحدي باسناده (ومنه) أي ومن هذا النوع (بركته في درور الشياه الحوائل) بالهمز جمع الحائلة وهي الشاة العديمة اللبن (باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد) بفتح الميم والموحدة وقصتها ما رواه ابن سعد والطبراني عن أبي معبد الخزاعي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الاريقط استأجره دليلا وهو على دين كفار قريش فاخذ بهم طريق الساحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تحتبي بفناء بيتها فتطعم وتسقي من مربها وكانوا مرملين مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوا فرأوا عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم وهو

فقال أتأذنين لي ان أحلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء زوجها أبو معبد يسوق اعنزا عجافا يتساوكن هزالا فرأى اللبن فعجب فقال أنى لك هذا قالت مر بنا رجل مبارك الحديث

المصدر مبالغة لاعانته على الاعداء وكان من عادة العرب وأهل الصدر الاول انهم يسمون آلات حربهم وخيولهم باسماء كالاناسي (ودفعه) مصدر مرفوع مبتدأ خبره مقدر أي من كراماته صلى الله عليه وسلم دفعه أو هو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو الاولى (لعبد الله بن جحش يوم أحد) أي في وقعة أحد المشهورة وهو ابن عمته صلى الله تعالى عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب وهو من المهاجرين بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثل به بقطع أنفه واذنيه لانه طلب ذلك من الله وقصته مشهورة في السير ورواها البيهقي مسندة (وقد ذهب سيفه) جملة حالية أو معترضة فاعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم (عسيب نخل) عسيب بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة ساكنة تحتية وباء موحدة قيل وهي جريدة النخل لا خوص عليها والصواب ما في الصحاح من انه من السعف ما فوق الكرب لم ينبت عليه خوص كعسب الذنب (فرجع) أي صار العسيب وهو أحد معنيي الرجوع ويكون لازما ومتعديا (سيفا) مفعول رجع قال ابن عبد الله البر في الاستيعاب انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم أحد فاعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد عرجونا من نخلة فصار في يده سيفا يقال ان قائمه كان منه فبقي الى ان بيع من بغاء التركي بمائتي دينار وكذا ذكره ابن سيد الناس وغيره وهذه الرواية تدل على ان العسيب أصل العرجون لا الجريد كما قيل وهذه أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في عصاه لانها بقيت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت مرارا في عصي متعددة وتلك عصا واحدة وفي سيرة ابن سيد الناس مثله لسلمة بن أسلم يوم بدر (ومنه) أي من هذا النوع من الكرامات والبركات (بركته) صلى الله عليه وسلم (في درور الشاة) ودرور بدال وراءين مهملات مصدر درت الشاة ونحوها درورا سال لبنها من ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه لله دره ثم شاع في معنى الخير والنفع والشاة من الغنم وأصلها شوهة فاعلت وتطلق على ما يشمل المعز مجازا والشياه بزنة رجال جمع شاة (الحوائل) جمع حائل وهي التي لم تحمل مطلقا أو ما حمل عليها فلم تحمل وقيل انها ما لم تكمل سنة أو سنتين وقيل انها جمع حول جمع حائل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها أبعد من الدر (باللبن الكثير) ذكره للايضاح والتأكيد أو أراد بالدرور مطلق الخروج على طريق التجريد والمجاز المرسل (كقصة شاة أم معبد) عاتكة بنت خالد الخزاعي أخت حبيش الصحابي المعروف بالاشعر وأبو معبد أسلم ومات في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وله رواية وقال السهيلي انه لا يعرف اسمه وقيل اسمه حبيش وقيل اكتم بن أبي الجون ومنزله بقديد وقصة أم معبد مشهورة وتقدمت الاشارة اليها وأفردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها أخبرته بخبره ووصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة بولد صغير لها وأسلمت كما بيناه سابقا وتفصيله في السيرة وشرحها

(وأعنز معاوية) بفتح همزة وسكون عين وضم نون جمع قلة لعنز أى شاة أنثى وفى أصل العزفى المصحح من أصل المؤلف معونة بفتح الميم وضم العين وبالنون من العون والظاهر انه تصحيف فقد ذكر الطبرى فى كتاب الدلائل معاوية (ابن ثور) بفتح مثلثة وسكون واو وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح رأسه وأعطاه اعنزا عفرا فقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور فى أبيه وأبى الذى مسح الرسول برأسه * ودعاله بالخير والبركات والتقدير وقصتها كما رواه ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله (وشاة أنس) أى وقصتها (وغنم حليمة مرضعته وشارفها) وهى المسنة من النوق وقيل من الابل وقيل من المعز على ما رواه أبو يعلى والطبرانى وغيرهما بسند حسن (وشاة عبد الله بن مسعود) أى كما رواه البيهقى (وكانت) أى تلك الشاة (لم ينز) بفتح الياء وسكون النون وضم الزاى أى لم يثب ولم يعل (عليها فحل) أى للضراب وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح ضرع شاة حامل لا لبن لها لابن مسعود فدرت وكان ذلك سبب اسلامه (وشاة المقداد) كما فى صحيح مسلم وكلها كانت مثل شاة أم معبد وقد درت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقصة شاة المقداد مختصرة ما روى عنه انه قال أقبلت أنا وصاحبان لى وقد ذهب اسماعنا وأبصارنا من الجهد يعنى الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاث أعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب فكان يشرب كل انسان نصيبه ونرفع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجىء من الليل فيشربه فوقع فى نفسى ذات ليلة ان نبى الله يأتى الانصار فيتحفونه ماله حاجة الى هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على ما فعلت خشية انه اذا جاء فلم يجده يدعو على فأهلك وجعل لا يجىء النوم وأما صاحباى فناما فجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كعادته وكشف عن نصيبه فلم يجد شيأ فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعو على فقال اللهم اطعم من

وهو مشهور ولا حاجة لذكره هنا (و) منها قصة (أعنز) جمع عنز (معاوية بن ثور) بالمثلثة بن عبادة بكسر العين ابن البكاء والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وفى نسخة العزفى انه معونة بعين مضمومة ونون وصححه ولم يذكره الحافظ الحلبى ونقل خلافه عن الذهبى وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ولده بشر ومعه الضحيع بن البكاء والاصم بن كعب فقال يا نبى الله بأبى أنت وأمى امسح على وجه ابنى فمسح عليه وأعطاه أعنزا سبعا ودعا لها بالبركة قال الجعد وكانت السنة ذات قحط وغلاء أصاب بنى البكاء فأصابتهم بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ونمت الاعنز وكتب لهم كتابا هو عند بنى بشر المذكور وفيه قصة الاعنز وفى ذلك يقول بشر رضى الله عنه

وأنا الذى مسح الرسول برأسه * ودعاله بالخير والبركات

(وشاة أنس) وقصتها كقصة شاة أم معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها السيوطى فى تخريجه أيضا لعدم الوقوف عليها (وغنم حليمة مرضعته) صلى الله تعالى عليه وسلم أى قصة غنمها التى رواها أبو يعلى والطبرانى وغيرهما بسند حسن لما جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم لتعرضه فى سنة كان فيها قحط أصاب أرض قومها وقل النبات فيها فكان غنمها تأتى من المرعى وقد رعت كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تأتى عجافا جائعة الضرع وهم فيه يعجبون منها وما ذاك الا ببركته صلى الله عليه وسلم ويمن قدمه وحليمة هى بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها الحارث بن عبد العزى وقد أسلمت هى وزوجها وأولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل من حليمة (وشارفها) بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة الهرمة وقيل انها تشمل الذكر والانثى والمعز والمراد الاول فكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم شارف ليس فى ضرعها قطرة لبن فكانوا لا ينامون من الجوع فلما أخذت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه قام زوجها فوجد شارفه حافلة بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انه نسمة مباركة فقالت انى والله أرجو بركته الى آخر القصة (وشاة عبد الله بن مسعود) التى روى قصتها البيهقى وابن مسعود من كبار المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال له هل عندك لبن قال نعم لكنى مؤتمن فقال ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابى بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا سبب اسلامه (وكانت لم ينز عليها الفحل) نزا الذكر على الانثى اذا علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص بالبهائم والسباع والفحل الذكر فيصح فى ينزان يكون بفتح الياء التحتية وضم الزاى المعجمة مبنى للفاعل ويصح ضم أوله وفتح آخره بالبناء للمجهول وهو مبالغة فى عدم اللبن بنفى اللازم البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت ثم يدر لبنها (وشاة المقداد) بالجر أى قصتها التى رواها مسلم

أطعمني واسق من سقاني قال فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز أيتها أسمن أذبحها له فاذاهن حفل كلهن فعمدت الى اناء فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت به اليه فشرب ثم ناولني فلما عرفت أن النبي قد روي وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت على الارض فقال احذر سوءتك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة من الفعلات فما هي قال فقلت يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذه الا رحمة من الله (ومن ذلك) أي من قبيل كراماته و زيادة بركاته كما رواه ابن سعد عن سالم بن أبي الجعد مرسلا (تزويده أصحابه سقاء) بكسر أوله أي وعاء (ماء بعدان أوكأه) بألف بعد الكاف أي ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء (ودعا به فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه) بضم اللام المشددة أي ففتحوا السقاء بحل الوكاء (فاذا به) أي فيه وفي نسخة فاذا هو فاجأهم ذلك الماء في السقاء (لبن طيب و زبدة) بتاء وحدة وفي أصل الدلجي زبده بالاضافة أي زبد اللبن (في فيه) وفي نسخة فمه أي في فم السقاء (من رواية حماد ابن سلمة) متعلق بقوله تزويده قال الحلبي هو الامام أبو سلمة أحد الاعلام قال ابن معين اذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الاسلام وقد تقدم عليه الكلام (ومسح على رأس عمير بن سعد) بضم عين وفتح ميم وفي نسخة عمر بن سعد كلاهما صحابي قال الحلبي وما أعرف من جرت له القصة منهما قلت ولا يبعد ثبوت القصة عنهما ففي كل نسخة اشارة الى أحدهما بل روى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولا عمر فتدبر

والبيهقي وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به كما يأتي ابن عبد يغوث الصحابي المشهور وقصته انه قال كنت أنا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاثة أعنز فقال احتلبوا منها اللبن بيننا فكنا نحتلب ويشرب منا كل نصيبه ونرفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشرب به فوقع في نفسي ذات ليلة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيه الانصار لحاجتهم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فأهلك فلم أنم وقد نام صاحباي فجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم لعادته ليكشف الاناء فلم يجد شيأ ورفع بصره الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من أطعمني واسق من سقاني فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ماسمن منها فاذاهن حفل كلها فحلبت اناء حتى علت رغوته وجئت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي وأصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم احذر سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة فما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ما هذه الا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فاصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما أبالي اذا أصبتها وأصبت فضلك من أخطأت من الناس (ومن ذلك) أي من كراماته وبركاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سعد عن سالم بن أبي الجعد مرسلا (تزويده أصحابه) أي اعطاءهم ما يتزودونه أي يكون زادا والزاد يشمل الماء والطعام والمراد الاول لقوله (سقاء ماء) السقاء ككساء جلد كالقربة وضع فيه الماء واللبن ونحوه وضمن تزويد معنى اعطاء ولذا نصب السقاء أو هو على التسمح وقوله سقاء ماء المراد به سقاء فيه ماء كما يشهد له ما بعده (بعد ان أوكأه) أي شده بالوكاء وهو ما يربط به القربة ونحوها (ودعا فيه) أي دعا في شانه وأمره و بسببه و بعد متعلق بتزويد (فلما حضرتهم الصلاة) أي دخل وقتها حتى كأنها جاءتهم وهذا يقتضي انه كان ماء يصلح للوضوء (نزلوا فحلوه) أي حلوا وكاءه ليستعملوا ماءه (فاذا هو لبن حليب) أي فاجأهم كونه لبنا صار بعد ما كان ماء وهذا من قلب الاعيان ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (و زبدة) بتاء الوحدة أو بالاضافة لضمير اللبن أو للسقاء بادنى ملابسة (في فمه) أي في فم ذلك السقاء والزبد دليل على خلوص لبنه وجودته وانما أوكأه لئلا يتوهم ان اللبن وضع فيه و بدل لمن لم يكن معه وفي نسخة فنزلا فحلاه بضمير التثنية لرجلين كان السقاء معهما وهذا الحديث (من رواية حماد بن سلمة) بن دينار الامام أبو سلمة أحد الاعلام وله ترجمة في الميزان كما تقدم وذكر انه من روايته على خلاف المعتاد من أسلوبه في تحريره قبل بيانا الشان هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام الثقة العابد الزاهد الذي كان مجاب الدعوة معدودا من الابدال ومسلم من أجله و روى عنه والمغاربة والمصنف رحمه الله تعالى من أجلهم يمشون أثر مسلم فلا يعتدون بمن غض منه وقال ان البخاري لم يرو عنه الا على طريق الاستشهاد وهذا من قلة الانصاف وسلمة بفتحتين كما مر (ومسح على رأس عمير بن سعد) أي مر صلى الله تعالى عليه وسلم يده على رأسه قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ من الكتاب وفي بعضها عمر بن سعد بلا تصغير وهو أبو كبشة الانصاري الصحابي وعمير من الصحابة ايضا ولا أعرف من جرت

له

(وبرك) أي دعا له بالبركة (فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب) أي رأسه ولحيته وما شاب شعره عمره والله تعالى أعلم (وروى مثل هذه
القصص) أي الروايات المتضمنة لحكايات الدالة على عموم البركات (عن غير واحد) أي عن كثير من الصحابة

له هذه القصة منهما وقال السيوطي ان الذي رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن ابن سعد انه أبا زيد لا عمرو ولعل ذلك واقعتان وفي نسخة التلمساني عمر بن سعيد وقال انه أبو عمرو النخعي الكوفي مات سنة خمس عشرة ومائة (وبرك) بالتشديد أي دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة في عمره وحسنه (فمات وهو ابن ثمانين) أي وقد بلغ سنه الثمانين فجعله ابنها مجازا ومثله مشهور يجعلون الدهر كالاب والام كما قال الآلي الى حبالى قال

فخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

(فما شاب) أي ببركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم فنفي الهرم بنفي الشيب لانه من لوازمه (وروى) بصيغة المجهول نائب فاعله (مثل هذه القصص) من بركاته صلى الله عليه وسلم (عن غير واحد) أي عن كثير فنفي الواحدة كناية عن الكثرة (منهم السائب بن يزيد) بن سعد بن ثمامة بن الاسود (ومدلوك) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام مدة واو تليها كاف وهو أبو سفيان الفزاري له وفادة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم مع مواليه وعلق البخاري حديثه في غير الصحيح وذكره ابن حبان فقال مدلوك أبو سفيان كان يسكن الشام وأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح برأسه فكان ما مست يده أسود وسائر رأسه أبيض انتهى وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وان كان الشيب وقار الانه مدحه لدلالته على الصحة كما مر ولكل شيء جهة مدح وجهة ذم وقد أفرد ذلك الثعالبي في كتاب سماه مدح الشيء وذمه (و) روى الطبراني والبيهقي انه (كان يوجد لعتبة بن فرقد) أي كان موجودا عنده والمضارع لحكاية الحال الماضية وهو أبو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي الصحابي شهد خيبر وابنى بالموصل دارا ومسجدا وابنه عمرو عد من الاولياء وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده الفراقدة وولي الموصل (طيب) نائب فاعل يوجد والمراد بالطيب الرائحة الطيبة وقيل انه بتقدير مضاف أي رائحة طيب يشم من جسده ويفوح في مجلسه (يغلب طيب نسائه) أصل معنى الغلبة القهر والاستيلاء فاستعير للزيادة والقوة كما ورد غلبت رحمتي غضبي وروى سبقت فالمراد ان رائحته تزيد على رائحة غيره حتى لا يظهر عنده فانه روى كما في الدلائل والاستيعاب عن زوجته أم عاصم انها قالت كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب ليكون أطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان أطيب منا ريحا فقلت له في ذلك فقال أصابني الشرا على عهده صلى الله تعالى عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه وذلك الاخرى ثم أمرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون واليه أشار بقوله (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره) وهو متعلق وتعليل لقوله يغلب (وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو) أي مسح صلى الله تعالى عليه وسلم وجهه بيده مشتكيا عليه حتى أخرج ما عليه من الدم وهذا معنى السلت ويختص باخراج المائع والرطب الملتصق بشيء آخر يقال سلت القصعة اذا أمر أصابعه على جوانبها للتنظف كما في صحاح الجوهري وهو معنى معروف فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم قطعه وعائذ بعين مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمي به وهو عائذ بن عمرو بن هلال المزني الصحابي من أصحاب الشجرة وهو مزني وحديثه هذا رواه عنه الطبراني (وكان) عائذ (جرح يوم حنين) أي في وقعته التي وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل في السير وحنين اسم موضع قريب من الطائف بينه وبين مكة ثلاثة أميال سمي باسم حنين ابن مهلائيل لنزوله به كما روجه له وكان اخ حالية (ودعا له) لجهاده في سبيل الله (فكانت له

(منهم السائب بن يزيد) قد سبق ذكره (ومدلوك) وهو ابن سفيان الفزاري مولاهم أسلم مع مواليه علق البخاري حديثه وقيل هو مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره ابن حبان في ثقاته فقال مدلوك أبو سفيان كان يسكن الشام أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم فدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح برأسه فكان رأس أبي سفيان ما مسه من يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسود وسائر رأسه أبيض (وكان يوجد لعتبة بن فرقد) أي ابن يربوع السلمي له صحبة ولي الموصل لعمر وكان شريفا وشهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وأما ابنه عمرو فمن الاولياء ذكره الذهبي (طيب يغلب طيب نسائه) أي رائحة وفائحة (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره) رواه البيهقي والطبراني (وسلت الدم) أي مسحه وأماطه (عن وجه عائذ) بالذال المعجمة بعد الهمز (ابن عمرو) أي ابن هلال أبو هبيرة المزني بايع تحت الشجرة وكان من الصالحين

(وكان) أي وقد كان (جرح يوم حنين) وفي نسخة يوم أحد (ودعا له فكانت) أي بعده كما في نسخة أي بعد سلته عن موضعه (له

غرة) أي بياض في وجهه دون غيره سوءبه (كغرة الفرس) وفي أصل الدلجي ولا كغرة الفرس أي بل أعلى منها رواه الطبراني (ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي) بضم الجيم له وفادة (ودعا له) أي بالبركة (فهلك) أي مات (وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي) وفي نسخة كف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم ومامرت يده عليه من شعره) أي بقية شعر رأسه (أسود فكان) أي قيس بسبب تلك الغرة في جبهته (يدعى الاغر) أي تشبيها لما في وجهه من البياض كغرة الفرس ذكره ابن الكلبي (وروى مثل هذه الحكاية) أي من مسح الرأس وظهور أثر المسح كما رواه البيهقي (لعمرو بن ثعلبة

غرة) بيضاء منيرة (كغرة الفرس) من أثر يده الشريفة لما مسح وجهه والغرة بياض منتشر طولا وعرضا في وجهه فان قلت سميت غرة وليس فيه مثلة كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصلاة والسلام والفرق بينه وبين البرص ظاهر وفي نسخة ولا كغرة الفرس أي لا تشبه غرته لما فيه من النور وليس كالوضح في البدن (و) ذكر ابن الكلبي انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مسح على رأس قيس بن زيد) وهو صحابي له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سيد قومه وفي بعض النسخ بزيد بياء في أوله وأبوه يسمى عامرا (الجذامي) نسبة لجذام كغراب قبيلة مشهورة (ودعا له) صلى الله تعالى عليه وسلم بما فيه بقاء صحته وعافيته (فهلك) أي مات فالهلاك والموت بمعنى وقد يخص الهلاك بموت غير مرض لكنه ليس معنى وضعيا (وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض) اشيبه (وموضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومامرت عليه يده أسود) لم يشب ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان يدعى الاغر) أي كان يسمى بالاغر لما في وجهه من النور تقول دعوت ابني محمدا اذا سميته به (وروى) بالبناء للمجهول والذي رواه البيهقي (مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني) في مسحه صلى الله تعالى عليه وسلم برأسه وبقاء أثره في وجهه وموته كما مات قيس على أحسن حالة وثعلبة هو وهب بن عدي بن مالك النجاري الزهري والجهني منسوب لجهينة وهي قبيلة مشهورة وقصته كما في دلائل البيهقي انه قال لقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيالة فاسلمت ومسح على وجهي فمات عمرو وقد أتت عليه مائة سنة وما شاب منه شعرة مستها يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه ورأسه وسيالة بوزن سحابة بسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة الشريفة (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على وجه آخر) قال البرهان لا أعرفه وقيل لعله خزيمة بن سواد بن الحارث لانه روى انه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضاء وقيل لعله طلحة بن أم سليم فانه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بناصيته فكان كغرة (فما زال على وجهه نور) من آثار أنواره صلى الله عليه وسلم (ومسح) صلى الله عليه وسلم (وجه قتادة بن ملحان) بكسر الميم ويجوز فيه الصرف وعدمه وقتادة هذا صحابي له رواية وترجمة (فكان لوجهه بريق) أي لمعان وصفاء بشرة من أثر مرور يده الشريفة عليه (حتى كان ينظر) بالبناء للمجهول (في وجهه) أي يقابل وجهه بوجهه ليرى الناظر صورة وجهه فيه لشدة صفاء بشرته (كما ينظر في المرآة) بكسر الميم اسم آلة من الرؤية معروفة والظاهر انه مبالغة في صفائه وحسنه وليس المراد حقيقته (ووضع) صلى الله تعالى عليه وسلم يده (على رأس حنظلة) في حديث رواه البيهقي بطوله مسندا (ابن حذيم) قال ابن ماكولا هو بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح المثناة التحتية وميم وقال انه حنيفة ابن حذيم أبو حنظلة له صحبة وكذا قال الذهبي في المشتبه والتجريد حنيفة والد حذيم ولهما صحبة ولحنظلة ابنه وذكر حذيما فقال حذيم ابن حنيفة بن حذيم الحنفي والد له فيما قيل

الجهني) قال الحلبي هذا الآخر لا أعرفه وقال الدلجي لعله خزيمة بن سواد بن الحارث اذ قد روى ابن سعد عن وجه السعدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجهه فصارت له غرة بيضاء (ومسح وجه قتادة بن ملحان) بكسر الميم وسكون اللام قال الحلبي مسح رأسه ووجهه لعل غالب مسحه كان على وجهه ولذا اقتصر عليه (فكان لوجهه بريق) أي لمعان عظيم (حتى كان ينظر في وجهه) بصيغة المجهول (كما ينظر في المرآة) بكسر الميم والهمزة الممدودة رواه أحمد والبيهقي (ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم) بكسر حاء مهملة وسكون ذال معجمة وفتح تحتية وفي نسخة بالجيم مصغرا وهو تصحيف وضبطه التلمساني بخاء معجمة مضمومة وراء مفتوحة وبمثناة من أسفل ساكنة قال وروى مثل ما قدمنا واخترناه قال وكذا ذكره أبو عمرو وهو الذي روى حديث لا يتم بعد احتلام قال الذهبي حديثه في مسند أحمد ولابيه صحبة وذكر في التجريد حنيفة والد حذيم لها صحبة ولابنه حنظلة قيل ولابن ابنه أيضا لكن قال موسى لابن عقبة فيما نقله عنه ابن الجوزي وغيره ما نعلم أربعة أدركوا رسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم الا هؤلاء يعني أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى أبا عتيق قال الحلبي ومحمد أبو عتيق الصحيح انه تابعي ولو قال موسى بن عقبة عبد الله بن الزبير وأمه أسماء وأبوها أبو بكر وأبو قحافة لكان صوابا فان هؤلاء لا خلاف في صحبتهم

وبرك عليه) أي دعا له بالبركة (فكان حنظلة يؤتى بالرجل) اللام للعهد الذهني فهو في حكم النكرة أي برجل من الرجال (قد ورم وجهه) بكسر الراء أي تورم وانتفخ (والشاة) أي وبالشاة (قد ورم ضرعها) بفتح أوله أي ثديها (فيوضع) وفي نسخة فيضع أي محل الورم منهما (على موضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من رأسه (فيذهب الورم) أي من وجه الرجل وضرع الشاة رواه البيهقي وغيره (ونضح) بالحاء المهملة وقيل بالمعجمة وقيل بمهملة ان اعتمد ويعجم ان لم يعتمد رش (في وجه زينب) أي ربيبته (بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان) وفي نسخة فما كان يعرف (في وجه امرأة من الجمال ما بها) أي مثل ما كان بوجهها من الكمال رواه ابن عبد البر في استيعابه وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها بيتها في ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كانت من الليلة الأخرى دخل في ظلمة فقال انظروا زبانبكم لئلا أطأ عليها أو قال أخروا حكاه السهيلي هكذا ومن قصتها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغتسل فدخلت عليه فنضح في وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وتوفيت يوم مات معاوية (ومسح على رأس صبي به عاهة) أي آفة من قرع ونحوه (فبرأ) أي زال ما به (واستوى شعره) أي على حاله بل أحسن منه في مآله هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ الا ان أبا نعيم روى عن الاوزاعي انه انطلق الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بابن له مجنون فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوته له أعقل منه أي ببركة دعائه وكان القياس ان يقال ولا أحسن منه ببركته ومسح وجهه هذا ورد في نسخة هنا وروى مثله في خبر المهاب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة المخففة وباللام وروى هلب بن قنافة بضم الهاء وسكون اللام وآخره موحدة وقنافة بضم القاف وفتح النون مخففة وبالفاء كذا ذكره أبو عمرو وقيل وهو الصواب ولعلهما قصتان لرجلين وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة الطائي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أقرع فمسح على رأسه فنبت شعره فسمي المهاب (وعلى غير واحد) أي ومسح على كثيرين (من الصبيان المرضى والمجانين) عطف على الصبيان (فبرؤا) بفتح الراء وبكسرها فعوفوا من مرضهم وجنونهم

صحبة ولا بنوا ابنه صحبة وفيه خلاف انتهى فعلم منه انهم أربعة لهم صحبة وقد قال ابن الجوزي لا نعلم أربعة ادركوه صلى الله تعالى عليه وسلم الا أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمدا وكنى أبا عتيق انتهى والصحيح ان أبا عتيق تابعي وجزم عليه الذهبي في تجريده ولو قالوا عبد الله بن الزبير وأمه اسماء وأبوها أبو بكر وأبوه أبو قحافة كان صوابا لأنه لا خلاف في صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة أشخاص ولهم رابع ذكره العراقي في حاشية ألفيته وحنظلة مالكي وقيل حنفي وقيل سعدي هذا محصل ما قاله البرهان (وبرك عليه) بالتشديد أي دعا له بالبركة وقال بارك الله فيك (فكان يؤتى) بصيغة المجهول أي يأتيه الناس (بالرجل) تعريفه للعهد الذهني المساوي للنكرة (قد ورم وجهه) جملة حالية أي أصابه مرض ورم منه وجهه (والشاة) بالجر من المعز والضأن (قد ورم ضرعها) وهو كالثدي للانسان وهو معروف (فيضع) محل الورم من الوجه والضرع (على موضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) الذي مسه به (فيذهب الورم) الذي كان أصابه (و) روى ابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نضح في وجه زينب بنت أم سلمة) بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة وأم سلمة هي أم المؤمنين وزينب بنتها ربيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخت ابن الزبير من الرضاعة ونضح ينضح من باب ضرب يضرب بمعنى رش الماء ونحوه (نضحة) أي رشة (من ماء فما كان يعرف في وجه امرأة) أي ما كان يرى وينظر في وجه أحد من النساء أو يعلم بالاخبار ان لغيرها (من الجمال) أي حسن الوجه ورونقه (ما بها) أي ما كان بها من ذلك ببركة الماء الذي رشه صلى الله تعالى عليه وسلم في وجهها لان ذلك الماء كان مسه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة وولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم وتقدم ان اسم أم سلمة هند وقيل رملة وأبوها حذيفة المعروف بزاد الراكب وزينب ولدت بارض الحبشة فقدمت بها أمها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة المباركة (على رأس صبي) كان ذلك الصبي (به عاهة) أي آفة ومرض والمراد انه كان أقرع واسم هذا الصبي لا يعرف (فبرأ) بزنة ضرب وآخره مهموز وأما برى بمعنى خلق فمعتل أي زالت عاهته وشفي مما به (واستوى شعره) أي نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا كملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره من الشراح (ومثله روى في خبر المهاب بن قبالة ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على غير واحد) أي على كثير كما مر بيانه (من الصبيان المرضى) جمع مريض (والمجانين فبرؤا) أي زال ما بهم

(وأتاه رجل به أدرة) بضم همزة وتفتح وسكون دال وبفتحتين أي نفخة في خصيته (فامره ان ينضحها) بفتح الياء وكسر الصاد المعجمة أي يرشها (بماء من عين) أي ماء وفي نسخة من عين غس بفتح غين معجمة وتشديد سين مهملة (مج) أي صب من فيه (فيها) أي في تلك العين وفي نسخة فيه أي في الماء أو في ذلك المكان (ففعل) أي النضح (فبرأ) قال الدلجي لا أعلم من رواه (وعن طاوس) يكتب بواو ويقرأ بواوين كداود والهمزة غلط فيهما وهو ابن كيسان اليماني من ابناء الفرس وقيل اسمه ذكوان فلقب به لانه كان طاوس القراء كما قاله ابن معين روى عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة وخلق وعنه الزهري وسليمان التيمي وابنه عبد الله بن طاوس وجمع وهو رأس في العلم والعمل توفي بمكة سنة ست أو خمس ومائة أخرج له الائمة الستة (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ماجيء (باحد به مس) أي جنون أوله (فصك) بتشديد الكاف أي ضرب (في صدره الاذهب) أي ما به من المس (والمس الجنون) لانه يحصل بسببه كذا وقفه المصنف على طاوس ولم يعلم من رواه عنه من المخرجين (ومج) بتشديد الجيم أي صب من فمه (في دلو) أي فيه ماء (من بئر) وسبق في رواية القاضي من بئر زمزم (ثم صب) بفتح الصاد وبضم أي كب الدلو يعني ماءه (فيها) في تلك البئر (ففاح) أي سطع وانتشر (منها ريح المسك) أي مثل ريحه تشبيها بليغا وانما شبه به لانه أعلى أنواع الرائحة وان كان رائحة ما مجه أتم أصناف الفائحة لان مصدرها الخاتمة والفائحة رواه أحمد عن وائل بن حجر وفي شرح التلمساني فج (وقال أطيب من المسك هكذا رواه وصوابه فصار أطيب أو فعاد أطيب ويجوز ان يكون معناه فصار المج أطيب من المسك (وأخذ قبضة من تراب) بضم القاف وتفتح أي مقبوضة منه (يوم حنين) وفي نسخة يوم بدر وهو أصل التلمساني قال وروى حنين بحاء مهملة والكل صحيح والمعنى حين وقع من بعضهم الفرار (ومن) باقيهم القرار (ورمى بها في وجوه الكفار

من المرض والجنون قيل هذا كله كان ينبغي ذكره في فصل ابراء المرضى وذوي العاهات وأكثر فصوله متداخلة ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد المصنف (و) في حديث لم يخرجوه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أتاه رجل به أدرة) بضم الهمزة وسكون الدال وبالراء المهملتين وهاء وهو انتفاخ في الخصيتين معروف (فامره ان ينضحها) أي يرش على أدرته (بماء من عين مج فيها) أي كان صلى الله عليه وسلم تفل وريقه فيها (ففعل) أي رش من مائها على ادرته (فبرأ) أي شفاه الله وزال ورمه على السرعة ببركة الله وبركته صلى الله تعالى عليه وسلم في الماء الذي خالطه فيه وضمير فيها للعين أي عين الماء لانها مؤنثة وفي بعض النسخ فيه بالتذكير فالضمير للماء أو للعين لتأويلها به والامر فيه سهل ويجوز في الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد قيل انها انفتاق فيها أو في أحد جانبيها وقد يكون بلحم يزيد فيها أو ريح كما يعرفه الاطباء وينضحها بحوز في ضادها الفتح والكسر وفي بعض الحواشي ان الرجل اسمه المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة الخفيفة ولام وروى هلب بن قنافة وهلب بضم الهاء وسكون اللام بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وفاء قال ابن عبد البر هو الصواب ان لم يكونا قصتين وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة ابن عدي بن عبد شمس بن عوف الطائي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه ونبت شعره فسمي المهلب لذلك (و) في حديث روى (عن طاوس) ابن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن اليماني المشهور وهو من ابناء الفرس واسمه ذكوان فلقب بطاوس لانه طاوس القراء روى عن ابن عباس وأبي هريرة وغيرهما وكان رأسا في العلم والعمل توفي في سنة ست أو خمس ومائة وأخرج له الستة وهو ممن اتفق على زهده وعلمه حج أربعين حجة وصلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة الى غير ذلك من مناقبه وهو من أجل التابعين دفن بمكة رضي الله تعالى عنه (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أي لم يأته أحد (باحد به مس) سيأتي تفسيره (فصك في صدره) بصاد مهملة وكاف مشددة أي ضرب صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب أو أشده (الاذهب) المس عنه وبرأ منه وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه والجملة حالية تاتي بالواو وقد وبدونهما (والمس الجنون) واللمس والمس متقاربان الا انه يكنى به عن الجنون قال الله تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس لانه يقال على كل ما ينال الانسان من الاذى كقوله تعالى مستهم البأساء والضراء (و) روى أحمد عن وائل بن حجر مسندا انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مج) أي صب من فيه (في دلو) فيه ماء أخرج (من بئر ثم صب فيها) أي في البئر الماء الذي مج فيه ريقه (ففاح منها ريح المسك) الريح هنا بمعنى الرائحة ويطلق في الاصل على نفس الهوى والمراد انه مثله في الطيب وهو أتم منه وأطيب ولكن جعل مشبها به لشهرته (و) في حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أخذ قبضة) بفتح القاف وضمها (من تراب) أي ملء كفه من التراب (يوم حنين) أي في وقعتها المشهورة في السير (ورمى بها) أي بترابها (في وجوه الكفار) فاصابتهم جميعا

وقال شاهت الوجوه) أي قبحت مأخوذة من الشوهة وهو القبح وأول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره التلمساني (فانصرفوا يمسحون القذى) بقاف مفتوحة وذال معجمة وألف مقصورة جمع قذاة وهي ما يقع في العين وغيرها من تراب وتبنة ونحوها أي يمسطونها أو يزيلونها (عن أعينهم) رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع (وشكا اليه أبو هريرة النسيان) أي نسيان ما يسمعه من الحديث والقرآن (فامره بسط ثوبه) أي بفتحه ونشره لديه (وغرف) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده فيه) أي تشبيها بمن أخذ شيأ وألقاه في ثوبه ثم أمره (بضمه) أي بجمع ثوبه الى صدره (ففعل فما نسي شيأ) أي من أمره في عمره ٢(وما روي عنه في هذا كثير) أي ما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا المعنى وهو الدعاء لذهاب النسيان كثير طرقه ولا يبعد ان يكون المعنى ما روي عن أبي هريرة لاجل هذا كثير مع ان زمن صحبته يسير وهو أربع سنين (وضرب في صدر جرير بن عبد الله) أي البجلي (ودعا له) أي بالثبات ظاهرا وباطنا ولذا خص الضرب بصدره لانه محل الرهبة والجزع (وكان) أي جرير (ذكر له) أو كان صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر له (انه لا يثبت على الخيل) أي حال جريها (فصار من فرسان العرب) بضم الفاء أي شجعانهم وفي نسخة من أفرس العرب (وأثبتهم) أي على الخيل من ركبانهم كذا في الصحيحين (ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) أي ابن أخي عمر بن الخطاب (وهو صغير) جملة حالية من عبد الرحمن لا من زيد كما توهم الدلجي (وكان دميما) بدال مهملة أي قبيحا ودميما لكونه هزيلا قصيرا والدمامة بالمهملة في الخلق بالفتح وبالمعجمة في الخلق بالضم وعلى

(وقال شاهت الوجوه) جملة دعائية بمعنى قبحت وقبحها الله وهي من الشوهة والتشويه وهو القبح قيل وأول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع مثله في يوم بدر كما في السير وهو في أقدره الله تعالى عليه كما قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان ايصال هذا المقدار اليسير الى أعين هؤلاء الجم الغفير من صنع الملك القدير (فانصرفوا) أي ولى الكفار حال كونهم (يمسحون القذا) بفتح القاف والذال المعجمة وألف مقصورة وهو ما يقع في العين من التراب ويكون أيضا ما يقع في الماء المشروب ونحوه مما يكدره (عن أعينهم) أي يزيحونه ويزيلونه منها لتأذيهم به ومنعه من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة وفي الحديث يرى أحدكم القذاة في عين أخيه ويعمى عن الجذع في عينه وهو مثل يضرب بان يرى عيوب الناس الصغيرة ولا يرى عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونظمه بعض المتأخرين فقال

واعجبا للمرء مع علمه * ان ليالي عمره سارية

ينظر في عين أخيه القذا * ولا يرى في عينه السارية

وقوله فانصرفوا بمعنى انهزموا لما وصل التراب الى أعينهم وقال شاهت الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله تعالى عليه وسلم (و) في بعض النسخ انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرب صدر جرير بن عبد الله) البجلي الصحابي رضي الله تعالى عنه وليس هو جرير الشاعر وخص الصدر لانه محل الرهبة والامن لانه مقر القلب (ودعا له وكان) جرير (ذكر له) صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لا يثبت على الخيل) أي لا يقر على ظهورها لعدم فروسيته (فصار) جرير رضي الله عنه حينئذ (من أفرس العرب) أي أقواهم (وأثبتهم) على ظهورها ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فالفاء فصيحة أي فدعا له فصار الى آخره (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) بن نفيل القرشي العدوي المدني الصحابي (وهو صغير) وكان أتى به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحنكه (وكان دميما) بدال المهملة بمعنى حقير وأما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى مذموم وليس مرادا هنا (ودعا له بالبركة) أي بالزيادة في خلقته وسائر أموره (ففرع) بفاء وراء وعين مهملتين مفتوحات (الناس) أي جنسهم وفي نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم (طولا) أي في طول قامته (وتماما) أي بان تم سائر أعضائه وكمل الله خلقته بدعائه له صلى الله تعالى عليه وسلم والى هنا انتهى ما زيد في الاصل ونقل من خط المصنف رحمه الله تعالى (وشكى اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أبو هريرة) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته وما يتعلق به من الصرف وعدمه وما فيه من الكلام للناس (النسيان) مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق بينه وبين السهو ان الثاني يتنبه صاحبه بادنى تنبه والفرق بينه وبين الخطأ انه صدور أمر من غير قصد (فامره) صلى الله تعالى عليه وسلم (ببسط ثوبه) أي ما كان لابساله في ذلك الوقت أي بان يضعه على الارض ويفرشه (وغرف بيده فيه) أي فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شيء ما يضعه في آخر وضمير فيه للثوب الذي أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ببسطه للامر الذي أراده (ثم أمره) بعدما غرف فيه (بضمه) أي ضم ثوبه على جسده (ففعل) أي ضمه عليه حتى كأنه صار بدنه ما غرف له (فما نسي شيأ بعد) بالبناء على الضم لما تقرر في محله في علم

٢ قوله وما روي هذه الرواية لم توجد باصل الصلب الذي بايدينا فلتحرر اه مصححه

العربية أى لم ينس أبو هريرة شيأ مما كان يسمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن غيره لما ناله من البركة قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فما كان أحد أحفظ منى لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لتقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث رواه البخارى وفيه بدل الثوب الرداء ولا مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس مطلقا كما تقرر وان خص فى العرف بالمخيط منه وما فعله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغرف ونحوه يجعل المعانى المعقولة بمنزلة الامور المحسوسة فجعل الحفظ كشئ عنده اغترف منه حتى ملأ رداءه وضمه اليه حتى يحيط به ويسرى من ظاهره لباطنه وهو صلى الله عليه وسلم كما فوض اليه التصرف فى عالم الشهادة فوض اليه التصرف فى غيره أيضا وهو سر من الاسرار دقيق لا يوقف عليه الا بالكشف

(فصل ومن ذلك) أى من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وكراماته الباهرة (ما اطلع عليه) هو اما مبنى للمجهول من الافعال أى أطلعه الله تعالى عليه أو من الافعال (٢) مبنى للفاعل بتشديد الطاء (من الغيوب) بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عنى كذا ويستعمل فى كل غائب عن الحاسة وما يغيب عن الانسان بمعنى الغائب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله عالم الغيب والشهادة أى ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله يؤمنون بالغيب أى بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام (وما يكون) فى المستقبل وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير الله أو ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات (والاحاديث) الواردة (فى هذا الباب) أى فى هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيب الذى أطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (بحر) تشبيه بليغ أى فى كثرتها كالبحر (لا يدرك قعره) بالبناء للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وأرضه أى لا يصل أحد الى نهايته (ولا ينزف) بمعجمة وفاء مبنى للمفعول أو للفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى أى لا ينفد ويفنى (غمره) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة وهو الماء الكثير جدا (وهذه المعجزة) فى اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على الغيب (من جملة معجزاته) اشارة الى كثرتها فهى البحر حدث عنه ولا حرج (المعلومة) للناس (على) طريق (القطع) بتحققها بحيث لا يمكن انكارها أو التردد فيها لاحد من العقلاء وقوله المعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا تواترها تواترا معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه كتواتر جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار فى بعضها كالقرآن والى هذا اشار بقوله (الواصل الينا خبرها) جاريا (على) نهج (التواتر) المشهور (لكثرة رواتها) أى رواة مجموعها (واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) أى الامور المغيبة وهذا لا ينافى الآيات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير فان المنفى علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق بقوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذى يبصر به فمن كان الحق بصره فاطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافى قول المرسى فى تفسيرها الا رسول أو صديق أو ولى ولا زيادة فيه على النص فان السلطان

اذا

فهملة أى طال وعلا وغلب (الرجال) وفى نسخة الناس (طولا وتماما) رواه الزبير بن بكار عن ابراهيم ابن محمد بن عبد العزيز الزبيرى عن أبيه

(فصل)

(ومن ذلك) أى من قبيل هذا النوع المكنون (ما اطلع عليه) بضم همز وسكون مهملة وفى نسخة بتشديدها مضمومة أى ما ألهم اليه (من الغيوب) أى الامور المغيبة فى الحال (وما يكون) أى سيكون فى الاستقبال (والاحاديث فى هذا الباب) أى فى هذا النوع من أنواع الكتاب (بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره) بصيغة المفعول فيهما ويجوز فتح الياء وكسر الزاى والغمر الماء الكثير فى البحر الكبير أى لا يحاط غايته ولا تفنى نهايته (وهذه الجملة) أى الآتية وفى نسخة وهذه المعجزة (من جملة معجزاته المعلومة على القطع) أى على الوجه القطعى والطريق اليقينى (الواصل الينا خبرها على التواتر) أى لدينا (لكثرة رواتها) أى مع اختلاف مبانيها الدالة (واتفاق معانيها الدالة على الاطلاع على الغيب) أى على اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات عنا

(٢) قوله من الافعال لعل صوابه من الافتعال مصححه

انالك لا يدخل على اليوم الا لوزير لا ينافى دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولى اذا أطلعه الله على غيبه أى بنور نفسه وانما آمنوا بنور متوقعه لم يكلفنا الله الايمان بالغيب الاوقد فتح لنا باب غيبه والى هذا أشار الغزالى فى أماليه على الاحياء ثم قال ويحتمل أن يكون المراد بالرسول فى الآية الملك الوحى الذى بواسطته تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام مشافهة أو القاء فى روع أو ضرب مثل فى يقظة أو منام ليعلم من أراد وفائدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه أحدا من عباده الا على يدى رسول من ملائكته أرسله لمن فرغ قلبه لانصباب أنهار العلوم الغيبية فى أوديته حتى يصل لاسرار الغيب المكنونة فى خزائن الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه أشار القاضى فى تفسيره وبقى ثمة أسرار لا تسعها الحروف ثم انه بين ما أجمل بحديث رواه أبو داود عن حذيفة وعدل عما رواه الشيخان رحمهم الله تعالى لما فى طريقه التى رواه منها من الزيادة فقال (حدثنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى) المعروف (اجازة) منه بروايته عنه (وقراءة على غيره) اشارة الى انه رواه من طرق متعددة قويه والقراءة والاجازة طريقان اختلف فى أيهما أقوى وقيل انهما متساويان وهو الظاهر (قال أبو بكر حدثنا أبو على التسترى) على بن أحمد بن على الامام المشهور أحد رواة سنن أبى داود وتستر كجندب بلد معروف وسينه مهملة واعجامها لحن قال (حدثنا أبو عمر الهاشمى) وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال (حدثنا اللؤلؤى) وهو أبو على محمد بن أحمد بن عمرو السابق ترجمته قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن المشهور كما تقدم قال (حدثنا عثمان بن أبى شيبة) بن محمد بن ابراهيم أبو الحسن الكوفى الحافظ توفى سنة تسع وثلاثين ومائتين وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم وترجمته فى الميزان قال (حدثنا جرير) ابن عبد الحميد الضبى صاحب المصنفات المشهور الثقة توفى سنة ثمان وثمانين ومائة وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان وغيره (عن الاعمش) هو سليمان بن مهران كما تقدم فى ترجمته (عن أبى وائل) سفيان بن سلمة الاسدى المخضرم توفى سنة اثنين وثمانين وهو من العلماء العاملين ثقة أخرج له الستة (عن حذيفة) بن اليمان الصحابى المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخبره بالفتن وما سيكون وروى عنه أحاديث كثيرة وكان عمر رضى الله تعالى عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو لاطلاعه على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك توفى سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروى عنه لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل فى الفتن مشهور واليه أشار بقوله (قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الضمير للصحابة والمراد به انه خطبهم يوما فعبر بالقيام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قائما أى قام ونحن عنده فالظرفية مجازية (مقاما) بفتح الميم اسم مكان أو مصدر ميمى فهو مفعول مطلق (فما ترك) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقامه هذا (شيأ) مما (يكون) أى يوجد ويحدث بعده مما يهم من أحوال المسلمين ومن يتولى أمورهم بعده وما يكون بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيأ (فى مقامه ذلك) أى فى خطبته التى خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر بكمال العناية به (الى قيام الساعة) أى من أول زمنه الى آخره فقدره لدلالة المقام عليه (الاحدثه) أى الاحدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفى نسخة حدث به والفعل فى تأويل الاسم كقولهم أنشدك الله لا فعلت والاستثناء متصل لدخول الحدث به فى الشئ وقيل انه منقطع بمعنى لكن (حفظه من حفظه) الضمير للحديث المفهوم من السياق (ونسيه من نسيه) أى حفظه بعض

(حدثنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى) بكسر الفاء المعروف بالطرطوشى (اجازة وقراءة) وفى نسخة وقراءته (على غيره) أى رواية (قال أبو بكر) احترازعن غيره (حدثنا أبو على التسترى) بضم التاء الاولى وفتح الثانية بينهما سين مهملة لا معجمة كما فى لسان العامة وهو أحد رواة سنن أبو داود (حدثنا أبو عمر الهاشمى حدثنا اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى راوى سنن أبى داود (حدثنا أبو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن وانما أسند المصنف هنا من حديث أبى داود عن حذيفة وزواه عنه مع رواية الشيخين لما فى روايته له من طريق آخر من الزيادة كما سيأتى (حدثنا عثمان بن أبى شيبة) روى عنه الشيخان وغيرهما (حدثنا جرير) بفتح الجيم فكسر الراء روى عنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة وله مصنفات (عن الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن أبى وائل) هو شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام لكن لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان من العلماء العاملين (عن حذيفة) أى ابن اليمان (قال قام فينا) أى خطيبا أو واعظا أو معناه خطبنا (مقاما) بفتح الميم فى مكان أو قياما (فما ترك) وفى نسخة ما ترك (شيأ) أى مهما (يكون) أى يحدث من العدم (فى مقامه ذلك) ظرف لما ترك (الى قيام الساعة الاحدثه) وفى نسخة حدث به أى حدث بوجوده (حفظه) ما ذكره (من حفظه) أى جميعه (ونسيه من نسيه) أى بعضه أو كله

(قد علمه) متعلق بيكون أى عرف هذا الخبر (أصحابى هؤلاء) أى من الصحابة الحاضرين أو الموجودين قال الدلجى لم أر هذه الزيادة من مختصات رواية أبى داود لان لفظه قد علمه أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) أى الشان (ليكون منه) أى ليحدث ويقع مما أخبرنا به (الشئ) أى الذى قد نسيته فأراه موجودا فى الاعيان (فاعرفه) أى انه مما أخبرنا به (واذكره) أى أتذكره بعد مانسيته (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه) أى كما اذا غاب وجه الرجل عن الرجل فينساه (ثم اذا رآه عرفه) أى بعد نسيانه اياه قال الدلجى الى هنا رواية الشيخين وزاد أبو داود بسند آخر من طريق قبيصة بن ذؤيب عن أبيه عن حذيفة وان كان صنيعه هنا يقتضى اتصاله به (ثم قال) أى حذيفة كما فى أكثر النسخ (ما أدرى أنسى أصحابى) أى حقيقة (أم تناسوه) أى تكلفوا نسيانه لقلة اهتمامهم به لقيامهم بما هو أهم منه ولما أراد الله من اختصاص كل منهم ببعض ما استفادوا عنه (والله ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة) أى أميرها يقودها الى المحاربة ويجرها الى المخاصمة بالطرق الباطلة أو محدث بدعة كعلماء المبتدعة من الخوارج والروافض والمعتزلة يحدث من زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه) أى مع قائد الفتنة (ثلثمائة فصاعدا) أى فأكثر والجملة صفة قائد (الا قد سماه) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك القائد (لنا) أى لاجلنا (باسمه واسم أبيه وقبيلته) أى التى تؤويه (وقال أبو ذر) أى على مارواه أحمد والطبرانى بسند صحيح وأبو على وابن منيع عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه انه قال (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مات عنا (ومايحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا) بتشديد الكاف أى أفهمنا (منه) من ذلك الطائر أو تحريكه (علما) أى حكما اجماليا أو تفصيليا (وقد خرج أهل الصحيح) أى من التزم صحة مارواه كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم فى كتبهم المعروفة (والائمة) كمالك وأحمد وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم ممن لم يلتزموا فى كتبهم الصحة (ما أعلم به) مفعول خرج أى ما أخبر به (أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور) أى الغلبة (على أعدائه) وفى نسخة على أعدائهم (وفتح مكة) تخصيص بعد تعميم وهذا مما رواه الشيخان وغيرهما

(و)

السامعين له ونسيه بعضهم (قد علمه أصحابى هؤلاء) الحاضرون عنده أو المراد أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الزيادة فى رواية أبى داود ولم يذكرها البخارى (وانه) الضمير للشان (ليكون منه الشئ) أى يوجد شئ مما حدثنا به فى ذلك المقام فى الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه فأراه بعينى بعدما وجد (فاعرفه فاذكره) أى أتذكره بعد مانسيته فاتذكر ما أخبرنا به رسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم شبه تذكره ايضاحاله (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه) فيه تقديم وتأخير أى كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه وسيماه وهو فى مخيلته الا انه لم يذكره فاذا رآه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بتذكر بل بنسى المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا (ثم قال) حذيفة فيما رواه أبو داود زاده على مارواه الشيخان (ما أدرى أنسى أصحابى) هذا الحديث (أم تناسوه) أى أظهر وانسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به كما قيل بل لانه من الاسرار التى لا ينبغى ان يحدث بها كل أحد (والله) قسم أكد به مابعده (ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد) بالقاف والدال المهملة ومن زائدة والمراد به المتغلبة الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ويمشى خلفه (فتنة) فيأتى للحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين كالحجاج وغيره من أصحاب البدع من زمنه (الى ان تنقضى الدنيا) أى الى ان تتم وتنتهى مدتها ويخرب العالم وتبدو مقدمات الساعة بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج (يبلغ من معه) أى يصل من معه من اتباعه والضمير للقائد (ثلثمائة) رجل (فصاعدا الا قد سماه لنا) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باسمه واسم أبيه وقبيلته) بحيث لم يبق شبهة فيه وهذا الحديث روى من طريق آخر مفصلا على كلام فيه ذكره ابن الجوزى وغيره (وقال أبو ذر) الصحابى المشهور فى حديث رواه أحمد والطبرانى وغيرهما بسند صحيح (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ذهب عنا وانتقل الى الآخرة من بين أظهرنا ولم ندع شيأ الا بينه لنا بحيث لا يخفى علينا شئ من بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا أطال فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة من الظهر الى قبيل الغروب لم يدع شيأ الا بينه لاصحابه (ومايحرك طائر جناحيه فى السماء) أى فى الجو وهو كناية عن بيان كل شئ (الا ذكر لنا منه علما) وفى نسخة الا ذكرنا منه علما أى تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهمنا فى الارض وهذا تمثيل لبيان كل شئ تفصيلا تارة واجمالا أخرى (وقد خرج أهل الصحيح) أى رووا باسانيدهم ماصح عندهم كالشيخين وأصحاب السنن والمسانيد (والائمة) الحفاظ الثقات كأحمد والشافعى وأبو حنيفة ومالك (ما أعلم به أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به) بيان لما (من الظهور على أعدائه) لغلبتهم وقلة شوكتهم (وفتح مكة) الذى أخبر به قبل وقوعه فحققه الله تعالى

(وبيت المقدس) كما رواه البخاري عن عوف بن مالك (واليمن والشام والعراق) كما في الصحيحين عن سفيان ابن ابى زهير (وظهور
الامن حتى تظعن) بسكون المعجمة وفتح المهملة أي ترحل (المرأة من الحيرة) بمهملة مكسورة مدينة بقرب الكوفة وأخرى عند
نيسابور (الى مكة لا تخاف الا الله) على ما رواه البخاري عن عدى ابن أبي حاتم (وان المدينة) أي السكينة (ستغزى) بالغين
والزاى على بناء المفعول
وهو من الغزاوى
ستحارب وتقاتل وفي
رواية بمهملتين قال الحافظ
المزى الرواية في
الحديث بالعين المهملة
والراء يعني من العرى
أي تصير عراء والمعنى
ستخرب ليس فيها أحد
فقد رواه الشيخان عن أبي
هريرة رضي الله تعالى
عنه بلفظ يتركون
المدينة على خير ما كانت
لا يغشاها الا العوافي
وهذا لم يقع بعد كما اختاره
النووي وغيره وانما يقع
قرب الساعة وقال
التلمساني وقع هذا في
زمن يزيد بن معاوية ندب
عسكرا من الشام الى
المدينة فنهبها والوقعة
معروفة بالحرة وهي
أرض بظاهر المدينة
ذات حجارات سود
وقتل فيها كثير من أبناء
المهاجرين والانصار
وكانت في ذي الحجة
سنة ثلاث وستين
وعقيبها هلك يزيد
(وتفتح خيبر على يدى
على في غد يومه) كما رواه
الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لاعطين الراية غدا رجل يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله يفتح الله
على يديه فدعا عليا وكان أرمد فبصق في عينيه فبرأ وفتح الله على يديه (وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها) أي
يعطون من بهجتها من كثرة المال وسعة الجاه كما رواه الشيخان من طرق (وقسمتهم) أي ومن تقسيمهم فيما بينهم (كنوز
كسرى) بكسر الكاف ويفتح أي ملك فارس (وقيصر) أي وكنوزه وهو ملك الروم كما في الصحيحين من طرق عن أبي هريرة وغيره

(و) فتح (بيت المقدس) كما رواه البخاري وغيره بيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد أخبر صلى الله
تعالى عليه وسلم تميما الداري بفتحها قبل أن يسلم وأقطعه أرضا بها ثم فتح في خلافة عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه فاعطى تميما أقطاعه في سنة ست عشرة من الهجرة (و) فتح (الشام و) فتح (اليمن و)
الفتح (العراق) يعني ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة تمام
والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة في
حديث رواه ابن دحية كما في كتاب مرج البحرين في أخبار المشرقين والمغربين وأصل معنى العراق
شاطئ البحر وقيل انه معرب (وظهور الامن) في الممالك الاسلامية وهو مجرور أي أعلم أصحابه بظهور
الامن (حتى تظعن المرأة) بظاء معجمة وعين مهملة ونون أي تسافر وحدها من الظعن بفتح العين
وسكونها وهو السفر قال الله تعالى يوم ظعنكم وذكر المرأة للمبالغة في الامن لانها مع ضعفها وشدة خوفها
اذا أمنت علم أمن غيرها بالطريق الاولى (من الحيرة الى مكة) بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة
التحتية وفتح الراء المهملة والهاء مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة أخرى بقرب نيسابور (لا تخاف)
المرأة (الا الله) كناية عن انها لا تخاف أحدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم (وان
المدينة) يعني طيبة وهو علم بالغلبة عليها وأصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس (ستغزى) روى
بغين وزاى معجمتين من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الآتي ذكرها فانها وقعة عظيمة
قتل بها المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم وروى بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي
مضمومة في الرواية الاولى أي تخرب وتخلو فتصير عراء ليس فيها أحد والعراء الفضاء الخالي من الناس
قال الله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وهذا لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه وقع وهو
مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة الحرة أيضا فان الناس ارتحلوا فيها منها وتركت الصلاة والاذان
حتى سمع الاذان من مرقده صلى الله عليه وسلم ثم أمنهم يزيد حتى عادوا لها (و) أعلمهم صلى الله عليه وسلم
(بفتح خيبر على يد) علي كرم الله تعالى وجهه (في غد يومه) أي أخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان
عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعطين
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه فدعا عليا وكان أرمد
فبصق في عينيه فبرأ وفتحها الله على يديه على ما فصل في السير وقد تقدم الكلام على شئ منه (و) أعلم
صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه (بما يفتح الله تعالى على أمته) أي بما ييسره الله تعالى لامته من فتح
البلدان وما يوسعه لهم (من الدنيا) بكثرة المال والعزة (ويؤتون) بالبناء للمجهول أي يؤتيهم الله تعالى
(من زهرتها) أي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان من
طرق صحيحة (وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر) الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو المال المدفون
ويطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا خزائنهما وما لهما وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم
الشمس من ملوك الفرس ثم صار علم جنس لكل من ملكهم أو نكر وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم
أطلق على كل ملك لهم كذلك ومعناه المشقوق لان أمه ماتت حين أرادت وضعه فشق بطنها وأخرج

منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة وغيره من طرق وفيه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله وقد حقق الله تعالى ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق الله وعده وكان ذلك على يد خلفائه رضى الله تعالى عنهم (وما يحدث بينهم) أى أعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بما يحدث بين أمته (من الفتون) بوزن دخول مصدر بمعنى الافتتان كما فى أكثر النسخ جمع فتنة كما قال البرهان والفتنة أصلها الاختبار ثم قيلت لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما فى بعض النسخ لان الفتون الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشئ فانه ورد بمعنى الفتنة أيضا وهو بطريق المجاز أى مطلق الميل (والاختلاف) فى الكلمة والآراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان أحسن (والاهواء) بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا أطلق خص بالامور الباطلة (وسلوك سبيل من قبلهم) من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما أحدثوه من الضلال والبدع والتحريف كما صرح به فى الحديث (وافتراقهم) أى افتراق هذه الامة (على ثلاث وسبعين فرقة) أى ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من النهج المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى بنائية كما قاله الدوانى فى حواشى الشمسية فى قوله رتبته على مقدمة الى آخره فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما ان يريد به دخول على هذا الاسلوب الخاص وحينئذ فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه تضمن معنى البناء فانه يتعدى بعلى الى أسلوبه فيقال بنى الدار على طبقتين أو يقال تعدى بها بناء على ان معنى الترتيب جعل الاجزاء مترتبة وهو مقصور على انحاء فيتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم كما فى مناهل الصفاء للجلال السيوطى (الناجية منها واحدة) أى الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث فانه قال فيه ليأتين على أمتى ما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذوة بالقذوة وان بنى اسرائيل افترقت على ستين أو سبعين ملة فستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا ملة واحدة أو فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم أى الناجون منهم قال من كان على ما أنا عليه وأصحابى فمعنى الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفى قوله ستفترق اشارة الى أنه ليس فى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفاء الراشدين وفى قوله ملة اشارة الى أن الخلاف المذكور فى الدين والاعتقاد فلا ينافيه ما وقع بينهم فى أمور جزئية وقد بينت هذه الفرق وفصلت فى كتاب الملل والنحل وفى علم أصول الدين وهذا من جملة ما أطلعه الله عليه من المغيبات (و) فى حديث رواه الشيخان عن جابر رضى الله تعالى عنه و(انهم سيكون لهم انماط) جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط يعنى ان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يتوسعون فى الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة (و) قوله (يغدو أحدهم فى حلة ويروح فى أخرى) وما بعده من حديث رواه الترمذى عن على

(وما يحدث بينهم) أى بين أمته (من الفتن) بكسر ففتح جمع فتنة وفى نسخة الفتون بالضم مصدر فتن بمعنى الافتتان (والاختلاف والاهواء) على ما رواه الشيخان من طرق ولعل المراد بالاختلاف ظهور التنافس فى الملك واختلاف أمر الامراء وبالاهواء ظهور المعتزلة والغلاة من أهل البدعة (وسلوك سبيل من قبلهم) أى وسلوكهم على نهج من تقدمهم من الامم فقد رواه الشيخان عن أبى سعيد بلفظ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم فسئل اليهود والنصارى قال فمن (وافتراقهم) أى اختلافهم (على ثلاث وسبعين فرقة) أى طائفة كما رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن أبى هريرة قيل وأصولهم ثمانية معتزلة عشرون فرقة شيعة اثنتان وعشرون فرقة وخوارج على سبع فرق ومرجئة على خمس فرق ونجارية ثلاثة فرق وجبرية محضة فرقة واحدة ومشبهة فرقة واحدة وطرقهم مختلفة (الناجية منها) أى من تلك الفرق (واحدة) أى فرقة واحدة كما فى نسخة صحيحة وهم الذين قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين على ما أنا عليه وأصحابى وهم أهل السنة والجماعة من الفقهاء كالائمة الاربعة والمحدثين والمتكلمين من الاشاعرة والماتريدية لخلو مذاهبهم من البدعة (وانه) أى الشان وفى نسخة وانها أى القصة وفى نسخة صحيحة وانهم وحسنه (سيكون لهم) أى لامته (انماط) بفتح الهمزة جمع نمط وهو ضرب فراش ويغشى عليه الهودج أيضا وهذا فى الصحيحين عن جابر وفى الترمذى عن على (ويغدو) أى يصبح أو يمر (أحدهم فى حلة ويروح) أى يمسى أو يرجع (فى أخرى)

وتوضع بين يديه صحفة) أي اناء كالقصعة المبسوطة (وترفع) أي من بين يديه (أخرى) أي صحفة أخرى (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة) وفيه ايماء الى ان الدنيا تبسط عليهم بالسعة (ثم قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا لاصحابه الكرام (آخر الحديث) أي في آخر الكلام (وأنتم اليوم خير منهم يومئذ) فاتوا بالعاطفة ردا لقولهم نحن يومئذ خير من اليوم ظنا منهم انهم يصرفون الدنيا في طرق العقبى فالمعنى ليس الامر كما تظنون بل وأنتم اليوم خير لان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وفيه تنبيه على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر (وانهم اذا مشوا المطيطاء) بضم الميم وفتح الطائين بينهما ياء ساكنة والكلمة ممدودة وتقصر وهي مشية فيها مد اليدين والتبختر والخيلاء ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى وفي نسخة المطيطيا بزيادة ياء بعد طاء مكسورة أو مفتوحة (وخدمتهم بنات فارس والروم) أي بسببهم لهن (رد الله بأسهم) أي شدة عداوتهم بكثرة محاربتهم (بينهم) أي لطغيانهم بكثرة المال وسعة الجاه والاقبال (وسلط) أي الله (شرارهم على خيارهم) لان الغالب غلبة أهل الشر في الشوكة والدولة الدنيوية والحديث رواه الترمذي عن ابن عمر كما قاله الدلجي وأما ما ذكره الحلبي من ان الحديث رواه الذهبي في ميزانه من ترجمة محمد بن خليل الحنفي الكرماني ولفظه وروى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر الحديث ثم قال لا يصح فلا يعارض ما تقدم فان عدم صحته يحمل على روايته مع انه لا يلزم من عدم الصحة نفي الثبوت بطريق الحسن وهو كاف في الحجة هذا وقد ثبت انهم بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم وغنموا أموالهم وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى علي جماعة حتى قتله أشقاهم وهلم جرا الى ان قتل زياد بأمر يزيد وشرار أعوانهم الحسين وأصحابه خيار زمانهم وقد سلط بنو أمية سبعين سنة على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا

وخدمته والغدو بغين معجمة ودال مهملة سير أول النهار ويقابله الرواح والحلة هي الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين احدهما فوق الآخر كما ان الانهم توسعوا فيه فاطلقوه على ما قلناه والمراد تعدد لباسهم ونفاسته بعد ما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله (وتوضع بين يديه) أي بين يدي احدهم (صحفة) بزنة قصعة وهي اناء الطعام (وترفع أخرى) أي صحفة أخرى اشارة الى تلون أطعمتهم وتعددها ونفاستها (ويستر بيوتهم) بالبناء للمجهول أي يسترون حيطان بيوتهم وأبوابها وفي نسخة ويسترون بيوتهم (كما تستر الكعبة) وهذا كما تفعله الامراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر الاول وهو اسراف وقد ورد النهي عنه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه (في آخر الحديث) الذي رواه الترمذي وغيره (وأنتم اليوم) المراد به مطلق الزمان الحاضر (خير منكم يومئذ) أي أحسن منكم حالا من حالكم الآتي الذي يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم فضلهم على أنفسهم باعتبارين لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلي به (و) مما أعلم به صلى الله عليه وسلم أصحابه (انهم اذا مشوا المطيطاء) كما ورد في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر الا أن الذهبي قال في ميزانه لم يصح والمطيطاء بضم الميم وفتح الطاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة وألف ممدودة كما في الصحاح ويقصر أيضا كما في النهاية وهو مبني على التصغير كالكميت وهي مشية فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالثريا والمريطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى مد ومن مطايط وكما بين في كتب اللغة (وخدمتهم بنات فارس والروم) أي اتخذوا الجواري والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كفرة يحل سبيهم لاهل الاسلام كثيرا أو لانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة أرقاء لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم أيضا وهو معرب بارس بالباء المعجمة ولا يدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف أيضا سموا باسم أبيهم (رد الله بأسهم بينهم) جواب اذا والبأس معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم لان الله كان أعطى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب في قلوب اعدائه الكفرة وبقي من ذلك أثر فيمن اقتدى به من الخلفاء فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الاعداء وصار بعضهم يعادي بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض وطلب كل منهم ما في يد الآخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار الامر لمن غلب (وسلط شرارهم على خيارهم) الشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى أخير أو مخفف خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتداء ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم في الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الآن

(وقتالهم الترك) كما في الصحيحين بلفظ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة والظاهر ان المراد بهم التتار ولعل القضية متأخرة أو وقعت وليس لنا بها معرفة (والخزر) أي وقتالهم الخزر بضم معجمة وسكون زاي فراء طائفة من الترك جمع أخزر والخزر بفتحتين ضيق العين وصغرها وكذا ضبط الاصل أيضا في كثير من النسخ واقتصر عليه الشمني وفي حديث حذيفة كما في بهم خنس الانوف خزر العيون فالعطف تفسيري (والروم) وهم طائفة معروفة وقد سبق في الصحيح قتالهم مع قيصر فلا وجه لقول الدلجي لا أدري من روى

(و) أخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (قتالهم الترك) كما ورد في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التاء جيل معروف من الناس يقال لهم بنو قنطوراء وهي أمة لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف في نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم من أولاد يافث ابن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا يأجوج ومأجوج وعلى كل حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من دار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقائع مشهورة كوقعة جنكيز وهلاكه المفصلة في التواريخ (والخزر) بضم الخاء وسكون الزاي المعجمتين وراء مهملة وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التتار لانهم جمع أخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقائعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى الخزر بفتحتين أيضا وفي بعض نسخ الشفاء بخاء مضمومة وواو وزاي معجمة ساكنة وفيه نظر والخزر ضيق العين كما علمت أو النظر بمؤخرها (والروم) أي مما وقع من أخباره صلى الله عليه وسلم أصحابه أخباره بما سيكون من قتال الروم وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحق سموا باسم أبيهم ثم قيل روم ورومي كزنج وزنجي وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان وأصل مساكنهم جهة الشمال (وذهاب كسرى) بفتح الكاف وكسرها كما مر أي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه (وفارس) من أرض العراق وغيرها وقد تقدم بيانه (حتى لا كسرى ولا فارس) أي حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك الى يوم القيامة ولا انما تدخل على نكرة فاما ان نقول انه نكر كما في هذا الحديث لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى أي لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويمحو أثره وفيه مقدر أي لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة (بعده) أي لا يكون بعده من جنسه (وذهاب قيصر) ملك الروم بذهاب ملكه وقومه (حتى لا قيصر بعده) وهذا مما رواه الشيخان أيضا بدون فارس الا انه وقع في رواية من غير طريقهما (وذكر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أخبر به من المغيبات التي كانت كما قال (ان الروم) أي جنسهم المعروف (ذات قرون) وفي نسخة ذات القرون بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة في عصر واحد أي كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم منهم وقيل القرن السيد أي كل ما هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته رواية كلما هلك قرن خلفه مكانه قرن وقيل المراد بهم قرون شعورهم التي كانوا يطولونها ويعرفون بها للاشارة الى طول همهم (الى آخر الدهر) أي يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم عليهم لما مزقوا كتابه حين بعثه لهم كما هو مذكور في السير وقد تقدم أيضا وهو مشاهد الى الآن ليس لغيرهم ملك كملكهم وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك في عهده كتب لكسرى فلما قرأ كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل

حديث الطائفتين (وذهاب كسرى) أي ذهاب ملكه بذهابه (وفارس) أي وذهاب قومه أي من ارض العراق وغيره (حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر) أي ملك الروم من الشام ونحوه (حتى لا قيصر بعده) رواه الشيخان بدون فارس وذكر الحارث عن ابن محيريز مرفوعا فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ابدا وقد وقع ما أخبر به من زوال ملكهما من أقليمهما فلم يبق من كسرى وقومه طارفة عين بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمزق كل ممزق وقيصر أعني به هرقل قد انهزم من الشام في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه الى أقصى بلاده فافتتح المسلمون بلادهما فلله الحمد والمنة وأخذ السهيلي من هذا أن لا ولاية للروم على الشام الى يوم القيامة انتهى وأراد بالروم كفارهم من الفرنج والنصارى ثم وكسر

قيل التقدير ولا مثل كسرى ولا مثل قيصر لانه علم ولا تدخل عليه لا الا اذا كان أول بالنكرة (وذكر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الروم ذات قرون) أي كلما هلك قرن خلفه الى آخر قرن الدهر قال الفارسي معناه ان هلك منهم رئيس خلفه آخر وليسوا كالفرس لانهم مزقوا وقد ورد في هذا المعنى حديث وكانه تفسير لهذا قال عليه السلام فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعده ابدا والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر انتهى

وكسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد * أذاقه الله تمزيقا بتمزيق

وأما قيصر فلما أتاه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع دحية قبله وأجله فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يثبت ملكه وقد ذكروا ان مكتوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الآن عند ملوكهم يجلونه وهو محفوظ عندهم في صندوق من ذهب وأوصى بعضهم بعضا بحفظه فان ملكهم لا يزال ما دام هذا الكتاب عندهم حتى انهم أخرجوه لابن الصائغ الحنفي لما أرسله السلطان قلاوون الى ملك النصارى بالمغرب لامر مهم وقالوا له هذا كتاب نبيكم لجدنا نحن نعظمه ونتبرك به وكان عندهم بقية عمامة وهو الى الآن عندهم ولكن الله يهدي من يشاء (م) أعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه (بذهاب الامثل فالامثل من الناس) لامثل هنا بمعنى الاشرف لانه أقرب عالية ومشابهة لاهل الحق والصدر الاول والفاء لترتيب التفاضل لا ثباته للاول ثم للثاني وهكذا الى ان يبقى حثالة لا عبرة بهم وفي الصحاح فلان أمثل بني فلان أي أدناهم للخير وهؤلاء اماثل القوم أي خيارهم أي أعلمهم صلى الله عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير قبل غيره وفي البخاري يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة أي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والحثالة بالحاء المهملة والثاء المثلثة من كل شئ رديه (وتقارب الزمان) في حديث رواه الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار بضاد مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة وهو حشيش يحترق بسرعة والتقارب تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه من بعض ويقال للقصير متقارب ومقارب وهذا يكون اذا قربت الساعة في آخر الزمان كما ورد التصريح به في بعض الروايات واختلفوا في معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ويكونون مسرورين ومازال الناس يصفون الايام المنيفة بالقصر وللشعراء فيها مبالغة ومعان لطيفة يعرفها من له المام بالادب كقول أبي تمام

أعوام وصل كان ينسى طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام * ثم انبرت أيام هجر اعقبت

نحوى أسا فكأنها أعوام * ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وهذا المذكور هو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه الكرماني بانه لا يناسب قوله بعده (وقبض العلم) وقال ابن حجر انما احتاج الخطابي لتأويله بما ذكر لانه لم يشاهد النقص في زمنه والذي تضمنه الحديث نجده في زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام مالم نجده في العصر الذي قبله وان لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل كفى حزنا أن لا حياة هنية * ولا عمل يرضى به الله صالح

فالحق ان المراد نزع البركة من كل شئ حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو الذي ارتضاه النووي رحمه الله تعالى وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار فان كل قرن أهله أقصر أعمارا من أعمار القرن الذي قبله وقال البيضاوي في شرح المصابيح المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها وهنا وجه آخر قريب من الاول وهو انه لكثرة الظلم والاحزان والاشتغال بامور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن أوقاتهم ولا يشعرون بها * كما قلت

ان الزمان مقصر ذهبت به * بركاته اذ زادت الآلام

ماذاك الا انه قد فر من * خوف وقد جارت به الحكام

وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله (وظهور الفتن والهرج) وهي جمع فتنة وهي معروفة وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعنى أخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى الا الناس جهلة اذا

(وبذهاب الامثل فالامثل) أي الافضل فالافضل (من الناس) أي من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم والفاء مؤذنة بترتيب التفاضل فأثبت الامثلية للاول ثم للثاني وهكذا حتى تبقى حثالة لا يبالهم الله بالة (وتقارب الزمان) كما في حديث الترمذي لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة أي العرفية والساعة كالضرمة بالنار والمراد به آخر الزمان واقتراب الساعة لان الشئ اذا قل وقصر تقارب أطرافه والظاهر انه أريد به زمن عيسى عليه السلام فانه لكثرة الخيرات تستقصر الاوقات للاستلذاذ بالمسرات أو زمن الدجال فانه لكثرة اهتمام الناس بما بدههم من همومهم لا يدرون كيف تنقضي أيامهم أو أريد به تسارع الازمنة فيتقارب زمانهم في المنحة أو المحنة أو أريد به قلة البركة في أعمالهم مع كثرة الحركة في أحوالهم (وقبض العلم) أي بقبض العلماء لحديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا كما رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة (وظهور الفتن والهرج) بفتح الهاء وسكون الراء فجيم قيل لغة حبشية ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة يتقارب الزمان بقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل

(وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في حديث الشيخين عن أم المؤمنين زينب (ويل) أي هلاك عظيم (للعرب من شر قد اقترب) ولعل المراد به فتنة عثمان في محنة المحاصرة وفتنة علي مع معاوية وفتنة الحسين مع يزيد وهلم جرا من المزيد ويفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد (وأنه) أي

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (زويت له الارض) أي جمعت وضمت (فأري) بصيغة المفعول في نسخة فرأى (مشارقها ومغاربها) ولفظ مسلم عن ثوبان ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها أي جمعها لي وطواها بتقريب بعيدها الى قريبها حتى اطلعت على ما فيها جميعها (وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها) وهذه الجملة من تتمة حديث مسلم عن ثوبان ولفظه وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها والمعنى زويت لي جملة الارض مرة واحدة وستفتحها امتي جزأ فجزأ حتى تملك جميع اجزائها (ولذلك) أي ولاجل تقييدها بمشارقها ومغاربها (كان امتدت) بتشديد الدال أي انبثت أمته وانتشرت ملته وفي نسخة وكذلك كأن بكاف التشبيه والمعنى وكذا وقع ثم استأنف للبيان امتدت (في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند) بدل أو بيان للمشارق والمغارب (أقصى المشرق) بيان لارض الهند أو بدل منه (الى بحر طنجة) بفتح طاء وسكون نون وفتح جيم بلدة عظيمة بساحل بحر المغرب ولا (حيث لا عمارة) بكسر أوله (وراءه) أي فيما وراء ذلك المكان (وذلك) أي ما ملكته أمته (ما لم تملكه أمة من الامم ولم تمتد في الجنوب) بفتح الجيم أي في الجهة الغربية اذا توجهت للقبلة وهو ريح يخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل أي الى مطلع الثريا

استعجموا افتوا بغير علم وبهذا فسره صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عنه وموتهم بالكلية انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح الآتي لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله تعالى عز وجل فانه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الراء المهملة وجيم بمعنى القتل وأصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره في الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم في هرج ومرج (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (ويل للعرب من شر قد اقترب) أي قرب ودنا زمنه وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر يشير بذلك الى أمر عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما وويل مبتدأ وان كان نكرة لما فيه من الدعاء مثل سلام عليكم وهي ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل في العربية واللغة والمراد بالشر ما مر لقوله اقترب وقيل انه اشارة لفتح سد يأجوج ومأجوج لان الحديث أوله قالت زينب رضي الله تعالى عنها استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النوم محمرا وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الى آخره فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج أي السد وعقد تسعين يعني يجعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه صلى الله عليه وسلم يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحسابهم المشهور ومثله كثير في الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط في شروحه (و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه أيضا (انه زويت له الارض) بالبناء للمجهول أي جمعت وضم بعضها البعض حتى يطلع على جميعها (فأرى مشارقها ومغاربها) أي جميع الارض وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتى يصير في محل واحد يحيط به الناظر اليه سريعا وأرى بضم الهمزة مبني للمجهول أي أراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع كما في قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة في جهتي المشرق والمغرب وهكذا هو في الواقع كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وفي قوله (وسيبلغ) أي يصل (ملك أمته) أي سلطانهم وحكمهم اشارة اليه (ما زوى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) أي الارض أو المشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيلية بيانية أو تبعيضية لما مر (ولذلك كان) أي وقع ما ذكر من الامتداد (امتدت) ممالكهم واتسعت أو أمته بمعنى انتشرت في نواحيها (في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند) بيان للمشارق والمغارب أو بدل (أقصى المشرق) بيان لارض الهند أو بدل أيضا (الى بحر طنجة) بفتح الطاء المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة وراءه) أي انتهت الى مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين أي ليس بعده بلاد ولا جزائر معمورة وطنجة لفظ بربري وهي مدينة عظيمة فتحت في الاسلام ثم استولى عليها النصارى في سنة سبعين وثمانمائة بعد قتال عظيم فلما رأى المسلمون ان لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا أكثر البلاد فعاد الاسلام غريبا كما بدأ ومن أراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس (وذلك) الذي امتد لهذه الامة (ما لم يملكه أحد من الامم) السالفة (ولم تمتد) الممالك الاسلامية (في) جهة (الجنوب

(ولا في الشمال) بكسر أوله وهو الجهة الشرقية اذا توجهت للقبلة (مثل ذلك) أي مثل امتداد جهتي المشرق والمغرب ولعل في اتيانهما بلفظ الجمع ايماء الى ما هنالك وكذلك الى ما هو كثرة العلماء منهما بالنسبة الى غيرهما وان علماء المشرق أكثر وأظهر من علماء المغرب فتدبر (وقوله) أي كما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق) أي على طريق الحق ومنهج الصدق وسبيل الطاعة من الجهاد وتعلم العلوم لعباد (حتى تقوم الساعة) أي الى قرب القيامة (ذهب ابن المديني) هو الامام أبو الحسن علي بن عبد الله المديني الحافظ يروي عن أبيه وحماد بن زيد وخلق وعنه البخاري وأبو داود والبغوي وأبو يعلى قال شيخه عبد الرحمن بن مهدي علي بن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة تلوموني على حب علي بن المديني والله لا أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني وكذا قال يحيى القطان فيه وقال البخاري ما استصغرت نفسي الا بين يدي علي قال النسائي كان الله خلقه لهذا الشأن توفي بسامرا هذا والمديني نسبة الى المدينة المشرفة قاله ابن الأثير وقال ان أصل المديني منها ثم انتقل الى البصرة وقال ان الأكثر فيمن ينسب الى المدينة مدني ثم قال وأما المديني فنسبة الى أماكن وساق سبعة وأما الجوهري فقال المدني نسبة الى مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأما المديني فنسبة الى المدينة التي بناها المنصور وهذا وهو بفتح الميم وكسر الدال وسكون الياء لا بصيغة التصغير كما توهمه بعض معاصرينا من العلماء (الى انهم) أي أهل الغرب (العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب) بغين معجمة فسكون راء (وهي الدلو) أي العظيمة وفي نسخة (وهو الدلو غيره) أي غير ابن المديني (يذهب الى انهم أهل المغرب وقد ورد المغرب) أي بدل الغرب فارتفعت الشبهة في مبناه (كذا

ولا في) جهة (الشمال مثل ذلك) أي مثل امتدادها في المشرق والمغرب فقيل في تفسيره انه بلغ ملكها أقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا جنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه (لا يزال أهل الغرب) سيأتي تفسيره مفصلا في كلامه (ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) غاية لاستمرار ظهورهم بتأييد الله تعالى لهم واعلاء لأنه الكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين أصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوي وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا في المشرق والمغرب أيهما أفضل فذهب الى كل منهما طائفة وهو خلاف لا طائل تحته قال ابن العماد في كتاب كشف الاسم ارا استدل من قال بفضل المغرب بهذا الحديث وأجيب بان الثابت لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم بالشام فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربي المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل أو هو متعلق بظاهرين بتضمين معنى محافظين مداومين على اقامة الحق وشعائر الدين (ذهب ابن المديني) في تفسير هذا الحديث وهو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح أبو الحسن امام أهل الحديث وأعلمهم به في عصره وقال النسائي كأن الله تعالى لم يخلقه الا لهذا الشأن وقال البخاري رحمه الله تعالى ما استصغرت نفسي الا بين يدي علي بن المديني الى آخره وكان من أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة وروى عنه البخاري رحمه الله تعالى وغيره من أصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول على خلاف القياس والقياس مدني كما نص عليه النحاة والمشهور ان يقال مديني في النسبة لمدينة المنصور فرقا بينه وبين المنسوب للمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك ولد ترجمة في الميزان وقال ابن الأثير النسبة الى المدينة مدني والأكثر مدني والمديني نسبة الى مدائن سبعة غيرها كما فصله وقال الجوهري المديني نسبة لمدينة الرسول والمدني نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح في الكلام على المسلسل بالأولية المديني نسبة الى مدينة أصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة وفي القاموس النسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مدني ولمدينة المنصور وأصبهان وغيرهما مديني وقال الكرماني قال الحافظ القدسي قال البخاري المديني الذي أقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدني الذي تحول عنها وكان منها انتهى (الى انهم العرب) مطلقا ووجه تسميتهم بأهل الغرب بقوله (لانهم المخصوصون بالسقي بالغرب) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة (وهي الدلو) العظيمة المعروفة تذكر وتؤنث سماعا وقيل المراد بالغرب في الحديث الحدة والشوكة وقدم تفسيره بالشام أيضا ومنه غرب الشام لحدته والغرب معان كثيرة في كتب اللغة (وغيره) أي غير ابن المديني من علماء الحديث (يذهب الى انهم) في الحديث (أهل المغرب) بميم في أوله (وقد ورد المغرب كذا) أي بهذا اللفظ في بعض الروايات وهو مؤيد للتفسير

في الحديث بمعناه) لكن فيه انه لا يعلم من رواه نعم يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة وهم على الحق مستمسكون لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة (وفي حديث آخر من رواية أبي امامة) كما رواه أحمد والطبراني عنه مرفوعا (لا تزال طائفة من أمتي) أي أمة الاجابة (ظاهرين على الحق) أي مستعلين عليه غير مخفيين لديه (قاهرين لعدوهم) أي غالبين عليهم من قهره غلبة واللام للتقوية (حتى يأتيهم أمر الله) أي بفنائهم أو خفائهم (وهم كذلك) أي لابثون على هنالك (قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وضبطه بضم الميم وفتح الدال المشددة ولعل مثل هذا الحديث حمل ابن المديني على تأويل ما تقدم وقال غيره المراد بأهل المغرب أهل الشام لانه غرب الحجاز بدلالة رواية وهم بالشام لكن لا منع من الجمع بان يوجد في كل منهما جمع يقومون بأمر الحق من اظهار العلم وافشاء شعار الدين والاجتهاد في باب الجهاد مع الكفار والملحدين ويؤيده ما رواه مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا ان يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (وأخبر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بملك بني أمية) فيما رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وفي سنده علي بن زيد ابن جدعان وهو ضعيف وعن أبي هريرة وفي سنده الزنجي وهو غير معروف ذاتا وحالا والمراد بني أمية بنو مروان بن الحكم ابن أبي العاص ابن أبي أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأول خلفائهم وأفضلهم عثمان بن عفان ثم معاوية ابن أبي سفيان وهو أول الملوك بقي تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم ابنه يزيد ثلاث سنين وأشهر ثم معاوية بن يزيد ومات بعد أربعين يوما ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة أشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات في شوال سنة ست وثمانين ثم بويع ابنه الوليد وكان مدته تسع سنين ثم بويع أخوه سليمان بن عبد الملك وكانت ولايته سنتين ثم بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان وولايته سنتان ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة ثم بويع الوليد ابن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم بويع يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المسمى بالناقص وكانت ولايته خمسة أشهر ثم بويع ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخرهم ومجموعهم أربعة عشر ما عدا عثمان رضي الله تعالى عنه (وولاية معاوية) أي ابن أبي سفيان وهو منهم لكن خص لانه متميز عنهم باشياء منها قوله

الثاني ولا يعينه لاحتمال انه روى (في الحديث بمعناه) فهو رواية بالمعنى ولولا هذا لم يفسره بعينه (وفي حديث آخر) من هذا القبيل رواه الطبراني وعبد الله بن أحمد بن حنبل (من رواية أبي امامة) عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم) من الكفرة بالجهاد في سبيل الله (حتى يأتيهم أمر الله) يعني الساعة واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها أو المراد انهم لا يعدم ظهورهم كقوله عليه الصلاة والسلام ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرماني وغيره (وهم كذلك) أي باقون على حالهم والجملة حالية (قيل يا رسول الله وأين هم) من البلاد ومقرهم (قال ببيت المقدس) بالاضافة وفيه لغات فقدس كمرجع اسم مكان أو مصدر ميمي من القدس وهو الطهر أي المكان الذي يطهر فيه العابد من الذنوب أو يطهر فيه للعبادة من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس أي التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الآثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة والظاهر ان الطائفة المذكورة الامراء والحكام وولاة الامور لانهم المعروفون بالقهر والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقهاء والمحدثين وكل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال البخاري هم أهل العلم ونقل عنه أيضا انهم أهل الحديث وكل محتمل والتعميم أولى كما لا يخفى وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر رواية أهل المغرب من طرق متعددة وصححها انه يدل على ابطال التأويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة الى أقصى بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفي رسالة للطرسوسي أرسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها هل أراد كم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا لما أنتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفاء أثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما (بملك بني أمية) وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا من طريق آخر في سنده ضعف (وولاية معاوية) بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ولقد

(ووصاه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عنه بلفظ ما حملنى على الخلافة الا قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا معاوية ان ملكت وفى رواية اذا وليت فاحسن وضعفه البيهقى ثم قال غيره ان له شواهد منها حديث سعد بن

أجاد المصنف رحمه الله تعالى اذ عبر فى بنى أمية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر فى معاوية رضى الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما ستبينه عن قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغليب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق لمن هو قرشى جامع لشروط الخلافة المذكورة فى الاصول والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفاء وغيرهم كما فى الحديث الآتى مع الكلام عليه الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما تقدم كان أولا أميرا ثم صار ملكا وهو أول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن رضى الله تعالى عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا وليس عثمان رضى الله تعالى عنه من بنى أمية لانه خليفة بحق ومعاوية وان كان منهم نسبا الا ان أبا سفيان كما علمت ابن حرب بن أمية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرناه وقيل انه أول ملوك بنى أمية ولكل وجهة وقد ورد فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم رأى مناما بنى أمية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بنى أمية كان ألف شهر لا تزيد ولا تنقص فاعطى الله أمته فى كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب لو اقعة فى تلك الليلة مما لا يعلم مقدار ثوابه الا الله تعالى يعرف ذلك من ألهمه الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار الخفية ما لا يخفى على ذى بصيرة (ووصاه) أى وصى عليه الصلاة والسلام معاوية اذا تملك بالعدل والرفق لما قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضى الله تعالى عنه فما زلت أطمع فى الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فى قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضى الله عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى البيهقى عن معاوية انه قال ما حملنى على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا ان له شواهد منها ما روى انه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل وروى ما يقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (و) منه أيضا قوله و(اتخاذ بنى أمية مال الله دولا) كما ورد فى حديث رواه الترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه اذا بلغ بنو أبى العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو ما يتداول أى يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم أول من فعل ذلك فى الاسلام وأول ملوكهم بعد معاوية يزيد ثم مروان بن الحكم ثم ولى ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المؤرخون (و) منه أيضا (خروج ولد العباس) بعد انقراض الدولة الاموية أى ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد فى حديث رواه أحمد والبيهقى بسند فيه ضعف وهو مما أخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثانى (بالرايات السود) اشارة الى ما فى هذا الحديث تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم وفى رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شئ حتى تنصب بايلياء أى بيت المقدس وفى سنده ضعف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر العباس ان الخلافة تكون فى ولده فكانوا يتوقعون ذلك وقد روى تبشيره صلى الله عليه وسلم بذلك له ولام الفضل زوجته من طرق أفردها السخاوى بتأليف ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان شعار بنى العباس السواد فى لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بذلك

العاص ان معاوية أخذ الاداوة وتبع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم يقول أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية منه صلى الله تعالى عليه وسلم فنفعه الله بها (واتخاذ بنى أمية مال الله بينهم دولا) بضم ففتح جمع دولة بضم فسكون وقد يفتح أوله أى متداولة متناوبة فيها من غير استحقاق لها والحديث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على ورواه البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ بنو أبى العاص أربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن أبى سعيد الخدرى اذا بلغوا ثلاثين الحديث (وخروج ولد العباس) أى ابن عبد المطلب وفى نسخة وخروج بنى العباس أى ظهورهم فى غلبة أمورهم (بالرايات السود) أى الاعلام الملونة بالسوادية أو لا بغلبتهم على العباد

(وملكهم) بضم الميم أى تملكهم (أضعاف ماملكوا) أى ملك غيرهم من ملوك البلاد فقد رواه أحمد والبيهقى باسانيد ضعيفة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى ينزلوا الشام و يقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم فى اسناده عبد القدوس وهو ضعيف وفى روايات تخرج الرايات السود من خرسان لا يردها شئ حتى تنصب بايليا وهى بيت المقدس فى اسناده رشد بن سعيد وهو ضعيف وأما أولاده الخلفاء واحفادهم الامراء فاولهم أبو العباس السفاح بويع سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم أبو جعفر المنصور ثم المهدى بن المنصور ثم الهادى ثم موسى بن الهادى ثم الرشيد أبو جعفر هارون بن المهدى ومات بطوس ثم الامين محمد ابن الرشيد وقتل ثم المأمون بن الرشيد ثم المعتصم بالله وهو محمد بن هارون ثم الواثق واسمه هارون أبو جعفر ثم المتوكل أبو الفضل جعفر بن محمد المعتصم ثم المنتصر أبو جعفر محمد بن المتوكل ثم المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم وخلع نفسه ثم المعتز بالله بن المتوكل على الله ثم المهدى بالله أبو عبد الله بن الواثق ثم المعتمد أبو العباس ابن المتوكل ثم المعتضد أحمد بن أحمد الواثق ابن المتوكل ثم المكتفى على بن المعتضد ثم المقتدر جعفر بن المعتضد ثم القاهر محمد ابن المعتضد وخلع نفسه عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وقد ارتكب أمورا قبيحة لم يسمع بمثلها فى الاسلام قال بعضهم صليت فى جامع المنصور ببغداد فاذا أنا بانسان عليه جبة عتابية قد ذهب وجهها وبقيت بطانتها و بعض قطن فيها وهو يقول أيها الناس تصدقوا على فانى كنت بالامس أميرا وصرت اليوم فقيرا فسألت عنه فقيل لى انه القاهر بالله وكانت له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل انسانا ثم الراضى محمد بن جعفر ثم المتقى بعد أخيه وهو أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ثم الفضل وهو المطيع للدين المقتدر بالله وخلع نفسه ثم الطايع عبد الكريم ابن الفضل بن المطيع القادر بالله ثم ولده القادر القائم بامر الله ثم ابنه المقتدى بامر الله ثم ابنه المستظهر بالله ثم ابنه المسترشد بالله ثم ابنه المستكفى بالله وكان خلفاء بنى العباس ثلاثين وكلهم ببغداد الى ان استولى عليهم الزمان سنة ست وخمسين وستمائة ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدى) بفتح الميم وتشديد التحتية قال الحلبي واسمه محمد بن عبد الله من ولد فاطمة من ولد الحسن كما فى الاحاديث انتهى وأصل أحاديثه فى أبى داود فى سننه وقيل من أولاد الحسين وقيل من ذريتهما وليس المراد به أحد الائمة الاثنى عشرية كما اعتقد الشيعة وانه مختف فى المكان وسيظهر فى آخر الزمان ولا أحد المشايخ الذى انتهت اليه الطائفة المهدوية القائلة بانه جاء ومضى وان من لا يعتقد ذلك فهو ضال وقد أفرد شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مفردة فى معرفة

وقيل سببه ان مروان الحمار آخر بنى أمية لما بلغت دعوة أبى مسلم الى محمد بن على الامام ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما أحس بالقتل أوصى اتباعه بالثبات على أمرهم واستخلاف أخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا لحزنهم وحثا للاخذ بثاره فاستمر ذلك فيهم فلا منافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المأمون بن الرشيد فى سنة احدى ومائتين قام بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته للعلويين حتى خلع أخاه المؤتمن وجعل العهد لعلى الرضى فمات ولم يتم أمره فكلمه العباسيون فى اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا أول لبس العلويين الخضرة وليس مبدؤه كما توهمه المتأخرون فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف بمصر وفى ذلك يقول ابن جابر الاندلسى

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب

عمائم الاشراف قد تميزت * بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم * فى جنة الخلد لباسا أخضرا

وقال ابن المزين

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا لتعرفهم من الاطراف

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسى توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم به فامر بذلك وقال السبكى انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وهو كلام حسن (وملكهم) أى تملك بنى العباس الخلفاء (أضعاف ماملكوا) أى أضعاف تملك بنى أمية وأضعاف خلفائهم فان أولهم السفاح بويع فى ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسمائة وكانوا نحو ثلاثين ببغداد انقضت تلك السنون وأهلها ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدى) فى آخر الزمان كما ورد فى حديث رواه أصحاب السنن وغيرهم

المهدى فما ليثبها وينبغى ان لا يتوهم ان المهدى هذا من بنى العباس ولذا ذكر الدلجى أحاديث مما يوهم انه هو ثم دفعه بان المراد غيره فقال رواه أحمد والبيهقى باسانيد ليست بقوية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم تروا مثلها ثم يجئ خليفة الله المهدى فاذا كان كذلك فأتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله وفى اسناده مجهول وفيه أبو أسماء وهو ضعيف وفى رواية أخرى يخرج رجل من أهل بيتى عند انقطاع من الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه حثيا فى سنده عطية العوفى وهو ضعيف قال التلمسانى وعلامة وقته خسوف القمر أول ليلة من رمضان أو ثالثه أو السابع والعشرين وهى علامة لم تكن منذ خلق الله السموات والارض

(وماينال أهل بيته) أى ومايصيبهم من المحن كقضية الحسين وبقية أئمة أهل البيت (وتقتيلهم وتشريدهم) أى تطريدهم كما أخبربه فيما رواه الحاكم من حديث أبى سعيد ان أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا وضعفه الذهبى (وقتل على) كما رواه أحمد عن عمار بن ياسر والطبرانى عن على وصهيب وجابر بن سمرة (وان اشقاها) أى اشقى الطائفة أو الثلاثة حيث تيسر له ماقصده فان من العصمة ان لا تقتدر بخلاف من قصد قتل معاوية وابن العاص فكان اشقاهم بل أشقى الآخرين لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ياعلى اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك ولما جرح هذا الشقى عليا أدخل عليه فقال أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان أعش فانا ولى دمى عفوا وقصاصا وان مت فالحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين فلما مات على أخرج من السجن وقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمى وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق الى آخر السورة وان عينيه لتسيلان ثم أمر به فقطع لسانه ثم جعلوه فى قوصرة واحرقوه بالنار (الذى يخضب) بكسر الضاد أى يصبغ (هذه من هذه أى لحيته من رأسه) يعنى بدمها قال الاسنوى فى المهمات تبعا للنووى فى تهذيبه ان الاشقى هو عبد الرحمن بن ملجم بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة أو مكسورة (وانه) أى عليا (قسيم النار) أى والجنة كما قيل * (على حبه * قسيم النار والجنة) * فهو من الاكتفاء ويشير اليه قوله (يدخل أولياءه الجنة

من طرق كثيرة الا انه قيل ان أسانيده لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتأليف فقيل انه عباسى وقيل انه علوى وانه يملك سبع سنين وكنيته أبو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفى زمنه ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه وأحواله مبسوطة فى تذكرة القرطبى وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبله مسلمان سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر (وماينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم) يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستترا يعود لما وأهل منصوب ويجوز رفعه بتقدير أى ماينال أهل بيته وماقيل انه لا يجوز رفعه لا وجه له أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات كما فى حديث رواه الحاكم ان أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا وضعفه الذهبى والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم (وقتل على) بن أبى طالب كرم الله وجهه أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم قتل على كما رواه أحمد والطبرانى فى حديث فيه (وان أشقاها) أى أشقى الخلائق أو الدنيا أو الطائفة الخوارج أو اشقى هذه الامة (الذى يخضب هذه) أشار به الى لحيته (من هذه) اشارة لرأسه أى يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما يغير الخضاب ففيه استعارة وهو عبد الرحمن بن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووى فى تهذيبه وغيره (أى لحيته من رأسه) أى من دمها وهو تفسير لما قبله وقصة الخوارج والتحكيم وقتل على مشهورة لا حاجة لنا بها وكذا قصة قتل أهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا (وانه) يعنى عليا كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه (قسيم النار) ظاهر كلامه ان هذا مما أخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا انهم قالوا لم يروه أحد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال فى النهاية الا ان عليا رضى الله تعالى عنه قال أنا قسيم النار يعنى أراد ان الناس فريقان فريق معى فهم على هدى وفريق على فهم على ضلال فنصف معى فى الجنة ونصف على فى النار انتهى قال ابن الاثير فقوله ماذكره على لا يقال من قبل الرأى فهو فى حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه أنا ومن معى قسيم لاهل النار أى مقابل لهم لانهم من أهل الجنة وقيل القسيم القاسم كالجليس والسمير وقيل أراد بهم الخوارج ومن قاتله كما فى النهاية (يدخل أولياؤه الجنة) أى من والاه ونصره وكان من حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم أوله وكسر ثالثه فيرفع أولياؤه

وأعداءه النار) والمعنى ان الناس فريقان فريق معه وهم مهتدون وفريق عليه فهم ضالون اعداءله فيكون سببا لدخولهما الجنة والنار و يلائمه ماضبط فى نسخة يدخل بصيغة المعلوم من باب الافعال لكن الحديث لا يعرف من رواه الا انه قد جاء ما يقوى معناه (فكان) أى على (فيمن) وفى نسخة ممن (عاداه الخوارج) وهم المحكمية خرجوا عليه عند التحكيم وكانوا اثنى عشر ألفا أصحاب صلاة وصيام قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحقر أحدكم صلاته فى جنب صلاتهم وصومه فى جنب صومهم لا تجاوز قراءتهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق ١٦٤ السهم من الرمية على ما جاء فى طرق (والناصبة) بالموحدة الذين يتدينون

أو ينصب أو تدخل بفوقية وذلك باذن من الله تعالى تكريما له على الثانى لان كبار الامة لهم شفاعة ثمة كما ورد فى الحديث (و) يدخل (اعداؤه النار) لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفى الغيلانيات انه ينادى يوم القيامة أين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيؤتى بالخلفاء رضى الله تعالى عنهم فيقول الله لهم ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من شئتم أوماهو بمعناه (فكان ممن عاداه) أى أظهر العداوة له (الخوارج) وهم الذين خرجوا عليه عند التحكيم فكانوا اثنى عشر ألفا أصحاب صلاة وصيام وقد أخبر عنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلى رضى الله تعالى عنه معهم وقائع مدونة فى التواريخ وهم من الفرقة الضالة ولهم اعتقادات فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارج وخارجى (والناصبة) أى الفرقة أو الطائفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض على كرم الله وجهه ورضى الله عنه قال ابن السيد من نصبت الشرك والحبالة فاستعير ذلك لكل من يكيد ويوقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفى الكشاف النصب بغض على وعداوته وهو بالصاد المهملة وهم من الخوارج أيضا (وطائفة ممن ينسب) بالياء التحتية وبالمثناة الفوقية وروى ينتسب افتعال من النسبة (اليه) أى الى على لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك الطائفة (من الروافض) من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة (كفروه) أى نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهى حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون التحكيم وقولهم لا حكم الا لله وهى كلمة حق أريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة أيضا وفى قوله السابق ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر فان كثيرا من بنى أمية والعباسيين أظهروا عداوته وسبه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (يقتل عثمان بن عفان وهو يقرؤ) القرآن (فى) داره فى (المصحف) وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعنى عثمان رضى الله تعالى عنه وحسنه وهو من جملة ما أخبر به من المغيبات فكان كما قال والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها كما يأتى (وان الله عسى ان يلبسه قميصا) أتى بعسى هنا تأدبا لعدم جزمه واستعارها للاستقبال اللازم للترجى أى سيلبسه واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة بقوله (وانهم يريدون خلعه) وظاهره ان الضمير للقميص ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا لخلعه فلم يرض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله تعالى بدمه سبعين ألفا قتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهو حديث حسن وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه أى عثمان أصبح يحدث الناس فقال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صائما وقتل فى يومه (وانه سيقطر دمه على

ببغض على رضى الله تعالى عنه وقد نصبوا له الحرب وقد روى مسلم تكون أمتى فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلى قتلها أولاهم بالحق وهم الذين قتلهم على بالنهر وان وكانوا أربعة آلاف ولم يقتل من المسلمين سوى تسعة (وطائفة ممن ينسب) بالياء والتاء وروى ينتسب (اليه) أى الى حب على كرم الله وجهه (من الروافض كفروه) لتركه فى زعمهم الكاذب الخلافة لغيره وهى حقه فكأنه رضى بالباطل وسكت عن الحق مع قدرته عليه (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (يقتل عثمان وهو يقرأ فى المصحف) بضم الميم ويكسر و يفتح ورواه الترمذى عن ابن عمر ولفظه ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنة فقال يقتل هذا مظلوما لعثمان وحسنه (وان الله) بفتح الهمزة وكسرها (عسى ان يلبسه) قوله بضم أوله (قميصا) أى خلعة الخلافة والتلبس بها (وانهم) أى أهل الفتنة (يريدون خلعه) أى عزله عنها فامتنع من انخلاعها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذى وحسنه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فقتلوه ظلما وعدوانا فاهدر الله بدمه سبعين ألفا قتلوا بصفين وغيرها (وانه) أى الشان (سيقطر دمه) بضم الطاء وفى نسخة بصيغة المجهول أى ستقع قطرات دمه (على قوله تعالى

قوله فسيكفيكهم الله) وهو السميع العليم أى يأخذ ثارك ممن يقتلك وهذا رواه الطبرى فى كتابه الرياض النضرة ورواه الحاكم عن ابن عباس وقال الذهبى انه موضوع وتبعه السيوطى والظاهر منه ان دمه وقع على هذه الآية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقرؤها وهو بعيد وفيه اخبار بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القرآن سيجمع فى مصحف فانه لم يكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان ابن سرحان وقيل الاسود التجيبى وهذه أول فتنة ومصيبة وقعت فى الاسلام

ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الاسى * وفى غير الايام ماوعد الدهر

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا) روى البيهقى هذا الحديث عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما والشيخان عن حذيفة ولقى يوما عمر رضى الله تعالى عنه أباذر فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدى ياقفل الفتنة فقال له ما هذا يا أباذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكرهت ان تتخطى الناس فجلست فى ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة مادام هذا فيكم وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما أيكم يحفظ ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة التى تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق أبدا فقيل له أكان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغد الليلة * أقول فى هذا سر من كنايات البلاغة عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى انها ليست فتنة المال والاولاد وقوله يكسر يشير الى انه يقتل فيتجرأ الناس على الخلفاء والباب اذا انكسر لا يقفل وقوله دون الغد الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سأل ليعلم هل علمه غيره أم لا وخطب خالد بن الوليد يوما فقال ان أمير المؤمنين قد بعثنى الى الشام وهو بهمه فالقى بوانيه بثنية وعسلا أراد ان يؤثر به غيرى فقال له رجل اصبر أيها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حى فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذى بلى أو بذى بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به مانزل بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان تدركنى واياكم أولئك الايام وبوانيه جمع بانية أى خيره وسعته والبثنية حنطة منسوبة للبثنية ناحية بدمشق وقيل هى الزبدة أى كأنها عسل وزبد لما يجىء من أموالها وذى بلى وذى بليان يريد به طوائف بلا امام وكل من بعد حتى لا يدرى موضعه فهو بذى بلى من بلى فى الارض اذا ذهب أراد ان أمور الناس تضيع بعد عمر رضى الله تعالى عنه (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى من طرق وهو مما أخبر به من المغيبات (بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم له) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلى أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن عمتى صفية وعلى دينى فقال للزبير أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن خالى وعلى دينى فقال اما انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرزله على رضى الله تعالى عنه وقال ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوله انك ستقاتلنى وأنت لى ظالم قال نعم ولكن أنسيته وانصرف عنه فلما كان بوادى السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله وأتى برأسه كما فصله المؤرخون (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (نباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه) يعنى عائشة رضى الله تعالى عنها وهو بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء أو موضع وقرية فيه الماء فى طريق الذاهب من المدينة الى البصرة قال ابن عبد ربه فى العقد وبعضهم يقول فيه الحوأب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور الاول قال الشاعر من الخوارج

فسيكفيكهم الله) كما رواه الحاكم عن ابن عباس قال الذهبى انه موضوع لكن نقل المحب الطبرى فى الرياض ان أكثرهم روى ان قطرة من دمه أو قطرات سقطت على قوله تعالى فسيكفيكهم الله فى المصحف ونقل عن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذى نفسى بيده لا يموت أحد وفى قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره أخرجه السقلى الحافظ (وان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا) كما رواه البيهقى فهو سد باب الفتنة كما أخبر به حذيفة (وبمحاربة الزبير لعلى) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم له وذكره به على يوم الجمل فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال ذكرنى على حديثا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلة فقال قد حلفت ان لا أقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب (وبنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه) أى وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بنباحها وهو بضم نون وتكسر فموحدة أى صياحها والحوأب بمهملة ثم همزة مفتوحتين موضع بين البصرة ومكة نزلته عائشة لما توجهت للصلح بين على ومعاوية

ثم تقدر اتفاقا فكانت وقعة الجمل (وانه يقتل حولها) أى حول بعض الازواج وهى عائشة رضى الله تعالى عنها (قتلى كثير) أى جمع كثير من المقتولين قيل قتل يومئذ نحو من ثلاثين ألفا وفى نسخة كثيرة نظرا الى الجماعة (وتنجو بعدما كادت) أى الى الهلاك كما رواه البزار بسند صحيح عن ابن عباس (فنبحت) ١٦٦ بفتح الباء وكسرها أى كلاب ذلك الموضع (على عائشة عند خروجها) أى توجهها من مكة (الى البصرة) كما رواه أحمد وكذا البيهقى بلفظ لما أتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما أظننى الا راجعة انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب ترجع لعل الله ان يصلح بك بين الناس (وان عمارا) وهو ابن ياسر (تقتله الفئة الباغية) رواه الشيخان ولفظ مسلم قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وزاد وقاتله فى النار (فقتله) أى عمارا (أصحاب معاوية) أى بصفين ودفنه على رضى الله تعالى عنه فى ثيابه وقد نيف على سبعين سنة فكانوا هم البغاة على على بدلالة هذا الحديث ونحوه وقد ورد اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وقد كان مع على رضى الله تعالى عنهما واما تأويل معاوية أو ابن العاص بان الباغى على وهو قتله حيث حمله على ما أدى الى قتله فجوابه ما نقل عن على كرم الله وجهه انه يلزم منه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل حمزة (العبد

عمه والحاصل انه لا يعدل عن حقيقة العبارة الى مجاز الاشارة الا بدليل ظاهر من عقل أو نقل يصرفه عن ظاهره نعم غاية العذر عنهم انهم اجتهدوا وأخطأوا فالمراد بالباغية الخارجة المتجاوزة لا الطالبة كما ظنه بعض الطائفة (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام

وأنا البرىء من الزبير وطلحة * ومن التى نبحت كلاب الحوأب

وفى معجم البلدان أصل معناه الوادى الواسع وانما كان المراد عائشة رضى الله تعالى عنها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساؤه يتحدثن معه فقال أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة الى الشرق فى كتيبة فكانت عائشة فى وقعة الجمل ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فخافوها انه ليس بالحوأب والحوأب أيضا اسم مخلاف بالطائف قتلت فيه سلمى المراد به عتيقة عائشة وقيل أيضا انها المرادة بالحديث أيضا لانها كانت مع نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حدثهن به كما فى المعجم والصحيح خلافه لما يأتى فى بقية الحديث والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلاب والتيس وقيل انه أى الحوأب سمى باسم حوأب بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن ماكولا واختلف فى وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضى الله تعالى عنه لان عائشة ذهبت معه لتصلح بينه وبين على فاتفق ما اتفق فى وقعة الجمل (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (انه يقتل حولها) ممن كان معها (قتلى كثيرة) قيل كانوا نحو ثلاثين ألفا (وتنجو) أى تسلم هى (بعدما كادت) أى قاربت عدم النجاة (فنبحت) كلاب الحوأب (على عائشة عند خروجها الى البصرة) وهذا الحديث صحيح كما مر روى من طرق عديدة فعن ابن عباس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحوأب والازب كثير شعر الوجه وفك ادغامه وعدمه لمشاكلة الحوأب فكان ما أخبر به لانه لما قتل عثمان رضى الله عنه وكانت هى وامهات المؤمنين حاجات فى ذلك العام فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشى الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عائشة رضى الله تعالى عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت فنحن معك فسارت فى هودجها على جمل يقال له عسكر وودعتها أمهات المؤمنين يبكين فسمى ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحوأب وأناخوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردونى وأخبرت بما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها الزبير يا أم المؤمنين أصلحى بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (ان عمارا) بن ياسر الصحابى المشهور (تقتله الفئة الباغية) من البغى وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وروى وقاتله فى النار (فقتله أصحاب معاوية) وكان هو مع على بصفين وهو صريح فى ان الخليفة بحق هو على رضى الله عنه وان معاوية مخطئ فى اجتهاده كما فى حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سمية هو عمار رضى الله عنه كان مع على وهذا هو الذى ندين الله به وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب فى عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية رضى الله عنه مجتهد مخطئ فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تأول معاوية حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره فقال انما قتله من أخرجه ولذا قال على كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حمزة رضى الله عنه لما أخرجه لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله تعالى وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله ابن العمادية واحتز رأسه ابن جزء ودفنه على رضى الله تعالى عنه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تقدم

(لعبد الله بن الزبير) لما شرب دما من فضلاته صلى الله عليه وسلم (ويل الناس منك وويل لك من الناس) وويل هنا للتحسر والتأسف وتكون للدعاء بالهلاك وكان صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطاه دمه وقال له اراقه فى محل لا يرى فلما رجع قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة فضلاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والجرأة مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لان من كان على الحق جريا على المقاتلة عليه تكثر أعداؤه وحساده وينال من الناس أذى وقد وقع له ذلك رضى الله تعالى عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى أراق دمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى أخباره عن المغيبات فى حديث صحيح رواه الشيخان (فى) حق (قزمان) بقاف مضمومة وزاى معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قاتل قتالا شديدا أعجب الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما أشار اليه بقوله (وقد أبلى مع المسلمين) وأبلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام وألف مقصورة فعل ماض من أبلى بمعنى اختبر ويقال أبلى بلاء حسنا فى الحرب اذا صبر فى قتاله وأجاد والجملة حالية أى أبان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد أطلع الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله (فقال فيه انه من أهل النار) فعجب الناس من ذلك فاظهره الله (فقتل نفسه) لما كثرت الجراحة فيه وأثخنته واختلفت الرواية فى أى موطن قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته لرواية الشيخين له عن أبى هريرة فقيل انه كان ذلك بأحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان حنين الواقع فى صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمهما خطأ وقيل ان القصة تعددت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزواته رأى رجلا فقال انه من أهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم أشد القتال حتى أثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه من أهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه ألم جراحاته قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل أخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه وقيل قطع عروق يده فأخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديا ينادى فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن أى مؤمن كامل أو قد علم منه انه منافق أو انه ارتد قبيل موته والمنادى قيل انه عمر رضى الله تعالى عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة أو بانه وقع كل ذلك من تحامله وغيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغى النظر لظاهر العمل والاتكال عليه (و) روى الطبرانى والبيهقى من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فى) حق (جماعة) من الصحابة كانوا عنده (فيهم أبو هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب آخركم موتا فى النار) آخركم مبتدأ خبره محذوف تقديره يموت موتا فى النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر أو بالمصدر أو آخركم فاعل يموت وأما كونه مبتدأ وموتا تمييز والظرف خبره وان احتمل فليس بمراد ولذا قيل ان فيه ايهاما وتورية لان المراد انه يحترق فى الدنيا حريقا يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى عن ابن سيرين ان سمرة أصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفأ منه فكان يأمر بقدر عظيم ماء يسخن ويجلس عليه ليدفأ من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل انه مات فى حريق قيل ويحتمل انه على ظاهره بان يدخل النار فى الآخرة ثم يخرج لأمر صدر منه والذى صححه السيوطى وغيره الاول واليه يشير المصنف بقوله (فكان بعضهم) ان بعض من قيل فى حقه ذلك مما تقدم (يسأل عن البعض) من رفقائه الذين قال صلى الله

(لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك) أى مشقة وهلاك فى الآخرة بقتلهم ظلما (وويل لك من الناس) أى فى الدنيا فانه قد حاصره الحجاج بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه الشامى (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام على ما رواه الشيخان (فى قزمان) أى فى حقه وهو بضم القاف وسكون الزاى ذكره الحلبى رجل من المنافقين قاتل قتالا شديدا (وقد أبلى مع المسلمين) بفتح الهمزة واللام جملة حالية أبانت شجاعته ومحاربته لغير الله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (انه من أهل النار) فقتل نفسه أى فى خيبر كما ذكره البخارى وصوبه المصنف وأقره النووى ومسلم فى حنين والخطيب تبعا لاصحاب السير فى أحد وأقره النووى ولعل الاشخاص متعددة فكل ذكره فى قضيته (وقال) أى للنبى عليه الصلاة والسلام (فى جماعة فيهم) أى فى حق جماعة من جملتهم (أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا فى النار) أى يكون موته فى نار الدنيا لانه يدخل فى نار العقبى كما توهم الدلجى على ما سيأتى فعلم له موتا وهو ايهام أو تورية وايهام (فكان بعضهم) أى تلك الجماعة (يسئل عن بعض) أى عن حياته ومماته كما رواه البيهقى عن ابن حكيم الضبى اذا لقيت أبا هريرة سأل عن سمرة فاذا أخبره بحياته وصحته فرح وقال كما

عشرة في بيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وفي رواية للبيهقي عنه وكان اذا أراد أحد ان يغيظ أبا هريرة قال مات سمرة فيصعق ويغشى عليه ثم مات أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قبل سمرة (فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف) بكسر الراء فيهما أي أصابه خلل في بدنه وخبل في عقله (فاصطلى بالنار) أي استدفأ بها (فاحترق فيها) وفي تاريخ ابن عساكر عن ابن سيرين ان سمرة أصابه كزاز هو داء من البرودة أو برد شديد لا يكاد يدفأ منه فأمر بقدر عظيمة فملئت ماء وأوقد تحتها واتخذ فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفأ فلم يلبث ان سقط به فاحترق ويوافقه ما رواه البيهقي عن بعض أهل العلم انه مات في الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أغرب الدلجي حيث استدل به بانه يدخل النار في الآخرة ثم يخرج منها ثم قال ويحتمل انه يورد النار بقتل زياد وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجي منها بايمانه بشهادة حديث البيهقي ١٦٨ عن ابن سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام وأهله قال عبد الله

تعالى عليه وسلم فيهم ما مر قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت أبا هريرة سألني عن سمرة فاذا أخبرته بصحته فرح فسألته عن ذلك وقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله (فكان سمرة آخرهم موتا هرم) بزنة علم أي كبر سنه وضعف بدنه وأصابه هزال الشيخوخة (وخرف) بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة أي فسد عقله وتغير من الكبر (فاصطلى) أصله أصتلى فابدلت التاء طاء لمجاورة الصاد أي تدفى (بالنار) أي بنار أوقدت له (فاحترق فيها) لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما أخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم الغطاء عن مراده ليجدوا في أعمالهم ويدوموا على الخوف والمراقبة أو لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤذن له في ذلك وهو من الحكم الخفية قيل ان ما ذكر لم ير منقولا عن غير المصنف ولم يذكر أحد ان سمرة حرق بل لم ينقل ان أحدا من الصحابة حرق الا بشر بن ارطاة أو ابن أبي ارطاة على القول بانه صحابي وقد نعى بشرا سفينة مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله البرهان (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه قال (في حنظلة) ابن أبي عامر الانصاري الصحابي المشهور بـ(الغسيل) فعيل بمعنى مفعول من الغسل سمي بذلك لان الملائكة غسلته لما استشهد باحد وكان جنبا فقتله أبو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن أوس الليثي وهو حنظلة ابن أبي عامر الراهب الذي لقبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاسق فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة تغسله مع انه شهيد فقال (سلوا زوجة) يعني امرأته وزوجته فانه يقال للمرأة زوج كالرجل في الفصيح وقد يقال زوجة للفرق (عنه) أي عن حاله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان تغسيله لجنابته وهي لا يطلع عليها غيرها كما أشار اليه بقوله (فاني رأيت الملائكة تغسله) والشهيد لا يغسل وكان ذلك باحد (فسألوها فقالت) انه (خرج) من بيته لاحد (جنبا) من جماع امرأته (أعجله الحال) أي محبة الجهاد واللحوق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الغسل) بضم فسكون أي عن ان يغتسل من جنابته

ابن صحيح لابن سيرين بهذا وبصحبته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نرجو له بعد تحقيق قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه الخير انتهى ولا يخفى ان هذا الحديث ما يقتضي دخوله في النار ثم نجاته منها بل الظاهر نجاته منها ابتداء وان احتراقه في الدنيا يكون سبب خلاصه عنها في العقبى على تقدير وقوع ذنب يستحقها والا فهو موجب زيادة درجة عالية في الجنة وغرفها ثم حضوره مجالس زياد وابن زياد حين قتلهما خلقا كثيرا لا يدل على استحقاق عذاب ولا استيجاب عتاب اذ لم يعرف انه كان راضيا بفعلهما وربما كان مكرها في حضوره عندهما هذا وللبيهقي انه استجمر فغفل عنه أهله حتى أخذته النار ولا يخفى امكان الجمع بين هذا وما تقدم والله تعالى أعلم وأما حديث البيهقي عن أوس ابن خالد كنت اذا قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة واذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة فسألت أبا محذورة عن سؤالهما اياي فقال كنت أنا وسمرة وأبو هريرة في بيت النبي عليه الصلاة والسلام فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال آخركم موتا في النار فمات أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ثم أبو محذورة ثم سمرة فلا يخلو من الاشكال لما سبق من معارضته في المقال والله تعالى أعلم بالحال (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (في حنظلة) أي ابن أبي عامر الانصاري (الغسيل) أي مغسول الملائكة (سلوا زوجته عنه) أي عن حاله قبل موته (فاني رأيت الملائكة تغسله) أي بعد قتله شهيدا باحد مع ان الشهيد لا يغسل (فسألوها فقالت انه خرج جنبا) حين غسلت أحد شقي رأسه وسمع الهيعة وكان قد ابتني بها تلك الليلة (وأعجله الحال عن الغسل) أي عن تمامه لمبادرته الى القتال ومسارعته للامتثال

(قال أبو سعيد) أي الخدري (ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (الخلافة في قريش) رواه أحمد والترمذي
ولعل المراد به ان الخلافة على استحقاقهم في طائفتهم من قريش وهم الخلفاء الار بعة فيكون اخبارا عن الغيب المطابق للواقع بعده
وأما اذا أريد به الحكم بان الخلافة منحصرة فيهم وان شرط صحة الخلافة ان يكون الخليفة واحدا منهم كما ذكره الدلجي فلا يلائم سياقه
في هذا الباب كما لا يخفى على أولي الالباب ويؤيده ما قدمناه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخاري عن معاوية (وان يزال
هذا الامر) أي أمر الخلافة (في قريش ما أقاموا الدين) يعني فاذا لم يقيموا أمر الدين على ما ينبغي انتقل الامر عنهم الى غيرهم فكان كما
أخبرهم زاد البخاري في رواية ولا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه أي في الدنيا وفي العقبي قال النووي انعقد الاجماع في زمن
الصحابة ومن بعدهم على ان الخلافة مختصة بقريش لا تجوز لغيرهم ولا عبرة بمن خالف فيه من أهل البدعة (وقال) أي النبي عليه
الصلاة والسلام (يكون) أي سيوجد (في ثقيف) بفتح فكسر هو أبو قبيلة من هوازن (كذاب ومبير)

جنابته تخوفه ان يبقى عن حضوره معه صلى الله تعالى عليه وسلم فيفوته ذلك الوقت وفي رواية قالت
كان جنبا فغسلت احدى شقي رأسه فلما سمع صوتا خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته في تلك الليلة وهي
جميلة بنت أبي بن سلول المنافق (قال أبو سعيد) بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا (ووجدنا
رأسه) أي رأس حنظلة لما قتل (يقطر ماء) من أثر تغسيل الملائكة له وهذا من ظهور ما في عالم الغيب
وهذا مما وقع في بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد في المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا هل يلزم تغسيله
أم لا اختلف فيه فقيل يجب لانه بسبب آخر وهو ظاهر الحديث والكلام عليه مفصل في كتب الفقه
(وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أحمد والترمذي وهو مما نحن فيه اذ فيه مع
الحكم اخبار ببعض المغيبات (الخلافة في قريش) ولو كان هذا لمجرد الحكم لم يكن مما نحن فيه لانه صلى
الله تعالى عليه وسلم حكم باستحقاقهم لما وقع أو لم يقع وقد وقع كما أخبر مدة طويلة الى انقضاء دولة بني
العباس (و) في حديث آخر رواه البخاري (لن يزل هذا الامر) يعني الخلافة (في قريش ما أقاموا
الدين) بيان لغايته أي ما حموا شوكة الاسلام وأقاموا شعائر الدين الظاهرة فاذا غيروا غيرهم الله تعالى
ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج الكلام
طويل طويناه خوف السآمة والملل وفي رواية حتى يمضي فيهم اثنى عشر خليفة وما ظرفية مصدرية
أي مدة اقامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش (وقال) رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في حديث رواه مسلم والبيهقي (يكون) أي يوجد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم (في ثقيف)
قبيلة معروفة (كذاب ومبير) أي مهلك يكثر القتل بغير حق من البوار فهو الهلاك قال تعالى وكنتم
قوما بورا أي هالكين (فرأوهما) من الرأي أي رأى العلماء ان المراد في الحديث بهما (الحجاج) بن
يوسف الثقفي وهذا مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات في حديث أسماء رضي الله
تعالى عنها من طريق مسلم انها قالت للحجاج ان في ثقيف كذابا ومبيرا أما الكذاب فقد رأيناه وأما
المبير فلا أخالك الا اياه وقال النووي رحمه الله أجمع العلماء على ان المبير هو الحجاج وقال هشام بن حسان
انه قتل مائة وعشرين ألفا (و) الكذاب هو (المختار) بن أبي عبيد الثقفي بن مسعود بن عمر بن عمير فقيل

بضم فكسر أي مهلك
من أبار أهلك مأخوذ
من البوار وهو الهلاك
ومنه قوله تعالى وكنتم
قوما بورا أي هلكى
(فرأوهما الحجاج
والمختار) أي فرأى
السلف ان أحدهما
الحجاج وهو بفتح الحاء
كليب بن يوسف والآخر
المختار ابن أبي عبيد وان
الثاني هو الكذاب
والاول هو المبير فهما
لف ونشر مشوش ففي
حديث أسماء بنت أبي
بكر من طريق مسلم
وغيره انها قالت مشافهة
للحجاج حدثنا رسول
الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان في ثقيف كذابا
ومبيرا فاما الكذاب فقد
رأيناه وأما المبير فلا

(٢٢ - شفا ث) أخالك الا اياه وقال الترمذي في جامعه ويقال الكذاب المختار والمبير الحجاج ثم ذكر بسنده الى هشام بن حسان
قال احصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة وعشرين ألفا انتهى وأما المختار فهو الكذاب حيث زعم ان جبريل أتاه بوحي الكذاب فقد
رواه البيهقي عن رفاعة بن شداد قال دخلت على المختار يوما فقال دخلت وقد قام جبريل من هذا الكرسي فاهويت الى السيف فذكرت
حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا أمن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر
يوم القيامة فكففت عنه قال النووي في شرح مسلم واتفق العلماء على ان المراد بالكذاب المختار ابن أبي عبيد وبالمبير الحجاج بن
يوسف انتهى وكان المختار واليا على الكوفة ولقبه كيسان واليه ينسب الكيسانية كان خارجيا ثم صار زيديا ثم صار شيعيا وكان
يدعو الى محمد بن الحنفية ومحمد يتبرأ منه وكان أرسل ابن الاشتر بعسكر الى ابن زياد لقتال الحسين فقتله وقتل كل من كان في قتل
الحسين ممن قدر عليه وكان غرضه في ذلك صرف وجوه الناس اليه والتوسل به الى تحصيل الامارة لديه فكان يظهر الخير ويضمر
الشر ولما ولي مصعب بن الزبير البصرة من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار وقتله

عبارته لف ونشر مشوش وأبوه أسلم في حياة النبي عليه السلام ولم يره فلم يعد من الصحابة والمختار هذا كان يزعم ان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد ابن الحنفية واستحوذ على الكوفة وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من قتلته وعظم أمره وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وله كرسى يضاهى به تابوت بنى اسرائيل فهو ضال مضل واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وأمر الحجاج أشهر من ان يذكر (وان مسيلمة يعقره الله تعالى) أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كما هو وهو رجل من بنى حنيفة كنيته أبو ثمامة ادعى النبوة وزعم انه يأتيه الوحى بقرآن فكان له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها ولما قدم وفد بنى حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل الامر لى بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله فقال لو سألنى هذه الشظية ما أعطيتها له فرجع معهم وتخرق بشعبذة فافتتنوا به وزعم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشركه معه فى أمره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فانى قد أشركت فى الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده أظهره لاصحابه زعم انه صدقه فيما قاله فكذبه من بنى حنيفة ثمامة بن مالك رضى الله تعالى عنه ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مؤمنا رضى الله عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك * فانك فى الامر لم تشرك
كذبت على الله فى وحيه * هواك هوى الاحمق الانوك
فمالك فى السماء لك مصعد * ومالك فى الارض فى مبرك

وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جمع جموعا فجهز له أبو بكر رضى الله تعالى عنه جيشا أميرهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله تعالى قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وشاركه فيه ناس والعقر أصله يستعمل فى الحيوان كعقر الناقة ونحوها ففيه اشارة الى انه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية فلم يذك ولم يزك (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها (ان فاطمة) الزهراء بنته صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى الله عنها (أول أهله لحوقا) وروى لحاقا (به) أى أول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من أهل البيت فماتت بعد ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل مائة يوم وهى أصغر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وأحبهم اليه وهى أول من غطى نعشه من النساء فى الاسلام وأول الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم سارها فى مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها بشئ فضحكت فسئلت عن ذلك بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت سارنى أولا بانه يموت فى مرضه هذا فبكيت ثم سارنى بانى أول أهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها على كرم الله وجهه ليلا واختلف فى محل دفنها فقيل فى قبة ولدها الحسن قرب محرابها وروى أحمد بن حنبل فى المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابا لها وكفنا وقالت انى مقبوضة فلا يغسلنى ولا يكفننى أحد فامتثل أمرها وفيه كلام للفقهاء وانه هل يكفى غسلها فى الحياة عن غسل الميت أم لا الا أنه يعارضه ما روى من أنها أمرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها وقيل انه من خصائصها وفى اللآلى للسيوطى عن أم سلمة قالت مرضت فاطمة فقالت يا أمتاه اسكبى لى غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتى

(وان) وفى نسخة صحيحة وبان (مسيلمة) بضم الميم وفتح السين ثم كسر اللام (يعقره الله) بكسر القاف أى يهلكه أو يقتله أو يهلكه قتلا فقتله وحشى بن حرب فى قتال أهل الردة زمن أبى بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله (وان فاطمة) أى بنته الزهراء (أول أهله) أى أهل بيته كما فى نسخة (لحوقا به) أى موتا ووصولا اليه ففى الصحيح عن الزبيرى عن عروة عن عائشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ستة أشهر

(وانذر بالردة) أي وحذر صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه وخوفهم وعرفهم بانها ستكون كما في حديث الشيخين لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفي حديث مسلم لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الاوثان فوقعت الردة في خلافة أبي بكر ارتد عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين وكفى الله أمرهم بالصديق صاحب مقام التحقيق (وان) وفي نسخة وبان (الخلافة) أي الحقيقية الحقيقة (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) أي تصير الخلافة (ملكا) أي سلطنة بالغلبة فقد روى أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة بلفظ الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك (فكانت) أي الخلافة (كذلك) أي ثلاثين سنة (بمدة الحسن ابن علي) أي بمضي مدة خلافته وهي ستة أشهر تقريبا وفيه دلالة على ان معاوية لم يحصل له ولاية الخلافة ولو بعد فراغ الحسن له بالامارة ويشير اليه ما رواه البخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة بلفظ الخلافة بالمدينة والملك بالشام ثم اعلم ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة أشهر واربعة أيام وخلافة عثمان احدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة علي اربع سنين وعشرة أشهر أو تسعة وبتمامها خلافة الحسن (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (ان هذا الامر) أي أمر مله هذه الامة (بدأ) بهمزة أي ابتدأ أو بالف أي ظهر (نبوة ورحمة) أي نبوة مقرونة بالرحمة العامة (ثم يكون) أي الامر (رحمة وخلافة) أي رحمة في ضمن الخلافة

فيا أبي الجد دفنا وتنها ولت فما وقالت قدمي الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم مقبوضة فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها وأتى علي فاخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزي انه موضوع ورد بانه رواه الطبراني الا انه يعارضه ما روي بخلافه كما مر ولعله من خصوصياتها وانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرها به (وانذر بالردة) أي أعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه بمن يرتد بعده وما يكون من قتالهم وقد وقع ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه والانذار اخبار بامر مكروه مخوف ضد التبشير وهو مما رواه الشيخان أيضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وكان ذلك بعد ابتداء خلافة الصديق بسبعة أشهر وستة أيام فانه بعد انتقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد كثير من الناس الا أهل الحرمين والبحرين فكفى الله أمرهم بأبي بكر رضي الله تعالى عنهم بعد ان قاسى منه امورا شديدة (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات في حديث رواه أصحاب الكتب الستة منه او فيه (ان الخلافة) أي خلافة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحق وخلافة النبوة انما تكون لمن تمسك بالسنة من قريش وهي (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) أي تتحول الخلافة وتصير (ملكا) عضوضا أي سلطنة بالقهر والتطلب من غير وجود شروطها (فكانت) الخلافة الحقيقية (كذلك) أي كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وتمت المدة التي ذكرها (بمدة الحسن بن علي) بن أبي طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه سنتين وأربعة أشهر وخلافة عمر رضي الله تعالى عنه عشر سنين ونصفا وخلافة عثمان رضي الله تعالى عنه اثني عشر سنة الا اياما وخلافة علي رضي الله تعالى عنه أربع سنين وتسعة أشهر واياما وفي المغرب خلافة أبي بكر سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال وعثمان اثني عشر سنة الا اثنى عشر ليلة وعلى خمس سنين الا ثلاثة أشهر فتتم المدة بمدة الحسن لما بويع في عشر رمضان الاخير سنة أربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية في نصف جمادى الاولى سنة احدى واربعين فمدته كانت سبعة أشهر ونصفا واياما فبها تتم الثلاثون كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين المهملة صيغة مبالغة وروي ثم يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرير الخبيث والملك السلطان والخليفة أمير المؤمنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه خلفه في القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير داود صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البزار عن أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه (ان هذا الامر) أراد به دين الاسلام وأمر الشريعة المحمدية (بدأ) بهمزة في آخره أي ابتدأ في أول أمره أو بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم الى الخارج والظاهر الاول هنا (نبوة ورحمة) بالنصب على الحالية أو بنزع الخافض أي بدأ بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمة للعالمين انقاذهم من الضلال والكفر وأمور الجاهلية وهذا في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم تكون) بعده (رحمة وخلافة) في زمن الخلفاء الراشدين وآخر الرحمة أولا لانها انشأت من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته صلى الله

(ثم يكون) أى الامر (ملكا) قال التلمسانى وفى أصل المؤلف ثم ملكا (عضوضا) بفتح العين أى سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية فكأنهم يعضون بالنواجذ فيه عضا حرصا على الملك و يعض بعضهم بعضا حثا على الملك وفيه ايماء الى ما قال عارف بهذا الباب الدنيا جيفة وطالبها الكلاب وفى النهاية ثم يكون ملك عضوض أى يصيب الرعية عسف وظلم فكأنهم يعضون فيه عضا باسنانهم أى يتحملون فيه محنة شديدة فى شأنهم وفى رواية وسترون بعدى ملكا عضوضا وفى أخرى ثم يكون ملوك عضوض قيل وهو جمع عض بالكسر أى شرير خبيث (ثم يكون) أى الامر (عتوا) بضمتين فتشديد أى تكبرا (و جبروتا) بفتحتين فعلوت من الجبر بمعنى القهر مبالغة أى تجبرا وقهرا (وفسادا فى الامة) أى فى أمر دينهم ودنياهم هذا ولفظ البيهقى ان الله بدأ هذا الامر نبوة و رحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير و ينصرون على ذلك و يرزقون أبدا حتى يلقوا الله تعالى وقد ابتدأ هذا الفساد من بدء امارة يزيد وولاية زياد وهلم جرا فى الزيادة الى يومنا هذا فيما بين سلاطين البلاد والله رؤف بالعباد (وأخبر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بشأن أويس) أى ابن عامر (القرنى) بفتحتين أى منسوب الى بطن من مراد قبيلة باليمن وغلط الجوهرى فى نسبته الى قرن المنازل روى أنه كان به بياض فدعا الله فاذهبه الا قدر دينار أو درهم وله أم كان بها بارا ولو أقسم على الله لابره وقال من لقيه فليستغفر وعن عمر مرفوعا يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل قاله الارزنجانى فى شرح المشارق الامداد جمع مدد والمراد هنا القافلة قال وكان عمر اذا أتى عليه أمداد اليمن يسألهم أفيكم أويس بن عامر فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على أبى قبيس فنادى باعلى صوته يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويس فقام شيخ طويل اللحية فقال انا لا ندرى من أويس ولكن ابن أخى يقال له أويس وهو أخمل ذكرا وأهون أمرا من ان نرفعه اليك وانه ليرعى ابلا حقيرا بين أظهرنا فقال له عمر أين ابن أخيك قال بازاء عرفات فركب عمر وعلى سراعا الى عرفات فاذا هو قائم يصلى والابل حوله ترعى فسلما عليه وقالا من الرجل قال عبد الله قالا قد علمنا ان أهل السموات والارض كلهم عبيد الله فما اسمك الذى سمتك به أمك قال يا هذان ما تريدان قالا وصف لنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أويسا القرنى وأخبرنا ان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء فاوضحها لنا فان كانت بك فانت هو فاوضح منكبه فاذا اللمعة فابتدرا يقبلانه وقالا نشهد انك أويس القرنى فاستغفر لنا غفر الله لك قال ما أخص باستغفارى نفسى ولا أحدا من ولد آدم ولكنه

تعالى عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت (ثم يكون) بعد الخلافة (ملكا عضوضا) بفتح العين وضمها كما تقدم فى رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية أو مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس بعض من رآه (ثم يكون) بالتحتية والضمير للامر (عتوا وجبرية) العتو بضم العين الخروج عن طاعة الله تعالى يقال عتا يعتو عتوا وعتا والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن أيضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار فى الاصل حمل الغير على ان يجبر الامر لكن تعورف فى الاكراه المجرد فقيل أجبرته على كذا وسمى الذين يدعون ان الله يكره العباد على المعاصى فى تعارف المتكلمين مجبرة وفى قول المتقدمين جبرية وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء أى قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذى رواه البيهقى ان الله بدأ بهذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة و رحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير و ينصرون على ذلك و يرزقون أبدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان و روى بالرفع فكان تامة و روى جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة أيضا وما قيل انه بمثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا فى الارض مفسدين فالحال مؤكدة وقوله فى الحديث عتوا وجبروتا (وفسادا فى الامة) يلزمه عطف الشئ على نفسه وفى الكشاف معناه أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد فى حال فساد كما انتهى و كونه أشد الفساد يحتاج الى النقل وفى الصحاح ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد و يلزمه ان يكون النهى عن التمادى فى حال الفساد انتهى ملخصه فيه بحث واغترارا كما لا طائل فيه من غير طائل وانا أقول لا يخلو ما فى كلامه من الخبط فان العتو هنا بالمثناة فقط والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة من قصور نظره فان مثله لا يطلب منه النقل ومراده ان العتو ان كان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على الفساد لان الاصل التأسيس وقد قرره فى سورة البقرة فى أمر المؤمنين بالايمان ومثله كثير (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم عن المغيبات ما أشار اليه بقوله و (أخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم (بشأن أويس) ابن عامر المرادى نسبة لمراد قبيلة مشهورة (القرنى) بفتحتين نسبة لقرن بن ردمان

ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهري في نسبته لقرن المنازل كما غلط في فتح رائه قرن المنازل كما في القاموس وتبعه بعض الشراح هنا وقال ابن حجر في فتح البارى بالغ النووي في حكايته الاتفاق على تخطئته في تحريك قرن المنازل وحكى المصنف رحمه الله تعالى عن تعليق القابسى ان من قال بالاسكان أراد الجبل ومن قال بالتحريك أراد البلد وقال الكرماني أويس القرني منسوب الى قبيلة بنى قرن ولامنافاة بين نحو بين ما قدمناه وفي طبقات الاولياء للشعراني انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له وكان أدرك زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم أويس بن عامر مع امداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم منه لانه دعا الله تعالى ان يزيله الا لمعة أذكر بها نعمك على فمن أدركه منكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم بانه اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول في أهل الارض معروف في السماء لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله في ربيعة ومضر يا عمر ويا على اذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على أبى قبيس فنادى يا أهل اليمن هل فيكم أويس فقام شيخ فقال لا ندرى ما أويس ولكن ابن أخ لى أخمل ذكرا وأهون من ان نرفعه اليك وهو في ابلنا يرعاها فعمى عليه عمر رضى الله تعالى عنه كأنه لا يريده ثم قال أين هو فقال بأراك عرفات فركب عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما اليه فاذا هو قائم يصلى فسلما عليه وقالا من الرجل فقال راعى ابل أجير فقالا لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذى سمتك به أمك قال فما تريدان منى فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله عن أمة محمد خيرا واستغفر لهما كما أمرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له عمر رضى الله تعالى عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائى وكسوة من ثيابى فقال لا ميعاد لى ولا ترانى بعد اليوم وما أصنع بالنفقة والكسوة ثم أقبل على العبادة وتوفى بصفين على ما قيل عام سبع وثلاثين شهيدا مع أصحاب على رضى الله تعالى عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان في زمن عمر رضى الله تعالى عنه ومعنا أويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما رجعنا لم نجد له أثرا والاول أصح لقول أبى هريرة ان اجتماعه بعمر في السنة التى توفى فيها فكيف يكون غزا في أيامه وقيل دفن بدمشق والله أعلم انتهى وهذا هو المراد بشأنه الذى أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وبما علمت ان أويسا لم يدفن باليمن كما توهمه بعض الناس وانه أفضل التابعين وانه لقى عليا وعمر وأدرك زمنه صلى الله عليه وسلم لما ورد في الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل يقال له أويس القرني وقال أحمد بن حنبل أفضل التابعين سعيد بن المسيب قال العراقى لعل أحمد لم يقف على هذا الحديث أو لم يصح عنده وفيه انه ذكره في مسنده ولم يضعفه وانما وجهه انه رواه ان من خير التابعين بن التبعيضية وقال النووى أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته لله وأفضلية

في المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات باشهذان قد أشهر الله لكما حالى وعرفكما أمرى فمن أنتما قال على أما هذا فعمر أمير المؤمنين واما أنا فعلى بن أبى طالب فاستوى اويس قائما وترحب بهما فقال له عمر مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائى وفضل كسوة من كسوتى فقال يا أمير المؤمنين ما أصنع بالنفقة والكسوة أما ترى على ازارا ورداء من صوف متى أخرقهما وقد أخذت من رعايتى أربعة دراهم متى آكلها يا أمير المؤمنين ان بينك وبينه عقبة كؤودا لا يجاوزها الا كل ضامر مخفف به فاخف يرحمك الله فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الارض ثم نادى باعلى صوته الا ليت عمر لم تلده أمه الا من يأخذها بما فيها ولها ثم قال يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ عنها فولى عمر ناحية مكة وساق أويس ابله فوافى القوم وخلا عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لقى الله تعالى وروى الحاكم في مستدركه عن على كرم الله وجهه مرفوعا خير التابعين أويس ولا ينافيه قول أحمد وغيره ان خيرهم سعيد بن المسيب لان مرادهم في العلوم الشرعية لا في أكبرية الدرجة العلية قال الحلبى وقد قتل مع على بصفين في وقعتها وقال ابن حبان واختلفوا في محل موته فمنهم من يزعم انه مات على جبل أبى قبيس بمكة ومنهم من يزعم انه مات بدمشق ويحكون في موته قصصا تشبه المعجزات التى رويت عنه وقد كان بعض أصحابنا ينكر كونه في الدنيا ثم ساق بسنده الى شعبة قال سألت عمرو بن مرة وأبا اسحق عن اويس القرني فلم يعرفاه أقول ولعلهما لم يعرفاه لعدم كونه من رواة الحديث اذ لم يرو شيأ وكان غلب عليه حب الخمول والعزلة والخلوة وكره الصحبة والخلطة وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل طائفة مذهبهم

(وبامراء) أي وبان امراء (يؤخرون الصلاة عن وقتها) فقد روى مسلم من طرق عن أبي ذر ولفظه كيف أنت اذا كنت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها معهم فصل فانها لك نافلة زاد في رواية أخرى، والا كنت قد أحرزت صلاتك قال النووي أي عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها وروي يميتون الصلاة وهو بمعنى يؤخرون قال وقد وقع هذا في زمن بني أمية (وسيكون في امتي) وفي أصل الدلجي في أمته (ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة) رواه أحمد والطبراني والبزار منهم مسيلمة الحنفي والاسود العنسي بالنون والمختار ابن أبي عبيد الثقفي وسجاح بفتح السين فجيم زعمت انها نبية في زمن مسيلمة (وفي حديث آخر ثلاثون دجالا) وفي نسخة رجلا (كذابا أحدهم) وفي نسخة وهي الاولى آخرهم (الدجال الكذاب) أي الاعور الذي يقتله عيسى ابن مريم كما رواه الشيخان عن أبي هريرة ولفظهما ان بين يديه الساعة ثلاثين رجلا كذابا (كلهم يكذب) وفي نسخة يكذبون (على الله ورسوله) قال الحلبي وفي الصحيح قريب من ثلاثين وقد جاء تعيين عددهم في حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم أربع نسوة والدجل تمويه الشيء وتغطيته والمموه الدجال وهو الكذاب أيضا لانه يدجل الحق بالباطل (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (يوشك) أي يقرب (ان يكثر فيكم العجم) أي ضد العرب لا الفرس فقط (يأكلون فيئكم) بفتح الفاء وسكون الياء مهموز أي أموالكم

سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل أفضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين ولاشك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم مارواه مسلم من طرق عن أبي ذر رضي الله عنه (بامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها) لفظ الحديث كيف أنت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها * قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها فصل فانها لك نافلة وفي رواية والا كنت قد أحرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تأخيرها عن وقتها الاختياري لا عن وقتها مطلقا بشهاد أمره صلى الله تعالى عليه وسلم باعادتها معهم بعد ادائها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة ولا جماعة في الصلاة المقضية والقول بان المراد تأخيرها عن جميع وقتها دعوى بلا بينة وتلك بشهود لم تكن تقبل الرشا والمراد الامراء لغة فيشمل الملوك وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان أو حاكم بلدة يؤم الناس في المكتوبات أو يستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمن بني أمية لانهم أول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا التأخير في زمن الحجاج وأنكر عليه ذلك (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات مارواه أحمد والطبراني والبزار رحمهم الله تعالى انه قال (سيكون في أمتي) وفي بعض النسخ في امته (ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة) ادخال النسوة فيهم بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد في حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم أربع نسوة والذي ذكره المصنف رواية اخرى وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم أو المراد بالامة أمة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال لمسيلمة والاسود العنسي بالنون ومن النساء لسجاح التي ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به في الحديث كحديث في امتي دجالون كذابون وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولو استقصى عدتهم بلغت ماذكر والدجال الكذاب الذي يخلط ويلبس يقال دجل أمره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفى ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة (وفي حديث آخر) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (ثلاثون دجالا كذابا) عطف بيان على ماقبله (آخرهم الدجال الكذاب) الاعور الذي يظهر في آخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه وفي تذكرة القرطبي فيه أقوال آخر أحدها انه ابن صياد يدعي الالوهية ويظهر أمورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز (كلهم يكذب على الله ورسوله) كذبه على الله قوله انه أوحي اليه وعلى رسوله قوله انه بشر بي وأخبر بنبوتي كقول مسيلمة المتقدم انه أشرك في أمره ويحتمل ان يكون الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل علي وأوحى الي كذا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البزار والطبراني بسند صحيح من حديث طويل فيه (يوشك) بضم أوله مضارع أوشك بمعنى قرب ودنا وأسرع يقال وشك وأوشك (ان يكثر فيكم العجم) هم خلاف العرب مطلقا لان ألسنتهم عجم أي غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل فارس والاول أقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما في كثير من الدول كالنوبة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال (يأكلون افيأكم) جمع فيء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة والاكل فيه مجاز عن الاستيلاء

عليه وأخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه واضافة الافياء اليهم باعتبار انها حقهم ويحتمل
ان يراد بافيائهم ما لهم الذي بايديهم سماه فيأ لانه مما أفاء الله لهم بغير مشقة عليهم (ويضربون رقابكم)
أي يقتلونهم بغير حق فالخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين من العرب فيشمل جميع من بعد عصر
النبوة كما في غيره من خطابات الشارع وانما جعله قريبا منهم لان كل آت قريب والدنيا ساعة وقد
فسره الشارح الجديد بغير الاوجه له فتركه خير من ذكره (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان (لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) أي يملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير مانع
ولا كد وتعب وفيه استعارة تمثيلية انشبيهه براع لغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى
ضعف الناس وجهلهم فكأنهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت عصا
فلان أي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد لعصا (رجل من قحطان) أي من عرب اليمن وقحطان أبو
اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقظ أو يقظان وكان تجبر ومنع
أرزاق الناس فسمى قحطان لقحط الرزق بسببه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان أيضا (خيركم) المراد أمته ولفظ الصحيحين خير أمتي وهو المراد (قرني) أي عصري وزماني
الذي أنا فيه والمراد أهله لقوله (ثم الذين يلونهم) أي يأتون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون
لهم باحسان (ثم الذين يلونهم) وهم تبع التابعين والقرن أهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في أعمارهم
وجميع أحوالهم وفي تفصيله كلام تقدم والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه
وان كان على اطلاقه لا يلزم منه تفضيل أصحابه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان المراد تفضيل
الجملة بالمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتب كالافضل
فالافضل ولا شبهة في فضل العصر وجملة أهله من غير تفصيل فلا ينافيه حديث أمتي كالمطر لا يدري
الخير في أوله أم في آخره فان هذا من واد وذاك من واد آخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة من ينفع
الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة وذاك بالنظر لمجموع العصر
وشتان ما بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم أهم نظرا لعمر بن عبد العزيز وما صدر منه ولعثمان
وما كان في عهده تفضيل لعصره فيضل ويضل (ثم يأتي بعد ذلك قوم) وروى ثم ان بعدكم قوما
(يشهدون ولا يستشهدون) أي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله لا يقبل وهذا لا ينافي ما ورد
في الحديث ان خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يسئلها فان هذا محمول على من كان عنده علم أم
شهادة فيه وصاحبها لا يدري انها عنده فيخبر بما عنده ان استشهده عند حاجته ولكل مقام مقال
(ويخونون ولا يؤتمنون) هو عطف مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن أو المراد ظهور خيانتهم حتى
لا يأمنهم أحد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن أو المراد انهم يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن
سرق أو غصب ونحوه (وينذرون) بضم الذال المعجمة وكسرها (ولا يوفون) بما نذروه من غير عذر

(ويضربون رقابكم) أي يريقون دماءكم أو يبالغون في ايذائكم وقد وقع في دولة الترك من بعدهم رواه البزار والطبراني بسند صحيح
(ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) أي يسترعيهم مسخرين له كراعي غنم يسوقها بعصاه وهو كناية عن طاعة الناس له
وانقيادهم عليهم ولم يرد نفس العصا الا ان في ذكرها دليلا على خشونته وعسفه بهم في اطاعته (رجل) قال القرطبي في تذكرته لعله
الجهجاه (من قحطان) وهو أبو اليمن رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظهما لا تقوم الساعة
حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان (خيركم قرني) ولفظهما خير أمتي وفي رواية خير الناس قرني وهم الصحابة (ثم الذين يلونهم) وهم التابعون (ثم الذين يلونهم) وهم الاتباع وثم تفيد التنزل في الرتبة الى ان يرتفع الاشتراك في الخيرية فيستقيم قوله (ثم يأتي بعد ذلك قوم) وفي تغيير العبارة ايماء الى ما أشرنا اليه وفي رواية لهما ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) بصيغة المجهول أي يبادرون بتأدية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداؤها فانها لا تقبل وأما حديث خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يسألها فمعناه ان يظهر عند غير القاضي ان عنده الشهادة
حيث جهل أو شك صاحب الشهادة انها عنده أم لا أو هل يظهر الشهادة أم يخفيها وقيل يشهدون بالزور وقال الحلبي وقيل
معناه يحلفون ولا يستحلفون كما قال في رواية أخرى يسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه كذبا شهادته واليمين تسمى شهادة ومنه قوله
تعالى فشهادة أحدهم (ويخونون ولا يؤتمنون) بفتح الميم (وينذرون) بضم المعجمة وتكسر (ولا يوفون) أي بنذرهم وفي رواية
ولا يفون من وفى يفي

(ويظهر فيهم السمن) بكسر ففتح وفى حديث يكون فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى رواية ويل للمتسمنات يوم القيامة وفى رواية ويخلف قوم يحبون السمانة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمالك بن الصيف أليس فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين فقال ما أنزل الله على بشر من شئ (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) رواه البخارى ولفظه قال الزبير أتينا أنسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم وفى رواية أشر منه وهو لغة كأخير فى خير قال بعض الحفاظ الا والذى بعده شر منه فيما يتعلق بالدين قال الحلبى والذى فهم الحسن غير ذلك حيث سئل الحسن فقيل له ما بال زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج فقال

لابد للناس من تنفيس يعنى ان الله تعالى ينفس عباده وقتا ما ويكشف البلاء عنهم حينا ما قلت وهو ما ينافى ما سبق من التنزل فى أمر الدين كما هو مشاهد فى نظر أرباب اليقين فانه كلما يبعد عن النور تبقى الظلمة فى الظهور فالبعد عن الحضرة يفيد هذا الترتيب فى الحالة ويشير اليه صدر الحديث خير القرون قرنى ثم وثم فى الجملة بل جاء فى حديث رواه أحمد والبخارى والنسائى عن أنس مرفوعا لا يأتى عليكم عام ولا يوم الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (هلاك أمتى على يدى أغيلمة) تصغير تحقير لاغلمة جمع غلام يعنى صبيان (من قريش) وفى رواية أعوذ بالله من امارة الصبيان وقال ان أطعتموهم أذلتكم وان عصيتموهم أهلكتكم اذ هم صغار الاسنان (وقال أبو هريرة راويه) أى راوى هذا الحديث (لو شئت لسميتهم لكم) أى لبينتهم وقلت لكم انهم (بنو فلان وبنو فلان) لكنى ما أشاء تسميتهم صريحا خوف الفساد والفتنة الان فى العبارة اشارة بالكناية والمراد يزيد بن معاوية فانه بعث الى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة أيام فقتل من خيار أهلها كثيرا فيهم ثلاثة من الصحابة وأزيلت بكارة ألف عذراء وبعده بنو مروان بن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما أوجب أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تبرأ منهم كما رواه الشيخان انه قال ان آل أبى فلان ليسوا لى باولياء ولكن لهم رحم سأبلها ببلالها فالمكنى هو الحكم بن العاص وبنوه فانهم آله فكنى عنهم بعض رواة هذا الحديث حذرا منهم اذ كانوا ولاة الامر وأصحاب الشر هذا وقد قال القرطبى هم والله تعالى أعلم يزيد بن معاوية وعبد الله بن زياد ومن جرى مجراهم من احداث ملوك بنى أمية

ومانع لهم ويقال وفى وأوفى بمعنى (ويظهر فيهم السمن) أى عظم البدن بكثرة لحمه وهذه علامة على كثرة أكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم فى عواقب الامور وروى يأتى فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وفى الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه فجعل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة خلقة أنشأه الله عليها القوة نطفة أبويه وقيل المذموم منه ما يكتسب دون الخلقى لانه ورد فى الحديث ويل للمتسمنات يوم القيامة أى اللواتى يستعملن السمنة وهى دواء يتسمن به وروى تخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهى السمن (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البخارى عن أنس رضى الله تعالى عنه (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) المستثنى جملة حالية يجوز فى مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير بن عدى أتينا أنسا رضى الله عنه فشكونا له الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من نبيكم عليه الصلاة والسلام وروى أشر على الاصل كأخير والمستعمل منهما خير وشر وسمعا على الاصل نادرا وفى معنى هذا الحديث ما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل عام ترذلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابتا فى أحاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصرى لما ذكر يحيى ابن عبد العزيز بعد الحجاج لابد للناس من تنفس يعنى ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلاء أحيانا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (هلاك أمتى على يدى أغيلمة من قريش) أغيلمة تصغير أغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو فى حكم المفرد وفى القاموس جمع غلام غلمة وأغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد فما فى النهاية من انه تصغير غلمة على القياس ولم يرد فى جمعه أغلمة ومثله أصبية تصغير صبية كلام لا وجه له فان رد جمع القلة لجمع قلة آخر فى التصغير مما لا يعقل ولا يسمع ولو لم يرد غير هذا لما على انه سمع فيه أغلمة فلا حاجة للتعسف فى تأويله والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم (وقال أبو هريرة راويه) أى راوى هذا الحديث (لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان) أى لو أردت ان أسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه أباح المدينة ثلاثة أيام وقتل من خيار أهلها ناسا فيهم ثلاثة من الصحابة وأزيلت بكارة ألف عذراء وكبنى مروان بن الحكم وغيرهم من بنى أمية ولم يسمهم

(وأخبر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بظهور القدرية) كما رواه الترمذي وأبو داود والحاكم أنه قال القدرية مجوس هذه الأمة إشارة إلى مدح أمته وذمهم جعلهم مجوسا حيث شابه مذهبهم مذهبهم فالمجوس أثبتوا إلهين زعموا أن الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر من فعل الظلمة وسموه أهرمن وقد قال الله تعالى وجعل الظلمات والنور أي خلقهما وأما القدرية فزعموا أن الله خالق الخير والله خالق الشر وهو الإنسان وقد قال تعالى الله خالق كل شيء وهو ما ينافي أن ينسب إليه الفعل خلقا وإيجادا وابتداعا بلا واسطة (والرافضة) بالفاء بمعنى الرفضة أي وأخبر بظهور الطائفة الرافضة أي التاركة لحب جل الصحابة وقد رواه البيهقي من طرق كلها ضعيفة إلا أنها يتقوى بعضها ببعض ويعضدها ما رواه البزار بلفظ يكون في أمتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الإسلام أي بالكلية لأنهم يستحلون سب الصحابة ويكفرون أهل السنة والجماعة أو المعنى يتركون كمال الإسلام وجماله إن لم يصدر منهم ما ينافي أحكام الإيمان وفي رواية يلفظونه أي يرمونه فاقتلوهم فإنهم مشركون أي مشابهون لهم حيث لم يعملوا بالكتاب والسنة (وسب آخر هذه الأمة أولها) أي وأخبر بظهور هذا الأمر من الرافضة وقد رواه أبو القاسم البغوي عن عائشة مرفوعا بلفظ لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها وللترمذي من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولعن هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه والتتابع بالياء التحتية هو الوقوع في الشر كما أنه بالموحدة يستعمل في الخير هذا وقد ظهر لعن السلف على لسان الروافض والخوارج جميعا ولعل مذمة الرافضة في بعض الأحاديث وردت بالمعنى اللغوي الشامل لكل من الطائفتين وإن كان العرف خصها باعتبار الغلبة (وقلة الأنصار) أي وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقلتهم والأظهر أن المراد بهم طائفة معروفة من الصحابة وقد يتوسع ويراد بهم ذريتهم أيضا ولا يبعد أن يراد بهم أنصار الدين ومعاونيهم حتى يشمل المهاجرين وغيرهم وقد رواه البخاري عن ابن عباس خرج علينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار أي بعدي

بسبب خوف الفتنة (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث رواه الترمذي وأبو داود والحاكم (بظهور القدرية) في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الأمة وهم القائلون بأن الأمور كلها ليست بقضاء الله وقدره وأن الإنسان خالق لأفعاله وأنها بقدرته وسموا قدرية لإثباتهم للعبد قدرة أو لإنكارهم قدرة الله على أفعاله وشبههم بالمجوس لأنهم أثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور الذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة وسموها أهرمن وهؤلاء لما نسبوا أفعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في الأصول وأما معنى القضاء والقدر فعند السلف القضاء إرادة الله الأزلية المتعلقة بجميع الأشياء خيرها وشرها والقدر إيجاده إياها على ما اقتضاه أولا وعند الفلاسفة القضاء علمه بما عليه الوجود حتى يكون على أحسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها على وفقه وهؤلاء القدرية هم المعتزلة وأما القدرية الذين أنكروا القدر وأن الأمر أنف أي مستأنف لا يعلمه الله إلا بعد وجوده فليس المراد بالحديث هؤلاء لأنهم انقرضوا ولم يبق منهم أحد (والرافضة) الذين أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد في حديث رواه البيهقي من طرق إلا أنها كلها ضعيفة فقال يكون في أمتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الإسلام وروي يلفظونه فاقتلوهم فإنهم مشركون انتهى وفيه بيان لوجه التسمية فإن الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا صحبة الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما أخبر به الصادق الأمين لما ظهر الفاطميون ومن بالعجم الآن منهم (وسب آخر هذه الأمة أولها) أي أخبر صلى الله عليه وسلم بأن من تأخر من أمته يسب أولها وهذا من المغيبات ورد في حديث رواه البغوي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا فقال لا تذهب الأمة حتى يلعن آخرها أولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فظهر سب الشيخين وسب عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ووقع من بني أمية سب علي كرم الله تعالى وجهه على المنابر ودخل بعضهم في هذا من سب بعض الأولياء وعلماء السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض الفقهاء يسبون العارف بالله سيدي محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض ونحوهما من أولياء الله تعالى حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم أعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الأوراق ويخشى على المتصدي لذلك من سوء الخاتمة نفعنا الله تعالى ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم (و) أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بقلة الأنصار) بعد عصر النبوة وهم الأوس والخزرج وسموا أنصارا لأنهم نصروا الرسول

(حتى يكونوا كالملح في الطعام) كناية عن غاية قلتهم فيما بين أهل الاسلام وتمام الكلام فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (فلم يزل أمرهم يتبدد) أي يتفرق (حتى لم يبق لهم جماعة وانهم) أي وأخبر انهم (سيلقون بعده أثرة) بفتحتين وبكسر فسكون وحكي بضم فسكون أي ايثار الناس أنفسهم عليهم فيما هم أولى به من العطايا ومناصب القضايا في الصحيحين بلفظ انكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض قال اليعمري كانت هذه الاثرة زمن معاوية (وأخبر بشأن الخوارج) أي على علي بالنهروان وكانوا أربعة آلاف فقتلهم على قتلا ذريعا ولم يقتل ممن معه الاتسعة (وصفتهم) أي وبيان حالهم وأفعالهم حيث قال فرقة يحسنون القول ويسيئون الفعل أو العمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يرتد الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم (والمخدج) بضم الميم وسكون المعجمة وفتح الدال المخففة وبالجيم أي الناقص وكان ناقص اليد واسمه نافع وفي نسخة بشدة أي بناقص الخلق (الذي فيهم) أي بان احدى ثدييه مثل ثدي المرأة

صلى الله تعالى عليه وسلم وآووه وهو جمع ناصر أو نصير غلب على هذه القبيلة وبه انسب اليهم أنصاري ولم يرد لواحده وهذا إشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار (حتى يكونوا كالملح في الطعام) فمن ولي منكم شيئا يضر قوما فيه وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أي ان أهل الاسلام لايزالون يدخلون فيه أفواجا أفواجا وهؤلاء يقلون ويفنى نسلهم فان خيار الا كثر قليل في كل جيل ولم تزل قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح في الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الآن في المدينة لم يبق منهم الا الأقل من القليل كما أشار اليه بقوله (فلم يزل أمرهم يتبدد) المراد بامرهم ما به بقاؤهم وانتظام حالهم من أملاكهم وأموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون (حتى لم يبق لهم جماعة) أي لم يبق من نسلهم قوم مجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه أولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحد منهم لم يقم بعده من يخلفه (و) أشار لسبب ذلك بقوله و(انهم سيلقون بعده) أي يلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أثره) بفتح الهمزة والمثلثة والراء المهملة قيل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى وهو الاستبداد وقيل الثاني شدة الاستبداد أي يلقون بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من يؤثر عليهم غيرهم ويقدمه عليهم في العطاء من الديوان ويقل نصيبهم من الفيء فتضيق معيشتهم وفي نفسهم شرف وحمية فيتشتتوا ويتبدد أمرهم قال ابن سيد الناس كان ابتداء هذا في زمن معاوية رضي الله عنه ويجوز في أثره ان يكون جمع آثر ككاتب وكتبة أي آثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا حتى تلقوني على الحوض والحديث طويل في الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن المغيبات (و) منه أخباره صلى الله عليه وسلم (بشأن الخوارج) الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه رضي الله عنه بالنهروان وهم نحو أربعة آلاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بحربهم بعض أصحابه وقيل كانوا أكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه الشيخان (وصفتهم) بالجر عطفا على شأن وهم فرق من أهل الضلال كالمحكمة الذين أنكروا التحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق وغيرهم مما لا حاجة لتفصيل أحوالهم وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم انهم أهل صلاة وصيام يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاته وصيامه في جنب صيامهم الا أنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا وارتكبوا الكبيرة وأكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحي المغرب (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمخدج الذي فيهم) وهو بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وروى بفتح الخاء وتشديد الدال والمعنى واحد وروى المخدوج وهو الناقص خلقه ومنه الخداج وهو اشارة لما في حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم في بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة أعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم أعدل خبت وخسرت فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي اضرب عنقه فقال له دعه ان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته الى آخره وآيتهم رجل أسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ولما كانت وقعتهم وقتال علي لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤوا به فقال شقوا قميصه فشقوه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدي المرأة عليه شعرات سجد شكر الله تعالى اذ صدق نبيه

صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على الباطل (وان سيماهم) بكسر السين المهملة وهي العلامة (التحليق) أي يحلقون شعور رؤسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤس الا في النسك وهذه الاحاديث ظاهرة في تكفيرهم كما قاله الخطابي وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم حلقا حلقا وليس بشئ وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطائر اذا طار وعلا وبعد ذكرنا علم ان حلق جميع الرأس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم رأى صبيا حلق بعض رأسه فقال احلقوه كله أو اتركوه كله قال النووي رحمه الله في شرح مسلم وهو صريح في اباحته وقال قال الفقهاء انه جائز على كل حال فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه (ويرى رعاء الشاء) يرى بالتحتية مبني للمجهول ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع كرعاة ورعيان والشاء بالمد جمع شاة وهي معروفة (رؤس الناس) ورؤس جمع رأس وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس وروي ترى بالتاء الفوقية والخطاب لغير معين نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ويجوز رفعه ونصبه والعراة الحفاة العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس في رجله نعل وهذا الحديث في الصحيحين بمعناه وبعض ألفاظه فالمصنف رحمه الله تعالى رواه من طريق آخر أو رواه بالمعنى (يتبارون في البنيان) أي يتناظر بعضهم بعضا في بنائه فيريد كل منهم ان يزيد على غيره يقال باراه اذا عارضه فتبارى وانبرى وهذا وما قبله كناية عن توسع من لا قدرة له في الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله وكثرة مفاخرة بعضهم لبعض في البناء العالي كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة وفي مسلم ان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الارض وروي يتطاولون في البناء يعني ان من أشراط الساعة ان أهل البادية ونحوهم ممن لا لباس له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويترأسون وجهلة الناس وأراذلهم يصير حاكما واليا عظيم الشأن ولقد ظهر ما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا المغيبات وهو لآن عيان رأي العين وكني بكونهم رعاء الى انهم مجهولون الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروي يتمارون بالميم بمعنى يتنازعون والمعنى واحد (وان تلد الامة) أي الجارية المملوكة أي اتخذت سرية (ربتها) بتاء التأنيث وربت ورب بمعنى سيد وسيدة والرب لغة له معان السيد والمالك والمربي والمدبر والقيم والمنعم ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب القرائن والمقامات والمراد هنا السيد ذكرا كان أو أنثى وأنثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التي أخبر بها صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه وفي معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاماء تلدن الملوك فتكون أمه أمة من جملة رعيته وقيل هو عبارة عن فساد أحوال الناس في آخر الزمان وكثرة بيع أمهات الاولاد حتى يشتري الرجل أمه وهو لا يدري انه ابنها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا من غير سيدها الوطئها بشبهة قوية أو رقيقا بنكاح أو زنا ويعتق ويتداول الايدي أمه حتى يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستطيل الولد على أمه استطالة السيد الذي عده من الاشراط على الاول كثرة التسري فلا ينافي تسري النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمارية وغيره وفي الشروح كلام مبسوط في هذا الحديث وفيه من دلائل النبوة الاعلام بكثرة التسري والسبي بعد ظهور الاسلام واستيلاء المؤمنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار بان غاية الانحطاط لايذانه بقيام الساعة وكل شئ بلغ الحد انتهى (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو (ان قريشا والاحزاب لا يغزونه أبدا) الاحزاب جمع حزب وهو الطائفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد اذ المراد احزاب مخصوصون

(وان سيماهم التحليق) أي علامتهم المبالغة في حلق شعورهم وقيل جلوسهم حلقا حلقا (ويروى) بصيغة المجهول وقال الدلجي بصيغة الخطاب العام (رعاء الغنم) وفي أصل الدلجي رعاء الشاء وهو نائب الفاعل أو المفعول الاول والثاني قوله (رؤس الناس) أي رؤساءهم (والعراة الحفاة) وفي نسخة والحفاة العراة (يتبارون) بفتح الراء أي يتفاخرون (في البنيان) أي في اطالة بيوتهم وتحسينها وتزيينها فقد روى الشيخان معناه ببعض مبناه ففي مسلم وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان وللبخاري واذا تطاول رعاء الابل البهم في البنيان وله أيضا واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من أشراطها ولهما وان ترى الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض وفيه اشارة الى ان أرباب الجهالة والقلة والذلة يغلبون على أهل العلم والغنى والعزة (وان تلد الامة ربتها) أي سيدتها فان ولد الامة من سيدها كسيدها لانه سبب لعتقها فهي بنتها فبالاولى ابنها قال الحلبي وفي رواية ربها وفي رواية بعلها أي تلد مثل سيدها ومالكها ومتصرفها أراد به كثرة السبي والسراري في أوقات السعة أو في أزمنة الفتنة أو كناية عن كثرة العقوق وقلة تأدية الحقوق (وان قريشا) أي وأخبر بان كفار قريش بالخصوص (والاحزاب) أي وسائر طوائف الكفار (لا يغزونه أبدا) ولعله بعد غزوة الخندق فمن سليمان بن صرد انه عليه الصلاة والسلام قال حين اجلى الاحزاب

عنه الآن نغزوهم ولايغزوننا نحن نسير اليهم (وانه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (هو يغزوهم) أى يبدؤهم بالمحاربة كما وقع له ولاصحابه بفتح مكة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لاتغزى قريش بعده أى لايكفرون فيغزون وقوله فى رواية أخرى لاتغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة أى لاتعود مكة دار كفر يغزى عليه واما ما قيل من ان المعنى لايغزوها كفار أبدا فان المسلمين قد غزوها مرات فيرده قصة القرامطة وكذا حديث يخرب الكعبة ذوالسويقتين من الحبشة يقلعها حجرا حجرا (وأخبر بالموتان) بضم الميم وتفتح أى بالوباء (الذى يكون ١٨٠ بعد فتح بيت المقدس) كما رواه البخارى عن عوف بن مالك قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتانا يأخذ فيكم كقعاص الغنم القعاص بضم القاف داء يأخذ الغنم لايلبثها ان تموت ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لايبقى من العرب حى الادخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية أى راية تحت كل غاية اثنى عشر الفا انتهى وكان هذا الموتان فى خلافة عمر بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو أول طاعون وقع فى الاسلام مات به سبعون ألفا فى ثلاثة أيام وبنو الاصفر هم الروم لان جدهم الذى ينسبون اليه كان أصفر وهو روم بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام (وما وعد من سكنى البصرة) بفتح الموحدة وحكى ضمها الا انه لايجوز فى النسبة اتفاقا فقد روى أبو داود عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها بتشديد اللام أى ساحلها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها أى نواحيها الظاهرة بها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير واول هذه الامور وردت معنوية أو ترد بعد ذلك صورية هذا وقد بنى البصرة عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثمانى عشرة لم يعبد الصنم قط على ارضها

فى الغزوة المشهورة (وانه هو الذى يغزوهم) بعد اخباره بذلك فى الاحزاب وهى غزوة الخندق وبعد أحد والخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله تعالى عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة وأتى بالجملة مؤكدة بالاسمية وان وضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لاتغزى قريش بعد هذا الى يوم القيامة أى لاتعود مكة دار كفر ولاتغزوها الكفار فلاينافى ماوقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذى السويقتين قال الواقدى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا لسبع بقين من ذى القعدة (و) مما رواه الشيخان أيضا انه صلى الله عليه وسلم (أخبر بالموتان) بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو لايصح هنا لانه اسم يقابل الحيوان وفى القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان أو أرض لم تحى بعد وبالضم موت يقع فى الماشية وتفتح انتهى يعنى ان فعلان بفتحتين فى المصادر يختص بما يدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع تحريكه هنا (الذى يكون بعد فتح بيت المقدس) وكان ذلك فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه بعمواس بفتحتين وهى قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو أول طاعون وقع فى الاسلام مات فيه سبعون ألفا فى ثلاثة أيام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وعمواس هذه هى القرية التى بين الرملة وبيت المقدس مات فيها أبو عبيدة بن الجراح والحديث أوله عن عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال أعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء تموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها الى آخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بنى الاصفر والموتان ان خص بالماشية كما مر فهو ههنا مجاز مرسل لمطلق الموت أو استعارة ولاينافيه التصريح باداة التشبيه لانه من وجه آخر وهو شدة السرعة والمنافى له ذكر التشبيه فى ذلك المجاز بعينه وقد أشار لما قلناه الشريف فى حواشى الكشاف فى قوله كان اذنى قلبه خطلا وان وهو من الفوائد النفيسة (وما وعد من سكنى البصرة) بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة أو ذات حجارة والفتح أشهر وأفصح وهى بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير أيضا بناها عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصرى بكسر وفتح ولايجوز الضم وهذا الحديث رواه أبو داود عن أنس انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحى للنازلين ببطحائها وظواهرها وكلاؤها بتشديد اللام مرسى سفنها وفى هذا من أعلام النبوة والاخبار

بالغيب مالا يخفى ويجوز كسر صادها وهم بلدتا غرب تسمى البصرة أيضا والمراد الاولى ويكنى مصدرا
كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها (و) من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيب أيضا في حديث
رواه الشيخان (انهم) أى أمته صلى الله تعالى عليه وسلم (يغزون في البحر) بعده صلى الله تعالى عليه
وسلم فانه لم يكن ذلك في حياته والمراد بالبحر البحر الملح لانه اذا أطلق ينصرف اليه ولم يعهد في غيره
الا نادرا (كالملوك على الاسرة) وهو تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للملوك مرتفع يجلسون
عليه ترفعا وتعظما ومؤخر المراكب المعدة للغزو والذى يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك
بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام العجيبة لانه لم تكن ذلك بديار العرب ولا يراه أحد منهم
فتوصيفه صلى الله تعالى عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليه مما تحار فيه العقول والحديث عن أنس
ابن مالك رضى الله تعالى عنه عن خالته أم حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نام
عندها يوما لانه محرم لها ثم استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتبسم فقالت لما
أضحكك يا رسول الله قال اناس من امتى عرضوا على يركبون البحر الاخضر كالملوك على الاسرة فقالت
ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام فرأى ذلك فقال لها ما قال أولا ودعا لها وقال لها أنت من
الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة في البحر مع معاوية رضى الله تعالى
عنه فلما انصرفوا قرب لها دابة تركبها فوقعت وماتت شهيدة ثمة واختلف في زمنه فقيل في زمن
معاوية كما مر وقيل في زمن عثمان رضى الله تعالى عنه وجمع بينهما بانه في زمن عثمان رضى الله تعالى
عنه أمر معاوية رضى الله تعالى عنه بغزو البحر فغزاه بامر عثمان رضى الله عنه ثم لما ولى الخلافة غزاه
بنفسه وفي الحديث معجزات اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن غزو أمته في البحر وغلبتهم وظهور
شوكة الملوك فيهم وان أم حرام من أولهم وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك
في كراهته للنساء في رواية عنه وان الغزو فيه مشروع مطلوب وورد في الحديث ان غزو البحر يزيد
أجره على البر بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزوة أول غزوة فيه وهى فتح قبرس وكان عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يأذن في ذلك أولا ثم لما ذكر له هذا الحديث أمره وجهز الاسطول كما هو
مفصل في محله وليس المراد بالبحر في الحديث بحر الشام وتعريفه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وأم حرام
رضى الله تعالى عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفي نسخ ثبج البحر بمثلثة وموحدة وجيم
وهو وسطه ومعظمه (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الدين لو كان منوطا) أى معلقا (بالثريا
لناله) أى وصل اليه (رجال من أبناء فارس) أى ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهى
كواكب مجتمعة اختلف في عددها كما مر وهى المنازل المشهورة وهى أى الثريا مشهورة بالعلو في
السماء ويضرب بها المثل لقلتها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان أو الشرع وما يتعلق
به وهو كناية عن ان هؤلاء يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم قط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو
من اعلام النبوة أيضا لما ظهر فيهم من الاولياء والعلماء بما ظهر منهم من التصانيف التى لا تعد ولم
يات الدهر بمثلها وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تجد فنا
الا وقد حازوا قصب السبق فيه وانظر الى البخارى هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما يتوهمه من
يتعصب تعصب الجاهلية واغماضا وتحقيق لما أخبر به سيد البرية صلى الله تعالى عليه وسلم وفارس
جيل معروف ويقال لهم الفرس أيضا وهم من أولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم سموا

(وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة) كما في الصحيحين بلفظ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت
ملحان من خالات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وكانت تحت عبادة ابن الصامت فدخل عليها يوما
فاطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك قال ناس من أمتى عرضوا على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج أى وسطه ومعظمه وقيل ظهره هذا البحر ملوكا على الاسرة أو كالملوك على الاسرة فقالت ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك فقال كالاول فقالت ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فقال أنت من الاولين فركبت البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت والاسرة جمع سرير وهو بساط الملك (وان) أى وأخبر بان (الايمان لو كان منوطا) أى معلقا (بالثريا لناله رجال من أبناء فارس) وهم المشهورون الآن باسم العجم ولفظ الشيخين عن أبى هريرة كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم
قالوا من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان الفارسى ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء بجمع اسم الاشارة مع ان
المشار اليه واحد لارادة الجنس ولو هنا لمجرد الفرض والتقدير مبالغة لحدة فطنتهم وقوة فطرتهم وأراد بآخرين التابعين اللاحقين
بالصحابة السابقين وأعلاهم في هذا المقام الافخم هو الامام الاعظم والله تعالى أعلم

به ويطلق على بلادهم أيضا والحديث مروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى عليه سورة الجمعة وقوله فيها وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يارسول الله وفينا سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء وفى رواية لو كان العلم وروى أيضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهؤلاء مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان رضى الله تعالى عنه لان المراد به الجنس أو هو بتقدير من جنس هؤلاء (و) من ذلك ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه (هاجت) أى هبت (ريح) بشدة (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزواته) أى فى غزوة من غزواته وهى غزوة تبوك وهو محل من أرض الشام كما قيل وفيه نظر (فقال انها لموت منافق) أى رجل من المنافقين وهو رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزى انه عم قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه وذكر عنه قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه انه رأى منه ما يدل على صحة اسلامه وقال الذهبى فى التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروى انها لموت عظيم من عظماء الكفار وهو أيضا محمول على ظاهره أو هو باعتبار ما فى قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بنى المصطلق وكان ذلك فى رجوعه منها سنة ست أو أربع أو خمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لانها تدل على غضب الله تعالى كما فى ريح عاد التى أهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لانه استدل بها كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكماء والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما صنعه الله تعالى وقدره واطلع من أراد عليه والممنوع انما هو اسنادها او جعلها مؤثرة فيه (فلما رجعوا) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من تلك الغزوة (وجدوا ذلك) أى ما أخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور فهلك فى وقت اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله تعالى عنه بسند صحيح (لقوم من جلسائه) من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرماء (ضرس أحدكم) أى واحد منكم أيها الحاضرون (فى النار) أى اذا كان فى جهنم (مثل أحد) أى كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان أحدهم يموت كافرا وفى حديث آخر ضرس الكافر مثل أحد وجسم المعذب كلما ازداد عذابه فكان أشد عليه وكونه عبارة عن ثبات عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل فى غاية البعد (قال أبو هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى كان الخطاب له (فذهب القوم) الذين كانوا اجلساءه أى ماتوا كلهم كما أشار اليه بقوله (يعنى) أبو هريرة بقوله ذهب القوم (ماتوا) فان الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان وقد يخص بالموت كقول قس * فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر * (وبقيت أنا ورجل) منهم ولم يعينه لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرحال بن عنفوة والرحال براء مهملة وحاء مهملتين ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من أهل اليمامة (فقتل مرتدا) حال من ضمير قتل النائب عن الفاعل والضمير لرجل (يوم اليمامة) أى فى حرب كان باليمامة وهى اسم أرض معروفة شرقى الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة أيضا وقيل قتله زيد بن الخطاب فى حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بنى حنيفة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم وتعلم القرآن فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوحى ارتد وشهد له بذلك (وأعلم) الصحابة رضى الله تعالى عنهم

(وهاجت ريح) أى هبت بشدة (فى غزاته) أى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغزاته فى بعض غزواته وهى غزوه تبوك من الشام على ما ذكره الدلجى أو غزوة بنى المصطلق كما قرره الحلبى وهو أولى بالاعتماد (فقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك) أى موت المنافق على وفاق ما أخبر به هنالك وهذا المنافق هو رفاعة ابن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهف المنافقين كذا قاله أبو اسحق على ما ذكره الحلبى (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن رافع ابن خديج (لقوم من جلسائه) وهم أبو هريرة الدوسى وفرات بن حيان العجلى والرحال ابن عنفوة اليمامى وهو المراد من قوله (ضرس أحدكم) أى واحد منكم لا كل واحد منكم (فى النار أعظم من أحد) أى هيئة وصورة فى هذا تلويح بان يموت أحدهم كافرا الحديث ضرس الكافر فى النار مثل أحد رواه مسلم وغيره (قال أبو هريرة فذهب القوم يعنى) أى يريد بقوله ذهبوا (ماتوا فبقيت أنا ورجل فقتل) ان ذلك الرجل (مرتدا يوم اليمامة) ناحية شرقى الحجاز معروفة (وأعلم) أى أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه أبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى عنهم

(بالذى غل) أى خان فأخذ من الغنيمة قبل القسمة (خرزا من خرز يهود) بفتح الخاء المعجمة والراء فزاى وهى الجواهر وما ينظم من نحوها والمراد بها هنا فصوص من الحجارة (فوجدت) أى تلك الخرز (فى رحله) أى بعد موته فعن زيد بن خالد الجهنى قال توفى رجل يوم خيبر فذكروا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله قال ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرزات يهود ما تساوى درهمين (وبالذى) أى وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (عن أبى هريرة) بالذى (غل الشملة وحيث هى) أى وبالمكان الذى هى فيه وهى كساء يشتمل به الرجل ولفظهما أهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه سهم عائر أى لا يدرى راميه فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى أخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ذكره الدلجى وقال الحلبى الذى غل الشملة هذا كركرة قال النووى يقال بكسر الكافين وبفتحهما جعله فى المبهمات وكذا هو فى سنن ابن ماجه فى الجهاد (وناقته) ضبط بالرفع فى النسخ ولعل التقدير وكذا ناقته أى قضيتها أو وحيث هى وناقته كما فى أصل التلمسانى والظاهر جرها أى وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى بناقته ومكانها (حين ضلت) أى ضاعت وفقدت (وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها) أى برسنها أو زمامها وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من غزوة بنى المصطلق أخذتهم ريح كادت ان تدفن الراكب وهى التى أخبر انها هاجت لموت منافق وضلت ناقته عليه الصلاة والسلام فى تلك الليلة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل عليه السلام وأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بها وقال ما أزعم انى أعلم الغيب ولكن الله أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق

عنهم بسبب غنمهم وهو ماض مبنى للفاعل بوزن أكرم وفاعله ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى (بالذى غل) بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كأن الايدى غلت أو من الغلل وهو الماء الجارى تحت النبات وكثر استعماله فى السرقة من الغنائم (خرزا) بخاء معجمة وراء مهملة وزاى معجمة واحده خرزة وهى حجارة تنظم ويزين بها وكل جوهر (من خرز يهود) ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة سموا باسم جدهم يهود بن يعقوب أخو يوسف والمراد به يهود خيبر لانه توفى بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه (فوجدت) تلك الخرز التى غلها (فى رحله) أى فى منزله وما معه بعد موته وهى لا تساوى درهمين وأصل الرحل ما يوضع على البعير وتجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه وهذا الرجل لا يعرف اسمه (و) اعلم أيضا بما هو من الغيب (بالذى غل) أى سرق كما مر (الشملة) وهى المرة من الشمول وكساء صغير يشتمل به الانسان وهذا بعض حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال أهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم عائر فقتله فقلنا هنيئا له الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى أخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا وعائر بعين وراء مهملتين اصابه من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا قفل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين أو كسرتين فمات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة غلها واقتصر السيوطى رحمه الله تعالى على الاول وانه الذى عناه المصنف وهو الظاهر والنووى فى المبهمات على الثانى والبرهان تبعه والذى أوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول فى الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد للامام أو يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبنى على التعزير بأخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون (وحديث ناقته) أى مما أعلم به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذى رواه البيهقى عن عروة مرسلا (حين ضلت) ناقته وغابت عنه حتى لم يروها (وكيف تعلقت) ناقته (بالشجرة بخطامها) بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله

تعالى عليه وسلم ما أزعم انى أعلم الغيب بما أعلمه ولكن الله تعالى أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد اللصيب أو ابن اللصيب بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان أولا من اليهود وما ذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطى فى مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا ووقع فى بعض النسخ وحيث هى ناقته حين ضلت وفى أخرى ومن ضلت ناقته حيث هى حين ضلت وكيف الى آخره فقال بعضهم هو مجرور وعطف على الذى أو مبنى على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول لاعلم وناقته مبتدأ وهى مبتدأ ثان خبره محذوف أى موجودة والجملة فى محل جر باضافة حيث وأنت فى غنى عن مثله (و) من المغيبات التى أعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بها ما رواه الشيخان عن على كرم الله وجهه حين أعلم (بشأن كتاب حاطب) بن أبى بلتعة الصحابى البدرى المشهور الذى أرسله (الى أهل مكة) لما تجهز النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم أحدا بتوجهه ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده نصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى وبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ ففيها جارية معها مكتوب فأتونى به وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخفى مسيره فأتوا المحل فوجدوا الجارية فأنكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيأ فهموا بالرجوع ثم بدا لعلى رضى الله تعالى عنه أن خبره صلى الله تعالى عليه وسلم صدق فهدد الجارية فأخرجت الكتاب من عقصتها فلما أتوا به قال عمر رضى الله تعالى عنه دعنى أضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا فان الله اطلع على أهل بدر وقال اصنعوا ما شئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة أهلا ومالا وخشى ضياعه فأراد ان يضع فيهم يدا يقتضى حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة فى شروح السير والبخارى والكتاب كان مع امرأة تسمى أم سارة (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى حين أعلم (بقصة عمير) بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) بن أمية بن خلف (حين ساره) أى أخبر عمير صفوان سرا فى خفية لم يسمعه أحد وذلك السر انه يقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ يأتيه بغتة بحيث لم يشعر به أحد وكان شجاعا فاتكا (وشارطه على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اشترط عليه ما يعطيه ان فعل ذلك (فلما جاء عمير الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر والسر) الذى كان بينهم لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة (أسلم) عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزات الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن أمية وهو ابن عمه فى الحجر بعد بدر فذكروا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ليس فى العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا دين على ليس عندى قضاؤه وعيال أخشى ضياعهم لكنت آتى محمدا حتى أقتله فان لى فيهم علة ابنى أسير عنده فاغتنمها صفوان فقال على دينك أقضيه وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا فقال اكتم عنى شأنى ثم شحذ سيفه أى سنه وسمه وانطلق حتى أتى المدينة وأناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فرآه عمر رضى الله عنه فقال هذا الكلب عدو الله ما جاء الا لشر وأخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له أدخله على فاقبل عمر رضى الله

(وبشان كتاب حاطب) بكسر الطاء وهو ابن أبى بلتعة وكان مكتوبه بالخفية (الى أهل مكة) وهى سهيل بن عمرو وعكرمة ابن أبى جهل وصفوان ابن أبى هيعة من مسلمة الفتح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر ذكرهما السهيلى ولا منع من الجمع فتدبر ومن فضائل حاطب على ما فى نظم الدر أنه عليه الصلاة والسلام حين بعثه الى المقوقس قال له ان كان صاحبك نبيا فلم لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده فقال له حاطب منعه الذى منع عيسى من الدعاء على من رام صلبه فاسكته بذلك وأخجله هنالك (وبقصة عمير) وفى نسخة بقضية عمير وهو بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) أى ابن أمية ابن خلف (حين ساره) بتشديد الراء أى خافت صفوان بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشارطه) أى جعل له جعلا (على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فخاب سعيهما وضاع كيدهما (فلما جاء عمير للنبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر) أى الذى جاء بصدده (والسر) أى المخفى عن غيره (أسلم) أى عمير وكذا أسلم صفوان بعد حنين ذكره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى

تعالى

انا الى عمير بن أحمد بحمائل سيفه فلببه بها ثم أدخله فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أرسله يا عمر ادن
يا عمير فدنا فقال ما جاء بك قال جئت لهذا الأسير فأحسنوا فيه قال فما بال السيف في عنقك قال قبحه
الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا قال أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت أنت وصفوان بالحجر
وذكرتما أصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيال لخرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك
وجئت لتقتلني فقال أشهد أنك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله
اني لأعلم انه ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وتشهد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا أسيره ففعلوا فغضب صفوان فهجر بينهما الى يوم الفتح ثم جاء مستأمنا
فأسلم وحسن اسلامه وكان عمير أبغض الناس لعمر فلما أسلم كان أحب الناس اليه وهو من سادات
قريش وقد عد انها اقتضت سيادته بالاسلام وله أحاديث في السنن (وأخبر) أيضا صلى الله تعالى عليه
وسلم فيما رواه أحمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقي عن عائشة باسناد صحيح (بالمال الذي تركه عمه
العباس عمه (عند أم الفضل) لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما
كنى العباس أبو الفضل وهي من أشراف الصحابة رضي الله تعالى عنها يقال انها أول امرأة أسلمت بعد
خديجة ودفن كنزه ماله عندها وأخفاه حتى عن أولاده كما أشار اليه بقوله (بعد ان كتمه) فلما أسر
ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفداء فقال لا مال لي فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما صنع
المال الذي وضعته عند أم الفضل (فقال ما علمه غيري وغيرها فأسلم) وقيل له لم تسلم قبل الفداء ليبقى
لك مالك الذي افتديت به فقال لم أكن لأحرم المؤمنين ما طمعوا فيه من مالي وقد قيل انه أسلم قبله
ولكن كان يخفي اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعد وفي بعض النسخ أم الفضيل بالتصغير
وهو خطأ من الناسخ وأصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفداء أسرائهم فقال العباس يا رسول
الله اني كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله أعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله
يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب
وحليفك عتبة أخا بني الحارث قال ما عندي ما يفي بالفداء قال فما فعلت بالمال الذي دفنته عند أم
الفضل وقلت ان أصبت في سفري فالمال لولدي فقال والله يا رسول الله هذا شيء ما علمه غيري وغيرها
واحسب لي ما أصبتم أي فانه جاء ان العباس خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من الذهب ليطعم بها
المشركين فأخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى
وقال أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال ذلك أعطاه الله لنا ففداهم فأنزل الله يا أيها النبي
قل لمن في أيديكم من الأسرى الآية ومقتضى قول المصنف فأسلم انه ما أسلم الا حينئذ والذي قالوه انه
أسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبد البر قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون
بمكة يتقوون به وكان العباس يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحوال المشركين وأحب أن
يقدم عليه المدينة فكتب اليه مقامك بمكة خير ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر من لقي منكم
العباس فلا يقتله فانه انما أخرج مكرها (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن
عروة وسعيد بن المسيب مرسلا انه (أعلم انه سيقتل) بنفسه (أبي بن خلف) كما تقدم فجرحه بعنقه في
أحد فمات بمحل يسمى سرفا وكان قبل ذلك اذا لقيه بمكة يقول عندي فرس أعلفها كل يوم لأقتلك
عليها فيقول له صلى الله تعالى عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما كان يوم أحد أقبل يقول أين محمد
لا نجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلوا سبيله
وانظر فرجة من درعه على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا له

(وأخبر بالمال الذي تركه
عمه العباس عند أم
الفضل) أي زوجته
وهي لبابة بنت الحارث
أول امرأة أسلمت بعد
خديجة وقيل بل هي
فاطمة بنت الخطاب
وفي نسخة أم الفضيل
بالتصغير وهو غلط محض
بل لم يعلم في الصحابيات
من يقال لها أم الفضيل
بالتصغير وكان ذلك
(بعد ان كتمه) أي
العباس ذلك الخبر عن
الغير (فقال) أي
العباس (ما علمه غيري
وغيرها) أي وما هذا الا
باعلام الله سبحانه اياك
(فأسلم) أي فصار سبب
اسلامه بعد ان فدى
نفسه فقيل له لم لم تسلم
قبل الفداء ليبقى لك ما
افتديت به فقال لم أكن
لأحرم المؤمنين ما طمعوا
من مالي أقول ولعله أخر
اسلامه بعد ان تحقق حاله
لئلا يظن به انه انما أسلم
لئلا يدفع ماله والحديث
رواه أحمد عن ابن عباس
والحاكم وصححه والبيهقي
عن الزهري وغيره مرسلا
(واعلم انه) وفي نسخة
بانه أي النبي عليه السلام
(سيقتل) أي بيده (أبي
ابن خلف) كما رواه
البيهقي عن عروة وسعيد
ابن المسيب مرسلا وسبق

انه عليه السلام جرحه باحد في عنقه فمات بسرف

(وفى عتبة) وفى نسخة عتيبة وهى الصواب كما تقدم (ابن أبى لهب) أى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم فى شانه (انه يا كله كلب من كلاب الله) وفى نسخة يأ كله كلب الله وأبعد الدلجى فى تقديره هنا حيث قال وقال فى عتبة لعدم دلالة عليه وللزوم كسر همزة انه مع ان الرواية بالفتح (وعن مصارع أهل بدر) أى وأعلم كما فى مسلم عن مواضع هلاك كفار قريش ممن قتل بها بقوله هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (فكان كما قال) أى كما أخبر فى الحال (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى الشيخان وغيرهما من طرق (فى الحسن) أى ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما (ان ابنى هذا سيد) أى كريم حليم (وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين) وفى رواية ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين أى جماعتين كثيرتين من أشياعه واتباع معاوية وقد بلغت كل فئة أربعين ألفا قال الحسن البصرى فلما ولى ما أهريق بسببه محجمة دم وقال هشيم لما أسلم الامر لمعاوية قال له معاوية قم فتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقى وان أعجز العجز الفجور الاوان هذا الامر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرئ كان أحق به منى أو حق لى تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر ونزل وفى رواية خطب معاوية ثم قال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد ثم قال أيها الناس ان الله هدا كم باولنا وحقن دماء كم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام قل ان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فى شرح السنة قد خرج مصداق هذا الحديث فى الحسن بترك الامر حين صارت الخلافة اليه وكان أحق بها وأهلها فسلمها الى معاوية وترك الملك والدنيا ورعا ورغبة فيما عند الله واشفاقا على الامة من الفتنة لا من القلة والذلة ان كان معه يومئذ أربعون ألفا قد بايعوه على الموت فاصلح الله به بين الفرقتين أهل الشام فرقة معاوية وأهل العراق فرقة الحسن

كان

ما بك من بأس فقال لو بصق على محمد لقتلنى فقتل قاتله الله فى مرجعه من أحد (و) مما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال (فى عتبة ابن أبى لهب انه يأ كله كلب من كلاب الله) فا كله الاسد وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما أضافه لله أفادته الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبى فى المضاف والمنسوب وقد تقدم ان أبا لهب كان له أولاد معتب وعتبة وعتيبة بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر أسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول المصنف رحمه الله تعالى عتيبة بالتصغير الا ان من علماء الحديث من قال مثل ما قاله المصنف رحمه الله تعالى فلا اعتراض غير مسلم كما مر ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكر هذا فى فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضى انها خبرية أخبر بها عن أمر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له رفقاؤه لم اشتد رعبك قال ان محمدا قال لى كذا وهو لا يقول الا صدقا والصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعاء عند من تحقق اجابته خبر معنى (و) أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن مصارع أهل بدر) أى محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعنى من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم أهلها لبقاء جثثهم فيها كما يقال أهل الدار لمن بها (فكان) ما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مصارعهم (كما قال) لم يتجاوز أحد منهم موضعه الذى عينه له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب ما لا يخفى وأصل هذا الحديث كما فى صحيح مسلم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا مشيرا لمصارعهم فلم يتجاوز أحدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا فى القليب ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان ابن فلان يناديهم باسمائهم واحدا بعد واحد هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال الصحابة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتكلم أجسادا لا أرواح لها فقال والذى نفسى بيده ما أنتم باسمع منهم الكلامى ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما (فى الحسن) بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه (ان ابنى هذا) سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية فيه (سيد) أى شريف رئيس مسود فى قومه اشرف نسبه وذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات ويطلق على الله تعالى وعلى غيره كما تقدم تفصيله (وسيصلح الله به) أى بسببه سيقع الصلح والاصلاح (بين فئتين عظيمتين) من المسلمين والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن

كان مع معاوية رضي الله تعالى عنهما وفي صحيح البخاري عن الحسن عن أبي بكرة قال رأيت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول
ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح مروي من طرق وفي
رواية فئتين عظيمتين قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في الاستيعاب لما قتل علي كرم الله وجهه ورضي
الله عنه بايع الحسن أكثر من أربعين ألفا على الموت وكانوا أطوع وأحب له من أبيه فبقي نحو سبعة
أشهر خليفة بالعراق وخراسان وماوراء النهر ثم سار رضي الله عنه الى معاوية وسار معاوية اليه فلما
تراءى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية
يخبره انه يفوض الامر اليه بشرط ان لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في أيام أبيه
فاجابه معاوية رضي الله تعالى عنه لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة أنفس لا أؤمنهم منهم قيس بن
سعد فراجعه الحسن وقال لا أبايعك وأنت تطلب أحدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل اليه معاوية رضي الله
عنه رقا أبيض وقال اكتب فيه ما شئت وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه
كله معاوية وساء ذلك أكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن يا مذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم
الامر له قال أخطب الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقى وان
أعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرئ كان أحق به مني أو حق
لي تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم
استغفر الله ونزل (و) مما أخبر به صلى الله عليه وسلم ما رواه الشيخان من قوله (لسعد) ابن أبي وقاص
رضي الله تعالى عنه مالك بن وهيب بن عبد مناف أحد العشرة وأصحاب الشورى ولتبادره اذا أطلق
لم يقيده بما يخرج سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه وغيره من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل
والسعد معطوف على قوله في الحسن أي قال لسعد (لعلك تخلف) وفي نسخة ان تخلف بالمصدرية في
خبرها حملا لها على عسى لانها اختها في الترجي كما قال * لعلك يوما ان تلم ملمة * وكان سعد رضي الله
تعالى عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التي هاجر منها فاتاه صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده
فقال يا رسول الله أوصي بمالي كله فقال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير الى آخر الحديث وهو مشهور
ولم يكن له الا ابنة وقد طال عمره فخشي ان يموت ثمة وذلك في حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة
الفوقية وتشديد اللام أي تبقى بعد هذا الزمان فكان كما قال فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله
(حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون) قال النووي في هذا الحديث من المعجزات تحقق
ما أخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله به المسلمين لما كان على يديه من الفتوح وهدى الله
ناسا أسلموا على يديه وغنموا معه وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبي وليس المراد
بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان أميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك
ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال ابن حبيب المراد به انه تولى العراق وأتى بقوم ارتدوا وسجعوا واسجع
مسيلمة لعنه الله تعالى فاستتابهم فتاب بعضهم وانتفع به وأبى بعضهم فقتلهم فتضرروا به وهذا تأويله
عند بعضهم وقيل الرواية انما هي يضر بك آخرون والمصنف اراد باستفعل فعل وجعل المصنف
الترجي أخبارا لانه بمعناه وهو المراد لكن عبر به تأدبا منه وقد صرحوا بان الترجي في حق الله والرسول
والاولياء تحقيق معنى كما قاله ابن الملقن (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح رواه
البخاري عن أنس (بقتل أهل مؤتة) بضم الميم وسكون الواو والهمزة فان فيها لغتين كما في القاموس
وهي اسم موضع بالشام كان فيه غزوة مشهورة واضافة أهل للعهد ولا يجوز ان تكون للاستغراق كما
قيل لانه انما أخبر بقتل ناس منهم قبل مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم بيوم والذي أتى بالخبر يعلى بن

(ولسعد) أي وقال كما
رواه الشيخان لسعد ابن
أبي وقاص في مرضه بمكة
وقد قال له سعد اخلف
عن أصحابي (لعلك تخلف)
بفتح اللام المشددة أي
يؤخر موتك (حتى
ينتفع بك أقوام) أي
من الابرار (ويستضر)
وفي نسخة بصيغة
المجهول أي ويتضرر
(بك آخرون) أي أقوام
من الفجار زيد في رواية
اللهم امض لاصحابي
هجرتهم ولا تردهم على
أعقابهم لكن البائس
سعد بن خولة يرثي له
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان مات بمكة
وذلك لكراهتهم الموت
بارض هاجروا منها حذرا
من ردهم على اعقابهم
بموته فيها (وأخبر) أي
فيما رواه الشيخان عن
أنس (بقتل أهل مؤتة)
بضم ميم فهمزة ساكنة
ويبدل

(يوم قتلوا) أى أمراء غزوها فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فاصيب ثم جعفر ابن أبى طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة فاصيب ثم خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه (وبينهم) أى والحال ان بينه عليه الصلاة والسلام وبين أهل مؤتة وأمرائهم الكرام (مسيرة شهر او ازيد) أى بل أكثر ويؤيده ما فى نسخة بالواو فاو بمعنى الواو أو بمعنى بل ولعل الدلجى حمل أو على الشك من الراوى فقال بل أقل من شهر لانها من ارض البلقاء آخر حوران الشام الى جهة مدينة الاسلام (وبموت النجاشى) بفتح النون ويكسر وتخفيف آخره ويشدد لقب لكل من ملك الحبشة واسم هذا اصحمة وكان ممن آمن وأخبر عليه الصلاة والسلام بموته كما رواه الشيخان عن أبى هريرة (يوم مات) أى سنة تسع من الهجرة وهو بارضه وصلى عليه صلاة الغائب عن أصحابه وقد احضرت جنازته لديه (وأخبر فيروز) بكسر الفاء وتفتح وسكون الياء وبضم الراء غير منصرف للعجمة والعلمية أى وأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى (حين ورد عليه) وفى نسخة اذ ورد عليه أى حين وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى) أى ملك فارس وهو وزيره (بموت كسرى ذلك اليوم) أى فى يوم وروده فيروز او فى يوم موت كسرى (فلما حقق فيروز القصة) أى ما قصه عليه من موته فى وقته (اسلم) ففاز فيروز فوزا عظيما

منه وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال أخذ الراية زيد فاصيب ثم أخذها جعفر فاصيب ثم أخذها ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعنى خالد بن الوليد ففتح الله تعالى عليهم فلما أتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرنى وان شئت أخبرتك فقال أخبرنى فاخبره ووصفهم له فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله (يوم قتلوا) متعلق باخبر (و) بينه صلى الله عليه وسلم و (بينهم) أى المقتولين بمؤتة (مسيرة شهر اوازيد) ذكره تحقيقا لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجىء الخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يومه ولذا ورد فى هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معركتهم وما قيل ان المدينة ليس بينها وبين مؤتة هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعد بلاده يقتضى انه قاله من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير ماشيا او كسير الجمال فى القافلة باحمالها بخلاف الفرسان ويختلف أيضا بطول الايام وقصرها والامر فيه سهل (وبموت النجاشى) أى أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بموته كما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (يوم مات) متعلق باخبر وذلك سنة سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه استدل الشافعى على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذى أرسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم فى الهدى النبوى اذ قال ان الذى كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشى بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها (وهو بارضه) جملة حالية والضمير للنجاشى أى والحال ان النجاشى مات بارض الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقت موت النجاشى كان بارضه أى المدينة فلا يحتمل انه رآه عادة وان أمكن ان يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغائب كما قيل انه من خصائصه أيضا (وأخبر) أيضا صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر رواه البيهقى (فيروز) علم عجمى ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر وفاؤه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمى والديلم جيل من العجم (اذ ورد) أى جاء فيروز وقدم (عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم) بنصبه على الظرفية أى يوم ورد عليه أو يوم مات كسرى (فلما تحقق فيروز القصة) التى قصها عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره بموت كسرى الذى هو رسوله (أسلم) فآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفاز فوزا عظيما وقصته رويت من طرق وحاصلها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم الى آخره فلما اقرأ كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين جلدين باتيانه فبعث قهرمانه بانونة ومعه آخر من الفرس ومعهما مكتوب بامره فيه بالانصراف معهما فلما اتياه قال ائتيانى غدا فلما اتياه قال لهما ان الله سلط على كسرى ابنه شهرويه فقتله فى وقت كذا فاخبر باذان بما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لننظرن ما قال فان تحقق فهو نبى مرسل فلم يلبث ان قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع فاسلم وأسلم معه أبناء فارس باليمن وحسن اسلامهم ووزير كسرى هذا اسمه ابرويز وهذا ما ذكره

المؤرخون وأصحاب السير واما ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فلم يشتهر ولم يقل أحد ان من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطي نقله عن دلائل النبوة للبيهقي فقيل انه ليس فيه اذ ليس في الاستيعاب الا فيروز الديلمي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه الذي قتل الاسود العنسي وكذلك ذكر قضية فيروز على الوجه الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى الماوردي في اعلام النبوة وأطال فيها (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم (أباذر) الغفاري كما رواه أحمد في مسنده (بتطريده) أي بنفيه من المدينة وقد ذكر الحريري في الدرة الفرق بين طرده وأطرده وطرده المشدد وانه انما يقال في النفي الا مشددا كقول أبي سفيان * وأنت الذي طردتني كل مطرد * وطرده وأطرده بمعنى نحاه وكثير من أهل اللغة لم يفرقوا (كما كان) أي وقع ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم بعينه (ووجده) أي وجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أباذر (في المسجد) أي مسجد المدينة (نائما فقال له) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بك اذا أخرجت منه) أي من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله عليه وسلم علم ما سيجري عليه وانما اراد اخباره بحاله وما يكون له لقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى والمعنى كيف ظنك أو علمك بك في هذه الحالة (قال أسكن المسجد الحرام) يعني مكة المشرفة (قال فاذا أخرجت منه الحديث) أي اقرأ الحديث أراد ذكر الحديث الذي رواه أحمد ومعناه انه كان يخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينام في المسجد وليس له ماوى غيره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فرآه نائما فقال له أراك نائما فقال أين أنام وهل لي بيت غيره فقال له صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا أخرجوك منه فقال ألحق بالمسجد الحرام فقال له كيف بك اذا أخرجوك منه قال ألحق بالشام أرض الهجرة والمحشر وأرض الانبياء فاكون رجلا من أهلها قال فاذا أخرجوك من الشام قال أرجع اليه فيكون منزلي قال فكيف بك اذا أخرجوك منه الثانية قال آخذ سيفي وأقاتل حتى أموت فوكزه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقاني وأنت على ذلك واما تطريده رضي الله تعالى عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر أسندوا فيه لعثمان رضي الله عنه ما لا أصل له والصحيح ما رواه قتادة من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابي ذر اذا رأيت المدينة بلغ بناؤها سلعا فاخرج منها وأشار الى جهة الشام فلما زاد بناؤها ذهب الى الشام ثم انه رضي الله عنه أنكر على معاوية بعض أموره فشكاه لعثمان فكتب اليه أقبل الينا فنحن أرعى لحقك فقدم عليه ثم استأذنه في الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان مات والذي قيل ان عثمان أمر بازعاجه بعنف فلما وصل اليه قال له ما حملك على ما صدر منك قال أشهد ان رسول الله قال اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها فاكثرهم لا أصل له (وبعيشه وحده) أي أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة ثانيا وحده معتزلا عن الناس وفي نسخة عيشه بالنصب (وموته وحده) فكان كما قال لان البيهقي روى ان أم أبي ذر لما حضرته

(وأخبر أباذر) كما رواه أحمد (بتطريده) أي باخراجه من المدينة الى الربذة (كما كان) أي كما وقع في زمان عثمان بن عفان وفي أصل الدلجي فكان كما كان أي فكان اخباره بتطريده كما كان ثم لا ينافيه ما في دلائل النبوة للبيهقي من ان امرأته أم ذر قالت والله ما سيره عثمان الى الربذة ولكن قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغ البناء سلعا فاخرج فلما بلغه وجاوز خرج أبو ذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه الى الربذة وموته بها اذ يمكن حمل كلامها على ان تسييره عثمان لم يكن قهرا عليه اذ كان أمكنه ان يمتنع منه الا انه وافق حكمه أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بخروجه اختيارا فاختار خروجه من غير ان يكون هناك اكراه واجبار والا فالامر باخراجه محقق بلا شبهة لقوله (ووجده في المسجد) أي مسجد المدينة (نائما فقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (له) أي لابي ذر (كيف بك اذا أخرجت منه) أي من هذا المسجد وما حواليه (قال أسكن المسجد الحرام) أي وما حواه من الحرم (قال فاذا أخرجت منه الحديث) أي بطوله قيل كان أخرجه عثمان الى الشام لانه كان اذا مر به عثمان يقرأ قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم ثم رضي عليه فرده الى المدينة ثم أخرجه الى الربذة قرية خربة فسكنها الى ان مات (وبعيشه وحده وموته وحده) أي وأخبر ان أباذر يعيش وحيدا ويموت فريدا فكان كما أخبره عليه الصلاة والسلام على ما رواه أحمد وابن راهويه وابن أبي اسامة والبيهقي واللفظ له قالت أم ذر لما حضرت أباذر الوفاة بكيت فقال وما يبكيك فقلت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض وليس عندي ما يسع كفنا لي ولا لك فقال فابشري ولا تبكي فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المسلمين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية وجماعة

فأناذلك الرجل فابصرى الطريق فبينما أناوهو كذلك اذ أنابرجال على رحالهم كأنهم الرخم فالحقت بثوبى فاسرعوا حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال أنتم تسمعون انه لو كان عندى ثوب يسعنى كفنالى أولامرأتى لكفنت فيه انى أنشدكم الله ثم أنشدكم الله ان لايكفننى رجل منكم كان أميرا أوعريفا أوبريدا أونقيبا وليس منهم أحد الاقارف ماقال الافتى من الانصار قال أنا أكفنك ياعم فى ردائى هذا وثوبين فى عيبتى من غزل أمى قال فكفنى فكفنه وقاموا فدفنوه وعن ابن مسعود قال لماخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى غزوة تبوك تخلف أبو ذر يتلوم بعيره فقالوا يارسول الله تخلف أبو ذر فقال دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم قال فلما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج ماشيا يتتبع أثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى شدة الحر وحده فلمارآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمعت عيناه وقال يرحم الله أباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده فكان كذلك لمامات رضى الله تعالى عنه بالربذة لم يكن معه الاامرأته وغلامه فلما غسلاه وكفناه وضعاه على قارعة الطريق ينتظران من يعين على دفنه اذ أقبل عبدالله بن مسعود فى رهط من أهل العراق فلمارآهم الغلام قام اليهم وقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعينونا على ١٩٠ دفنه فنزل ابن مسعود وجعل يبكى رافعا صوته ويقول صدق رسول الله فى قوله

(وأخبر ان أسرع أزواجه به لحوقا) أى وصولا عليه بعد موته (أطولهن يدا فكانت زينب) أى بنت جحش (أسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة) رواه مسلم ولفظه عن أم المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسرعكن لحوقابى أطولكن يدا فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا فكانت زينب أطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ورواه الشعبى مرسلا فقال

الوفاة بكت فقال لها مايبكيك فقالت مالى لاأبكى وأنت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لاتبكى فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن أحدكم بفلاة يشهده عصابة من المسلمين وأناذلك الرجل فابصرى الطريق فخرجت فاذا برجال على رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال أنشدكم الله ان يكفننى منكم من لم يكن نقيبا ولاأميرا فقال غلام منهم أنا أكفنك ياعم فى ردائى وثوبين فى عيبتى (٢) من غزل أمى قال فكفنى فلمامات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه (وأخبر) صلى الله عليه وسلم فيمارواه مسلم (ان أسرع أزواجه به لحوقا) أى أول من يموت من أمهات المؤمنين بعده (أطولهن يدا) لم يقل طولاهن بالتأنيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو الجود والانعام ولاحتمال المعنيين قيل ان أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم بعده كن يقسن اذرعتهن لينظرن للاطول منها فلمامات زينب رضى الله تعالى عنها علمن ان المراد الثانى فان كان من الاول كان استعارة ويدا ترشيح للاستعارة مع مافيه من التورية لان اليد بمعنى النعمة (فكانت) أى أطولهن يدا وأسرعهن لحوقا به صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمها ضمير عائد على ماذكره وقوله (زينب) بالنصب خبرها وهى زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها (لطول يدها بالصدقة) بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضى الله تعالى عنها سنة عشرين أواحدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت جزيلة التى كانت تدعى أم المساكين والحديث عن عائشة من طرق قالت قلن أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فاخذن يتذارعن وفى رواية أخذن قصبة يذرعن بها أى يقسن أذرعتهن

قلن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فى الصدقة وللبخارى عن لظنهن

عائشة اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقلن له أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سودة بنت زمعة أطولنا ذراعا فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت أسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها فى الصدقة وكانت تحب الصدقة قال الدلجى وهو مخالف لحديث مسلم والشعبى مع منافاة ماأفاده قولها ان طول يدها كان بالصدقة من انه طول معنى لما أفاده قولها كانت أطولنا ذراعا من انه طول حسا انتهى ولامنافاة لظنهن أولا ان المراد بالطول هو الحسى فتبين لها بعدها ان المقصود هو الطول المعنوى كما هو المعتبر عند أرباب النظر مع مافى العبارة من حسن الاشارة الى ان التلويح أبلغ من التصريح وان فى التعمية حسن التورية عند الفصيح ثم يمكن الجمع بين ماورد فى الصحيحين ان تكون احداها أسرع حقيقة والاخرى اضافيا ولعل الاسرع منهما هى الاكثر منهما مبادرة الى الصدقة وهذا مماألهمنى الله من التحقيق والله ولى التوفيق ثم رأيت الحلبى قال زينب هذه هى بنت جحش توفيت سنة عشرين أواحدى وعشرين لازينب بنت خزيمة التى تدعى أم المساكين لانها توفيت فى آخر ربيع الاول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة

٢ قوله عيبتى هى شئ يوضع فيه الثوب مثل الخزرج وغيره اه مصححه

لتنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت أكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق وما فى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فقلن له أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت أسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب الصدقة مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذى صححوه وفيه اضطراب أيضا لان أوله يقتضى ان المراد الطول الحقيقى وما بعده يدل على خلافه ولذا قال الكرمانى ان فيه تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة القصة وهو غاية ما يقال فيه قيل وهو مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة لليد أو شبهت الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول ترشيح والقرينة ان عظم الابدان لا يقتضى حوز هذه الفضيلة فلا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة لم يصح المجاز وان كان كيف يفهم من خلاف المراد حين تنازعن وهن من أهل اللسان * أقول التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق وايصال البر ومن أوصله بشخص له طول فى يديه يصل به لما يصل اليه غيره اذا مدهما أو هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد فى لازمه وهو ايصال الانعام أو اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى من طرق (بقتل الحسين) ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء المشددة المهملة وتشديد الفاء وهو مكان بناحية الكوفة (وأخرج) صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده تربة) أى مقدار ملئ كف من تراب أراه لبعض أصحابه وأهل بيته (وقال) اذا خرجها (فيها) أى فى أرض هذا التراب منها وفيها يموت ويقتل (مضجعه) أى مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة وتكسر والاول أقيس وأفصح وفى التعبير به ايماء الى انه رضى الله تعالى عنه حى شهيد لان أصله محل يضطجع فيه النائم وأصل الحديث عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابنى فقال ستقتله أمتك فان شئت أخبرتك بالارض التى يقتل فيها وأشار جبريل بيده الى الطف من أرض العراق وأخذ تربة حمراء فأراه اياها ولا ينافى ذلك ما جاء انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم الموضع والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله فى عاشوراء وقتل معه جماعة من أهل البيت وقيل ان هذه التربة كانت عندهم وانها فى يوم قتله يظهر عليه دم واختلف فيمن باشر قتله قاتله الله وأخزاه وجعل سجين مأواه ولابن العربى هنا مقالة أظنه برىء منها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن عدى والبيهقى مسندا (فى زيد بن صوحان) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وألف ونون وهو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدى أخو صعصعة وله وفادة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه تابعى وقال الذهبى ومن خطه نقلت كان زيد بن صوحان مواخيا

(وأخبر بقتل الحسين) أى ابن على رضى الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء وتشديد الفاء مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات واشتهر الآن بكربلاء كأنه مركب من الكرب والبلاء وحذفت الباء الاولى تخفيفا والاكتفاء بحسب الايماء واستشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة وكان جميع من حضر معه من أهل بيته وشيعته سبعة وثمانين منهم على بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول أنا على بن الحسين بن على * نحن وبيت الله أولى بالنبى * تالله لا يحكم فيها ابن الدعى * وقتل من ولد أخيه عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن ومن أخواته العباس بن على وعبيد الله ابن على وجعفر بن على وعثمان بن على ومحمد بن على وهو أصغرهم ومن ولد جعفر بن أبى طالب ومحمد بن عبد الله بن جعفر وعون بن عبد الله ابن جعفر ومن ولد عقيل ابن أبى طالب عبد الله ابن عقيل وعبد الرحمن ابن عقيل وجعفر بن عقيل وقتل معه من الانصار أربعة والباقى من سائر العرب ودفنوا بعد قتلهم بيوم وذكر أبو الربيع ابن سبع فى مناقب الحسين عن يعقوب ابن سفيان قال كنت فى ضيعتى فصلينا العتمة ثم جلسنا فى البيت ونحن جماعة فذكروا الحسين بن على فقال رجل ما من أحد أعان على قتل الحسين الا أصابه عذاب قبل أن يموت وكان فى البيت شيخ كبير فقال انا ممن شهدها وما أصابنى أمر أكرهه الى ساعتى هذه فطفئ السراج فقام لاصلاحه فقارت النار فأخذته فجعل يبادر بنفسه الى الفرات ينغمس فيه فأخذته النار حتى مات قلت بل جمع له بين الاحراق والاغراق (وأخرج بيده تربة) أى قبضة من التراب (وقال فيها مضجعه) بفتح الميم والجيم ويكسر أى مقتله أو مدفنه رواه البيهقى من طرق ولفظ حديثه عن عائشة ان جبريل كان عند النبى صلى الله عليه وسلم فدخل حسين فقال جبريل من هذا فقال ابنى فقال ستقتله أمتك وان شئت أخبرتك بالارض التى يقتل فيها فأشار بيده الى الطف من العراق فأخذ تربة حمراء فأراه اياها (وقال) أى النبى عليه السلام كما رواه ابن عدى والبيهقى (فى زيد بن صوحان) بضم أوله المهملة من اختلف فى صحبته

(يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد) ولفظ البيهقي عن علي قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان ينظر الى
رجل يسبقه بعض أعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفي اسناده هذيل بن بلال ضعفه البيهقي وفي
الحديث ايماء الى جواز
تعلق الروح بالاجزاء
من غير تمام الاعضاء
كما حققه العلماء (وقال)
أي النبي عليه الصلاة
والسلام والتحية والثناء
(في الذين كانوا معه)
أي كما سبق ذكرهم من
الشيخين وعثمان
وغيرهم رضي الله تعالى
عنهم (على حراء) أي وقد
تحرك بهم كما في الانباء
والمعنى قال في حقهم
وعلو شأنهم مخاطبا
للجبل (اثبت) أي مع
الثابتين من الاعلام
(فانما عليك نبي
وصديق وشهيد) وفي
نسخة بأو في الموضعين
فهي للتنويع ولفظ
مسلم أن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم كان
على حراء هو وأبو بكر
وعمر وعثمان وعلي
وطلحة والزبير فتحرك
فقال اهدأ فما عليك
الا نبي أو صديق أو
شهيد زاد بعضهم سعدا
مكان علي (فقتل علي
وعمر وعثمان) كذا في
النسخ ولعل تقديم علي
لثبوت شهادته بصريح
الخبر وفي أصل الدلجي
فقتل عمر وعثمان وعلي
(وطلحة والزبير وطعن سعد) أي وجرح وحصلت له الشهادة بسبب الجراحة وبشهادة
الحديث وقال التلمساني أي أصابه طاعون وهو شهادة لكل مسلم انتهى لا كما قال الدلجي ولم تنله الشهادة كما لا يخفى على الافادة

مثل

لسلمان حتى يكثر يا سلمان لحبه له وكان زاهدا عابدا ذكر له مناقب كثيرة وعد من الصحابة وصوحان
معناه اليابس يقال صوح النبت اذا صار هشيما (يسبقه عضو) من أعضائه (الى الجنة) أي يدخل
الجنة قبله لانه قطع في سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه حقيقة ولا مانع من أن يحفظها الله في
الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية أعضائه في الجنة وأمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا ويجوز ان
يراد ان يده تقطع في سبيل الله أولا ثم يستشهد بعد ذلك فكنى عنه بما ذكره ولفظ الحديث من سره ان
ينظر الى رجل يسبقه بعض أعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفي سنده هذيل بن بلال وهو
ضعيف (فقطعت يده) الشمال كما رواه الذهبي (في الجهاد) لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند
وقيل في قتال المشركين وقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة أويس
القرني وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع علي رضي الله تعالى عنه في وقعة الجمل وعلى هذا
فأخباره عن المغيب أقوى وأبلغ في اطلاعه على أمره قبل خلقه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في
حديث رواه مسلم وغيره (في الذين كانوا معه) أي حاضرين معه وهم (على حراء) اسم جبل معروف
بقرب مكة بنحو ثلاثة أميال يمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم فتحرك
وهم عليه فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (اثبت) أي لا تتحرك وترجف وتتزلزل ولفظه كما في صحيح
مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة
والزبير فتحرك بهم فقال اهدأ فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وزاد بعضهم سعدا وأورده بعضهم
مكان علي والمصنف رواه (انما عليك نبي وصديق وشهيد) والمعنى واحد والنبي معناه المراد به ظاهر
وكذا الشهيد وتفصيله وقد وقع الترتيب في الحديث على وفق ما في القرآن والصديق فعيل صيغة
مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم في تفسيره أقوال فقال ابن المظفر انه من صدق بأمر الله تعالى
وبرسله بحيث لا يخالجه شك في شئ وقال الكلبي رحمه الله تعالى الصديقون أفاضل للصحابة واختاره
البغوي وقيل من صدق بالانبياء حين عاينهم واختار الرازي انهم أول من صدق الرسل ويؤيده قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم ما عرضت الاسلام على أحد الا وله كبوة الا أبو بكر فله رضي الله تعالى عنه
مزية بانه صار قدوة لغيره ولذا أجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديقية تلي مرتبة النبوة وقد أفرد
ذلك بالتأليف الكمال ابن الزملكاني (فقتل علي وعمر وعثمان) فقتل عليا كرم الله تعالى وجهه
عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضي الله تعالى عنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة
ابن شعبة وكان عمر رضي الله تعالى عنه لا يأذن لمحتلم من المشركين ان يدخل المدينة فاستأذنه المغيرة في
غلامه هذا لانه كان نجارا وله صنائع ينتفع بها الناس فأذن له في دخوله فضرب عليه سيده في كل شهر
مائة درهم فشكى ذلك لعمر فسأله عن صنعته فأخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك وأضمر قتله
فضربه بخنجره وهو يصلي فاستشهد وعثمان استشهد يوم الدار في قصته المشهورة (وطلحة والزبير)
أما طلحة بن عبد الله فقتل يوم الجمل وهو محارب لعلي وقيل كما انه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم أصابه
سهم فمات منه وأما الزبير رضي الله تعالى عنه فرجع عن قتال علي بعد تذكيره له بما مر فقتله أبو جرموز
نائما بوادي السباع كما تقدم (وطعن) بالبناء للمجهول (سعد) ابن أبي وقاص سنة خمس أو أربع
وخمسين وهو آخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة
ثمان وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن بمعنى أصيب بالطاعون وهو من أقسام الشهادة أيضا وان لم يكن

مثل غيره من كل وجه ولذا أخره المصنف وقول بعضهم انه لم تنله الشهادة غير مناسب هنا الا ان يدخله في الصديقين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وفتح الراء المهملتين مخففة وقاف وهو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو أبو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو الذي خرج في طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة ويأتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى الاشارة لبعضها ثم أسلم وتوفي سنة أربع وعشرين وقيل مات بعد عثمان وفي الصحابة من اسمه سراقة غيره وفي هذا الاخبار عن الغيب وخص سراقة لانه اعرابي من البادية وليس مثله لما يلبسه المترفهون من ملوك العجم آية عظيمة من آيات النبوة وعز الدين (كيف بك) كيف جواب عما أبهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله التي هو عليها الان كل أحد لا ينفك عن حال من الاحوال اذا ظهر أعليه ما لم يعهد مثله ونال ما لم ينله أمثاله فكنى بما ذكر وفيه من البلاغة ما لا يخفى (اذا لبست) أي وضعت في يديك وساعديك ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحال (سواري) مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال أسوار بضم الهمزة وكسرها أيضا وهذا مما كان يتزين به العجم والملوك وان كان الآن مختصا بالنساء عند العرب وبعد الاسلام حتى يعاب على غيرهن (كسرى) تقدم انه كل من ملك العجم ويخص ببعضهم وهو كسرى الذي أدرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك (فلما أتي بهما) أي بسواري كسرى (لعمر) ضمن أتي بصيغة المجهول معنى أوصل فعدى باللام وفي نسخة عمر بدونها (ألبسهما اياه) أي سراقة تحقيقا لما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ألبسه اياهما وقيل وهو الاولى (وقال) عمر رضي الله تعالى عنه (الحمد لله) حمد الله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة أعدائه وما فتح الله على يديه (الذي سلبهما) من يدي (كسرى وألبسهما سراقة) وهو بدوي اعرابي متقشف هو من آحاد أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وأصل الحديث كما في دلائل النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله عنه لما أتي بسواري كسرى بن هرمز وضعتا بين يديه وفي القوم سراقة وضعهما في يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك ثم قال له قل الله أكبر الله أكبر وحمد الله لما من به من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لله الملك الذي يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فتبارك الذي بيده الملك الذي قصم من نازعه رداء كبريائه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغير من أعزه وليس في هذا استعمال للذهب ولبس الرجال له وهو من المحرمات لانه لا يفعله الا تحقيقا وتصديقا لقول رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يقرهما ومثله لا يعد استعمالا ولا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة فانه لا محصل له (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في جملة اخباره عن المغيبات في حديث رواه أبو نعيم في الدلائل والخطيب في تاريخه (تبنى) بالبناء للمجهول والباني أبو جعفر الدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس (مدينة) هي البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة وتكون أكبر من البلدة والقرية (بين دجلة) بدال مهملة مفتوحة أو مكسورة من دجله اذا غطاه ومنه الدجال لخفاء أمره بتخليطه في أموره وهو علم لنهر مشهور بالعراق ولا يجوز دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل (ودجيل) مصغر علم نهر بالاهواز حفره أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان بالمدائن عليه قرى كثيرة ومخرجه من أصبهان وقيل انه خليج متشعب من دجلة (وقطربل) بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة وضم الباء الموحدة المشددة وقد تخفف

(وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وهو ابن مالك بن جعشم بضمتين (كيف بك) أي كيف حالك (اذا لبست سواري كسرى) تثنية السوار بكسر السين وتضم وجمعه أسورة وجمع الجمع أساور وهو ما يلبس في اليد وفيه تنبيه على هلكه وزوال ماله وملكه مع كمال شوكته وقوته منتقلا الى أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وأئمة أمته (فلما أتي عمر بهما) أي جيء بسواريه (ألبسهما اياه) أي سراقة اظهارا لتحقق ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا (وقال) أي عمر (الحمد لله الذي سلبهما كسرى) أي ملك العجم (وألبسهما سراقة) أي واحدا من بدو العرب ولعل في تقديم المفعول الثاني ايماء الى الاهتمام بذكرهما وما يعقبه من شكرهما فاندفع اعتراض الدلجي ولو قال ألبسه اياهما لكان أولى (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه أبو نعيم في الدلائل عن جرير ابن عبد الله والخطيب في تاريخه (تبنى) أي ستبنى (مدينة بين دجلة) بكسر الدال وتفتح نهر مشهور بالعراق (ودجيل) بالتصغير بالاهواز عليه مدن كثيرة مخرجه من أصفهان (وقطربل) بضم القاف وسكون مهملة فضم راء وموحدة فلام مشددة ممنوعا من الصرف موضع بالعراق

(والصراة) بمهملة مفتوحة نهر بالعراق وفي بعض الاصول بالهاء بدل الصاد ذكره الشمني قال الحلبي والهراة كذا في الأصل وهو بفتح الهاء بلد معروف وفي القاموس الهراة بلد بخراسان وقرية بفارس والنسبة هروى محركة (تجبى اليها) بضم التاء وسكون الجيم وفتح الموحدة أي تجمع وتجلب الى تلك المدينة (خزائن الارض) لانها صارت دار الملك (ينخسف بها) أي يستحق ان يخسف بها لكثرة ظلم أهلها ولان بناءها أسس على شفا جرف هار (يعني) أي يريد النبي صلى الله عليه وسلم (بها) أي بتلك المدينة (بغداد) مر بيان لغاتها وقد بناها أبو جعفر الدوانيقي

ثاني خلفاء بني العباس لكن قال أحمد بن حنبل لم يحدث به أي بحديث بغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبي في ميزانه حديثه منكر (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه) رواه أحمد والبيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال وولد لاخي أم سلمة من أمها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد بن عبد الملك ثم رأينا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك لفتنة الناس اذ خرجوا عليه لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة كذا ذكره الدلجي وقال الحديث في مسند أحمد من حديث سعيد ابن المسيب عن عمر رضي الله تعالى عنه وسعيد اختلف في سماعه من عن
عمر وقد ذهب أحمد الى أنه سمع منه وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في موضوعاته من طريق أحمد ثم نقل عن ابن حبان انه خبر باطل الى آخر كلامه (وقال) أي كما في الصحيحين (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) وهي الاسلام أو الخلافة فوقع كما أخبر في حرب صفين فان صفوان بن عمرو قال كان أهل الشام ستين ألفا فقتل منهم عشرون ألفا وأهل العراق مائة وعشرون ألفا فقتل منهم أربعون ألفا (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام

وتشديد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر (والصراة) بفتح الصاد المشددة والراء المخففة المهملتين ثم ألف وهاء وهو نهر بالعراق أيضا مشهور وهو الاصح المعروف وفي بعض النسخ والهراة بهاء بدل الصاد وهي بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد (تجبى اليها) أي يجمع مال غيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة العظمى وكرسي الممالك يقال جبى الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامره (خزائن الارض) أي ما كان مخزونا في غيرها من البلاد بيد أهاليها (يخسف بها) أي يخسف الله أرضها ودورها باهلها وقد وقع ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من بنائها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقي أمر الخسف وسيظهر كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكره الذهبي في ميزانه في ترجمة عمار بن سيف الضبي الكوفي راوي هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله أعلم بامره (يعني بغداد) اسم المدينة المشهورة ويسمى دار السلام وهو اسم أعجمي عزب وفيه لغات تقدم الكلام عليها (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الامام أحمد والبيهقي عن سعيد ابن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي أم سلمة من أمها غلام سموه الوليد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه (سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه) قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر نسب اليه ما يقتضي الكفر قيل ويجوز أن يراد كلاهما الخبثهما وعتوهما الا ان الثاني أشقاهما وفي هذا معنى حسن وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد كما أشار اليه في الحديث وقال ابن الجوزي ان هذا الحديث موضوع فكأنه ثبت عند المصنف رحمه الله تعالى فان موضوعات ابن الجوزي مدخولة تكلم في كثير منها وصحح في الشرح الجديد ان المراد ثانيهما والثاني المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وأظهر من فسقه وولعه بالملاهي وتهاونه بالدين أمورا شنيعة لا حاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله تعالى عليه وسلم شرا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره لانه كان في زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طري (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (لا تقوم الساعة) أي لا يأتي زمانها ويقرب أوانها (حتى تقتتل فئتان) أي طائفتان وجيشان من هذه الامة المسلمة (دعواهما) في اعتقادهما ودينهما (واحدة) وهي الاسلام والدين الحق وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ثم سرى ذلك الكثير بعد ذلك فكم وقع بين المسلمين من الحروب والوقائع التي لا تحصى الى الان الوقعة الاولى أول مادهم أهل الاسلام من الامور المنكرة التي كانت ثلمة في الدين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والحاكم

عن الحسن بن محمد مرسلا (لعمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (فى سهيل بن عمرو) ابن عبد شمس ابن عبد ود أبو يزيد العامرى القرشى أحد خطباء قريش أسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفى بالشام سنة ثمان عشرة وقال الواقدى توفى سنة تسع عشرة فى طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرض المشركين على قتال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أسر يوم بدر قال عمر يا رسول الله انه رجل مفوه فدعنى أنتزع ثنيتيه السفليتين فلا يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان أعلم السفلى أى مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليتان يندلع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضى الله تعالى عنه أمر بديع فقال صلى الله عليه وسلم لعمر دعه (عسى ان يقوم مقاما) أى يقوم خطيبا فى مقام ينفع بخطبته ويأتى بما يحمد مقاماته الاول وقد مر ان عسى من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيق (يسرك يا عمر فكان كذلك) أى وقع ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقق ما أخبر به من المغيبات فسره وسر المسلمين مقامه لما (قام بمكة مقام أبى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه أى مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته (يوم بلغهم) أى بلغ المسلمين بمكة (موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبهم) فى مقامه بمكة (بنحو خطبته) أى بخطبة مثل خطبة أبى بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله (وثبتهم) أى ثبت المسلمين على دينهم (وقوى بصائرهم) باعلامهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشر وكل نفس ذائقة الموت فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حى لا يموت وأبو بكر رضى الله تعالى عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت فتواردا على معنى واحد فى مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن اسحق والبيهقى (لخالد) ابن الوليد (حين وجهه) أى أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجها (لاكيدر) بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين مصغرا كدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح ويقال لها دومة الجندل ويقال دوماء بالمد وهى ايلياء وهو موضع بين مكة وبرك الغامة أو بين الحجاز والشام سميت بدومان ابن اسمعيل لانه كان ينزلها (انك تجده) أى تصادف اكيدر (يصيد البقر) أى بقر الوحش لانه التى تصاده وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه فى أربعمائة وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن اعياء بن الحارث بن معاوية الكندى كما قاله الخطيب والماوردى وفى مختصر الشافعى انه من كندة أو غسان وكان نصرانيا قد ملك دومة وأهلها فأتاه خالد رضى الله تعالى عنه فى ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو وأخوه حسان فشدوا عليه فاستأسرا كيدر وقاتل أخوه حتى قتل فقدم به على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات

(لعمر) أى ابن الخطاب كما رواه البيهقى وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (فى سهيل بن عمرو) أى فى شأنه وقد قال له عمر يا رسول الله دعنى انزل ثنيته فلا يقوم خطيبا فى قومه فقال دعها (عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان) أى الامر (كذلك) أى مثل ما أخبر عنه هنالك (فانه قام بمكة) أى عند الكعبة (مقام أبى بكر) أى فى مرتبته وثبات حالته فى المدينة (يوم بلغهم موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بتخفيف اللام أى وصلهم خبر موته صلى الله تعالى عليه وسلم (وخطب بنحو خطبته) أى بمثل خطبة الصديق فى المدينة يومئذ (وثبتهم) بتشديد الموحدة أى حملهم على الثبات فى الدين (وقوى بصائرهم) بتشديد الواو أى وصار سببا التقوية كشف بصائرهم فى اليقين فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حى لا يموت وكانت خطبة أبى بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت الا ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه زاد عليه باتيان الآيات البينة الدالة على موته صلى الله تعالى عليه وسلم لزيادة كماله فى الرتبة قال البيهقى ثم الحق فى أيام عمر بالشام مرابطا فى سبيل الله حتى مات بها فى طاعون عمواس (وقال لخالد) أى ابن الوليد (حين وجهه) بتشديد الجيم أى ارسله (لاكيدر) بالتصغير ملك كندة اختلف فى اسلامه وصحبته (انك تجده يصيد البقر) أى بقر الوحش قال الخطيب كان نصرانيا ثم أسلم وقيل بل مات نصرانيا وجمع بينهما بانه أسلم ثم ارتد قال ابن منده وأبو نعيم الاصبهانى فى كتابيهما معرفة الصحابة ان اكيدر هذا أسلم وأهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر قال ابن الاثير اما الهدية والمصالحة فصحيحان واما الاسلام فغلطا فيه فانه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير وكان اكيدر نصرانيا فلما صالحه عليه الصلاة والسلام عاد الى حصنه وبقى فيه ثم ان خالدا حاصره زمن أبى بكر فقتله مشركا نصرانيا لنقض العهد قال وذكر البلاذرى ان اكيدر لما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعاد الى دومة بضم الدال ويقال دومة الجندل موضع بين مكة وبرك الغماد والحجاز والشام فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد اكيدر ومنع ما قبله فلما سار خالد من العراق الى الشام قتله

(فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته) أي وقعت هذه الاخبار المذكورة جميعها الاان منها ماوقع في حياته ومنها ماوقع أو سيقع بعد مماته (كما قاله عليه الصلاة والسلام) أي على نهج ما أخبر به عنه في ذلك المقام من المعنى المرام (الى) أي منضمة أو منتهية الى (ما أخبر به جلساءه من أسرارهم) أي خفيات أفعالهم (وبواطنهم) أي مكونات أحوالهم كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثت نفسك انه ليس في القوم خير منك قال نعم وفي رواية ومواطنهم أي ومشاهدهم وفي أصل التلمساني ومواصلتهم أي مواصلة الناس من أهل الاسلام ونقل مايصنعون الى اخوانهم الكفرة (واطلع عليه) أي والى ما انكشف عليه (من اسرار المنافقين) أي فيما بينهم (وكفرهم) أي من جهة تواطئهم كما ظهر منهم في غزوة تبوك وهم سائرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاعلمهم به فقالوا الا ما كنا في شيء من أمرك بل كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فوبخهم الله وكذبهم بقوله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (وقولهم فيه) أي ومن تكلمهم في حقه عليه الصلاة والسلام (وفي المؤمنين) أي من أصحابه الكرام كما وقع لرئيس المنافقين عبد الله ابن أبي حين قال لاصحابه وقد استقبله نفر من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام انظروا كيف أرده ؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه فنزلت فيهم واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الآيات (حتى ان) مخففة (كان بعضهم) أي المنافقين (ليقول لصاحبه) أي رفيقه اذا طعن في الاسلام وأهله (اسكت) أي من نحو هذا الكلام (فوالله لولم يكن عنده من يخبره) أي شيء من الاشياء (لاخبرته حجارة البطحاء) أي صغار الحصى كما وقع يوم فتح مكة حين دخل النبي عليه الصلاة والسلام في البيت وأمر بلالا ان يؤذن فقال عتاب ابن أسيد لقد اكرم الله أسيدا انه لم يسمع هذا فقال الحارث بن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته وفي رواية أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا فقال أبو سفيان لا اقول شيأ لو تكلمت لاخبرته عني هذه الحصباء فلما خرج قال لهم لقد علمت الذي قلتم وأخبرهم فقال عتاب والحارث نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

وامر

نصرانيا وقال البلادري انه عاد الى دومة فلما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقض العهد فحاصره خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه أسلم وأهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر وعده ابن منده وأبو نعيم في الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدية صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق أهل السير وقيل انه أسلم ثم ارتد بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لايعد في الصحابة أيضا (فوجدت) بالبناء للمجهول (هذه الامور) المذكورة في هذا الفصل (كلها في حياته) بعد ما أخبر بها (و) وجد بعضها (بعد موته كما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مطابقة لخبره ومما لهنا له منتهية أو مضمومة (الى ما أخبر به جلساءه) من الصحابة (من أسرارهم) أي ما أسروه وأخفوه (وبواطنهم) أي أمورهم المخفية وقلوبهم وهو بيان لما أخبر به (وأطلع عليه) عطف على ما أخبر به (من أسرار المنافقين) أي ما اسروه في أنفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم أو ما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لا يقف عليه المؤمنون (وكفرهم) المضمر في قلوبهم مع اظهارهم الايمان (وقولهم فيه) أي في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي المؤمنين) وهو معطوف على أسرار المنافقين عطف تفسير كقول رأسهم ابن أبي لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد أبي بكر فقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثاني اثنين في الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال له مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ماخلا رسول الله افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه (حتى ان) بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر (كان بعضهم) أي بعض المنافقين (يقول) وفي نسخة ليقول (لصاحبه) أي من هو معه منهم اذا أراد ان يتكلم بشيء في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سرا معه (أسكت) ولا تنطق بشيء من أمره ثم بين وجه أمره بالسكوت مقسما عليه ليحقق ما قاله فقال (فوالله لولم يكن عنده من يخبره) بما يقوله في شأنه من ملك أو جن يبلغه ما يقال فيه (لاخبرته حجارة البطحاء) وهي ارض مستوية يسيل فيها الماء والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء يعني ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة أيضا لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة

(واعلامه) أي ومن اخباره عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين عن عائشة (بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم) أي من
يهود (وكونه) أي ومن كون سحره (في مشط) بضم الميم وسكون المعجمة وتثلث وبضمهما ما يمشط به (ومشاقة)

وأمر بلالا رضي الله تعالى عنه بان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن
أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب لقد أكرم الله أسيدا اذ لم يرهذا اليوم وقال
الحارث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال أبو سفيان لا أقول شيأ لو تكلمت لاخبرته
هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم فقال
الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك به (واعلامه) بالجر
معطوف على ما أخبر به وهو اشارة الى ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وهو مصدر مضاف
لفاعله ومفعوله محذوف أي اعلامه الناس (بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم) وهو
يهودي من بني زريق وقصة سحره مشهورة في السير والتفسير (وكونه) أي السحر المذكور الذي
وضعه (في مشط) بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطاء مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها
الشعر ويقال لها ممشط أيضا (ومشاطة) بضم الميم وهي ما يسقط من الشعر اذا سرح وفي نسخة مشاقة
بقاف بدل الطاء وهما بمعنى أو الاول من الشعر والثاني من الكتان (في جف) بضم الجيم وتشديد الفاء
وهو وعاء الطلع الذي يكون عليه كالغشا وفي نسخة جب بباء موحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب
البئر وهو مضاف لقوله (طلع نخلة ذكر) والطلع ما يخرج من النخل في ظرف منطبق عليه معروف
والنخل منه ذكر وأنثى تحمل بثمرها المعروف (وانه) بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور (ألقي
في بئر ذروان) أي وضع في هذه البئر وهي بئر بالمدينة لبني زريق وهي بذال معجمة مفتوحة وراء
مهملة ساكنة وواو بزنة فعلان (فكان) ما أخبر به صلى الله عليه وسلم (كما قال) عليه السلام (ووجد)
السحر (على تلك الصفة) التي وصفها فهو من اخباره بالغيب بوحي من الله تعالى كما فصلوه وعن
هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما
سحر قال أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع
الرجل قال مطبوب أي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في أي شئ قال في مشط ومشاطة
وجف طلع ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فجاءها صلى الله تعالى عليه وسلم في ناس من أصحابه
فأخرجه فلما رجع قال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقالت
هلا أخرجته يا رسول الله قال قد عافاني الله تعالى فكرهت ان أثير على الناس منه شرا فأمر بها فدفنت
قال أبو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بئر ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعي هو خطأ وصوابه أروان
بالهمزة انتهى وفي القاموس بئر ذروان بالمدينة وهي ذو اروان بسكون الراء وقيل بتحريكها انتهى
وفي مسلم بئر ذي أروان قال النووي وهو صحيح والاول أجود وأصح ويحتمل ان الاول مخفف منه
(واعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قريشا) كما رواه البيهقي عن الزهري في الدلائل (بأكل الارضة)
بفتحات دودة تأكل الورق وتسكون فيه اذا انطبق زمانا بحيث لا يمر به الهوى وهي معروفة وعلى
أنواع ومنها ما يأكل الخشب فنفسرها هنا بدويبة تأكل الخشب قال الله تعالى ما دلهم على موته الا
دابة الارض تأكل منسأته والارض بالسكون مصدر أرض اذا كان به ارضة أضيفت لها لم يطبق
المفصل وليست هي الدابة المسماة سرقة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب (ما في صحيفتهم)
الاضافة للعهد أي الصحيفة المشهورة وسيأتي بيانها (التي تظاهروا بها) أي تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم
على عهود كتبوها في تلك الصحيفة كما سيأتي (على بني هاشم) وهم فخذ من قريش (وقطعوا بها رحمهم)
أي قصدوا بما كتب في الصحيفة قطع رحمهم أي قرابتهم أي ابطال حقوق القرابة بينهم وبين بني عمهم

وفي نسخة صحيحة ومشاطة وكلاهما بضم أولهما بمعنى وهو ما يسقط من الشعر عند امتشاطه (في جف طلع نخلة) بضم الجيم وتشديد الفاء أي وعائه في غشائه الذي يكون فوقه ويروى جب بالموحدة وهما بمعنى وهو داخلها وقوله (ذكر) بفتحتين صفة طلع أو نخلة على ان التاء للوحدة كالنملة وليس بفعل ماض معلوم أو مجهول كما توهم من أقوال الدلجي (وانه) أي السحر فيما ذكر (ألقي في بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة وسكون الراء وهي بالمدينة بستان لبني زريق ويقال له بئر ذي أروان كذا في مسلم وكلاهما صحيح وما في مسلم أصح وادعى ابن قتيبة انه الصحيح ذكره النووي واما بالواو قبل الراء فموضع بين قديد والجحفة (فكان) أي فوقع الامر (كما قال) أي من خبر السحر (ووجد على تلك الصفة) أي الهيئة من كونه في مشط ومشاطة (واعلامه) أي ومن
اخباره (قريشا) كما رواه البيهقي عن الزهري (بأكل الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة تأكل الخشب (ما في صحيفتهم التي
تظاهروا) أي تعاونوا وتناصروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم) أي قرابتهم من بينهم وبينهم نسب معهم

من بنى هاشم وأصل الرحم مقر الولد ثم شاع فى القرابة حتى صار حقيقة فيها (وانها) أى الارضة وهو معطوف على أكل الأرضة أى وإعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانها (أبقت فيها) أى الصحيفة (كل اسم لله تعالى) دون غيره مما عاهدهم عليه فحته لانه باطل وابقت اسم الله تعالى تبركا وتأدبا وهذا على احدى الروايتين والاخرى ستأتى وتوجيهها (فوجدوها كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر به عن الغيب فهو من معجزاته وماذكره المصنف رحمه الله تعالى من انها أبقت اسم الله تأدبا ومحت غيره للاشارة الى انه أمر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفى رواية أخرى انها لحست اسم الله تعالى وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله تعالى برىء منهم وانه لا يليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس فى سيرته فاذا صحت الروايتان أشكل ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان فى التوفيق بينهما ان لم نقل ان رواية انها لحست اسم الله أقوى والمعول انما هو عليها انه كتب نسختان علقت احداهما فى الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذ لم يقع ذلك فى رواية أصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر بن هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم أمره صلى الله عليه وسلم واشتد على المسلمين قهرهم أرادوا قتله فلم يرض به أبو طالب وبنو هاشم فقالوا اما ان تسلموه لنا أو تعتزلوا عنا جميعا فى الشعب بحيث لا تقابلوننا ولا تجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها فى الكعبة فكان كلما جاء أهل البادية بما يباع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش وأراد نقض العهد فبينما هم كذلك اذ قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى طالب يا عم ان الله أبطل عهدهم وأكلته الارضة فخرج اليهم فظنوه انه أتاهم ليسلم لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرهم بالقصة فاتوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل فى السير وكان ذلك مما أطلعه الله تعالى عليه من غيبه وهذا يقتضى صحة ما قاله المصنف رحمه الله تعالى وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم نجد ما يشفى الصدور (ووصفه لكفار قريش) بعد الاسراء كما تقدم تفصيله (بيت المقدس) مفعول وصف وقوله (حين كذبوه فى خبر الاسراء) أى فى اخباره بانه أسرى به لبيت المقدس (ونعته اياه) أى بيت المقدس (نعت من عرفه) بالنصب مفعول نعته والنعت والوصف متقاربان والمصنف رحمه الله تعالى غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال فى غير الله تعالى ولا يقال نعت الله كما ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها (واعلامهم) بالجر أى اعلام الكفار (بعيرهم) بكسر العين أى قافلتهم من عار بمعنى سار واما بالفتح فهو الحمار وليس بمراد هنا (التى مر عليها فى طريقه) لما رجع من الاسراء (وانذارهم بوقت وصولها) لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا وأصله التخويف والاخبار بما فيه خوف ضد التبشير كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انها تقدم وقت كذا يقدمها جمل أورق كما مر (فكان ذلك كله) أى وجد ووقع (كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما أخبر به وقد قدمنا تفصيله ثمه فلا حاجة لاعادته (الى ما أخبر به من الحوادث) أى ما تقدم ينتهى أو ينضم لغيره مما أخبر به مما سيحدثه الله بعده من الامور (التى تكون) فى المستقبل (ولم تأت بعد)

(وانها) أى وبان الارضة (أبقيت فيها كل اسم لله) وقد روى ابن أبى الدنيا فى سيرته مرسلا لانها لم تترك فيها اسم الله الا لحسته وبقى فيها ما كان من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم وقد ذكر الروايتين أبو الفتح اليعمرى فى سيرته ولعل القضية متعددة أو وقع وهم لبعض فى قلب الرواية والمذكور فى الاصل هو الانسب بالدراية فان لله الاسماء الحسنى باقية على صفحات الدهر بالنعت الاسنى ثم رأيت الحلبى اختار ان كونها لحست اسم الله أقوى وان كان فيه ابن لهيعة وهو مرسل والآخر ذكره ابن هشام انتهى ولا يخفى ان التعارض اذا وقع فيجمع مهما أمكن والا فيرجح والا فيحمل على التعدد اذا تصور بان يقال علقت واحدة فى الكعبة وأخرى عندهم والله تعالى أعلم (فوجدوها) أى الصحيفة (كما قال) أى من أكل بعض ما فيها وابقاء باقيها (ووصفه) عطف على اعلامه أى ونعته عليه الصلاة والسلام (لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء) أى فى صبيحة ليلة أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى منتهيا الى السماء (ونعته اياه) أى بيت المقدس لهم على ما مر (نعت من عرفه) أى كنعت من عرفه حق معرفته (واعلامهم) أى واعلامه اياهم (بعيرهم) بكسر العين أى بقافلة ابلهم (التى مر عليها فى طريقه) أى حين رجع من مسيره الى مقام تحقيقه (وانذارهم) أى اعلامهم (بوقت وصولها) وان جملا أورق يقدمها فى يوم كذا قبل ان تغيب الشمس فى مغربها (فكان) أى فوقع ذلك (كله كما قال) أى كما أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ما) أى مع ما (أخبر به من الحوادث التى تكون) أى ستوجد ويأتى أمرها (ولم تأت بعد) بضم الدال أى ولم تقع عقب زمن اخباره بل ستأتى بعد ازمان متباعدة عن آثاره

مبنى

(منها) أي من الحوادث التي تكون (ماظهرت مقدماتها) بكسر الدال المشددة وتفتح وفي نسخة مقدماته (كقوله) أي فيما رواه أبو داود (عمران بيت المقدس) بضم العين أي كثرة عمارته باستعلاء الكفار على امارته (خراب يثرب) أي سبب خراب المدينة المشرفة وضعف جماعته (وخراب يثرب خروج الملحمة) أي علامة ظهور الحرب والفتنة (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) بضم القاف والطاء الاولى وتفتح وبكسر الطاء الثانية بعدها ياء ساكنة فنون وتأنيث كذا في النسخ المصححة وفي رواية السجزي بزيادة مشددة وهي دار ملك الروم ثم كل سابقة مما ذكر علامة مستعقبة للاحقة وفي حاشية الحجازي وقسطنطينية ويروى بلام التعريف وفيها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة ومع تشديدها ومع حذفها وحذف النون والقاف مضمومة بكل حال ثم اختلفوا هل افتتحت أم لا فقيل كان ذلك في زمن عمر أو عثمان وقيل لا بل انما تستفتح مع قيام الدجال والله تعالى أعلم بالحال (ومن اشراط الساعة) أي والى ما أخبر به من علاماتها المتقدمة كما في الصحيحين ان من أشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنا وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد (وآيات حلولها) أي علاماته المؤذنة بوقوعها وحصولها لحديث مسلم لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم

مبني على الضم أي لم يقع عقب اخباره بل بعده بأزمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لم تظهر فاذا جاء الابان تجئ فان خبره صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتخلف (و) الى ذلك أشار بقوله (منها ماظهرت مقدماته) بكسر الدال أي علاماته المتقدمة عليه (كقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود في سننه (عمران بيت المقدس) بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه معمورا بتمام بنائه وكثرة سكانه وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره وتقدم معنى كونه مقدسا فيه وهو مبتدأ خبره (خراب يثرب) بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وجعله عينه مبالغة كقولهم عتابه السيف وليس المراد به التشبيه فالحمل في قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على طريق المجاز في النسبة الاسنادية بجعل ما يقرب من الشئ ويلاصقه كأنه هو بعينه فلا يقال انه غيره فكيف أخبر به عنه (وخراب يثرب) الذي يعمر عنده بيت المقدس (خروج الملحمة) أي ظهورها والملحمة بميم مفتوحة ولام ساكنة وحاء مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما في النهاية الاثيرية وفي الصحاح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض كالسدا واللحمة أو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه أحكام النجوم وآثار الجو من السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذي يكون في آخر الزمان (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) وفي نسخة قسطنطينية بغير ألف ولام وبعد النون الثانية ياء تشدد وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار الكفر وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين اسم أول ملك بناها وهو أول من أظهر دين النصرانية ودونه وهي مدينة عظيمة الشكل منها جانبان في البحر وجانب في البر ولها سبعة أسوار وسمك سورها الكبير احدى وعشرون ذراعا وفيه مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة من مارستانها قد ألبست كلها بالنحاس وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على فرس وقوائمه محكمة بالرصاص ماد يده اليمين فانها مطلقة في الهوى لانه سائر والملك على ظهره ويده موقوفة في الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد الشام ويده اليسرى فيها كرة مكتوب عليها ملكت الدنيا حتى بقيت وكفى مثل هذه الكرة وخرجت منها كما ترى وفيها لغات ضم القاف وفتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة وتشديدها وحذفها فهي ست ووقعت في الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها كقول أبي تمام

حتى التوى من نقع قسطلها على * حيطان قسطنطينة الاعصار

وهي المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه أم لا فقيل فتحت في زمن الخلفاء والاصح انها انما تفتح في آخر الزمان قبل خروج المهدي وهو الذي صححه المقدسي في كتاب الدرر في أخبار المهدي المنتظر والذي أوقعهم في اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها مدن متعددة والمذكور في هذا الحديث كله يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وكذا ما معه من الاشراط واليه أشار بقوله (ومن اشراط الساعة وآيات حلولها) معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهي العلامة والمقدمة وهي والآية بمعنى وقيل هي ما ينكره الناس من صغار أمورها وعلامات

(وذكر النشر والحشر) أى ومن ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم اياهما فى أشراط الساعة فالمراد بهما ما يقع قبل القيامة من التفرقة والجمع كما حكى النووى عن العلماء من ان آخر اشراطها فى الدنيا قبل النفخة الاولى نفخة الصعق أى الموت بدليل ذكره مع آيات حلولها ولقوله عليه الصلاة والسلام ويحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم كما فى حديث مسلم يحشر الناس أى أحياء الى الشام على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا وأما ما بعد بعثهم من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والتعاقب عليها بل هو على ما ورد من كونهم حفاة عراة غرلا كما بدأكم تعودون هذا ووقع فى أصل الدلجى والنشر بعد الحشر وفسره بالبعث وهو اعادة ما أفناه ولا يخفى انه لا يناسب المقام مع انه لغة غير مطابق للمرام فالصواب ما قدمناه فى الاصل من النسخ المصححة المشيرة الى ان الحشر بعد النشر فى علامات الساعة بخلاف يوم القيامة فان الحشر قبل النشر لانه يجمع الخلق أولا ثم يفرق بينهم كما أخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير (وأخبار الابرار) جمع بر أو بار أى وذكر أخبارهم بما يسرهم مجملا وتفصيلا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن الله سبحانه وتعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والفجار) جمع فاجر من فاسق وكافر وأخبارهم أى بما يسوءهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ان التجار يوم القيامة يبعثون فجارا الا من اتقى الله وصدق (والجنة والنار) أى ومن ذكرهما (وعرصات القيامة) أى وذكر مواقفها من الميزان والحوض والصراط وغيرها وكان الانسب تأخير الجنة والنار عن عرصات القيامة هذا وان أردت تفصيل ذلك فى الجملة فعليك بكتاب شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى المسمى بالبدور السافرة فى أحوال الآخرة (وبحسب هذا الفصل) بسكون السين والباء زائدة كما فى قولهم بحسبك درهم أى حسبك والمعنى كفى هذا الفصل من كماله فى الفضل (أن يكون ديوانا مفردا) أى دفترا منفردا (يشتمل على أجزاء وحده) أى متوحدا غير منضم الى غيره (وفيما أشرنا اليه من نكت الاحاديث التى ذكرناها كفاية) أى غنية لمن له دراية (وأكثرها فى الصحيح) أى رواية (وعند الائمة) أى من كتب أصحاب السنة (والله ولى التوفيق) أى بالهداية فى البداية والنهاية

القيامة التى تكون فى آخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره مما هو مشهور غنى عن البيان وهذا كله مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبى فى تذكرته (وذكر النشر والحشر) الذى هو آخر الاشراط وآخر الدنيا اذا نفخ فى الصور والنشر للميت ان يحيى فيقوم من قبره من نشر الثوب اذا بسطه قال الشاعر

طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه طيا ونشرا

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب (واخبار الابرار) بالجر أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث من أخباره عن صلحاء أمته وفجارهم أو اخبارهم بما يسرهم وتقر به أعينهم واخبار غيرهم بما يسوءهم وينكبهم فأخبار بفتح الهمزة جمع خبر أو بكسرها مصدر أخبر والابرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب وهو التقى الصالح (والفجار) جمع فاجر وهو الفاسق المجاهر بالمعاصى والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم أمته بما سيكون فيهم وهو كثير فى الاحاديث (والجنة والنار) أى ذكر أحوالهما وأهلهما وما سيكون فيهما (وعرصات القيامة) بفتحات جمع عرصة بسكونها وهى كل موضع واسع لا بناء فيه أى مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث من بيان مواقف القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها (وبحسب هذا الفصل) الباء زائدة كما فى قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين المهملة مبتدأ خبره (أن يكون ديوانا) أى كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة فى كثرته كما ذكره فى أوله وانه لو ألف فيه تأليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن أمرا غريبا (مفردا) عن غيره من المعجزات (يشتمل) ذلك الديوان المفرد له (على أجزاء) بتمييز أنواعه وافراد كل نوع بباب (وحده) منفردا من بينهما ثم اعتذر لعدم افراده بالتأليف بقوله (وفيما أشرنا اليه) أى ما ذكره فى هذا الفصل منه وهو خبر مقدم (نكت من نكت الاحاديث التى ذكرناها) أى لطائف ودقائق نفيسة وقد تقدم بيان النكت مفصلا وقوله (كفاية) مبتدأ مؤخر ولو حذف قوله نكت كان أحسن لانه اذا كان مبتدأ كان قوله كفاية مبتدأ آخر أو بدلا أو صفة بتأويله بكافية وكله تكلف أى المقدار الذى اقتصر عليه المصنف كاف عن افراده بالتأليف (وأكثرها) أى النكت المذكورة فى هذا الفصل منقول (فى الصحيح) من كتب الحديث المعتمدة (و) موجود (عند الائمة) من علماء الاثر ومشايخ المصنف وفى تعبيره بالاكثر اشارة الى ان

فيه ماهو ضعيف أولم يثبت كما بيناه لك فى أثناء شرحه

(فصل فى عصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس) أصل معنى العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام التمسك بالشئ واستعصم استمسك كأنه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله الانبياء حفظه اياهم بما خصهم من صفاء الجوهر ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعنى ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة فى المنع عن ارتكاب المعاصى وفى الحفظ عن نيل المضرة من أعدائهم والمراد هنا المعنى الاخير كما أشار اليه بقوله (وكفايته من آذاه) أى كفاية الله اياه بحفظه عمن قصد أذيته والمراد بالناس ما يشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه فى تفسير المعوذتين أو خصهم لانهم الذين عادوه صلى الله تعالى عليه وسلم وقصدوا أذيته وقوله من أذاه من ذكر العام بعد الخاص لشمولهم صريحا واستشهاده بقوله (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) يقتضى انه لم يقصد لاخير بحسب الظاهر وهذه الآية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضرى فى الخصائص يرده ماروى عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج بعث معه أبو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الآية فقال يا عم ان الله عصمنى من الجن والانس فلا حاجة لى بمن تبعثه معى وهذا يدل على انها مكية وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة أى عند مقدمه المدينة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبى وقاص جئت لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذى عن عائشة كما أتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الآية الى آخره أى فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها نزلت مرتين بعيد فى الناس على الاول أهل مكة وعلى الثانى أعم خلاف الظاهر ثم قال أكثر المفسرين ان هذا الذى كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم لم لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا للامة ليأخذوا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه كان لحكمة وهى كما ان يشارك المؤمنين فى المصيبة تسلية لهم عما نالهم من فقد أحبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم انتهى وأما العصمة عن الذنوب فسيأتى فى محله والى ما قدمناه أشار فى الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لا محصل له وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله أكلة خيبر قطعت أبهرى وقالوا حكمته ان ينال أجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ما قالوه وأجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين أكله فلم يؤثر فيه فلما قضى أجله أثر فيه بقيته لعلو مقامه وليس لاحد صنع فيه والقول بان الشج وغيره كان قبل نزول الآية ينافيه ثبوت انها نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحى غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولا يخفى ما فى كلامه كما يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه عن ان يقتله عدو له مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه وخصه وصاولم يظهر له أثر حال أكله ولا بعده بما يتألم عليه أعداؤه وانما كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) أمره بالصبر على أعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه ثم سلاه بان لا يخاف من أحد فانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا أظهر مما فى الكشاف ومما قيل انه للمبالغة والتأكيد قول الراغب يقال فلان بعينى أى أحفظه وأراعيه كقولهم هو منى بمرأى ومسمع وقوله واصنع الفلك بأعيننا أى بحيث نرى ونحفظ وفيه كلام مفصل ليس هذا محله (وقال أليس الله بكاف عبده) فيه اثبات الكفاية الله له على أبلغ وجه لانه استفهام

(فصل)
(فى عصمة الله تعالى له) أى فى وقايته وحمايته (من الناس وكفايته من آذاه) أى وكفاية الله اياه شر من آذاه ممن عاداه ويروى وكفايته من آذاه (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) أى يمنعك منهم ويكفيك عنهم (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) أى بمرأى منا ومرعى فى حفظنا وجمع العين مناسبة لضميرها أو مبالغة فى تعبيرها (وقال أليس الله بكاف عبده) وفى انكار النفى مبالغة فى اثبات الكفاية

(قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين) فالمراد بعبده الفرد الاكمل أو المعهود الافضل ويؤيده ان المشركين كانوا يقولون له انا نخاف ان يعتريك الهتنا بسوء لعيبك اياها وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها انى أحذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شئ فعمد اليها خالد فهشم أنفها فنزل أليس الله بكاف عبده ويخوفونك

انكارى وهى نفى معنى ونفى النفى اثبات يعنى ان عبادى يحفظون عبيدهم فكيف لا أحفظ عبدى ولما كان العبد غير معين هنا أشار بقوله نقلا عن السلف انه (قيل) ان معناه (بكاف محمدا) المراد بعبده لان الاضافة عهدية (اعداءه المشركين) وبهذا يكون دالا على المقصود ومطابقا لما قدمه وما قيل من انها نزلت لما قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم أما تخاف ان تخبلك آلهتنا لكونك تعيبها ليس مطابقا لهذا المقام وقوله أعداءه المشركين بأباه (وقيل) فى تفسير هذه الآية (غير هذا) كالقول بان المراد انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده ويؤيده انه قرئ بكاف عباده بصيغة الجمع (و) مما يدل على عصمة الله له قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) الهزؤ السخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش كانوا يؤذونه صلى الله تعالى عليه وسلم ويهزؤن به فاهلكهم الله لما اشتدت أذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون فى تفسير هذه الآية وهذا نوع من حفظ الله تعالى له بتعجيل اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الآية وبيان هؤلاء المستهزئين وذكر هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الآيات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه ويذكر بعض افراده المثبت لمراده (وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد تقدمت هذه الآية وبيان معناها وانما أتى بها المصنف هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دأبه والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازا على طريق المشاكلة وهى اشارة الى ما كان منهم بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان * واعلم ان الشيخ الاكبر قال فى بعض رسائله ان الله كما عصم نبينا فى حياته عصم رؤياه فى المنام بعد وفاته من دعاية الشيطان التخيل وتمثله فى صورته فطيفه كذاته معصوم من ان تؤذيه الاحلام وعبارته كل من يرى فى المنام فتمثله فى خيال الرائى الملك أو النفس أو الشيطان الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا فى حياتهم معصومين فى البواطن من القائه فانسحبت عليهم حياة وموتا فى المحل الذين كانوا معصومين فيه والرؤية والنوم من عالم الباطن انتهى ثم شرع فى ذكر الحديث الذى رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها فقال (أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) الاندلسى المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد فى وقعة بالاندلس وقد تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفى بفتحتين نسبة لصدف قرية بقرب قيروان (بقراءتى عليه) لا بالاجازة (والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المغافرى) هو القاضى أبو بكر بن العربى ويقال ابن عربى أيضا معرفا ومنكرا وبعضهم يخصه بالتعريف ويقول ابن عربى بدون أل هو الشيخ محيى الدين الصوفى نفعنا الله به وهذا المذكور هو محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وأبوه من كبار أصحاب ابن حزم الظاهرى وابنه ممن أخذ عن الغزالى وغيره ورحل للاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفى بفاس فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ونسبته لمغافر بغين معجمة وفاء وراء مهملة وميمه مفتوحة وحكى فى اسم الحى الضم وأنكره ابن السكيت حى من همدان وبلدة ولا ينصرف واليه تنسب الثياب المغافرية (قالا حدثنا أبو الحسين الصيرفى) المبارك ابن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما فى بعض النسخ الحسن مكبرا خطأ من الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو يعلى) بفتح المثناة التحتية واللام وألف (البغدادى) نسبة للمدينة المعروفة قال (حدثنا أبو على السنجى) نسبة لسنج بسين مهملة مكسورة

بالذين من دونه أى مما لا يقدر على نفع وضر فى نفسه (وقيل) أى فى معنى الآية (غير هذا) أى القول بقصر الكفاية على محمد بل كافيه ولا كافى غيره فتكون الاضافة للجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى أليس الله بكاف عباده بصيغة الجمع (وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد سبق معناهما وما يتعلق بمبناهما وقد قال الله تعالى أيضا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم أى بالاقوال والاحوال (أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة (بقراءتى عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المغافرى) بفتح الميم وتضم وكسر الفاء هو الاشبيلى وهو المعروف بابن العربى سمع نصر بن ابراهيم المقدسى وطبقته وروى عنه جماعة توفى بفاس سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وهو على دابته بباب فاس وقد كان سقى سما فمات شهيدا مظلوما (قالا) أى كلاهما (ثنا أبو الحسين) بالتصغير وهو الصواب (الصيرفى) وهو المبارك بن عبد الجبار (ثنا أبو يعلى البغدادى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا أبو على السنجى) بكسر السين والجيم بينهما نون ساكنة

مكسورة ونون وجيم وهي قرية بمرو قال (حدثنا أبو العباس المروزي) وهو محمد بن أحمد بن محبوب راوي الترمذي وقد تقدم قال (حدثنا أبو عيسى الحافظ) ابن سعد الترمذي صاحب السنن امام الحديث المشهور وشهرته تغني عن ذكره قال (حدثنا عبد بن حميد) بلا اضافة العبد وقد تقدم قال (حدثنا مسلم بن ابراهيم) الازدي الفراهيدي أبو عمرو الامام الحافظ الذي أخرج له الستة توفي سنة مائتين واثنتين وعشرين قال (حدثنا الحارث بن عبيد) أبو قدامة الايادي البصري له ترجمة في الميزان (عن سعيد الجريري) بضم الجيم وفتح الراء كالمصغر نسبة لجرير الضبي كما في الكاشف للذهبي عباد وترجمته في الميزان (عن عبد الله بن شقيق) التابعي العقيلي من كبار التابعين توفي سنة ثمان أو ثمان ومائة (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول أي يحرسه الصحابة رضي الله تعالى عنهم في وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان خارج بيته (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) ونزولها بالمدينة لان سورة المائدة من آخر ما نزل وتقدم قول آخر بانها مكية لكن الصحيح خلافه وفي بعض الحواشي عن ابن عرفة انهم اختلفوا في صحة الدعاء بالعصمة لغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والآية تدل على صحته فان العصمة مقولة بالتشكيك وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو عام مخصوص ولا مانع من ابقائه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته له من غير قصد انتهى قلت قال شيخ والدي الشهاب ابن حجر في شرح الارشاد اختلف في سؤال العصمة فقيل لا يجوز لقول مالك والشافعي في الرسالة نسألك العصمة وكذا قول الشاذلي نسألك العصمة في الحركات والسكنات وفي الحديث اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان سأل التوقي عن جميع المعاصي والرذائل في جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة فان قصد التحصن عن أفعال السوء فلا بأس به انتهى وهذا كله كلام غير مهذب لان العصمة لها معنيان احدهما الحفظ من أذية الناس والثاني حفظه في نفسه عن ارتكاب المعاصي وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جائز فيهما كاللهم اعصمني من الكذب أو الزنا أو اللهم احفظني من أسر الكفار واعصمني من كيد الشيطان والفجار وطلق فيهما ولا مانع منه أيضا اذ لا مانع ان يقول اللهم اعصمني من جميع الذنوب أو من جميع الناس فانه أمر مطلوب وقوله انه طلب مقام النبوة كلام واه والذي اختصت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوعه لهم لا طلبه فقد خلط هؤلاء العصمتين ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) بالضم وتشديد الموحدة وهي كل مرتفع من البناء أو الخيمة والخباء من وقب اذا علا وليس معناه ما هو مستدير على شكل كرى كما تفهمه العامة فانه عرف طار والمراد به هنا خباء كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم التجاني في شرحه ولا يترتب عليه فائدة هنا فلذا تركناه (فقال لهم أيها الناس انصرفوا) من حولي واتركوا حراستي (فقد عصمني) وحفظني (ربي عز وجل) فلا حاجة لي ان يحرسني الناس (وروى) بصيغة المجهول (انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا) أي أقام به زمانا (اختار له أصحابه شجرة يقيل

(ثنا أبو العباس المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ) أي الترمذي كما في نسخة وهو صاحب الجامع (ثنا عبد بن حميد) بالتصغير وتقدم ان هذا من غير اضافة (ثنا مسلم بن ابراهيم) أي الازدي سمع ابن المبارك وغيره روى عنه البخاري وأبو داود والدارمي (ثنا الحارث ابن عبيد) هو أبو قدامة الايادي البصري روى عن ثابت الجوني أخرج له مسلم واستشهد به البخاري (عن سعيد الجريري) بضم الجيم وفتح الراء روى عن أبي الطفيل ويزيد بن الشخير وعنه شعبة ويزيد بن هارون (عن عبد الله بن شقيق) هو العقيلي البصري يروي عن عمر وأبي ذر والكبار وعنه قتادة وأيوب قال أحمد ثقة تحمل عن علي رضي الله تعالى عنه (عن عائشة) قال الحلبي أخرجه الترمذي في التفسير عن الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق قال ولم يذكروا عائشة (قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول أي يحفظ من الاعداء (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) أي يحرسك من قتلهم اياك (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) هي بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب (فقال لهم أيها الناس انصرفوا) الى رحالكم وكونوا على حالكم (فقد عصمني ربي عز وجل) أي فقد تكفل بعصمتي ومحافظتي من كيد اعدائي من غير واسطة لي (وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل) بفتح الياء وكسر القاف أي يستريح

(تحتها) من القيلولة وهي نوم نصف النهار ومنه قوله تعالى أو هم قائلون ومنه شعر الهاتف بمكة في حديث الهجرة الى المدينة
جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد

أي نزلا فيها عند القائلة وهي وقت الاستراحة من الظهيرة (فاتاه اعرابي) أي بدوي (فاخترط سيفه) أي سله من غمده ومرجع الضمير اما هو عليه السلام واما الاعرابي (ثم قال من يمنعك مني فقال الله) أي الله يمنعني منك (فارعدت) وفي نسخة صحيحة فرعدت بالبناء للمفعول فيهما وفي نسخة فارتعدت ويروى فذعرت بذال معجمة من الذعر وهو الفزع لكن لا يلائم اسناده الى قوله (يد الاعرابي) أي أصابته رعدة وحركة مضطربة من الخوف (وسقط سيفه) وفي اصل الدلجي وسقط السيف من يده (وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه) أي دما ونحوه (فنزلت الآية) أي آية والله يعصمك من الناس وما رواه من الزيادة فغير معروف عند ارباب الدراية (وقد رويت هذه القصة) أي مثلها (في الصحيح) أي للبخاري وغيره (وان غورث بن الحارث) فوعل آخره مثلثة ويهمل أوله ويعجم مكبرا ومصغرا كما في الرواية الأخرى وتقدم انه أسلم وصحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى انه دعثور وفعلول كبهلول وعينه مهملة ذكره التلمساني
(صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس

تحتها) من قال يقيل قيلولة اذا نزل في وقت القائلة وهي الظهيرة وما قرب منها للاستراحة سواء نام أم لا وان كثر فيها النوم (فاتاه اعرابي) هذه فاء فصيحة أي فاختار واله في بعض اسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس معه من يحرسه فاتاه الى آخره والاعرابي رجل من أهل البادية تقدم بيانه (فاخترط سيفه) أي سله وأخرجه من قرابه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابي فمعناه سل سيفا كان معه أو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابي أخذه وسله وهو صريح ما يأتي في لفظ رواية الصحيحين وأصل معنى الاختراط ازالة ما على القضيب من ورق أو قشر فشبه ازالة غمده بذلك أو هو من اخترطه اذا أخرجه من خريطته بجعل الغمد كالخريطة (ثم قال) الاعرابي بعد اختراطه له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك مني) الاستفهام انكاري بمعنى النفي أي لا يمنعك مني أحد لاني دخلت على حين غفلة وليس معك أحد وعطف بثم والظاهر الفاء اذ لا مهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر ما يصنع أو كان أتاه من خلفه أو استعمل ثم بمعنى الفاء وهو كثير (فقال الله) أي يمنعني الله أو الله منعني وحماني (فارتعدت يد الاعرابي) وقع في بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبني للمجهول أي أصابته رعدة بكسر الراء وفتحها وهي اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال التلمساني انه الصواب يعني لا رعدت الثلاثي وهو خطأ منه فان الذي صححه البرهان انه رعدت ثلاثي مبني للمفعول وتبعه الشمني وغيره وقالوا انه من الافعال التي لم يسمع فيها الا المجهول نحو جن وهو الموافق للرواية واللغة (وسقط سيفه) من يده لشدة ارتعاده من خوفه (وضرب) ذلك الاعرابي (برأسه الشجرة) لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها (حتى) تكسر عظم رأسه و(سال دماغه) لما كسر قحفه الذي كان فيه الدماغ (فنزلت الآية) المذكورة والله يعصمك من الناس الى آخره وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر رأسه سال منها وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن أي سال دما أو نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد في الكتب المعتبرة عند أهل الاثر ولم يذكروه في أسباب النزول واليه اشارة ما بقوله (وقد رويت هذه القصة) يعني قصة الاعرابي (في الصحيح) أي في الحديث الصحيح أو في صحيح البخاري (وان غورث بن الحارث) وفي نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة في المكبر ومثلثة (صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه) وهذا يخالف ما قبله في تلك الرواية من انه ضرب برأسه الشجرة الى آخره اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فينافي العفو عنه (فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) لما رآه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله تعالى عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا قائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابي فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله تعالى عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروى انه شام السيف أي أغمده وفي سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه ألا أقتل لكم محمدا اقتلك به فاقبل اليه وسيفه في حجره فقال يا محمد اعطني سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فكبته الله تعالى فقال يا محمد أما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله تعالى منك فرد السيف فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا

وقد حكيت) وفى نسخة وهى الاولى وقد حكى (مثل هذه الحكاية نها) فى نسخة انه (جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه) جملة حالية (لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر) بصيغة المجهول والمعلوم (مثله) أى مثل قوله من يمنعك أو مثل ما حكى من انه اخترط سيفه الخ فرده الله خاسئا (وقد روى) أى كما فى سيرة ابن اسحق الكبرى موصولا عن جابر بن عبد الله (انه وقع له) أى للنبى عليه الصلاة والسلام (مثلها فى غزوة غطفان) بفتحتين قبيلة (بذى أمر) بفتحتين موضع معروف من ديارهم ويقال لها غزوة نجد أيضا وولى المدينة حينئذ عبد الله بن أم مكتوم استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليها حين خرج اليها محاربا لهم (مع رجل اسمه دعثور) بالضم (ابن الحارث) أى الغطفانى والظاهر ان الخبرين واحد ويؤيده قول الذهبى فى تجريده الاشبه انه غورث بن الحارث وقال الحجازى ويروى غويرث (وان الرجل) أى المشار اليه (أسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه) من الاغراء أى الزموه وحثوه على فعله هذا وفى نسخة أغووه أى أضلوه (وكان) أى الرجل (سيدهم) أى رئيسهم (وأشجعهم) جملة معترضة (قالوا له أين ما كنت تقول) أى من دعوى القدرة واظهار الشجاعة (وقد أمكنك) أى والحال انك قد تمكنت من الفتك فيه (فقال انى نظرت الى رجل أبيض طويل دفع فى صدرى فوقعت لظهرى) وفى نسخة الى ظهرى (وسقط السيف) أى من يدى (فعرفت انه ملك وأسلمت

نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية وروى ان السيف سقط من يده فأخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال له كن خير آخذ واسلم فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس (وقد حكى مثل هذه الحكاية) وفى كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التأنيث لان المضاف يكتسب التأنيث من المضاف اليه كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * وهو كثير وجعله صفة مؤنث مقدارى حكاية مثل هذه الى آخره كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفى بعض النسخ وقد حكيت هذه الحكاية وهى ظاهرة بحسب اللفظ والاولى أظهر بحسب المعنى (وانها جرت له) صلى الله عليه وسلم أى وقعت (يوم بدر) أى فى وقعة بدر يقال جرا لما كذا أى وقع وهو مجاز من الجرى واستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله (وقد انفرد من أصحابه) جملة حالية من ضميرا له أى منفردا عنهم (لقضاء حاجته) كناية عن البراز مشهورة (فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله) بالنصب مفعول ذكر وما أتاه له فى سل سيفه وقوله من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث لم يخرج أيضا (وقد روى) رواه ابن اسحق فى سيرته عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (انه وقع له) صلى الله عليه وسلم (مثلها) أى مثل هذه الحكاية والواقعة (فى غزوة غطفان) بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهى قبيلة مشهورة غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية نحو أربعمائة وخمسين فارسا فى ربيع الاول بعد خمسة أشهر من الهجرة (بذى أمر) بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان ويسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذى أمر وانمار اسم ذلك المكان أيضا (مع رجل) متعلق بوقع (اسمه دعثور) بضم الدال وسكون العين المهملتين ومثلثة وواو ساكنة وراء مهملة وهو علم رخة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير (ابن الحارث) وهو رجل من بنى محارب وتقدم انه غورث بن الحارث وقال ابن سيد الناس فى غزوة ذات الرقاع ان الخبرين والرجلين واحد وكان جمع بنى ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فهربوا فى رؤس الجبال وكان قبل ذلك يدعى انه يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرته ويقتله فكان منه مثل هذه القصة (و) روى (ان الرجل أسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه) أى حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعصمه الله تعالى منه (وكان) ذلك الرجل (سيدهم وأشجعهم) جملة معترضة بين لما وجوابها لبيان سبب اغرائهم له واقدامه على ذلك (قالوا له) جواب لما (أينما كنت تقول) انكار عليه لما شرب وقد كان يقول انى أقتل محمدا (وقد أمكنك) فاعله ضمير مستتر يرجع لما وأمكنه الامر اذا لم يمنعه مانع فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه من السياق أى تمكنت منه لمصادفته له وحده ومعه سيف مسلول فى يده (فقال انى نظرت الى رجل أبيض طويل) حال بينى وبينه و(دفع فى صدرى فوقعت لظهرى) أى وقعت على ظهرى لشدة دفعه وقوته (وسقط السيف) الذى كان بيدى (من يدى فعرفت انه) أى الرجل الذى دفعنى (ملك) لانه لم يكن ثمة أحد حين هجمت عليه ولان قوة دفعه ومهابته ليست مما عهدته (وأسلمت) لما شاهدته مما يدل على نبوته قال ابن اسحق أصابه صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحته فقال الوالد عثور انفرد محمد فعليك به فاقبل بسيفه حتى قام على رأسه وقال من يمنعك اليوم منى فقال الله فتمثل له جبريل

قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم) أي قصدوا ان يمدوها فتكا واهلاكا (فكف أيديهم عنكم) أي فمنعها الله ان تمد اليكم (الآية) تمامها واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفي رواية ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا أكبوا عليه وهموا ان يوقعوا بهم فعلا اذا قاموا الى صلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل أتى صلى الله تعالى عليه وسلم بني قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن أمية خطأ ظنهما كافرين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس نطعمك ونقرضك فجلس في صفة فهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فاخبره جبريل فخرجوا من عندهم سالمين (وفي رواية الخطابي) ان غورث بن الحارث وفي نسخة غويرث مصغرا واختاره الحلبي وتبعه الحجازي وروى الخطابي ان غورث أو غويرث بن الحارث المحاربي على الشك أهو بالعين المهملة أو المعجمة ولم يشك في التصغير والمشهور ما ذكره الحافظ المزي ان غورث بالمعجمة غير مصغر كما أورده المصنف فيما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم (المحاربي) بضم الميم وكسر الراء والموحدة (أراد أن يفتك) بكسر التاء الفوقية وتضم وحكى الفتح أيضا أي يأخذ على غرة وغفلة باطشا (بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بقتله فجأة (فلم يشعر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به (الا وهو قائم على رأسه منتضيا) بالضاد المعجمة والتحتية أي سالا (سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه) أي انقلب أو سقط ومن ابتدائية أو بمعنى على وفي أصل الدلجي فاكب لوجهه أي عليه (من زلخة) بضم زاي وتشديد لام مفتوحة فخاء معجمة وقيل مشددة (زلخها) بضم أوله وكسر ثانيه مخففة أي من أجل زلخة (بين كتفيه وندر) أي خرج وسقط (سيفه من يده والزلخة وجع الظهر) أي بحيث لا يتحرك من شدته ويروى بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق (وقيل في قصته) أي قصة غورث

عليه السلام ودفع في صدره فوقع سيفه فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال لا أحد وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام (قيل وفيه) أي في هذا الرجل وقصته (نزلت) هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الآية) في سبب نزولها أقوال أخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت صلاة الخوف وقيل في بني قريظة وقيل في بني النضير كما سيأتي (وفي رواية الخطابي) هو حمد أو أحمد بن محمد بن ابراهيم الامام الجليل في العلوم الشرعية نسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب أخي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وتآليفه جليلة مشهورة ككتاب الآثار وشرح السنن وغيره (ان غورث بن الحارث المحاربي) منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفي نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم وقدمنا ان ابن سيد الناس قال في غزوة ذات الرقاع في دعثور بن الحارث ان المذكور في غزوة ذي أمر من الخبر يشبه هذا الخبر فالظاهر ان الخبرين واحد وقال الذهبي في التجريد دعثور بن الحارث الغطفاني الاشبه انه غورث وقال البرهان انه ضبب عليه فهو عنده غلط وفي هامش نسخته من الشفاء عوض دعثور غورث وعليها علامة نسخة وصححت أيضا انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير (أراد ان يفتك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) يفتك مثلث التاء من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على أمر عظيم فيه مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا وقيل الفتك القتل مجاهرة (فلم يشعر به) أي لم يعلمه ويحس به في حال من الاحوال (الا وهو قائم على رأسه) المراد بقيامه على رأسه وقوفه خلفه متصلا به (منتضيا) بضاد معجمة ومثناة تحتية أي مجردا وسالا (سيفه) ليضربه به فلما رآه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اكفنيه بما شئت) الضمير لغورث وبما شئت ما موصولة عائدها مقدر أي بالامر والسبب الذي شئته وارادته والمراد تفويض أمر كفايته الى الله وتسليم أمره له كما ورد اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت وهو أقرب الى الاجابة من تعيين ما يدفعه عنه (ف) عقب قوله من غير مهلة (انكب لوجهه) اللام بمعنى على أي سقط على وجهه يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع والثلاثي متعد ومزيده لازم على خلاف القياس واللام بمعنى على كما في قوله * فخر صريعا لليدين وللفم * وقوله (من زلخة) متعلق بانكب والزلخة بضم الزاي المعجمة وفتح اللام المشددة وخاء معجمة وتاء كغيره وروى بعضهم تخفيف لام زلخة (زلخها) بضم الزاي وتشديد اللام المكسورة وخاء مفتوحة معجمة وهاء ضمير للزلخة وقرأ بعضهم بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابي وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب أعطى وفاعله الله والمراد أوجدها الله حين سل السيف وقوله (بين كتفيه) لا ينافي تفسير الزلخة المذكور فان ما بين كتفيه من أعلى الظهر فهو تأسيس واشارة لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد للكتفين ضعفت اليد عن حمله (وندر سيفه من يده) أي من داخل قبضة كفه وأصابعه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين وراء مهملة أي سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف أو من بين أشياء (والزلخة وجع) يأخذ في (الظهر) فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلق ويقال لزحلوفة تلعب بها الصبيان (وقيل) أي قال غير الخطابي (في قصته)

(غيرهذا) أى مذكرمن نوع آخروهو ماروى انه أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عليه السلام متقلد بسيفه قال ابن هشام وكان محلى بفضة فقال يا محمد أرنى سيفك فأعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومرة الى السيف فقال من يمنعك منى يا محمد فقال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشام السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية (وذكر) بصيغة المجهول أى وذكر بعضهم وفى أصل الدلجى ذكر بصيغة الفاعل أى ذكر الخطابى (ان فيه) أى فى غورث (نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية) أى كما سبقت (وقيل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا) أى من ان يقتلوه أو يخذلوه (فلما نزلت هذه الآية) أى ونحوها من قوله تعالى والله يعصمك من الناس وما اخترنا من الجمع بينهما أولى مما قال الدلجى أى هذه الآية أو والله يعصمك (استلقى) جواب لما أى رقد على قفاه أو كناية عن استراح من أذى من آذاه (ثم قال من شاء فليخذلنى) أو من شاء فلينصرنى فان ربى لا يخذلنى فالامر للتهديد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أو المعنى فليخذلنى أى فليقتلنى فانه لا يقدر على ذلك فالامر للتعجيز (وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب) وهى العوراء أخت أبى سفيان ابن حرب زوجة أبى لهب عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بنت هشام أخت أبى جهل (تضع العضاه) بكسر العين وفى آخر الكلمة هاء وقفا ووصلا وهى أشجار عظام ذات شوك ولعل التقدير ترمى شوكها وقد تصحف على الحلبى حيث ضبط بفتح الغين والضاد المعجمتين وهو مخالف لما فى الاصول المعتمدة والحواشى المعتبرة (وهى جمرة) جملة حالية ولعل المراد تشبيه الشوك بالجمرة حال حدتها فان الجمرة هى النار المتوقدة ثم اعلم ان بعضهم ذكر فى معناه انه شجر لجمره حرارة شديدة وقد قال أهل التفسير انها كانت تضع الشوك ولذا سميت حمالة الحطب على أحد الاقوال ولعلها كانت تضع الشوك مرة والجمر أخرى أو كانت تجمع بينهما والله تعالى أعلم (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى عليها (فكأنما يطأها كثيبا أهيل) بفتح فسكون فتحتية فلام وروى بميم وهما بمعنى أى رملا سائلا حيث لم يتضرر بها

أى قصة غورث (غير هذا) المذكور من ارادته القتل فانه روى انه جمع ناسا للاغارة على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم هربوا فى رؤس الجبال كما مر (وان) الامر والشأن فضميره مقدر (فيه) أى فى غورث (نزلت) آية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية وقيل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه) وهى يا أيها الذين آمنوا الى آخره أو قوله يعصمك من الناس (استلقى) أى نام صلى الله تعالى عليه وسلم واضعا ظهره على الارض لامنه أعداءه واطمئنان قلبه (ثم قال من شاء فليخذلنى) بخاء وذال مضمومة معجمتين والخذلان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشاء بمعنى الخبر أى انى غنى عن المعين والحرس لان الله تعالى وضمن لى ان لا يضرنى أحد يصل الى واذا استلقى على ظهره وأظهر هيئة الامن والتبرى من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضى ان هذا الآية مكية لان خوفه من قريش انما كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وتكرر النزول بعيد كما تقدم (وذكر عبد بن حميد) الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير فى تفسيره مرسلا (قال كانت حمالة الحطب) وهى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان بن حرب زوجة أبى لهب وسميت حمالة لانها كانت (تضع العضاة) بعين وضاد معجمتين واحدة العضاه وهو شجر له شوك اذا أوقد كان شديد الاحتراق فلذا قالوا نار الغضا للنار القوية وقوله (وهى جمر) يحتمل أن يكون تفسير العضاة لانه يطلق على ناره كما يطلق على محله قال

فسقى الغضا والساكنيه وانهم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

وأن يكون حالا من العضاة وجمر بمعنى متوقدة أى تضعه حالة كونه جمرا (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وممره من بيته للحرم وغيره تقصد بذلك أن يمشى عليه فيؤذيه ويؤثر فى قدمه وقد قيل فى تسميتها حمالة الحطب وجوه أخر مذكورة فى التفاسير منها انه على ظاهره ومنها انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة فكأنما بزيادة ما (يطؤها) أى يضع قدمه على تلك العضاة وهو حاف أو بنعل يؤثر مثلها فيه فيجدها (كثيبا) بالمثلثة ومثناة تحتية وحدة وهو ما اجتمع من الرمل (أهيل) مبنى للمجهول يقال أهال الرمل اذا أساله ولم يجمعه كالربوة والمشى عليه حينئذ أسهل وألين أى يجده صلى الله تعالى عليه وسلم سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام قال ابن نقيل

يمشين هيل النقا الانت جوانبه * ينهال حينا وينهال الثرى حينا

(وذكر ابن اسحق) امام أهل السير وهو محمد بن اسحق بن يسار الامام الثقة الصدوق وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة فى الميزان وغيره (انها لما بلغها نزول) سورة (تبت يدا أبى لهب وذكرها) مصدر مرفوع معطوف على نزول (بما ذكرها الله) به (مع زوجها من الذم) بيان لما وهو ما فى السورة (أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه أبو بكر رضى الله تعالى عنه وفى يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء وراء مهملة وهو حجر ملؤ الكف أو هو الحجر مطلقا وهو فى قوله يهود خرجوا من فهرهم بيت دراستهم كلمة معربة أصلها بهر بالباء وقوله (من حجارة) بيان لفهر (فلما وقفت عليهما) أى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر (لم تر الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها) أى قبض وحبس نظرها (عن نبيه صلى الله عليه وسلم) أى عن رؤيته وهو جالس عندها فاخفاه الله تعالى عصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم عن أذيتها وهذا يقتضى أن عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم (فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى) أى يذمنى على ان الهجو لا يختص بالشعر حقيقة أو مجازا أو هو منها التوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها تريد به ما نزل فى حقها فى سورة تبت (والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه) خصته لانه محل النطق بذمها فرجعت خاسئة وهذا رواه البيهقى وغيره عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كما رواه ابن اسحق (و) روى أبو نعيم فى الدلائل والطبرانى بسند جيد (عن الحكم بن أبى العاص) والد مروان وهو ممن أسلم عام الفتح وتوفى فى خلافة عثمان وفى الصحابة من وافقه فى اسمه واسم أبيه ولكن المشهور هو هذا فلذا لم يميزه المصنف (تواعدنا على النبى صلى الله عليه وسلم) أى تواعد هو وبعض الكفرة على قتله صلى الله تعالى عليه وسلم والفتك به فى بعض الليالى وخرجنا فى الميعاد فوقفنا نرقبه (حتى اذا رأيناه) أى لما قرب منا وأبصرناه بحيث تمكنا منه (سمعنا صوتا) أى صيحة عظيمة (خلفنا) أى من خلفنا (ماظننا انه لم يبق بتهامة أحد) ما يحتمل أن تكون زائدة ان كان التقدير انه لم يبق أحد بتهامة الا وقد هلك بتلك الصيحة وأن تكون نافية اذا أريد ان جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا فالمعنى انا تيقنا وجودهم خلفنا والمعنيان متقاربان والمآل واحد ولهم هنا كلام لم يفصح بالمراد وتهامة بكسر التاء معناها أرض منخفضة ويقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض أو شدة الحر والريح أو لتغير هوائها يقال تهم الدهر اذا تغير وهى أرض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق الى البحر والمدينة لا تهامية ولا نجدية (فوقعنا مغشيا علينا) من هول تلك الصعقة والغشى كالاغماء ذهاب العقل مع سقوط القوى (فما أفقنا) من ذلك الغشى (حتى قضى صلاته) أى فرغ منها وأتمها (ومضى الى أهله) أى رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر منه بشئ أردناه (ثم تواعدنا) على ما قصدناه وان نعود لذلك (ليلة أخرى فجئنا حتى اذا رأيناه) بقرbنا وهو مار للمسجد ليصلى به كما فى المرة الاولى (جاءت الصفا والمروة) هما ربوتان مرتفعتان فى محل سعى الحجاج معروفتان

(وذكر ابن اسحق عنها) أى عن حمالة الحطب ورواه أبو يعلى والبيهقى وابن أبى حاتم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما (انها) أى حمالة الحطب (لما بلغها نزول تبت يدا أبى لهب) وزيد فى نسخة وتب (وذكرها) أى وبلغ ذكر الله اياها (بما ذكرها الله مع زوجها من الذم) أى بقوله وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد (أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه أبو بكر وفى يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء بعدها راء حجر ملئ الكف (فلما وقفت عليهما) أى قريبا من مكانهما (لم تر) جواب لما أى ما رأت (الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها) أى صرفه وحجبه (عن نبيه عليه الصلاة والسلام فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى) أى يذمنى (والله لو وجدته) أى حاضرا أو لو صادفته (لضربت بهذا الفهر فاه) أى فمه فرجعت خائبة خاسئة (وعن الحكم ابن أبى العاص) والد مروان ابن الحكم عم عثمان بن عفان أسلم يوم الفتح وقد روى أبو نعيم فى الدلائل والطبرانى بسند جيد عنه (قال تواعدنا) أى اجتمعنا وتمالأنا معشرا من الكفار (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على قتل النبى المختار واستمر هذا الاصرار (حتى اذا رأيناه) أى فى موضع (سمعنا صوتا خلفنا) أى صوتا عظيما من ورائنا (ماظننا انه بقى بتهامة) أى بارضها والمراد بها هنا مكة (أحد) أى حيا هكذا فى والمراد
الاصول بقى ووقع فى أصل الدلجى لم يبق فتكلف بل تعسف حيث قال الظن وان ألم به حرف النفى فليس بمنفى بل المنفى ظناه هو البقاء أى ظننا انه لم يبق بتهامة أحد هذا وتهامة أولها من ذات عرق الى البحر (فوقعنا) أى سقطنا (مغشيا علينا) أى من فزع ما سمعنا وهول ما ظننا (فما أفقنا) أى ما انتبهنا (حتى قضى صلاته) أى فرغ عليه الصلاة والسلام منها (ورجع الى أهله) أى مضى كما فى نسخة (ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا) أى قاصدين له (حتى اذا رأيناه) أى خاليا فى مكان (جاءت الصفا والمروة) أى حضرتا أو تصور شئ بصورتهما

والمراد بمجيئهما تحركهما من مكانهما حتى كانا بينهم وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله (فخالت) أي الصفا والمروة (بيننا وبينه) فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله تعالى له والصفا كالمروة مؤنثة باعتبار البقعة والربوة وأفرد ضميرهما وكان الظاهر فخالتا تأويله بحالت كل واحدة منهما وفي هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (وعن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (تواعدت أنا) أكد ضميره ليعطف عليه قوله (وأبو جهم بن حذيفة) واسمه عامر أو عبيد بن حذيفة بن غانم بن عامر العدوى أسلم عام الفتح وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معظما في قريش توفى في أيام معاوية رضى الله تعالى عنه وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية (ليلة) منصوب على الظرفية منون (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) منصوب على انه مفعول له أو بنزع الخافض أى على قتله أو لقتله أو عقد رأى وأضمرنا قتله ونحوه (فجئنا منزله) ليلا خفية (فسمعنا اليه) وفي نسخة له وفي نسخة فتسمعنا أى أطلنا السماع لا تكافنا كما قيل وعداه بالحرف لتضمنه معنى أصغينا القراءته حتى نسمعها وهو يقرؤ في صلاة الليل (فافتتح) ابتدأ قراءته (وقرأ الحاقة ما الحاقة) حتى انتهى (الى) قوله (فهل ترى لهم من باقية) يعني قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد بالحاقة ما حق وقوعه بهم من الداهية أو الساعة التى وقعت فيها من حق بمعنى وجب وثبت وقوله وما أدراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة الحد وهى الصيحة أو الرجفة وغايته شديدة العتو والطغيان والحسوم أيام نحسة من صبيحة يوم الاربعاء الى أربعاء آخر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفي أى ما ترى لهم بقية أو بقاء على انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل في كلامهم أو نفسا باقية (فضرب أبو جهم على عضد عمر رضى الله تعالى عنه وقال) لعمر رضى الله تعالى عنه (أنج) أى قم لتنج من وقوع الهلاك بك خوفا من ان يحل بهما ما حل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب أولئك رسلهم (وفرا هاربين) أى قاما من محلهما مسرعين جادين في الهرب لخوفهما مما ذكر وهو كقوله تعالى فتبسم ضاحكا فهاربين حال مؤكدة وعلى الاول هو تجريد نحوى (فكان) أى ما ذكر من هذه القضية (من مقدمات اسلام عمر رضى الله تعالى عنه) لتأثيرها في قلبه فاسلم بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه في مسند أحمد بما يقرب منه وهو ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال خرجت ليلة لاتعرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح الحاقة فجلست أعجب من تأليف القرآن وقلت والله ما هو بشاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت هو كاهن فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخره فوقع الاسلام في قلبي كل موقع وليس فيه انه صحب أبا جهم وفي التعبير عن التبعيضة اشارة الى ان له مقدمات أخر الى ان أسلم لما سمع سورة طه في بيت أخته في قصته المشهورة (ومنه) أى مما يشهد لان الله تعالى عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم من أعدائه (العبرة المشهورة) بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهو الامر العجيب الذى يعتبر به ويتعظ من الاعتبار والعبرة هى الحالة التى يتوصل بها من

(خالتا بيننا وبينه وعن عمر تواعدت أنا وأبو جهم ابن حذيفة) بالرفع هو عبد الله بن حذيفة بن غانم العدوى أسلم عام الفتح وصحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان مقدما في قريش معظما وكانت فيه وفي بنيه شدة وقد أدرك بنيان الكعبة حين بناها ابن الزبير فعمل فيها ثم قال قد عملت في الكعبة مرتين مرة في الجاهلية بقوة غلام يافع وفي الاسلام بقوة شيخ فان وهو صاحب الانبجانية (ليلة) أى من الليالى حال غفلة (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب على نزع الخافض وهو على كما في نسخة صحيحة (فجئنا منزله) أى لنتفحص حاله (فسمعنا له) أى صوتا وفي نسخة فتسمعنا له أى اصوته (فافتتح) أى ابتدأ القراءة (وقرأ الحاقة) أى الساعة الواجب وقوعها الثابت مجيئها وتحقق الامور فيها وتعريف حقيقتها (ما الحاقة) خبر المبتدأ أى أى شئ هى فوضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها (الى فهل ترى لهم من باقية) أى ما ترى لهم من بقية أو بقاء أو نفس باقية وما بينهما معلوم من القرآن وتفسيره مما لا يحتاج الى البيان (فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال) عمر (انج) أمر من نجا ينجو (وفرا) وفي نسخة ففرا أى ذهبا كلاهما (هاربين) أى شاردين وفيه مبالغة لا تخفى (فكانت) أى القضية وقال الدلجى أى المواعدة أو قراءة الحاقة (من مقدمات اسلام عمر) أى مقتضياته وكذا من اسلام أبي جهم على ما تقدم (ومنه) أى ومن قبيل أخذ بصر الاعداء محافظة لسيد الاحباء (العبرة المشهورة) بكسر العين وهى ما يعتبر من القضية العامة

(والـكفاية التامة عند ما أخافته قريش) أى خوفوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (واجتمعت) وفى نسخة واجمعت أى عزمت (على قتله و بيتوه) بتشديد التحتية أى دبروه ليلة ليقتلوه غيلة على غرة وغفلة (فخرج عليهم من بيته) كما رواه ابن اسحق والبيهقى عنه عليه السلام (فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على أبصارهم) أى حجبها عن رؤيته (وذرا التراب) بذال معجمة فراء مشددة أى نثره وفرقه (على رؤسهم) قال الحلبى وكانوا مائة وفى نسخة بتخفيف الراء فهمزة وهو تصحيف وتحريف (وخلص منهم) أى نجا وتخلص من غير ان يصيبه شئ وفى رواية انه خرج من ظهر البيت طاطات له جارية اسمها مارية اسمها خادمته عليه الصلاة والسلام حتى تسور الجدار الذى للبيت من ظهره (وحمايته) أى ومنه حفظه بحجبه (عن رؤيتهم) أى له ولابى بكر (فى الغار) متعلق باحد المصدرين وقال الدلجى حال والتقدير وهما فى الغار وهو تكلف بل تعسف (بما هيأ الله) أى قدره (له من الآيات) أى من خوارق العادات (ومن العنكبوت) عطف بيان لبعض ما قبله (الذى نسج عليه) أى على باب الغار وهو غار ثور جبل بمنة مكة (حتى قال أمية بن خلف) وهو ممن مات كافرا (حين قالوا) أى أصحابه (ندخل الغار) بصيغة الاخبار على تقدير الاستفهام وروى أدخل فعل أمر أى رجاء ان يكون فيه مخفيا (ما أربكم فيه) بفتح الهمزة والراء وهو مقول أمية أى أى شئ وجوده حاجتكم الداعية لدخولكم فى الغار (وعليه من نسج العنكبوت ما أرى) بضم الهمزة وفتحها أى شئ أظن (انه قبل ان يوجد محمد) أى كائن أو موجود على باب الغار وفى نسخة انه الاصل قبل ان يولد محمد وفى نسخة ما رابكم بدل ما أربكم أى أى شئ أوقعكم فى الريبة وشبه المظنة انه فى الغار والحال الخ

معرفة الشاهد الى الغائب من العبور ومنه العبارة وأشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين (والـكفاية التامة) أى كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره كما قال الله تعالى عز وجل يا أيها النبى حسبك الله (عند ما أخافته قريش) تفعل من الخوف وهو توقع المكروه يقال خوفه وأخافه اذا فعل أو قال ما يدل على انهم بايقاع المكروه به وفسره بقوله (واجتمعت على قتله) أى اتفقوا على ذلك الا القليل منهم لقلتهم لم يعدوا (و بيتوه) أى قصدوا قتله وايقاعه ليلا فى خفية قال الراغب التبييت قصد العدو ليلا و يقال لكل فعل دبر بالليل بيت قال الله تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعلى هذا حديث لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى و يقال هذا أمر بيت بليل أى دبر فعله ليلا ليوقع غيلة على غيره (فخرج عليهم صلى الله تعالى عليه وسلم من بيته) وهم لا يشعرون كما رواه ابن اسحق والبيهقى (فقام على رؤسهم) أى وقف عندهم وهم نيام (وقد ضرب الله على أبصارهم) أى لم يحسوا به و يروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه وقد كانوا أحاطوا ببيته ليقتلوه عليه الصلاة والسلام (وذر) بذال معجمة وراء مهملة مشددة أى نثر (التراب على رؤسهم) اهانة لهم (وخلص منهم) أى نجا مما دبروه وهموا به وأصل ذلك كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قريشا حين أسلم الانصار رضى الله عنهم خافوا ان يتفاقم أمره عليه الصلاة والسلام عليهم فاجتمع كبارهم فى دار الندوة واتفقوا على قتله و بيتوه فخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل فى السير وذكر فيها هؤلاء اجتمعوا و بيتوا باسمائهم وانهم نحو مائة وانه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطأطأت له جارية اسمها مارية خادمته حتى تسور الجدار الذى من ظهر البيت (وحمايته) أى حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه بعصمته من أعدائه ومنعهم (عن رؤيتهم) اياه وأبا بكر وهما (فى الغار) أى غار ثور وثور اسم جبل بمنة مكة والغار كالمغار نقرة فى الجبل كالبيت وسمى بثور بن عبد مناف لنزوله به و يقال له ثور المحل وهو اسم جبل آخر خلف أحد (بما هيأ الله) أى بما أعده و يسره له والجار متعلق بحمايته والباء للسببية العادية (من الآيات) بيان لما أى المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته (ومن العنكبوت الذى نسج عليه) نسج سنين فى طرفة عين والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث ونسجها خيوط دقيقة تمدها فى الهواء لصيد الذباب وانما يكون ذلك فى مكان خال لا يمر به شئ (حتى قال أمية بن خلف) أحد صناديد قريش وقد تقدم انه مات كافرا بسرف وهو اسم موضع معروف (حين قالوا) أى كفرة قريش لما قصدوا أثره صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار (ندخل الغار) لتفتيشه لاحتمال انه مختف به (ما أربكم) بفتح الهمزة والراء المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة وتسكين الراء وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية أو نافية أى ليس لكم مطلوب وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة (فيه) أى فى الغار (وعليه) أى على فم الغار ومدخله وروى ما أرابكم من الريبة أى ما أوقعكم فى الشك فيما لا شك فيه (من نسج العنكبوت ما أرى) بضم الهمزة وفتحها أى أظن واعتقد (انه) قديم (قبل ان يولد محمد) أى قبل

وجوده ولادته لان مثله لا يكون الا في غاية غوايته وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل

القنى فى لظى فان احرقتنى * فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيرى رحمه الله تعالى

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

(ووقفت حمامتان) ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما مثله لا يكون الا فى محل خال من الناس ووقفت بالفاء وروى بالعين المهملة من وقوع الطائر وهو نزوله بمحل (على فم الغار) أى مدخله (فقال قريش لو كان فيه) أى فى الغار (أحد لما كان هناك الحمام) لما عرفته آنفا وفى نسخة هنالك باللام وهو اسم اشارة لمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله أمر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين عنه وحمام مكة من فراخهما وفى المواهب ان الحمامتين باضتا فى أسفل فم الغار ونسج العنكبوت عليه فقالوا لو دخله لانكسر البيض وزال النسج وروى أيضا كما تقدم انه نبت فى فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الراء وهى شجرة مقدار القامة لها زهر ونور كالقطن يحشى به الوسائد كما أمرها الله بان تنبت لتسترهما لما أقبل فتيان قريش بسلاحهم حتى أتوا الغار فلما رأوا ما به من الامور المذكورة رجعوا وقال أبو بكر لو نظر أحدهم الى قدمه رآنا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة أثرهما فانتهى للغار فلما رآهم أبو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته لانه أحب اليه من نفسه وكل شئ واسع أبو بكر فى هذه الليلة غير مرة فخرق ثوبه وجعله فى الشقوق التى فى الغار وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقام فيه ثلاثة أيام ثم خرج منه فلقيه سراقة ولذلك ذكر المصنف قصته عقب ذلك بقوله (وقصته) صلى الله عليه وسلم أى ومما يدل على عصمة الله له وحمايته مع يده الواقعة له (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم الجيم والشين وروى فتح شينه أيضا وفى بعض النسخ شجعم بتقديم الشين كما فى المقتفى وفيه نظر وقصته فى الصحيحين وهى مشهورة وفقاتهم كما ذكره المصنف جعلوا لكل من دل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم جعلا عظيما وهو ان لكل من قتله أو أتى به دية فلما خرج من الغار رآه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت قوائم فرسه الى ابطها فى الارض لدعائه عليه كما يأتى بقوله اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم فى مرجع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حنين فهو صحابى مدلجى حجازى كنانى وهو الذى أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلبس سوارى كسرى لما رأى ذراعيه دقيقتين أشعرين فى حديثه المشهور المتقدم وقوله (حين الهجرة) أى فى وقت هجرته من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة تاريخهم يوم الثلاثاء بقديد والهجرة ترك الوطن من الهجر وهو بكسر الهاء وفتحها وقد تقدم (وقد جعلت قريش) جملة حالية وجعلت من الجعل وهو ما يعطى فى مقابلة عمل ما (فيه) أى فى شأن رسول الله والاخبار به (وفى أبى بكر) لانه كان رضى الله عنه معه كما علمت (الجعائل) جمع جعيلة وهى كالجعالة معنى والجعالة مثلثة الجيم ويقال جعال ككتاب وجعل بزنة قفل ومعناه تقدم وثالث الجعالة كما قال السهيلى كانت مائة ناقة أى حمراء كما قاله الماوردى فى الاعلام (وانذر به) بالبناء للمجهول أى أعلم

(ووقفت) بالفاء وروى بالعين أى سقطت (حمامتان على فم الغار) وهو نقب فى الكهف (فقالت قريش) أى كلهم أو بعضهم (لو كان فيه أحد لما كانت هنالك الحمام) أى لكمال نفرته عن الاناء (وقصته) أى ومن ذلك قصته عليه السلام كما رواه الشيخان عن البراء (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم جيم وشين معجمة (حين الهجرة) بكسر الهاء وقال التلمسانى بفتح وبكسر (وقد جعلت قريش فيه) أى فى حق النبى (وفى أبى بكر) أى فى أخذهما (الجعائل) جمع جعيلة أو جعالة بالفتح وهى الاجرة على شئ فعلا أو قولا والجعل بالضم الاسم وبالفتح المصدر فتدبر وقد عين السهيلى ذلك فقال بذلت قريش مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فانذر به) على بناء المفعول أى فاعلم سراقة بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا الى المدينة

سراقة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقال أنذرته بكذا بنون ومعجمة وراء أي أعلمته ويكون الانذار بمعنى التخويف أيضا وكيفية الاعلام مشهورة في السير أيضا وحاصلها ان رجلا أتى سراقة وقال له اني رأيت اسودة بالساحل أظنهم محمدا وأصحابه فقال بعدما عرف انهم هم ليسوا هؤلاء ثم أخرج بعد ذلك فرسه وذهب خلفهم فكان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه) أي غاصت في الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخاء معجمة في آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه كلمة أهل اللغة وفي القاموس ساخت قوائمه ثاخت والشيء رسب والارض بهم سيوخا انتهى وثاخت في تفسيره بثاء مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره في فصله وقد تحرف على الشارح الجديد فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغي هذا والذي ينبغي ان يفسره بغاصت وهو غلط فاحش منه وقوائم الفرس رجلاها ويداها (فخر عنها) أي سقط من فوق ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه لما لحقه كما مر وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتؤنث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقد نقل بعض أهل السير ان الصديق رضي الله تعالى عنه له قصيدة قص فيها هذه القصة منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها * من مدلج قابس في منصب واري
يردي به مشرف الاقطار معتزم * كالسيد ذي اللبدة المستأسد الضاري
فقال كروا فقلنا ان كرتنا * من دونها لك نصر الخالق الباري
ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه * فانظر الى أربع في الارض غوار
فهيل لما رأى ارساخ مهرته * قد سخن في الارض لم يحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسي * وتأخذوا موثقي في نصح أسراري

(واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهي قداح أي سهام لا ريش لها ولا نصل كانوا في الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعضها لا تفعل ويضعونها في متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلما يتفاءلون به فيفعلون أو يتركون وهو معنى الاستقسام أي طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل أي خال من الكتابة فاذا خرج غير الغفل عملوا به وان خرج الغفل أعادوا حتى يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام أخر أي سهام كانت في الكعبة مكتوب عليها النوازل وهي التي استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده وكذا كان عند كهانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التي كانوا يقامرون بها وقيل الازلام حصى صغار يتفأل بها والصحيح الاول (فخرج له) أي لسراقة (ما يكره) أي ما لم يرده لانه أتى ليرده صلى الله تعالى عليه وسلم وأبا بكر ويأخذ من قريش الجعل المتقدم فخرج له لا تفعل فلم ينته (ثم ركب) فرسه ثانيا بعدما سقط عنها وساخت قوائمها (ودنا) أي قرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سائر يقرؤ (حتى اذا سمع قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت) اليه لعدم مبالاته ولاعتماده على ربه (و) كان (أبو بكر يلتفت) وراءه لخوفه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(فركب فرسه واتبعه) بتشديد الفوقية أي تبعه رجاء ان يلحقه (حتى اذا قرب) بضم الراء أي دنا منه (دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لما رأى عليه من آثار الشر وتوهم الضر (فساخت) بالخاء المعجمة أي غاصت وغابت في الارض وانخسفت (قوائم فرسه فخر عنها) أي فسقط أو فنزل عنها (واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين أو بضم ففتح وهي سهام لا ريش بها ولا نصل كان يكتب على أحدها أفعل وعلى الآخر لا تفعل وغيرهما مغفل وكان محلها داخل الكعبة عند السدنة كما في تفسير قوله تعالى وان تستقسموا بالازلام وكان بعضهم يضعها في متاعه وجعبته فاذا عرض له مهم أخرج منها سهما فان خرج له أفعل فعل أو لا تفعل انفعل وان خرج المغفل اعاد العمل وقيل كان المكتوب على الواحد أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي والثالث غفل لا شيء عليه وقيل ان الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها الذلك والاول اعرف وأصل معنى استقسم ضرب بها الاخراج ما قسم الله له من أمره ونهيه طلب معرفة تمييزه بكونه ان خرج له ما يحب فعله أو خرج له ما يكره كف عنه وهذا كله بناء على زعمه (فخرج له ما يكره) أي من الفال وعلى كل قال مع هذا ما التفت عن تلك الحال (ثم ركب فرسه ودنا أو حتى سمع قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو) أي النبي (لا يلتفت) أي اليه أو مطلقا (وأبو بكر يلتفت) أي الى سراقة أو الى جوانبه أو الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

أوليرى ما يصدر من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له فى الغار لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فتدبر (فقال) أبو بكر (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (أتينا) بالبناء للمجهول أى أتانا العدو وأدركنا من يطلبنا منهم (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تحزن) ولا تخف من أتانا (ان الله معنا) أى مصاحبنا الصحبة الغائبة بتأييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعداء فلا تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لتمكنه وشدة ثقته وحزن أبى بكر رضى الله تعالى عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر وليس بمعصية لنهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لانه أمر طبيعى ولا نسيانا لقوله له فى الغار فان المحب ظنين وضنين بمحبوبه لا سيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج لمزيد البيان فانه تطويل بغير طائل (فساخت) قوائم فرس سراقة مرة (ثانيـة) بعد المرة الاولى (الى ركبتيها) تثنية ركبة هى ما بين يديها ورجليها (وخر عنها) أى وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها (وزجرها) أى صاح عليها (فنهضت) أى قامت وخلصت قوائمها من الارض (ولقوائمها مثل الدخان) أى غبار مرتفع فى الجو كأنه دخان كما ورد التصريح به فى السير قال ابن سيد الناس ولقوائمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة ومثلثة هو الغبار هنا او يكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخاء وقد تشدد ويقال دخ ودخن والكل بمعنى وفى رواية ولقوائمها دخان وهو استعارة للغبار (فناداهـم) أى نادى سراقة رسول الله وأبا بكر الصديق وعامر بن فهيرة رفيقهما (بالامان) أى رفع صوته به قائلا لهم الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تأمينهم منه وانهـم لا يلحقهم منه ضرر وخوف باخباره الاعداء وطلب منهـم والمراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعائه عليه وقد ورد التصريح بالامانين فى سيرة ابن اسحق والى الثانى أشار بقوله (فكتب له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) أى أمر بكتابته له فالاسناد مجازى لقوله (كتبه) أى كتاب الامان وهو رقعة من ادم وفى رواية ابن اسحق فكتب لى كتابا فى عظم أو رقعة أو خرقة ثم القاه الى فاخذته ثم جعلته فى كنانتى ثم رجعت (ابن فهيرة) مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنه وهو من مولدى الازد مملوك للطفيل فاشتراه أبو بكر رضى الله تعالى عنه منه وأعتقه وأسلم وكان يرعى غنما لابى بكر رضى الله تعالى عنه ويجىء لهما كل ليلة فى الغار باللبن يتغذيا به ثم هاجر معهما وشهد بدرا واحدا وقتل ببئر معونة فلم يوجد جسده مع القتلى فيقال ان الملائكة دفنته وقيل رفعته الى السماء (وقيل) كتبه (أبو بكر رضى الله تعالى عنه) وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه أولا فلم يرض سراقة بكتابته وطلب كتابة أبى بكر رضى الله تعالى عنه لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب تزيد على الاربعين مذكورة فى المفصلات وأفردهم ابن أبى الحديد بتأليف مستقل (وأخبرهم) أى أخبر سراقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه وابن فهيرة (بالاخبار) أى باخبار قريش وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعائل لمن أتى بهم أو قتلهم ديتهم كما مر

(وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتينا) بصيغة المجهول أى لحقنا من طلبنا أو لحقونا وأتانا البلاء وجاءنا العناء (فقال لا تحزن ان الله معنا) أى ناصرنا معيننا أو معية خاصة من قرب الرب اليناوفيه ايماء الى ما ورد من ان الله يتجلى للناس عامة ولابى بكر خاصة (فساخت) أى قوائم فرسه (ثانية) أى مرة أخرى (الى ركبتها وخر عنها فزجرها) صاح عليها ونهرها (فنهضت) أى فقامت ووثبت (ولقوائمها مثل الدخان) بتخفيف الخاء وتشدد أى من آثار الغبار المرتفع (فناداهم) أى النبى والصديق وعامر ابن فهيرة مولى أبى بكر (بالامان) أى بطلبه (فكتب له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) أى أمر بكتابته له وقوله (كتبه ابن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وسكون الياء كان اسود وهو ممن عذب فى الله قتل ببئر معونة والتمس ليدفن فلم يوجد فرأوا ان الملائكة دفنته وهو قديم الاسلام أسلم قبل ان يدخل عليه السلام دار الارقم ابن أبى الارقم ثم ما تقدم هو فى الصحيح قال التلمسانى اشتراه أبو بكر من الطفيل بن عبد الله بعد ما أسلم فاعتقه وكان يرعى الغنم فى جبل ثور ثم يروحها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر فى الغار وكان رفيقهما الى المدينة حين هاجرا وشهد بدرا وأحدا وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة يروى عنه انه قال حين طعنت ابن فهيرة رأيت نورا خرج من الطعنة (وقيل أبو بكر) أى ونقل فى السيرة انه كتبه أبو بكر وجمع بان عامرا كتبه اولا فلم يرض سراقة الا بكتابة أبى بكر لسيادته المعروفة فى قريش وان عامرا مولاه قال الحلبى وكتابه عليه الصلاة والسلام نيف وأربعون نفرا ومنهم الخلفاء الاربعة وأكثرهم ملازمة لكتابته عليه السلام زيد بن ثابت ثم معاوية ابن أبى سفيان بعد الفتح ذكر ذلك غير واحد من الحفاظ انتهى وقيل معاوية لم يكتب الوحى وانما كتب غيره والله تعالى أعلم (وأخبرهم) أى سراقة (بالاخبار) أى أخبار الاغيار من كفار قريش وما جعلوه من

الجعائل فيهما (وأمره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يترك أحدا) أى ممن يلقاه من ورائه (يلحق بهم) بل يدفعه عن اتصاله اليهم ويلحق بالرفع وهو حال وفى نسخة بالنصب ووجهه اسقاط ان وابقاء عملها وهو قليل ومعناه هنا بعيد جدا (فانصرف)

(وأمره النبى صلى الله عليه وسلم) أى أمر سراقة (ان لا يترك أحدا) من قريش أى لا يدع أحدا ويكتم باخبارهم حتى (يلحق بهم) أى يسير خلفهم ويصل اليهم بان يقول لم أرهم ونحوهم ولو كذبا اذ قد يجوز عند الضرورة والحاجة وقد يجب وفى حديث أنس رضى الله تعالى عنه فقال يا نبى الله مرنى بما شئت قال تقعد مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا قال فكان أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له (فانصرف) أى رجع سراقة عنهم حال كونه (يقول للناس) جملة حالية مضارعية لا تقترن بواو فى الفصيح أى قائلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم فقوله (كفيتم ماهنا) معناه ارجعوا كفيتم الطلب فانى لم أجدهم وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية أى ماهنا أحد وان كان المراد النبى ورفيقاه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما هنا من الخوف والى كلا الوجهين ذهب الشراح وفى الشرح الجديد خلط هنا غنى عن الرد وذكر ابن سعد رضى الله تعالى عنه انه لما رجع قال لقريش قد عرفتم بصرى بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيأ فرجعوا (وقيل بل قال لهما) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر رضى الله تعالى عنه ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاءهما لاعتقاده فيهما (أراكما دعوتما على) فلذا كادت الارض تبتلعنى (فادعوا لى) بالسلامة فدعوا له (فنجا) أى ذهب آمنا مما خافه (ووقع فى نفسه) أى خطر بباله ووقر فى قلبه واعتقد لما شاهده (ظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ظهوره على أعدائه وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن اسحق وقال أبو جهل لما بلغه ما لقى سراقة فلامه فى تركهم فانشد

بنى مدلج انى لاخشى سفيهكم * سراقة يستغنى بنصر محمد
عليكم به ان لا يفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسودد

فاجابه سراقة بقوله

أباحكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادى اذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا * نبى وبرهان فمن ذا يكاتمه
عليك بكف الناس عنه فاننى * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

كذا فى سيرة مغلطاى رحمه الله تعالى (وفى خبر آخر) يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه (ان راعيا) من رعاة الغنم فى البرية (عرف خبرهما) أى خبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بوقوفه على مكانهما فى الغار (فخرج) الراعى من محله (يشتد) أى يسرع فى مشيه قال الراغب اشتد اذا أسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما أسرع لاجل ان (يعلم قريشا) بخبرهما ومكانهما (فلما ورد الى مكة) أى جاءها من محله الذى رعى فيه الغنم وأصل الورود المجىء للماء فاستعير للغريب القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه (ضرب) بالبناء للمجهول أى ضرب الله (على قلبه) أى منع من الادراك وذهل عما جاء له كقوله تعالى وضربنا على آذانهم وهو مستعار من ضرب الخيمة فى الارض ليضرب أوتادها وأصله ايقاع شىء على شىء كما قاله الراغب فليس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل (فما يدرى) ويعرف (ما يصنع) ويقول (وأنسى) مجهول أيضا (ما خرج له) أى ما جاء له من مكانه الذى خرج منه (حتى رجع الى موضعه) الذى جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية (و) فى دلائل أبى نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم (جاء فيما ذكر ابن اسحق) فى سيرته (وغيره أبو جهل) عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله تعالى وهو فاعل جاء وقوله (بصخرة) متعلق به أى حجر كبير (وهو)

أى سراقة (يقول للناس) أى المقبلين لطلبهم (كفيتم) بصيغة المجهول (ماهنا) أى ما يتصور وجوده فى جهتنا أو المعنى ليس أحد ممن تطلبونه ههنا وأغرب التلمسانى فى قوله أمنتم من خوفكم وعصمتم مما هنا (وقيل بل قال لهما) أى سراقة (أراكما دعوتما على) أى بالمضرة (فادعوا لى) أى بالمنفعة (فنجا) أى بعد ما دعواله (ووقع فى نفسه ظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فكان من مقدمات اسلامه (وفى خبر آخر) غير معروف عند أهل الاثر (ان راعيا عرف خبرهما) أى من انهما توجها الى صوب المدينة ونحوها (فخرج) أى من مكانه (يشتد) أى يعدو عدوا سريعا (يعلم) أى حال كونه يريد ان يعلم وفى نسخة ليعلم (قريشا) أى باحوالهما (فلما ورد مكة ضرب) بصيغة المفعول أى ضرب بعض حجبه (على قلبه) وحبس على خاطره (فما يدرى ما يصنع) أى من كمال الذهول والغفلة والدهشة والوحشة (وانسى ما خرج له) أى لاجله أى وفى نسخة اليه أى الى حصوله (حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق) فى المغازى (وغيره) كأبى نعيم فى الدلائل عن ابن عباس انه أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (أبو جهل بصخرة وهو) أى والحال انه عليه الصلاة والسلام

(ساجد وقريش ينظرون) أى اليه كما فى نسخة (ليطرحها عليه) وحلف لئن رآه ليدمغنه (لزقت) بكسر الزاى أى لصقت كما فى رواية (بيده ويبست) بكسر الموحدة أى جفت (يداه الى عنقه) أى مغلولتين اليه وممنوعتين من الحركة فى طرحها عليه (وأقبل يرجع) أى شرع راجعا (القهقرى) بفتح القافين مقصورا هو الرجوع الى الوراء فقوله (الى خلفه) تأكيد لما قبله أو تجريد لمعناه من أصله (ثم سأله) أى أبو جهل (ان يدعو له ففعل) أى دعا له ولم يؤاخذه كرما وشفقة وحلما ولما كان بينهما قرابة ورحما يقتضى انعطافا ورحما (فانطلقت يداه) أى عقب ما دعا الله تعالى (وكان) أى أبو جهل (قد تواعد مع قريش بذلك) أى بطرح صخرة عليه (وحلف) أى عندهم (لئن رآه) أى ساجدا كما فى نسخة (ليدمغنه) أى ليصيبن دماغه وليهلكنه (فسألوه عن شأنه) أى عن رجوعه بعد ظهور طغيانه (فذكر انه عرض لى) وفى نسخة له أى ظهر (دونه) أى بين يديه أو حواليه (فحل) أى من الابل أو نحوه (ما رأيت مثله) أى عظمة وهيبة (قط) أى أبدا (هم) وفى نسخة فهم (بى) أى قصدنى (ان يأكلنى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل) أى تمثل له بصورة الفحل (لو دنا) أى قرب منى (لأخذه) أى أخذ عزيز مقتدر (وذكر السمرقندى ان رجلا من بنى المغيرة) وهو أبو جهل ابن هشام بن المغيرة أو أحد أقاربه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) أى محا ونور نظره (فلم يره) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (وسمع قوله فرجع الى أصحابه) أى وهو أعمى (فلم يرهم حتى نادوه) أى فعرف مكانهم ثم رآهم أو استمر على عماه

أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد (ساجد وقريش ينظرون) اليه ما يصنع وكان ذهب (ليطرحها) أى ليرمى الصخرة (عليه) وفى نسخة هنا وقد كان حلف ان رآه ساجدا ليدمغنه أى ليضربه بها ضربة تكسر رأسه وتقلع دماغه وتسمى هذه الدامغة أحد الشجاج التى ذكرها الفقهاء فى الجنايات (لزقت) الصخرة بيده ولم يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولزق بلام وزاى معجمة لغة فى لصق بالصاد بمعنى التصق (ويبست يداه الى عنقه) أى تشنجت بحيث لا يمكنه تحريكها (وأقبل) أى انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه (يرجع) أى راجعا (القهقرى) بمعناه (الى خلفه) موليا عن وجهته وفى العين القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع (ثم سأله) أى سأل أبو جهل لعنه الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعو له ففعل) أى دعا له صلى الله تعالى عليه وسلم لكرمه وحلمه (فانطلقت يداه) أى عادتا لما كانتا عليه ولم يلتصقا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان) أبو جهل (تواعد مع قريش بذلك) أى بطرح الصخرة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رآه يصلى (وحلف لئن رآه ساجدا ليدمغنه) أى ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه وهى أحد الشجاج يقال دمغه اذا أصاب دماغه فقتله وهذا تقدم فى بعض النسخ كما مر وليدمغنه بفتح الياء وجوز بعضهم ضمها والظاهر الاول (فسألوه) أى سأل قريش أبا جهل (عن شأنه) أى أمره وما منعه عما قصده (فذكر) لهم (انه) أى الشأن أو أبو جهل (عرض لى) أى له كما فى نسخة ففيه التفات وقيل غلب معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال (دونه) ظرف أى حال بينى وبينه (فحل) أى جمل عظيم هائج وهو مخصوص بالبعير الذكر (ما رأيت مثله) فى عظمته وشدته (قط) أى فى جميع الزمن الماضى وهى ظرف لتوكيد نفى الماضى بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة وكسرها وسكونها مخففة (هم بى) أى عزم على الحملة على والهجوم وقوله (ان يأكلنى) بدل اشتمال من ضمير المتكلم أى هم بأكلى (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) لما سمع مقالتهم (ذاك جبريل) تمثل له بصورة فحل (لو دنا) أى قرب أبو جهل من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالصخرة التى أراد طرحها (لأخذه) وأكله وأهلكه أخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما فى دلائل البيهقى والسير ان أبا جهل قال يا معشر قريش ان هذا الرجل قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وآلهتنا وتسفيه أحلامنا وانى أعاهد الله لاجلسن غدا عند الحجر بحجر ما أطيق حمله فاذا سجد رضخت به رأسه فامنعونى واصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لاحد فامض لما تريد فلما أصبح جلس ينتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما هو فاعل فلما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فعل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وله وقائع مثل هذه حماه الله منها وعصمه (وذكر السمرقندى) امام الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان رجلا من بنى المغيرة) بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم جد أبى جهل وهذا الرجل قال البرهان لا أعرفه وقال غيره انه الوليد بن المغيرة وقيل انه أبو جهل (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) أى غطاه وغشاه حتى لم ير لا انه أعماه وأذهبه بالكلية كما دل عليه قوله (فلم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه)

(وذكر) أى السمرقندى (ان فى هاتين القصتين) أى قصة أبى جهل والتى بعدها وروى القضيتين (نزلت انا جعلنا فى أعناقهم اغلالا الآيتين) وفى نسخة الى قوله مقمحون والاقماح رفع الرأس وغض البصر وقد روى أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس بلفظ ان ناسا من قريش قاموا ليأخذوه فاذا أيديهم مجموعة الى أعناقهم واذاهم عمى لا يبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لا يؤمنون (ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق) أى وغيره كما فى نسخة صحيحة

باسمه فعرف مكانهم وأتاهم ثم رآهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمى وذهب بصره (وذكر) السمرقندى (ان فى هاتين القصتين) أى قصة أبى جهل وقصة هذا الرجل (نزلت انا جعلنا فى أعناقهم اغلالا الآيتين) يعنى فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون قال البغوى فى تفسير هذه الآية نزلت فى أبى جهل ورفيقه المخزومى حين حلف ان رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضخن رأسه وذكر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى غير قوله انه حال بينه وبينه فحل وقال المخزومى أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلى فأعماه الله الى آخر ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى وفى تفسير القرطبى انها نزلت فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين ثم ذكر قصة أبى جهل وان صاحبه الثانى هو الوليد بن المغيرة وانه الذى أعمى الله بصره ولم ير أصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله لأشدخن رأسه وانه رجع وقال بعدما خر مغشيا عليه وسئل عن أمره فقال حال بينى وبينه فحل لو دنوت منه أكلنى وانه لم ير مثله فنزلت هذه الآية فقيل انه معارض لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فانه يقتضى ان الذى حال بينه وبينه الفحل الرجل الثانى لا أبو جهل وأما كونه من بنى المغيرة أو مخزوميا فلا منافاة فيه لان كلا نسبه الى أحد جديه كما مر وأجيب بان قصة أبى جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة مع غيره أو اقتصر فى هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والآية على هذا من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمى بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الآية تعزير لتصميم أهل مكة على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه وبين ما قبله لصدق هذا على ما قبله ومن هذا علم ما فى كلام البيضاوى من سؤال يجاب كما بيناه فى حواشيه (ومن ذلك) أى حفظ الله وعصمته (ما ذكره ابن اسحق) امام أهل السير فى سيرته (وغيره) كالكلبى فى تفسيره (فى قصته) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذ خرج الى بنى قريظة) بالظاء المعجمة وصيغة التصغير كجهينة قبيلة من يهود خيبر معروفة (فى أصحابه) أى فى جماعة منهم أبو بكر وغيره (فجلس) مستندا (الى جدار بعض آطامهم) بالمد والطاء المهملة جمع أطم بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر (فانبعث) مطاوع بعثه فانبعث أى توجه وقام وأصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا أسرع واندفع (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة وآخره شين معجمة وهو من بنى قريظة قتل كافرا (أحدهم) أى بنى قريظة (ليطرح) من فوق الجدار (عليه) صلى الله عليه وسلم (رحى) يقتله بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جلس تحت الحائط تخافتوا بينهم وقالوا لن تجدوه على مثل هذه الحالة أبدا فمن يعلو الجدار ويرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا لنقض العهد بيننا وبينه فأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك (فقام النبى صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة) وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم

كالكلبى فى تفسيره (فى قصته اذ خرج الى بنى قريظة) وقال الحجازى وغيره الذى ذكره ابن اسحق وغيره من أهل السير ان ذلك كان من بنى النضير وهو سبب غزوهم لا من بنى قريظة فان سببهم غزوة الخندق ثم قريظة والنضير اخوان هما ابنا الخزرج من ذرية هرون أخى موسى عليه السلام بالتصغير قال الحلبى والصواب أن يقول بنى النضير كما فى سيرة ابن سيد الناس (فى أصحابه) وفى نسخة فى نفر من أصحابه أى مع جماعة منهم الخلفاء الاربعة فيهم (فجلس الى جدار بعض آطامهم) بمد الهمزة أى أبنيتهم المرتفعة كالحصون فتخافتوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة فمن يعلو على مثل هذا الجدار ويرسل عليه ما يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه ينقض ما بيننا وبينه من العهد وأما نقض بنى قريظة فسببه غزوة الخندق لانهم ظاهروا قريشا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونقضوا العهد وسيأتى من عند السمرقندى انه خرج الى بنى النضير فذكر القصة فهذه هى الصواب (فانبعث) أى فقام وأسرع أشقاهم (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم وتشديد الحاء أو بكسر وتخفيف والشين معجمة قتل كافرا (أحدهم) وفى نسخة منهم أى أحدهم (ليطرح عليه رحى) بالقصر ويمد (فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بعد اخبار جبريل بذلك كما سيأتى (فانصرف الى المدينة) أى وتبعه أصحابه (وأعلمهم

(وأعلمهم بقصتهم) أى أخبر بنى قريظة فى نبذ عهدهم وأصحابه بعد انصرافه أو قبله وقد اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه القصة ليست مع بنى قريظة كما فى السير وسيأتى أيضا فى هذا الكتاب وانما هو مع بنى النضير وهو سبب غزوة بنى النضير وأما سبب غزوة بنى قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بنى النضير ليستعين بهم فى دية القتيلين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى للحلف بينهم وبين بنى عامر فلما أتاهم قالوا نعينك يا أبا القاسم على ما جئت ثم خلا بعضهم الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روى ان بنى النضير لما تآمروا وألقوا عليه حجرا أخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى ما فيه (وقد قيل ان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم فى هذه القصة نزلت) وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع انه بالنبى صلى الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم وموته موت لهم ولذا قيل انها نزلت فى الكفرة لما كانوا غالبين على المؤمنين يوصلون اليهم الضرر والاذية وقيل نزلت فى الاعرابى الذى اخترط سيفه اذ وجده صلى الله عليه وسلم وحده كما مر وقوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة فى بنى قريظة وان خالف الصحيح المنقول الواقع ووقع فى بعض التفاسير فتأمله فان غفلته عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه (وحكى السمرقندى انه) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سيد الناس وغيره من أصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى اشارة اليه (خرج) من المدينة (الى بنى النضير) بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر (يستعين بهم (فى عقل الكلابيين) مثنى كلابى رجل منسوب لبنى كلاب وهى قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة وأصل معنى العقل المنع ومنه العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما أشار اليه القائل

قد عقلنا والعقل أى وثاق ❊ وصبرنا والصبر مر المذاق

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوه فيعقلها بفناء أهل القتيل ليأخذوها واستعانته صلى الله تعالى عليه وسلم المراد بها طلبه ان يعينوه فى الدية لما سيأتى (اللذين قتلهما عمرو بن أمية) وفى نسخة الكلابى بالافراد وقتل مفرد أيضا وعمرو بن أمية هو الضمرى بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبنى ضمرة وهم قومه وهو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن اياس الصحابى الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبعثه فى أموره وهو الذى ذهب للنجاشى بكتابه فاجابه وأسلم وزوجه أم حبيبة أسلم بعد أحد وشهد بئر معونة ومات بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وهو والذى قتل الكلابى فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هى الموافقة لما فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدى أحد نقباء ليلة العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل ببئر معونة فقتلوا فقتل المنذر وأصحابه ونجا عمرو الضمرى وحده أو وصاحب له على اختلاف فى الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بنى سليم وكان بينهم وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بنى عامر فقتلاهما وكان عمرو لا يعرف ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطأ فقدم قومهما على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبنى النضير هو وأبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم يستعينهم فى العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة فى الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم أجابوه وقالوا له اجلس حتى نأتى لك بما سألت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما أشار الى

(وأعلمهم) أى بعد انصرافه أو قبله (بقصتهم) أى بما فعلهم على قتله (وقد قيل ان هذه الآية) وفى نسخة ان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) أى بتمامها (فى هذه القصة) أى قصة بنى النضير (نزلت وحكى السمرقندى انه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين) أى فى دية الاثنين من قبيلة بنى كلاب بكسر أوله (اللذين قتل) أى قتلهما كما فى رواية (عمرو بن أمية) أى الضمرى وفى نسخة الكلابى الذى قتله عمرو بن أمية فالمراد به الجنس اذ صرح أبو الفتح اليعمرى فى السيرة انهما من بنى عامر وقتلهما عمرو على ظن انهما كافران بعد قتل أصحابه ببئر معونة ورجوعه الى المدينة عتيقة العامر بن الطفيل العامرى وذلك للجوار الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقده اذ كان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف على يده صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن أمية

(فقال) أي له كما في نسخة صحيحة (حيي) بالتصغير (ابن أخطب) بالخاء المعجمة وهو والد صفية أم المؤمنين (اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك) أي نضيفك مع أصحابك (ونعطيك ما سألتنا) أي من الاستعانة في الدية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر) بالواو والهمزة وهو أفصح أي تشاور (حيي معهم) أي مع يهود (على قتله فاعلمه جبريل بذلك فقام) أي وحده (كأنه يريد حاجته) أي قضاء حاجته واستمر على مشيته (حتى دخل المدينة) فلما استلبث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم ثم قال لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وهذه القصة بعينها هي الاولى وكان هذه عند القاضي قضية أخرى والله تعالى أعلم بما هو أولى وأحرى هذا وحيي والد صفية أم المؤمنين يهودي قتل على كفره مع بني قريظة صبرا (وذكر أهل التفسير الحديث) السابق المروي (عن أبي هريرة) وفي نسخة ومعنى الحديث عن أبي هريرة وفي أصل الدلجي وعن أبي هريرة والحديث في صحيح مسلم وسنن النسائي (ان أبا جهل وعد قريشا) أي وحلف عندهم وعهد (لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته) وفي نسخة على رقبته أي ليضعن رجله فوق رقبته صلى الله تعالى عليه وسلم واللام جواب قسم محذوف أي والله لا موطئة للقسم كما توهم الدلجي (فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تلبس بالصلاة (اعلموه) أي أخبروا أبا جهل (فاقبل) أي على قصد أذيته من وضع الرجل على رقبته (فلما قرب منه ولى) أي ادبر (هاربا) أي فارا (ناكصا على عقبيه) أي راجعا الى خلفه (متقيا) بخلاف القائل ملفه

ذلك بقوله (فقال له) أي لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه (حيي) بضم الحاء المهملة ومثناتين تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة (ابن أخطب) بزنة أفعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة وجوز في حاء حيي الكسر وهو من يهود بني النضير ومن رؤسائهم والد صفية أم المؤمنين (اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا) من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لان الطعم بالضم في الاصل المأكول فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له أي عطية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي بكر وعمر) وزاد أبو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحق في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ولا منافاة بين الروايات (وتوامر) بفتح التاء الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من الامر أي نظر كل أمر الآخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره وآمره وقيل الواو لغة العامة (حيي معهم) أي مع بني النضير أي تشاوروا واتفقوا (على قتله) صلى الله تعالى عليه وسلم بالقاء الحجر عليه (فاعلم جبريل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) الذي أرادوه قبل وقوعه (فقام) من تحت الجدار بسرعة (كأنه يريد حاجة) أي أراهم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يريد حاجة له وفي نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضاء الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها عنها كثيرا (حتى دخل المدينة) ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان

وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا ما لهم من الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر وأخذ منهم صلى الله تعالى عليه وسلم الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا فكان ذلك مرصدا لنوائبه ولم يسهم منها لاحد غير أبي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين رفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان اليهود هموا بالقاء الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن كما ترى انهم ألقوه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذه جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول (وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبي هريرة) كما رواه مسلم والنسائي أي رووه بهذا المعنى وفي بعض النسخ وروى أهل التفسير الحديث عن أبي هريرة وهما أحسن مما في بعض النسخ وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير أي وذكره أهل الحديث وعلى هذا فقوله عن أبي هريرة خبر عن معنى وهو مبتدأ والجملة معترضة بين ذكر ومفعوله وهو (ان أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا) جواب قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله (يصلي) جملة حالية (ليطأن رقبته) أي يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله (فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمسجد الحرام (اعلموه) أي اعلمه قريش به (فاقبل) متوجها اليه ليدوسه اهانة منه لمن أعزه الله (فلما قرب منه ولى) ورجع عن مقصده حال كونه (ناكصا على عقبيه) أي متأخرا راجعا الخلف والعقب مؤخر القدم

(متقايا بيديه) أى متحفظا بهما الشئ ظهر عليه متوجها اليه (فسئل) أى عن سبب رجوعه واتقائه (فقال لما دنوت منه) أى قربت (أشرفت) أى اطلعت (على خندق) أى واد أو حفير (مملوء نارا كدت) أى قاربت (أهوى) بكسر الواو أى أسقط (فيه وأبصرت هولا عظيما) أى أمرا شديدا يهول ويفزع (وخفق أجنحة) أى وأبصرت ضرب اجنحة وتحريكها (قد ملأت) أى الاجنحة لكثرتها (الارض) أى جميعها (فقال عليه السلام تلك) أى أصحاب تلك الاجنحة (الملائكة) أى لا الطيور (لو دنا) أى أبو جهل منى حينئذ (لاختطفته) أى أخذته الملائكة سرعة (عضوا عضوا) أى بان وقع كل عضو وجزء منه في يد ملك أو جمع منهم (ثم أنزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كلا) أى حقا (ان الانسان ليطغى ان رآه) أى لاجل ان علم نفسه (استغنى) عن ربه (الى آخر السورة و يروى) بصيغة المجهول وفى نسخة وروى والحديث لابى نعيم فى الدلائل (ان شيبة) وفى نسخة ان رجلا يعرف بشيبة (ابن عثمان الحجبى) بفتح الحاء والجيم منسوب الى الحجبة جمع الحاجب بمعنى البواب فانه كان من سدنة الكعبة المشرفة وفى نسخة الجمحى بالجيم المضمومة وفتح الميم بعدها وهى غلط كما صرح به الحلبى (ادركه) أى لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم حنين) وهو واد بقرب ذى المجاز أو ماء بقرب الطائف من الحجاز (وكان حمزة قد قتل أباه وعمه) جملة معترضة مشيرة الى الباعث على القضية من أخذ الثار كما فى عادة الجاهلية

(متقايا بيديه) أى مادا يديه كمن يدفع أمرا يتقيه وفى بعض النسخ ولى هاربا ناكصا على عقبيه فهى حال متداخلة أو مترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير او عن شر يخاف عاقبته كما هنا الا انه قيل ان الثانى نادر وذهب الجوهرى وصاحب النهاية الا انه يختص بالاول وفى القاموس نكص عن الامر نكأ كأ عنه واحجم وعلى عقبيه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهرى فى اطلاقه أو هو فى الشر نادر انتهى وفى نفوذ السهم فيما فى الجوهرى من الوهم كون النكوص مخصوصا بما ذكر غير ثابت فى اللغة وقوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه لادليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار ببدر ليس رجوعا عن خير يحتمل الاستعارة التهكمية وقدم الكلام عليه أيضا فى اعجاز القرآن فتأمله (فسئل) أى سأل قريش أبا جهل (عن ذلك) أى عن رجوعه كذلك وما سببه (فقال) مجيبا لهم (لما دنوت منه أشرفت) أى اطلعت قريبا منى (على خندق) حفير (مملوء نارا كدت أهوى) أى أقع واسقط (فيه وابصرت هولا عظيما) أى أمرا مخوفا عظيما لم أر مثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذى أراد اهلاكه (وخفق احنحة) أى اجنحة اضرب بعضها ببعضها أصواتها (قد ملأت الارض) الذى كان فيها وهى اجنحة الملائكة التى أرسلت لحمايته ونصره صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار اليه بقوله (فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة لو دنا) أى قرب منه لايقاع ما قصده (لاختطفته) الملائكة (عضوا عضوا) أى مزقته وفرقت اعضاءه وهو منصوب على الحال بتأويل ممزقا مفرقا كقرأت النحو بابا بابا كما فصله النحاة (ثم أنزل الله) وحيه (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى شأن ذلك فقال (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى آخر السورة) يعنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخره وبناسب هنا ذكر قوله كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية وقوله سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان أبو جهل وطغيانه تجاوز حده قيل هذه القصة فى صحيح مسلم فالذى ينبغى نقلها منه دون التفاسير وهو أمر سهل لا ينبغى الاعتراض عليه وتفصيل معنى الآية فى التفاسير فلا حاجة لذكره (وروى) الراوى له أبو نعيم فى الدلائل (ان شيبة بن عثمان الحجبى) بفتح الحاء المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفى النسبة الى الجمع برد الى مفرده والقياس حاجبى لكنه لما غلب على حجبه الكعبة جاز النسبة اليه كانصارى أولانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان ابن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى الصحابى المشهور خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد أولاده الى الآن أسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة تسع وخمسين وأخرج له البخارى وأحمد فى مسنده وأبو داود وترجمته معروفة وما فى بعض النسخ الجمحى بميم غلط من الناسخ (ادركه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى لحق به ووصل اليه (يوم حنين) فى غزوتها وهو واد قريب من الطائف معروف (وكان) قبل ذلك (حمزة) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسيد الشهداء (قد قتل أباه) عثمان بن أبى طلحة (وعمه) طلحة بن أبى طلحة المشهور وكل قتلهما باحد وكان طلحة صاحب الكتيبة حامل لواء الكفرة فلما قتل حمل اللواء أخوه عثمان فقتل الا انه قيل ان المروى فى السير ان الذى قتل طلحة على بن أبى طالب فلما أخذ اللواء أخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبى فى تجريده ان الذى قتل أبا شيبة على أيضا وهو مخالف

(فقال) أى عثمان (اليوم أدرك ثأرى) بثلثة وهمزة ويجوز تخفيفها أى ذم حميمى من أبى وعمى بانتقامى فيه (من محمد) أى بان اقتله بدل حمزة فانه ابن أخيه وهذا يرد قول من قال انه أسلم يوم الفتح ولعله أظهر اسلامه ولم يحقق مرامه ان التلمسانى ضبط الثار بالتاء المثناة الفوقية وهو تصحيف وتحريف (فلما اختلط الناس) أى اشتغلوا فيما بينهم من الحرب (أتاه) أى عثمان (من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه) أى فيقتله (قال ٢٢٠ فلما دنوت منه ارتفع الى) أى لدى (شواظ) بضم أوله ويكسر أى لهب (من نار أسرع من البرق فوليت هاربا) أى حذرا منه (وأحس بى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فدعانى) أى فجئته (فوضع يده على صدرى وهو أبغض الخلق الى) جملة حالية (فارفعها) أى يده (عنى الا وهو أحبهم الى وقال لى ادن) أى أقرب الى العدو (فقاتل فتقدمت امامه أضرب) أى الناس (بسيفى وأقيه بنفسى) أى واحفظه بدفع الناس عنه ووقايته منهم بتفدية نفسى (ولو لقيت أبى) أى والدى فرضا (تلك الساعة لاوقعت به) أى بابى وقتلته (دونه) أى دون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مجاوزا عنه أو مدافعا عنه واعلم ان السيرة لابى الفتح اليعمرى عن ابن سعد ان طلحة ابن أبى طلحة وهو كبش الكتيبة صاحب اللواء قتله على ثم حمل اللواء عثمان ابن أبى طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدا سحره أى رئته وفى التجريد والتهذيب للذهبى فى ترجمة شيبة ابن أبى طلحة ان عليا قتل أباه يوم أحد ذكره الحلبى ففى نسبة قتلهما الى حمزة نوع مسامحة (وعن فضالة بن عمرو) بفتح الفاء أى ابن الملوح الليثى وفى نسخة عمير بالتصغير عوض عمرو بالواو وهو الموافق لما ذكره الذهبى فى الصحابة على ما حرره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق وابن سيد الناس

لما قاله المصنف رحمه الله تعالى كما قاله البرهان الحلبى وفى سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب أباه فازال منعته فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بدا سحره أى رئته فكل من على وحمزة له دخل فى قتله الا ان عليا لما ازال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام المصنف رحمه الله تعالى وكلام غيره (فقال) أى شيبة لما ادركه (اليوم) المراد الوقت الحاضر (ادركه ثارى) بمثلثة وراء مهملة بينهما ألف وتهمز وهى الاصل وهو طلب الدم وأخذ حق من قتله (من محمد) لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفى غيظه وحزازة نفسه لتمكنه منه (ولما اختلط الناس) فى القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم (أتاه من خلفه) بحيث لا يراه (ورفع سيفه) بيده (ليصبه عليه) أى ليضربه ويقتله ويأخذ ثاره ويشفى غليله ممن كان سبب القتل أبيه وعمه وأصل الصب اراقة الماء واستعير للضرب بالاٰلة كالسيف قال الله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ورشحه ان السيف يشبه بالماء لرونقه وفرنده (قال) شيبة (فلما دنوت منه) أى لما قصدت ذلك (ارتفع الى) أى علا وصعد الى من جانبه (شواظ) أى لهب (من نار) والشواظ اللهب مطلقا أولهب لا دخان له أو لا يخالطه غيره أو يخالطه شئ آخر وهو بضم الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان مؤكد لان اللهب لا يكون الا من النار (أسرع) فى ارتفاعه (من البرق فوليت هاربا) خوفا من ان يحرقنى (وأحس بى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى علم رجوعى عنه (فدعانى) فجئته (فوضع يده على صدرى وهو أبغض الخلق الى) لانه أسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفى قلبه حقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل أبيه وعمه (فارفعها) أى يده عن صدرى (الا وهو أحب الخلق الى) فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد وأثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أحبه (وقال لى ادن) من العدو أو منى (وقاتل) فى سبيل الله خالص السريرة مخلصا ببركة مس يده صلى الله تعالى عليه وسلم له (فتقدمت امامه) بين يديه (أضرب بسيفى) كل من لقيته من الكفار (وأقيه بنفسى) أى اجعلها وقاية له صلى الله تعالى عليه وسلم مانعة عنه (ولو لقيت تلك الساعة) التى قاتلت فيها (أبى لاوقعت به) سيفى وقتلته وفى بعض النسخ (دونه) وانما خص للمبالغة فى عموم قتله لمن لقى حتى أعز الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهو قتل أبيه قد زال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل فى سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروى عن شيبة وكان صالحا اذا فضل حدث باسلامه وانه انما سار لحنين ليغتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزدد فى قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم أعذه من الشيطان فاذهب الله ما بقلبه حتى صار أحب اليه من نفسه وأهله وأبيه فلما رجع ودخل خباءه فدخلت عليه كغيرى حبا لرؤيته وجهه فقال لى يا شيب الذى أراد الله بك خير مما أردت بنفسك وحدثنى بكل ما اضمرته فى نفسى مما لم أذكره فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لى فقال غفر الله لك (وعن فضالة بن عمرو)

عن

عن ابن اسحق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها بتخفيف الضاد المعجمة واللام وأبوه عمير وقال عمر وبالتصغير ابن الملوح الليثى والتصغير أصح والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها واقتصر على الثانى فى القاموس (قال أردت قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح) أى فتح مكة (وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة) الهمزة للنداء وفى نسخة فضالة بدون همزة وحرف النداء مقدر فيه ويجوز كون الهمزة للاستفهام وفضالة خبره مبتدأ محذوف تقديره أأنت فضالة فقال نعم قصد قاله والاستفهام حقيقى وكونه للتعجب مما يختلج فى صدره أو اجابة لندائه أو اعلام له بانه فضالة كالنبيل تكلف لا يخفى (قال ماذا كنت تحدث به نفسك) حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب (قلت لاشئ) أى لم يخطر بالى شئ مما ظننته (فضحك فاستغفر لى) أى دعا لى بان يغفر الله لى ما خطر بقلبى (ووضع يده على صدرى) ليذهب الله ما فيه من الضلال وما عزم عليه من الاوهام (فسكن قلبى) أى اطمأن وذهب ما فيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة (فوالله ما رفعها) أى رفع يده عن صدره (حتى ما خلق الله شيأ أحب الى منه) وحديثه كما فى سيرة ابن اسحق وابن سيد الناس انه أراد قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف عام الفتح بذكر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ثم قال فرجعت الى أهلى ومررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت أقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى عليك الله والاسلام

أو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام

ورأيت دين الله أضحى بيننا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفضالة الليثى هذا هو ابن وهب بن بجرة بن يحيى بن مالك وليس هو الزهرانى فانه تابعى غيره ومن ظنه هذا فقد أخطأ (ومن مشهور ذلك) أى عصمة الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ابن اسحق والبيهقى بلا سند وأبو نعيم فى الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) العامرى وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد بنى عامر فى الجاهلية مات كافرا بالاتفاق (وأربد بن قيس) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة وهو أخو لبيد بن ربيعة الصحابى لامه وكان شاعرا مغلقا ومات على الكفر أيضا (حين وفدا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك وأسلمت ثقيف ودخل الناس فى الاسلام أفواجا قدمت عليه وفود الناس أفواجا وفد عليه أربعة من رؤسائهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وغيرهما (وكان عامر قال له) أى لاربد (أنا أشغل عنك وجه محمد) أى ألهيه حتى تبطش به (فاضربه أنت) وخصه بمره لما بينهما من الصداقة فامتثل أمره وهم بذلك فانتظره ليفعل ما أمره به (فلم يره) أى لم ير عامر أربد (فعل شيأ) مما اتفقا عليه من البطش به وعامر يكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويلهيه (فلما كلمه) أى كلم عامر أربد (فى ذلك) أى فى الامر الذى اتفقا عليه بان قال له ما لك لم تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذر اليه (قال له والله ما هممت ان أضربه) أى أضرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم ينف (الا وجدتك بينى وبينه) أى أى وجدك حائلا بينى وبين النبى صلى الله تعالى

(أردت قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة) وفى رواية زاد رسول الله (قلت نعم قال ما كنت) وفى رواية ماذا (تحدث به نفسك قلت لاشئ) وفى رواية زاد كنت أذكر الله تعالى (فضحك واستغفر لى) أى قال غفر الله لك ما خطر ببالك أو أراد به استحقاق الغفران بتوفيق الايمان وفى رواية فضحك النبى ثم قال أستغفر الله (ووضع يده على صدرى فسكن قلبى) أى واطمأن بمعرفة ربى (فوالله ما رفعها) أى يده عن صدرى (حتى ما خلق الله شيأ أحب الى منه ومن مشهور ذلك) أى مما ذكر من عصمة الله سبحانه وتعالى له على ما رواه ابن اسحق والبيهقى بلا سند وأبو نعيم فى الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) أى ابن مالك العامرى سيد بنى عامر فى الجاهلية كذا قال الذهبى فى تجريد الصحابة وقال روى عنه أبو ذابة ذكره المستغفرى واجمع أهل النقل على ان عامرا مات كافرا وقد أخذته غدة وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية قال الحلبى ولا شك فيما قاله الذهبى فى قصته لما فى صحيح البخارى بنحو من اللفظ الذى ذكره (وأربد) بفتح فسكون ففتح (ابن قيس) هو لبيد ابن ربيعة لامه ولبيد صحابى وكان أربد شاعرا أيضا بعث الله عليه صاعقة فاحرقته كافرا باية سبحانه وتعالى وفيه نزل قوله تعالى فيرسل الصواعق الآية (وفدا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى متفقين على قتله (وكان عامر قال له) أى لاربد (أنا أشغل عنك وجه محمد) أى بالكلام معه (فاضربه أنت) أى من خلفه (فلم يره فعل شيأ) أى مما قاله (فلما كلمه فى ذلك) أى لما عاتبه عن تقصيره فى ذلك (قال له والله ما هممت) أى ما عزمت (ان أضربه الا وجدتك بينى وبينه

عليه وسلم بحيث لو ضرب ضرب صاحبه (أفاضربك) انكار له أي كيف أضربك وكان عامر شاعرا ورئيسا مطاعا في قومه فقالوا له لما جاءت العرب أفواجا للاسلام ان الناس قد أسلموا فاسلم فقال اني آليت لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي أفاتبع فتى من قريش ثم قدم هو وأربد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اه ما قصه المصنف رحمه الله تعالى فخرج وارا جعين لبلادهم وفي الدلائل انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خالني يا محمد فقال لا حتى تؤمن بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه بذلك فقال والله لاملأنها عليك خيلا ورجلا تواعدا منه ان يغزو المدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع أصابه طاعون في عنقه فمات في بيت امرأة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية يعني أخس موتة في أخس قبيلة فمات كافرا وواروا جثته التراب ورجع أصحابه لقومهم فقالوا الاربد ما وراءك يا أربد فقال لا شئ لقد دعانا العبادة شئ ولقد وددت انه عندي الآن فارميه بالنبل حتى أقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين ومعه جمل له فاصابتهما صاعقة أحرقتهما فهلك كافرا كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عامرا قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في المسجد مع أصحابه وكان من أجمل الناس الا انه كان أعور فجعل الناس ينظرون لجماله وأخبروا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان يرد الله تعالى به خيرا يهده فقام وقال يا محمد مالي ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أتجعل لي الامر من بعدك قال ذاك ليس الي انما هو لله يجعله حيث شاء قال أتجعلني على الوبر وأنت على المدر أي حكم البادية وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل الغازية في سبيل الله قال أو ليس لي أعنة الخيل اليوم فقم معي أكلمك فقام صلى الله تعالى عليه وسلم معه وكان عامر وصى أربد اذا خلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه وروى ان الغدة كانت في ركبته ورويت القصة على وجوه أخر هذه محصلها كما في السير وكتب التفسير غير ان البغوي والقرطبي في التفسير ذكرا ان أربد دار خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو يقتضي انه مات قبل عامر وفي هذين التفسيرين ان أربد بن ربيعة والمصنف رحمه الله تعالى قال انه ابن قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفي أربد نزل قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واجمعوا على ان عامرا مات كافرا كما مر وفي التجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية روى عنه أبو امامة كما ذكره المستغفري ونقله البرهان الحلبي وفيه نظر (ومن عصمته) أي حفظه الله تعالى له (ان كثيرا من اليهود والكهنة) جمع كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات وما يقع في المستقبل بما يتلقاه أو يعرفه بفراسته ويسمى الثاني عرافا (انذروا به) أي أخبروا واعلموا والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه (وعينوه لقريش) أي بينوا اذاته الشريفة لهم (وأخبروهم بسطوته بهم) أي انه يغزوهم ويقتلهم (وحضوهم على قتله) أي حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يسلموا منه (فعصمه الله عز وجل) بان حفظه ومنعه من كيدهم مع انه صلى الله عليه وسلم كان بين أظهرهم بمفرده (حتى بلغ) الله تعالى بلطفه وحفظه له (فيه أمره) بان نصره وأظهر دينه على جميع الاديان ان الله تعالى بالغ أمره وبلغ بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى أقصى الامد والمنتهى مكانا أو زمانا أو أمرا من الامور المقدرة انتهى (ومن ذلك) أي عصمة الله له صلى الله عليه وسلم وصيانته ما رواه الشيخان وهو (نصره بالرعب) أي بالقاء الخوف منه في قلوب أعدائه ومن لم يتبعه (مسيرة شهر) أي في مكان بعيد عنه أقل ما يقطع مسافته في شهر أي في ثلاثين يوما (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم)

أفاضربك) الهمزة الاولى استفهام انكاري والثانية للمتكلم وهو أربد والمخاطب هو عامر قال البرقي في غريب الموطأ وفد عامر وأربد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعوه ان يجعل الامر بعده الى عامر ويدخلان في دينه فأبى عليه الصلاة والسلام فقال له أكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر فأبى عليه الصلاة والسلام فخرجا من عنده (ومن عصمته تعالى اه) وفي نسخة ومن عصمته له تعالى وهو خطأ فاحش (ان كثيرا من اليهود) أي من أحبارهم ورهبانهم (والكهنة) أي ممن يزعم انه يخبر عن الكوائن المستقبلة (انذروا به) أي الكهنة اعلموا الناس بقرب نوره وخوفوهم بظهوره فان الانذار اعلام بتخويف (وعينوه لقريش) أي وبينوه لهم خصوصا من جهة نسبه وحسبه وعلامة ولادته وامارة سيادته وسعادته (وأخبروهم بسطوته بهم) أي بغلبته عليهم وشوكته لديهم (وحضوهم) أي حثوهم وحرضوهم (على قتله) أي قبل ظهور نصره (فعصمه الله تعالى) أي من كيد كل عدو ومكره (حتى بلغ) بتخفيف اللام أي وجد وتم (فيه أمره) وفي نسخة حتى بلغ عنه أمره بتشديد اللام ونصب أمره (ومن ذلك نصره بالرعب) بسكون العين ويضم أي الخوف في قلب أعدائه (مسيرة شهر) أي من كل جانب له (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما رواه الشيخان

أي

(فصل) (ومن معجزاته الباهرة) أي آياته الظاهرة (ما جمعه الله له من المعارف) أي الجزئية (والعلوم) أي الكلية والمدركات الظنية واليقينية أي الاسرار الباطنيــة والانوار الظاهرية (وخصه) أي وما خصه به (من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين) أي ما يتم به اصلاح الامور الدنيوية والاخروية واستشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم وجد الانصار يلقحون النخل فقال لو تركتموه فتركوه فلم يخرج شيا أو أخرج شيصا فقال أنتم أعلم بامر دنياكم وأجيب بانه انما كان ظنا منه لا وحيا وقال الشيخ سيدي محمد السنوسي أراد أنه يحملهم على خرق العوائد في ذلك الى باب التوكل وما هنا لك فلم يمتثلوا فقال أنتم أعرف بدنياكم بل لو امتثلوا وتحملوا في سنة أو سنتين لكفوا أمر هذه المحنة انتهى وهو في غاية من اللطافة (ومعرفته) بالرفع عطفا على ما والاقرب جره بالعطف على الاطلاع (بامور شرائعه) أي أحكامه المتعلقة بالعبادات والمعاملات (وقوانين دينه) أي من القواعد الكلية المندرجة تحتها الفروع الجزئية

أي انه ثابت بهذا اللفظ في الحديث الصحيح كما تقدم وهو في الصحيحين وفي مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب فبل وهو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر لانه لم يكن بينه وبين أعدائه أكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله تعالى قال ان ذلك لامته من بعده أيضا وثوبان في مسند أحمد الرعب يسعى بين يدي أمتي شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر

(فصل) مما أكرمه الله تعالى به صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن معجزاته) أي أموره الخارقة للعادة التي عجز غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها والتاء المعجزة للمبالغة كهاء علامة أو للتأنيث لان المراد الآية والعلامة أو الخصلة المعجزة (الباهرة) أي البالغة أو الظاهرة على غيرها من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى أخفاها وهو تشبيه بليغ أو استعارة مصرحة (ما جمعه الله له من العلوم والمعارف) جمع معرفة لا معروف كما قيل لانه على تقدير غير مناسب والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثاني بالامور الجزئية أو بما سبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز أن تكون تبعيضية والاول أظهر (وخصه به) أي جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا خص أمته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التأليف والتصنيف الذي لم يكن لامة من الامم مع قصر أعمارهم وضعف أبدانهم والباء تدخل على المقصور والمقصور عليه وفي أيهما الاصل كلام مفصل في حواشي المطول لا حاجة لنا به هنا (من الاطلاع) أي الوقوف والعلم وهو بيان لما (على جميع مصالح الدنيا والدين) متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح به أمر المعاش ومصالح الدين معرفة أحكامه المصلحة لهم في الدارين ولا ينافي هذا أي اطلاعه على مصالحهم قصة بدر في اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم الفداء وكان الاولى به ما رآه عمر رضي الله تعالى عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس من تأبير النخل فلم يثمر في ذلك العام فقال أنتم أعلم بامور دنياكم في امالاته كما قيل كان له حالات وأطوار منها ما يغلب عليه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لقصر نظره على تفويض الامر لله والتوجه له بالنية وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضي الله تعالى عنه مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه

وما قيل من أنه صلى الله عليه وسلم بنى أمره في ذلك على الظن دون الجزم والانبياء قد يظنون في أمور الدنيا المجردة عن الآخرة ما الامر على خلافه ليس بشئ وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشاهدة ويتبين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقي الامر كما كان فقد يقال انه كما وجد بقي والحكم بالدليل أقوى عنه بالسكون وفيه نظر وقال السنوسي أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحملهم على خرق العوائد في ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا ولم يصبروا ولو صبروا لكان خيرا لهم بان يمتثلوا ويصبروا سنين فاكثر فالموفق لهم تركوا ذلك لانه أعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو في غاية الحسن لمن تأمله وسيأتي تتمته ان شاء الله تعالى (ومعرفته) صلى الله عليه وسلم (بامور شرائعه) التي شرعها الله تعالى له ولعباده على لسانه جمع شريعة وهي في الاصل طريق مسلوكة ومورده ما يباح نقلت لوضع الهي موصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة (وقوانين دينه) جمع قانون وهي لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها أحكام جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب كما تقرر في محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده وهو غير ضبطه لامور الشريعة وقوانينها فما قيل من انه اذا حصل له العلم بجميع

(وسياسة عباده) أى الجامعة بين صلاح معاش الخلق ومعادهم (ومصالح أمته) أى المتعلقة بأمر زادهم فى حق عبادهم وزهادهم (وما) أى ومعرفته بما (كان فى الامم قبله) أى من أحوالهم وما جرى لهم من نجاة وهلاك فى مآلهم (وقصص الانبياء والرسل) أى من دعاة الخلق الى دين الحق (والجبابرة) أى من الكفرة والفجرة المتكبرة (والقرون الماضية) أى فى الازمنة الخالية (من لدن آدم) بضم الدال وسكون النون

و بسكون الدال وكسر النون ويروى من زمن أى من ابتداء زمن آدم (الى زمنه) أى زمن الخاتم سيد العالم صلى الله عليه وسلم (وحفظ شرائعهم وكتبهم) أى مما قذفه الله فى قلبه فروى قلبه عن ربه (ووعى سيرهم) بسكون العين أى واحاطة أنواع سيرتهم وأصناف طريقتهم مع اتحاد جنس ملتهم (وسرد أنبائهم) أى وذكر أخبارهم متتابعا (وأيام الله فيهم) أى ووقائعه الكائنة فيهم من الهلاك والنجاة (وصفات أعيانهم) أى أفاضلهم كذا قاله التلمسانى والاظهر ان المراد بهم جماعة معينة من المؤمنين كذى القرنين والخضر ولقمان ومن الكافرين كفرعون وقارون وهامان (واختلاف آرائهم) جمع رأى بمعنى أهوائهم كعبادة قوم ابراهيم الاوثان وقوم موسى العجل وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة من العلم والحياة وروح القدس وتعبيرهم عنها بالاب والام والابن (والمعرفة بمددهم) بضم الميم جمع مدة أى أيام مكثهم فى الدنيا جملة (وأعمارهم) أى على اختلافها قلة وكثرة (وحكم حكمائهم) بكسر الحاء وفتح الكاف أى والمعرفة بما صدر من أنواع الحكمة عن أصناف حكمائهم (ومحاجة كل أمة) أى مجادلاتهم ومغالبتهم (من الكفرة) أى بما يناسبهم فى الدعوة كابطال الاصنام بان ليس لها منفعة ولا قدرة لها على مضرة وكمحاجته نصارى نجران فى دعواهم ان عيسى ابن الله فدعاهم الى المباهلة فابوا و بذلوا له الجزية وما

مصالح الدنيا والدين فقد خص مما يخص به بشر قبله فيكون الثانى غير الاول فما وقع قوله ومعرفته الى آخره لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد خبط لا فائدة فيه كما يعلم مما قررناه (وسياسة عباده) أى القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربى من ساسه يسوسه اذا دبر أمره ومن قال انه معرب من سه سا أى ثلاثة قوانين فقد أخطأ ولها معنى آخر عند الفقهاء وربما تجعل مقابلة للشرع ولا يصح ذلك هنا وفى القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا أمرتها ونهيتها (ومصالح أمته) المراد أمة الاجابة وأمة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسؤال عن أمورهم وقضاء ديونهم والاحسان الى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم (و) معرفة (ما كان فى الامم قبله) مما وقع لهم وجرى بينهم (من الاختلاف) أى مخالفة بعضهم لبعض وما جرى لهم من النعم والنقم التى لا يعلمها الا القليل من أهل الكتاب وعلمائهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أمى نشأ فى أمة أمية ولم يرتحل للبلاد النائية ولم يعاشر بقايا الامم الخالية مما بينه أحسن بيان وقرره أحسن تقرير (وقصص الانبياء والرسل) من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف جمع قصة أو بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه (والجبابرة) جمع جبار وهو المتكبر قال الراغب الجبار فى صفة الانسان الذى يجبر نقصه بادعاء منزلة من التعالى لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله تعالى وخاب كل جبار عنيد ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم ما فيه الكفاية (والقرون الماضية) قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه وأصله الزمان ثم أطلق على أهله قيل يجوز ان يراد الامم التى هلكت ولم يبق منها أحد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن نفسه (من لدن آدم الى زمنه) لدن ظرف زمان مبنى ومعرب فى لغة قيس وهو قريب من معنى عند وبينهما فرق ذكره النحاة أى أحاط علمه بذلك وأخبر به أمته (وحفظ شرائعهم وكتبهم) ولم يقرأ ولم يكتب (ووعى سيرهم) الوعى الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر وهى حالة الانسان غريزية أو مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال الله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى أى الى حالتها الاولى أى حفظه وجمعه فى ذهنه لاحوالهم وما كانوا عليه (وسرد أنبائهم) أى سوق أخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها (وأيام الله فيهم) أى وقائعهم التى قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقائع والحروب كأيام العرب وهو معنى مشهور وصار حقيقة عرفية وقيل المراد نعمه ولا وجه له (وصفات أعيانهم) أى كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذواتهم كما وقع فى الاسراء من ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصفات ذواتهم (واختلاف آرائهم) جمع رأى أى عقائدهم ونحوها (والمعرفة بمددهم) جمع مدة وهى مقدار من الزمن أى كم كانت مدة كل أمة ومدة ملكهم وملوكهم وأنبيائهم (وأعمارهم) جمع عمر بضم العين وفتحها وهى مدة الحياة (وحكم) جمع حكمة وهو قول الصواب المتضمن للنصيحة أى موعظة (حكمائهم) جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة فى عصره كحكماء الفرس والعرب وغيرهم (ومحاجة كل أمة من الكفرة) أى ذكر حجته وبرهانه

(ومعارضة كل فرقة من الكتابيين) أى من أهل الكتابين وهما التوراة والانجيل (بما فى كتبهم) كمعارضة يهود فى دعواهم ان من زنى [illegible] والجيعة أى [illegible] وجهه ويحملان على دابة يخالف بين وجوههما ويجعل ظهر أحدهما الى ظهر الآخر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أانتم كذلك تجدون فى التوراة على من زنى فقال حبرهم اذ نشدتنا فعليه الرجم فأمر صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] عند باب مسجده فى بنى غنم بن مالك بن النجار (واعلامهم باسرارها) أى واعلامه أهل الكتاب باسرار كتبهم (ومخبآت علومهم) أى مخفيات أخبارهم وفى نسخة علومهم (واخبارهم) أى واعلامه اياهم (بما كتموه من ذلك) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة والانجيل (وغيروه) أى بذكر اضداده وبتحريفه وتحريفه لفظا أو معناه

وما طابق [illegible] المراد مما [illegible] كما اجتمعا [illegible] نجران ومباهلته لهم والظاهر انها قصة [illegible] (ومعارضة) أى مع [illegible] (كل فرقة) وطائفة (من الكتابيين) أى أهل الكتاب والمراد بالتوراة [illegible] لان [illegible] الصحف [illegible] تضمن الاحكام وغيرها وهو جمع كتابى بياء النسبة (بما فى [illegible] [illegible] الاشتمال على [illegible] لان الجمع باعتبار المعنى كثير (واعلامهم باسرارها) أى [illegible] خفايا (ومخبآت علومهم) أى أخبارهم (بكسر الهمزة مصدر [illegible] (بما كتموه) أى أخفوه كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] الرجم فى التوراة (من ذلك) الاعلام وما معه (وغيروه) بتحريف لفظه وتأويله بغير معناه (الى الاحتواء) أى الاشتمال [illegible] والتضمن متعلق بجميع السابق أول الفصل [illegible] [illegible] (على لغات العرب) جميعها من غير قوة (وغريب ألفاظ فرقها) جمع فرقة وهى [illegible] المتفرقة (والاحاطة بضروب فصاحتها) تركيبا وافرادا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب كل قوم [illegible] (وأمثالها) جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده (وحكمها) أى جوامع [illegible] العرب [illegible] وحكما العرب وحكمهم مشهورة (ومعانى أشعارها) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعرفها وان لم ينشدها موزونة ويتكلم بها (والتخصيص) أى تخصيصه [illegible] (بجوامع كلام العرب) أى الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعانى الكثيرة فى الفاظ [illegible] القرآن [illegible] ومفرد جامعة (الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة) الامثال المتقدمة أمثال صادرة عمن قبله وهذه أمثال ابتدعها صلى الله تعالى عليه وسلم والامثال النبوية [illegible] والى كالتى تقدمت والجار والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر أو بدل مما قبله أو متعلق [illegible] الى فيها بمعنى اللام لان العامل الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد فلا كثر الا على هذه الوجوه كم رووه فى قوله تعالى [illegible] رزقوا منها من ثمرة رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم [illegible] [illegible] صادرة [illegible] من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتقرير المعانى فى النفوس [illegible] المعقول [illegible] كما حققه فى الكشاف (والحكم البينة) أى الظاهرة فى نفسها [illegible] (لتقريب التفهيم للغامض) أى المعنى الخفى الدقيق وهو فى الاصل [illegible] والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثانى [illegible] (والتبيين للمشكل) أى اظهار ما التبس وان كان غير غامض وأصل معنى الاشكال

(الى الاحتواء) أى مع احتوائه واشتماله علومه فى بنائه (على لغات العرب) أى مع كثرتها واختلاف مادتها وبنيتها وهيئتها فى تأديتها من متداولاتها (وغريب ألفاظ فرقها) بكسر الفاء وفتح الراء أى غرائب معانى طوائف العرب فى شواذها ونوادرها (والاحاطة بضروب فصاحتها) أى بانواع فصاحتها فى مفرداتها ومركباتها حيث خاطب كل فرقة بلغاتها كما فى مخاطبته لاقيال حضرموت فى محاوراتها (والحفظ لايامها) أى وقائع العرب فى الحرب فى أوقاتها (وأمثالها) أى كلماتها التى يضربون المثل بها كقولهم ضيعت اللبن فى الصيف

ونحو ذلك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حمى الوطيس أى اشتد حمى تنور الحرب (وحكمها) أى والحكميات الواردة فى لسانهم مع الطافة فى شأن بيانها وانقان برهانها (ومعانى أشعارها) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وكان ينشد نحو قوله

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وأمثالها (والتخصيص بجوامع كلمها) أى بما مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة وقد جمعت أربعين حديثا مما اشتمل كل على كلمتين فقط (الى المعرفة) أى منضمة الى المعرفة (بضرب الامثال الصحيحة) أى من الكلمات البديعة المشيرة الى المرادات الصريحة (والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض) أى الخفى بالنسبة الى الجاهل (والتبيين للمشكل) لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا المنزل

كونه غير متميز عن اشكاله وأشباهه وهو متعلق وراجع للحكم البينة (الى تمهيد) أي بسطه بتوطئته
له وبيان مقدمات (قواعد الشرع) أي أساسه وقضاياه وأصوله الكلية المحمدي الذي جاءه بوحي من
الله (الذي لا تناقض فيه) أي لا تخالف بين قضاياه وأحكامه لاحكامه ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا (ولا تخاذل) بخاء وذال معجمتين ولام تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من
يستحق نصرته وهو استعارة تمثيلية لان الشرع بعضه يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه متناسبة
متعاضدة كما ان القرآن يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد الشرع مشتملة على انه لا يخذل أخاه
اذا ظلم لاقتضاء قواعد الشرع استواء الرفيع والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل في جريان
أحكامه عليه من غير فرق بين صغير وكبير لم يأت بشئ يعتد به (مع اشتمال شريعته) وتضمنها
واحتوائها (على محاسن الاخلاق) أي على بيانها للناس وحث الناس على التحلي بها ولذا ورد في
الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا وان الخلق يقبل
التغيير ولذا ورد في الشرع النهي عن الاخلاق الرديئة والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد (ومحامد الآداب)
جمع محمدة وهو ما يحمد فعله والآداب بالمد جمع أدب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما
قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبني ربي فاحسن تأديبي وهو من اضافة الصفة للموصوف أي الآداب
المحمودة وفسر الادب في القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل (وكل شئ مستحسن) عند
أرباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق (مفصل بزنة) اسم المفعول بالضاد
المعجمة والصاد المهملة كما قاله أو مفضل على غيره أو فصله للناس تفصيلا (لم ينكر منه ملحد) أي عادل
عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل نخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان الحاد الى الشرك
بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافي الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله انتهى (ذو
عقل سليم) مستقيم مدرك ادراكا سالما عما يضعفه ويمنعه عن العدول عن الحق (شيا) مفعول ينكر
(الا من جهة الخذلان) تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر والمراد به عدم التوفيق والتوفيق خلق قدرة
الطاعة في العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله تعالى بعبده والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل في
علم الكلام يعني لا ينكره الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة أحواله ثم ترقى عما ذكره فاضرب
اضرابا انتقاليا أو ابطاليا لانكاره باثبات ضده فقال (بل كل جاحد) أي منكر (له) أي لما ذكر مما قدمه
(وكافر) بجاحده (من الجاهلية) أي أهلها (به اذا سمع ما يدعو) صلى الله تعالى عليه وسلم الخلق (اليه)
من الحق المبين (صوبه) أي اعتقد أنه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة تاباها العقول السليمة
والطباع المستقيمة (واستحسنه) أي عرف حسنه واعترف به (دون طلب اقامة برهان) حجة (عليه)
أي على ما أتى به لظهور حقيقته كنار على علم كعبد الله ابن أبي سلول وغيره مما ذكر في كتب الحديث والسير
(ثم ما أحل لهم من الطيبات) أي اشتمال شريعته على ما جعلته حلالا للناس مما حرمه غيره كبني اسرائيل
الذين حرموا كل ذي ظفر من البقر والغنم لحومها الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا (وحرم عليهم من
الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة
وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشافعي الطيبات بما ليس بمستقذر
والخبائث بضده والعبرة في ذلك بالطباع السليمة (و) اشتمال شريعته على ما (صان به أنفسهم)

(الى) أي مع (تمهيد قواعد الشرع) أي مما شرع لنا من طريقي الأصل والفرع (الذي لا تناقض فيه) أي فيما أرسل الينا وفي نسخة فيها أي في قواعده لدينا (ولا تخاذل) أي ولا تعارض (فيما أنزل علينا) أي لا كثيرا ولا يسيرا كما قال الله
تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (مع اشتمال شريعته) أي المضمنة لمكارم الافعال (على محاسن الاخلاق) أي في طريقته (ومحامد الآداب) أي المورثة لجامع الاحوال في حقيقته (وكل شئ مستحسن مفصل) بالصاد أي مبين ومعين وفي نسخة بالمعجمة أي مفضل على غيره كما يشير الى هذا المرام قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (لم ينكر منه) أي من شرعه ولو هو (ملحد) أي جائر لكنه (ذو عقل سليم) أي أو طبع قويم (شيا) أي أصلا (الا من جهة الخذلان) وهو عدم توفيق العرفان فينكره من غير البرهان بل على جهة العدوان وطريق الطغيان (بل كل جاحد له) أي منكر لما ذكر (وكافر من الجاهلية اذا سمع ما يدعو اليه صوبه) أي فيما ظهر لديه (واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه) أي كما سبق من كلام المغيرة وأبي جهل وأبي طالب (ثم ما أحل لهم من الطيبات) أي مما حرم على من غيرهم منها كلحم كل ذي ظفر وشحم البقر (وحرم عليهم من الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير مما أحل لغيرهم كالخمر (وصان) أي وما حفظ (به أنفسهم) أي دمائهم

من الصلاة كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل (واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو في العرف كل ما يخل تركه بالانسان وهو المراد واختلف في معناه الحقيقي لغة فقيل هو ما يمدح به المرء أو يذم سواء وصف به دون اسلافه أم لا وفي الحديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وفي حديث أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم ففسر بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعي يقال هو طيب العرض أي الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير (وأموالهم) فمن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله (من المعاقبات) بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس (والحدود) كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر (عاجلا) أي في الدنيا وهو حال متعلقة بالمعاقبات والحدود (والتخويف بالنار آجلا) في الآخرة لانه مقابل من الاجل وهو الوقت المحدود وفي بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار أي نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب في الدنيا هل يسقط عنه عذاب الآخرة أم لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة أيضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل لا يسقط وانما شرع زجرا ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد في الحديث من أصاب من ذلك شيأ فعوقب فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيأ ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه وما ورد في الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا أدري الحدود كفارة لاهلها أم لا فقيل الاول أصح وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو منسوخ وقوله (مما لا يعلم) بالبناء للمجهول أي لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان لجميع ما تقدم من أول الفصل الى هنا (ولا يقوم به جملة) أي يحفظه ويتقنه كما هو حقه ويفسر القيوم له (ولا بعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) أي لازم دراسة الكتب واجتهد فيها (والعكوف على الكتب) السالفة قال الراغب العكوف الاقبال على الشئ وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا تأييد لانه منحة الهية خصه الله تعالى بها فما قيل انه لا حاجة اليه وهم من قائله فقوله لا حاجة اليه فاعرفه فانه في غاية الظهور (ومثافنة بعض هذا) الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما في القاموس معطوف على الدروس والمعنى ظاهر وما في بعض النسخ من انه بالفاء مفاعلة من النفث وهو تفل الريق من الساحر والراقي ويطلق على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع في الدقة وكأنه المراد أي والدقيق في بعض هذه الامور وقوله مما لا يعلم الى هنا ساقط من أكثر النسخ ولم يتعرض له الشراح (الى الاحتواء) أي مع اشتمالها أو مضمومة الى الاشتمال (على ضروب العلم) أي انواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى المثل أيضا (وفنون المعارف) أي أقسام المعرفة المتعلقة باحوال الدنيا وأهلها كما ان ضروب العلم المراد بها ما يتعلق بالشرائع والآخرة فهو من عطف المتغايرين لا من عطف غيره على انه تفنن والفرق بين العلم والمعرفة مشهور (كالطب) أي معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والسقم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اعرف الناس به كما في طب النبوي وهو من العلوم القديمة المدونة وله معان في اللغة وهو مثلث الطاء مشدد الباء (والعبارة) بكسر العين المهملة أي تعبير رؤيا المنام وفعله عبر بتخفيف الباء والناس يشددونها وقد انكره بعض أهل اللغة الا انه سمع في بيت أنشده المبرد رحمه الله تعالى في الكامل وهو قوله

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

كما في الكشاف ووقع في بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم أقف عليه (والفرائض) جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرائض صار علما للعلم بذلك وهو قسم من علم الفقه أفرد بالتأليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرائضي (والحساب) هو علم يتعلق بالعدد ولابتناء الفرائض عليه في

(واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض (وأموالهم من المعاقبات والحدود) أي المرتبة على أسبابها كالقصاص وحد القذف والسرقة (عاجلا) أي في الدنيا (والتخفيف) وفي أصل الدلجي والتحريق (بالنار عاجلا) أي في العقبى (مما لا يعلم ولا يقوم به) أي بعمل كله (ولا ببعضه الا من مارس الدرس) أي من درس الكتب الالهية (والعكوف على الكتب) أي القيام والاطلاع على كتب العلماء الربانية (ومثافنة بعض هذا) بالمثلثة والفاء والنون أي متابعة بعض ما ذكر (الى الاحتواء) أي مع اشتمال شريعته (على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب) بكسر الطاء وتثلث (والعبارة) بكسر العين أي التعبير للرؤيا (والفرائض) أي المتعلقة بالارث (والحساب) أي كمية الاعداد

الاكثر قرنه به (والنسب) أي معرفته بانساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغير ذلك من العلم) وانواعه (مما اتخذ أهل هذه المعارف) وقال أهله كان أظهر وأشمل وأخصر (كلامه صلى الله عليه وسلم فيها) أي في هذه العلوم والمعارف وقيل الضمير للشريعة أي في شريعته وهو خلاف الظاهر (قدوة وأصولا) أي ادلة مثبتة لها أو قواعد وضوابط يرجعون اليها في الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم (في علمهم) أي علومهم التي دونوها في هذه الفنون (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه ابن ماجة عن أنس رضي الله تعالى عنه (الرؤيا) أي ما يرى في المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك ويقال في غيره رؤية بالتاء ورأيا (لاول عابر) متعلق بمقدر أي مصادفة وموافقة لاول تفسير يفسر به والعابر هو الذي يبين الرؤيا ويفسرها وأول الحديث اعتبروها باسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لاول عابر أي فسروها بما يناسب ألفاظها كما اذا قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية ليس من الكنية المشهورة بل المراد به التمثيل كما في النهاية وهي عند أهل السنة أمر يلقيه الله تعالى في قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكماء ان الروح في النوم تفارق البدن وتتصل بالملأ الاعلى فيلقى اليها ما يفيضه على ذهن النائم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يأول بغيره ومنها أضغاث أحلام ودعابة الشيطان لا تأويل له ومن هذا القبيل ما هو من غلبة الاخلاط كالصفراء اذا غلبت يرى النائم نارا والبلغم يرى ماء والسوداء يرى شيأ أسود وليس كل رؤيا كذلك كما توهمه كلام الاطباء وانكار هذا القسم لا وجه له أيضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها وأقسامها مبسوط في محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر كلام أهل هذا الفن يخالفه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا رأى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم قال ما قال لك قال قال أراه ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال قضى الامر (و) قوله (وهي على رجل طائر) رواه أبو داود والترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه وصححه يؤيده بل بعينه وأول الحديث رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وهي على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا يحدث بها الا حبيبا أو لبيبا ورجل بكسر الراء وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير أو شر قدر لصاحبها فكأنها بصدد وقرب من ان تقع بادنى حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطائر يكون للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع في بعض الكتب الرؤيا على جناح طائر اذا قص وقع ولا أدري هل هي رواية بالمعنى تطرقا أو رواية وفيه تورية في القص لانه يكون من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قصص الرؤيا أي ذكرها للعابر فوقع محتمل لمعنيين أيضا من الوقوع والسقوط وقد نظمه بعض المتأخرين فقال

رؤيا اذا قصصتها * وافت كبدر قد طلع * على جناح الطائر * فهو اذا قص وقع

وهذا الحديث روي من طرق باختلاف العدد فيها فروي سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين جزأ والاخير من رواية البخاري وجعلها جزأ من النبوة لان رؤياهم وحي صادق

(والنسب) بفتحتين أي معرفة الانساب (وغير ذلك من العلوم) أي أنواعها الآتي بعضها (مما تخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها) قال الدلجي أي في شريعته والظاهر في هذه المعارف (قدوة) بضم القاف وكسرها وتفتح أي مقتدى (وأصولا) أي قواعد كلية (في علمهم) أي في أساس علومهم (كقوله عليه الصلاة والسلام) على ما رواه ابن ماجه عن أنس (الرؤيا بالاول عابر) أي معبر ذي رأي ثاقب عالم بالعبارة على وجه الاشارة اذا أصاب وكان يحسن تعبيرها فاذا اعتبر شروطها وعبرها وقعت وكان ابن سيرين يقول اني اعتبرت الحديث والمعنى انه يعبرها به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا برجل فاسق والمرأة بالضلع أخذا من تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم له فاسقا وتسميتها ضلعا (وهي) أي الرؤيا (على رجل طائر) كما رواه أبو داود والترمذي وصححه أي قدر جار وقضاء ماض وحكم نافذ من خير أو شر أو نفع أو ضر وقال ابن قتيبة أراد انها غير مستقرة يقال للشيء اذا لم يستقر هو على رجل طائر وعلى قرن ظبي وقال ابن الاثير هو من قولهم اقتسموا دارا فطار سهم فلان ناحية كذا يعني ان الرؤيا هي التي يعبرها المعبر الاول فكأنها سقطت و وقعت حيث عبرت كما يسقط الذي يكون على رجل الطائر بادنى حركة انتهى فقيل والحاصل ان هذا تمثيل وتصوير لجعلها على قدر قدره الله تعالى لصاحبها بشيء متعلق برجل طائر يسقط بادنى حركة فاذا عبرها أول عابر فكأنها كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت لك من شيء فهو طائر ومنه قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه أي حركاته في عبادته ومعاملاته في ذمته غير منفكة عنه

(وقوله) أى كما رواه الشيخان وغيرهما هذا وقد قيل الرؤيا المنام تفسيرها بما يلائم الرؤيا والله اعلم بها حديثا روى ان امرأة أتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت رأيت كان جائزة بيتى قد انكسر فقال عليه الصلاة والسلام يرد الله غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل ذلك فأتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تجده ووجدت أبا بكر رضى الله تعالى عنه فأخبرته فقال يموت زوجك فذكرت

ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل قصصتها على أحد قالت نعم قال هو

كما قيل لك (الرؤيا ثلاث) أى ثلاثة أنواع (رؤيا حق) بالاضافة أى ثابت موافق وصدق مطابق كرؤية الانبياء والاصفياء فانها تخرج على وجهها أو على نحو ما أول بها (ورؤيا تحدث بها الرجل نفسه) فيراها فى منامه فهى أضغاث أحلام وخيالات منام (ورؤيا تحزين) بالجر وفى نسخة بالرفع (من الشيطان) بان يرى فى منامه ما يكون سببا لحزنه كما فى حديث مسلم جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رأيت فى المنام كان رأسى قطع فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اذا ألم الشيطان باحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس وفى رواية اذا رأى فى منامه ما يحبه فليحمد الله واذا رأى ما يكره فليتعوذ من شرها ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره (وقوله) أى فيما رواه الشيخان عن أبى هريرة مرفوعا (اذا تقارب الزمان

لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) وفى رواية اذا اقترب والمراد اقتراب الساعة ويؤيده حديث فى آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وقيل المراد قصر الايام والليالى على الحقيقة وقيل تقارب الليل والنهار من الاعتدال لقول العابرين ان اصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار والازهار ووقت ادراك الثمار حين يستوى الليل والنهار وفى بعض الاخبار اصدق الرؤيا بالاسحار رواه أحمد والترمذى وابن حبان والبيهقى عن أبى سعيد هذا وكان الانسب للمصنف ان يرتب كل ما يتعلق بعلم من العلوم المذكورة

فقيل حقيقة العدد وقدر غيرمقصود والمقصود التكثير قيل وجهه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أوحى اليه احدى وعشرين سنة ستة منها منام والباقى وحى يقظة على أنواع منوعها جاءت امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت رأيت ان جذع السقف من بيتى وقع وعندى ولد أعور فقال يقدم زوجك وتلدين ولدا برا ثم رأتها بعد ذلك فقصتها على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا لانها فى زمن الرؤيا كان زوجها غائبا وهو عمود البيت فسقوطه غيبته قال

فاسقط علينا كسقوط الندا ☆ باليل لا ناه ولا آمر

والولد الاعور ربما يراغض بصره عن المحرمات وفى وقت كلامه لابى بكر رضى الله تعالى عنه كان زوجها مقيما وسقوطه موته والاعور يتشاءم به فالمنام واحد واختلف تأويله بحسب الحال ولامثاله كثير (وقوله) صلى الله عليه وسلم (الرؤيا ثلاث) أنواع (رؤيا حق) بالاضافة والتوصيف والظاهر الثانى وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية أى رؤيا هى حق والمعنى واحد (ورؤيا تحدث بها المرء نفسه) المراد انها خواطر تخطر بالبال لامور مفاضة من عالم المثال والملك يشبهن شيئا بغيره فى خلوة لما يورده عليها من الامانى والاوهام وهو فى معنى التجريد المذكور فى علم البديع فهو بديع والمراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران يعنى انه رأى فى منامه ما كان فى فكره قبله وهو من أضغاث الاحلام (ورؤيا تحزين من الشيطان) بان يأتى له بما يكرهه ويخاف بوسوسته وورد فى الحديث انه ينبغى للانسان ان يتحول من شقه الذى نام عليه ويستعيذ بالله تعالى من شره ويتفل عن يساره أو يصلى ركعتين ان انتبه ولا يحدث به أحدا قال السيوطى رحمه الله فى مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذى فى مسلم عن ابن سيرين عن أبى هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزأ من النبوة والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال وأحب القيد وأكره الغل والقيد ثبات فى الدين فلا أدرى أهو فى الحديث أم قاله ابن سيرين انتهى ما فى مسلم وقد اختلفوا فى ما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الى آخره فقيل هو مدرج فى الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على أبى هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا والحافظ السيوطى اعتمده وكذا المصنف رحمه الله تعالى فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال فى شرح البخارى ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى قائله والصحيح انه ابن سيرين وقول ابن حجر فى فتح البارى انها ليست منحصرة فى الثلاث لان منها ارادها هو تهويل الشيطان وتلاعبه وما يهم به المرء فى يقظته وساوسه وهو تلاعب الشيطان وسادسها وهو ما يعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشئ لانه راجع لما ذكر أو ما فى معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا فى تعليقة مستقلة تضيق عنها اوراق المقام فانظرها ان شئت (وقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة مسندا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب)

على وفق ماقدمه من المعارف المسطورة ٢٣٠ لكنه رحمه الله شوش النشر وقدم الرؤيا على الطب ثم قال (وقوله) كما رواه الدارقطني

التقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف فى المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوى وهو زمان تدرك فيه الثمار وتنفتح الازهار ويرق النسيم فتعدل الطباع البشرية فيه فيقوى قواها على تلقى مايفاض عليها ولذا قال أهل التعبير أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به آخر الزمان اذا قربت الساعة كما فى زمان المهدى وتقاربه وقصره اما حقيقة لما فى الحديث فى أيامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا السعتها عليهم أو لغير ذلك وذهب كل الترجيح أحد الوجهين لورود مايؤيده وقوله لم تكد الى آخره نفى للكذب بابلغ وجه برهانى لان مالا يقرب من الوقوع أبلغ مما لا يقع فليس نفيها اثباتا ولا اثباتها نفيا كما توهم والقربة وأجيب عنه كما فصله النحاة وشهرته تغنى عن ذكره وخص المؤمن لان نفسه أقوى وعقله أتم من غيره وقيل انه لبعد العهد بالوحى عوض المبشرات (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الدارقطنى وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا صحة له (أصل كل داء) أى مرض وتغيير مزاج (البردة) بموحدة وراء ودال مهملتين مفتوحات وهى والتخمة الا كثار من الطعام حتى لا تقدر المعدة على هضمه سميت بها البرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية أخلاطه والمراد بكونه أصلا لذلك انه منشؤه ومبدؤه فى الغالب

فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

(وماروى) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوى له الطبرانى فى الاوسط كما يأتى بيانه والمصنف لم يثبته (فى حديث أبى هريرة من قوله) صلى الله عليه وسلم (المعدة) بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان والحوصلة للطائر (حوض البدن) تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء فشبهها به وشبه البدن بما يستقى منه وقيل شبهها بعروق الشجر والبدن بفروعها وهو مكدر لما فى الحوض من الصفاء والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله (والعروق اليها واردة) جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان للماء مفرد أو جمع وارد فشبه ايصال خلاصة الغذاء الى الاعضاء بالاخذ من الحوض المورود والعروق تنقسم الى شريانات واردة كما ذكره أهل التشريح (فان كان هذا حديثا) خبر كان وقوله (لا نصححه) أى لا نحكم بصحته خبر ما الموصولة قبل وروى حديث بالرفع بدلا من هذا والنصب أولى (لضعفه وكونه موضوعا) بالجر ترق من ضعفه ويجوز رفعه على انه مبتدأ خبره (تكلم عليه) الامام أبو الحسن (الدارقطنى) نسبة لدار القطن محلة ببغداد ولا يرد على المصنف رحمه الله تعالى انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ممتنع لان ذلك فى ذكره مع بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبرانى فى الاوسط عن الزهرى عن أبى هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهرى الا زيد بن أبى أنيسة تفرد به الرهاوى وقوله تكلم الى آخره أى بحث فى سنده وكونه مرفوعا وقال فى كتاب العلل اختلف فيه عن الزهرى فرواه أبو قرة الراوى عنه وقال عن عائشة ولم يقل عن أبى هريرة وكلا الروايتين عن أبى هريرة لم يصح ولا يعرف من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن أبجر وقيل انه من كلام الحارث بن كلدة وعن ابن منبه مايقرب منه وذكر ابن أبى الدنيا انه أجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية والحكماء على ان رأس الحكمة الصمت وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت الازمة داء والمعدة دواء وعودوا كل بدن مااعتاده (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (خير ماتداويتم به السعوط) بفتح السين وضم العين وواو وطاء مهملات وكذا كل مايداوى به فانه على فعول بالفتح وهو مايجعل فى الانف ويستنشق به لفتح السدد

فى العلل عن أنس وضعفه وابن السنى وأبو نعيم فى الطب عن على وعن أبى سعيد وعن الزهرى مرسلا (أصل كل داء البردة) بفتحتين وقد تسكن الراء أى التخمة وثقل الطعام على المعدة وسميت بردة لانها تبرد المعدة فلا يستمرئ الطعام فى العادة وعلاجه أولا بالقيء وثانيا بالاسهال (وماروى عنه) أى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فى حديث أبى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط (من قوله المعدة) بفتح فكسر وقيل بكسر فسكون (حوض البدن) لجمعها الطعام كجمع الحوض الماء (والعروق اليها واردة) اى تتصاعد اليها بمنافع الطعام نفعا لابد ان الانام (وان) وصلية (كان هذا) أى الحديث (حديثا) وفى نسخة وان كان هذا الحديث (لا نصححه) أى لا نحكم بصحته بل ولا بثبوته (لضعفه) أى لضعف سنده عند بعضهم (وكونه موضوعا) أى عند غيرهم (تكلم عليه الدارقطنى) أى مضعفا له والله سبحانه وتعالى أعلم (وقوله) كما

رواه الترمذي عن ابن عباس (خير ماتداويتم به السعوط) بفتح فضم مايجعل فى الانف من الدواء

الدماغية

(واللدود) ما يسقاه المريض فى أحد شقى فمه (والحجامة) بكسر أوله (والمشى) بفتح فكسر فشدة المسهل ويقال بفتح ميم فسكون شين فتخفيف وسمى به لحمله صاحبه على كثرة المشى الى الخلاء (وخير الحجامة) أى وقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه خير الحجامة (يوم سبع عشرة) أى من كل شهر (وتسع عشرة) بسكون الشين وتكسر (واحدى وعشرين) زاد أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا كان شفاء من كل داء هذا والتأنيث باعتبار مضاف مقدر أى يوم ليلة سبع عشرة مراعاة للاسبق منهما فان ليلة الشهر منه وقيل سبق الليل فى الوجود أيضا وفى قوله تعالى نسلخ منه النهار ايماء الى ذلك وانه أصل هنالك وأبعد الدلجى فى قوله بحذف المميز كما فى حديث من صام رمضان فأتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله فان لفظ اليوم مميز مستغنى عن مميز آخر وأما قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا فلمجرد التأكيد (وفى العود) أى وفى قوله كما رواه البخارى عن أم قيس فى العود (الهندى) قيل هو القسط البحرى وقيل عود التبخر قاله ابن الاثير (سبعة أشفية) قيل المراد بها الكثير (منها ذات الجنب) كما فى حديث وخص بالذكر لانه أصعب داء فقلما يحصل فيه شفاء (وقوله) أى كما رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدى كرب (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لابد) أى بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة (فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) والنفس بفتحتين بمعنى التنفس وفى أصول المذكور لطعامه وشرابه ولنفسه بالاضافة

الدماغية ومنع النزلات (واللدود) بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة وهو ما يجعل فى أحد شقى الفم ويتغرغر به لدفع ورم يعترى الصبيان غالبا وهما فى الاصل اسمان لمرضين فى الرأس وأعلى الحلق ويسمى الثانى نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف وكان النساء يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وأمرهم بما ذكر وهو العود الهندى يحك فى الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو مأخوذ من اللديد وهو جانب الوادى كما قال الاصمعى وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه مرض خفى لا يعرفه أكثر الاطباء قديما فضلا عن زماننا وفى الهدى النبوى لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفاء الصدور (والحجامة) وهى مص الدم بالة المعروفة فى الرأس وبين الكتفين وهى فى مؤخر الدماغ تورث النسيان وهى دواء للشقيقة فى الرأس مع انه مرض مزمن وورد فيها أحاديث منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليلة الاسراء ما مررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر أمتك بالحجامة (والمشى) بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا ومشوا وسمى به لان صاحبه يكثر المشى للخلاء وفى الحديث لو كان شئ فيه شفاء من الموت لكان فى السنا وابعض الشراح هنا كلام مختل تركه خير منه (وخير الحجامة) أى أنفعها بعد نصف الشهر (يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) فى الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما وصححه وأبو داود عن أبى هريرة مرفوعا وشذ من قال موقوفا وسكت عنه وغلب فيه المؤنث على المذكر أو ذكر لحذف المميز ونهى عن الحجامة فى يوم الاربعاء والسبت والاحد وروى عن ابن حنبل انه كره الحجامة فى هذه الايام وانما كانت الحجامة فى النصف الاخير والربع الثالث من الشهر أنفع لان الاخلاط تهيج فى أوله وتسكن بعده بهبوط القمر فلا ستفراغ فيه أقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغى أن يكون فى الساعة الثانية أو الثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع ولا شبع ولا فى الصوم (وفى العود الهندى سبعة أشفية ٢) والمراد بالعود الهندى العود المعروف وقيل القسط الابيض وهو مبين فى باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفاء على خلاف القياس والقسط بضم القاف ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث وينفع أمراض الكبد والربع والسبعة علمت بالوحى وما عداها بالتجربة (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن) شبه البطن بالوعاء الذى فيه الطعام وفى بعض النسخ من بطنه والشر به فى البطن محققة لانه يضر ويورث الكسل المانع من العبادة وفى المفضل عليه تقديره (فان كان لابد) أى ان لزم وأصل معنى البد المفارقة يقال لا بد من كذا ولا محالة أى لا مفارقة ولا تحول فاريد به لازمه (فثلث) من البطن (للطعام وثلث للشراب وثلث) يكون خاليا (للنفس) أى لدخوله وخروجه وهذا ايماء الى انه لا ينبغى ملؤه بتمامه وأن يكون ما فيه أقل من ملء ثلثيه وهذا بعض حديث رواه ابن ماجه والترمذى وابن خزيمة مرفوعا حسنا وهو ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث الى آخره وجعله من طبه لانه بين مبدأ الصحة والمرض ومقدار ما يكفى البدن ورعايته وهم بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض أهل الكتاب ليس فى كتابكم

٢ قوله منها ذات الجنب موجود باصل الهامش فقط فليحرر اه

(وقوله) أى فى علم النسب كما رواه أحمد والترمذى (وقد سئل عن سبا) بكسر الهمزة وبفتحها وبابدالها ألفا كما قرئ بها فى قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية (أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال رجل) أى هو أبو قبيلة سميت به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل اسم مدينة (ولد عشرة) أى ولد له عشرة أولاد وهو بمكة (تيامن منهم ستة) أى أخذوا نحو اليمن فتولدوا ونزلوا فيه وأكثر قبائله منهم وهم كندة والاشعرون والازد ومذحج وانمار وحمير الذين منهم خثعم وبجيلة وفى الحديث الايمان يمان والحكمة يمانية لان الايمان بدأ من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن (وتشأم أربعة) أى أخذوا نحو الشام وهو من العريش الى الفرات وهم عاملة ولخم وجذام وغسان (الحديث بطوله) أى مما يدل على طول باعه فى هذا الفن (وكذلك جوابه فى نسب قضاعة) بضم القاف (وغير ذلك) أى من سائر النسب (مما اضطربت العرب) بصيغة الفاعل أو المفعول ورجحه التلمسانى أى اضطربت واختلفت والتجأت أو التجئت (على شغلها بالنسب) أى مع كمال اشتغالهم بعلم النسب (الى سؤاله) أى سؤالهم اياه (عما اختلفوا فيه من ذلك) ومن ذلك ما رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى قال صلى الله تعالى عليه وسلم من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال أقعد فقلت ممن نحن قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير (وقوله) أى كما رواه البزار وقال العسقلانى انه منكر (حمير) بكسر فسكون ففتح ممنوعا قبيلة معروفة من اليمن (رأس العرب) أى أساسها وأصلها (ونابها) أى عمدة أهل كلامها الشرفهم فانهم ولد معد بن عدنان من ولد اسمعيل بن خليل الرحمن

الطب فقال له بعضهم قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر ما يتعلق بعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب ولم يراع فى اللف والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع فقال (وقوله) عليه الصلاة والسلام فى حديث رواه الترمذى عن فروة وأحمد عن ابن عباس مسندا (وقد سئل عن سبأ) بهمزة فى آخره يجوز ابدالها ألفا وعلى همزه يصرف ولا يصرف فيجوز تنوينه وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه وفى مسماه (أهو رجل أم امرأة أم) هو اسم (أرض) كان يسكنها أو ينزل بها (فقال) هو اسم (رجل) سمى باسمه أرض وهى مدينة بلقيس باليمن فلا خلاف بين القولين فصرفه ظاهر ومنعه لانه أريد به قبيلته فان أريد به الارض فباعتبار البقعة (ولد عشرة) من الاولاد الذكور ولذا قال عشرة (تيامن منهم ستة) أى سكن اليمن فتولد منه أكثرهم ونسبوا اليه وهم مذحج وحمير وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علماء النسب وأهل التاريخ واليمن اقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة (وتشأم أربعة) أى سكنوا الشام بالهمزة وقد تبدل ألفا وهو من الفرات الى العريش وهم لخم وجذام وعاملة وغسان كما قاله الواحدى فى تفسيره وتحت هؤلاء قبائل وبطون وأفخاذ ليس هذا محل تفصيلها (الحديث بطوله) بالنصب أى أذكر هذا الحديث وفيه اشارة الى انه اقتصر على بعض منه يكفى فيما أراده وترك الباقى لطوله والغنى عنه واختلف فى وجه تسمية الشأم شاما فقيل لانها فى جانب اليسار ويقال له شامى كسرى وقيل سميت باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام وقيل انه بمعنى الشأمة لشامات حمر وسود فيها (وكذلك) أى مثل ما تقدم من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب (جوابه) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله وهو عمرو بن مرة (فى نسب قضاعة) فى حديث رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال أقعد فقلت ممن نحن قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة أبو حى من اليمن لقب به لانفصاله عن الناس لان القضاعة ما ينفصل عن أصل الحائط وقيل من قضع بمعنى قهر لقهره بشجاعته من عاداه وقيل القضاعة من أسماء الفهد أو كلب الماء (وغير ذلك) المذكور (مما اضطرت) بالبناء للمفعول وهو لغة القرآن الفصحى أو الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال الله تعالى *أمن يجيب المضطر اذا دعاه (العرب على) أى مع (شغلها) بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها والاول هنا أولى أى اشتغالها وتقييدها (بالنسب) أى بمعرفته وحفظه لاعتنائهم بضبط أنسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجأوا (الى سؤاله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عما اختلفوا فيه) لخفائه عليهم (من ذلك) أى معرفة ذلك أى مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم مما جل أمرهم ضبطه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعتنى به ولا يشتغل بحفظه وذلك يدل على قوة معرفته بالانساب وفى نسخة مصححة ومن ذلك بالواو فهو خبر مقدم (و) قوله (قوله) مبتدأ وه أى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزاز (حمير) وهم قوم من العرب بوزن درهم بن سنان بن يشخب (رأس العرب) أى منزلتهم من الشرف فى العرب بمنزلة الرأس من الجسد (ونابها) وهو سن كبير خلف الرباعية أى هم عمدتهم ومن أشدهم وهم

(ومذحج) بالذال المعجمة والحاء المهملة والجيم كمجلس على ما في القاموس وقيل بفتح وهو قبيلة عبارة الدلجي بالدال المهملة (هامتها) بتخفيف الميم وهو وسط الرأس أي أشرفها أو رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة ثم لام ساكنة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ في الحلق وهو اشارة الى تمكنهم في الشرف وعلوهم واصالتهم وعظمهم (والازد) بالزاي الساكنة قبيلة من اليمن (كاهلها) بكسر الهاء مقدم الظهر ما بين كتفيه وهو محل الحمل أي عمدتها (وجمجمتها) بجيمين مضمومتين عظم الرأس المشتمل على الدماغ أي سادتها وقيل جماجم العرب هي القبائل التي تجمع البطون فكاهل مضر تميم (وهمدان) بفتح فسكون فدال مهملة قبيلة معروفة (غاربها) بكسر الراء ما بين السنام والعنق (وذروتها) بكسر الذال وضمها وبفتح وسكون الراء أي أعلاها والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين ما لهذه القبائل من الفضائل وهذا من علم الانساب (وقوله) أي في علم الحساب كما رواه الشيخان عن أبي بكرة (ان الزمان قد استدار)

(٣٠ شفا ث) أي رجعت أشهره الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل نسيء الجاهلية من تأخيرهم حرمة شهر الى آخر وكانت حجة الوداع التي ذكر في خطبتها هذا الحديث في السنة التي استدار فيها (كهيئته) أي ترتيبه وصفته (يوم خلق الله السموات والارض

من ولد معد بن عدنان ومن ذرية اسمعيل (ومذحج) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما حيان من العرب مالك وطيء سميا باسم أكمة ولدتهما أمهما عندها وميمه زائدة فوزنه مفعل وقال الجوهري أصلية فوزنه فعلل وهو فيه مخالف لما في كتاب سيبويه وشروحه وليس هنا محله (هامتها) أي رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم وهاء وهي لحمة بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم وفيه اشارة الى اشتراكهما في الشرف وتخصيص كل بفضيلة مع التفنن في التعبير فان الرأس والهامة متقاربان والباب والغلصمة يحتاج لكل منهما في اساغة الطعام الذي هو مادة الحياة وقيل انه تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة أشد ولك أن تقول انه اشارة الى ان في حمير مع الشرف شدة وقهرا وفي مذحج انتفاعا وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ أو المجاز المرسل بتسمية الكل باسم الجزء وقول أبي بكر رضي الله تعالى عنه في حديثه المشهور أمن هامها أم من لهازمها أي أشرافها أو أوساطها يدل على تفضيل حمير (والازد) بهمزة مفتوحة وزاي معجمة ساكنة ودال مهملة وهو الازد بن الغوث وهو بالسين أفصح كما في القاموس أبو حي باليمن ومنه الانصار ويقال للازد شنوءة وعمان وسراة وازد بن الفتح محدث (كاهلها) بوزن فاعل وهو ما يلي العنق من أعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الثقل والحمل وقيل ما بين كتفيه أو موضع العنق في الصلب (وجمجمتها) بضم الجيمين وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهي عظام الرأس وتطلق على الرأس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة أيضا اسم قدح ونقل معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان أشرف كالمهاجرين والخلفاء فهم لهم الفضل بمعاونتهم وحمل كدهم لان الانصار منهم (وهمدان) بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة (غاربها) هو من البعير كالكاهل من الانسان والكتف (وذروتها) بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة أي أعلاها وسنامها وفيه من المعرفة بأنساب العرب ومنازلها في الشرف والاحاطة بها ما لا يهتدي لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل أراد بالذروة أعلى السنام وآثار الضعف والنكارة لائحة على هذا الحديث لتكرر ذكر الرأس بألفاظ مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت أما انكاره من جهة الرواية فمسلم وأما من جهة تكراره المذكور فتفنن بديع ونوع من الفصاحة ولا وجه للاستدلال به وهو عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن أبي بكرة في خطبة حجة الوداع ولفظه قوله في جميع ما وقع هنا بالجر رواية عن المصنف وان جاز رفع بعضها (ان الزمان قد استدار) أي عاد لما كان عليه كالدائرة التي ترجع انتهاؤها الى ابتدائها (كهيئته يوم خلق الله السموات والارض) وتتمة الحديث السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان انتهى وقيد بذلك دفعا للنسيء وتغيير الشهور الذي كانت الجاهلية تفعله فانهم كانوا أهل حروب وغارات فربما أتاهم بعض الاشهر الحرم وهم يحاربون فيشق عليهم الترك فيجعلونه وينقلونه من شهر الى آخر ويستمر نقله من شهر لآخر سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك شهر الحج فكانوا يحجون في كل شهر عامين فوافق حجة أبي بكر العام الثاني من حجة ذي القعدة فلما حج صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع وافق حجه شهر ذي الحجة المشروع فوقف كما هو الآن فخطب وأعلمهم ان حجه في هذا الشهر ليس اتفاقيا وانما هو لدوران الشهور في الجاهلية والغاه وأمر شرعه الله وقدره في الازل وأمر به نسخا لما كانوا يفعلونه وأمرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحافظة عليه وان لا يبدلوه ويديروه دور الجاهلية الاولى فقوله استدار بمعنى رجع لما في علم الله وقضائه قديما وهو معنى قوله يوم خلق الله الخ فنسي النسيء

ونسخ وكانوا اذا أرادوا ذلك يقوم رجل من بنى كنانة لانهم أهل غارات على جمل بالموسم و ينادى باعلى
صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فاحلوها واستدارته بموافقة حجه للشروع ولذا لم يحج صلى الله
تعالى عليه وسلم قبله وأرسل أبا بكر رضى الله تعالى عنه بالعهد ليظهر الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر
ان حجة الوداع كانت والشمس فى الحمل وقد تساوى الليل والنهار واعتدل بشرف شمس النبوة وقال
الصدر القونوى فى شرح الاربعين حديثا له ان فى هذا الحديث أسرارا الهية لا يطلع عليها الا بعض
الكمل ثم قال ان النوع الانسانى أوجد بالامر الالهى فى أول دور السنبلة ومدته سبعة آلاف سنة بعث
نبينا صلى الله عليه وسلم فى الالف الاخير منها الجامع بين أحكام السنبلة والميزان المختص بالآخرة
والبروج تتمازج بالقرب فامتزج فى زمان بعثته الدنيا بالآخرة البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار
فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس وكذلك ظهور أحكام الآخرة من حين المبعث الى طلوع
الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث ذكر ما
لا مساس له به ولا ينبغى ذكره وذكر هذا الحديث هنا اثباتا لعلمه عليه الصلاة والسلام بالحساب فان
الزمان وحركاته الدورية مبنية عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن
ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (فى الحوض) أى فى شأن حوضه الذى يكون يوم القيامة يشرب منه
العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لا نظمأ بعدها (زواياه سواء) جمع زاوية
وهو ما يحصل من تلاقى خطين من داخله وسواء بمعنى متساوية وهذا يقتضى انه مربع متساوى
الاضلاع مستقيمها فانه لا تتساوى زواياه الا اذا استقامت اضلاعه وهذا أمر مبنى على المساحة ودقائق
الهندسة وذكر ابن أبى الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصاء ومنه قوله تعالى الى ظل
ذى ثلاث شعب فقال انه ايماء الى انه ليس بظل لان المثلث لا ظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن
لكل مقام مقال وهذا الاينافى ما ورد فيه من ان مسافته ما بين ايلة وصنعاء ومسافة شهر وغير ذلك كما لا
لانه أعلم باحواله شيأ بعد شئ كما قيل بل لان المراد من كل زيادة سعته فهو كما فى المثل كلا جانبى هرشى
لهن طريق (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه أبو داود وابن ماجة عن عبد الله بن
عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما (فى حديث الذكر) وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال خصلتان
لا يحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله عز وجل دبر كل صلاة
عشرا ويحمده عشرا ويكبر عشرا قال فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعقدها بيده فذلك
خمسون فهى مائة باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان فاذا أوى الى فراشه سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة
باللسان وألف فى الميزان فايكم يعمل فى اليوم ألفين وخمسمائة سيئة الى آخر الحديث (وان الحسنة بعشر
أمثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان) أى اذا جرت على اللسان وذكرت فى دبر كل صلاة من الصلوات
الخمس فانها ثلاثون مضروبة فى خمسة (وألف وخمسمائة فى الميزان) التى توزن به الاعمال والوزن اما
لصحفها أو لها نفسها بجعل الاعراض اجساما وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة أجرها فان
الحسنة بعشر أمثالها كما ورد به النص وهو أقل مراتبها وقد يزيد على ذلك وهذا استدلال
من المصنف رحمه الله تعالى على معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة
لمقامه وحدة ذهنه أمر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم
مسبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم انها بدعة وقال السيوطى فى رسالة سماها المنحة فى السبحة
انها سنة وان لم يباشرها بنفسه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عند بعض الصحابيات
نوى تعد به الذكر فاقرها عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه

الطبرانى

وقوله) أى فى معرفة المساحة كما رواه الشيخان عن ابن عمرو (فى الحوض) أى الكوثر (زواياه سواء) أى مربع تربيعا مستويا لا يزيد طوله على عرضه (وقوله) أى فى معرفة جمع العدد كما رواه أبو داود (فى حديث الذكر) أى الاذكار حيث قال تسبح عشرا وتحمد عشرا وتكبر عشرا وتلك ثلاثون (وان الحسنة بعشر أمثالها فتلك) أى الكلمات المذكورة دبر الصلوات المزبورة مجموعها (مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة فى الميزان وقوله) أى فيما رواه الطبرانى بسند ضعيف عن أبى رافع

الطبرانى عن أبى رافع بسند قوى ان فيه ضعفا (وهو فى موضع) جملة حالية وفى نسخة وهو بموضع (نعم موضع الحمام هذا) بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويؤنث ولم يكن فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا دليل لما لم يذكره فان فيه الاخبار بحال البناء ومهاب الهوى ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل موضع الحمام كقوله تعالى ﴿نعم دار المتقين﴾ (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن أبى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) القبلة تطلق على المسجد كما فى قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فى احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا لانه المراد عند الاطلاق وهو اما بيان لقبلة أهل المدينة لانهم المخاطبون أو على من هى فى جنوبه أو شماله وامتدت عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال عين الكعبة أو جهتها ففيه بحث طويل مفصل فى التفسير وكتب الفقه لا يسعه هذا المقام والشاهد فى الحديث انه يدل على علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بعلم الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث ذكره ابن الاثير فى النهاية ولم يخرجه السيوطى لانه لم يقف عليه (لعيينة) بن حصن الفزارى ويكنى أبا مالك أسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة وكان من جفاة الاعراب وهو الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم انه الاحمق المطاع لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين (أو للاقرع بن حابس) بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى واسمه فراس ولقب بالاقرع لقرع فى رأسه وهو من المؤلفة أيضا وكان شجاعا فارسا شريفا فى قومه فى الجاهلية والاسلام أسلم وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وفد بنى تميم وهو الذى نزل فيه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وقصته مذكورة فى السير والشك فى المقول له من الراوى وقال ابن الاثير انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة فقال انا أعلم بالخيل منك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (انا أفرس بالخيل منك) أى أبصر وأعرف ومصدره الفراسة بفتح الفاء والفراسة بالكسر من التفرس وهو معنى آخر وهو رد عليه باسلوب حكيم ولم يقل له لست كذلك لما يعلمه من انه اعرابى جاف (وقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (الكاتبه) وكان له كتبة عديدة كما مر والمقول له منهم قيل انه معاوية رضى الله تعالى عنه وقد عدا برهان فى حاشيته هذا الكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة وأربعين وعدهم شيخه الحافظ العراقى وقال ان شيخه الجمال الانصارى أفردهم بتأليف قلت وقد وقفت انا أيضا على تأليف لابن أبى الحديد فيهم وكأنه لم يقف عليه ولم يفصلهم هنا لان له مقاما آخر وكان المداوم

(وهو بموضع) أى فى موضع ليس به حمام وفى أصل التلمسانى ومرة وهو على كل فالجملة حال (نعم موضع الحمام هذا) وهذا من علم الهندسة ومعرفة المساحة فكان أولى بعد ذكر الحوض لما بينهما من المناسبة (وقوله) كما رواه الترمذى عن أبى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) أى لاهل المدينة ونحوهم ممن هو فى جنوبه أو شماله فقال التلمسانى هذا فى طيبة ولكل مدينة بين شرقها وغربها الان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعل جميع ما يقع بين المشرق والمغرب قبلة ومساحة الكعبة لا تفى بما بينهما وانما تفى بجهتها فهو حجة العامة فى عدم اشتراط اصابة عين الكعبة للنائى عنها وهذا من جملة علوم الهندسة المتعلقة بمعرفة القبلة والظاهر ان القبلة هى الجهة لا عين الكعبة والا فلا وجه للخصوصية فهو حجة للحنفية على الشافعية (وقوله) أى فى معرفة الفرس (لعيينة) بالتصغير وهو ابن حصين الفزارى من المؤلفة قلوبهم شهد حنينا والطائف قال الذهبى وكان أحمق مطاعا دخل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأساء الادب فصبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جفوته واعرابيته وقد ارتد ثم أسر فمن عليه الصديق ثم لم يزل مظهر الاسلام وكان يتبعه عشرة آلاف قناة انتهى وقال غيره أسلم يوم الفتح وقيل قبله وقال الواقدى انه عمى فى خلافة عثمان (أو للاقرع) أى ابن حابس التميمى وفد بعد الفتح وشهد مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق وكان على مقدمته واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فاصيب هو والجيش بجوزجان وكان من المؤلفة (انا أفرس) مأخوذ من الفراسة أى انا أعرف (بالخيل منك) وفى نهاية غريب الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له انا أعلم بالخيل منك فقال له وانا أفرس منك (وقوله) أى كما رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (الكاتبه) أى لاحد من كتابه أو لكاتبه الاخص به وهو زيد وقيل معاوية وفى أبى داود عن ابن عباس قال السجل كان كاتبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق فى كلام الحلبى ان كتابه بلغوا ثلاثا وأربعين الا ان ابن أبى سرح ارتد ثم رجع ومات ساجدا لله واما ابن خطل فقتل يوم الفتح وهو متعلق باستار الكعبة لقوله عليه الصلاة والسلام من قتل ابن خطل فهو فى الجنة واختلف فى قاتله

(ضع القلم) أى اذا فرغت (على اذنك) أى فوقها (فانه) أى وضعه هذا (اذكر) أى أكثر تذكرا قال الحلبى لانه يقتضى التؤده وعدم العجلة (للممل) بضم الميم الاول وكسر الثانى وتشديد اللام أى للملى كما فى نسخة من أملات وأمليت وبهما ورد القرآن وليملل الذى عليه الحق فهى تملى عليه (هذا) أى ماذكر مما جمعه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعارف والعلوم (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايكتب) والاظهر ان الاشارة الى ماسبق من تعليم بعض كتابه مايتعلق بعلم الخط وآدابه واما عدم كتابته فلحديث انا أمة لانكتب ولانحسب

ذكره الدلجى وفيه ان نفى الشئ عن الجنس لايوجب انتفاءه عن جميع أفراده

على الكتابة له صلى الله تعالى عليه وسلم زيد ومعاوية رضى الله تعالى عنهما (ضع القلم على اذنك) لم يعينها والمراد اليمين (فانه) أى وضعه كذلك (اذكر) أى أكثر ذكرا بكسر الذال وضمها وهو ضد النسيان (للممل) اسم فاعل أصله الممال وجوز فيه ان يكون اسم مفعول أيضا أى مايذكر ويملى وأمل وأملى بمعنى وهو القاء مايكتب على الكاتب وبهما ورد القرآن قال الله تعالى فليملل الذى عليه الحق وقال الله تعالى فهى تملى عليه والاصل أملات فقلب تخفيفا كما قاله الراغب واما قوله تعالى وأملى لهم ان كيدى متين فمعناه أمهلهم (هذا) أى خذ هذا أو اذكره وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير والرسم يخالفه وهى كلمة مستعملة فى الانتقال والتخلص من كلام لآخر أو مايتممه وهى كذلك فى القرآن وكلام العرب أى معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتابة وأحوالها (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم) أمى من أمة أمية لايكتب ولايحسب فهو من معجزاته لانه كان لايكتب كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان ذلك فى أول أمره وانه كتب بعد ذلك فى الحديبية كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله ابن حجر فى تخريج احاديث الرافعى وقد تقدم بيانه فى غير ماموضع (ولكنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أوتى) بالبناء للمجهول للعلم بان المؤتى له هو الله تعالى (علم كل شئ حتى قد وردت آثار) جمع أثر وهو مايؤثر ويروى مطلقا وقد يخص بما يقابل الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة أو التابعين رضى الله تعالى عنهم (بمعرفته حروف الخط) أى كيفية رسمها (وحسن تصويرها) أى صورتها المستحسنة عند أهلها ومن مارسها (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم الكاتبه (لاتمد بسم الله الرحمن الرحيم) أى لاتجعل السين مدة طويلة من غير بيان اسنانها فانه يلبس صورتها وفى نسخة لاتمدوا (رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان بن اسحق المصرى المالكى توفى سنة خمس وخمسين ومائة وضعفه ابن حزم وله ترجمة فى الميزان وقال السيوطى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه لاتمد بسم الله الرحمن الرحيم لم أجده وللديلمى من حديث أنس رضى الله تعالى عنه اذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله من حديث زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (وقوله) صلى الله عليه وسلم (فى الحديث الآخر الذى يروى) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله (عن معاوية) بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه أحد كتبته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم وفى نسخة الذى يروى معاوية أى يرويه عنه صلى الله عليه وسلم ويروى مبنى للفاعل على هذا (انه كان يكتب بين يديه) أى عنده وفى مجلسه (فقال له ألق الدواة) ألق أمر بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لالتقاء الساكنين يقال لاق الدواة يليقها ليقة وليقا والاقها ولاق يتعدى ولايتعدى أى أصلح مدادها من قولهم لاق به اذا ألصقه ومنه يليق بك كذا ولايليق اى يناسب واشتهر استعمال ذلك فيما يجعل فى الدواة من حرير أولبد أونحوه لانه يصلحها لمنعه كثرة أخذ المداد فى القلم الذى قد يفسد الخط (وحرف القلم) أى اجعل قطه محرفا فانه أعون على تصوير

بدليل انه كان فيهم من يكتب فالاولى هو الاستدلال بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (ولكنه) أى مع كونه أميا (أوتى علم كل شئ) أى لدنيا (حتى قد وردت آثار) أى أخبار (بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها) أى من تطويلها وتدويرها (كقوله لاتمد) وفى نسخة لاتمدوا أى لاتطولوا (بسم الله الرحمن الرحيم) أى سينه من غير تبيين سنه مخافة ان يظن باء ممدودة فيقرأ باليباء والميم من غير سين بينهما لما روى الدارمى عن زيد ابن أنس اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (رواه ابن شعبان) وهو ابن اسحق المصرى المالكى له ترجمة فى الميزان قال فيها وهاه ابن حزم ولاأدرى لماذا

انتهى ومات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (من طريق ابن عباس وقوله) أى كما فى مسند الفردوس (فى الحديث الآخر الذى يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له ألق الدواة) بفتح الهمزة وكسر اللام أمر من ألق الدواة اذا جعل لها ليقة وأصلح لها مدادها وهو بمعنى مجرده لاق على مافى القاموس فقول الجوهرى والاق لغة أى قليلة لاردية (وحرف القلم) بتشديد الراء المكسورة أمر من التحريف أى اجعل طرف شقه الايمن أزيد ان الطرف الآخر قليلا لانه أسرع فى الكتابة وأبدع فى اللطافة

السنات

(وأقم الباء) أي طولها (وفرق السين) أي اسنانها (ولا تعور الميم) أي لا تطمسها بل بين بطنها وهو بتشديد الواو بعد العين المهملة انما في أصل الدلجي بالقاف بعد كونه عينا فاصلاح في نسخة قرئت على المصنف وعليها خطه فخطأ فاحش وتصحيف وتحريف لما في القاموس قار الشيء قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوره (وحسن الله) أي جمع حروفه (ومد الرحمن) أي اكثر حروفه من المد بين الميم والنون أو آخرها وهو الاولى (وجود الرحيم) أي حروفه لاسيما الميم وقد روى الديلمي عن أنس اذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن أي مد اليه فيمد له الرحمن مدا وقيل خص الرحمن بالمد لعموم الرحمة الشاملة للدنيا والآخرة وخص الرحيم بالتجويد لانه يخص أصحاب التوحيد (وهذا) أي ما ذكر مما يشهد لان مما أوتيه من المعارف معرفة حروف الخط (وان لم تصح الرواية) أي عن أحد رواة الحديث وأصحاب الدراية (انه عليه الصلاة والسلام كتب) أي بيده (فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة) أي لحكمة تقتضي هنالك كما قدمنا ذلك قال الدلجي ولا يبعد أيضا وان كان يحرم عليه التوصل اليهما معرفة ان يقع منه في وقت معجزة له وكرامة بشهادة ما في صحيح البخاري فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وفيه في عمرة القضاء انه قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله انتهى ولا يخفى ان لفظ كتب وقع مجاز الاسناد فيه على ما قاله الحلبي وقال أبو الوليد الباجي حقيقة وهو في هذا القول شاذ منفرد عن الجماعة والمسألة شهيرة وملخصها ان اللفظة صحيحة المبنى وهي مجاز معنى لانها ليست بصحيحة أصلا كما توهم عبارة المصنف هذا ووقع في سيرة أبي الفتح اليعمري ما لفظه وقد روى البخاري ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب ذلك بيده قال الحلبي قوله بيده لم أرها في صحيح البخاري والله سبحانه وتعالى أعلم ثم اعلم ان المراد بالقراءة القراءة بالنظر لا مطلق القراءة فالمعنى منع الكتابة والقراءة من الكتابة وقد أبعد التلمساني في جعل القراءة معطوفة على العلم أي رزق العلم والقراءة ومنع الكتابة انتهى وبعده لا يخفى في اعراب المبنى وافراب المعنى (واما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها) أي خصوصا

السنات بكون تحريفه من جهة اليمين (وأقم الباء) أي اجعلها مستقيمة أو طولها قليلا لانها عوض عن ألف اسم (وفرق السين) أي اجعل اسنانها منفصلا بعضها من بعض (ولا تعور الميم) أي لا تجعل دائرتها مطموسة كالعين العوراء وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة (وحسن الله) أي كتابته وصورته فخامة تعظيمه لمسماه (ومد الرحمن) أي بينه واعطه المد فيه فهو معنى مد ما بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا أو المراد أرسم ألفا بعد الميم مخالفة رسم المصحف العثماني (وجود الرحيم) أي حسن كتابته والتجويد مطلق التحسين ويختص في العرف بتحسين الخط وفي عرف القراء بتحسين التلفظ بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس (وهذا) أي معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط ونحوه مبتدأ خبره قوله الآتي فلا يبعد والفاء زائدة أو هو خبر مقدر أي محقق ونحوه والفاء في جواب الشرط (وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب) بيده الشريفة اشارة الى ما قاله الباجي من انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده في الحديبية كما تقدم وانه لا يضر في كونه أميا لانه كان في بدء أمره لامر اقتضى بانقضاء سببه وهو معجزة أخرى له صلى الله تعالى عليه وسلم (فلا يبعد) عقلا (ان يرزق علم هذا) أي علم الخط من غير تعليم (ويمنع الكتابة والقراءة) من المصحف قيل ولا يبعد ان يقع منه الكتابة والقراءة في وقت معجزة أخرى له بشهادة ما في البخاري رحمه الله تعالى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله في عمرة القضاء وانه قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه امح رسول الله لما أباه بعض المشركين فقال والله لا أمحوها أبدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أقول قد علمت ان هذه مقالة صدرت عن الباجي أنكرها عليه أهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد مجالس له فحاجه علماء عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقرآن وكونه عده من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فاجاب بانه مصرح به في حديث البخاري رحمه الله تعالى والتجوز خلاف الاصل وفي القرآن ما يشير اليه لان قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك يقتضي كتابته من بعده وهو معجزة لا تنافي كون أميته معجزة في أول أمره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخاري (واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب) جمعها قبائل وبطونا وكل أحد لا يعرف ولا ينطق الا بلغته حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق (وحفظه معاني أشعارها) وان كان لا يقول الشعر ولا ينشده وان أنشده

(فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه) أى بعض ماورد عنه فى لغات العرب لا فى اشعارها (أول الكتاب) وفى نسخة فى أول الكتاب أى على ماسبق من غرائب مبانيها وبيان معانيها ومنها قوله عليه الصلاة والسلام وقد أنشده كعب بن زهير فى لاميته قوله

قنوان فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

فقال لاصحابه ما الحرتان فقالوا العينان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الاذنان وماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم هو المعروف عند العرب الاول فى الحرتين ومنها ما أنشده كعب بن مالك فى قصيدته العينية وفيها قوله

مجالدنا عن جزمنا كل فخمة * مدربة فيها القوانس تلمع

فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيصلح ان يقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو أحسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا على ماقاله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك حفظ كثير من لغات الامم) أى مما عدا العرب (كقوله فى الحديث سنه سنه) بفتح السين وتخفيف النون وتشدد فهاء ساكنة فيهما وفى رواية سناه سناه وفى أخرى سنا سنا بفتح مهملتها وكسرها رواية القابسى وشددنونها وخففها أبو ذر وغيره قال ابن قرقول كلها بفتح السين وتشديد النون الا عند أبى ذر فانه خفف النون والا القابسى فانه كسر السين وقال ابن الاثير فى النهاية قيل سنا بالحبشية حسن وهى لغة وتخفف نونها وتشدد وفى رواية سنه وفى أخرى سناه بالتشديد والتخفيف فيهما وقال الهروى فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الخميصة بيده ثم ألبسها أم خالد وقال لها ابلى واخلقى ثلاث مرات ثم من نظر الى علم فيها أخضر وأصفر فجعل يقول يا أم خالد سنا سنا بالحبشية حسن وهى لغة انتهى وأم خالد هذه هى ابنة خالد بن سعيد التى ولدت بارض الحبشة وهى امرأة الزبير بن العوام وهى التى كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صغيرة وأبوها أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ومات باجنادين شهيدا استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على صنعاء اليمن فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أبو بكر رضى الله تعالى عنه ان يستعمله قال له لا أعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهى) أى معنى هذه الكلمة (حسنة بالحبشية) أى باللغة المنسوبة الى الحبشة ولا يبعد ان تكون عربية وحذف الحاء للايماء الى قصد الرمزية وقال عكرمة ألسنا الحسن ولا يبعد ان يطلق السنا بمعنى النور ويراد ابن الحسن والظهور (وقوله) أى كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق

نادرا غير وزنه فى أكثر أحواله الا انه كان ترد عليه شعراء العرب الملقون بمدائح يمدحونه بها وتنشد بين يديه فيصغى لها ويعلم منها مالم يعلمه غيره من فصحائهم ألا ترى كعبا لما أنشده قصيدته وقال فيها

قنوان فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم الحريان العينان فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب ألا ترى قول علقمة

له حريان يعرف العتق فيهما * كسامعتى مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظائر لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفى ذكره الشعر بعد الكتابة مناسبة تامة اذ كل منهما ماعرفه صلى الله عليه وسلم أتم معرفة ولم يتدنس به وهو من مقاصده الحسنة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه أمر مسنون كغيره من العلوم وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطى فى شرح منظومة المعانى والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال بعض الشافعية بحرمتها هل كان يحسنهما أولا فقيل بكل من القولين كما فى الروضة والحفظ يتعلق بالمعانى والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بانه لو قال فهم معانى أشعارها كان أظهر (فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه فى أول الكتاب) فى فصل فصاحته كما تقدم (وكذلك) أى مثل معرفته للغات العرب (حفظه لكثير من لغات الامم) غير العرب وهذا ارق فى معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية (كقوله فى الحديث) الذى رواه البخارى عن أم خالد سنه سنه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لام خالد بن سعيد بن العاص أمها أميمة بنت خلف تزوجها الزبير وهى صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهى صغيرة ولذا لاطف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم العرب وقاله لها لانه أتى بثياب فيها خميصة صغيرة سوداء فيها اعلام صفر وخضر فدعاها وألبسها اياها وقال لها ذلك كما فصله البخارى وفيه لغات سنه سنه كما ذكر وسنا سنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها وأنكر بعضهم تخفيفها وروى كسر سين سنا فقول الكرمانى انها عربية وأصلها حسنة فخففت بحذف الحاء كقوله كفا بالسيف شا أى شاهدا تاباه هذه الروايات وان الحذف من الاسماء فى غير ترخيم النداء مع شذوذه لم يعهد من الاول (وهى) أى سنه بمعنى (حسنة) أنثها باعتبار الخميصة ولمناسبة سنه لفظا (بالحبشية) أى بلغة الحبشة وهم جيل معروفون (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان وغيرهما

(ويكثر الهرج) بهاء مفتوحة فراء ساكنة فجيم (وهو القتل بها) أي بالحبشة وقد سئل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال القتل ونص عليه كثير من أئمة اللغة فهو من توافق اللغتين وأما قول ابن قرقول الهرج باسكان الراء فسر في الحديث بالقتل بلغة الحبش فقوله بلغة الحبش من بعض الرواة والا فهي كما عرفت عربية صحيحة (وقوله في حديث أبي هريرة اشكنب درد) بفتح الهمزة وسكون الشين وتفتح والكاف ساكنة فنون وفتح الباء وتكسر وتضم وتسكن فدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة وفي نسخة الاولى منهما معجمة وفي أخرى دردم بميم في آخره (أي وجع البطن

بالفارسية) فان اشكنب هو البطن ودرد معناه الوجع ولعل أصلها اشكم بدردم بكسر الهمزة وفتح الكاف بعده ميم وباتصال الباء بدردم بالمهملتين وميم المتكلم فيكون فيه نوع تقريب أو لفظ غريب هذا والحديث رواه ابن ماجه وفي سنده داود بن علية والكلام فيه معروف قال الذهبي في ميزانه روى جماعة عن داود بن علية عن مجاهد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا أبا هريرة اشكنب درد قلت لا الحديث أخرجه أحمد في مسنده والاصح ما رواه المحاربي عن ليث عن مجاهد مرسلا فقوله لا يدل على استفهام مقدر أو ملفوظ ان تكن الشين مفتوحة فانه لغة ويدل أيضا على بطلان نسخة زيادة الميم لكنه فيه اشكال وهو انه لا يظهر وجه خطاب أبي هريرة بهذه الكلمة اللهم الا ان يحمل على المزاح والمطايبة في المخاطبة ثم رأيت التلمساني ذكر الحديث ولفظه قال أبو هريرة دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو منبطح على بطنه فقلت له ما هذا يا رسول الله فقال اشكنب دردم ثم فسره صلى الله تعالى عليه وسلم وتمام الحديث وعليك بالصلاة فانها شفاء من كل سقم ونقل الانطاكي من اكمال ابن ماكولا عن أبي الدرداء قال رآني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا نائم مضطجع على بطني فضربني برجله فذكر الحديث قال وهو مخالف لما تقدم قلت ولا منع من الجمع والله تعالى أعلم هذا وحديث العنب دودو يعني ثنتين ثنتين والتمر يك يعني واحدة مشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة

من طرق في حديث الفتن المتقدم (ويكثر الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وجيم (وهو القتل بها) أي بلغة الحبشة فسره صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن قرقول في المطالع فسر في الحديث بالقتل بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والا فهي عربية صحيحة وأصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه ان يزال الهرج الى يوم القيامة والعبارة في الهرج كهجرة الي انتهى وهو رد لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ولمن توهم ان تفسيره مروي في الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل من انه المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه يقتضي انه فارسي ولم يقله أحد وقيل انه من توافق اللغتين وهو أقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه ومنه المثل هم في هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد تظرف القائل

أتى زمن الربيع فهاج قوم * الى الصهباء في هرج ومرج

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث أبي هريرة) الذي رواه ابن ماجه عنه (اشكنب درد) وفي بعض الروايات اشكنب دردم بزيادة ميم ساكنة واشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة وفسره المصنف رحمه الله تعالى بما يأتي وفي الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها هاء فيقال شكنبة بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسيأتي ما فيه وقد علمت ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما رواه ابن ماجه وضبطت به الرواية عنه فانه قزويني أعلم بلغتهم وثقة في الرواية فما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من راويه كرواية الميم لانه لا يناسب قوله (أي وجع البطن) فانه لو صح ذلك قال أي وجع بطني وفسره غيره بوجع بطنك وهو أنسب بترك الميم الا ان يقال ترك معناه التعريب والذي رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو أصح لان شكم بالفارسية معناه البطن وفي سننه قال أبو هريرة هجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الي وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان في الصلاة شفاء كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطي وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر واليه انتهى علم القراآت وله تآليف مشهورة رحمه الله تعالى وروي اشكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لابي الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمساني ولم يذكروا وجه تكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمي فلعله أراد ستره ولذا ورد أنه قال ثم فسر لي وذكر البرهان بعض ما تقدم وقال انه في بعض النسخ اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لي والاعتماد على ما قدمناه وقوله (بالفارسية) أي باللغة الفارسية نسبة لفارس ابن كومرث وكومرث ابن سام أو يافث

(الى غير ذلك) أي مع غيره مما ذكر من المعارف السنية والعوارف البهية (مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به) أي بكله (ولا ببعضه) أي عادة (الا من مارس الدرس) أي دوام المدارسة ولازم المدرسة (والعكوف على الكتب) أي المواظبة على مطالعة الكتب المطولة (ومثافنة أهلها) بالمثلثة والفاء والنون أي مجالسة أهل العلوم وفي نسخة بالقاف والموحدة بمعنى المباحثة (عمره) بالنصب أي في جميع أيام عمره من غير ضياع دهره (وهو) أي والحال أنه عليه الصلاة والسلام (رجل) معروف وموصوف (كما قال تعالى) في حقه عند قوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي (أمي) أي منسوب الى أمه يعني كما ولد بعينه (لم يكتب) أي بيده (ولم يقرأ) أي بنظره أو مطالعة قبل بعثه (ولا عرف) أي هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بصحبة من هذه صفته) أي بمصاحبة أهل الدراسة والقراءة والكتابة (ولا نشأ) أي ولا انتشأ ولا تربى (بين قوم لهم علم) أي دراية (ولا قراءة) أي رواية (بشئ من هذه الامور) أي التي يمكن بمدارستها الاتصاف بممارستها (ولا عرف هو قبل) أي قبل بعثته ودعوى نبوته (بشئ منها) أي من أمور القراءة والدراسة والكتابة ويروى ولا عرف هو قبل شيأ (قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله) أي قبل نزول القرآن (من كتاب) أي من الكتب الالهية وغيرها (ولا تخطه بيمينك) أي ولا تكتبه من قبل أيضا وقوله بيمينك أي بيدك للتأكيد كما في قولهم رأيت بعيني وسمعت باذني الآية تمامها اذا لارتاب أي المبطلون أي لو كنت قارئا كاتبا لشك أهل الباطل المتعلق بغير الطائل اذ لا كل كاتب وقارئ قادر ان يأتي بهذا الكتاب الذي عجز عن الاتيان باقصر سورة منه جميع أرباب الالباب والحاصل ان صدور هذا النور وظهور هذه الامور على يد الامي أظهر معجزة وأبهر كرامة وأبعد شبهة مما لو ظهر على يد القارئ الكاتب لاسيما وقد كان يحصل الارتياب لاهل الكتاب لكونه النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل هذا والجمهور على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب وقيل كتب مرة واحدة وهو قول الباجي وصوبه بعضهم فانه لا يقدح في المعجزة كونه كتب مرة واحدة بل يكون معجزة ثانية قال القرطبي في مختصره قوله في البخاري

وقيل انه ولد لصلبه وقيل انه آدم عندهم ويقال لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله تعالى عليه وسلم بالفارسية لفظ سور في حديث جابر وهو الدعوة للطعام وبالعربية العرس (الى غير ذلك) أي بعضه وما سأذكره من معرفته باللغات أو من معارفه التي لا تحصر (مما لا يعلم بعض هذا) وفي نسخة بعضه فضلا عن كله (ولا يقوم به) أي يوفي حقه كله (ولا ببعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) أي عالجه واجتهد في حفظه ودراسته وتلقيه من أهله وفي نسخة الدروس (والعكوف على الكتب) أي ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاره لما ذكر وفيما تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وروى فيه أحاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروءته وانه يورث النفاق وانه لسان أهل النار ويدل لعدم الكراهة أحاديث كحديث الفارسية الدرية لسان أهل الجنة في الجنة (ومثافنة أهلها) مفاعلة من ثفن بمثلثة وفاء ونون أي جالسهم ولازمهم وهو أبلغ منه لانه من ثفن البعير اذا برك والثفنات ما غلظ لطول مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعني جلس بين يديهم للتعلم كالبعير البارك على الارض وهذه هيئة المتعلم في أدبه وقال التلمساني هي المثفنة من ثافنته أعنته وروى مثاقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفي بعض النسخ منافثة بنون وفاء ومثلثة أي مباحثة ونظر في الدقائق التي كنفثات السحر وفيه نظر وفي بعض الشروح ما لا معنى له هنا (عمره) منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله أي فعل ذلك مدة عمره كلها ولم يتركه طرفة عين (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى أمي) منسوب الى الام كأنه كما خرج من بطن أمه لم يتعلم وهو مبرأ من كل عيب أو الى أمة العرب لانهم معروفون بذلك كما مر وقال الشاعر عمي خالي وأبي أمي فقوله (لم يكتب ولم يقرأ) صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال الله تعالى تأدبا يعني لم أصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما وصفه الله به بقوله ان أوحينا الى رجل منهم وهو قيد لما بعده وما قبله فلا يقال انه ترك أدب فان مثله لا يقال له يا رجل كما لا ينادى باسمه فلله در المصنف ما أبعد مرماه (ولا عرف بصحبة من هذه) أي الكتابة والقراءة (صفته) حتى يقال انه تعلم منه فهذه الصفة في حقه معجزة وفي حق غيره نقص كما قال

* كفاك بالعلم في الامي معجزة * (ولا نشأ) أي لم يكن من أول نشأته وبدء أمره الى بعثته (بين قوم لهم علم) أي معرفة بشئ من العلوم لانهم من الجاهلية (ولا قراءة لشئ من هذه الامور) أي الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا أهل كتاب (ولا عرف هو) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل) مبني على الضم أي قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر (بشئ منها) أي مما ذكر من المعارف اللدنية ثم استدل على ذلك بقوله (قال الله) وفي نسخة عز وجل (وما كنت تتلو من قبله) أي القرآن وما علمك الله (من كتاب ولا تخطه بيمينك)

فى نفسه ولذا صلى الله تعالى عليه وسلم الكتابة فكتب ظاهره ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده وقد أنكره قوم تمسكا بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ولا حجة فيه فان النفى عنه الخط المكتسب من التعلم وهذا خط خارق للعادة أجراه الله تعالى على يده الكامل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان الله أعطاه الاحسن الكتابة المكتسبة وهذا زيادة فى معجزته التى والمعنى الخ قوله وما كنت تتلو من قبله أى من قبل نزول القرآن وحصول النبوة والرسالة اشارة الى انه كان مع علمه القراءة لكنه يعرفه ولا ينافى لن اعطيه الله تعالى له بعد تحقق رسالته زيادة فى الكرامة (انما كانت غاية معارف العرب النسب) أى علم النسب لكل قبيلة الى جدها من أبيها او جدها (واخبار أوائلها) أى وقائع سلفها من هزلها وجدها وتنعمها وكدها (والشعر) أوزانها وقوافيها (والبيان) أى النثر فى الخطب وأمثالها أو ما يتعلق بما فيها حتى كان ان يكون بيانهم فى شعرهم ونثرهم سحرا وشاع وذاع فيما بينهم ذكرا وفكرا وبلغوا غاية البلاغة ووصلوا نهاية الفصاحة نظما ونثرا (وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك) أى عمرا (والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه) أى عصرا (وهذا الفن) أى النوع من العلم بجميع افنانه وأغصانه فى جميع أحيانه وأزمانه (نقطة من بحر علمه) أى ونكتة من نهر فهمه وشكاة من شطر كلمه (صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد) أى انكر المائل عن الحق والمعاند (بشئ مما ذكرناه) أى فى المطالب والمقاصد (ولا وجد الكفرة حيلة) أى مكيدة يتشبثون بها فى عقيدة (فى دفع ما قصصناه) وفى نسخة نصصناه أى حكيناه وبيناه (الا قولهم أساطير الاولين) أى هو يعنى القرآن أقاصيص السابقين كما حكى الله عنهم بقوله وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا وقد تولى الله سبحانه وتعالى جوابهم بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وانما يعلمه بشر) أى من الاعجام أو الاروام (فرد الله قولهم) أى مقولهم هذا لا كما قال الدلجى هو أساطير الاولين وانما يعلمه بشر (بقوله لسان الذى يلحدون) وفى قراءة بفتح الياء والحاء أى يميلون (اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان) بكسر أى المعاينة والمشاهدة (فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان) أى الفارسى كما فى نسخة صحيحة وسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان الخير

أى جهل اليهود التى تشتمل بها وأمثالها كيد وحسد ورد الله تعالى عليهم بقوله اذا لارتاب المبطلون أى شكوا وقالوا نعله من غيره أو تعلمه من غيره من علماء قومه فى عدم ما ذكر بقوله (انما كانت غاية معارف العرب) أى جملة ما يعلمونه (النسب) أى معرفة انساب قبائلهم الى أجدادهم (وأخبار أوائلها) أى قومهم لا آبائهم وأسلافهم من الحروب والوقائع (والشعر) أى حفظ شعر من قبلهم من القصائد والمقطعات والابيات (والبيان) ليس المراد به علم البيان المعروف لانه أمر حدث كانوا فى غنى عنه بالسليقة ولا عن البلاغة كما توهمه أيضا وانما المراد به المنطق الفصيح للعرب عما فى الضمائر وهى الخطب والرسائل ونحوها من الكلام المنثور الذى كانوا يذكرونه فى محافلهم المقابل للشعر وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا (وانما حصل ذلك لهم) أى معرفة النسب وما بعده (بعد التفرغ لعلم ذلك) أى مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الا عن اعتناء اكتساب بصرف زمان الكسب حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان راوية ونحوه (والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه) بالسؤال منه وحفظ ما رواه عنه حتى لا ينسى ذلك فى أول أمره (وهذا الفن) أى النوع الذى كانت العرب تعرفه وتعتنى به (نقطة من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أقل قليل بالنسبة لما تعلمه من علمه ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة أو كتجين الماء (ولا سبيل الى جحد الملحد) أى لا يمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم انكاره وهو اشارة لتفسير قوله تعالى اذ لارتاب المبطلون (بشئ مما ذكرناه) من معارفه متعلق بجحد واللام زائدة للتقوية (ولا وجد الكفرة حيلة) يبدونها تلبيسا (فى دفع ما قصصناه) مما تقدم تفصيله (الا قولهم أساطير الاولين) استثناء متصل لانه مما احتالوا به على بعض ضعفاء العقول أو منقطع لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة أو جمع اسطار جمع سطر او أسطير أو أسطور أى هى أحاديث سطرها من قبلهم وأكاذيب (و) قالوا (انما يعلمه بشر) أى هو مما تلقاه من غيره وتعلمه (فرد الله قولهم) المذكور أيضا (بقوله لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) أى لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان أعجمى فكيف يمكن تعليمه أو التعلم منه ومعنى يلحدون يميلون عن الحق بما اتهموه به (ثم ما قالوه) من انه يعلمه رجل أعجمى وفى نسخة قالوه بهاء الضمير (مكابرة العيان) بكسر العين ولا تفتح فيه كما توهم والمكابرة الانكار من غير دليل وأصل معناه هجوم السارق نهارا أى معاندة فى المحسوس لا تفيد (فان الذى نسبوا تعليمه له صلى الله تعالى عليه وسلم بزعمهم الباطل (اليه) متعلق بنسبوا أى أسندوه له (اما سلمان) الفارسى الصحابى المشهور

(أو العبد الرومي) وهو غلام حويطب بن عبد العزى أسلم وكان ذا كتب (وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور
ما لا ينعد من الآيات) أى القرآنية أو المعجزات البرهانية والعلامات الفرقانية فلا يتصور انه كان يعلمه سلمان (وأما
الرومي فكان أسلم وكان
يقرأ على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم واختلف
فى اسمه) أى كما سيأتى
من انه يعيش أو بلعام
أوجبر ويسار (وقيل بل
كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يجلس عنده)
أى اليه ويقبل عليه لما
كان يلمح قابلية الهداية
لديه (عند المروة وكلاهما
أعجمى اللسان) أى
وضعيف البيان (وهم
الفصحاء اللد) بضم اللام
وتشديد الدال جمع الالد
وهو شديد الخصومة
(والخطباء اللسن) بضم
فسكون جمع السن وقيل
جمع لسن بفتح فكسر
وهو المنطلق اللسان فى
ميدان النطق والبيان
(قد عجزوا) بفتح الجيم
وتكسر (عن معارضة
ما أتى به) أى أظهره
(والاتيان بمثله) بل عن
الاتيان باقصر سورة من
نحوه (بل عن فهم وصفه)
وفى نسخة رصفه بالراء
والظاهر انه تصحيف
وقيل معناها الاتقان
(وصورة تاليفه) أى
تركيبه (ونظمه) أى
سلكه فهم اذا عجزوا
عن هذا كله (فكيف
باعجمى الكن) أفعل للمبالغة من اللكنة وهى بالضم
العجمة فى اللسان والعى فى النطق والبيان وأبعد الدكى فى تعبيره أى أبكم

رضى الله تعالى عنه لانه كان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (أو العبد الرومي) وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومي وكان من قرأ الكتب ثم أسلم وسيأتى تفصيل قصته (و) قصة (سلمان انما) أسلم و (عرفه) بالمدينة (بعد الهجرة) وعلومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه (و) بعد (نزول الكثير من القرآن) حتى هذه الآية (و) بعد (ظهور) وفى نسخة نزول (ما لا ينعد) الكثرته (من الآيات) القرآنية أو العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على ابطال زعمهم (وأما) العبد (الرومي فكان أسلم) قبل الهجرة (و) لكنه (كان يقرؤ على النبي صلى الله عليه وسلم) ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه (واختلف) بالبناء للمجهول أى اختلاف المحدثون (فى اسمه) كما يأتى فى كلامه فقيل انه بلعام أو يعيش أو جبر أو يسار اما بلعام فموحدة مكسورة وقول البرهان انها مفتوحة لا أصل له ولام ساكنة وعين مهملة وألف وميم و يعيش يأتى انه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره الذهبى فى الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذى نزل فيه قوله تعالى انما يعلمه بشر و جبر يأتى أيضا انه بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم أقف عليه فى الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسيأتى تتمة هذا فى محله (وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده) اضراب عن اسلامه وقراءته عليه الى انه كان عبدا روميا يحترف بصقل السيوف (عند المروة) مع الناس فكيف قالوا انه تعلم منه وهو لم يخل معه ولم يعرف وقيل المخالفة بينه وبين الاول فى أيهما كان يجلس عند الآخر فالاضراب انتقالى أو ابطالى (وكلاهما) أى سلمان والغلام الرومى (أعجمى اللسان) أى لسان كل منهما فيه عجمة (وهم) أى الطاعنون فيه بما ذكر واسنادا التعلم له (الفصحاء اللد) جمع ألد وهو الشديد الخصومة ويجمع على لداد أيضا من اللدد وهو العناد وفى الحديث أبغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم (و) هم (الخطباء) جمع خطيب وهو من يقوم على رؤس القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولا يشترط فيه ان يكون سجعا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطباء معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل (اللسن) بضم اللام وسكون السين جمع لسن كحذر وهو الفصيح اللسان الطلق البيان وقيل جمع السن فلا اسهاب فيه كما قيل (قد عجزوا) بفتح الجيم وكسرها (عن معارضة ما أتى به) أى مقابلته بكلام يحكيه (والاتيان بمثله) عطف تفسير مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم (بل) عجزوا كلهم (عن فهم وصفه) ومعرفة كنه بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة والحس يكذبهم والفصاحة تنادى على فصاحتهم (وصورة تأليفه) أى عجزوا عن فهم صورة تأليفه ونظمه المعجز فانه لا يشبه كلام البشر والتأليف أخص من التركيب لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفى أكثر النسخ رصفه بالراء المهملة جمع رصف بفتحتين وهو فى الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفى بعض النسخ (ونظمه) وهو ما قبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضة والاول أقرب والنظم مستعار من نظم الدر المتناسق الكلمات التى هى كالجواهر وما بعد بل ترق فى العجز ومغايرته لما قبله ظاهرة لا تحتاج لتوجيه الا عند عدم الفهم (فكيف) هى للاستفهام عن الحال والوصف المبهم ويراد بها التعجب نحو قوله تعالى كيف تكفرون بالله وقوله (باعجمى) متعلق بمقدر أى كيف الظن باعجمى وهذا تركيب سائغ فى كلامهم تقول كيف بك اذا جاء الشتاء (الكن) من اللكنة وهى عدم افصاح اللسان وبيان النطق (نعم) بفتحتين وقد تكسر عينه ويقال نعام أيضا فى لغة وهى كلمة تقع فى جواب الكلام الموجب وقد تقع فى ابتداء الكلام كما هنا فكأنها جواب سؤال مقدر وفى غير

جواب

(وقد كان سلمان أو بلعام الرومي) بالموحدة المفتوحة وسكون اللام ويقال بلعم (أو يعيش) بفتح التحتية الاولى وكسر العين قال الذهبي في تجريده يعيش غلام ابن المغيرة قول عكرمة هو الذي نزل فيه يقولون انما يعلمه بشر وقال في الحلبي يعيش رأيتهم قد ذكروه في الصحابة (أو جبر) بفتح جيم وسكون موحدة هو غلام للفاكه بن المغيرة أسلم وقد روى ان مولاه كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدا فيقول له لا والله بل هو يعلمني ويهديني قال الحلبي ما رأيت له ذكرا في الصحابة وكذا في قوله (أو يسار) بفتح التحتية (على اختلافهم في اسمه) أي اختلاف العلماء في تعيينه أو اختلاف السفهاء في نسبته من كمال تحيرهم في تبيينه (بين أظهرهم) أي كانوا كلهم فيما بينهم عارفين باخبارهم (يكلمونهم) وفي نسخة يكلمونه (مدى أعمارهم) بفتح الميم والدال المقصور أي مدتها (فهل حكى عن واحد منهم) كسلمان والرومي (شئ) أي صدور شئ ما (من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة (وهل عرف واحد منهم) أي وهم عندهم (بمعرفة شئ من ذلك) أي مما جاء به عليه الصلاة والسلام (وما منع) أي على الفرض والتقدير أي شئ منع (العدو) أي اعداءه من المنكرين وذوي الغرور (حينئذ على كثرة عدده) بفتح العين أي اعدادهم (ودؤب طلبه) بضم دال وهمزة فسكون واو فموحدة أي جده وتعبه في كده (وقوة جسده ان يجلس الى هذا) أي من سلمان أو غيره واختصر الدلجي بقوله أي ما جاء به عليه السلام (فيأخذ عنه) وفي نسخة عليه (أيضا) أي على زعمه (ما يعارض به) أي ما جاء به عليه السلام (ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه) بسكون الغين المعجمة وتفتح على لسان العامة أي على تهييج شره وخصامه كذا في أصل الدلجي وهو ظاهر جدا وفي النسخ على شيعته وعلى للعلة أي لاجل مشايعيه ومتابعيه (كفعل النضر بن الحارث) تقدم بانه قتل كافرا

جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم وعليه حمل قول جحدر

نعم وأرى الهلال كما تراه ❊ كما يأتي وقال بعضهم انها زائدة في مثله وفيه كلام لم يحضرني الآن (وقد كان سلمان) الفارسي رضي الله عنه (أو بلعام) وهو بفتح الباء الموحدة على ما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم أيضا وهو اسم الغلام (الرومي أو يعيش) بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وياء تحتية ساكنة وشين معجمة علم منقول من المضارع (أو جبر) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وراء مهملة وهو عبد للفاكه بن المغيرة وقيل لعباد الحضرمي قيل ان سيده كان يضربه ويقول له أنت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمني ويهديني (أو يسار) بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور مبني (على اختلافهم في اسمه) كما تقدم (بين أظهرهم) خبر كان أي مقيما بينهم يعرفونه ويقال ظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كأنه لاستناده اليهم ظهر وراءه وظهر قدامه ثم كثر فشاع في الاقامة بين قوم يخالطهم يكلمونهم مدى أعمارهم أي في جميع مدة أعمارهم يخالطهم ويكلمهم ويكلمونه فكيف لا يعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم وأصل معنى المدى الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما في النهاية وذكر الماوردي ان غلامين نصرانيين من عين التمر أحدهما يسار والآخر جبر كانوا يسندون لهما ما ذكر وقيل غير ذلك (فهل حكى عن واحد منهم) أي من الكفرة (شئ من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فيه حذف تقديره نقله عن هذين فان كان ضميرهم لسلمان رضي الله تعالى عنه والغلام فهو تعبير عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفي نسخة من مثل ما كان يجئ به صلى الله تعالى عليه وسلم (وهل عرف واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك) الذي جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات الباهرة وهو كالذي قبله (وما منع العدو حينئذ) أي حين حضورهم معه (على كثرة عدده) بفتح العين أي أي مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه (ودؤب طلبه) بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بوزن القعود من الدأب وهو الجد والتعب يقال أدأبه اذا أتعبه ثم صار بمعنى العادة المستمرة عن ذلك فصار حقيقة فيه (وقوة حسده) بحاء مهملة وهو مما يبعثهم على الطلب ويحثهم (ان يجلس الى هذا) الذي زعموا انه يعلمه (فيأخذ عنه) أي يتلقن بتعلمه منه (أيضا) أي كما تعلم منه النبي صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد (ما يعارض به) ما جاء به (ويتعلم منه ما يحتج به) أي يجعله حجة ودليلا (على شغبه) أي لجاجه في خصومته وعناده وتهييج الشر بفتنته يقال شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا الوقوعه قافية لقوله طلبه وهو لغة فيه كما في القاموس وغيره وتسكن أيضا وهي اللغة المشهورة فيه ومن أنكر الفتح وقال انه لغة عامية كالحريري لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر على انه لو صح ما قاله قلنا انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بشيعته (كفعل النضر بن الحارث) وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم أخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرأ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس النضر بن قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد أتيتكم باحسن مما جاء به محمد وهو الذي نزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله الآية ثم انه

(بما كان يخرق) من الخرقة بالخاء المعجمة وهى كلمة مولدة كما ذكره الجوهرى ان يزخرف (به من أخبار كتبهم) أى مما لا يجدى نفعا له ولغيره (ولا غاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه) أى غيبة يمكن فيها من تعلمه (ولا كثرت اختلافاته) تردداته (الى بلاد أهل الكتاب) وفى نسخة الكتب أى كالمدينة ونحوها من بلاد قومه (فيقال) بالنصب (انه استمد منهم) أى استفاد عنهم (بل لم يزل) أى من أول عمره الى آخر أمره (بين أظهرهم) أى بينهم (يرعى) أى الغنم (فى صغره وشبابه) وقال الدلجى يرعى من المراعاة وهى الملاحظة والمحافظة وهو بعيد جدا (على عادة انبيائهم) أى انبياء سفلهم وفى أصل الدلجى ابنائهم بأصلاح انبيائهم وكذا فى نسخة صحيحة وهو ظاهر جدا (ثم لم يخرج عن) وفى نسخة من (بلادهم الا فى سفرة) أى واحدة (أو سفرتين) أى مرة مع عمه أبى طالب فرده من الطريق باشارة بحيرا وأخرى فى تجارته لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة والترديد باو نظرا الى ان الخرجة الاولى هل تسمى سفرة أولا فاندفع قول الحلبى وهاتان السفرتان ذكرهما جماعة وكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين على انه قد يقال المعنى بل سفرتين (لم يطل فيها) ويروى فيهما (مكثه) بضم الميم وتفتح أى اقامته ولبثه (مدة لا يحتمل) بصيغة المعلوم أو المجهول (فيها تعليم القليل) أى اليسير (فكيف الكثير) أى فكيف يحتمل فيها تعليم الكثير والاستفهام للانكار (بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته) بفتح الراء

عشيرة

لم يزل كذلك مصرا على عداوته صلى الله عليه وسلم حتى أظفره الله عليه فقتله كما ذكر فى السير (بما كان يخرق به) متعلق بقول ويخرق بمعنى يكذب والخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب يتلهى به أخذوها من المخراق وهى خرقة يلعب بها من يرقص وهذه لفظة عربية عيمها زائدة تصرف فيها المولدون ونوهموا اصالتها كما فى قولهم تمسكن و يخرق بضم التحتية وفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة وقاف (من أخبار كتبهم) التى كان ياتى بها او يقصها عليهم (ولا غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن قومه) ولا خرج من بلده الى بلاد بعيدة أقام بها أقامة يحتمل انه لقى بها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله ولا عرف الخ ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين (ولا كثرت اختلافاته) أى رواحه ومجيئه مرارا عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا أى يسافره يذهب اليها الا انها مخالفة لمقره المعروف (الى بلاد أهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة الى ما ياتى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له ذلك مرة أو مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقاءه من قومه ولم يقم عند غيرهم حين سافر الى الشام كما ياتى (فيقال انه استمد منهم) أى طلب المدد والاعانة من أهل الكتاب بتعليمه لشئ مما كان يتلوه على قريش (بل لم يزل) مقيما عندهم (بين أظهرهم) فى وسطهم مختلطا معهم وقدم انه يقال بين أظهرهم وظهرانيهم (يرعى) ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية أى يلاحظ ويحفظ فهو بمرأى منهم ومسمع لا يخفى أمره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشى وهو المناسب لقوله (فى صغره) أى وهو طفل (وشبابه) أى بعدما بلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول أنف من جعله صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكن معيبا عندهم وهو أقوى فى اثبات مدعاه لان من يرعى يكون فى الغالب معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم (على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم) بعدما شب وبلغ أو بعدما وجد وعرف حاله (الا فى سفرة) واحدة (أو سفرتين) الى بلاد الشام مرة مع أبى طالب ورده من الطريق باشارة بحيراء الراهب كما مر ومرة فى تجارة لام المؤمنين خديجة رضى الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن أهل بلدته أبدا سفرا واقامة ولم يتردد المصنف رحمه الله تعالى فى السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتين كما فى السير فكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها عمه أبو طالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر فلا وجه للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع مرضعته حليمة لبنى سعد فلا يعد مثله سفرا لاسيما والمراد سفر خاص لديار أهل الكتاب وسفر يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف الى بنى عبد ياليل فانه لقربه لا يعد سفرا واهلها جهلة أهل شرك لا علم عندهم يعلمونه له وقوله (لم يطل فيها) أى فى جنس السفرة (مكثه) أى اقامته وهو بفتح الميم وضمها (مدة يحتمل فيها) أى فى المدة (تعليم القليل) وتعلمه من علم وغيره (فكيف الكثير) الذى كانوا يعرفونه منه وهو استفهام انكارى بنفيه بطريق برهانى ثم اكده وأثبت مدعاه بقوله (بل كان فى سفره فى صحبة قومه) لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين (ورفاقة) بفتح أوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهى الاجتماع فى السير والسفر من الرفق لان كلا منهما ارفق بصاحبه (عشيرته) أى قومه وقبيلته من العشرة وهى الاختلاط قال فى القاموس

(لم يغب عنهم ولا خالف حاله) بالنصب والرفع والمعنى وما اختلف حاله (مدة مقامه بكتمه من تعليم) أي من معلم على يد من بان له
لامزيد كما قاله الدلجي وفي نسخة من تعلم وهو الاظهر (واختلاف الى حبر) بفتح الحاء وتكسر أي عالم يهودي وأغرب الدلجي بقوله
بكسر المهملة أفصح من فتحها ثم كذلك في معنى المداد الا انه ليس ههنا المراد (وقس) بفتح القاف وبكسر وضمه غلطا فسين
مشددة أي عالم نصراني وكذا القسيس (أو منجم) أي متعلق بعلم النجوم (أو كاهن) أي من يزعم انه مخبر عن الكائن

عشيرة الرجل بنو أبيه الادنون أو قبيلته (لم يغب عنهم) ويفارقهم مفارقة تحتمل ملاقاة أهل الكتاب
وتعلمه منهم (ولا خالف حاله) أي نشأ عليها وعرف بها (مدة مقامه) بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة (بمكة)
الى ان هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة وبالجملة لم يخف عنهم بعد ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم
مدة مقامه معمولاه وقوله (من تعليم) بيان لما تدرج في قوله المذكور اسمه مما قبله أي ما خالف فيه لامر آخر من تعلم
الى آخره وليست من زائدة في الفاعل ومحله رفع كما قيل (باختلاف) أي مجيء وذهاب وأصله مجيء
القوم بعضهم خلف بعض فاستعمل المقيد في المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار (الى حبر) بكسر
الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود (أو منجم) أي عالم بالنجوم وأحكامها (أو قس) بفتح القاف
كما في القاموس وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد في المثلثات رئيس علماء النصارى (أو كاهن)
وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه وفي الجملة من يمكن التعلم منه من أنواع
الناس ثم ترقى في ابطال ما قالوه فقال (بل لو كان هذا) أي لو فرض خلاف ما ذكر من حاله صلى الله
تعالى عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثه مع أهل الكتاب واختلافا للتعلم من الاحبار (بعد)
مبني على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لا بعد كثير من أظهرهم وربي في صغره وشبابه كما قيل فانه غير
مناسب لمن تأمل كلامه (كله لكان مجيء ما أتى به) صلى الله تعالى عليه وسلم (في معجز القرآن) الذي
لا يشبه شيئا من كلام البشر (قاطعا لكل عذر) اعتذروا به عن مخالفتهم له عنادا وبغيا منهم وجعلوه عذرا
ميلا الى انهم معترفون بعجزهم بدلالة الحال (ومدحضا) أي مزيلا ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق
ففيه استعارة مكنية للتشبيه بمن زلت قدمه لمشيه في أوحال الشرك (لكل حجة) تشبثوا بها وهي
أوهى من بيت العنكبوت وفي نسخة لكل شبهة (ومجليا) بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة
ويجوز تخفيفها واسكان الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخاء المعجمة والظاهر ما قدمناه أي
موضحا وكاشفا ومزيلا ومبعدا (لكل أمر) غيب تخيلوه وتلبيس احتالوا به

(فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم) التي خصه الله بها عن غيره من الرسل عليهم الصلاة
والسلام وسائر الخلق (وكراماته) التي أكرمه الله تعالى بشرفها (وباهر آياته) أي ظاهر آيات
نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر مقدم للحصر والاعتناء (و) قوله (انباؤه) بفتح الهمزة جمع نبأ
وهو الخبر أي أخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله عليه وسلم (مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة)
بكسر الهمزة مصدر أمده امدادا من المدد قال الراغب أمددت الجيش بمدد والانسان بطعام وأكثر ما جاء
الامداد في المحبوب والمد في المكروه نحو وأمددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى أي ارسال الله
الملائكة عليهم الصلاة والسلام مددا له صلى الله تعالى عليه وسلم واعانة كما سيأتي (وطاعة الجن له)
بانقيادهم واسلامهم لا بامدادهم ولذا خالف في العبارة بينهم وبين الملائكة (ورؤية كثير من أصحابه
لهم) أي للملائكة والجن كما سيأتي ولا وجه لتخصيصه بالجن ثم ابتدأ بما يثبت ما قاله من القرآن فقال
(قال الله تعالى وان تظاهرا) أي تتعاونا (عليه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما يسوءه

(بل لو كان بعد) بضم الدال أي بعد مكثه وتصور تعلمه (هذا كله) اسم كان وفي أصل الدلجي بل لو كان هذا كله بعده وظاهر جدا وفي نسخة صحيحة بل لو كان هذا بعد كله (لكان مجيء ما أتى به في) وفي نسخة من (معجز القرآن) بل من معجزاته (قاطعا لكل عذر ومدحضا) أي مزيلا ودافعا (لكل حجة) أي داحضة وفي نسخة صحيحة لكل شبهة (ومجليا) بضم ميم وسكون جيم وتخفيف لام فتحتية مخففة وفي نسخة بفتح الميم وكسر اللام المشددة لا كما قال الحلبي باسكان الخاء والمعنى كاشفا وموضحا (لكل أمر) أي عما يلوح عليه مخايل ريبته

(فصل)

(ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) أي خصوصياته في حالاته (وكراماته وباهر آياته)
أي غالب معجزاته (انباؤه) بفتح الهمزة أي اخباره الواقعة (مع الملائكة والجن وامداد الله) أي اعانته (له بالملائكة) أي المقربين
كما في وقعة بدر وحنين (وطاعة الجن له) كجن نصيبين (ورؤية كثير من أصحابه لهم) أي للملائكة والجن وهذا اجمالي يتبين لك
بعد تفاصيل أحواله (قال تعالى وان تظاهرا) بتشديد الظاء وتخفيفها والخطاب لعائشة وحفصة أي وان تعاونا (عليه) أي على
النبي بما يسوءه ولديه من الافراط في الغيرة لكثرة ميلهما اليه

(فان الله هو مولاه) أى ناصره ومعينه (وجبريل وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه (الآية) أى والملائكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعائشة أمى المؤمنين والآية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط فى محله وقد تقدم فى أول الكتاب بعض منه (وقال الله تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم) بنصرى وتأييدى (فثبتوا الذين آمنوا) بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على أعدائهم وهذا كان ببدر وقد كثر أعداؤه المشركون وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشاء بنصره (وقال) فى وقعة بدر (اذ تستغيثون ربكم) تطلبون غوثه واعانته (فاستجاب لكم) أجاب دعاءكم وانجز وعده لكم (انى ممدكم الآيتين) أى اقرأهما الى آخرهما أى انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين أى متتابعين (وقال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية) أى أملناهم وأوصلناهم اليك والنفر ما دون العشرة وهؤلاء جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وقد ذكر هؤلاء النفر وعدتهم واسماءهم فى مفصلات التفسير واجتماع الجن به صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين بل أكثر وهو شاهد على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به (حدثنا سفيان بن العاصى الفقيه بسماعى عليه) تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته قال (حدثنا أبو الليث السمرقندى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبد الغافر الفارسى) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو أحمد الجلودى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة قال (حدثنا مسلم) القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبيد الله بن معاذ) أبو عمرو العنبرى الحافظ الفصيح الثقة توفى سنة مائتين وسبع وثلاثين وأخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا أبى) معاذ بن معاذ التميمى الحافظ قاضى البصرة واليه انتهى علم الحديث توفى سنة مائة وستة وتسعين وأخرج له أصحاب السنن أيضا قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته أيضا قال (حدثنا سليمان الشيبانى) ابن أخى سليمان فيروز أو خاقان الشيبانى بالمعجمة مولاهم الكوفى الحافظ الثقة توفى سنة ثمان وثلاثين أو احدى أو اثنين وأربعين وقول الواقدى وابن كثير سنة تسع وعشرين غلط

(فان الله هو مولاه) أى ناصره (وجبريل) بكسر الجيم وفتحها (الآية) أى وصالح المؤمنين كأبى بكر وعمر والملائكة أى بقيتهم بعد ذلك أى بعد نصره سبحانه وتعالى ظهير أى مظاهرون له (وقال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) أى بانى معكم معينا لهم (وقال اذ تستغيثون ربكم) أى بمناجاتكم ومناداتكم يا غياث المستغيثين أغثنا اعنا على أعدائنا وعن عمران رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الكفار ألفا وأصحابه ثلاثمائة أى فى بدر فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبى الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) أى ربكم (انى ممدكم) أى بانى معاونكم (الآيتين) أى بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال أى متتابعين وبفتحها أى يردف بعضهم ببعض وكان الظاهر ان يقول الآية ولعله أراد الاشارة بالآيتين من السورتين أى الانفال وآل عمران وهى قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين

ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فيكون الايماء الى القصتين من بدر واحد حيث وقع الوعد فى الثانى مقيدا بشرط الصبر ولما فقد فقد المدد والنصر ولا يبعد ان يراد بالآيتين قوله اذ يوحى وقوله اذ تستغيثون بل هو الاظهر فتدبر (وقال واذ صرفنا) أى أملنا ووجهنا (اليك نفرا من الجن) أى جن نصيبين (يستمعون القرآن الآية) أى فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الآيات هذا وقد ورد انه لما حرست السماء نهضوا فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادى النخلة منصرفه يقرأ فى صلاة الصبح فاستمعوا قراءته وأخرج اما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فثابت أيضا كما بينته فى محله وسيأتى أيضا تقرير بعضه (حدثنا سفيان بن العاصى) كذا بالياء والاظهر انه بلا ياء فانه معتل العين لا اللام كما قدمنا (الفقيه) سبق ذكره (بسماعى عليه) أى فى حضورى لديه (حدثنا أبو الليث السمرقندى) أى من أئمة الحنفية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء ويسكن (حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا مسلم) أى القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح (ثنا عبيد الله) مصغرا (ابن معاذ) بضم الميم قال أبو داود كان يحفظ عشرة آلاف حديث روى عنه مسلم وغيره (ثنا أبى) أبوه معاذ بن معاذ التميمى العنبرى الحافظ قاضى البصرة قال أحمد اليه المنتهى فى التثبت بالبصرة (ثنا شعبة) امام جليل فى الحديث (عن سليمان الشيبانى) أخرج له الائمة الستة

(سمع زر بن حبيش) بالتصغير وزر بكسر الزاى وتشديد الراء هو أبو مريم الاسدى عاش مائة وعشرين سنة وكان من أكابر القراء المشهورين من أصحاب ابن مسعود وسمع عمر وعليا وعنه عاصم ابن أبى النجود وخلق (عن عبد الله) أى ابن مسعود (قال) أى الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) أى ابن مسعود (رأى) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل فى صورته) أى أصل خلقته (له ستمائة جناح) يدل على كمال عظمته كما أشير الى مزيته قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير وهذا الموقوف أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى قال التلمسانى قيل رآه فى صورته مرتين خاصة وما عداهما لم يره هو وغيره من الملائكة الا فى صورة الآدميين ليأنس بهم ومن تمام الحديث له ستمائة جناح مثل الزبرجد الاخضر فغشى عليه (والخبر) أى الحديث والاثر (فى محادثته) أى مكالمته عليه الصلاة والسلام (مع جبريل واسرافيل وغيرهم) بصيغة الجمع لتعظيمهما أو لان أقل الجمع اثنان وفى نسخة وغيرهما (من الملائكة) كعزرائيل وملك الجبال ومالك خازن النار (وبمشاهده من كثرتهم) كحديث أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك اما راكع أو ساجد (وعظم صور بعضهم) كعزرائيل واسرافيل وسائر حملة العرش (ليلة الاسراء مشهور) أى رواه الائمة كخبر يا محمد هذا ملك الجبال يسلم عليك قال التلمسانى وروى ابن عباس مرفوعا انه رأى ليلة المعراج فى مملكة الله تعالى رجالا على أفراس بلق شاكى السلاح طول كل واحد مسيرة ألف سنة وكذلك طول كل فرس يذهبون متتابعين لا يرى أولهم ولا آخرهم قال فقلت يا جبريل من هؤلاء قال ألم تسمع قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ثم قال أنا أهبط واصعد وأراهم هكذا يمرون لا أدرى من أين يجيئون ولا أين يذهبون ذكره النسفى فى زهر الرياض قاله الانطاكى

وأخرجه الائمة الستة (سمع زر) بكسر الزاى المعجمة وتشديد الراء المهملة (بن حبيش) بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو أبو مريم الاسدى أدرك وسمع عليا وعمر رضى الله تعالى عنهما عاش مائة وعشرين سنة وتوفى سنة اثنين وثمانين وأخرج له الستة (عن عبد الله) بن مسعود الصحابى المشهور وهذا التفسير الآتى أخرجه مسلم والترمذى والنسائى موقوفا والذى ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذى انه حسن صحيح ولفظه (قال) أى الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع (رأى جبريل فى صورته) الاصلية التى خلق عليها (له ستمائة جناح) اللام جواب قسم مقدر أى رأى الآية الكبرى من آيات ربه والكبرى اسم تفضيل مؤنث أكبر ومن تبعيضية وفيه ايماء الى انه رأى ربه وهو قول الاكثر فقد رآه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الاشعرى والنووى وما نقل عن عائشة رضى الله تعالى عنها من انكاره فقيل ان الذى قالته كما فى مسلم عن مسروق انه قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ماهن قالت من زعم ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست وقلت يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلى ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول من سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم أره على صورته غيرها تين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض الحديث فليس فيه نفى رؤيته لربه وانه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر لها ذلك وقد تقدم جميع ذلك مع ما فيه وقد ذكر هنا انه رأى جبريل وله ستمائة جناح سدت ما بين السماء والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافى أن تكون أجنحته تزيد على ذلك فان الملائكة أجسام مجردة قابلة للتشكل (والخبر) أى الحديث الصحيح المسند (فى محادثته) صلى الله تعالى عليه وسلم (مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة) أعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة أو لتنزيل ذلك منزلة تعدد الصور الذى يشير اليه ما قبله وبينه بقوله بعده (وبمشاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور) وفى نسخة وصورة بعضهم وفى نسخة وعظم صورهن وحديث الاسراء ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والانبياء مشهور وتقدم طرف منه ورؤيته للملائكة كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور أيضا ومن أراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطى المسمى بالحبائك فى أخبار الملائك فانه كتاب جليل فى بابه وفيه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة أى الفقر وقالوا ما قصه الله من قوله تعالى ما لهذا الرسول يأكل الطعام الآية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال له رب العزة يقرؤك السلام ويقول لك وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام الى آخره فبينما جبريل والنبى صلى الله تعالى عليه

(وقد رآهم) أي الملائكة وفي أصل الدلجي رآه أي جبريل (بحضرته) أي بحضوره عليه السلام وهي بفتح فكسر وقال التلمساني ان الحاء مثلثة ويقال أيضا بسكون الضاد وفتحها (جماعة من أصحابه) أي الكرام (في مواطن مختلفة) أي متفاوتة الايام (فرأى أصحابه) أي بعضهم (جبريل

عليه السلام في صورة رجل يسئله عن الاسلام) وفي نسخة زيادة والايمان والحديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق متعددة والمعنى في صور رجل غير معروف كما في أصل الحديث المذكور فقول الدلجي كدحية ليس في محله وان تبجح بتوشيخ شرحه (ورأى ابن عباس واسامة) أي ابن زيد كما في نسخة وهو ابن حارثة (وغيرهما عنده) أي بحضرته (جبريل في صورة دحية) بكسر الدال وتفتح وهو ابن خليفة الكلبي المشهور بالحسن الصوري وقد أسلم قديما وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأرسله عليه السلام بكتاب معه الى عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل وأما رؤية ابن عباس له فرواها الترمذي ولفظه ابن عباس رأى جبريل مرتين وأما رؤية اسامة له فرواها الشيخان عنه وفيهما ان أم سلمة رأته وأما غيرهما كعائشة فروى رؤيتها البيهقي وقال ا[illegible] انه وحارثة بن النعمان رأى جبريل مرتين وأقرأه جبريل عليه السلام و جرير بن عبد الله البجلي سحه ملك وحنظلة بن أبي عامر غسلته الملائكة وحسان بن ثابت أيده الله بجبريل لما نضحته عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسعد بن معاذ نزل لجنازته سبعون ألف ملك ما نزلوا من قبل قط

وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة وهي العدسة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك يا جبريل فقال فتح باب من أبواب السماء لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال يا محمد رب العزة يقرؤك السلام ومعه سفط من نور يتلألأ ويقول لك هذه مفاتيح خزائن الارض فنظر لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا قال أصبت أصاب الله بك ويرون ان هذه الآية أنزلها رضوان تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا أقول ومن هذا علم انه لم ينزل بالقرآن الا جبريل غير هذه الآية والسر فيه اذكر ان نزول رضوان وهو ملك الجنان وتخييره دون بت باعطائها اعلام منه ان جبريل ان الله أراد له صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو أرقى من ذلك في الجنة وانه لم يرض عجوز الدنيا الفانية أن تكون له ولو أراد خلافه أتاه ملائكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لا يقول شيأ برأيه ولا يفعل الا ما يؤمر به فافهم (وقد رآهم) أي الملائكة (بحضرته) أي في مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة مثلث الحاء مصدر حضر يحضر اذا جاء وقدم وتجوز فيه فتجوز امشهورا عن مكان الحضور نفسه ويستعمل للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية تأمر بكذا كالمقام كما يكتبه أصحاب الترسل (جماعة من أصحابه في مواطن) جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا مطلق المكان مجازا مرسلا (مختلفة) أي متعددة وأصل معناه المتغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم بعض من الكلام على رؤية بعض الصحابة للملائكة عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بعض النسخ (فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان) والاحسان وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في أول البخاري والكلام عليه وعلى الفرق بينه وبين الاسلام مفصل في شروحه (ورأى ابن عباس واسامة) بن زيد (وغيرهما) من الصحابة كعائشة رضي الله تعالى عنها وأم سلمة وعمرو وحارثة (عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورة دحية) بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة معاوية رضي الله عنهما وكان من أجمل الناس وأجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته رضي الله تعالى عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرئيس بلغة اليمن وتمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة صغيرة ليس بافناء بعض أجزائه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم أنوار لطيفة قابلة للتشكل والانضمام والانتشار كما يشاهد في اللهب في هبوب الرياح وقول امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول أيضا فلا ينقلب حقيقة اذ تمثل رجلا تأنيسا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يخص الله بعض الانفس القدسية الملكية بقوة تقدر بها على التصرف في بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم كانوا يرى لهم في بعض الامكنة شبحا يقوم مقامهم لقدرة أرواحهم القدسية على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام في كتب الاصول والحكمة وبعض أهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله في صورة دحية بتقدير مضاف أي في مثل صورة دحية وما قيل من انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها استقرار المظروف في ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للشمول والاحاطة بعد ظرفا حقيقة في العرف ورؤية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

(ورأى سعد) أي ابن أبي وقاص كما في الصحيحين (عن يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب على ما هو الظاهر المتبادر (في صورة رجلين عليهما ثياب بيض) بالوصف ويجوز الاضافة قال الحلبي وفي مسلم يعني جبريل وميكائيل ولم يسميا في البخاري فكونهما جبريل وميكائيل من تفسير سعد أو الراوي عنه أو من دونه ذكر ذلك والله تعالى أعلم انتهى ولفظ مسلم رأيت عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل

(ومثله) أي ومثل ما روى سعد (عن غير واحد) أي صدر عن كثير من الصحابة (وسمع بعضهم زجر الملائكة)

بفتح الزاي وسكون الجيم أي حثهم وحملهم على السرعة (خيلها يوم بدر) أي كما رواه عن عمر (وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار) أي في بدر (ولا يرون الضارب) كما رواه البيهقي عن سهل ابن حنيف وأبي واقد الليثي وقال أبو داود المازني على ما في رواية ابن اسحق اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قتله غيري (ورأى أبو سفيان ابن الحارث) بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يومئذ) أي يوم بدر (رجالا بيضا) بكسر الباء جمع أبيض ولم يضم الباء محافظة على الياء (على خيل بلق) بضم فسكون جمع أبلق والبلق محركة سواد وبياض كالبلقة بالضم (بين السماء والارض) وفي نسخة لا يقوم لها شيء أي لا يطيق ولا يقاوم تلك الرجال شيء أي مما خلق الله تعالى فان ملكا واحدا كاف في اهلاك أهل الدنيا جميعا فقد أهلك جبريل مدائن قوم لوط بريشة من جناحه وبصيحة من صيحاته ... فقد روى البيهقي عن سهل بن عمرو انه هو الذي رآهم لكن لا منع من الجمع بعد تحقق السمع (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) كما رواه ابن سعد عن قتادة وفي مسلم انها كانت تسلم عليه

عنهما الترمذي ورواه الترمذي ... والشيخان ... قول الشارح الجديد لم أقف عليها من قصور النظر (ورأى سعد) بن أبي وقاص في حديث رواه الشيخان (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب (في صورة رجلين عليهما ثياب) بيض ووقع في الحديث عن قيد واحد وهذا كان في غزوة أحد ودفعا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم هذا ... لله ... وفيه بيان ان الملائكة تقاتل معه ... ولم يكونوا معقبين وهذا هو الصواب وقال القرطبي في تفسيره لم تقاتل الا يوم بدر ... المؤمنين ... بالملائكة لم يمدهم ... وفي الحديث دليل على ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ويراهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم والاولياء (ومثله عن غير واحد) أي روي مثل ما في هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة (وسمع بعضهم) أي بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين (زجر الملائكة) زجرها حثها (خيلها) على الجري بصوت (يوم بدر) أي في قتالهم بين القتال وهذا رواه أبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس ان رجلا من غفار قال اقبلت أنا وابن عم لي ... حتى صعدنا الى جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون الدبرة فبينا نحن كذلك اذ دنت سحابة ... سمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فمات ابن عمي ... وكدت أهلك وحيزوم ... اسم فرس الملك ... وروي حيزون بالنون والصحيح الاول (وبعضهم رأى تطاير الرؤس) أي سرعة ... وهذا رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وأبي واقد الليثي (من الكفار) في يوم بدر (ولا يرون الضارب) لانه ملك خفي عنهم ... في أحاديث ذكرها ... يقال ان التطاير استعارة شبهت ... كأنه ليس جزءا منه بدليل قوله ولا يرون الضارب ولا الضرب قال أبو داود المازني اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي وكانوا يعرفون قتل الملائكة ... (ورأى أبو سفيان بن الحارث) بن عبد المطلب قبل اسلامه (يومئذ) أي يوم بدر (رجالا بيضا) ... (على خيل بلق) أي فيها بياض ولون آخر (بين السماء والارض ما يقوم لها شيء) أي لا يمكن ان يقاومها ... شيء غيرهم قل أو كثر ... قيل ان الرائي لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقي وهو مخالف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا وهو كذا في تخريج السيوطي لاحاديث هذا الكتاب وفي الشرح الجديد ... رواه ابن اسحق في سيرته ... في حديث ... (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) ... انها كانت تسلم عليه ولا منافاة بينهما فان الملائكة ... السلام ... والمصافحة تسليم ...

فهو أمان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابى الخزاعى رضى الله تعالى عنه وحصين علم منقول من مصغر حصن وهو كما قالوا أفضل من نزل البصرة وتوفى فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة فى الكتب المعتمدة وأما السلام ففى صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضى الله تعالى عنه قال له كانت الملائكة تسلم على حتى اكتويت فتركت الملائكة السلام على ثم تركت الكى فعادوا وقال له اكتمه مادمت حيا قال النووى رحمه الله تعالى كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل وفى العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والا فالكى ليس محرما وان قيل بكراهته اذا أمكن العلاج بغيره كما ورد فى المثل آخر الدواء الكى وروى انه كان يسمع فى داره السلام عليه من غير ان يرى أهل الدار المسلم كما ذكره الترمذى وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة رضى الله تعالى عنهم لهم عنده فهو يعلم منه المقصود بطريق الأولى أو هو استطراد (وأرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البيهقى مرسلا عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما ورأى بصرية تعدت بالهمزة لمفعولين أولهما (لحمزة) بن عبد المطلب عمه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة لحمزة رضى الله تعالى عنه باللام فهى زائدة كما فى ردف لكم وثانيهما (جبريل عليه السلام فى الكعبة) أى فى داخلها أو عندها فخر (مغشيا عليه) خوفا من مهابته لانه رآه على صورته ففى دلائل البيهقى رحمه الله تعالى وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضى الله تعالى عنه قال يارسول الله أرنى جبريل عليه السلام على صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال بلى فارنيه فقال له أقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت فى الكعبة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدمه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه * واعلم ان رأى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب أعطى قال ابن مالك لا تدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدى فعل بحرفين بمعنى وان تعدى أحدهما لزم الترجيح بلا مرجح ولم يتقدما أو أحدهما فتعديه هنا باللام لا وجه له وقال ابن هشام انه شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية

أحجاج لا يعطى العصاة مناهم * ولا الله يعطى للعصاة مناها

فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه * واعلم ان الحافظ السخاوى قال فى كتابه عمدة الناس فى مناقب العباس رضى الله تعالى عنه ان العباس بعث ابنه عبد الله الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقام وراءه وعنده رجل فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرآه فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رأيت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الا عمى الا ان يكون نبيا لكن أسأل الله تعالى ان يجعل ذلك فى آخر عمرك وله طرق من الاسانيد انه معارض برؤية جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع بينهما وقد عمى ابن عباس فى آخر عمره فقال

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
عقل صحيح ورأى غير ذى زلل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الامويين مالكم يا بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال وأنتم يا بنى أمية تصابون فى بصائركم انتهى * أقول ماذكره من حديث عمى الرائى لجبريل اذا ورد من طرق صار قويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل معارضه ناسخا فلا بد من التوفيق فيحمل على ما رآه وحده فى بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيته فلا يرد رؤية عائشة وغيرها وذلك لانه نور شديد

(وأرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل فى الكعبة فخر) أى سقط حمزة (مغشيا عليه) أى من عظمته وهيبته وحديثه هذا رواه البيهقى عن مسلم بن يسار مرسلا

قد

فهو رشح ضعف البصر المؤدي للعمى اذا حدق فيه الناظر واطال النظر في نوره الذي لم يتفرق وهو من
الاسرار الالهية فتأمله ثم ان المصنف رحمه الله تعالى قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر أمر الجن فقال
(ورأى ابن مسعود) أي حديث رواه البيهقي (الجن ليلة الجن) أي في ليلة رأى فيها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الجن وأمر بانذارهم ودعوتهم الى توحيده (وسمع كلامهم) قال البرهان في
المقتفي الذي في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة
الجن وهو الاصح وقد جاء في غير مسلم حديث ابن مسعود انه كان معه في ليلة الجن روي من طرق
وفيه انه توضأ بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما لا يحصل له والحق ما قاله أبو البقاء الشبلي الحنفي في
كتابه آكام المرجان في أحكام الجان من انه روي فيه احاديث متعددة منها ما رواه أبو داود عن ابن
مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن أحد قال ما صحبه منا أحد
ولكن فقدناه ذات ليلة فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا جاء من قبل
حراء فقال أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وذكر انهم
سألوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجاء بهما رواه أحمد وهذه الليلة غير الليلة التي حضرها
ابن مسعود وهي في دلائل البيهقي مسندة قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه بمكة
من أحب منكم ان يحضر الليلة أمر الجن فليفعل فلم يحضر أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لي
برجله خطا أمرني بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه
حتى ما أسمع صوته الى الفجر وسمعتهم يقولون له من يشهد لك انك رسول الله وبقربه شجرة فقال
أرأيتم ان شهدت هذه الشجرة أتؤمنون قالوا نعم فدعاها فأقبلت فشهدت له فآمنوا وجمع البيهقي بين
الروايتين فقال قوله ما صحبه منا أحد أراد به حال ذهابه لقراءة القرآن الا ان قوله انه أعلم أصحابه بخروجه
ينافي قوله فقدناه حتى قالوا استطير او اغتيل وفيه تصريح بانه من فقده والتمسه وفي هذا الحديث انه
خرج معه وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله بناء على ظنهم انها ليلة واحدة ولا شك
انها تعددت فمنها ما كان بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لابي نعيم مسندا الى ابن مسعود
انه قيل له أكنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل أخذ كل رجل رجلا
من أهل الصفة يعشيه ولم يأخذني أحد فمر بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما أخذك أحد
يعشيك قلت لا قال انطلق معي لعلي أجد لك ما يعشيك فانطلقت معه لحجرة أم سلمة فتركني ودخل ثم
خرجت جارية فقالت لي لم نجد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لك عشاء فرجعت الى المسجد
والتففت بثوبي فخرجت الجارية وقالت أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتبعته ارجو العشاء
فخرج وبيده عسيب نخل فعرض به على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ما شاء الله
وكررتها ثلاث مرات فانطلقنا حتى أتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه خطا وقال اجلس فيه حتى آتيك
ولا تبرح فانطلق وانا أراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سوداء فخفت عليه وقلت الحق أو استغيث
الناس فظننت هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا
وهو يقرعهم بعصاه اجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا وأتى لي فذكرت له ما في نفسي فقال
هم وفد نصيبين الى آخره فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود وما سئل عنه أولا كان بمكة وقد
وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا أخر ذكرها في باب
مستقل بطولها ثم قال وهذه الاحاديث تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد فيها وقيل

(ورأى ابن مسعود الجن) كما رواه البيهقي عنه (ليلة الجن) أي ليلة أمر النبي عليه الصلاة والسلام ان ينذرهم (وسمع) أي ابن مسعود (كلامهم)

وشبههم) أي في الخلق والنطق (برجال الزط) بضم الزاي وتشديد الطاء قوم من السودان أو الهنود طوال قال الحلبي وفي حديث مسلم عنه انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن لكن ذكر ابن سيد الناس في سيرته مالفظه ان الحديث المشهور عن عبد الله بن مسعود من طرق متظاهرة يشهد بعضها البعض ويشيد بعضها بعضا قال ولم تنفرد طريق ابن زيد الا بما فيها من التوضئ بنبيذ التمر انتهى وقد جاء الحديث الذي ذكره من غير طريق ابن زيد وهو في ابن ماجه من حديث ابن عباس وفيه الوضوء بنبيذ التمر لكن في السند عبد الله بن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه وهو مرسل صحابي وفي العمل على قبوله خلافا لبعض الناس أي من الشافعي واتباعه هذا وقد ورد من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطب ذات ليلة ثم قال ليقم من لم يكن في قلبه مثقال ذرة من كبر فقام عبد الله بن مسعود فحمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع نفسه فقال ابن مسعود خرجنا من مكة فخط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حولي خطا وقال لا تخرج عن هذا الخط فانك

ان خرجت عنه لم تلقني الى يوم القيامة ثم ذهب يدعو الجن الى الايمان ويقرأ القرآن حتى طلع الفجر ثم رجع بعد طلوع الفجر وقال لي هل معك ماء أتوضأ به قلت لا الا نبيذ التمر في اداوة فقال تمرة طيبة وماء طهور وأخذه وتوضأ به وصلى الفجر وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني عن ابن مسعود نحوه وكذا الطحاوي وغيره وقد أثبت البخاري كون ابن مسعود مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باثني عشر وجها فلا يلتفت الى قول الدلجي واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف ففي صحيح مسلم انه لم يكن معه فانا نقول رواية البخاري أصح وارجح والقاعدة ان الاثبات مقدم عن النفي عند الاثبات مع ان ليلة الجن كانت ست مرات أو المراد بنفي كونه معه انه لم يحضر مجالس المحاورات والله أعلم بالحالات (وذكر ابن سعد) وهو مصنف الطبقات الكبرى والصغرى ومصنف التاريخ ويعرف بكاتب الواقدي سمع ابن عيينة وابن معين وحدث عنه ابن أبي الدنيا وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين (ان مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد) أي وكان صاحب الراية (أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له) أي ظنا منه انه هو (تقدم) الى جهد العدو (يا مصعب فقال له الملك) أي مرة في جوابه (لست بمصعب فعلم) بصيغة الفاعل أو المفعول أي فعرف (انه ملك) لكن روى ابن أبي شيبة في مصنفه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم أحد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى لكن قام مكانه وتسمى باسمه انتهى وفيه احتمال انه عرفه من أول الوهلة وانه لم يعرفه حتى عرفه ثم كان يقول له مصعب من قبيل تجاهل العارف أو تنزيل المجهول منزلة المعلوم أو تسمية له باسمه أو على تقدير مضاف نحو نائبه والله تعالى أعلم

اغتيل والتمس بمكة والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت باعلى مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الفرقد والخامسة كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير والسادسة كانت في بعض اسفاره حضرها بلال انتهى ملخصه (وشبههم) أي ابن مسعود لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا سوداء أقرعوه فقال أخرجوهم ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على انه رآهم (برجال الزط) متعلق بقوله شبههم والزط بالزاي المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال وفي القاموس انهم جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد زطي (وذكر ابن سعد) وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري (ان مصعب بن عمير) القرشي العبدري الصحابي البدري وهو ممن أسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه (لما قتل يوم أحد) أي في وقعته قتله ابن قمئة لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة كنا اذا غطينا رأسه بها بدت رجلاه واذا غطي رجلاه بدت رأسه فجعلوا على رجليه شيأ من الاذخر (أخذ الراية ملك على صورته) أي تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لا تقع راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه ضعف لهم ولتمام تلك الصورة فبه جعل كأنه عليها راكب اتم تمكنها فيه (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب) لنحو الاعداء في القتال فان الراية يتبعها المقاتلون لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتأمل حامل الراية (فقال له الملك لست بمصعب) كما ظننته (فعلم انه ملك) وفيه لطف وتبشير بسهولة الامر وظهور النصر وان مع العسر يسرا وهذا بناء على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته وعلى ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه من انه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقاله

يارسول

(وقد ذكره غير واحد من المصنفين) كالبيهقي وابن ماكولا في الكمال (عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس) يروى أنا جالس (مع

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) أي السلام (وقال نغمة الجن) بفتح النون أي هذه حركته وصوته وفي نسخة نغمة جني (من انت) أي منهم (قال أنا هامة) بتخفيف الميم وفي بعض الروايات الهام (ابن الهيم) بكسر فسكون تحتية وفي نسخة صحيحة بفتح هاء وكسر تحتية مشددة أو مخففة (ابن لاقس) بكسر القاف أو لاقيس بزيادة تحتية (ابن ابليس) كان اسمه عزازيل قال التلمساني وهو أبو الجن كما ان آدم أبو البشر وقد ذكره البغوي في تفسيره عن مجاهد وقال من ذريته ابليس لاقيس بالياء (فذكر انه لقي نوحا ومن بعده) أي من الانبياء وغيرهم (في حديث طويل) قال بعضهم انه موضوع كما ذكره الحلبي (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) قال الحلبي وفي الميزان في حديثه المذكور انه عليه السلام علمه المرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله أحد الحديث بطوله ذكر

الانطاكي وغيره انه قال بينما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمشي في بعض جبال مكة أو عرفات اذ أقبل شيخ أعرج بيده عصا يتوكأ عليها فقال السلام عليك يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مشية الجن ونغمتهم قال نعم من أي الجن أنت قال أنا الهام ابن الهيم بن

يا رسول الله لم يقتل مصعب يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه فهو الذي ناديته يكون علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وانما تسمى باسمه لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الاعداء بهم ويتمنون انهزامهم فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسي أو ظن ان الله أحياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف ناداه باسمه بعد علمه انه ملك مع ان هذا السؤال غير وارد رأسا بعد علمه انه تسمى باسمه لما مر وكان مصعب رضي الله تعالى عنه حامل راية المهاجرين باحد ولواء الخزرج حامله الحباب بن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد أسيد بن حضير وما روي من ان حامل رايته باحد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لان الراية كانت أولا بيد مصعب فلما استشهد أخذها الملك ثم علي الا ان علم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل كما شنع به ابن قمئة وصرخ ابليس اللعين ان محمدا قد قتل أخذ علي الراية بعده أمسكها الملك لئلا تسقط ويخذل المسلمون وتقر أعين الكفار وقول الملك لست بمصعب يعني لست مصعبا المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعد ما تسمى مصعبا (وقد ذكره غير واحد من المصنفين) كالبيهقي وابن ماكولا (عن عمر بن الخطاب) رضي الله تعالى عنه (انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أقبل شيخ بيده عصا) كونه بيده عصا تحقيق لشيخوخته فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزي في قوله

حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلا
وصف المسافر انه * ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من * حمل العصا ان يرحلا

وهو تلميح لقوله فالقت عصاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

(فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سلامه بان قال له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز لتشبيهه بمن أعطى شيئا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سلم عليه بعد رده جوابه (نغمة الجن) وفي نسخة نغمة جني أي هذه أو نغمتك نغمة الجن وصوتهم فهو خبر مبتدأ مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة حسن الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه له نظائر كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبضعة وبضع (من أنت) من الجن وما اسمك وشهرتك وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم (قال أنا هامة بن الهيم) بهاء مكسورة فمثناة تحتية فميم (بن لاقس بن ابليس) في ضبط هذه الاسماء اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل هام بالف ولام دون هاء والصحيح الاول والهيم بوزن الغيل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كيف وعلى وفق الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد الياء بوزن قيم ولا يعتمد عليه والكلام على ابليس مشهور وهو أبو الجن كما ان آدم عليه السلام أبو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقس بزنة فاعل وفي بعض النسخ لاقيس بزيادة ياء وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان الياء سقطت سهوا من الكاتب (فذكر) للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن بعده) من الرسل والانبياء (في حديث طويل وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) يأتي والحديث عن عمر رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذ أقبل شيخ فى يده عصا فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وله
زنمة الجن وهمتهم فقال له من أنت قال هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس قال ليس بينك وبين
ابليس الا أبوين قال نعم قال فكم لك من العمر قال أفنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح فى مسجده مع
من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وأبكانى فقال لاجرم انى على ذلك من
النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين وقلت له يا نوح انى ممن شارك فى دم الشهيد هابيل فهل
لى من توبة قال يا هام هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة انى قرأت فيما أنزل الله على انه ليس
من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضأ واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتى
ما أمرنى به فنادانى ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت ساجدا لله وكنت مع هود فى
مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكانى وكنت مع يوسف
بالمكان المكين وكنت ألقى الياس بالاودية وانى ألقاه الآن وانى لقيت موسى بن عمران فعلمنى من
التوراة وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقرأه منى السلام وان عيسى قال ان لقيت محمدا فاقرأه منى السلام
فبكى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال على عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك يا هامة لاداثك الامانة
فقال يا رسول الله افعل بى ما فعله موسى بن عمران فانه علمنى من التوراة فعلمه رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون عن النبأ العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله أحد
والمعوذتين وقال ارفع الينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم ينعه لنا فلسنا ندرى أحى هو أم ميت انتهى * واعلم انهم اختلفوا فى هذا الحديث فقال ابن
الجوزى انه حديث موضوع لا أصل له وذكر له طرقا ذكر من فى رواتها من الكذابين ومن لم تقبل
روايته وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزى له مجازفة فى موضوعاته
أكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقى كما علمت وابن عساكر وغيرهما
(وذكر الواقدى) محمد بن عمر بن واقد المدينى صاحب التآليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير
وطعن فيه آخرون توفى ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا حديث صحيح
رواه البيهقى والنسائى وغيرهما وهو مذكور فى أكثر التفاسير (قتل خالد) بن الوليد وهو مصدر مضاف
لفاعله ومفعوله السوداء (عند هدمه العزى) وفى نسخة قطعه وهى أظهر لان العزى كانت شجرة أو
ثلاثة أشجار فى مكان واحد بنوا عليها بناء وكانوا يعبدونها ويسمع منها أصوات فذكر الهدم باعتبار
ما حولها فهو بتقدير مضاف هو مفعول هدم كقطع أى قطعها أو هدم بنائها وكانت لغطفان وهى سمرة
(للسوداء) مفعول قتل كما مر فى نسخة السوداء واللام للتقوية وهو شيطان فى صورة امرأة سوداء
(التى خرجت له) أى لخالد رضى الله تعالى عنه لما باشر قطعها (ناشرة شعرها عريانة) واضعة

لاقيس ... [illegible] ... نبى صلى الله تعالى عليه وسلم كم أتى عليك قال أنا كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاما أطوف فى الآكام وأفسد أطايب
الطعام وامنع من الاستعصام وآمر بقطيعة الارحام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بئس صفة الشاب المؤمل والشيخ المرجو قال مهلا
يا محمد دعنى عنك من اللوم انما جئتك تائبا وكانت توبتى فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وعلى يديه ولقد كنت معه فى السفينة
وعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وأبكانى وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقد كنت مع هود
حين دعا على قومه فاهلكهم الله بالريح العقيم فعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وأبكانى وقال والله أصبحت من
النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقد كنت مع صالح فى مسجده حين دعا على قومه فاخذتهم الصيحة فعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وأبكانى وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقد كنت مع ابراهيم يوم قذف فى النار وأسعى بين منجنيقه واطفاء نيرانهم حتى جعلها الله عليه بردا وسلاما وان موسى بن عمران أوصانى ان بقيت الى ان يبعث عيسى ابن مريم ان أقرئه منه السلام فلقيت عيسى فاقرأته السلام وقال لى عيسى ابن مريم ان بقيت الى ان تلقى محمدا فاقرأه منى السلام فجئت أقرأ عليك السلام فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عيسى السلام ما دامت السموات والارض وعليك
يا هام فانك قد أديت الامانة فما حاجتك قال ان موسى علمنى التوراة وعيسى علمنى الانجيل وأحب ان تعلمنى
شيأ من القرآن فاقرأه فى صلاتى فعلمه عشر سور من القرآن فلم ير بعد انتهى لكن قال ابن نصر هذا الحديث موضوع وقاله ابن
الجوزى أيضا وقال العقيلى لا أصل له والله تعالى أعلم (وذكر الواقدى) وكذا روى النسائى والبيهقى عن أبى الطفيل (قتل خالد) ابن
الوليد (عند هدمه العزى) تانيث الاعز سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا (للسوداء التى خرجت له) أى لخالد من
الشجرة بعد قطعها (ناشرة) أى مفرقة (شعرها عريانة) أى واضعة يدها على رأسها داعية بالويل
يدها

يده على رأسها [illegible] على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها
(فجزلها) بجيم وزاي [illegible] وزاي مشددة للمبالغة ومخففة أي جعلها جزلين أي قطعتين
[illegible] مشددة وروى عن [illegible] قطعها [illegible]
[illegible] أو خطاء الضمير للسوداء أي قطعها قطعا (بسيفه) وهو يقول يا عزى كفرانك لا غفرانك
اني رأيت الله قد أهانك والعزى تأنيث الاعز (وأعلم) خالد بفعله (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال تلك العزى) ان كانت الاشارة للمرأة وهي الفعل من الشجرة فظاهر وان كانت الاشارة للسوداء
[illegible] وهي اسم الشجرة [illegible] هي التي عبدوها حقيقة وسموها بها كانت
[illegible] نحوها [illegible] اطلاق الشيء على المقصود منه فهو مجاز
وكانت [illegible] تعبدها قريش وكنانة وهي من أجل أصنامهم وقصة هدمها مفصلة في السير وكان خروج
خالد [illegible] فلا اشكال [illegible] كالملائكة لان هذه اذ قيل ما تصور
منه [illegible] خالد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تلك العزى ان تعبد أبدا [illegible]
[illegible] بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية ابن
[illegible] (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث صحيح رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه (ان شيطانا) هو المتمرد من الجن [illegible] شطن اذا بعد أو من شاط اذا احترق فنونه زائدة أو
أصلية (تفلت) بتشديد اللام أي وثب بسرعة [illegible] التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذ
[illegible] (البارحة) هي الليلة الماضية [illegible] التي تكلمت فيه يعني في ليلة يومه [illegible] قد
[illegible] اليوم الذي قبل يومك وفيه كلام في شرح الدرة للغواص (ليقطع على) بتشديد الياء متعلق
[illegible] بمعنى مثل (صلاتي) التي كنت أصليها ويجوز أن [illegible] وتفلت (فأمكنني الله منه) أي
قدرني عليه وعلى أخذه وحبسه (فأخذته) أي أمسكته وعقته عن مضيه وهروبه مني (فأردت ان
[illegible]) [illegible] أي أوثقه [illegible] (الى سارية) أي عمود أو اسطوانة من عمد المسجد
(من سواري [illegible]) (المسجد) النبوي (حتى تنظروا اليه كلكم) لاجل أن ترونه مربوطا (فذكرت
دعوة أخي سليمان) بن داود صلى الله عليهما الصلاة والسلام وهي قوله في دعائه (رب اغفر لي) كل
[illegible] التقصير [illegible] مقام النبوة وان كان معصوما (وهب لي ملكا) أي سلطانا عظيما
(لا ينبغي لاحد من بعدي) أي لا يتيسر لاحد غيري وهو أحد معاني الانبغاء مطاوع بغى بمعنى طلب
وليس هذا حرصا منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمة ينفرد بها لتكون
[illegible] على تنفيذ أوامر [illegible] وفي تقديم الدعاء بالمغفرة على
[illegible] لا [illegible] أمور [illegible] العفو الله تعالى أو وحيا من الله لطلبه أمرا
[illegible] مقام العبودية الذي ارتضاه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الزمخشري ان
سليمان عليه الصلاة والسلام نشأ في بيت ملك ونبوة فأراد أن يكون ملكا [illegible] زائدا على غيره خارقة للعادة
[illegible] لانه لا [illegible] ميراث كاولاد الملوك ولا [illegible] طالب قصر نعم
[illegible] المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم لان خصائص الانبياء
[illegible] ان هذا الشيطان مارد من المردة و يأتي الكلام في تعيينه التي على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم [illegible] ليقطع صلاته فأخذه [illegible] عنه كما قيل ولبعضهم
[illegible] وقوله رب اغفر لي بدل مفسر لقوله دعوة أخي وتسخير الجن داخل في

(فجزلها) بجيم وزاي مخففة وتشدد للمبالغة أي قطعها نصفين (بسيفه) وهو يقول يا عزى كفرانك لا غفرانك اني رأيت الله قد أهانك ويروى فجدلها بتشديد الدال أي فصرعها وفي رواية فخزلها بالخاء المعجمة والزاي الخفيفة أي فقطعها (وأعلم) أي خالد (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) أي له كما في نسخة (تلك العزى) زيد في رواية لن تعبد أبدا وفي رواية تلك شيطانة (وقال عليه الصلاة والسلام) كما في الصحيحين عن أبي هريرة (ان شيطانا) من شطن اذا بعد لبعده عن الخير أو من شاط اذا هلك لهلاكه في الشر (تفلت) بتشديد اللام أي تخلص بغتة (البارحة) أي في الليلة الماضية (ليقطع على صلاتي) والمعنى تعرض لي بغتة ليغلبني في اداء صلاتي غفلة (فأمكنني الله منه) أي أقدرني الله عليه (فأخذته فأردت ان أربطه) بكسر الموحدة وتضم (الى سارية من سواري المسجد) أي منضما الى اسطوانة من اسطوانات مسجد المدينة (حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي) أي ما صدر عني في أمر ديني وهو بدل من دعوة أخي (وهب لي) أي من الدنيا (ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) أي لا يسهل لغيري في حياتي أو بعد مماتي مبالغة في زيادة خارقة للعادة

هذه الدعوة قوله بعدها شرنا الرشيد بجهر بأمر رنا حيث أصاب والشياطين انه لما استجاب الله دعوته ترك صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك تأدبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عرفة رحمه الله تعالى ومما نقل عن الحجاج من المقال في حق نبي الله سليمان انه كان حسودا من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الانسان اذا طلب من الملك شيأ يخصه به اذا علم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته فيجوز أن يكون هو ذلك الواحد قوله (فرده الله) أي رد الله ذلك الشيطان بقدرته عليه وتمكينه منه (خاسئا) أي خائبا حقيرا مطرودا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو الصحيح وقول البخاري في الروح فرده الله خاسئا بيان لانه وقع من روايته لانه روي فردد وهي صريحة في ذلك وهذا الحديث روي من طرق فيها زيادة اختلاف ففي بعضها عرض لي في صورة هر وأخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وروي انه سمع صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله ثلاثا ثم بسط يده كأنه يتناول شيأ فسألوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي وقوله في رواية البخاري أخذته وخنقته يعلم منه ان قول المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم انه يحتمل انه قدر عليه ولا يجعله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه أوتي مثل كل معجزة لغيره كما أتى وفي بعض طرق هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على مراتب جني وعامر وهو الذي يخالط الناس وأرواح وهم الذين يتعرضون للصبيان والجنة أقيل وقرين الانبياء والعباد قاله الابيض كما في تفسير القرطبي (وهذا) أي ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الملائكة والجن (باب واسع) اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير غيض من فيض وفي أكام المرجان ربطه الى السارية من التصرف الملكي الذي تركه لسليمان وتصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم نبوي بالدعوة للاسلام والامر والنهي فانه كان عبدا رسولا وهو أفضل من ملك النبي ثم ان خنقه وفعله به ما فعله في صلاته احتج به على جواز مثله في الصلاة كدفع المار وقتل الاسودين والمسابقة في صلاة الخوف انتهى وفيه تأمل

(فصل ومن دلائل نبوته)* صلى الله تعالى عليه وسلم الدليل ما يعلم منه شئ آخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاذه الذي الشيخ أحمد بن قاسم في الآيات البينات هي جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل أن يكون جمع دلالة بمعنى دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعائل قياسي والظاهر ان تسمية الدليل دلالة مجاز انتهى وقال الراغب الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشئ وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشئ بمصدره انتهى وفيه دليل لما قاله امام الحرمين وانه سمع فلا وجه للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الاصولي في قوله دلائل الفقه صوابه أدلة وقال ابن مالك في شرح الكافية الحيات فعائل جمع اسم جنس على فعيل فيما أعلم لكنه بمقتضى القياس جائز في علم المؤنث كسعيد علم امرأة جمع على سعائد وذكر النحاة انه في غاية القلة وردمنه لفظان لا يقاس عليهما هما صائد جمع وصيد وهو الباب وسلائل جمع سليل وهو واد وزاد الجوهري تبايع جمع تبيع وقائل جمع أفيل وهو الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيد بعلمه فقد يقال انه لا يمتنع سماعا ولا قياسا خبط لامعنى له (وعلامات رسالته) العلامة الامارة وأكثر ما يستعمل في الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكونان بمعنى وأضاف الدلائل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل لان النبوة أصل والرسالة وصف زائد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير بينهما تفننا والمراد بالدلائل الدلائل القطعية وقدمها الشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل

(فرده الله خاسئا) أي خائبا وهذا صريح في ان هذا الشيطان أحد الجن الموثقة بالقيود لدلالة تفلت عليه ولاشارة التنكير اليه فلا وجه لقول الحلبي هذا الشيطان يحتمل أن يكون ابليس وانه جاء ليلقي في وجهه عليه السلام شهابا من نار فاخذه ويحتمل أن يكون غيره ولدى مرلي انهما قصة واحدة انتهى كلامه وقال القاضي يفهم منه ان مثل هذا مما خص به سليمان عليه السلام دون غيره من الانبياء واستجيبت دعوته في ذلك ولذلك امتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من أخذه امتراضعا أو تأدبا أو تسليما لدعوة سليمان عليه السلام قلت وانسلم أولى وأسلم وأما ما نقل عن الحجاج انه قال لقد كان حسودا فصريح في كفره وقال ابن عطية وهذا من فسقه وقال ابن عرفة كان بعضهم يقول هذا من جهله والله سبحانه وتعالى أعلم بحاله وما أراد (وهذا باب واسع) أي لا يمكن استقصاؤه ولا يتصور استيعابه

(فصل)

(ومن دلائل نبوته) أي دلالات بعثته من أول حالته (وعلامات رسالته) بخط القاضي وعلامة رسالته

مادل

(مترادفة به الاخبار) أى تتابعت وتواترت الآثار (عن الرهبان والاحبار) أى من زهاد النصارى وعبادهم وعلماء اليهود وقد بشر كحبر الراهب بحيرا وكان فى زمنه أعلم النصارى وقد سافر مع عمه أبو طالب فى أشياخ من قريش الى الشام فوافوا بصرى من ديار الشام فنزل من صومعته وكان قبل ذلك لا ينزل لمن نزل به الحديث وقد تقدم وكخبر حبر بنى عبد الاشهل من اليهود اذ نادى قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه عليه السلام فقالوا ويحك هذا كائن ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون بأعمالهم قال نعم ولوددت ان حظى من تلك النار ان توقدوا اعظم تنور ثم تقذفونى فيه وتطبقوه على وانى انجو منه من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبى يبعثه الله من هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن فرمى بطرفه الى أصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه فما بعث صلى الله عليه وسلم آمنا به وصدقناه وكفر هو بغيا وحسدا فقلنا له الست الذى قلت ما قلت وأخبرتنا فقال ليس به (وعلماء أهل الكتب) أى من غيرهم وفى نسخة الكتاب على قصد الجنس وفى أصل الدلجى وعلماء أهل الزمان فهو من باب عطف العام على الخاص (من صفته وصفة أمته) كخبر عبد الله بن سلام قال فى التوراة صفة محمد عليه الصلاة والسلام وعيسى ابن مريم يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد فى التوراة محمد رسول الله عبدى المختار الى ان قال

مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء الحديث وقد سبق (واسمه) أى محمد فى التوراة وأحمد فى الانجيل وقال وهب ابن منبه فى الزبور يا داود سيأتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا ولا يعصينى أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء (وعلاماته) أى كما فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والنعلين والهراوة ونحو ذلك (وذكر الخاتم الذى بين كتفيه) كما هو فى كتب أهل الكتاب وقد مر فى شرح الشمائل هذا الباب (وما وجد فى ذلك من أشعار الموحدين) وفى أصل الدلجى وما وجد من ذلك فى أشعار الموحدين أى القائلين بالوحدة لا نفيه (المتقدمين) أى فى زمن الجاهلية (من شعر تبع) بضم التاء وتشديد الموحدة أحد ملوك اليمن وشعره هذا يدل منه معرفته من المدينة وكان قد نازل أهلها الاوس والخزرج واليهود فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه ليلا واستمر ثلاث ليال فاستحيى فارسل الى صالحهم فخرج اليه من الاوس أحيحة بن الجلاح ومن يهود بنيامين القرظى فقال له أحيحة أيها الملك نحن قومك وقال بنيامين أيها الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبى يبعثه الله من قريش فانشده شعرا منه

الق الى نصيحة كى أزدجر ٭ عن قرية محجورة بمحمد

قال شلمانى وهو أبو كريب الذى كسا البيت ولم يسبقه اليه أحد ومن شعره المتواتر عنه

ما دل على نبوته ودل على الرسالة نزوم تصديقه بعد ثبوتها فى قوله تعالى انى رسول الله اليكم وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومن ثمة وقع بينهما الاقتران (مترادفة به الاخبار) أى تتابعت فى اتباع بعضها لبعض بلا من غير انفصال كأن بعضها راكب خلف الآخر ففيه استعارة تكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر (عن الرهبان) وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيرا فى قصته المشهورة جمع راهب من الرهبة وهى الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل للراغب لتركهم الرغبة فى الدنيا كما قيل

يهودى غلا من نصارى خاف ٭ عجباه من راغب فى راهب (والاحبار) جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من أهل الكتاب واشتهر فى علماء اليهود وقوله (وعلماء أهل الكتب) من عطف العام على الخاص وأهل الكتاب غالب على اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفى نسخة الكتب جمعا وهما بمعنى (من صفته) صلى الله عليه وسلم (وصفة أمته واسمه وعلاماته) فى التوراة عن كعب محمد رسول الله عبدى المختار الى آخره وأمته الحمادون وفى الزبور عن وهب بن منبه أى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا أمته مرحومة أعطيتهم مثل ما أعطيت الانبياء الى غير ذلك مما سيأتى ثمة كقوله فى علامته فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين الى آخر ما ذكره من حليته فيه (وذكر الخاتم) بالفتح والكسر يعنى خاتم النبوة (الذى بين كتفيه) وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة أو بيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان عند نغض كتفه اليسرى وهو مذكور فى كتب الله تعالى القديمة (وما وجد) بالبناء للمجهول (فى ذلك) أى مما يدل على نبوته ورسالته (من أشعار الموحدين المتقدمين) من العرب المتقدمين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم العالمين بما فى الكتب السماوية القديمة (من شعر تبع) بيان لما جاء بضم التاء وتشديد الباء الموحدة اسم ملك اليمن وجمعه تبابعة سمى به

لكثرة اتباعه المنقادين اه وأصل معناه الظل ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان تبع الاكبر وهو الاول والثانى أبا كرب وتبع الثانى هو الذى أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود ولما شكى له الانصار منهم لانهم من اليمن نزلوا عندهم فقال له رجل معمر الملك أجل من ان يطربه فرق أو يستخفه غضب وأمره أعظم من ان يضيق حلمه أو يخرم صفحه وهذه البلدة مهاجر بلدة نبى يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال السهيلى رحمه الله تعالى وهذا الرجل من اليهود وهو أحد الحبرين اللذين كلما الملك سحيت ومنبه أو بنيامين ويأتى ان شامول كلمه أيضا آمن به عليه الصلاة والسلام وكسى الكعبة وهو أول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على أحمد انه * نبى من الله بارئ النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيراله وابن عم
وجاهدت بالسيف أعدائه * وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور * وأمته هى خير الامم
(وقوله) ويأتى بعدهم رجل عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى أحمدا ياليت انى * أعمر بعد مبعثه بعام

(والاوس بن حارثة) بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقياء بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان والاوس فى اللغة الذئب أو العطية سمى به ولد تنسب الانصار وكان أوس من عدة ناس فى الفترة هداهم الله تعالى للتوحيد ولم يعبدوا الاصنام وكانوا يعاشرون أهل الكتاب فيخبرونهم بما فى كتبهم من ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيذكرونه فى خطبهم وأشعارهم ولاوس شعر فيه لم يذكره احد هنا فى الشراح وهو سيد جواد طائى كان صديقا لحاتم الطائى والاوس بالالف واللام للمح ولذا قال السهيلى انه منقول من اسم العطية لا من اسم الذئب لانه علم جنس كاسامة لا تدخل عليه الالف واللام قبل النقل فبعده أولى وقال التلمسانى انه روى هنا بدون الالف واللام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلى (وكعب بن لؤى) هذا هو الصواب وفى بعض النسخ لوى بن كعب وهو غلط من الناسخ ولؤى بهمز ولا يهمز وهو تصغير لاى بمعنى البطؤ وهو أول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة فى الجاهلية فكان يخطب فيه الناس ويبشر بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال فى خطبة له أما بعد فاسمعوا وتعلموا * وافهموا واعلموا * ليل ساج * ونهار ضاح * والارض مهاد * والسماء بناء والجبال أوتاد * والنجوم أعلام * الى قوله الدار أمامكم * والظن غير ما تقولون * حرمكم زينوه وعظموه * فسيأتى له نبأ عظيم * وسيخرج منه نبى كريم * وينشد

نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها
منونان بالاحداث حين تناوبا * وبالنعم الضافى علينا ستورها
على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها

الى آخرما رواه ابن الجوزى مسندا فى كتاب الوفاء (وسفيان بن مجاشع) التميمى الدارمى المجاشعى جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات فخرج لحى من تميم فاذاهم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول * العزيز من والاه * والذليل من خالاه * والموفور من والاه * والموتور من عاداه * فقال سفيان من تذكرين الله أبوك فقالت * صاحب هدى وعلم * وبطش وحلم * وحرب وسلم * ورأس رؤس

قوله شهدت على أحمد انه رسول من الله بارئ النسم فلومد عمرى الى عمره لكنت وزيراله وابن عم وأبيات كتبها وأودعها الى أهله فكانوا يتوارثونها كابرا عن كابر الى ان هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فادوها اليه ويقال كان الكتاب والابيات عند أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه (والاوس بن حارثة) والحارثة بحاء مهملة ابن لام الطائى وهو ممن يوحد الله تعالى من أهل الفترة (وكعب بن لؤى) بضم لام ففتح همزة وتبدل وتشديد تحتية وهو سابع أجداده عليه الصلاة والسلام وأما فى نسخة لؤى بن كعب فخطأ (وسفيان بن مجاشع) أى وأشعارهم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لكنها غير مشهورة

* ورابض شموس * وساجن بؤس * بماهد زمن بوس * وناعم بمنعوس * فقال سفيان لله أبوك من هو قالت * نبي مؤيد قد أتى حين يوجد * ودنا أوان يولد * يبعث الى الاحمر والاسود * بكتاب لا يفند * اسمه محمد * قال سفيان لله أبوك أعربي هو أم أعجمي فقالت * أما والسماء ذات العنان * والشجر ذات الافنان * انه لمن معد بن عدنان * فامسك عن سؤالها * ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء ان يكون هو النبي المذكور وهو أحد من سمي باسمه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من تبشيره وله شعر فيه الا ان الشراح قالوا لم نقف عليه ولم نر ذكرا يكفي في المقصود (وقس بن ساعدة) الايادي قس بضم القاف وتشديد السين والقس العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة لاياد حي من معد وكان من الحكماء الزهاد كرماء وبالجملة منقطعا للعبادة في بريه وآمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه ورآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا عده ابن شاهين وغيره في الصحابة رضي الله عنهم وعمر حتى قيل انه عاش ستمائة أو سبعمائة سنة وادرك الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام قيل وكانت السباع تدور عنده ولا تؤذيه وبه ما ضرب اعتماده وهو خطيب مغلق يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما قدم الجارود على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سيد قومه قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت أقفو أثره كأني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له * ليبلغن الكتاب أجله * ويقول * هاج القلب من هواه اذكار * ليال خلالهن نهار * في أبيات أخر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لما فات اتساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما أحفظه فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه كنت حاضرا وانا أحفظه سمعته يقول في خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات * ومن مات فات * وكل ما هو آت آت * مطر ونبات * وارزاق وأقوات * وآباء وأمهات * وأحياء وأموات * وجمع وأشتات * وآيات بعد آيات * ان في السماء لخبرا * وان في الارض لعبرا * ليل داج * وسماء ذات ابراج * وارض ذات رتاج * وبحار ذات أمواج * مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون * أرضوا بالمقام فاقاموا * أم تركوا هناك فناموا * أقسم قس قسما حاتما * لا حانثا فيه ولا آثما * ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه * ونبيا قد حان حينه * واظلكم أوانه * فطوبى لمن آمن به فهداه * وويل لمن خالفه وعصاه * تبا لارباب الغفلة * من الامم الخالية والقرون الماضية * يا معشر اياد * أين الآباء والاجداد * وأين المريض والعواد * وأين الفراعنة الشداد * وأين من شيد وزخرف ونجد * وغره المال والولد * أين من بغى وطغى * وجمع فأوعى * وقال أنا ربكم الاعلى * ألم يكونوا أكثر منكم أموالا * وأطول منكم آجالا * وأبعد منكم آمالا * طحنهم الثرى بكلكله * ومزقهم بتطاوله * فتلك عظامهم بالية * وبيوتهم خاوية * عمرتها الذئاب العاوية * كلا بل هو الله أحد * الواحد المعبود * ليس بوالد ولا مولود * ثم أنشأ يقول في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر * لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر * ورأيت قومي نحوها يمضي الاصاغر والاكابر * لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر * أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر * انتهى وروي له أشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث * ولم يخلنا سدى من بعد عيسى واكترث * ارسل فينا أحمدا خير نبي قد بعث * صلى عليه الله ما حج له ركب وحث * الى آخره ذكره الا ان ابن الجوزي قال حديث قس المذكور موضوع وذكر اسانيده وبين من فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال

(وقس بن ساعدة) بضم القاف وتشديد السين أسقف نجران وكان من حكماء العرب ومن شعره
الحمد لله الذي
لم يخلق الخلق عبث
لم يخلنا منه سدى
من بعد عيسى واكترث
أرسل فينا أحمدا
خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما
حج له ركب وحث
وقد رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن شاهين وغيره في الصحابة

(وماذكر) عطف على ماوجد أى وما نقل (عن سيف بن ذى يزن) بفتح الياء والزاى مصروفا وغير منصرف وهو من ملوك حمير وممن كان شريفا من أهل اليمن يقال له ذويزن وقد ذكره الذهبى فى الصحابة وقال بالفظه سيف بن ذى يزن أهدى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة وهو مشهور انتهى وقال الدلجى خبره انه قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه من قومه ليهنئوه بنصرته على الحبشة انى مفض اليك من سر علمى مالوغيرك لم أبح به اذ قد رأيتك معدنه فاكتمه حتى يأذن الله فيه أنى أجد فى علمنا الذى اذخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال فما هو قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال أيها الملك لقد أتيت بخبر ما آب به وافد ثم قال أيها الملك ابن لى ما ازداد به سرورا قال سيف هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن العرض ويفتح بهم كرائم أهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال أيها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال سيف والله انك لجده فهل أحسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم انه كان لى ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله تعالى لهم عليه سبيلا واطو ماذكرت لك عمن معك فلست آمن عليك ان يحسدوك أو ابناؤهم ولولا انى أعلم انى أموت قبل مبعثه لجعلت يثرب دار ملكى فانها مهاجره وأهلها انصاره وبها قبره ولولا خوفى عليه لاعلنت على حداثة سنه أمره ولاوطأت على انوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير منى معك واذا حال الحول فائتنى بخبره وما يكون من أمره * فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبى فى الصحابة مع ايمانه به فى حياته ولم يره فالحق انه مخضرم والله تعالى أعلم (وغيرهم) أى كالراهب الذى قال لسلمان الفارسى اذ قال له بمن توصينى أكون عنده بعدك أعبد الله أى بنى والله ما أعلم أحدا على ما كنا عليه أوصيك ان تكون عنده ولكن قد أظلك زمان نبى يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين فى ارض سبخة ذات نخل فيه علامات لاتخفى بين كتفيه خاتم النبوة يأكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل

انه مجازف فى الوضع ولا يلزم من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه ابن سيد الناس بسند ليس فيه كذاب ورواه غيره أيضا فالصحيح انه ليس بموضوع (وماذكر عن سيف ابن ذى يزن وغيرهم) ابن ذى يزن من ملوك حمير وتنسب اليه الرماح فيقال رمح يزنى وازنى ويزانى وفيه وفى اشتقاقه كلام طويل للصاغانى وقال البرهان انه مصروف والذى فى القاموس انه ممنوع من الصرف لوزن الفعل وأصله يزان ورد الصاغانى فى الذيل الصلة منع صرفه وابطال فيه وقال مادة زان غير معروفة ولا تضاف ذو هنا الا الى أسماء الاجناس وفى شرح الدريدية لابن النحاس ان فيه قولين أحدهما انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم أبدلت الكسرة فتحة تخفيفا فلا ينصرف على هذا الثانى انه ماض أصله يزن قلبت الواو همزة كما فى أحد ثم أبدلت ياء وسمى به فهو منصرف انتهى وهذا لا يرد عليه ما أورده الصاغانى وقوله لا تضاف ذو الا لاسماء الاجناس ممنوع فانه يضاف للاعلام كما هنا وهى لغة أهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظمائهم وهو من اضافة المسمى للاسم ويقال لملوك اليمن الاذواء وقصة سيف مشهورة فى التواريخ والسير وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد وغيرهم من وجوه قريش واستأذنوا عليه فاذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر وحوله ابناء الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال * أيها الملك ان الله قد أحلك محلا رفيعا * شامخا منيعا * وانبتك منبتا طابت أرومته وعذبت جرثومته * وثبت أصله * وبسق فرعه فى أطيب موطن * واكرم معدن * وأنت أبيت اللعن أيها الملك رأس العرب وربيعها التى تخصب به * ورأسها الذى له ينقاد * وعمودها الذى عليه العماد * ومعقلها الذى اليه يلجأ العباد * وسلفك لنا خير سلف * وأنت لنا خير خلف ولن يخمل ذكر من أنت خلفه * ولن يهلك من أنت سلفه * ونحن أيها الملك أهل حرم الله وبيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا بك لكشف الكرب الذى قد دهمنا * فنحن وفد التهنية * لا وفد الرزية * فقال له سيف وأيهم أنت أيها المتوكل قال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فادناه وأقبل عليه وعلى القوم وقال * مرحبا وأهلا * وناقة ورحلا * ومستناخا سهلا * وملكا ربحلا * يعطى عطاء جزلا

قد

(وماعرف) بتشديد الراء على بناء الفاعل لا المفعول كما يفهمه الدلجي أي وما علم (به من أمره) أي بعثه (زيد بن عمرو بن نفيل) بالتصغير قال الحلبي زيد هذا والد سعيد أحد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب كان زيد يتعبد في الجاهلية قبل النبوة على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويطلب أحكامه الكرام ويوحد الله ويعيب على قريش ذبائحهم على الانصاب ولا يأكل مما ذبح على النصب وكان اذا دخل الكعبة قال لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم كما ذكره في الاحاديث وتوفي قبل النبوة فرثاه ورقة بن نوفل بأبيات معناها انه خلص نفسه من جهنم بتوحيده واجتنابه عن عبادة الاوثان وفي صحيح البخاري في كتاب المناقب ذكره وبعض مناقبه قال الدلجي ذكر زيد عن راهب الجزيرة انه قال له وقد سأله عن دين ابراهيم عليه السلام ان كل من رأيت يعني من الاحبار والرهبان في ضلال انك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج يدعوا اليه ارجع اليه فصدقه فلقيه واتبعه فلقي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث ببلدح فقال له أي عم مالي أرى قومك قد أنفوك قال أما والله ان ذلك لغير ثائرة مني اليهم ولكني أراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين ثم أخبره بما عرف به راهب الجزيرة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم أخبر شيئا بعد فقدم صلى الله تعالى عليه وسلم من سفرته باللحم فقال أنا لا آكل مما ذكر

قد سمعت مقالتكم، وعرفت قرابتكم، وقبلت وسيلتكم، وأنتم أهل الليل والنهار، لكم الكرامة ما أقمتم، والحباء اذا ظعنتم، وانهضوا الى دار الضيافة والوفود، وأجرى عليهم الانزال فأقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم في الانصراف، ثم أرسل الى عبد المطلب وقال له يا عبد المطلب اني مفض اليك من سر علمي أمرا لو يكون غيرك لم أبح به، ولكن وجدتك معدنه، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه، فان الله بالغ أمره، اني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا دون غيرنا، خبرا عظيما، وخطرا جسيما، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس كافة، ولرهطك عامة، ولك خاصة، فقال عبد المطلب فمثلك أيها الملك من سر وبر، فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر، فقال له اذا ولد بتهامة، غلام بين كتفيه شامة، كانت له الامامة، ولكم به الزعامة، الى يوم القيامة، فقال له عبد المطلب أبيت اللعن لولا هيبة الملك واجلاله لسألته عما أزداد به سرورا، فقال هذا حين زمانه الذي يولد فيه أو قد ولد، واسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، وقد ولدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعل له منا أنصارا، يعز بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الارض، يعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، ويخمد النيران، ويكسر الاوثان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله، فقال عبد المطلب أيها الملك عز جارك، وسعد جدك، وعلا كعبك، ودام ملكك، وطال عمرك، فهل الملك ساري بافصاح، فقد أوضح لي بعض ايضاح، فقال والبيت ذي الحجب، والعلامات على النقب، انك لجده غير الكذب، فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا أمرك، فهل أحسست شيئا مما ذكرت فقال نعم أيها الملك انه كان لي ابن كنت به معجبا زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه بين كتفيه شامة، وفيه كل ما ذكرت من علامة، فقال ان الذي ذكرت كما ذكرت فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هذا الرهط الذين معك فاني لست آمن أن تدخلهم النفاسة فيبغون لك الغوائل، وينصبون لك الحبائل، وهم فاعلون أو أبناؤهم، ولولا أني أعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى آتي يثرب وأسير بها دار مملكته فاني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، ان يثرب استحكام أمره، وموضع قبره، وأهل نصرته، ولولا اني أقيه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأوطأت العرب كعبه، وأعليت على حداثة سنه ذكره، ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الابل وعشرة أعبد وعشر اماء وعشرة أرطال فضة وخمسة ذهبا وكرش مملوءة عنبرا وأمر لعبد المطلب بأضعافه وقال له اذا كان رأس الحول فائتني بخبره وما يكون من أمره فمات قبل رأس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني أحد من قريش بجزيل الملك فانه الى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لي شرفه وذكره في العقب فاذا سئل عنه قال ستعلمون بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه قال لعبد المطلب أشهد ان في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة [illegible] أيضا كما في كتب السير والتواريخ وعلى ما ذكرناه من انه مات قبل الحول يعلم انه ليس بصحابي ولا تابعي فذكر الذهبي له في الصحابة لا وجه له والعجب من بعض الشراح حيث نقل ما ذكرناه ثم قال انه تابعي [illegible] ليس كذلك ولا مخضرم أيضا كما قيل ولعل الذي ذكره الذهبي اشارة الى انه ممن لا يقال بالرأي أيضا (وما عرف به من أمره) وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الراء مبني للفاعل لا للمفعول وان صح [illegible] به عن قومه أهل الكتاب والفاعل أولا هو (زيد بن عمرو بن نفيل) قال الذهبي هو زيد بن عمرو بن نفيل

اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة أمة وحده كما رواه النسائي هذا وعدابن منده
له وغيره ممن رآه عليه السلام واجتمع به قبل البعثة من الصحابة الكرام توسع في الكلام اذ يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها
مؤمنا (وورقة بن نوفل) أي وماعرف به من أمره ورقة بن نوفل بن أسد عن رهبان كثيرين وقد أخبرته خديجة بنت خويلد بن أسد بما
أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا
ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال شعرا   أتبكر ام أنت العشية رائح * وفي الصدر من أضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح   فأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فذاك الذي وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح   الى سوق بصرى والركاب التي غدت
وهن من الاحمال قعص دوالح
يخبرنا عن كل خير بعلمه
وللحق أبواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل
الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به ان سوف يبعث صادقا
كما بعث العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له
بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعها حبا لؤي جماعة
شبابهموا والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره
فاني به مستبشر الود فارح
والا فاني يا خديجة فاعلمي
عن أرضك في الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ماذكر بعضهم بانه صحابي بل هو أول الصحابة من انه اجتمع به بعد الرسالة   جئت
اذ صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم أتاه بعد مجيء جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذي
خلق عليه وبعد قول ورقة له ابشر فانا اشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبي مرسل وقد ورد انه صلى الله
تعالى عليه وسلم رآه في الجنة وعليه ثياب خضر وفي مستدرك الحاكم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فاني رأيته في الجنة
وعليه جبة أو جبتان واما مانقله الذهبي عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواه جدا ويرده ما في صحيح
البخاري عنه صريحا (وعثكلان) بفتح العين والكاف وتضمان واقتصر عليه بعضهم (الحميري) بكسر الحاء وفتح الياء نسبة الى حمير
أبي قبيلة من اليمن ومنهم كانت الملوك في الدهر الاول أي وماعرف به من أمره من الرهبان لكني لم أر من ذكره في معرض البيان

ابن عبد العزى بن رباح العدوي الذي قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث أمة وحده
لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك وأهله ويوحد الله ويقول لقريش ماقومكم على شيء قد
أخطأوا دين ابراهيم باوثان لا تضر ولا تنفع بعد وكان يخالفهم ولا يأكل ذبائحهم فاجتمع بالنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قبل نبوته وتوفي قبل مبعثه وقال شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتهما وكنت
بالشام فأتيت راهبا فقصصت عليه فقال أراك تريد دين ابراهيم يا أخا أهل مكة انك لتطلب دينا
لا يوجد اليوم وهو دين أبيك ابراهيم فالحق لبلدك فان الله يبعث لك من يأتي بدين ابراهيم الحنفية
وهو أكرم الخلق على الله تعالى انتهى المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره أيضا انه لقي راهبا
بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسأل
عن دين الله وقد خرج في أرضك أو هو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل بعثته
ببلدح فقال يا عم مالي أرى قومك قد أبغضوك فقال اما والله ان ذلك لغير نائرة مني اليهم ولكني
أراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله تعالى عليه
وسلم وهذا ما أشار اليه المصنف وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد
النبوة ونفيل تصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهود قتلوه بلخم (وورقة بن نوفل) أحد
النفر الذين كانوا في الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو
معطوف على زيد أي وماعرف به ورقة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر به خديجة أم المؤمنين
رضي الله تعالى عنها كما ذكره البخاري وآمن به بعد رسالته ولذا قيل انه أول الصحابة وكان شيخا كبيرا
يقرأ الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما أخبره بأمره ابشر فانك الذي بشر
به ابن مريم ورآه صلى الله عليه وسلم في الجنة عليه ثياب خضر وقال لا تسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح
بها النبي صلى الله عليه وسلم (وعثكلان الحميري) بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام وألف
ونون والحميري نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبأ أي ماعرف به من أمره صلى الله عليه
وسلم عمن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفي الخصائص ان ابن عساكر أخرج
من طريق عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث عن أبيه عن جده قال سافرت الى اليمن
قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميري وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا

جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسألني عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم أحد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكاني فشد على عينيه عصابة واستند فقعد وقال لي انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة ألا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال انبئك بالمعجبة وأبشرك بالمرغبة ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثمالة ولا من السرف ولا تبالة هو من بني هاشم وأنتم أخواله يا عبد الرحمن أحق لونعه وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

أشهد بالله ذي المعالي * وفالق الليل والصباح
انك في السر من قريش * يا ابن المفدى من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين * ترشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى * انك أرسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فائته فلما أتيت بيت خديجة رآني صلى الله تعالى عليه وسلم فضحك وقال لي أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت فقال أخا حمير مؤمن مصدق بي ولم يشاهدني أولئك من اخواني حقا انتهى (وعلماء يهود) وفي نسخة علماء اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه في باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الالف واللام قال الشاعر

أولئك أولى من يهود بمدحة * اذا أنت يوما قلتها لم تؤنب

واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياء النسبة انتهى وفصله شراحه أي ما عرف به من أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علماؤهم مما قرأوه في كتبهم ورووه عن أسلافهم كابن صوريا وابن أخطب وأبي ياسر ووهب بن يهود وغيرهم ممن لا يحصى ومنهم من أسلم ومنهم من عاند حسدا وثبات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال (وشامول عالمهم) بشين معجمة وميم ولام بينهما ألف بوزن فاعول وهو من علماء اليهود وكان مع تبع وصاحبه وفي كتاب الوفاء لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال اني مخرب هذه البلدة حتى يقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ أعلم اليهود أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذي أنت به يكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال اذا قومه فاين قبره قال هذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكن النصرة قال تكون له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له ويظهر حتى لا ينازعه أحد ثم ساله عن صفته فأخبره بها كما مر في حديث الحلية الشريفة وقوله (صاحب تبع) أي الذي كان معه ورهبان آخرين لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة انا ان نبرح ههنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وقوله (من صفته وخبره) صلى الله تعالى عليه وسلم كما عرفته آنفا بيان لما عرف به (وما أتى من ذلك) أي من صفته وخبره

(وعلماء اليهود) وفي نسخة وعلماء يهود أي من كتبهم أو من أخبارهم عن أحبارهم كقول عالم منهم كان بمكة يتجر في نادي من قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال الله أكبر اما اذا أخطأكم خبره فانظروا واحفظوا ما أقول لكم ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فتفرقوا متعجبين من قوله فسأل كل أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودي به فقال اذهبوا وانظروه فدخلوا به على أمه فرأى العلامة فخر مغشيا عليه ثم أفاق فقالوا ويلك ما هالك فقال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل أفرحتم به معشر قريش ليسطون بكم سطوة يطير خبرها في المشرق والمغرب (وشامول) بشين معجمة ثم ميم وفي آخره لام لا كاف كما في أصل الدلجي (عالمهم صاحب تبع) وهو الذي مر بالمدينة ومعه رهبان فقالوا له ان هذه مهاجر نبي آخر الزمان وانا لن نبرح منها لعلنا ندركه أو أبناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وتوالدوا بها وقيل الانصار من ذريتهم (من صفته وخبره) بيان لما عرف به زيادة ومن ذكر من بعده (وما أتى) بضم همزة فكسر فاء وأما القاف كما في نسخة فهو تصحيف والمعنى ما وجد (من ذلك) أي مما دل على ما ذكر من صفته وخبره.

(فى التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء) أى علماء هذه الامة (وبينوه) ففى التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال لموسى عليه السلام انى مقيم لهم نبيا من بنى اخوتهم مثلك واجرى قولى فى فيه يقول لهم ما آمرهم والرجل الذى لا يقبل قول النبى الذى يتكلم باسمى فانا انتقم منه وفى الانجيل قول عيسى عليه السلام انى أطلب الى ربى فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على لسانه فارقليط روح القدس الذى يرسله ربى باسمى أى النبوة هو الذى يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته وانى قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفارقليط معناه كاشف الخفيات وفيه أقول لكم الآن حقا انطلاقى عنكم خير لكم فان لم أنطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت أرسلته اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر اذن روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه (ونقله عنهما) أى عن التوراة والانجيل وفى أصل الدلجى عنهم فان صح نسخة فالضمير الى العلماء الكتبة لا لاسلامهم قوله (ثقاة من أسلم) وفى نسخة ثقاة من أسلم بالاضافة (منهم) أى من علماء اليهود والنصارى (مثل ابن سلام) هو الحبر عبد الله بن سلام من علماء اليهود وأخباره شهيرة كثيرة (وابنى سعية) بفتح فسكون فتحتية أو فنون والمعروف انهما اثنان فما فى بعض النسخ وبنى سعية من غير ألف لعله سهو او محمول على ان أقل الجمع اثنان وان قول الحلبى فيحتمل ان القاضى رأى معهما أسد ابن عبيد فظنه أخاهما فهو من الظن السوء به نعم قوله ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة لم ظن حسن وتوجيه مستحسن هذا وفى دلائل النبوة للبيهقى وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق قال أسيد او ثعلبة ابنى سعية وأسيد ابن عبيد نفر من هذيل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير يعنى نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا قدم علينا قبل البعثة بسنتين حبر من يهود الشام يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا وكنا نستسقى به فحضرته الوفاة فجئناه فقال يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت أعلم قال انما خرجت أتوقع مبعث نبى قد أظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبى ذراريهم ثم مات فلما افتتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا اشبابا احداثا يا معشر يهود والله انه للذى كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو بنعته قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهليهم فى الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وبنيامين) سمى أخى يوسف عليه السلام

(فى التوراة والانجيل) والفى بهمزة مضمومة ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبنى للمجهول بمعنى وجد ونصوص التوراة والانجيل كثيرة وسيأتى طرف منها واعلم ان التبابعة أربعة وقد اختلفوا فى أيهم آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم هل هو الاكبر أو غيره كما قاله السهيلى وليس هذا محل تفصيله وتقدم بيانه اجمالا وقوله (مما قد جمعه العلماء) فى تآليفهم بيان لما الفى فيهما من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبره (وبينوه) أى أظهروه ووضحوه للناس (ونقله عنهما ثقاة من أسلم منهم) أى من أهل الكتاب (مثل) عالمهم وحبرهم عبد الله (ابن سلام) بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه (وبنى سعية) بنى جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين ساكنة ومثناة تحتية وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية بل قيل النون أكثر وأشهر وهم ثعلبة وأسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة لكن الذى فى سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من هذيل بنو عم قريظة والنضير أسلموا فى الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذى أعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضى رأى معهم أسد بن عبيد فظنه أخاهم ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة انتهى وسبب اسلامهم انه قدم عليهم رجل من أهل الشام يقال له ابن الهيبان أقام عندهم وكان عالما يتبركون به ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يا معشر يهود انما أقدمنى هذه البلدة خروج نبى قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت أرجوا ان أدركه فاتبعه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهاجر وحاصر بنى قريظة قال لهم بنو سعية وهم أحداث والله انه هو الذى عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به قالوا بل هو هو بصفته فنزلوا وأسلموا وأحرزوا أهلهم وأموالهم ودماءهم كما فى الاكتفاء ودلائل البيهقى (وابن يامين) بن عمير بن عمرو بن كعب بن جحاش من بنى النضير وقيل انه بنيامين ويقال بليامين باللام وهو أحد الحبرين اللذين قدما من اليمن مع تبع واسم الآخر سخيت كأنه تصغير سخت كما قاله التلمسانى وقال الشارح الجديد

أسلم عليه (ومخيريق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والياء الساكنة وكسر الراء المهملة والياء
الساكنة وقاف بصيغة التصغير وهو كما من علماء [illegible] أحبار اليهود كثير المال والنخيل وكان يعرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته [illegible] وغلب عليه الف دينه فلما كان يوم أحد يوم السبت قال يا معشر يهود
والله انكم تعلمون ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت فقال لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه
وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت هذا اليوم
فأموالي لمحمد يصنع بها ما أراه الله فقاتل حتى قتل فجعل [illegible] صدقة بالمدينة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول مخيريق خير يهود [illegible] ومن خبره [illegible] فلا يقال كيف أضافه
[illegible] (وكعب) بن ماتع وهو كعب الأحبار كما تقدم التابعي المشهور أدرك
زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله
تعالى عنه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه سنة ثنتين وثلاثين ودفن بحمص على ما [illegible] وروى
عنه أخبار كثيرة في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة كما في الوفاء وكتاب الشرف لأبي سعيد في
ختم الشرف [illegible] سأل عمر رضي الله تعالى عنه عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة فقال
ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من
أرض القدس فيشهر التوحيد الحق ثم ينتقل الى طيبة فيكون حربه وحرب امته بها ثم يقبض ويدفن
بها الى غير ذلك مما يطول ذكره (وأشباههم) من علماء أمته الذين كانوا يعرفون أمره صلى الله تعالى
عليه وسلم وأخبار من كتبهم (من أسلم وآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه كحبر بني [illegible]
الكتاب (من علماء يهود وبحيرا) عطفه على علماء اليهود لأنه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح
الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون الياء التحتية وراء مهملة وألف مقصورة على المشهور الآن البرهان قال ان
رأيته بخط العلامة ابن المرحل فلعله وقف على أنه فيه وقصته صحيحة مشهورة في السير وهو راهب
في صومعة له [illegible] ومعقله عند محل يقال له بصرى في طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه
ولا يلتفت لأحد منهم فلما ذهب أبو طالب بالشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير ابن تسع
سنين أو اثنتي عشرة سنة نزل لهم وقال يا معشر قريش اني صنعت لكم طعاما فاذهبوا ومعه وتركوه في رحالهم
لصغر سنه فقال لهم هل بقي أحد قالوا لا الا ولد صغير فدعاه حتى أتى فسألوه عن سبب هذا ولم يكن دأبه
فقال اني رأيت غمامة تظله ولما نزل عند الشجرة مالت اليه وان مثله لا يكون الا نبي وانا نجده في
كتابنا وهذه صفته ونظر خاتم النبوة فيه فقال لأبي طالب احترس عليه من اليهود واقسم عليه ان يرده
فقيل انه رده وقيل أسرع في سفره وعاد به والقصة مفصلة في السير وبحيرا هذا من أول من آمن به وعده من
الصحابة قال ان من اجتمع به مؤمنا مطلقا بعد من الصحابة (ونسطور الحبشة) احترز به عن نسطور
الشام وغيره ونسطور معرب ويقرأ بالسين والصاد كما في بعض الشروح ونسطور الشام قصته مذكورة
في السير وهي قريبة من قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطور بدون اضافة للحبشة وقد قال الشراح ان
نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علماء أهل الكتاب الذين كانوا عند النجاشي (وصاحب بصرى)
بضم الباء كحبلى بلد بالشام وهي بين المدينة والشام وقيل انها حوران وهذا هو المعروف وفي نسخة
وأسقف بصرى وصاحبها امامكها الذي أرسل اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دحية بكتابه وهو
الحارث ابن أبي شمر الغساني كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم يذكر قصته واسلامه وما أخبر

وهو من بني النضير انتهى وقد صرح غير واحد من الحفاظ بانه أسلم (وكعب) أي كعب الاحبار (وأشباههم) عن أسلم من علماء اليهود) أي ولو بعد موته عليه الصلاة والسلام مثل كعب فانه تابعي مخضرم ولم ير النبي عليه الصلاة والسلام وانما أسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (وبحيرا) بفتح باء وكسر حاء فراء ممدودا ومقصورا ممن شهد له بالرسالة قبل دعوى النبوة فهو من الصحابة ان لم يشترط الاجتماع بعد البعثة (ونسطور) بفتح النون وسكون السين وفي نسخة نصطور وفي نسخة بنون في آخره بدل الراء (الحبشة) قيده بهم احترازا من نسطور الشام وهو الذي جرى له ماجرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في متجره لخديجة في رحلته الثانية الى الشام (وضغاطر ٢) بفتح أوله وكسر الطاء وهو الاسقف الرومي أسلم على يد دحية الكلبي وقت الرسالة فقتلوه فهو تابعي مخضرم وذكره الذهبي في تجريد الصحابة (وصاحب بصرى) بضم موحدة وسكون مهملة مقصورا والمراد به عظيم بصرى كما في البخاري

٢ قوله وضغاطر موجودة بالصفحة الثانية لوجود تأخير وتقديم بالاصل اه فلتحرر

به عن أمره صلى الله تعالى عليه وسلم (وأسقف الشام) وفى نسخة أساقفة الشام يعنى بهم صاحب ايليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم وأسقف بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا نظير له الأسرب وحكى ابن سيدة تثليث الثاء وهو الاسلف للصالح وقال العينى فى شرح البخارى ولا يرد عليه الاترج لانه جمع والكلام فى المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال عبد الغافر الفارسى فى كتاب مجمع الرغائب والغرائب فى الحديث فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لاهل نجران لا يمنع أسقف من سقيفاه وجمعه أساقفة والسقفى مصدر والخليفى ومعناه لا يمنع أسقف من تسقفه ولا راهب من ترهبه والسقف الطويل مع انحناء وكذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفى خطبة الحجاج المعروفة ايا كم وهؤلاء السقفاء قال القتيبى أكثرت السؤال عنه فلم يعرفه أحد وقال بعض أهل اللغة انما هو الشفعاء أى الذين يشفعون عند السلطان فى المريب انتهى وفى القاموس وقول الحجاج اياكم وهذه السقفاء تصحيف صوابه الشفعاء كانوا يجتمعون عند السلطان فيشفعون فى المريب انتهى وليس كما قال فان الزمخشرى أثبته فى الفائق والاسقف عالم النصارى ورئيسهم (وضغاطر) بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما ألف وطاء وراء مهملتان ويقال ضغاطن بنون وبفاطر بوحدة تحتية مفتوحة وفاء وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية رضى الله تعالى عنه لما أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل وغير لباسه وأظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبى وكان ذلك فى سنة ست من الهجرة وهو الذى أبهمه البخارى فى أوله فى قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له برومية كان نظيره فى العلم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل أدخلنى عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له هذا الذى كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما أنا فصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكى فقال لى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام وأخبره انى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وأنى قد آمنت به وصدقته وروى ابن اسحق ان هرقل أرسل دحية الى ضغاطر الرومى وقال انه فى الروم أنفذ قولا منى فاظهر اسلامه وألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له أما قلت لك انا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان عندهم أعظم منى وحينئذ فضغاطر تابعى مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه ساكنا بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضى الله تعالى عنه وفد على هرقل مرتين (والجارود) ابن عمرو بن العلاء أو ابن العلاء ويكنى أبا غياث أو أبا عتاب واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو وأصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا فى دينه وأدرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وكفر من لم يشهد وله أشعار رويت فى السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت * بنات فؤادى بالشهادة والنهض

فابلغ رسول الله عنى رسالة * بانى حنيف حيث كنت من الارض

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقيل بنهاوند سنة احدى وعشرين وسمى الجارود لانه غار على بكر بن وائل فجردهم قال العبدى

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

(وأسقف الشام) بضم همزة وقاف وتشديد فاء ولعله نسطوره المحترز عنه فيما تقدم (والجارود) أى ابن العلاء وفد فى قومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذى بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك فى الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فانا أشهد أن لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم آمن قومه

وقيل لانه فر بابيه وبهاداه الى اخواله بنى شيبان فغلبت الراء فى ابائهم حتى أهلكهم وهو اول من جرد
بالجيم وهو الاستئصال (وسلمان) الفارسى وقصته لاسلامه ولاقاته بالرهبان وتبشيرهم له ببعث النبى
صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها (وتميم) الدارى نسبة للدار وهو بطن باليمن من لخم
هم ولد هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن ادد منهم تميم بن أوس بن خارجة بن
سواد بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار ويكنى بابى رقية واسلم سنة تسع وسكن المدينة
ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان وكان من أهل الكتاب عالما بكتبهم فقرأ فيها نعت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به واقطعه اراضى
بالقدس وقصته مشهورة أفردها ابن حجر وكذا السيوطى بالتأليف (والنجاشى) بفتح النون
وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه أصحمة وقيل غير ذلك كما بينته فى التصغير وهو ملك الحبشة توفى
فى السنة التاسعة من الهجرة فى شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغائب
وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من تصديقه لاسلامه المشهورة مقالته اشهد انه رسول
الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته وكنت أحمل نعليه وكان من أعلم أهل عصره
بالانجيل وقرئ عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبكى حتى بل لحيته وقد تقدم الكلام فى
ترجمته (ونصارى الحبشة) هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل وأخبروا بها
(واساقفة نجران) وفى نسخة واساقف بدون هاء جمع أسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا أى علماؤهم
ورؤساؤهم ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة بعدها ألف ونون وهو موضع باليمن سمى بنجران
ابن زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه يسمى أهله وهم نصارى وفدوا
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى ستون راكبا من أشرافهم وكان لهم علم الكتاب واشرفهم
أبو حارثة كان ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية فملكوه وتولوه وبنوا له كنائس واخدموه
فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أخوه كوز بضم الكاف وآخره زاى معجمة على
بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد فقال له بل أخى قال لم لم تؤمن بهذا النبى وانه الذى كنا ننتظره
فقال بلى والله فقال له ما يمنعك قال ما صنع هؤلاء القوم شرفونا وموّلونا وقد أبوا الا خلافه فلو فعلت
نزعوا منا كل ما ترى فأضمرها فى نفسه حتى أسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد النبوى فى وقت
العصر وعليهم الحبرات فى جمال لم ير مثله حانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يصلون الى المشرق فقال دعوهم ثم أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمه منهم أبو حارثة والعاقب
والايهم وهم من النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلموا فقالوا أسلمنا
قال كذبتم يمنعكم الاسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب وأكل الخنزير فانزل الله تعالى فيهم أول سورة
آل عمران ولما أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا فأبوا الملاعنة وعلموا انه ما لاعن نبى قوما الا استؤصلوا
ثم نزلوا على أمره فأسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وارسل معهم أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يقضى
بينهم والقصة مفصلة فى كتب التفسير والسير (وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك)
أى ببعثته صلى الله عليه وسلم وانه المبشر به فى الكتب القديمة (هرقل) ملك الروم وقصته مذكورة فى
أول البخارى وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف كما حكى اسكان الراء وكسر القاف وكان
يعرف أمره صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب الالهية ولكن أحب الملك فحكم بشقاوته ملك الملك
وفى الاستيعاب انه آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين وتقوى عندهم ان
بايعهم فى العام القابل فالاصح الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتب وباحوال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كما سبق فى حديثه (وصاحب رومة) بضم الراء وسكون الواو وميم مخففة مفتوحة

(وسلمان) أى الفارسى
(والنجاشى) وهو أصحمة
(ونصارى الحبشة
وأساقف نجران) بفتح
الهمزة وكسر القاف
وتخفيف الفاء جمع
أسقف أى علمائهم
ورؤسائهم ونجران بفتح
نون وسكون جيم موضع
باليمن فتح سنة عشر
كذا فى القاموس وقال
الذهبى فى تجريد الصحابة
ما لفظه أسقف نجران
قال أبو موسى لا أدرى
أسلم أم لا ولم يذكره غيره
نقله الحلبى (وغيرهم
ممن أسلم من علماء
النصارى وقد اعترف
بذلك) أى بصحة نبوته
وعموم رسالته (هرقل)
بكسر الهاء وفتح الراء
وسكون القاف وفى نسخة
بسكون الراء وفتح القاف
وفى أخرى بفتح الهاء
والقاف (وصاحب رومة)
كذا فى أكثر النسخ وقال
الحلبى صوابه رومية
بتخفيف الياء كما فى
الصحيح وهى مدينة
رياسة الروم وأعلامهم

(عالما النصارى ورئيساهم) كما فى البخارى ثم هرقل كتب الى صاحب له برومية وكان نظيره فى العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم
حمص حتى جاءه كتاب من صاحبه يوافقه على خروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه نبى ويروى النصرانية ورئيسها (ومقوقس)
بضم الميم وكسر القاف الثانية (صاحب مصر) أى ملك القبط قال الذهبى فى تجريد الصحابة المقوقس صاحب الاسكندرية أهدى
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولامدخل له فى الصحابة ذكره ابن منده وأبو نعيم ومازال نصرانيا ومنه أخذت
مصر واسمه جريج انتهى
وسماه الدارقطنى جريج
ابن سينا انتهى وأثبته
أبو عمر فى الصحابة ثم
أمر بان نضرب عليه وقال
يغلب على الظن انه
لم يسلم وكانت شبهته فى
اثباته فى الصحابة رواية
رواها ابن اسحق عن
الزهرى عن عبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة قال
أخبرنى المقوقس انه
أهدى لرسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم
قدحا من قوارير وكان
يشرب فيه قال الحلبى
فائدة لهم شخص آخر
معدود فى الصحابة يقال
له المقوقس فى معجم ابن
قانع قال الذهبى لعله
الاول (والشيخ صاحبه)
وهذا لايعرف اسمه
(وابن صوريا) بضم
الصاد وكسر الراء ممدودا
ومقصورا قال الحلبى
اسمه عبد الله ذكر
السهيلى عن النقاش انه
أسلم وقال الدلجى أسلم ثم
ارتد الى دينه والله تعالى
أعلم (وابن أخطب) هو
حيى أبو صفية أم المؤمنين (وأخوه) هو أبو ياسر بن أخطب قتلا كافرين صبرا مع أسرى (باطيا
بنى قريظة (وكعب بن أسعد) صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم موادعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نقض العهد فقاتلهم
النبى عليه السلام فغلبهم فقتل مقاتلتهم وسبى ذريتهم فقتلوا صبرا ومعهم كعب بن أسد وكانوا ستمائة أو سبعمائة أو ثمانمائة
أو تسعمائة (والزبير) بفتح الزاى وكسر الباء (ابن

يليها هاء فى أكثر النسخ وفى بعضها رومية بياء مخففة عند أهل اللغة كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد
لحنا لانه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطاء مهملة وهو
لفظ عجمى معناه حارس الكروم والعامة تقوله ناطر بدون واو وتجعله بمعنى الحارس مطلقا وأعجمه
بعضهم وقيل هو ضغاطر الذى تقدم واعترض بانه أسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقاء على
البقاء على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفى القاموس رومة بلدة عند طبرية فيها يار باسمهم
وعلمهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب صاحبه برومة كما ورد فى الحديث ولا دليل لما ذكره
على مزعمه (عالما النصارى) مثنى عالم (ورئيساهم) مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا صريح
فيما قلناه من انه كان صاحب رومية أى حاكمها (ومقوقس صاحب مصر) أى ملكها ومقوقس بزنة
اسم فاعل فووعل علم رومى قيل معناه عندهم مطول البناء وهو الذى أهدى الى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية ومنه اتخذت مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة كيف
وهو لم يلاق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومازال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا كما قاله
الدارقطنى ولهم مقوقس آخر عد فى الصحابة قاله الذهبى ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب
الاسكندرية وارسل له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاجابه بما هو معلوم
فى كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام (والشيخ صاحبه) أى صاحب المقوقس قال
البرهان وغيره وهذا الشيخ لانعرفه الاان المسعودى ذكره وذكر له قصة فى كتاب العجائب أحال
عليها فى مروج الذهب فان وقفنا عليها الحقناها بما هنا (وابن صوريا) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة
يليها راء مهملة مكسورة ومثناة تحتية وألف مقصورة وقيل انها ممدودة وهو عبد الله بن صوريا الاعور
اليهودى ولم يكن فى زمانه أعلم منه بالتوراة وقال النقاش انه أسلم وقيل أسلم ثم ارتد ولم يذكر ابن اسحق
اسلامه وعده فى الاصابة من الصحابة وفى معالم التنزيل انه الذى نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا
لجبريل وكلام المصنف رحمه الله مبنى على عدم اسلامه (وابن اخطب) بزنة أفعل من الخطابة وهو حيى
أبو أم المؤمنين صفية رضى الله تعالى عنها (واخوه) أبو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا فى اسراء
بنى قريظة وكانا يعلمان أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما فى التوراة من ذكره بصفته ومع ذلك كانا
أشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما أسلمت وقالت لما
قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة غدا اليه أبى وعمى ثم جاآ بالعشى فسمعت عمى يقول
لابى أهو هو قال نعم الحديث (وكعب بن أسد) من بنى قريظة وهو صاحب عقدهم وقال لهم لما
حاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يامعشر يهود انكم ترون ما نزل بكم من الامر فتعالوا نتابعه
ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على نسائكم وأموالكم
وأهلكم فقالوا لانفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره الى آخر القصة وما فيها من نقضهم
العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كند بفتحتين وكاف ومثناة فوقية ودال مهملة (والزبير بن

باطيا) بكسر الطاء قال الدلجي في نسخة باطيا بالتحتية وقال الحلبي وغيره ذا الزاي بالياء بلا همزة وهو أي الزبير والد عبد الرحمن بن الزبير الذي تزوج امرأة رفاعة القرظي الحديث كما قال البخاري وقال ابن منده وأبو نعيم هو عبد الرحمن بن الزبير بن زيد ابن أمية الأوسي (وغيرهم) أي ممن اعترف بنبوته وصفته وحقيقة رسالته (وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد) وهو إرادة زوال نعمة الغير (والنفاسة) بفتح النون من نفست عليه الشيء نفاسة إذا لم تره أهلا له (على البقاء) أي بقائه على الكفر في الدنيا (والشقاء) أي تعب العذاب في العقبى وفي نسخة الشقاوة وفي أصل الدلجي وبعض النسخ على البقاء على الشقاء أي المداومة على الشقاوة (والأخبار في هذا) أي فيما ذكر من دلالات نبوته وعلامات رسالته (كثيرة لا تنحصر) أي بحيث لا تحصى ولا تستقصى (وقد قرع) بفتح القاف وتشديد الراء أي ضرب عليه السلام بشدة وأبلغ بحدة (اسماع يهود) وفي نسخة اليهود (والنصارى بما ذكر) أي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام (انه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه) كقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية وفي الانجيل أيضا جد في أمري واسمع واطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل الى آخر ما تقدم وفي التوراة أيضا قال موسى رب اني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال اني أجد في التوراة أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال أجد أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن في كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد الحديث وفي الزبور يا داود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صادقا سيدا أمته مرحومة افترضت عليهم أن يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وأمته على الأمم كلها أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموا لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي أضعاف مضاعفة وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما أن يروه عاجلا أو أصرف عنهم سوءا أو أدخره لهم في الآخرة

باطيا) الزبير هنا بفتح الزاي المعجمة وهو من يهود بني قريظة أيضا قتل كافرا في وقعة بني قريظة وهو جد عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاي وقيل انه بفتحها كاسم جده فيل والصحيح انه بالضم كما في تاريخ البخاري وقال ابن مرزوق الزبير بفتح الزاي في اليهود وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بني قريظة وكان من أعلام اليهود وروى عنه انه كان يقول اني وجدت سفرا كان أبي يختمه فيه ذكر أحمد نبي يخرج بأرض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبعث فما هو الا أن سمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه وكتم شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته وقال ابن سيد الناس باطيا بموحدة وألف تليها طاء مهملة ومثناة تحتية وألف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون ياء وكتب عليها صح وقال التلمساني انها رواية فيه (وغيرهم من علماء اليهود) الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروا صفته نقلا عن كتبهم وأحبارهم ولم أذكر في مفصلات السير (ممن حمله الحسد) له صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون بني اسرائيل (والنفاسة) بفتح النون بمعنى المنافسة وقرنت بالحسد وهي مغايرة له لانها المنازعة في الانفس فان يرى أنه أنفس وأحق بما هو فيه وانه لا يستأهله ولا يستحقه وجاء بمعنى ... حتى صار حقيقة عرفية فيما ذكر (على البقاء على الشقاء) أي اصراره على كفره أو ارتداده عنادا والشقاء ضد السعادة وبين الشقاء والبقاء تجنيس (والأخبار الواردة (في هذا) الباب (كثيرة لا تنحصر) اشارة الى ان ... الذي لا يمكن حصرها أي الاحاطة بها (وقد قرع) بفتح القاف والراء بالتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خفف فهو استعارة للمبالغة في الجهر حتى كأنه ضرب أسماعهم فاذا شدد ... توبيخهم بما ذكر (أسماع اليهود والنصارى) خصهم لانهم من أهل الكتاب وقدم اليهود لانهم أشد عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم وأكثر انكارا وعنادا وفي بعض النسخ يهود والنصارى فعرف النصارى دون يهود ولا يعلم كما مر وقيل لان اليهود أشد عداوة للمؤمنين فيهم نكر (بما ذكر أنه في كتبهم) متعلق بقرع وفاعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أصحابه) وفي نسخة وصفة أمته وكلاهما صحيح متقارب المعنى بما وقع في الكتب الالهية ذكره مخصوصا ومما في التوراة نحن خير أمة ... الآخرون السابقون يوم القيامة أناجيلهم في

(واحتج) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم) حيث أنكروا نعته ونعت أمته (بما انطوت) أي اشتملت (عليه من ذلك) أي النوع (صحفهم) أي كتبهم (وذمهم) أي النبي عليه السلام (بتحريف ذلك) أي بتغيير مبناه أو تغيير معناه (وكتمانه) أي بعدم تبيانه (وليهم ألسنتهم) أي فتلها

وصرفها (ببيان أمره) أي وتبيان ذكره (ودعوتهم) بالتاء وفي نسخة ودعواهم

صدورهم يؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون أهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر في كتابه خير البشر بخير البشر (واحتج) صلى الله تعالى عليه وسلم أي أقام الحجة (عليهم بما انطوت عليه صحفهم) أي بما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء ما فيها او كتمه لان الصحيفة اذا طويت لم ينظر لما فيها او صحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهي الكتاب والاكثر جمعه على صحائف لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا (من ذلك) أي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أمته (وذمهم بتحريف ذلك) المذكور في كتبهم بتغيير بعض ألفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الآية فبدلوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أضلوا جهالهم وقالوا ليس هو الموعود به في كتابنا (وكتمانه) أي اخفاء صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أمته كما قال الله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون (وليهم ألسنتهم ببيان أمره) أي صرفه لغيره حسدا أو بغيا بان يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره وأصل اللي فتل الحبل ونحوه فاستعير لصرفها عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب قال الله تعالى يلوون ألسنتهم بالكتاب انتهى (ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب) أي قرع اسماعهم بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة فابوا وبذلوا الجزية كما والمباهلة الملاعنة من البهل وهي اللعنة بان يقول كل منهما لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لا تمضي عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد في الدعاء ويتعدى بعلى (فما) أحد (منهم) أي اليهود والنصارى (الا من نفر) أي أعرض وهرب (عن معارضته) فيما قرع به اسماعهم وذمهم به فترك المعارضة لعدم قدرته عليها (وأبدى) فاعله ضمير من وافرده نظرا للفظه وجمعه في قوله (ما ألزمهم) نظرا للمعنى من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (من كتبهم) بيان لما أي مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة (اظهاره) مفعول الزم أي الزمهم اظهاره اذا كتموه (ولو وجدوا خلاف قوله) في كتبهم (لكان اظهاره) اسم كان وقوله (أهون عليهم) أي أسهل خبر كان (من بذل النفوس) وحده وذال معجمة أي اعطائها بالقتل (والاموال) التي غنمها وأخذها منهم قهرا (وتخريب الديار) كما وقع ليهود خيبر وبني النضير (ونبذ القتال) أي تركه وهو أشفى لغليلهم يقال نبذ النواة اذا طرحها (وقد قال لهم) جملة حالية أي لليهود لما قرع اسماعهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر فقالوا لسنا باول من حرمت عليه فقد حرمه على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم يأتوا بها بنت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما في قصة الرجم وكانوا ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه في التوراة فنحن نحرمها فقال لهم صلى الله عليه وسلم انها لم تحرم عليه وانما امتنع يعقوب من أكلها لانه كان به عرق النساء وهي تضره (الى ما أنذر به الكهان) جمع كاهن وهو الذي كان يخبر بالامور قبل وقوعها ويدعي الاطلاع

(المباهلة) بالنصب على نزع الخافض والمعنى وقرع اسماع نصارى نجران بما أمره به من دعواهم الى المباهلة أي الملاعنة الكاملة (على الكاذب) أي في المعاملة فابوا حذرا من العقوبة وبذلوا له الجزية كما مرت القصة (فامنهم) أي من اليهود والنصارى (الامن فر) أي هرب وفي نسخة صحيحة نفر أي أعرض (عن معارضته وابداء) بكسر الهمزتين والمد وفي نسخة وأبدى بصيغة الماضي أي أظهر (ما ألزمهم من كتبهم اظهاره) كآية الرجم وغيره (ولو وجدوا) أي في كتبهم (خلاف قوله لكان اظهاره) أي المسارعة اليه في مقام الجدال (أهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال) أي طرح المقاتلة بين الرجال (وقد قال لهم) أي لليهود حين قالوا عند ما قرع سمعهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية لسنا أول من عليها حرمت عليه وانما كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فرد الله عليهم بقوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فبهتوا ولن يقدروا ان يأتوا فثبت انها لم تحرم الا عليهم بظلمهم وبغيهم وهو أمره بمحاجتهم ومدافعتهم بما في كتابهم تبكيتا وتوبيخا لهم (الى ما أنذر به) أي مع ما علم بظهوره ووجود نوره (الكهان) أو بما خوفوه من حلول البأس والنقم بمن خالف وما أسلم

(مثل شافع بن كليب) بالتصغير وفي نسخة سين مهملة وهو من كهان العرب الا انه غير معروف الذهبي

عليها الانذار الاعلام بما يسوء وعنده قريب يخوف والى غاية لما تقدم أى انتهى ما ترادف من الاخبار الى انذارهم بقرب زمانه أو الى بمعنى مع وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين (مثل شافع بن كليب) شافع بشين معجمة كاسم الفاعل من الشفاعة كليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب أخبر بمبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهجرته الى المدينة كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا أعرفه (وشق وسطيح) وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هو شق بن صعب بن يشكر وجده الاعلى ربيعة بن انمار وكان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت العرب تأتيه فيخبرهم بما سيأتي وسطيح بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة رأسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلثمائة سنة وقصتهما وذكرهما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسل كسرى عبد المسيح يسألهما عن رؤياه قصة مذكورة في السير مشهورة ولهما قصص كثيرة في التواريخ وذكر كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم (وسواد بن قارب) بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد الدوسي الصحابي وكان كاهنا من كهان العرب له رئي من الجن يأتيه ويخبره بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة نائما فضربه برجله وقال له قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى عز وجل والى عبادته ثم أتاه الليالي يقول له مثل مقالته فركب ناقته وأتى المدينة واجتمع برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وأخبره بخبره وقصته وما قال له من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقصته في السير (وخنافر) بضم الخاء المعجمة ونون وألف بعدها فاء مكسورة وراء مهملة وهو كاهن من حمير له رئي من الجن أخبره ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم على يد معاذ رضي الله تعالى عنه كما يأتي ولم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعي وهو ابن التوأم الحميري وله جنية تسمى شصارا وخبره كان عاتيا ذا مال وسعة فأسلم وحسن اسلامه وفي آل القالي عن الكلبي قال كان خنافر ابن التوأم الحميري كاهنا وقد أوتي بسطة في الجسم وسعة المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام أغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها الشجر فخالف بها جودان وهو سيد مشبع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئي في الجاهلية لا يكاد يغيب عنه فلما فشى الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبينما هو بذلك الوادي هوى عليه هوى العقاب دنا اخنافر فقال شصار قال أقول قال اسمع فقال ع تغنم لكل مدة نهاية وكل ذي أمد الى غاية قال أجل قال كل ذي دولة الى أجل ثم يتاح التحول نسخت النحل ورجعت الى حقائقها الملل انك بخير وموصول والنصح لك مبذول انى آنست بأرض الشام نفرا من آل العرام حكاما على الحكام يزبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا السجع المتكلف فاصغيت فزجرت فعاودت فظلعت فقلت بم تهيمون والى م تعتزون قالوا خطابا كبارا جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار أصدق الاخبار واسلك أوضح الآثار تنج من أوار النار فقلت وما هذا الكلام قال فرقان بين الكفر والايمان رسول من مضر من أهل المدر ابتعث فظهر فجاء بقول قد بهر وأوضح نهجا قد دثر ومواعظ لمن اعتبر ومعاذ لمن ازدجر ألف بالآي الكبر قلت ومن هذا المبعوث من مضر قال أحمد خير البشر فان آمنت أعطيت البشر وان خالفت أصليت سقر فآمنت ياخنافر وأقبلت اليك أبادر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والا فهو الفراق عن لا تلاق قلت من أين أبغى هذا الدين قال من ذات الآخرين والنفر الميامين أهل

(وشق) بكسر أوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فكأنه شق انسان (وسطيح) بفتح فكسر كاهن بنى ذؤيب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن في بدنه عظم سوى رأسه بل جسد ملقى لا جوارح له لا يقدر على جلوس اذا غضب انتفخ فجلس وزعم الكلبي انه عاش ثلثمائة سنة وانه خرج مع الازد أيام سيل العرم ومات في أيام شيرويه بن هرمز والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة وهو الذي أول رؤيا الموبذان ان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت في بلادها بما حاصله ان ملكه يزول بظهور النبي عليه الصلاة والسلام وقد فتح بلاده في زمن عمر رضي الله تعالى عنه على يد الصحابة الكرام (وسواد ابن قارب) بكسر الراء أزدي كان كاهنهم في الجاهلية أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان رئيه أخبره ان الله يبعث نبيا فانهض اليه على ما سيأتي مفصلا (وخنافر) بضم الخاء المعجمة وكسر الفاء كاهن بني حمير أسلم على يد معاذ ولم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعي مخضرم

الماء والطين قلت أوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهنالك أهل الطول والفضل والمواساة والبذل ثم أماس عني فنمت مذعورا لداعي الصباح * فلما فرق لي النور امتطيت راحلتي وأذنت عبدي واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف فرددت الابل على أربابها بحولها واستاقها * وأقبلت أريد صنعاء فأصبت بها معاذ بن جبل أمير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمني سورا من القرآن فمن الله تعالى علي بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما في الخبر من اللغة فان أردته فارجع اليه وفيما ذكرنا كفاية (وأفعى نجران) هو ملك من ملوك نجران كان كاهنا وهو الافعى بن الافعى الجرهمي فعن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من صعد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أربعون رجلا يحفون به فقال يا رسول الله خرفت ودردرت وشمطت ثم رجع ذلك فاسود شعري وثار عقلي ونبتت اسناني وهؤلاء ولدي أصلي وخلفهم من نسلهم أضعافهم وقد سمعت أفعى نجران يذكر في غابر الزمان انه سيبعث نبي من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة ويهاجر الى طيبة فبالذي فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الا كشفت لي عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال حفظت على طول العهد وان قيل لمعتبرا ثم كشف له عن خاتم النبوة فأكب عليه يقبله وأفعى نجران هذا هو الذي حكم بين أولاد نزار لما تشاحوا في ميراث أبيهم وهم مضر وربيعة وانمار واياد وقال يا مضر أنت أبو النبي التهامي فانا نجد في الآثار انه من ولد نزار بن معد بن عدنان واني لارى للنبوة بين عينيك نورا وأجلسه على سرير ملكه وجلس تحته وهذا ما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى والشراح كلهم لم يقفوا عليه (وجذل ابن جذل الكندي) قال الحافظ الحلبي لا أعرفه وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن من كهان العرب أخبر بمبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم قديما ولم تر تفصيل قصته الا ان التلمساني قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهي قبيلة معروفة لما ولدته أمه التمست ذكره فلم تجده من شدة البرد فظنته جارية فطرحته وزوجها في سكرات الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث رؤيا بشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم أبيه فقامت وهي تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم أبيه (وابن خلصة الدوسي) بخاء معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يذكروا له ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال في الخصائص الكبرى نقلا عن الهواتف عن مرادس بن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا فجاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم لي الا خيرا قلنا وما ذاك قالت اني لفي غنمي اذ غشيتني ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المرأة فخبلت فلما دنت الولادة وضعت غلاما أعصف له أذنان كأذني الكلب فمكث فينا وكان لا يقول شيئا فلما كان مبعثك صار يكذب فقلنا له ما هذا قال ما أدري كذبني الذي كان يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثا ثم ائتوني ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو كأنه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الانبياء فقلنا من أين قال بمكة وأنا ميت فادفنوني برأس جبل فاني ساضطرم نارا فاذا رأيتم ذلك فاقذفوني بثلاثة أحجار قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني أهدى وأطفى ففعلنا ذلك وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فأخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى ومنه تعلم ان الشراح لعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كاهنا ذكرا وانما هي كاهنة فاعرفه فان خلصة امرأة والكاهن ابنها (وسعدى بنت كريز) بضم الكاف العربية وبالراء المهملة وآخره زاي معجمة وفي النسخ هنا اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان أخت أمه كانت

(وأفعى نجران) بفتح همزة وسكون فاء فعين مهملة مقصورا كاهنهم في الجاهلية وهذا هو الظاهر المتبادر من السباق واللحاق وقال الحلبي ما أدري ما أراد القاضي أخيه أم شخص اسمه أفعى (وجذل بن جذل) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة فيهما (الكندي) بكسر الكاف قبيلة وهو كاهنهم فيها (وابن خلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (الدوسي) بفتح الدال (وسعدى) بضم السين وفتح الدال مقصورا (بنت كريز) بالتصغير وفي آخره زاي وفي نسخة صحيحة سعدى بنت كريز وفي أصل الدلجي معد بن كرز

(وفاطمة بنت النعمان) ويروى نعمان وهو بضم النون الاولى ولم نعرف لهم ترجمة (ومن لا يعد كثرة) أى من أخبر بظهوره وسطوع نوره (الى) أى مع (ما ظهر على ألسنة الاصنام من نبوته) أى من بيان حصول نبوته (وحلول وقت رسالته) كقول باجر صنم مازن الطائى وهو مازن السادن وقد عتر له عتيرة يا مازن انهض واقبل * تسمع كلاما تجهل * هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت هذا والله لعجب * ثم عترت له بعد أيام أخرى فقال * يا مازن استمع تسر * ظهر خير وبطن شر * وهو نبى من مضر * بدين الله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر * فقلت هذا والله لعجب وخبر يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما وراءك فقال ظهر رجل من تهامة يقول أجيبوا داعى الله اسمه أحمد فقلت هذا والله نبأ ما سمعت منه فكسرت الصنم ورحلت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشرح لى الاسلام فأسلمت وكقول صنم عمرو بن جبلة يا عصام يا عصام جاء الاسلام * وذهب الاصنام * وقول صنم طارق من بنى هند بن حرام * يا طارق يا طارق * بعث النبى الصادق (وسمع) بصيغة المجهول أى وما سمع (من هواتف الجن) كذا فى أصل الدلجى وفى النسخ الجان وهو غير ظاهر ٢٧٣ فانه أبو الجن وعلى اللغة والهاتف هو الصائح بالشئ الداعى اليه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم * يا ذباب يا ذباب * اسمع العجب العجاب * بعث محمد بالكتاب * يدعو بمكة فلا يجاب * وكسماع ابن مرة الغطفانى جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع * وكسماع خالد ابن بطيح * جاء الحق القائم * والخير الدائم * وكسماع سواد بن قارب من رئيه وهو نائم ليلا * قم فافهم واعقل ان كنت تعقل * قد بعث نبى من لؤى بن غالب ثم قال شعر

عجبت للجن وأجناسها * وشدها العيس بأحلاسها

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنو الجن ككفارها

فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى رأسها

ثم نبهنى وافزعنى وقال يا سواد ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد ثم نبهنى فى الليلة الثانية وقال

عجبت للجن وطلابها * وشدها العيس بأقتابها * تهوى الى مكة تبغى الهدى

ليس قدماها كأذنابها * فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى نابها

ثم نبهنى فى الثالثة وقال عجبت للجن وأخبارها * وشدها العيس بأكوارها

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ليس ذوو الشر كأخيارها فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنوا الجن ككفارها

فوقع فى قلبى حب الاسلام فأتيته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فلما رآنى قال مرحبا بك يا سواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه منى ثم انى أنشدت أتانى رئيى ليلة بعد هجعة * ولم يك فيما قد تلوت بكاذب * ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك نبى من لؤى بن غالب * فشمرت عن ساقى الازار ووسطت * بى الذعلب الوجناء عند السباسب

فى الجاهلية فاعلم بكهانتها فخبرت عثمان ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك سبب اسلامه فلما أسلم كانت تنشد

هدى الله عثمانا بقولى الى التى * بها رشده والله يهدى الى الحق

وفى بعض النسخ سعدى بنت كريز (وفاطمة بنت النعمان) قال التلمسانى هى فاطمة بنت النعمان البخارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاء اقتحم عليها فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتاها وقعد على حائط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبى بحرم الزنا فكان ذلك أول ما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وكانت فى الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان ابن قراد وقيل هو على بن نعمان بن قراد وروى عن ابن عمر وغيره فهو تابعى ونعمان اسم موضع واسم الدم أيضا (ومن لا يعد كثرة) وفى نسخة ينعد مطاوع يعد أى لا يعد لكثرته لا لعدم اعتباره مضمونا أو مبنيا (الى ما ظهر على ألسنة الاصنام) الظاهر انه استعارة تمثيلية شبه ما فى ظهور صوت شخص تكلم بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائى الذى يشترط الآلة المخصوصة للنطق ونحن لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام الاصنام أو نطق الاصنام الا ان يراد باللسان الكلام وليس بشئ لما علمت من انه استعارة وهو تغيير فى وجوه الحسان وقد ذكر ابن اسحق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من أجواف أصنامهم يقول ان أمرهم بطل بظهور الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويأمرهم باتباعه وان الباطل بطل وقد جاء الحق (من نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وحلول وقت رسالته) ومن بيانه لما كصنم كان لمازن الطائى قرب له يوما قربانا فسمعه يقول مازن اقبل الى اقبل * تسمع ما لا تجهل * هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * الى آخر ما فى السير من انه سمعه مرارا فكسره ورحل الى النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم ونظائره كثيرة وكانت الشياطين هى التى تسمعهم الكلام من غير ان يروهم (وسمع) مبنى للمفعول معطوف على ظهر (من هواتف الجن) وفى نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان أبو الجن والجن الجنس كله

فاشهد أن الله لارب غيره * وانك مأمون على كل غائب * وانك أدنى المرسلين شفاعة
الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب * فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
فكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * سواك بمغنى عن سواد بن قارب قال فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
حتى بدت نواجذه وقال
أفلحت يا سواد (ومن
ذبائح النصب) جمع
نصيب بمعنى منصوب
للعبادة أى وما سمع منها
كسماع عمر رضى الله
تعالى عنه من عجل رأى
رجلا يذبحه لنصب
يقول يا آل ذريح أمر
نجيح رجل نصيح يقول
لا اله الا الله (وأجواف
الصور) أى وما سمع
من أجوافها كما عن
مازن السادن وغيره
(وما وجد من اسم النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة
مكتوبا فى الحجارة
والقبور) مفعول ثان
لوجد أو حال من ضميره
(بالخط القديم ما) أى
الذى أكثره مشهور)
أى كما هو فى كتب السير
وغيرها مسطور (واسلام
من أسلم بسبب ذلك
معلوم مذكور) أى فى
كتب العلماء الاخيار
بنقل الثقة فى الاخبار
* (فصل) *
(ومن ذلك) أى مما يدل على
نبوته ورسالته (ماظهر
من الآيات) أى خوارق
العادات (عند مولده)
أى قرب ولادته صلى
الله تعالى عليه وسلم (وماحكته أمه) أى آمنة بنت وهب انها أتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة
فاذا خرج فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد (ومن حضره) أى وما حكاه من حضر مولده (من العجائب) أى مما سيأتى قريبا

والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالى مطلقا ثم خص بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صرخ ولذا خص بالجن عند العرب وكانت عند مبعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثر ذلك وللخرائطى كتاب الهواتف جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه آية عظيمة من آياته وظهور بيناته كسماع ذباب بن الحارث هاتفا يقول يا ذباب يا ذباب * اسمع العجاب * بعث محمد بالكتاب * يدعو فلا يجاب * وسماع ابن قرة الغطفانى هاتفا يقول جاء حق فسطع * وذم باطل فانقمع * وسماع قريش هاتفا يخبر بنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم على أم معبد الى غير ذلك فكل الكون ألسنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والصوفية يسمعون الواردات الالهية هاتفا كما مر (ومن ذبائح النصب) أى ما سمع منها اذ قربت للذبح والذبائح جمع ذبيحة وهى ما يذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ما ينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ما سمع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا له ثم فقال يا آل ذريح * أمر نجيح * رجل فصيح * يقول لا اله الا الله الى آخر ما رووه (وأجواف الصور) أى ما سمع من الاصنام التى كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهى التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شئ (وما وجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا فى الحجارة والقبور) أى وعلى القبور (بالخط القديم) المتقادم عهد كتابته (والشهادة له بالرسالة) بذكر اسمه وانه نبى مرسل من الله تعالى (ما أكثره مشهور) بين الناس وما الثانية بدل من الاولى أو خبر والاولى مبتدأ وهما موصولتان وقد نقله ثقات المؤرخين فى قصص لا تحصى ومكتوب روى مرفوعا خبر مبتدأ محذوف ومنصوبا مفعول ثان لوجد والخبر مقدر أى ثابت وقد تقدم انه وجد بخط عبرانى على بعض الحجارة محمد تقى مصلح أمين وان فى تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالنار كيف ينصب وعجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى وتقدم شرح ذلك كله بما فيه الكفاية (واسلام من أسلم بسبب ذلك) أى بسبب ما رآه من الكتابة القديمة والمراد انها بغير اللسان العربى وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه (معلوم مذكور) فى السير والتواريخ

* (فصل ومن ذلك) * أى مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته (ما ظهر من الآيات) أى العلامات أو الادلة (عند مولده) أى ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمى (وما حكته أمه) آمنة بنت وهب وهى أشهر من ان تذكر (ومن حضره) ولادته (من العجائب) قيل أخر هذا الفصل وكان ينبغى تقديمه لانه أول أحواله لتقدم المعجزات بحسب الشرف ويأباه انه ذكر فيه ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهى متأخرة فهو ناظر لذلك أو لانه لا يختص بزمان وهو كالاجمال لما قدمه والفذلكة تؤخر والعجائب ومامعه اشارة الى ما رواه أبو نعيم عن ابن عباس من ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حملت به أتاها آت فى منامها بعد ستة أشهر وقال لها يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شانك فلما أخذنى ما يأخذ النساء لم يعلم بى أحد وانى لوحيدة فى منزلى فى طرفه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالنى فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل ما أجد ثم التفت فاذا نور غالب ونسوة طوال حولى فقلت من أين علمن بى وفى رواية انهن قلن نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين فبينما أنا كذلك واذا أنا بديباج

أبيض

(وكونه) الرفع أي وجوده (رافعا رأسه) أي ... الى السماء) كما رواه البيهقي عن الزهري مرسلا (وما رأته) أي أمه (من النور الذى خرج معه عند ولادته) حتى رؤيت منه قصور بصرى كما رواه أحمد والبيهقي عن العرباض وأبي أمامة (وما رأته اذذاك) أي وقت ولادته (أم عثمان ابن أبي العاص) أي الثقفي (من تدلي النجوم) أي نزولها ودنوها منه تبركا بحضرته (وظهور النور) أي الذى سطع منه باشعته (عند ولادته حتى ما تنظر) أي أم عثمان (الا النور) وفي رواية الا النور كما رواه البيهقي والطبراني عنها (وقول الشفاء) بكسر أوله ممدودا ومقصورا والاول هو المفهوم من القاموس حيث قال الشفاء الدواء وسموا شفاء وقد صرح بالمد أيضا في أسماء الاسانيد وقال الحلبي الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء مقصور فيما أعلمه انتهى والتحقيق ان الشفاء مصدر في الاصل ثم نقلته العرب علما للمؤنث وابن قول الدلجي بمعجمة مفتوحة ففاء مشددة فالظاهر انه تصحيف وتحريف (أم عبد الرحمن ابن عوف) قال الذهبي وهي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرات

أبيض بين السماء والارض وقائل يقول خذاه عن أعين الناس ورجال في الهواء بأيديهم أباريق من فضة وقطعة من الطير مناقيرها من زمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الارض ومغاربها فرأيت علما بالمشرق وعلما بالمغرب ووضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت قريش مجدبة [illegible] الى غير ذلك مما ذكر وقال ابن الجوزي في تلقيح [illegible] اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على أربعة أقوال فقيل لثنتين خلتا منه وقيل لثمان خلت وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة خلت منه [illegible] ابن خمس وعشرين سنة [illegible] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] وقيل ابن سبعة أشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والاول أصح (وكونه رافعا رأسه عند وضعه) أي [illegible] السماء كما ذكر البرهان (شاخصا ببصره الى السماء) قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سمعه وبصره وأشخصه صاحبه وقوله شاخصة أبصارهم أي أجفانهم لا تطرف انتهى وقوله الى السماء تنازعه رافعا وشاخصا وهذا اشارة الى تعلقه صلى الله تعالى عليه وسلم بالملأ الاعلى وتوجهه لذلك من أول أمره كما قال الابوصيري

رافعا رأسه وفي ذلك الرفـ * ـع الى كل سودد ايماء

رامقا طرفه الى السماء ومرمى * عين من شانه العلو العلاء

وروي انه خرج معه نور اضاء له المشرق والمغرب وروي انه ولد واضعا يديه على الارض [illegible] باصبعه السبابة كالمسبح (وما رأته أمه) كما رواه أحمد والبيهقي (من النور الذى خرج معه عند ولادته) وحديث النور الذى خرج معه اضاء له جميع الارض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن اسحق بن عبد الله ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاء له قصور الشام وتقدم في كلام المصنف عن أمه انها قالت ولدته نظيفا [illegible] قال أبو شامة كان أمر هذا النور اشتهر ذكره في قريش واليه أشار العباس كما مر بقوله وأنت لما ولدت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق

الى آخره وقال حسان رضي الله تعالى عنه

نور اضاء على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتدي

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو اشارة الى نور هدايته الذى محى ظلمة الشرك كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله واضاء له قصور الشام خصه لانه مشرق أنوار النبوة وهي دار ملكه (وما رأته اذذاك) أي وقت ولادته (أم عثمان بن أبي العاص) أم عبد الله بن بشير الثقفي وأمه اسمها فاطمة بنت عبد الله وعثمان هذا من اكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قضاء البصرة وروي عنها انها شهدت مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ورأت ما رأته (من تدلي النجوم) التدلي الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو ثم صار حقيقة عرفية في القرب (وظهور النور) الذى خرج معه كما مر فقد تمثل لها القمر والنجوم تقربها (عند ولادته حتى ما تنظر) أي أم عثمان المذكورة بتاء المضارعة ويجوز ان يقرأ بالنون لحكاية عن أمها وجوده والاول أولى رواية ودراية (الا النور) أي لا ترى الا النور وهو مبالغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي والظاهر ان تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله تعالى وتدلت زهر النجوم اليه * فاضاءت بضوئها الارجاء

وقيل معنى تدليها مبالغة في انتشاره لا بدنو منه (وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف) الشفاء بشين معجمة مكسورة ففاء مفتوحة وممدودة وبالمد كما قاله الدلجي والمعول عليه ما قاله البرهان الحلبي انه بكسر الشين والقصر وهي كما قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم أبيه عوف بن الحارث قال البغوي ان اسمها [illegible] أيضا وفي الاستيعاب انها أخت عبد الرحمن بن عوف وحكاه

(لما سقط عليه الصلاة والسلام على يدى) بالتثنية وفى نسخة بالافراد على ارادة الجنس (واستهل) بتشديد اللام أى رفع صوته بأن عطس وقال الحمد لله بدليل قولها (سمعت قائلا يقول رحمك الله) وقال الحلبى أى صاح وقال الدلجى عطس لا صاح من غير ان يذكر الحمد لله فالجمع أولى كما لا يخفى والمناسب لعلو شأنه وظهور برهانه أن لا يكون أول كلامه عبثا فى مرامه بل يكون ذكرا ملائما لمقامه على طبق ما ورد عن آدم عليه السلام من انه عطس عند وصول روحه الى بعض اعضائه الكرام (واضاء لى ما بين المشرق والمغرب) أى مما يتنور بنوره من معمورة العالم وتحقيق هذا المبحث قد تقدم ويشير اليه قولها (حتى نظرت الى قصور الروم) أى بارض الشام رواه أبو نعيم فى الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف عنها (وما تعرفت به حليمة) أى السعدية (وزوجها) المسمى بالحارث وذكر ابن اسحق بسنده انه أسلم (ظئراه) بكسر أوله وسكون همزة تثنية الظئر وهى المرضعة وقد يطلق على أبى الرضاعة أيضا كما هنا وقد يقال انه للتغليب (من بركته ودرور لبنها) أى نزوله بكثرة (له) أى لاجله صلى الله عليه وسلم ولولدها رضيعه بعد ان لم يكن لها لبن يغنيه (ولبن شارفها) بكسر الراء أى درور لبن ناقتها المسنة (وخصب غنمها) بكسر الخاء المعجمة روى ابن اسحق وابن حبان والطبرانى وأبو يعلى والحاكم والبيهقى بسند جيد عن عبد الله بن جعفر عنها انها قالت أخذته وتركته المراضع ليتمه فجئت به رحلى فاقبل عليه ثدياى فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى وقام زوجى الى شارفنا فوجدها حافلا فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال والله انى لاراك قد أخذت نسمة مباركة ألم ترما بتنا به الليلة من الخير والبركة قالت وكأن أتانى قمراء قد أذمت بالركب فلما رجعنا الى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق بها حمار فتقول صواحبى هذه أتانك التى خرجت عليها معنا فاقول والله انها لهى فقلن والله ان لها لشأنا فقدمنا أرض بنى سعد به وما أعلم أرضا أجدب منها وان غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وما حولنا أرض تبض لها شاة بقطرة لبن وان اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا عافية ولون لرعيانهم اسرحوا مع غنم ابن أبى ذؤيب فيسرحون فتروح جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتين

عن الزبير قال وقد قيل انها أمه (لما سقط) صلى الله تعالى عليه وسلم (على يدى) أى وضعته أمه فنزل على يديها (واستهل) أى عطس لا صاح وان كان يقال استهل الصبى اذا صاح بدليل قولها (سمعت قائلا) أى ملكا (يقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (رحمك الله) أو رحمك ربك أو يرحمك ربك تشميتا له بناء على ان رحمك بفتح الكاف وقال التلمسانى انه روى بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسره فالخطاب لامه أو له صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار النسمة وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجى ويشهد له قول الابوصيرى شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

اذ القول المذكور لا يقال الا عند العطاس أى الذى هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم انه لم يجئ فى شئ من الاحاديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ولد عطس وفى الجامع الصغير استهلال الصبى العطاس فاستهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس فلذا حمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذى لا يقال الا عند العطاس وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه (واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم) ولا منافاة بين هذه الرواية وبين رواية قصور بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم انشب ان غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول أين ذهب به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بالى منى حتى انبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكنت أول الناس اسلاما وفى الخوارق أمور غريبة من تنكيس أسرة الملوك وذهاب الحيوانات من المغرب للمشرق للتبشير به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى كما تقدم فى كلامه انه ولد مختونا مسرورا أى مقطوع السرة كما تقدم الجزم به فى كلام المصنف رحمه الله تعالى بل قال الحاكم فى مستدركه انه تواترت به الاخبار وقال الذهبى لا أعلم صحته فضلا عن تواتره وأجاب بعضهم بانه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ بن كثير فن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان وتقدم ان هذا الجواب بعيد وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ما عليه من الكلام (وما تعرفت به حليمة) بنت أبى ذؤيب السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبرها مشهور (وزوجها) الحارث بن عبد العزى (ظئراه) عطف بيان أو بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية ظئر وهو المرضعة فى الاصل وتطلق على الاب من الرضاعة كما هنا والظئر مشترك معنوى لانه من ظأر اذا عطف فلا اشكال فى تثنيته فانه ليس نحو عينين مع انه مسموع أيضا (من بركته) صلى الله تعالى عليه وسلم لما أخذته من أمه (ودرور لبنها له) أى زيادة خروجه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد قلته (ولبن شارفها) أى ودرور لبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب ان لبنها لا يدر (وخصب غنمها) بكسر الخاء أى رعيها فى مكان مخصب فى سنة مجدبة أو هو مجاز

عن

(سرعة شبابه) أي مما عرف نظيره من سرعة شبابه ما ذكر قال في جناية (وحسن نشأته) أي نشأته وتربيته في كبر جثته قبل تكامل
سنته قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما رأينا من البركة بسببه ثم قلنا لها دعينا
نرجع به حذرا عليه من وباء مكة فما زلنا بها حتى قالت نعم (وما جرى من العجائب) وهي ما عظم وقوعه وخفي سببه
(ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن عن مخزوم ابن شاهين (من ارتجاج ايوان كسرى) أي اضطرابه جدا وتحركه شديدا مع احكام بنائه من غير خلل نشأ به والايوان بالكسر الصفة العظيمة وأصله أووان فاعل كديوان وسبق ان كسرى بكسر أوله وفتحه معرب خسرو ولقب ملوك الفرس كقيصر لقب ملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشي لملوك الحبشة (وسقوط شرفاته) بضم الشين المعجمة والراء وتفتح وتسكن جمع شرفة بضم فسكون وهو جمع قلة وضعت موضع كثرة لأنها أربع عشرة ولعل الحكمة في عدولها عن الكثرة الى القلة تحقير لها لخراب ما آلها اذ قد ملك منهم ملوك بعددها عشرة في أربع سنين وأربعة الى خلافة عثمان وفتح المسلمين (وغيض بحيرة طبرية) بفتحتين مدينة معروفة في الشام بناحية الاردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وهي من الارض المقدسة والبحيرة مصغرة مع أنها عظيمة وغيضها انقاصها هذا والمعروف ان الغائضة هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس قال الحلبي اللهم الا ان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان أوائلهم يشربون ماءها ويجيء آخرهم فيقول لقد كان بها ماء انتهى وبعده عن السياق من

عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه عندها وأصل معنى الخصب
بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب وأول من أرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم ثويبة جارية
أبي لهب ثم حليمة رضي الله تعالى عنها وقد تقدم ان حليمة وفدت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فأكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال ابن عبد البر انها أسلمت أنكره الدمياطي وصنف فيه
مغلطاي جزءا وله صلى الله تعالى عليه وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة في السير كما فصل فيها أحوال
مرضعته وذهابها به صلى الله تعالى عليه وسلم الى أرض قومها (وسرعة شبابه وحسن نشأته) أي سرعة
نموخلقه وقامته ونشأته ابتداء أمره في صغره من نشأ ينشأ فهو ناشئ ان حليمة قالت والله ما بلغ سنتيه
حتى صار غلاما جفرا (وما جرى) أي وقع وحدث (من العجائب) في (ليلة مولده) أي في ليلة ولادته كما
رواه البيهقي وغيره وفي نسخة ميلاده وهما بمعنى وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذي رواه ابن السكن
رحمه الله تعالى في حديث تقدم والذي في مسلم وغيره انه ولد نهارا بعد الفجر وقبل طلوع الشمس
وجمع بينهما بأن ليلة الجمعة قد تعد ليلا لاتصالها بما قبله وبعضهم يرى ان اليوم من طلوع الشمس
فالحاصل انه ليلا في ما تقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن أم عثمان بن أبي العاص على تقدير
صحته من دلالته على انه ولد ليلا لأن زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا أي
فضلا عن ان تكون تتساقط بيان قالت لما ولدته عند الفجر لأن ذلك ملحق بالليل كما تقرر (من ارتجاج)
أي تحرك واضطراب (ايوان كسرى) وهو قصره وهو الاول بيان لما أشار له بالعجائب وقيل بيان
لما أيضا وفيه نظر وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا هو أنوشروان
ابن قباد وهو غير كسرى الذي كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فهو ابرويز بن هرمز بن
أنوشروان وهذا الحديث رواه البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن والايوان الصفة العظيمة والبناء
العالي العظيم وأصله أوان بتشديد الواو فابدلت الاولى ياء وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم المعد
لجلوسه مع وزرائه لفصل الامور (وسقوط شرفاته) جمع شرفة بضمتين كما في تثقيف اللسان ويجوز
سكونها وفتحها كما قال البرهان جمع شرفة بضمتين أو بضم فسكون بوزن غرفة وغرفات ما على البيت وانما
هي ما يبنى على أعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وسقط له شرفات كثيرة فسقط منها
أربعة عشر بعدد من ملك من أولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم في زمان قليل واطلاق شرفات
على عدد كثير لاستواء القلة والكثرة فيه لاضافته أو لأنه لا جمع له سواه أو لأنه يجوز استعمال كل من
الجمعين في معنى الآخر (وغيض بحيرة طبرية) غيض بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وضاد
معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل أو ذهب يقال غاض الماء وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى
وبحيرة تصغير بحرة وهي البركة العظيمة التي كثر ماؤها وتطلق على الارض الواسعة والمراد الاول
وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين المقدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة قال
البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم الا ان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان أولهم يشربها
ويجيء آخرهم فيقول كان هنا ماء انتهى أقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته
صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات والعجب مما يأتي على هذا مع ظهوره وساوة بلدة أخرى بينها
وبين الري اثنان وعشرون فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة أميال وكذا

السباق واللحاق لايخفى وفى نسخة صحيحة بدل طبرية ساوة والله تعالى أعلم (وخمود نار فارس) أى انطفائها وقت غيض بحيرتها فكأنها طفئت بمائها (وكان لها ألف عام لم تخمد) بفتح التاء وضم الميم وتفتح فانه ورد من باب نصر ينصر وباب علم يعلم (وانه) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه (كان اذا أكل مع عمه أبى طالب وآله) أى وأهل بيته (وهو صغير) جملة حالية معترضة (شبعوا) بكسر الباء (ورووا) بضم الواو (واذا) وفى نسخة فاذا (غاب) أى عنهم (فاكلوا فى غيبته لم يشبعوا) بفتح الباء وزيد فى نسخة ولم يرووا بفتح الواو ولعل النسخة الاولى مبنية على الاكتفاء أو على تغليب شبع الطعام على رى الماء (وكان سائر ولد أبى طالب) بفتحتين وبضم فسكون أى بقية أولاده أو جميعهم (يصبحون) أى يدخلون فى الصباح (شعثا) بضم أوله جمع أشعث أى مغبرة شعورهم

مغبرة وجوههم متغيرة ألوانهم بقرينة المقابلة بقوله (ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا) أى صافى اللون (دهينا) أى مدهون الشعر بريق الوجه (كحيلا) أى كانه مكحول العينين هذا وأولاده عقيل وطالب وجعفر وعلى وأم هانئ وجمانة وأم طالب فاسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا ويقال ان الجن اختطفته ثم اعلم انه قال الحلبى استعمل القاضى رحمه الله سائر بمعنى جميع والشيخ أبو عمرو بن الصلاح أنكر كون سائر بمعنى جميع وقال ان ذلك مردود عند أهل اللغة معدود فى غلط العامة واشباههم من الخاصة قال الزهرى فى فى تهذيبه أهل اللغة اتفقوا على ان سائر بمعنى الباقى وقال الحريرى فى درة الغواص فى أوهام الخواص ومن أوهامهم الفاضحة واغلاطهم الواضحة انهم يستعملون سائر بمعنى الجميع وهو فى كلام العرب بمعنى الباقى واستدل بقصة غيلان لما أسلم على عشر نسوة وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم امسك اربعا وفارق سائرهن انتهى وقال ابن الصلاح ولا التفات الى قول صاحب الصحاح سائر الناس جميعهم فانه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط وهذا من وجهين أحدهما تفسير ذلك بالجميع وثانيهما انه ذكره فى سير وحقه ان يذكر فى سار وقال النووى وهى لغة صحيحة ذكرها غير الجوهرى ولم ينفرد بها وافقه عليها الجواليقى فى أول شرح أدب الكاتب الى آخر كلام النووى فى تهذيبه انتهى كلام الحلبى وتبعه الدلجى فى تفسيره السائر بالجميع وقال صاحب القاموس السائر الباقى لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له فقد ضاف اعرابى قوما فامروا الجارية بتطييبه فقال بطنى عطرى وسائرى ذرى انتهى ولايخفى انه يحتمل كلام الاعرابى ان يكون السائر بمعنى الباقى بل هو المتبادر على ماهو الظاهر والتحقيق ان السائر بمعنى الباقى حقيقة وبمعنى الجميع مجازا

عرضها وقد روى الحديث البيهقى وابن أبى الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطى وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل ماءها نقص نقصا لا ينقص مثله فى زمان طويل أو غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لمائها من العيون النابعة التى تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتاء زائدة كما قيل وهى ممنوعة من الصرف للعلمية والتانيث وليست التاء مزيدة فيها بعد العلمية كذى الشدية لتأويلها بالبقعة وهى تكلف لاداعى له (وخمود نار فارس) بمنع الصرف لانه علم أعجمى وفارس اقليم معروف هو وأهله فكان ماغاض من الماء فاض على النار فاطفاها والخمود الانطفاء وكان هذا ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر (وكان لها) أى لتلك النار (ألف عام لم تخمد) لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هانئ

سجدت الى النيران أعصرها ومذ * شعرت به سجدت له نيرانها

وقال آخر

وذاك دليل للنجاة من اللظا * به لانطفاء النار من كل موقد

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل فى تاجج وان لم تمد وقصة النار ورؤيا كسرى وقصتها على سطيح مذكورة فى السير مشهورة (وانه) صلى الله عليه وسلم (كان) وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس (اذا أكل مع عمه أبى طالب وآله) أى أهل بيته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فى حضانته بعد عبد المطلب (وهو صغير) جملة حالية (شبعوا) من الطعام (ورووا) اذا شربوا اللبنا ونحوه لا ماء ولذا جعله ما كولا لانه غذاء ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم مما لايشبع منه مثلهم لقلته (واذا غاب) أى عنهم فلم يكن معهم (فاكلوا) وحدهم (فى غيبته) عنهم (لم يشبعوا) وباتوا جياعا (وكان سائر ولد أبى طالب) أى جميعهم أو بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وأنكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع ورددناه فى شرح الدرة (يصبحون) اذا قاموا من نومهم (شعثا) جمع أشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم فى مضاجعهم (ويصبح صلى الله عليه وسلم) أى يدخل فى وقت الصباح اذا قام من نومه (صقيلا) أى رائق اللون غير متغير البشرة فهو استعارة من المرآة الصقيلة (دهينا) أى كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق وجوههم (كحيلا) أى

مكحل

وانه مأخوذ من السؤر بالهمز وهو البقية لا لانه لا يعني الباقي بخلاف السور معتلا وهو سور البلد المناسب لمعنى الجميع وبهذا يرتفع
الخلاف لمن ينظر بعين الانصاف ويظهر فساد ما في كلام ابن الصلاح من المناقضة ونوع من المعارضة (قالت أم أيمن) وهي بركة
بنت محصن (حاضنته) أى مربيته ومرضعته أيضا على ما قيل وهى مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم حبشية أعتقها

أبو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلمت قديما وابنها أيمن بن عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد ابن حارثة زارها أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما واختلف في زمن وفاتها (ما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى) أى بلسانه (جوعا ولا عطشا صغيرا) أى حال كونه صغيرا (ولا كبيرا) اذا كان ربه يطعمه ويسقيه بمعنى يخلق قوتهما فيه وحديثها رواه ابن سعد وأبو نعيم في الدلائل (ومن ذلك حراسة السماء) بكسر الحاء أى حفظها من بلوغ الجن اليها (بالشهب) أى بالنجوم رجوما لئلا يكون لهم هجوم (وقطع رصد الشياطين) أى ترصدهم وانتظارهم لما هو رزق اليهم ونزول خبر عليهم (ومنعهم استراق السمع) أى بالكلية فانهم كانوا لا يسمعون الا القول الحق من ملائكة السماء فيلقونه الى أوليائهم فيكذبون معه ما شاؤا من أنبائهم فمنعوا منه

بظهور نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث اشتد الامر بهم وكثر الحرس عليهم كما قال تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السماء
فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآيات (ومن ذلك) بالهمز أى ومن ذلك ما ترى (ما نشأ عليه) وجبل اليه (من بغض الاصنام) كما في
حديث البيهقي عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت به قبل البعثة فلما مررت بالصنم

مكحول العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهي منصوبة بيصبح ان كانت ناقصة أو أحوال وكان
أولاد أبي طالب سبعة ذكور عقيل وجعفر وطالب وعلي كرم الله وجهه وأم هانئ وأم طالب وجمانة
وكلهم أسلموا الا طالبا فانه مات كافرا وهذا مع رأسه دقيقة بغير المدهون بخلاف الاشعث والمصقول
بالمدهون الشعر والكحيل الذي لا رمص بعينيه ولا قذى وكان أبو طالب يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم
حبا شديدا ويؤثره على أولاده فاذا أتى بطعام يقول لا تأكلوا حتى يأتي ابني وروى في بعض النسخ
(قالت أم أيمن) هي بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن
النعمان مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حاضنته) أى التي كانت تربيه طفلا وسميت حاضنة
لانها تجعل الولد في حضنها وقيل انها أرضعته وهي حبشية وابنها أيمن بن عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد بن
حارثة وكانت وصيفة لعبد الله أبيه صلى الله عليه وسلم وروى عنها في الصحيحين وأدركت خلافة
عثمان رضي الله تعالى عنه كما نقله الذهبي عن الواقدي وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة أو ستة أشهر وهو الذي صححه النووي رحمه الله تعالى وخطأ الواقدي
فيما قاله وانما حضنته لموت أمه آمنة (ما رأيته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا
ولا كبيرا) الا ان الله تكفل به فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى
وحاضنة اسم فاعل مؤنث من الحضن واسم فعلها من الفاعلة وانه عدل عن حضنه لحاضنته للاشعار
بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم وهو خطأ فاحش على عادته (ومن ذلك) أى دلائل رسالته المشاهدة
عند ولادته (حراسة السماء بالشهب) وهي شعل النار المرئية في نجوم السماء جمع شهاب (وقطع رصد
الشياطين) أى ترصدهم وترقبهم استماع ما تقوله الملائكة حفظه وتلقيه للكهنة وهو مصدر ويكون
بمعنى راصد وجمعه فلذا أطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن (ومنعهم) أى منع الله لهم
(استراق السمع) وهو ان يختفي أحد ليسمع كلام من لم يرد سماعه فكأنه يسرق الكلام الذي سمعه
واعلم ان رمي الشياطين بالشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان قبل ذلك أيضا
ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في زمان كان كثر الكهنة وكانت الجن تخبرهم
ببعض المغيبات فيقولونها للناس منعهم الله من ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحي بغيره فكثر الرجم
بالشهب من جميع النواحي فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات ولذا لما رأت قريش
كثرة القذف بالنجوم قالوا قربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق
ان كان رمي به فقد آن قيام الساعة والا فلا والى هذا يشير قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت
حرسا شديدا وشهبا الآية وقد روي ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة
والسلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من
القرب منها والشهاب الذي يرمى به قيل انه لا يخطئه ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد
علمت ان رمي الشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه
وكانوا في الجاهلية اذا رأوا شهابا سقط قالوا يموت أو يولد عظيم كما ورد في الحديث (و) من دلائل نبوته
صلى الله عليه وسلم (ما نشأ عليه) أى خلقه الله عليه من ابتداء نشأته وطفوليته (من بغض الاصنام)

ثم سمعت به فقيل لى لا تمسه ثم طفنا فوقات فى نفسى لامسنه حتى أنظر مايقول فمسحته فقال ألم تنه قال زيد فو الذى أكرمه
ما التمس صنما قط (والعفة) أى وما نشأ من النفرة (عن أمور الجاهلية) أى معايبها (وما خصه الله به من ذلك) أى من الاعمال
الرضية والاحوال الزكية (وحماه) أى وحفظه قبل بعثته من الصفات لرديئة والسمات الدنيئة (حتى فى ستره) بفتح السين أى
تستره من التعرى وهو كشف العورة (فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة كما رواه) الشيخان عن جابر والبيهقى
عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما (اذ) أى حين
(أخذ ازاره) أى بامر عمه
العباس (ليجعله على
عاتقه) وهو ما بين المنكب
والعنق (ليحمل عليه
الحجارة) أى ولم تظهر
عليه الامارة (وتعرى)
أى وانكشفت عورته
(فسقط الى الارض) أى
مائلا اليها وطمحت
عيناه الى السماء (حتى
رد) أى بنفسه (ازاره
عليه فقال له عمه ما بالك)
وفى نسخة ما لك أى
ما حالك (قال انى نهيت
عن التعرى) وفى رواية
وكنت وابن أخى نحمل
الحجارة على رقابنا وأزرنا
تحتها فاذا غشينا الناس
اتزرنا فبينا انا أمشى
ومحمد امامى خر لوجهه
وهو ينظر الى السماء
فقلت ما شانك فاخذ
ازاره وقال انى نهيت ان
أمشى عريانا قال فكنت
اكتمها الناس مخافة
ان يقولوا مجنون (ومن
ذلك اظلال الله تعالى له
بالغمام فى سفره) أى
على ما مر فى حديث بحيرا الراهب كما رواه الترمذى والبيهقى (وفى رواية)
أى لابن سعد عن نفيسة بنت منبه (ان خديجة رضى الله تعالى عنها ونساءها رأينه لما) بتشديد الميم أى حين (قدم وملكان يظلانه
فذكرت) أى خديجة (ذلك) أى خبر الاظلال (لميسرة) أى غلامها قال الحلبى لا أعلم له ذكرا فى الصحابة وكان توفى قبل النبوة
والا فلو أدركها لاسلم انتهى وفيه بحث لا يخفى والله تعالى أعلم

وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقى ان زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح به فقال له صلى الله تعالى عليه
وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام آزر عنها (والعفة عن
أمور الجاهلية) التى كانوا يرتكبونها لخلقه الله تعالى مستغفلا عنها لسلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره
والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة والتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب (وما خصه الله به من
ذلك) فجعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية فصانه (وحماه) قبل بعثته من الصفات
لردية (حتى فى ستره) بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدرا أى ستر بدنه حتى لا يرى أحد
منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا ينبغى رؤيته كالعورة فكان لا يتعرى عند أحد وكانت الجاهلية تفعله
حتى كانوا يطوفون عراة أحيانا وفى نسخة حتى ستره مجرور بحتى وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل
ان كان المراد كشف العورة فهو قبيح عقلا وما دونها ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من
خصوصياته الدالة على نبوته أمر لا طائل تحته (فى الخبر المشهور) الذى رواه الشيخان عن جابر
والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (عند بناء الكعبة) أى لما بنتها قريش ونقلهم الحجارة
لبنائها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم (اذ أخذ ازاره) أى ملحفته التى كان مؤتزرا
بها (ليجعله على عاتقه) أى أخذ الازار ليجعله على كتفه الذى يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه (ليحمل
عليه) أى على عاتقه أو ازاره (الحجارة وتعرى) أى انكشف أسفله لنزع الازار عنه (فسقط الى
الارض) مغشيا عليه وعينه شاخصة للسماء (حتى رد ازاره عليه) وستر عورته (فقال له عمه) وهو
العباس كما صرح به (ما بالك) أى ما شانك وحالك الذى عرض لك حتى سقطت (قال انى نهيت)
بالبناء للمجهول (عن التعرى) وكشف العورة كغيرى وكانت قريش بنت الكعبة لسيل أتى من
فوق الردم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس فكانوا ينفردون
رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانوا يجعلون
ازارهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يستغيث رافعا بصره الى السماء فقال له ما بالك يا ابن أخى فقال نهيت ان أمشى عريانا فكتمها
حتى بعثه الله تعالى مخافة ان يقال انه مجنون وفى رواية ان ملكا مهيبا ناداه اشدد ازارك وروى انه
لكمه لكمة شديدة قيل وهو أول ما نودى به (ومن ذلك) أى مما دل على نبوته فى أول أمره ما رواه
الترمذى والبيهقى رحمهما الله تعالى (اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره) أى كون غمامة تسير معه
صلى الله تعالى عليه وسلم أنى سار تقيه حر الشمس دون غيره من الركب كما رآه بحيرا لما سافر للشام مع
عمه ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل التأثر من الشمس (وفى رواية)
لابن سعد (ان خديجة) أم المؤمنين (ونساءها) أى النساء التى كن معها عند الرؤية فالاضافة لادنى
ملابسة (رأينه لما قدم) لمكة من سفره للشام فى تجارتها (وملكان يظلانه) أى يمدان أجنحتهما عليه
ليكون ظلا له ووقاية من الشمس (فذكرت) خديجة (ذلك) أى ما رأته (لميسرة) غلامها الذى بعثته

معه

معه صلى الله تعالى عليه وسلم في سفره ميسرة بفتح السين وضمه (فأخبرها) ميسرة (انه رأى ذلك)
أى أبصر مثل هذا من الملائكة لكن لا ينافى ان خديجة رأت تظليل الملائكة ورأى ميسرة تظليل
الغمام أو ان الغمام كانت تارة وتارة الملائكة فهاتان متشابهان كما مثل الناقة يسمى عشارا (منذ خرج معه
في سفره) الى الشام أى من أوله الى آخره وهذا الحديث رواه الواقدى عن نفيسة بنت منية وهى احدى
النساء اللاتى [illegible] الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم قبل
[illegible] لنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ويوفق بين خديجة
المذكورة كما ذكره [illegible] رضى الله تعالى عنها (ويروى) بالبناء للمجهول والذى رواه الواقدى وابن سعد وابن
عساكر في تاريخه عن ابن عباس (ان حليمة) بنت أبى ذؤيب السعدية التى أرضعته صلى الله تعالى
عليه وسلم (رأت غمامة تظله) تقيه من حر الشمس (وهو) مقيم (عندها) لما أخذته صلى الله تعالى عليه
وسلم لاجل ارضاعه (وروى ذلك) أى تظليل الغمامة له (عن أخيه من الرضاعة) يعنى انه رآه في صغره
وهو ابعد [illegible] الظاهر ان مراده انه هو الذى ذكره لامه وانه المشاهد لان عبارة الواقدى
عن ابن عباس ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدته مع أخيه من الرضاع وهو
ولدها وقالت أفى حر الشمس [illegible] شفقة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أخوه يا أماه ما وجد
أخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس أمرا اتفاقيا وهل
كان هذا دائما أو أحيانا لم ينقل فيه شئ وفي المواهب نقلا عن الزركشى في شرح البردة عن بعض
العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكأنه
صلى الله تعالى عليه وسلم في ظل غمامة من اعتداله قيل عليه انه ساقط لانه يقتضى ان تظليل الغمامة
لم يكن حقيقيا [illegible] هو على طريق التمثيل قلت ان أراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل ان يريد
انه لم يرد ذلك ولم يكن بعد بلوغه من الاعتدال بعد النبوة التمام اعتداله المغنى عنه أو انه كان غنيا عنه
وانما هذا تكريم من الله له [illegible] عليه شئ فاعرفه فانه لا يخفى مثله على مثله وقد علمت ان الذى في نسخ
الشفاء كما قاله [illegible] عن أخيه مذكر بياء تحتية والذى في سيرة ابن سيد الناس أخته بالمثناة الفوقية
وهذا تصحيف أو رواه أيضا (ومن ذلك) أى مما يدل على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا
لم يذكر واحد من رواه من المحدثين (انه نزل) أى قعد في محل نزل به (في بعض أسفاره قبل مبعثه) مصدر
ميمى بمعنى بعثته ونبوته (تحت شجرة يابسة) أى ليست مخضرة وليس لها ورق (فاعشوشب ما حولها)
من الارض أى ظهر بعشب لم يكن قبله واخضرت من ساعتها وافعوعل للمبالغة أى كثر عشبه ونباته
والعشب الكلأ ما دام رطبا وقد علمت فيه من المبالغة (وأينعت هى) أى الشجرة وأبرز الضمير لئلا
يتوهم انه عائد على ما حولها باعتبار انه أرض وهى مؤنثة سماعية ومعنى أينعت ظهر خضرة ورقها
وزهرها أو ثمرها يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وأينعت ايناعا اذا نضجت وقال تعالى كلوا من ثمره اذا
أثمر وينعه وقرئ ويانعه وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب (فأشرقت) أى تمت وعلت أغصانها
(وتدلت عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم قضبانها المتقية وتظله (أغصانها) جمع غصن وهى أعلاها
وفروعها (بمحضر من رآه) أى ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته عنده
(و) من ذلك (ميل فيء الشجرة اليه) أى ظل الشجرة مطلقا أو بعد الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام
عليه مفصل في كتب اللغة وميل الفيء اما وحده أو مع ميل الشجرة نفسها (في الخبر الآخر) الذى روى

(فأخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره) أى من أول أمره الى آخره (ويروى ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها) كما رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس (وروى ذلك) أى تظليل الغمامة له (عن أخيه من الرضاعة) وفي رواية عن أخته الفوقية وهى أصح كما في سيرة أبى الفتح اليعمرى من ان حليمة بعد رجوعها من مكة كانت لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما في الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت في هذا الحر فقالت أخته يا أماه ما وجد أخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت الحديث قال الحلبى فهذا صريح ان يكون ما في الاصل غلط تصحف على الكاتب اللهم الا ان يروى ان أخاه من الرضاعة رأى ذلك أيضا والله تعالى أعلم (ومن ذلك نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشب ما حولها) أى كثر عشبه وهو الكلأ ما دام رطبا والمعنى انه نبت فيه عشب كثير (وأينعت) بتقديم التحتية على النون (هى) أى الشجرة والمعنى أدرك ثمارها ونضجت ومنه قوله تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وينعه أى نضجه (فأشرقت) بالقاف اى أضاءت بحسن صفائها كاشراق الشمس بضيائها ويروى بالفاء أى علت وارتفعت (وتدلت) بتشديد اللام وفي أصل الدلجى بلامين أى استرسلت ونزلت (عليه أغصانها بمحضر من رآه) قال الدلجى لم أدر من رواه (وميل فيء الشجرة) أى ظلها (اليه في الخبر الآخر) أى المتقدم عن بحيرا الراهب

عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في سفره الى الشام وقصته مع بحيراء الراهب كما تقدم (حتى أظلته) علة أو غاية مقصودة من ميلها وكان رفقاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم سبقوه فجلسوا في الفيء فلما جلس في الجانب الآخر مالت الشجرة عليه بفيئها فظللته فرآه الراهب في قصته التي تقدمت وكان مع عمه أبي طالب وهو ابن عشر سنين (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ذكر) بالبناء للمجهول والذي ذكره ابن سبع (من انه) بيان لما الموصولة (لاظل لشخصه) أي لجسده الشريف اللطيف اذا كان (في شمس ولا قمر) مما ترى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله (لانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان نورا) والانوار شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو مشاهد في الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الا غلب ضوءه ضوءها ولا مع سراج الا غلب ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه ورباعيتنا فيه وهي

ما جر ظل أحمد اذيالا * في الارض كرامة كما قد قالوا
هذا عجب وكم به من عجب * والناس بظله جميعا قالوا

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القرآن بانه النور المبين وكونه بشرا لا ينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو بنفسه المظهر لغيره وتفصيله في مشكاة الانوار للغزالي (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الذباب كان لا يقع على) ما ظهر (من جسده ولا) يقع على (ثيابه) هذا مما قاله ابن سبع أيضا الا انهم قالوا لا يعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة قيل انه سمي به لانه كلما ذب آب أي كلما طرد رجع وهذا مما أكرمه الله تعالى به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجيء من مستقذر قيل وقد نقل مثله عن ولي الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلاني ولا بعد فيه لان معجزات الانبياء قد تكون كرامة لاولياء أمته وفي رباعية لي

من أكرم مرسل عظيم حلا * لم تدن ذبابة اذا ما حلا
هذا عجب ولم يذق ذو نظر * في الموجودات من حلاه أحلا

وتظرف بعض علماء العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجود ان النقط تشبه الذباب فصين اسمه ونعته عنه كما قلت في مدحه صلى الله عليه وسلم

لقد ذب الذباب فليس يعلو * رسول الله محمودا ومحمد
ونقط الحرف يحكيه شكل * لذاك الخط عنه قد تجرد

(ومن ذلك) أي من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم في أول أمره ومنتهاه كما رواه الشيخان (تحبيب) الله تعالى بجعله طبيعة له (الخلوة) أي الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة (اليه حتى أوحى اليه) أي انه كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحي عليه تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البخاري ثم حبب اليه الخلاء أي العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على التفكر والانقطاع عن مألوفات النفس فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد في الليالي ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حراء كما قاله ابن أبي جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيستقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلي بالهام الله تعالى له وهو من الارهاصات حتى جاءه الوحي وهو فيه (ثم اعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي اعلام الله تعالى له (بـ) قرب (موته ودنو أجله) أي آخر عمره الذي أجل له وقدر وهذا مما رواه الشيخان وفهمه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد ربك وفي الصحيحين انه مر على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين يديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الى آخره وقوله في خطبة له ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين

(حتى أظلته وما ذكر) أي ومن ذلك ما ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن قيس وهو مطعون عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان (من انه كان لاظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا) أي بنفسه والنور لاظل له لعدم جرمه وهذا معنى ما في النوادر ولفظها لم يكن له ظل في شمس ولا قمر ونقله الحلبي عن ابن سبع أيضا (وان الذباب) أي ومن ذلك ما ذكر من ان الذباب (كان لا يقع على جسده ولا ثيابه) قال الدلجي لا اعلم من رواه انتهى وقال الحلبي نقل أيضا بعض مشايخي فيما قرأته عليه بالقاهرة عن ابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط قلت فعلى جسده بالاولى كما لا يخفى (ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى أوحى اليه) أي بنزول القرآن عليه كما في الصحيحين ولفظ البخاري ثم حبب اليه الخلاء أي العزلة عن الملا (ثم اعلامه بموته ودنو أجله) كما رواه الشيخان وغيرهم

(وان قبره بالمدينة) وفي نسخة في المدينة (وفي بيته) كما رواه أبو نعيم في الدلائل عن معقل بن يسار والمدينة مهاجري ومضجعي من الارض وروى البيهقي عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه ان قبره يكون في بيته (وان بين بيته ومنبره) في نسخة صحيحة وبين منبره (روضة من رياض الجنة) كما سيأتي ما فيه من الاحاديث الواردة (وتخيير الله له عند موته) أي بين الدنيا والآخرة كما رواه البيهقي في الدلائل عن عائشة بلفظ كنا نحدث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعته في مرضه الذي مات فيه يقول مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فظننا انه كان يخير وفي رواية قالت لما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فاشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهي آخر كلمة تكلم بها وفي رواية ان جبريل قال له ان ربك يقرئك السلام ورحمة الله ويقول ان شئت ٢٨٣ شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربي يصنع بي ما يشاء (وما اشتمل) أي ومن ذلك ما احتوى (عليه حديث الوفاة) كما رواه الشافعي في سننه والعدني في مسنده والبيهقي في دلائله (من كراماته وتشريفه) أي بخدمة الملائكة له وعموم رسالته اليهم وارسال جبريل اليه يقول ان الله يقرئك السلام ورحمة الله وفي رواية قال يا محمد ان الله أرسلني اليك اكراما وتفضيلا وخاصة لك ليسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدني مغموما مكروبا (وصلاة الملائكة) أي ومن ذلك صلاة الملائكة (على جسده) أي بعد خروج روحه الشريفة (ما رويناه) بصيغة الفاعل ويحتمل المفعول (في بعضها) أي في بعض الروايات والاسانيد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وان الملائكة يدخلون قبلكم من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون على صلاة الجنازة بتحريم وتكبير وتسليم ثم صلى عليه أصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى في الموطأ بلاغا قال أخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى عليه الناس افذاذا لا يؤمهم أحد ورواه الشافعي في الام بلفظ وقد صلى الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرادى لا يؤمهم أحد وذلك لعظم أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنافسهم في ان لا يتولى الامامة في الصلاة عليه واحد من الائمة صلوا عليه مرة بعد مرة أو ول الاظهر انهم صلوا عليه في محله ولا يخلو من ذلك أول امامة قومه كانهم صلوا فرادى لادراك الفضيلة وتكرار الصلاة عليه من خصوصيات حكمه هذا ومن زعم ان المراد بالصلاة هنا الدعاء فقد عدل عن الحقيقة من غير قرينة صارفة

ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خيره بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عنده فكان الصديق أعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم وأمره بسد الابواب الا بابه كما تقدم في الحديث الى غير ذلك مما لا يحصى (و) اعلامه صلى الله عليه وسلم (ان قبره بالمدينة) كما رواه أبو نعيم عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من الارض (و) ان قبره (في بيته) فقبره صلى الله عليه وسلم في مسكنه وكذا كان لكثير من الانبياء عليهم السلام اشارة الى انهم أحياء عند ربهم يرزقون (وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة) كما سيأتي يعني انها تنقل وتجعل روضة في الجنة وان العمل فيها موجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال ابن أبي جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لا بد من تأويله باعتبار القرب من أقرب الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس في رياض الجنة لتنزل الرحمات والتلذذ بالمشاهدات وكما قال اللهم اجعل قبري لان روضة من رياض الجنة (وتخيير الله له عند موته) أي لما اقرب موته خيره الله بين البقاء في الدنيا والرحيل للآخرة كما سمعته آنفا ورواه البيهقي في دلائله عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صحته يقول لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يخير فلما اشتكى صلى الله تعالى عليه وسلم غشي عليه فلما أفاق شخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه خير ففهمت ما فهم أبوها رضي الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه أحمد في مسنده وغيره وقد صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أوتيت مفاتيح خزائن الارض وخيرت بين الخلد فيها ثم الجنة واخترت الى آخر مما يطول ذكره (وما اشتمل عليه حديث الوفاة) أي وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعي والبيهقي في سننه (من كراماته) التي اكرمه الله تعالى بها عند موته كسماع بكاء الملائكة وسماع صوت من السماء ينادي وامحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يقرئك السلام ويقول لك وهو أعلم كيف تجدك الى غير ذلك (وتشريفه) عام وغيره (وصلاة الملائكة على جسده) في نسخة عليه كان اقحام الجسد هنا لان الصلاة معناها الدعاء وهو حاصل له صلى الله تعالى عليه وسلم غير مختص بذلك أولانه كناية اخرى قيل هي ان الصلاة على جسده وروحه مستمرة دائما لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون الآية (على ما رويناه في بعضها) أي في بعض

(واستئذان ملك الموت عليه) أى ومن طلب اذن ملك الموت فى الدخول عليه لقبض روحه (ولم يستأذن على غيره قبله) أى من الانبياء والاصفياء فضلا عما بعده من العلماء والاولياء وروى ان جبريل قال ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان الله أمرنى ان أطيعك فيما أمرتنى به أن أقبض نفسك قبضتها وان أتركها تركتها (ونداؤهم الذى سمعوه ان لا تنزعوا) بكسر الزاى غيبا وخطابا أى لا تخلعوا (القميص عنه) أى عن بدنه (عند غسله) بضم الغين أو فتحه وذلك حين قالوا ما ندرى أنجرده من ثيابه أم نغسله بها فالقى عليهم النوم فما منهم رجل الا وذقنه فى صدره ثم سمعوا قائلا لا يدرى من هو غسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوقه ورواه أبو داود والبيهقى وصححه واستشهد له بما رواه عن شيخه أبى عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال أخذوا فى غسله فاذاهم بمناد من داخل لا تخرجوا عنه قميصه (وما روى من تعزية الخضر

طرق حديث الوفاة وهو ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه لما جهز صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته فصلت عليه الملائكة فوجا فوجا ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤمهم أحد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بذلك وذلك لعظم أمره ولئلا يتنافسون فى الامامة والخلافة لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء دون صلاة الجنازة لم يات بشئ وكونه لم يؤمهم أحد ذكره الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الام وغيره وصححوه وحكمة ما ذكر ولم يدع له صلى الله تعالى عليه وسلم بدعاء الجنازة المشهور كما ذكره السهيلى بل قالوا انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة الى آخر ما ذكره والحديث بطوله مذكور فى كثير من كتب الحديث تركناه لطوله (واستئذان ملك الموت عليه) أى طلبه الاذن منه فى قبض روحه الشريف فان أراد أو تركه حيا (ولم يستأذن على غيره) نبيا أو غيره (قبله) روى ان جبريل قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان ربى أمرنى ان أطيعك فيما أمرتنى به أن أقبض نفسك قبضتها وان أتركها تركتها فقال اقبض يا ملك الموت كما أمرت فقال جبريل السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئ من الارض (ونداؤهم) أى نداء الملائكة لهم (الذى سمعوه) ولم يروا من ينادى (ان لا) أى بان لا الى آخره فان مصدرية ولا نافية (تنزعوا القميص عنه) أى قميصه الذى عليه لما أرادوا نزعه (عند غسله) بضم الغين ويجوز فتحها اشارة لما فى حديث أبى داود والبيهقى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها انهم لما أرادوا غسله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لا ندرى أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه واختلفوا فغشيهم النوم فاذا قائل من ناحية البيت لا يرونه أغسلوه فى ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرائه على عادته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يتجرد عند أحد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو اجراء لسنته وكفن فى ثلاثة أثواب يمنية سحولية (وما روى من تعزية الخضر عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقى فى دلائله يشير الى ما روى عن على كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه انه قال لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة وان فى الله عز وجل لعزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام كما رواه البيهقى وابن أبى حاتم وقال فى مرآة الزمان ان المعزى هو جبريل لا الخضر ورواه العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء بلفظ ان فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا آخر بعده يقول ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال أبو بكر رضى الله عنه هذا الخضر واليسع ولم أجد فى رواية ذكر اليسع وانما ذكر الخضر فى التعزية فقد أنكر النووى وجوده فى كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم فى المستدرك من حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء قال لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى أخذ بعضادتى الباب وبكى ثم قال ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل من مات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا واصرف الله البلاء فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال أبو بكر لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا رواه الطبرانى فى الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن أبى الدنيا عن على بسند واه أيضا وذكره الشافعى فى الام من غير ذكر

والملائكة أهل بيته عند موته) فسمعوا قائلا لا يرون شخصه يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان

في الله خلفا من كل هالك
وعزاء من كل مصيبة
ودركا من كل فائت فبالله
فثقوا وإياه فارجوا فان
المصاب من حرم الثواب
رواه البيهقي في دلائل
النبوة نقله الدلجي وقال
الحافظ حديث تعزية
الخضر رواه الشافعي
من حديث جعفر بن
محمد عن أبيه عن جده
علي بن الحسين رضي
الله تعالى عنه قال لما
مرض النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم الحديث وفي
آخره قال علي أتدرون
من هذا هذا الخضر وهذا
مرسل وقد رواه الشافعي
أيضا في الام باسناد
ضعيف الا انه لم يقل
الخضر بل سمعوا قائلا
يقول وانما ذكره أصحاب
الشافعي قاله النووي وفي
شرح المهذب وقال بعض
مشايخي أخرجه الحاكم
في المستدرك من رواية
أنس وفيه فقال أبو بكر
وعلي هذا الخضر لكن
في اسناده عباد بن
عبد الصمد وهو ضعيف
وقد أخرجه الشافعي
أيضا في غير الام وفيه
فقال أتدرون من هذا
هذا الخضر رواه الطحاوي
عن المزني عنه في السنن
المشهورة (الى ما ظهر

[illegible] من كراماته) أي الظاهرة (وبركته) أي الوافرة (في حياته وموته) أي بعد مماته (كاستسقاء عمر بعمه) أي العباس كما

نعم روى [illegible] قال الحاكم وغيره بعد تصحيح حديث انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها
أحد الى رأس مائة سنة من ليلته وأراد به انخرام كل أحد فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار
وجوده وسئل عنه ابن حجر رحمه الله تعالى فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث
اذ كم [illegible] من [illegible] مع ما ينقل عن بعض الصالحين من اجتماعهم بالخضر الا انا نجد
خبر [illegible] انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا
في حياته [illegible] وجوده والاكثر منهم من رآه وغيره [illegible] ومنهم بعضهم توقف فيه كابن
حجر ومنهم من شدد النكير على من أثبت حياته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف في ابطاله كتابا
[illegible] المنتظر في شرح حال الخضر [illegible] كرامات المشايخ اختلفوا فيه هل هو نبي
أم [illegible] صالح أو ولي أطال الله تعالى عمره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب اليه [illegible]
من [illegible] يقتضي انه ميت وقوله (والملائكة) بالجر عطف على الخضر [illegible] (أهل
بيته) مفعول التعزية وفي الارشاد للصبر والتسلية عند المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود
الخضر صاحب موسى عليه الصلاة والسلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الآن (الى ما
[illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] أي [illegible] وما ذكر من أهل الفضل
له [illegible] كما قوله المصنف رحمه الله تعالى الى آخره اشارة الى انه ترك أمورا كثيرة من
[illegible] ذكره [illegible] ان شرف محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] حتى ظهرت منهم
أمور [illegible] من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (من كراماته وبركته) أي من مثل ذلك (في
حياته وموته) أي وبعد موته (كاستسقاء عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (بعمه) العباس رضي الله عنه
ابن عبد المطلب أي تقديمه في دعاء الاستسقاء كما رواه البخاري وتعبيره بعمه صلى الله تعالى عليه وسلم
بالعباس وان كان له أعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله تعالى عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح به
في الحديث [illegible] أبو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والمقوم وحجل واسمه المغيرة والعوام
[illegible] الحارث [illegible] أكبرهم وقثم مات صغيرا وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب
[illegible] فهم الا [illegible] ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم
عشرة وأسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم أحد عشر وبعضهم عدهم تسعة وبعضهم عشرة
لاسقاط بعضهم وحاصل ما أشار اليه انه كان في زمن عمر رضي الله تعالى عنه اذا وقع قحط استسقى
بالعباس رضي الله تعالى عنه فوقع قحط شديد في خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب
يا أمير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصنو أبيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا نتقرب
اليك بعم نبيك ونستشفع به [illegible] مستغفرين مستشفعين ثم أقبل على الناس وقال استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله أنهارا ثم قام العباس رضي الله تعالى عنه وعيناه
تنضحان فقال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم انزل الماء منه علينا واشدد به الاصل
واطل به الفرع وادرر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلاء الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة وقد توجه القوم بي
اليك لمكاني من نبيك اللهم الغيث وشفعنا في انفسنا وأهلينا فيمن لا ينطق من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا
سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك
نشكو جوع كل جائع وعري كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف اللهم أنت الراعي لا تهمل
الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر

وأخفى اللهم وأغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم يستتم دعاءه حتى نشأت سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلاءمت ومشت وانتشرت ثم درت وأرخت عزاليها كأفواه القرب فسار حواحتى علقوا الحذا وقلصوا المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك يا ساقي الحرمين وفي ذلك يقول حسان رضي الله تعالى عنه

سال الامام وقد تتابع جدبنا * سقى الغمام بغرة العباس
أحيي الاله به البلاد فاصبحت * مخضرة الارجاء بعد الباس

في أبيات أخر (وتبرك غير واحد) أي كثير من الناس (بذريته صلى الله تعالى عليه وسلم) من السادة الاشراف نفعنا الله تعالى بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها وقد أفرده السيد السمهودي شكر الله تعالى سعيه بتأليف مستقل نافع

* (فصل) * فيه فذلكة هذا الباب (قال القاضي أبو الفضل قد أتينا) أي ذكرنا وجمعنا (في هذا الباب) الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وأصل الاتيان المجيء بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال (على نكت من معجزاته واضحة) الا انه تجوز به عما ذكر من الجمع وعداه بتعديته الاصلية لانه من لوازم من يريد أخذ شيء وجمعه ان يأتيه حتى يصل اليه ويقال أتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر يقارنه من نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد أخطأ ولا وجه لما ذكره البرهان هنا (وجمل) جمع جملة وهي الامر (المجمل من علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم مقنعة) أي كافية عن غيرها مستعار من القناعة وفي نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون أي يستغنى بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية (في واحد منها الكفاية) عن غيره كالقرآن أي في الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل (والغنية) بالضم والسكون في ثانيه أي لاستغناء عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية (وتركنا الكثير) منها (سوى ما ذكرنا) اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء جمع طويل (على عين الغرض) عين الشيء المختار منه وهو المراد منه لا الحقيقة وان كان أحد معانيها والغرض ما يقصد منه وفائدته وأصل معناه الهدف كما مر فقل لما ذكر (وفص المقصد) أي الامر المقصود والفص مثلث الفاء بمعنى الاصل يقال أتى بالامر من فصه أي من أصله قال الشاعر

ورب امرء تزدريه العيون * ويأتيك بالامر من فصه

وفص الخاتم ما زين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه وتظرف ابن نباته رحمه الله تعالى في قوله

حملت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذي لم أحصه
لولاه ما علم الرقيب فياله * من خاتم نقل الحديث بفصه

وقول الجوي العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل الثقات كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والمقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها بعضهم والمراد به المقصود كما عرفه ومصدر ميمي تجوز فيه (و) اقتصرنا (من كثير الاحاديث وغريبها) هو بمعناه اللغوي أي ما بعد مستغربا غير معهود وغير مشهور او المراد به ما اصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح ما انفرد به بعض الرواة سواء انفرد بجمعه أو بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر وهو لا ينافي الصحة اذا كان راويه ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف أي الاحاديث الكثيرة (على ما صح)

رواه البخاري (وتبرك غير واحد) أي كثير من الصحابة والتابعين (بذريته) كالحسنين وزين العابدين وصالحي أولادهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين

* (فصل) *

(قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد أتينا) أي أوردنا (في هذا الباب) أي الرابع من أبواب الكتاب (على نكت) بضم ففتح أي لطائف وشرائف (من معجزاته واضحة) صفة نكت وقال الدلجي حال مما قبله (وجمل من علامات نبوته مقنعة) نعت جمل وهو بضم ميم وسكون قاف وكسر نون وفتح عين وقال الدلجي حال من جمل أي تغني من عرف حقيقتها (في واحد) خبر مقدم (منها) أي من النكت والجمل (الكفاية والغنية) بضم فسكون أي الاكتفاء والاغتناء في باب الاعتناء (وتركنا الكثير) أي من الانباء (سوى ما ذكرنا) أي من النكت والجمل (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء أي الطويلة لاذيال (على عين الغرض) أي نفس المراد (وفص المقصد) أي زبدة المقصود والفص للخاتم بفتح الفاء ويثلث والصاد مشددة والمقصد بفتح الصاد وتكسر قال الحلبي بكسر الصاد وجد بخط النووي نقله (ومن كثير الاحاديث) أي واقتصرنا وقد أبعد الحلبي في تقديره وأتينا (وغريبها) أي مما انفرد رواتها بها (على ما صح) أي سنده

(واشتهر) أى نقله عند أهله (الا يسيرا) أى شيأ قليلا (من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة) أى من نقاد الامة وحفاظ السنة بحيث انه خرج عن حيز الغرابة (وحذفنا الاسناد فى جمهورها) أى أكثرها (طلبا للاختصار) أى حذرا من الاكثار الممل المنفر (وبحسب هذا الباب) بسكون السين وزيادة الباء أى ويكفى هذا الباب الرابع الموضوع فى المعجزات (لو تقصى) بتاء وقاف مضمومتين فصاد مشددة مكسورة أى لو استقصى وضبطه الدلجى بالفاء أى لو تتبع (أن يكون ديوانا) أى دفترا أو مصنفا على حدة (جامعا) أى محيطا وحاويا (يشتمل على مجلدات عدة) بكسر فتشديد أى كثيرة وقال الدلجى وحسب مبتدأ خبره أن يكون ديوانا وجواب لو محذوف أى لامكن (ومعجزات نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (أظهر) أى أكثر وأبهر (من سائر معجزات الرسل) الاظهر من معجزات سائر الرسل (بوجهين) أى نظرا الى الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله (أحدهما كثرتها) أى مع شهرتها اذ الكثرة لا تستلزم الشهرة (وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا مثلها) أى شبيهها ونظيرها (أو ما هو أبلغ منها) أى دلالة كانشقاق القمر والاسراء ونحوهما وأما معجزة القرآن المجيد كما مثل به الدلجى فهذا ليس محلها (وقد نبه الناس على ذلك) أى على هذا المعنى على وجه الاستقصاء منها أنه تعالى خلق آدم بيده فقد شرح صدر نبينا بنفسه وانه رفع ادريس مكانا عليا فقد رفعه فى المعراج فوق الدنيا وغير ذلك مما طول بيانها وقد سبق بعضها وسيأتى شئ منها (فان أردت

نقله وروايته (واشتهر) بين المحدثين (الا يسيرا) أى قليلا لانه ربما وان لم يصح ويشتهر واليسير ما تيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته (من غريبه) أى غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور والصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لا تخفى غالبا ثم اعتذر عن ايراده فى كتابه قوله (مما ذكره مشاهير الائمة) لانهم يعتمد على نقلهم لاشتهارهم علما وفضلا وان لم يرو لغيرهم (وحذفنا) أى تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما تنزيلا لذكر غيره منزلة ذكره أو لجعله لكونه معلوما محققا أن يذكر بمنزلة المذكور والحذف أخص من الترك (الاسناد) أراد به السند تسمحا ثم انما وهو رواة الحديث وهو بمعناه الحقيقى (فى جمهورها) أى معظم الاحاديث وأكثرها وقد يورد الحديث مسندا (طلبا للاختصار) وعدم التطويل وهو مفعول لاجله (وبحسب هذا الباب) المذكور فيه المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كاف أو كفاية وهو مبتدأ مجرور بالباء الزائدة وخبره أن يكون الآتى أى يكفيه فى شرفه والعلم بكثرة ما ورد فيه عن ذكره واستقصائه وهو والمعنى تعليل لان لاختصاره لان العبارة لا تخلو من الحزازة (لو تقصى) مبنى للمجهول بتاف وصاد مهملة أى استوفى وبلغ أقصاه ونهايته وضبطه بعضهم بفاء بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التفصى التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع وخلص من عهدته تكلف لا يخفى (أن يكون ديوانا) أى كتابا مستقلا مدونا (جامعا) لما فى غيره وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها (يشتمل على مجلدات عدة) أى كتب من شأنها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة (ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل) عليهم الصلاة والسلام أى من بقيتها أو جميعها (بوجهين أحدهما كثرتها) وشهرتها لان الكثرة تستلزم الشهرة *(تنبيه)* قال التلمسانى مجلدات جمع مجلدة وهى الكتب الكبيرة وهى عبارة فقهية مولدة ولا وجه له لان المجلد ما عليه مجلد كما فى القاموس وفى رسالة الجلد لابى العلاء المعرى الجلد لا يزال فيما غبر من الزمان نقيض مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز

هل أنت كاسل المعتمل * مجلد يكشف عن مخض الابل

انتهى فقد أثبت ذلك وناهيك به من امام فى اللغة فان أراد تخصيصها بالكتب الضخمة وانها لم ترد فى كلام العرب فهو مجاز لا يتوقف على السماع والتجلد يكون بمعنى التصبر وتظرف بعض المتأخرين فى قوله

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره بمخلد

اذا عاينت كتبى القديمة جلده * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

(وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أى من نوعها أو ما يماثلها أو يقاربها فى الاعجاز (أو ما هو أبلغ منها) أبلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقرآن العظيم فانه أبلغ معجزة أوتيت فان معناها هنا أعظم وأقوى وليس مقيدا بالقرآن لان بالغ الشئ وصوله غايته ومنتهاه وهو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما يقولونه بهذا المعنى والمعجزة هنا فى سياق النفى فتعم وتفيد الكثرة والخارق للعادة اذا عظم من شأنه الشهرة والظهور فلا يرد عليه انه كان ينبغى أن يقول أشهر وانه لا يلزم مما ذكره الظهور الذى ادعاه (وقد نبه الناس على ذلك) أى نبه علماء الحديث والآثار وفصلوه فى كتبهم كابن المنير فى كتاب المقتفى (فان أردته) أى أردت معرفته والوقوف على

فتأمل فصول هذا الباب) أى من معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعجزات من تقدم من الانبياء) أى وقابل بين واحدة مع ما يناسبها من الانبياء (تقف على ذلك) أى المعنى (ان شاء الله تعالى وأما كونها) أى معجزاته (كثيرة فهذا القرآن) أى ظاهر كثرته (وكله معجز) أى والحال ان جميعه باعتبار كله وجزئه معجز (وأقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين) بل عند أكثر المدققين حيث قالوا اعجازه بالفصاحة والبلاغة (سورة انا أعطيناك الكوثر) أى أقصر سورة نحوها (أو آية قدرها) لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله وفى حكم السورة قدرها لا أقلها (وذهب بعضهم) أى ممن قال بالصرفة (الى ان كل آية منه) أى من القرآن (كيف كانت) أى وجدت طويلة أو قصيرة (معجزة) خبر ان (وزاد آخرون) أى على ماذكر (ان كل جملة منتظمة منه) أى من القرآن وفى أصل الدلجى منتظمة منه (معجزة وان كانت من كلمة أو كلمتين) ويؤيده ظاهر قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ولعل الاعجاز أولا كان بعشر سور ثم بسورة ثم بحديث كما هو أسلوب التدريج على وجه الترقى (والحق) أى الثابت عند الجمهور (ماذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله) وفى نسخة من مثله (فهو) أى اتيان نحو سورة (أقل ماتحداهم) أى طلب معارضتهم (به مع ماينصر هذا) أى يؤيده ويقويه (من نظر) أى نظر اعتبار وتفكر واستبصار (وتحقيق) أى مشتمل على تدقيق (يطول بسطه) أى والقصد وسطه (واذا كان هذا) أى أكثر ماتحداهم به أقل (ففى القرآن من الكلمات) أى الاسمية والفعلية والحرفية (نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف) بتشديد التحتية وتخفيفها أى بعض زيادة وجمع بينه وبين نحو مبالغة فى الملاحظة لقصد المحافظة (على عدد بعضهم) أى ممن عد كلماته

مابينوه (فتأمل فصول هذا الباب) أى أعد النظر فيه فتأمل وتدبر معانيه (ومعجزات من تقدم من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (تقف) مجزوم فى جواب الامر (على ذلك ان شاء الله تعالى) والوقوف فى الاصل القيام تجوز وابه عن المعرفة وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح ذكر هنا أمورا شرفه الله بها لغيره من الانبياء لامساس لها بالمعجزات تركناها ولم نطول بذكرها (وأما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز) وفى بعض النسخ وكله معجز بالواو فالتقدير فهذا القرآن موجود معروف وجميع أجزائه معجزة فناهيك به كثرة ثم شرع فى بيان المقدار الذى يقع به الاعجاز فقال (وأقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة انا أعطيناك الكوثر) وهى أقصر سورة فى القرآن (أو آية بقدرها) أى مساوية لها فى الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبر أقل وفى نسخة بسورة بباء الجر (وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت) طويلة بمقدار سورة أم لا (معجزة وزاد بعضهم) وفى نسخة آخرون أى ترقى عن هذا المقدار الى (ان كل جملة منتظمة منه) أى مفيدة تامة (معجزة وان كانت من كلمة أو كلمتين) فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهى كلمة قلت يكون فيها مقدر كمدهامتان ونحوها فتأمل وليس هذا مبنيا على ان اعجازه بالصرفة كما قيل (والحق ماذكرناه أولا) من ان المعجز أقصر سورة أو مقدارها (لقوله تعالى فأتوا بسورة) أى سورة كانت (من مثله) فى الاعجاز والضمير للقرآن أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه ليس فيه التعرض للدليل على مدعاه (فهو) أى ماذكر (أقل ماتحداهم) الله أو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (به) أى طلب منهم معارضته (مع ماينصر هذا) القول المذكور أولا أى يقويه ويؤيده (من نظر) أى فكر وتدبر (وتحقيق يطول بسطه) ببيان الحق بالادلة والبراهين القاطعة لمن تدبره ونظر مافيه من مراعاة كل مقام وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة التى تحير العقول فقد تحداهم أولا بجملته فقال فأتوا بكتاب من عند الله ثم تحداهم بعشر سور فقال فأتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخاء عنان التكليف والحاصل ان الكلام اللفظى الذى وقع التحدى به لا النفسى فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح اختلفوا فى مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القرآن ورد بالآيتين المذكورتين وقال القاضى يتعلق بسورة طويلة أو قصيرة لظاهر الآية وقال فى موضع بها أو بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على العجز عن أقل من هذا القدر وقيل لا يحصل العجز الا بآيات كثيرة وقيل قليله وكثيره معجز لقوله فليأتوا بحديث مثله (فاذا كان هذا) أى ثبت ان ماتحداهم به هذا المقدار الاقل (ففى القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف) أى وزيادة على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد وكلما زاد على عقد حتى يبلغ مابعده فهو نيف (على عدد بعضهم) أى هذا مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال الدانى رحمه الله سبعة وتسعون بالتاء الفوقية ألفا وأربعمائة وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وقيل ثلثمائة ألف واحد وعشرون ألفا وخمسمائة وثلاثة وثلاثون

(وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر) أى الى آخرها (عشر كلمات فيجزأ القرآن) بتشديد الزاى فيهمز مبنيا للمفعول وفى نسخة فيتجزأ
بالهمزة وفى أخرى بالالف وفى أصل الدلجى فتجزى القرآن بصيغة المصدر المضاف (على نسبة عدد انا أعطيناك الكوثر) أى
كلماتها العشر (أزيد) بالنصب وعلى أصل الدلجى وبعض النسخ بالرفع أى أكثر (من سبعة آلاف جزء) أى حصة (كل واحد منها
معجز فى نفسه) أى مع قطع النظر عما قبله ومابعده ومافيه من أخباراته تعالى عن نبأ ما قبله ومابعده (ثم
اعجزه كما تقدم) أى فى
محله (بوجهين) أى من
طرق الاعجاز (طريق
بلاغته) أى باشتماله
على لطائف الاعجاز
(وطريق نظمه) أى
سلوكه بين الاطناب
والايجاز (فصار فى كل
جزء من هذا العدد) أى
من السبعة آلاف
(معجزتان) أى باعتبار
الطريقين (فتضاعف
العدد من هذا الوجه)
أى الذى له جهتان
فيصير أربعة عشر ألفا
(ثم فيه) أى فى القرآن
من حيث مجموعه (وجوه
اعجاز أخر) بضم ففتح
(من الاخبار بعلوم
الغيب) أى عما تقدم أو
تأخر (فقد يكون فى
السورة الواحدة) أى
حقيقة أو حكما (من
هذه التجزئة الخبر عن
أشياء من الغيب) كقصة
موسى وهارون وفرعون
وهامان وقارون (كل
خبر منها بنفسه) أى
بانفراده (معجز) أى
مستقل فى بابه (فتضاعف
العدد) أى متزايد المبلغ المضاعف (كرة أخرى) أى فى الجملة لا فى نحو كل سورة فلا يصير
ثمانية وعشرين ألفا على ماجزم به الدلجى (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) قال الدلجى وهى الغيبة وفيه انها مما سبق ذكره
(توجب التضعيف) الى مالا يكاد يحصى ولا يستقصى (هذا) أى التضعيف الوافر (فى حق القرآن) هو الظاهر (فلا يكاد يأخذ العدد)
أى العدد كما فى نسخة (معجزاته) أى لكثرتها (ولا يحوى) أى ولا يكاد يشتمل (الحصر براهينه) لعظمتها

حرفا وقيل انه الصواب لانه ذكره المصنف رحمه الله تعالى وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه بلفظه غير
وارد عند من أنصف ولهم فى عدده اختلاف قيل لان الكلمة والحرف فيهما اطلاقات وقول السخاوى
لاخلاف فى عدده وانه لايقبل زيادة ولا نقصا لاوجه له غير الكمل (وعدد كلمات انا أعطيناك
الكوثر عشر كلمات فيجزئ القرآن) بصيغة المصدر وفى نسخة فيتجزئ بالمضارع المجهول وآخره
مهموز ويجوز ابداله ألفا أى بان تعد عشر آيات عشرة أجزاء (على نسبة انا أعطيناك الكوثر) أى على
مقدارها والمراد سورة تشمل آية واحدة بمقدارها كما عرف والنسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقى لغة
واصطلاحا مشهور (أزيد) بالرفع خبر تجزى المصدر وبالنصب ان كان فعلا أى تجزيه أزيد أو يكون أزيد
(من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه) أى بقطع النظر عن غيره ففيه أزيد من سبع ألف
معجزة وهذا مبنى على ما تقدم من العدد (ثم اعجازه) أى القرآن (كما تقدم) من ذكر الاختلاف فى
مقداره (بوجهين) الاول (طريق بلاغته) أى مافيه من مراعاة الوجوه التى بها يطابق اللفظ مقتضى
الحال (و) الثانى (طريق نظمه) أى أسلوبه وكونه على نسق لايشبه غيره من الكلام نظما وسجعا ونثرا
وتناسب كلماته وجمله وايقاع كل كلمة منه ما تستحقه وتنزيلها فى محل لايليق بها غيره كما يعرفه من ذاق
طعم البلاغة فتارة لاعلم له وان كره كما لايخفى على من تأمله حق التأمل ونظر فيه بنور الايمان (فصار فى
كل جزء من هذا العدد) المذكور آنفا (معجزتان) من جهة بلاغته ومن جهة نظمه (فتضاعف العدد)
أى عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل أو مضارع من المفاعلة (من هذا الوجه) أى من هاتين
الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كلماته معجزة صار فيه من المعجزات مالا يعد ولا يحصى قال ابن عطية
رحمه الله تعالى الصحيح الذى عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه لانه
عز وجل أحاط بكل شئ علما وبكل كلام فاتى فى كلامه بما لايحيط به علم غيره وقدرته وبهذا بطل القول
بالصرفة (ثم فيه وجوه اعجاز أخر) غير ماذكر من الطريقين (من الاخبار بعلوم الغيب) بيان لوجوه
أى الامور الغيبية مما وقع أو سيقع (فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة) أى الاجزاء
المذكورة المضاعفة من جهتى الاعجاز (الخبر) أى الاخبار (عن أشياء من الغيب) أى الامور المغيبة
عن علمنا (كل خبر منها بنفسه معجز) أى باعتبار أخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه
الاعجاز (فتضاعف) بصيغة الماضى والمضارع كمامر (العدد) المذكور أى العدد المضاعف لقوله (كرة
أخرى) أى بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد الفر فهو ضد الفر قال
امرؤ القيس مكر مفر مقبل مدبر معا (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) وهى ذكر المغيبات (توجب
التضعيف) والزيادة الى مالا يكاد يحصى كثرة (هذا فى حق القرآن) دون غيره من المعجزات التى تزيد
على معجزات سائر الانبياء (فلا يكاد يأخذ العد معجزاته) وفى نسخة العدد وهما بمعنى والمراد بالاخذ
الاحاطة مجازا بليغا كقوله لاتأخذه سنة ولا نوم أى لايغلبه ذلك أى لايحيط بها العدد لكثرتها وهو
مبالغة ولذا قال لايكاد دون لم تعد (ولا يحوى الحصر) أى الاحاطة (براهينه) أى براهين اعجازه

(ثم الاحاديث الواردة) أى الصريحة (والاخبار الصادرة) أى الصحيحة (عنه عليه الصلاة والسلام فى هذه الابواب) أى المذكورة فيها من المعجزات وخوارق العادات والاخبار عن المغيبات (وعن مادل على أمره) أى ظهور أمره وحكمه (مما أشرنا الى جمله) بضم ففتح أى الى جمل من مفصله (يبلغ نحوا من هذا) أى التضعيف (الوجه الثانى) أى من وجهى كون معجزاته أظهر من معجزات غيره (وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم) أى ظهورها وانتشارها واشتهارها (فان معجزات الرسل كانت) أى واردة على أيديهم (بقدرهمم أهل زمانهم) اى حالا ومقدارا فى شانهم (وبحسب هذا الفن) بفتح السين (الذى قد سما فيه قرنه) أى علا وارتفع أهل عصره شهرة بمعرفة ذلك الفن فى دهره كما بينه بقوله (فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث اليهم بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه) أى ومايزعمون مهارتهم لديه ويوجهون هممهم اليه (فجاءهم منها) أى على يد موسى (ماخرق عادتهم) أى من انقلاب العصا حية تسعى واليد السمراء بيضاء من غير سوء (ولم يكن) أى ذلك المعجز (فى قدرتهم) أى فى نطاق قواهم وقدرهم (وأبطل سحرهم) وما أظهره من التخييل عند مكرهم (وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى) أفعل تفضيل من الغاية أنهى (ما كان) أى علم أهله (الطب) بكسر الطاء ويثلث وهو علاج الامراض الظاهرة وفى نسخة أعنى بالعين المهملة لمهم يعنى أعجز وفى أخرى بالغين المعجمة والنون أى أوفى وفى أخرى بالمهملة والنون أى أقصد وكلها صحيحة على مالايخفى (وأوفر ماكان أهله) أى أكثر ماكان أهل [illegible] تتبعه (فجاءهم) أى على يد عيسى (أمر لايقدرون عليه

لان كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية أردفها بالنقلية فقال (ثم الاحاديث) النبوية (الواردة) فى الروايات الصحيحة (والاخبار الصادرة عنه) عليه الصلاة والسلام (فى هذه الابواب) أى أبواب اعجاز القرآن والتحدى به أو أبواب معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يؤيده قوله (وعن مادل على أمره) أى نبوته وعلو شانه (مما أشرنا) فيما سبق من هذا الكتاب (الى جملة) منه وفى نسخة الى جمل (يبلغ نحوا) أى قريبا (من هذا) المقدار الكثير (الوجه الثانى) من وجهى ظهور معجزاته وشهرتها وانها أظهر من معجزات سائر الرسل قبله (وضوح معجزاته) أى شهرتها بحيث لاتجهل وهذا عين ظهورها أو مستلزم له والمراد به شدة ايضاحها بحيث لا تخفى على أحد غير أعمى الفكر والنظر وانه لا ارتياب فيها عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازدياد شهرتها فى كل عصر كالشمس فى رابعة النهار وهذا مما يدل على أظهريتها دلالة ظاهرة لاعينها فسقط ماقيل ان المدعى ان معجزاته أظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة للاستدلال على الشئ بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذى قبله الا ان يقال المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيامة فيكون المراد الزيادة فى الوضوح بهذا الاعتبار وان كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط لايخفى وقد أشار الى ماذكرناه المصنف بتفسيره بقوله (فان معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم) أى هممهم فيما يهتمون به ويعتنون (وبحسب) بفتح الحاء والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى المقدار (الفن) أى النوع (الذى سما) أى اشتهر وعلا مقداره بينهم لاعتنائهم به (فيه قرنه) بفتح القاف وسكون الراء أى عصره والمراد به أهله مجازا أو بتقدير مضاف والقرن الزمن المقترن فيه أعمارهم وأحوالهم واختلف فى مقداره هل هو مائة سنة أو ثمانون أو أقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله (فلما كان زمان موسى) كليم الله عليه الصلاة والسلام أى زمن بعثته ونبوته (غاية علم أهله) أى أهمه وأعظمه عندهم (السحر) وهو معروف تقدم الكلام عليه (بعث اليهم بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه) وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة (فجاءهم) على يد موسى عليه الصلاة والسلام (منها ماخرق عادتهم) أى خالف مايعتادونه ويسهل عليهم فعله وأصل الخرق أبانة جسم من آخر فنقل لما ذكر كخرق الاجماع أى مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية وذلك كقلب العصا حية واليد البيضاء من غير سوء (ولم يكن) ماجاء به (فى قدرتهم) أى لايقدرون عليه فيدخل فى جملة مقدراتهم (وقد أبطل سحرهم) بما عارضهم به وهى جملة حالية يشير الى ماقصه الله فى كتابه العزيز وفى نسخة وأبطل بدون قد فهو معطوف على جاءهم (وكذلك) أى كزمن موسى عليه الصلاة والسلام (زمن عيسى) ابن مريم صلى الله تعالى عليه وسلم (أغنى ما كان الطب) أى أعظم ما كان فى عصره وعهد رسالته علمه والطب فى اللغة معناه العادة والسحر وفى العرف علم يعرف به أحوال الانسان من حيث الصحة والسقم وأغنى افعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغنا وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية أى أكثر مشقة وتعبا وقيل انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره فى كلامهم لتفسيره بانهى والطب مثلث الطاء مشدد الباء (واوفر ما كان أهله) أى أهل الطب وعلماؤه أى أكثر ما كان فى زمنهم (فجاءهم) على يد عيسى عليه الصلاة والسلام (أمر لايقدرون عليه) بواسطة

العهم بالطب فانهم لا يقدرون على ازالة الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم فى الاكثر على حفظ الصحة وكم من مرض أعيى الطبيب المداويا (وأتاهم بما لم يحتسبوه) أى بما لم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم وبما لم يترقبوه بجعل أمره مانعا لاولم يقل أتاهم بامر وبما هو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير صنع وحيلة وفى نسخة يحسبوه أى يظنوه ويقدروه قبل ويجوز فيه ضم الياء الياء وكسر فيه بعيد فتح الميم (من احياء الميت) بتخفيف الياء وتشديدها (وابراء الاكمه) أى الذى ولد اعمى مطموس العين أى فتح عينه حتى يبصر (والابرص) وهو الذى فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا (من دون معالجة) المعالجة المزاولة وعند الاطباء مداواة الامراض بعد تشخيصها (وطب) المراد به هنا المعنى المصدرى أى اعطاء الدواء وانما كان مداواة عيسى عليه الصلاة والسلام بالدعاء والتوجه الى الله تعالى وكان يجتمع عنده من المرضى العدد الكثير ومن لم يقدر على المجىء اليه يذهب بنفسه اليه وكان اطباء عصره لا يقدرون على ما ذكر فاذا كان معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم * (تنبيه) * قال البخارى فى تفسير الاكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وقال السهيلى انه قول فيه فلا يرد الاعتراض انه معنى الاعشى وانما الاكمه من ولد اعمى (وهكذا) أى مثل ما ذكر (سائر معجزات الانبياء) فى انها كانت بقدار علم أهل زمانهم وما يهتمون به من الاحوال والعلوم (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب) جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم لا جمع معروف عند المنكر المجهول كما قيل (وعلومها) أى ما يعلمونه من الجزئيات والكليات (أربعة) أنواع (البلاغة) أى الملكة والجبلة التى يعرفون بها تأدية الكلام حقه فى كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها (والشعر) الكلام الموزون المقفى (والخبر) عمن سلف وما لهم من الوقائع والايام والانساب والمنازل (والكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته وهى معاناة علم المغيبات بتلقيها عن الجن كما مر (فانزل عليه القرآن) أى أنزل الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يناسب قرنه وأهل عصره أعنى القرآن أى كلامه الموحى اليه (الخارق) أى المخالف (لهذه الاربعة فصول) أى الانواع المذكورة وهى البلاغة وما معها فهى جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره (من الفصاحة) وهى خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما بينه من فصح بمعنى خلص ويشمل البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارئ فى علم المعانى ومعناهما عندهم غنى عن البيان لشهرته (والايجاز) أى اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة ولم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر ونكات الايجاز أكثر وأعظم فهو أهم عندهم (والبلاغة) وقيدها بقوله (الخارجة عن نمط كلامهم) أى كلام العرب لدخولها فى الفصاحة كما مر والنمط بمعنى الجنس والطريقة أى لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه فى مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس أمرهم واحد فاستعير لما ذكر أى نوعه وطريقته (ومن النظم) أى تأليف الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم شعرا (الغريب) أى الذى لم يعهده البلغاء فى كلامهم (والاسلوب) أى الطريق (العجيب) أى الذى

وأتاهم بما لم يحتسبوه) أى شيأ لم يظنوا وجوده لديه وأمره مفوضا اليه (من احياء الميت) ويروى الموتى وفى نسخة الميتة (وابراء الاكمه) أى الذى ولد ممسوح العين ذكره الحلبى قال الحلبى الاكمه هو الذى يولد اعمى ويقال للاعشى وقال البخارى فى الصحيح ان الاكمه من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وهو تفسير للاعشى على ما لا يخفى (والابرص) من فى بدنه بياض من المرض المعروف (دون معالجة ولا طب) أى مداواة بل كان يأتيه من اطاق الاتيان لديه ومن لم يطق ذهب اليه عليه الصلاة والسلام فربما اجتمع عنده الالوف من المرضى وذوى العاهات فيداويهم والآيات (وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام) أى كانت بقدر علم أهل زمانهم من الانام (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها) أى من الجزئيات والكليات (اربعة) أى من أنواع المدركات وأصناف الملكات (البلاغة) أى المقرونة بالفصاحة. (والشعر) أى النظم المقابل للنثر (والخبر) بفتحتين أى الاخبار بانساب العرب وأيامها من وقائعها ومعرفة تاريخها وتفصيل ما جرى فيها من ضروب خروجها وفنون رجوعها. (والكهانة) بكسر الكاف وتفتح وهى مزاولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة أسرارها (فانزل) بصيغة المجهول أى فانزل الله تعالى كما فى نسخة وفى أخرى زيادة عليه (القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول) أى المتقدمة وهى البلاغة والشعر والخبر والكهانة (من الفصاحة) أى من أجل فصاحة القرآن (والايجاز) أى واعجاز الفرقان (والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم) بفتح النون والميم أى نوعه ونهجه (ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب

الذى لم يهتدوا) أى فصحاؤهم وبلغاؤهم وخطباؤهم وشعراؤهم (فى المنظوم) أى من كلامهم (الى طريقه) أى فى مرامه (ولا علموا فى أساليب الاوزان) أى نظما ونثرا وفى أصل الدلجى فى أساليب الكلام والافنان من النثر المسجع والنظم المرصع (منهجه) أى طريقته السهلة الممتنعة (ومن الاخبار) بكسر الهمزة (عن الكوائن والحوادث) أى الكائنات والمحدثات من الاعيان والاكوان (والاسرار) أى فى البواطن (والمخبئات) أى فى الظواهر والضمائر (فتوجد على ما كانت) أى ذاتا أو صفة (ويعترف المخبر) بفتح الباء أى من أخبر (عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان) أى ولو كان ذلك المعترف المخبر (أعدى العدو) أى بكونه من أهل الكفر والنكر (فابطل) أى القرآن أو النبى أو الله سبحانه وتعالى (الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها) بتشديد المثلثة أى اقتلعها (من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم) بفتح الصاد أى جعلها معدة لحفظ السماء من استراق الشياطين السمع من الانباء حيث ترميهم بشهب منفصلة من نارها لانفسها لثبوتها فى مقارها كقبس أخذ من نار وهى ثابتة لم تنقص عما لها من مقدار (وجاء) أى فى القرآن (من الاخبار) بفتح الهمزة (عن القرون السالفة) أى السابقة الامم (وانباء الانبياء والامم البائدة) أى الهالكة ومنه حديث الحور العين نحن الخالدات فلا نبيد أبدا (والحوادث الماضية) أى الواقعات المتقدمة من المنفعة والمضرة (ما) أى شئ أو الذى (يعجز من تفرغ لهذا العلم) أى فى صرف جميع عمره

يتعجب منه سامعه أو يعجبه ويستحسنه (الذى لم يهتدوا) أى لم يصلوا ويقدروا (فى المنظوم) أى المؤلف من كلامهم (الى طريقه) فضلا عن الاهتداء اليه نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذى هو ينسج وحده (ولا علموا فى أساليب الكلام) مطلقا أو المنثور من خطبهم واسجاعهم (والاوزان) الشعرية الموزونة على بحوره (منهجه) أى طريقه (ومن الاخبار) بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر (عن الكوائن) أى عما سيكون فى المستقبل من المغيبات جمع كائنة وهو معطوف على قوله من النظم واعاد من لانه نوع آخر من الاعجاز واطول الفصل بينهما كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (الحوادث) أى ما يحدث فى المستقبل أيضا (والاسرار) أى ما أسروه فى أنفسهم كقوله تعالى فى قصة ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم وأظهره الله عليه (والمخبآت) أى ما أخفوه عنه فاطلعه الله عليه (والضمائر) أى ما أضمروه فى أنفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله (فتوجد) تلك الامور المخبر عنها وما أسروا واخفى عنه (على ما كانت عليه) ذاتا وصفة مطابقة لما قاله (ويعترف) ويقر (المخبر) بفتح الباء اسم مفعول أى من أخبره الرسول بما أطلعه الله عليه (عنها بصحة ذلك) الخبر الذى أخبره به (وصدقه) بمطابقته للواقع (وان كان) المخبر بالفتح (أعدى العدو) أى أقوى اعدائه وأشدهم عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم فاعدى أفعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف القياس والعدو بمعنى الاعداء لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى من قوم عدو لكم أى مع شدة عداوته لا يمكنه انكاره هربا من وصمة التكذيب لظهور صدقه (فابطل) القرآن أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته كما ر والرواية هنا الكسر لانه الانسب (التى تصدق مرة وتكذب عشرا) صفة الكهانة أى التى كذبها أكثر من صدقها كما ورد فى الحديث انه تعالى كان اذا قضى أمرا فى السماء سبحت حملة العرش ثم أهل كل سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا فيستخبر أهل كل سماء من فوقهم حتى ينتهى الخبر الى أهل هذه السماء فتخطفه منهم الجن ويزيدون فيه من عندهم ما يزيدون من أكاذيبهم وبما فسرناه ظهر سقوط ما قيل صوابه مائة بدل قوله عشرا لانه ورد فى الحديث تكذب مائة أو اكثر من مائة (ثم اجتثها) بجيم ومثناة فوقية ومثلثة والضمير للكهانة أى قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه أبلغ مما قبله وأبعد رتبة وأصل معناه نزع الشجر ونحوه بعروقه وأصوله كقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ففيه استعارة مرشحة بقوله (من أصلها) وان كان المراد به ازالتها بالكلية (برمى الشهب) بضم الهاء وسكونها جمع شهاب أى رمى الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلقى الكهنة والمراد زيادة الرمى وكثرته فانه كان قبل كما ر وفى نسخة رجم بدل رمى (ورصد النجوم) رصد بسكون الصاد المهملة مصدر رصده يرصده اذا ترقبه وأعد له ما يمنعه ويجوز فتحها ويكون واحدا أو جمع راصد كخدم فهو من اضافة الصفة لموصوفها أى النجوم المرصدة أى المعدة لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم أو شعل نار تنفصل منها وارتضاه كثيرون فرصدها لانها مبدأ لما يمنعهم (وجاء) فى القرآن (من الاخبار عن القرون) والامم (السالفة) أى الماضية قديما (وانباء) جمع نبأ وهو الخبر (الانبياء والامم البائدة) أى الهالكة الفانية فى الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفى الحديث الجنة لا تبيد أبدا أى لا تهلك ولا تموت أهلها (والحوادث) أى الامور الواقعة من خير وشر فى الازمان السالفة (الماضية) قبل ذلك (ما يعجز من تفرغ لهذا العلم) أى العلم بالاخبار وتواريخ

(عن بعضه) أى عن معرفة بعض أمره (على الوجوه التى بسطناها) أى أوضحناها (وبينا المعجز فيها) أى مع ما وشحناها ورشحناها (ثم بقيت هذه المعجزة) المتعلقة بالفصاحة والبلاغة والاخبار عن الكوائن الحادثة الجامعة (لهذه الوجوه) أى المذكورة المسطورة المضمومة (الى الفصول الاخر) أى المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرآن) أى فيما مضى من البيان (ثابتة الى يوم القيامة) أى حال كونها مستمرة دائمة (بينة الحجة) أى ظاهرة الدلالة فى الاعجاز مع غاية الايجاز (لكل أمة تأتى) أى بعد جماعة تنقضى (لا تخفى وجوه ذلك) أى المعجز المتقدم (على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى) أى منضما الى (ما أخبر به من الغيوب) بضم الغين وكسرها أى المغيبات (على هذا) وفى نسخة على هذه (السبيل) فان السبيل يذكر ويؤنث ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر (فلا يمر عصر ولا زمن) أى ولا ينقضى قرن ودهر (الا ويظهر فيه صدقه) أى زيادة صدقه أو موجب تصديقه بظهور مخبره بضم الميم وفتح الموحدة (على ما أخبر) أى على طبقه ووفقه وأغرب الدلجى بقوله على ما أخبر من وجوه الفصاحة والايجاز والبلاغة (فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان) فيستمر الايقان ويقوى العرفان (وليس الخبر كالعيان) بكسر أوله اذ غاية افادة الخبر غالبا ظنية ونهاية افادة المعاينة يقينية (وللمشاهدة زيادة فى اليقين) أى المستفاد مثلا من المتواتر استدلالا (والنفس أشد طمانينة) أى سكونا (الى عين اليقين) أى الذى تفيده المعاينة (منها) أى من الطمانينة (الى علم اليقين) اى المستفاد بالتواتر استدلالا (وان كان كل) أى من علم اليقين وعين اليقين (عنده) أى عند النفس (حقا) أى ثابتا وصدقا لكن عين اليقين أمكن لها على ازدياد طمانينتها وأعون لها على عدم ترددها ووسوستها ومن ثم لما قيل للخليل أولم تؤمن أى بعلم الوحى المقدر والاستدلال بالخبر المكرر قال بلى أى ربى ولكن ليطمئن قلبى بمصاحبة علم العيان لعلم البرهان ومن ههنا قيل علمان خير من علم واحد (وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم) بل اندرس بعضها حال حياتهم كما أشار اليه بقوله (وعدمت) بصيغة المجهول أى

الامم (عن بعضه) أى عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جاء ومن فاعل يعجز (على الوجوه التى بسطناها) أى جامعا على وجوه تقدمت مفصلة (وبينا المعجز فيها) أى أوضحنا المعجزات فيها بما أغنى عن اعادته (ثم بقيت هذه المعجزة) أى القرآن وفى نسخة المعجزات اعتبار وجوه اعجازه (الجامعة لهذه الوجوه) أى وجوه الاعجاز المذكورة آنفا (المضمومة الى الفصول الاخر) يعنى الاربعة المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة) لا تبدل ولا تغير ولا تذهب أبقاه الله (بينة الحجة) أى ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم (لكل أمة تأتى) بعد نزول القرآن جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر (لا يخفى وجوه ذلك) الاعجاز الذى ذكر أولا (على من نظر فيه) أى من نظر فى القرآن بتلاوته أو سماعه (وتامل وجوه اعجازه) أى أطال النظر فيها وكرره وهو من الامل تفعل تجوز به عما ذكر لترقب الامل وامتداده (الى ما أخبر به من الغيوب) أى مع ما أخبر به من المغيبات (على هذا السبيل) والطريق المذكور (فلا يمر عصر وزمن) أى يجىء كالمار على أهله وليس المراد به ينقضى لقوله (الا ويظهر فيه صدقه) أى صدق القرآن أو النبى صلى الله عليه وسلم (بظهور مخبره) بفتح الباء أى ما أخبر به أو خبره (على ما أخبر) أى كائنا متحققا على وفق خبره أو باقيا على حاله فى وجوه اعجازه السابقة أى أخبره فهو مبنى للفاعل (فيتجدد الايمان) بكل ما ظهر أمر جديد مصدق له بوقوع ما فيه (ويتظاهر البرهان) أى يقوى الدليل ويزيد قوة وأصل التظاهر المعاونة والمساعدة كأنه يستند لظهوره (وليس الخبر كالعيان) وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين وهو مثل وورد فى الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله فاذا شوهد معناه بان المراد واطمأن الفؤاد ولذا قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبى كما قيل

ولكن للعيان لطيف معنى * له سال المعاينة الكليم

(وللمشاهدة) بحس البصر (زيادة فى اليقين) لذى كان البرهان القاطع (والنفس أشد طمانينة) الطمأنينة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج (الى عين اليقين) أى الى ما يتيقن بالمعاينة والمشاهدة (منها) أى من طمانينتها (الى علم اليقين) أى العلم المتيقن بالبرهان القاطع فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين (وان كان كل) من عين اليقين وعلم اليقين (عندها) أى عند النفس وفى علمها فان عند يكون بمعنى العلم كما فسر عند الله تعالى بعلمه تارة وحكمه أخرى (حقا) أى متحققا ثابتا بلا مرية لكن الاول أقوى وفيه اشارة الى الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل والاول ضرورى وغيره نظرى (وسائر معجزات الرسل) قدم وفصلناه فى شرح الدرة ان لفظ سائر ورد بمعنى الباقى من السؤر المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من أنكر الثانى كالحريرى وغيره لم يصب (انقرضت بانقراضهم) أى انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم (وعدمت) بعد وجودها وعدم مبنى للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه

وانعدمت (بعدم ذواتها) أي بعدم وجودها وتحقق صفاتها وفي أصل الدلجي بعدم ذواتهم أي وجودا في الدنيا والافثبت ان الانبياء في البرزخ أحياء فالجملة تاكيد لما قبلها وعلى الاول تاسيس وهو أولى في محلها (ومعجزة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تبيد) أي لا تفنى أبدا (ولا تنقطع) أي ولا تنقضي سرمدا (وآياته) أي علاماته الدالة على صدقه (تتجدد) أي يوما فيوما (ولا تضمحل) بتشديد اللام أي ولا تزول أصلا (ولهذا) أي المعنى الاعلى (أشار عليه الصلاة والسلام بقوله) أي الذي هو غاية المرام في هذا المقام المندرج (فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي) أي الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضي أبو الوليد) وهو الباجي

(حدثنا أبو ذر) أي الهروي (ثنا أبو محمد) أي ابن حمويه السرخسي (وأبو اسحق) أي المستملي (وأبو الهيثم) أي الكشميهني (قالوا) أي كلهم (حدثنا الفربري) بكسر الفاء وتفتح (ثنا البخاري) أي صاحب الجامع (ثنا عبد العزيز ابن عبد الله) أي العامري الاويسي الفقيه عن مالك ونافع مولى ابن عمر (ثنا الليث) أي ابن سعد (عن سعيد عن أبيه) أي أبي سعيد المقبري روى ان عمر جعله على حفر القبور فسمي به توفي سنة مائة (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والحديث كما ترى رواه البخاري وقد أخرجه مسلم والنسائي أيضا (قال ما من الانبياء نبي) هو أعم من رسول (الا اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر)

بمعنى اعدمه وعدم بزنة كرم (بعدم) بفتحتين أو بضم فسكون (ذواتها) أي الرسل وفي نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفي ثبوتها في اللغة كلام تقدم ويأتي والمعروف انه بمعنى صاحبة مؤنث ذو والمشهور في العربية أي تلك المعجزات تعدم فتنقرض وان علم ثبوتها لكونها أمرا غير مؤبد وهو معنى عدم ذوات الانبياء ذهابها من الدنيا وعن الحس وان كانت باقية في البرزخ أحياء لا يموتون كما في حديث الاسراء والاجتماع بالانبياء (ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني القرآن (لا تبيد) أي لا تفنى وتعدم (ولا تنقطع) أي تذهب بالكلية (وآياته) أي معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم التي تضمنها القرآن (تتجدد ولا تضمحل) بالضاد المعجمة والميم والحاء المهملة واللام المشددة أي لا تنحل وتفنى كاضمحل السحاب اذا انقشع (ولهذا) المذكور من بقاء معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) في حديث صحيح رواه البخاري رحمه الله تعالى والاشارة هنا بمعنى التصريح أو عبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحي الآتي أعم من القرآن فيحتمل ان المراد به أحكام شريعته الباقية الى يوم القيامة والظاهر ان المشار اليه ما مر من القرآن فيه معجزات لا تحصى وليس بصريح الحديث كما ستبينه (فيما حدثناه القاضي الشهيد أبو علي) بن سكرة وقد مر ترجمته قال (حدثنا القاضي أبو الوليد) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو ذر) الهروي وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد) بن حمويه السرخسي وقد تقدم (وأبو اسحق) المستملي كما تقدم (وأبو الهيثم) الكشميهني كما تقدم (وقالوا حدثنا الفربري) راوي صحيح البخاري وقد تقدم ضبط نسبته قال (حدثنا البخاري) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبد العزيز بن عبد الله) العامري الاوسي الفقيه الحافظ الثقة وترجمته في الميزان قال (حدثنا الليث) تقدمت ترجمته (عن سعيد) المعروف بالمقبري (عن أبيه) كيسان أبو سعيد المقبري نسبة للمقبرة لانه كان يتولى حفرها وهو مولى بني ليث روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائة في خلافة الوليد وهو ثقة (عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه هو عبد الرحمن بن صخر وفي اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما مر (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخاري (قال ما من الانبياء) تقديره ما من نبي من الانبياء (الا اعطى) بالبناء للمجهول أي الا أعطاه الله تعالى (من الآيات) أي المعجزات الظاهرة (ما مثله) ما موصولة أو موصوفة (آمن) بالماضي أي صدق (عليه البشر) على تعليلية كما في قوله تعالى على ما هداكم أو تقديره مستقرا عليه البشر يعني أهل عصره (وانما كان الذي أوتيت) من الآيات والمعجزات (وحيا أوحاه الله تعالى عز وجل الي) يعني القرآن المعجز المتحدى به ثم رتب عليه قوله (فارجو) من الله تعالى بما أكرمني به من المعجزة الشاملة على معجزات لا تتناهى الباقية الى يوم القيامة التي ليست كمعجزة غيري تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها في كل امة ما لا يحصى فلذا رجوت (ان أكون) دونهم (أكثرهم تابعا) أي أمة (يوم القيامة)

أي ليس نبي منهم الا أعطاه الله من المعجزات شيأ الجا من شاهده الى الايمان به فخص كل نبي بما أثبت دعواه من خوارق العادة التي أعطاه مولاه في زمانه وبعد انقراضه اختفى شانه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى (وانما كان الذي أوتيت) أي بخصوص ما أنعم علي (وحيا أوحاه الله الي) اى معجزا في أعلا طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة ولذا رتب عليه قوله (فارجو) أي بسبب بقائه وظهور ضيائه (اني أكثرهم) وفي أصل الدلجي ان أكون أكثرهم (تابعا يوم القيامة)

الى حشرت الامم مع أنبيائهم (هذا معنى) هذا (الحديث عند بعضهم ممن) فسره وبين المراد منه وفيه
اشارة الى كثرة ما فيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم القيامة لا يقبل نسخا ولا تبديلا
ولا يفنى كغيره من الكتب والمعجزات ومثله المتقدم المراد به نفسه كما فى قولهم مثلك لا يبخل وعليه
التذييل كما مر وعبر بالمسافيه لمن الدلالة على الاستعلاء والقهر والغلبة الملزمة بالايمان به وقال انما مع
كثرة ما له من المعجزات اشارة الى انه أعظم معجزاته والعمدة وقد قصر الشئ فى فرد كامل منه ادعاء ان
ما عداه لا عدد معه لكفايته عن غيره وقد حقق الله تعالى رجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو الظاهر)
من معنى الحديث (والصحيح ان شاء الله) وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مستوفى ثم أشار الى ان
فيه وجوها أخر بقوله (وذهب غير واحد) أى كثير (من العلماء) أى علماء الحديث (فى تأويل
هذا الحديث) أى تفسيره وبيان ما يؤول اليه وعبر بالتأويل اشارة الى انه خلاف الظاهر بعد ما صرح
به (وظهور معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى بيان وجه ظهورها (الى معنى آخر) غير
ما ارتضاه (من ظهورها) أى بيان ظهورها (بكونها) أى هذه المعجزة الباهرة (وحيا) أى كلاما موحى
اليه من الله تعالى وقوله (وكلاما) عطف تفسير لان الوحى يحتمل المعنى المصدرى ثم بين وجه الظهور وعلى
هذا فقال (لا يمكن) لاحد ممن ينكره (التخييل فيه) تفعيل من الخيال بالخاء المعجمة وفى نسخة التخييل
بالتفعيل منه والاول أنسب بقوله (ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة لانه كلام بليغ دال على معناه وما
قصد به دلالة لا يمكن لواقف عليه ان يقول انه تخييل وتمويه لا أصل له ولا ان يعمل حيلة فى الاتيان
بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه (والتشبيه) به (فان
غيرها) أى غير المعجزة القرآنية (من معجزات الرسل) كلها (قد رام) أى قصد وطلب (المعاندون)
أى المنكرون (لها) عنادا (باشياء) متعلق برام (طمعوا) أى توهموا وجعل كالمتوهم اقربه منه معنى
(فى التخييل) والتمويه (بها) باظهار ما لا حقيقة له (على الضعفاء) المراد بهم العامة الذين ضعف
عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم (كالقاء السحرة) عند فرعون جمع ساحر (حبالهم
وعصيهم) جمع حبل وعصا لابطال معجزة عصا موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصى موسى ما ألقوه
وأبطلته علموا انها معجزة فآمنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيأ (وشبه هذا)
المذكور فى قصة موسى (مما يخيله) بالمعجمة أى يلبس به ويموه (الساحر أو يتحيل فيه) بالحاء المهملة
أى يأتى بحيلة منه غير واقعة ثم أشار الى ان معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقبل ما ذكر بقوله
(والقرآن كلام) من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله (ليس للحيلة) ممن لا يقدر عليه (ولا للسحر
فى التخييل فيه) لان عمل قوة السحر ما يؤثر فى شخص لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة أو
شعرا (عمل) أى تأثير كما عرفته آنفا فان ساحرا لو أتى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ثم سحره بجميع
أنواع سحره لا يمكنه ان يقوم فى الحال منشدا أو خطيبا فانه أمر جبلى لا يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر
فتجد الجاهل الاعرابى يتكلم بكلام عند أعقل الناس وأظرفهم لا يمكنه ان يأتى بشئ منه وبهذا علم ان
الكلام لا يمكن تحيله ولا سحره فما بالك بكلام أفحم جميع الفصحاء وأخرس ألسنة البلغاء وهو المراد
بقوله (فكان) القرآن من حيث كونه كلاما (من هذا الوجه) أى من الجهة المذكورة بقطع النظر
عن غيرها من جهات الاعجاز (عندهم) أى عند المفسرين لهذا الحديث بما ذكر ثانيا (أظهر من غيره

هذا معنى الحديث) أى المذكور (عند بعضهم وهو) أى هذا المعنى المسطور هو (الظاهر) أى المتبادر (والصحيح) أى الصريح
(ان شاء الله تعالى) أى فلا يعدل عما قدمناه (وذهب غير واحد) أى كثيرون (من العلماء فى تاويل هذا الحديث
وظهور معجزة نبينا) أى وتأويل غلبة معجزة نبينا (عليه الصلاة والسلام الى معنى آخر) أى غير ما أفاده منطوقا (من ظهورها بكونها) أى من قوة معجزة نبينا بسبب كونها (وحيا) أى خفيا (وكلاما) أى جليا (لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة من الحيلة (ولا التشبيه) أى من حيث انه لا يتصور فيه التمويه (فان غيرها) أى غير معجزة نبينا (من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها) أى قصدوا الابطالها (باشياء طمعوا فى التخييل بها) أى بتلك الاشياء (على الضعفاء) أى ليتوصلوا بذلك الى ابطال معجزات الانبياء (كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم) أى فى معارضة معجزة موسى بالقاء العصا (وشبه هذا) بالرفع أى وشبيه هذا الذى فعله سحرة فرعون (بما يخيله الساحر) أى جنسه على الضعيف فى دينه وأمر
يقينه (أو يتخيل فيه) أى بطلب (الحيلة فى) دفعه انه صدق أو فى اثباته انه حق (والقرآن كلام) أى لله تعالى كما فى أصل الدلجى
كلام الله تعالى والاظهر انه أريد به هنا انه مطلق كلام أى اعجاز القرآن واقع فى كلام (ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه) أى
فى الكلام (عمل) أى مما يوجب التمويه (فكان) أى القرآن (من هذا الوجه عندهم) أى عند أرباب هذا المعنى (أظهر من غيره

من المعجزات كما لا يتم الشاعر ولا الخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل (والتمويه) أى مما يكدر أمر المعجزة وينافيه (والتاويل الاول) أى الذى هو المعول (أخلص) أى أطهر وأنص (وأرضى) عند النفوس الخاص (وفى هذا التاويل الثانى مايغمض) أى بصيغة المفعول مخففا وقال الحلبي مشددا أى يغطى (الجفن) بفتح الجيم وسكون الفاء أى غطاء العين (عليه) ويروى عنه (ويغضى) بصيغة المجهول من الاغضاء بمعنى الاغماض وفى أصل الدلجى بالفاء وهو تصحيف وتحريف كما لا يخفى والتحقيق انه لا منع من الجمع وان بناء الثانى على التدقيق والله ولى التوفيق وعلى كل تقدير ظهر الوجهان فى ثبوت المعجزة للقرآن (ووجه ثالث) أى وهنا وجه آخر وفى نسخة صحيحة وجه بدون عاطفة والمعنى وجه ثالث فى كون القرآن معجزا خارقا للعادة (على مذهب من قال بالصرفة) بفتح الصاد وقيل بكسرها وهو مذهب بعض المعتزلة والشيعة حيث قالوا صرف الله هممهم عن الاتيان باقصر سورة منه مع تمكنهم عنه (وان المعارضة) أى بمثله فى الجملة (كانت فى مقدور البشر فصرفوا عنها) أى بسلب دواعيهم لا بسلب قدرتهم كما ذكره الدلجى فانه مذهب آخر كما سياتى (أو على أحد مذهبى أهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) أى من جنس كلامهم الذى لهم القدرة عليه (ولكن لم يكن ذلك) أى الاتيان بمثله بعد من تمكنهم منه (قبل ولا يكون بعد) أى قبل التحدى ولا بعده كما ذكره الدلجى والاظهر ان المراد بقوله قبل الزمان السابق وبقوله ولا يكون بعد الزمان اللاحق الى يوم القيامة ويؤيده قوله (لان الله لم يقدرهم) أى على الاتيان بمثله قبله (ولا يقدرهم عليه) أى بعده (وبين المذهبين فرق بين) بتشديد التحتية المذكورة أى ظاهر لتمكنهم على المذهب الاول منه الا انهم صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع كونه من جنس مقدورهم

من المعجزات) لعدم قبول التخييل والتمويه (كما لا يتم) أى يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل لا عمال بخواتمها أى باواخرها (الشاعر) يتكلم بالمنظوم (ولا الخطيب) يتكلم بالمنثور (أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب) أى بشئ ونوع (من الحيل) جمع حيلة (والتمويه) أى التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من قولهم موه النحاس بذهب أو فضة لتوهم من رآه انه ذهب أو فضة وهو فى الاصل من الماء يذاب فيصير كالماء ثم يطلى به وتقول العامة لمذابه ماء لذهب وماء الفضة وصيغة فعل يكون للتشبيه كثيرا فانكار أهل المعانى لقوله أنف مسرج بمعنى كالسراج فى البريق واللمعان لا وجه له كما (والتاويل) أى التفسير (الاول) الذى قال انه الظاهر الصحيح (اخلص) أفعل تفضيل من خلص بخاء معجمة ولام وصاد مهملة أى أصفى من الكدر أى الاشكال قال فى المغرب الخلوص الصفو ويستعار للوصول انتهى وهو بمعنى أجود أو من الخلاص بمعنى النجاة والسلامة (وأرضى) أفعل تفضيل من الرضى أى أكثر رضى وقبولا عند العقول السليمة (وفى هذا التاويل الثانى) الذى ذهب اليه غيره من علماء الحديث (مايغمض) بالبناء للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطاء العين ومعنى يغمض (عليه الجفن) انه يغض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه ويعتنى به أو هو كالقذاء فى العين الذى يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض (ويغضى) بغين وضاد معجمتين وألف مبنى للمجهول لاجل قافية السجع من أغضى الجفن اذا طبقه أو بمعنى سكت وهو قريب مما قبله قبل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه وجوه أخر (ووجه ثالث) فى اعجاز القرآن وانه أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (على مذهب من قال بالصرفة) على ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضة مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان بمثله لولا ماذكر واليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة (وان المعارضة) له والاتيان بمثله (كانت فى قدرة البشر فصرفوا عنها) اما بسلب قدرتهم ودواعيهم أو بسلب علمهم بتاليف كلام مثله وتمكنهم منه (أو على أحد مذهبى أهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) على الاتيان بكلام من جنسه أى بما هو فى قدرتهم متمكنون منه (ولكن لم يكن ذلك قبل) بالبناء على الضم أى قبل ظهوره (ولا يكون بعد) بالضم وقيل المراد قبل التحدى وبعده (لان الله تعالى لم يقدرهم) بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها أى لم يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله (ولا يقدرهم عليه) بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله أشار الى الفرق بينهما بقوله (وبين المذهبين) أى مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده (فرق بين) بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع انه من جنس مقدورهم ومثله فى الجملة وليس هذا نوع من الصرفة وذهب اليه بعض أهل السنة كما توهم وهو

عجيب

(وعليهما) أى وعلى المذهبين (جميعا) أى جميعهما (فترك العرب) وفى نسخة بغير الفاء أى ترك معارضتهم الاتيان (بما فى مقدورهم)
أى فى الجملة (أو ماهو من جنس مقدورهم) أى فى الصورة (ورضاهم بالبلاء) أى العناء فى أبدانهم (والجلاء) أى عن أوطانهم وهو
بفتح الجيم الخروج من البلد (والسباء) بكسر السين ممدودا أى والسبى كما فى نسخة أى أسر اطفالهم ونسائهم وأعيانهم (والاذلال)
أى لانفسهم فى بعض الاحوال (وتغيير الحال) أى مخالفتهم من الخير الى الشر (وسلب النفوس) أى فى حال القتال (والاموال)
أى بذلها فى فك رقابهم من الاغلال (والتقريع) أى قهرا (والتوبيخ) أى زجرا (والتعجيز) أى بالاذلال
(والتهديد) أى بعظائم
النكال (والوعيد) أى
بوخائم الوبال (أبين آية)
خبر لقوله ترك والمعنى
أظهر علامة وأبهر دلالة
(للعجز عن الاتيان بمثله
والنكول عن
معارضته) أى
والاعراض والامتناع
عن معارضته نحوه (وانهم)
بكسر الهمزة ويجوز
فتحها (منعوا عن شئ
هو من جنس مقدورهم)
وفى نسخة مقدرتهم بضم
الدال وتفتح أى قدرتهم
(والى هذا) أى المذهب
الثانى (ذهب الامام أبو
المعالى) أى عبد الملك
ابن أبى محمد (الجوينى)
بالتصغير النيسابورى
وهو الملقب بامام
الحرمين الشافعية وله
اليد الباسطة فى الطول
من علمى الكلام
والاصول توفى سنة ثمان
وسبعين وأربعمائة
(وغيره) أى من علماء
أهل السنة والجماعة (قال) أى أبو المعالى (وهذا عندنا أبلغ من خرق العادة بالافعال
البديعة فى أنفسنا كقلب العصا حية ونحوها) كاخراج اليد البيضاء واحياء الموتى وغيرهما (فانه قد يسبق الى بال الناظر) أى قلب
المتامل (بدارا) بكسر الباء أى مبادرة ومسارعة من أول وهلة قبل التامل فى حقيقة أمره وخفية سره (ان ذلك) أى ماذكر من قلب
العصا حية ونحوها (من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة فى ذلك الفن وفضل علم) أى فى ذلك النوع كما توهم فرعون حيث قال
انه لكبيركم الذى علمكم السحر (الى ان يرد ذلك) أى السابق الى بال الناظر مما ذكر من وهم الخاطر (صحيح النظر) أى فيتحقق الفهم
ويضمحل الوهم ويتبين ان قلب العصا حية ونحوها مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل فاعل القوى والقدر

عجيب من قائله قدير (وعليهما جميعا) أى على هذين القولين (فترك العرب) الفصحاء على المذهب الاول
(الاتيان بما فى مقدورهم) أى قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله أو مثل بعضه كاقصر سورة منه (أو)
تركهم على الثانى (ما هو من جنس مقدورهم) أى من جنس كلامهم البليغ الذى يقدرون عليه
(ورضاهم) أى اختيارهم (بالبلاء) أى بما ابتلوا به لعنادهم (والجلاء) بفتح الجيم واللام والمد بوزن
البلاء وهو اخراجهم من ديارهم وأوطانهم (والسباء) بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبى
أولادهم وأهاليهم واسترقاقهم (والاذلال) لانفسهم وأهاليهم (وتغير الحال) التى كانوا عليها من العزة
والشهامة (وسلب النفوس) بالقتل وانفاك فيهم (والاموال) باخذ الغنائم منهم (والتقريع) باللوم
والزجر والتعيير (والتوبيخ) بذمهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل (والتعجيز) باظهار عجزهم
بالتحدى (والتهديد) لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والآخرة (والوعيد) بما يقع بهم ان لم يؤمنوا (أبين آية)
أى أظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب (للعجز عن الاتيان بمثله) أى بمثل القرآن فى فصاحته
واعجازه (والنكول) وهو النكوص أى الرجوع والاعراض (عن معارضته) أى الاتيان بمثله
(وانهم منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم) أى كلامهم الذى يقدرون عليه لا من نوعه المشابه له
من جميع الوجوه (والى هذا) المذهب وهو انهم قادرون على شئ من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة
وهذا هو الفرق بين القولين (ذهب) أى اختاره مذهبا (الامام أبو المعالى الجوينى) منسوب الى
جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام أهل السنة عربا وعجما فرد الامة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف
النيسابورى الشافعى امام الحرمين اعلم أئمة الشافعية وهو ولد ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة
وأربعمائة وتوفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر (وغيره) من
أهل السنة (قال) أبو المعالى (وهذا) الاعجاز (عندنا أبلغ) أى أقوى وأكثر مبالغة (فى خرق العادة
بالافعال البديعة) أى المبتدعة الغريبة (فى أنفسها) أى فى حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة وفى نسخة فى
أنفسنا وهو متعلق بابلغ (كقلب العصا حية) لموسى عليه الصلاة والسلام وكانت من شجر اللوز وفيها
معجزات كانت تثمر له وتضئ وينتفع بها الى غير ذلك مما فصلوه (ونحوها) كاليد البيضاء وابراء
الابرص والاكمه واحياء الموتى (فانه) أى الامر الشان أو كونه أبلغ (قد يسبق الى بال الناظر) فيها
وفكره وخاطره (بدارا) أى مبادرا بسرعة فى أول نظره (ان ذلك) الامر البديع الخارق للعادة نشأ (من
اختصاص صاحب ذلك) الامر الذى ظهر على يديه (بمزيد معرفة) أى بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم
يقدر عليها (فى ذلك الفن) أى النوع الذى كان يعتنى به أهل زمانه (وفضل علم) به وأحواله (الى ان يرد
ذلك) الخاطر الذى سبق لفهمه (صحيح النظر) بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ثم بين أبلغيته

(وأما التحدى للخلائق) أى طلب المعارضة منهم باعتبار السابق اللاحق (المئين) وفى نسخة مئين جمع مائة وفى نسخة فى المئين (من السنين بكلام ومن جنس كلامهم ليأتوا بمثله) أى على وفق مرامهم (فلم يأتوا) أى الخلائق بتمامهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة ثم عدمها) أى بترك المناقضة (الا ان منع الله الخلق عنها) أى عن المعارضة لاحد الوجوه الثلاثة فى بيان المعجزة (بمثابة ملو قال نبى) أى وقد طلب منه آية وعلامة دالة على صدق دعواه للنبوة (آيتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم) وفى نسخة مع مقدرتهم (عليه وارتفاع الزمانة عنهم) أى عن بعضهم للاستواء فى حال عجزهم ولا يبعد ان تكون الواو بمعنى أو التنويعية (فلو كان ذلك) أى الذى قال ذلك النبى (وعجزهم الله عن القيام) أى فى ذلك المقام (لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة) أى فى اقامة البرهان وابانة التحقيق (والله التوفيق) ونظيره قوله تعالى لزكريا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (وقد غاب عن بعض العلماء) أى خفى عليه (وجه ظهور آيته) أى معجزته التى هى القرآن (على سائر آيات الانبياء) أى فى باقى الازمان ولم يدر انها ببقائها معلومة لكل واحد فى كل أوان متلوة بكل مكان (حتى احتاج للعذر عن ذلك) أى الذى زعمه من عدم ظهورها هنالك (بدقة افهام العرب وذكاء ألبابها) أى شدة فطانة فهومهم وحدة علومهم معناها (ووفور عقولهم) أى وكثرة تعلقهم وتأملهم (وانهم أدركوا المعجزة فيه) أى فى القرآن (بفطنتهم) أى ما ألجأهم الى الاعتراف بكونه من معجزتهم (وجاءهم من ذلك) أى مما أدركوا فيه هنالك (بحسب ادراكهم) بفتح السين أى بمقتضى ادراكاتهم لغاية فصاحته ونهاية بلاغته (وغيرهم) مبتدأ أى وغير العرب (من القبط) أى قوم فرعون (وبنى اسرائيل) أى موسى (وغيرهم) أى ممن بعدهم ماعدا العرب (لم يكونوا بهذه السبيل) أى بهذه الطريقة من دقة الفهم وذكاء الفطنة

وقوته بقوله (وأما التحدى) أى طلب معارضة الكلام أو تقدم انه مشتق من الحدا التقابل الحداة فى حداتهم للابل (للخلائق) جمع خليقة بمعنى خلق (مئين) بكسر الميم جمع مائة (من السنين) فى عصر النبوة وبعده الى غير النهاية (بكلام من جنس كلامهم) المقدور لهم (ليأتوا بمثله) علة للتحدى (فلم يأتوا) أى لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقد بخوا وعيروا على رؤس الاشهاد (ولم يبق بعد توفر الدواعى) أى كثرة ما يدعوهم لمعارضته و يحثهم عليها من الحمية الجاهلية (على المعارضة ثم عدمها) أى المعارضة مع كثرة دواعيها (الا ان منع الله الخلق عنها) بالصرفة أو بعدم القدرة على نوعه دون جنسه فيصدق على المذهبين وفى نسخة الا منع الله الخ (بمثابة) أى هذا المنع بمنزلة واصل المثابة المكان الذى يرجع الناس اليه أو يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما أشار اليه الراغب وقيل أصله مبلغ جموم البئر والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقهاء على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو (ما لو قال نبى آيتى ومعجزتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم) بان لا يكونوا مقعدين وهو بيان لقدرتهم على القيام والمقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم (فلو كان ذلك) أى عدم قيامهم (وعجزهم) بتشديد الجيم أى جعلهم الله عاجزين عنه (لكان ذلك من أبهر آية) أى أقوى معجزة (وأظهر دلالة) على نبوته (والله التوفيق) فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه واختلافهم من آخر (وقد غاب عن بعض العلماء) أى خفى عليهم لان من شان الغائب ان يخفى فاريد به لازمه (وجه ظهور آيته صلى الله تعالى عليه وسلم) ولتضمينه معنى العلو قال (على سائر آيات الانبياء) الذين سلفوا قبله (حتى احتاج للعذر عن ذلك) أى عن كون معجزته أظهر من معجزات غيره مع ان أحياء الموتى ونحوه من آيات الانبياء قد يتوهم انه أقوى وأظهر (بدقة أفهام العرب) أصل معنى الدقة كون الشئ دقيقا ثم استعير للوقوف على ما خفى من الامور (وذكاء ألبابها) جمع لب وهو العقل الخالص والذكاء قوة للذهن تقتضى سرعة الانتقال (ووفور عقولها) لوفور من الوفرة وهى الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة يعنى ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر كما توهم مع انه لا يرد على المصنف رحمه الله تعالى لانه حكاه عن غيره (وانهم) لما خصوا به من الذكاء والفطنة (ادركوا المعجزة فيه) أى فى القرآن لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه واتساقه (بفطنتهم) أى قوة ذكائهم (وجاءهم من ذلك) أى حصل فى نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره (بحسب ادراكهم) بفتح السين أى حصل منه على مقدار ادراكهم وقوته (وغيرهم) من الامم (من القبط) القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم فرعون بمصر (وبنى اسرائيل) أى أولاد يعقوب بن ابراهيم واسرائيل لقب يعقوب (وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل) أصل

(بل كانوا من الغباوة) بفتح الغين المعجمة وهي عدم الفطنة وكمال الجهالة (وقلة الفطنة) أي في بعض النسخ (بحيث جوز عليهم) أي على عقولهم (فرعون انه ربهم) كما قال الله تعالى حكاية عنه أنا ربكم الاعلى وقد قال عز وجل فاستخف قومه فأطاعوه وأضل فرعون قومه وما هدى (وجوز عليهم السامري) كان من عظماء بني اسرائيل واسمه موسى بن ظفر (ذلك) أي كون ظهور ربهم (في العجل فعبدوه بعد ايمانهم) أي بعد وجود ايقانهم (وعبدوا) أي طائفة من بني اسرائيل (المسيح) أي عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه ومقتله) أي اليهود (وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي كما أخبر الله عنهم والمعنى صلبوا من ألقي عليه الشبه بعد قتله كما قال تعالى وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه (فجاءتهم) أي اليهود (من الآيات الظاهرات البينة) أي الواضحة (للابصار) أي المتفتحة (بقدر غلظ أفهامهم) أي وغلظ أوهامهم (ما) فاعل جاء وفي نسخة ما (لا يشكون فيه ومع هذا) أي المجيء بالامور الظاهرة والاحوال الواضحة (قالوا) وفي نسخة فقالوا أي خطابا لنبيهم كما حكى الله عنهم بقوله تعالى واذ قلتم ياموسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أي معاينة ظاهرة (ولم يصبروا على المن والسلوى) أي على أكلهما وجعلوا الترنجبين من الحلوى والسماني من طير الشوى طعاما واحدا وقالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذي هو أدنى) أي أقرب الى الدناءة وأدون في المقدار والمرتبة كالبقل والقثاء والفوم والعدس (بالذي هو خير) أي في المرتبة واللذة وعدم الحاجة الى الكد والمشقة وأقرب الى الحيلة (والعرب على جاهليتها) أي على حالتها التي كانت عليها قبل ظهور النبوة من الجهل بامور الشريعة وأحوال الديانة (أكثرها يعترف بالصانع) بل جميعها كما هو ظاهر قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولذا جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد وهو ان يقولوا لا اله الا الله لا بان يقولوا الله موجود لان هذا مما اجمع عليه أهل الملل والنحل ولا يلزم من قول بعضهم حيث قالوا وما يهلكنا الا الدهر ان الدهر خالقهم اذ لم يقل به أحد منهم بل أرادوا به ان طول الزمان ودورة لدوران يقتضي ان يحيي بعضنا ويموت بعضنا فنسبوا بعض الافعال الى الدهر كما قد يتفوهون به أهل العصر وقد قال الله تعالى أنا الدهر أي خالقه أو المتصرف فيه

معناه الشريف وههنا كناية عن عدم ذكائهم وفهمهم كما عرب ونفي سبيل الشيء أبلغ عن نفيه (بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة) الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورجل غبي جاهل قال ليس الغبي بسيد في قومه ❊ لكن سيد قومه المتغابي (بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم) حيث رفع بكان هو خبر كان أي بلغت غباوتهم ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا بالنسبة للقبط (وجوز عليهم السامري) وهو رجل من بني اسرائيل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر (ذلك في العجل) أي انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر (بعد ايمانهم) بالله تعالى فاضلهم السامري وكان من أهل كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلي وزينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من أثر فرس ركبه جبريل عليه الصلاة والسلام فكان يتحرك فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخذ الطريق اليه خطأ كي يكلمه كما كلمه فاتبعوه لسخافة عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم (وعبدوا) أي بنو اسرائيل (المسيح) عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه) واذا كان ربا كيف يصلب مع انه اعتقاد باطل (ومقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي ألقي شبهه على رجل اسرائيلي فظن اليهود انه عيسى عليه السلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم (فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار) أي لعدم دقة أفهامهم كانت آياتهم في غاية الظهور وتدرك بالبصر (بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه) فاعل جاء وعدم شكهم لظهور ما جاءهم (ومع هذا) الظهور (فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أي معاينة بابصارنا شكهم فيما أتاهم به وتفصيله في التفاسير غني عن البيان (ولم يصبروا) أي بنو اسرائيل (على المن) وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار فيجمعونه ويأكل (والسلوى) وهو طائر كالسماني واحده سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام أخرجتنا من العمران للقفر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سألوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم بالسلوى فكانوا ياخذونها بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذي هو أدنى) أي طلبوا بدلا أدنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل (بالذي هو خير) وهو المن والسلوى والباء داخلة على المتروك وفيه تفصيل أفردناه بتأليف (والعرب على جاهليتها) أي على حالها التي كانت عليه قبل الاسلام من الجهل وانها أمة أمية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل انها مستعارة لتمكنهم في الجهل كقوله على هدى من ربهم (أكثرها يعترف بالصانع) أي بوجوده تعالى وليست معطلة كبعض الامم واطلاق الصانع على الله تعالى صحيح ثبت في السنة كما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى وليس مما أحدثوه وفي قوله أكثرها اشارة الى ان بعضهم فرقة دهرية قالوا

(وانما كانت) أى العرب (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) أى تقربا كما قال الله تعالى حكاية عنهم مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ومنهم من آمن بالله وحده) أى وسفه من عبد غيره (من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من قبل ارساله (بدليل عقله وصفاء لبه) أى آمن بتوحيد ربه كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وكذا ورقة بن نوفل الا انه أدرك البعثة وآمن به وتشرف بالصحبة (ولما جاءهم) أى العرب (الرسول بكتاب الله) وهو القرآن الكريم والفرقان القديم (فهموا حكمته) أى لحدة فطنتهم وشدة معرفتهم (وتبينوا بفضل ادراكهم) أى بزيادة قابليتهم وأهليتهم (لاول وهلة معجزته فآمنوا به) أى بعضهم أولا وجلهم آخرا (وازدادوا كل يوم ايمانا) أى واكتسبوا بوما فيوما احسانا وايقانا (ورفضوا الدنيا) أى تركوها (كلها) أى مالها وجمالها (فى صحبته) أى وبيمن همته وبركة متابعته (وهجروا ديارهم وأموالهم) أى وفارقوهما باختيارهم (وقتلوا آباءهم وأبناءهم) أى وسائر أقاربهم وأحباءهم ٣٠٠ (فى نصرته) أى فى نصرة دينه وقوة يقينه (وأتى) أى وأورد ذلك البعض من العلماء (فى معنى هذا) أى المبنى من عبارات البلغاء واعتبارات الفصحاء واشارات العقلاء (بما يلوح له رونق) أى بما يلمع له ضياء ويلمح له صفاء (ويعجب منه) بصيغة المفعول أى ويبرق من أثره وظهور أمره (زبرج) بكسر الزاى والراء بينهما موحدة ساكنة وفى آخره جيم أى زينة من ذهب أو جوهر أو وشى (لو احتيج اليه) أى الى كلامه (وحقق) أى أمره فى مرامه (لكنا) يروى فقد (قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها) أى ووضوح أمرها (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها) مثل معقولات المعانى بمحسوسات المبانى وقصد الاستغناء عن هذا الاستعلاء * (القسم ونحن نقول لا منع من الجمع فان الآيات والمعجزات لكل منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع (ورضى الله تعالى عنهم اجمعين وبالله استعين) أى فى كل وقت وحين (وهو حسبنا) أى كافينا ووافينا وشافينا (ونعم الوكيل) أى اعتمادا واستنادا معاشا ومعادا باطنا وظاهرا وأولا وآخرا * والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وعلى آله وصحبه نجوم الاقتداء والاهتداء وعلى أتباعهم من العلماء والاولياء والحمد لله الذى هدانا لهذا واغنانا عما سواه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله * اللهم أختم لنا بالخيرات أعمالنا وبالمبرات آجالنا وبالمسرات أحوالنا وأغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات انك قريب مجيب الدعوات آمين يارب العالمين ويا ارحم الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * وقد تم نصف الكتاب بعون الملك الوهاب ويليه القسم الثانى الذى ليس له ثانى فى هذا الباب عند ارباب الالباب والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب حرره مصنفه الجانى فى أوائل جمادى الثانى من شهور عام عشرة بعد الالف السابع من عالم المبانى رحمه الله تعالى رحمة واسعة بمنه آمين

ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب (وانما كانت) عبدة الاصنام منهم (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) ولا تدعى انها خالقة رازقة وزلفى مقصور بمعنى الحظوة من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظه (ومنهم من آمن بالله وحده من قبل بعثة (الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية كابن نفيل وقس بن ساعدة وامية بن أبى الصلت (بدليل عقله وصفاء لبه) الذى هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر فى مصنوعاته

وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد

(ولما جاءهم الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم أى بعثه الله تعالى ليهديهم الى الله تعالى (بكتاب الله تعالى) المنزل عليه (فهموا حكمته) أى ما فيه من الحكم والعلوم النافعة (وتبينوا الفضل ادراكهم) وزيادة عقلهم (لاول وهلة) أى فى أول نظرة بالبديهة منهم يقال لقيته أول وهلة بسكون الهاء وفتحها أى أول شئ ولام لاول توقيتية أى عند أول وهلة (معجزته) يعنى القرآن (فآمنوا) به (وازدادوا كل يوم ايمانا) وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر فى علم الكلام (ورفضوا) أى تركوا (الدنيا كلها فى صحبته) أى لاختيار صحبته على كل شئ (وهجروا ديارهم وأموالهم) طلبا لرضاء الله تعالى ورضاه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقتلوا آباءهم وابناءهم) المعاندين له لاجل نصرته واعزاز دينه (فى نصرته) فى هنا تعليلية (وأتى) هذا القائل الذى غاب عنه ما تقدم (فى معنى هذا) وزعم ان ظهور آياته لما قاله (بما يلوح له رونق) أى يظهر له لفظ حسن (ويعجب منه زبرج) بكسر الزاى المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وجيم وهى الزينة والوشى الذى هو كالطلاء وفيه اشارة الى عدم قوله لضعفه ولذا قال (لو احتيج اليه وحقق) أى بينت حقيقته (لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا) صلى الله عليه وسلم (وظهورها) من غير حاجة لما ذكره من ذكاء العرب وفهمهم (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك) أى ادعاء مثل هذه الامور الخفية (وظهورها) أى ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر (وبالله استعين) والحمد لله وحده وصلى الله تعالى على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه وسلم كثيرا دائما

بسم الله الرحمن الرحيم ذى الجلال والاكرام الذى يجب ان يبدأ بذكره المرام ويختم بشكره الكلام * (القسم الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام) * أى القسم الثانى من كتاب الشفا فى حقوق المصطفى فى بيان ما يجب على المكلفين من حقوق خاتم النبيين وسيد المرسلين (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (هذا) أى القسم الثانى (قسم) أى عظيم (لخصنا فيه الكلام) أى اقتصرنا واختصرنا (فى أربعة أبواب على ما ذكرناه) أى وفق ما قررناه وحررناه (فى أول الكتاب ومجموعها) أى مجموع أبواب هذا القسم الاربعة (فى وجوب تصديقه عليه

الصلاة والسلام) أى الايمان به فيما جاء به عن ربه (واتباعه فى سنته) أى فى وجوب متابعته فى شريعته وطريقته وحقيقته (وطاعته) أى وفى وجوب امتثال أوامره واجتناب زواجره كما بينه فى فصول الباب الاول (ومحبته) أى وفى وجوب محبته وجعل محبته تابعة لمحبته كما ورد لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به لان محبته سبب لمتابعته ومتابعته علامة لمحبة الله تعالى ابتداء ومحبة الله تعالى اياه انتهاء كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله كما بينه فى فصول الباب الثانى (ومناصحته) أى وفى وجوب قبول نصحه له فى أمره ونهيه ونصحه لرسوله ودينه كما ورد الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم وقد أوضحنا معنى هذا الحديث فى شرح الاربعين والمناصحة مفاعلة للمبالغة قصد هنا منها المبالغة فى النصح وهو الخلوص لغة والنصيحة فى الشريعة كلمة يعبر بها عن جملة هى ارادة الخير للمنصوح له (وتوقيره) أى وفى وجوب تعظيمه لقوله تعالى وتعزروه وتوقروه كما بينه فى فصول الباب الثالث (وبره) أى وفى وجوب الاحسان باهل وده والقيام بحكمه وأمره (وحكم الصلاة عليه والتسليم) أى وفى وجوب حكمهما من وجوب وغيره (وزيارة قبره) أى وفى بيان زيارة قبره وما يتعلق به كما بينه فى الباب الرابع وهذا الامر اجمالى سيرد عليك القدر التفصيلى فى ضمن الابواب وفصولها بالوجه التكميلى * (الباب الاول) * (فى فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم) أى فى بيان فرضية تصديقه فى المعتقدات وفى وجوب طاعته فى الواجبات

* (القسم الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام) *

الوجوب الشرعى ما يلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام (وهذا قسم) من الاقسام الاربعة التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى (لخصنا الكلام فيه) أى اختصرناه من غيره من الكتب ونقحناه وسهلناه (فى أربعة أبواب على ما ذكرناه فى أول الكتاب) فى اجماله ما اشتمل عليه وفهرسته (ومجموعها) أى مجموعها وجملتها من قولهم جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة (فى وجوب تصديقه) عليه الصلاة والسلام فى كل ما جاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بسائر الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه خصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه أشرفهم وخاتمهم (واتباعه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى الاقتداء به فيما ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه أى ان يجب اتباعه فى وجوب الواجب وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغى تقييده بالواجب لا المسنون (وطاعته) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والطاعة كما قاله الراغب الانقياد وضدها الكره قال الله تعالى ائتنا طوعا أو كرها وأكثر ما يقال [illegible] انتهى فلذا عطفها على الاتباع فانه قد يكون كرها فمن قال فى الفرق ان المتبع مطلوب الاختيار مع المطاع وفى الصحاح فلان مطيع لك أى منقاد لم يصب فى مدعاه واستدلاله (ومحبته) بان يكون صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه من نفسه وأهله وماله والمحبة الميل النفسانى وهى معروفة (ومناصحته) وهى لغة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح وسيأتى وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها أبلغ ولان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نصح الامة وبالغ فى نصحهم (وتوقيره) أى تعظيمه والتأدب معه بما هو لائق به صلى الله تعالى عليه وسلم (وبره) صلى الله تعالى عليه وسلم ببذل ما فى وسعه من المال وغيره من أمور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغى تركه لانه طاعة لا وجه له (وحكم الصلاة عليه والتسليم) من الوجوب ومحله (وزيارة قبره) أى وحكم زيارة قبره الشريف (عليه الصلاة والسلام) وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلهما مستمر دونهما وتعبيره لانه فى بيته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا حكمة دفنه فيه دون المقابر

* (الباب الاول) *

تقدم وجه تقديمه (فى فرض الايمان به) صلى الله تعالى عليه وسلم عبر فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا فرض الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد بالتصديق الايمان لانه معناه اللغوى والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعى بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين فى الاصول (ووجوب طاعته) أتى بوجوب هنا لما ذكرناه والاشارة الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا وجه لما قيل انه لا حاجة اليه وانه ينبغى تقديمه (واتباع سنته) أى طريقته التى سنها صلى الله تعالى عليه وسلم

واستحباب متابعته في المستحبات أو التقدير وفي وجوب اتباع شريعته التي تعم جميع الحالات وفي المغايرة بين الفرض والوجوب ايماء
بان الاول ركن الدين ومهماته والاخيران من مكملاته ومتمماته ولا يلزم من عدمهما فقد الاول بخلاف العكس فتامل (اذ تقرر
بما قدمناه) أي في ضمن ما تحرر (ثبوت نبوته) أي بظهور معجزاته (وصحة رسالته) أي بوضوح آياته (وجب الايمان به) لانه فرع
ثبوتهما كتوقف المشروط على الشرط (وتصديقه فيما أتى به) أي من عند ربه تعالى من جهة الوحي الجلي أو من طريق الوحي الخفي
والمعنى وجب تصديقه بجميع ما في الكتاب والسنة وان كان وجوب تصديقه من جهة السنة ثابتا بالكتاب أيضا لقوله تعالى وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا أي من مخالفته فيما أمر به ونهيا
عنه وبما قررنا ظهرت المغايرة في العطف واما كونه عطف تفسير كما ذكره الدلجي رحمه الله تعالى عند من يقول الايمان
هو التصديق فقط فلا وجه له لان المحققين على ان الايمان هو التصديق والاقرار شرط لاجراء أحكام الاسلام والاعمال شرط الكمال بخلاف المعتزلة والخوارج حيث ادخلوا الاعمال في اجزاء الايمان وعلى كل تقدير فيفرق بين الايمان برسالته عليه الصلاة والسلام وتصديق ماجاء به من الاحكام حتى لايحرم الحلال ولا يحلل الحرام (قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله) وهو الفرد الاكمل والنبي الافضل (والنور الذي أنزلنا) أي القرآن المشبه بالنور
الفرقان بين الحق والباطل والبرهان المزيل لظلمات الشكوك والظنون والاوهام الحاصلة للجاهل والغافل
وسمي نورا لانه باعجازه بنفسه مظهر ما فيه لغيره (وقال انا أرسلناك شاهدا) أي بتصديق من بعثت اليهم وخلاصهم وهدايتهم
وبتكذيبهم وضلالتهم (ومبشرا) أي بالجنة ونعيمها للمؤمنين (ونذيرا) أي بالنار (وأليمها للكافرين لتؤمنوا) قرئ بالخطاب والغيبة
في السبعة أي لتصدقوا (بالله ورسوله) قال الدلجي رحمه الله تعالى الخطاب له ولامته أي على سبيل التغليب أولهم تنزيلا لخطابه منزلة
خطابهم انتهى والاظهر ان الضمير للامة على قراءة الخطاب والغيبة كما يدل عليه سياق الكلام والله أعلم بحقيقة المرام (وقال تعالى
فآمنوا بالله) أي بذاته وصفاته (ورسوله) أي الثابت رسالته بمعجزاته (النبي) أي الجامع بين نعتي الرسالة والنبوة التي هي عبارة
عن ولايته باخذها الفيض السبحاني وبفيد النوع الانساني (الامي) أي المنسوب الى أم القرى وهي مكة المكرمة كما قال تعالى لتنذر
أم القرى ومن حولها أو المنسوب الى أمة العرب التي غالبها لم يقرأ ولم يكتب كما ورد انا امة أمية لانكتب ولا نحسب الحديث أو المنسوب
الى الام يعني على الوصف الذي خرج به من بطن أمه ما كتب شيأ من القراءة والكتابة ونحوهما وفيه ايماء الى انه على أصل
الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وكما ورد كل مولود يولد على الفطرة (الآية) أي الى آخرها وهو قوله تعالى (الذي
يؤمن بالله وكلماته) أي بما أنزل عليه وعلى غيره من الرسل أو باسمائه وصفاته (واتبعوه) في مأموراته ومنهياته (لعلكم تهتدون)
تفوزون بما تسعدون ببركاته (فالايمان بالنبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واجب) أي امتثالا للامر به (متعين) أي لايمكن التخلص

وشرعها فهو بالمعنى اللغوي فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله أولا اتباعه ولم
يعد في لانه غير مغاير لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغي ذلك (اذا تقرر) وثبت (بما
قدمناه) في هذا الكتاب (ثبوت نبوته) بالوحي اليه (وصحة رسالته) لجميع الخلق وآخرها لانها أخص
وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من غيرهم
ادعى عدم عموم رسالته (وجب الايمان به وتصديقه في) جميع (ما أتى به) وأخبر به ومنه الايمان بالله
ورسله وكتبه وغيرها انه لم نقل ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم الدور كما ارتضاه
بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية كما حقق في كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى مقدم
على الايمان بالرسل والايمان بالرسل متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من آمن به وجب عليه طاعته
بامتثال ماجاء به من الشرائع انتهى وفيه نظر (قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم
(والنور الذي أنزلنا) يعني ما أوحي به اليه صلى الله عليه وسلم من الشريعة وهذا هو المناسب لما قبله وقيل
المراد به القرآن اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كما ذكر أو
لانه يهتدى به والامر للوجوب والاستدلال بالآية ظاهر (وقال تعالى انا أرسلناك شاهدا) على من صدق
وكذب ليثاب أو يعاقب (ومبشرا) لمن آمن بسعادة الدارين وحذف المبشر به تفخيما لتذهب نفس
السامع كل مذهب كما في قوله تعالى (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا لمن عصاك (لتؤمنوا بالله ورسوله)
الخطاب في انا أرسلناك له صلى الله عليه وسلم ولام لتؤمنوا لام كي وقيل تحتمل ان تكون لام أمر وهو بعيد
وقرئ ليؤمنوا بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام بيناه في
حاشية القاضي والاستدلال بالآية على التعليل لان الانذار يقتضي وجوب اتباعه على انه في غنية عنه
بما قبله وبعده من قوله (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية) أي الذي يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر به في القرآن في آيات كثيرة (فالايمان بالنبي محمد
صلى الله عليه وسلم واجب) لامر الله به مرارا (متعين) أي فرض عين لا فرض كفاية فيجب

الاعتراف

عن حكمه (الا يتم) أي لانه لا يتم لاحد (الايمان) أي الشرعي (الا به) أي الا بالايمان به أو الا بسببه (ولا يصح الاسلام) أي استسلام لاحكام (الا معه) أي الا مع الايمان به أو معه وافقه فيه زيادة في حكم به وفي نسخة يمان والاسلام بتنكيرهما ثم هذا بناء على تغايرهما حقيقة واتحادهما شريعة (قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) قيل وضع الظاهر موضع الضمير ليدل بان من لم يجمع بين الايمانين فهو كافر وعندي ان الاظهر في المعنى ان قال وأعتدنا للكافرين منهم ومن غيرهم فيكون المعنى الاعم هو الاتم أو المعنى أعتدنا لمن مات على كفره لتكون الآية جامعة بين النذارة والبشارة وهذا الملاحظ أولى لانه يشتمل الكل كما لا يخفى (حدثنا أبو محمد الخشني) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين نسبة الى قبيلة خشينة وقد تقدم وفي نسخة زيد الفقيه وقوله (بقراءتي عليه) أي لا بمجرد سماعي لديه (ثنا) أي قال حدثنا (الامام أبو علي الطبري) بفتح مهملة وموحدة (ثنا) أي حدثنا (عبد الغافر الفارسي) بكسر الراء وسكون وفي نسخة القاري وهو تصحيف وقد تقدم أيضا (ثنا) أي حدثنا (ابن عمرويه) بفتح مهملة وسكون ميم وفتح راء وواو وسكون تحتية وكسرها وضبط أيضا بضم راء وسكون واو وفتح تحتية وفوقية مفتوحتين وهو الجلودي وقد تقدم (ثنا) أي حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم ابن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسين) رحمه الله تعالى عليه هذا هو مسلم صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (أمية) بالتصغير (ابن بسطام) بكسر الموحدة وفتحها يصرف وقد يمنع (ثنا) أي حدثنا (يزيد بن زريع) بضم الزاي مصغرا أخرج له الائمة الستة (ثنا) أي حدثنا (روح) بفتح الراء أخرج له (الائمة) الستة ما عدا الترمذي رحمه الله (عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب) أحد علماء المدينة روى عنه شعبة ومالك وأخرج له مسلم والاربعة (عن أبيه) هو عبد الرحمن بن يعقوب الجهني أخرج له مسلم والاربعة (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت) أي أمرني الله تعالى اذ لا آمر له سواه (ان أقاتل الناس) أي بمقاتلة الكفار وهو عام خص منه من أقر بالجزية (حتى يشهدوا أن) أي انه (لا اله الا الله) استثناء من الكثرة المفهوم من اله اذ مفهومه كلي في الذهن يتوهم منه الكثرة في الخارج مع انه ليس هناك الا واحد واجب الوجود الموصوف بنعوت الكرم والجود وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله (ويؤمنوا بي وبما جئت به) أي بما أمرني ربي أو الهمني في قلبي (فاذا فعلوا ذلك) أي آمنوا بهما والتزموا أحكامهما أو اذا فعلوا ما أقاتلهم لاجله

لاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق بالجنان فلا بد منهما شرعا (اذ لا يتم) ولا يصح (ايمان) لاحد بالله (الا به) أي الا بالايمان برسوله عليه الصلاة والسلام وبكل ما جاء به (ولا يصح اسلام الا معه) أي مع الايمان بالله والايمان بالرسول بعينه وليس هذا مبنيا على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو تأكيد لما قبله لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لا يكون مؤمن الا وهو مسلم ولا مسلم الا وهو مؤمن لقوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) وفي الآية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله فينتفي بانتفاء أحدهما التفريع قوله فانا أعتدنا الخ عليه (حدثنا أبو محمد الخشني بقراءتي عليه) وهو حديث صحيح رواه مسلم والبخاري والخشني بضم الخاء والشين المعجمتين ونون وياء نسبة تقدمت ترجمته قال (حدثنا الامام أبو علي الطبري) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبد الغافر الفارسي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن عمرويه) الجلودي وقد تقدم وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الراء وضمها وان مثله صيغة تصغير عند أهل البصرة تمولد قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي مسلم قال (حدثنا أبو الحسين) هو الامام مسلم القشيري صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا أمية بن بسطام) بكسر الباء الموحدة وفتحها وفيه الصرف وعدمه توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو امام جليل أخرج له الشيخان والنسائي قال (حدثنا يزيد بن زريع) بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ أبو معاوية البصري كما تقدم قال (حدثنا روح) بفتح الراء المهملة والواو الساكنة وحاء مهملة وهو ابن القاسم التميمي البصري الامام الثقة مات سنة احدى وخمسين ومائة (عن العلاء) بفتح العين المهملة والمد (ابن عبد الرحمن بن يعقوب) عالم المدينة وهو أبو شبل مولى الحرقة أخرج له مسلم وأصحاب السنن (عن أبيه) عبد الرحمن (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت) ببناء المجهول أي أمرني الله اذ لا آمر له صلى الله تعالى عليه وسلم سواه (ان أقاتل الناس) أي بان أقاتلهم ومحله بعد حذف الجار نصب أو جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية (حتى يشهدوا أن لا اله الا الله) غاية لقتالهم ينتهي به ويتخصص بالغاية (ويؤمنوا بي) أي بكوني نبيا رسولا (و) يؤمنوا (بما جئت به) من الله وأوحاه اليه من شريعته التي أمر بتبليغها وتكليفهم بها (فاذا فعلوا ذلك) المذكور

(عصموا مني دماءهم) أي منعوها فلا يجوز سفك دمائهم وأخذ أموالهم بسبب من الاسباب (الابحقها) أي الابحق يتعلق بها كقتل نفس بعدوان وزنى بعد احصان وكفر بعد ايمان كما ورد ويلحق بها ترك صلاة وزكاة بتأويل باطل فيهما (وحسابهم على الله) أي فيما يسرونه من كفر ومعصية فالحكم بالايمان لظواهرهم والله متول لسرائرهم والحديث هذا قد أخرجه القاضي كما ترى من عند مسلم وهو في الايمان ورواه البخاري رحمه الله تعالى أيضا وفي رواية أخرجها الستة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال السيوطي وهو متواتر ولفظه أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الابحقها وحسابهم على

الله وفي رواية عن أنس رضي الله تعالى عنه قيل وما حقها قال زنى بعد احصان أو كفر بعد اسلام أو قتل نفس فيقتل بها (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (والايمان به) أي بالنبي عليه الصلاة والسلام (هو تصديق نبوته) أي انبائه عن الحق (ورسالة الله تعالى له) أي الى الخلق والاضافة فيهما بمعنى الباء أو في أي تصديقه بهما أو فيهما وهذا باعتبار ذاته وصفاته (وتصديقه فيما جاء به) أي من معتقداته (وما قاله) أي وفي جميع مقولاته من مأموراته ومنهياته (ومطابقة تصديق القلب بذلك) أي بما ذكر (شهادة اللسان) بالنصب وقيل بالرفع أي اقراره (بانه رسول الله) أي الى جميع افراد الانس والجن أو الى الخلق كافة (فاذا اجتمع)

أي في العبد (التصديق به بالقلب) وهو حقيقة الايمان (والنطق) أي معه (بالشهادة بذلك) ما
أي بما ذكر (باللسان) أي وبالاقرار الذي هو شطر أو شرط على خلاف بين الاعيان (تم) أي كمل (الايمان به) أي بالجنان (والتصديق له) أي باللسان (كما ورد في هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (نفسه) أي بعينه الا انه (من رواية ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما أي لا من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أمرت ان) أي بان (أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) الحديث أخرجه الشيخان وقد سبق ان هذا اللفظ جاء من طريق أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضا وقد رواه أصحاب الستة عنه الا انه بلفظ اني رسول الله (وقد زاده) أي النبي عليه الصلاة والسلام (وضوحا

من الشهادة والتصديق لما جاء به والتزام أحكام شريعته (عصموا) أي صانوا وحفظوا (مني دماءهم) بعدم المقاتلة لهم (وأموالهم) فلا تؤخذ بالغنائم ولا بسبب من الاسباب (الابحقها) أي ان تستحق اباحة دمائهم بقتل نفس ظلما ونحوه أو يستحق أموالهم بمنع زكاة أو ثبوت حق عليهم (وحسابهم على الله) أي أمرهم بعد ما ذكر موكول الى الله تعالى اذا حاسبهم على ما أسروه في أنفسهم وما لم نقف عليه من الكفر والمعاصي فيثبت من يشاء ويعاقب من يشاء والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه ما يقتضي كفره ومثله لزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل يقبل مطلقا وقيل قبل الاخذ وقيل لا يقبل مطلقا وتوبته ان خلصت نفعته في الآخرة وقيل ان تاب مرة قبلت وان تكررت لا وقيل لا تقبل ان دعى لزندقته وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤمنوا بي اشارة الى ان أهل الكتاب لا يمنع قتالهم بمجرد الشهادة بان لا اله الا الله ودخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتاركي الصلاة في قوله الابحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان يكفي فيه الاقرار بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه الله تعالى وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم (قال القاضي أبو الفضل) عياض المؤلف رضي الله تعالى عنه (والايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم هو تصديق نبوته) أي التصديق بها (ورسالة الله له) أي ارساله ولاضافة اختصاصية لا بمعنى الباء كما توهم وان كان المعنى عليها (وتصديقه في جميع ما جاء به) عن الله بالوحي بانواعه (وما قاله) أي في جميع أقواله لانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا سيما ما أمر به بتبليغه (ومطابقة) أي موافقة (تصديق القلب) أي اعتقاده والجزم به وأصل المطابقة وضع شيء على شيء هو طبقة وقوله (بذلك) أي بالتصديق بالنبوة والرسالة وما جاء به (شهادة اللسان) بنطقه واعترافه (بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله تعالى عليه وسلم بالقلب والنطق بالشهادة بذلك) المذكور من رسالته وما جاء به (باللسان ثم الايمان) الحقيقي المنجي في الدنيا والآخرة (والتصديق له) أي كيفيته ولفظه (كما ورد في هذا الحديث) الذي رواه المصنف رحمه الله تعالى عن أبي هريرة (نفسه) بالجر تأكيد للحديث (من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وهذه رواية مسلم عن ابن عمرو فيها ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا الى آخره وقوله ثم الايمان أي تحقق وصح وليس مراده انه اذا وجد أحدهما كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كما سنفصله والنطق بالشهادة مع انه لا بد من اختلاف فيه هل هو شطر أو شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام مفصل في كتب الاصول وشروح الصحيحين يضيق المقام عنه (وقد زاده وضوحا) أي زاد صلى الله تعالى عليه وسلم

في حديث جبريل) عليه السلام أي سؤاله عنه (اذ قال) أي حين قال جبريل عليه السلام (أخبرني عن الاسلام فقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة وفي نسخة قال (ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وهو الاقرار فعده من الاسلام وهو الانقياد الظاهري دل على ان الايمان هو التصديق القلبي والانقياد الباطني (وذكر اركان الاسلام) أي بقية أركانه اذ جملة خمسة كما ورد بني الاسلام على خمس حيث قال ان تشهد بالله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا (ثم سأله) أي سأله جبريل (عن الايمان فقال ان تؤمن بالله) أي ان تصدق بحقيقة ذاته وحقيقة صفاته (وملائكته) أي بانهم عباد مكرمون مطيعون معصومون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (وكتبه) أي بانها منزلة من عنده (ورسله) أي بانهم مبعوثون من الله تعالى الى خلقه صادقون فيما جاؤا به (الحديث) تمامه واليوم الآخر أي وبما وما فيه كالبعث والحساب والثواب والعقاب حق وصدق وتؤمن بالقدر خيره وشره أي حلوه ومره والحديث بطوله مذكور في الاربعين وقد شرحناه في المبين المعين وهو حديث رواه الستة وغيرهم (فقد قرر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الايمان) أي بالله سبحانه وتعالى وبما يجب الايمان به من غيره (محتاج) وفي نسخة يحتاج (الى العقد بالجنان) بفتح الجيم أي الاعتقاد الجازم بالقلب (والاسلام) أي وان الاسلام (به) لانقياد الظاهري اليه وهو الاقرار به (مضطر الى النطق باللسان) أي ليتم بالبيان فان اللسان ترجمان الجنان (بهذه الحال) وفي نسخة الحالة (المحمودة التامة) وفي نسخة هي المحمودة التامة أي عند الخاصة والعامة فانه حينئذ نور على نور وسرور على سرور وجمع بين الظاهر والباطن فيصدق عليه انه مؤمن مسلم اذ لا خلاف بين أهل السنة انه حينئذ مؤمن وان اختلفوا في كون الاقرار شطرا للايمان أو شرطا لاجراء أحكام الاسلام فاندفع قول الدلجي رحمه الله تعالى هذا ذهاب منه الى ان الايمان اسم لفعل

ما ذكر بيانا (في حديث جبريل) عليه الصلاة والسلام الذي رواه الشيخان كما تقدم (اذ قال) له جبريل الجائي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة انسان (أخبرني عن الاسلام) أي حقيقته ومعناه شرعا وهو في اللغة الانقياد والطاعة كما علم وقيل السؤال عن شرائطه وشروطه (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (أن تشهد أن لا اله الا الله) ان مخففة من الثقيلة وتشهد بمعنى تعلم بان تقول أشهد الى آخره وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ الشهادة أو يكفي ما يؤدي معناه والصحيح عندنا الثاني معاشر الحنفية ولو بغير اللغة العربية لمن لا يقدر عليه (وان محمدا رسول الله) أرسله لجميع خلقه (وذكر اركان الاسلام) يعني قوله وتقيم الصلاة بالنصب عطف على تشهد وجوز بعضهم رفعه استئنافا نظرا الى انه يكفي في اجراء أحكام الاسلام الشهادتان كذا ما بعده وجوابه انه بيان لا كماله واقامة الصلاة أداؤها وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له كيف يسأله ويصدقه (ثم سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الايمان) أي عما يجب التصديق به شرعا (فقال) مجيبا له (ان تؤمن بالله) أي تصدق بوجوده وانه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ولا شريك له في ذلك وليس هذا تعريفا للشيء بنفسه لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يأمن التكذيب ومتعديا بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وما وقع في التعريف هو الثاني لان الاول معلوم والمسؤل عنه بيان متعلقاته التي يجب الايمان بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام الايمان لان الاسلام كما مر لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذي هو التصديق بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان ولا يظهر انهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول التصديق وأصله الطاعات كما فصل في علم الكلام (وملائكته) جمع ملك من الالوكة وهي الرسالة وأصله مالك ثم قلب وجمع وخفف مفرده بالتاء لتأنيث الجمع أو المبالغة وتقدم الكلام على ذلك في الخطبة وانهم أجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم عباد الله معصومون لا يفعلون غير ما يؤمرون ولا يعلم عددهم الا الله (وكتبه) التي هي كلامه تعالى المنزل على رسله لا الازلي فيصدق بحقيقتها وحقيقة ما تضمنته (ورسله) جمع رسول وهو من أوحي اليه بشرع وكتاب وأمره بتبليغه عباده (الحديث) بالنصب أي اذكره أو اقرأه أو اعرف ذلك الى آخره وهو واليوم الآخر والقدر خيره وشره واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على المقصود منه (فقد قرر) أي بين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (ان الايمان به) أي بالله أو بما ذكر في الحديث (محتاج الى العقد) أي الاعتقاد الجازم (بالجنان) بفتح الجيم وهو القلب سمي به لاستتاره أو استتار ما فيه من جنه اذا ستره (والاسلام به) أي بالله أو بما ذكر (مضطر) أي محتاج اليه ضرورة لانه لا يظهر الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما (الى النطق باللسان) المعبر عما في قلبه (وهذه الحالة) أي اعتقاد الجنان والنطق باللسان (هي المحمودة) عند الله والناس (التامة) فدلت على ان الايمان فعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتام

القلب واللسان وعليه بعض الاشعرية وغيرهم وأما قوله ووصفها بكونها تامة مؤذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق باللسان فهو مع كونه مناقضا لما سبق له من البيان مدفوع بالفرق الظاهر بين التمام والكمال كما لا يخفى على أرباب الحال لان تمام الشئ يتوقف على حصول جميع أجزائه بخلاف كماله فانه يتوقف على وجود ضيائه وبهائه وهو ههنا بان يكتسب جميع الاوامر ويجتنب جميع الزواجر من الصغائر والكبائر والمعتزلة والخوارج جعلوا الاركان من أجزاء الايمان والله المستعان هذا ويدل على ما قررنا ويشهد لما حررنا قوله (وأما الحالة المذمومة) أى عند جميع الامة المسلمة (فالشهادة باللسان دون تصديق القلب) أى من غير اعتقاد الجنان (وهذا) أى الاعتقاد المشتمل على الشقاق (هو النفاق) أى الحقيقي وهو ابطال الكفر واظهار الايمان وهذا كافر اذا علم حاله بالاتفاق (قال الله تعالى) حال لازمة أى متعاليا عما لا يليق بذاته وصفاته (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) أى توهيما منهم شهادة واطئة فيها قلوبهم ألسنتهم لا زعما منهم كما قاله الدلجى رحمه الله لانهم ما يزعمون ذلك حيث يعلمون حقيقة ما هنالك (والله يعلم انك لرسوله) أى كما اظهروه ولو كان مخالفا لما أبطنوه والجملة احتراز من نفي رسالته المتوهم من قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقون لكاذبون) ولذا فسره المصنف بقوله (أى كاذبون فى قولهم) أى فى دعواهم (ذلك) أى كونك رسول الله صادرا (عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه) أى والحال انهم لا يعتقدون قولهم انك لرسول الله (فلما لم يصدق) أى لم يوافق (ذلك) أى قولهم (باظهار ظواهرهم (ضميرهم) أى قلوبهم بواطنهم وفى نسخة ضمائرهم وهو يحتمل الرفع والنصب (لم ينفعهم ان يقولوا) أى مجرد أقوالهم (بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم) أى لاعتقادهم ان قولهم ذلك كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فخرجوا عن اسم الايمان) أى عن ان يسموا بما اشتق منه فلم يكونوا مؤمنين فى الدنيا (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) أى حكم الايمان فلا يحشرون مع المؤمنين (اذ لم يكن معهم) أى ايمان كما فى نسخة (ولحقوا بالكافرين) وفى نسخة بالكفار (فى الدرك الاسفل من النار) بفتح الراء وسكونها أى الطبقة السفلى من دركاتها كما ان المخلصين من المؤمنين فى أعلى أماكن الجنة وارفع دركاتها (وبقى عليهم حكم الاسلام) أى بحسب ظواهر الاحكام فيعاملون كالمسلمين لهم ما لهم وعليهم

اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق شرط لاجراء أحكام الاسلام عليه فى الدنيا كالصلاة عليه ودفنه فى مقابرنا فمن آمن بقلبه ولم يعلم به أحد نفعه ايمانه الا على وجه الاباء (وأما الحالة المذمومة) اضرها فى الآخرة (فالشهادة باللسان) أى الاقرار والتلفظ بالشهادة به (دون تصديق القلب) بالاعتقاد الجازم (وهذا هو النفاق) الذى يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفى الكفر وهو لغة اظهار خلاف ما يضمره من نافقاء اليربوع وهو ما يخفيه من أبواب جحره ليخرج منه اذا أحس بصائده كما قال ويستخرج اليربوع من نافقائه قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا نشهد انك لرسول الله) فاقروا بشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله (والله يعلم انك لرسوله) هو توطئة لقوله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أى كاذبون فى قولهم ذلك) أى قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه مؤكدا بهذه التأكيدات يقتضى انه ناشئ (عن اعتقادهم) الجازم (وتصديقهم) القلبى أو اللسانى (وهم لا يعتقدونه) جملة حالية أى والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما أخبر الله تعالى به (فلما لم يصدق ذلك) القول (ضمائرهم) أى ما أضمروه فى قلوبهم أو قلوبهم لان الضمير يطلق عليه (لم ينفعهم ان يقولوا) أى قولهم لم ينفعهم فى الآخرة لانهم فى الدرك الاسفل من النار (بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم) لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه أهل المعانى وهذه الآية نزلت فى ابن أبى بن سلول رأس المنافقين وأصحابه وقصته مشهورة فى كتب الحديث فلا نطول بها (فخرجوا عن اسم الايمان) أى عن ان يسموا بما اشتق منه فيقال لهم مؤمنين فى الدنيا عند من عرفهم (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) وهو دخول الجنة فهم فى الدرك الاسفل من النار مع الكفار كما يأتى وقوله فى الآخرة اشارة الى انهم يجرى عليهم فى الدنيا حكمه نظرا لظاهر حالهم كما بينه بقوله (اذ لم يكن معهم ايمان) فى الآخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذ لم يكونوا مؤمنين ايماء الى ان ايمانهم لم يكن فى قلوبهم فكأنه كان رفيقا لهم لتلفظهم به فاذا ماتوا فارقهم وبطل حكمه (ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار) الدرك بفتح الراء وسكونها ما ينزل به لاسفل ضد الدرج يعنى انهم فى قعر جهنم وآخر طبقة منها وهى سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة منها على الجميع أيضا بالاشتراك اللفظى والمعنوى (وبقى) جار (عليهم حكم الاسلام) فى الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم

(باظهار شهادة اللسان) أى بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد نحكم بالاسلام كل من كان داخلا (فى أحكام الدنيا) أى ما يحكم به لهم وعليهم من أحكام الشرع (المتعلقة بالأئمة) أى السلاطين والخلفاء لا العلماء لانهم ليسوا مأمورين باجرائها (وحكام المسلمين) كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منه فان من ظهر حاله يكون كافرا فلا وجه لارادة نقضه اياه بنوعه ولذا لم يصل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ابن أبى بن سلول وان كان صلى عليهم وانما يقتله لمصلحة أشار اليها فى الحديث الآتى قوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه فكان هذا من خصائصه فى ابتداء الاسلام ثم انتهى بانتهاء سببه ولذا رفع عمر رضى الله تعالى عنه حكم المؤلفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم زادهم بيانا قوله (الذين أحكامهم) جارية ومبنية (على الظواهر) من أحوال الذين كانوا (بما أظهروه من علامة الاسلام) أى ان أحكام الدنيا جارية عليهم بسبب اظهار الاسلام بانقيادهم له والتزامهم أحكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها بقلوبهم وفى نسخة علامات وزادها اشارة الى انه ليس اسلاما من حقيقته وانما علامة (اذ لم يجعل) بيناء المجهول أى لم يجعل الله (للبشر) أى الناس كلهم (سبيل) أى طريق (الى السرائر) جمع سريرة وهى ما فى القلب مما يطلع عليه لم يكلفهم بمعرفته واجراء حكمه (ولا أمروا) الضمير للبشر باعتبار المعنى (بالبحث) أى التفحص والتفتيش (عنها) أى عن السرائر ثم ترقى فقال (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها) أى الحكم على السرائر وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف أولانه ليس بحكم كما قال تعلم الرجل لمن لا يعلم (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لاسامة بن زيد فى حديث صحيح رواه البخارى لمن اضطر بعض الكفار فاسلم فقتله أسامة لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من القتل فقال له أقتلته بعد ان أسلم (هلا شققت عن قلبه) وهلا اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل أفادت الامر واذا دخلت على الماضى أفادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش أى شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم أقال ما قاله خوفا أم لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه بشقه لا يدرى ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه ان يختبره حتى يعلم هل هو مخلص أم لا لكن لما رآه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله فظنه اسلاما بأس لا يفيده كحال الغريق فهو متأول لا متعمد للخطأ فى قتله والحديث كما فى الصحيحين عنه بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصارى وطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فقال أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله فما زال يكررها وقال هلا شققت عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقلت استغفر لى يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الى آخره فلم يقبل عذره وفيه تنبيه ووعظه وزجره والرجل المقتول اسمه مرداس الفزارى أو الفدكى وعلى ما ذكرناه علم ان أسامة رضى الله تعالى عنه متأول فى قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه ولم يلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعجلته وعدم تثبته وانما كان يجب عليه ان يختبره فلا يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداودى انه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطأ وانما سكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذكرها لعلمه لعلم السامع بذلك أولانه كان قتل قبل نزول آية

(باظهار شهادة اللسان) أى بسبب اظهارها منهم وهذا (فى أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة) أى أئمة الدين من العلماء العاملين (وحكام المسلمين) أى من القضاة والسلاطين (الذين أحكامهم على الظواهر) أى جارية وسارية (بما أظهروه من علامة الاسلام) أى من الاذعان والانقياد وقبول الاحكام وهذا كله بحسب الظواهر (اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا أمروا) ى الأئمة والحكام (بالبحث عنها) أى عن السرائر (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك) أى التحكم هنالك (وقال) أى فيما رواه البخارى لاسامة بن زيد لما قتل من اضطره فاسلم أقتلته بعد ان أسلم فقال معتذرا انما أسلم مكرها فقال (هلا شققت عن قلبه) أى لم ما كشفت عن ضميره وهذا أمر تعجيز اذ لا اطلاع على قلب أحد الا ربه وقيل هلا اذا دخل على المضارع يفيد الامر كقولك هلا تضرب زيدا واذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ كقولك هلا ضربت زيدا والحديث فى صحيح مسلم عن أسامة ابن زيد قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال لا اله الا الله فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى عليه الصلاة والسلام فقال أقال لا اله الا الله وقتلته قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا الحديث والمعنى أقالها عن قلبه أم لم يقل عن قلبه وأبعد لانطاكى حيث قال الفاعل فى قوله أقالها هو القلب

(والفرق) وفى نسخة وللفرق (بين القول) أى اللسان (والعقد) أى بالجنان (ما جعل) بصيغة المفعول أو الفاعل وما مصدرية أى جعله أو موصولة أى الذى جعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث جبريل) عليه السلام أى المتقدم (الشهادة) بالرفع أو النصب أى الاقرار (من الاسلام) أى من اركانه حيث قال مجيبا له عن سؤاله عنه ان تشهد (والتصديق من الايمان) أى وجعله فيه منه بقوله مجيبا له عن سؤاله عنه ان تؤمن (وبقيت حالتان أخريان بين هذين) أى الحالين وهما الحالة المحمودة لخاص المؤمنين والحالة المذمومة للمنافقين فيحتاج الى بيانهما (احداهما ان يصدق) أى المكلف (بقلبه ثم يخترم) بالخاء المعجمة على صيغة المجهول أى يقتطع ويموت (قبل اتساع وقت الشهادة) أى قبل ان يأتى بها (بلسانه) أى لضيق زمانه (فاختلف فيه) أى فى انه مؤمن أم لا (فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به) فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه من الاتيان بها وهذا قول ضعيف سواء قيل ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام لا لحقيقة الاسلام أو شطر لان قائله قائل بانه ركن قابل لسقوطه فى بعض الايام كالاخرس وحال ضيق المقام (ورآه بعضهم) أى المصدق المذكور قبل تمكنه من الاقرار المسطور (مؤمنا) أى مصدقا ومسلما (مستوجبا للجنة) أى لعذره بعدم تمكنه من الاتيان به وأيضا لو لم يعتبر ايمانه للزم أن يكون فى النار مخلدا وهو غير واقع كما أشار اليه المصنف حيث قال (لقوله عليه الصلاة والسلام) أى فيما رواه الشيخان (يخرج) بصيغة المفعول أو الفاعل (من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان) (بترك وفيه تلويح الى انه وان صغر قدره فقد عظم عند الله تعالى أمره ولا يضيع أجره وقد قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وهى كل جزء من أجزاء الهباء فى الهواء والمراد بها غاية القلة التى قد يعبر عنها بالعدم أى لا يظلم أصلا (فلم يذكر) أى النبى عليه الصلاة والسلام (سوى ما فى القلب) أى لان غيره غير نافع عند الرب فى العقبى لانقضاء أحكام ظاهر الاسلام فى الدنيا (وهذا) أى المؤمن بالجنان العاجز عن إقرار اللسان (مؤمن بقلبه) أى فينفعه ايمانه عند ربه (غير عاص) أى حيث أطاعه وآمن به (ولا مفرط

الدية والكفارة وقول القرطبى انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شئ لانه ماذون فى أصل القتل فهو كالطبيب والخاتن أو لم يكن له وارث مسلم ولا ولى وأسامة رضى الله تعالى عنه أقر بذلك لا حاجة اليه ※ أقول اذا لم يكن له وارث فديته لبيت المال ولا يصح عفو الامام عنه عندنا وان رجح السبكى فى فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل فى الحديث لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتنفيله الدية لا يكون عفوا (والفرق بين القول) أى مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه (والعقد) أى التصديق بقلبه واعتقاد جنانه (ما جعل) ما مصدرية أى جعله (فى حديث جبريل) الذى تقدم فى سؤاله عن الاسلام والايمان (الشهادة) أى التلفظ بها ركنا (من الاسلام) لما قال فى جوابه ان تشهد الى آخره (و) جعله (التصديق من الايمان) أى الاعتقاد بالقلب وهذا بناء على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى تفسير تؤمن فى قوله ان تؤمن بالله تعالى عز وجل الى آخره (وبقيت حالتان أخريان بين هذين) أى الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه أى الجمع بينهما (احداهما أن يصدق) المكلف (بقلبه ثم يخترم) بخاء معجمة وتاء مثناة فوقية وراء مهملة مبنى للمجهول يقال اخترمته المنية والموت اذا أتاه بغتة بسرعة وأصل معنى الخرم القطع وتفريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه الحياة كما أشار اليه بقوله (قبل اتساع وقت الشهادة باللسان) أى التلفظ والنطق به لضيق الزمن فهذه حالة بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللسانى والتصديق بقلبه الموافق له وهو مؤمن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهو منافق بالاتفاق وحكمه مامر وهذه حالة بينهما (فاختلف فيه) أى فيمن هذه حاله أمؤمن هو أم لا (فشرط بعضهم) أى قال انه (من تمام الايمان القول والشهادة به) باللسان فلا يكون هذا مؤمنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فعرفه بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور وعند الاشاعرة لا ايمان الا بهما الا عند العجز عن النطق (ورآه) بالمد من الرأى (بعضهم مؤمنا) فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز فيكون مؤمنا حقيقة (مستوجبا) أى مستحقا (للجنة) ودخولها لعذره بعدم تمكنه و(لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (يخرج) روى بالبناء للفاعل والمفعول (من النار من كان فى قلبه) باعتقاده (مثقال ذرة من الايمان) أى وزنها ومقدارها فى الثقل والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض من حديث فى الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء لان المراد به العصاة المعذبون بسبب آخر أو بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينه وبين الاستدلال به بقوله (فلم يذكر) فى الحديث شيأ (سوى ما فى القلب) من ايمان بمقدار ذرة (وهذا) المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق (مؤمن بقلبه) فينفعه ايمانه عند الله تعالى لانه (غير عاص) أى تارك لما يلزمه (ولا مفرط) بتشديد الراء المهملة أى مقصر عمدا

بترك غيره) أي بترك غير أمره من اقراره لعدم ادراك وقته وفقد استقراره (فهذا) أي الرأي من هذا البعض (هو الصحيح في هذا الوجه) أي لما بيناه من الوجه الذي عيناه (الثانية) أي الحالة الثانية (ان يصدق بقلبه) أي ويكتفي به علمه (ويطول مهله) بفتح الميم وسكون الهاء وتحرك أي زمانه (وعلم ما يلزمه من الشهادة) أي النطق بها (ولم ينطق بها جملة) أي مطلقا (ولا استشهد في عمره) أي ولا تشهد في عمره مرات كثيرة كما كان اللائق به ان يكرر ها ويتلذذ بذكرها ويتوم بشكرها (ولا مرة واحدة) أي بل ولا كرة (فهذا) أي المؤمن المذكور بالوصف المسطور (اختلف فيه أيضا) أي كما (اختلف فيما قبله فقيل هو مؤمن) أي لانه أتى بما يكفي من مقصود الايمان (لانه مصدق) أي بقلبه وهو من أحسن الاحوال (والشهادة من جملة الاعمال) أي أركان الاسلام الموجبة لكماله (وهو) في نسخة فهو (عاص بتركها) أي بترك الشهادة كما وترك الصلاة والزكاة (غير مخلد) أي في النار كما في نسخة والمعنى ان دخلها لا يخلد فيها كما هو شان المؤمن العاصي حيث يكون تحت المشيئة الا ان هذا القول لا يصح عند من يقول الاقرار شطر وكذا عند من يقول انه شرط حيث لا يوجد المشروط بدون الشرط حال امكان وجوده فبطل قول الدلجي وهذا كما عند المحققين هو الحق ولا يعصى عند من يقول الايمان هو التصديق فقط انتهى ولا يخفى انه مخالف للاجماع لان تارك الشهادة مع القدرة عاص عند الكل من غير نزاع وانما الخلاف في انه مؤمن أو ليس بمؤمن والله سبحانه وتعالى أعلم (وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده) أي اعتقاده وتصديقه بالجنان (شهادة) أي اقرارا بالله ورسوله وفي نسخة شهادة اللسان وهي بالنصب وقيل بالرفع وكلاهما جائز لان من قارن الشئ فقد قارنه ذلك الشئ وانما قيل ينافي ايمانه (اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان) أي قبول احكام اسلام (وهي) الشهادة (مرتبطة مع العقد) أي جزم القلب (ولا يتم التصديق مع المهلة) بضم فسكون أي مع الامهال زمانا يسعه القيام بشرطه أو شطره (الا بها) أي بالشهادة سواء قلنا انها شرط أو شطر كما بينا (وهذا) أي القول الثاني (هو الصحيح) أي في انه ليس بمؤمن لعدم قرانه عقد جنانه باقرار لسانه مع تمكنه من بيانه في مهلة زمانه واما قول الدلجي ان هذا انما

(بترك غيره) وهو التلفظ بالشهادة (وهذا) الرأي الذي رآه بعضهم (هو الصحيح في هذا الوجه) أي الحالة المذكورة فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه التكلمون الا انه قيل ان ما استدل به المصنف لا يثبت ما ادعاه الا ان هذا في عصاة أمته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما في الصحيح عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم ان ذكر الوزن في الايمان وهو من المعاني لانه كما قال الكرماني شبه بالجسم فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن فهو استعارة بالكناية (الثانية) أي الحالة الثانية من هاتين الحالتين (ان يصدق بقلبه) ويعتقد اعتقادا جازما (ويطول) بضم التحتية وفتح الطاء المهملة وتشديد الواو المكسورة (مهله) بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والتأني فاريد به لازمه وهو طول الزمان والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة (وعلم ما يلزمه من الشهادة) والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد أي سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به قلبه (ولم ينطق بها) أي بالشهادة (جملة) منصوب على الحالية والمراد به مجموعها بان لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره تفصيلا أو اجمالا بان لا يفصل الملائكة والكتب ونحوها (ولا استشهد في عمره) بمدة حياته أي أتى بالشهادة وفي نسخة تشهد (ولا مرة) أي مرة واحدة (فهذا اختلف فيه أيضا) كما اختلف في الذي قبله وهو في الاصل مصدر آض اذا رجع وشاع في التشديد وفي نصبه كلام مشهور (فقيل هو مؤمن لانه مصدق) وحقيقة الايمان هو التصديق القلبي وقد اتصف به فيكفيه (والشهادة من جملة الاعمال) الزائدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا (فهو عاص بتركها) كمرتكب الكبائر غير كافر فهو (غير مخلد) في النار عند أهل السنة القائلين بان أصحاب الكبائر غير مخلدين (وقيل ليس بمؤمن) لان الشهادة شرط فيه أو شطر (حتى يقارن عقده) أي اعتقاد قلبه وجزمه (شهادة اللسان) أي التلفظ بها مطابقة لما في قلبه (اذ الشهادة انشاء عقد) عند الاصوليين لانها عندهم انشاء يتضمن الاخبار بالمشهود به لا اخبار وعزى الشاني انه خبر لابي حنيفة وأنكره السروجي وقال لا نعرفه وانما هو انشاء عندنا أيضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها أخبار بحق للغير على آخر وقد يقال انه بحسب ظاهره لانه خبر لفظا أريد به الانشاء كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم يفهم مراده قال انشاؤه بمعنى ابتداؤه (والتزام ايمان) أي التزام لاحكامه (وهي) أي الشهادة (مرتبطة) أي ملازمة متصلة (مع العقد) الجناني لا تفارقه فلا يكتفى باحدهما (ولا يتم التصديق) ويكتفى به (مع المهلة) أي تأخير النطق زمانا طويلا من غير مانع (الا بها) أي بالشهادة والنطق بها (وهذا) القول (هو الصحيح) من انه ليس بمؤمن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن

يقول به من يجعل الاعمال جزأ منه فخطأ ظاهر اذ اجمع أهل السنة على ان الاعمال ليست جزأ من حقيقة الايمان خلافا للخوارج والمعتزلة واما نسبة هذا القول الى الشافعى رحمه الله تعالى والمحدثين فمحمول على انها جزء من كمال الايمان وانما الخلاف لفظى فى مراتب الايقان فبطل قول الدلجى ان الايمان قول وعمل واعتقاد كما هو مذهب الفقهاء والمحدثين أو قول واعتقاد كما هو مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى واشياعه انتهى ولا يخفى ان هذا غفلة منه عن تحقيق الاشعرى واتباعه ثم هذا الخلاف فيما اذا لم يؤمر باداء الشهادة واذا أمر بها وامتنع ويابى عنها كان طالب فهو كافر بالاجماع (وهذا) أى ما ذكرنا فى بحث الايمان وفى نسخة وهذه أى هذه المسائل أو الاقوال هى الوسائل التى كتب فيها الرسائل لينتفع بها كل طالب وسائل (نبذ) بنون مفتوحة وسكون موحدة فذال معجمة أى شئ قليل يسير على مافى ٣١٠ القاموس وهو مطابق لما فى النسخ المعتبرة وموافق لما فى الشروح المعتمدة واما ما ذكره الدلجى من قوله بنون موحدة مفتوحتين وفى نسخة بضم النون وسكون الباء جمع النبذة فليس فى النسخ وهو مخالف لما فى كتب اللغة بل فى القاموس ان النبذة بفتح النون وتضم الناحية ولا ريب ان هذا المعنى لا يناسب مقام المرام فهو خالف الرواية والدراية نعم فى نسخة نبذ بضم ففتح جمع نبذة أى قطعة يسيرة والمعنى ان ماذكر من الايمان وما يتعلق به صحة وعدما فى هذا المكان شئ يسير يترتب عليه أمر كثير (يفضى) من الافضاء أى يوصل ويؤدى (الى متسع من الكلام فى الاسلام والايمان وأبوابهما) أى مما يتعلق بهما من الاحكام (وفى الزيادة أى فيهما والنقصان) وفيه ان لاخلاف فى زيادة مراتب الاسلام والمتعلقة بالاعمال ونقصانها وانما الخلاف فى زيادة نفس الايمان ونقصانه ويتفرع عليهما قوله (وهل التجزى ممتنع على مجرد التصديق) أى كما عليه أهل التحقيق (لا يصح) أى التجزى وهو قبول الزيادة والنقصان أصلا (فيه) أى فى ايمان (جملة) أى اجمالا بل يحتاج الى بيانه تفصيلا كما أوضحه بقوله (وانما يرجع) أى التجزى (الى مازاد عليه) أى على نفس الايمان (من عمل) أى واحسان قول (وقد يعرض فيه) بكسر الراء وبضم أى يحصل التجزى فى التصديق (لاختلاف صفاته وتباين حالاته) أى وتغاير مقاماته وتفاوت درجاته (من قوة يقين) أى علمى (وتصميم اعتقاد) أى عين دليل قوى (ووضوح معرفة) أى بانضمام مشاهدة (ودوام حالة) أى من غير فتور فيها ولا قصور عنها

منه ومن يقول انه التصديق فقط يقول انه مؤمن وان لم يقر بلسانه وان لم يجر عليه أحكام الايمان فى الدنيا فهو ينفعه فى الآخرة والاصح انه لابد منه فى الاعتداد به فى الدنيا والآخرة وهو شرط أو شطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى طولب أتى به فان طولب به ثم لم يقر فهو كفر عناد (وهذا نبذ) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشئ اليسير وأصله الرمى والطرح فكأنه لقلته مما يطرح وفى نسخة هذه نبذ بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ماقدمناه (تفضى الى متسع من الكلام) تفضى بضم المثناة الفوقية وسكون الفاء وكسر الضاد المعجمة قبل ياء ساكنة مضارع أفضى بمعنى أوصل وأصل معناه الايصال الى الفضاء والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمى أو اسم يعنى انها تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه مما للعلماء فيه من القيل والقال (فى الاسلام والايمان) أى فيما يتعلق بهما (وأبوابهما) المعقودة لتفصيلهما (وفى الزيادة فيهما والنقصان) فيهما والكلام فى انهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه اختلاف مشهور (وهذا التجزى) بالزيادة والنقص فيهما (ممتنع على مجرد التصديق) فهو فى نفسه من غير نظر لما ينضم اليه من الاقوال والاعمال لا يقبلهما فانه كما قيل انهما مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزى وقوله (لا يصح فيه) أى فى التصديق تجزى بزيادة ونقص (جملة أى مجموعه أو الاجمالى منه لا يقبل التجزى (وانما يرجع) تجزيه والزيادة فيه (الى مازاد عليه) أى مازاد على التصديق (من عمل) ونحوه فانه قد يزيد وقد ينقص بل قد لا يكون كمن أسلم ثم مات فجأة فلم يأت بشئ من الاعمال الصالحة (وقد يعرض فيه) أى قد يطرأ على التصديق نفسه زيادة أو نقص وتجزؤ فانه من الكيفيات النفسانية وهى تتفاوت قوة وضعفا فان العلم بطلوع الشمس وان الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك فى ان ايمان أبى بكر رضى الله تعالى عنه ليس كايمان غيره وقال الشمنى فى الصحاح عرض له كذا يعرض أى ظهر وعرضت العود على الاناء تعرضه وتعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له القول بالكسر الى آخره (لاختلاف صفاته) قوة وضعفا (وتباين) أى بعد وافتراق (حالاته) بعضها عن بعض (من قوة يقين) بيان للصفات والحالات (وتصميم اعتقاد) أى الجزم به بحيث لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة أدلة (ووضوح معرفة) أى ظهورها كمن شاهده صلى الله تعالى عليه وسلم وعاين معجزاته (ودوام حالة)

(وحضور قلب) أي بالغيبة عن غير الرب وهو حال الاطمئنان ومقام الاحسان الذي بينه عليه الصلاة والسلام بقوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ولاشك ان مقام الاحسان وأحكام الاركان من أحكام الايمان وكمال الايقان لان الايمان يقبل الزيادة والنقصان على هذا الوجه كما حققناه في شرح الاربعين ودققناه في شرح الفقه الاكبر بتوفيق المعين (وفي بسط هذا) أي المبحث الشريف (خروج عن غرض التأليف) لان المقصود منه اداء حقوق صاحب الاصطفاء بتأديته على وجه الاستيفاء (وفيما ذكرنا غنية) أي استغناء عن تطويله (فيما قصدنا) أي أردنا (ان شاء الله تعالى) أي ان كان على وفق ارادته سبحانه ※(فصل)※ (واما وجوب طاعته) أي اطاعة النبي عليه الصلاة والسلام في حكومته واتباع شريعته (فاذا وجب ٣١١ الايمان به وتصديقه فيما جاء به) مجملا (وجبت طاعته) أي مطلقا وهو جواب الشرط (لان ذلك) أي وجوب طاعته (مما أتى به) أي من جملة ما جاء به من الدين بالضرورة (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) ذكر الله تحسين وتزيين وتوطئة وتنبيه على ان طاعته في طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بشهادة افراد الضمير في قوله ولا تولوا عنه أي عن رسوله وبدليل قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله أو يقال افراد الضمير ايماء الى ان طاعتين متلازمتان أو الضمير الى كل واحد منهما والاظهر ان المعنى أطيعوا الله تعالى فيما انزل من كتابه والرسول فيما أوحى اليه من خطابه في مقام ايجابه (وقال قل أطيعوا الله والرسول) ولم يقل وأطيعوا الرسول لما سبق من تلازم الطاعتين وتداوم الحالتين واما حيث قال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كما في نسخة صحيحة فللاشارة الى استقلاله بالطاعة فيما ثبت عنه بالسنة وضبط الشريعة (وقال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) أي باطاعتهما ومتابعة شريعتهم (وقال وان تطيعوه) أي نبي الخلق (تهتدوا) أي الى الحق (وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه المبلغ والآمر في الحقيقة هو الله وقد نزلت الآية في المنافقين حين قال النبي عليه الصلاة والسلام من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقالوا لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى (وقال وما آتاكم الرسول فخذوه) أي أعطاكم من أمره وامتثاله فتمسكوا به (وما نهاكم عنه) أي عن اتيانه (فانتهوا) أي عنه لوجوب طاعته وامتثال متابعته

أي استمرار التصديق وامتداده فانه زيادة فيه (وحضور قلب) أي حضور التصديق به حتى لا يغفل عنه قلب المؤمن (وفي بسط هذا) أي بسط الكلام فيما ذكره وذكر تفاصيله وتحقيق أدلته مع ما لها وعليها (خروج عن غرض التأليف) أي المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفي فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال (وفيما ذكرناه غنية) بضم الغين المعجمة ونون ساكنة وياء مثناة تحتية مفتوحة أي كفاية مغنية عن غيره (فيما قصدناه) في هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى) وهذا الذي ذكره المصنف مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولاشك في ان ايمان الصديقين أقوى من ايمان غيرهم

※(فصل واما وجوب طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم)※ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به) من الله وقد علم هذا مما تقدم في أول الباب (وجبت طاعته) لان من صدقه وأخبر بما يلزمه اتباع أمره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه (لان ذلك) أي وجوب طاعته (مما أتى به) عن الله بوحيه كما يدل عليه ما (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهما شيء واحد ولذا أفرد الضمير في قوله ولا تولوا عنه وهو قياس منطقي تقديره وجوب طاعته مما أتى به من عند الله وكل ما أتى به من عند الله يجب الايمان به فيجب طاعته وشرك بينهما في صيغة الامر كما ذكرناه (وقال الله تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) قال القاضي أمره الله ان يبلغ المؤمنين ما خاطبهم به مبالغة في تبكيتهم يعني ان هذه الآية نزلت في بشر المنافق لما دعى خصمه اليهودي الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتي بيانه ولا ينافي هذا ان الكلام في وجوب طاعته على المؤمنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب (وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة الى عزة المطلوب وان العبد دائما بين الرجاء والخوف (وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا) فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره أمر لازم لهم (وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) فجعل طاعته هي طاعة لله لانه لا يأمر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه ولذا أردفه بقوله (وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذا محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لانه لا يأمر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد وان كانت الآية نزلت في الفيء والغنائم كما يدل عليه قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر فلا يتوهم انها غير

(وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية) أى فالذين أطاعوهما يكونون (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) المبالغين فى التصديق والصدق والتحقيق من العلماء والاولياء (والشهداء والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه الجامعين بين تعظيم أمره والشفقة على عباده ومن بيانية حال منه أو من ضميره (وحسن أولئك رفيقا) أى لانهم فى أعلى عليين (ذلك الفضل من الله) أى لايجب عليه سبحانه وتعالى شئ (وكفى بالله عليما) أى بالمطيعين والعاصين (وقال وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) أى بامره وتيسيره (فجعل) أى الله (طاعة رسوله طاعته) أى طاعة نفسه بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) أى فى كثير من آياته (ووعد على ذلك) أى ماذكر من الطاعة والاطاعة (بجزيل الثواب) بقوله تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية (وأوعد على مخالفته بسوء العقاب) بقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه) بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (قال المفسرون والأئمة) أى المجتهدون (طاعة الرسول فى التزام سنته) أى طريقته ومواظبة متابعته (والتسليم) أى الاذعان والانقياد (لماجاء به) أى من شريعته (وقالوا) أى المفسرون (ماأرسل الله من رسول الا فرض طاعته على من أرسله اليهم) ونهاهم عن معصيته لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله أى الا ليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه لهم فى طاعته أو بتوفيقه لمتابعته فمن لم يطعه فى شريعته ولم يرض برسالته فهو كافر فى ملته (وقالوا

المفسرون

مناسبة لما هو بصدده (وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك) المطيعون (مع الذين أنعم الله عليهم الآية) من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وسيأتى ان هذه الآية نزلت فى ابن عبد ربه الانصارى حين قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذامت كنت فى عليين فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعى الله ان يعمى بصره حتى لايرى غيره فعمى مكانه وهو الذى رأى واقعة الاذان وقيل نزلت فى ثوبان مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله لايصبر عن رؤيته فحزن حتى تغير لونه فساله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذالك فقال مابى ضر غير انى لاأصبر عنك فذكرت الآخرة وانى لاأراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتى والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم فى الجنة وان تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها (وقال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق أو هو نفس التسهيل والتوفيق أى الا ليطيعه من بعث اليه ويرضى بحكمه فمن لم يرض به لم يرض برسالته فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذنه بمعنى أمره وقال القاضى كأنه أى الله احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان أظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل فى توجيهه ان لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله تعالى ومن لم يرض بحكم الله فهو كافر ولذا لما تخاصم المنافق واليهودى وطلب اليهودى حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان محقا يعلم حكم رسول الله له فابى المنافق وطلب ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وأبى اليهودى وأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا أبابكر رضى الله تعالى عنه فحكم بما حكم به رسول الله فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودى ماوقع فقال رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم ينكره (فجعل طاعة رسوله طاعته) فهما شئ واحد لانه لايامر الا بامره ولاينهى الا بنهيه بنص قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) فى القرآن كما فى قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته مالايخفى (ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب) الجزيل بمعنى العظيم أو الكثير وعبر فى جانب الثواب بالوعد وفى جانب العقاب بالايعاد المزيد لما اشتهر من الفرق بينهما فى أصل الاستعمال كما قال الشاعر

وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وقد يستعمل كل منهما فى مكان الآخر لنكتة وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا فى خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيئ وهو ظاهر (واوجب) الله تعالى (امتثال أمره) بالاتيان بما أمر به (واجتناب نهيه) بترك مانهاه عنه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه (وقال المفسرون) فى تفاسيرهم (والائمة) أى أئمة الدين من الفقهاء والمحدثين (طاعة الرسول) التى أمرنا الله تعالى عز وجل بها فى القرآن متحققة ومتبينة (فى التزام سنته) أى المداومة على سلوك طريقته فالسنة بمعناها اللغوى فيعمل ماعمله ويترك ماتركه (والتسليم) أى الانقياد والمتابعة له (لماجاء به) من شرعه الموحى اليه الذى أخبرنا به وتصديقه فيما أخبر به من غير تحكيم العقل (وقالوا) أيضا (ما أرسل الله من رسول) من زائدة فى النفى لتأكيد العموم (الا فرض طاعته) أى جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه (على من أرسله اليه) لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه (وقالوا) أى

من يطع الرسول في سنته) الاولى سننه بصيغة الجمع ليلائم قوله (يطع الله في فرائضه) جواب الشرط والمعنى من يطع الرسول فيما أمره ونهى عنه مما لم يرد به القرآن الكريم يطع الله في فرائضه الثابتة في الفرقان العظيم لان أمره ونهيه من أمره ونهيه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولقوله عليه الصلاة والسلام لا ألفين أحدكم على أريكته يأتيه الامر مما أمرت أو نهيت فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به فهذا نهي مؤكد منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمن لم يعمل بسنته اذ العمل بها كالعمل بكتاب الله وشريعته (سئل سهل بن عبد الله) أي التستري (عن شرائع الاسلام) أي جميعها (فقال وما آتاكم الرسول فخذوه) أي تمسكوا به في أمره ونهيه (وقال السمرقندي) أي الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى (يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته) أي شريعته الشاملة لفريضته وسنته المستفادة من أحاديثه الواردة وفق طريقته (وقيل أطيعوا الله تعالى فيما حرم عليكم) والاول أبلغ لان الفرض يشمل فعل الواجب الحتم وترك الفعل المحرم (والرسول فيما بلغكم) أي أوصلكم من أمره ونهيه ولو لم يسنده الى ربه (ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية) أي بوصف الوحدة ونعت العبودية له وحده (والنبي بالشهادة له بالنبوة) أي المقترنة بالرسالة وفي نسخة بالرسالة والاولى أشمل والثانية أكمل وكان الجمع بينهما أفضل اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والمعنى ان هذه الاطاعة أول ما يطلق عليه اسم الطاعة (حدثنا أبو محمد بن عتاب) بفتح فتشديد فوقية (بقراءتي عليه) أي لا بسماعي لديه (ثنا) أي قال حدثنا (حاتم بن محمد) أي ابن الطرابلسي (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف) بفتحتين وهو القابسي (ثنا) أي حدثنا (محمد بن احمد) وهو أبو زيد المروزي (ثنا) أي حدثنا (محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا) أي حدثنا (البخاري) وهو صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (عبدان) بفتح فسكون موحدة وهو بوزن التثنية غير مصروف وهو العتكي المروزي يقال تصدق بالف ألف (انا) أي أخبرنا (عبد الله) أي ابن وهب فيما يغلب على الظن لان مسلما روى هذا عن اثنين عنه به

المفسرون والائمة (من يطع الرسول في سنته) بنون مشددة وتاء مثناة فوقية أي في طريقته وشريعته من أمر ونهي وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله (يطع الله في فرائضه) جمع فريضة بمعنى الفرض وفي بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة ويحتمل ان تفسر السنة بما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له في فرائض الله بالطريق الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينفصل أحدهما عن الآخر وفي الام الشافعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه ما أمرت أو نهيت فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به وسيأتي بيان ألفاظه عند ذكر المصنف رحمه الله قريبا مرتين لامر اقتضاه فهذا بيان لان العمل بسنة رسول الله عمل بكتاب الله وهو معنى ما قاله هنا (وسئل سهل بن عبد الله) التستري الامام الزاهد المشهور (عن شرائع الاسلام) أي ما المقصود منها والمراد (فقال) سهل في الجواب (وما آتاكم الرسول فخذوه) أي تمسكوا به (وقال) الامام أبو الليث الفقيه المشهور (السمرقندي يقال) في طاعة الله ورسوله ان معناه (أطيعوا الله في فرائضه) أي فيما افترضه عليكم في كتابه الكريم (والرسول في سنته) أي ما سنه وشرعه لنا (وقيل) في معنى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (أطيعوا الله فيما حرم عليكم) باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما أوجبه وحرمه وغيره كما عمم اتباع الرسول بقوله (والرسول) أي وأطيعوا الرسول (فيما بلغكم) عن الله من أوامره ونواهيه مخلصا في ذلك فانه مأمور بتبليغه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (ويقال) في معناه (أطيعوا الله بالشهادة) أي الاقرار والاعتراف (له بالربوبية) أي انه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد بالملك والربوبية (والنبي) بالنصب أي وأطيعوا النبي عليه السلام (بالشهادة له بالنبوة) المراد بالنبي هنا محمد صلى الله عليه وسلم فال للعهد وهو الفرد الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول وان قلنا النبي أعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغي له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة أفضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه) وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال (حدثنا حاتم بن محمد) المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف) الحافظ القابسي كما تقدم قال (حدثنا محمد بن احمد) وهو ابو زيد المروزي كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري راوي صحيح البخاري كما تقدم قال (حدثنا البخاري) قال (حدثنا عبدان) يعني عبد الله بن عثمان بن جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن أبي رواد الحافظ المروزي الفقيه الثقة توفي سنة احدى وعشرين ومائتين قال (أخبرنا عبد الله) بن

(أنا) أى أخبرنا (يونس) أى ابن يزيد الايلى أحد الاثبات روى عن القاسم وعكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وابن وهب أخرج له أصحاب الكتب الستة (عن الزهرى) تابعى جليل (قال أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن) أحد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (انه سمع أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أطاعنى) أى فيما جئت به عن الله تعالى (فقد أطاع الله) لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ومن عصانى فقد عصى الله) وهو اللازم لجعل طاعته طاعته والحاصل ان الاول معلوم الكتاب والثانى مفهوم الخطاب (ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى) أى بطريق القياس لان طاعته من طاعته لكن بشرط ان يامر بطاعته لا بمعصيته كما يستفاد من اطاعته فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق والحديث الاول رواه الشيخان وان أسنده المصنف من طريق البخارى (وطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله وطاعة له) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه فيما أمر ونهى ومن جملة ذلك تامير أميره هنالك (قد حكى الله تعالى عن الكفار فى دركات جهنم) أى طبقاتها السفلية بحسب مقامات أهلها فى المعاصى الجلية والخفية حيث قال (يوم تقلب وجوههم فى النار) أى تصرف من جهة الى جهة استيعابا بجميع أعضائهم واستيفاء لسائر (فاتوا) أجزائهم كقطعة لحم تدور فى قدر غلت فترمى بها الغليان من ناحية الى أخرى والمراد من الوجوه ذواتهم أو أريد بها أشرف أعضائهم وألطف أجزائهم لاسيما وسائر البدن تابع لها فى اقبالها وادبارها (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) باثبات الالف رسما واختلفت القراءة وقفا ووصلا (فتمنوا طاعته) أى حين شاهدوا التعنى (حيث لا ينفعهم التمنى وقال) وفى نسخة وقد قال (عليه الصلاة والسلام) أى فيما رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا أمرتكم بشئ) وفى نسخة بامر أى مامور به ايجابا أو ندبا

المبارك المروزى قال (حدثنا يونس) بن يزيد الايلى الامام الثقة توفى سنة تسع وخمسين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن الزهرى) محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى الامام المشهور كما تقدم مرارا (قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن) أحد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبد الله أو اسمعيل (انه سمع أبا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله) لانه لا يأمر الا بما أمر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله تعالى عنه فمن امتثل أمره واجتنب نهيه امتثل أمر الله ونهيه أو ان الله عز وجل أمر بطاعة رسوله وأمره ونهيه فمن امتثل أمره ونهيه أطاع الله فى أمره ونهيه بطاعته كما تقدم (ومن أطاع أميرى) أى من جعله هو أو خلفاؤه حاكما على أمته (فقد أطاعنى) لان طاعته طاعة من أمره لانه مبلغ عنه (ومن عصى أميرى فقد عصانى) قيل ان قريشا وسائر العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤساء قبائلهم فلما ظهر الاسلام وولى عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الامراء أنكروا ذلك ولم يطيعوا الامراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم اطاعة امرائه وتوقيرهم والاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم ورواه مسلم الامير بالالف واللام (وطاعة الرسول) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من طاعة الله) المرسل له (اذ الله أمر بطاعته) أى لان الله أمر جميع الناس باتباعه فيما جاءه من الله (فطاعته) أى الرسول ورسوله (امتثال لما أمر الله به) فى قوله أطيعوا الرسول (وطاعة له) أى لله لانه أمرهم اجمالا باطاعته فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا باطاعته فى أوامره ونواهيه وهو انما يأمرنا بما أمر الله تعالى بتبليغه وما ينطق عن الهوى ويدخله ما كان باجتهاده لانه أمر بالاجتهاد على الاصح وهذا بسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل (و) قد (حكى الله عن الكفار) ما سيقولونه أى ذكر فى القرآن اخبارا عنهم بما سيكون وهذه العبارة مأثورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد المغربى قال انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله فى كلامه عن كذا لان الحكاية متأخرة عن المحكى وانما يقال أخبر الله ونحوه انتهى وهذا لا وجه له لانه تعالى قال نحن نقص عليك والقصص والحكاية بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق (فى دركات جهنم) أى محلهم الاسفل فيها (يوم تقلب وجوههم فى النار) أى تصرف من جهة الى أخرى لاضطرابهم فهى كقطع لحم يغلى فى قدر يفور أو تقلبها تغيرها عن حالها وهيآتها أو تبدل ألوانها وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء وأظهرها أو المراد به الجملة (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) المسلم بما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم (فتمنوا طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حيث لا ينفعهم التمنى) أى فى زمان أو مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمنى طلب ما لا يمكن حصوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ) محرم أو مكروه (فاجتنبوه) أى اتركوه كأنه طرح فى جانب منكم (واذا أمرتكم بامر) أى بمأمور به ايجابا أو ندبا

(فأتوا منه ما استطعتم) أي قدرتم عليه من غير ترك لواجب بغير عذر وأول هذا الحديث دعوني ما تركتكم إنما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه إلى آخره وسببه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في خطبة إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وروى ذلك عن ابن عباس في التفسير وهو عام خص منه ما أكره عليه المكلف وفيه خلاف هل الإكراه على المعصية يبيحها أو هي باقية على حرمتها إلا أنه لا يأثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في أن المكره مكلف أم لا ومعنى فأتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم قال النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الإسلام يدخل فيه كثير من الأحكام كمن عجز عن ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروطها يأتي بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره ولذا قال الفقهاء الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث إشارة إلى اعتناء الشارع بالمنهيات لإطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المأمورات بالاستطاعة والطاقة كما قال أحمد بن حنبل فإن قلت الاستطاعة معتبرة في النهي فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها * قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعى وهو الاعتناء بل هو جهة الكف وكل أحد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل أحد قادر على الترك بخلاف الفعل فإن العجز عنه محسوس فلذا قيد الأمر بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي الكف عن المعاصي ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع العذر وأبيح ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم إنه يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقيد الأمر بالاستطاعة لكثرته فإن العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله إلا ما اضطررتم إليه وقيل إن قوله اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح أنه غير منسوخ والمراد بحق تقاته امتثال أمره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه (وفي حديث أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الحاكم (كل أمتي) يعني أمة الإجابة (يدخلون الجنة) الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز إفراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للأمة أيضا وقيل إنه لم يره بهذا اللفظ والسيوطي في تخريجه سكت عنه لنكتة (إلا من أبى) أي امتنع ثم فسره بقوله (قالوا يا رسول الله ومن يأبى) فهموا منه أنه أبى دخول الجنة ولا يأباه أحد لأنه روي كما في النهاية وشرد (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم مجيبا لهم (من أطاعني) وانقاد ممتثلا لأمري ومجتنبا لنهيي (دخل الجنة) وفاز بنعيمها المقيم (ومن عصاني) وخالفني (فقد أبى) أي امتنع من دخول الجنة لأنه بسبب تركه للطاعة باختياره كأنه دعي إلى الجنة فامتنع واعلم أنه إن أريد بالعصاة المذنبون من المؤمنين فهو تمثيل ولا ينافي العفو عنهم ولا إخراجهم من النار وإن أريد الكفار فهو استعارة أيضا والمراد خلودهم في النار قال التلمساني بعد قوله إلا من أبى أي امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيئا فالأمة أمة الدعوة أي كلهم إلا من أبى وهم الكفار يدخلون الجنة ويحتمل أن يريد بالأمة أمة الإجابة والآبي هو العاصي من أمته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن المعاصي وزاد في الجواب فقد أبى توضيحا للبيان الصنفين والتقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار التي (وفي الحديث الآخر) عرفه إشارة إلى أنه معلوم مشهور لأنه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه بقوله (الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به) ضرب للناس مثلا فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام أمر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل والمثيل في الأصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه ثم نقل إلى قول شبه مضربه بمورده وأكثر ما يكون بأمر عجيب غريب ثم نقل لكل حال وقصة أو صفة والذي في البخاري مثل ما بعثني الله وليس فيه به فقال ابن حجر

(فأتوا منه ما استطعتم) أي من غير ترك لواجب (وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عليه الصلاة والسلام كل أمتي) أي جميعهم (يدخلون الجنة إلا من أبى) أي امتنع عن دخول الجنة والظاهر أنه استثناء منقطع والمراد بالأمة أمة الإجابة ودخول الجنة أعم من أن يكون أولا أو آخرا ولا يبعد أن يكون الاستثناء متصلا على أن المراد بالأمة أمة دعوة وأن المعصية مختصة بالكفر (قالوا من أبى) وفي نسخة قالوا يا رسول الله ومن يأبى أي عن دخول الجنة مع أن فيها حصول النعمة ووصول المنة (قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) أي بتركه الطاعة التي هي سبب لدخولها وموجب لوصولها والحديث رواه الحاكم بلفظ كلكم يدخل الجنة إلا من أبى الحديث كذا ذكره الدلجي وفي الجامع الصغير برواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى (وفي الحديث الآخر الصحيح) أي الذي رواه البخاري في صحيحه (منه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله تعالى به) أي عما يورث الفوز بنصر الدنيا وذخر العقبى والمعنى حالتنا العجيبة الشأن وصفتنا الغريبة البرهان

(كمثل رجل أتى قوما) أى جاءهم يحذرهم من عدوهم وراءهم (فقال يا قوم انى رأيت الجيش) أى عسكر العدو (بعينى) بصيغة التثنية للمبالغة فى التاكيد ودفع توهم المجاز فى الخبر الاكيد (وانى انا النذير العريان) أى المخوف الذى ليس له غرض فى التحذير بل هو عار عن تلبيس وتدليس فى وصف النذر وقيل هذا مثل ضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مبالغة فى صدق النذارة لانه اذا كان عريانا كان أبين وقيل بل كان يتجرد عن ثيابه ويلوح بها فى مقام خطابه ليجتمعوا اليه ويحققوا ما لديه وقيل هو الذى سلب العدو ما عليه من الثوب فاتى قومه عريانا يخبرهم فصدقوه لما عليه من آثار الصدق (فالنجاء) بفتح النون قبل الجيم ممدودا وقد يقصر وهو منصوب على الاغراء أى الزموا النجاء وهو الاسراع الى المنجى والملجا فى حال البلاء لتسلموا من الاعداء وقيل انه منصوب على المصدر أى انجوا النجاء بمعنى أطلبوا النجاة وهو فى غالب النسخ مرة واحدة وفى بعضها النجاء النجاء مرتين للتاكيد أو احدهما اشارة الى أمر الدنيا والآخرة ايماء الى أمر العقبى (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) بتخفيف الدال وقطع الهمزة وفى بعض النسخ بتشديدها ووصل الهمزة فقيل هما لغتان تستعملان فى سير الليل كله وقال أكثرهم ادلج سار آخر الليل وادلج سار الليل كله وقيل ان ساروا من آخر الليل فادلجوا بالتشديد وان ساروا من أول الليل فادلجوا بالتخفيف والقول الاكثر هو الاوسط المعتبر لكن المراد فى الحديث هو المعنى الاعم فتدبر (فانطلقوا على مهلهم) بسكون الهاء وبفتح أى فذهبوا على مهلتهم بوصف تؤدتهم من غير عجلتهم (فنجوا) أى فتخلصوا من عدوهم ونهبتهم وفى حديث على اذا سرتم الى العدو فمهلا مهلا واذا وقعت العين على العين فمهلا مهلا قال الازهرى الساكن الرفق والمتحرك التقدم أى اذا سرتم فتانوا واذا لقيتم فاحملوا أى وتعنوا (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم) أى دخلوا فى الصبح فى محلهم (فصبحهم

انه مقدر وما موصولة وقيل عليه شرط حذف العائد المجرور جر الموصول بمثله لفظا ومعنى وان لم يتحدا متعلقا فما مصدرية لا عائد لها أقول ما ذكره النحاة انما هو لجوازه قياسا مطردا الا لعدم صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام وذكر المصنف رحمه الله تعالى له ان كان لرواية وقعت له فظاهر أو لبيان انه مقدر فيه فهو رواية بالمعنى يدل على ما قاله ابن حجر والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف لا يخفى (كمثل رجل أتى قوما) ليحذرهم وينذرهم بعدوهم الذى قرب مجيئه لهلاكهم (فقال يا قوم انى رأيت الجيش) هم جمع كثيرون سائرون للمحاربة والقتال (بعينى) هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم الخفيفة أو بفتحها وياء مشددة مفتوحة مثنى وهو لتاكيد الرؤية وتحقيق انها رؤية حقيقية بصرية ضرورية حسية (وانى انا النذير) المنذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه (العريان) أى المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل تمثله به صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به المبالغة فى انذاره ووضوح ما انذر به وعدم احتمال خلافه وأصله ان الرجل كان اذا رأى العدو وقرب جدا وليس بينه وبينهم حجاب يمنعهم عن رؤيته وخشى ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه يلوح به أى بادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم من العدو ما لا تطيقونه وأصله كان فى رجل معين من خثعم قطع رجل يده ويد امرأته فاتى قومه يحذرهم بفعل ذلك وقيل انما هى امرأة وقيل هو عوف بن عامر اليشكرى وامرأة من كنانة وقيل امرأة من بنى عامر وقيل ابرهة الحبشى وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما انفلت منهم فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطائف ما قاله الامام السهيلى فى قوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه ملاطفة له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه يقول له انا أرسلتك نذيرا والنذير يكون عريانا الا ملفوفا بثيابه وهى نكتة سرية (فالنجاء) بالنصب على المصدر بعامل محذوف لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار أى انجوا النجاء بسرعة من غير لبث فناب عن عامله وعرف وهو ممدود أو مقصور بنية الوقف ورواه البخارى النجاء النجاء بالتكرير بمدهما وقصرهما وبمد الاول وقصر الثانى وهو منصوب على الاغراء أى أطلبوا النجاء الهرب ويجوز رفعه أى النجاء خير لكم (فاطاعه طائفة) أى جماعة وفرقة (من قومه) لما أتاهم وقال لهم ما قاله (فادلجوا) أى ساروا من أول الليل أو ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل المخفف سير أول الليل والمشدد سير آخره والاسم الدلجة بالضم والفتح (وانطلقوا) أى ساروا طالبين النجاة من عدوهم (على مهلهم) أى متمهلين بتؤدة وتان بعد ذلك أو فى سيرهم هذا لسعة وقتهم ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها او بضم الميم وسكون الهاء كما مر وفى مسلم مهلتهم بزيادة تاء والكل بمعنى واحد (فنجوا) بفتح النون مع الجيم أى سلموا من عدوهم (وكذبت طائفة منهم) النذير فى انذارهم بالعدو (فاصبحوا) أى مكثوا (مكانهم) أى فى مكانهم الذى كانوا فيه حتى دخلوا فى الصباح

(فصبحهم الجيش) أي أتاهم في وقت الصباح (وأهلكهم واجتاحهم) بجيم ومثناة فوقية وألف وحاء مهملة أي أهلكهم جميعا واستأصلهم فلم يبق لهم باقية من الذراري والاموال والجائحة الآفة التي تصيب الثمار فتستأصلها أي تقتلعها من أصلها وكل مصيبة عظيمة فهي جائحة (فذلك) المذكور والمثل المضروب لكم (مثل من أطاعني) منهم وآمن وصدق النذير فنجا (واتبع ما جئت به) فصدقه وعمل بما أمره بما أوحاه الله اليه فسلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية واجتنب ما نهاه عنه (ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق) فهم كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى هلك ومن معه وفي شرح المشكاة شبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه وانذاره العذاب القريب بالرجل الذي أنذر قومه بالجيش المصبح وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه وقال الطيبي هو تشبيه تمثيل شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته لا تشبيه الاجزاء بالاجزاء فان الاول أبلغ وأحسن وأقول ان التمثيل في الحديث تقتضي ما قاله الطيبي والمآل واحد وأبلغية ما ذكر في هذا المقام غير مسلمة بلا مقدمة الامر وقيل انه تشبيه لما يعرف به المثل الحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه تحقيقه في شروح الكشاف (في الحديث الآخر) الذي رواه الشيخان (في مثله) أي تمثيل حاله وصفته صلى الله تعالى عليه وسلم مع أمته في دعوته لهم (كمثل) بفتحتين أي كصفة وقصة (من بنى دارا) عظيمة أنشأها وفرشها بفرش نفيسة (وجعل فيها مادبة) بهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة والاشهر الضم ثم الفتح وباء موحدة وهاء وهي الاطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لاكرام الضيف والاصحاب وفي القاموس انها طعام صنع لدعوة أو عرس والمشهور الاول فهي عامة لكل دعوة وفي فقه اللغة القرى بكسر القاف والقصر وفتحها والمد طعام الضيف الغريب والاملاك ... والخرس ... والعذيرة ... ولمستعجل الغداء ... والمادبة من الادبة بالضم وهي الطعام (وبعث داعيا) يدعو لمنزله وأكل طعامه (فمن أجاب الداعي) أي امتثل دعوته وذهب معه (دخل الدار) التي بناها (وأكل من) طعام (المادبة) التي أكرمه بها (ومن لم يجب الداعي) لدعوته (لم يدخل الدار ولم يأكل من المادبة) التي حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان من بنى وهو الله الذي خلق الجنة وهيأ أسباب دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله (فالدار الجنة) التي أعدها الله لمن اختاره من عباده والمادبة ما فيها من النعيم وما تشتهيه الانفس (والداعي) لها (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم بما بلغهم عن الله وأمرهم به مما يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم الخالد (فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله) تقدم بيانه (ومن عصى محمدا فقد عصى الله) لان مخالفه مخالف لامر الله كما مر (ومحمد فرق بين الناس) فرق بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين المؤمنين والكافرين

(فصبحهم الجيش) بتشديد الموحدة أي نزلوا عليهم وقت صباحهم قبل رواحهم (فاهلكهم) أي الجيش (واجتاحهم) أي استأصلهم ولم يبق واحد منهم (فذلك) أي المثل المذكور مثل من أطاعني أي امتثل في الطاعة على وجه الصدق (واتبع ما جئت به) أي من الامر الحق فيه ايماء الى انه لا ينبغي لاحد ان يكتفي بظاهر الطاعة عن اتباع ما جاء به من العبادة (ومثل من عصاني) أي بالوجه المطلق (وكذب ما جئت به من الحق) فيه اشارة الى ان مطلق العصيان غير مستأصل للانسان بل العصيان مع التكذيب هو الموجب لاستئصال البنيان لكونه كمال العدوان (وفي الحديث الآخر) أي الذي رواه الشيخان (في مثله) بفتحتين أي في تمثيله صلى الله تعالى عليه وسلم (كمثل من بنى دارا) وأصل هذا المثل منسوب الى الملائكة حيث تواقفوا في حقه عليه الصلاة والسلام اما في حال اليقظة واما في حال المنام مثله كمثل رجل بنى دارا (وجعل فيها مادبة) بضم الدال المهملة وقد تفتح أي أطعمة ملونة موضوعة للدعوة (وبعث داعيا) أي الى الناس ليحضره هاديا كانوا منه (فمن أجاب الداعي) أي بقبول الدعوة (دخل الدار) أي دار النعمة (وأكل من المادبة) أي على قدر الطاقة في الطاعة (ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار) أي دار التربية (ولم يأكل من المادبة) أي لان نصيبه الفرقة والحرقة (فالدار الجنة) اعدت للمتقين الذين أجابوا دعوة سيد المرسلين (والداعي) أي الى الله تعالى ودار نعمته (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن أطاع محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد أطاع الله) لانه الداعي باماره (ومن عصى محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد عصى الله تعالى) أي بخروجه عن حكمه (ومحمد فرق) بفتح فسكون أي فارق (بين الناس) أي من المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه فهو مصدر وصف به للمبالغة كرجل عدل وفي نسخة بفتح الراء مشددة مخففة القاف أي فصل بينهم باعزاز المطيعين واذلال العاصين

(فصل) (واما وجوب اتباعه) أى متابعته (وامتثال سنته) أى طريقته (والاقتداء بهديه) أى سمته وحالته وسيرته (فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) أى تدعون محبته وتريدون مودته (فاتبعونى) أى فيما يظهر منى من شريعته وطريقته وحقيقته (يحببكم الله) جواب الامر وهو جواب الشرط أى يرض عنكم ويكشف حجب قلوبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) أى جميع عيوبكم (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى) وفى وصفه به تلويح الى ان كمال علمه من معجزاته (الذى يؤمن بالله وكلماته) أى بكتبه وآياته (واتبعوه) أى فى أوامره وزواجره (لعلكم تهتدون) ببركات ظواهره وسرائره (وقال تعالى فلا وربك) زيدت لا لتاكيد معنى القسم كما قاله الدلجى تبعا لغيره لكن يأباه الجمع بين الفاء والواو فالاظهر ان تقديره فليس الامر كما يظنون من انهم يصلون الى الله تعالى من غير ان يتبعوا رسوله وربك (لا يؤمنون) أى بى ولا بك (حتى يحكموك) أى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) أى اختلفوا فى أمرهم ويرضوا بحكمك فى حقهم (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) أى ضيقا (مما قضيت) أى حكمت به أو من حكمك (ويسلموا تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره (أى ينقادوا لحكمك) يعنى انقيادا كاملا يكون لجميع أحكامك شاملا ولظواهرهم وبواطنهم كافلا بحذف

باطاعته وعصيانه وروى فرق بصيغة الماضى مشدد الراء المهملة أى فرق بين مؤمنهم وكافرهم أو بين من دعى للجنة وبين من لم يدع لها وهذا أنسب بالسياق والمعنى واحد وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاءه ملائكة وهو نائم فقال بعضهم لبعض ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان مثله كمثل رجل الى آخره وفيه فقالوا أولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة الى آخره فالممثل الملائكة وكذا المبين له وهذه رواية غير رواية المصنف رحمه الله تعالى وفى رواية ان القائل جبريل وميكائيل ولا يخفى ان ظاهر الحديث انه تشبيه مركب فقول الكرمانى انه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه تمثيل مما لا وجه له

(فصل واما وجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وامتثال سنته) السنة هنا بمعناها اللغوى وهى الطريقة والسيرة بمعنى وهى أقواله وأفعاله وتقريراته وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه معطوف على اتباعه (والاقتداء بهديه) هدى بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته أيضا وفى نسخة والاهتداء بهديه (فقد قال الله تعالى) هو جواب اما أى فقد ثبت ذلك بنص القرآن كقوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) أى اقتدوا بسنتى واهتدوا بهديى (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الآية) فسروا محبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله بانعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فان المحبة الحقيقية ميل النفس لما يستلذه وهو غير متصور ههنا ولذا قال الغزالى ان العصيان يضاد أصل المحبة وقال البيضاوى يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة أى المشاكلة ولبعض الشراح من المتاخرين هنا كلام لا طائل تحته غير التطويل (وقال) تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى) والايمان به وتصديقه يقتضى اتباعه وطاعته (الذى يؤمن بالله وكلماته) التى نزل بها الوحى عليه وما أوحى الى من قبله من الرسل من الكتب والشرائع وعبر عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شئ ولكلامه الذى يفنى مداد البحار فى دواة الامكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لان المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص يكفى هنا عنى الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بى لبلاغة الالتفات ولتجرى عليه الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجاء فى قوله (واتبعوه لعلكم تهتدون) أى راجين الاهتداء باتباعه تحريضا لهم على اتباعه وايماء الى ان من آمن به ولم يقتد بما شرعه لهم لا ينجو من الضلال والرجاء بالنسبة للمخاطبين أو هو مجاز عن التعليل كما ذهب اليه بعض النحاة (وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون) لا مزيدة للتاكيد أو نفى لما تقدمها أى ليس الامر كما يزعمون من انهم آمنوا بما أنزل اليك وقيل لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفى النفى (حتى يحكموك) أى يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم (فيما شجر بينهم) أى فيما وقع بينهم من المشاجرة وهى المخاصمة وأصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل أغصانه واختلاطها (الى قوله تسليما) يعنى قوله تعالى ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر أو الشك وهذه الآية نزلت فى بعض الانصار لما اختصم مع الزبير فى ما سقى به أرضه وسياتى تفصيله (أى ينقادون لحكمك) تفسير لقوله ويسلموا تسليما وأكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفى نسخة ينقادوا قيل وهو الظاهر لانه منصوب

(يقال) أى فى اللغة (سلم) بتشديد اللام (واستسلم وأسلم اذا انقاد) أى مطلقا (وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة بضم الهمزة وكسرها أى خصلة (حسنة) من حقها ان يؤتسى و يقتدى بها (لمن كان يرجو الله) أى ثوابه أو لقاءه (واليوم الآخر)

أى نعيم الآخرة أو لمن كان يخاف عقابه أو حجابه واليوم الآخر أى حسابه وعذابه (وقال محمد بن على الترمذى) أى الحكيم وهو ليس صاحب الجامع (الاسوة فى الرسول) أى معناها فى حقه (الاقتداء به) أى فى أمر شريعته (والاتباع لسنته) أى طريقته (وترك مخالفته فى قول أو فعل) وكذا فى جميع ما علم من حالته (وقال غير واحد) أى كثير من المفسرين (بمعناه) أى بمعنى قول الحكيم وان اختلف عنهم مبناه (وقيل هو) أى قوله تعالى لقد كان لكم الآية (عتاب) أى ملامة من الله (للمتخلفين عنه) أى فى غزواته وخصوص حالاته وعلو درجاته و رفعة مقاماته (وقال سهل) أى ابن عبد الله كما فى نسخة وهو التسترى من أكابر الصوفية (فى قوله تعالى) أى فى تفسيره (صراط الذين أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة) وفى نسخة بسنته أى أنعمت عليهم بسبب اتباع طريقته (فأمرهم الله تعالى بذلك) أى باتباع شريعته (ووعدهم الاهتداء باتباعه) أى بمتابعته حيث قال واتبعوه لعلكم تهتدون (لان الله تعالى أرسله بالهدى) أى بالهداية الموصلة الى المولى (ودين الحق) أى الملة الثابتة بمخالفة الهوى

بحذف النون لا سيما ان قيل ان أى عاطفة وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده (يقال سلم) بالتشديد (واستسلم) أى طلب السلامة بانقياده (وأسلم اذا انقاد) هذا هو المصرح به فى كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره فما قيل ان المذكور فى القاموس ان التسليم الرضا والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم فى الآية بالرضى الاخص كان أحسن ليس بشئ (وقال الله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة) بالكسر والضم أى قدوة يقال ائتسيت به أى اقتديت به تعالى اسوة واسية لغة قليلة وقيل هى الصواب فهى الخصلة التى يراد الاتصاف بها (حسنة) أى خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها أى يقتدى و يجوز ان يراد بالاسوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التأسى به فى أقواله وأفعاله وحسنة على الاول صفة مؤكدة ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فتكون صفة مقيدة (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى يرجو ثوابه ولقاءه ونعيم الآخرة أو أيامه الآخر خصوصا مع قوله لمن كان فى الكشاف ان لمن بدل من لكم قيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة أو صفة لحسنة وقرنت كثيرة بالرجاء لايذانها بلازمة الطاعة اذ المؤتسى من شأنه ذلك (قال محمد بن على الترمذى) هو المعروف بالحكيم الترمذى الصوفى صاحب نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته (الاسوة فى الرسول) تعريفه للعهد الخارجى فالمراد به محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو هو للعهد الذهنى أو الاستغراق فهو أعم أى فى حق رسولهم من الرسل أو لكل رسول (الاقتداء به) فى أقواله وأفعاله كما فى قوله تعالى فبهداهم اقتده (والاتباع لسنته) أى لطريقته وشريعته (وترك مخالفته فى قول) قاله أمرا أو نهيا أو ارشادا (أو فعل) فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غير واحد) تقدم ان معناه ناس كثيرون (من المفسرين بمعناه) أى ما قالوا ولا يعنى ما قاله الترمذى (وقيل) معنى الآية المذكورة (هو عتاب) من الله تعالى أى توبيخ ولوم (للمتخلفين عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم من لم يخرج معه لمحاربة أعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به فى جهاد أعداء الدين ومقاساة أهوال الحرب وكان ذلك فى غزوة الاحزاب أو تبوك حبا للبقاء والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وبذل أنفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على ما ذكر على تقديره ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة أفعاله وأقواله المتبعة ظرفية الموصوف للصفة لانها قائمة به كقيام المظروف بظرفه فان قلنا الاسوة نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تجريد بجعل كأنه فيه مقتدى به [illegible] كقولهم فى البيضة عشرون منا من حديد كذا قيل وقد أشرنا الى ان الاقتداء انما يحسن فيما ليس من خصائصه كالافعال الجبلية فانه لا يمكن ان تكون لغيره (وقال سهل) بن عبد الله التسترى وقد قدمنا ترجمته (فى قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم) بين ما أنعم به على من سلك الطريق المستقيم (قال) سهل فى تفسيره ما أنعم عليهم (بمتابعة السنة) أى اتباع طريقته الذى هو الصراط المستقيم الذى يجب اتباعه (فأمرهم الله تعالى بذلك) أى باتباعه (ووعدهم) الجزاء عليه أعنى (الاهتداء باتباعه) أى حصول الهداية التى طلبوها بقولهم اهدنا الصراط المستقيم فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايماء الى ان الترجى من الله تعالى وعد لانه لا يخلف الميعاد (لان الله تعالى أرسله بالهدى) أى بما فيه هدايتهم (ودين الحق)

(ليزكيهم) أى يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن الجامع لمكارم الاخلاق (والحكمة) أى السنة أوالاحكام المحكمة والمعارف الصادرة عن أهل الحكمة ممن جمع بين ايقان العلم واتقان العمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) هو الدين القويم بالطاعة فى لدنيا وطريق الجنة فى العقبى (ووعده) أى على اتباعه (محبته تعالى فى الآية الأخرى) وهى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذا معنى قوله (مغفرته) أى ووعدهم غفران ذنوبهم (اذا اتبعوه) أى فى الايمان به وامتثال أمره ونهيه (وآثروه) بالف ممدودة أى قدموه على أنفسهم وآثروه (على اهوائهم) واختاروا هداه على آرائهم وأحبوه أزيد من آبائهم وأبنائهم (ومانجنح) بفتح النون وتضم أى وعلى ماتميل (اليه نفوسهم) أى من محبة الجاه والمال والجمال المتعلقة بالامور الدنيوية الشاغلة عن المراتب الدينية والمناقب الاخروية (وان صحة ايمانهم) أى وأخبر فى قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية ان صحته (بانقيادهم له) أى لامره (ورضاهم بحكمه) أى فيما شجر بينهم (وترك الاعتراض عليه) أى فيما حكم لهم أو عليهم (وروى) كما فى تفسير ابن المنذر (عن الحسن) أى البصرى (ان أقواما) أى جمعا كثيرا (قالوا يارسول الله انا نحب الله) أى ونطلب رضاه (فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية وروى) قال الدلجى لا أدرى من رواه (ان الآية) أى هذه الآية (نزلت فى كعب بن الاشرف) وهو يهودى قتل غيلة كافرا بالله تعالى (وغيره) أى من اليهود (وانهم قالوا نحن أبناء الله) النصارى زعما منهم انهم أشياع عزير (واحباؤه) يعنون به كما قال المصنف (ونحن أشد حبا لله) أى مقربون قرب الاولاد من آبائهم بل هم مبعدون عنه بعد اعدى الاعداء من أعدائهم اذ لو كانوا أبناءه وأحباءه لم يأتوا قبيحا من عيوبهم ولما عذبوا بذنوبهم مسخا فى الدنيا ومسا بالنار دائما فى العقبى لا أياما معدودات كما زعموا وتمنوا من جهة النفس والهوى وقد أجاب عنه سبحانه وتعالى بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء بالايمان ويعذب من يشاء بالكفران والله على كل شئ قدير من الاحسان والخذلان (وهذا لا ينافى قوله تعالى

أى الدين الحق أودين الله (ليزكيهم) أى يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى العلوم النافعة المحكمة والشريعة التى صيرتهم حكماء متقنون للعلم والعمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم (ووعدهم محبته تعالى) أى محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله (فى الآية الاخرى) يعنى قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (ومغفرته) بقوله ويغفر لكم ذنوبكم (اذا اتبعوه) لان جواب الامر فى معنى جواب الشرط (وآثروه) بالمد أى قدموه واختاروه من الاثرة (على اهوائهم) جمع هوى بالقصر وهو ماتميل اليه النفس وتدعو اليه وهو اذا اطلق يراد به ماليس بمحمود من الشهوات (وماتجنح) بجيم ونون وحاء مهملة ويجوز فى نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل وأصله الميل على أحد شقيه ماخوذ من الجناح (اليه نفوسهم) وضع الظاهر فيه موضع الضمير اذ المعنى يجنحون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته على محبة أنفسهم وأموالهم وأولادهم والناس أجمعين كما ورد فى الحديث (و) أخبرهم بـ(ان صحة ايمانهم فى انقيادهم له) فى جميع ما أمرهم به ونهاهم عنه (ورضاهم بحكمه) فيما تخاصموا فيه يعنى قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (وترك الاعتراض عليه) فيما حكم به ومخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم فى قصة الانصارى مع الزبير (وروى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى والراوى له ابن المنذر فى تفسيره ويحتمل انه الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما (ان قوما قالوا يارسول الله انا نحب الله) أى تميل اليه أنفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه (فانزل الله) مبينا لهم محبتهم والمراد منها بقوله (قل ان كنتم تحبون الله الآية) أى فاتبعونى يحببكم الله يعنى ان محبته انما تتحقق بطاعة الله وطاعته بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله أحبه الله كما قيل ماجزى من يحب الا يحب (وروى فى سبب نزول هذه الآية (ان الآية نزلت فى كعب بن الاشرف) وهو رجل من عظماء اليهود من بنى النضير وأمه من طى وقتل كافرا بعد بدر بستة أشهر كما تقدم وقصته مشهورة مفصلة فى السير (وغيره) من اليهود أتباعه (وانهم) أى ابن الاشرف وأتباعه (قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله) وهذا ما حكاه الله تعالى عنهم فى قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى الى آخره وكانوا أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن أبناء الله الى آخره فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يامعشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما أنزل الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول

النصارى نحن أبناء الله انهم أتباع عيسى صلى الله عليه وسلم الذى زعم أنه ابن الله ومعنى قالت اليهود ذلك انهم أتباع عزير الذى زعم أنه ابن الله وقيل تقديره رسل الله (فانزل الله تعالى الآية) جوابا لهم بقوله تعالى قل فلم يعذبكم الآية (وقال الزجاج) فى تفسير هذه الآية (معناه ان كنتم تحبون الله أى تقصدوا طاعته) اذ لا يصح تفسير المحبة فيها بما تعارفه الناس وفى نسخة ان تقصدوا هذا تفسير لمحبة العبد (فافعلوا ما أمركم) الله تعالى (به) الفاء فصيحة أى اتبعونى وافعلوا (اذ محبة العبد لله والرسول) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام عوض عن المضاف (طاعته لهما) باتباع أمرهما ونهيهما (ورضاه بأمرهما) ان يتبعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يتبعه باطنا كان منافقا (ومحبة الله لهم) أى لعباده فسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما فى الآية (عفوه عنهم) بغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله (وانعامه) أى تفضله (عليهم) أى على عباده (برحمته) اشتمالها والرحمة فى حق الله بمعنى الانعام وارادته فى حقه تعالى لان معناها الحقيقى لا يصح فى حقه تعالى فالمراد بها هنا الصفة بعباده ورأفته بهم (ويقال) فى تفسير محبة الله ومحبة عباده له ان معنى (الحب من الله عصمة) أى حفظ الله لعبده من مخالفة أمره ونهيه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا تختص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون لغيره ويجوز الدعاء بها لكل أحد كما تقدم والذى يختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله وان لا يقدر أحد على قتله ونحوه واليه أشار بقوله (وتوفيق) أى خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته فى السر والعلانية حتى يمتنع من المقتحمات ومبدؤه ميل نفسانى يتعالى الله عنه (و) المحبة (من العباد) معناها (طاعة) وانقياد لله ورسوله (كما قال القائل) أى معنى ما ذكره معنى قول هذا الشاعر وهو كما فى زهر الآداب للحصرى محمود بن الحسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو بليغ مفلق كان فى أول الدولة العباسية وكان كثيرا ما يأخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم فينظمها فى شعره كقوله

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر

اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر

فما منهما الا له فيه نعمة * يضيق بها الاوهام والبر والبحر

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وفى معناه قول منصور الفقيه أيضا

غلط فاحش وجهل مبين * وعمى لا يحول لا بل جنون

طمع العبد فى كرامة مولاه * واصراره على ما يهين

ومعنى الشعر انك تدعى محبة الله وأنت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب لا يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها الا انه فى القسم التزم واقتحها الا شذوذا وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمى والقياس لغة تقدير الشئ بذراع ونحوه وفى الاصطلاح الحاق شئ بشئ لمناسبة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعنى ان المعاصى لا تضر المحب لان المتحابين لا يؤاخذ أحدهما الآخر وهو أمر عجيب ومقتضى القياس ان المحب لا يعصى أمر حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقى كما قيل وهو تكلف

فانزل الله الآية) أى آية قل ان كنتم تحبون الله حيث لا مانع من تعدد الجواب فى مقام الخطاب والعتاب (وقال الزجاج معناه) أى معنى ما ذكر من الآية أو معنى ان كنتم تحبون الله (ان تقصدوا طاعته) أى تريدوها وتحبوا القيام بحقها (فافعلوا ما أمركم به) أى رسولنا وهذا تفسير بالمعنى لقوله تعالى فاتبعونى أى اتبعوا أمرى ونهيى (اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمرا) أى ونهيا (ومحبة الله لهم) أى لعباده (عفوه عنهم) أى برأفته (وانعامه عليهم برحمته) حتى يدخلهم فى جنته (ويقال الحب من الله) أى للعبد (عصمة) أى حفظ له عن المعصية (وتوفيق) أى للعباد (ومن العباد) أى والحب من العباد لله (طاعة) له فى أمره ونهيه ومتابعة رسوله (كما قال القائل) قيل القائل رابعة العدوية وفى الاحياء ان قائله عبد الله ابن المبارك (تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا) أى الجمع بين اختيار المعصية واظهار المحبة (لعمرى) بفتح العين اعتراض بين المبتدأ والخبر وما فى حيزه من جار ومجرور وخبر اقسم به بالتقدير والله لبقائى أو لعمرى عما اقسم به ان هذا الامر (فى القياس) وفى نسخة فى الفعال وهو موافق لتفسيره أى

الليث واحياء الغزالى (بديع) أى عجيب وغريب بعيد عن القياس أو من فعال الناس لانه (لو كان حبك صادقا لاطعته) كما هو القياس لكنك لم تطعه فلم يكن حبك له صادقا بدليل قوله (ان المحب لمن يحب مطيع) وفى رواية يطيع

(و يقال محبة العبد لله) أى غاية ميله اليه سبحانه وتعالى (تعظيمه له) أى فى شأنه (وهيبته منه) أى فى سلطانه (ومحبة الله له) أى للعبد (رحمته له) أى بانعامه فيكون من الصفات الافعالية (وارادته الجميل له) أى باكرامه فيكون من النعوت الذاتية والجميل منصوب على انه مفعول المصدر الذى هو ارادته (فتكون) أى وقد تكون المحبة (بمعنى مدحه وثنائه عليه) أى على العبد عند ملائكته وعلى ألسنة رسله أو على ألسنة الخلق فانها اقلام الحق (قال القشيرى) وهو الامام أبو القاسم صاحب الرسالة والتفسير (فاذا كان) أى الحب (بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات) بالاظهر ماقدمناه (وسيأتى بعد) أى بعد ذلك (فى ذكر محبة العبد غير هذا) اى غير ماذكر هنا (بحول الله تعالى) أى بتصرفه وقوته وهو متعلق بسيأتى (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا) أى حدثنا (أبو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفى آخره غين معجمة (عيسى بن سهل وثنا) أى وحدثنا وفى نسخة وأخبرنا (أبو الحسن يونس بن مغيث) اسم فاعل من الاغاثة (الفقيه) أى الكامل فى الفقه (بقراءتى عليه) أى هذا الحديث (قالا) أى عيسى ويونس كلاهما (ثنا) أى حدثنا (محمد ابن حاتم) بكسر الفوقية (قال ثنا) أى حدثنا (أبو جعفر الجهنى) بضم ففتح نسبة الى قبيلة جهينة بالتصغير (ثنا) أى حدثنا (أبو بكر الآجرى) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء وهو الامام الحافظ القدوة (ثنا) أى حدثنا (ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح الجيم وسكون الواو وكسر الزاى منسوب الى الجوز (ثنا) أى حدثنا (داود بن رشيد) بالتصغير خوارزمى روى عنه مسلم وأبو داود وابن ماجه والبغوى والسراج وخلق أخرج عنه الستة ماعدا الترمذى ووثقه غير واحد (ثنا) أى حدثنا (الوليد بن مسلم) هو الحافظ أبو العباس عالم أهل الشام روى عنه أحمد واسحق قال ابن المدينى مارأيت فى الشاميين مثله أخرج له الجماعة وهو مدلس (عن ثور بن يزيد) هو الحافظ الحمصى روى عن خالد بن معدان وعن عطاء وعنه القطان وأبو عاصم وكان ثبتا قدريا أخرجوه من حمص واحرقوا داره أخرج له البخارى والاربعة

(و يقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه) أى خوفه اذا تأمل عظمته (ومحبة الله له) أى لعبده (رحمته له) أى احسانه واكرامه لان معناه الحقيقى لا يليق به فاريد به غايته (وارادته) الفعل (الجميل له وتكون) بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول أولى (بمعنى مدحه وثنائه عليه) أى على العبد (قال القشيرى) الامام الزاهد أبو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته (فاذا كان) أى المحبة وذكره لتأويله أو لان تأنيث المصدر غير معتبر لتأويله بان والفعل او الضمير للجميل (بمعنى الرحمة والارادة) عطف تفسير لان الرحمة تفسر بالانعام فيكون من صفات الافعال (والمدح) فى كلامه الازلى كالثناء على المؤمنين فى القرآن (كان من صفات الذات) أما الارادة فظاهر وأما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام على صفات الذات والافعال مقرر وغيره فى علم الكلام (وسيأتى بعد) مبنى على الضم لقطعه عن الاضافة أى بعد هذا (فى ذكر محبة العبد غير هذا) فاعل سيأتى أى غير ماذكر هنا (بحول الله تعالى) أى باعانته وقوته لان الحول له معان منها هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الآجرى شاهدا لوجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) بن أحمد شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا أبو الاصبغ عيسى بن سهل) أصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة (ح وحدثنا) تقدم ان ح بحاء مهملة يذكرها المحدثون اذا أرادوا التحول من رواية لرواية أخرى كما بينه ابن الصلاح (أبو الحسن يونس بن مغيث) بميم مضمومة وغين معجمة وياء تحتية ساكنة ومثلثة (الفقيه بقراءتى عليه) قال (حدثنا حاتم بن محمد) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو حفص الجهنى) نسبة لجهينة مصغرا قبيلة مشهورة قال (حدثنا أبو بكر الآجرى) بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للآجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم بيانه قال (حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح الجيم وسكون الواو وزاى معجمة مكسورة وياء نسبة وهو أبو اسحق الجوزى نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبى وقال التلمسانى انه كذا فى أصل المصنف رحمه الله تعالى ورواه العزفى خوزى بخاء مضمومة وواو ساكنة وزاى معجمة نسبة لخوز جيل من الناس أو قرية مشهورة قال (حدثنا داود بن رشيد) بالتصغير علم منقول وهو أبو الفضل الخوارزمى الحافظ الثقة روى عنه أصحاب السنن وتوفى فى شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين (قال حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ أبو العباس عالم الشام صاحب التآليف الجليلة روى له أصحاب الكتب الستة الا انه نسب الى التدليس وفى سنة خمس وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (عن ثور بن يزيد) الحافظ الحمصى ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى أخرج من حمص وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة

(عن خالد بن معدان) هو الكلاعي عن معاوية وثوبان وغيرهم يقال كان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة وقيل غير ذلك أخرج له الجماعة (عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي) بضم ففتح هو الصواب كما في سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه وفي بعض النسخ الاسلمي (وحجر) بضم مهملة وسكون جيم (الكلاعي) بفتح الكاف (عن العرباض) بكسر العين المهملة وفي آخره ضاد معجمة (ابن سارية) أي ابن نجيح السلمي من البكائين من أهل الصفة أخرج له أصحاب السنن الاربعة (في حديثه) أي في حديث رواه العرباض (في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) أي الخلفاء الاربعة ومن سار سيرتهم كعمر بن عبد العزيز والراشد اسم فاعل من الرشد وهو خلاف الغي والمهدي من هداه الله تعالى الى الحق (عضوا) بفتح فتشديد (عليها بالنواجذ) بالذال المعجمة أي تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع اضراسه (اياكم ومحدثات الامور) تحذير منها ومن الرضى بها جمع محدثة وهي مالم يكن معروفا من كتاب ولا سنة ولا اجماع أمة (فان كل محدثة بدعة وكل بدعة) بالنصب وفي نسخة بالرفع (ضلالة) وخص منها البدعة الحسنة بحديث من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه في التراويح نعمت البدعة هذه والحديث في الاربعين للنووي وقد أوضحنا في شرحه المبين المعين بيان مبناه وعيان معناه وقد أخرجه أبو داود في السنة عن أحمد بن حنبل عن الوليد بن مسلم بالسند الذي ساقه القاضي والترمذي في العلم وقال حسن صحيح وابن ماجه في السنة والمصنف عدل عن السنن الثلاث وأخرجه من خارجها طالبا للعلو في الاسناد فان بينه وبين شيخ شيخ أبي داود في هذا الحديث وهو الوليد بن مسلم ستة أشخاص ولا يتفق له ذلك في رواية أبي داود

ومائة (عن خالد بن معدان) الكلاعي الزاهد الفقيه الجليل أخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة أربع وثمانين ومائة قيل انه كان يسبح في كل يوم أربعين ألف تسبيحة (عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي) كذا في النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وهو ابن عبسة وهو ما في نسخة توفي سنة عشرة ومائة (وحجر الكلاعي) حجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعي بفتح الكاف واللام والف وعين مهملة نسبة الى كلاع بزنة سحاب بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن المسلمين بالاذواء وهذه النسبة لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين وروى له أصحاب السنن (عن) أبي نجيح (العرباض) بعين مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة وباء موحدة وضاد معجمة وأصله الطويل وتقدم الكلام عليه (ابن سارية) بسين مهملة وياء آخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل الصفة سكن حمص (في حديثه في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) أي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة وذلك ان عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه فقلنا أتيناك زائرين عائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) رواه على غير الوليد كما قال الذهبي في تاريخه وهو من خواصه قال واعلم ان الموعظة هي التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه ان كان بمعنى الزم كقوله عليكم أنفسكم وبالباء ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة الطريقة وما هم عليه والخلفاء جمع خليفة وراشدين جمع راشد ضد الغاوي والمراد بهم الخلفاء الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز وأئمة الاسلام المجتهدين في اعلاء كلمة الله وقوله عضوا الى آخره فعل أمر والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ وهي الاضراس وهي أربعة أو الانياب أو التي تليها والمراد الاجتهاد في التمسك بها فهو استعارة تمثيلية اذ لا كناية ويجوز ان تكون استعارة تصريحية تبعية وقيل المراد بالنواجذ جميع الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذري انه يجوز اهمال داله وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة واياكم تحذير أي احذروا المحدثات والرضا بها وهي جمع محدثة اسم مفعول وهو ما حدث مما خالف الكتاب والسنة واجماع المسلمين والبدعة معناها وهي ما لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم وهي كما قاله العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث الربط ٢ والمدارس ومن المكروهة تزويق المصاحف والمساجد وتكبير

٢ قوله الربط بضمتين جمع رباط بالكسر ككتب وكتاب والمراد هنا اسم للمحل الذي يسكن فيه كالتكية والعمارة وغيرها على ما في كتب اللغة مصححه

زاد في حديث جابر) على ما رواه مسلم (بمعناه) أي زيادة أفادت عدم روايته بلفظه ومبناه (وكل ضلالة في النار) أي وكل محدثة فيها باسقاط المكرر (وفي حديث أبي رافع) كما رواه الشافعي في كتابه الام عن سفيان بن عيينة عن سالم أبي النضر عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عنه عليه الصلاة والسلام (لا ألفين) بضم الهمزة وكسر الفاء ونون مشددة أي لا أجدن (أحدكم متكئا على اريكته) أي جالسا على سريره أو فراشه متمكنا على مقعده أو مائلا في قعوده معتمدا على أحد شقيه كما هو شان الجهلة من المتكبرين الراضين بالقعود مع المتخلفين كما قيل شعر

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

(يأتيه الامر من أمري) أي يبلغه أمر من أموري أو من ماموري بدليل قوله (مما أمرت به) على ان من فيه بيانية وبدلالة رواية الاهل عني رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى (أو نهيت عنه فيقول لا أدري) أي غير القرآن ولا أتبع سوى الفرقان (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) أي وما وجدنا في غيره أو مخالفا فيه تركناه والحديث جاء محذرا من ترك امتثال أوامره واجتناب زواجره لانه عليه الصلاة والسلام جاء مبينا لما في القرآن من الاحكام ولقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله وأطيعوا الله والرسول وقوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وامثال ذلك مما يدل على انه لا يسوغ لمسلم ان يخالفه في أمر أو نهي هنالك

ما

العمائم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذي يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولا ينافي هذا قوله كل بدعة ضلالة لان البدعة لها معنيان كل ما حدث بعد العصر الاول وهو المقسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها واليه الاشارة بقوله سنة الخلفاء وقد خصها الشارع بما هو مذموم لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الاطلاق وهو الذي جعل ضلالة وفي عوارف المعارف واحياء الغزالي البدعة المذمومة ما زاحم السنة المأثورة أو كان يفضي الى تغييرها وفي كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف (وزاد) على ما رواه العرباض (في حديث جابر) بن عبد الله رضي الله عنهما الذي رواه مسلم (بمعناه) أي ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافقا له وليس المراد انه رواية بالمعنى كما قيل (وكل ضلالة) أي ضلال بارتكاب البدع المذمومة (في النار) أي معذب بها أو مستحق للعذاب وقيل انه متضمن الشكل منطقي منتج لما ذكر أي كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب للعذاب الاليم (وفي حديث أبي رافع) الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو رافع هو الصحابي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبطيا واختلف في اسمه فقيل ابراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وقيل هرمز ولهم أبو رافع غير راوي هذا الحديث معدود في الصحابة أيضا روى (عنه عليه الصلاة والسلام لا ألفين) نفي بمعنى النهي أي لا أجدن وألفى بمعنى وجد قال الله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب وروى لا الفين كما تقدم عن الام للشافعي والصحيح رواية الاول وان صح هذا أيضا كانه لتحققه وجده هو وهو بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء وفتح المثناة التحتية وتشديد النون أي لا يفعل (أحدكم) معاشر الامة أو الصحابة فلا يكون هذا من سببه وهو نهي في الحقيقة عن التكبر والبطر (متكئا) أي مائلا مستندا معتمدا وهو بالهمزة والياء أيضا وقد تقدم ان العامة لا تعرف المتكي الا من مال في قعوده معتمدا على أحد شقيه وتاؤه مبدلة من واو من اوكاء (على اريكته) هي سرير مزين يتخذ في قبة أو بيت وليس مطلق السرير اريكة وقيل هو سرير في حجلة وقيل كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو مخدة مما يفعله المترفهون وجمعه ارائك وقال الراغب سمي به لاتخاذه من الاراك أو لانه محل الاقامة من أرك بالمكان اروكا اذا أقام به وأصله الاقامة لرعي الاراك ثم يتجوز به عن كل اقامة (يأتيه الامر من أمري) أي شيء مما أمرت به فقوله (مما أمرت به) تفسير لقوله من أمري بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفي أي به متعلقة بامري والامر الاول بمعنى الشأن شامل النهي وغيره والثاني مقابل النهي لقوله (أو نهيت عنه فيقول لا أدري) هذا الامر الذي نقلتموه لنا ولا أتبع ما عرف غير القرآن (ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه) دون غيره مما روي في الاحاديث ولم يعرف ان ما في الحديث عن الله تعالى أيضا وان الوحي وحيان متلو وغير متلو وان السنة لا تخالف الكتاب وقد قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهو تحذير عن ترك امتثال أمره واجتناب نهيه والعمل بها وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت أم لا وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي الا اني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان

(وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا ترخص فيه) أي اختار
رخصة على العزيمة في عمل ذلك الشيء عملا بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى بعزائمه
والظاهر ان ما ترخص فيه هو الافطار في السفر أو القصر وهو الاظهر لقوله عليه الصلاة والسلام صدقة تصدق الله بها
عليكم فاقبلوا صدقته ومن هنا قال أبو حنيفة ان القصر واجب واتمامه اساءة (فتنزه عنه) أي تبعد
عن ذلك الشيء أو عن الترخص فيه (قوم) أي جماعة من الرجال ما بلغوا مبلغ الكمال (فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله) أي شكره (واثنى عليه) أي فيما أفاض اليه (ثم قال ما بال قوم) أي ما حالهم وشأنهم (يتنزهون عن الشيء أصنعه) جملة وصفية أو حالية (فوالله اني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) اذ بقدر المعرفة بالله وصفاته تكون الخشية من عقوباته بحسب حالاته ومقاماته كما أشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وروي عنه عليه الصلاة والسلام) من حديث أبي الشيخ وأبي نعيم والديلمي (انه قال القرآن صعب) أي باعتبار مبناه (مستصعب) بكسر العين وفتح أي باعتبار معناه (على من كرهه) أي ولم يتلذذ بمقتضاه ومفهومه انه سهل متيسر
على من أحبه وارتضاه كما أشير اليه قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين
وشفاء للمؤمنين وشقاء للعاصين (وهو) أي القرآن (الحكم) بفتحتين الحاكم العدل والفاتح الفصل والجد الذي ليس فيه الهزل
أو ذو الحكمة من كمال الفضل (فمن استمسك بحديثي) أي تعلق به من كمال رضاه (وفهمه) أي القرآن من جهة معناه (وحفظه)
من جهة مبناه أي ضبط حكمه ورعاه (جاء) أي ورد (يوم القيامة مع القرآن) أي بعلمه وعمله بهما

ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما حرم الله تعالى الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة
لكثير من الشرع كشبهة الخوارج (وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها) المروي في الصحيحين وما
ذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخاري (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا) يأتي
بيانه (ترخص فيه) أي ارتكب فيه الرخصة وترك العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهولة
كقصر المسافر صلاته وافطاره وهذه الرخصة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصبح جنبا فبلغ ذلك
بعضهم فقال لسنا كرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغه صلى الله تعالى عليه وسلم فغضب وقال اني
لأرجو ان أكون أخشاكم لله وأتقاكم وقيل هو ان بعض الصحابة سأل أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم
عن عبادته فلما أخبرهم استقلوها وقالوا انه غفر له ما تقدم وما تأخر فقال أحدهم أصلي الليل كله وقال ان
بعضهم قال اعتزل النساء ولا أتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله تعالى
عليه وسلم عام الفتح والكل صحيح هنا (فتنزه) أي تباعد (عنه قوم) عن العمل بما ترخص فيه (فبلغه
ذلك) أي نقل له صلى الله تعالى عليه وسلم تنزه هؤلاء فخطبهم ووعظهم على ما فاته (فحمد الله واثنى عليه
ثم قال ما بال قوم) أي ما شأنهم وحالهم وهو استفهام انكاري (يتنزهون عن الشيء) حال كوني
(أصنعه) تركهم اياه لأنهم يظنون ان خوفهم من الله تعالى أشد من خوفي له لان الله تعالى غفر لي
ما تقدم وما تأخر ولم يكلفني ما كلفهم (فوالله) تأكيدا وتقرير القوله (اني لأعلمهم بالله وأشدهم له
خشية) أي خوفا بقدر أعلميته لان الخشية بمقدار العلم كما قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكابه للرخص يفضي الى عدم
الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه لانها
صدقة تصدق الله بها عليهم لا يليق عدم قبولها بقبيل انه ليس محلا للانكار لكنه نزلهم منزلة المنكرين
لما لاح عليهم من علامات الانكار وليس شيء (وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الديلمي
وأبو نعيم وأبو الشيخ مسندا (انه قال القرآن صعب) بسكون العين ضد السهل (مستصعب) بكسر
العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب وبفتحها من استصعبت الامر بمعنى وجدته صعبا
أو صيرته صعبا أي هو في نفسه عسر على من أراد حفظه وفهمه والعمل به وقد صيره الله تعالى أيضا
صعبا (على من كرهه) أي من لم يرد حفظه وتدبر آياته واما من أحبه وتلذذ بتلاوته وداوم على مدارسته
وتأمله فيسهله الله تعالى عليه (وهو) أي القرآن (الحكم) بفتحتين أي الذي يحكم على الناس بما تضمنه
من الاحكام والحكم من الامثال والموعظة وجعله حكما أي حاكما بنفسه مبالغة (فمن استمسك بحديثي)
المروي عني (وفهمه وحفظه) تدبر معانيه وضبط الفاظه (جاء يوم القيامة محشورا (مع القرآن) أي
ذا تمسك به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشيء محكم وثيق لا ينقطع فانه حبل الله
المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه في الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القرآن

(ومن تهاون بالقرآن وحديثي) بان لم يعمل بهما ولو حفظهما وفهمهما (فقد خسر الدنيا والآخرة) أي وتلك الخسارة الظاهرة (أمرت أمتي) بصيغة المجهول للتأنيث وفي نسخة بصيغة الفاعل المتكلم والاول هو الظاهر أي أمرهم الله (ان يأخذوا بقولي) أي اعتقادا لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (ويطيعوا أمري) أي اعتمادا لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ويتبعوا سنتي) أي استنادا لقوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون (فمن رضي بقولي) أي بحديثي (فقد رضي بالقرآن) وفي الكلام قلب للمبالغة أي فمن رضي بالقرآن فقد رضي بقولي ومن لم يرض بقولي فلم يرض بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عليه الصلاة والسلام من اقتدى بي فهو مني أي متصل بي ومعي أو من اشياعي وأتباعي وقد رواه عبد الرزاق في مصنفه من مراسيل الحسن لانه بلفظ من استن بسنتي أي اتبعها وعمل بها فهو مني (ومن رغب عن سنتي) يقال رغب في الشيء اذا أراده ورغب عنه اذا لم يرده والمعنى ومن مال عنها كراهة لها (فليس مني) كما في الصحيحين (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان أحسن الحديث كتاب الله تعالى) هذا مقتبس من قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) وهو بفتح الهاء وسكون الدال فيهما بمعنى السمت والطريقة وضبط في بعض النسخ بضم الهاء وفتح الدال على انه ضد الضلالة لقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى والمعنى به سيرته السنية وطريقته الرضية وهيئته السوية (وشر الامور) بالوجهين (محدثاتها) جمع محدثة بالفتح وهي البدعة التي تخالف الكتاب والسنة واجماع الامة قال الدلجي لا أدري من روى هذا الحديث ولعله أنكره من حيث اسناده الى أبي هريرة والا فقد ورد من حديث جابر كما رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه ولفظه اما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وان أفضل الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

وانهما كشيء واحد لان السنة تبين القرآن ومجيئه معه او بجيئه مع أهله أو مع نوره أو اعماله التي عمل بها منه أو هو على ظاهره بان يجيء مثاله فيشفع فيه ويقال له اقرأ وارق كما ورد في الحديث والمراد بالقرآن ألفاظه لا الكلام النفسي الذي هو صفة ذاتية (ومن تهاون بالقرآن) أي أعرض عنه ولم يوجه اليه فكره لاهانته أو عده هينا (وحديثي) بعدم حفظه والعمل به (فقد خسر الدنيا) لانه يحيى جاهلا مهانا فقيرا (والآخرة) لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى الآية (أمرت) بالبناء للمجهول أي أمر الله تعالى (أمتي ان يأخذوا بقولي) أي يتمسكوا بحديثي ويعملوا به كما يأتي (ويطيعوا أمري) لقوله وأطيعوا الرسول (ويتبعوا سنتي) أي يقتدوا بي ويسلكوا طريقي وشريعتي السمحة كما قال الله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون فالعمل بسنته عمل بالقرآن لانهما توأمان وفيه رد على من قال لا أعمل الا بالقرآن ونهى عن ترك السنة وخبر الآحاد كما تقدم (فمن رضي بقولي) فاتبعه وعمل به (فقد رضي بالقرآن) لانه موافق له وغير مخالف له فهما كالشيء الواحد (قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه فان سنته مبينة موضحة للقرآن فمن خالفه فقد ضل وكذا قالوا من أراد تفسير القرآن فليتأمله فان بعضه يفسر بعضا فان لم يجد فيه فعليه السنة فان لم يجد ما أراده فيها فعليه باقوال الصحابة فانها في حكم المرفوع لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرئهم القرآن ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتي أي تبعها وعمل بما فيها والمصنف رحمه الله تعالى رواه بلفظ (من اقتدى بي) في سنتي وشريعتي (فهو مني) أي من اتباعي واشياعي الذين يحشرون معي ويتصلون بي حتى كأنهم بعض مني لا ينفصل عني ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله عليه السلام لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى (ومن رغب عن سنتي) أي تركها وأعرض عنها يقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته وأحاديثه المروية عنه الشاملة لاقواله وأفعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى (فليس مني) هذا تبرؤ منه كقوله * لست من قيس ولا قيس مني * وعجزه هذا مذكور في الصحيحين أيضا ومعناه ليس مقربا مني أي فهو كافر وليس هو على ملتي لاهانته الحديث (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه ولم يخرجه السيوطي بهذا اللفظ (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسن الحديث كتاب الله) كما قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث الآية (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وتحتية وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم تهادى في مشيته وقيل رواية هنا كما قاله القاضي في الاكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال مقصورا أو الهداية بمعنى الدلالة والتأييد بالعصمة وهذه هي التي تضاف الى الله (وشر الامور محدثاتها) بفتح الدال

تقدم

وكل ضلالة فى النار الحديث وروى البيهقى فى الدلائل وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهنى وأبو نصر السجزى فى الابانة عن أبى الدرداء مرفوعا وابن أبى شيبة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه موقوفا بلفظ اما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله تعالى وأحسن القصص هذا القرآن وخير الامور عوازمها وشر الامور محدثاتها وأحسن الهدى هدى الانبياء وأشرف الموت قتل الشهداء وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة ومن الناس من لا يأتى الصلاة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا وأعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وخير ما وقر فى القلب اليقين والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من جثاء جهنم والكنز كى من النار والشعر من مزامير ابليس والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وشر المأكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقى من شقى فى بطن أمه وانما يصير أحدكم الى موضع أربعة أذرع والامر بآخره وملاك العمل خواتمه وشر الرؤيا رؤيا الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر وأكل لحمه من معصية الله تعالى وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضعف الله له ومن يعص الله يعذبه الله اللهم اغفر لى ولامتى اللهم اغفر لى ولامتى أستغفر الله لى ولكم كذا فى الجامع الصغير وانما ذكرته لما فيه من النفع الكثير للصغير والكبير (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة العاصى والاولى هى الاولى لما حققناه فيما سبق من أصل المبنى (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلم) أى أصوله (ثلاثة) أى اقسام (وما سوى ذلك) يعنى كل علم سوى هذه الثلاثة وما يتعلق بها مما يتوقف عليه (فهو فضل) أى زائد لا يفتقر الى علمه وان لم يضر الجهل به (آية محكمة) أى أحكم بيانه فلم يحتج الى زيادة بيان فى شأنها (وسنة قائمة) أى أحاديث ثابتة مستمرة العمل بها دائمة (وفريضة عادلة) أى فى القسمة أو عادلة ومساوية فى العمل بها الكتاب والسنة وهى الثابتة باجماع الامة أو قياس الائمة رواه أبو داود وابن ماجه (وعن الحسن ابن أبى الحسن رحمهما الله تعالى) أى البصرى كما رواه عبد الرزاق عن معمر عن زيد عن الحسن مرسلا والدارمى عن ابى مسعود موصولا (قال عليه الصلاة والسلام عمل قليل فى سنة) أى مصاحب لها (خير من عمل كثير فى بدعة) أى من أصلها لان ذلك وان قل كثر نفعه بل هو نفع كله وهذا أكثر ضررا ونفعه قليل وان كثر عمله فى بمعنى مع كما فى قوله تعالى ادخلوا فى أمم أى معهم والحاصل ان الاقتصاد فى السنة أفضل من الاجتهاد فى البدعة ولو كان مستحسنة

تقدم تفسيره (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) فى حديث رواه أبو داود وابن ماجة (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلم ثلاثة) أقسام حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها (فما سوى ذلك) وفى نسخة وما سوى ذلك (فضل) أى زائد لا حاجة اليه ولا يفتقر اليه تفسيره بالبقية غير سديد هنا والاظهر ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل فى اللغة الزيادة كما علم (آية) من كتاب الله (محكمة) غير متشابهة لقوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات أو غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا أيضا أو المراد بما يشملهما لاحكام بيانها حتى لا يحتاج لزيادة وأحكام نظمها فلا اخلال فيها ويطلق المحكم على جميع القرآن أيضا كما قال الله تعالى أحكمت آياته ويجوز ارادته أيضا (أو سنة قائمة) أى دائمة مستمرة يعنى لم تنسخ لدوام العمل بها (أو فريضة عادلة) أى لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة من القرآن والحديث تسمية لها باعظم اقسامها أو لانها استنبطت بالاجتهاد المفروض على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها بالنص أو المراد بها فريضة المواريث بقسمتها وهو المشهور ويطلق على ما يقابل العاقلة وليس بمراد هنا وفيه اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية وهى التفسير والحديث والفقه (وعن الحسن ابن أبى الحسن) هو الحسن بن يسار البصرى وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمى متصلا عن ابن مسعود (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة قال (عليه الصلاة والسلام عمل قليل فى سنة) فى هنا بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا فى أمم أى موافق للسنة ومصاحب لها وان قل (خير من عمل كثير فى بدعة) وان كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والتعبير بفى اشارة الى انه يراعى السنة فى جميعه عددا وهيئة حتى يحيط السنة به وقيل انه لصاحبته السنة وتمكنه فيها أشبه بالظرف والمظروف وهذا كمن تهجد منفردا ركعتين ولم يصل الصلوات التى ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغائب ووجهه ظاهر وخير اسم تفضيل يقتضى الخيرية فى البدعة بحسب

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يدخل العبد الجنة) أي أعلى مراتبها (بالسنة) أي بسبب القيام بها (تمسك بها) أي أخذها وعمل بمقتضاها ففاز بمقام القدس ومرام الانس وفي نسخة يتمسك بها فالاولى استئناف والثانية حال والحديث غير معروف المبنى لكنه صحيح المعنى (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الطبراني في الاوسط (قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي) أي حين

يكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فان قلت من يتمسك بالسنة اذا فسدت الامة أجيب بان المراد أكثر الامة ولا يبعد ان يراد بفسادهم سوء اعتقادهم بترك العمل بالاحاديث واعتمادهم على مجرد ما يفهمونه بعقولهم الكاسدة وآرائهم الفاسدة كما هو طريق أهل البدعة بخلاف مذهب أهل السنة والجماعة حيث جمعوا بين الكتاب والسنة على ما ورد (له أجر مائة شهيد) أي حيث جاهد في طريق سديد (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الترمذي (ان بني اسرائيل افترقوا) أي تفرقوا (على اثنتين وسبعين ملة) أي مذهبا ومشربا وفي نسخة فرقة أي جماعة (وان أمتي) أي أهل الدعوة والاجابة (تفترق) وفي رواية ستفترق (على ثلاث وسبعين) أي بزيادة ملة (كلها) أي جميع الملل السابقة والنحل اللاحقة (في النار) أي في طريقها فكأنهم فيها (الا واحدة) أي الا أهل ملة واحدة أو الا جماعة (قالوا) أي بعض الصحابة (ومن هم يا رسول الله قال الذي) أي الجمع والفوج الذي أو أهل الطريق الذي (أنا عليه اليوم وأصحابي) أي من متابعة الكتاب والسنة ومجانبة الامور المحدثة والبدعة (وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم من أحيى سنتي) أي أشاعها بعملها أو أذاعها بنقلها

ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بناء على اعتقاد فاعلها القربة فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها أصل في العبادة كوصال الصوم وما أشبهه (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة الواحدة وان قلت (تمسك بها) أي امتثلها وعمل بها مخلصا (وعن أبي هريرة) في حديث رواه الطبراني في الاوسط (المتمسك بسنتي) أي العامل بها والسالك طريقتي (عند فساد أمتي) أي تغير أحوالها وتركها أمور لدين واتباع البدع وذلك في آخر الزمان (له أجر مائة شهيد) فيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وأمر غيره بالعمل أيضا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وأيضا هو يجاهد نفسه حتى يترك ما ألفه الناس ومثله مما رغب الناس عنه فيؤذيه أشد الاذاء فلذا أعطي ثواب الشهداء وجعل له أجر مائة للتكثير أو للاشارة الى ان أكثر ما يقاومه عشرة والحسنة بعشر أمثالها وقيل ان الشهيد يرقى منزلته بترك الدنيا وبذل نفسه في نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعائه ومن وفقه الله تعالى مع فساد عصره وأهله فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق بمخالفة الناس والتقوى بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام يعز عزة البخل بين الكرام كما قيل

رأيت عبيد الله أكرم من مشى * وأكرم من فضل بن يحيى بن خالد
أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي (ان بني اسرائيل افترقوا) أي صاروا فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام واليه انتسب كل من كان قبيلة وهم قوم مشهورون (على اثنتين وسبعين ملة) أي مذهبا أو دينا لان الملة والدين بمعنى وان افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله (وان أمتي تفترق على ثلاث وسبعين) فرقة مختلفة الاعتقاد والمذاهب وروي فرقة مكان ملة وفي الحديث روايات مختلفة (كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله) هكذا روي قالوا وعطفه على مقدر أي تعدادهم ومن هم أو هي زائدة (قال هم الذين على الذي أنا عليه وأصحابي) وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن في عصره ولا عصر الخلفاء الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار أصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد أفرد في بيانها تآليف أجلها كتاب الملل والنحل للشهرستاني وقد عدوها فكانت كما ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم في النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون في اعتقادهم ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لاتباعهم القرآن والحديث في الاعتقاد من غير اعتقاد ارتكاب تأويلات بعيدة وزعم الطوسي وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدواني في شرح العقائد كما بيناه في حواشيها ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج لتأويل كما توهم (وعن أنس) رضي الله تعالى عنه (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الاصفهاني في ترغيبه وغيره (من أحيى سنتي) أي أظهرها بالعمل بها والحث على

(فقد أحياني) أي رفع ذكري وأظهر أمري (ومن أحياني كان معي) أي مشاركا لي في علو فداري وفي نسخة كان معي في الجنة أي مصاحبا لي في النعمة رواه الاصبهاني في ترغيبه واللالكائي في السنة (وعن عمرو بن عوف المزني) كما رواه الترمذي وحسنه ابن ماجه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من أحيى سنة) أي من سنتي (قد أميتت بعدي) بترك ذكرها أو العمل بها (فان له من الاجر مثل من) أي مثل أجر من (عمل بها من غير ان ينقص) أي ذلك الاجر الذي يكون له (من أجورهم) أي من أجور من عمل بها تبعا له (شيأ) مفعول ينقص وقد اعتبر في ضميرهم معنى من دون لفظها (ومن ابتدع بدعة ضلالة) بالاضافة أو بالوصف أي بدعة سيئة كالبناء على القبور وتجصيصها لا بدعة مستحسنة كالمنارة وترصيصها (لا ترضى الله ورسوله) من الارضاء صفة كاشفة والمعنى لا تكون موافقة للكتاب والسنة ولا ماخوذة من القياس أو اجماع الامة (كان عليه) أي من الاثم (مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيا) أي من آثام من عمل بها تبعا له (فصل وأما ما ورد عن السلف) أي الصالحين من الصحابة والتابعين (والائمة) أي العلماء العاملين المجتهدين في أمر الدين (من اتباع سنته) وفي نسخة في اتباع سنته فالجار متعلق بورد وعلى الاول بيانية (والاقتداء بهديه) أي طريقته (وسيرته) أي هيئته فالاول بيان الكمية والثاني بيان الكيفية أوهما ايماء الى قاله وحاله وهذا الامر التقريري أولى من القول بالعطف التفسيري حدثنا (الشيخ

اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحياء ففيه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية وهو كالحديث الذي رواه أبو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها (فقد أحياني) أي أظهر ذكري ورفع أمري فجعله بمنزلة احيائه كما قيل

وتحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر

(ومن أحياني) بقاء ذكري وشرعي (كان) أي تحقق ان جزاءه ان يكون (معي في الجنة) والمراد دخوله فيها وعلو مرتبته لا مساواته فيها وحذف ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيما له لتذهب نفسه كل مذهب (وعن عمرو بن عوف) بن زيد بن مليحة (المزني) الصحابي وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفي في زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث) بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن أبو عبد الرحمن المزني الصحابي وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن وراء المدينة وتوفي سنة ستين وسنه ثمانون سنة (من أحيي سنة من سنتي قد أميتت بعدي) أي تركت وترك العمل بها فشبه الترك بالموت لاشتراكهما في العدم والسنة طريقته وشريعته فهي تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما قيل الظاهر سنتي بصيغة الرواية بالافراد والاماتة ضد الاحياء وتختص بالحيوان حقيقة (كان له من الاجر) أي الثواب (مثل من عمل بها) فيه مضاف مقدر أي أجر من عمل بها (من غير ان ينقص ذلك) أي الاجر الذي له (من أجورهم شيأ) دفعا لتوهم انه يعطى من ثوابهم فينقص أجرهم (ومن ابتدع بدعة ضلالة) وفسرها بقوله (لا ترضى الله ورسوله) لانها بدعة غير مرضية (كان عليه مثل آثام) بالمد جمع اثم وهو الوزر (من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيأ) وهذا رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه وفي من الموصولة من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيأ وقوله بدعة ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافي هذا قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى لان هذا وزره وكسبه لانه بعلمه سنها لهم وأرشدهم لفعلها وحسنها لهم فكان في قوة الامر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا في المقدار مثل آثام العاملين بها من جهة انه كان طريقا لهم في العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا فقال عليه من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طوله وتحقيقه انه كان سببا في الخير والثاني سببا في ضده والسبب منزل منزلة الفاعل في ماله وعليه ما عليه أي مثله وفي الحديث الدال على الخير كفاعله كمن حفر بئرا فوقع فيها غيره فانه يضمن في بعض الصور وهو ولا ينافي الآية اما لان المراد بها ان وزر غيره لا ينتقل له أو لانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة وأخذ من الخبر المذكور ان الداعي الى الاثم كفاعله وقد صرح به في بعض الروايات قال شيخ والدي الشهاب بن حجر في شرح المشكاة لكن لو تاب الداعي الى الاثم وبقي العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لان التوبة تجب ما قبلها أولا لان شرطها رد الظلامة والاقلاع وما دام العمل بدلالته موجودا فالفعل منسوب اليه فكأنه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم أر في ذلك نقلا والذي ينقدح الآن الثاني انتهى وفيه نظر ظاهر

* (فصل وأما ما ورد عن السلف) * الصالحين يعني الصحابة والتابعين في أول القرون وأما اشارة الى أنه قسيم لما قبله مما في القرآن والحديث ولذا قال ورد (والائمة) يعني من بعدهم من العلماء والمجتهدين (من اتباع سنته) أي من طريقته وهو بيان لما وفي نسخة في اتباع متعلق بورد بمعنى جاء (والاقتداء بهديه وسيرته) عطف تفسير لما قبله وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة أيضا (حدثنا الشيخ) أصل معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان قدوة مفيدا للطلبة العلم لانه في الغالب يكون مسنا وهذا مما

أبو عمران موسى بن عبد الرحمن ابن أبي تليد) بفتح فوقية وكسر لام التحتية (الفقيه) أي الكامل في الفقه (سماعا عليه) أي لا قراءة
لديه ولا بواسطة اليه (قال ثنا) أي حدثنا (أبو عمر الحافظ) أي ابن عبد البر (ثنا) أي حدثنا (سعيد بن نصر ثنا) أي حدثنا (قاسم بن
أصبغ) بفتح همزة وموحدة وغين معجمة منونة كذا في نسخة مضبوطة والظاهر انه غير منصرف كأحمد وأسلم والله تعالى أعلم
(و وهب بن مسرة) بفتح ميم وسين مهملة وتشديد راء (قالا) أي كلاهما (ثنا) أي حدثنا (محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة
(ثنا) أي حدثنا (يحيى بن يحيى) الليثي راوى الموطا وفي نسخة اقتصر على يحيى الاول لشهرته فتأمل (ثنا)

أي حدثنا (مالك) وهو
الامام صاحب المذهب
(عن ابن أبي شهاب)
أي الزهري (عن رجل
من آل خالد بن أسيد)
بفتح فكسر وفي نسخة
بالتصغير وخالد أخو
عتاب أسلم عام الفتح
وكان من المؤلفة قلوبهم
وأما الرجل فغير معروف
(انه سال عبد الله بن عمر
رضى الله تعالى عنه
فقال يا أبا عبد الرحمن)
يكتب بلا ألف ويقرأ
بها على الصحيح (انا نجد
صلاة الخوف وصلاة
الحضر في القرآن) أي في
قوله تعالى واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلاة
الآية الى قوله ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا (ولا نجد صلاة
السفر) أي بوصف
القصر في القرآن صريحا
والا فصلاة الخوف
متضمنة للقصر في الآية
على ما ورد في السنة فقال
ابن عمر يا ابن أخي) أي في الاسلام جريا على عادة العرب في خطاب الاقوام وايماء الى الشفقة على الانام
(ان الله بعث الينا محمدا عليه الصلاة والسلام ولا نعلم شيا) أي من حقيقة الاحكام (وانما نفعل كما رأيناه يفعل) أي فنتبعه ونقتدى به
في جميع أموره وقد رأيناه يقصر في السفر فقصرنا معه بل وقد أمرنا بالقصر وأوجب علينا هذا الامر بقوله هذه صدقة تصدق الله بها
عليكم فاقبلوا صدقته والامر للوجوب ولذا قال أبو حنيفة بان الاتمام اساءة ومكروه كراهة تحريمية والحاصل انه صلى الله تعالى
عليه وسلم مبين للشريعة بالكتاب والسنة فمن ترك شيأ منهما فقد وقع في الضلالة والبدعة والحديث رواه مالك والنسائي وابن
ماجه (وقال

عمر

استعمل قديما وأول من أطلق عليه شيخ الاسلام الصديق رضى الله عنه كما قاله السخاوي رحمه الله تعالى
(أبو عمران موسى بن عبد الرحمن) الرعيني علامة عصره بالمغرب وقد تقدمت ترجمته (ابن أبي تليد)
بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم (الفقيه سماعا عليه) وهذا الحديث من أحاديث الموطا
ورواه النسائي وابن ماجه قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر وتقدم بيانه قال حدثنا سعيد بن
نصر تقدمت ترجمته قال (حدثنا قاسم بن أصبغ) بالغين المعجمة كما تقدم (ووهب بن ميسرة) كذا في
بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال التلمساني انه مسرة مفعلة من السرور ووهب يحرك ويسكن وهو
وهب بن مسرة بن مفرح بن بكر التميمي مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة
انتهى (قالا) بالتثنية وهو الصحيح وروى قال أي كل واحد منهما أو اكتفاء باحدهما (حدثنا محمد بن
وضاح) تقدم أيضا قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثي راوى الموطأ قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة
الغنى عن البيان (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري وقد تقدم بيانه (عن رجل من آل خالد) أي أهله
وقومه وهو غير مسمى فقال الحلبي لا أعرفه وقال التلمساني هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بفتح
الهمزة وكسر السين أو بضمها وفتح السين والاول أصح وهكذا رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب
أحد و رواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل بين ابن شهاب وأمية عبد الله بن أبي بكر وأمية هذا
يروى عن ابن عمر توفى سنة سبع وثمانين انتهى وقال القرطبي في تفسيره انه يعلى بن أمية بن عبد الله الى
آخره وهو خالد هو (ابن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين على ما مر وياء ودال مهملة وهو ابن أبي العيص بن
أمية بن عبد شمس أخو عتاب (انه سال عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة
الحضر) بفتحتين أي الصلاة من غير قصر مذكورة (في القرآن ولا نجد صلاة السفر) المقصورة في
القرآن (فقال ابن عمر) في جوابه (يا ابن أخي) هذا جار على عادة العرب في الشفقة بالصغير وقولهم له
يا ابني ويا ابن أخي كما يقال للكبير يا أبي ويا عمي (ان الله بعث الينا محمدا) أي نبأه وأرسله صلى الله تعالى
عليه وسلم (و) نحن (لا نعلم شيأ) من أمور الدين (فانما نفعل كما رأيناه يفعل) وروى ما رأيناه بدون كاف
وما موصولة أو مصدرية أي نقتدى به في ما جاء به وهذا هو المقصود وهنا أما صلاة الخوف فقد ذكرت في
القرآن وهي سنة خلافا لمن قال انها مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم وأما قصر الصلاة سفرا فقد
ذكرت في القرآن في قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم الآية ولذا
سألوا عنها الا ان اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قصرها
فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد يذكر الله شيأ مقيدا بشرط ويبيحه
على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيها أحاديث أخر (وقال

عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) أى ابن مروان بن الحكم الاموى القرشى وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو تابعى جليل وامام جليل وسادس الخلفاء على ما قيل روى عن عبد الله بن جعفر وأنس وابن المسيب وجماعة وعنه ابناه والزهرى وعدة أخرج له أصحاب الكتب الستة مات بدير سمعان من أرض حمص سنة احدى ومائة وله من العمر أربعون ومدة ولايته سنتان وخمسة أشهر وأيام ومناقبه ظاهرة ومراتبه متواترة وهذا الحديث رواه عنه اللالكائى فى السنة انه قال (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى شرع طريقة مرضية (وولاة الامر) أى ومن الخلفاء الراشدون (بعده سننا) أى موافقة لقواعد الكتاب والسنة كجمع عمر رضى الله تعالى عنه الناس على أبى بن كعب فى صلاة التراويح وأمر عثمان رضى الله تعالى عنه بكتابة المصاحف ثم بعثها الى الآفاق (الاخذ بها) أى العمل بسنته وسنة من بعده (تصديق لكتاب الله) أى حيث قال وما آتاكم الرسول فخذوه (واستعمال لطاعة الله) أى فى طاعة رسوله لقوله سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى والمراد الخلفاء الاربعة رضى الله تعالى عنهم وان عم كل من سار بسيرتهم من الائمة (وقوة على دين الله) أى واستعمال سنته وسنتهم من أبى على طريقته تقوية على كمال ملته وجمال شريعته (ليس لاحد تغييرها) أى بزيادة ونقصان فيها (ولا تبديلها) أى بغيرها ظنا انه أحسن منها (ولا النظر)

أى ولا يجوز لاحد النظر (فى رأى

عمر بن عبد العزيز) الخليفة العادل الزاهد المشهور رضى الله تعالى عنه (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أتى بافعال واقوال وطريقة شرعها هو (وولاة الامر بعده) بضم الواو جمع وال وهو من يتولى أمور الناس والمراد بهم هنا الخلفاء الراشدون (سننا) جمع سنة (الاخذ بها) أى العمل بها واتباعها (تصديق بكتاب الله) بالباء واللام لانه أمر بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين (واستعمال لطاعة الله) لان طاعتهم طاعة له فى الحقيقة لانهم لا يقولون شيأ من عند أنفسهم وانما يقولون ما رووه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أو ما استنبطوه من الكتاب والسنة (وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها) أى تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه (ولا تبديلها) بدلها بما يغايرها وهو أخص من التغيير لشموله الزيادة والنقص ويجوز ان يكون تأكيدا (ولا النظر فى رأى من خالفها) أى لا يلتفت اليه ولا يعتبر مخالفها أصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر فيه ليرده (من اقتدى بها) أى عمل بتلك السنن فهو (مهتد) لانهم على هدى من الله (ومن انتصر بها فهو منصور) على من خالفه (ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين) غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل (ولاه الله ما تولى) أى جعله واليا لما تولى من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الضلالة (وأصلاه جهنم) أى أدخله فيها (وساءت مصيرا) جهنم وفى ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع (وقال الحسن ابن أبى الحسن) هو

من خالفها) أى بلا دليل شرعى من اجماع أو قياس بل بمجرد رأيه واتباع عقله وقد تسفه الدلجى هنا من قلة فهمه وكثرة جهله وسوء ظنه بالامام الاعظم والهمام الافخم الاقدم حيث قال وكفاك هذا حاكما بالغاء قول من قال بنفوذ شهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو أقام رجل شاهدى زور ان فلانة امرأته فشهدا بذلك جاز له ان يطأها مع علمه بانها ليست زوجته

وهذا لم يرد به كتاب ولا سنة انتهى ولا يخفى ان الخلق عيال أبى حنيفة فى الفقه كما صرح به الشافعى فهل يتصور لامام المجتهدين ان يتكلم برأيه المجرد فى أمر الدين أو يتوهم أن يكون جاهلا بالكتاب والسنة وهو امام الائمة ومقتدى أكثر الامة فهذا ظن فاسد ووهم كاسد ولكنه خلف لسلفه كما بينته فى تشنيع الحنفية تشنيع الشافعية مع ان المسألة المذكورة هى الرواية المشهورة عن على كرم الله وجهه حيث قال شاهداك زوجاك فيهما فاعلم ان هذا القائل لم يصل الى مقام الاجتهاد والتأييد بل هو واقع فى حضيض التقليد بل حمله عليه التعصب الجاهلى والتكسب الغافلى حيث تكلم بهذا القيل ولم يعرف ان المجتهد أسير الدليل كما ان الشافعى يجوز نكاح الرجل موطوءته بنته الحاصلة من الزنا نظرا الى ما قام عنده من الدليل مع عدم التفات الى قبح صورى فى هذا القيل والله سبحانه وتعالى يهدى سواء السبيل (من اقتدى بها) أى بسنته وسنتهم (مهتدى) أى ما دام مقتديا بها وفى نسخة فهو مهتد (ومن استنصر بها) أى استعان بها واستوثق بسببها واستدل على مطلوبه بدلولها (منصور) أى فهو منصور كما فى نسخة (ومن خالفها) أى فلم يتمسك بها وعمل بغيرها (واتبع غير سبيل المؤمنين) أى المجتمعين عليها (ولاه الله ما تولى) أى جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الوبال (وأصلاه جهنم) أى ادخله فيها واحرقه بها (وساءت) أى قبحت جهنم (مصيرا) أى مرجعا له ولمن تبعه والحديث مقتبس من قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقال الحسن ابن أبى الحسن) أى البصرى رحمه الله تعالى

(عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة) وقد سبق هذا الحديث مرفوعا فلعله جاء عنه موقوفا أيضا فلذا ذكره هنا مكررا ليكون
لتأكيد الامر مقررا والمعنى ان الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة (وقال ابن شهاب) أي الزهري كما أخرجه عنه اللالكائي
في السنة بلغنا (عن رجال من أهل العلم) أي من الصحابة والتابعين (قالوا الاعتصام بالسنة نجاة) أي الاستمساك بها سبب خلاص
من ورطة الهلاك ووصمة الانهماك (وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) كما في سنن سعيد بن منصور عنه رضي الله تعالى عنه
(الى عماله) أي بالامصار (بتعلم السنة) أي الاحاديث أو السنن وفي نسخة بتعليم السنة أي للناس (والفرائض) أي

تفصيلها وتمييزها عما عداها أو اريد بها علم الفرائض وقسمة المواريث (واللحن أي اللغة) تفسير من أحد رواة الحديث أو من المصنف والمراد باللغة أصولها المفردة الشاملة لعلم الصرف وفروعها المركبة الكافلة لعلم النحو المتعلق بالمباني وكذا علم البيان والمعاني (وقال) أي عمر رضي الله تعالى عنه أيضا على ما رواه الدارمي (ان اناسا يجادلونكم يعني بالقرآن) تفسير في الاصل أي بظواهر الآيات القرآنية ومجملات الدلالات الفرقانية (فخذوهم بالسنن) وفي نسخة بالسنة أي فغالبوهم بالاحاديث النبوية لانها مبينة للاحكام الدينية والأخروية وهذا معنى قوله (فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى)

أي من غيرهم لانهم جامعون بينهما بخلاف من اقتصر على معرفة أحدهما فالمراد بأصحاب والنسائي
السنن العلماء بالحديث المبين للكتاب واما قول الدلجي كالبخاري ومسلم وأبي داود فخارج عن صوب الصواب (وفي خبره) أي خبر عمر
الذي رواه مسلم عنه (حين صلى) أي عمر رضي الله تعالى عنه (بذي الحليفة) بالتصغير وهو مكان معروف قرب المدينة ميقات أهلها
ومن مر بها من غيرها (ركعتين) أي سنة الاحرام واني في ذلك المقام (فقال أصنع) أي أفعل أنا (كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يصنع) أي في حجته محافظة على سلوك محجته واتباع سنته وطريقته وحجته والظاهر انه أراد القرآن كما يدل عليه قوله (وعن
علي رضي الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان

الحسن البصري كما تقدم (عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة) تقدم هذا وقد بينا معناه وقيل
لا تكرار فيه لانه ذكره أولا خبرا وذكره هنا أثرا وفيه نظر (وقال ابن شهاب) الزهري (بلغنا
عن رجال من أهل العلم) انهم (قالوا الاعتصام بالسنة) أي التمسك بها (نجاة) مما يخافه المرء في
الدنيا والآخرة وفي القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية أو من تلبس بالسنة حفظ من ان يقع
في معاصي الله وفيه حث على حفظها والعمل بها (وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى عماله)
ونوابه وأمرهم (بتعلم السنة) أي ماروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله في أسفاره
واقامته (والفرائض) أي قسمة المواريث لانها نصف العلم وفقدها من أشراط الساعة (واللحن)
بفتح اللام وسكون الحاء المهملة وفسره بقوله (أي اللغة) والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من
الاعراب وعلمي البلاغة وقال الزهري معناه تعلموا لغة العرب في القرآن واعرفوا معانيه واللحن
بسكون الحاء كما علمت وقد تفتح له معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى ولتعرفنهم في
لحن القول والخطأ في الاعراب وقال الزمخشري معنى اللحن في كلام عمر رضي الله تعالى عنه وقوله
تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع في القرآن والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف أكثر
كلام الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه سعيد بن منصور في سننه فاللحن من الاضداد
ومن معانيه الفطنة وقال ابن الاعرابي ان اللحن بالسكون الفطنة والخطأ وقال غيره من أهل اللغة
الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون (وقال) عمر رضي الله تعالى عنه في أثر آخر رواه عن الدارمي (ان ناسا
يجادلونكم يعني بالقرآن) أي يخاصمونكم وينازعونكم في بعض الاحكام التي قلتم بها فيقول القرآن
فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما بينته أو خصصته أو نسخته السنة (فخذوهم) أنتم حجوهم واغلبوهم
(بالسنن) الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فان أصحاب السنن) أي علماء الحديث ونقاده
(أعلم بكتاب الله) أي بمعاني القرآن ممن يتمسك بظاهر القرآن لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه
ومأوله فان تفسير القرآن انما يعلم من السنة (وفي خبره) أي خبر عمر الذي رواه عنه مسلم (حين صلى) عمر
رضي الله تعالى عنه (بذي الحليفة) بضم الحاء المهملة ولام وفاء بصيغة المصغر اسم مكان على ستة
أو سبعة أو اربعة أميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات أهل المدينة والشام الذي يحرمون
منه (ركعتين) اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن أراد ان يحرم بنسك مؤكدة عند أكثر
الفقهاء في تركهما فوات فضيلة من فضائل الاحرام ولم يخالف فيه الا الحسن البصري فانه استحب
كونه أي الاحرام بعد صلاة فرض لانه روي انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك
لم يسأل عنها ولم يحتج لقوله (فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع)
فاقتدي بآثاره وكل ما صنعه (وعن علي) بن أبي طالب كرم الله وجهه في أثر رواه عنه البخاري

والنسائي (حين قرن) بين الحج والعمرة في حجة حجها (فقال له) أي لعلي (عثمان) بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة فقال له عمر والصحيح رواية ان القائل له عثمان رضي الله تعالى عنه كما في الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ (تراني) وفي نسخة ترى اني أي تعلم أو تشاهدني وانا (انهى الناس عنه) أي عن القرآن (وتفعله) أنت فانكر عليه عدم اتباعه له (قال) علي لعثمان رضي الله تعالى عنهما (لم أكن ادع) واترك (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من الناس) أي لاجل أحد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقتدى بغيره مع علمي بما صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلى رضي الله تعالى عنه أهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان في ذلك قال له ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والمتعة تستعمل بمعنيين أحدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيري بهذا هو المراد كما هو صريح الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل يأباه الحديث وسمى متعة لما فيه من ترك السفر والاحرام مرتين وكل منهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده وعلى رضي الله تعالى عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه لا لاتفاقهما لا يتوهم أحد انه ممتنع وكل منهما مجتهد له أجر وهذا مبني على مسئلة أصولية وهي انه اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة في حكم شرعي هل يصح الاجماع بعدهم على أحد قولي الصحابة فذهب أحمد وأكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض الشافعية وأكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع أم الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم أجمع الفقهاء على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان مبني على الاختلاف في حج رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على ما روي من ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما كلم عليا كرم الله وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أجل ولكنا كنا خائفين يعني ان فعله ذلك لعارض لا لانه الافضل وروي ان عثمان رجع لما قاله علي وقال ما كنت لادع عليا لكنه مما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان

(حين قرن) بين الحج والعمرة قيل أي تمتع اذ القران قد يطلق على التمتع من حيث ان القارن متمتع أيضا بسقوط احدى السفرتين وحصول ثواب الهدي بالجمع بين العبادتين كما انه قد يطلق التمتع على القران بالمعنى اللغوي الشامل للمعنى الشرعي ولعل قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة من هذا القبيل (فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه) وهو الصواب بخلاف ما في نسخة فقال له (ترى) من الرأي لا من الرؤية أي تعلم (اني انهى الناس عنه) أي عن القران أو التمتع (وتفعله) أي أنت مخالفا لامري (قال) أي علي لعثمان (لم أكن أدع) أي واتبعا وتاركا وروي لا أدع (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول أحد من الناس) وفيه دليل صريح ونقل صحيح انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا في حجة الاسلام ويدل عليه سكوت عثمان على وجه الالزام وكانه كان يظن ان أفضل أنواع الحج هو الافراد والتمتع مبنيا على ان أشهر الحج تكون مختصة بالحج وان العمرة تقع في غيرها قبلها أو بعدها كما كان عليه أهل الجاهلية قبل حجه عليه الصلاة والسلام من ان العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور ولدفع هذا الامر أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بعض الصحابة بفسخ الحج للعمرة ولعله ما بلغ عثمان هذا المعنى أو كان له تأويل في هذا المبنى وقد قيل وانما نهى عثمان عن المتعة لتكون أشهر الحج للحج لا غير ولتكون العمرة في غيرها حتى يزار البيت في أشهر الحج وبعدها وقيل انما نهى عنها المفعة أهل مكة ليكون لهم موسمان في كل عام والله أعلم وحمل فعله صلى الله تعالى عليه وسلم على أحدهما لا على الجمع بينهما كما عليه المحققون الذين جمعوا بين الرواية والدراية هذا وقال الحلبي في النسخة التي وقفت عليها فقال له عمر وفي الهامش عثمان عوض عمر وعليه صحح وفي صحيح البخاري وسنن النسائي كلاهما في الحج من حديث مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما فلما رأى علي نهيه أهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة وقال ما كنت لادع سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقول أحد وأخرج الشيخان والنسائي كلهم في الحج من حديث سعيد بن المسيب قال اجتمع علي وعثمان بعسفان وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال علي ما تريد الى أمر فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنهى عنه دعنا منك فقال اني لا أستطيع ان أدعك فلما رأى علي ذلك أهل بهما جميعا وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن شقيق كان عثمان ينهى عن المتعة وكان علي يأمر بها فقال عثمان لعلي كلمة فقال علي لقد علمت انا قد تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رجل ولكنا كنا خائفين انتهى ولا يظهر وجه الخوف فانه عليه الصلاة والسلام حج بيت الله الحرام بعد فتح مكة وغلبة أهل الاسلام ثم المراد بالتمتع التمتع اللغوي وهو القران فلا مخالفة بين الاحاديث المروية عن علي كرم الله تعالى وجهه والله أعلم

(وعنه) أي عن علي وهو غير معروف عنه (اني) وفي نسخة صحيحة لاني أي انتبهوا فاني (لست بنبي) أي لا يوحى الي بوحي جلي (ولا يوحى الي) أي بوحي خفي أعمل به (ولكني أعمل بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة وسنة نبيه (ما استطعت) أي قدر ما قدرت بحسب الطاقة البشرية (وكان ابن مسعود يقول) كما رواه الدارمي والطبراني واللالكائي في السنة عنه وعن أبي الدرداء (القصد في السنة) أي التوسط في العمل بها بين الكثرة والقلة (خير من الاجتهاد في البدعة) أي أحسن من المبالغة في بذل الوسع والطاقة والكثرة من الطاعة في حال الاخذ بالبدعة ولو كانت مستحسنة وأما تقييد الدلجي بالضلالة فنشأ من بعض الجهالة لانها قوبلت بالسنة

الثابتة ولا شك انها خير من البدعة الحسنة ولا معنى لمقابلتها ببدعة الضلالة اذ لا خير فيها في جميع الحالة لا محالة (وقال ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما كما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح (صلاة السفر ركعتان) أي لا زيادة عليهما كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام قولا وفعلا في الليالي والايام (من خالف السنة) أي لم يقبلها (كفر) أي قارب الكفر أو كفر بالنعمة فان القصر رخصة وهي منة ولذا سمي صدقة وقيل من خالفها عنادا أو مستحلا فقد كفر وخرج عن دائرة الاسلام بامتناع قبول أحكامه عليه الصلاة والسلام وهذا اذا كانت السنة متواترة معلومة من الدين بالضرورة وتركها من غير تأويل لها (وقال أبي بن كعب) كما رواه الاصفهاني في ترغيبه واللالكائي في سننه (عليكم بالسبيل) أي الزموا طريق الطاعة (والسنة) أي ومتابعة الشريعة (انه ما على الارض من عبد) أي من عبيده سبحانه وتعالى (على السبيل) أي سبيل الله تعالى (والسنة) أي سنة رسول الله والمعنى يكون ثابتا على طريق الكتاب والسنة (ذكر الله في نفسه) أي في باطنه والمعنى بحضور قلبه سواء كان الذكر بلسانه أو بمجرد ذكر جنانه ولا شك ان الجمع أولى لظهور برهانه فلا معنى لقول الدلجي أي بدون تلفظ لوضوح بطلانه (ففاضت عيناه) أي سالت دموعهما من أثر بكائه (من خشية الله) أي من خوف عقابه أو حجابه (فيعذبه) بالنصب أي الالم يعذبه (الله أبدا) أي لا في دنياه ولا في آخرته حيث طلب مرضاة مولاه وفي نسخة فيعذبه بالرفع

وهو اسم موضع معروف (وعنه) أي مما روى عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر من رواه عنه (الا اني لست بنبي ولا يوحى الي) بالبناء للمجهول (ولكني أعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت) أي ما لم أضطر الى خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه (وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول) في أثر رواه الدارمي والطبراني عن أبي الدرداء (القصد) أصل معنى القصد التوجه الى جهة ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله الراغب بهذا والمراد (في السنة) أي في سلوك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خير من الاجتهاد) أي الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة في العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله (في البدعة) وتقدم تفسيرها وانها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام (وقال ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح (صلاة السفر) أي المقصورة فيه وجوبا أو استحبابا (ركعتان من خالف السنة) أي طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قصر الصلاة سفرا (كفر) أي صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله تعالى عليه وسلم عنادا أو أنكر جواز فعله والا فهو بمجرد الاتمام مبتدع عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبعض الفقهاء وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي أنعم الله تعالى بها عليه من احسانه عليه بتسهيل أمره (وقال أبي بن كعب) رضي الله تعالى عنه فيما رواه الاصبهاني في ترغيبه وغيره وأبي هو المنذر النجاري الانصاري الصحابي توفي سنة تسع عشرة على الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان (عليكم) هو هنا اسم فعل بمعنى الزموا أو تمسكوا (بالسبيل) أي طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص تقربا الى الله تعالى (والسنة) أي طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهديه وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم يقل ان العطف تفسيري وهو جائز (فانه) تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان (ما على الارض) الظاهر ان المراد من عليها كل موجود من الاحياء العقلاء من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا في عصره من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم أكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما مر من ان العامل بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد (من عبد) من زائدة للاستغراق (على السبيل والسنة) متمسك بهما والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله لتمكنه كأنه راكب مستعل عليها فهو تمثيل (ذكر الله في نفسه) صفة مخصصة لعبد (ففاضت عيناه) أي فاض ماء عينيه ببكائه (من خشية الله تعالى) وخوفه وفي نسخة من خشية ربه (فيعذبه الله تعالى أبدا) أي الالم يعذبه الله أبدا ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره أيضا ويعذبه بالنصب في جواب النفي المحض كقوله لا يقضى

عليهم

(وما على الارض من عبد على السبيل) أى الطريقة المرضية (والسنة) أى الهيئة السنية (ذكر الله فى نفسه) أى من غير ان يتعلق به الرياء والسمعة (فاقشعر جلده) أى انقبض واجتمع (من خشية الله) أى من عظمة مولاه (الا كان مثله) بفتحتين أى صفته العجيبة وحالته الغريبة (كمثل شجرة قد يبس ورقها) أى أوراقها وذهب رونقها ورواجها (فهى كذلك) أى فبينما هى فى أوقات كونها كذلك (اذ أصابتها ريح شديدة) أى من جوانبها (فتحات) بتشديد الفوقية الثانية أى فتناثر (عنها ورقها) كرر بدلا أو تأكيدا لبعد المسافة بينهما باعتراض المثل (الاحط عنه خطاياه) بصيغة المجهول أى وضع عنه ذنوبه ومحى عنه عيوبه (كما تحات عن الشجرة ورقها) أى تساقط (فان اقتصادا) أى توسطا (فى سبيل) أى فى طريق خير (وسنة) أى طريقة حسنة من كتاب وسنة (خير من اجتهاد) أى مبالغة فى الطاعة وسع الطاقة (فى خلاف سبيل وسنة) أى فى مخالفتهما (وموافقة بدعة) أى ولو حسنة لا بدعة ضلالة كما قاله الدلجى هنا أيضا وهذا عطف تفسير ولم يوجد فى بعض النسخ (وانظروا) أى وتأملوا حرصا منكم (ان يكون عملكم ان) كان (اجتهادا أو اقتصادا) أى مبالغة فى الجهد أو توسطا فى الجهد (ان يكون) بدل من ان يكون الاول أو تأكيد له لبعد المسافة بينهما باعتراض الشرط والمعنى ان يوجد (على منهاج الانبياء عليهم السلام) أى طريقتهم ويروى مناهج الانبياء أى شرائعهم (وسنتهم) أى طريقتهم اتصلوا الى مقام حقيقتهم (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) أى نوابه

عليهم فيموتوا (وما على الارض من عبد على السبيل والسنة) أى متى سلك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقا به فى أقواله وأفعاله (ذكر الله فى نفسه) أى أحضره فى قلبه وذهب لاحظة ربه وجلاله وعظمته والظاهر ان هذا مجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله والذكر المذكور والمراد به المقارن للذكر لانه لا يفيض ما عينه الا التصوره واحضاره فى قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور المجرد والمقارن للذكر اللسانى ولا يخفى ما فيه (فاقشعر جلده) اقشعر بالتشديد أى أخذته قشعريرة وهى الرعدة كما فى القاموس (من خشية الله) أى من شدة خوفه وقال الراغب الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا خص العلماء بها فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء انتهى (الا كان مثله) بفتحتين أى صفته وحاله العجيبة (كمثل) بفتحتين أى كهذه الصفة (شجرة) ذات أغصان وورق (قد يبس ورقها) صفة شجرة وانما وصفها بهذا توطئة للتحات الآتى لانه لا يكون كذلك الا الورق اليابس وهو اشارة الى انه له خطايا كثيرة قديمة (فهى كذلك) أى فهى دائمة قائمة على هذه الحالة من قدم أوراقها ويبسها وأصله فبينما هى كذلك (اذ أصابتها ريح شديدة) والريح مؤنثة (فتحات عنها ورقها) أى سقط وفى القاموس حته فركه وقشره فتحت وتحات والورق سقطت كانحت انتهى وفتحات بفتحات وتاء مشددة آخره مطاوع حته (الاحط الله خطاياه) المراد بالحط هنا المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطايا جمع خطيئة وهى الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تأكيدا لبعد المسافة باعتراض المثل وقيل انه استئناف جواب المقدر كأنه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النفى فقيل الاحط عنه خطاياه (كما تحات) أصله تتحات مضارع بمعنى تسقط (عن الشجرة ورقها فان اقتصادا) أى اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله أو تذكره مع الخشوع والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما فى نفسه (فى سبيل الله وسنة) عبر به لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتداء محيط بعلمه احاطة الظرف بالمظروف (خير من اجتهاد) أى زيادة وبذل جهده وطاقته (فى خلاف سبيل الله وسنة) أى بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم تفسيره (وانظروا) المراد بالنظر هنا التدبر والتأمل وهذا تتميم لما قبله وتأكيد له (ان يكون عملكم ان كان اقتصادا أو اجتهادا) أى تدبروا فى جميع أعمالكم قليلة كانت أو كثيرة سواء بالغتم فيها أو لم تبالغوا (ان يكون) أعمالكم كلها وهو مع ما بعده بدل مما قبله أو تأكيد له واعاده للفصل بينهما كما تقدم وان بفتح الهمزة هى المصدرية لا شرطية مكسورة (على منهاج الانبياء) أى على طريقتهم والمنهاج والنهج بمعنى الطريق الواضح (وسنتهم) أى طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبياء والمراد منهاج نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى ان منهاجه جار على مناهجهم غير مخالف له كما قال الله فبهداهم اقتده وجرى به باعتبار التوحيد والعقائد الحقة ولا عمال الصالحة والاخلاص لا لانا مأمورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم وان كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) رضى الله تعالى عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير المولى من جانب الخليفة

(الى عمر) أى اليه حال كونه (يخبره بحال بلده) أى بما عليه أهله من فساده (وكثرة لصوصه) أى سراقه ونهابه (هل نأخذهم) بالنون وفى نسخة صحيحة بالياء التحتية (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون أى التهمة والمعنى هل نؤاخذهم ونعاقبهم بمجرد العلامات الدالة على أخذ السرقة عملا بالسياسة (أو) وفى نسخة أم (نحملهم على البينة) أى عند انكارهم (وماجرت عليه) فيه (السنة) وفى نسخة صحيحة وماجرت به السنة أى من ان البينة على المدعى واليمين على من أنكر (فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وماجرت عليه السنة) أى وبما يترتب عليها من غرم وقتل وقطع ونحوها (فان لم يصلحهم الله تعالى) أى بذلك (فلا أصلحهم الله تعالى) أى أيضا بخلاف ماهنالك ولا يبعد ان تكون الجملة الثانية دعائية والاول أظهر والمعنى ان الله تعالى حكيم فى صنعه وعليم فى حكمه فلا تجوز الزيادة والنقصان فى حده وقد روى ان بعض الملوك كان يقتل اللصوص بالسياسة ومع هذا تكثر السرقة فذكر ذلك لبعض العلماء هنالك فقال له اعمل بالسنة تندفع بها الكثرة فسمع كلام ذلك الامام وعمل بالشريعة فى تلك الاحكام فقلت السرقة فسأله عن الحكمة فقال لما كثرت مشاهدة قطع الايدى اعتبر أهل الفساد وقل اللصوص فى العباد (وعن عطاء) أى ابن رباح أو عطاء الخراسانى (فى قوله) أى فى تفسير قوله تعالى (فان تنازعتم) أى اختلفتم أنتم وأولوا الامر منكم (فى شئ) أى من أمور الدين (فردوه) أى ارجعوا فيه (الى الله والرسول أى الى كتاب الله وسنة رسول الله) أى الى حكمهما فيكم وهذا يشمل حياته ومماته أى عليه الصلاة والسلام (وقال الشافعى رحمه الله تعالى) وهو الامام المجتهد روى عن مالك وروى عنه أحمد وأخرج له أصحاب السنن الاربعة وذكره البخارى فى موضعين من صحاحه فى الركاز والعرية ويقال انه غيره ومال الى كل قول بعض وولد سنة خمسين ومائة يوم مات أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومات سنة أربع ومائتين (ليس فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اتباعها) أى اقتداؤها علما وعملا قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وهذا قريب فى المعنى مما يحكى عنه اذا صح الحديث فهو مذهبى (وقال عمر رضى الله عنه) فيما رواه الشيخان (ونظر الى الحجر الاسود) جملة معترضة حالية (انك) والله كما فى نسخة حجر (لا تنفع ولا تضر) أى

لعمله فى الاموال والمصالح (الى عمر بحال بلده) أى يخبره بحال بلده الذى ولاه عليها وهى حمص كما قالوه (وكثرة لصوصه) عطف تفسير لحال جمع لص بتثليث اللام وهو السارق وقاطع الطريق وغيرهما من الذين يأخذون أموال الناس بالباطل وهذا رواه اللالكائى فى السنة كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى (هل يأخذهم) أى يحبسهم ويعاقبهم (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون أى بمجرد الظن بانهم لصوص (أو يحملهم) أى يطلب منهم ويكلفهم (على البينة) كما فى قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أى تكلفوا احمالها كما قاله الراغب وضمير يأخذهم للصوص وضمير يحملهم للمدعين عليهم المعلومين من السياق وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلى كما تقدم (وماجرت عليه السنة) أى ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان كان ذلك يجوز للحاكم فى بعض الاحيان (فكتب اليه) أى الى عامله (عمر) بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه (خذهم) أى أحكم عليهم (بالبينة وماجرت عليه السنة) أى وردت واستقرت عليه (فان لم يصلحهم الحق) أى حكم الشريعة دون السياسة والعنف (فلا أصلحهم الله تعالى) أى ينتقم منهم اذ لم يوافقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فما دار الحول وفيها سارق (وعن عطاء فى) تفسير (قوله تبارك وتعالى (فان تنازعتم) أى اختلفتم أيها الناس (فى شئ) من أمور الدين (فردوه) أى ارجعوا فيه (الى الله و) الى (الرسول) أى الى ماقالاه (أى الى كتاب الله وشريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا مؤيد لما قاله عمر رضى الله تعالى عنه ولذا ساقه عقبه وهذا لا ينافى ماذكره الفقهاء من حبس المتهم وضربه حتى يقر وانه قد يعمل باقراره كما ذهب اليه مالك وغيره فانه استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقهاء وماقاله عمر رضى الله تعالى عنه شئ آخر وعطاء هو عطاء ابن أبى رباح المفسر كان من كبار التابعين وتوفى سنة خمس عشرة ومائة (وقال الشافعى) الامام المشهور وامام الائمة وسلطان الامة (ليس فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لم يثبت فى حديث فى شريعته (الا اتباعها) أى اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبى واذا خالف قولى الحديث فاضربوا به عرض الحائط وهكذا تبعه أئمتنا الشافعية رضى الله تعالى عنهم (وقال عمر) ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما رواه عنه الشيخان (و) قد (نظر الى الحجر الاسود) فى طوافه والجملة حالية بتقدير قد أو معترضة مؤذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له (انك حجر لا تنفع ولا تضر)

و حذا ئلك وهو لا ينافى ما ورد من انه يشهد لمن استلمه يوم القيامة (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله) وهذا يدل منه رضى الله تعالى عنه على كمال المتابعة للسنة وخبر لولا واجب الحذف عند النحاة لان طول الكلام سد مسد الخبر مع الجواب لكن المسئلة غير صحيحة فان خبر لولا منقسم الى أقسام ثلاثة قسم واجب الحذف وهو ما دل على كون مطلق كقولك لولا زيد لاتيت عمرا وقسم واجب الاثبات وهو ما دل على كون مقيد اذ لو حذف لما فهم المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله تعالى عنها لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم فلو حذف حديثو عهد لكان المعنى لولا قومك على كل حال من أحوالهم لنقضت الكعبة ومن جملة أحوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل فكل ما لم يفهم عند الحذف يتعين الاتيان به ومنه قول الشافعى

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم أشعر من لبيد

وكذا قول الخنساء ترثى أخاها صخرا

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى

ومنه قول عمر هذا والتقدير لولا رؤيتى تقبيل النبى عليه الصلاة والسلام مستصحبة لما قبلتك وقسم ان شئت أثبته وان شئت حذفته كقولك لولا أخو زيد ينصره لغلب فمن راعى الكون المطلق حذف ومن راعى الكون المقيد أثبت (وروئى) وفى نسخة ربئ بكسر الراء وسكون الياء فهمزة على بناء المجهول من رئ أمتقلوب رأى (عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما) كما رواه أحمد والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) أى يطيفها حوله حتى عاد الى موضع أوله (فسئل عنه) أى عن سبب فعله وان ارادته لاى شئ (فقال لا أدرى) أى وجهه وحكمته (الا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله) أى مرة وفى نسخة يفعله (ففعلته) أى اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى فعله وهذا يشير الى ان أكابر الصحابة كانوا يتبعونه فى الامور العادية أيضا (وقال أبو عثمان الحيرى) بمهملة مكسورة فتحتية بنيسابور كان يسكنها وهو شيخ الصوفية بها ذكره الذهبى فى المشتبه وفى نسخة الجنيدى بالتصغير وهو تصحيف وتحريف على ما قاله أبو القاسم القشيرى فى رسالته من نسبة هذا القول اليه والثناء عليه بقوله نعم أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيرى المقيم بنيسابور وكان قد صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على أبى جعفر الحداد وأقام عنده وزوجه أبو جعفر بنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين

أى لا يقدر على ضر ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا للاجابة الدعاء عنده وشهيدا (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) أى فى طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان أبيض كاللبن فسودته خطايا بنى آدم كما رووه (ثم قبله) عمر بعد ما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضى الله تعالى عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما أخذ الميثاق على بنى آدم فى عالم الذر كتب ذلك فى رق وألقمه الحجر الاسود وسيأتى يوم القيامة وله لسان يشهد لمن استلمه بالتوحيد ووفائه العهد وروى ان ذلك ذكر له صلى الله تعالى عليه وسلم فاقره وقصد لوان عمر رضى الله تعالى عنه كان عالما بذلك ولكنه قال مقاله هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الاحجار فخشى ان يضلوا ويعتقدوا نفعها قياسا عليه وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله فى أرضه أى وضعه فى الارض ليقبل كما يقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريما لها وان تقبيله يفيض الانعام والرضى كتقبيل يد العظماء فهو استعارة والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصية فى ذاته كخاصية المغناطيس لجذب الحديد وفى الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاولياء والاماكن المباركة وقول الشافعى رضى الله تعالى عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به استحبابه وانما أراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين (وربئ) مبنى للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وياء مفتوحة وقال ابن مرزوق انه بوزن قيل ففيه ما فيه من اللغات وآخره همزة بالقلب المكانى وتبعه بعضهم فان ساعدته رواية فبها ونعمت والا فهو تكلف لا حاجة اليه (عبد الله بن عمر) الصحابى المشهور رواه عنه أحمد بن حنبل والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) وهو را كبها أى يلفت وجهها أو يطيفها حوله حتى عادت لموضعها الاول (فسئل) عن فعله ذلك لاى شئ هو (فقال لا أدرى) وجه فعله وحكمته (الا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله) أى يدير ناقته فى هذا المكان (ففعلته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتداء بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه أمر محتمل انه اتفاقى بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعله أم لا فذهب الاكثرون الى انه لا يستحب الا انه لا بأس به وهو الظاهر وأما غيره فيكره الاقتداء به فى مثله كما يفعله بعض الصوفية فى اتباع آثار مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه مما عرف (وقال أبو عثمان الحيرى) شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحاء والراء

المهملتين وبينهما مثناة تحتية ساكنة وفي آخره ياء نسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها وهو أبو عثمان سعيد بن اسمعيل توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وهو من كبار الزهاد والمشايخ الصوفية وهو صاحب أبي حفص النيسابوري كما قاله ابن ماكولا والذهبي وذكره القشيري في رسالته ونقل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وقال انه صاحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني على أبي حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحف الناس هنا نسبته فقيل انه الحنيذي بحاء مهملة مضمومة ونون مفتوحة بعدها ياء ساكنة وذال معجمة مكسورة وياء نسبة كذا في أصل أبي العباس العزفي وهو مخالف لما في أصل المصنف بخطه وهو الصحيح وفي بعض النسخ الجنيدي بجيم مضمومة ودال مهملة وفي بعضها الحميدي مصغر بحاء ودال مهملتين والكل تحريف وتصحيف والصحيح ما نقلناه أولا واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وأقربها الجنيدي فانه كان على طريقته في الزهد ولم يكن في عصره أعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضي الله تعالى عنه الصحبة مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعاء والرحمة لهم (من أمر السنة على نفسه) وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة خفيفة أي جعل سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطريقته (قولا وفعلا) أي في أقواله وأفعاله فهو منصوب على الظرفية أو تمييز محول عن المفعول أي جعلها أميرا عليه وحاكما وهو عبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم المخففة وتشديد الراء المهملة أي أجراها ومشاها عليه وهو بعيد (نطق بالحكمة) أي القول الصواب النافع له في الدنيا والآخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة (ومن أمر الهوى) أمر كالذي قبله ففيه استعارة والهوى ما تهواه نفسه الامارة وتشتهيه (نطق بالبدعة) أي بما يخالف الحق مما زينه له الشيطان من الضلالة (وقال سهل التستري) وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلدته تستر وهي مشهورة (أصول مذهبنا) أي التصوف أي قواعده التي تدور عليها (ثلاثة) أولها وأعظمها (الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم) واتباعه (في الاخلاق والافعال و) الثاني (أكل الحلال و) الثالث (اخلاص النية في الاعمال) وهذه الاصول وان كانت أصول الصوفية فهي أصول للشريعة أيضا وقد ورد في الحديث بمعناه وهو ظاهر (وجاء) أي ورد عن السلف في التفاسير المأثورة (في تفسير قوله) تعالى اليه يصعد الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه انه) بفتح الهمزة فاعل جاء (الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فان العمل لا يكون صالحا مقبولا الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتهما عين الاقتداء به قولا وعملا وضمير انه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب الاول للكلم الطيب وهو التوحيد والثاني للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس أي يرفع التوحيد الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى الثاني المراد بالكلم الطيب الاذكار وما هو قريب منها وهي انما تقبل اذا وافقت السنة والكلام عليه مفصل

(من أمر السنة) بتشديد الميم أي من جعل السنة أميرا وحاكما (على نفسه قولا وفعلا) أي واعتقادا (نطق بالحكمة) لانه تبع من لا ينطق عن الهوى واختار سبيل الهدى (ومن أمر الهوى على نفسه) بان تبع رأيه وهواه في فعله وقوله وأمور دنياه وأخراه (نطق بالبدعة) أي بالامور الخارجة عن طريق السنة والمائلة عن السبيل المرضي لمولاه (وقال سهل التستري أصول مذهبنا) أي معاشر الصوفية لا جماعة المتصوفة بشهادة الاضافة (أربعة الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في الاخلاق أي الاحوال الباطنة (والافعال) أي الاعمال الظاهرة (والاكل من الحلال) أي الطيب الخارج عن الشبهة (واخلاص النية في جميع الاعمال) أي تخليصها من شوائب الرياء والسمعة اذ قد تصير العادات بها عبادات والكل مأخوذ من مكارم أفعاله ومحاسن أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وزيد في نسخة وقد كان على خلق عظيم (وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت كان خلقه القرآن) أي يأتمر بأوامره وينتهي بزواجره (وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه) أي العمل الصالح الذي يرفعه الله تعالى أو يرفع الكلم الطيب الى الله تعالى (هو الاقتداء به) أي برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة أي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقد فسر الكلم الطيب بقوله (لا اله الا الله) وقيل هو ذكر من تسبيح وتهليل وقراءة قرآن وغير ذلك والهاء في قوله يرفعه راجع الى الكلم الطيب وعليه أكثر المفسرين فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل كما جاء في الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا عملا الا بنية ولا نية الا باصابة

(وحكي عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى) هو امام المذهب أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني الزاهد الرباني روى عن البخاري وغيره وعنه ابناه وجمع وفي نسخة ان أحمد بن حنبل (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) أي عن ثيابهم (ودخلوا الماء) أي بلا سترة والظاهر ان الجملة حالية والمعنى انهم تجردوا عن ثيابهم بعد ان دخلوا وسط الماء على ان الواو لمطلق الجمع (فاستعملت الحديث) أي اطلاق الحديث الذي رواه مسلم والترمذي أيضا (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام) بصيغة النهي

وقيل بالنفي واريد النهي به وهو أبلغ (الا بمئزر) بكسر ميم وسكون همزة ويبدل وفتح زاي الازار تستر عورته (ولم اتجرد) أي انا من ثيابي احتياطا في ذلك المقام (فرأيت) أي في المنام (تلك الليلة) أي القابلة من يوم تجردهم (قائلا يقول لي يا أحمد ابشر) أي بكل خير وفي نسخة ابشر يا أحمد (فان الله قد) غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما أي يقتدى بك (قلت من أنت قال جبريل) عليه الصلاة والسلام

(فصل)

(ومخالفة أمره) وكذا مناقضة نهيه بعد الانقياد لحكمه (وتبديل سنته) أي بتغييرها مبنى أو بتفسيرها معنى على خلاف مراده وطريقته (ضلال) أي في الاعتقاد (وبدعة) أي في الاجتهاد لا تصلح للاعتماد (ومتوعد) بفتح العين المشددة أي موعود (من الله تعالى عليه) أي على ما ذكر من المخالفة والمبادلة (بالخذلان) أي بترك النصرة له وعدم التوفيق للطاعة وخلق المعصية فيه في الدنيا (والعذاب) أي وبالعقوبة في العقبى (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي معرضين عنه أو مانعين عن مقتضى حكمه (ان تصيبهم فتنة) أي كراهة ان يلحقهم محنة وبلية في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي مؤلم في العقبى والآية دالة على ان الامر للوجوب الاكيد حيث رتب على تركه الوعيد الشديد (وقال تعالى ومن يشاقق الرسول) أي يخالفه لان كلا من المتخالفين يكون في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) أي ظهر له الحق ببيان المولى

في كتب التفسير (وحكي) بالبناء للمجهول أي نقل لنا (ان) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى وحنبل اسم جده وانه أحمد بن محمد بن حنبل كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي ابن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي لانه تربى بها ودفن فيها ثاني عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتأليف (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) من ثيابهم عريانا (ودخلوا الماء) للاغتسال (فاستعملت الحديث) أي عملت به فالسين للتأكيد وقيل المعنى طلبت ذلك من نفسي وقلت لا اوافق هؤلاء وهذا الحديث رواه مسلم والترمذي وغيره (من كان يؤمن بالله) أي يصدق ويعترف بالله (واليوم الآخر) أي يوم البعث والحشر وهو يوم القيامة والايمان بهما عبارة عن الايمان بجميع ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفاء (فلا يدخل الحمام) المراد به كل مكان فيه ما يغتسل به ثم غلب في العرف على محل مخصوص (الا بمئزر) المئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الازار وهو ما يستر به نصف المرء الاسفل (ولم أتجرد) أنا أي لم اخلع ثيابي واتعرى منها وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث (فرأيت) في المنام (تلك الليلة) أي في تلك الليلة التي تلي يوم تجردهم (قائلا) أي شخصا يقول لي (يا أحمد أبشر) أي مبشرا من الله عما يسرك (فان الله قد غفر لك) أي عفا عنك وانعم عليك بقبول ما صدر منك (باستعمال السنة) أي بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والعمل بحديثه (وجعلك اماما) يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب (قلت) لمن رأيته في المنام (من انت) استفهام يريد به تعيينه عنده (قال جبريل) أي انا جبريل رسول الله الى عباده

*(فصل ومخالفة أمره) أي بترك ما أمر الامة به (وتبديل سنته) أي تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتأويله على خلاف مراده (ضلال) أي عدول عن الطريق المستقيم وهي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته (وبدعة) أي أمر أحدث في الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهي المرادة هنا (متوعد عليها) أي ورد الوعيد لفاعلها في أحاديث كثيرة تقدم بعضها وفي آيات قرآنية (من الله بالخذلان) متعلق بمتوعد والخذلان ضد التوفيق وهو ان يخلق الله فيه داعية المعاصي في الدنيا (والعذاب) الاليم في الآخرة (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عدى بعن وهو متعد بنفسه وضمير أمره للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المقصود بالذكر في الآية وهو الذي بنى المصنف رحمه الله تعالى عليه كلامه هنا وفيه وجه آخر انه لله لانه الآمر الحقيقي والفتنة ما في الدنيا من المصائب لا المحنة الدنيوية والعذاب الاليم في الآخرة (وقال الله تعالى ومن يشاقق الرسول) أي يعاديه ويخاصمه فيكون في شق وهو في شق آخر (من بعد ما تبين له الهدى) أي ظهر له الحق وثبت معانيه بمعجزاته صلى الله تعالى عليه

(ويتبع غير سبيل المؤمنين) أى غير ما هم عليه من اعتقاد علم أو اعتماد عمل (نوله ما تولى) أى نجعله واليا لما تولاه من ضلال وبدعة (ونصله جهنم) أى ندخله فيها ونحرقه بها (وساءت) أى جهنم (مصيرا) أى مرجعا لهم والآية مؤذنة بحرمة مخالفة الاجماع (حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبى جعفر وعبد الرحمن بن عتاب) بتشديد الفوقية وفى نسخة أبو محمد بلفظ التثنية فان كلاهما مكنى بأبى محمد (بقراءتى عليهما) قيل هو فوق السماع لانه ادل على القابلية الظاهرة فى الطباع (قالا) أى كلاهما (ثنا) أى حدثنا (أبو القاسم حاتم ابن محمد ثنا) أى حدثنا (أبو الحسن القابسى) بالقاف وكسر الموحدة (ثنا) أى حدثنا (الحسين) وفى نسخة صحيحة الحسن (ابن مسرور الدباغ) أى صانع الدبغ أو بائعه (ثنا) أى حدثنا (أحمد بن أبى سليمان ثنا) أى حدثنا (ابن سحنون) بفتح سين وضم نون (ابن سعيد) وهو عبد السلام (ثنا) أى حدثنا (ابن القاسم ثنا) أى حدثنا (مالك) وهو امام دار الهجرة رحمه الله تعالى (عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كذا رواه مسلم وأبو داود عنه والنسائى عنه واختار المصنف طريق مالك فان بينه وبين مالك سبعة أشخاص وبينه وبين مسلم ثمانية (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) بتثليث الباء والفتح أفصح والظاهر ان المراد به مقبرة البقيع فى المدينة (وذكر الحديث) أى بطوله (فى صفة أمته) أى نعتهم وفضلهم حيث قال لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء الحديث (وفيه) وفى جلاته (فليذادن) بفتح اللام القسمة وضم الياء وذال معجمة فالف ودال مهملة وهاما فنون مشددة من الذود وهو الطرد والبعد أى فليصدن وليمنعن (رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال) أى عن مزاحمة بعير الرجال فى الشرب من حوض ماء الزلال (فاناديهم) أى ظنا انهم من أصحابى وأهل ناديهم (فاقول ألا) أى تنبهوا (هلم) أى تعالوا واقبلوا وهو بلغة قريش يستوى فيه الواحد والجمع بخلاف بنى تميم فانهم يقولون هلم هلما هلموا هلمى والاول أفصح وبه ورد التنزيل قال هلم شهداءكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الخليل أصله لم من قولهم لم الله شعثه أى جمعه كانه أراد لم نفسك الينا أى اقرب والهاء للتنبيه وحذف ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا فى الامر بالاقبال

وسلم وهداية الله تعالى له لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أى يسلك طريقا غير طريقتهم فى الاعتقاد والعمل (نوله ما تولى) أى نجعله متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع (الآية) أى اقرأها يعنى قوله تعالى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله تعالى عليه وسلم واستدل بهذه الآية على حجية الاجماع كما بين فى كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال (حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبى جعفر) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنى وقد تقدمت ترجمته (وعبد الله بن عتاب) تقدم أيضا (بقراءتى عليهما) بيان لطريق روايته ويسمى عرضا (قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) تقدم قريبا قال (حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ) بسين مهملة منقول من اسم المفعول وهو على بن محمد بن مسرور توفى فى منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قال (حدثنا أحمد بن أبى سليمان) هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى أبا جعفر توفى سنة احدى وتسعين ومائتين وقد ناهز السبعين قال (حدثنا سحنون) عبد السلام (بن سعيد) وستأتى ترجمته مفصلة قال (حدثنا ابن القاسم) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن العلاء بن عبد الرحمن) تقدم أيضا (عن أبيه عن أبى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) مثلثة الباء والكسر لغة قليلة فيها (وذكر الحديث فى صفة أمته صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى قوله لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء (وفيه) أى فى الحديث المذكور (فليذادن رجال عن حوضى) اللام فى جواب قسم مقدر ويذادن مبنى للمجهول بذال معجمة وألف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية أو ناهية أى لا يفعل أحد كم فعلا يطرد بسببه عن حوضى على معنى التحذير والاشفاق ورجحت الرواية التى اختارها المصنف رحمه الله تعالى (كما يذاد البعير الضال) أى كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه وأتى ليدخل فى ابل أخرى ليستقى فيطرد من بينها لئلا ينتقص شربها (فاناديهم) اذا طردوا (ألا هلم ألا هلم ألا هلم) كرره ثلاثا تأكيدا على العادة فى نداء من ضل وهذا بيان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم اشفقته عليهم ورحمة لهم وهلم بفتح الهاء وضم اللام وقد تفتح وهى اسم فعل بمعنى أقبل وأحضر ويتعدى بنفسها وباللام والميم فيها مشددة مفتوحة يستوى فيها المذكر وغيره وهى بسيطة فى الاصل أو مركبة من ها لم أو من هل أم وهذه لغة أهل الحجاز وهى الفصحاء لانها لغة القرآن ولغة غيرهم هلم

(فيقال) أى فيقول المانعون والدافعون وهم الملائكة الجامعون (انهم قد بدلوا بعدك) أى دينهم كفرا بدليل قوله (فاقول فسحقا فسحقا فسحقا) أى ثلاث مرات وهو بسكون الحاء وضمها بمعنى بعدا وانتصب بتقدير ألزمهم الله سحقا أو أسحقهم الله سحقا أى فأبعدهم الله بعدا أو فطردهم الله طردا أو بدليل حديث انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم قال النووى اختلف العلماء فى المراد بهم على أقوال أحدها ان المراد بهم المنافقون فيجوز ان يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للسيما التى عليهم فيقال ان هؤلاء بدلوا بعدك أى لم يموتوا على ما ظهر من اسلامهم وثانيها ان المراد بهم من كان فى زمنه عليه الصلاة والسلام من أهل الاسلام ثم ارتدوا بعده فيناديهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرف فى حياته من اسلامهم فيقال ارتدوا بعدك والثالث ان المراد أصحاب المعاصى والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع فلا يقطع لهؤلاء بالنار بل يجوز ان يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى ثم اعلم ان فى بعض النسخ فلا يذادن بزيادة ألف بعد اللام فتصير لا نافية وأكثر الرواة عن مالك فى الموطأ على الاول ورواه يحيى ومطرف وابن نافع على الثانى ورده ابن وضاح بناء على الرواية الاولى وكلاهما صحيح المعنى بل النافية أوضح فى المعنى أى فلا تفعلوا فعلا يوجب ذلك هنالك ومنه حديث فلا ألفين أحدكم على رقبته بعير أى لا تفعلوا ما يوجب ذلك فما فى بعض حواشى الشفاء من ان قوله فلا يذادن لا معنى له (وروى أنس رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أى فى حديث طويل عمار واه الشيخان عنه آخره (فمن رغب) وفى نسخة صحيحة من رغب (عن سنتى) أى أعرض عنها ومال الى غيرها (فليس منى) أى متصل بى أو ليس من اتباعى واشياعى (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (من أحدث فى أمرنا) ولمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا وفى رواية من أدخل فى ديننا وهو كذلك فى نسخة وفى أخرى فى أمرنا هذا على ما فى رواية صحيحة أى هذا الامر الواضح الكامل الذى لا يحتاج الى زيادة احداث (ما ليس منه) أى شيأ لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهرا وخفى ملفوظ أو مستنبط وفى نسخة ما ليس فيه (فهو) أى ذلك المحدث أو ذلك الشئ المحدث (رد) أى مردود غير مقبول وهذا الحديث أصل فى الاعتصام بالكتاب والسنة ورد الاهواء والبدعة (وروى ابن أبى رافع) كما أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه واسمه عبيد الله (عن أبيه) أى أبى رافع مولى النبى عليه الصلاة والسلام

وهلم وهلموا وهلمن فهى عندهم فعل لان اسم الفعل لا يتصل به الضمائر والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم أظهروا الاسلام وتوضؤوا وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولم تكن هذه السيما الا للمؤمنين لم يدعوا فان كان المراد أهل البدع من المؤمنين وأصحاب الكبائر فالامر ظاهر وقال النووى اختلف فى المراد به على أقوال أحدها ان المراد بهم المنافقون يجوز ان يحشروا غرا محجلين فيناديهم بسيماهم فيقال انهم بدلوا بعدك ولم يموتوا على الاسلام الثانى ان المراد من كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد أصحاب الكبائر والمعاصى الموحدين وأصحاب البدع فيذادون عقوبة لهم (فيقال) بالبناء للمجهول أى يقول الله تعالى أو الملائكة أو من عرفهم من الصحابة (انهم قد بدلوا بعدك) أى غيروا وارتكبوا ما لم تعهده منهم وفى نسخة انهم قد تبدلوا بعدك (فاقول سحقا سحقا سحقا) وفى نسخة فسحقا باعادة الفاء للتأكيد وهو بضم السين والحاء وتسكن تخفيفا قال تعالى فسحقا أى جعلهم الله فى مكان سحيق أى بعيد وأصله من سحقه اذا فتته والسحق الثوب البالى وهو على تقدير اسحقوا وابعدوا بعدا شديدا ويحتمل انه دعاء عليهم تقديره ألزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية أو هو مفعول به واذا كان دعاء فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا فيل هل هو مصدر الفعل الثلاثى وهو سحقه أو لغيره أى أسحقه على حذف الزوائد وقيل اسم مصدر فلا يحتاج لذلك وان اختاره أبو على ٭ أقول بل له داع لان سحقه بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل أسحقه يقال أبعده الله وأسحقه كما قاله الراغب (وروى أنس) ابن مالك فى حديث رواه الشيخان (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رغب عن سنتى) أى تركها لان رغب اذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه وسنته طريقته وشريعته (فليس منى) أى ليس من اتباعى واشياعى ومن اتصالية كما تقدم بيانه وهذا تبرى منه ورد له وهو فى معنى الحديث الذى قبله (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (من أدخل فى أمرنا) أى أحدث بدعة فى الدين وروى من أحدث وهما بمعنى (هذا) عبر باسم الاشارة اشارة الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد (ما ليس منه) أى أمر مخالف للكتاب والسنة (فهو رد) أى مردود وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال الطوفى انه نصف الدين (وروى ابن أبى رافع عن أبيه) وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه كما

(عن النبي) وفي نسخة ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته) نهي لنفسه عليه الصلاة والسلام ان يراهم في ذلك المقام مريدا به نهيهم عن ان يكونوا عليها فانهم اذا كانوا عليها اوجدهم كذلك لديها (يأتيه) حال ثانية أو جملة استئنافية بيانية أي يجيئه (الامر من أمري) أي حكمي (مما أمرت به أو نهيت عنه) أي مما هو غير ظاهر في الكتاب فيقول (لا أدري) أي غير القرآن (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد) أي الراوي أبو داود والترمذي والحاكم (في حديث المقدام) بكسر الميم الاولى وهو ابن معدي كرب روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا) للتنبيه (وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما

تقدم قريبا (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم) بالبناء للمجهول نهي لنفسه والمراد به نهي غيره عن ان يجده ويراه على هذه الحالة (متكئا على أريكته) أي مترفها جالسا على سريره وتقدم بيان الاريكة (يأتيه الامر) جملة حالية تقريرا لبطره وسوء أدبه (من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري) ما أتيت به لا أدري غير كتاب الله (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) وقد تقدم قريبا الكلام عليه (زاد المقدام) في هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدي كرب الكندي المكنى بابي صالح ممن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة (ألا) بفتح الهمزة كلمة استفتاح (وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله) لانه مبلغ عنه فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القائل لا يتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه معصوم في أقواله وأفعاله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارمي وابن المنذر وابن جرير وأبو داود مرسلا (وجيء) مجهول جاء والجملة حالية بتقدير قد أو معترضة (بكتاب) أي مكتوب (في كتف) أي في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفي الجلود لعزة الورق اذ ذاك والجائي به عمر رضي الله تعالى عنه أو ابنته حفصة أو عائشة كما قيل وقيل انه شيء كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ألقاه (قال كفى بقوم) متعلق بكفى أو الباء زائدة في المفعول (حمقا أو قال ضلالا) شك من الراوي ونصبهما على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهداية وجعله كذلك لنظرهم في أمور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معهم بين أظهرهم كما بينه بقوله (ان يرغبوا) هو فاعل كفى أي رغبتهم (عما جاءهم به نبيهم) معرضين عنه مشتغلين بما لا يعنيهم (الى ما جاء به) (غير نبيهم) أي ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته (أو) ناظرين الى (كتاب غير كتابهم) الذي أنزله الله تعالى على رسولهم فلا ينبغي لهم الا الاقتداء به والسماع منه اعتناء لما له وهو بين وفيه اشارة الى انه كان أمرا منقولا عن اليهود كما نقله في زاد المسير (فنزلت) آية (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب) أي القرآن الذي ما فرطنا فيه من شيء فهو لوم على ما فعلوه وهو عطف على ما قبله والهمزة مقدمة من تأخير أو على مقدر معلوم من الحال أي قالوا ذلك ونقلوه ولم يكتفوا الى آخره وهذا سبب نزول الآية كما نقله في أسباب النزول وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم بآية من آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى عليه الصلاة والسلام وناقة صالح عليه السلام فقال لهم الله تعالى لهم أولم يكفهم معجزة القرآن التي هي أعظم المعجزات وهي باقية مستمرة ولذا قال (يتلى عليهم الآية) وعبر بالمضارع والضمير لليهود أو المسلمين أو المشركين وقيل ان كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل على النهي عن قراءة

حرم الله تعالى) أي فيجب اجتناب ما حرمه لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فالكتاب وحي جلي والسنة وحي خفي (وقال عليه السلام) كما رواه أبو داود في مراسيله والدارمي والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن يحيى بن جعدة (وجيء بكتاب) جملة حالية معترضة مؤذنة بانه سبب للمقالة أي وقد جيء بمكتوب من التوراة (في كتف) أي من الشاة والجائي به عمر أو ابنته حفصة أو عائشة رضي الله تعالى عنهم أو غيرهم ولا مانع من الجمع كما يشير اليه قوله (كفى بقوم حمقا) بضم فسكون أي حماقة وجهالة (أو قال ضلالا) أي ضلالة وغواية والشك من الراوي والباء زائدة في فاعل كفى ونصب ما بعده على التمييز المحول عن الفاعل والمعنى كفى الحمق أو الضلال قوما (ان رغبوا) أي يميلوا أو يعرضوا (عما الكتب

جاء به نبيهم الى غير نبيهم) أي ملتفتين ومقبلين الى ما جاء به غير نبيه يعني ولو كان نبيا الى غيرهم كما يدل عليه قوله عليه السلام في رواية ولو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي (أو كتاب) أي أو الى كتاب (غير كتابهم) أي النازل اليهم ولو كان في كتب الله تعالى الى غيرهم هذا ولفظ ما رووه جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كفى بقوم حمقا أو ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم (فنزلت أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي دائما ما بقيت الدنيا

(وقال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) مأخوذ من النطع وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعير لكل تعمق قولا وفعلا أى المتعمقون فى كلامهم الغالون فى أقوالهم وأفعالهم المتكلمون بأقصى حلوقهم البالغون فى خوضهم (وقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) كما رواه أبو داود وغيره (لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) أى فى حال (الا عملت به) أى اقتفاء بسنته الحميدة واقتداء بسيرته المجيدة (انى أخشى) أى أخاف خوفا عظيما (ان تركت شيأ من أمره) أى الذى كان عليه فى دينه (ان أزيغ) أى أميل عن الحق والهدى وأقبل على موافقة النفس وموافقة الهوى

(الباب الثانى)

(فى لزوم محبته عليه الصلاة والسلام) أى فى ذكر ما يؤذن بوجوب لزوم محبته لكل مكلف من أمته فى لوازم ملته (قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم) أى أصولكم وفروعكم (واخوانكم) أى أمثالكم وأقرانكم (وأزواجكم) أى أشباهكم من نسائكم ورجالكم (وعشيرتكم) وفى قراءة وعشيراتكم بصيغة الجمع أى جميع أقاربكم أو كل من تعاشرونه وتصاحبونه مأخوذ من العشرة (وأموال اقترفتموها) أى اكتسبتموها (من النقود والاجناس الآية) وهى (وتجارة تخشون كسادها) أى تخافون قلة رواجها ونقصان نفاقها او نفادها (ومساكن) من البيوت والبساتين (ترضونها) يعجبكم سكونها أحب اليكم) حبا اختياريا (من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) أى من حب الله ورسوله ومجاهدة فى طاعته وعبادته (فتربصوا) أمر تهديد أى فانتظروا (حتى يأتى الله بأمره) أى بمحنة عاجلة أو نقمة آجلة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يرشد الخارجين عن محبة الله ومرضاته الى موافقات نفوسهم وهوى متابعتها (فكفى بهذا) أى التهديد والوعيد الشديد (حضا) أى تحريضا وحثا (وتنبيها) أى تنبيها (ودلالة) أى واضحة (وحجة) أى لائحة (على الزام محبته) أى اثبات مودته عليه الصلاة والسلام وفى نسخة على التزام محبته أى قبولها (ووجوب فرضها) أى ثبوت حتمها (وعظم خطرها) بكسر العين وفتح الظاء المعجمة أو بضم فسكون والخطر بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أى القدر أى عظمة شأنها ورفعة قدرها

الكتب المنسوخة لا الصحاح ممن يعرف النسخ والتحريف (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) أى وقعوا فى أمر يهلكهم يؤدى الى غضب الله تعالى وعقابه من تنطع أى بالغ وغالى فى الامور وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الفك الاعلى من الفم استعير لكل متعمق فى قول أو فعل غير مهم وأصله من يفتح فمه فى تكلمه وقال الخطابى المتنطع المتعمق المتكلف الباحث عن مذاهب أهل الكلام الخائض فيما لم يبلغه عقله ومناسبته لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبمصرح أول الحديث وهو تعلموا الفرائض قبل ان يقبض واياكم والتنطع والتعمق والبدع وهلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم (وقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) وهذا رواه عنه أبو داود والبخارى وغيرهما (لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) من سنته فى أقواله وأفعاله وأحكامه وهديه (الا عملته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعا لآثاره الحميدة (انى أخشى) أى أخاف (ان تركت شيأ من أمره) أى شأنه وحاله الذى كان عليه عليه الصلاة والسلام (ان أزيغ) بزاى وغين معجمتين أى أميل عن الحق والسنة وأصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال الله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم أى لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك والله أعلم

(الباب الثانى)

من القسم الثانى من الكتاب (فى) ذكر ما يدل على (لزوم محبته) أى وجوبها عن كل مكلف من أمته وفى نسخة فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله (قال الله تعالى * قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم) أى زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والانثى وزوجة لغة أيضا فرقا بين المذكر والمؤنث (وعشيرتكم) وهم أقرباء النسب (وأموال اقترفتموها) أى اكتسبتموها وملكتموها (الآية) أى اقرأ ما بعد ما ذكروه وهو وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالهجرة تخلف بعضهم عنه فنزلت وتفسير الآية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا (فكفى بهذا) المذكور فى الآية (حضا) أى حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك وأصله الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى (وتنبيها) أى ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يغيب عنهم طرفة عين (ودلالة) لهم على ما يجب فى محبته (وحجة) أى اثباتا الدليل وجوب محبته عليهم والآخران بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما قبله لغيره (على التزام محبته) أى لزومها عقلا (ووجوب فرضها) عليهم شرعا (وعظم خطرها) أى قدرها وفائدتها وأصله ما يعطى عند الرهان

(واستحقاقه) أى النبي عليه الصلاة والسلام (لها) أى للمحبة الكاملة (عليه الصلاة والسلام) أى الكامل التمام (اذقرع) بفتح قاف وتشديد راء أى لانه وبخ (الله تعالى) أى ارتفع شانه وسطع برهانه (من كان ماله) أى من تجارة ومساكن وغيرها (وأهله) أى ماله من الاقارب عموما (وولده) أى واولاده خصوصا (أحب اليه) أى الى نفسه (من الله ورسوله) أومن رضاهما واتباع أمرهما (وأوعدهم) أى خوفهم (بقوله فتربصوا حتى يأتى الله بامره) أى بالذى أراد بكم من سوء فى الدنيا أوالعقبى أوفيهما جميعا (ثم فسقهم) بتشديد السين أى نسبهم الى الفسق (بتمام الآية) أى بما تتم الآية به فى الدلالة وهو آخرها حيث قال والله لايهدى القوم الفاسقين (وأعلمهم) أى بطريق الكناية (انهم ممن ضل) أى بخذلانه سبحانه وتعالى (ولم يهده الله تعالى) أى الى برهانه

(واستحقاقه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لها) أى للمحبة المذكورة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

اللهم املأ قلبي بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لايكون فيه محلا لغير كما (اذقرع) بفتح القاف والراء المهملة المشددة والعين المهملة أى وبخ قيل وفى أصل المصنف رحمه الله تعالى تقرع والصواب الاول (تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب اليه من الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين تقريعه بقوله (وأوعدهم بقوله فتربصوا) أى انتظروا أمره وفيه من التوبيخ مالايخفى (وفسقهم) أى وصفهم ونسبهم للفسق (بتمام الآية) أى بما ذكر فى آخرها حيث قال الله تعالى (والله لايهدى القوم الفاسقين) فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعليتها وهو معنى قوله (وأعلمهم انهم ممن أضل ولم يهده الله) تبارك وتعالى (حدثنا أبو على الغسانى) الجيانى الحافظ وتقدمت ترجمته (فيما أجازنيه) يعنى انه رواه عنه بالاجازة ولم يقرأه عليه مع انه معاصره (وهو) أى هذا الحديث الذى رواه البخارى وغيره (مما قرأته على غير واحد) من المشايخ غيره فله فى روايته طرق كثيرة أقوى من هذه وانما اختارها العلو سنده وجلالته (قال) الغسانى (حدثنا سراج بن عبدالله القاضى) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو محمد الاصيلى ٢) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عبدالله محمد بن يوسف) هو الفربرى راوى البخارى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد ابن اسمعيل) هو امام أهل السنة صاحب صحيح البخارى قال (حدثنا يعقوب بن ابراهيم) ابن كثير البغدادى الدورقى صاحب المسند وامام الحديث توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة أو الى صنعة الدوارق وهى نوع من القلانس قال (حدثنا ابن علية) بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور بابن علية أخرج له أصحاب السنن الستة وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة فى كتاب الميزان وعلية أمه (عن عبدالعزيز بن صهيب) علم منقول من المصغر وهو البنانى الاعمى الامام الثقة الحافظ أخرج له الستة وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته مشهورة (عن أنس) بن مالك الصحابى المشهور (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايؤمن أحدكم) هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل خص بالخطاب الموجودين والحكم عام بشهادة انه روى بغير خطاب فى مسلم لايؤمن عبد وفى رواية غيره أحد أى لايؤمن ايمانا كاملا كما فى رواية ابن حبان لايبلغ عبد حقيقة الايمان (حتى أكون) بالنصب وهو غاية لما قبله (أحب اليه من ولده ووالده

وتحقيق ايمانه (حدثنا أبو على الغسانى) بفتح الغين المعجمة وتشديد المهملة (الحافظ) أى الجيانى (فيما أجازنيه) أى من غير سماع منه ولا قراءة عليه (وهو) أى هذا المروى (مما قرأته على غير واحد) أى على كثير من المحدثين غيره ولعله خصه بالرواية عنه لعلو سنده أو صحة نسبه (قال) أى الغسانى (ثنا) أى حدثنا (سراج بن عبدالله القاضى ثنا) أى قال حدثنا (أبو محمد الاصيلى) بفتح فكسر (ثنا) أى حدثنا (المروزى) بفتح الميم والواو (ثنا) أى حدثنا (أبو عبدالله محمد ابن يوسف) أى الفربرى (ثنا) أى حدثنا (محمد ابن اسمعيل) أى البخارى) صاحب الصحيح (ثنا) أى حدثنا (يعقوب بن ابراهيم) أى الدورقى البغدادى روى عنه أصحاب الكتب الستة وله مسند توفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين (ثنا) أى حدثنا (ابن علية) بالتصغير هو الامام أبو بشر اسمعيل بن ابراهيم بن القاسم المشهور بابن علية وهى أمه روى عنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة امام حجة أخرج له الستة (عن عبدالعزيز ابن صهيب) بالتصغير هو البنانى الاعمى التابعى أخرج له الجماعة وقال أحمد ثقة (عن أنس رضى الله تعالى عنه) وكرواة مسلم والنسائى (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايؤمن أحدكم) الخطاب يشمل الموجودين ومن بعدهم من المولودين وفى رواية مسلم عبد وفى رواية غيرهما أحد أى لايكمل ايمان أحد بدلالة رواية ابن حبان لايبلغ عبد حقيقة الايمان والمعنى لايعتد بايمانه (حتى أكون أحب) أى أشد حبا (اليه من ولده ووالده) أى خصوصا

والناس

(٢) قوله سقط المروزى باصل الصلب ولعل الصواب ثبوته

(والناس أجمعين) أى وسائر الخلق عموما حبا اختياريا بموجب اكرامه عليه الصلاة والسلام واجلاله فى مقام الاحترام واعلم ان المراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعى التابع لهوى النفس فان محبة الانسان لنفسه من حيث الطبع أشد من محبة غيره وكذا محبة ولده ووالده أشد من محبة غيرهما وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل خارج عن حد الاستطاعة فلا مؤاخذة به لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد الحب العقلى الاختيارى الذى هو ايثار ما يقتضى العقل رجحانه وان كان على خلاف الطبع الا ترى ان المريض يكره الدواء المر بطبعه ومع ذلك يميل اليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما علم أو ظن ان صلاحه فيه وكذلك المؤمن اذا علم ان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن انه عليه الصلاة والسلام أشفق الناس عليه وألطفهم اليه وحينئذ يرجح جانب أمره بمقتضى عقله على أمر غيره وهذا أول درجات الايمان واما كماله فهو ان يصير طبعه تابعا لعقله فى حبه عليه الصلاة والسلام قيل ومحبته نصر سنته والذب عن شريعته والاقتداء بسيرته (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه نحوه) مبتدأ مقدم الخبر والمعنى انه روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بمعناه وان اختلف مبناه (وعن أنس رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين (ثلاث) أى خصال ثلاث (من كن فيه) أى من وجدن واجتمعن فى حقه (وجد) أى أدرك بنفسه (حلاوة الايمان) أى فى قلبه والتذ به كما يجد حلاوة العسل من تناوله غير ان الالتذاذ الاول عقلى روحانى والثانى حسى نفسانى والجملة خبر أو صفة لثلاث (ان يكون الله تعالى ورسوله) بدل من ثلاث على الاول وخبره على الثانى أو خبر مبتدأ محذوف وهو هى أوهن ان يكون الله تعالى ورسوله عنده (أحب اليه مما سواهما) ولم يقل ممن سواهما للعموم والمعنى من كل شئ مما عداهما وفى تثنية ضميرهما هاهنا مع انكاره عليه الصلاة والسلام على خطيب تثنيتهما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اشارة الى ان المعتبر فى المحبتين هو مجموعهما لا كل واحدة بانفرادها ودلالة على ان كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف فانه فى تقدير التكرير وقيل ان الجامع هنا يجوز له ما يجوز لغيره وقيل انما أنكره عليه لوقوفه على يعصهما وردية قوله قل ومن يعص الله ورسوله ويمكن دفعه بان المراد بالامر هو الابتداء بحين وقف عليه (وان يحب المرء) أى الشخص أعم من الرجل والمرأة واغرب الانطاكى حيث توهم ان المرء مختص بالرجل وأتى بما لا يناسب المقام فى تحصيل المرام (لا يحبه) أى لشئ (الا الله تعالى) أى لا لامر آخر أى فى مبتغاه وفيه ايماء الى ان محبة رسول الله أيضا انما هو لمحبة الله تعالى ورضاه

والناس أجمعين) ايثاره صلى الله تعالى عليه وسلم واكرامه واجلاله واحب بمعنى أكثر محبوبية على خلاف القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها فى الناس وقوله اليه لا يقتضى خروجه المغايرته له من جهة كونه محبا وهى محبوبة والام وسائر الاهل داخل فى الناس أيضا ولا حاجة لادخالها فى الوالد كما قيل وسيأتى بمعنى محبتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه (نحوه) أى روى عنه حديث بمعنى الحديث المذكور (و) روى (عن أنس) خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام ثلاث) أى ثلاث خصال أو خصال ثلاث فوصف المقدر سوغ الابتداء بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرملة أى رجل ضعيف (من كن) أى الخصال (فيه وجد حلاوة الايمان) خبر المبتدأ أو صفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة أوهو مجاز مرسل الخصلة الاولى (ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) جمع الله وغيره فى ضمير وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز أو انه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من خصائصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل انها واقعة حال لا تخصص لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية أو ان هذا كان فى ابتداء الاسلام ووجود المشركين بين اظهرهم لاسيما اذا قصد المبالغة فى تعظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا فصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظى وملاحظة انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل (و) الثانية (ان يحب المرء) بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير من (لا يحبه الا الله) أى يخلص فى محبته من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء كما قاله ابن معاذ

و ان يكره ان يعود فى الكفر) اثبات ايمانه وكمال ايقانه (كما يكره ان يقذف فى النار) بصيغة المجهول أى يرمى فى النار فى هذه الدار وذلك لان المرء لايكمل ايمانه ولا يتحقق ايقانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم على الاطلاق فى تقسيم الارزاق والاخلاق لامانع سواه ولامانع ماعداه وان النبى عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبينه فى ايصال المرام ساعى بهدايته له فى المرتبة والمقام لاصلاح شأنه ورفعة مكانه وذلك مشعر بوجوب تصحيح محبتهما وترجيح مودتهما (وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما رواه البخارى (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت) أى والله لانت (أحب الى من كل شئ الا من نفسى) أى روحى (التى بين جنبى) صفة كاشفة أى التى فى بدنى وبها قوام أمرى ونظام قدرى ولذة حياتى الموجبة لكراهة مماتى وهذا جرى منه بناء على صدق مقامه وحسن مرامه حيث ظن ان المراد بمحبته عليه الصلاة السلام هو الحب الطبيعى فى هذا المقام (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن أحدكم) أى ايمانا كاملا (حتى أكون أحب اليه من نفسه) أى حبا اختياريا يوجب اختيار محبة رسول الله ورضاه على محبة المخلوقين مما سواه لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج فلما تفطن لهذا المعنى من هذا المبنى (قال عمر والذى أنزل عليك الكتاب لانت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه الآن يا عمر) أى فى هذا الزمان قد استقمت ايمانا وتكملت ايقانا ولا يبعد ان يكون الاستفهام مقدرا ابطاء لهذا الامر الذى وجب ان يكون من أول الوهلة مقررا (قال سهل) أى ابن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى (من لم ير ولاية الرسول) أى أمره وحكمه (عليه) أى جاريا على نفسه (فى جميع الاحوال) وفى نسخة صحيحة فى جميع أحواله أى من أفعاله وأقواله

(و) الثالثة (ان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار) لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له واطمئنان قلبه وفى رواية بعد اذ انقذه الله تعالى منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر فى حق من تلبس بالكفر كالعود فانه بمعنى الرجوع اما من ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه وبالطريق الاولى وقيل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدى العود بفى وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما فى قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها (وعن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البخارى عن عبد الله بن هشام (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الى) خبر انت واللام فى جواب قسم مقدر (من كل شئ) فى الدنيا وغيرها (الا نفسى التى بين جنبى) بتشديد الياء كياء الى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه) ايثارا له صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وغيره (فقال عمر) مجيبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (والذى) أى الله الذى (أنزل عليك الكتاب) وأوحى اليك القرآن (لانت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن) نطقت بالحق أو ظهر اتصافك بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبنى على الفتح وال فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر (يا عمر) صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه أى لا يكفيك المرتبة الاولى ولا يليق بعلو همتك الاقتصار عليها وانما اقتصر على الاولى احترازا عن المبالغة لان محبة المرء لنفسه وترجيحها أمر طبيعى لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه أولا كان بحسب ما طبع عليه ثم تامل فعرف بالاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه منها لانه الذى نجاه من الهلاك فى الدنيا والآخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال له الآن تحققت ونطقت وقيل معناه لن يؤمن أحدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضى عقله ترجيح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماسواه وفيه سوء أدب ثم قال والحديث يومى الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر غير اعتقاد أعظميته كما زعمه المصنف رحمه الله ورده القرطبى ولا وجه له فان عمر لا يشك انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم من نفسه ومن كل شئ ولا يلزم من اعتقاد الاعظمية المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب هنا العقلى الاختيارى الذى يقتضى العقل ايثاره وان خالف كمحبة المريض الدواء لا الطبيعى الذى لا يدخل تحت اختياره فان الله لا يؤاخذه به لانه لا يدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح وان فرقوا بينهما واراد بالتى بين جنبيه السر القائم به الحياة واضافة اليهما لجرى العادة بسبب الحياة بسبب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من سائر الاعضاء الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى وابرز عمر رضى الله تعالى عنه القسم بعد ما قدره تحقيقا لخلوص طويته فى مقالته ولذا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم الآن لما علمه منه (وقال سهل) ابن عبد الله التسترى (من لم ير) أى يعلم ويتحقق يقينا (ولاية الرسول عليه فى جميع أحواله) الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولى الامر وقيل الولاية والولاية واحدة وهى مصدر نحو الدلالة والدلالة وحقيقتها تولى الامر انتهى والمراد

(ويروى نفسه في ملكه) بكسر الميم أي في تصرف نفسه وتدبير أمره وأما ما في بعض النسخ من زيادة عليه الصلاة والسلام بعد قوله ملكه فلا يصح نعم لو وجد يرى بجزم ما لكن له وجه (لا يذوق حلاوة سنته) أي طراوة سيرته (لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أي ايمانا كاملا (حتى أكون أحب اليه من نفسه الحديث) أي الى آخره فهو مجرور أو منصوب بتقدير أعني ونحوه أو مرفوع أي تمام الحديث سبق وهو قوله وماله وولده والناس أجمعين ※ (فصل) ※ (في ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مما يرجوه محبته في الدنيا ويأمله في دار العقبى (حدثنا أبو محمد بن عتاب) بتشديد الفوقيه (بقراءتي عليه ثنا) أي حدثنا (أبو القاسم حاتم) بكسر التاء (ابن محمد ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن علي بن خلف) بفتحتين وهو الحافظ القابسي (ثنا) أي حدثنا (أبو زيد المروزي) تقدم (ثنا) أي حدثنا (محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا) أي حدثنا (محمد بن اسمعيل) أي الامام البخاري (ثنا) أي حدثنا (عبدان) هو عبد الله ابن عثمان (ثنا) أي حدثنا (أبي) أي أبوه عثمان بن جبلة بن أبي داود العتكي المروزي أخرج له الشيخان (ثنا) أي حدثنا (شعبة) وهو امام (جليل عن عمرو بن مرة) أحد الاعلام وكان من الائمة العاملين الكرام روى عن ابن أبي أوفى وابن المسيب وجماعة وعنه سفيان وغيره قال ابن أبي حاتم ثقة يرى الارجاء أخرج له الستة (عن سالم ابن أبي الجعد) تابعي جليل (عن أنس رضي الله تعالى عنه) لا يخفى ان هذه الطريق التي أخرجها القاضي عن البخاري هي في الادب من جملة الصحيح وأخرجه من طريق أخرى في الاحكام أيضا وأخرجه مسلم في الادب وليس لسالم بن أبي الجعد في الكتب الستة عن أنس رضي الله تعالى عنه غير هذا الحديث (ان رجلا) قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقيل أبو موسى وأبو ذر وقيل غيرهم والله تعالى أعلم (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة) أي القيامة أو ساعة القيامة ووقت الندامة الملامة (يا رسول الله) كأنه أظهر الشوق اليها

انه لا يخالفه في أمر من أموره (ويرى نفسه في ملكه) بكسر الميم أي ملكه حتى كأنه عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يذوق حلاوة سنته) استعارة تصريحية أو مكنية وتخييلية والمراد انه اذا سلم ولاية رسوله طيب قلب شرح الله تعالى صدره لاتباعه والاقتداء به فاستلذ بالاعمال الصالحة فقام ذلك له مقام الغذاء الحلو اللذيذ وهذا مأخوذ من قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه (لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أي لا يكمل ايمانه (حتى أكون أحب اليه من نفسه الحديث) منصوب بأعني ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما عال به انه يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في أقواله وأفعاله التذ بالاقتداء به ولا يستلذ ذلك الا اذا أحبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم قوله ※ ان المحب لمن يحب مطيع ※ مع الكلام عليه

※ (فصل في ثواب محبته) ※ صلى الله تعالى عليه وسلم أي ما يرجوه من بركتها في الدنيا ومن سعادته بها في الآخرة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب والثواب الجزاء ثم أسند حديثا في ذلك رواه البخاري فقال (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه) تقدم بيانه وان القراءة والاجازة سواء عند المصنف رحمه الله تعالى وعند غيره القراءة أقوى وهو الظاهر قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) تقدم أيضا والكلام على التكني بأبي القاسم مشهور وسيأتي منه ما فيه الكفاية قال (حدثنا أبو الحسن محمد بن خلف) القابسي كما تقدم قال (حدثنا أبو زيد المروزي) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) البخاري وقد تقدم قال (حدثنا عبدان) عبد الله بن عثمان وقد تقدم قال (حدثنا أبي) أبو عثمان بن جبلة ابن أبي رواد العتكي الثقة أخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن عمرو بن مرة) الجملي بفتحتين نسبة الى جمل أبو حي أحد الاعلام العاملين أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ستة عشر ومائة (عن سالم بن أبي الجعد) الاشجعي الكوفي توفي سنة خمس وخمسين ومائة وأخرج له الستة واسمه رافع (عن أنس ان رجلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف وقيل هو الاعرابي الذي بال في المسجد وقال ابن بشكوال انه أبو موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه أو أبو ذر رضي الله تعالى عنه واحتج بحديثين لا حجة فيهما وقيل انه اعرابي اسمه ذو الخويصرة وقيل ان السائل عمير بن قتادة وفي معالم الذهبي انه عمر بن الخطاب وان قيل ولذلك أورد البخاري هذا الحديث في مناقب عمر رضي الله تعالى عنه وقالت التعبير برجل من غير تعيين يأبى كونه عمر او غيره من مشاهير الصحابة الا أن يكون الراوي نسيه والظاهر انه اعرابي (فقال متى الساعة يا رسول الله) سأله عن تعيين زمان وقوعها والساعة جزء من أربعة وعشرين جزأ من اليوم والليلة ثم أطلق لغة على كل زمان قليل فيقول جلست

والذوق لديها (قال ما أعددت لها) أى ما أعددت لما يصيبك من أهوالها وشدائد أحوالها (قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة) من فيها زائدة للمبالغة والمراد بها العبادات النافلة (ولكنى أحب الله ورسوله) أى أطيعهما فيما أوجب رضاهما من الفرائض وهذا زبدة معنى قول صاحب البردة * ولم أصل سوى فرض ولم أصم * أى سوى فرض (قال أنت مع من أحببت) وفيه ايماء الى ان دعوى المحبة مع مجرد الاطاعة الواجبة كافية وللمعية فى الجملة دلالة صحيحة وافية وأما دعوى المحبة مع ارتكاب المعصية فمذمومة وأصحابها على هذا الادعاء مذمومة ثم لما كثرت المتابعة زادت المحبة وكملت المعية حتى وصلت الى هذه المرتبة العينية والحالة الجمعية

عندك ساعة أى قليلة ثم شاع فى يوم القيامة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة لما بعده من الخلود أو بالنسبة لما يقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة فى عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لقربها كأنها التحقق وقوعها تقع بعد ساعة أو لانها تأتى بغتة أو لان البعث من القبور يكون فى أسرع من لمحة ولا يخفى ما فيه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما أعددت لها) أى ما هيأت وأحضرت لها من الاعمال الصالحة التى تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من الاسلوب الحكيم لانه ترك جوابه وسأله عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لا تعين زمان وقوعها لانه مما لا يعلمه الا الله (قال ما) هى نافية (أعددت لها من كثير) بالمثلثة وفى بعض النسخ الموحدة التحتية وهو صحيح أيضا (صلاة ولا صيام ولا صدقة) من اضافة الصفة للموصوف أى لم أعد لها ما ينفعنى فيها (ولكنى أحب الله ورسوله) استدراك على ماذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه أى ليس عندى ما ينفعنى ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما (قال أنت مع من أحببت) وفيه جواب له على أتم الوجوه وتبشير له ولمن أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال فى تتمة الحديث ان من حضر من الصحابة قالوا يا رسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك فرحا شديدا وليس المراد بكونه معه انه مساواه فى منزلته وعلو مرتبته كما توهم وانما المراد انه يدخل الجنة فى زمرة المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم فقال

وقائل هل عمل صالح * اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبى خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

ومن شعر الصبا قولى

وحق المصطفى لى فيه حب * اذا مرض الرجاء يكون طبا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

وتقدم ايضا (وعن صفوان بن قدامة) الصحابى التميمى المرادى كما قاله الذهبى وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال (هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى سافر ليلقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فأتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك) أى أمددها الى كما كان عادته فى المبايعة (أبايعك) مجزوم فى جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به واتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم مفاعلة من البيع نقلت لما ذكر (فناولنى يده فقلت يا رسول الله انى أحبك قال المرء مع من أحب) تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنين له كما ذكر الترمذى والنسائى (روى هذا اللفظ) يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) مخاطبا لمن ذكر محبته له (عبد الله بن مسعود وأبو موسى) الاشعرى (وأنس) رضى الله تعالى عنهم (وعن أبى ذر بمعناه) وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم فى تعيين الرجل الذى ورد بهما فى الحديث السابق

(وعن صفوان بن قدامة رضى الله تعالى عنه) بضم القاف قال الذهبى روى عنه ابنه عبد الرحمن ولها صحبة وقيل هو تابعى ولابيه صفوان صحبة (قال هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وهو فى المدينة السكينة (فأتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك أبايعك) بالجزم على جواب الامر ويجوز رفعه على الاستئناف (فناولنى يده) فبايعته (فقلت يا رسول الله انى أحبك قال المرء مع من أحب) أجاب بحكم عام شامل تام وفيه اشارة الى ان المعية على قدر المحبة الموجبة للطاعة والحديث رواه الترمذى والنسائى عن صفوان بن قدامة (وروى هذا اللفظ) أى فى هذا الحديث (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس) رضى الله تعالى عنهم (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه بمعناه) أى بدون هذا اللفظ ومبناه وفى الجامع الصغير المرء مع من أحب رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى عن أنس رضى الله تعالى عنه وفى الصحيحين عن ابن مسعود وفى رواية الترمذى المرء مع من أحب وله ما اكتسب وفى هذه الزيادة اشارة الى ان قرب المعية على قدر كسب الجمعية كما يشير اليه قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يومى اليه البيان بالانبياء وغيرهم فالناقص فى الصلاح مع محبة أكمل الصالحين يحشر معهم كما

قيل شعر أحب الصالحين ولست منهم * لعلى أن أنال بهم شفاعة وأكره من بضاعة المعاصى * ولو كنا سواء فى البضاعة

وعلى هذا القياس فى الصديقين والشهداء وايد العلماء فهم ورثة الانبياء (وعن على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين رضى الله تعالى عنهما) الظاهر ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله (فقال من أحبنى) أى لله تعالى (وأحب هذين وأباهما وأمهما) أى لاجلى أولذواتهم المشتملة على حسن صفاتهم (كان معى) أى مقربا عندى (فى درجتى) أى فى جوارى فى الجنة أوفى درجة أهل بيتى لما سبق من ان المرء مع من أحب (يوم القيامة) وكذا فيما بعده حال دخول الجنة (وروى) أى رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ان رجلا) قال البغوى فى تفسيره ان الآية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن النقاش انها نزلت فى عبد الله بن زيد بن عبد ربه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله لانت أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك فما أصبر) أى عنك رؤية (حتى أجىء) أى أحضر لديك (فانظر اليك) أى لتقر عينى ويسكن قلبى (وانى ذكرت موتى وموتك) أى لانه لابد من وقوعهما معا أو متعاقبا (فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين) أى المرسلين (وان دخلتها) أى بالفرض والتقدير (لا أراك) أى لان أحدا لا يكون مع الانبياء سواك فاكون محروما عن رؤية طلعتك هنالك فتصير جنة النعيم فى نظرى حينئذ كنار الجحيم (فانزل الله تعالى) أى تسلية للمشتاق عن حصول الفراق (ومن يطع الله والرسول) أى يحبهما ويتبع أمرهما (فاولئك) أى المحبون لاحبائى والمشتاقون لاوليائى (مع الذين أنعم الله عليهم) أى بنعمة المعية والقربة فى المرتبة الجمعية (من النبيين) أعم من المرسلين (والصديقين) أى المبالغين فى الصدق والتصديق والكاملين فى مقام اليقين والتحقيق (والشهداء) أى بسيف المجاهدة وسلاح المحاربة فى طريق العبادة (والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه (وحسن أولئك رفيقا) أى ما أحسنهم رفيقا ووفقنا الله الى كمال متابعتهم وجمال محبتهم توفيقا (فدعا به) أى نادى الرجل الذى شكاه (فقرأها عليه) وشفاه مما كان خائفا انه على شفاه

السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه (وعن على) ابن أبى طالب فى حديث رواه عنه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين) ابنى على رضى الله تعالى عنهم أى أمسكهما (فقال) وفى نسخة وقال (من أحبنى وأحب هذين) اشارة الى السبطين الحسن والحسين (وأباهما) عليا رضى الله تعالى عنه (وأمهما) فاطمة الزهراء أى مال اليهم ميلا لاختيار بالله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان معى فى درجتى) أى رتبتى ومنزلتى قال الراغب الدرجة نحو المنزلة لكن يقال للمنزلة درجة اذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة انتهى (يوم القيامة) ان أريد بيوم القيامة فى الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم فى صعيد واحد لقربهم منه وتقدمهم على غيرهم من أمته وسائر الامم وان أريد به الآخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كما مر (وروى) رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم (ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال البغوى فى تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان أى قيل هو عبد الله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصارى الحارثى (فقال لانت) اللام جواب قسم مقدر (أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك) أى أتذكرك فى ذهنى وأتصورك أو أذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر أو الضم (فما أصبر عنك) أى عن رؤيتك لشدة محبتى لك (حتى أنظر اليك) فيطمئن قلبى وتقر عينى برؤيتك (وانى ذكرت موتى وموتك) أى انا سنموت وننتقل من هذه الدار لدار أخرى (فعرفت) وتحققت (انك اذا دخلت الجنة) بعد الموت (رفعت) الى الدرجات العلى (مع النبيين) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وان دخلتها) أنا بضم التاء وعبر فى جانب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باذا لتحقق دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفى جانبه بان لعدم جزمه فى نفسه بذلك (لا أراك) بعد الدخول لانك فى مقام أعلى لا يصل اليه غيرك (فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى امتثال أمره ونهيه ويلزمه محبته له أيضا ولم يذكر التحقيقها بذكر الرجل لها وعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بتخلقه فيها (فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بنعيم الجنة وعالى مراتبها بحيث تبشرهم برؤية أكرم خلق الله وأقربهم وأرفعهم منزلة (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للمنعم عليهم بما أخفى لهم من قرة الاعين (وحسن أولئك) تعجب أى ما أحسنهم (رفيقا) تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره أو لارادة كل واحد منهم (فدعا به صلى الله عليه وسلم) أى طلب حضور ذلك الرجل (فقرأها) أى هذه الآية (عليه) جوابا له وتبشيرا فى

(وفى حديث آخر) لا يعرف مخرجه (كان رجل عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه) أى الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يطرق) بكسر الراء وفى نسخة ما يطرف أى لا يغض بصره لديه (فقال ما بالك) أى شأنك وحالك (قال) وفى نسخة فقال (بابى أنت وأمى) أى أفديك بهما (أتمتع من النظر) ويروى بالنظر (اليك) أى فى الدنيا (فاذا كان يوم القيامة رفعك الله تعالى) فى أعلى الدرجة (بتفضيلك) أى بسبب تفضيله سبحانه وتعالى اياك على من سواك فحينئذ بالضرورة لا أراك (فانزل الله الآية) أى الماضية تسلية لما سيأتى من الاحوال الآتية (وفى حديث أنس رضى الله تعالى عنه) كما رواه الاصفهانى فى ترغيبه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أحبنى كان معى فى الجنة) أى وان تفاوتت الدرجة على تفاوت مراتب المحبة المقتضية لحسن الطاعة على وفق المتابعة

*(فصل *

فيما روى عن السلف) أى الصحابة والتابعين (والائمة) أى من الخلف فى أمر الدين من المجتهدين (من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) أى اشتياقهم الى رؤيته ووصولهم الى قرب درجته (حدثنا) وفى نسخة قال حدثنا (القاضى الشهيد) هو ابن سكرة (ثنا) أى حدثنا (العذرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (حدثنا الرازى ثنا) أى قال حدثنا (الجلودى) بضم الجيم (ثنا) أى حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا) أى حدثنا (مسلم) أى صاحب الصحيح (ثنا) أى حدثنا (قتيبة) بالتصغير لقبه وهو ابن سعيد واختلف فى اسمه

تفسير القرطبى انه لما قرأها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لا يرى أحدا غيره فى الدنيا فعمى مكانه وقسمهم كما قال البيضاوى أربعة أقسام باعتبار منازلهم فى العلم والعمل وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا أنفسهم فى اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته والمراد بالمعية ما تقدم (وفى حديث آخر) لم يعز لناقله (كان رجل) قيل هو ثوبان أو من تقدم ذكره قريبا (عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ملازما لمجلسه (ينظر اليه) أى يديم النظر الى وجهه الكريم (لا يطرف) بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وفاء أى لا يطبق أحد جفنيه على الآخر ويغض بصره أو يصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف كضرب يضرب وما طرف البصر أى تحرك وظاهر قول بعضهم أى لا يغض بصره مطرقا رامياً ببصره الى الارض انه من الاطراق بضم أوله وقاف وهو صحيح أيضا لكنى لا أعرف هل هو رواية أو تحرف عليه أو تسامح فى تفسيره (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما بالك) أى ما شأنك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت (قال) أفديك (بابى أنت وأمى) جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه (أتمتع بالنظر اليك) أى أتلذذ بادامة نظرى فى وجهك مادام تمكنها فى الدنيا لانتفع به وأتزود منه (فاذا كان يوم القيامة) وبعدها (رفعك الله) الى المنازل العالية فى جواره (بتفضيلك) أى بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته (فانزل الله الآية) المذكورة يعنى قوله ومن يطع الله والرسول الى آخره (وفى حديث أنس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الاصفهانى فى ترغيبه وسيأتى اخراج المصنف رحمه الله تعالى له بقوله بطوله فى فصل علامة محبته (من أحبنى كان معى فى الجنة) أى قريبا متمكنا من رؤيتى وزيارتى وليس المراد المعية الحقيقية كما تقدم

(فصل فيما روى عن السلف) من العلماء والصلحاء (والائمة) وفى نسخة بعكسه الائمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام وقد يفسران بما يقتضى المغايرة فيفسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والائمة باتباع التابعين ومن بعدهم (من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) والمحبة الميل الروحانى طبيعيا كان أو مكتسبا اختياريا والمحبة تكون فى الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس فى الغيبة فهو أخص من المحبة وقال القيصرى رحمه الله تعالى فى شرح قول ابن الفارض قدس سره

وما بين شوق واشتياق فنيت فى * تول بحظر أو تجل بحضرة

الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال الوصال لنيل زيادة أو دوامها انتهى والفرق المذكور امام من الفحوى أو هو اصطلاح للقوم (حدثنا القاضى الشهيد) ابن سكرة وقد تقدم قال (حدثنا العذرى) نسبة لبنى عذرة وقد تقدم قال (حدثنا الرازى) تقدم وهو نسبة الى الرى على خلاف القياس قال (حدثنا الجلودى) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم قال (حدثنا مسلم) امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال (حدثنا قتيبة) بن سعيد واختلف فى اسمه فقيل يحيى وقيل على وقيل سيار

(ثنا) أى حدثنا (يعقوب بن عبد الرحمن) هذا هو القارى بتشديد الياء المدنى نزيل الاسكندرية (عن سهيل) بالتصغير وفى نسخة سهل (عن أبيه) أبى هو أبو صالح السمان واسمه ذكوان (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أشد أمتى) وفى نسخة من أشد الناس (لى حبا ناس) أى

جماعة وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور المتقدم ونعته (يكونون بعدى) أى يولدون بعد حياتى ويوجدون بعد وفاتى (يود أحدهم) أى يتمنى (لو رآنى) أى ان يبصرنى (باهله وماله) أى ببدلهما (وتقدم مثله عن أبى ذر) وفى نسخة وقد تقدم حديث عمر رضى الله تعالى عنه أى فى هذا المعنى (وقوله) أى فى آخر المبنى (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الى من نفسى) أى روحى (وما تقدم من الصحابة فى مثله) أى فى مثل هذا ورد كثيرا (وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه) وفى نسخة العاصى بالياء والاول هو الصواب كما ذكرنا تحقيقه فيما سبق من شرح الكتاب (ما كان أحد) أى من الخلق (أحب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان) المعروف عبدة بنت خالد بن صفوان روت عن أبيها ذكرها ابن حبان فى ثقاته فالسهو امامن الكتاب والله أعلم بالصواب (قالت ما كان خالد يأوى الى فراش) أى مرقده (الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى الى رؤيته (والى أصحابه من المهاجرين والانصار) أى الذين سبقوه (يسميهم) أى يذكرهم باسمائهم واحدا بعد واحد

قال (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) القارى نزيل الاسكندرية الثقة أخرج له الستة وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة (عن سهيل) تقدم بيانه (عن أبيه) هو صالح السمان المعروف بذكوان (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى حديث صحيح رواه مسلم (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أشد أمتى لى حبا) منصوب على التمييز ولم يقل أحب مع انه أخصر لان هذا أبلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحا على المراد وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى أشد قسوة دون أقسى وأتى بمن التبعيضية لانهم مثل من كان فى عصره وهو أحب اليه من نفسه وأهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال الحب يتفاوت شدة وضعفا ويبقى مفهوم قوله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه ولا شئ فوقه الا ان يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ فى محبته انتهى والتفضيل تختلف جهاته فشدة محبته من لم يره الداخلة فى الايمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال (ناس يكونون بعدى) فبين أشديتهم لذا وبقوله (يود أحدكم) أى يحب ويرغب فى انه (لو رآنى) يبصره وشاهدنى ولو للتمنى (باهله وماله) الباء هنا البدلية والمقابلة كبعته بكذا أى يتمنى لو بذل أهله وماله لاجل رؤيته وفى لو فى مثله أقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر أى يتمنى رؤيتى ويودها يبذل كل ما يعز عليه والتقدير ولو رآنى بمقابلة كل شئ له فعل وقيل انها مصدرية وهى مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة (ومثله) أى بمعناه وقريب منه لفظا (عن أبى ذر) الغفارى الصحابى المشهور (وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الى من نفسى) وتقدم تفصيله فى الفصل الذى قبل هذا (وما تقدم عن الصحابة) كثوبان وصفوان وغيرهما (فى مثله) من كونه أحب اليهم من أنفسهم (وعن عمرو بن العاص) بحذف الياء واثباتها وقفا كما مر (ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال بعدما ذكر مبايعته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطلب منه ان يدعو له بمغفرة ما صدر منه وانه كان أبغض الناس له واحرصهم على قتله وبعدما بايعه وأسلم قال ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل فى عينى منه وما كنت أطيق ان أملأ عينى منه اجلالا له حتى لو قيل لى صفه ما استطعت ان أصفه الى آخره ويأتى الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى له بسنده فى فصل تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن عبدة بنت خالد بن معدان) بفتح الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين بالف ونون تقدم الكلام واما بنته عبدة فبفتح العين المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبى لا أعرفها وفى الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم (قالت ما كان خالد) يعنى أباها (يأوى الى فراش) أى اذا أراد النوم ليلا وخص هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا كما قال الشاعر

نهارى نهار الناس حتى اذا أتى * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

(الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) استثناء من أعم الاحوال أى لم يكن له غير هذه الحال (والى أصحابه) الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو لخالد (من المهاجرين والانصار) وخالد هذا هو الكلاعى الحمصى لقى سبعين رجلا من الصحابة (يسميهم) أى يعدهم باسمائهم

(ويقول هم أصلي وفصلي) يعني اني افتخر بهم وانتسب اليهم دون آبائي وقبيلتي كذا قيل من غير نقل وهو اتباع وفي المجمل ماله أصل وفصل أي حسب ولسان وكذا في الصحاح وعن ثعلب قولهم لا أصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا ماذكره أهل اللغة والظاهر ان المراد ان عليهم عمدتي وبهم أفصل وأحكم فليحرر (واليهم) لا الى غيرهم (يحن قلبي) أي يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين (طال شوقي اليهم) لبعد عهدي بهم وطول مفارقتي بموتهم (فعجل) يا (رب قبضي اليك) اى عجل موتي حتى ألقاهم ولا يزل يردد ذلك (حتى يغلبه النوم) أي حتى ينام ويستغرق في نومه فيترك قوله هذا وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه فلعل خالدا كان كذلك وسيأتي لهذا مزيد بيان في الفصل الآتي عن الحكيم الترمذي (وعن أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه وفي نسخة وروى (انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم) لما أسلم أبو قحافة والده كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (والذي بعثك بالحق) أي بالدين الحق وهو قسم (لاسلام أبي طالب) جواب القسم يعني عمه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) أي اسلامه (أقر لعيني) أي أسر وأحب عندي وهو قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من القرار والثبات فان العين اذا رأت مايسرها سكنت ولم تلتفت لغيره (من اسلامه يعني أباه أبا قحافة) رضي الله تعالى عنه وأبو قحافة هو أبو الصديق وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي بعد وفاة ابنه حتى توفي سنة أربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه أبو قحافة غيره وغير أبي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط من بعض النسخ هنا لفظ أباه (و) بيان (ذلك) المذكور من كون اسلام أبي طالب أقر لعينه من اسلام أبيه (ان اسلام أبي طالب كان أقر لعينك) أي أحب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده اذ كان في كفالته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث رواه أحمد وابن اسحق وأبو حاتم وليس قول المصنف رحمه الله تعالى وروى كما في بعض النسخ تمريضا له كما توهم حتى يعترض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد فاتاه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بابيه يقوده وكان قد عمي فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا آتيه فقال أبو بكر يارسول الله هو أحق ان يمشي اليك فاجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال له أسلم فاسلم ورأسه كالثمامة بياضا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غيروا هذا يعني اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أبو بكر والذي بعثك بالحق الى آخره وفيه من محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالايخفى حيث قدم مايسره على مايسره تقديما له على نفسه واعلم ان أبا طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله وتصديقه في قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في جواره وحمايته ظاهرا حتى ماكان أحد يجترئ عليه فلو أسلم لم يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا لما مات لزمت الهجرة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم في الهدى النبوي وصاحب الامتاع (ونحوه) أي في معنى مارواه البيهقي والبزار عن ابن عمر (عن عمر)

ز يقرزهم) أي جميعهم ويروى منهم (أصلي) أي في أصول الدين (وفصلي) أي وفرعي في فرع المجتهدين أو معناهما حسبي ونسبي وقيل الاصل الوالد والفصل المولود والمعنى ان كبارهم وصغارهم بمنزلة آبائي وأولادي واما مانقله الحلبي عن الجوهري ان الكسائي قال قولهم لا أصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان فلا يظهر وجهه كما لايخفى على أهل البيان (واليهم يحن قلبي) بكسر الحاء أي يميل (طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي) أي قبض روحي (اليك) أي الى رحمتك (حتى) أي يكرر الجملة الاخيرة أو الجمل كلها حتى (يغلبه النوم) ففوت الاقران موجب الاحزان (وعن أبا بكر رضي الله تعالى عنه) وفي نسخة وروى عن أبي بكر كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عنه (انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي بعثك بالحق) أي أي ارسلك الى الخلق (لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني) أي أشد سرورا عندي (من اسلامه يعني أباه) عثمان بن عامر رضي الله تعالى عنه (أبا قحافة) بضم القاف عاش بعد ابنه وخصه من تركة أبي بكر رضي الله تعالى عنه السدس فرده في أولاده وتوفي سنة أربع عشرة (وذلك) أي قال وسبب ذلك (ان اسلام أبي طالب كان أقر لعينك) يعني والله غالب على امره ولعله قال ذلك حين نزل قوله تعالى انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أو حين أسلم أبوه عام الفتح وهناه النبي عليه الصلاة والسلام (ونحوه عن عمر رضي الله تعالى عنه) أي نظير حديث أبي بكر مارواه البيهقي والبزار عن ابن عمر عن عمر رضي الله تعالى عنهما

(انه قال) أى قال نحو حديث الصديق (للعباس) أى تسلية وترغيبا له فى الاسلام ان قوله قبل اسلامه أو تهنئة له وترحيبا به ان كان بعده (ان تسلم) بفتح الهمزة على ان ان مصدرية أى اسلامك (أحب الى) أى بالحب الشرعى (من اسلام الخطاب) أى لو وجد فرضا (لان ذلك) أى اسلامك (أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بحسب الطبيعى ورجح الدلجى كون ان بكسر الهمزة شرطية وهو بعيد رواية ودراية (وعن ابن اسحق) أى امام المغازى وكذا عن البيهقى عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) أى من بنى دينار كما فى رواية ابن اسحق (قتل أبوها وأخوها وزوجها) أى فى سبيل الله تعالى (يوم أحد) أى زمن وقعته (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى قتال كفار قريش وكسر المسلمين وانهزام بعض المؤمنين واستشهاد طائفة من الموقنين واشاعة قتل سيد المرسلين على لسان المشركين والمنافقين (فقالت ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة الفاعل ويجوز كونه للمفعول أى ماجرى له وكيف حاله (قالوا خيرا) أى فعل خيرا وفى نسخة بخير أى هو بخير فى بدنه وسالم من عدوه (هو) وفى نسخة وهو (بحمد الله كما تحبين) أى من الصحة والعافية (قالت) أى لبعض أصحابه (أرنيه حتى أنظر اليه) أى ليطمئن قلبى لديه وفى نسخة صحيحة أرونيه بصيغة الجمع فاروه (فلما رأته قالت كل مصيبة)

ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه (انه قال للعباس) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تسلم) بكسر همزة ان الشرطية ان كان قال له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان كان بعده والصحيح الثانى لما يأتى (أحب الى من اسلام الخطاب) يعنى أباه (لان ذلك) أى اسلام العباس (أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فقدم محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما تحبه نفسه وكان قوله ذلك له فى فتح مكة لما أشرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مكة وركب العباس بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم وأركب أبا سفيان بن حرب خلفه وهو كافر وركضها فرآه عمر فقال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكننى منك فاشتد جريه حتى دخل به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعنى أضرب عنقه فقال العباس انى أجرته يا رسول الله فلما أكثر عمر فى شانه قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال بنى عدى ما قلت مثل هذا فقال مهلا يا عباس لاسلامك يوم اسلامك أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم الى آخره (وعن ابن اسحق) صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته وهذا رواه أيضا البيهقى عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) هى من بنى دينار ولم يسمها (قتل أبوها وأخوها وزوجها) شهداء (يوم أحد) اسم جبل كانت عنده الغزوة المشهورة (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تأدبا لان الفعل يستلزم الحياة فاريد لازمه (قالوا خيرا) أى فعل خيرا والمراد انه بخير ولذا قالوا بعده (هو بحمد الله كما تحبين) أى سالم منصور مظفر (قالت) لمن سألته (أرنيه) أى دلنى عليه (حتى أراه) وأتلذذ بمشاهدته وفى نسخة أرونيه (فلما رأته) بعد ما دلها عليه (قالت كل مصيبة) تصيب المال والاهل (بعدك) أى بعد سلامتك ورؤيتك (جلل) بفتح الجيم واللام ثم لام اخرى بمعنى هين لا أبالى به ولا أحزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم أيضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرئ القيس

يقتل بنى أسد ربهم * ألا كل شئ خلاه جلل

والثانى قوله

فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على محبة غيره من الاهل (وسئل على بن أبى طالب) كرم الله وجهه ولم يذكروا من رواه عنه (كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ما مقداره فى شدته (قال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا) بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع أمهة بمعنى أم لغة فيه الا انه يختص ببنى آدم قال * أمهتى خندق والياس أبى * ويقال فى البهائم أمات (و) أحب (من الماء البارد على الظمأ) بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر والافصح قصره وأعاد الجار

 أى من قتل أب وأخ وزوج وغيرهم (بعدك) أى بعد سلامتك أو غير مصيبتك (جلل) بفتح الجيم واللام الاولى أى هين وجاء فى رواية ابن اسحق مفسرا تريد صغيرة أى هينة حقيرة لا شاقة كبيرة (وسئل على ابن أبى طالب كرم الله وجهه) لا يدرى مخرجه (كيف كان حبكم) أى معشر الصحابة أو جماعة أهل البيت (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أى على رضى الله تعالى عنه (كان) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والله) قسم معترض (أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما) بفتحتين مقصورا ويجوز مده وهو شدة العطش وفى اعادة الجار اشعار بانه أشد نفعا لانه روح الروح وايماء الى انه

أحب اليهم من أرواحهم (وعن زيد بن أسلم رحمه الله) أي الفقيه العمري تابعي جليل روى عن ابن عمر وجابر وعنه مالك وغيره أخرج له أصحاب الكتب الستة والحديث رواه عنه ابن المبارك في الزهد (خرج عمر رضي الله تعالى عنه ليلة يحرس الناس) أي يحفظهم بمراعاته ويتخبر عن أحوالهم على عادته في أيام خلافته (فرأى مصباحا) أي سراجا (في بيت) أي فقصده (واذا عجوز تنفش) أي تندف (صوفا) وهو بضم الفاء والشين المعجمة من النفش وهو تفريق الشيء بأصابعك حتى ينتشر كالتنفيش (وتقول) أي وهي تنشد رجزا (على محمد صلاة الابرار) جمع بر او بار والمراد بالصلاة هنا تعظيمهم له في الدنيا باعلاء ذكره واظهار أمره وفي الآخرة بتضعيف أجره ورفعة قدره (صلى عليه الطيبون الاخيار) جمع خير بالتشديد والتخفيف (قد كنت) أي أنت (قواما) أي كثير القيام للعبادة وفي رواية صواما وجعله الدلجي أصلا أي كثير الصيام للرياضة (بكا) بضم الموحدة مقصورا منونا لغة في الممدود أي ذو بكاء أو أريد به المبالغة كرجل عدل يعني الكثرة بكائه كأنه عين البكاء وهذا المعنى أنسب لمقابلة ما قبله وقد أغرب الدلجي بقوله قصر لضرورة الوزن وأصله بفتحها ممدودا

مشددا الكاف مبالغة في كثرة البكاء ولا يخفى وجه غرابته في المبنى وقيل البكاء برفع الصوت ممدود والدمع بلا صوت مقصور وأما ما وقع في بعض النسخ المقروءة بكاء بتشديد الكاف وبالمد والتنوين فهو مستقيم معنى ولكنه سقيم وزنا ومبنى وكذا ما في نسخة من ضبطه بالتشديد منونا بدون مد وهو الذي ذهب اليه الدلجي وقال الانطاكي وفي بعضها بكاء بالتخفيف فان المشدد قد يخفف للوزن انتهى والصواب ما قدمناه كما لا يخفى (بالاسحار) ايماء الى قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار واشارة الى وصية لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك أكيس منك ينادي بالاسحار وأنت نائم أي غافل عن البكاء والاستغفار (ياليت شعري) أي أتمنى علمي وشعوري بغيتي وحضوري (والمنايا أطوار) أي تارات جملة حالية بين المعمولين اعتراضية أفادت بها ان ما يحول بين المرء ومتمناه حالات شتى مختلفة بحسب تفاوتها في أطوار الموت وأسرار الفوت فان المنايا جمع منية وهي من منى الله عليك أي قدر ومن ثم سمي منية لانه مقدر بوقت معين وقد ورد أن منشدا أنشد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شعر لا تأمنن وان أمسيت في حرم * حتى تلاقي ما يمني لك الماني فالخير والشر مقرونان في قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو أدرك قائل هذا الاسلام لاسلم والمعنى حتى تلاقي ما قدر لك المقدر وهو الله سبحانه وتعالى وهي تريد والله أعلم لان المنية تارة تأخذ الكرام وأخرى تبيد اللئام والمعنى ليت علمي حاضر أعلم به (هل تجمعني) بفتح الميم وضم العين وتخفيف النون وفي نسخة بفتح العين وتشديد ما بعدها (وحبيبي) بفتح الياء لغة لا كما قال الانطاكي ضرورة (الدار) يعني أم يحولان بيني وبينه المزار

لانه نوع آخر مما يحب والشدة منفعته وخص الظما لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه (وعن زيد بن أسلم) الفقيه العمري توفي سنة ست وثلاثين ومائة أخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال (خرج عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من بيته لازقة المدينة (ليلة يحرس الناس) على عادته في خلافته اذا كان يدور في الازقة ويعس ليعرف حال الناس (فرأى مصباحا) موقدا (في بيت) فقصده ليرى ما في البيت الذي هو فيه (فرأى عجوزا) أي امرأة مسنة ويقال عجوزة أيضا ولم أر من الشراح هنا من ترجمها بشيء (تنفش صوفا) بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف والقطن لاصلاحه معلوم (و) هي (تقول) أي تنشد شعرا من بحر السريع (على محمد صلاة الابرار) معنى الصلاة مشهور وعلى متعلق بصلاة أو بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بر وبار وهو كل مطيع لربه متق أي ادعوا له بكل ما تدعو به الابرار (صلى عليه الطيبون الاخيار) المراد بالطيبين المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم والاخيار جمع خير مخفف أو جمع خير بمعنى أخير وأتقى (قد كنت قواما بكا بالاسحار) قواما أي متهجدا لان القيام يختص بصلاة الليل أي كثير القيام للعبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل أطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو آخر الليل والباء بمعنى في هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل من ان بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ما قيل من ان بكاء ممدود مضاف للاسحار بدون باء والاضافة على معنى في تكلف وتعسف (ياليت شعري والمنايا اطوار) شعري بمعنى علمي وهو اسم ليت وخبره محذوف اي حاصل وقوله (هل تجمعني وحبيبي الدار) قائم مقام معمول شعري علق عنه والمنايا جمع منية وهي الموت من منى بمعنى تصير وتقدر واطوار جمع طور وهو الحال أي أمور شتى مختلفة ومراده بالحبيب كما قاله المصنف رحمه الله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الآخرة أي هل أراه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الموت فانه مقرر وله أسباب مختلفة كما قيل

ومن

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الاسباب والداء واحد

وقيل المعنى هل تجمعنا الدار يحول بيني وبينه الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك في كتاب الزهد وفيها فسال عمر رضي الله تعالى عنه يبكي وطرق عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت مالي ولعمر في هذه الساعة فقال افتحي يرحمك الله فلا بأس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال ردي الكلمات التي قلتيها آنفا فردتها فقال ادخليني معكما وقولي وعمر فاغفر له يا غفار (تعني) تقصد بقولها حبيبي (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه مناسبة لما نحن فيه (فجلس عمر يبكي وفي الحكاية) التي نقلها ابن المبارك (طول) اقتصرنا منها على المراد منها (وروى ان ابن عمر) رضي الله عنهما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (خدرت رجله) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين أي أصابها خدر وهو أمر يعتري الرجل لما يصيب العصب فيمنع عن تحريكها بسهولة ويزول سريعا الا انه لو امتد كان فالجا أو من مقدماته (فقيل له اذكر أحب الناس اليك يزل عنك) لان الناس جربوا في الخدران من أصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تنتعش الحرارة الغريزية فتدفع الخدر (فصاح يا محمداه) يعني به صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أحب الناس اليه والى كل مؤمن كلامه يا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول أو القول مقدر بعده كما هو مشهور في أمثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال بينهما فهو كالو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز (فانتشرت) رجله أي امتدت لزوال خدرها وهذا يقتضي صحة ما جربوه وقد روى انه وقع مثله لابن عباس رضي الله تعالى عنهما ذكره النووي في أذكاره وروى أيضا عن غيرهما وفيه يقول أبو العتاهية

وتخدر في باب الحابين رجله * فان لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

وهذا مما اعتاده أهل المدينة وقوله يا محمداه بالف وهاء الندبة في النداء لمن يتوجع أو يتفجع كما قرره النحاة (ولما احتضر بلال) رضي الله عنه بالبناء للمجهول أي حضرته الملائكة لتقبض روحه (نادته امرأته) أي صاحت باعلى صوتها (واحرباه) بفتح الحاء والراء المهملتين وباء موحدة وهو في الاصل النهب والسلب من حربته اذا سلبت ماله وما يعيش به فيقال فكأنها تفجعها الموت نهبت وسلبت وفي قاموس قيل ان أصله ان حرب بن أمية لما مات قيل في نعيه واحرباه ثم نقل ذلك يعني عم في كل نعي ومحب كفارة وواحرف ندبة والمندوب له الميت ينعى أو أمر يتفجع منه نحو يا حسرتاه وقيل انه روى حزناه بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة أو بضم أوله وسكون ثانيه وروى أيضا حوباه بفتح الحاء وواو ساكنة تليها باء موحدة من الحوب وهو الاثم والمراد انها لشدة جزعها وقلقها في المصيبة فهي تتفجع على نفسها أو هو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى كما تقدم (فقال) بلال رضي الله تعالى عنه رد المقالتها (واطرباه) الطرب خفة تعتري المرء لحزن أو سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا الثاني وواهنا للنداء والالف والهاء مزيدة في آخره كانه يستغيث بطربه ويدعوه في سكرات الموت لما تيقنه من الثواب وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقى في البرزخ كما أشار اليه بقوله (غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه) فمحمدا وحزبه بيان للمراد بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبين أي المجتمعين والمراد بهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروى كما أتى

(تعني) أي المرأة بقولها حبيبي (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وبقولها الدار الجنة دار القرار (فجلس عمر رضي الله تعالى عنه يبكي) أي للاشتياق أو للفراق أو للافتراق (وفي الحكاية طول) أي ليس هذا مقام ايراده (وروى) أي في عمل اليوم والليلة لابن السني (ان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما خدرت رجله) بفتح معجمة وكسر مهملة أي فترت عن الحركة وضعفت باجتماع عصبها من جهة كسل وفتور أصابها كانها رجل ناعس ولم يذهب بالها (فقيل له اذكر أحب الناس اليك يزل عنك) بضم الزاي أي يزول عنك هذا الانقباض بسبب ما يترتب على ذكر المحبوب من الانبساط (فصاح) أي فنادى باعلى صوته (يا محمداه) بسكون الهاء للندبة وكأنه رضي الله تعالى عنه قصد به اظهار المحبة في ضمن الاستغاثة (فانتشرت) أي رجله في الفور (ولما احتضر بلال رضي الله عنه) بصيغة المفعول أي حضرته الوفاة وقاربه الممات (نادت امرأته) وهي صحابية على ما ذكره الذهبي في آخر النساء من التجريد ما لفظه زوجة بلال اتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل عن بلال الخ بلال (واحزناه) بضم حاء فسكون زاي ويجوز فتحهما وتصحف على الدلجي رضبطه بفتح الحاء والراء والموحدة بدل النون قال وهو في الاصل النهب والسلب فكأنها فجعها وحزنها موته (فنهبت وسلبت فقال) أي بلال (واطرباه) أي فرحاه وهو يؤيد ما قدمناه معنى وان كان انسب لما قاله الدلجي مبنى وفي نسخة بدل واطرباه بصريح الاضطراب لا بدال ثم رجز مناسبا للحال واستدلالا للذة لما قال (الى غدا) ويروى القى (الاحبه) بالهاء وقد (محمدا وصحبه) وفي نسخة صحيحة وحزبه

وقد روى عن عمار أيضا انه قال بصفين الآن القى الاحبه محمدا ثم حزبه (ويروى ان امرأة) وفى نسخة ويروى عن امرأة وفى حاشية الحلبى ان امرأة هاشم وقال ولا أعرفها (قالت لعائشة رضى الله تعالى عنها اكشفى لى) أى بينى لى وأرينى (قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها) أى بكشف الستارة عنه لاجلها (فبكت حتى ماتت) أى حزنا على فراقه أو شوقا الى لقائه (ولما أخرج أهل مكة) أى كفارهم كما رواه البيهقى عن عروة (زيد بن الدثنة) بدال مهملة مفتوحة فثلثة مكسورة وتسكن فنون مفتوحة مخففة فتاء تأنيث بياضى خزرجى بدرى احدى (من الحرم) متعلق باخرج (ليقتلوه) أى صبرا وكان قد أسر مع حبيب يوم الرجيع فباعوهما بمكة (قال له) أى لزيد (أبو سفيان بن حرب) أى ابن أمية وهو أبو معاوية اسلم عام الفتح وهذا الكلام قبل الاسلام أنشدك الله تعالى بضم الشين أى أسألك الله واذكرك به أو أقسم عليك به وفى نسخة صحيحة أنشدك بالله (يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك) أى يكون فى مكانك ومهانتك (يضرب عنقه) بصيغة المجهول والعنق بضمتين وبضم فسكون وكصرد الجيد ويؤنث (وانك) وفى نسخة وأنت (فى أهلك) أى والحال انك تكون فيما بين أهلك وطول أملك (فقال زيد والله ما أحب ان محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه) أى مع كمال أمنه وعزته (تصيبه شوكة) أى فضلا عن ان يصيبه محنة فوقها (وانى) وفى نسخة وانا (جالس فى أهلى) ولعله ذكره لمقابلة كلام أبى سفيان لانه حال مقيدة فى هذا الشان بل الانسب للمبالغة أن يقول وانا فى هذه الحال فكيف اذا كنت فيما بين أهلى ومالى من المثال والمعنى ان ما أصابنى فى طريقه من المحنة لم ينقص لى شيأ فى حقه من المحبة (فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا) أى من الاتباع (يحب أحدا) أى من المتبوعين (كحب أصحاب محمد محمدا) اى احترامامؤكدا واحتشاما مؤيدا قال الحلبى ماذكره القاضى قاله ابن اسحق ونقل أبو الفتح اليعمرى فى سيرته الكبيرة ذلك عن ابن اسحق وذكر عن ابن عقبة ان الذى قيل له أتحب أن محمدا مكانك هو حبيب ابن عدى حين رفع على الخشبة فقال لا والله فضحكوا منه انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن جرير والبزار عنه (قال كانت المرأة اذا أتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مهاجرة اليه فى المدينة السكينة (حلفها بالله ماخرجت) أى هى من أرضها اليه (من بغض زوج) أى من أجل كراهة زوج لها (ولا رغبة) بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور والمراد بها العلة وبالجر عطفا على المجرور أى ولا من أجل الميل (بارض) أى فى بلدة (عن أرض) أى

نلقى الاحبة محمدا وصحبه وهذا بيت من مجزو بحر الوافر وفيه زحف يعلمه من له خبرة بعلم العروض (ذكر القشيرى) رحمه الله تعالى (ومثله) روى (عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنهما وروى ان امرأة قالت لعائشة) رضى الله تعالى عنها (اكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قالته لها لانه كان فى بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم (فكشفته لها) برفع الستارة عنه (فبكت حتى ماتت) لشدة محبتها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يخرجوه (و) روى البيهقى رحمه الله تعالى عن عروة انه (لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة) بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن ونون وهاء تأنيث اسم والده من قولهم دثن الطائر اذا طال حول وكره ولم يسقط عليه أو من دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة ابن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الخزرجى الصحابى وكان أسر يوم الرجيع (من الحرم ليقتلوه) فقتل صبرا وانما أخرجوه منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله فى السنة الثالثة من الهجرة (قال له) قبل قتله (أبو سفيان بن حرب) والد معاوية وكان ذلك قبل اسلامه وقيل ان الذى قيل له ذلك الآتى حبيب بن عدى حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس فى سيرته عن ابن عقبة وماذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية ابن اسحق (انشدك الله تعالى) قسم وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته اذا سألته وفى القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله أى سألتك بالله ونشدك الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا حلفه والله منصوب بنزع الخافض أى أسألك بالله وفى النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشى الصواب نشدتك فليحرر (يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه) فيقتل حماه الله تعالى من ذلك (وانك) بفتح الهمزة سالما مقيما (فى أهلك فقال زيد رضى الله تعالى عنه والله ما أحب) وأرضى (ان محمدا فى مكانه الذى هو فيه مقيم تصيبه شوكة) أى أقل شئ من الاذى فضلا عما قلتم (وانا جالس فى أهلى) سالم من الاذى وهو متأذ (فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس) ما نافية لا تعجبية كما توهم وان كان مراده بهذا الكلام التعجب من شدة محبة أصحاب محمد له (يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا) مفعول حب المصدر وهذه القصة مفصلة فى السير لا نطيل بذكرها هنا (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار (كانت المرأة اذا أتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) مهاجرة الى المدينة (احلفها بالله) وفى نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى أى كلفها القسم بالله انها (ما خرجت) من أرضها وبلدها لشئ (من بغض زوج) لها ناشزة منه (ولا رغبة بارض) أى فى أرض (عن أرض) خرجت

منها (و) انها (ماخرجت) من أرضها بشئ (الاحبالله ورسوله) فهى هجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم * هو والذى قصده المصنف رحمه الله تعالى هنا وكان ذلك لما وقعت الهدنة بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرد عليهم كل من أتاه من أهل مكة ولو كان مسلما فرد أبا جندل رضى الله تعالى عنه ولم يرد النساء اما لعدم دخولهن فى العهد أولان الله نسخه صونا للفروج واضعفهن فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يردمن ظهر اسلامها وأمره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن أعطى مهورهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية وبما ذكرنا سقط ماقيل فى تتمم هذا فى هذا الفصل نوع نظر (ووقف ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما كما رواه ابن سعد (على) عبد الله (ابن الزبير بعد قتله) رضى الله تعالى عنهما حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاولى أو الآخرة كما فصل فى التواريخ (فاستغفر له) أى دعا له ابن عمر بالمغفرة (وقال) بن عمر مخاطبا له بعد موته (كنت والله فيما علمت) أى فيما ثبت وتحقق فى علمى بك (صواما) أى مبالغة فى الصوم وكثرته (قواما) أى كثير القيام والتهجد كما مر وقيل انه كان رضى الله تعالى عنه قسم لياليه ثلاثة أقسام ليلة يصلى قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح (تحب الله ورسوله) أى مخلصا فى محبتهما مؤثرا لهما على كل شئ حتى على نفسه وأهله اما عبادته رضى الله تعالى عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه أمور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كأنه جذع لا يحس بشئ ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير ورمى بحجر من المنجنيق وهو يصلى فى أيام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جذبه مغناطيس المحبة فدفن قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم لما أنزلوه عن جذعه الذى صلب عليه غسلته أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما بعد ان قطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته فى دار صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهذه الدار زيدت فى المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأشرف السلام

* (فصل فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام) * أى فى ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم (اعلم) أمر لكل من توجه اليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه قوله (ان من أحب شيأ آثره) أى اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كقوله (وآثر موافقته) فى أقواله وأفعاله (والا) أى وان لم يؤثره ويؤثر موافقته وأصله وان لا بان الشرطية ولا النافية (لم يكن صادقا) فى دعوى المحبة كما قال (فى حبه وكان مدعيا) أى كاذبا فى دعواه لان المدعى هو الزاعم للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعى النبوة لكن لا يقال مثله فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما

قال وكل يدعى وصلا لليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا

وقال ولما ادعيت الحب قال كذبتنى * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا

فالحب حتى يلصق القلب بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك) الحب الذى ادعاه بحيث لا يخفى (وأولها) أى أول تلك العلامات (الاقتداء به) صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع أقواله وأفعاله وآثاره (واستعمال سنته) أى العمل بها (واتباع أقواله وأفعاله) فلا يخالفها (وامتثال أوامره واجتناب نواهيه) بان يفعل ما أمر به ويترك مانهى عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام فى تذكرته ومن

انصرافا عن بلدة لقلة رغبة فيها (وماخرجت) أى عن أرضها (الا حبا الله ورسوله ووقف ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن سعد (على ابن الزبير) أى عند جذعه الذى صلبه عليه الحجاج بالمعلاة (بعد قتله) أى عند البيت (فاستغفر) أى ابن عمر رضى الله عنهما (له) أى لابن الزبير (وقال كنت والله) وفى نسخة والله كنت (فيما علمت) وفى نسخة ما علمت أى مدة علمى بك (صواما قواما) أى كثير الصيام والقيام (تحب الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فصل فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام) وفى أصل الدلجى فى علامة حبه على انه مصدر مضاف الى معموله أى أى يذكر فيه ما يؤذن بحب غيره له (اعلم انه) وفى نسخة ان (من أحب شيأ آثره) بالمد أى اختاره على نفسه (وآثر موافقته) على مخالفته (والا) أى وان لم يؤثرها (لم يكن صادقا فى حبه) أى فى مودته (وكان مدعيا) أى فى محبته وكان كما قيل * (شعر) * وكل يدعى وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك (فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه) أى دلالة الحب لديه (أولها) أى أول علاماته وأسبق دلالاته (الاقتداء به) أى فى ملته (واستعمال سنته) أى طريقته (واتباع أقواله وأفعاله) أى فى جميع أحواله (وامتثال أوامره) أى وجوبا وندبا (واجتناب نواهيه) أى حرمة وكراهة

(والتأدب بآدابه) أى فى جميع أبوابه من مكارم شمائله ومحاسن فضائله (فى عسره ويسره) أى فى وقت ضره وشكره على صعوبة أمره وسهولته ومحنته ونعمته وجوعه وشبعه وبلائه ورخائه وقبضه وبسطه ومحوه وصحوه وفنائه وبقائه (ومنشطه ومكرهه) بفتح أولهما وثالثهما مصدران بمعنى النشاط والكراهة أو اسما زمان أى فى حال سعته وضيقه أو حال رضاه وغضبه أو وقت فرحه وحزنه أو زمن انشراح صدره أو انقباض أمره (وشاهد هذا) أى دليل ما ذكر كله (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) أى تريدون طاعته أو تدعون محبته (فاتبعونى) أى فى طريقته (يحببكم الله) يثبكم عليه ويقربكم اليه وتمامه قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم أى يتجاوز عما فرط من عيوبكم (وايثار ما شرعه) أى وشاهده أيضا تقديم ما أظهره واختيار ما بينه من وجوب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح ونحوه (وحض عليه) أى وايثار ما حث وحرض على فعله أو تركه (على هوى نفسه) أى على ما تميل اليه نفس المحب (وموافقة شهوته قال الله تعالى) أى فى مدح الانصار من جهة الايثار الذى هو فى الجملة من شيم الابرار وسمة الاحرار (والذين تبوأوا الدار والايمان) أى اتخذوا المدينة منزلا والايمان منزلة ومحلا والمعنى لزموهما ولم يفارقوهما (من قبلهم) أى من قبل نزول المهاجرين عليهم (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل أحد من قريش به ولا غيرهم عليهم (ولا يجدون فى صدورهم) كذا فى النسخ المصححة وفق الآية ووقع فى أصل الدلجى فى أنفسهم فقال صوابه فى صدورهم (حاجة) أى حزازة (مما أوتوا) أى لم يخطر ببالهم ما تطمح به نفوسهم الى ما أعطى المهاجرون وغيرهم من فىء وغيره (ويؤثرون) أى يقدمون المهاجرين وغيرهم (على أنفسهم) فى محبة الله ورسوله (ولو كان بهم خصاصة) أى مجاعة وشدة حاجة حتى ان من كان عنده داران أو بستانان ترك أحسنهما للمهاجرين ومن كان عنده امرأتان نزل عن احدى زوجتيه التى كانت

خطه نقلت قال الاصوليون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على أوامر وبمعنى الفعل الشان على أمور ولا نعلم من وافقهم الا الجوهرى وفى التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفى شرح البرهان قول الجوهرى غير معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع آمر لانه اسم أو صفة لما لا يعقل وهو مجاز لان الآمر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع أمر فكيف يخرج عليه كلامهم الثانى انه جمع آمرة وهى الصفة وفيه ما مر وقال ابن سيدة آمرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يتأتى لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع على أفعل وجمع أفعل على أفاعل ورد بان أوامر فواعل لا أفاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهانى فى شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى (والتأدب بآدابه) الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكرم وحسن الشيم والادب غلب فى العرف على هذا المعنى (فى عسره ويسره) بضمتين فيهما ويسكن السين تخفيفا فى الشدة والرخاء والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو لصاحب الحالة المصدر به (ومنشطه) أى فى نشاطه وخفته (ومكرهه) أى كراهته لامر يتحمله من غيره وميمهما مفتوحة (وشاهد هذا) المذكور كله أى ما يشهد له ويدل عليه حتى كأنه شهد به وأثبته (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) جعل محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله أحب رسوله فكأنه قال ان كنتم تحبونى فاتبعونى وبهذا ظهر مطابقة هذه الآية لما عقد له الفصل (وايثار ما شرعه) من أحكامه الواجبة وغيرها (وحض عليه) أى حث الناس على فعله وحرضهم عليه (على هوى نفسه) أى ما تهواه وتميل اليه (وموافقة شهوته) أى ما تشتهيه نفسه وتميل اليه طبعه لان الاشتهاء ميل طبيعى غير مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصى عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل بالذات فان تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما فى قوله أشتهى ان اشتهى (قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار) أى سكنوها واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة (والايمان) أى وأخلصوا الايمان وعطفه على الدار على حد قوله

* وزججن الحواجب والعيونا * أو جعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (من قبلهم يحبون من هاجر اليهم) من المؤمنين (ولا يجدون فى صدورهم) أى فى قلوبهم وأنفسهم وما وقع فى بعض النسخ فى أنفسهم سهو من الكاتب (حاجة مما أوتوا) أى لا يخطر ببالهم وتطمح أنفسهم الى ما أعطى المهاجرون من فىء وغيره حسدا وطمعا (ويؤثرون على أنفسهم) أى يقدمون المهاجرين على أنفسهم تكريما لهم (ولو كان بهم) أى فيهم (خصاصة) احتياج وفاقة لما آثروهم

اكرمهم الديه وزوجها باحدهم بين يديه هذا وسبب نزول الآية انه عليه الصلاة والسلام قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة محاويج أبادجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لبقية الانصار ان شئتم شركتكم في هذا الفيء معهم وقسمتم لهم من دياركم وأموالكم وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولا تاخذوا منه شيأ فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالفيء علينا ولا نشاركهم فيه أصلا (واسخاط العباد) أي وشاهده أيضا اسخاط العباد (في رضى الله تعالى) أي في تحصيل رضاه فمن ارضاه تعالى بسخط عباده رضي عنه وارضى عنه العباد ومن ارضاهم بسخطه سخط عليه واسخطهم كما وردبه حديث هذا مبناه ومعناه (حدثنا القاضي ابو علي الحافظ) هو ابن سكرة (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون) بخاء معجمة مفتوحة وتحتية ساكنة وراء مضمومة وهو غير منصرف في النسخ المصححة (قالا) أي كلاهما (ثنا) أي حدثنا (أبو يعلى البغدادي) ويقال له ابن زوج الحرة (ثنا) أي حدثنا (أبو علي السنجي) بكسر السين وسكون النون والجيم (ثنا) أي حدثنا (محمد ابن محبوب) ويروى أحمد ابن محبوب (ثنا) أي حدثنا (أبو عيسى) أي الترمذي الامام (ثنا) أي حدثنا (مسلم بن حاتم) أي الانصاري امام جامع البصرة وثقه الترمذي وغيره (ثنا) أي حدثنا (محمد بن عبد الله الانصاري) قاضي البصرة يروي عن حميد وابن عوف وطبقتهما وعنه البخاري وأحمد وابن معين وخلائق أخرج له الائمة الستة (عن أبيه) أي عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصاري يروي عن عمومته والحسن وجماعة وعنه طائفة قال أبو حاتم صالح ووثقه غيره وقال النسائي ليس بالقوي وقال أبو داود لا اخرج حديثه لكن أخرج له البخاري والترمذي وابن ماجه (عن علي بن زيد) أي ابن جدعان التيمي البصري الضرير تابعي أحد الحفاظ وليس بالثبت وقال منصور بن زاذان لما مات الحسن قلنا لابن جدعان اجلس مجلسه أخرج له مسلم متابعة (عن سعيد بن المسيب) تقدم ذكره (قال قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني) بكسر الياء المشددة وفتحها لغتان وقراءتان متواترتان وهو تصغير شفقة (ان قدرت ان تصبح وتمسي) أي تدخل في الصباح والمساء أو عبر عليك النهار والليل

بوسبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم بين الصحابة غنائم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم وأموالكم وان شئتم كان لكم أموالكم وديار كم ولا تاخذوا منه شيأ فقالوا بل نؤثرهم بالفيء ونقسم لهم من ديارنا وأموالنا فقد درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما افتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واسخاط العباد) أي اغضابهم عليهم بمخالفتهم (في رضى الله) أي فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على الاقتداء وهذا كما قال الحريري

وابغ رضى الله فاغبى الورى ❊ من اغضب المولى وارضى العبيد

(حدثنا القاضي أبو علي الحافظ) هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الحسن الصيرفي) تقدم أيضا وفي نسخة الحسين وهو سهو (وأبو الفضل بن خيرون) تقدم أيضا (قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي) الذي يقال له زوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا أبو علي السنجي) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد ابن محبوب) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عيسى) هو الامام الترمذي صاحب السنن وهو محمد بن عيسى ابن سورة كما تقدم قال (حدثنا مسلم بن حاتم) الانصاري امام جامع البصرة قال (حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري) هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة الامام الثقة توفي في رجب سنة خمسة عشر ومائتين وله ترجمة في الميزان (عن أبيه) هو عبد الله بن المثنى البصري وقد وثقوه وله ترجمة في الميزان (عن علي بن زيد) بن عبد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب الضرير أحد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس بثبت وأخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وثلاثين أو تسعة وعشرين ومائة (عن سعيد بن المسيب) تقدم أيضا (قال قال أنس بن مالك) الصحابي المشهور (قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني) مصغر بتشديد الياء ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو المؤمنين كما ان زوجاته رضي الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا كله في الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان محمد أبا احد من رجالكم المنفي فيه أبوة النسب حقيقة خلافا لمن لم يجوزه لانه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الآية والصحيح خلافه كما تقدم بيانه في أول فصل واما حسن عشرته الخ (ان قدرت ان تمسي وتصبح) أي ان أمكنك ذلك

(ليس فى قلبك غش) أى حقد وحسد (لاحد) أى من المسلمين جملة حالية معترضة (فافعل) أى كن ثابتا على هذا العمل فان من غشنا فليس منا على ما ورد (ثم قال لى يابنى وذلك) أى هذا المقام (من سنتى) أى من طريقتى (ومن أحيى سنتى) أى بالعمل بها أو بانتشارها فى تعليمها وتعلمها ويروى ومن أحب سنتى (فقد أحبنى) أى بالغ فى حبى (ومن أحبنى) أى بالمبالغة (كان معى فى الجنة) أى فى درجة أرباب المحبة وأصحاب القربة (فمن اتصف بهذه الصفة) الظاهر بهذه الصفات التى هى علامات المحبة أو المراد بهذه الصفة احياء السنة وامثالها من أنواع الموافقة والمتابعة الصادقة (فهو كامل المحبة لله تعالى) أى اصالة (ولرسوله) أى تبعا (ومن خالفها) أى هذه الصفات (فى بعض هذه الامور) أى المذكورة (فهو ناقص المحبة ولا يخرج) أى ولكن لا يخرج مع هذا (عن اسمها) أى عن اسم المحبة فيجوز اطلاق المحب عليه فى الجملة (ودليله) أى ودليل عدم خروج ناقص المحبة عن أصل المحبة (قوله عليه الصلاة والسلام) أى كما فى حديث البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه (للذى حده فى الخمر) أى لاجله وفى حقه وهو عبد الله الملقب بالحمار كذا وقع فى صحيح البخار وهو صاحب مزاح كان يهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويضحكه (فلعنه بعضهم) وفى صحيح البخارى فقال بعض القوم اخزاك الله قال بعض الحفاظ القائل به هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رواه البيهقى وفى روايته له فقال رجل من القوم اللهم العنه (وقال) أى ذلك البعض تعليلا لطعنه ولعنه (ما أكثر ما يأتى به فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفى كلام الدمياطى فى حواشيه على البخارى ان هذا وهم منه فان صاحب القصة نعيمان تصغير نعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار شهد العقبة مع السبعين وبدرا واحدا والخندق وسائر المشاهد وأتى به فى شرب الخمر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجلده أربعا أو خمسا فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يشرب واكثر ما يجلد فقال عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وكان صاحب مزاح وفيه

ولم يمنعك منه مانع أى على ان الخلا لان حذف الجار هنا مطرد والمراد بالاصباح والامساء جميع زمانه لا خصوصهما اذ لا وجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله (ليس فى قلبك غش لاحد) جملة حالية بدون تقدير قد لجمود فعلها أو هى خبر وهما ناقصان والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح والمراد به هنا مجازا الغل والحقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره فهو بتقدير مضاف أى نية غش والاول احسن واقرب (فافعل) أى فكن مداوما على ذلك (ثم قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لى يابنى وذلك) اى نزع الغش من القلب (من سنتى) أى طريقتى واخلاقى (ومن أحيى سنتى) أى أظهرها وأتبعها (فقد أحبنى) أى علم حبه لى وهذه روايه والذى فى الترمذى فقد أحيانى وهو الظاهر (ومن أحبنى كان معى فى الجنة) لان المرء مع من أحب كما تقدم والمحب الصادق لا يخالف من أحبه بل يقدم مراده على مراده لانه أحب اليه من نفسه (فمن اتصف بهذه الصفة) أى باحياء السنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لا يكون فى قلبه غش لاحد (فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها) أى خالف السنة (فى بعض هذه الامور) كترك بعض ما أمر به أو أتى بعض ما نهى عنه أحيانا (فهو ناقص المحبة) لا كاملها (ولا يخرج) بارتكاب البعض (عن اسمها) أى عن الاتصاف بها وتسميته محبا فى الجملة ولا ينافى هذا قوله المتقدم

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

لان ذلك فى المحبة الكاملة التى هى محبة الخواص على نهج قوله لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولذا عقبه بقوله (ودليله) أى دليل ان بعض المخالفة لا يخرجه عن اتصافه بالمحبة (قوله صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه (للذى حده فى الخمر) أى أقام عليه الحد لشربه الخمر واللام كهى فى قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أى قوله فى حقه وشانه وهى فى الحقيقة لام تعليل والصحابى الذى حد فى الخمر فى هذا الحديث قيل هو عبد الله الملقب بحمار باسم الحيوان بحاء مهملة وقيل بل هو بخاء معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان أو نعيمان نفسه ابن عمرو بن رفاعة البدرى وهو الذى حد فى الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يضحك منه توفى فى زمن معاويه وصحح هذا وقصة حمار أخرى كانت بخيبر وقيل انه هو نفسه وقال الحافظ الدمياطى ان كون هذا الرجل حمارا وهم وانما هو نعيمان وحمار هذا معدود فى الصحابة ولم يذكروا نسبه (فلعنه بعضهم) أى قال اللهم العنه وروى انه قال له اخزاك الله تعالى والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقى (وقال ما اكثر ما يؤتى به) تعجب من كثرة ما توا به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سكران (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفيه دليل على ان المسلم وان ارتكب الكبائر لا يجوز لعنه ومن كان كذلك لا يجوز لعنه

انتهى وقال الواقدي بقي نعيمان حتى توفي أيام معاوية وكان كثير المزاح يضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مزاحه انتهى
ومما يحكى من نعيمان هذا انه كان لا يدخل في المدينة طرفة وتحفة الا اشترى منها ثم جاء بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول أهديته
لك فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه جاء به الى النبي عليه الصلاة والسلام وقال يارسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول النبي عليه الصلاة
والسلام أولم تهده فيقول يارسول الله لم يكن والله عندي ثمنه وأحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وفي هذا الحديث بشارة عظيمة واشارة جسيمة لعصاة المؤمنين وحجة واضحة وبينة لائحة لاهل السنة والجماعة على الخوارج والمعتزلة حيث قالوا بكفر من فعل كبيرة أوهي مخرجة له من الايمان ولا تدخله في الكفر فيثبتون لصاحبها منزلة بين المنزلتين ويقولون بتخليده في النار (ومن علامات محبة النبي) أي محبته للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له) أي في الحالات والاوقات (فمن أحب شيأ أكثر من ذكره) أي وصرف اليه غالب فكره وقوله من أحب شيأ أكثر من ذكره حديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله تعالى عنها (ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (كثرة شوقه الى لقائه) أي الى مشاهدة طلعة ذاته في دار بقائه

(فكل حبيب) أي محب (يحب لقاء حبيبه) أي محبوبه والجملة كالعلة لما قبلها (وفي حديث الاشعريين) أي
أبي موسى وأصحابه (عند قدومهم المدينة) أي من اليمن أو الحبشة (انهم كانوا يرتجزون) أي يقولون هذا الرجز قبل حصول الصحبة
ووصول القربة (غدا نلقى الاحبة) جمع حبيب فعيل بمعنى مفعول (محمدا وصحبه) ويروى وحزبه والمراد بالرجز هنا الشعر الذي يشبه
الرجز اذ ليس هذا من بحر الرجز المعروف فانه بفتحتين ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات سمي لتقارب أجزائه وقلة حروفه
وزعم الخليل انه ليس بشعر وانما هو انصاف من أبيات واثلاث (وتقدم قول بلال) أي انشاده هذا الرجز وعند موته شوقا الى لقائه

وفيه ان محبة الله ورسوله من أعظم المنجيات وفيه رد على المعتزلة في ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار
(ومن علامات محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره) صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره بالصلاة
عليه ومنه علم فضيلة الحديث وأهله لذكرهم له صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ومن أحب شيأ أكثر
من ذكره) وهذا مثل مشهور وهو أمر طبيعي عادي (ومنها) أي علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم
(كثرة شوقه الى لقائه) اما في حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتاق لقاءه في
الآخرة ويشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك (فكل حبيب) أي محب (يحب لقاء حبيبه) أي
محبوبه فان فعيلا يأتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا في الثاني وذكره معادلا لقوله قبله من
أحب شيأ الى آخره وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل البديعي والشيء بالشيء يذكر ما أحسن
قول عروة بن حزام في قصيدة له

وانى لاهوى الحشر اذ قيل انني * وعفراء يوم الحشر نلتقيان

ومنه أخذ ابن رواحة قوله

ان كان يحلو لديك ظلمي * فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني * وبينك الله في الحساب

وقلت أنا في رباعية

كم قال لحبه الكثير الآفات * واطول وقوفنا بيوم العرصات
هيهات لئن بدا محياه له * يغفر ويهب له جميع الزلات

(وفي حديث الاشعريين) يعني أبا موسى الاشعري وأصحابه المنسوبون الى أشعر أبو قبيلة باليمن وكانوا
قدموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة سبع من الهجرة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال
لاصحابه يقدم عليكم قوم أرق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا (عند قدومهم المدينة) منصوب بنزع
الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى بلد كذا (انهم كانوا يرتجزون) أي ينشدون شعرا
وكلاما موزونا وهو (غدا نلقى الاحبه محمدا وصحبه) لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا أنشد شعرا من
بحر الرجز وتمامه مستفعل ست مرات ومجزوءه أربعا وهذا ليس منه وانما هو من الوافر والهزج وقيل
انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب أجزائه وقلة حروفه ولعل العرف كانت تطلق على ما يقوله الركبان
من الاوزان القصيرة رجزا ومن ذكره ومن تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله
تعالى والذي يظهر ان هذا كله تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوي وهو يصيحون ويصوتون فانه
أصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحسن صهيله وصوته وكون
المصنف يخفى عليه مثله مما يظن به وفي نسخة وحزبه بدل صحبه كما تقدم (وتقدم قول بلال مثله) يعني
ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان مراد هذا القائل لقاء النبي وأصحابه في الحياة
الدنيا وبلال رضي الله تعالى عنه أراد لقاءهم في الآخرة ثم انه يحتمل انه توارد معهم في هذا الكلام

وانه تمثل به (ومثله) أى المذكور وان لم يساوه (ماقاله عمار) بن ياسر الصحابى (حين قتل) أى قتله أهل الشام الذين كانوا مع معاوية أى لما قتل بصفين مع على رضى الله تعالى عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كأنى أنظر الى عمار يوم صفين وقد استسقى فاتته امرأة بشربة من لبن فشرب بها ثم قال اليوم ألقى الاحبة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عهد الى ان آخر شربة أشربها من الدنيا شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق (و) مثله أيضا (ماذكرناه من قصة خالد بن معدان) التى تقدمت من انه كان اذا أوى الى فراشه لايزال يذكر شوقه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه فان من أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتمنى الموت لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قال فى الفتوحات ومن هذا ماتقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خير بين البقاء فى الدنيا والانتقال للآخرة قال اللهم الرفيق الاعلى * واعلم ان تحقيق هذا المقام ماقاله الحكيم الترمذى فى فروقه ان تمنى الموت على ثلاثة أقسام * الاول تمنى عبد اقترب الى ربه فى منازل القرب لما تطهر من ادناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت * والثانى عبد رأى نعمة الله عليه فى دينه شاملة لكل خير فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لا يألو خبالا فتمنى الموت رجاء ان يحرز ذلك لنفسه فى لحده فهذان محمودان ورداعن الصحابة كسلمان رضى الله تعالى عنه اذقال أحب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أحب الموت لانى لا أدرى ما نزل بى فاخاف على دينى والاول قول صديق والثانى قول صادق والحظ لصاحبه فيهما * والثالث عبد تربى فى رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب الزمان عليه وعضته النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جاء فى الحديث لايتمنى أحدكم الموت لضر نزل به واماتمنى مريم رضى الله تعالى عنها الموت وقولها ياليتنى مت قبل هذا الخ فلخير مضى ولذا لم تقل الآن فهو لامر دينى رجاء أن لايزول لما رأت فتنا تموج وذلك لما أتهموا زكرياوهموا بقتله فخاف ها النداء والبشرى فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة انتهى اذا علمت هذا فقول السخاوى كغيره تمنى الموت منهى عنه ولذا جاء فى الحديث الصحيح فان كان ولابد فاعلا فليقل اللهم أحينى ماكانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كان الوفاة خيرا لى انتهى باطلاقه ليس كما ينبغى والتحقيق ماعرفت (ومن علاماته) أى علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة لتأويلها بالحب وليس راجعا للقاء المحب حبيبه وان كان أقرب وغير محتاج للتأويل كما قيل (مع كثرة ذكره) له صلى الله تعالى عليه وسلم (تعظيمه له وتوقيره) حق توقيره (عند ذكره) له (واظهار الخشوع) أى الخضوع (والانكسار) أى التذلل والتواضع (مع سماع اسمه) أى اذا ذكر غيره لاسمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال اسحق التجيبى) هو امام المحدثين أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبى توفى لثمان بقين من ذى القعدة سنة اثنين وخمسين وثلثمائة وهو منسوب لقبيلة من كندة تسمى تجيب واختلف فى تائه هل هى أصلية أم زائدة وضمها المحدثون وكثير من الادباء وفتحها غيرهم قال فى القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبى وتجوب بالواو قبيلة من حمير بن ملجم التجوبى قاتل على رضى الله تعالى عنه وغلط الجوهرى وحرف بيت الوليد بن عقبة

(ومثله قال عمار قبيل قتله) وفى نسخة وكما قال عمار أى ابن ياسر أبو اليقظان العبسى من السابقين المعذبين فى الله البدريين وكان معذبا بالنار فى أيدى المشركين وكان عليه الصلاة والسلام يمر به فيمر يده عليه ويقول يانار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم روى عنه على وابن عباس وغيرهما قتل بصفين مع على عن ثلاث وتسعين من عمره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم له تقتلك الفئة الباغية وقتله أبو الغادية واسمه يسار بن سبع سكن الشام ونزل واسط وعداده فى الشاميين أدرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غلام وسمع منه قوله لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وكان محبا لعثمان رضى الله تعالى عنه وكان اذا استأذن على معاوية يقول قاتل عمار بالباب أخرج له أحمد فى المسند (وماذكرناه) أى وتقدم أيضا ماذكرناه (من قصة خالد بن معدان) وفى نسخة فى قصة خالد بن معدان (ومن علاماته) أى ومن دلالة شوق المحب الى لقاء محبوبه (مع كثرة ذكره تعظيمه له) أى لذاته أو لامره (وتوقيره) أى له كما فى نسخة (عند ذكره) أى تنويها لرفعة محله (واظهار الخضوع) وفى نسخة واظهاره الخضوع وفى نسخة الخشوع بدل الخضوع والمعنى بهما التواضع والتذلل ظاهرا وباطنا (والانكسار) أى الا بوصف الافتقار وفى نسخة الانكماش أى الانقباض والاجتماع (مع سماع اسمه) أى حين سماع اسمه أو وصفه (قال اسحق) وفى نسخة أبو اسحق (التجيبى) بضم التاء الفوقية وتفتح وقيل هو الاصح وبكسر الجيم نسبة الى تجيب بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبى قاتل عثمان رضى الله تعالى عنه وتجوب قبيلة من حمير منهم ابن ملجم قاتل على كرم الله تعالى وجهه

(كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده) أي بعد وفاته (لا يذكرونه) أي في حال من الاحوال (الا خشعوا) أي خضعوا وتذللوا (واقشعرت جلودهم) أي انقبضت لحضرتهم عليه (وبكوا) أي لفراقه شوقا اليه (كذلك) أي ومثل أصحابه في ذلك (كثير من التابعين) منهم وفي نسخة كان منهم (من يفعل ذلك) أي يخشع ويقشعر ويبكي (محبة له وشوقا اليه ومنهم) أي من التابعين أو من الصحابة وأتباع أجمعين (من يفعله) أي ما ذكر من الخشوع والاقشعرار والبكاء (تهيبا) أي مهابة (وتوقيرا) أي اجلالا وعظمة والحاصل ان بعضهم كانت المحبة غالبة عليهم وبعضهم كانت المخافة ظاهرة لديهم وهما مقامان شريفان لطائفتين من الصوفية السنية لكن مقام الرجاء والمحبة أفضل من مقام الخوف والهيبة بالنسبة الى المنتهين وعكسه بالاضافة الى المبتدئين ويسمى الاولون بالطيارين والآخرون بالسيارين ثم هذه الاوصاف المحمودة كلها مقتبسة من قوله تعالى في مدح المؤمنين الموقنين حيث قال تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام الى ان قال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية فذكر الله وذكر رسوله متلازمان في حصول كل واحد ووصوله (ومنها) أي ومن علامات محبة الانسان للنبي عليه الصلاة والسلام (محبته لمن أحب النبي) بالرفع أي أحبه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) ويجوز ان ينصب كما في نسخة وهو المعنى الاعم الاتم لكن الاول هو المناسب لسياق الكلام والله تعالى أعلم ولذا عطف عليه بقوله (ومن) أي ولمن (هو بسببه) أي بسبب نسبه ونسبته وفي نسخة نسبه أي منسوبه (من آل بيته) أهل بيته وفي أصل الحجازي بنون وشين معجمة وموحدة (وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم) أي تجاوز الحد الشرعي في حقهم من الكفار

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

انتهى يعني انه أنشده التجيبي وانما هو التجوبي كما في كامل المبرد واعلم ان بعضهم زعم ان تاءه أصلية لانه في العين ذكره في فصل التاء وتبعه صاحب القاموس وهي زائدة كما قاله ابن السيد وجوز في تائه الوجهين أي الفتح والضم وقال النووي في شرح مسلم ان التاء زائدة لانه من جاب يجوب (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده) أي بعد وفاته (لا يذكرونه الا خشعوا) أي أظهروا الخشوع والتذلل (واقشعرت جلودهم) أي عرض لها اقشعريرة (وبكوا) حزنا لفراقه وشوقا للقائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك) أي ومثل الصحابة فيما ذكر (كثير من التابعين) لهم باحسان يفعلون كفعلهم (منهم من يفعل ذلك) أي من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين أو من التابعين من يبكي ويخشع ويقشعر جلده (محبة له وشوقا اليه) تمييز او مفعول له أي من محبته وشوقه أو لاجلهما (ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا) أي لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم في أنفسهم واجلاله وتكريمه (ومنها) أي من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (محبته) أي محبة الانسان (لمن أحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع والعائد محذوف أي أحبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (و) محبة (من هو بسببه) الباء للملابسة أي تلبس بسبب من أسبابه وكان بينه وبينه علاقة بقرابة أو صهارة وقال في النهاية السبب الزواج وأصله الحبل الذي يتوصل به لسقي الماء فاستعير لكل ما يتوصل به قال الله تعالى وتقطعت بهم الاسباب أي الوصل والمودات * (نكتة) * انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الماء المخصص في المستعار لانه يطلق على المني كما في الحديث انما الماء من الماء وفي قوله تقطعت في الآية لطف خفي وقوله (من أهل بيته) الى آخره بيان لمن أحبه ومن هو بسببه ويجوز ان يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفي نسخة من آل بيته وفيهم خلاف والمشهور عند الشافعي انهم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف لا بني عبد شمس وبني نوفل ابني عبد مناف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرك الاولين في خمس الخمس الذي هو سهم ذوي القربى دون هؤلاء وقال انهم لم يفترقوا في الجاهلية والاسلام (وصحابته) بفتح الصاد جمع أو اسم جمع صحابي وهو في الاصل مصدر وهو كل مسلم لقي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم تدم لم تضره وهم لا يحصون كثرة وقد روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قبض عن مائة وأربعة وعشرين ألفا والله تعالى أعلم (والمهاجرين) هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم أفضل (والانصار) جمع ناصر أو نصير غلب على الاوس والخزرج وكذا نسب اليه وقيل أنصاري وهو تخصيص بعد تعميم لانهم أفضل من غيرهم وفي نسخة من المهاجرين والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضي الله تعالى عنها وقيل انهم في حكم المهاجرين لانهم السابقون باحسان قبل غيرهم فتأمله (وعداوة من عاداهم) أي من علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلا يدخل

(وبغض من أبغضهم) أي كرههم وقلاهم من الفجار (وسبهم) أي وبغض من شتمهم من كلاب أهل النار (فمن أحب شيأ) أي أحدا (أحب من يحب) وفي نسخة من يحبه أي ذلك المحبوب ويبغض من يبغضه (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما في البخاري وغيره (في الحسن والحسين) أي في حقهما وشأنهما (اللهم اني أحبهما فاحبهما) أي زدلهما الهدى والتوفيق في الدنيا وحسن المثوبة ورفعة الدرجة في العقبى (وقال) أي في رواية (من أحبهما فقد أحبني) أي فكأنه أحبني (ومن أحبني) حقيقة (فقد أحب الله تعالى ومن أبغضهما فقد أبغضني) أي فكأنه أبغضني (ومن أبغضني) حقيقة (فقد أبغض الله تعالى) أي ومن أبغض الله فقد كفر بالله (وفي رواية) أي أخرى (الحسن) أي قال في حق الحسن وحده (اللهم اني أحبه فاحب من يحبه وقال) أي في رواية الترمذي

فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرا (وبغض من أبغضهم) أي كرههم وقلاهم (وسبهم) وأظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله فان من أحب شيأ أحب من يحبه وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم

اذا صافى صديقك من تعادي * فقد عاداك وانفصل الكلام

(وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين) أي في حقهما وشأنهما كما رواه البخاري (اللهم) أي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة لما طلب منه (اني أحبهما فاحبهما) أي أعطهما كل خير دنيوي وأخروي كما سيأتي في بيان محبة الله وهذا بلفظه وقع في رواية الترمذي في حديث قال انه حسن صحيح والذي في الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وفيه روايات مختلفة وليس هذا محل تفصيلها واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وفي رواية في الحسن) وحده وليس المراد التخصيص (اللهم اني أحبه فاحب من يحبه وقال) صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى (من أحبهما) أي الحسن والحسين فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله لعلمه بالطريق الاولى (ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وغيره (الله الله) بنصبهما بمقدر كاتقوا الله واحذروه واخشوه وفي تكريره تخفيف وتحذير على وجه المبالغة (في أصحابي) أي في شأنهم وحقهم فاحذروا انتقيصهم ونسبتهم لما لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله (لا تتخذوهم غرضا بعدي) بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذي يرمى بالسهام فهو استعارة أو تشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في المعاني أي لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تبحثوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه (فمن أحبهم فبحبي أحبهم) أي بسبب حبي لهم ويلزم من المحبة لهم ان لا يذكروا بسوء (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) ولذا ذهب بعض المالكية كما سيأتي الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن آذاهم) بذكر ما يسوءهم (فقد آذاني) لانه يسوءه ذلك (ومن آذاني فقد آذى الله) أي عصاه وفعل ما لا يرضاه وهو المراد بأذية الله (ومن آذى الله يوشك ان يأخذه) أي يهلكه سريعا ولا يمهله فيأخذه أخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك ان يكون كذا أي يقرب ويسرع (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (في فاطمة) رضي الله تعالى عنها أي في حقها وشأنها وفي حديث رواه البخاري وغيره (انها بضعة) بفتح الباء وكسرها أي قطعة وجزء (مني) لان الولد حاصل من أبيه وقطعة من كبده (يغضبني ما أغضبها) أي يسوءني ويؤذيني كل ما آذاها لان ألم الجزء يتألم به الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله تعالى عنها

(الله الله) بالنصب فيهما أي اتقوه واحذروه (في أصحابي) ولا تذكروهم بسوء فانهم أحبابي (لا تتخذوهم غرضا) بمعجمتين أي هدفا ترمونهم بما لا يليق من الكلام كما يرمى الهدف بالسهام وفي نسخة عرضا بالعين المهملة والظاهر انه تصحيف (بعدي) أي في غيبتي أيام حياتي أو بعد مماتي (فمن أحبهم فبحبي) أي فبسبب حبه اياي أوحبي اياهم (أحبهم ومن بغضهم فببغضي) أي فبسبب بغضه اياي (أبغضهم) ومن هنا قول بعض المالكية من سبهم قتل (ومن آذاهم) أي بما يسوءهم (فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى) أي خالفه وكره الله فعله (ومن آذى الله يوشك) أي يقرب ويسرع (ان يأخذه) أي الله تعالى كما في نسخة ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) أي كما رواه البخاري وغيره (في فاطمة) أي في شأنها (انها بضعة) بفتح الموحدة وتكسر أي جزء وقطعة (مني) أي من لحمي ودمي (يغضبني ما أغضبها) وفي نسخة ما يغضبها وقد ورد هذا الحديث حين خطب علي رضي الله تعالى عنه جويرية ابنة عدو الله أبي جهل على فاطمة رضي الله تعالى عنها قال مسور بن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم علي ابن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يريد ابن أبي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني فمن أبغضها أبغضني فهذا من خصوصياتها

فاتت

(وقال) أي في رواية (لعائشة رضي الله تعالى عنها في أسامة بن زيد) أي في حقه (أحبيه فإني أحبه) وقد ورد أنه أراد عليه الصلاة والسلام
أن ينحي مخاط أسامة فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها دعني حتى أكون أنا الذي أفعل قال يا عائشة أحبيه فإني أحبه (وقال) كما في
الصحيحين (آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم) أي علامة كمال إيمان من آمن أو علامة نفس إيمانه حبهم ويؤيده ظاهر
الحديث حديث لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ولعل وجه تخصيصهم أنهم كانوا مختلفين فيما بين المنافقين والمخلصين
أو للإشعار بأن حكم المهاجرين أولى بذلك كما يشير إليه قوله عليه الصلاة والسلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار إيماء إلى جلالة
رتبة الهجرة وأنه عليه الصلاة والسلام نبي مهاجر من المهاجرين وقد جاء بطريق العموم حب العرب إيمان وبغضهم نفاق كما رواه
الحاكم في مستدركه عن أنس رضي الله تعالى عنه (وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) أي كما تقدم (من أحب
العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) ظاهره مبناه أخبار ولا يبعد أن يكون معناه إنشاء أي من أحبهم فينبغي أن يكون بسبب حبي لهم أحبهم حيث يكونون صالحين وكذا البغض إذا كانوا طالحين لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل إيمانه وفي رواية حب قريش إيمان وبغضهم كفر وحب الأنصار من الإيمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب أي جنسهم والمراد مؤمنوهم أو متقوهم فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني رواه الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله تعالى عنه وروى ابن
عساكر عن جابر مرفوعا حب أبي بكر وعمر من الإيمان وبغضهما كفر وحب الأنصار من الإيمان وبغضهم كفر وحب العرب من
الإيمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة والأحاديث كثيرة في هذا الباب وبالجملة
فيجب على كل أحد أن يحب أهل بيت النبوة وجميع الصحابة من العرب والعجم لا سيما جنسه عليه الصلاة والسلام ولا يكون من
الخوارج في بغض أهل البيت فإنه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض في بغض الصحابة فإنه لا ينفعه حينئذ حب أهل
البيت ولا يكون من جملة الجهلاء العوام حيث يكرهون العرب بالطبع الملام ويذمونهم على الإطلاق بسوء الكلام فإنه يخشى عليهم
من سوء الختام (فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه) أي يحب ذلك الشيء وهذا أظهر (وهذه) أي الطريقة الموافقة للحقيقة
(سيرة السلف) أي سمة الصحابة والتابعين في حبهم ما أحبه عليه الصلاة والسلام في جميع الحالات

فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح
بنت أبي جهل فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتشهد وقال أما بعد فإن فاطمة بضعة مني وإني
أكره أن يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي ذلك
والحديث وتفسيره مفصل في كتب الحديث (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي
عن عائشة وحسنه (لعائشة في أسامة بن زيد) في حقه وشأنه (أحبيه فإني أحبه) وقد قال صلى الله عليه
وسلم أسامة بن زيد أحب الناس إلي فاستوصوا به خيرا ولذا أمر عائشة أن تستوصي به خيرا ودوده وهذا مما
أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان (آية الإيمان) أي
علامة تحققه وصدقه وكماله (حب الأنصار) لمحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ومحبتهم له ولأنهم
نصروا الدين وساعدوا المؤمنين من الصحابة وواسوهم بما هو معلوم (وآية النفاق) المنافي لتحقق
الإيمان (بغضهم) وصحف بعضهم الحديث فقال إنه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشأن
وهو سهو ظاهر (وفي حديث ابن عمر) كما أخرجه البيهقي في دلائله (من أحب العرب) والمراد بهم هؤلاء
الجيل المعروفون مطلقا (فبحبي) أي بسبب حبي (أحبهم ومن أبغضهم) من حيث ذواتهم لا لسبب
آخر يكون لبغض منهم (فببغضي أبغضهم) وفي حديث رواه الترمذي عن سلمان أنه صلى الله عليه
وسلم قال له لا تبغضني فتفارق دينك قال كيف أبغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني وفي
شعب الإيمان للحليمي (٢) أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن الله عز وجل خلق الخلق
واختار منهم بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار
من قريش بني هاشم فأنا خيار من خيار فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي
أبغضهم ولذا قيل إطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية أذية لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال
الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقي في
تأليف له مستقل سماه أنفع القرب في بيان فضل العرب (قال المؤلف رحمه الله تعالى فبالحقيقة) أي
بسبب النظر للحقيقة ونفس الأمر المحقق عند العقول السليمة (من أحب شيئا) من الأشياء (أحب كل
شيء يحبه) محبوبه (وهذه سيرة السلف) أي دأبهم وطريقتهم في محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى

(٢) قوله للحليمي هكذا وقع في أكثر النسخ والصواب للبيهقي اهـ مصححه

(حتى فى المباحات وشهوات النفس) أى فيحبون ما اشتهاه ويتكلمون بمقتضاه ويكلفون أنفسهم بموافقته مايه واه مبالغة فى طاعة مولاه (وقد قال أنس رضى الله تعالى عنه حين رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء) بالمد ويقصر أى يطلبه (من حوالى القصعة) بفتح اللام والقاف أى

من اطرافها لكمال محبته له (فمازلت) أى مادمت وعشت (أحب الدباء من يومئذ) بفتح الميم وكسرها أى من حين رأيته يتتبعه ويأكل حباله لحبه عليه الصلاة والسلام اياه وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه انه ماصنع لى طعام ويوجد الدباء الاوقد جعل فيه وقد روى فى مجلس أبى يوسف انه عليه الصلاة والسلام كان يحب الدباء فقال رجل أنا ما أحب الدباء فسل له السيف وقال جدد الاسلام والاقتلتك نظرا الى ظاهر معارضته له عليه الصلاة والسلام (فهذا الحسن ابن على وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضى الله تعالى عنهم) أى ابن أبى طالب (أتوا سلمى) أى خادمته صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاة له أو مولاة عمته صفية زوجة أبى رافع قابلة ابنه ابراهيم وداية ابنته فاطمة وغاسلتها مع اسماء بنت عميس قال الحلبى فى الصحابيات وسلمى غير هذه خمس عشرة امرأة وانما يدل على انها المراد هنا ما أخرجه الترمذى فى الشمائل بسنده عنها انهم اتوها (وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى يشتهيه ويستحسن اكله فقالت يا بنى لاتشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا فقامت وأخذت شيأ من الشعير فطحنته ثم جعلته فى قدر وصبت عليه شيأ من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته فقالت هذا مما كان يعجب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويستحسن أكله فى

الله تعالى عليه وسلم (حتى المباحات) أى كانوا يحبون ما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الامور المباحة (وشهوات النفس) أى فيتبعونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية كمحبة الطيب وبعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد لذلك بقوله (وقد قال أنس رضى الله تعالى عنه أنه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء) بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة فى آخره للالحاق والواحدة دباءة وهى نوع من الماكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها انه ياخذ قطع القرع من أى محل وجدت فيه فان قلت أكل انسان مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مما يليك لمن رآه يجيل يده فى الطعام الا فى الفواكه فانه لايكره فيها ذلك لعدم الاستكراه واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون قلت قالوا انه اذا كان الاكل مما يتبرك به لايكره فى حقه ذلك لاسيما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو مخصوص باللون الواحد وهذا كان معه قديد وقيل انه صنع له صلى الله تعالى عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه مايريد لعلمه برضاء صاحبه وقيل هو مخصوص بمن لم يو اكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف واما الدباء بالمد كما روجوز بعضهم قصره وأنكره القرطبى فقيل هو والقرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووى وهو اليقطين وهمزته زائدة ولذا ذكره فى باب دبب وخطأ صاحب القاموس الجوهرى فى ذكره فى المعتل فى مادة دب فقال هو وهم وليست همزته منقلبة عن واو ولا ياء * أقول اخطأ من خطأه ومن تبعه هنا لان الزمخشرى ذكره فى المعتل أيضا ووجهه الهمزة للالحاق كما ذكروه فهى فى حكم الاصلية كما حرروه فى باب الالحاق (من حوالى القصعة) بفتح القاف اناء معروف وحوالى مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كارجع البصر كرتين وهو بفتح الحاء واللام ويجوز كسر لامه وياء تثنيته ساكنة وفيه لغات مذكورة فى كتب اللغة (فمازلت) هذا مقول أنس فتاؤه مضمومة (أحب الدباء) أى أحب اكلها تبركا بها (من يومئذ) أى من يوم اذ رآه يتتبعها ويحبها لحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وهو شاهد لاتباعهم له فى المباحات وما تشتهيه الانفس وهذا الحديث أخرجه الشيخان وكان الذى دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك خياطا صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من الدباء ودعاه له فذهب معه أنس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط (وهذا الحسن بن على) بن أبى طالب وكان الظاهر ان يقول وأتى الحسن وابن عباس الى آخره فعدل عنه لانه لشهرته كالمشاهد (وابن عباس وابن جعفر أتوا سلمى) بفتح السين وهى زوجة أبى رافع ومولاة صفية عمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم وداية فاطمة الزهراء وهى التى غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم ابن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صحابية مشهورة وفى الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امرأة (وسالوها ان تصنع لهم طعاما) أى تطبخه وتحضره لهم (مما كان يعجب صلى الله تعالى عليه وسلم) وانما سالوها ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعرف ما كوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ وهذه الحالة تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المراد وهذا رواه الترمذى

(وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) على ما في الصحيحين أيضا ووقع في أصل الدلجي من ابن عباس بدل ابن عمر فليس في محله (يلبس) بفتح الموحدة (النعال السبتية) بكسر السين نسبة الى السبت وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ وهو ورق السمر وقيل صوف يتخذ منه النعال سميت بذلك لان شعرها قد سبت عنها أي أزيل وقيل منسوبة الى موضع يقال له سوق السبت بالكسر (ويصبغ) بتثليث الموحدة وضمه أشهر (بالصفرة) أي بالحناء (اذ رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك) أي مثل ما ذكر من لبس النعال السبتية وصبغ اللحية بالصفرة لكمال المتابعة في هيئة الموافقة من الكمية والكيفية

(ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (بغض من أبغض الله ورسوله) بالنصب في النسخ المصححة أي من أبغضهما ووقع في أصل الدلجي بالرفع فقال أي من أبغضاه والاول أيضا قد نص عليه الحلبي وهو الاظهر فتدبر لان بغض الله تعالى للعبد ارادة عقابه وايقاع الهوان به وهذا غير معلوم لنا بخلاف من ظهر منه بغضهما كأبي لهب وأبي جهل ونحوهما واسم الله للتزيين وللاشعار بان من أبغض رسوله فقد أبغضه والا فلا يوجد في العالم من أبغض الله تعالى فكل يدعي محبته الا ان أكثرهم أخطأوا طريق ما يقتضي مودته ولذا اكتفى بضميره عليه الصلاة والسلام في قوله (ومعاداة من عاداه) أي من اتخذه عليه الصلاة والسلام عدوا (ومجانبة من خالف سنته) أي طريقته أي عمل بغيرها (وابتدع في دينه) أي أظهر البدع في سبيله (واستثقاله) أي عد المؤمن المحب ثقيلا (كل أمر) أي من قول أو فعل أو حال وبروى واستثقال كل أمر (يخالف شريعته قال الله تعالى) أي اعلاما بما ذكر من كمال محبته (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي يكملون في الايمان بحسب الباطن والظاهر (يوادون من حاد الله ورسوله) أي يحابون ويصادقون من خالفهما والمعنى انه لا ينبغي ان يكون هذا الامر بل حقه ان يمتنع مبالغة في النهي عنه ومجانبة أعدائهما (ولو كانوا آباءهم) أي أصولهم (أو أبناءهم) أي فروعهم (أو اخوانهم) أي اقرانهم (أو عشيرتهم) أي أقاربهم وأهل محبتهم وهو تعميم بعد تخصيص

في الشمائل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار ذو الجناحين الصحابي ابن الصحابي وتتمة الحديث مما يكن يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن أكله فقالت أنا لا أشتهيه اليوم فقال بل اصنعيه فلما قامت وطبخت شيئا من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت ففلفلت وتوابل وقربته اليهم (وكان ابن عمر) عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه الشيخان (يلبس النعال) جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهي مؤنثة (السبتية) بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وتاء مثناة فوقية وياء نسبة الى السبت وهو جلد دبغ وأزيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة الشعر وكانوا في الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا أهل السعة والجاه وهي منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يجوز فتح أوله أيضا ويقال انها نعال سود (ويصبغ بالصفرة) وهو كل ما يصفر الشعر وغيره كالحناء والكتم ويصبغ مثلث الموحدة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو يصبغ أصفر والمراد انه يصبغ ثيابه بشيء أصفر كالزعفران ونقل عن مالك جوازه وما ورد من النهي عنه انما هو مخصوص بما اذا نهي عنه المحرم في الحج وعممه بعضهم ويدل على الجواز ما روي عن ابن جعفر انه قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم والطبراني وغيرهما وكذا أحاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه أيضا وقوله (اذ رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل نحو ذلك) تعليل لفعله محبة لما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ أوله ولبس النعال وهو أنسب لاشارة البعيد وهذا استشهاد بالاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم في المباحات بالنسبة اليه وان اختلفت في الاقتداء به في مثله هل هو مباح في حق المقتدي به أم لا كذهابه في العيد من طريق وعوده من أخرى ورجحوا الندب لمن نوى الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر (ومنها) أي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم (بغض من أبغض الله ورسوله) بغض الرسول صلى الله عليه وسلم الظاهر من مثل أبي جهل وبغض الله تعالى اما ببغض رسوله أو بكفره أو بانكاره كالمعطلة والدهرية (ومعاداة من عاداه) أي من يتخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله تعالى انما هي بمعاداة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور (ومجانبة من خالف سنته) أي اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه (وابتدع في دينه) أي أظهر البدع بما خالف الشريعة وهو عطف تفسيري لما قبله (واستثقال كل من يخالف شريعته) أي عده ثقيلا منفورا عنه غير مقبول وأصل الثقل في الاجسام ضد الخفة وفي نسخة كل أمر ثم ذكر ما بينه من الكتاب العزيز فقال (قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا ينبغي أن يكون وهو مبالغة في النهي (يوادون) أي يكون بينهم وبينهم مودة (من حاد الله ورسوله) أي

يخالفونه ويعارضونه (وهؤلاء أصحابه رضى الله تعالى عنهم) أى عماء لم من حال أصحابه حتى كانهم يشاهدون متلبسين به (قد قتلوا أحباءهم) أى أصدقاءهم قبل الاسلام وقد وقع هذا الكثير من الصحابة وروى قتلوا أى أبغضوهم وأبعدوهم قال الله تعالى ماودعك ربك وما قلى (وقاتلوا آباءهم وأبناءهم) الذين بقوا على الكفر (فى مرضاته) فى تعليلية والمرضاة مصدر ميمى بمعنى الرضاء كابى عبيدة بن الجراح قتل أباه ببدر وعمر رضى الله تعالى عنه قتل خاله العاص ومصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه قتل أخاه ونحوه مما هو مذكور فى السير (وقال له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عبد الله) رضى الله تعالى عنه (ابن عبد الله بن أبى) ابن سلول رأس المنافقين وابنه عبد الله هذا كان من الصحابة المخلصين فى محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لوشئت) خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتيتك برأسه يعنى أباه) عبد الله ابن سلول أى قتلته وأتيت برأسه لك وكان ابن سلول رئيس أهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الاسلام بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذى نزل فى حقه سورة المنافقين وأما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة فلما ظهر من أبيه ما ظهر قال يارسول الله أسالك بالله الاما أذنت لى فى قتل أبى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا ما رواه البخارى (ومنها) أى من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يحب القرآن الذى أتى به) للناس من عند ربه (عز وجل وهدى به) الخلق كلهم لسعادة الدارين (واهتدى) هو أى وصل الى الله به (وتخلق به) أى اتخذه خلقا له يعمل بكل مافيه (حتى قالت عائشة) رضى الله تعالى عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خلقه القرآن) أى كان دأبه التمسك به والتادب بآدابه والعمل بما فيه من مكارم الاخلاق فجعلت القرآن نفس خلقه مبالغة فى شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة كأنه طبع عليها فتخلق بمعنى أظهر الخلق كتجمل بمعنى أظهر الجمال كما فى كامل المبرد رحمه الله تعالى وقد يكون التخلق للتكلف كما فى قوله

يا أيها المتحلى غير شيمته ❊ ان التخلق يأتى دونه الخلق

وليس بمراد هنا (وحبه للقرآن تلاوته) أى كثرة تلاوته له على الوجه المرضى فيها عند أهل الاداء وليس المراد مطلق القراءة (والعمل به) أى بما فيه من الاحكام والمواعظ (وتفهمه) أى التقيد بفهم معانيه

(وهؤلاء) أى المؤمنون بالله واليوم الآخر حقا (أصحابه) أى عدلا وصدقا (قد قتلوا أحباءهم) أى أحبابهم وأصحابهم (وقاتلوا آباءهم وأبناءهم فى مرضاته) أى فى سبيل رضاء الله ورسوله روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الآية عنى بها جماعة من الصحابة فقوله ولو كانوا آباءهم يريد أبا عبيدة قتل أباه يوم أحد أو أبناءهم يريد أبا بكر رضى الله تعالى عنه دعا ابنه للبراز يوم بدر فامره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقعد أو اخوانهم يريد مصعب بن عمير لانه قتل أخاه يوم أحد او عشيرتهم يريد عليا ونحوه ممن قتلوا عشائرهم كذا فى مبهمات القرآن لشيخ مشايخنا الجلال السيوطى وقد قتل عمر خاله العاص بن هشام يوم بدر على ما نقله الدلجى (وقال له) أى للنبى عليه الصلاة والسلام (عبد الله بن عبد الله بن أبى) وكان أبوه علم النفاق ورأس الكفر ورئيس الشقاق وهو من أكابر أهل الوفاق (لوشئت) لوأردت وأمرت بقتله (لاتيتك برأسه يعنى) أى يريد بضميره (أباه) أى عبد الله والحديث رواه البخارى وقال ذلك لما هم وابابيه حين بلغ رسول الله صلى تعالى عليه وسلم انه قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وعنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى تعالى عليه وسلم وقال يارسول الله بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فرنى به وأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه منى وانى أخشى ان تامر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى ان أنظر الى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا استشهد عبد الله يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه سنة اثنتى عشرة روى عنه أبو هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما (ومنها) أى من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (ان يحب القرآن الذى أتى به عليه الصلاة والسلام وهدى به) أى بسببه الانام (واهتدى) أى فى نفسه باخلاق الكرام (وتخلق به) أى اتخذه خلقا فى جميع الاحكام (حتى قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) أى فى تفسير قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم (كان خلقه القرآن) أى كان ممتثلا باوامره ومنتهيا عن زواجره ومتمسكا بآدابه وما اشتمل عليه من مكارم أخلاقه نحو قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وأمثاله (وحبه للقرآن) أى علامة حبه له (تلاوته) أى دوام قراءته (والعمل به) والانسب ما فى نسخة من تاخيره عن قوله (وتفهمه) أى طلب فهمه فى مواعظه وقصصه ووعده ووعيده وبيان أحوال أنبيائه وأوليائه وعاقبة أعدائه

(ويحب) أى وان يحب (سنته) أى احاديثه (ويقف عند حدودها) أى أوامرها ونواهيها (قال سهل بن عبد الله) التسترى (علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة حب النبى عليه الصلاة والسلام حب السنة) أى احاديثه واخباره وأحواله وسيره وآثاره (وعلامة حب السنة) أى بعد علمها وفهمها (حب الآخرة) اذ من العلم معرفة ان الدنيا فانية والآخرة باقية ونتيجته أن يعرض عن الدنيا ويقبل على العقبى وهذا معنى قوله (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) لانهما لا يجتمعان لقوله عليه الصلاة والسلام من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقد شبهتا بالضرتين وبالكفتين (وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها) أى لا يأخذ ولا يمسك منها (الا زادا) أى قدر ما يتزود به (وبلغة) بضم فسكون أى مقدار ما يبلغه (الى الآخرة) فان تحصيل الزيادة على قدر الضرورة وبال وحسرة فان حلالها حساب وحرامها عقاب والاشتغال بها حجاب وفى أصل الحجازى زادا وبلغة بالرفع فيقرأ لا يدخر مجهولا (وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لا يسئل أحد عن نفسه) أى عن طيب حالها وخبث مالها (الا القرآن) فانه ميزان الانسان للعدل والاحسان (فان كان يحب القرآن) أى تلاوته ومتابعته (فهو يحب الله ورسوله) أى ومن يحبهما فهما يحبانه أيضا والمعنى انه لا ينبغى لاحد أن يرضى بما فى نفسه من الدعوى فانه كما قيل ما أيسر الدعوة وما عسر المعنى (ومن علامات حبه) أى أصل حب المؤمن المحب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته) أى خوفه ومرحمته (على أمته ونصحه لهم) أى قيامه بنصيحتهم فى امر دينهم ودنياهم وعقباهم (وسعيه فى مصالحهم) أى الدينية والدنيوية الضرورية (ورفع المضار عنهم) أى بعد وقوعها ووصولها وفى نسخة ودفع المضار عنهم أى عند خوف حصولها (كما كان عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين رؤفا رحيما) والرأفة شدة الرحمة ولعلها كانت مختصة بكمل المؤمنين وعموم الرحمة لعامة المؤمنين مع انه كان رحمة للعالمين وفيه اشارة الى حسن المتابعة وكمال الموافقة وايماء الى قوله عليه الصلاة والسلام تخلقوا بأخلاق الله تعالى والمعنى أن التخلق يكون بقدر التعلق فى باب التحقق (ومن علامة تمام محبته) أى وكمال متابعته

معانيه وجعل هذا من الحب المستدعى عنه (و) من العلامات لمحبته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا أن (يحب سنته) أى طريقته وهديه بالاقتداء به قولا وفعلا ويجوز أن يريد بسنته احاديثه المروية عنه بقرينة جعلها قرينة القرآن وكثيرا ما تطلق عليه (ويقف عند حدودها) أى لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وحدود الله محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير الحد لما ذكر فالوقوف فيه ترشيح مليح (قال سهل بن عبد الله) التسترى وقد تقدم (علامة حب الله) أى ارادته ودليله (حب القرآن) وقد تقدم بيانه (وعلامة حب القرآن حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فان من أحب الله تعالى أحب حبيبه وكلامه (وعلامة حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حب السنة) فان من أحبه لم يخالفه ولا يعصيه (وعلامة حب السنة حب الآخرة) لان من أحبه وأتبعه أحب لقائه ورغب فى الآخرة كما مر (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) والزهد فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان فى قلب مؤمن وبغضها لا يقتضى التبذير والاسراف كما توهم وانما هو كما قيل اللهم اجعلها فى أيدينا ولا تجعلها فى قلوبنا (وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر) ويقتنى (منها الا زادا) أى مقدارا يتزود به ويتقوت ولا يختبئ منها ما لا حاجة له به كما قيل

يكفيك مما تبتغيه القوت ✽ ما أكثر القوت لمن يموت

(وبلغة) بضم فسكون أى ما يبلغه به (الى الدار (الآخرة) كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده ومنزله فانما الدنيا دار سفر لا دار مقر

وانا لفى الدنيا كراكب سفينة ✽ نظن وقوفا والزمان بنا يسرى

(وعن ابن مسعود) فى حديث رواه البيهقى فى الادب وابن الضريس فى فضائل القرآن وفى نسخة وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (لا يسأل أحد) من غيره (عن نفسه) أى عن أحوال نفسه فى محبته لله ورسوله (الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله) فاذا أراد أن يعرف حاله ينظر فى ذلك فيستدل به حتى كأنه سأله واجابه ببيان حاله فاذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهى غاية مطلوبه كما قيل

ان كنت تزعم حبى ✽ فلم هجرت كتابى ✽ أما تأملت ما فيه ✽ من لذيذ خطابى

(ومن علامات محبته للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته على أمته) بان يحبهم ويتلطف بهم ويرق قلبه عليهم (ونصحه لهم) ببيان ما يصلحهم من أمورهم (وسعيه فى مصالحهم) بشفاعته ومعاونته وقضاء حوائجهم (ورفع المضار عنهم) بدفع المظالم وازالة مضايقتهم (كما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين) منا ومن غيرنا لا بغيرهم (رؤفا) شفوقا (رحيما) منعما متفضلا عليهم كما وصفه الله تعالى به فى كتابه العزيز فعلينا الاقتداء به والتخلق باخلاقه (ومن تمام محبته) أى كمالها وأقصى مراتبها التى لا أتم

(زهده فيها) أى قلة رغبة مدعى محبته عليه الصلاة والسلام (فى الدنيا) أى التى هى دار الاكدار ومقام الآلام (وايثاره) أى اختياره (الفقر) أى قلة المال على كثرته (واتصافه) أى بالفقر حال ضرورته ويكون غنى القلب فى صورته وهذا انما يكون بامراضه عنها وتركه الالتفات اليها وعدم الاقبال عليها وسئل الزهرى عن الزهد فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان الفقر الى من يحبنى منكم) أى حبا بالغا (أسرع من السيل) أى الواقع عند نزوله (من أعلى الوادى أو الجبل) شك من الراوى (الى أسفله) فان الله سبحانه وتعالى ربى أكثر الاصفياء والاولياء بوصف الفقر المؤدى الى المسكنة والفناء بخلاف الغنى فانه غالبا يؤدى الى العجب والغرور والجفاء ويشهد لذلك انه عليه الصلاة والسلام لما عرض عليه ملك الجبال بقوله ان شئت جعل الله لك الاخشبين ذهبا أى وفى حديث آخر ان ربه عرض عليه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يارب ولكنى أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وكانه عليه الصلاة والسلام اختار أن يكون تربيته تارة بوصف الجمال وتارة بنعت الجلال كما هو حال أرباب الكمال (وفى حديث عبد الله بن مغفل) بتشديد الفاء المفتوحة مزنى من أصحاب الشجرة روى عنه الحسن البصرى وغيره وتوفى بالبصرة سنة ستين قال الحسن رحمه الله تعالى ما نزل البصرة أشرف منه (قال رجل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله انى أحبك فقال انظر ما تقوله) أى تأمل فى قولك وتفكر فى أمرك فانك ادعيت دعوى فلابد من تحقيق ما لها من المعنى ليكون مبنيا على اساس التقوى (قال انى والله) وفى نسخة والله انى (لاحبك ثلاث مرات) أى ذكرها مكررا بالقسم مؤكدا مقررا (قال ان كنت تحبنى) أى حبا كاملا أو ان كنت صادقا فى دعوى محبتى اللازم منها كمال متابعتى (فاعد) بفتح همزة وكسر عين وتشديد دال مفتوحة ويجوز كسرها أى فهيئ (للفقر تجفافا) بكسر الفوقية وسكون الجيم أى اتخذ له عدة ووقاية تقتضى رعاية وتستوجب عناية وتستجلب هداية وأصل التجفاف لبسه للفرس تمنعه السلاح وتقيه الاذى من الجراح وقد يلبسه الانسان ويروى جلبابا وهو الازار قال القتيبى معناه ان يرفض الدنيا ويزهد فيها ويصبر على الفقر والتقلل منها وكنى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر البدن وقال ابن الاعرابى أى لفقر الآخرة يعنى يعمل عملا لا يكون فى الآخرة فقيرا مفلسا حقيرا وعن على كرم الله تعالى وجهه من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلبابا أو قال تجفافا

الابها (زهده فيها) أى المحبة (فى الدنيا) وامورها وزخرفها (وايثاره الفقر) أى اختياره وتقديمه على الغنا وسعة الدنيا (واتصافه به) أى جعله شعارا وصفة له تواضعا وزهدا (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته (ان الفقر الى من يحبنى منكم) معاشر المسلمين أو الصحابة (أسرع) أى يصل اليهم بسرعة أقوى (من) سرعة (السيل) اذا انحدر ونزل (من أعلى الوادى) وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء من ودى بمعنى سال ويسمى الفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال الله تعالى ألم تر انهم فى كل واد يهيمون (أو من الجبل الى اسفله) والماء النازل من علو اسفل فى غاية السرعة فضرب به مثلا لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير اسفله لاحد الامرين من الوادى أو الجبل وأفرد لانه بعد شيئين عطف باو هذا بعض من الحديث الذى بعده وقد رواه الترمذى وحسنه (وفى حديث عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة ولام وهو صحابى مزنى من أصحاب الشجرة اخرج له الستة وغيرهم وتوفى سنة ستين (قال رجل) من الصحابة ولم يسموه (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يارسول الله انى أحبك فقال انظر ما تقول) أى تفكر فيه وتامل فان محبتى أمر عظيم من اختارها صادقا مخلصا ينبغى ان لا يحب أمرا من أمور الدنيا وهو أمر صعب (قال والله انى أحبك) اكده بالقسم لما رأى فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له المشعر بالتردد فيه وزاد ان كرره (ثلاث مرات) ليزيل الشبهة (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (ان كنت تحبنى) حبا خالصا صادقا لا تؤثر عليه شيأ (فاعد) أى احضر وهيئ (للفقر تجفافا) بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفائين بينهما ألف وتاؤه مزيدة من جف اذا يبس وهى شئ يوضع على الخيل ليقيها فى الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف أى أعد له عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لا تتحمله يعنى الصبر عليه ورياضة النفس فى تحمله فشبه الفقر بجواد محسن بما يقيه لا يصاله الى السعادة أو شبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايماء الى ان من أحبه صلى الله تعالى عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختيارى بزهده فى الدنيا وقد اختلف فى الفقر والغنى وفى الفقير الصابر والغنى الشاكر أيهما أفضل بظاهر هذا الحديث والكلام عليه مفصل فى كتب المشايخ وغيرها وقد منا منه ما

(ثم ذكر) أى النبى عليه الصلاة والسلام قاله الدلجى والصواب أى ذكر عبدالله بن مغفل (نحو حديث أبى سعيد بمعناه) الذى تقدم قبله وهو قوله عليه الصلاة والسلام ان الفقر الى من يحبنى الى آخره غيران فى حديث عبدالله بن مغفل الفقر أسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه

* اختلف الناس فى تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى محبة العبد لهما (وكثرت عباراتهم فى ذلك) أى وتعددت اشاراتهم هنالك (وليست ترجع) أى مقالاتهم (بالحقيقة) أى فى الحقيقة كما فى نسخة (الى اختلاف مقال) أى لاتفاق مافيها فى مآل (ولكنها اختلاف أحوال) كما قال قائل شعر

عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل الى ذاك الجمال يشير

(فقال سفيان) أى الثورى أو ابن عيينة (المحبة اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام) أى علامة محبة العبد لله تعالى أو نتيجة محبة الله تعالى للعبد حسن المتابعة ومداومة الموافقة لصاحب الرسالة وهذا معنى قوله (كأنه) أى الشان أو سفيان (التفت) أى فى كلامه مشيرا (الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية) أى يحببكم الله (وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد نصرته) أى اعتقاد وجوب نصرة دينه وملته (والذب عن سنته) أى ودفعه عن اماتة سيرته (والانقياد لها) أى لشريعته وفى نسخة له أى لذاته وحقيقته (وهيبة مخالفته) أى خوف مخالفة طريقته بملاحظة عظمته وهذا الكلام أيضا ايماء الى علامة المحبة أو نتيجة المودة

مذ فيه الكفاية وروى جلبابا بدل تجفافا (ثم ذكر) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذا الكلام الذى قاله للرجل المذكور (نحو حديث أبى سعيد) الخدرى أى مايشبهه (بمعناه) يعنى قوله فى الحديث الذى سبق للفقر أسرع الى من يحبنى من السيل الى مقره ومنتهاه تشبيه له بالسيل واشارة الى تلاحق النوائب به سريعا حتى لايخلص منها فليستعد لها

(فصل فى معنى المحبة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها) أى المعنى الذى وضعه لها واضع اللغة وعين لفظه (اختلف الناس) المراد بهم علماء السلف والخلف وسبب اختلافهم ان المحبة التى تعارفها الناس كما سنذكره بحسب الظاهر لاتليق بالله ورسوله (فى تفسير محبة الله ومحبة النبى) أى فى بيان المراد بهما (وكثرت عباراتهم فى ذلك) التفسير (وليست ترجع بالحقيقة) أى ليس مافسر ان نظر الى نفس الامر المحقق فى الواقع (الى اختلاف مقال) أى اختلافا لفظيا والمعنى واحد (ولكنها اختلاف أحوال) أى سبب اختلافهم اختلاف حال المحب وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من أحوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى أنكر بعضهم امكان محبة الله تعالى حقيقة كما فى الاحياء وقال لامعنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيرى هى حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل على التعظيم وايثار رضاه والثقة به وقيل من حبب الاسنان وبياضها لصفائه وورده وقيل من الحباب الذى يعلو الماء اذا انصب وتحرك لفورانها فى القلب وقيل من أحب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رائى جمال أو فائق كمال أو فائض احسان وافضال (فقال سفيان) يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثورى قيل والظاهر انه الثورى لطول باعه فى علوم القوم وعلو رتبته فى العلم الظاهر أيضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل فى غيره (المحبة) يعنى محبة الله تعالى بدليل الآية استدل بها (اتباع الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وكل ماجاء به عن الله لان من أحب الله لايعصيه فيما أمره به وانما يعلم أوامره ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان فى هذا خفاء قال (كأنه) أى سفيان (التفت) أى نظر فى تفسيره هذا (الى قوله تعالى) واستنبط منه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فانه أقام اتباعه مقام محبته اذا لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهى لاتكون الا لمن أحبه والآية نزلت فى اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فارشدهم الى ما يحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شئ أدرك منه كمالا يحملها على مايقربها اليه والكمال الحقيقى ليس الا لله وكل كمال فى غيره فهو منه فحبه يقتضى طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته لاتقبل الا باتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) فى معنى (محبة الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم انها (اعتقاد) لزوم (نصرته) بالمجاهدة لينصره ويعلى كلمته (والذب) بالمعجمة أى المنع والطرد (عن سنته) أى طريقته وشريعته برد مخالفها ودفع الشبه الموردة عليها وتصحيح أحاديثه وتفسيرها وبيانها (والانقياد لها) بان لايخالفها ويعمل بها (وهيبة مخالفته) أى الخوف من مخالفته مع تعظيمه واجلاله وفى نسخة مخالفتها أى السنة

(وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب) وروى ذكر المحبوب أى لما ورد من ان من أحب شيأ أكثر من ذكره حيث لا يذهل المحبوب عن فكره فى تمام أمره ودوام دهره (وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب) وهذا أقرب فى بيان المطلوب (وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب) أى موافقته (لمراد الرب يحب ما يحب) أى يحب المحب ما يحب المحبوب فالجملة استئنافية وفى نسخة صحيحة ما أحب وفى أخرى يحب بالجار والمجرور على ان الباء لبيان المواطاة وكذا قوله (ويكره ما يكره) وفى نسخة ما كره بصيغة الماضى

وفى الكشاف محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) أى لقلب المحب من الامور الحسية النفسية الدنية أو الاحوال المعنوية الدينية وهذا قريب من المحبة الحقيقية (وأكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة) أى نتائجها (دون حقيقتها وحقيقة المحبة) أى من حيث هى (هو الميل) أى ميل الجنان (الى ما يوافق الانسان) أى بموجب الطبع أو بمقتضى الشرع (ويكون موافقته له) أى ويحصل موافقة القلب للانسان وميله له (اما لاستلذاذه) أى لتلذذ الانسان (بادراكه) أى بادراك ما يميل اليه مما يوافقه باحدى مشاعره الحسية سواء كانت على وفق الشهوات النفسية أو على طبق اللذات الانسية (كحب الصور) ويروى الصورة (الجميلة) أى من (بادراكه) المبصرات أعم من ان تكون من الحيوانات أو النباتات أو الجمادات حيث وقعت بالاشكال الموزونة (والاصوات الحسنة) أى من المسموعات الواردة على لسان الانسان أو الطير أو سائر الحيوانات (والاطعمة) أى من الماكولات (والاشربة) أى من المذوقات (اللذيذة) قيد لهما (واشباهها) أى كحب الرائحة الطيبة من المشمومات والنعومة واللينة من الملموسات (مما كل طبع سليم) أى لا قلب سقيم (مائل اليها) أى ومقبل عليها (لموافقتها له) أى بمقتضى طبيعته مع قطع النظر عن موافقة شريعته (أو لاستلذاذه

وفى النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) فى تفسير مطلق (المحبة) ويحتمل انه بيان لمحبة الله تعالى (دوام الذكر للمحبوب) لان من أحب شيأ أكثر من ذكره كما مر (وقال آخر ايثار المحبوب) أى اختياره وتقديمه على ما سواه بان يكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله كما تقدم (وقال بعضهم المحبة) معناها (الشوق الى المحبوب) بان يكون نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه وتحثه على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات الصوفية لا من المعانى اللغوية (وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب) بضم الميم وطاء مهملة تليها همزة ومعناها الموافقة وأصله ان يطأ الرجل برجله موطأ صاحبه قال الله تعالى ليواطؤا عدة ما حرم الله أى موافقة القلب (لمراد الرب) بان لا يريد الا ما أراده فيترك ما يريد الله ثم بينه بقوله (فيحب) مضارع أحب (ما أحب ويكره ما كره) وفى نسخة ما يكره والاولى أولى (وقال آخر المحبة ميل القلب الى قبول قوله) أى المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله من كلام أهل الطريقة وله أمثال كثيرة كقول ذى النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله بمقت (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) أى موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهى أقوال متقاربة (وأكثر العبارات المتقدمة) من أول الفصل الى هنا (اشارة الى ثمرات المحبة) انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها وأصل الثمرة نتاج الشجرة ثم قيل لكل نفع يصدر عن شئ ثمرة كثمرة العلم العمل فهو استعارة تصريحية أو تخييلية ومكنية أو مجاز مرسل (دون حقيقتها) أى لا حقيقتها ودون ترد لمعان هذا منها وانما قال أكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه أولانه احتراز عن الاخير لانه حقيقة لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله (وحقيقة المحبة) الموضوعة لها مطلقا (الميل) معناه حقيقة العدول عن الوسط الى أحد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه (الى ما يوافق الانسان) أى طبيعته قيل هذا بعينه هو المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه وبين الموافقة بقوله (وتكون موافقته له) أى لنفس المحب (اما لاستلذاذه) أى عده لذيذا تشتهيه نفسه وتستحسنه (بادراكه) منه أمرا محققا محبوبا كالطعم الحلو والمشروب العذب (كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة وأشباهها) كالروائح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة (مما كل طبع سليم) من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مر الفساد ذوقه فهذا لا يرد نقضا (مائل اليه لموافقته له) طبعا وفى نسخة موافقتها أى المذكورات (أو لاستلذاذه) أى وجود لذته واللذة من الكيفيات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهى لانه من الوجدانيات وهى ادراك الملائم من حيث هو ملائم والالم ضده والمراد بالملائم للشئ اللائق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ما هى عليه بالقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشئ قد يكون ملائما من وجه دون آخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا بمجرد تخيله كما تقرر فى كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية والية أشار بقوله أولا بادراكه الى آخره وهو القسم الاول والثانى بينه بقوله

(بادراكه بمحاسة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة) أى مبنية على مبانى لطيفة (كحب الصالحين) أى من الانبياء والاولياء (والعلماء) وكذا الشهداء (وأهل المعروف) أى من الاصفياء (والمأثور عنهم السير الجميلة) أى الاحوال الجليلة (والافعال الحسنة) أى والاقوال المستحسنة وهذا تعميم بعد تخصيص ليشمل الملوك والامراء والفقراء والاغنياء (فان طبع الانسان) أى الكامل فى هذا الشان (مائل الى الشغف) بالغين المعجمة وقيل بالمهملة وقرئ بهما قوله تعالى قد شغفها حبا يقال شغفه الحب أى بلغ شغافه وهو غلاف قلبه وهى جلدة رقيقة على القلب كالحجاب دونه والمعنى مائل الى الحب الذى يحرق شغاف القلب وحجابه حتى يبلغ الفؤاد الذى هو سويداء القلب ومحل المراد (بامثال هؤلاء) أى الموصوفين بمراتب الثناء (حتى يبلغ) أى الشغف (بقوم) أى من اتباع عالم أو شيخ أو كريم (التعصب لقوم) أى كانوا على ضدهم هو بالنصب على انه مفعول يبلغ وكذا قوله (والتشيع) أى كمال التتبع ومنه حديث القدرية شيعة الدجال وفى نسخة صحيحة حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع (من أمة) أى طائفة (فى أخرى) أى فى جماعة وفى نسخة فى آخرين (ما يؤدى) أى ما ذكر من التعصب والتشيع (الى الجلاء) بالفتح والمد أى الخروج (عن الاوطان وهتك الحرم) بضم ففتح أى قطع ستارة حرمة الذرية والنسوان (واخترام النفوس) بالخاء المعجمة أى استئصالها بانقطاع الارواح من الاشباح (أو يكون حبه اياه) أى ميل الانسان الى موافقة هواه (لموافقته له من جهة احسانه له) وفى نسخة اليه (انعامه عليه فقد جبلت النفوس) أى خلقت مجبولة ومطبوعة (على حب من أحسن اليها) وفى نسخة من أحسن اليه وفى أخرى له فقد ورد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها رواه ابن عدى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وصححه وورد فى الدعاء اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى

(بادراكه) بعد الوصول اليه لا قبله (بحاسة عقله وقلبه) فيه تسمح على رأى الحكماء لان المدرك عندهم القوى الناطقة فى الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان أهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها (معانى باطنة) غير مدركة بالحواس الظاهرة (شريفة) أى نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كانها فى شرف أى مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة فالاضافة لامية أو المراد حاسية هى العقل فالاضافة بيانية (كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف) المراد بالمعروف كما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب والصغانى (و) حب (المأثور) أى المنقول (عنهم السير) المراد بها الاحوال والصفات (الجميلة) الحسنة المحمودة شرعا وعقلا (والافعال الحسنة) كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصرى (فان طبع الانسان مائل الى الشغف) أى المحبة الزائدة وهو بشين وغين معجمتين وفاء من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه أى غلافه أو نياطه وداخله وحبته وهذا أنسب بالمراد وروى بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل الثانى بمعنى الاحراق قال شغفه الحب اذا أحرقه وامرضه ومع ذلك يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ ويأتى بهذا مزيد بيان وقوله (بامثال هؤلاء) أى بهؤلاء وأمثالهم أنفسهم كمثلك لا يبخل وهو كناية عما تقرر فى كتب المعانى والاشارة للصالحين ومن بعدهم (حتى يبلغ) الشغف بهؤلاء وفرط حبهم (التعصب) تفعل من العصبة وهى الجماعة المتعاضدة المتعاونة والمعنى اظهار الحمية والمبالغة فى الصيانة حتى تفارقوا من خالفهم فى محبتهم للحمية والغضب لمن أحبه (والتشيع) تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب أيضا وضمنه معنى الانفصال لقوله (من أمة) أى فارقوا أمة خالفوهم وصاروا (فى آخرين) أى فى قوم آخرين وفى نسخة أخرى أى أمة أخرى والشيعة من المشايعة وهى المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضى الله تعالى عنه كما مر ويأتى (ما يؤدى) أى يوصل يقال اداه الى كذا أى أوصله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ أى يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعوله وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثانى أقرب (الى الجلاء) بفتح الجيم واللام والمد الخروج (عن الاوطان) أى المساكن والبلاد والاهل (وهتك الحرم) بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل ما يصان ويمنع ولذا قيل للنساء حرم أى افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم صيانته (واخترام) بخاء معجمة ومثناة وراء مهملة (النفوس) أى الذوات أو الارواح أى اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية كانها قطعت عمره وكل ما استأصل شيأ اخترمه وفى نسخة القلوب والاول أحسن فترى المرء يحب هؤلاء وان لم يرهم فحبهم يحمله على ما ذكر ثم ذكر سببا ثالثا للمحبة فقال (أو يكون حبه اياه) وميل نفسه وطبعه اليه (لموافقته له) أى لملائمته وموافقة طبعه (من جهة احسانه اليه) أى انعامه وبذله وجوده وفى نسخة له أى لاجل ذلك فقوله (وانعامه عليه) عطف تفسير (فقد جبلت النفوس) بالبناء للمفعول أى جعلت مطبوعة ومخلوقة (على حب من أحسن اليها) كما جبلت على بغض من أساء اليها وقيل ان هذا من ألفاظ النبوة

(فاذا تقرر لك هذا) أى ثبت عندك هذا الكلام (نظرت) أى رأيت (هذه الاسباب) أى أسباب المحبة من الجمال الصورى والكمال المعنوى والاحسان الوفى (كلها) أى جميعها موجودة ثابتة (فى حقه عليه الصلاة والسلام فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة) أى ٣٧٤ على وجه التمام (اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منهما) أى من الشمائل الدالة عليهما والفضائل المشيرة اليهما (قبل) أى قبل هذا الباب فيما سبق من الكتاب (مالا يحتاج الى زيادة) أى وكثرة اطناب (واما احسانه) أى الدنيوى الصورى (وانعامه) أى الدينى والاخروى (على أمته) أى اتباع ملته (فكذلك قد مر) ويروى مضى (منه) أى بعضه (فى أوصاف الله تعالى) أى فيما أعطاه الله تعالى (له) وأثنى عليه من الصفات الجميلة والنعوت الجليلة (من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته) أى وخوفه (عليهم واستنقاذهم) أى استخلاصهم (به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) أى بحسب مراتب ايمانهم ومناقب اذعانهم (ورحمة للعالمين) أى بجميع أعيانهم (ومبشرا) بالنصب على الحكاية أو التقدير كان مبشر المؤمنين المطيعين بالجنة (ونذيرا) أى مخوفا للعاصين بالعقوبة (وداعيا الى الله) أى الى محل قربه (باذنه) أى بتيسيره وتوفيقه (ويتلو عليهم آياته) أى آيات القرآن المشتملة على معجزاته (ويزكيهم) أى يطهرهم بنصائح بيناته (ويعلمهم الكتاب) أى أحكامه الخفية (والحكمة) أى السنة الجلية (ويهديهم الى صراط مستقيم) أى طريق قويم ودين قديم (فاى احسان أجل قدرا وأعظم خطرا) أى أمرا

ولم أره بعينه حديثا الا انه ورد بمعناه فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبى فاشار الى ان حب المحسن اضطرارى وفى الاحياء ان المحبة قد تكون لغيرهذا من الالف الروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه أيضا فى ائتلاف القلوب أمر غامض لا يطلع عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه الشئ منجذب اليه وفى الحديث الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقول المنجمين انه دائر على الطالع ومقابله لا أصل له وورد فى حديث رواه فى الفردوس لو ان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل مجلسا فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى جلس اليه فما ذكره هو الاغلب المعروف (فاذا تقرر) أى ثبت وتحقق (لك هذا) المذكور من أسباب المحبة (نظرت لهذه الاسباب كلها) أى عرفتها بنظر سديد وكلها تأكيد للاسباب أو مبتدأ خبره (فى حقه) أى موجودة فى حقه وشانه مقررة محققة (فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة) بمقتضى العقل والشرع والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله (اما جمال الصورة) وهو السبب الاول وهو حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه (والظاهر) عطف تفسير للصورة (وكمال الاخلاق) أى كونها فى غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم وهذا ليس من الحسن الظاهرى بل حسن باطنى كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله (والباطن) عطف تفسير له (فقد قررنا) أى بينا فى هذا الكتاب سابقا (منها قبل) مبنى على الضم (فيما مر أول الكتاب مالا يحتاج الى زيادة) فيه هنا (واما احسانه) صلى الله عليه وسلم وهذا هو السبب الثانى (وانعامه على أمته) يعنى أمة الاجابة (فكذلك) أى مثل ما قبله فى عدم احتياجه للبيان هنا لانه (قد مر منه) اشارة الى ان ما ذكر بعض منه لا يمكن استيفاؤه وعلى تفنن مادحيه ووصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف (فى أوصاف الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة أو توصيف ثم بينه بقوله (من رأفته بهم) أى شفقته ولطفه بهم كما مر (ورحمته لهم) أى انعامه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وكرمه وهدايته (اياهم) أى من احسانه انه هداهم الى سعادة الدارين وأى احسان أعظم من هذا (وشفقته) أى حنوه (عليهم) ومرحمته لهم (واستنقاذهم) أى تخليص الله هذه الامة (به) أى بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ بعثه اليهم (من النار) وعذاب جهنم اذ هداهم لطريق النجاة منها (وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) كما فى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم كما مر مع تفسيره (و) انه (رحمة للعالمين) فهو مرفوع وضبط فى بعض النسخ منصوبا أى كونه رحمة ويؤيد ذلك قوله (ومبشرا) بكل خير (ونذيرا) مخوفا لهم ليرتدعوا عما يضرهم (وداعيا الى الله) ودينه الحق (باذنه) فى الدعوة أو بارادته كما مر (وسراجا منيرا) منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال (ويتلو عليهم آياته) المرشدة لهم فيقرأ عليهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن العظيم (والحكمة) وما يكملهم من المعارف والاحكام (ويهديهم الى صراط مستقيم) يدلهم على الطريق الموصل الى الله تعالى بلطفه وهذا مما وصفه الله به فى كتابه العزيز (فاى احسان) أى للتعظيم والتفخيم كما يقال عندى رجل أى رجل أى كامل الرجولية (أجل قدرا) وارفع رتبة (وأعظم خطرا) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أى قدرا أو شرفا

(من احسانه) عليه الصلاة والسلام (الى جميع المؤمنين) أى خصوصا (وأى افضال) أى اكرام واقبال (أعم منفعة وأكثر فائدة) أى أتم نتيجة (من انعامه على كافة المسلمين) أى جميع المنقادين ولو من أهل الذمة والمنافقين (اذكان) أى النبى عليه الصلاة والسلام (ذريعتهم) أى وسيلة أهل الاسلام (الى الهداية) أى هدايتهم الى سبل السلام ودلالتهم الى مقام الكرام (ومنقذهم من العماية) بفتح العين أى ومخلصهم من الغواية ومنجيهم من الضلالة الى الهداية (وداعيهم الى الفلاح) أى الفوز والنجاح (والكرامة) أى بحملهم على الصلاح (ووسيلتهم الى ربهم) أى الى تقربهم اليه (وشفيعهم) أى لديه (والمتكلم عنهم) أى فى الزام الحجة بما يأتى عليه (والشاهد لهم) أى مزكيهم بالخير (الموجب) أى الغالب وفى نسخة المحب (لهم البقاء الدائم) أى الى الابد (والنعيم السرمد) أى المستمر الذى لانهاية له ولاغاية (فقد استبان) أى ظهر (لك انه عليه الصلاة والسلام مستوجب) أى مستحق (للمحبة الحقيقة) أى والمودة العرفية (شرعا وطبعا بما قدمناه) ويروى لما (من صحيح الآثار) أى وصريح الاخبار المنقولة عن المشايخ الاخيار والعلماء الاحبار (وعادة) أى رسوما عادية (وجبلة) أى خلقة طبيعية (بما ذكرناه) أى من ان جميع ما يصل الينا من نعم الدارين فهو من فيض انعامه علينا (آنفا) أى زمانا قريبا وهو بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما فى السبعة (لافاضة الاحسان) أى على جميع افراد الانسان (وعمومه الاجمال) أى المعاملة بالجميل فى جميع الاوقات والاحوال (فاذا كان الانسان) أى بطبعه (يحب من منحه) أى أعطاه عطية من ابن أو غيره من هدية

تغاير بينهما اتفقنا (من احسانه) أى احسان هذا النبى الكريم على أمته فكيف لايحسن (الى جميع المؤمنين) خصهم لانهم هم المنتفعون به ولا فاحسانه عام (وأى افضال) بمعنى احسان وتفضل (أعم منفعة وأكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين) أى جميعهم وقد قيل كما مر ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف ذلك خطأ وان وقع فى عباراتهم كما فى درة الغواص وقد أجبنا عنه فى شرح تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه (اذ) تعليلية أى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان ذريعتهم) أى وسيلتهم وسبب موصل لهم (الى الهداية) أى ما يخلصهم وينجيهم وأصل الذريعة سترة يتخذها الصائد ليفوز بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان (ومنقذهم) مخلصهم (من العماية) بفتح العين وهى الغواية والجهالة ٢ (وداعيهم الى الفلاح) أى الفوز والظفر بسعادة الدارين (و) الى (الكرامة) أى الاكرام بنيل الخير (ووسيلتهم الى ربهم) أى موصلهم ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده (وشفيعهم) فى الدنيا والآخرة (والمتكلم عنهم) عند الله ببيان اعذارهم وهم أحوج ما يكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتكلم (والشاهد لهم) بانهم آمنوا وصدقوا يوم القيامة حين يشهدون للانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم قد بلغوا قومهم فيزكيهم كما تقدم (والموجب لهم) أى الذى يحقق لهم (البقاء الدائم) بالخلود فى الجنة وليس المراد الوجوب الشرعى لانه لا يجب على الله شئ (والنعيم) فى الجنة (السرمد) أى الدائم الذى لا ينقطع ولولاه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن شئ من ذلك (فقد استبان لك) بما ذكر أى ظهر واتضح (انه عليه الصلاة والسلام مستوجب) أى مستحق (للمحبة الحقيقة) لان أسبابها متوفرة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم على أكمل وجه لا يتيسر لغيره (شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار) الموجبة له مزيد شرف وحسن ترف وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مأمورون بمحبته واتباعه بامر من الله له (وعادة) معطوف على قوله شرعا أى ما اعتاده الناس فى كل عصر من محبة من حاز الكمال كله (وجبلة) لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله تعالى عليه وسلم والنفوس مجبولة على حب من أحسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين المجبولين الاولين (بما ذكرناه) متعلق باستبان (آنفا) بالمد أى قريبا وهو منصوب على الظرفية من أنف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة (لافاضته) أى اعطائه من بحر كرمه (الاحسان) بكل خير دنيوى وأخروى (وعموم الاجمال) أى تعميم الجميل منه لكل أحد وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله (فاذا كان الانسان يحب من منحه) أى أعطاه والمنحة العطية

(٢) قوله لانها تطلق فى مقابلتها كما قال تعالى وأما ثمود فهديناهم وسئل بعض الفضلاء عن وجه تخصيص ثمود بالهداية دون غيرهم فاجيب بانهم خصوا بذلك لانهم طلبوا آية يكون بها اهتداؤهم فهدوا بها فتعرضوا اليها بالاتلاف فاستحبوا بذلك العمى على الهدى المطلوب لهم واستحباب العمى لهم بالتقدير الالهى من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا نسخه

(فى دنياه مرة أو مرتين) أى ولو على وصف القلة (معروفا) أى ما عرف حسنه شرعا وطبعا فى الحديث أهل المعروف فى الدنيا أهل المعروف فى العقبى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأتى أصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم فيعطونها لمن زادت سيآته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان فى الدنيا والآخرة (أو استنقذه) أى استخلصه وفى نسخة أنقذه أى أنجاه وأخلصه (من هلكة) بفتحتين كان الاولى ان يقال من مهلكة (أو مضرة) أى مما فيه هلاك نفس أوضر رمال أوتلف حال أونقصان جاه (مدة) أى من الزمان قليلة أو كثيرة (التاذى بها) أى بالمضرة وكذا بالهلكة (قليل) أى أيامه (منقطع) أى زائل دوامه (فمن منحه) أى أعطى الانسان (مالا يبيد) أى مالا ينفد ولا ينقص (من النعيم) أى المقيم بجنة طيبة وحالة حسنة ويروى من النعم (ووقاه) أى حفظه وحماه (من عذاب الجحيم) وكذا من الماء الحميم (أولى بالحب) أى بالمحبة من غيره وفى نسخة وهى أصل الدلجى فهو أى فهذا المانع الكامل والباعث الكافل أولى ما يحب بصيغة المجهول والظاهر انه تصحيف (واذا كان يحب) بصيغة المجهول (بالطبع) أى من غير اختيار الطبيعة بل بحكم أصل الجبلة (ملك) أى من الملوك ولو لم يره ولم يحصل له بره وهو نائب فاعل يحب (لحسن سيرته) أى معاملته فى رعيته (أو حاكم) أى أميرأو وزير يحب (لما يؤثر) أى يروى ويخبر (عنه من قوام طريقته) بكسر القاف أى من اعتدال سيرته ونظام عدله فى حكومته (أو قاض) بمعجمة قال الدلجى أو مهملة أى مشددة أى واعظ ويروى يحب مبنيا للفاعل فتنصب الثلاثة بعده (بعيد الدار) أى عن من يحبه بالطبع (لما يشاد) بصيغة المجهول من اشاد البناء اذا رفعه أى يشاع ويذاع ويروى لما فشا أى ظهر وانتشر (من علمه) أى المقرون بعمله (أو كرم شيمته) أى حسن خلقه مع رعيته (فمن جمع هذه الخصال) أى وبل زاد من هذه الاحوال (على غاية مراتب الكمال) جملة فى محل نصب على الحال أى مجموعة وليست فى بعض النسخ موجودة والمعنى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم (أحق بالحب وأولى بالميل) أى اليه (وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى صفته عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة) أى فى أول وهلة (هابه) أى توقيرا وتعظيما واجلالا

(فى دنياه) أى فى حياته فى الدنيا (مرة أو مرتين معروفا) أى شيأ حسنا كما مر تفسيره (أو استنقذه) ونجاه (من هلكة) بفتح الهاء واللام أمر مهلك (أو مضرة) أمر يضره ويؤذيه بفتح الميم والضاد (مدة التأذى بها) أى بالمضرة (قليل منقطع) أى زائل فى زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان أولانه فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة للتأذى أو منون منصوب والتاذى مبتدأ خبره قليل وعلى الاول المبتدأ مدة (فمن منحه مالا يبيد) بمثناة تحتية مفتوحة وموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة أى يذهب وينفد (من النعيم) المخلد فى الجنة وهذه النسخة أولى مما وقع فى بعض النسخ من النعم جمع نعمة للسجع فى الاولى (ووقاه) بالتشديد والتخفيف أى صانه وحماه (مالا يفنى من عذاب الجحيم) أى النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله (أولى ما يحب) بالبناء للمفعول وفى نسخة أولى بالحب وأولى أفعل تفضيل بمعنى أحق وهو خبر من أى أحق من كل شئ يحب من نفسه وماله وأهله (واذا كان يحب) مبنى للمجهول أيضا (بالطبع) متعلق بيحب وخص هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل والعادة لا تخالفا (ملك) بكسر اللام نائب فاعل يحب فهو مرفوع وكذا ما بعده وفى نسخة نصب الجميع ويحب مبنى للفاعل (لحسن سيرته) بعدله فى رعيته (أو حاكم) غير ملك كامير (لما يؤثر) أى ينقل عنه وهو مجهول أيضا (من قوام طريقته) أى حسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحها بمعنى الاعتدال قال تعالى وكان بين ذلك قواما أى معتدلا (أو قاض) بضاد معجمة أى حاكم الشرع اذا سمع بعدله وهو (بعيد الدار) عنه ويروى بصاد مهملة فبعيد تفسيراه (لما يشاد) مبنى للمجهول أى لاجل ما يشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو مستعار من شاد البناء بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه قصر مشيد وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذت علت وفى نسخة لما فشا بالفاء والشين المعجمة أى ظهر وانتشر (من علمه أو كرم شيمته) اى سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهمال قاض واذا كان يحب من فيه بعض هذه الخصال (فمن جمع هذه الخصال) كلها وحواها وكل منها فيه مستمر (على غاية مراتب الكمال) بحيث لا يشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيرى

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

(أحق بالحب) مما عداه (وأولى بالميل) اليه واعلم انه انما ذكر من قوله فقد استبان لك الى آخره لدفع شبهة لمن لا بصيرة له وهى ان هذه الامور انما تتحقق فيه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من رآه وشاهده منه لانها المؤثرة فى الطباع بان وصول نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لتواترها وبقاء آثارها كمحسوس المشاهد (وقد قال على رضى الله عنه) فى حديث الحلية السابق ذكره (من رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (بديهة) أى أبصره فى أول رؤيته (هابه) توقيرا

واجلالا لما يرى من نور نبوته (ومن خالطه) أى صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وعاشره (معرفة أحبه) أى بعد ما عرف فضائله وفواضله وشاهد شمائله لابد ان يحبه (وذكرناه) فى فضل ثواب محبته (عن بعض الصحابة) وهو ثوبان كما تقدم (انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم)

﴿فصل فى وجوب مناصحته﴾ النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه ولسانه وانما قاله بصيغة المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر مقرر لكل احد فاذا نصحه أحد من أمته تحققت المناصحة من الجانبين وأخر هذا الفصل عن المحبة لانها تترتب عليها واعلم انه يأتى ان أصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب ثم استعمل فى ضد الغش والاخلاص أى التوبة النصوح (قال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) أى اثم بضيق اذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع لهم (اذا نصحوا لله ورسوله) الى آخره أى اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا ما استطاعوا واخلصوا العمل من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فقال ان بالمدينة ناسا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض شركوكم فى الاجر ففى الآية دليل على وجوب النصح لله ورسوله كما أشرنا اليه (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين فى ذلك (والله غفور رحيم) لهم أو للمسىء فكيف المحسن (قال أهل التفسير) فى بيان معنى الآية اجمالا (اذا نصحوا لله ورسوله) معناه (اذا كانوا مخلصين) فى أقوالهم وافعالهم (مسلمين) منقادين مطيعين حال لازمة (فى السر) أى فيما فى باطنهم مما اسروه (والعلانية) ظاهر حالهم المطابق لما فى ضمائرهم والعلن والعلانية بتخفيف الياء مصدر الجهر والاظهار فالنصح هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه أبو داود كما رواه مسلم فقال (حدثنا أبو الوليد) شيخ المصنف رحمه الله تعالى (بقراءتى عليه) قال (حدثنا حسين بن محمد) هو أبو على الغسانى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا يوسف بن عبد الله) وحافظ الاسلام بن عبد البر وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو بكر بن التمار) قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن قال (حدثنا أحمد بن يونس) أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعى الكوفى الحافظ الثقة المتقن المتفنن روى عنه الستة توفى سنة سبع وعشرين ومائتين قال (حدثنا زهير) بن محمد المروزى نزيل الشام الثقة توفى سنة اثنين وستين ومائة أخرج له الستة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا سهيل ابن أبى صالح) تقدمت ترجمته (عن عطاء بن يزيد) الليثى الثقة التابعى توفى سنة سبع أو خمس ومائة وأخرج له الستة

(ومن خالطه معرفة) تمييز أى علما بكريم خصاله وعميم فعاله (أحبه) أى حبا عظيما بجماله وكماله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله

﴿فصل﴾ (فى وجوب مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبول نصحه وخلوص النصح له (قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) أى ليس على الفقراء اثم فى ترك الغزاة كمزينة وجهينة وبنى عذرة (اذا نصحوا لله ورسوله) أى اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما سرا وعلانية فى امرهما (ما على المحسنين من سبيل) أى طريق معاقبة ولا معاتبة لاحسانهم فى ايمانهم كما يشير اليه وضع الظاهر موضع المضمر والاظهار ان وجه العدول عن الضمير افاد المعنى الاعم والايماء الى ان هذا الحكم ان دام على هذا الوصف واستحكم والله تعالى اعلم (والله غفور) لهم ولغيرهم (رحيم) بهم وباعمالهم (قال أهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله) أى معناه (اذا كانوا مخلصين) أى فى أفعالهم وأقوالهم (مسلمين فى السر والعلانية) أى منقادين فى جميع أحوالهم (حدثنا القاضى) وفى نسخة صحيحة الفقيه (أبو الوليد بقراءتى عليه ثنا) أى حدثنا (حسين بن محمد) الظاهر انه أبو على الغسانى على ما ذكره الحلبى (ثنا) أى حدثنا (يوسف بن عبد الله) وهو حافظ الغرب أبو عمر ابن عبد البر (ثنا عبد المؤمن) وفى نسخة ابن عبد المؤمن (ثنا أبو بكر التمارى) بتشديد الميم (ثنا أبو داود) أى صاحب السنن (ثنا أحمد بن يونس) وهو أبو عبد الله اليربوعى الحافظ الكوفى يروى عن الثورى وجماعة وعنه الشيخان وطائفة قال أحمد بن حنبل لرجل أخرج الى أحمد بن يونس فانه شيخ الاسلام أخرج له أصحاب الكتب الستة قال أبو حاتم كان ثقة متقنا كذا حققه الحلبى وفى نسخة أحمد بن يوسف والظاهر انه تصحيف (ثنا زهير) بالتصغير وهو ابن محمد التيمى المروزى أخرج له الائمة الستة (ثنا سهيل ابن أبى صالح عن عطاء بن يزيد) أى الليثى أخرج له أصحاب الكتب الستة

(عن تميم الداري) نسبة الى جده الدار ويقال له الديري أيضا نسبة الى دير كان يتعبد فيه قبل الاسلام أسلم سنة تسع من الهجرة وكان نصرانيا قبل ذلك وتوفي سنة أربعين ومن مناقبه الفخام انه عليه الصلاة والسلام روى عنه حديث الجساسة على المنبر كما في آخر صحيح مسلم وفيها رواية الفاضل عن المفضول والتابع عن المتبوع وقبول خبر الواحد وذكر الدارقطني انه روى عن الشيخين وروى أيضا عن محرز كما في الصحيح وعن امرأة لا استحضر الآن اسمها كما في المسند (قال) أي الداري (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) أي ثلاث مرات للمبالغة وقد ساق المصنف هذا الحديث بسند أبي داود وقد أخرجه أبو داود في الادب ولفظه الدين النصيحة من غير تكرار وأخرجه مسلم في الايمان بنحوه وليس فيه تكرار ان الدين النصيحة ثلاثا بل مرة واحدة ولفظه الدين النصيحة بغير ان وأخرجه النسائي في البيعة ولفظه في الطريق الاولى ان الدين النصيحة مرة وفي نسخة انما الدين النصيحة مرة (قالوا) أي بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم (لمن) أي النصيحة لمن (يا رسول الله قال لله ولكتابه) كما في الاصول (ولرسوله ولأئمة المسلمين) ويروى ولأئمة المسلمين (وعامتهم) أي جميع افراد جماعتهم (قال أئمتنا) أي من المالكية ذكره الدلجي والظاهر أي علماؤنا ومشايخنا اذ لا خلاف في هذه المسئلة وهي قوله (النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة) أي فرض عين على كل احد وفي شرح مسلم للنووي عن بعضهم انها فرض كفاية يسقط بقيام بعض عن الباقين انتهى ولعله محمول على تفاصيل ما يتعلق بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله بان يقوموا بجميع الامور الشرعية والاحكام الفرعية ومن جملتها علم التفسير والحديث والفقه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيله وهذا لا ينافي قول الجمهور حيث أرادوا وجوب النصيحة الاجمالية الموجبة للطاعة التفصيلية هذا وليس قوله ولكتابه من عبارة المصنف ولعله سبق قلم (قال الامام أبو سليمان البستي) بضم موحدة وسكون سين ففوقية بلد بسجستان والمراد به الخطابي (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين بدون اضافة ذكره الدلجي ويجوز الاضافة كما في كثير من النسخ وعلى الاول تقديره هي (ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) أي عن تلك الجملة بكلمة (واحدة) أي غيرها بصيغة (تحصرها) أي تجمع معناها وتحصرها

(عن تميم الداري) وهو تميم بن أوس بن خارجة اللخمي المكنى بأبي رقية وهي ابنة له لم يولد له غيرها والداري نسبة لجده الدار بن هانئ أو لدارين اسم مكان ويقال الديري لدير كان يتعبد فيه وقيل انه اسم قبيلة وهو بعيد كما في المطالع وكان نصرانيا أسلم سنة تسع من الهجرة وتوفي سنة أربعين وروى عنه في السنن ومسند أحمد وقصته في الجساسة مشهورة (قال) تميم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض ولذا عدل المصنف رحمه الله تعالى عن رواية مسلم مع ان كتابه أصح الكتب عند علماء المغرب وما قيل انها مكررة في هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه أمر سهل وسؤال ساقط والدين ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفي رواية انما الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر (قالوا) أي الصحابة الحاضرون عنده (لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه) بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه (ولرسوله) بالايمان به واتباعه وطاعته (ولأئمة المسلمين) الخلفاء والسلاطين والحكام (وعامتهم) ان أريد العوام فظاهر وان أريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسيأتي بيانه (قال أئمتنا) المراد بهم علماء الاسلام أو أئمة مذهبه (النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة) أي فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية فان خشي اذى فهو في سعة من الترك (قال الامام أبو سليمان البستي) بضم الموحدة وسين مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة بلدة بسجستان وهو أبو سليمان بن محمد بن ابراهيم بن خطاب المعروف بالخطابي الامام المشهور واختلف في اسمه فقيل أحمد وقيل حمد توفي ببست في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين فقوله (ارادة الخير) بدل منه أو مرفوع أو منصوب على هذا ولا مانع من الاضافة (للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) أي عن جملة (بكلمة واحدة تحصرها) أي تجمع جميع معانيها قيل تقديره غيرها أي غير هذه الكلمة وهي النصيحة ومادتها كالنصح والنصاحة وفي كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد المنصوح للخير وأيضا في تركيبه شئ لان اسم ليس الظاهر انه ان يعبر وجملة يمكن خبره فيتعين تأخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل ومراده ان هذه من أوجز الاسماء وأخصرها لدلالتها على معان بمفردها ولذا قيل في كلمة لفظ الفلاح انه ليس في كلام العرب كلمة اجمع لخيري الدنيا والآخرة منها ثم اشار الى أصل معناها لغة بعد

مابين حاصل معناه في عرف اللغة والشرع بقوله (ومعناها في اللغة) أي في عرف أهل اللغة (الاخلاص) أي لنفسه وغيره (من قولهم نصحت العسل اذا خلصته) وصفيته (من شمعه) بسكون الميم وفتحها مضاف لضمير العسل فهي فعيلة بمعنى فاعلة أو مفعولة لانها خلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه (وقال أبو بكر ابن أبي اسحق الخفاف) وهو امام من أئمة اللغة ترجمته مذكورة في التاريخ وفي نسخة ابن اسحق وهو أبو بكر أحمد بن عمر بن يوسف الشافعي وهو صاحب كتاب الخصال في مذهب الشافعية كما قاله الرافعي (النصح فعل الشئ الذي به الصلاح) لنفسه وغيره وأراد بالفعل ما يشمل القول (والملاءمة) بضم الميم ومد الهمزة من لاءمت بينهم اذا وفقت وتلاءموا والتأموا بمعنى وقد تبدل همزته ياء (ماخوذة) أي مشتقة اشتقاقا وكثيرا ما يعبر عنه بالاخذ ويقولون دائرة الاخذ أوسع من دائرة الاشتقاق (من النصاح) بكسر النون وتخفيف الصاد (وهو الخيط الذي يخاط به الثوب) فالتئام اجزائه فالنصيحة على هذا مأخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله من الخفاف فانه في أكثر كتب اللغة (وقال أبو اسحق الزجاج) امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ أبو علي الفارسي وهو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفي في جمادى الآخرة من سنة احدى عشر وثلثمائة وقد ناف على الثمانين (نحوه) أي قريبا مما قاله الخطابي معنى ثم فرع على ما بينه من معناه لغة وعرفا بيان اقسامه فقال (فنصيحة الله) معناها والمراد بها (صحة الاعتقاد) أي اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام في قوله (له) وذلك بتخصيصه (بالوحدانية) أي بانه واحد أحد لا شريك له في الالوهية ولا يشاركه أحد في ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد وزيدت فيه الالف والنون على خلاف القياس قال الكرماني (ووصفه بما هو أهله) أي بما يستحقه ويليق به كما يقال هو أهل للحمد وهو أهله ومحله وهو مجاز مأثور مشهور (وتنزيهه عما لا يجوز عليه) في كل ما يوهم نقصا (والرغبة في محابه) بفتح الميم جمع محب اسم مفعول أحب بمعنى محبوب أي يرغب في كل ما يحبه ويرضاه (والبعد عن مساخطه) بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول أي كل ما يسخط الله ويورث غضبه من المعاصي وقيل هما جمع محبوب ومسخوط والاصل محابيب ومساخيط (والاخلاص في عبادته) فيعبده امتثالا لامره من غير رياء ولا ارادة أمر آخر ولا تضره العبادة رجاء جنته وخوف ناره وان قال الرازي انه الاخلاص نعم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه في محل آخر فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى ليس له ناصح ولا يتصور في حقه فاذا حملت على هذا (والنصيحة لكتابه) معناها (الايمان به) أي بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصدق بذلك تصديقا لا ريب فيه (والعمل بما فيه) باتباع أوامره ونواهيه وتسليم متشابهه والايمان به (وتحسين تلاوته) بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من حاق مخرجها من غير تكلف وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تغن وزيادة مد وقد قال القراء ان تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا أو صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقهاء والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم (والتخشع عنده) أي عند تلاوته وسماعه فينبغي له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا

(ومعناها) أي النصيحة (في اللغة) أي لسان العرب (الاخلاص) فهي النصيحة الحالة الخالصة مأخوذة (من قولهم) أي استعمال العرب في محاوراتهم (نصحت العسل اذا خلصته) الخطاب وهو بتشديد اللام أي ميزته بمارا لمغة (من شمعه) بفتح الميم وبسكون أي مومه في القاموس الشمع محركة وتسكين الميم مولد وهو الذي يستصبح به أو موم العسل الواحدة بهاء (وقال أبو بكر بن اسحق الخفاف) بتشديد الفاء الاولى (النصح) بضم النون (فعل الشئ الذي به الصلاح والملاءمة) أي المناسبة والمرابطة وقد تخفف الهمزة ياء فيقال الملايمة وهي الموافقة بين الاشياء (ماخوذ من النصاح) بكسر النون (وهو الخيط الذي يخاط به الثوب) أي يلائم بين اجزائه ويصلح للمرء ان يلبسه على أعضائه (وقال أبو اسحق الزجاج نحوه) أي قريبا من معناه وفي الجملة من هذه المادة قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا أي خالصة صالحة بان تكون كاملة شاملة (فنصيحة الله تعالى) أي نصيحة العبد له سبحانه وتعالى (الاعتقاد له بالوحدانية) أي في الالوهية والربوبية (ووصفه بما هو أهله) أي من الصفات الثبوتية من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام ونحوها (وتنزيهه) أي تبعيده (عما لا يجوز) أي اطلاقه (عليه) من النعوت السلبية فانه ليس بجوهر ولا عرض ولا في مكان وغيرها (والرغبة في محابه) بتشديد الموحدة أي الميل في كل ما يحبه لتحصيل رضاه (والبعد من) وفي نسخة عن (مساخطه) أي والتبعد عن جميع ما يكرهه وينهاه (والاخلاص في عبادته) أي فيما يأمره الله من أمور دنياه وعقباه وما ذكره وفي الحقيقة راجع الى العبد في نصحه لنفسه لانه تعالى غني عنه وعن عمله (والنصيحة لكتابه الايمان به) أي أولا (والعمل بما فيه) ثانيا سواء كان عالما به أو جاهلا (وتحسين تلاوته) أي وتزيين قراءته (والتخشع عنده) أي لاظهار الخشوع واكثار الخضوع في حضرته

(والتعظيم له) أي لكتابه بادب يقتضي اجلاله (وبوصف يوجب اكماله والتفقه فيه) أي طلب الفهم لمبانيه والعلم بمعانيه (والذب عنه) أي الدفع عما لا يليق به وينافيه (من تاويل الغالين) بالغين المعجمة من الغلو أي المجاوزين عن الحد كالمعتزلة واضرابهم (وطعن الملحدين) أي من الزنادقة وأصحابهم (والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته) أي أولا (وبذل الطاعة له) أي الانقياد لحكمه (فيما أمر به ونهى عنه قاله) أي جميع ما يتعلق بالنصيحة أو ما خص به الرسول وهو أقرب والى ما بعده أنسب (أبو سليمان) وهو الخطابي (وقال أبو بكر) أي الخفاف وقيل المراد به أبو بكر الآجري (موازرته) أي النصيحة لرسوله هي معاونته ومعاضدته في دينه وملته (ونصرته) أي اعانته على أعدائه وأهل محاربته (وحمايته) أي المدافعة عنه وممانعة من أراد نوعا من اساءته (حيا وميتا) أي في حال حياته ومماته (واحياء سنته بالطلب) أي بالعمل بها (والذب عنها) أي وبالدفع لمن يلحد أو يزيغ عنها (ونشرها) أي اظهارها للتمسك بها (والتخلق باخلاقه الكريمة) أي الاتصاف بمحاسن شمائله وميامن فضائله الجزيلة (وآدابه الجميلة وقال أبو ابراهيم اسحق التجيبي) بضم الفوقية وتفتح وكسر الجيم فتحتية فموحدة فياء نسبة كما مر (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به) أي مجملا أو مفصلا (والاعتصام بسنته) أي باحاديثه علما وعملا (ونشرها) أي للخلق كملا (والحض) أي الحث والتحريض (عليها) أي لمن يعمل بها جلا (والدعوة) أي دعوة الخلق (الى الله) أي دينه مجملا (والى كتابه) أولا (والى رسوله) ثانيا (واليها) أي والى السنة (والى العمل بها) آخرا (وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب) أي من الواجبات المؤكدة عليها (اعتقاد النصيحة) وهي ارادة الخير (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لطريقته وأهل ملته (وقال أبو بكر الآجري) بمد همزة وضم جيم وتشديد راء وهو صاحب كتاب الشريعة

كبعض العوام كما قيل ان لم تكن باكيا فكن متباكي بضمير عنده للكتاب وقيل انه لتحسين التلاوة والاول أولى وأفيد وفي التخشع ما يفيد انه لا ينبغي الصياح واظهار الوجد ما لم يكن عن حال سلب اختياره (والتعظيم له) بان لا يقرأه محدثا وان لا يمد رجليه حال تلاوته ولا يجلس لها في محل قذر ولذا كرهت القراءة في الحمام وعلى الطرقات والاسواق (وتفهمه) أي تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر (والتفقه فيه) أي فهم معانيه أو النظر في أحكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه ونصائحه وأمثاله (والذب عنه) بمعجمة وموحدة أي زجر من طعن فيه من الملحدين (من تاويل الغالين وطعن الملحدين) في تاويله بما لا يليق به من الغلو وهو تجاوز الحد واتباعه ومستمعه آداب كثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن فعليك به (والنصيحة لرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (التصديق بنبوته) ورسالته الى الناس كافة والى غير ذلك من الملائكة والجن (وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه) لان طاعته واجبة وهي طاعة الله كما مر (كما قاله أبو سليمان) هو الخطابي الذي تقدم بيانه (وقال أبو بكر) هو ابن أبي اسحق الخفاف الذي مر ذكره وهو الظاهر الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الآجري الآتي قريبا (وموازرته) بواو مفتوحة أو همزة من الازر وهو القوة أو من الوزر وهو الملجأ أي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر أو على ما قبله عطف تلقين (ونصرته) أي اعانته على أعدائه أو نصرة دينه واعلاء كلمته (وحمايته) أي دفع السوء عنه (حيا) بالمجاهدة معه وخدمته (وميتا) بتقوية دينه وتاييد شريعته وهو راجع لكل ما قبله (واحياء سنته) أي هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية (بالطلب) لها بان يسئل عنها ويجتهد في معرفتها (والذب عنها) أي دفع الشبه عنها والتاويلات الفارغة (ونشرها) أي اظهارها واشاعتها وتعليمها من انتشر الحديث اذا شاع (والتخلق باخلاقه) أي الاتصاف بمثل صفاته المأثورة عنه وان لم يكن مساواته ان التشبه بالكرام فلاح (الكريمة) أي المكرمة الممجدة (وآدابه الجميلة) التي فيها جمال ومدح لمن اتصف بها (وقال أبو ابراهيم اسحق التجيبي) تقدم بيانه وانه بفتح التاء وضمها وانه المعروف باوراق (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) معناها (التصديق بما جاء به) أي الايمان بكل ما جاء به عن الله (والاعتصام بسنته) أي التمسك بها (ونشرها والحض عليها) أي حث الناس وتحريضهم على اتباعها (والدعوة الى الله) أي الى الايمان به وتوحيده (والى كتابه) القرآن بالايمان به والعمل بما فيه (والى رسوله) بالايمان به واتباعه (واليها) أي الدعوة الى سنته (والى العمل بها) كما مر (وقال أحمد بن محمد) هو الامام المشهور أحمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا ما وعدناك به من نسبته الى أبيه محمد (من مفروضات القلوب) أي مما فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به (اعتقاد) وجوب (النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) بالمعنى المتقدم (وقال أبو بكر الآجري) الحافظ

وقد

(وغيره) أى من علماء الامة (النصح له يقتضى نصحين) أى باختلاف حالاته (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح أصحابه له بالنصر) أى المعاونة (والمحاماة) أى المدافعة (عنه) أى عن ذاته (ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له) أى بالقبول والانقياد لامره ونهيه (وبذل النفوس والاموال دونه) أى عنده فى حمايته ورعاية لاحواله (كما قال تعالى) فى حقهم (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى من الثبات معه حال بلائه ورخائه ووقت قتاله مع اعدائه (الآية) أى فمنهم من قضى نحبه أى نذره وعهده ومنهم من ينتظر أى وعده وما بدلوا تبديلا أى غيروا وتحويلا وهم الانصار (وقال) أى فى حقهم أيضا (وينصرون الله) أى دينه (ورسوله الآية) أى أولئك هم الصادقون وهم المهاجرون (واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال) أى ملازمة التعظيم والتكريم (وشدة المحبة له) أى بكثرة الرغبة اليه والانقياد الطاعة لديه (والمثابرة) أى المواظبة والمداومة (على تعلم سنته) وفى نسخة على تعليم سنته (والتفقه) بالرفع أو الجر أى التفهم (فى شريعته ومحبة آل بيته) أى أقاربه وعترته (وأصحابه) أى وجميع صحابته وأهل عشرته (ومجانبة من رغب عن سنته) أى مباعدة من مال عن طريقته وأعرض عن متابعة شريعته وحقيقته (وانحرف عنها) أى انصرف عن ملته بكليته وجملته (وبغضه) بالرفع أى عداوته (والتحذير منه) أى من صحبته والشفقة أى المرحمة (على امته والبحث عن تعرف اخلاقه) أى تعلم شمائله وتفهم فضائله (وسيره وآدابه والصبر على ذلك) أى ماذكر من أقواله وأفعاله وأحواله (فعلى ما ذكره) أى الآجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه) أى فى تحقيق المحبة بانها نتيجة الطاعة والمتابعة (وحكى الامام أبو القاسم القشيرى) وهو الاستاذ صاحب الرسالة الصوفية

وقد تقدم بيانه (وغيره) من الائمة (النصح له) صلى الله تعالى عليه وسلم (يقتضى نصحين) أى منقسم الى قسمين (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته) أى النصح له وهو حى (نصح أصحابه) أى هو نصح أصحابه أو كنصح أصحابه (له بالنصر) له على أعدائه (والمحاماة عنه) بدفع السوء عنه وعمن يريده (ومعاداة من عاداه) ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته (والسمع) أى امتثال ما يقوله وقبوله كما فى قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله (والطاعة له) أى الانقياد التام (وبذل النفوس) أى الذوات والارواح (والاموال دونه) أى صرفها والجود بها فى حمايته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديمها دون ما يضره (كما قال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية) أى عاهدوا الله على بذل أرواحهم وأموالهم فى سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوفوا بعهدهم وهذه الآية كما فى الصحيحين نزلت فى أنس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال أول مشهد من مشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غبت عنه لئن أرانى الله تعالى مشهدا بعده ليرى الله ما أصنع فلما كان من العام المقبل وقعة أحد استقبله سعد بن مالك فقال له يا أبا محمد الى أين قال واها لريح الجنة أجدها دون أحد فقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه ووجد فيه بضعا وثمانين ما بين طعنة وضربة (وقال الله تعالى وينصرون الله ورسوله الآية أولئك هم الصادقون وهذه الآية نزلت فى المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله (واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير) أى الادب والتعظيم (والاجلال) لقدره برفع ذكره وتعظيمه (وشدة المحبة له) بكونه أحب عنده من نفسه وأهله وماله (والمثابرة) بمثلثة وموحدة وراء مهملة أى المداومة والمحافظة (على تعلم سنته) وفى نسخة تعليم سنته طريقته وهديه أو حديثه (والتفقه فى شريعته) بفهم معانيها والعلم باحكامها (ومحبة آل بيته) وهم أقرباؤه الذين لا تحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم (وأصحابه) وهم كل من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على ذلك (ومجانبة من رغب عن سنته) أى البعد عن كل من تركها وعدم الركون اليه (وانحرف عنها) أى مال عنها ورغب فى غيرها (وبغضه) أى اظهار عداوته (والتحذير منه) من لا يعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه (والشفقة على أمته) أى اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم الا لامر آخر (والبحث) أى التفتيش (عن تعرف أحواله) صلى الله تعالى عليه وسلم أى أحواله المعروفة وفى نسخة أخلاقه (وسيرته) قال المرزوقى معناها حالة من أحوال السير ثم أجرى مجرى الشيم والعادات انتهى (وآدابه) ليقتدى بها (والصبر على ذلك) أى حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له (فعلى ما ذكره) أى الخفاف أو الآجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة) لان كل ما ذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تأمل (وعلامة من علاماتها كما قدمناه) فى فصل العلامات ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى أمر المحبة على النصيحة كما مر (وحكى الامام أبو القاسم القشيرى) عبد الملك بن هوازن بن عبد الملك النيسابورى صاحب الرسالة وشيخ الطريقة فريد دهره علما وعملا وعمدة أهل السنة وفقهاء الشافعية الجامع بين الشريعة والحقيقة

(ان عمرو) بفتح أوله (بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار) هو بالثاء المثلثة المضمومة وتشديد الواو وفي آخره راء وهم الابطال الشجعان (المعروف بالصفار) بتشديد الفاء (رؤى) بضم الراء وكسر الهمزة على انه مجهول رأى ويروى بكسر الراء فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة على انه مجهول راء لغة في رأى على ما في القاموس (في النوم) أي بعد موته (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي) أي ذنوبي (فقيل له بماذا) أي باى سبب غفر لك (فقال صعدت) بكسر عينه أي طلعت (ذروة الجبل) بكسر المعجمة وضمها ويحكى فتحها أي اعلاه (يوما) أي من الايام (فاشرفت على جنودي) أي اطلعت عليهم (فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في بعض غزواته أو سراياه (فاعنته ونصرته) أي على أعداه (فشكر الله لي ذلك) أي جازاني بمثوبته وأثنى على وذكرني عند ملائكته (وغفر لي) أي وسامحني فيما وقع مني وصدر عني لخلوص نيتي وصدق طويتي انتهى كلام القشيري (واما النصح لائمة المسلمين) أي من العلماء العاملين والامراء الكاملين (فطاعتهم في الحق) أي ثابتة على الخلق وواجبة الا انه عليه الصلاة والسلام قال لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق رواه أحمد والحاكم عن عمران رضي الله تعالى عنه وروى الشيخان وغيرهما عن علي كرم الله وجهه ولفظه لاطاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف وقد خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذ ولي الخلافة فقال أطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (ومعونتهم) أي ومعاونتهم قولا وفعلا فمؤنتهم (فيه) أي في أمر الحق وفعل العدل (وأمرهم) أي اياهم (به) أي بالحق اذا عدلوا عن العدل لكن بطريق اللطف والرفق كما هو شأن أهل الفضل وقد قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (وتذكيرهم اياه) أي اذا نسوه (على أحسن وجه) أي ألطف طريق (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) بان خفي عليهم شيء من الاحكام (وكتم عنهم) بصيغة المفعول أي ستر عنهم أمر (من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم) أي بالبغي ولو جاروا (وتضريب الناس) بالضاد المعجمة أي وترك اغراء العامة وتحريشهم

وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفي سنة خمس وستين وأربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة (ان عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان) أقاليم معروف وعمرو هذا أخو يعقوب الصفار وكان يعقوب هذا كما قال المسعودي في خلافة المعتضد بالله أحد الخلفاء العباسيين في صغره صفارا فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفي في سنة خمس وستين ومائتين وخلف أموالا كثيرة خلفه عليها أخوه عمرو المذكور (ومشاهير) جمع مشهور (الثوار) بضم المثلثة وتشديد الواو وألف تليها راء مهملة جمع ثائر من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون على الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده (المعروف بالصفار) منسوب لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاواني وقد مر وجه التسمية به (رئى) مبني للمجهول من الرؤيا وهو مهموز أي رآه بعضهم (في المنام) وفي نسخة في النوم (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي) ذنوبي ومحى سيئاتي (فقيل بماذا) أي باي سبب هذا الذي نلته (فقال صعدت) بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل أي ارتقيت وعلوت (ذروة) بكسر الذال المعجمة وضمها وهي أعلى كل مرتفع من (جبل) ونحوه (يوما فاشرفت على جنودي) أي رأيتهم في مكان عال وأطلعت عليهم (فاعجبتني كثرتهم) أي حسنت عندي فسرتني (فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كنت في عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندي (فاعنته ونصرته) على أعدائه بمقاتلتي أنا وجندي معه (فشكر الله لي ذلك) القول والتمني كما قال ورقة

يا ليتني فيها جذع * أحب فيها واضع

ومعنى شكر الله ثوابه وانعامه (وغفر لي) بسبب قولي هذا وقال ابن قرقول شكر الله ثناؤه عليه عند ملائكته وقيل هو مضاعفة ثوابه (واما النصح لائمة المسلمين) جمع امام وهو الخليفة والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا هنا (ف) معناه (طاعتهم في الحق) الموافق للشرع اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ورد في الحديث ولقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (ومعونتهم فيه) أي في الحق لا في الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى (وأمرهم به) أي باتباعه (وتذكيرهم اياه) بان يذكره لهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه (على أحسن وجه) برفق وتلطيف القول وتحسينه فانه ادعى للامتثال (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) لعدم العلم به لخفائه أو لعدم الوقوف عليه (وكتم عنهم) بان خفي عليهم فلم يبلغهم خبره (من أمور المسلمين) فيعرضوه عليهم (وترك الخروج عليهم) بمخالفتهم وعصيان أمرائهم وهو معطوف على طاعتهم (وتضريب الناس) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة وكسر

الراء

(وافساد قلوبهم عليهم) أى على الأئمة (والنصح) كان الاولى أن يقال وأما النصح (لعامة المسلمين) أى لعوامهم فهو (ارشادهم) أى دلالتهم وهدايتهم (الى مصالحهم) أى الاخروية (ومعونتهم) أى مساعدتهم ومعاضدتهم (فى أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل) أى بما ينفعهم معاشا ومعادا (وتنبيه غافلهم) أى بتذكيره ما غفل عنه (وتبصير جاهلهم) أى بتعريف ما جهله (ورفد محتاجهم) أى معاونة فقرائهم فى حال بلائهم وعنائهم (وستر عوراتهم) أى باللباس أو ستر عيوبهم عن الناس (ودفع المضار عنهم وجلب المنافع) أى ايصالها (اليهم) وهو بفتح الجيم وسكون اللام مصدر وان الجلب محركة فما جلب من خيل وغيرها على ما فى القاموس فقول الحلبى هنا هو بسكون اللام وفتحها ليس فى محله ثم هذا كله مستفاد من قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى ومن حديثه عليه الصلاة والسلام ان الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم وان الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله

(الباب الثالث)
(فى تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره) أى فى تعظيم أمره بقبوله وامتثاله والتوقير التعظيم ومحله فى ظاهره وباطنه وجميع أحواله والبر هو الاحسان أى ووجوب الاحسان الى ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام من أهل بيته وعلماء أمته (قال الله تعالى) أى نعظم شانه وظهر سلطانه وبرهانه (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) أحوال مقدرة وأوصاف مقررة أى شاهدا على من أرسلناك اليهم فانت مقبول عند الله لهم وعليهم ومبشرا لمن آمن منهم بالجنة والقرب بقومخوفا لمن كفر بالحرقة والفرقة (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية) أى بكمالها بالخطاب على الالتفات وفى قراءة بالغيبة أى تصدقوا وتقووا دينه وتعظموا أمره والظاهر ان الضمائر لله لقوله سبحانه وتعالى وتسبحوه ومن فرق فقد أبعد ثم اعلم ان قوله قال الله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك الى قوله تعالى وتوقروه هكذا وقع فى أكثر الاصول وهذه الآية فى سورة الفتح وليس فيها يا أيها النبى وانما هو انا أرسلناك كما هو فى بعض النسخ نعم فى سورة الاحزاب وقعت الآية مصدرة بقوله سبحانه وتعالى يا أيها النبى انا أرسلناك الا انه ليس فيها لتؤمنوا بالله والحاصل انه وقع تركيب بينهما بالانتقال فى تصورهما (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) أى أمرا ومعناه لا تتقدموا ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تائيه وفتح الاخرى (بين يدى الله ورسوله) أى قدامهما بمعنى قبل اذنهما وآخر الآية واتقوا الله ان الله سميع عليم

الزامالهم له ومشاقتهم كذا وموحدة تحتية بين مجرور وأى ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم عليهم يقال ضربه اذا أغراه (وافساد قلوبهم) أى ترك فساد قلوب الناس (عليهم) بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتؤدى الى التجرى عليهم ومخالفتهم تجر الى مفاسد عظيمة (و) أما (النصح لعامة المسلمين) المراد بالعامة هنا من عدا الحكام لا العوام بالمعنى العرفى فمعناه (ارشادهم الى مصالحهم) أى دلالتهم على ما يوصلهم الى ما فيه صلاح أمورهم (ومعونتهم) أى اعانتهم (فى أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم) لما غفل عنه من مصالحه (وتبصير جاهلهم) أى تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة فى أموره (ورفد محتاجهم) بفتح الراء المهملة أى اعانته ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطاء والصلة وكل شئ عمدته وجعلت له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التى كانت لقريش فى الجاهلية (وستر عوراتهم) أى يستر عليهم بعض معاصيهم اذا رآها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا أرشده لتركه ذكره خفية فان النصيحة بين الملأ تقريع (ودفع المضار عنهم) أى ما يضرهم فى دينهم ودنياهم (وجلب المنافع لهم) أى كل ما ينفعهم دينا ودنيا

(الباب الثالث فى تعظيم أمره)

أى شأنه وقدره والامور المتعلقة به (ووجوب توقيره) أى تبجيله وترجيح ما يتعلق به (وبره) وصلته بالدعاء له والصلاة عليه وزيارة مقامه وبر أهل بيته (قال الله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) هكذا فى أكثر النسخ وليس موافقا للتلاوة لان آية الاحزاب المصدرة بيا أيها النبى ليس فيها لتؤمنوا الى آخره والتى فى الفتح انا أرسلناك دون يا أيها النبى فقيل كانه بدأ بآية الاحزاب وثنى بآية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا أو بياض له فوصله الناسخ وفى بعض النسخ انا أرسلناك فقط وشاهدا وما بعده أحوال مقدرة كجاء معه صقر صائدا به غدا والاستشهاد بالآية بناء على ما ذهب اليه الضحاك من ان الضمائر كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم وشهادته لهم يوم القيامة بما عملوه من طاعة وغيرها وعلى هذا لو توقف على قوله وتوقروه كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو وقف كاف وقال القرطبى انه تام وفيه نظر فقوله تعالى (وتسبحوه) ابتداء كلام فان ضميره لله (وقال) عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) تقدموا بضم أوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراءة الاخرى بفتحها أو هو مضارع قدمه المتعدى حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب أو لتنزيله منزلة اللازم والمراد فى التقديم رأسا وعلى كل حال فالشاهد فيها

(و يا أيها) أي و بعدها يا أيها (الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجاوزوا باصواتكم حدا يبلغ صوته فضلا عن ان تعلوه بل عليكم ان تغضوها حتى يكون صوته فوق أصواتكم لتكون مزيته عليكم لائحة ومنزلته عندكم واضحة بان يخفض الصوت بين يديه و يخافت المتكلم اليه تعظيما وتكريما لديه (الآيات الثلاث) أي اقرأ الآيات ثلاثا وأكملها لان البقية لها مدخل في تحقيق القضية وهي قوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول أي اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم أي مخافة حبوطها وأنتم لا تشعرون أي بحبوطها و بطلانها ان الذين يغضون أصواتهم أي يخفضونها عند رسول الله مراعاة للأدب والاجلال أو مخافة مخالفة النهي في الاقوال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي جربها للتقوى ودربها بالمشقة او قرنها الكلفة او المعنى علم سرها وعلانيتها لهم مغفرة أي كثيرة لسيآتهم وأجر عظيم على طاعاتهم واعلم انه تنبغي هذه المراعاة أيضا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام في مسجده لاسيما عند مشهده وكذا عند قراءة حديثه ومسنده وكذا عند سماع القرآن وتفسير الفرقان كما أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي برفع الصوت فوق صوته أو بندائه باسمائه فلا تقولوا يا محمد يا أحمد بل قولوا يا نبي الله ويا رسول الله كما خاطبه به سبحانه وعظم شانه ذكره مجاهد وقتادة ولا منع من الجمع بين المعنيين في الآية فالمعنى نادوه باوصافه الحميدة المذكورة في كلام الرب مع خفض صوت مراعاة للأدب (فاوجب الله) أي تعالى على خلقه (تعزيره وتوقيره) أي تكريمه وتبجيله (وألزم) أي اتباعه و(اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعزروه تجلوه) من الاجلال (وقال المبرد) بتشديد الراء المفتوحة وقد سبق ذكره (تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه) الظاهر تنصروه أي دينه أو رسوله وهذه المباني متقاربة المعاني واعلم ان من يقال له الاخفش ثلاثة أصغر وهو أبو الحسن على ابن سليمان بن الفضل المعروف بالاخفش الصغير النحوي كان عالما روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه الحريري وغيره وهو ثقة توفي في شعبان سنة خمس عشرة وثلثمائة فجاة ببغداد وأما الاوسط فهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالاخفش النحوي أحد نحاة البصرة من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيأ الا وعرضه على رحمه الله تعالى وكان يرى انه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه وهذا هو الذي زاد في العروض بحر المجتث وله تصانيف كثيرة منها الاوسط في النحو وتفسير معاني القرآن وغير ذلك توفي سنة خمس عشرة ومائتين وكان يقال له الاخفش الصغير فلما ظهر على بن سليمان المعروف بالاخفش المتقدم صار هذا اوسطا وأما الاكبر فهو أبو

ظاهر فلا يتوهم انه لا شاهد فيها على القراءة المشهورة (و) قال (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجعلوا أصواتكم في خطابكم جهرا فوق جهره صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول واخفضوها تادبا وتكريما له فانه لعظم مقامه لا يليق عنده الصخب والعياط على عادة جفاة الاعراب في ترك الادب (الآيات الثلاث) وهي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم واضافة ذي الالف واللام لمثله جائزة في الثلاث ونحوه كما تقرر لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيها انه أمرهم اذا خاطبوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يجهروا ويخفضوا أصواتهم تادبا معه لما في الجهر من الاستخفاف المؤدي الى الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة ثم اثنى على من غض صوته عنده بان الله تعالى بعد امتحانه وعده بان له مغفرة وأجرا عظيما لارتضائه له وفيه تعريض بشناعة الجهر وانه لا يغفر وان من ناداه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في حجراته مع أزواجه مسلوب العقل لعدم اذنه وأرشدهم الى الاولى بهم وهو الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير نداء له فيكون هو المفتتح بكلامهم والكلام على الآية مفصل في كتب التفاسير (وقال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بان تنادونه باسمه يا محمد ونحوه كما سيأتي فلا تقيسوه بغيره (فأوجب الله تعالى) على المؤمنين (تعزيره) بزاي معجمة وراء مهملة أي اجلاله (وتوقيره) أي التأدب معه (وألزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس) معنى (تعزروه تجلوه) الاجلال افعال من الجلال وهو التناهي في عظم القدر ولذا خص بالله تعالى فقيل ذو الجلال والاكرام كما قاله الراغب (وقال المبرد) شيخ التفسير والعربية (تعزروه تبالغوا في تعظيمه) وهو موافق لما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وليس أخص منه كما توهم (وقال الاخفش) الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب التفسير المسمى بالمعاني والاخافشة المشهورة ثلاث وهو لقب له من الخفش وهو ضعف البصر وهو من يرى ليلا ولا يرى نهارا (تنصرونه) وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم

الخطاب عبد الحميد بن حميد من أهل هجر من مواليهم وكان نحويا لغويا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها واخذ عن سيبويه وأبي عبيدة ومن في طبقتهم اوهذا ملخص كلام ابن خلكان والاخفش هو الصغير العين مع سوء بصره وقد يكون الخفش علة وهو الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار و يبصر في الشئ في يوم غيم ولا يبصر في يوم صاح قاله الجوهري قال الحلبي والظاهر ان مراد القاضي هو الاوسط والله أعلم (وقال الطبري) بفتحتين وهو محمد بن جرير (تعينونه وقرئ) أو شاذا (تعززوه بزائين) بيائين لا بهمز وياء كما يتوهم (من العز) أي مجرد العز بمعنى الشدة والقوة كما قال تعالى فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد ونقل هنا الى التعزيز من باب التفعيل للمبالغة والتكثير (ونهى) أي الله سبحانه وتعالى وفي نسخة بصيغة المجهول (عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب) أي بالفعل (بسبقه بالكلام) ويروى في الكلام (على قول ابن عباس وغيره رضي الله تعالى عنهم وهو واختيار ثعلب) وهو

العلامة محدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس أحمد بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي المقدم في نحو الكوفيين مولده سنة مائتين (قال سهل بن عبد الله) أي التستري (لا تقولوا قبل أن يقول) أي لا تبدؤا بالكلام عنده (واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا) اسكتوا وقال الحجازي يروى بعكسه قلت فيصير عكس الآية والمعنى انه يجب السماع عند كلامه الذي هو الوحي الخفي كما يجب سماع القرآن الذي هو الوحي الجلي وفيه ايماء الى رعاية هذا الادب عند سماع الحديث المروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف

(ونهوا) أي أصحابه وأحزابه (عن التقدم) أي المبادرة (والتعجل) وفي نسخة والتعجيل (بقضاء أمر) أي بحكم شئ (قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا) افتعال من الفوت أي يسبقوه (بشئ) أي منفردين برأيهم دونه في تصرفهم (في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم الا بأمره ولا يسبقوه به) أي ولو في أمر دنياهم والمعنى أن يكونوا تابعين له في جميع قضاياهم من أمور دنياهم وأخراهم (والى هذا) أي المعنى المذكور (يرجع قول الحسن) أي البصري (ومجاهد والضحاك والسدي والثوري) أي يوافق قول هؤلاء ذلك المقال في المآل (ثم وعظهم) أي نصحهم الله (وحذرهم) بالتشديد أي وخوفهم (مخالفة ذلك) المنهي هنالك (فقال واتقوا الله) أي احذروا مخالفته واحترسوا من معاقبته (ان الله سميع) بأقوالكم (عليم) بأحوالكم (قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم) أي بشئ من القول والفعل بين يديه قبل أن يعرف منه ميل اليه (وقال السلمي) وهو أبو عبد الرحمن (اتقوا الله في اهمال حقه) أي في الاوامر (وتضييع حرمته) أي في الزواجر (انه) وفي نسخة صحيحة (ان الله سميع لقولكم

(وقال الطبري) وهو محمد بن جرير كما تقدم (تعينونه) الاعانة أعم من النصرة والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو الرد والدفع ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع العدو والنقائص ولذا قيل لما دون الحد تعزير لردعه ودفع عوده لجنايته وله معنى آخر وهو لوقوف على الاحكام (وقرئ) في الشواذ (تعززوه بزائين) معجمتين تفعيل (من العز) وهو التقوية والغلبة كما في قوله تعالى (فعززنا بثالث) والعزيز رفيع القدر وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة (ونهوا) أي نهاهم الله في الآية الثانية (عن التقدم بين يديه) أي بحضرته وعنده (بالقول) بان يسبقه بالكلام (وسوء الادب بسبقه بالكلام) في أمر ما (وهو قول ابن عباس وغيره واختيار ثعلب) في تفسير الآية وثعلب لقب امام العربية واللغة وهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي توفي سنة احدى وتسعين ومائتين (وقال سهل بن عبد الله) التستري الامام الزاهد شيخ الطريقة في تفسير قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله (لا تقولوا قبل أن يقول) فتستفتحون الكلام عنده وهو ترك أدب (واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا) أي اسكتوا ثم عطف عليه عطف تفسير قوله (ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه) أي في الامر (وان يفتاتوا) أي يستبدوا ويستقلوا (بشئ في ذلك) أي في قضاء أمر من الامور عنده يقال افتات بفاء وهمزة أصلية عند أبي عمرو وغيره من أهل اللغة أو هي مبدلة من حرف العلة كما قالوا في رثيت الميت رثأته فهو من الفوت عند بعضهم ويقال افتات بالغ ويقال افتات الباطل اذا اختلقه (من قتال أو غيره من أمر دينهم الا بأمره ولا يسبقوه به والى هذا) المذكور في تفسير الآية (يرجع قول الحسن) البصري (ومجاهد والضحاك والسدي و) سفيان (الثوري) يعني انهم فسروا الآية بما ذكر حاصله وما له اشارة الى ان أكثر المفسرين ارتضوه (ثم وعظهم الله) في الآية بعد ما ذكر (وحذرهم مخالفة ذلك) أي أمره في قضائه بعد ما نهاهم عن سبقه بالقول (فقال واتقوا الله) فدل على ان مخالفه غير متق (ان الله سميع) لاقوالهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عليم) بافعالهم فهو رقيب عليهم يخشى من غضبه وعقابه ففيه من الموعظة والتحذير ما لا يخفى (قال الماوردي) أبو الحسن وقد تقدم ذكره (اتقوه يعني) أي يريد الله به هنا (في التقدم) بقرينة أول الآية وان كان مطلقا (وقال السلمي) أبو عبد الرحمن كما تقدم (اتقوا الله في اهمال) أي (ترك حقه وتضييع حرمته) أي احترامه وتوقيره (انه سميع لقولكم

عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) تعظيما لمقامه وتكريما لمرامه (والجهر) أى ونهاهم عن الجهر (له بالقول) أى
فى محاوراتهم (كما يجهر بعضهم لبعض) فى مخاطباتهم (ويرفع) أى بعضهم (صوته) أى لبعض فى مجلسه (وقيل) أى روى (كما ينادى
بعضا بعضهم باسمه) كما هو أحد القولين فى قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما تقدم والله أعلم (وقال أبو
محمد مكى أى لا تسابقوا بالكلام وتغلظوا) بضم التاء وكسر اللام أى ولا تغلظوا (له بالخطاب) أى بالقول
(ولا تنادوه باسمه) أى
العلم (نداء) كمناداة
(بعضكم بعضا) أى
باسمه الذى سماه به أبواه
(ولكن عظموه) أى
باطنا (ووقروه) أى
ظاهرا (ونادوه باشرف ما
يحب) أى ما يعجبه (أن
ينادى به) أى من وصف
رسالة أو نعت نبوة بان
تقولوا (يا رسول الله
يا نبى الله) أى وأمثالهما
من نحو يا حبيب الله
يا خليل الله وهذا فى
حياته وكذا بعد وفاته فى
جميع مخاطباته (وهذا)
أى مقول مكى (كقوله)
أى كقول الله سبحانه
وتعالى (فى الآية الاخرى
لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على أحد التاويلين) أى
التفسيرين المشهورين
فى الآية وقد قدمنا هذا
التاويل عن مجاهد
وقتادة فى أول الباب
والتاويل الآخر هو ما
روى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما
احذروا دعاء الرسول
عليكم اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره (وقال غيره) أى غير مكى (لا تخاطبوه ان
الامستفهمين) أى عن قول أو فعل تريدون صدوره منكم أيجوز هذا أم لا وفى رواية الامشفقين أى وجلين خائفين (ثم خوفهم
الله بحبط أعمالهم) بفتح الحاء وسكون الباء أى بحبوطها وابطالها (ان هم فعلوا ذلك) أى المنهى هنالك (وحذرهم منه) أى
عما يتعلق به من المهالك

عليم بفعلكم) فسبقه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول ترك أدب من فعله لم يراع حقه ولا وقر حرمته فهو فى معنى ما قبله (ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) فى الآيات الاخيرة وأعاد النداء اهتماما به وتنبيها على انه أمر آخر مستقل بالنهى ورفع الصوت بشدة الجهر سوء الادب وغلظة يعتادها العوام (والجهر له) صلى الله تعالى عليه وسلم عطف تفسير على رفع الصوت (بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته) المراد النهى عن ارتفاع الاصوات عنده وان لم يكن الخطاب له فى النداء (وقيل كما ينادى بعضهم بعضا) فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن ان ينادونه كما ينادى بعضهم بعضا (باسمه) فعبر عن النداء برفع الصوت لانه يلزمه غالبا فهو كقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وبيانه ما (قال أبو محمد مكى) وهو مكى ابن أبى طالب القيروانى المالكى نزيل قرطبة كان متبحرا فى العلوم لا سيما علوم القرآن متواضعا مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها تفسيره المسمى بالهداية وكتب أحكام القرآن توفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (أى لا تسابقوه بالكلام) هو معنى قوله لا تقدموا الى آخره (وتغلظوا له بالخطاب) أى تخاطبوه بغلظة وأصل الغلظة ضد الرقة فى الاجسام ثم شاع فى المعانى والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام المخاطب به (ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا) أى كنداء بعضكم فهو منصوب على المصدر به وهو عطف تفسير (ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ينادى به يا نبى الله يا رسول الله) بدل من أشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له بالقول لان كثيرا من جفاة الاعراب دأبهم فيما بينهم هذا (وهذا) أى ما قاله مكى (كقوله فى الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وجهه ان النهى عن الشئ أمر بضده أو بتضمنه وقد نهى الله تعالى عن هذه الامور التى تقتضى اهانته فكأنه أمر بتعظيمه وتوقيره (على أحد التاويلين) أى التفسيرين اللذين ذكرا فى التفاسير وهو أن يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية أى لا تنادوه باسمه رافعين أصواتكم بان تقولوا يا محمد يا أبا القاسم كما ينادى بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب فقولوا يا رسول الله يا نبى الله يا خير خلق الله ونحوه والثانى أن يكون المراد بالدعاء الدعاء على أحد أى لا تظنوا ان دعاءه كدعائكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم سواء كان بخير أو شر فان الله ضمن له اجابة دعائه ووعده بها من لا يخلف الميعاد وهذا غير مراد هنا كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو الذى قاله مكى (قال غيره) أى غير مكى معنى الآية أى لا تجهروا له بالقول الى آخره (لا تخاطبوه الامستفهمين) وفى نسخة الامشفقين من الاشفاق وهو الخوف وعلى الاول معناه الا سائلين له متعلمين منه بالادب (ثم خوفهم الله عز وجل) من (ان تحبط أعمالهم ان هم فعلوا ذلك) أى جهروا له بالقول ولم يتادبوا عنده (وحذرهم منه) أى من فعلهم هذا بقوله ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون فان تحبط فى محل نصب بنزع الخافض أو بحذف المضاف أى لان لا تفعلوا ما يؤدى الى احباط أعمالكم بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج قال فى الامتاع من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد

(قيل نزلت الآية) أي الآية التي بعد هذه الآيات وهي قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه) أي على عادة الاعراب فيما بينهم عند الوقوف على الابواب (يا محمد يا محمد) مرتين (أخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) أي الغالب عليهم (ووصفهم بان أكثرهم لا يعقلون) أي آداب أولى الالباب وابعد الدلجي حيث قال المراد بالآية قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول فانه يابى عنه قوله فذمهم الله الى آخره ومما يدل على ما اخترناه قوله (وقيل نزلت الآية الاولى) أي ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم (في محاورة) بحاء مهملة أي مكالمة ومجاوبة (كانت) أي وقعت (بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قدامه (واختلاف) ويروى لاختلاف (جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) أي امامه فنهيا عن ذلك وغيرهما كذلك لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب روى انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أمر القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال عمر رضي الله تعالى عنه أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافي قال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت (وقيل نزلت) كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (في ثابت بن قيس بن شماس) بتشديد الميم وتخفف (خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم) فعن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب أخرج الينا يا محمد نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لثابت بن قيس قم فاجبه فقام فاجابه وكان أحسن قولا

ان يناديه باسمه وورد في الحديث من ان اعرابيا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد أنا رسول لك الى آخره صدر منه قبل الاسلام أو قبل النهي أو قبل علمه به ثم انه لو ناداه أحد بكنيته فقال يا أبا القاسم هل يحرم أم لا انتهى ويأتي ما فيه وان هذا مخصوص بحياته ولا يخفى ان هذا مقيد بما فيه استخفاف فلو اقتضته حال لم يحرم كما في حال الحرب والمجادلة (قيل نزلت الآية في وفد بني تميم) قبيلة مشهورة سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظماء لامر ما وكان ذلك في سنة تسع وهو سنة الوفود وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل لهم سرية فجمعوا عليهم واخذوا مواشيهم واسارى قدموا بهما المدينة فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فارسلوا عدة من رؤسائهم فجاؤا بابه صلى الله تعالى عليه وسلم ونادوا يا محمد أخرج الينا كما فصل في السير (وقيل) نزلت الآية (في غيرهم) أي غير بني تميم من العرب (أتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه) من خلف داره (يا محمد أخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) بمقام النبوة وترك الادب (ووصفهم بان أكثرهم لا يعقلون) بقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (وقيل نزلت الآية الاولى) أي قوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (في محاورة) بمهملة مفتوحة وراء مهملتين وهي المجادلة ومراجعة القول (بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في مجلسه وحضوره (واختلاف جرى) أي وقع (بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) وهما كما في البخاري عن الزبير رضي الله عنه وهو ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال في أمر بني تميم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر عليهم القعقاع بن معبد فقال عمر رضي الله تعالى عنه بل الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت الآية فما كان عمر بعدها يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم عام وسببه خاص وقيل انه في أمر الزبرقان والذي ارتضاه السيوطي الاول (وقيل نزلت الآية) كما روى عن ابن عباس (في ثابت) بن قيس (بن شماس) ابن مالك بن امرء القيس الخزرجي الانصاري وكان خطيب الانصار وكان أيضا (خطيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد انه خطيب الجمعة والعيدين بل ما كان من عادة العرب اذا اجتمعوا الى قوم واحد منهم يذكر كلاما بليغا مقدمة للامر الذي اجتمعوا له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم عند ما تنزه فكان له صلى الله تعالى عليه وسلم خطباء عند الوفود وشعراء كحسان رضي الله عنه (في مفاخرة بني تميم) الساق موفدهم صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخرج الينا يا محمد ورفعوا أصواتهم فاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا وشاعرنا فاذن لهم فقام خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وعدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤس الناس وأولي فضلهم فمن فاخرنا فليعد مثل عددنا ولو شئنا لا كثرنا الكلام ولكنا نحيا من الاكثار فيما أعطانا وانا نعرف بذلك أقول هذا لان تأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال النبي

(وكان في اذنيه صمم) أي ثقل (فكان يرفع صوته) أي عند تكلمه وربما تأذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به (فلما انزلت هذه الآية) أي آية لا ترفعوا (أقام في منزله) أي بيت نفسه وحرم من مجالس أنسه عليه الصلاة والسلام (وخشي

صلى الله تعالى عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قم فاجبه فقام وقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا واصدقه حديثا وأفضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين دعا الناس الى الايمان به فآمن برسوله المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا وأحسنهم وجوها وخيرهم فعالا ثم كنا أول الخلق اجابة لله تعالى حين دعانا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه وكان قتله علينا يسيرا أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فانشد شعرا في فخر قومه فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسان فاجابه كما هو مبسوط في السير فاسلم بنو تميم فرد عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبيهم ومالهم وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر ولكن هاتوا ما عندكم (وكان في اذنيه) أي في اذني ثابت رضي الله تعالى عنه (صمم فكان يرفع صوته) أي كان هذا دأبه كما تراه فيمن به صمم وانما المحتاج لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه أو نسب الرفع له لانه سببه والاول هو المراد كما صرح به (فلما انزلت هذه الآية) التي نهت عن رفع الاصوات عنده (أقام في منزله) يعني لم يات مجالس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وخشي ان يحبط عمله) برفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعدما سأل عنه (فقال يا نبي الله لقد خشيت ان أكون هلكت) أي تحقق هلاكي لاني ان حضرت عندك بطل عملي وان تخلفت فاتني كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة الجماعة معه لمرض لحقه من شدة خوفه كما قيل اذ ليس هنا ما يدل عليه وقد بين موجب هلاكه الذي تحقق عنده حتى كأنه وقع بقوله (نهانا الله تعالى ان نجهر بالقول) عندك (وأنا امرؤ جهير الصوت فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يا ثابت أما ترضى ان تعيش حميدا) أي محمودا عند الله تعالى والناس وهذا يدل على قبول عمله وانه لا يحبط فهو الجواب حقيقة (وتقتل شهيدا) فيكون لك خير الدنيا والآخرة (وتدخل الجنة) وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما أشار اليه بقوله (فقتل يوم اليمامة) أي في وقعة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق سنة ثنتي عشرة في ربيع الاول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين من الطائف واربع من مكة وكان خرج في وقعتها مع خالد بن الوليد فلما التقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا (وروي) رواه طارق بن شهاب (ان أبا بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه (لما انزلت هذه الآية) لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) أبو بكر رضي الله عنه امتثالا لقول الله تعالى وخوفا من مخالفة نهيه ولذا اكده بالقسم فقال (والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها) أي بعد نزول هذه الآية (الا كأخي السرار) أي الا كلاما خفيا كالمسارة وهي الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر ساره مسارة وسرارا وهي مفاعلة من السر والاخ في النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه كقولهم كان واخواتها ويكون بمعنى الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثاني وهذا مروي عن ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما أيضا كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وان عمر كان اذا حدثه) صلى الله تعالى عليه وسلم

ان يكون حبط عمله ثم) أي بعد تفقده عليه الصلاة والسلام له واطلاعه على خبره وطلبه الى محضره (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي معتذرا (فقال يا نبي الله لقد خشيت) أي بعد نزول هذه الآية (ان أكون هلكت) أي بحبوط عملي وقنوط أملي (نهانا الله ان نجهر بالقول) أي مطلقا في الشرع (وأنا امرؤ جهير الصوت) بحسب الطبع (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تسلية له عما تقدم (يا ثابت ما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة) أي سعيدا (فقتل يوم اليمامة) في خلافة الصديق تحقيقا للكرامة (وروي) كما أخرجه البزار من طريق طارق بن شهاب (ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما انزلت هذه الآية) أي لا ترفعوا أصواتكم (قال والله لا أكلمك بعدها) وفي نسخة صحيحة بعد هذا (الا كأخي السرار) بكسر السين المهملة أي الا مشابها الصاحب النجوى والمساررة والمعنى لا اكلمك الا سرا (وان عمر رضي الله تعالى عنه) كما في البخاري (كان اذا حدثه) أي كلمه عليه الصلاة والسلام

(حدثه

(حدثه كأخي السرار) أي في خفض صوته كما بينه بقوله (ما كان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الياء وكسر (بعد الآية) وفي نسخة بعد هذه الآية أي بعد نزولها (حتى يستفهمه) أي النبي صلى الله عليه وسلم من عمر عما سارره به لكمال اخفائه (فانزل الله فيهم) أي في أبي بكر وعمر وأمثالهما رضي الله تعالى عنهم (ان الذين يغضون أصواتهم) أي يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب أو محاذرة من مخالفة الرب (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي جربها وامرنها عليها حتى صاروا أقوياء على احتمال مشاقها من أنواع الابتلاء وقيل اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير وفد بني تميم) أي كما هو صريح فيما قدمناه (نادوه باسمه وروى عن صفوان بن عسال) بمهملتين وتشديد الثانية صحابي مشهور وقد أخرج عنه الترمذي والنسائي (انه قال بينا) بالف معوضة عن المضاف اليه أي بين أوقات كان ويروى بينما (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي) نسبة الى اعراب البادية ممن آثار الجهل عليهم بادية (بصوت له جهوري) بفتح الجيم والواو أي شديد عال والواو زائدة قال الجوهري جهر بالقول رفع صوته وجهوره وهو رجل جهوري الصوت وجهير الصوت (أبا محمد أبا محمد) وفي نسخة صحيحة أبا محمد ثلاث مرات (فقلنا له أغضض) بضم غينه أي اخفض (من صوتك فانك) أي في ضمن غيرك (قد نهيت عن رفع الصوت) أي عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال الله تعالى) أي تعظيما له وتعليما لنا (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) أي لا تخاطبوه بلى واختلف في سببه (قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار) بمعنى راقبنا وتأن علينا حتى نفهم كلامك الوارد الينا (نهوا عن قولها) أي هذه الكلمة تعظيما (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) و(تبجيلا له) أي تفخيما

(حدثه كأخي السرار) وهذه العبارة من كلامهم قديما (ما كان يسمع) بضم الياء وكسر الميم وفاعله ضمير أبي بكر أو عمر (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد) نزول (هذه الآية حتى يستفهمه) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كأخي السرار (فانزل الله تعالى فيهم) أي في حق أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ومن ضاهاهما كثابت مدحا لهم (ان الذين يغضون أصواتهم) أي يخفونها (عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المختبر ليظهر للناس أدبهم وتقواهم واستحقاقهم للاجر العظيم (وقيل نزلت) آية (ان الذين ينادونك) الى آخره (في غير بني تميم) من الاعراب (نادوه باسمه) لجهلهم بمقامه وعدم أدبهم (وروى) رواه الترمذي والنسائي (عن صفوان بن عسال) بفتح العين والسين المشددة المهملتين ابن الربض بن زاهر المرادي الكوفي الصحابي المشهور روى عنه الستة (بينا) بالف كافة كبينما وفي نسخة بينما (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري) بفتح الجيم وسكون الهاء وواو مفتوحة أي صياح شديد يقال جهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهوري الصوت وجهيره أي رفيعه وبين ظرف مكان أو زمان تجاب بجملة وقد تقرن باذا واذا الفجائية والافصح تركها كقوله

فبينما نحن نرقبه أتانا ۞ معلق وفضه وزناد راعي

وتقع بعدها الجملة اذا كفت بما أو الف (أبا محمد أبا محمد) مرتين وفي نسخة ثلاثا وأيا ينادي بها البعيد (فقلنا له) أي قال له الصحابة تعليما له وتأديبا (اغضض من صوتك) أي لا ترفعه (فانك قد نهيت عن رفع الصوت) أي نهاك الله تعالى عنه حذف فاعله للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره في بعض المواضع كمجلس العلماء اذا تكلف ذلك من غير داع وقد يستحب في بعض المواضع كالاذان وكمجالس الوعظ والخطبة ولذا روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خطب وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالسوق وكانت العرب تفخر بالصوت الجهير كما قيل

جهير الكلام جهير العطاس ۞ جهير الرواء جهير النغم

فنهى الله عما اعتادوه في الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهي عن الجهر تهاونا بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم أمرا آخر فقال (وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) كان المؤمنون يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبوه يريدون تأن في خطابك حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فانا لسنا فهماء مثلك فانظر لحالنا فانتهز اليهود الفرصة وقالوه لانها كانت كلمة يتسابون بها كما يأتي عن الكشاف (قال بعض المفسرين هي لغة في الانصار) كانوا يقولونها في محاوراتهم اذا أرادوا التفهم (نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لايهامها ولاعتياد خطاب الاقران (وتبجيلا له) أي تفخيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أبلغ من التعظيم لان معناه

(لان معناها) أي مفهوم كلمة راعنا وهو الامر بالمراعاة من باب المفاعلة (أرعنا) بفتح العين أمر من الرعاية (نرعك) مجزوم على جواب الامر (فهو عن قولها اذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى) بصيغة المجهول

أي يلاحظ ويحافظ (على كل حال) أي سواء رعاهم أم لا (وقيل بل كانت اليهود) أي حين سمعوا هذه الكلمة من الآية انتهزوا الفرصة بما عندهم من الغنيمة (تعرض بها) من التعريض بمعنى الكناية (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهي الحماقة والمعنى تلوح بهذه الكلمة المستعملة في مبناها مرادا بها غير مقتضاها من مبناها (فنهى المسلمون عن قولها) أي وأمروا ان يقولوا وانظرنا بدلها (قطعا للذريعة) أي الوسيلة الى مقاصدهم الشنيعة (ومنعا للتشبه) أي تشبه المؤمنين بهم (في قولها) أي في التفوه بها (لمشاركة اللفظة) أي اللفظة في المبنى ومخالفتها في المعنى (وقيل غير هذا) أي غير ما ذكر من التفسيرين في معنى الآية محله الكتب المطولة

(فصل)

(في عادة الصحابة في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله) الاولى تاخير عليه الصلاة والسلام الى هذا المقام

(حدثنا القاضي أبو علي الصدفي) بفتحتين وهو ابن سكرة

قال له بجل أي حسبك (لان معناها أرعنا نرعك) من المراعاة أي احفظنا نحفظك (فهو اعن قولها) أي هذه الكلمة (اذ مقتضاها) على تفسيرها السابق (انهم لا يرعونه) ويراعون مقامه (الا برعايته لهم) لان المعنى أرعنا نرعك (بل حقه) اللائق به (ان يرعى على كل حال) راعاهم أم لا بخلاف انظرنا فان معناها انظر الينا وفهمنا وبين لنا وهي كل أدب فلذا أمر الله تعالى بان يقال له انظرنا دون راعنا (وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهي الخفة والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا ظاهرا وقول البرهان انها انما تأتى على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب ليس بشئ لانه لو كان كذلك كان تصريحا لا تعريضا ولذا روى ان اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فصار ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لليهود عليكم لعنة الله والله لاضربن عنق من سمعته يقولها (فنهى المسلمون) مبني للمفعول أي نهاهم الله عز وجل (عن قولها قطعا للذريعة) الذريعة في اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان أصل معناها لغة جمل يترك هملا في فلاة يصاد فيها الظباء والحمر الوحشية فتأنس بها الصيد وتدور معه فاذا هو والصيد لم يهرب الجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقف وقف الصيد معه فيأخذون منه بسهولة ثم سمي به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذي معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهي فعيلة بذال معجمة وراء وعين مهملتين *واعلم ان الشراح رحمهم الله تعالى لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا وهي اشارة الى قاعدة مشهورة في مذهب الامام مالك وهي وجوب سد الذريعة أي يجب دفع كل ما يؤدي الى فساد في أمر مشروع وقد ظن كثير ان هذه المسئلة مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قاله العلامة القرافي حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرائع ثلاثة أقسام فمنها ما أجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت وحفر الآبار في طريق المسلمين والقاء السم في طعامهم ومنها ما أجمعوا على عدمه كالمنع من غرس الكروم لئلا يتخذ منها خمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الآجال ومنها ما يكون خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة أيضا فيقدم الارجح منهما كدفع المال للكفار لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم من علمائهم المتأخرين ان سد الذريعة في الاصل من باب الورع والاحتياط لا من الواجب اذ المفعول بها ليس فسادا في حد ذاته والفساد معها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسئلة للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه القرافي (ومنعا للتشبيه بهم) أي ان يتشبه المؤمنون باليهود (في قولها) أي في التكلم بهذه الكلمة (لمشاركة اللفظ) واتحاده وان كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود وقال الواحدي في الوسيط النهي عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن ونقله الاصبهاني في تفسيره ويبقى الكلام في استحباب الترك (وقيل) في تفسير هذه الآية (غير هذا) المذكور في تفسيره ففي الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا خفي عليهم شئ من كلامه راعنا أي تأن حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود كلمة سريانية أو عبرانية يتسابون بها وهي راعنا فلما سمعوا قول المسلمين راعنا بمعنى انظر الينا انتهزوا الفرصة وقالوها يريدون سبه صلى الله عليه وسلم بها فنهى المسلمون عن قولها لما فيها من الايهام وأمروا ان يقولوا انظرنا من النظرة أي امهلنا

(فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله) أي في نقل أخبارهم فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فمنه ما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا من حديث طويل رواه مسلم وأشار اليه بقوله (حدثنا القاضي أبو علي الصدفي) هو ابن سكرة وقد تقدم وان الصدفي

(وأبو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة (الاسدى) بفتحتين نسبة الى قبيلة (سماعلى عليهما فى آخرين) أى مع جماعة أخر من المشايخ أو من السلامة بتريد الاول قوله (قالوا) بصيغة الجمع ويريد الثانى عاطى اسحق لا بصيغة التثنية (ثنا) أى حدثنا (أحمد بن عمر ثنا أحمد بن الحسن) وفى بعض النسخ بصيغة التصغير والصواب هو الاول (ثنا محمد بن عيسى) أى الجلودى (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) اسم مفعول من التثنية (وأبو معن) بفتح فسكون (الرقاشى) بفتح الراء وتخفيف القاف ثم شين معجمة بصرى ثقة (واسحق ابن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ (قالوا) ٣٩١ أى ثلاثتهم (ثنا الضحاك بن مخلد) بسكون خاء معجمة بين فتحتين أبو عاصم الشيبانى النبيل البصرى روى عنه انه قال مادلست قط ولا اغتبت أحدا منذ عقلت تحريم الغيبة روى عنه البخارى وغيره أخرج له الائمة الستة (أنا) أى أنبانا وفى نسخة أخبرنا (حياة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال حدثنى زيد بن أبى حبيب) عالم أهل مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء (عن ابن شماسة) بضم الشين المعجمة وفتحها فميم مخففة وبعد الالف سين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء توفى أول خلافة يزيد بن عبد الملك (قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر) وفى نسخة فذكر لنا أى ابن شماسة (حديثا طويلا فيه عن عمر وقال) وفيه أيضا فحول وجهه الى الجدار فجعل يقول (وما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أجل) أى أعظم (فى عينى منه) وفى نسخة بصيغة التثنية وما كنت أطيق) بضم الهمزة أى أقدر (أن أملأ عينى منه اجلالا له) أى واكمالا له (ولو سئلت) وفى نسخة ولو شئت (أن أصفه) أى أذكر نعت ظاهر خلقه (ما أطقت) أى ما قدرت لعدم احاطتى بأوصافه مخبرا (لانى لم أكن أملأ عينى منه) أى نظرا (وروى الترمذى) أى صاحب السنن لا الحكيم الترمذى وكذا الحاكم (عن أنس رضى الله تعالى عنه كان) أى النبى عليه الصلاة والسلام (يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار

نسبة لصدف قرية بالمغرب (وأبو بحر الاسدى) نسبة لقبيلته (سماعلى عليهما فى آخرين) مبتدأ وخبر اشارة الى انهما من مشايخه وأن طريق روايته هذا الحديث عنهما (قالوا) أى شيخاه الاهما والآخرون لانه أثر وعنهم وعبر بضمير الجمع تعظيما أولان اثنا اجد وما فوقه جمع (حدثنا أحمد بن عمر) قال (حدثنا أحمد بن الحسن) أبو العباس بن بندار الرازى المعروف بالرابية وفى بعض النسخ الحسين والصحيح الاول قال (حدثنا محمد بن عيسى) هو الجلودى كما تقدم قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) وقدمنا ترجمته قال (حدثنا مسلم) صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد بن مثنى) تقدم تفصيل ترجمته (وأبو معن الرقاشى) وهو زيد بن يزيد البصرى الثقة (واسحق بن منصور) الحافظ الثقة المعروف بالكوسج أخرج له الستة وتوفى سنة احدى وخمسين ومائتين (قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد) أبو عاصم الشيبانى البصرى الثقة توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حياة بن شريح) تقدم أيضا وفى نسخة أنبأنا قال (حدثنا يزيد بن أبى حبيب) الازدى محدث مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفى سنة ثمان وعشرين ومائة وأخرج له الستة (عن ابن شماس) بضم الشين المعجمة وفتحها وميم مخففة وألف وسين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهرى) بميم مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة وياء نسبة وهو حافظ ثقة توفى فى خلافة يزيد بن عبد الملك وما وقع فى بعض النسخ من انه الفهرى بالفاء بدل الميم تحريف (قال حضرنا عمرو بن العاص) برسم ياء وقد تحذف كما مر (فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا) أحد (أجل فى عينى منه) تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واحد (وما كنت أطيق) أى أقدر (أن أملأ عينى منه) أى أطيل النظر اليه وملء العين تحقيق النظر وتطويله وهو مجاز مشهور وقوله ولكن ملء عين حبيبها بمعنى آخر يعنى ما يعجبه ويحسن منظره (اجلالا له) أى لاجلاله ومهابته (ولو سئلت أن أصفه) بحليته (ما أطقت) وقدرت لعدم احاطة علمى به (لانى لم أكن أملأ عينى منه) وهذا التحقيق الجواب على كل حال كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أى لا أقدر أن أصفه على تقدير انى شئت فكيف اذا لم أشأ فلا يقال ان لو لامتناع الشرط والجواب فيقتضى انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم فى الايمان حضرنا عمرا فى سياقة الموت يبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه عبد الله يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان أفضل ما يعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله انى كنت على أطباق ثلاث الى آخره فذكر حاله فى جاهليته وبغضه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه أمره فى الولاية وخوفه من آثامها رضى الله تعالى عنه (وروى الترمذى عن أنس) رضى الله تعالى عنه (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج) من بيته (على أصحابه من المهاجرين والانصار) رضى الله تعالى عنهم وعداه

بعلى وهو يتعدى بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينظره (وهم جلوس) فى المسجد (فيهم أبو بكر وعمر) رضى الله تعالى عنهما (فلا يرفع أحد منهم اليه بصره) بل يطرقون لمهابته (الا أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) ويجوز الا أبا بكر وعمر نصبا (فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) لما بينهما من الالفة وقدم الصحبة والصهارة والتمكن مقامهما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى اسامة بن شريك) الصحابى الثعلبى من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة بن بشكر وقد أخرج له أصحاب السنن وأحمد فى مسنده (قال) أى اسامة (أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حوله) أى محيطون به فى مجلسه (كأنما على رؤسهم الطير) هذا مثل تضرب به العرب لشدة الرزانة والسكون لان الطير لا تنزل الا على ساكن وقد تقدم فى مقصورتى النبوية

كأنما الطير على رؤسهم * من كل غصن فى ربا المجد نما

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذى (وفى حديث صفته) بالتاء المثناة الفوقية يعنى حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصفية بالياء التحتية اسم امرأة ولا يعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بن أبى هالة كما تقدم (اذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير) أى طأطؤا رؤسهم تأدبا وذكر هذا مع ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم فى الجلساء لما فيه من ان كل من حضر مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو من أعدائه يهابه لانه أمر ذاتى له (وقال عروة بن مسعود) رضى الله تعالى عنه ابن معتب الثقفى (حين وجهته قريش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) سنة سبع بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا (عام القضية) أراد بها قصة الحديبية وقيل أراد السنة التى قضى فيها العمرة فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء والقضية اذ القضاء وقع بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو محتاج للتاويل ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضاء كان سنة سبع بعد فتح خيبر فلعل المصنف أراد القضية اللغوية التى جرت فى الحديبية من الصلح والصد عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التى أرادها أهل السير انتهى وهذا بناء على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم ففسدت لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقهاء فى مثله فقيل يجب الهدى ولا قضاء وقيل يجب القضاء بلا هدى وقيل لا يلزمه هدى ولا قضاء وقيل يلزمه الهدى والقضاء وقصة القضية مفصلة فى السير وعروة هذا أسلم لما انصرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وأدركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين أرسلوه مشركا (ورأى) عروة (من تعظيم أصحابه له صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى) هذا فيه من المبالغة ما فى قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم أى رأى من اكرامهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمهم له شيأ عظيما لا يمكن التعبير عنه لفواته الحصر ولذا أبهمه وان ذكر بعضا منه بقوله (وانه)

وهم جلوس) حال (فيهم أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) أى من جملتهم أو فيما بينهم أبو بكر والجملة حال أيضا (فلا يرفع أحد منهم اليه بصره) أى نظره اجلالا لمحضره (الا أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فانهما كانا ينظران) أى يطلعان (اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) أى لكمال فضلهما على غيرهما قال الحلبى أخرجه الترمذى فى مناقب أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقال غريب لا نعرفه الا من حديث الحاكم وقد تكلم بعضهم فيه انتهى (روى اسامة بن شريك) بفتح فكسر ثعلبى كوفى صحابى وقد روى عنه أصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذى (قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حوله) الجملة حال وفى نسخة حوله جلوس أى جالسون والمعنى انهم محيطون به متحلقون لديه متادبون بين يديه (كأنما على رؤسهم الطير) بالرفع أى بحيث لو فرض أن يكون طير على رؤسهم لا يتحرك لسكونهم حال جلوسهم (وفى حديث صفته) بكسر ففتح أى نعته ووصفه عليه الصلاة والسلام وتصحف على بعضهم بصفية أم المؤمنين وليس لها هذا الحديث (اذا تكلم أطرق جلساؤه) أى أرخوا رؤسهم (كأنما على رؤسهم الطير) أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة رواه عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه (وقال عروة بن مسعود رضى الله تعالى عنه) أى الثقفى على ما رواه البخارى عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ابن أبى العاص انه (حين وجهته قريش) أى أرسلته (عام القضية) أى قضية صلح الحديبية (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى طلب الصلح سنة ست من الهجرة النبوية تسمى بها لانه كتب فيها هذا ما قاضى عليه الصلاة والسلام أى صالح وأما ما ذكره الانطاكى من ان القضية كانت فى السنة السابعة بعد الحديبية فهو وهم لانها تسمى عام القضاء وقد تسمى عام القضية الا انها ليست هذه القضية (ورأى) أى عروة (من تعظيم أصحابه له ما رأى) أى مما لا يكاد يستقصى (وانه) بالفتح عطفا على ما رأى وبالكسر على الجملة الحالية

صلى

(الا يتوضا) أى لا يستعمل الوضوء (الا ابتدروا وضوءه) بفتح الواو وقد يضم أى سارعوا الى بقية ما توضأ به من الماء أو الى ما تقاطر منه من الاعضاء (وكادوا يقتتلون عليه) أى لفرط حرصهم على التبرك بما لديه أو بما أصابه من يديه ولم يصب منه شيأ يكون من نصيبه أخذ من بلل يد صاحبه (ولا يبصق) بضم الصاد (بصاقا) أى ولا يبزق بزاقا من الفم (ولا يتنخم نخامة) بضم النون ما يخرج من أقصى الحلق ومن مخرج الخاء المعجمة (الا تلقوها) أى أخذوها من الهواء (باكفهم) أى من غاية الهوى ونهاية الهدى (فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم) اى فبالغوا فى مسح أعضائهم بها (ولا تسقط منه شعرة) بسكون العين وتفتح (الا ابتدروها) أى بادروا الى أخذها وحفظها سواء كانت من رأسه أو بقية مساسه (واذا أمرهم بامر) أى من أمره ونهى (ابتدروا أمره) أى امتثاله (واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده) أى ان طلب جوابا منهم والا سكتوا وسمعوا كلامه وفهموا مرامه (وما يحدون) بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد داله أى ما يشخصون (اليه نظرا تعظيما له) أى وهيبة وتكريما له (فلما رجع) أى عروة (الى قريش قال يا معشر قريش انى جئت كسرى) بكسر الكاف وبفتح وفتح الراء وقد يقال هو لقب ملك فارس أى حضرته (فى ملكه) أى تحت سلطنته وتحت هيبته وعظمته (وقيصر) أى وجئت قيصر وهو لقب ملك الروم (فى ملكه) أى فى معظم ملكه (والنجاشى) بفتح النون ويكسر وبتشديد الياء ويخفف وهو لقب ملك الحبشة (فى ملكه) أى فى دياره وداره

 (وانى والله ما رأيت ملكا) اى من الملوك المذكورة معظما ومكرما (فى قوم) أى فيما بين جنده (قط) أى أبدا (مثل محمد فى أصحابه وفى رواية) أى أخرى كما فى نسخة (ان) بكسر همز وسكون نون اى ما (رأيت) اى ما أبصرت أو ما علمت (ملكا) أى من الملوك (قد تعظمه أصحابه ما يعظم) أى مثل ما يعظم (محمدا أصحابه وقد رأيت) أى أبصرت أصحابه وعلمت أحبابه وأحزابه (قوما لا يسلمونه) بضم الياء وسكون السين وكسر اللام أى لا يخذلونه (أبدا) من اسلمته الى شئ ثم خص بالالقاء فى المهلكة بدليل حديث انى وهبت لخالتى غلاما وقلت لها لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا أى لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع فكراهة القصاب والحجام لما يباشرانه من النجاسة مع تعذر الاحتراز ولما فيه من لوازم القساوة وقلة المرحمة وأما الصائغ فلما يدخل صنعته من الغش والربا وخلف الوعد والايمان الكاذبة

صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يتوضأ الا ابتدروا) اى أسرعوا واخذوا (وضوءه) بفتح الواو أى بقية الماء الذى توضأ به وما تساقط منه قبل وصوله الى الارض (وكادوا) أى قربوا لازدحامهم ودفع بعضهم بعضا من (ان يقتتلوا عليه) أى على وضوئه وأخذه لحرصهم على التبرك بما مسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (ولا يبصق بصاقا) أى رمى شيأ من ريقه الشريف (ولا تنخم نخامة) بضم النون لان فعالة ونحوها للكل قليل انفصل من شئ كالبراية والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول ما يخرج من الفم والثانى ما يخرج من أقصى الحلق (الا تلقوها) أى النخامة (باكفهم) واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما أو جعلهما شيأ واحدا لاتحادهما جنسا (فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم) تبركا بهما (ولا تسقط منه شعرة) بفتح العين وسكونها فى حلاقة رأس ونحوه (الا ابتدروها) وسارعوا الاخذها (واذا أمرهم بامر ابتدروا أمره) بالامتثال والامر مصدر أو بمعنى المأمور وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشأنه وتنويها لقدره (واذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (خفضوا أصواتهم عنده) لتبيين ما يقول لهم (ولا يحدون اليه النظر) أى لا ينظرون اليه صلى الله تعالى عليه وسلم نظرا حديدا أى قويا أولا يبلغ نظرهم اليه حده ومنتهاه بل ينظرون اليه من طرف خفى مطرقين رؤسهم تأدبا لجلالته فى قلوبهم (تعظيما له) صلى الله تعالى عليه وسلم علة للنفى لا للمنفى أى يتركون كمال نظرهم لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رجع) عروة (الى قريش قال لهم (يا معشر قريش) المعشر والمعشرة بمعنى (انى جئت كسرى) بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم (فى ملكه) فى زمن سلطنته (وقيصر) ملك الروم (فى ملكه و) جئت (النجاشى) ملك الحبشة (فى ملكه) ورأيتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشى بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كما مر (وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه) اى لا يعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه (وفى رواية) لحديث عروة (ان) بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما (رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه) كمثل (ما يعظم محمدا أصحابه) ففيه مضاف مقدر وما مصدرية أو موصولة أى كالتعظيم الذى يعظمه أصحابه فالعائد مقدر (وقد رأيت قوما) يعنى بهم الصحابة رضى الله عنهم (لا يسلمونه) بضم اوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع أسلمه يقال أسلمه لعدوه اذا أمكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال أسلمه اذا ألقاه فى هلكة فهو عام أريد به خاص (أبدا) ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضى يعنى ان ما شاهدته من أحوالهم فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم له يدل على انهم لا يقصرون فى نصره ويبذلون أنفسهم دونه واياكم ان تطمعوا فى خلافه

وهذا بعض من حديث طويل رواه البخاري (وعن أنس) في حديث رواه مسلم قال فيه (لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق) بتشديد اللام وهو الذي يحلق شعر رأسه فقوله (يحلقه) بتقدير مضاف (وقد أطاف به أصحابه) أي جلسوا حلقة حوله صلى الله تعالى عليه وسلم وطاف بمعنى دار وأطاف بمعنى استدار من غير حركة (فما يريدون ان تقع شعرة) من شعر رأسه (الا في يد رجل) منهم حرصا على التبرك بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والذي حلق رأسه وقلم اظفاره معمر بن عبد الله العدوي في حجة الوداع وقال ابن الاثير في الانساب انه خراش بن أمية الكلبي وكان ذلك يوم الحديبية كما قاله ابن عبد البر والذي حلقه بالجعرانة أبو هند وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحلق رأسه الا في حج أو عمرة (ومن هذا) أي تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم (لما أذنت قريش لعثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه حين أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أهل مكة وهو بالحديبية وقد صدوهم عن البيت وارسله لاعلامهم بانهم لم يأتوا لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم أذنوا لعثمان رضي الله تعالى عنه (في الطواف بالبيت) بعد منعهم منه له كغيره حين وجهه أي أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لجهتهم (في القضية) أي قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية كما مر (أبي) الطواف وهو جواب لما (وقال ما كنت لأفعل) الطواف وحدي و رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد منع منه ولم يرسلني لذلك فلا أطوف (حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ففيه من تعظيمه والوقوف عند أمره ما لا يخفى وهذه القصة مفصلة في السير وحاصل ذلك انهم لما صدوهم عن دخول مكة وأرسلوا عروة لاعلامهم بذلك أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان لعظماء قريش ليخبرهم بمجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة أجاره أبان بن العاص حتى بلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له يا عثمان ان شئت فطف فقال ما كنت لأفعل فاحتبسوه وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم الحرب وبايع أصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة كما رواه الترمذي عن طلحة رضي الله تعالى عنه وقال انه حسن غريب وقوله ما كنت لأفعل أبلغ من لا أطوف (وفي حديث طلحة) الذي رواه الترمذي وحسنه (أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله) أي سل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) في قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت لانه للزومه كأنه نذر في ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه ان يجاهد في سبيل الله وقتال أعدائه والثبات في مواقفه حتى كأنه نذر عليه والمراد هنا الثاني فمن اقتصر على الاول فقد قصر أي

(وعن أنس رضي الله تعالى عنه كما رواه مسلم لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه) أي يحلق شعر رأسه اما بعد عمرة أو بعد الحج اذ لم يحلق في غيرهما (وأطاف به أصحابه) أي داروا حوله ليأخذوا من شعره ويتبركوا بآثاره (فما يريدون) أي من كمال اتفاقهم (ان تقع شعرة) أي من شعراته (الا في يد رجل) أي من طلاب بركاته واختلف في اسم من حلق رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصحيح المشهور انه معمر بن عبد العزيز العدوي كما ذكره النووي في شرح مسلم وفي صحيح البخاري زعم وانه معمر وعن ابن عبد البر ان خراشا حلقه يوم الحديبية انتهى وأما في عمرة الجعرانة فقيل حلقه أبو هند والله أعلم (ومن هذا) أي ومن جملة تعظيم أصحابه وتكريم أحبابه (لما أذنت قريش) أي مراعاة (لعثمان رضي الله عنه) أي حين قدومه مكة (في الطواف بالبيت) أي بعد منعه منه (حين وجهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم في القضية) أي في قضية صلح الحديبية (أبى) أي امتنع عثمان أن يطوف به (وقال ما كنت لأفعل) أي الطواف وحدي (حتى يطوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكمال أدبه وجمال طلبه وكان ذلك حين انتهى اليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا مكة ليعتمر فصده المشركين فدخل عثمان الى مكة للصلح وتقدم بقية القضية في الفصل التاسع من أول الكتاب (وفي حديث طلحة رضي الله تعالى عنه) أي ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرة وسيأتي بعض منقبته قريبا وقد روى عنه الترمذي وحسنه (أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله) يعنون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) أي في قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه أي وفى بنذره ومنهم من ينتظر أمر قضائه وقدره في تحقيق أمره روى أن رجالا من الصحابة منهم عثمان بن عفان وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضي الله تعالى منهم نذروا أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وقد ثبت طلحة يوم أحد وبذل جهده في القتال حتى شلت يده اذ وقى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر انه أصيب في جسده بضعا وثمانين من بين طعن وضرب

(وكانوا يهابونه ويوقرونه) أي يعظمونه ولهذا لما كانوا لا يسألونه وكان عليه الصلاة والسلام يتحمل من الاعراب ما لا يتحمل من الاصحاب (فسأله) أي الاعرابي (فأعرض عنه) أي عن جوابه ولم يلتفت الى ما يتعلق ببيانه (اذ طلع طلحة رضي الله تعالى عنه) أي الراوي (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) فكأنه ألزم نفسه أن يصدق الله تعالى في قتال أعدائه في الحرب ففعل ووفى بعهده يوم أحد وقيل المراد بالنحب هو الموت فكأنه التزم أن يقاتل حتى يموت ففي الحديث ايماء الى انه سيموت شهيدا وفي الحلية انه عليه الصلاة والسلام تلا على المنبر فمنهم من قضى نحبه فسأله رجل منهم فاقبل على طلحة ابن عبيد الله وقال هذا منهم وفي تفسير ابن أبي حاتم ان عمارا منهم وهذا يحتمل التأويل بين المتقدمين وفي تفسير يحيى بن سلام المغربي هم حمزة وأصحابه والظاهر ان المراد بهم شهداء أحد ولا يبعد أن يقال المراد بهم الشهداء والثابتون لا مقابلة الاعداء واختار ابن الملقن المعنى الاول حيث قال والذي يظهر لي انهم المقتولون معه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وما قلناه هو الاتم الاعم والله تعالى أعلم وقد قتل طلحة رضي الله تعالى عنه في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة قال الحلبي وفي الصحابة أربعة عشر غيره ممن يقال له طلحة (وفي حديث قيلة) بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة بنت مخرمة العنبرية على ما رواه أبو داود في الادب والترمذي في الشمائل (فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) بضم القاف والفاء أي جلسة المحتبي بيديه (أرعدت) أي اضطربت (من الفرق) بفتحتين أي الخوف والفزع وذلك هيبة له وتعظيما (وفي حديث المغيرة) الذي رواه الحاكم في علوم الحديث والبيهقي في المدخل (كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعون) أي يضربون (بابه بالاظافير) وفي نسخة بالاظافر أي ضربا خفيفا ودقا لطيفا تعظيما وتكريما وتشريفا وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه انه أخذ قدح سويق فشربه حتى قرع القدح جبينه أي ضربه والمعنى شربه جميعه

منهم من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضي الله تعالى عنه (وكانوا) أي أصحابه (يهابونه ويوقرونه) فلا يكثرون سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم اجلالا له (فسأله) الاعرابي (فأعرض عنه) ولم يجبه (اذ طلع طلحة) أي كان اعراضه في وقت طلوعه أي مجيئه لمجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اذ هنا فجائية كقوله * فبينما العسر اذ دارت مياسير * أي فاجأهم طلوعه عليهم بغتة (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد التيمي أحد العشرة وفي الصحابة طلحة التيمي غيره وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية وروى أبو نعيم انه صلى الله تعالى عليه وسلم تلا هذه الآية على المنبر فسأله رجل من هؤلاء فاقبل طلحة بن عبيد الله فقال هذا منهم وكذا في سنن ابن ماجه وفي تفسير ابن أبي حاتم ان عمارا منهم وفي تفسير يحيى بن سلام هم حمزة وأصحابه قال ابن التين كان ممن مات ذلك اليوم عبد الله بن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة ابن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم انس بن النضر وطلحة بن عبيد الله وعمار وحمزة وأصحابه الذين قتلوا معه باحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض وانما قال صلى الله تعالى عليه وسلم في حقه ذلك لانه كان قد غاب عن بدر فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا آخر ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد ابلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى استعلى الصخرة فلذا اشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو أحد العشرة والنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفي الآية كلام طويل في التفاسير وأمالي ابن الحاجب ليس هذا محله (وفي حديث قيلة) الذي رواه أبو داود والترمذي وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة تحتية ولام وهاء بنت مخرمة العنبرية الصحابية وقيل انها انمارية كما تقدم وحديثها في الشمائل وفيه طول (فلما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه قال في القاموس القرفصى مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصاء بضم القاف والراء أن يجلس على اليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه ويضعهما على ساقيه أو يجلس على ركبتيه منكبا ويلصق بطنه بفخذيه انتهى (أرعدت) أي حصل لي رعدة واضطراب (من الفرق) بفتحتين أي شدة الخوف (وذلك) أي ما كان لي من الرعدة والخوف (هيبة له وتعظيما) لجلالته وعظمته في عين رائيه (وفي حديث المغيرة) ابن شعبة الذي رواه الحاكم والبيهقي (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذا أتوا لأمر وهو في منزله (يقرعون) القرع ضرب خفيف ومس له صوت (بابه بالاظافير) جمع ظفر على غير القياس أو جمع أظفور وأظفار بمعنى ظفر فاظافير جمع الجمع فالاول أولى لان جمع المفرد أقيس من جمع الجمع وهذا أي ذكر الباب والقرع يقتضي ان حجرته صلى الله تعالى عليه وسلم كان لها باب من

(وقال البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه كما روى أبو يعلى لقد كنت أريد أن أسال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر فأؤخر) وفي نسخة فأؤخره أي فأؤخر سؤاله (سنتين) بصيغة التثنية وفي نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) أي من كمال هيبته وجلال عظمته صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل) (واعلم ان حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه) بنصبهما أي بعد وفاته (لازم) أي على كل مسلم (كما كان) أي ما ذكر واجبا (حال حياته) أي لانه الآن حي يرزق في علو درجاته ورفعة حالاته (وذلك) أي التعظيم والاكرام (عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه) أي كلامه (وسنته) أي وذكر طريقته (وسماع اسمه) وكذا نعته (وسيرته) أي في جميع هيئاته من حركاته وسكناته (ومعاملة آله) أي أهل بيته (وعترته) بكسر أوله أي ذريته وقرابته (وتعظيم أهل بيته) أي من أزواجه وخدمه ومواليه (وصحابته) أي أهل صحبته (قال أبو ابراهيم) زيد في نسخة اسحق (التجيبي) بضم التاء وتفتح وبكسر الجيم (واجب على كل مؤمن متى ذكره) أي بنفسه (أو ذكر عنده) أي على لسان غيره (أن يخضع) أي ظاهرا (أو ليخشع) أي باطنا (ويتوقر) أي يتكلف الوقار والرزانة في هيئته (ويسكن من حركته ويأخذ) أي يشرع ويسرع (في هيبته واجلاله) من أي في مقام تعظيمه واكرامه (بما كان يأخذ به نفسه) أي يطلب منها (لو كان) أي فرضا (بين يديه) أي أمام عينيه (ويتادب) بالنصب أو الرفع (بما أدبنا الله به) أي من وجوب تعظيمه وتكريمه وخفض الصوت ونحوه

خشب ونحوه وقدوردانه كان عليه ستر او سجف وجمع بانه كان من جلد يقرع فلا يحرر فان مثله لا يقال بالرأي واعلم ان مثله هذا هل يسمى حديثا أولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل هو مرفوع أم لا اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقي في ألفيته

لكن حديث كان باب المصطفى * يقرع بالاظفار مما وقفا
حكما لدى الحاكم والخطيب * والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله تعالى (وقال البراء بن عازب) بن حارث الخزرجي الانصاري توفي في أيام مصعب بن الزبير في حديث رواه أبو يعلى وصححه (لقد كنت) اللام جواب قسم مقدر أي والله (أريد ان أسال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر) من الامور التي تهمني أو تخطر ببالي مما أحتاج لبيانه (فأؤخر) بهمزتين وقد تبدل الثانية واوا والافصح الاول (سنتين) مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) صلى الله تعالى عليه وسلم أي من مهابته في قلبي وعظمته في نفسي

* (فصل واعلم) * أمر من العلم معطوف على ماقبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه قوله (ان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهي المهابة أي احترامه والتادب معه (بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم) على كل أحد (كما كان) لازما في (حال حياته) لبقاء نبوته ورسالته (وذلك) أي ماذكر من احترامه وتعظيمه لازم (عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله) تقدم بيان المراد بهم (وعترته) بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثة خطا من العامة وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم في أمور دينية أودنيوية (وتعظيم أهل بيته) أي زوجاته وخدمه وأتباعه وليس المراد به آله وعترته حتى يكون اطنابا (وصحابته) رضي الله تعالى عنهم (قال أبو ابراهيم التجيبي) بضم التاء وفتحها كما تقدم (واجب على كل مؤمن) خصه لان الكافر لا يجب عليه ذلك وقيل انه يجب عليه أيضا بناء على انه مخاطب بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى مطالبته به في الآخرة وعقابه عليه (متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده) وسمعه (ان يخضع) أي يبدي التذلل والاستكانة وخفض الجناح وخضع يكون لازما وهو المعروف ومتعديا يقال خضع الحديث أي لينه (ويخشع) الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع أعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه (ويتوقر) أي يظهر الوقار والرزانة (ويسكن من حركته ويأخذ) أي يشرع (في هيبته) أي اظهار مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (واجلاله) بتعظيمه حق تعظيمه (بما كان يأخذ به نفسه) أي يكلفها ويلزمها (لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم) حاضرا في مجلسه فيفرض ذلك بملاحظته وتمثيله فكأنه عنده (ويتادب بما أدبنا الله به) مثل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الى آخره ولا ترفعوا أصواتكم وغيره كما تقدم آنفا وفيه اشارة الى ان هذا ثابت بالقرآن أيضا لدخوله في عموم ماتقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه بخصوصه في النصوص القرآنية ومن لم يتنبه لهذا قال كان على المصنف رحمه الله تعالى ان يقدم دليلا قرآنيا على الحديثي يدل على ان وجوب حرمته ميتا كحرمته حيا كما هو دأبه وان يذكر انه حكم عام فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما ورد في حقهم

(قال القاضى أبو الفضل) يعنى المصنف (وهذه) أى الطريقة المرضية (كانت سيرة سلفنا الصالح) بزومى الصالحين أى المتقدمين من الصحابة والتابعين (وأئمتنا الماضين) أى العلماء العاملين (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى وأبو القاسم أحمد بن بقى) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية (الحاكم وغير واحد) أى وكثيرون (فيما اجازونيه هذا لغة فى اجازوه لى قالوا) أى كلهم (أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث) بكسر داله وسكون لامه ومثلثة فى آخره (قال ثنا) أى حدثنا (أبو الحسن على بن فهر) بكسر فاء فسكون هاء ثم راء (ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج) بفتح الفاء والراء فجيم (ثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم ميم فسكون نون ففوقية (قال ثنا يعقوب ابن اسحق بن أبى اسرائيل ثنا ابن حميد) بالتصغير (قال ناظر) أى جادل وباحث (أبو جعفر) هذا هو المنصور عبد الله بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس ثانى خلفاء بنى العباس (أمير المؤمنين) اطلاق هذا عليه غير معروف بين المصنفين (مالكا) أى الامام (فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ورفع صوته فى كلامه معه (فقال له) أى مالك كما فى أصل صحيح (يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد) أى خصوصا لانه بقرب قبره عليه الصلاة والسلام (فان الله تعالى) وفى نسخة عز وجل (ادب قوما) أى معظمين (فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآية) أى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون (ومدح قوما) أى مكرمين (فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية) أى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم (وذم قوما) أى من الاعراب (فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية) أى اكثرهم لا يعقلون (وان حرمته ميتا) بالتشديد والتخفيف (كحرمته حيا

من المدح والتعظيم وقوله تعالى فبهداهم اقتده وقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضى تعظيمه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الآتى رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل على ولا يخفى ما فيه (قال القاضى) أبو الفضل عياض المؤلف (رحمه الله تعالى وهذه) الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا واتباعه تبادر ما ذكر لقوله (كانت سيرة سلفنا الصالح) أى دأب وطريقة من تقدم من الصالحين والعلماء العاملين رضى الله تعالى عنهم اجمعين ثم بين هذه السيرة بقوله (حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى) هو ابن سعيد القرطبى وقد تقدم (وأبو القاسم بن بقى) بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة وياء مثناة تحتية (الحاكم) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن يزيد بن بقى (وغير واحد فيما اجازونيه) أى روايته عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح وغيره (قالوا) أى قال هؤلاء كلهم (أنبانا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث) بكسر الدال المهملة وسكون اللام وهاء وألف يليها ثاء مثلثة بزنة جلباب علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث قال (حدثنا أبو الحسن على بن فهر) بالكسر كاسم القبيلة قال (حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج) قال (حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقية وألف وباء موحدة وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن أيوب قاضى المدينة قال (حدثنا يعقوب ابن اسحق بن أبى اسرائيل) قال (حدثنا ابن حميد) بالتصغير ابن حميد بن ثعلبة احد رواة مالك (قال ناظر) ماض من المناظرة وهى المباحثة فى امر من الامور وهى مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر فى كلام من يجادله وفيه كلام فى شرح آداب البحث ليس هذا محله (أبو جعفر أمير المؤمنين) ثانى خلفاء بنى العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة فى التواريخ (مالكا) امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله (فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فرفع صوته فى مناظرته (فقال مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد) النبوى المحترم واول من سمى بامير المؤمنين على العموم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سماه به المغيرة بن شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم حين وفدا اليه من العراق وقيل انه رضى الله تعالى عنه قال للناس أنتم المؤمنون وانا اميركم فسمى بذلك وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن ذلك لطوله واحترزنا بعلى العموم عن عبد الله بن جحش فانه سمى به على الخصوص فى ولايته على سرية اثنى عشر رجلا وقيل ثمانية واول من سمى بامير المسلمين يوسف بن (٢) تاشف بن المثم (فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم) الخ وتقدم تفسيرها (ومدح قوما فقال الذين يغضون اصواتهم) الى آخره وتقدم بيانها أيضا (وذم قوما فقال ان الذين ينادونك) الى آخره كما تقدم (وان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا)

٢ قوله ابن تاشف وفى نسخة ابن تاشفين والتى بايدينا ابن سفيان المكثم فلتحرر اه مصححه

فاستكان لها أبو جعفر) أى خضع وخشع لمقالة مالك رحمه الله تعالى وفيه تنبيه نبيه على أنه يجب التادب بين يدى العالم لما روى من
ان الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته (وقال) أى أبو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا أب عبد الله) بحذف الالف كتابة
واثباته قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتقدير ءاستقبلها (وادعوا) أى الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة (أم أستقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) أى مالك (ولم تصرف وجهك عنه) أى عن رسولك (فهو) وفى نسخة صحيحة وهو أى والحال انه (وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام) أى وسائر الانام (الى الله يوم القيامة) أى كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (بل استقبله واستشفع به) أى اطلب شفاعته وسل وسيلته فى قضاء مراداتك واداء حاجاتك (فيشفعك الله) بتشديد الفاء أى يقبل الله به شفاعتك لامرك ولغيرك وفى نسخة فيشفعه أى فيقبل شفاعته فى حقه ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك (قال الله تعالى) أى مصداقا لذلك فيما قرره مالك (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بالمعصية (جاؤك) أى للمعذرة والتوبة (الآية) يعنى
فاستغفروا الله أى بلسانهم وجنانهم واستغفر لهم الرسول فيه التفات عدل اليه تفخيما لشانه صلى الله تعالى عليه وسلم لوجدوا الله أى لعلموه توابا رحيما أى منعوتا بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعد المؤاخذة على ما صدر منهم اليه

أى ما يجب ان يراعى فى حقه فى حياته يراعى بعد مماته (فاستكان لها أبو جعفر) استكان افتعل من المسكنة بمعنى خضع وذل اشبعت حركته كما فى القاموس وفيه كلام فى التصريف وضمير لها راجع لمقالة الامام مالك المعلومة من المقام ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا (وقال) أبو جعفر للامام مالك (يا أبا عبد الله) كناه تعظيما له بسؤاله بقوله (استقبل القبلة) أصله استقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ووجود القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر ام بثمان

وهو من خصائص الهمزة (وادعوا) اذا أردت زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم (أم استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اجعل وجهى مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبرا القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال القبلة فى الدعاء مشروع فاذا عارضه هذا فايهما يقدم (فقال) له مالك رحمه الله تعالى (ولم تصرف وجهك عنه) أى عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء (وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام الى الله يوم القيامة) المراد بالوسيلة وهى السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعاء وكنى بذلك عن جميع الناس أى هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله يوم القيامة اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعى اذا قال اللهم انى استشفع اليك بنبيك يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له (بل استقبله) صلى الله تعالى عليه وسلم بوجهك فى دعائك بما تريد (واستشفع به) الى الله تعالى فى الاجابة فانه شفيع لا يرد من توسل به اليه (فيشفعه الله) فيك ويقبل دعاءك وفى نسخة فيشفعك الله وهى مشكلة اذ المراد الاول واولت هذه بان اصلها فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر مضاف للفعول ولا يخفى ما فيه وفى هذا رد على ما قاله ابن تيمية من استقبال القبر الشريف فى الدعاء عند الزيارة أمر منكر لم يقل به احد ولم يره الا فى حكاية مفتراة على الامام مالك يعنى هذه القصة التى أوردها المصنف رحمه الله هنا ولله دره حيث أوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله لم ينقل ولم يرو باطل فان مذهب مالك وأحمد والشافعى رضى الله تعالى عنهم استحباب استقبال القبر الشريف فى السلام والدعاء وهو مسطر فى كتبهم وصرح به النووى فى اذكاره وايضاحه وقال السبكى صرح أصحابنا بانه يستحب ان ياتى القبر ويستقبله ويستدبر القبلة بعيدا من رأس القبر نحو أربع اذرع فيسلم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يتأخر ويسلم على أبى بكر رضى الله تعالى عنه ثم يتاخر ويسلم على عمر رضى الله تعالى عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر ويدعو بما أراد وقد نقل عن أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه يستقبله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره السروجى من أئمتنا وقيل فى قوله وسيلة أبيك آدم ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة ثم ندم قال يا رب أسألك بحق محمد الا غفرت لى فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لانى رأيت على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف لنفسك الا أحب الخلق اليك فقال صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم (قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية) استدل بهذه الآية على ما ادعاه من التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادى عليه لوجدوا الله توابا رحيما التعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم واستؤنس به لاستحباب استقباله أيضا دون استقبال القبلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره يسمع دعاء زائره ومن جاء عظيم الرجاء شفاعته له لا شك فى انه يتوجه

(وقال مالك رحمه الله وقد سئل عن أبى أيوب السختيانى) أى عن مقامه ومرتبته وهو بفتح سين مهملة وسكون خاء معجمة وفتح تاء فوقية وكسر تحتية فالف فنون نسبة الى بيع السختيان وهو الجلد المدبوغ معرب وهو عنزى وقيل جهنى مولاهم يروى عن ابن سيرين وجماعة وعنه شعبة ومالك وقال ابن علية كنا نقول عنه ألفى حديث وقال شعبة ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء وحدث عن أم خالد بنت خالد واسمها آمنة وحديثه عنها فى البخارى وقال فى أثره ولم أسمع أحدا يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى من غير ذكر واسطة سوى أم خالد والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله (ما حدثتكم) أى ما رويت لكم حديثا (عن أحد) من اتباع التابعين (الا وأيوب أفضل منه وقال) أى مالك رحمه الله تعالى دالا على ذلك (وحج) أى أيوب (حجتين) أى مرتين (فكنت أرمقه) بضم ميم أى انظر اليه وأتأمل لديه (ولا أسمع منه) أى كلاما يكون عليه أو لا أسمع منه حديثا يحدثنى به (غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) الظاهر يبكى (حتى أرحمه) أى من شدة بكائه وكثرة عنائه شوقا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رأيت منه ما رأيت) أى من حسن فعاله ما يقتضى بعض بعض كماله واجلاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (كتبت عنه) أى الحديث ورويت عنه العلم (وقال مصعب بن عبد الله) أى ابن مصعب ابن ثابت الزبيرى يروى عن مالك وغيره وعنه الشيخان وغيرهما (كان مالك اذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة بصيغة المفعول وهو يشمل ما ذكره وذكره غيره عنده ويؤيده ان فى نسخة فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يتغير لونه وينحنى) أى يميل ظهره (حتى يصعب) بضم العين أى يشتد (ذلك على جلسائه) أى من أجل مشاهدة شدة عنائه (فقيل له يوما فى ذلك) أى فى تهوين الامر على نفسه هنالك (فقال لو رأيتم ما رأيت) أى لو عرفتم ما عرفت من جلال مقامه وجمال مرامه (لما أنكرتم على ما ترون) أى ما تبصرون من اضطراب حالى وتغير مقالى (ولا يبعد ان يكون المعنى) لو أبصرتم ما أبصرت من مشاهدة جماله ومطالعة جلاله فى مقام مكاشفة كماله (لقد كنت أرى محمد بن المنكدر) أى التيمى المدنى الحافظ روى عن أبيه وعائشة وأبى هريرة وهو مرسل قاله ابن معين وأبو زرعة وعن أبى قتادة قال العلائى والظاهر ان ذلك مرسل وعن أبى أيوب وجابر وعنه شعبة ومالك والسفيانان امام مسن له بكاء وتوفى فى سنة ثلاثين ومائة (وكان سيد القراء) جملة معترضة (لا نكاد نسأله عن حديث أبدا) أى قط (الا يبكى) من لوعة الاحتراق بلذعة الافتراق (حتى نرحمه) من كثرة بكائه وشدة عنائه

اليه بقلبه وقالبه كما قال ابن المقرى رحمه الله تعالى

تخاطبه لما تناجيه مقبلا * على غيره فيها الا لضرورة
ولو ردّ من ناجاك للغير طرفه * تميزت من غيظ عليه وغيرة

فتدبر (وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختيانى) وهو الامام أبو بكر البصرى التابعى سيد الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك والثورى وغيرهم والسختيانى بكسر السين نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وهو معرب وتاؤه تفتح وتكسر أخرج له الستة وتوفى فى سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك (ما حدثتكم) أى رويت لكم (عن أحد) من مشايخه (الا وأيوب أفضل منه وقال) مالك (وحج حجتين وكنت حاجا اذ ذاك (فكنت أرمقه) أى أنظر اليه يقال رمقه اذا نظر اليه (ولا أسمع منه) شيأ لسكوته وطول صمته كذا قيل والظاهر انه أراد لا أسمع منه الحديث فاروى عنه لما سيأتى من قوله كتبت عنه (غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (بكى حتى أرحمه) أى يرق قلبى عليه رحمة له لما أراه منه (فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) واتباع سنته فى جميع أحواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته وانه ثقة فاشر بعد ما سمعت منه (كتبت عنه) الحديث ورويته عنه وهذا يدل على كمال ورعه فى الرواية وانه لا يروى عن كل أحد حتى يختبره وبكاؤه اما لتحسره على انه لم يره صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليس معه أو لخوفه من تقصيره فى اتباعه أو لاجلاله وتذكر مهابته حتى كأنه يراه وهذا أقرب للسياق (وقال مصعب) بصيغة المفعول علم منقول من الفحل الشديد (ابن عبد الله) بن مصعب ابن ثابت الزبيرى الحافظ أحد رواة الامام مالك (كان مالك) بن أنس رضى الله تعالى عنه ورحمه (اذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (يتغير لونه) بان يصفر كما يعترى من اشتد خوفه من شئ (وينحنى) أى يتضاءل لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحنى (حتى يصعب ذلك على جلسائه) وتلامذته لخوفهم عليه (فقيل له فى ذلك) أى سئل عنه وما سببه (فقال لو رأيتم ما رأيت) من السلف من خشوعهم واجلالهم لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم (لما أنكرتم على ما ترون) مما شاهدتموه من حالى (لقد رأيت محمد بن المنكدر) بن عبد الله التيمى المدنى الحافظ توفى فى سنة خمس ومائتين أخرج له الستة (وكان سيد القراء) أى كان فى عصره رئيس العلماء العارفين بالقرآن وتفسيره ووجوه قراءته وأحكامه (لا نكاد نسأله عن حديث أبدا الا يبكى حتى نرحمه) شفقة عليه لما نراه من اضطرابه لشدة

مهابته لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم أو لشدة شوقه الى لقائه وتأسفه على عدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم وكادهنا زائدة لتأكيد الكلام وقد ورد في كلامهم كثيرا كما في القاموس وهو أحد الوجوه في قوله تعالى لم يكد يراها أي لم يرها والمراد وأبدا المطلق الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنة المستقبلة فهي هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع في قوله هنا الا يبكي قال الامام مالك رحمه الله تعالى (ولقد كنت أرى جعفر بن محمد) اللام في جواب قسم مقدر ووقع في بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بانه (الصادق) ومحمد هو الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال والعين المهملتين والف وباء موحدة وهي المزاح (والتبسم) وهو أقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) لونه وتغير وجهه لمهابته واجلاله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا) وهو (على طهارة) أي بوضوء لنقل التشديث فيعلم منه نفي الحدث الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيمه الحديث (ولقد اختلفت اليه زمانا) كثيرا أي ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جاء وذهب وأتى وقتا بعد وقت في أوقات مختلفة فنزل اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات وضمير اليه لجعفر المذكور (وما كنت أراه الا) مستمرا (على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا) لا يتكلم (واما يقرؤ القرآن) فيناجي ربه (ولا يتكلم فيما لا يعنيه) بفتح أوله أي يهمه ويجديه نفعا لصون لسانه عن اللغو (وكان من العلماء) بالعلوم الشرعية (و) من (العباد الذين يخشون الله) وهذا حاله في منزله وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان في ملأ من الناس تلطفا بهم وحسن خلق فلا منافاة بينهما كما توهم قال مالك رحمه الله تعالى (ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم) بن محمد بن أبو بكر الصديق أحد فقهاء المدينة توفي رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين ومائة وأبوه أحد الفقهاء السبعة (يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم) نزف مبني للمجهول ومعناه سال وفيه تسمح أو تقدير اذ اللون لا ينزف والمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا واعترض بان المناسب لقوله (ولقد جف لسانه في فمه) الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التأمل وجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مفعول له لما قبله وقيل لمقدر ليتحد فاعلاهما ولا حاجة اليه وان جاز (ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير) بن العوام العابد الجليل القدر أخرج له الستة وتوفي بعد عشرين ومائة وترجمته معروفة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع)

(ولقد كنت أرى جعفر بن محمد) أي الصادق كما في نسخة وهو بالنصب لقب جعفر ولقب أبيه الباقر وهو ابن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال المهملة أي المزاح (والتبسم) يعني لكمال خلقه وجمال خلقه والجملة معترضة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) بتشديد الراء أي تغير لونه وتحول كونه (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت) أي ترددت (اليه زمانا) أي كثيرا (فما كنت أراه) أي أشاهده (الا على ثلاث خصال) أي احدى حالات ثلاث (اما مصليا واما صامتا) أي ساكتا متفكرا (واما يقرأ القرآن) كان الاولى ان يقول واما قارئا للقرآن (ولا يتكلم الا فيما يعنيه) بفتح الياء وكسر النون أي ينفعه في دينه عملا بقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وامتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (وكان) أي الامام جعفر الصادق (من العلماء والعباد) أي ممن جمع بين العلم والعمل وترك الهوى وطول الامل (الذين يخشون الله) أي يخافون عقوبته ويهابون عظمته (عز) أي شانه وسلطانه (وجل) أي برهانه سبحانه وتعالى (ولقد كان عبد الرحمن ابن القاسم) أي ابن محمد ابن أبي بكر الصديق التيمي ولد زمن عائشة رضي الله تعالى عنها وسمع أباه وابن المسيب وعنه شعبة ومالك وابن عيينة ثقة ورع مكثر امام قال ابن عيينة كان أفضل زمانه وكذلك أبوه وقد توفي بالمدينة سنة ست وعشرين ومائة أي (يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه) بصيغة المفعول (كانه نزف) بضم النون وكسر الزاي أي سال (منه الدم) ولم يبق منه شيء وهو كناية عن اصفرار وجهه وضعف بدنه (وقد جف لسانه) بفتح الجيم وتشديد الفاء أي يبس (في فمه) اي فلم يطق على تمام كلامه من كمال اكرامه واحترامه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اعظاما لمقامه (ولقد كنت آتي) أي أجيء (عامر ابن عبد الله بن الزبير) أي ابن العوام العابد الكبير القدر سمع أباه وجماعة وعنه مالك وطائفة قال ابن عيينة اشترى نفسه من الله تعالى بست مرات توفي بعد عشرين ومائة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) أي كثيرا (حتى لا يبقى في عينيه دموع)

ولقد رأيت الزهرى) وهو محمد بن شهاب (وكان من أهنأ الناس) بفتح همزة وسكون هاء فنون فهمزة أى ألطفهم فى العشرة (وأقربهم) أى فى المودة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته) أى لتغير حاله واختلاف مقاله فى مقام جلاله (ولقد كنت آتى صفوان بن سليم) بالتصغير هو الامام القدوة المدنى ممن يستشفى بذكره يروى عن ابن عمر وعبد الله ابن جعفر وابن المسيب وعنه مالك وغيره (وكان من المتعبدين المجتهدين) يقال انه لم يضع جنبه على الارض أربعين سنة (فاذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) فان البكاء هو الشفاء من العناء والشقاء والمعنى استمر على البكاء (حتى تقوم الناس عنه ويتركوه) أى حذرا من رؤيته على تلك الحالة المحزنة (ويروى عن قتادة رضى الله تعالى عنه انه كان اذا سمع الحديث) أى حديثه عليه الصلاة والسلام (أخذه العويل) بفتح المهملة وكسر الواو أى صوت الصدر بالبكاء (والزويل) بفتح الزاى وكسر الواو أى القلق به والعناء وأصل الزويل عدم الاستقرار يقال زال عن مكانه يزول زوالا وزويلا (ولما كثر على مالك الناس) أى اجتمعوا عليه بكثرة بعدما كانوا بوصف قلة (قيل له لو جعلت مستمليا) أى مبلغا للناس (يسمعهم) من الاسماع أى ليسمع القوم كلهم لكثرتهم وبعد بعضهم وجواب لو مقدر أى لكان حسنا أو معناه التمنى أى تمنينا جعلك أحدا مستمليا (فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أى توقيرا له وتكريما وتعزيزا له وتعظيما (وحرمته حيا وميتا سواء) لان فناءه فى الحقيقة بقاء فانه حى يرزق بدار اللقاء (وكان ابن سيرين) من اجلاء التابعين (ربما يضحك) أى يتبسم (فاذا ذكر عنده حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أى خاف وخضع وتواضع كذا فى نسخة هنا والظاهر انه مكرر لما سيأتى فى الفصل الذى يليه (وكان عبد الرحمن بن مهدى) وهو أحد الاعلام فى الحديث روى عنه أحمد قال ابن المدينى أعلم الناس بالحديث هو عبد الرحمن بن مهدى وقال الزهرى ما رأيت فى يده كتابا بعينى كان حافظا (اذا قرأ حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم) أى الناس أو

أى البكاء بكاء شديدا لما مر (ولقد كنت آتى صفوان بن سليم) مصغر وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهرى القرشى مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان أكثر أهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا وبها توفى كما قال (وكان) صفوان المذكور (من المتعبدين) أى المكثرين لعبادة المداومين عليها (المجتهدين) فى العبادة المجدين فيها ويحتمل ان يكون وصل الرتبة لاجتهاد فى أحكام الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة (فاذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه) لاتصال بكائه وطوله (ولقد رأيت الزهرى) الامام محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب التابعى الامام الجليل المشهور توفى فى رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين وسبعين كما تقدم (وكان من أهنأ الناس) أى ألينهم وأحسنهم خلقا وأليقهم عريكة مستعار من هنؤ الطعام اذا ساغ وسهل (وأقربهم) الى الناس لحسن ترددهم لهم ومع ذلك (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته) لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله تعالى هؤلاء بيانا لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يصل لحالهم فلا يتعجب منه (وروى عن قتادة) تقدم بيانه (أى كان اذا سمع الحديث) يقرأ عنده (أخذه) أى عرض له واستولى عليه حتى كأنه أخذه (العويل) بعين مهملة وصياح مع البكاء (والزويل) بفتح الزاى المعجمة وكسر الواو وياء ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف يقال زال زويله فى الدعاء أى ذهب ذعره وهو مأخوذ من الزوال لتغير حاله عما كان عليه (ولما كثر على) الامام (مالك الناس) أى اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لا يحصون كثرة وأتوه من كل فج (قيل له لو جعلت مستمليا) أى أحدا بمجلس قريبا منك ويملى عليه الحديث فيأخذه عنك فيبلغهم و(يسمعهم) ما يعيده لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن فى آخر الحلقة ولو للتمنى لمناسبة بينهما فى عدم الوقوع وللتلازم بما قالوه رفع صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض ما قالوه من وضع مستمل فى الحلقة والاستملاء طلب الاملاء وهو القاء الكلام على الغير (فقال) مالك مجيبا ارشادا لهم وتأدبا مستدلا بقوله تعالى (قال الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الى آخره) فقاس منع رفع الصوت فى مجلس قراءة الحديث على منعه فى مجلسه حال حياته وبينه بقوله (وحرمته) أى احترامه وتوقيره (حيا وميتا سواء) فحكم اللازم الاول لازم الثانى ثم نقل ما يوافق ما قاله مالك بقوله (وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدى) بن حسان أبو سعيد الحافظ الثقة البصرى المعروف باللؤلؤى أحد أعلام الحديث وقال ابن المدينى أعلم الناس بحديث ابن المهدى توفى سنة ثمان وتسعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (اذا قرأ حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم) أى أمر من حضر فى

أصحابه (بالسكوت أي رعاية لحرمته وعناية لفهم مقولته) وقال أي عبد الرحمن مقتبسا من القرآن (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) يعني وكذا فوق صوت راوي حديثه (ويتاول انه يجب له) أي لاجله (عند قراءة حديثه) أي روايته بعد مماته (ما يجب له عند سماع قوله) أي كلام نفسه في حال حياته *(فصل)* (في سيرة السلف) أي طريقتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) ولعله أراد بالحديث قوله وبالسنة فعله (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) أي ابن سكرة (ثنا أبو الفضل بن خيرون) بفتح أوله المعجم فسكون تحتية فضم راء يمنع وقد يصرف (ثنا أبو بكر البرقاني) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام أحد الاعلام أحمد بن محمد ابن غالب الخوارزمي الشافعي شيخ بغداد صنف التصانيف وخرج على الصحيحين روى عنه البيهقي والخطيب وأبو اسحق الشيرازي قال الخطيب كتبنا عنه توفي ببغداد سنة خمس وعشرين وأربعمائة (وغيره) أي من المشايخ (حدثنا أبو الحسن الدارقطني) بفتح الراء ويسكن وهو الحافظ الامام شيخ الاسلام المنسوب الى دارقطن محلة ببغداد (ثنا علي بن مبشر) بفتح ميم وسكون موحدة وكسر معجمة (ثنا أحمد ابن سنان) بكسر أوله وتنوين آخره (القطان) بفتح القاف وتشديد الطاء هو الحافظ أبو جعفر الواسطي روى عنه الشيخان وغيرهما قال ابن أبي حاتم هو امام أهل زمانه (ثنا يزيد بن هارون) ابن وهو أبو خالد الواسطي السلمي أحد الاعلام قال أحمد حافظ متقن وقال ابن المديني ما رأيت أحفظ منه وقال العجلي ثبت متعبد حسن الصلاة جدا يصلي الضحى ست عشرة ركعة وقد عمي (ثنا المسعودي) أي عبد الرحمن بن عتبة الكوفي أحد الاعلام روى عنه ابن المبارك ووكيع ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر المهملة أبو عبد الله مسلم بن عمران الكوفي يروي عن ابن وائل وعلي بن الحسين وأبي عبد الرحمن السلمي والاعمش وابن عون وثقه أحمد وغيره

مجلسه (بالسكوت) والانصات لاستماعه (وقال) مخاطبا لمن عنده (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول) الآية التي تلاها بجعل الصوت شاملا لحكايته وانه عام لهما ودال على (انه يجب له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله) حقيقة في حياته لما فيه من التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل

حديثه أو حديث عنه يطربني * هذا اذا غاب أو هذا اذا حضرا

فان قلت ما نقله عن مالك من انه لم يرض بمستمل في مجلسه ينافي ما نقل عنه انه كان له مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول كان قبل كثرة الناس جدا بحيث يسمعون كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فرأى ان المستملي لابد منه فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لا يضع مستمليا اذا سمعوه لان أعلى مرتبة السماع ما كان من لفظه فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر واستدلوا لذلك بانه صلى الله تعالى عليه وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء وعلي رضي الله تعالى عنه يبلغ الناس فعلم ما تقرر انهم ان كثروا بحيث لا يكفي مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي ونحوه أو قائما ان أمكنه

(فصل في سيرة السلف) وعادتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) عطف تفسير لشموله الاقواله وأفعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة سننه بصيغة الجمع وفي أخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما أدرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث وأتى له بشاهد رواه مسندا فقال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) المعروف بابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف وعدمه قال (حدثنا أبو بكر البرقاني) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخارزمي الشافعي شيخ بغداد وأحد الاعلام بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وأبي اسحق الشيرازي وابن خيرون وتوفي ببغداد في أول رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة وترجمته معروفة والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف (وغيره) قال (حدثنا أبو الحسن الدارقطني) شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدارقطن محلة ببغداد وراؤه مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال (حدثنا علي بن مبشر) ابن اسمعيل الكاتب الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل قال (حدثنا أحمد بن سنان القطان) أبو جعفر الحافظ الواسطي الثقة امام أهل زمانه توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين وأخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا يزيد بن هارون) أبو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد أحد الاعلام قال ابن المديني ما رأيت أحفظ منه وعمي في آخر عمره وتوفي سنة ست ومائتين وأخرج له الستة قال (حدثنا المسعودي) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة وترجمته في الميزان (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة وهو مسلم

(عن عمرو بن ميمون) هو الازدى يروى عن عمر ومعاذ وطائفة وكان كثير الحج والعبادة (قال) أى عمرو بن ميمون كما فى رواية الدارمى (اختلفت الى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) أى ترددت الى خدمته (سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بصريح اسمه وكانه كان يكتفى بضمير اسمه (الا انه حدث يوما) أى وقتا من زمانه (ثم جرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) بفتح وسكون أى غلبه غم يأخذ بالنفس (حتى رأيت العرق يتحدر) بتشديد الدال وفى نسخة ينحدر بالنون أى يسيل نازلا (عن جبهته) أى من جهة كثرته (ثم قال) أى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حديثه الذى رويته لكم عنه عليه الصلاة والسلام (هكذا) أى بهذا اللفظ (ان شاء الله تعالى) أى لكمال احتياطه (أو فوق ذا) أى بقليل (أو ما دون ذا) أى ببعض شئ (أو ما هو قريب من ذا) أى مما أقوله فى نقل هذا وهذا كله تفاديا من الدخول فى قوله عليه الصلاة والسلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وكان أبو الدرداء أيضا اذا حدث قال مثله وكان أنس رضى الله تعالى عنه اذا حدث قال أو كما قال (وفى رواية فتربد وجهه) بتشديد الموحدة أى فتغير لون وجه ابن مسعود وزيد فى نسخة الى غبرة وهى سواد مشوب ببياض فان الربدة لون الى الغبرة قال الهروى يقال تربد لونه أى تلون وصار كلون الرماد (وفى رواية وقد) وفى نسخة فقد (تغرغرت عيناه) أى امتلأت عينا ابن مسعود دمعا يتردد فيهما من الغرغرة وهى فى الاصل ان يجعل المشروب فى الفم ويردد الى الحلق من غير ان يبلع ومنه حديث ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أى ما لم تبلغ روحه حلقومه تشبيها لها بالشئ الذى يتغرغر به المريض

(وانتفخت أوداجه) جمع ودج وهو ما احاط بالعنق من عروق الحلق التى يقطعها الذابح (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) مصغر قرم بالقاف أى مقدام فى المعركة وعن على انا أبو الحسن القرم المقدام فى الرأى وهو فى الاصل فحل الابل والمعنى أنا فيهم بمنزلته (الانصارى قاضى المدينة) أخرج له الترمذى فقط (مر مالك بن أنس) وهو امام دار الهجرة (على أبى حازم) بكسر الزاى وحاؤه مهملة وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام يروى عن سهل بن سعد وابن المسيب وعنه مالك وأبو ضمرة قال ابن خزيمة ثقة لم يكن فى زمانه مثله (وهو يحدث) أى والحال ان أبا حازم يحدث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فجازه) أى جاز الموضع أو الشيخ وهو بمعنى جاز به وجاوزه والمعنى لم يجلس اليه ليأخذ الحديث عنه (وقال) اعتذارا لمن أورد عليه السؤال بلسان القال أو ببيان الحال (انى لم أجد موضعا اجلس فيه) أى متأدبا (فكرهت ان آخذ) أى اسمع واتحمل (حديث رسول الله

ابن عمران أبو عبد الله الكوفى وثقه أحمد وأخرج له الستة (عن عمرو بن ميمون) العابد التابعى الازدى أدرك زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج مائة حجة وتوفى سنة اربع وسبعين ومائة (قال اختلفت الى ابن مسعود) أى ترددت عليه (سنة) تمييز (فما سمعته) اذا حدث (يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صونا لذكره وهيبة له واحتياطا فى النقل عنه (لانه حدث يوما بحديث نقله (فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) أى ظهر عليه حزن وغم يؤدى لضيق نفس (فرأيت العرق يتحدر) أى ينزل شيئا منه فشيئا (عن جبهته ثم قال) ابن مسعود (هكذا) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رويته لكم مساويا له لفظا ومعنى (ان شاء الله) اشارة الى انه لم يصدر عن جزم منه وهذا بناء منه على عدم جواز الرواية بالمعنى وفيه خلاف مشهور وتفصيله فى كتاب ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه وان يقول ما لم يقله (أو فوق ذا) أى يزيد عليه يسيرا (أو ما دون ذا) أى ينقص عنه (أو ما هو قريب من ذا) بمخالفة بأمر قليل جدا وهو احتياط منه رضى الله عنه (وفى رواية فتربد وجهه) بباء موحدة بعد راء ثم دال مهملتين أى تغير لونه لكموده عن شدة الكرب (وفى رواية وقد تغرغرت عيناه) أى امتلأتا بدمع متردد كالماء فى فم من يتغرغر به فهو مجاز كما فى حديث تقبل توبة العبد ما لم يغرغر أى تبلغ روحه حلقومه كما الغرغرة (وانتفخت أوداجه) جمع ودج بفتحتين وهو عرق غليظ فى العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما لكبرهما بغليان الدم لانتشار الحرارة الغريزية لخوف ونحوه (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) بضم القاف وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قرم (الانصارى قاضى المدينة) ذكره فى التهذيب والميزان وأخرج له الترمذى فى علل جامعه ولم يترجموه روى عن مالك كما قال (مر مالك بن أنس على أبى حازم) بحاء مهملة وزاى معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج أحد الاعلام الذى روى عنه مالك وغيره ثقة لم يكن فى زمانه مثله توفى سنة أربعين ومائة وأخرج له الستة (وهو يحدث) أى يروى الحديث لمن عنده (فجازه) أى تجاوز مجلسه ولم يقف (وقال) حين سئل عن سبب ذلك (انى لم أجد موضعا أجلس فيه) لكثرة الناس (فكرهت ان آخذ) أى اسمع لاروى (حديث رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) قال الدلجي والعجب منه رحمه الله تعالى انه كان مع مبالغته في تعظيم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدم عليه عمل أهل المدينة ان خالفه ويقول هذا لم يصحبه عمل فجعل العمل بحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم مشروطا بعمل غيره مع قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولم يوافقه احد من علماء الامصار على ذلك قال الشافعي كنت اظن انه لم يخالف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا في ستة عشر حديثا فوجدته يعمل بالفرع ويترك الاصل فكنت ستة استخير الله تعالى في مخالفته ولما خالفه سعى به المالكية الى السلطان فامره بان يخرج من مصر فقال له أجلني ثلاثة أيام فاجله فليلة الثالث مات السلطان فمكث الشافعي وألف كتبه الجديدة بها الى ان توفي بها تاسع عشرين من جمادى الآخرة سنة اربع ومائتين رحمه الله تعالى انتهى ولا يخفى ان المجتهد أسير الدليل واصول الفقهاء مختلفة في التعليل فذهب مالك ان عمل أهل المدينة بناء على انهم أخذوا عن آبائهم من المهاجرين والانصار التابعين لسيد الابرار مقدم على حديث بظاهره يخالفهم فكانه جعل عملهم بمنزلة اجماعهم وهذا يشبه اختلاف أصول علمائنا الحنفية وهو ان الراوي اذا عمل بخلاف روايته دل على ان حديثه منسوخ أو توهم في نقله ورجع عنه بفعله ونظير هذا عمل أهل مكة في الطواف بارسال اليد حيث يكون بمنزلة الاجماع المانع من ان يكون وضع اليد فيه مستحبا بل يحكم فيه بانه مكروه لكونه بدعة واما قول الشافعي في حقه مع قلة ادبه فمحمول على ظنه به انه كان يخالف ظاهر احاديث النبوة وهكذا شان كل مجتهد بالنسبة الى غيره من الائمة مع ان الفضل للمتقدم بلا شبهة وقوله فوجدته يعمل بالفرع دون

صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان واستماعه في محل يخل بتعظيمه وهكذا كان دأبه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا لا ينافي مانقل عنه من انه كان لا يعمل بالحديث مالم يوافق عمل أهل المدينة فانه لشدة احتياطه في احاديث الاحكام فلا وجه لايراده ذاهنا وقيل التعظيم شيء آخر لا مساس له هنا (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع) أي واضع جنبه على الارض والجملة حالية (فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت) أي كان أحب الي (انك لم تتعن) أي لم تتعب وتترك راحتك (فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) تعظيما للحديث وتادبا معه (وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده) في حال ضحكه (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي اظهر الخشوع والاستكانة تادبا ومهابة (وقال أبو مصعب كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) أي متوضأ متطهرا (اجلالا له) أي للحديث (وحكى مالك ذلك) أي الحديث على وضوء (عن جعفر ابن محمد) الباقر بن زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب وقد تقدم قريبا (وقال مصعب بن عبد الله) وهو الزبيري كما تقدم (كان مالك بن أنس اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اذا أراد ان يحدث عنه

الاصل هو الفعل الذي لا يليق ان يصدر مثله من ارباب الفضل (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب) بتشديد الياء المفتوحة وقد تكسر (فساله) أي الرجل (عن حديث وهو) أي والحال ان ابن المسيب (مضطجع) أي واضع جنبه على الارض (فجلس وحدثه) ولعله كان مريضا فتكلف في جلوسه (فقال الرجل وددت) بكسر الدال الاولى أي أحببت وتمنيت (انك لن تتعن) بالعين المهملة وتشديد النون أي لم تتعب ولم تتكلف العناء لنفسك بجلوسك (فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا مضطجع) جملة حالية (وروى) بصيغة المجهول أي نقل (عن محمد بن سيرين) بمنع صرفه للعلمية وزيادة الياء والنون على مذهب الفارسي وهو احد الاعلام يروي عن أبي هريرة وعمران بن حصين ولم يسمع منه قاله الدارقطني وروايته عنه في الصحيح وقد تعقب الدارقطني النووي في شرح مسلم فقال بل هو معدود فيمن سمع منه انتهى وكان ثقة حجة كثير العلم ورعا بعيد الصيت قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما وله سبعة أوراد في الليل وترجمته طويلة (انه قد يكون يضحك) أي مع اصحابه (فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي ظاهرا وباطنا (وقال أبو مصعب) هو أحمد بن أبي بكر بن القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف أبو مصعب الزهري العوفي قاضي المدينة وعالمها سمع مالكا وطائفة وعنه جماعة وهو ثقة حجة ولا عبرة بقول أبي خيثمة لابنه أحمد لا تكتب عن أبي مصعب واكتب عمن شئت (كان مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) أي طهارة (اجلالا له) أي لحديثه عليه الصلاة والسلام (وحكى مالك ذلك) أي مثل ذلك (عن جعفر بن محمد) وهو الصادق وقد تقدم (وقال مصعب بن عبد الله) أي ابن مصعب بن ثابت الزبيري (كان مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اذا اراد تحديثه عنه (وتوضا

(توضأ وتهيأ) أى بالمشط ونحوه (ولبس ثيابه) أى غير ثياب البذلة (ثم يحدث فقال مصعب فسئل) أى مالك (عن ذلك) أى عن سبب ما ذكر هنالك (فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى المقام تحديثه عليه الصلاة والسلام فيجب التوقير على الانام (قال مطرف) بتشديد الراء المكسورة وهو ابن عبد الله مطرف بن سليمان بن يسار أو مصعب اليسارى المدنى مولى ميمونة الهلالية وهو ابن أخت الامام مالك بن انس يروى عن خاله ونافع القارى وعنه البخارى وأبو زرعة (كان اذا أتى الناس مالكا) أى وقفوا على بابه (خرجت اليهم الجارية) أى الخادمة أو الامة ليعلم من هو فيعامله بما يليق بشأنه من دخول أو خروج ونحوه (فتقول) أى الجارية (لهم يقول لكم الشيخ تريدون) أى أتريدون (الحديث) أى نقل الاحاديث النبوية (أو المسائل) أى رواية الفروع الفقهية والاستفهام للاستعلام لا للتقرير كما وهم الدلجى على ما لا يخفى عند ذوى الافهام (فان قالوا المسائل) أى نريدها (خرج اليهم) أى على هيئته من غير تغير فى حالته (وان قالوا الحديث) أى نطلبه (دخل مغتسله) أى موضع اغتساله (فاغتسل) أى غسلا كاملا أو توضأ وضوأ كاملا أو معناه فتطهر (وتطيب) الواو لمطلق الجمع فلا ينافى كونه قبل قوله (ولبس ثيابا جددا) بضمتين جمع جديد حقيقة أو حكما فيشمل النظيف المغسول (ولبس ساجه) بالاضافة الى ضميره أى طيلسانه وقيل الاخضر ههنا خاصة وفى القاموس هو الطيلسان الاخضر أو الاسود (وتعمم) أى لبس عمامته (ووضع على رأسه رداءه وتلقى) بصيغة المجهول أى توضع (له منصة) بكسر ميم وبفتح وبفتح نون وتشديد صاد مهملة سرير العروس وقيل مثل المخدة العالية وقيل المراد بها الكرسى (فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع) أى آثاره من الخضوع (ولا يزال) قيل أى الشان والظاهر ان الضمير لمالك (يبخر) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة وروى يتبخر (بالعود) ويعاد بالعود (حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره) أى غير مطرف (ولم يكن) أى مالك رحمه الله (يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بخلاف سائر العلوم من التفسير والفقه ونحوهما (قال ابن أبى أويس) وهو اسمعيل بن عبد الله بن أويس الاصبحى ابن أخت مالك بن أنس يروى عن خاله مالك وأبيه وجماعة وعنه الشيخان وعلى البغوى وطائفة قال أبو حاتم محله الصدق وضعفه النسائى

(توضأ وتهيأ ولبس ثيابه) للحديث باصلاح هيئته فى ثيابه وجلوسه (ثم يحدث) تعظيما لذلك (فقال مصعب فسئل عن ذلك) أى عن الداعى له (فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى نسخة لانه وهو من أبلغ المدح كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا فيقول انه فلان ولا تزيد أى حقيق بذلك وشهرة استحقاقه تغنى عن بيان وجهه فلا حاجة لتقريره وهو جدير بالتعظيم كما قيل (وقال مطرف) بزنة الفاعل بطاء وراء مشددة مهملتين وفاء وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار مولى ميمونة وهو ابن أخت الامام مالك توفى سنة عشرين ومائتين وترجمته فى الميزان (كان اذا أتى الناس مالكا) لطلب العلم وهو داخل منزله وطلبوا خروجه لاقرائهم (خرجت اليهم الجارية) أى أرسل لهم جارية له فيه (فتقول لهم) لما تعلم من العادة (يقول لكم الشيخ) تعنى مالكا (تريدون الحديث) بتقدير اداة الاستفهام أى أتريدون قراءة الحديث وسماعه (أو المسائل) تعرفونها منه أى مسائل الفقه (فان قالوا) نريد (المسائل) أى قراءتها (خرج اليهم) بسرعة من غير تهيؤ (وان قالوا) نريد (الحديث) أى قراءته (دخل مغتسله) أى موضعه المعد للغسل والطهارة فى بيته (واغتسل وتطيب) وتضمخ بما طاب رائحته (ولبس ثيابا جددا) بضم أوله وثانيه جمع جديد كسرير وسرر (ولبس ساجه) هو الطيلسان مطلقا أو الاخضر أو الاسود منه وهو شئ كالبرنس (وتعمم) أى وضع عمامته المعدة لتجمل على رأسه (ووضع على رأسه رداءه) على عادة أشراف العرب (وتلقى له منصة) فى محله المعد لاقرائه وهو بكسر الميم وفتحها شئ عال كالكرسى والسرير من نصصته اذا رفعته (فيخرج) من بيته الى الناس (ويجلس عليها وعليه الخشوع) أى السكينة والوقار (ولا يزال يبخر) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل يعنى بامره (بالعود) الهندى المعروف فيه وقد عند ذلك ليعطر مجلسه به (حتى يفرغ من) قراءة (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم (قال غيره) أى غير مطرف (ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلم انه انما فعله رعاية للحديث لا لنفسه (قال ابن أويس) هو اسمعيل بن عبد الله بن أويس بن أبى تامر وقيل اسمعيل بن عبد العزيز بن عبد الله توفى سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين فى رجب وهو ابن عم الامام مالك وابن أخته وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدى وعشرين سنة وأخرج له فى الصحيحين والسنن وضعفه النسائى لانه كان مغفلا كما قاله أبو حاتم وترجمته فى الميزان

(فقيل لمالك في ذلك) أى فسئل عن سبب ما فعله هنالك (فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحدث) بالنصب ويرفع (به) أى بحديثه عليه الصلاة والسلام (الاعلى طهارة) أى كاملة (متمكنا) أى على حالة فاضلة لا متكئا ومعتمدا على شقه مائلة (قال) أى ابن أبي أويس (وكان) أى خاله مالك (يكره أن يحدث) بكسر الدال المشددة أى يتكلم بالحديث النبوى (فى الطريق) أى سائرا (وهو قائم أو مستعجل) خوفا من الخطأ أو الخلل ومن ثمة قيل (شعر)

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال) أى مالك فى تعليل ذلك (أحب ان أفهم) بالتشديد أى الطالب (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالوجه الاتم (قال ضرار بن مرة) بضم ميم وتشديد راء أى أبو سنان الشيبانى الكوفى يروى عن سعيد بن جبير وعنه شعبة ونحوه وكان من العباد والثقاة (كانوا) أى السلف (يكرهون أن يحدثوا) أى الحديث كما فى نسخة (على غير وضوء) أى طهارة (ونحوه عن قتادة رضى الله تعالى عنه) أى وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرؤه الا على وضوء (وكان الاعمش) أى سليمان بن مهران (اذا حدث) أى أراد أن يحدث (وهو على غير وضوء تيمم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك) أى يوما (وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة) كذا فى النسخ المصححة ووقع فى أصل الدلجى ستة عشر مرة فقال صوابه ست عشرة مرة ذالتاء انما تلحق فى مثل هذا التركيب ثانى جزأيه (وهو) أى مالك (يتغير لونه) أى من شدة الالم (ويصفر) أى وينحل الى صفرة من أثر السم (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى محافظة على اكماله ومراعاة لاجلاله (فلما فرغ من المجلس) أى مجلس التحديث (وتفرق عنه الناس) أى العامة (قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتنى عقرب ست عشرة مرة وأنا صابر فى جميع ذلك وانما صبرت) أى هنالك (اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدى مشيت يوما مع مالك الى العقيق) قال الجوهرى كل مسيل شقه ماء السيل فهو عقيق وقال الحلبى العقيق واد عليه مال من أموال أهل المدينة وهو على ثلاثة أميال وقيل ميلين وقيل سبعة قال ابن وضاح وهما عقيقان أحدهما عقيق المدينة عق عن حرتها أى قطع وهو العقيق الاصغر وفيه بئر رومة والعقيق الآخر أكبر من هذا وفيه بئر على مقربة منه

(فقيل لمالك فى ذلك) أى سئل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله وبخوره وجميع ما تقدم عنه (فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بما فعلته (ولا أحدث به) أى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا على طهارة) كاملة (متمكنا) أى جالسا فى مكانه على هيئة مستقرة غير مستوفز لما فيه من عدم المبالاة بما حدث عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال وكان) مالك رحمه الله تعالى (يكره أن يحدث) أى ينقل الحديث وهو مار (فى الطريق أو وهو قائم) على رجليه (أو مستعجل) أى على عجلة فيتأنى فان الخير كله فى ترك العجلة ولذا قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطئ فيما نقله (وقال) مالك (أحب ان أفهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلذا تأنى فى نقله ليكون أعون على فهمه (وقال ضرار بن مرة) أبو سنان الشيبانى الكوفى العابد الثقة أخرج له أصحاب السنن (كانوا) أى السلف ومن لقيهم من التابعين (يكرهون أن يحدثوا) أى ينقلوا (الحديث) النبوى (على غير وضوء) وطهارة (ونحوه) روى (عن قتادة) بن النعمان وقد تقدمت ترجمته وفى نسخة هنا (وكان الاعمش) سليمان بن مهران (اذا أحب أن يحدث وهو على غير وضوء) ولم يتمكن منه (تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة) ويأتى الكلام على ذلك آخر الفصل (وقال عبد الله بن المبارك) تقدمت ترجمته (كنت عند مالك) بن أنس (وهو يحدثنا) أى ينقل لنا الحديث (فلدغته عقرب) أى فى حال قراءته والعقرب من ذوات السموم المعروفة وسمها فى رأس ذنبها فاذا ضربت به أحدا انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة ان اللذغ بذال وغين معجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح ان داله مهملة وغينه معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب وعقربة ونقل بعض العلماء ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان فى كلمة عربية اما لذع النار فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق وقوله (ست عشر مرة) كذا فى النسخ وصوابه ست عشرة بلحوق التاء فى جزئه الثانى كذا قيل وفيه نظر (وهو يتغير لونه ويصفر) عطف تفسير (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) احتراما له واجلالا (فلما فرغ من المجلس) أى أتم نقل الحديث (وتفرق عنه الناس) المستمعون له (قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا) أى أمرا يتعجب منه لصبرك وعدم تحريكك (قال نعم) ما قلته صحيح (انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذ لم يتحرك وينزعج وهو يحدث (وقال ابن مهدى مشيت يوما مع مالك الى العقيق) وهو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا موضع

وهو من بلاد ينبع وهو الذي أقطعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلال بن الحارث ثم أقطعه عمر الناس فعلى هذا يحمل السؤال لا على الخلاف والعقيق الذي جاء فيه انك بواد مبارك هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة وهو الاقرب منها والعقيق ميقات أهل العراق موضع قريب من ذات عرق قبلها بمرحلة أو مرحلتين والظاهر انه ليس أراد وانما المراد احد من التي بالمدينة ولعله الاول وفي بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى العقيق والله ولي التوفيق (فسألته عن حديث فانتهرني) أي زجرني (وقال لي كنت في عيني أجل) أي أعظم من ان تسأل (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي) جملة حالية (وسأله) أي مالكا (جرير ابن عبد الحميد القاضي) أي الضبي يروي عنه أحمد واسحق وابن معين وله مصنفات (وهو قائم) حال من مالك أو من جرير (فامر) أي مالك (بحبسه فقيل له انه قاض فقال) أي مالك (القاضي أحق من أدب) بصيغة المجهول أي هو أولى ليتأدبه غيره أو ليتعلم الادب قال الدلجي ودب كذا بالواو والاصل الهمزة يعني فابدلت الهمزة واوا كما في وكدوا أكدا انتهى لكن لا أصل له هنا فان الودب سوء الحال لا غير على ما في القاموس زيادة على الصحاح (وذكر) بصيغة المفعول أي وحكي (ان هشام بن الغازي) وفي نسخة الغاز بلا ياء قال الحلبي هذا هشام بن الغاز بن ربيعة الجوشي يروي عن مكحول وعطاء وقد توفي سنة ست وخمسين ومائة فهو معاصر لمالك وقد توفي قبل مالك والله تعالى أعلم بذلك وقال بعض الفضلاء لا نعلم لهشام ابن الغازي رواية عن مالك رحمه الله تعالى وانما الحكاية عن هشام بن عمار الدمشقي ونقل ذلك عن الحافظ الرشيد العطار انتهى فاخطأ الدلجي في جزمه بقوله وصوابه هشام بن عمار خطيب جامع دمشق ثم قوله واما ابن الغاز فتابعي لم يرو عن مالك لموته قبل مالك غير صحيح لما ثبت قبل ذلك انه كان معاصر المالك وهو لا ينافي موته قبل مالك ثم لا يبعد انه سمع مالكا ولم يرو عنه ولعل هذه القضية سبب ذلك والحاصل انه أو غيره (سال مالكا عن حديث وهو واقف) أي قائم كما سبق (فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه) أي حن عليه لما وقع له من الاهانة لديه (فحدثه عشرين حديثا) أي استمالة لخاطره اليه وأما قول الدلجي اي خاف عليه لضربه اياه بلا ذنب يوجب ذلك فغير مستقيم لانه يلزم من ذلك اسناد الذنب الى مالك مع ان للاستاذ تاديب الطالب بما يرى هنالك (قال) وفي نسخة فقال (هشام وددت) بكسر الدال أي تمنيت وأحببت

موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها يتنزه فيه أهل المدينة (فسألته) وأنا ماش معه في الطريق (عن حديث) من أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فانتهرني) أي زجرني والنهر الزجر كما قال الله تعالى وأما السائل فلا تنهر (وقال) بعد الزجر بالسكت ونحوه موبخا لي (كنت في عيني) كناية عن اعتقاده فيه الناشئ عن رؤيته (أجل من ان تسألني) فيه توسع معروف كأكثر من ان يحصى أي أعظم من السائلين (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي) جملة حالية (وسأله) يعني الامام مالك رحمه الله تعالى (جرير بن عبد الحميد القاضي) الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة روى عنه البخاري وغيره من أصحاب الكتب الستة وكان رحلة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة (عن حديث وهو قائم) الضمير لجرير ويجوز أن يكون لمالك رحمه الله تعالى (فامر) مالك (بحبسه) قيل مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامره وأجيب بان الولاة كانوا يمتثلون أمره فالمعنى أرسله للحاكم ليحبسه فحبسه وفي تاريخ الذهبي ان مالكا كان يجلس في المسجد يحدث ويقضي فان كان أذن له في القضاء في بعض الامور فهو على ظاهره (فقيل له انه قاض) لا يليق حبسه (فقال القاضي أحق من أدب) بالهمزة المضمومة لا بواو وان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلماء والاشراف أولى برعاية الادب فاذا تركوه كانوا أحق بذلك من العوام (وذكر ان هشام بن الغازي) بغين وزاي معجمتين بزنة فاعل من الغزو وقالوا وهذا ليس بصواب فان هشام بن الغازي بن ربيعة تابعي مات قبل مالك ولم يرو عنه والحكاية المذكورة انما وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي وقيل انها تصحفت على الناسخ وصوابها القارئ بالقاف والراء المهملة وقيل ما في الاصل صواب وهو هشام بن الغازي بن ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي أسند رواية هذه القصة عن هشام بن عمار كما علمت (سال مالكا عن حديث وهو) أي هشام أو مالك (واقف فضربه عشرين سوطا) وهذا دليل على انه كان ماذونا له في اجراء الاحكام على تلامذه أو كان يعلم برضاهم بحكمه فهو محكم فيهم (ثم أشفق عليه) أي حصل عنده رقة قلب وشفقة لضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل وهذا بناء على انه يجوز ان يزاد التعزير على عشرة أسواط في غير الحدود كما هو مذهب أبي حنيفة والحديث الوارد في النهي عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله ولعله وجه اشفاقه عليه (فحدثه) أي أفاد مالك هشاما ما رواه له (عشرين حديثا) تطييبا لخاطره (فقال هشام) بعد ذلك لاصحابه (وددت) اى أحببت يقال وددت كذا اذا رغبت

(لوزادنى سياطا) أى كثيرة (ويزيدنى حديثا) أى بدل كل سوط (قال عبد الله بن صالح) الظاهر انه أبو صالح الجهنى كاتب الليث روى عنه ابن معين والبخارى قال الفضل بن الشعرانى ما رأيته الا يحدث أو يسبح (كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران) صفة لهما والاصل امتناع توسط الواو بين الصفة والموصوف كما فى قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون الا انها لما شابهت الحال توسطتها لتأكيد لصوقها بالموصوف كما فى قوله عز وجل وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (وكان قتادة يستحب) بصيغة الفاعل أى يستحسن (ان لا يقرأ) أى هو أو أحد ولا يبعد ان يضبط بصيغة المفعول (أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة) تأكيد لما قبله وضبط فى نسخة بصيغة المجهول فتحصل المغايرة بان يحمل الاول على فعله والثانى على غيره وأما قول الدلجى أى يغسل بقرينة ما قبله فلا يدفع الاشكال بل يقوى الاعضال والله تعالى أعلم بالحال والاظهر أن يراد بالطهارة المعنى الاعم الشامل للتيمم ويؤيده قوله (وكان الاعمش اذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء) جملة حالية اعتراضية بين الشرط وجزائه (تيمم) أى اعتناء بتعظيم حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم *(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم)* أى تعظيمه وتكريمه (وبره) أى ومن طاعته فى أمره وزجره (بر آله) أى احسان أهل بيته وعشيرته ولا وجه لتخصيص الدلجى هنا ببنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبا
عبد شمس وبنى نوفل وان خص الاولان بالخمس (وذريته) أى نسله وعترته الشاملة لبناته وللحسنين وأولادهما من الائمة وغيرهم (وأمهات المؤمنين أزواجه) أى زوجاته الطاهرات وهن عائشة الصديقة بنت الصديق وخديجة بنت خويلد وحفصة بنت الفاروق وأم حبيبة بنت أبى سفيان أخت معاوية وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت ضرار وصفية بنت حيى كذا ذكره الدلجى وكان الاولى أن يقدم خديجة الكبرى أم فاطمة الزاهراء رضى الله تعالى عنهما (كما حض عليه) بتشديد الضاد المعجمة أى حث وحرض على برهم (عليه الصلاة والسلام) أى فى أحاديث كثيرة

فيه وأحببته (لو زادنى سياطا) أى ضربا بها (ويزيدنى حديثا) بعدد زيادة ضربه ولو مصدرية أو شرطية جوابها مقدر (وقال عبد الله بن صالح) الجهنى ويقال له الحربى العجلى وله ترجمة فى الميزان مطولة توفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة وأخرج له أصحاب السنن (كان مالك والليث) ابن سعد بن عبد الرحمن الفهرى المصرى الفقيه البارع الذى قيل فيه انه كان أفقه من مالك الا ان أصحابه أضاعوه وهو من تبع التابعين توفى سنة خمس وسبعين ومائة وحيث قال مالك أخبرنى من أرضى به من أهل العلم فهو الليث (لا يكتبان العلم الا وهما طاهران) أى على طهارة تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها الاصفة واوها للالصاق كما قيل وتحقيقه فى كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه لا الحديث (وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ أحاديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء) أى متوضأ تعظيما لحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يحدث) بتشديد الدال أى ينقل الحديث ويجوز بناؤه للمفعول ان يسمع من غيره حديثا (الا على طهارة) قيل المراد انه يغتسل بقرينة ما قبله (وكان الاعمش) سليمان بن مهران كما تقدم (اذا أراد ان يحدث وهو على غير وضوء) جملة معترضة أو حالية (تيمم) ان لم يحضر عنده الماء بسهولة لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث وللمحدث أدب آخر ذكرها المحدثون كافتتاح أول مجلسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا يقوم من مجلسه لاحد من الناس

(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تعظيمه وتبجيله (وبره) أى صلته ورعاية جنابه وللبر معان أخر غير مرادة هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (بر آله) تقدم ان فى آله خلاف فقيل انهم ذو والقربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب دون غيرهم كما بينه الفقهاء وان أصله أول وقيل أهل وبرهم الاحسان اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم (وذريته) الذرية النسل من الاولاد وأولادهم وهو بضم الذال وكسرها وفى اشتقاقه خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول أحوالهم وقيل من ذرأ بالهمزة بمعنى خلق والتزم ابدالها ياء بعد النقل (وأمهات المؤمنين) فسره بقوله (أزواجه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى عنهن جمع زوج لاطلاقه على الذكر والانثى أو زوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده واختلف فى وجهه هل هو لتكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم أو انه حى ولذا وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل هن أمهات للمؤمنات أيضا فقيل لا والا حرم نكاحهن عليه وقيل نعم لوجوب اكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه وأسماء أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم مشهورة فى السير قدمناها أيضا (كما حض) أى حث وحرض بطلبه من كل أحد (عليه) أى على بر من ذكر (عليه الصلاة والسلام)

(وسالكه) أى مسالكه (السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم) أى بالقول والفعل كما وجب عليهم قال ابن اقتفاعى السلف الصالح هم الصدر الاول من التابعين (قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) استئناف تعليل لامرهن بالامر الاهم ونهيهن عن ان يقترفن المآثم صونا لاعراضهن عن ان تتدنس بالرجس واستعير الرجس للمعصية تنفيرا لهن عنها وترغيبا فيما أمرهن بخلافها ولعله سبحانه وتعالى خاطبهن بخطاب الذكور لانهن فى مقام الكمال كانهن فى حال الرجال كما قال تعالى فى حق مريم وكانت من القانتين وورد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبى موسى والاظهر ان فيه تغليبا اذ يشمل بقية آله وأهل بيته ولذا قال (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح (ويطهركم) عن الاخلاق الدنية والاحوال الرديئة (تطهيرا) أى بليغا كثيرا والرجس على ما قال الزهرى اسم لكل مستقذر من عمل وأراد باهل البيت نساء النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وروى ذلك عن ابن عباس وعن أبى سعيد الخدرى وجماعة من التابعين انهم على وفاطمة والحسن والحسين أقول ولا منع من الجمع ٤٠٩ وأما تخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما لما ورد انه عليه الصلاة والسلام خرج غداة يوم وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فادخله فيه ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم على فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاجهم على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فمردود بان تخصيصهم بكونهم انهم أهل البيت يكذبه ما قبل الآية وما بعدها والحديث انما هو مؤذن بانهم من أهله لان غيرهم ليس باهله (وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن بالامهات فى وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن بدليل قوله تعالى ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ولم يتعد الى بناتهن فانهن فى غير ذلك كالاجنبيات ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لسنا أمهات النساء أرادت انهن انما كن أمهات الرجال لانهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم عليهم وهذا الحكم غير متحقق فى حق النساء لانهن لو كن أمهاتهن لما جوز زواج بناتهن (أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل) مبالغة العادل (من كتابه) متعلق باخبرنا (وكتبت من أصله) أى المروى عن مشايخه (ثنا) أى حدثنا (ابو الحسن المقرئ) بالهمزة فى آخره وقد يخفف أى معلم قراءة القرآن (الفرغانى) منسوب الى فرغانه بفتح الفاء وسكون الراء فغين معجمة ناحية من المشرق (حدثتنى أم القاسم بنت الشيخ أبى بكر الخفاف) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الفاء الاولى (قالت حدثنى أبى ثنا) أى قال ثنا (حاتم) بكسر الفوقية (هو ابن عقيل) بالتصغير (حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحمانى) بكسر المهملة وتشديد الميم ثم نون فياء نسبة (حدثنا وكيع) أى ابن الجراح أحد الاعلام يروى عن الاعمش وغيره وعنه أحمد ونحوه وقال أحمد ما رأيت أوعى للعلم منه كان أحفظ من ابن مهدى وقال حماد بن زيد لو شئت لقلت انه أرجح من سفيان وقال أحمد لما ولى حفص بن غياث القضاء هجره وكيع

بما روى عنه من الاحاديث وسيأتى بعضها (وسالكه السلف الصالح) من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء العاملين والتقدير سالك طريقه أو شبه برهم بطريق مسلوك فهو استعارة مكنية تخييلية ثم أيده بدليل من القرآن فقال (قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أصل معناه القذر الحسى ثم استعير للاثم والذنب وهو المراد (أهل البيت) نصب على النداء والمدح والاختصاص ويطهركم تطهيرا ترشيح الاستعارة الرجس للذنب واستشهاده بهذه الآية على ان أهل بيته ذريته وأزواجه كما اختاره ابن عطية فى تفسيره وهو أحد الاقوال فيه وقيل لهم أهل الكساء الآتى بيانهم على وفاطمة وابناهما لما روى فى الحديث انه خرج عليه الصلاة والسلام غداة وعليه مرط مرجل فادخلهم فيه ثم تلى الآية وقيل المراد زوجاته وتذكير الضمير باعتبار لفظ الاهل ووجه الاستشهاد ان من طهره الله من الآثام أحبه الله ورسوله ومن أحباه لزمنا محبته وبره وصلته (وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم) ان كانت شاهد التسمية أمهات فهو ظاهر وان كان لزوم برهن وتكريمهن فلان حق الوالدة على الولد ولزوم برها أمر معلوم مركوز فى الطباع لان وجه الشبه وجوب احترامهن وبرهن والحصر يقتضى ان اكرامهن أحق فى الامهات الحقيقية ثم أسند المصنف رحمه الله تعالى حديثا صحيحا شاهدا لما قدمه رواه من طريقه عن مشايخه مع انه فى غيره من السنن كمسلم والنسائى بسند أعلى مما هنا واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفائدة الزائدة ولانه أسلم من التدليس فقال (أخبرنا الشيخ أبو محمد) عبد الله (بن أحمد) التميمى (العدل من كتابه وكتبت من أصله) اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التى قرأ منها قال (حدثنا أبو الحسن المقرى الفرغانى) بفاء وغين معجمة بينهما نسبة لفرغانة اسم بلدة قال (حدثتنى أم القاسم بنت الشيخ أبى بكر الخفاف قال حدثنى أبى قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل قال حدثنا يحيى هو الحمانى قال حدثنا وكيع) هو وكيع بن الجراح بن فليح بن عدى

(عن أبيه) أى الجراح بن مليح بن عدى الرواسي وثقه أبو داود ولينه بعضهم (عن سعيد بن مسروق) أى الثورى يروى عن أبى وائل والشعبى وعنه ابناه سفيان ومبارك وأبو عوانة ثقة أخرج له الائمة الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح حاء مهملة فتحتية مشددة تيمى ثقة أخرج له مسلم وأبو داود والنسائى (عن زيد بن أرقم قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنشدكم الله) بفتح الهمزة وبضم الشين (أهل بيتى) بالنصب على نزع الخافض وفى نسخة طبق رواية أخرى فى أهل بيتى أى أسئلكم الله فى حق أهل بيتى بالاحسان اليهم والشفقة عليهم أو أقسم عليكم بالله أن تراعونى فى أهل بيتى (ثلاثا) أى قالها ثلاث مرات مبالغة فى الحث على احترامهم (قلنا لزيد) وهو ابن أرقم راوى الحديث لان صاحب البيت أدرى بمافيه (من أهل بيته) أى من المراد بهم فى هذا الحديث (قال آل على وآل جعفر وآل عقيل) وهم أولاد أبى طالب (وآل عباس) وفى نسخة وآل العباس والمراد هم وآلهم ممن يرجع اليهم فى النسب ما لهم وقد يفخم الآل كما فى قوله تعالى آل موسى وآل هرون تفخيما لشانهما ثم اعلم ان هذا الحديث فى مسلم أخرجه فى الفضائل وأخرجه النسائى فى المناقب ولو أخرجه القاضى من مسلم لوقع له أعلى من الطريق الذى ساقه وكذا لو أخرجه من النسائى الا انه أراد التنوع فى الروايات لان من شان الحفاظ ان الحديث اذا كان فى الكتب الستة أو أحدها يخرجونه من غيرها لكن فى الغالب انما يصنعون هذا طلبا للعلو أو الزيادة فيه أو تصريح مدلس بالسماع أو الاخبار أو التحديث أو لكون الطريق أسلم أو لغير ذلك مما هو معروف عند أربابه والله أعلم وبرهم

(وقال عليه الصلاة والسلام) أى فيما رواه الترمذى عن زيد بن أرقم وجابر وحسنه (انى تارك فيكم ما) أى شيأ عظيما فما موصوفة صفتها (ان أخذتم به) أو موصولة والشرطية صلتها أى ان تمسكتم به وعملتم به ويروى ما ان تمسكتم به (لن تضلوا) أى عن الحق بعده أبدا (كتاب الله وعترتى أهل بيتى) تفصيل بعد الاجمال وقع بدلا أو بيانا (فانظروا) أى فتاملوا وتفكروا (كيف تخلفونى) بتخفيف النون وتشدد أى كيف تعقبونى (فيهما) أى فى حقهما ووقع فى أصل الدلجى كتاب الله وعترتى بين الشرط والجزاء وهو مخالف للاصول المعتمدة ثم المراد بعترته أخص قرابته وقيل المراد علماء أمته فالتمسك بالقرآن التعلق بامره ونهيه واعتقاد جميع ما فيه وحقيقته والتمسك بعترته محبتهم ومتابعة سيرتهم

الروابيلى أحد الاعلام المشهورين توفى سنة سبع وتسعين ومائة أخرج له الائمة الستة (عن أبيه) الجراح (عن سعيد بن مسروق) الثورى الثقة توفى سنة ست وعشرين ومائة وأخرج له الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح الحاء المهملة ومثناة تحتية وهو التيمى الثقة (عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله) أى أسألكم بالله وأقسم عليكم به يقال أنشدك الله وبالله أى أذكرك به ثم استعمل فى القسم وصار حقيقة فيه وليس السؤال بمراد هنا بل المراد حقيقته وتقدم فيه كلام (وأهل بيتى) معطوف على الله أى وأذكركم أهل بيتى فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم فان رعايتهم رعاية لى وقيل انه منصوب بنزع الخافض أى فى أهل بيتى كما روى فى هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له ومثله قول المزى ومن تبعه هنا الله فى أهل بيتى (ثلاثا) كرره للاهتمام به والتشديد فى رعايتهم (قلنا لزيد) بن أرقم راوى الحديث لما ذكره وما فى بعض النسخ ايزيد من غلط الكاتب (من أهل بيته) أى ما المراد بهم فى هذا الحديث (قال آل على) بن أبى طالب وهم أولاده وأهل بيته من أقاربه الادنون (وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس) وهم من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم فى فضائل آل البيت فى خطبة خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع فى آخر عمره وقال فيها أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيبه وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وأهل بيتى وفيه ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من تفسيره لاهل بيته بما ذكر وهو الذى فهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هنا لانه علم بالوحى ما يكون بعده فى أمر الخلافة والفتن فلذا خصهم وحرض على رعايتهم كما اقتضاه المقام وما قيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو أحد الاقوال ويعارضه الآية الدالة على دخول أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته كما تقدم لا وجه له لما عرفته من وجه تخصيصه هنا (وقال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن زيد بن أرقم وجابر وحسنه (انى تارك فيكم) اشارة الى قرب أجله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه وصية لامته (ما ان أخذتم به) أى تمسكتم وعلمتم به واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة أو موصولة وصلته (لن تضلوا) بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم (كتاب الله) بدل مفسر له (وعترتى) بمثناة فوقية ومعناه (أهل بيتى) السابق بيانهم ووجه تخصيصهم هنا وروى لم تضلوا وما قيل ان قوله أخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الآية على دخول أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث والمراد منه هنا (فانظروا كيف تخلفونى فيهما) أى بعد وفاتى انظروا فى عملكم بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتى ورعايتهم

(وقال عليه الصلاة والسلام) لا يعرف راويه (معرفة آل محمد براءة من النار) أي من ألم حرها وشم بردها (وحب آل محمد جواز على الصراط) بفتح الجيم صك المسافر برخصة المرور والعبور أي سبب سهولة مجاوزته الصراط (والولاية) بفتح الواو أي النصرة والاعانة والمحبة (لآل محمد امان من العذاب) وبكسرها لغة أيضا كما قرئ بهما في السبعة قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شيء فقرأها حمزة بالكسر فقول البرجلي واما بكسرها فمن الولاية بمعنى الملك ليس في محله مع ان الولاية قد تأتي بمعنى تولي الامر وضد التبري وبمعنى المحبة ومنه ما ورد اللهم وال من والاه (وقال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم) أي مكانتهم وقرب شأنهم (من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي نسبا وحسبا (فاذا) وفي نسخة واذا (عرفهم بذلك) أي بما ذكر قربه ورتبة (عرف وجوب حقهم) في التكريم (وحرمتهم) في التعظيم (بسببه) أي بسبب نسبة النبي الكريم عليه التحية والتسليم (وعن عمر بن أبي سلمة) كما رواه الترمذي وهو ربيبه عليه الصلاة والسلام وابن أخيه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة مولاة عمه أبي لهب ولد بالحبشة (لما نزلت) أي هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك) أي نزولها كان (في بيت أم سلمة) أي زوجته عليه الصلاة والسلام الراوي وهي آخر امهات المؤمنين موتا توفيت في امارة يزيد والجملة معترضة (دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء) جواب لما أي غطاهم به قدام وجهه (وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد ابن أبي وقاص) كما رواه مسلم (لما نزلت آية المباهلة) أي الملاعنة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة فاذا اختلف قوم في شيء اجتمعوا وقالوا لعنة الله على الظالم منا والمراد من آية المباهلة قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل أي نتضرع الى الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين

وبرهم بعدي فان ما يسرهم يسرني وما يسوءهم يسوءني (وقال عليه الصلاة والسلام) في حديث لم يخرجوه (معرفة آل محمد براءة من النار) أي معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية ما يجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تدل على خلوص محبته له وذلك مرتبة عظيمة توجب لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وحب آل محمد جواز على الصراط) أي مرور عليه بسرعة جوازا موصلا للجنان فان المرء مع من أحب ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية فقد تعسف تعسفا غريبا (والولاية) بفتح الواو ويجوز كسرها لانهما بمعنى واحد وان اشتهرت في الملك والحكومة أي الموالاة بالنصرة والمودة (لآل محمد أمان من العذاب وقال بعض العلماء معرفتهم) أي معرفة الآل المذكورة (هي معرفة مكانهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد بالمكان المنزلة المعنوية وهي قرب نسبهم ومراتبهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا علق به قوله منه (واذا عرفهم بذلك) أي بسبب علو مراتبهم وقربهم منه (عرف وجوب حقهم وحرمتهم) أي احترامهم واكرامهم (بسببه) صلى الله تعالى عليه وسلم لا لغرض آخر وقد دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمن أحبهم لحبه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اراد تفصيل هذا فلينظر كتاب السيد السمهودي الذي صنفه في فضائل آل البيت فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا (وعن عمر بن أبي سلمة) في حديث رواه الترمذي وابن أبي سلمة هو الصحابي المخزومي ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن أخيه من الرضاع ترجمته مشهورة (لما نزلت) آية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية) وقد قدمنا تفسيرها فكفيناه مؤنته هنا (وذلك) أي نزولها كان (في بيت أم سلمة) أم المؤمنين رضي الله عنها (دعا) جواب لما أي طلب صلى الله عليه وسلم ونادى (فاطمة) الزهراء رضي الله عنها (وحسنا وحسينا) سبطاه وريحانتاه رضي الله تعالى عنهما (فجللهم) أي غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس (بكساء) وهو مرط من شعر كما ورد في رواية أخرى (وعلي) كرم الله وجهه (خلف ظهره) صلى الله تعالى عليه وسلم داخل الكساء أيضا وانما جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعاء (ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي) ليس المراد الحصر أو هو مراد لارادته أقرب الناس الى نسبه (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) أي جنبهم الآثام والمعاصي وما يشينهم ولذا سموا أهل الكساء وادخالهم في الكساء اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم وان الله سترهم كما سترهم الكساء وانه صانهم واحرزهم تفاؤلا بذلك كما حول صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه في الاستسقاء اشارة الى تبدل الحال وتغيرها عما هي فيه وذلك سبب الدعاء وانما دعا لهم بما ذكر بعد ما ذكر الله تعالى انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تأكيدا أو تنويها بقدرهم ليعلم الناس به أو المراد دوام ذلك وثباته وزيادته (وعن سعد بن أبي وقاص) في حديث رواه مسلم في صحيحه (لما نزلت آية المباهلة) تقدم ان المباهلة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة أي الملاعنة وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة لعنة الله على الظالم منا والآية هي قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الى آخرها وذلك لما وفد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم نصارى نجران

(دعا) جواب لما أي طلب (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء أهلي) أي الاقربون (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما مر (في علي) أي في حقه (من كنت مولاه) أي وليه وناصره (فعلي مولاه) أي يدفع عنه ما يكره قال الشافعي رحمه الله تعالى يعني به ولاء الاسلام قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم والاظهر الاستدلال بقوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون لما روي انها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه وانما أتى بصيغة الجمع لتعظيمه أو المراد به هو وامثاله مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

هذا وذهب اكثرهم الى ان الحديث بمعنى البر والصلة ومراعاة الذمة ومنهم من ضعفه وقال أبو العباس ومعناه من أحبني وتولاني فليتوله وقال الحافظ أبو موسى أي من كنت أتولاه فعلي يتولاه قيل وكان سببه ان أسامة بن زيد قال لعلي لست مولى انما مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام الحديث (وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما روى أحمد عن أبي أيوب الانصاري انه عليه الصلاة والسلام قال في علي من كنت مولاه فعلي مولاه (اللهم وال من والاه) أي أحب من أحبه وراعاه (وعاد من عاداه) أي ابغض من أبغضه وما ارضاه قال في الكشاف الموالاة خلاف المعاداة مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة مفاعلة من العدو وهو البعد (وقال) كما رواه مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فيه لا يحبك الا مؤمن) أي كامل الايمان (ولا يبغضك الا منافق) أي المثل ناقص الايقان وقد روى عدي بن ثابت عن زر بن جيش عن علي رضي الله تعالى عنه قال عهد الي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وورد في بعض احاديث النظر الى وجه علي عبادة (وقال للعباس رضي الله تعالى عنه) كما روى ابن ماجه والترمذي وصححه (والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان) أي على وجه الاحسان (حتى يحبكم الله ورسوله) والخطاب لاهل بيت النبوة (ومن آذى عمي) أي العباس (فقد آذاني) أي فكأنه آذاني (وانما عم الرجل صنو ابيه) بكسر الصاد وقد تضم أي مثله في ان أصلهما واحد فهو كالعلة لكون حكمهما في الايذاء سواء وأصله النخلتان تخرجان من اصل واحد ومنه قوله تعالى ونخيل صنوان وغير صنوان فالاخ صنو لاخيه الشقيق

ودعاهم للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة في كتب التفسير والسير (دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) جواب لما أي احضر عنده (عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم) لانهم كانوا في المباهلة يحضرون أولادهم وأهلهم ويدعون بوقوع العقاب على الكاذب وأهله جميعا ولذا قال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم هؤلاء أهلي) واقربائي فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبي وانه ما باهل نبي قوما الا وأهلكهم الله تعالى ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادي نارا وحكم المباهلة باق الى الآن وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يمض الحول حتى هلك من باهله (وقال صلى الله عليه وسلم) في حديث تقدم (في علي) بن أبي طالب أي في حقه وشانه وسبب قوله هذا ان أسامة قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا في سفره وهو عند غدير خم وقد خطب الناس فقال (من كنت مولاه) أي لي عليه ولاء وحكم والمولى له معان منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والمعسر الى غير ذلك من المعاني وقال الشافعي رحمه الله تعالى المراد ولاء الاسلام وقوله (فعلي مولاه) أي سيده وناصره واستدل به على الولاء بعض الفقهاء وغيرهم يقول المراد بره وصلته وهو الموافق لسياق المصنف رحمه الله واستدل به بعض الشيعة على تقدم علي كرم الله تعالى وجهه على غيره في الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفته من معاني المولى وانما المراد من أحبني يحبه لقوله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) أي من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله مجاز ومشاكلة (وقال فيه) أي في حق علي كرم الله وجهه كما في مسلم (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق) لان من أحب أصحابه واقرباءه لمحبته فهو مؤمن ومن كان بخلاف ذلك ففي قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده والمبالغة في النهي عنه ولكون ظاهره الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام سماه منافقا مجازا ومثله في الخطابيات كثير (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للعباس) بن عبد المطلب عمه في حديث صحيح رواه الترمذي وابن ماجة (والذي نفسي) أي روحي وما به حياتي (بيده) أي في قبضة تصرفه لانه المحيي والمميت وهو قول للتأكيد والتحقيق (لا يدخل قلب رجل الايمان) أي لا يؤمن ويصير مؤمنا كاملا ففي الدخول استعارة ظاهرة (حتى يحبكم) يعني آله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقرباءه فجعل من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم (لله ورسوله) أي محبة خالصة من الاعراض الدنيوية والرياء فانما هي لمحبة الله ورسوله ورضاهما (ومن آذى عمي) بشيء يؤذيه (فقد آذاني) الا من يؤذي آل بيتي يؤذيني (وانما عم الرجل صنو أبيه) الصنو بكسر الصاد المهملة وضمها وهنا بمعنى

(وقال العباس) كما روى البيهقى عن أبى أسيد الساعدى (أغد) بضم همزة وصل وضم الدال أمر من غدا يغدو أى ائتنى غدوة وهى أول النهار (مع ولدك) بفتحتين وبضم فسكون أى أولادك من ذكور وأناث لشمول الولد لهما (فجمعهم) أى غدوة عليه (وجللهم) بالجيم وتشديد اللام الاولى أى غطاهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بملاءته) بضم أوله وتخفيف اللام والمد أى ريطته أو كسائه (وقال اللهم هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء) أى أولاده (أهل بيتى فاسترهم من النار) أى فى دار القرار (كسترى اياهم) فى هذه الدار (فامنت) بتشديد الميم أى قالت آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء أى عتبته (وحوائط البيت) أى جدرانه المحيطة به من جميع جهاته (آمين آمين) أى مكررا وهو مقول على وجه التاكيد أو من طريق التجريد وهو بالمد أشهر من قصره ولا يجوز تشديد ميمه على الصحيح وهو اسم مبنى على الفتح معناه استجب وفى الحديث آمين خاتم رب العالمين أى طابعه على العباد فكأنه خاتم الكتاب يصونه من الفساد (وكان) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى البخارى عن اسامة وغيره (يأخذ بيد اسامة ابن زيد) أى ابن حارثة مولاه (والحسن) أى وبيد الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما (ويقول اللهم انى أحبهما فاحبهما وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ارقبوا محمدا) بضم القاف أى راعوه واحترموه (فى أهل بيته وقال) أى الصديق (أيضا) كما فى الصحيحين (والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الى ان أصل) أى صلتهم

المثل أى فى المعنى أو هو الرجل يغار لابيه ويؤذيه ما يؤذيه وأصل معناه نخلتان فاكثر يخرج من أصل واحد فاستعير للاخ والمذكر أى كأنه أبى يجب على بره وكذا على غيرى وروى العباس صنوى أى مثلى فى النسب وسبب قوله صلى الله عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له ما أغضبك قال يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى (وقال صلى الله عليه وسلم للعباس) أيضا فى حديث رواه البيهقى (اغد على يا عم) أى ائتنى يقال غدا عليه اذا أتى وأصل معناه المجىء فى وقت الغداة فاستعمل فى مطلق المجىء (مع ولدك) أى مع أولادك وكان له رضى الله تعالى عنه لذا ركب عدة أولاد عشرة ذكور الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث وأشهرهم عبد الله وهو الحبر وترجمان القرآن وأبو الخلفاء (فجمعهم) أى فجمع العباس رضى الله تعالى عنه أولاده عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المراد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضمهم اليه وقال ابن الجوزى فى الوفاء وان الذى جمعهم من أولاده سبعة (وجللهم) أى غطاهم وسترهم والبسهم (بملاءته) بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو رداء أو ملحفة وقد يختص بما يكون من ثوبين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما ضمهم كما فعل مع على وأهله فيما تقدم (وهذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى) أى من أقربائى (فاسترهم من النار كسترى اياهم) اشارة الى وجه ادخاله فى ملاءته كما تقدم (فامنت) بتشديد الميم أى قالت بعد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعائه هذا (اسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفاء بزنة طرطبة ويقال اسكوفة فابدل أحد حرفى التضعيف واوا وتخفيف فائه أيضا وفسر بالعتبة التى فى أسفل الباب وتطلق على ما يقابلها من اعلاه أيضا (وحوائطه) جمع حائط وهو معروف (آمين آمين) بالمد ويقصر ويشدد وهو اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو مفعول آمنت لانه تضمن معنى قالت أو مقدر قبله وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم بنطق الجماد له كرامة لاهل البيت (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حديث رواه البخارى (يأخذ بيد اسامة بن زيد والحسن) أى يمسكهما بيده وسقط لفظ بيده من بعض النسخ والمعنى يضمهما اليه (ويقول) داعيا لهما (اللهم انى أحبهما فاحبهما) بالادغام ويجوز فكه فيقال أحببهما والام للدعاء ودعا بذلك لعلمه بان من أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه الله وعكسه والقول بان أحبهما مشاكلة لا وجه له لان محبة الله لعبده مجاز باعتبار غايته وورد كثيرا من غير مشاكلة واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحبه (وقال أبو بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه (ارقبوا محمدا) ارقب وراقب من المراقبة وهى ادامة النظر فى مقابلة شئ ثم أريد به لازمه وهو الحفظ فالمراد احفظوا محمدا أى حقه عليكم (فى أهل بيته) أى فى رعايتهم واكرامهم وبرهم فان رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته (وقال) أبو بكر رضى الله عنه (أيضا) أى كمقالته المذكورة فيما رواه الشيخان عنه (و) الله (الذى نفسى) أى روحى وحياتى (بيده) بقبضة تصرفه (لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهى مصدر صارت اسم جمع لقريب النسب (أحب الى ان أصل) أى صلتهم بدل اشتمال من قرابة

(من قرابتى) أى من صلة أقاربى لقرب مكانتهم عنده مع مراعاة قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما روى الترمذى وحسنه وابن ماجه عن يعلى بن مرة (أحب الله من أحب حسنا) وفى رواية حسينا وفى نسخة وحسينا والجملة دعائية ولا يبعد ان تكون خبرية (وقال) كما تقدم مرارا (من أحبنى وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما) أى وأحب أباهما عليا المرتضى (وأمهما) فاطمة الزهراء (كان معى) أى مشاركا لى (فى درجتى) أى جوارى (يوم القيامة) لان من أحب قوما حشر معهم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله) رواه الترمذى وحسنه عن سهل ابن أبى وقاص بلفظ من يرد هوان قريش أهانه الله لانهم أفضل بنى آدم اجمالا وهم ولد النضر ابن كنانة من بنى اسمعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن (وقال) كما روى البزار عن على وابن أبى شيبة عن سهل ابن أبى خيثمة (قدموا قريشا) أى فى الخلافة ونحوها (ولا تقدموها) بحذف احدى التائين (وقال عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى (لام سلمة لا تؤذينى فى عائشة) أى لفضلها نسبا وحسبا وروى ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان نساء النبى عليه الصلاة والسلام كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة رضى وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نسائه عليه الصلاة والسلام فكلم حزب أم سلمة ان كلمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول للناس من أراد أن يهدى الى النبى عليه الصلاة والسلام فليهده حيث كان فكلمته فقال لا تؤذينى فى عائشة فان الوحى لم يأتنى وانا فى ثوب امرأة الا عائشة وتمام الحديث فى المصابيح (وعن عقبة بن الحارث) كما فى البخارى (رأيت أبا بكر) أى الصديق

(من قرابتى) فيه مضاف مقدر أى من صلة قرابتى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا لما أرسلت اليه فاطمة الزهراء رضى الله عنها تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فدك وغيرها وقال له الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نورث ليس لآل محمد ان يزيدوا على المأكل لا أغير شيأ كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه (أحب الله من أحب حسنا) دعاء أو خبر فحب حسن حسن وبغضه قبيح وروى حسينا (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث تقدم (من أحبنى وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما) عليا رضى الله عنهم وهو معطوف على هذين (وأمهما) فاطمة الزهراء رضى الله عنها (كان معى فى درجتى) بدل من معى أى فى منزلتى ورتبتى فى الجنة (يوم القيامة) ان كان على ظاهره وانه معه فى المحشر فهو كناية عن سلامة من هوله فان أريد به الآخرة مطلقا فالمراد قربه منه لانه لا يساويه صلى الله تعالى عليه وسلم فى درجته أحد كقوله المرء مع من أحب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من أهان قريشا أهانه الله) لانهم أكرم الناس فى الجاهلية فكانوا سادة العرب لهم الرياسة والرفادة وفى الاسلام لان الامامة بحق لهم وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر بن كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب أو التجمع لاجتماعهم فى الحرم وهو من توافق اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة فى البحر لا تطاق كما قيل

وقريش هى التى تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار عن على وابن أبى شيبة عن سهل (قدموا قريشا) فى كل أمر من الامور لا سيما فى الامارة والخلافة واقتدوا بآثرهم (ولا تقدموها) نهى عن تأخيرهم والتقدم عليهم مؤكد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة وأصله تتقدموا بتائين حذفت احداهما تخفيفا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لام سلمة) فى حديث رواه البخارى (لا تؤذينى فى عائشة) رضى الله تعالى عنها وسببه انه قيل لام سلمة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فقولى له صلى الله تعالى عليه وسلم يأمر الناس بان يهدوا له حيث كان أو حيث يرى فذكرت ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما كان فى الثالثة قال لها يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فانه ما نزل على الوحى وانا فى لحاف امرأة منكن غيرها فبين صلى الله تعالى عليه وسلم لها محبته لها وتقدمها عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل بهذا على تفضيل عائشة رضى الله تعالى عنها على سائر أمهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكى الذى ندين الله به ان فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الرأى فى هذا التوقف لتقابل أحاديث التفضيل وتكافؤها واختصاص نزول الوحى بلحافها وجهه بانها كانت تبالغ فى التنظف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظها الاوامره ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشئ واحد رضى الله عنها (وعن عقبة بن الحارث) فى حديث رواه البخارى عنه (رأيت أبا بكر) الصديق

(رضى الله تعالى عنه وجعل الحسن على عنقه) جملة حالية (وهو) أى أبو بكر (يقول بابى) أى أفديه بابى (شبيه بالنبى) أى هو شبيه به فى كثير من الوجوه (ليس شبيها بعلى) أى فى بعض الوجوه (وعلى يضحك) أى فرحا بفعل الصديق وقوله الدال على انه الصديق فى مقام التحقيق وممن كان شبيها به عليه الصلاة والسلام من آله جعفر بن أبى طالب وقثم بن العباس والسائب ابن يزيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب جد الشافعى وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومن غير آله كثيرون منهم شخص من أهل البصرة يقال له كابس من ربيعة بن مالك السامى بالسين المهملة قبله معاوية بين عينيه وأقطعه قطيعة وكان أنس اذا رآه بكى وسياتى قريبا ذكر كابس فى أصل الكتاب وقال الذهبى فى التهذيب فى ترجمة عبد الله بن جعفر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتاهم بعد ما أخبرهم بقتل جعفر فقال لا تبكوا بعد اليوم وذلك بعد ثالثة ثم قال ائتونى بنى أخى فجئ بنا كأننا أفراخ فقال ادعوا الى الحلاق فامره فحلق رؤسنا ثم قال اما محمد فشبه عمنا أبى طالب وأما عبد الله فشبه خلقى وخلقى ثم أخذ بيدى فاشالها ثم قال اللهم اخلف جعفرا فى أهله وبارك لعبد الله فى صفقته فجاءت أمنا فذكرت يتمنا فقال العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة هذا والحسن بن على كان يشبهه

رضى الله عنه (و) قد (جعل الحسن على عنقه) أى حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز (وهو يقول) الجملتان حاليتان أى حاملا وقائلا الاشعر امن مجزو الكامل لا رجز وقيل انه منه وهو مجزوم (بابى شبيه بالنبى) أى أفدى بابى من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده (ليس شبيها بعلى) أى ليس شبيها بابيه رضى الله تعالى عنه شبها تاما وانما تمام شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والباء متعلقة بفدى فليست قسمية وقيل انها قسمية وقد ورد النهى عنه بحديث لا تحلفوا بآبائكم وأجيب بانه قبل النهى عنه وهو بعيد والظاهر ان النهى عن القسم الحقيقى لا عما ورد للتعظيم ولاستعطاف وهذا كله فى غير الله ورسوله فان لهما ان يقسما بما أرادا ويقال تابى وأبى لى وبابا الرجل اذا قال بابى (وعلى يضحك) من فعل أبى بكر رضى الله تعالى عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل أحد يشابه أباه * ومن يشابه أبه فما ظلم * ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا سماه صلى الله تعالى عليه وسلم ابناله وجعل نسبه منه وهى خاصية لحكمة ربانية وقد روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابى شبيه بالنبى الخ فيحتمل التوارد أو ان أبا بكر تمثل به بعد ما سمعه ووقع فى البخارى ليس شبيه بعلى بالرفع فقال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم يقول هو اسمها والخبر محذوف أى ليس الشبيه غيره وقد يؤول بغير ذلك وهذا لا ينافى ما فى الشمائل لم أر قبله ولا بعده مثله لان المنفى المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل أخص من الشبيه ولا ينتفى الاعم بانتفاء الاخص والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان أعلاه أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين أسفله وجعفر بن أبى طالب وقثم بن عباس والسائب بن يزيد أحد أجداد الشافعى وأبو سفيان بن الحارث وكابس بن ربيعة الآتى فى كلام المصنف مع ضبطه وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب وابنه القاسم رضى الله تعالى عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

بخمسة شبه المختار من مضر * يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وأبى سفيان والحسن

وقال أبو محمد الآمدى وزاد اثنين وقيل انه العراقى رحمه الله تعالى

وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما * لهم بذلك قدر قد زكى ونما
سبطا النبى أبو سفيان سائبهم * وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثامنا

قد أشبه المصطفى الهادى ثمانية * من صحبه فعلا فى الناس قدرهم
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه مع سائب قثم

وزاد عليه ابن سيدى الحسن فقال

قد أشبه المصطفى المختار من مضر * جماعة عدهم يربو على العشرة
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه هم سادة خيرة
وسائب مسلم وكابس قثم * وسبط نجد عقيل وابنه البررة

وقد زيد على هذا كثير بلغوا العشرين فى بعضها كلام وطعن ونظمها نظما متكلفا ولذا لم نتعرض له فتابعهم ابن الشحنة فى نظمه خمسة عشر فزاد ابن عقيل الثانى وزيد بن عبد الله ابن الحارث الملقب ميه وقدمات فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وزيد عثمان بن عفان لانه صلى الله تعالى

بنصفه الاعلى والحسين بنصفه الاسفل ولعل هذا هو السر فى ان أكثر الذرية من الحسين رضى الله تعالى عنه (وروى عن عبد الله بن الحسن) أى ابن حسن كما فى نسخة وهو ابن على بن طالب يروى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسن وعنه مالك وابن علية أخرج له أصحاب السنن الاربعة مات سنة خمس وأربعين ومائة (قال أتيت عمر بن عبد العزيز) أى ابن مروان بن الحكم (فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل لى) أى أحدا (واكتب) أى لى كتابا واذكرها حاجتك ويروى أو اكتب الى (فانى أستحيى من الله ان يراك) وفى نسخة ان أراك (على بابى وعن شعبى) فيما رواه الحاكم وصححه البيهقى وغيره (قال صلى زيد بن ثابت) أى الانصارى (على جنازة أمه ثم قربت له بغلته) بصيغة المجهول (ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد) تكريما له وتعظيما (خل عنه) أى دع الركاب وتباعد منه (يا ابن عم رسول الله فقال) أى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (هكذا نفعل) وفى نسخة هكذا أمرنا ان نفعل (بالعلماء) أى اكراما واحتراما (فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا) بصيغة المفعول أى أمرنا الله ورسوله (ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد ابن اسامة) أى ابن زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ليت هذا عبدى) بفتح أوله وسكون الموحدة من العبودية بمعنى المملوكية وهى كما فى المطالع رواية البيهقى ورواية الكافة بكسر أوله وسكون النون والاول أوجه انتهى وقال المزى بالنون هو المشهور وقال الحجازى وهو الصحيح فى الشفاء قيل وكذا فى البخارى الذى سمع على العراقى بالقلم (فقيل له) أى لابن عمر رضى الله تعالى عنهما (هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) أى أطرقه (ونقر بيده الارض) أى حياء عما صدر عنه (وقال) أى ابن عمر فى حقه (لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه) أى كحبه أباه اسامة (وقال الاوزاعى)

عليه وسلم قال انه أشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل أيضا وشبيه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم على بن بجاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوى ومنهم كما قيل المهدى الذى يخرج آخر الزمان والظاهر منهم انهم تسمحوا فى وجه الشبه فى الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد أعطى صلى الله عليه وسلم الحسن كله وأعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطره فهو كما قيل

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

(و) روى (عن عبد الله بن حسن بن حسين) بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو من ثقاة آل البيت وفضلائهم وله ترجمة وأخرج له أصحاب السنن (قال أتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل الى أو اكتب لى) كتابا تعلمنى فيه بحاجتك (فانى أستحيى من الله تعالى ان يراك) واقفا (على بابى) كما هو المعتاد لمن أتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآله (وعن الشعبى) عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقى وصححه (قال صلى زيد بن ثابت) بن قيس بن شماس الانصارى الصحابى المشهور رضى الله عنه وقال البرهان زيد بن ثابت الكاتب (على جنازة أمه) أى أم زيد والجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت أو التابوت وأمه هى النوار بنت مالك بن معاوية بن عدى بن عامر الانصارية (ثم قربت له بغلته ليركبها) فلما ركبها (جاء ابن عباس رضى الله عنهما فاخذ بركابه) أى أمسكه ليركب أو مشى معه ماسكا ركابه (فقال زيد) لابن عباس (خل عنه) أى دع الركاب وتباعد عنه (يا ابن عم رسول الله) يعنى انه لا يليق مثله بآل البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل أحد (فقال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مجيبا له (هكذا نفعل بالعلماء) أى مثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا (فقبل زيد يد ابن عباس) تعظيما له وجزاء لاكرامه (فقال هكذا أمرنا بان نفعل بآل بيت نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الصحابى أمرنا كما بين فى مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبتهم (ورأى) عبد الله (ابن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما أحد العبادلة المشهور (محمد بن اسامة بن زيد) بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث فى صحيح البخارى (فقال ليت هذا عندى) بكسر العين وسكون النون أو بفتحها والباء الموحدة الساكنة وروى بالوجهين والذى رجحوه الاول وهكذا ضبطه الحافظ العراقى وتمنى ذلك ليعلمه ويؤدبه ولم يكن عرفه حين رآه (فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) أى خفضها وأطرق حياء لما عرفه (ونقر بيده الارض) وهو يتفكر فيما قاله ندما عليه (وقال لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه) كما كان يحب أباه أسامة وانما فعل ذلك وقال ذلك تعظيما لموالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال الاوزاعى) الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذى كان عليه أهل المغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب للاوزاع

كما حكى ابن عساكر فى تاريخ دمشق (دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ومولاه واسمها فاطمة (على عمر بن عبد العزيز) أى حين كان أمير المدينة نيابة عن ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان أو فى أيام خلافته (ومعها مولى لها يمسك بيدها) أى يقودها لكبرها وضعف بصرها (فقام لها عمر) أى ابن عبد العزيز (ومشى اليها) أى خطوات (حتى جعل يديها) وفى نسخة يدها (بين يديه ويداه فى ثيابه) أى تادبا معها (ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه) بفتح اللام وهو موضع التكرمة وهو الذى نهى الشارع عن الجلوس فيه بغير اذن صاحبه وبكسرها المحل الذى يجلس فيه كما يقال مسجد بالكسر للبيت الطاهر الذى يسجد فيه وبالفتح لموضع الجبهة فى السجود (وجلس بين يديها) أى متوجها اليها (وماترك لها حاجة الاقضاها) لكونها بنت حبه ومولاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) أى فى ديوان الارزاق على ما رواه الترمذى وحسنه (لابنه عبد الله فى ثلاثة آلاف) أى من الدراهم (ولاسامة فى ثلاثة آلاف وخمسمائة) أى زيادة على مافرض لابنه مع ان كليهما صحابى ابن صحابى وجلالة عمر وفضيلة ابنه غير مخفية على أحد وكان التقسيم حينئذ بحسب المراتب فى المناقب على عدد الرؤس كما فى زمن الصديق رضى الله تعالى عنه (قال عبد الله لابيه لم فضلته) اى أسامة على بما فضلته (والله ماسبقنى) أى أسامة (الى مشهد) أى من المشاهد (فقال) أى عمر (له) أى لابنه انما فضلته (لان زيدا كان أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبيك) قاله تواضعا والا فهو كان أحب اليه من زيد لما فى الصحيحين عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قلت يا رسول الله اى الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر ولعل زيدا كان أحب الموالى اليه وفاطمة أحب بناته وعليا احب أقاربه فلا تعارض (وأسامة أحب اليه منك) أى من حيثية كونه ابن مولاه (فآثرت) أى اخترت بالتقديم والتخصيص (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه

ملاوزاع بطن من حمير أو همدان أو قرية وقد تقدم (دخلت بنت أسامة بن زيد) مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمها فاطمة وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر (صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالجر صفة أسامة أو زيد فان كلا منهما صحابى مشهور (على عمر بن عبد العزيز) وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو أمير بالمدينة قبل خلافته فى خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان والصحيح الاول لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر فى تاريخه وان أسامة توفى بقرية له بوادى القرى وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى أن ولى عمر بن عبد العزيز (فاتته ومعها مولى لها) أى عبد (يمسك بيدها) لكبرها وضعف بصرها (ف) لما رآها عمر (قام لها ومشى اليها) تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى جعل يدها بين يديه) بان أمسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها (ويداه فى ثيابه) أى مغشاة بكمه حتى لايمس بدنه بدن أجنبية لتقواه (ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه) أى على فراشه الذى كان جالسا عليه (وجلس بين يديها) كما يفعله الصغير مع الكبير تادبا منه واكراما وتعظيما (وماترك لها حاجة) ذكرتها له (الاقضاها) ونجزها وكان قال لها ما حاجتك يافاطمة قالت تحملنى الى أخى فجهزها وحملها اليه فانظر رحمك الله تعالى الى الخلفاء الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضاء حوائج الناس والتواضع لهم (ولما فرض عمر) بن الخطاب رضى الله عنه فى ديوانه الذى رتب فيه الوظائف للناس وهذا مما رواه الترمذى وحسنه فلما عين من بيت المال لهم فرض (لابنه عبد الله) وظيفة (فى ثلاثة آلاف) أى فى الطبقة التى واحدهم ثلاثة آلاف فى السنة (و) فرض (لاسامة بن زيد فى ثلاثة آلاف وخمسمائة) فجعل وظيفته من بيت المال فى رتبة أعلى من ابنه عبد الله (قال) جواب لما (عبد الله) ابنه (لابيه) عمر رضى الله تعالى عنهما (لم فضلته) على بزيادة عطائه (فوالله ماسبقنى الى مشهد) أى محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التى ترتب الوظائف بقدرها وبالتقدم فيها (فقال) عمر (له) أى لابنه مجيبا له (لان زيدا) أباه (كان أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبيك) يعنى نفسه (وأسامة أحب اليه منك) فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لا لسبقه لانه وهى أمر يقتضى التقديم وزيادة التكريم وهذا قيل انه تواضع منه لخدمته لموالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو أحب الى رسول الله لحديث عمرو بن العاص قلت يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر ولك أن تقول الاحبية تختلف فاسامة رضى الله تعالى عنه أحبيته لكونه من خدمته المقربون له فلا ينافى كون عمر أحب اليه من غير ذلك لوجه فآثر القرب منه على غيره ثم ان ما ذكره من الفرض المذكور يخالفه ما فى الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة آلاف ولابنه ثلاثة آلاف لكنه لا ينافى المقصود من القصة وهذا كله من الغنائم كما فصلوه (فآثرت) أى أجزت وقدمت (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم على حبى) بكسر الحاء فيهما بمعنى المحبوب ويجوز أن تكون مضمومة مصدر حب قال الحلبي الحديث فى البخارى فى الهجرة عن نافع مولى ابن عمر ان عمر كان فرض للمهاجرين الاولين أربعة آلاف وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة فقيل له هو من المهاجرين فلم نقصته من أربعة آلاف قال انما هاجر به أبواه يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه ولعل ما نقله القاضى كان أولا وما فى الصحيح كان آخرا انتهى ولا يخفى انه لا مانع من الجمع فى وقت واحد أيضا ثم قال وقوله هاجر به أبواه فيه نظر لان أمه زينب بنت مظعون ماتت بمكة ولم تهاجر وأجيب بان المراد بالابوين هنا الاب وزوجة الاب (وبلغ معاوية) أى ابن أبى سفيان كما روى

وسلم على حبى) بضم الحاء فيهما أى محبته أو بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبى (وبلغ معاوية) ابن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فيما رواه ابن عساكر (ان كابس بن ربيعة) بن مالك ابن لؤى السامى البصرى بسين مهملة من بنى سامة بن لوى وكابس بكاف وباء موحدة بعد ألف وسين مهملة وما قيل من انه بمثناة تحتية وانه صحح فى نسخة العز فى تلميذ المصنف تصحيف من ناقله وقول القرطبى ان المحفوظ فيه عابس الصحيح خلافه (يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بنوع من الشبه وأين الثرى والثريا (فلما دخل عليه من باب الدار) الفاء دالة على مقدر أى وجه له من أحضره فلما دخل باب داره (قام عن سريره) فمشى له (وتلقاه وقبل بين عينيه) تبركا بما لمشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أنس بن مالك اذا رآه بكى لتذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وأقطعه المرغاب) اسم أرض بمرو الشاهجان أو قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة ترغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة وألف وباء موحدة قبلها راء مهملة والاقطاع أن يفوض اليه أرضا بتمليك ونحوه ويسوغ لمن هو أهل له وفى شرح أحكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة وما فى القاموس مما يقتضى ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله أهل اللغة كابى عبيد فى معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو الشاهجان وبلدة بهراة وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى وقوله (لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بما قبله جميعه أى كل ما فعله معاوية رضى الله تعالى عنه من تعظيمه لمشابهته له والصورة ظاهر الوجه وهيئة الانسان وصفته وصورة مضاف لما بعده مفعول أو منصوب بمنون تمييز للنسبة (وروى ان مالكا) هو ابن أنس الامام المعروف (الماضر به جعفر بن سليمان) بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وجعفر هذا كان واليا على المدينة من قبل عمه المنصور (ونال منه ما نال) من تجريده من ثيابه واهانته وسببه وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان فى بيعة الخلفاء ليست لازمة لان الناس يكرهون فيها فغضب لذلك ودعاه فحصل منه ما لا خير فيه (وحمل) لمنزله (مغشيا عليه) من الضرب وانه مدت يده حتى خلعت من كتفه (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) من غشيته (فقال أشهدكم انى جعلت ضاربى) أى الآمر بضربى ومن باشره (فى حل) بكسر الحاء يقال هو فى حل من كذا اذا برأ ذمته من عهدته (فسئل بعد ذلك) عن وجه ما قاله واسقاط حقه (فقال انى خفت ان أموت) مما فعله بى (فالقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الدار الآخرة (فاستحيى منه) لما يلحقنى من الخجل منه خوفا (ان يدخل بعض آله) من اقربائه (النار بسببى) جزاء له على ما فعله لان حق العبد لا يسقط الا برضاه واذا لم يرض يعذبه الله عدلا منه فلذا قال حذرا من ذلك ولذا جزم بذلك واحتمال ارضاء الله له وغيره أمر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل ولله در الامام النووى فى قوله

مانال منى أو علقت بذمته * ابرأته لله شاكر منته * والله ما طالبت عبدا بعده
ولئن طلبت رجوت واسع رحمته * أأرى معوق مؤمن يوم الجزى * أوان أسوء محمدا فى أمته

ابن عساكر (ان كابس ابن ربيعة) قد سبق ذكره (يشبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى الصورة فوجه معاوية (فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه) أى بالاقبال بين يديه والمثول لديه (وقبل بين عينيه) أى ما بينهما (وأقطعه المرغب) بميم مكسورة وقد تفتح فراء ساكنة فمعجمة فموحدة موضع أى جعله له اقطاعا ينفرد به انتفاعا (لشبهه) بفتحتين أى لمشابهته (صورة رسول الله) بالاضافة (صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله تعالى) وهو ابن أنس صاحب المذهب (الماضر به جعفر بن سليمان) أى ابن على بن عبد الله بن عباس فهو ابن عم أبى جعفر المنصور بقوله بعضهم له انه لا يرى الايمان لبيعتكم شيئا لان يمين المكره لا تلزم فغضب جعفر ودعاه وجرده (ونال منه ما نال) أى من ضرب وغيره فانه مدت يده حتى انخلع كتفه أو ازيلت منه (وقيل
(وحمل) الى بيته (مغشيا) أى عليه كما فى نسخة (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) أى من غشيته (فقال) وفى نسخة وقال أى لمن فى حضرته (أشهدكم انى جعلت ضاربى) أى الآمر بضربى ويروى صاحبى (فى حل) أى فى براءة من ضربه اياى (فسئل) أى مالك (بعد ذلك) أى بعد جعله فى حل عن سببه هنالك ويروى فقيل له فى ذلك (فقال خفت أن أموت فالقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيى منه أن يدخل بعض آله) أى من أن يدخل بعض أقاربه من بنى عمه (النار بسببى)

وقيل ان المنصور (واقاده من جعفر) أي طلب ان يقتص له منه ويقيده ففيه تجوز والمعنى اراد ان يؤدبه لقلة ادبه مع مالك (فقال له)
أي مالك (اعوذ بالله) أي من ذلك (والله ما ارتفع منها) أي من اسواطه (سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) فلم يزل مالك في علو ورفعة بعد ذلك (وقال أبو بكر بن عياش) بتحتية مشددة وشين معجمة هو ابن سالم
الاسدي الحناط بالحاء المهملة والنون المشددة المقرئ احد الاعلام اختلف في اسمه على احد عشر قولا وصحح أبو زرعة ان اسمه
شعبة ووافقه الشافعي وصحح ابن الصلاح والمزي ان اسمه كنيته يروي عن حبيب ابن أبي ثابت وعاصم وابي اسحق وعنه أحمد وعلي
واسحق وابن معين والعطاردي قال أحمد صدوق ثقة ربما غلط وقال أبو حاتم هو وشريك في الحفظ سواء وفي الميزان اثنان غيره يقال
لكل منهما أبو بكر بن عياش قال لابنه كي مات في جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وله ست وتسعون سنة اخرج له البخاري
والاربعة (لو اتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما) أي قبل الشيخين (لقرابته) أي القريبة ويروى

(وقيل ان المنصور) الخليفة العباسي المشهور (اقاده من جعفر) أي امر ان يقتص لمالك من جعفر
فيضرب كما ضربه وسيأتي كلام في قصاص الضرب (فقال اعوذ بالله) والتجئ اليه في الاعانة على عدم
ما يريده هو عبارة في العرف عن عدم الرضاء (والله ما ارتفع سوط عن جسمي) في حال الضرب (الا وقد
جعلته في حل) وابرأت ذمته منه (لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) تكريما له لتعظيمه
ومحبته (وقال أبو بكر بن عياش) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية وآخره شين معجمة ابن
سالم الازدي المقرئ احد الاعلام اختلف في اسمه فقيل شعبة وقيل اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره
توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في جمادى الاولى وعمره ستة وتسعون سنة (لو اتاني أبو بكر وعمر وعلي
في حاجة لقدرت عليها (لبدأت بحاجة علي قبلهما) وقدمته عليهما وهما هما ايثارا عليهما (لقرابته)
وفي نسخة لقرباه (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) لشدة قربه وصهارته فتقدمه ذاتي وعرضي
وقربهما منه لا يعنيه (ولان أخر من السماء الى الارض) هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده أشد
عنده من انه يرفع الى السماء ويرمى به منها الى الارض فتنقطع وتتكسر جميع اعضائه وخر بمعنى سقط
(أحب الى من ان اقدمه عليهما) يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمي
بفضليتهما عليه وانما قدمه لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
ه ولاجل عين ألف عين تكرم ه في الكلام تقدم كما أشرنا اليه (وقيل لابن عباس) كما رواه أبو داود
والترمذي وحسنه (ماتت فلانة) كناية عن امرأة معينة كما بينه بقوله (لبعض ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم) ولم يعينوها وقيل هي ميمونة وقيل هي زينب (فسجد فقيل له أتسجد في هذه الساعة) أي في
مثل هذه الساعة التي أخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود يكون لشكر ونحوه (فقال أليس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا) أي امرا عظيما فيه عبرة كالكسوف والخسوف وجزم
بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهي آخر زوجاته صلى الله عليه وسلم موتا وفي انقراضهن يخشى
رفع الرحمة من الارض وغضب الله على أهلها وفي السجود والصلاة تذلل برفع غضب الرب ولذا
استحب بعضهم الصلاة للخسوف والزلزلة (وأي آية أعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم) وغلق بابه فانه أمر عظيم يورث تحزنا واسفا (وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن

لقرباه (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا له وجه وجيه في الاقدمية من هذه الحيثية واما قوله (ولأن أخر) بفتح همزة وكسر خاء معجمة وتشديد راء أي لأن اسقط (من السماء الى الارض) أي من المقام الاعلى الى المكان الا (احب الى من ان اقدمه عليهما) أي في الافضلية فدفع توهم التفضيل في القضية ثم فيه انه يجب على التابع ان يقدم من قدمه المتبوع ولذا اذن عمر رضي الله تعالى عنه بالدخول لبلال وسلمان قبل العباس وأبي سفيان رضي الله تعالى عنهم حين اجتمعوا على باب عمر فقال أبو سفيان للعباس

أتريدان يقدم علينا الموالي فقال العباس الذنب منا حيث تأخرنا فيما كان يجب التقدم علينا وهذا الذي اختاره ابن عباس رأى له
والاكثر الجمهور على ان الافضل يستحق التقديم في كل شيء فتأمل (وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أبو داود والترمذي
وحسنه (ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وسميت باسمها الا ان الراوي نسيها (فسجد) أي لعظم
المصيبة وفقد الاعزة ولا يبعد ان يكون المراد بسجد صلى ركعتين لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (فقيل له) أي لابن عباس
(أتسجد في هذه الساعة) بهمزة الاستفهام التعجبية بناء على مخالفة العادة العرفية (فقال) أي ابن عباس أليس قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم آية) أي علامة خارقة للعادة من نحو كسوف وخسوف وشدة ريح وكثرة ظلمة (فاسجدوا) أي فصلوا
(وأي آية أعظم) أي خطرا وافخم قدرا (من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي واحدة بعد واحدة حيث انهن من
أخص أصحابه وأقرب احزابه (وكان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) أي مع جلالتهما (يزوران أم أيمن) واسمها بركة

(مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ترجمتها (ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها) أي فينبغي علينا زيارتها تبركا بها وتاسيا بزيارته اياها والحديث رواه مسلم (ولما وردت) كما روى ابن سعد عن عمرو بن سعد بن أبي وقاص مرسلا قال لما وردت (حليمة السعدية) أي أمه من الرضاعة (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زائرة مسترفدة وفي سيرة الدمياطي ان الواردة عليه انما هي ابنتها الشيماء أخته من الرضاعة (بسط لها رداءه وقضى) أي نفذ (حاجتها) رعاية لحرمة الرضاعة وفي الحديث حسن العهد من الايمان (فلما توفي) أي رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت) وفي نسخة صحيحة وفدت أي أمه أو أخته من الرضاعة (على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك) أي مثل صنيعه عليه الصلاة والسلام في الاكرام ومزيد الانعام مراعاة لحرمتها وتاسيا برعايتها ثم اعلم ان العلامة أبا محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أنكر اسلام حليمة وقال ان هذه القصة للشيماء ابنتها لكن رد عليه مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة فيمكن الجمع بينهما في القضية والله تعالى أعلم بالحقيقة الحقية

* (فصل) * (ومن توقيره) أي تعظيمه (وبره) أي ومن احسانه (عليه الصلاة والسلام في توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم) أي حقوقهم من فتح البلاد ودفع أهل الفساد وايصال انواع العلوم الى اصناف العباد (والاقتداء بهم) أي في افعالهم واقوالهم لقوله عليه الصلاة والسلام أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم

مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها) فاقتديا به واحباما أحب واسمها بركة بنت حفص بن ثعلبة بن عمر بن حفص بن مالك بن سليمان بن عمر بن النعمان كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له اسامة وهاجرت الهجرتين وكانت آلت اليه من أبيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويحب زوجها وابنها ويقول هي أمي بعد أمي فلذا كان يزورها ويصلها وكانت تحبه وتحضنه وآمنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لان أمه ذهبت به لاخواله بني النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم فكان اليهود يختلفون وينظرونه فسمعتهم أم ايمن يقولون هذا نبي هذه الامة فرق ذلك في قلبها فهي أول من آمن به صلى الله عليه وسلم ثم رجعت به فماتت أمه بالابواء وقبرها هنالك فحضنته أم ايمن (ولما وردت حليمة السعدية) من بني سعد وهي أمه من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد رحمه الله (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد هجرته (بسط لها رداءه) لتجلس عليه اكراما لها ولحق أمومة الرضاع (وقضى حاجتها) التي سألته قضاءها (فلما توفي) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفدت) أي جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد (على أبي بكر وعمر) في خلافتهما لحاجة لها (فصنعا بها مثل ذلك) أي بسطا رداءهما واكراماها وقضيا حاجتها تاسيا به صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة لمن أحب واعترض عليه البرهان وقال ان التي قدمت عليه بنت حليمة المسماة بالشيماء وهي التي اسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطي وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسمية في اسلام حليمة والحاصل كما تقدم انهم اختلفوا في اسلامها وانها صحابية وانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها الشيماء فانها اسلمت وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبسط لها رداءه وانه روى عنها حديث ورد بانه لم يصح والتي أتته بنتها الشيماء بنت الحارث كما مر واسمها حذافة واما هي فاتته صلى الله عليه وسلم زمن خديجة فاعطاها أربعين شاة وجملا وانصرفت الى أهلها ولم يذكر اسلامها الا ابن عبد البر أثبته وعدها في الصحابة وقال هي أتته بحنين وروى عنها عبد الله بن جعفر وذكر في الوفاء انها أسلمت هي وزوجها وبنتها وكفى بهذا مستندا للمصنف فالمخطئ له مخطئ والشاهد فيما ذكره لما نحن فيه ان أبا بكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن أحبه وهي في حكم آل بيته لانها أمه من الرضاعة وهي في حكم القرابة وهذا مع ظهوره لم يفهمه من قال معترضا على المصنف رحمه الله تعالى ان هذه القصة لا مدخل لها في هذا الفصل لانه معقود لتوقير آله وأصحابه تكريما له وتعظيما وهذا انما هو من قبيل تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لغيره وهذه غفلة منه عجيبة

* (فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره) * توقيره بتعظيمه وبره مضاف الى المفعول بمعنى الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته (توقير أصحابه وبرهم) أي تعظيمهم والاحسان اليهم بالاتهم ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فان من اكرم عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من رآه صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله في كتب الحديث والاصوليين (ومعرفة حقهم) أي ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم في منزلته اللائقة به وليس المراد به مجرد المعرفة حتى يقال ينبغي ان يقول القيام بها لان ثمرة العلم العمل ولذا عطف عليه قوله (والاقتداء بهم) أي اتباع أقوالهم وافعالهم فانهم على هدى اضاءت

(وحسن الثناء عليهم) أي اجمالا كما قال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذا في مقام التفصيل اكمالا وتبجيلا له عليه الصلاة والسلام واجلالا (والاستغفار لهم) لقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية (والامساك عما شجر) أي اختلف (بينهم) وما وقع لهم من التشاجر والاختلاف الصادر عنهم باجتهاد فلمصيبهم اجران ولمخطئهم أجر واحد كما ورد وكما قال الشاطبي رحمه الله تعالى

وللاحد الحسنيين اصابة * والاخرى اجتهاد رام صوبا فامحلا

وفي الحديث اذا ذكر أصحابي فامسكوا وفي حديث آخر اياكم وما شجر بين أصحابي (ومعاداة من عاداهم) أي من الرافضة والناصبة لان الصحابة لاشك انهم أولياء الله وقد ورد من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب (والاضطراب) أي الاعراض (عن اخبار المؤرخين) بفتح الهمزة وكسرها أي عن أقوال أصحاب التواريخ فان غالبهم غير صحيح بل كذب صريح (وجهلة الرواة) أي ممن نقلوا الحكايات عن غير الثقاة (كالرافضة) أي الطائفة التي رفضوا محبة الصحابة (وضلال الشيعة) أي ممن زعم مشايعة علي ومتابعته وهو بري منهم ومتبعد عنهم وأصل الشيعة الفرقة المتفقة على ملة من الطريقة ومنه قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء الآية وتطلق على الفرقة الذين يفضلون عليا كرم الله تعالى وجهه ويزعمون انهم من شيعته أي من اتباع سيرته (والمبتدعين) أي في الدين كبعض المعتزلة (القادحة في أحد منهم) أي الطاعنة في أحد من الصحابة وهم براء واتقياء فيجب ان يسكت عنهم (وان يلتمس لهم) بصيغة المفعول وكذا (فيما نقل عنهم) أي في حقهم (من مثل ذلك) أي من موجب طعنهم (فيما كان بينهم من الفتن) أي المؤدية الى المحن أي يطلب (أحسن التاويلات) اذ كلهم عدول بشهادة الله تعالى لهم حيث قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدولا (ويخرج لهم) بتشديد الراء المفتوحة أي يحمل لافعالهم (أصوب المخارج) أي المحامل (اذهم أهل لذلك) أي احقاء به هنالك (ولا يذكر أحد منهم بسوء) لان الله قد أثنى عليهم في مواطن كثيرة من كتابه ووصى النبي عليه الصلاة والسلام أمته في تعظيم أصحابه بنحو قوله لا تسبوا أصحابي مع تعميم قوله عليه الصلاة والسلام لا تذكروا موتاكم الا بخير ولانه من الفواحش المحرمة باجماع أهل السنة على خلاف انه يعزر فاعله أو يقتل (ولا يغمص) بصاد مهملة على صيغة المجهول أي لا يعاب (عليه) أي على أحد منهم (أمر) أي يطعن به فيه لحديث الله الله في أصحابي أي اتقوه فيهم فلا تنقصوهم ولا تحقروهم بل عظموهم ووقروهم وفي الحديث لما قتل ابن آدم أخاه غمص الله الخلق أي صغرهم وحقرهم فنقصهم وطعن فيهم طولا وعرضا وقوة وقوتا وفي نسخة يغمض بضاد معجمة

في مشكاتهم الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم أفضل من مجموع من بعدهم وأما كون كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم فصرحوا بانه لا يلزم فقد يكون بعض التابعين أفضل من بعض الصحابة واستدل لحديث أمتي كالمطر لا يدرى الخير في أوله أم آخره والمشاحة فيه بانه باعتبار النفع لا الفضيلة غير مسلمة وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم (وحسن الثناء عليهم) اذا ذكروا ومدحوا (والاستغفار لهم) أي الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضي عنهم (والامساك) أي السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه (عما) أي عن كل أمر (شجر بينهم) أي وقع فيه خلاف ونزاع ماخوذ من الشجر المختلف المتداخل اغصانه بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما شجر بين أصحابي (ومعاداة من عاداهم) كالخوارج والرافضة (والاضراب) أي الترك والاعراض (عن اخبار المؤرخين) التي نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه (وجهلة الرواة) الذين رووا قصصا باطلة تؤدي لسوء ظن بهم (وضلال الشيعة) بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا ان الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من اضافة الصفة لموصوفها أي الشيعة والصفة كاشفة معرفة لا مقيدة حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة وهي مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه أعني قوله (والمبتدعين) فان البدعة على أقسام كما تقدم والمراد ابتداع العقائد الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة وقوله (القادحة) صفة اخبار والقدح الذم والتنقيص بذكر ما يؤدي اليه (في أحد منهم) أي من الصحابة (وان يلتمس لهم) أي يطلب لهم وأصله ادراك ظاهر البشرة كاللمس فعبر به عن مطلق الطلب (فيما نقل عنهم من مثل ذلك) الامر المنقول عنهم في الاخبار المروية (فيما كان بينهم من الفتن) كما وقع بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما (أحسن التاويلات والمحامل) لانها أمور وقعت باجتهاد منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة (ويخرج) بضم أوله مجهول كقوله يلتمس المتقدم أيضا (أصوب المخارج) بان يحمله على أمر محمود ويؤوله بما يخرجه عن عده من المعائب الى الحاقه بالمحاسن (اذهم أهل ذلك) أي مستحقون بان يحمل ما صدر منهم على أمور حسنة محمودة (ولا يذكر) مبني للمجهول (أحد منهم بسوء) أي بامر قبيح (ولا يغمص عليه أمر) بضم الياء التحتية وسكون الغين المعجمة وميم مفتوحة وصاد مهملة مبني للمجهول أي لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره يقال

والظاهر انه تصحيف وقيل فى معناه أى يصغر أو يحتقر واغمض نام وفى الامر والبيع استجاز مالا يستجاز أو خلط من ثمنه (بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك) أى عن غيره مما لا يليق بهم هنالك (كما قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (اذا ذكر أصحابى فامسكوا) أى عن الطعن فيهم وذكرهم بما لا ينبغى فى حقهم قال الله تعالى (محمد رسول الله) هو خبر مبتدأ محذوف هو هو والجملة من مبتدأ وخبر (والذين معه) أى من الصحابة مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم) أى بالنسبة الى الابرار وسائر المؤمنين ولو من الفجار لقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (الى آخر السورة) يعنى (تراهم ركعا سجدا) أى راكعين ساجدين فى غالب أوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) فى سائر حالاتهم وهو بكسر الراء وضمها (سيماهم) أى علامة أنوارهم لائحة (فى وجوههم من أثر السجود) أى من تأثير طاعاتهم واسرارهم (ذلك) أى الذى وصفوا به (مثلهم) أى صفتهم العجيبة وحالاتهم الغريبة المذكورة (فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع) تمثيل مستأنف (أخرج شطأه) بسكون الطاء وفتحها أى فراخه من اشطأ الزرع اذا أفرخ (فآزره) من الموازرة أى المعاونة وأصل معناه من جهة مبناه شد ازره وقواه (فاستغلظ) أى صار غليظا أى بعدما كان دقيقا رقيقا (فاستوى على سوقه) بالواو والهمز جمع ساق بالوجهين أى استقام على قصبه قيل فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر (يعجب الزراع) بكثرته وقوته واستحكام حالته حتى أعجب الناس من الابرار (ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من بيانية عند أهل السنة (مغفرة وأجرا عظيما) هذا وقيل قوله تعالى (والذين معه) كناية عن الصديق (أشداء على الكفار) عبارة عن الفاروق (ورحماء بينهم) اشارة الى عثمان (تراهم ركعا سجدا) ايماء الى على (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) تعميم بعد تخصيص واستدل به على تكفير الروافض والخوارج الفجار حيث قال تعالى ليغيظ بهم الكفار (وقال) أى عز وجل (والسابقون) أى فى مناقب الايمان ومراتب الاحسان (الاولون من المهاجرين) وهم من أسلم قبل الهجرة أو من صلى الى القبلتين أو من شهد بدرا (والانصار) أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة والعقبة الثانية وكانوا سبعين ومن آمن حين أقدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير (الآية) أى والذين اتبعوهم باحسان أى اللاحقون بهم الى يوم القيامة رضى الله تعالى عنهم بقبول طاعتهم المرضية ورضوا عنه بما منحهم به من النعم الدينية والدنيوية وأعد لهم جنات تجرى به تحتها وفى قراءة المكى من تحتها الانهار خالدين فيها أى مقدرين الخلود فى تعظيمها ذلك الفوز العظيم (وقال) أى عز وعلا وفى نسخة وقال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) أى فى الحديبية (تحت الشجرة) وتسمى بيعة الرضوان وقد تقدمت القضية (وقال) أى الله سبحانه وتعالى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من قتالهم أعداء الله وثباتهم مع رسول الله وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ونحوهم (الآية) أى فمنهم من قضى نحبه أى نذره حتى قتل شهيدا كحمزة ومصعب وأنس ابن النضر ومنهم من ينتظر ان يقضى نحبه أى نذره ليفوز بالشهادة كعثمان وطلحة وسعيد وما بدلوا عهدهم تبديلا ولقد ثبت معه.

الصحابة

غمصه اذا احتقره وتهاون به وجوز فيه أيضا اعجام ضاده من أغمض الجفن اذا أطبق بعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتساهل قال الله تعالى الا ان تغمضوا فيه فالمعنى لا يحتقر والاول أولى رواية ودراية (بل يذكر حسناتهم) المروية من عباداتهم وزهدهم (وفضائلهم) الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم (وحميد سيرهم) من انصافهم وعدلهم واصابة رأيهم وعلو هممهم (ويسكت) مبنى للمجهول (عما وراء ذلك) أى عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم (كما قال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود (اذا ذكر أصحابى) بذكر أحوالهم (فامسكوا) عن الطعن فيهم وذكرهم بما يوهم نقصا فيهم (قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء الى آخره) فتضمن خاتمة سورة الفتح الثناء عليهم كلهم وان الله تعالى وعدهم بمغفرته وأجر عظيم منه وانهم من ابتداء امرهم الى آخره نفع وخير كزرع تكامل شيأ فشيأ حتى تمت سنابله وعم نفعه والآية وما فيها من التفاسير قد كفيناه مؤنته هنا والذى يراد منها هنا ان من مدحه الله وبالغ فى مدحه فى كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف يقدح فيه قادح لكنى أقول * أعمى البصائر بالتكحل يذهب (وقال) ان الله تعالى عز وجل فى حقهم أيضا (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية) وفى هذه الآية مدح عظيم أيضا لهم ووعد عظيم بما لهم فى العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون الاولون الذين صلوا القبلتين وشهدوا بدرا والذين أسلموا قبل الهجرة الثانية السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار أصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة الذين اتبعوا هؤلاء باحسان وهم اللاحقون بالسابقين من أهل القبلتين وشمل هؤلاء كلهم الثناء والوعد وقد قسموا اقساما أخر ليس هذا محل تفصيله (وقال الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وهذه قصة الحديبية وما وقع فيها مما تغنى شهرته عن ذكره (وقال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية) هذه الآية قدمنا انها نزلت فى ناس من

طلحة يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه السلام أوجب طلحة (حدثنا القاضى أبو على) أى ابن سكرة (ثنا) أى حدثنا (أبو الحسين) أى المبارك ابن عبد الجبار الصيرفى (وأبو الفضل) أى ابن خيرون (قالا) أى كلاهما (ثنا أبو يعلى) أى البغدادى أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن زوج الحرة (ثنا أبو على السنجى) بكسر أوله (ثنا محمد بن محبوب) المشهور بالمحبوبى (ثنا الترمذى) وهو الحافظ أبو عيسى صاحب السنن (ثنا الحسن) وفى نسخة صحيحة الحسين بالتصغير (ابن الصباح) بتشديد الموحدة وهو البزار براء فى آخره (ثنا سفيان بن عيينة) وهو الامام الجليل (عن زائدة) أى ابن قدامة أبو الصلت الثقفى الكوفى ثقة حجة صاحب سنة توفى غازيا بالروم سنة ستين ومائة أخرج له أئمة الستة (عن عبد الملك) رأى عليا وسمع جريرا والمغيرة والنعمان بن بشير وعنه ٤٢٣ شعبة والسفيانان أخرج له الائمة الستة (ابن عمير) بالتصغير (عن ربعى) بكسر راء فسكون موحدة وكسر مهملة فتشديد تحتية (ابن خراش) بكسر مهملة وتخفيف راء وفى آخره معجمة هو أبو مريم العبسى سمع عمر وابن مسعود وعنه منصور وأبو مالك الاشجعى حجة قانت لله لم يكذب قط وحلف انه لا يضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك الا بعد موته توفى سنة أربع ومائة أخرج له الائمة الستة (عن حذيفة) هو ابن اليمانى أبو عبد الله العبسى وفى الصحابة جماعة يقال لكل منهم حذيفة ومنهم من له رواية فلهذا ميزت هذا بابيه واليمانى اثبات الياء فيه أصح من تركها وهو صحابى أيضا رضى الله تعالى عنهما ثم اعلم ان هذا الحديث قد أخرجه المصنف من عند الترمذى كما رأيت وقد أخرجه الترمذى فى المناقب به ورواه أيضا من طريق أخرى وأخرجه ابن ماجه فى السنة من طريقين وقد أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث حذيفة ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وصحح اسناده (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر) هذا أمر بطاعتهما متضمن لثنائه عليهما ومؤذن بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما ومشير الى انهما يكونان خليفتيه من بعده (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى عبد بن حميد عن ابن عمر (أصحابى كالنجوم) بجامع الاهتداء اذ بها يقتدى فى غياهب الظلمة الشنيعة وبهم يهتدى الى محاسن مراتب أنوار الشريعة (بأيهم اقتديتم اهتديتم) ولعل الحديث مقتبس من قوله سبحانه وتعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ويقويه قوله عليه الصلاة والسلام

الصحابة منهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك كان لم يشهد بدرا فكبر عليه ذلك فقال أول مشهد لرسول الله غبت عنه والله لئن أرانى الله مشهدا بعد ليرين الله ما أصنع فلما كانت وقعة أحد من العام القابل قاتل فيها حتى قتل ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبد الله (حدثنا القاضى أبو على) هو ابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسين) تقدم أيضا (وأبو الفضل بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى) أحمد بن عبد الواحد البغدادى وقد تقدم (قال حدثنا أبو على السنجى) قال (حدثنا محمد بن محبوب) المعروف بالمحبوبى كما تقدم قال (حدثنا الترمذى) الحافظ أبو عيسى صاحب السنن قال (حدثنا الحسن بن الصباح) هو البزار براء مهملة فى آخره كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح أبو على الزعفرانى قال (حدثنا سفيان بن عيينة) كما تقدم أيضا (عن زائدة) بن قدامة أبو الصلت الثقفى الكوفى الحافظ الثقة الحجة توفى غازيا بالروم سنة ستين أو احدى وستين ومائة وأخرج له الستة (عن عبد الملك بن عمير) الكوفى التابعى روى عنه الستة توفى سنة ست وثلاثين ومائة (عن ربعى) بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة (ابن حراش) بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وآخره شين معجمة وما عداه خراش بخاء معجمة وهو أبو مريم العبسى (عن حذيفة) ابن اليمانى باثبات الياء وهو الافصح وتحذف وهو الصحابى المشهور (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى وابن ماجه (اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر) أراد بهم الخلفاء الراشدين مطلقا وخص منهم أبو بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وبهذا الحديث أخرجه الحاكم وابن حبان أيضا وفى طرقه اختلاف بزيادة ونحوها وأوله قال حذيفة كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى لا أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى وأشار الى أبى بكر وعمر وأخرجه القصار بلفظ اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر فانهما حبل الله تعالى الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام لها والمراد الاقتداء بهما اذا قاما مقامه فى الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابى حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بابى بكر وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل فى كتب الاصول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر رواه الدارقطنى وابن عبد البر فى العلم من طرق أسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ العراقى كان ينبغى للمصنف رحمه الله ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس بوارد لان المصنف رحمه الله ساقه فى فضل الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال فضلا عن فضائل الرجال لا وجه له لان قوله (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فيه العمل بما فعلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضائل

العلماء ورثة الانبياء ثم اعلم ان قوله وقال أصحابي حديث آخر وقد أخرجه الدارقطني في الفضائل وابن عبد البر من طريقه من حديث
جابر وقال هذا اسناد لا تقوم به حجة ورواه عبد بن حميد في مسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال البزار منكر لا يصح ورواه ابن
عدي في الكامل باسناده عن نافع عن ابن عمر بلفظ فأيهم أخذتم بقوله بدل اقتديتم واسناده ضعيف ورواه البيهقي في المدخل من
حديث عمر ومن حديث ابن عباس بنحوه ومن وجه آخر مرسلا وقال متنه مشهور وأسانيده ضعيفة قال الحلبي وكان ينبغي للقاضي
ان لا يذكره بصيغة جزم لما عرف عند أهل الصناعة وقد سبق له مثله مرارا أقول يحتمل انه ثبت باسناد عنده أو حمل كثرة الطرق
على ترقيه من الضعيف الى الحسن بناء على حسن ظنه مع ان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال

والله أعلم بحقيقة الاحوال (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) في رواية البزار وأبي يعلى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل أصحابي) زاد البغوي في المصابيح وشرح السنة في أمتي (كمثل الملح في الطعام) بجامع الصلاح اذ بهم صلاح الدنيا وفلاح العقبى (لا يصلح الطعام الا به) أي بالملح بحسب الحاجة الى القدر المصلح له قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح (وقال) عليه السلام (الله الله) بنصبهما أي اتقوه أو راعوه (في أصحابي) أي خاصة (لا تتخذوهم غرضا) أي هدفا للطعن (بعدي) أي بعد موتي أو بعد غيبتي لاني أقوم لهم بنصرتي في حياتي وحضرتي (فمن أحبهم فبحبي) أي اياهم أو فبحبهم لي (أحبهم) أو يؤيده قوله (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم)
وهذا بحسب الاعتقاد والاحوال وأما باعتبار الاقوال والافعال فكما بينه بقوله (ومن آذاهم) أي باللسان أو الاركان (فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله) أي فكأنه آذاه (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وتفتح أي يقرب (أن يأخذه) أي أخذ شديد
ويؤاخذه بعذاب أكيد ولعل الحديث مقتبس من مجموع قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد
لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) أي النبي عليه الصلاة
والسلام كما رواه مسلم وغيره (لا تسبوا أصحابي) قال النووي هو من أكبر الفواحش وسيأتي عن المصنف انه عده من الكبائر ويعزر

التي يجوز العمل فيها بالضعيف فلو قال انه بمعنى الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا
ساقه بعده كالمتابعة له ولذا اجزم به كان أقوى وأحسن مما قاله وقال ابن الرومي رحمه الله تعالى

قوم اذا دجت الخطوب فانما * أراهم في الحادثات نجوم
منها مصابيح الدجى ومعالم * فيها الهدى والاخريات رجوم

وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المصنف بقوله وقال فوجه التشبيه ما ذكر مع العلو
والشرف (وعن أنس) بن مالك فيما رواه البزار وأبو يعلى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
أصحابي) زاد في المصابيح في أمتي (كمثل الملح في الطعام) أي فيما يطبخ ويؤكل مما يعتاد اصلاحه
بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان ضر كثير الملح وأصلح قليله ولدفع توهم ضرر كثرتهم قال (لا يصلح
الطعام) بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضا (الا به) أي بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن أبي
حاتم وغيره من طرق مختلفة وقال الحسن البصري وقد ذهب ملحنا فكيف نصلح واصلاحهم
بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخلافتهم وبيان
الشريعة وأمور الدين فعلينا باتباعهم واقتفاء آثارهم ومن اشراط الساعة فساد العلماء كما قيل

بالملح يصلح ما يرجى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

قيل فيه دقيقة وهي الاشارة الى الاعتدال وانهم أمة وسط ولا يخفى بعده ولو قيل انه اشارة الى قلتهم
وسرعة انقراضهم كان أظهر فتأمل (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم (الله الله في أصحابي)
أي اتقوا الله فيهم وكرره للحث والتأكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير
مقامه ولولاه حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولي انه يجوز مع قبحه
(لا تتخذوهم غرضا بعدي) الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض الهدف الذي يرمى به السهام
والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد أمور قبيحة لهم (فمن أحبهم) وصان أعراضهم (فبحبي أحبهم)
أي فانما يحبهم لاجل محبتي لهم فحبهم عين محبتي وبرهم بري (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم
ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه اذ معناها
الحقيقي لا يتصور في حقه فهو مشاكلة (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وقد تفتح بمعنى
يقرب ويسرع (أن يأخذه) أي يهلكه ويستأصله بعذابه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان
من شرطية أو موصولة ورواه في المصابيح فيوشك بالفاء والرفع بتقدير مبتدأ أو هو مستأنف
دليل على الجواب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره (لا تسبوا أصحابي

فلو

عند الجمهور ويقتل عند بعض المالكية وكذا عند بعض الحنفية ففي بعض كتبهم ان سب الشيخين كفر (فلو أنفق أحدكم) أي كل يوم كما رواه عبد بن حميد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعا لو انفق احدكم كل يوم (مثل احد) أي مالا قدره أو انفق امثاله (ذهبا) تمييز (ما بلغ) أي جميعه (مد أحدهم) وفي نسخة صحيحة مد أصحابي وهو بضم ميم وتشديد دال وخص بالذكر لانه أقل ما كانوا يتصدقون به وأصله كان الرجل يمد كفيه فيملأهما طعاما أي قدر مد طعام أحدهم عما انفقه وانفق مثلهم (ولا نصيفه) لما قارنه من صدق نية وصفاء طوية مع شدة الحاجة وكمال القلة وقد ورد سبق درهم مائة الف درهم والنصيف بفتح فكسر بمعنى النصف بتثليث النون كما يقال عشر وعشير وقال الارزنجاني في شرح المشارق النصيف مكيال معروف وهو دون المد والضمير في نصيفه راجع الى أحدهم لا الى المد والمعنى ان أحدكم لا يدرك بانفاق مثل أحد ذهبا من الفضيلة ما ادرك أحدهم بانفاق مد من الطعام أو نصيف منه ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى لا يستوى منكم من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (وقال) أي فيما رواه الديلمي عن عويم ابن ساعدة وأبو نعيم في الحلية عن جابر رضي الله تعالى عنه (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) تأكيد لما ذكر أو للناس فقط أي كلهم أي الطرد والبعد عن الحق والسب والذم من الخلق (لا يقبل الله منه) أي ممن سبهم (صرفا) بفتح الصاد المهملة وسكون الراء أي توبة أو نافلة (ولا عدلا) بفتح العين وسكون الدال أي فدية أو فريضة وقال المناوي ردي الجمهور على ان الصرف الفريضة والعدل النافلة وعكسه الحسن وقال الاصمعي ان الصرف التوبة والعدل الفدية ومعنى القبول تكفير الذنوب بهما قال النووي معنى الفدية هنا لا يجد في القيامة فداء يفتدي به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله تعالى على من يشاء منهم بان يفديه من النار بيهودي أو نصراني كما ثبت في الصحيح وفي الحديث ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبوابها دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد لها مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لها والا رجعت الى قائلها (وقال) كما رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (اذا ذكر أصحابي فامسكوا) أي عن الطعن فيهم

فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا) وفي بعض الروايات من طريق أبي بكر بن عياش زيادة كل يوم وأحد اسم جبل معروف أي لو بذل في سبيل الله مقدار وزنه ذهبا (ما بلغ) أي ما وصل وساوى ثوابه ثواب (مد احدهم ولا نصيفه) الذي يتصدق به من تمر او شعير أو قمح ونحوه ففيه من المبالغة ما لا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع وهو أقل ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وروي مد بفتح الميم أي مداه وغايته كمد البصر ومداه والنصيف بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه اربع لغات نصف بكسر النون وضمها وفتحها ونصيفه بزيادة تحتية لغة في النصف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف مكيال دون المد اي أعلى صدقتكم وانفاقكم الله لا يبلغ أجره وموقعه عند الله أقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم بدون رياء منهم وقد انفقوا رضي الله تعالى عنهم وهم في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دارة عليهم مع شدة الحاجة لما انفقوه في أول ظهور الاسلام وقتال اعداء الدين مع بذلهم مع مالهم أهلهم وارواحهم في سبيل الله كما قيل

رأيت عبيد الله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد

أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

ولمهيار

جدت وقاروا والزمان هازلي * وجاد عفوا والزمان جامد

والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل أو المراد باصحابه هنا السابقون الاولون منهم كما قال الله لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة الآية فالاصحاب جماعة مخصوصون منهم واختلف في حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله أو كفر فيقتل وسيأتي تفصيله آخر الكتاب (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي وأبو نعيم في الحلية عن جابر (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وبهذا تمسك من قال بكفره وقتله ومثله كثير في احاديث التهديد والتخويف حتى لا يتجرأ عليه احد من الناس (لا يقبل الله منه) أي ممن سبهم (صرفا ولا عدلا) في تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الامور وقيل التطوع وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ما تصرف فيه وقيل الزيادة والعدل قيل الفرض وقيل الفدية وقيل المكيل وقيل المثل وقيل الفضل قال النووي ومعنى الفدية انه لا يجد في يوم القيامة من يفتدي به فان بعض المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد في الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فامسكوا) أي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك

(وقال) كما رواه الديلمى (فى حديث جابر رضى الله تعالى عنه ان الله اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابى) وخير غيرهم بطريق الاولى وكذا من الامم الاولى (وفى آخر أصحابى كلهم خير) لحديث خير كم قرنى فهم خيرة الله من خلقه بفتح الياء وسكونها أى اختاره الله (وقال) كما روى الطبرانى فى الاوسط عن أبى سعيد الخدرى بسند حسن (من أحب عمر فقد أحبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى) لما أوتيه من كرم الشيم وعلو الهمم (قال) وفى نسخة وقال (مالك ابن أنس رضى الله تعالى عنه وغيره) أى من العلماء (من ابغض الصحابة) أى بجنانه (وسبهم) أى بلسانه والواو بمعنى أى (فليس له فى فىء المسلمين حق) أى فيما ينال من أهل الشرك بعد ما تضع الحرب أوزارها وحكمه ان يكون لكافة المسلمين فاراد مالك رحمه الله بنفى حق من ابغض الصحابة وسبهم من الفىء انه يخرج بذلك عن جماعة المسلمين (ونزع) بنون مفتوحة فزاى فمهملة بصيغة الفاعل وقيل بصيغة المفعول أى بعد عن الفىء فلا حق له فيه فهو تأكيد لما قبله فتكون الباء فى قوله (بآية الحشر) سببية والاظهر انه بصيغة الفاعل وان ضميره الى مالك وغيره يقال نزع بآية من القرآن اذا تلاها محتجا بها أى واستدل كل منهم على قوله ذلك بآية الحشر وهى قوله تعالى

ولا تخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه (وقال فى حديث جابر) رضى الله عنه الذى رواه البزار والديلمى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اختار أصحابى على جميع العالمين) أى فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه عدولا أتقياء كلهم (سوى الانبياء والمرسلين) فانهم أفضل منهم (واختار لى منهم) أى من الصحابة ففضلهم على غيرهم من الصحابة (أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا) وقد روى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر ثم فسر اختيارهم له بقوله (فجعلهم خير أصحابى) وافضلهم (وفى أصحابى كلهم خير) أى فضل وتقوى فكلهم علماء عدول كما فى حديث خير القرون قرنى ثم وثم وهذا سبب ما حكاه امام الحرمين رحمه الله تعالى من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما أوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما الفوه من الهجرة وترك الأهل والاوطان وبذل النفوس والاموال فى نصرة الدين وقتل الآباء والابناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الطبرانى فى أوسط بسند حسن (من أحب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى) خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على أمور الدين التى قد تورث حزازة فى بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على أبى بكر رضى الله عنه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه نفاقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه وقدمه وارتضاه فعدم ارتضائه يفضى الى عدم ارتضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل * عن المرء لا تسل وسل عن قرينه * نكتة من خصائص أبى بكر وعمر انهما جليساه وضجيعاه فى حياته ومماته وقد ورد فى حديث ان كل احد يدفن بتربته التى خلق منها وهو يدل على انهما خلقا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف أعظم منها (وقال مالك بن أنس) شيخ السنة وامام دار الهجرة (وغيره) من الائمة اشارة الى انه لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبق له ابن عباس كما نقله ابن تيمية فى كتاب رد الروافض (من ابغض الصحابة وسبهم فليس له فى فىء المسلمين حق) الفىء ما اخذ من غنيمة الكفار وهو مرصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على ما فعله وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله ان لم يتب والفىء هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على الآخر وان فرق بينهما الفقهاء وأهل اللغة وقد قال مشايخنا فى هذا ونحوه انه كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادى (ونزع) بنون وزاى معجمة وعين مهملة مبنى للفاعل ويجوز جعله مبنيا للمجهول أيضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر أو ضمير مالك وغيره وعلى الثانى نائب فاعله قوله (بآية) سورة (الحشر) وقيل ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل واستخرج من الآية وسيأتى فى آخر الكتاب قال مالك من انتقص احدا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليس له فى هذا الفىء حق قد قسم الله الفىء فى ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية الى آخره فمن انتقصهم فلا حق له فى الاسلام وعطف سبهم على ابغض عطف تفسيرى لان البغض أمر قلبى لا يطلع عليه وهذا أقوى اماراته فلا يرد عليه ان تعليق الحكم بهما يقتضى انه لا يكفى احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع ببعد عن الايمان بشهادة حديث الله الله فى أصحابى الى آخره لم يصب وأصل معنى النزع القلع والخروج فيجوز به عما فليس من النزوع عن الاوطان والتقرب كما توهمه هذا القائل والآية المذكورة قوله تعالى ما أفاء الله على

رسوله

(والذين جاؤا) عطف على المهاجرين في قوله للفقراء والمهاجرين أي وللفقراء الذين جاؤا (من بعدهم) حين قوى شان الملة أو هم تابعوهم باحسان الى يوم القيامة (يقولون ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أي آمنوا قبلنا (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي حقدا وغشا (للذين آمنوا) أي من السابقين واللاحقين (ربنا انك رؤف رحيم) بالمحسنين روى عن مالك رحمه الله انه قال من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ قوله تعالى وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ قوله رؤف رحيم أراد ان الله تعالى قد بين من له الحق في الفيء في هذه الآية ورتبهم على ثلاث منازل الفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار يعني المدينة وهم الانصار والذين جاؤا من بعدهم يعني التابعين الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا الى قوله تعالى ولا تجعل في قلوبنا غلا أي بغضا للذين آمنوا قال فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين (وقال) أي مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه (من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار) وعن مالك أيضا انه قال حين تلا قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان) أي صفتان كريمتان (من كانتا فيه نجا) من محن الدنيا والآخرة (الصدق) أي مع الحق والخلق (وحب أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيوب) وفي نسخة أبو أيوب وهي غير صحيحة (السختياني) بفتح أوله وضمه وسكون المعجمة وكسر التحتية سبق ذكره (من أحب أبا بكر) أي محبة كاملة (فقد أقام الدين) أي بقدم تقدم اليقين (ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل) أي بين سبيل الله وهو الاسلام وعينه

رسوله الى قوله (والذين جاؤا من بعدهم) يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم * ووجه الاستدلال بالآية انه جعل ما أفاء الله على رسوله حقا للفقراء المهاجرين والفقراء الذين تبوؤا الدار والفقراء الذين جاؤا من بعدهم مهاجرين بعد ما قوى الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن آمن بعد المهاجرين والانصار الى آخر الزمان وجملة يقولون الى آخره حال أي القائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا وهي حال مقيدة فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن لم يسبهم لم يقل ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم لا غل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى في آخر الكتاب ثم انه بين ان هذا يقتضي كفرهم والكفار لا حق لهم في الفيء فلذا قال (وقال) مالك بن أنس (من غاظه) بظاء مشالة قبل وبالضاد المعجمة أيضا وهو لغة فيه لا ابدال واختلف في الغيظ والغضب هل هما بمعنى أو الغيظ أشد الغضب أو الكمين في النفس أو الغضب للقادر والغيظ للعاجز أي من اغتاظ واحتد اذا ذكر (أصحاب محمد) عنده (فهو كافر) لان من أبغضهم فقد أبغضه صلى الله تعالى عليه وسلم وبغضه كفر وهذا رواه الخطيب البغدادي عن عروة الزبيري قال كنا عند مالك بن أنس فذكر عنده رجل انتقص الصحابة فتلا قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى آخره وقال من أصبح في قلبه غيظ على أصحاب محمد فقد أصابته هذه الآية لانها صدرت بلام التعليل وهي اما علة لما قبلها من تشبيههم بالزرع في النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم بذلك ليغيظهم (قال تعالى ليغيظ بهم الكفار) فالمؤمن لا يكون عنده غيظ منهم أو علة لقوله بعده وعد الله الذين آمنوا منهم فانما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم والحاصل انه لا يغيظ باصحابه مؤمنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما أداه اليه اجتهاده (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا) من كل أمر يشينه وينقصه عند الله الصدق بان يتحرى في الصدق في جميع أقواله حتى يكون عند الله صديقا (وحب أصحاب محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى يقدمهم على نفسه وأهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقد روى من طريق آخر بمعناه وترتب النجاة على ما ذكر سر من أسرار الله يطلع عليه من شاء من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به (وقال أيوب السختياني) التابعي المشهور (من أحب أبا بكر فقد أقام الدين) لان الدين استقام به في صحبته لرسول الله في أول الاسلام وفي أول الهجرة وفي قيامه مقامه بعد وفاته وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم وفاض النفاق وانفرج الخلاف بين القول والعمل وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال هاضها فحمل اعباء الخلافة حتى قر الدين ووفاء من فاء ومن أحب أحدا كان معه وتخلق باخلاقه (ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل) أي بين طريق الحق لمن أراد سلوك الطريق المستقيم لانه بعده صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر الدين وأتم به على الاقطار وقضى لاهله الاوطار ففتح الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام أقصى

(ومن أحب عثمان فقد استغنى بنور الله) أى فى الاستضاءة عما سواه (ومن أحب عليا فقد أخذ) وفى نسخة فقد استمسك (بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم) أى كلهم (فقد برئ من النفاق) أى فهو مؤمن كامل صادق فى الوفاق (ومن انتقص) وفى نسخة ومن أبغض (أحدا منهم فهو مبتدع) أى صاحب بدعة (مخالف للسنة والسلف الصالح) أى من

الارض كما فى حديث الشيخين هنا بينا انا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت فيها ماشاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا أى دلوا كبيرا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر وفى رواية فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته فى الاسلام (ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله) الذى أظهره الله فيه ولذا لقب بذى النورين لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به حتى لقى الله وهو عنه راض وكان أشد الناس حياء (ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى) أى تمسك بها لكونه عالما بعلم الحقيقة وقائما بالذب عن حوزة الدين لا يلحقه فى الله لومة لائم وهو باب مدينة العلم فمن أحبه فهو متمسك بالعروة الوثقى أى بالحق والرأى القويم الذى هو عروة لا تنفصم وهو استعارة مصرحة من عروة الكلام وهو ماله أصل ثابت واطراف لا تنقص اذا سقطت الاوراق (ومن أحسن الثناء) بمدح ناشئ عن محبة خالصة فان الظاهر عنوان الباطن (على أصحاب محمد) تعميم بعد التخصيص (فقد برئ) أى سلم وخلص (من النفاق) المراد به معناه العرفى وهو مخالفة الظاهر للباطن مطلقا وأصله اخفاء الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان يراد هذا والمراد بالثناء ثناء من غير غلو كغلو الشيعة (ومن انتقص) أى ابغض (أحدا منهم) بذمه وذكر ما يشينه (فهو مبتدع) لمخالفته السنة واتيانه ما نهى الله تعالى منه ورسوله وفى نسخة أبغض ثم فسر المبتدع بقوله (مخالف للسنة) أى لهديه وطريقته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع اقواله وافعاله (والسلف الصالح) من الصحابة والتابعين (وأخاف) أى أظن أو أعلم (ان لا يصعد له عمل) من اعماله الصالحة أى لا يقبله الله تعالى منه ولا يثيبه عليه ورفع الاعمال يعبر به عما ذكر وليس الخوف بمعناه الحقيقى وهو ضد الامن لعدم مناسبته هنا قال الراغب الخوف توقع فى مكروه عن امارة مظنونة أو معلومة وفسر قوله تعالى ان خفتم شقاق بينهما بعرفتم انتهى (الى السماء) لعدم تمسكه بالكتاب والسنة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما) من بغضهم مقتديا بالسلف الصالح (وفى حديث خالد بن سعيد) بن العاص بن أمية بن عبد شمس الصحابى وهو ثالث أو رابع أو خامس من أسلم وسبق غيره ويقال أسلم قبل الصديق ويقال أسلم قبل على وليس فى الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يرو عنه حديث فى الكتب الستة ولا فى مسند أحمد ولا فى مسند بقى بن مخلد وهذا الحديث رواه الطبرانى وابن منده وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى نقله البرهان الحلبى وقال غيره انه خالد بن عمر بن سعيد فسعيد جده وذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب وذكر سبب اسلامه فى واقعة رآها. وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم تشتهر عنه الرواية فالحديث مرسل والا فمعضل والظاهر هو المقدم وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس الخ (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيها الناس انى راض عن أبى بكر فاعرفوا له ذلك) أى رضاى عنه فى صحبته له وانه لم يأل جهدا فى خدمته ولم يفارقه فى حياته ومماته ولم يرمنه الا مايسره وفى تقديمه وافراده بالذكر وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل على خلافته له وفضله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الا عند من ختم الله على سمعه وقلبه وسيأتى الكلام

أكابر الامة (وأخاف أن لا يصعد) بفتح أوله وبضمه أى لا يطلع (له عمل الى السماء) يعنى لا تقبل منه طاعة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه) أى لهم كما فى نسخة (سليما) أى من الغل والحقد (وفى حديث خالد بن سعيد) أى ابن العاص ابن أمية بن عبد شمس كنيته أبو سعيد وخالد هو ابن عمر بن سعيد فسعيد جده قالت بنته أم خالد واسمها أمية كان أبى خامسا فى الاسلام وقيل كان رابعا أو ثالثا قيل وأسلم قبل أبى بكر أو قبل على رضى الله تعالى عنه والله أعلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال) قال الحلبى وهو صحابى مشهور لكن لا استحضر له شيأ فى الكتب الستة ولا فى مسند أحمد ولا فى مسند بقى بن مخلد وان كان هذا من غيرهم فان كان تابعيا كان هذا الحديث مرسلا والا فمعضلا انتهى ووجدت بخط شيخ مشايخنا الحافظ السخاوى على هامش حاشية الحلبى ماصورته وجدت بخط الحافظ ايبك على بعض نسخ الشفاء ماصورته كذا فيه خالد بن ان
سعيد وانما هو خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشى والحديث ليس من روايته عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن الصحابة وانما رواه خالد عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك بن أخى كعب بن مالك عن أبيه عن جده سهل قال لما قدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس انى راض عن أبى بكر فاعرفوا له ذلك

ان من أنكر خلافة أبي بكر يبدع ولا يكفر ومن سب أحدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والا كفر (أيها الناس اني راض عن عمر وعن عثمان وعن علي وعن طلحة والزبير) بن العوام رضي الله عنهم (وسعد) بن أبي وقاص (وسعيد) بن زيد بن عمرو بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) الزهري (فاعرفوا لهم ذلك) أي كوني راض عنهم والمراد عرفتهم رعاية حقهم وتوقيرهم ومحبتهم والواو لا تدل على الترتيب وان كان أهل السنة على تقديم أبي بكر ثم عمر بالاتفاق واختلفوا في عثمان وعلي أيهما أفضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف في أيهما الافضل وان هذه المسئلة غير قطعية عندهم لكن الذي عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقادنا ما ذكر وبقية الصحابة لم ينصوا على شيء فيهم ولم يذكر عاشرهم وهو أبو عبيدة بن الجراح لدخوله في الصحابة وشهرته (أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر) كلهم جميع ما صدر منهم لحضورهم أول مشهد أعز الله به الاسلام والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بئرها كما تقدم (و) أهل (الحديبية) بتشديد الياء وتخفيفها وهي اسم مكان قريب من مكة من الحرم أو خارجه أو بعضه منه أقوال وفيه الشجرة التي كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة في السير وقد تقدم ذكرها (أيها الناس احفظوني) أي احفظوا حقي وتدري برعاية ما يجب منه كما تقدم تفصيله (في أصحابي) أي وحفظ حقي يتم ويتحقق بحفظ أصحابي ومحبتهم وتوقيرهم وان من أبغضهم يبغضني ولم يحفظني ثم خص بعد التعميم احتياطا وحثا بقوله (وأصهاري وأختاني) الاصهار جمع صهر بكسر فسكون قال الجوهري هم أهل المرأة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا والختن بفتحتين واحد الاختان كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته وكل شيء من قبل الزوج فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما هنا من بينه صلى الله عليه وسلم وبينه علاقة سببية بتزوجه أو التزوج منه (لا يطالبنكم) معاشر الناس أجمعين (أحد منهم) أي من المذكورين من أصحابي واتباعي أي لا يكون لاحد منهم عليكم حق يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم وهو معنى قوله (بمظلمة) بكسر اللام وفتحها وهي ما يؤخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشكي ممن أخذه والكسر فيها أكثر وأشهر (فانها مظلمة) أي حق للعبد أخذ منه ظلما (لا توهب في القيامة غدا) أي لا يهبها الله لانها حق العبد مالم يرض صاحبها لا تترك وقوله غدا اشارة الى قرب اليوم الذي يؤاخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء والقصر (ابن عمران) أبو مسعود الازدي الموصلي أحد الاعلام المحدثين كان يقال له ياقوتة العلماء توفي سنة خمس وثمانين ومائة وأخرج له البخاري وغيره والقائل له لا يعرف (ابن عمر بن عبد العزيز) الخليفة العابد الزاهد العادل (من معاوية) بن أبي سفيان رضي الله عنه أي أيهما أفضل وخصهما بالسؤال لانهما أمويان فاين تذهب أنت في الفرق بينهما (فغضب) على السائل لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز نظر الظاهر الحال (وقال لا يقاس) أي لا يستوى فضلا عن التفضيل (باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد) وفي نسخة على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقاس

أيها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان) وفي نسخة وعن عثمان وعن علي (وطلحة) وفي نسخة عن طلحة أي ابن عبيد الله (والزبير) أي ابن العوام (وسعد) أي ابن أبي وقاص (وسعيد) أي ابن أبي زيد بن عمر بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) أي الزهري (فاعرفوا ذلك لهم) ولم يذكر أبا عبيدة مع انه عاشرهم ولعله سقط من الراوي (أيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية) بالتخفيف وتشدد وهي قرية سميت ببئر هنالك عند مسجد الشجرة بينها وبين مكة مرحلة وقد جاء في الحديث وهي بئر قال أبو حنيفة ومالك وهي من الحرم وخالفهما الشافعي رحمه الله تعالى وقال ابن القصار والواحدي بعضها من الحل وفي صحيح البخاري والحديبية خارج الحرم أي باعتبار بعضها فلا ينافي ما تقدم والله تعالى أعلم (احفظوني) أي راعوني (في أصحابي وأصهاري) أي خصوصا وهم آباء زوجاته أبو بكر وعمر وأبو سفيان رضي الله عنهم (واختاني) أي أزواج بناته عثمان وعلي وأبو العاص ابن ربيعة (لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة) بكسر اللام من الظلم وهو الجور وبالفتح اسم ما يأخذه الظالم وقيل كل منهما يطلق على الآخر والكسر أكثر وعليه الاكثر (فانها) أي مظلمتهم (مظلمة لا توهب في القيامة غدا) والحديث رواه الطبراني في معجمه الكبير من رواية علي بن محمد بن يوسف بن مسمع ثنا سهل بن يوسف بن سهل بن أخي كعب عن أبيه عن جده فذكره (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء (ابن عمران) وهو أبو مسعود الازدي الموصلي أحد الاعلام روى عنه بشر الحافي وغيره وقال شيخه الثوري رحمه الله هو ياقوتة العلماء أخرج له البخاري وغيره (ابن عمر بن عبد العزيز) أي مقامه في العدل والفضل (من معاوية فغضب) أي من قوله لما لاح له من اضمار أفضلية ابن عبد العزيز على معاوية (وقال لا يقاس على أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أحد) أي لانهم خير من بعدهم لما سبق من حديث الديلمي والبزار ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين وحديث الشيخين خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

ثم عد بعض مناقبه التي تقتضي علو مراتبه حتى بالنسبة الى بعض أصحابه فقال (معاويه صاحبه وصهره) أي أخو أم حبيبة من أمهات المؤمنين (وكاتبه) أي لمكاتبيه وغيرها (وأمينه على وحي الله عز وجل) أي حيث كان يكتب الوحي على خلاف فيه ولعل السائل ساله عن عمله وزهده وعدله لكن المسؤل عدل عن جوابه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا ذكر أصحابي فامسكوا وللايماء الى ان كل ماوقع منه يكون مكفرا ببركة صحبته ونتيجة خدمته ولذا لما سئل بعض العلماء مثل هذا السؤال قال في الحال لغبار أنف فرس معاوية مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خير من ألف عمر بن عبد العزيز ويؤيده قوله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومعاوية وان أسلم عام الفتح لكن له سبق ظاهر على من أسلم بعده سواء كان من الصحابة أو التابعين والحاصل انه لا أحد من علماء هذه الامة ومشايخ هذه الملة يبلغ مرتبة الصحابة ومنقبة الخدمة فان رؤيته عليه الصلاة والسلام كانت أكسيرا تؤثر تاثيرا كثيرا لمن رآه وآمن به صغيرا أو كبيرا (وأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها (فلم يصل عليه وقال) أي جوابا بالسؤال عن الاشكال وهو امتناعه عن تلك الحال مع انها من جملة الكمال (كان يبغض عثمان) أي بغير وجه شرعي (فانا أبغضه) رواه الترمذي عن جابر وضعفه وفسره

(وقال عليه الصلاة والسلام) كما في الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه (في الانصار) أي في حقهم (اعفوا عن مسيئهم) أي عثراتهم (واقبلوا من محسنهم) أي كمالاتهم وللبخاري أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز

يتعدى بالباء وعلى وقد يعدى بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبي

بمن تضرب الامثال أم من أقيسه * اليك وأهل الدهر دونك والدهر

ثم أشار لفضل معاوية على غيره لقوله (معاوية صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وصهره) لانه أخو زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين (وكاتبه) لما ثبت انه من أحد كتابه صلى الله عليه وسلم (وأمينه على وحيه) لانه بعد ان استكتبه كان يكتب ما ينزل عليه من الوحي ولو لم يستأمنه ما استكتبه الوحي وكفاك بهذه منقبة لم يصل اليها عمر بن عبد العزيز واضرابه وابن المعافي رجل منصف ما صح عنه برد ما قيل ان معاوية لم يكتب له شيئا من الوحي وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف ولم يذكر فضل معاوية بقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عمر بن عبد العزيز يشاركه في ذلك وروى ان عمر سمع مثله فقال لغبار بغزوة غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر وآل عمر وفي الطاعن في معاوية ما قيل

ومن يكن يطعن في معاوية * فذاك كلب من كلاب الهاوية

(و) روى الترمذي عن جابر وضعفه انه صلى الله عليه وسلم (أتى) بالبناء للمفعول النبي عليه السلام (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه أو فوق لفوق وتحت لتحت وقد يعكس (فلم يصل عليه وقال كان) هذا الميت (يبغض عثمان فانا أبغضه) فلذا لم يصل عليه لان صلاته على الميت دعاء له وشفاعة له فحرم من ذلك والعياذ بالله تعالى وفي نسخة بدل ما ذكر (فابغضه الله) فهو خبر أو دعاء عليه وليس في الحديث نهي عن الصلاة حتى يقتضي كفره كما توهم لجواز ان لا يصلي هو ويصلي غيره كما في المديون والبغض لا يقتضي الكفر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (في الانصار) أي في حقهم والوصية بهم وقيل في شانهم وفضلهم (اعفوا عن مسيئهم) أي عمن وقع منه اساءة ما (واقبلوا من محسنهم) كل ما أحسنوه فحذف مفعوله تعميما وفي البخاري أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أي ما فرط منهم من زلة والانصار اسم حدث لهم في الاسلام وهم الاوس والخزرج والتجاوز عن مسيئهم في غير الحدود وحقوق الناس وهو ما ذكر بعض من حديث رواه الشيخان ففي البخاري عن أنس بن مالك ان أبا بكر والعباس رضي الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون مرضه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم منا وقد خلا عنه عليه السلام فدخلا عليه صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فخرج وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش تجمع الغذاء الذي به حياة الحيوان ونماؤه ويقال لفلان كرش منثورة أي عيال كثيرة والعيبة بفتح العين المهملة ما يحرز فيه امتاع يريد صلى الله عليه وسلم بذلك انهم موضع سره وامانته قال ابن دريد وهو من موجز الكلام الذي لم يسبق اليه وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة مستودع الثياب والاول أمر باطن والثاني ظاهر فضرب به مثلا لاختصاصهم بامور الباطنة والظاهرة وهو تشبيه بليغ أو استعارة وأراد عليه السلام بما عليهم نصرته وقضاء ما تابعوه عليه وما لهم الجزاء في الدنيا والآخرة وقد علمت ان معنى وتجاوزوا عن مسيئهم أي في غير الحدود وحقوق الآدميين وهذا أيضا محمل الخبر الصحيح أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ومن ثم ورد في رواية الا في الحدود

عن مسيئهم (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى أبو نعيم والديلمى عن عياض الانصارى وابن منيع عن أنس رضى الله تعالى عنه (احفظونى) بفتح الفاء أى احفظوا وصيتى (فى أصحابى) أى عموما (وأصهارى) أى خصوصا ولعله تغليب يشتمل الختنه أيضا قال النووى فى شرح مسلم عن أهل اللغة الاختان جمع ختن اقارب زوج الرجل والاحماء اقارب زوج المرأة والاصهار يعم الجميع (فانه) أى الشأن (من حفظنى فيهم) أى راعانى فى حقهم (حفظه الله تعالى فى الدنيا والآخرة) أى من الهوان والعقوبة (ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه) أى تبرأ منه وأعرض عنه (ومن تخلى الله عنه يوشك) بكسر الشين وتفتح أى يقرب ويسرع (ان يأخذه) أى يؤاخذه بما يستحقه من الوعيد ان أخذه أليم شديد (وعنه عليه الصلاة والسلام) فيما روى سعيد بن منصور عن عطاء بن أبى رباح مرسلا (من حفظنى فى أصحابى كنت له حافظا يوم القيامة) أى من سوء العقوبة (وقال) كما رواه الطبرانى بسند ضعيف (من حفظنى فى أصحابى ورد على الحوض) أى وسقيته منه مع أصحابى رعاية لحقوق صحبتهم وخدمتهم ومحبتهم (ومن لم يحفظنى فى أصحابى) أى من جهة حقوقهم (لم يرد على الحوض) أى من قريب (ولم يرنى الا من بعيد) وهذا أشد وعيد (قال مالك رحمه الله هذا النبى مؤدب الخلق الذى هدانا الله به) أى أرشدنا به الى أمر الدين وعلم اليقين (وجعله رحمة للعالمين يخرج فى جوف الليل الى البقيع) بالموحدة فى أوله أى مقبرة أهل المدينة (فيدعو لهم) أى بالرحمة (ويستغفر لهم) أى عما فرط لهم من الزلة (كالمودع لهم) كما فى حديث مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان يبالغ فى الدعاء والاستغفار لهم كالمودع عند الوداع لا يترك شيأ مما يهم المودع لا ذكره وأوصى به (ولذلك أمر الله وأمر النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (بحبهم) أى بمحبة الصحابة (وموالاتهم) أى موالاة من والاهم من أهل السنة والجماعة (ومعاداة من عاداهم) أى من الخوارج والروافض وسائر أهل البدعة

وفسره الشافعى بأنهم الذين لا يعرفون بالشر ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر وقيل من اذا أذنب تاب (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه أبو نعيم والديلمى عن عياض الانصارى وابن منيع عن أنس (احفظونى فى أصحابى وأصهارى) تقدم بيانه (فانه) أى الشأن (من حفظنى فيهم) برعاية حقوقهم واكرامهم (حفظه الله فى الدنيا والآخرة) حفظه فى الدنيا مما يسوءه وتوفيقه لترك المعاصى وفى الآخرة من العذاب والعقاب (ومن لم يحفظنى فيهم) بترك ما مر (تخلى الله عنه) أى أعرض عنه وتركه فى غيه استدراجا (ومن تخلى الله عنه يوشك) يسرع ويقرب (ان يأخذه) أخذ عزيز مقتدر بان يهلكه ويستأصله مستعار من الاخذ المعروف وقوله تخلى الله الخ اخبار عما يتبع به وكونه انشاء للدعاء عليه يأباه السياق فما قيل انه أقرب ليس بشئ وهذه الزيادة ذكرها المصنف رحمه الله تعالى وان تقدم (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه سعيد بن منصور عن عطاء مرسلا (من حفظنى فى أصحابى) برعاية حق فيهم (كنت له حافظا يوم القيامة) أى مانعا من هول الحشر وما يسوءه فيه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الطبرانى بسند ضعيف (من حفظنى فى أصحابى ورد على الحوض) أى وصل اليه وشرب منه حتى لا يظمأ بعده (ومن لم يحفظنى فى أصحابى) بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم (لم يرد على الحوض ولم يرنى الا من بعيد) فلا يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان من أبغض الصحابة مقته الله فاستحق الطرد عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وتفوت بركته وعنايته فى مثل ذلك اليوم الشديد الهول (قال مالك) امام دار الهجرة ونجم السنة رحمه الله (هذا النبى) صلى الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة القريب لانه لحضوره فى قلبه وذهنه قدر نفسه كأنه بين يديه يراه منه صلى الله عليه وسلم (مؤدب الخلق الذى هدانا الله به) لخيرى الدنيا والآخرة والضمير للناس كلهم (وجعله رحمة) عامة (للعالمين) وجميع المخلوقين (يخرج فى جوف الليل) أى فى شبهه بالجوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية (الى البقيع) اسم موضع بظاهر المدينة وأصله اسم كل مكان متسع فيه شجر ويقال له بقيع الغرقد بغين معجمة وهو اسم لنوع من شجر العضاه كان به ثم زال وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان يخرج اليه ليناجى ربه متخليا عن أهله (فيدعو لهم) أى يدعو لمن بتلك المقبرة منهم (ويستغفر لهم) أى يدعو لامواتهم وأحيائهم بالمغفرة (كالمودع لهم) كأنه يودع من تلك الجبانة لعلمه صلى الله عليه وسلم بقرب أجله ومفارقة زيارتهم (وبذلك أمره الله) أى أمره بان يدعو لامته أولا مواتهم ويستغفر لهم وفيه دليل على شدة محبته لهم فيجب علينا اتباعه فى ذلك (وأمر) بالبناء للمجهول (النبى) صلى الله عليه وسلم أى الله أمره (بحبهم) لله (وموالاتهم) أى معاونتهم ونصرتهم كما أمروا بذلك (ومعاداة من عاداهم) من الكفرة والمنافقين وهو اشارة لما رواه مسلم عن عائشة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج فى ليلتها آخر الليل الى البقيع ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وكان ذلك لما خرج خرجت عائشة وراءه متخفية منه فاحس صلى الله عليه وسلم بذلك وسألته عما صنع

(وروى عن كعب رضى الله تعالى عنه) أى كعب الاحبار كما ذكره الحلبى (ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة) أى لمن بينه وبينه زيادة المودة وقال الدلجى وحديث كعب بن سعد ليس مؤمن من آل محمد الا له شفاعة (وطلب) أى كعب (من المغيرة بن نوفل)

أى ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم (أن يشفع له يوم القيامة) له رواية وكان

فقال ان جبريل أتانى ونادانى ولم يدخل عليك ولم أوقظك خشية ان تستوحشى فقال ان ربك يأمرك أن تاتى أهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف أقول فقال تقول السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله عز وجل المتقدمين منا والمستاخرين وانا بكم ان شاء الله لاحقون وهو ما أشار اليه مالك رحمه الله وقيل انه اشارة الى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم فاذا أمر بذلك فنحن أحق به والظاهر ما قدمناه (وقال كعب) الاحبار رضى الله عنه التابعى المشهور وهذا رواه عنه ابن سعد بلفظ ليس مؤمن بدل قوله (ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة) فى غيره من المؤمنين (يوم القيامة) وهذا اما مروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرسل أو هو مما قرأه فى الكتب القديمة لانه كان عالما بها وفيه تكريم لهم وما يقتضى محبتهم رجاء شفاعتهم فيمن أحبهم (وطلب) أى كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه كان محبا لهم مترجيا لشفاعتهم رضى الله عنهم (من المغيرة بن نوفل) بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الصحابى ولد على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وكان من أنصار على رضى الله عنه وقيل انه لم يدرك من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ست سنين وكان قاضيا فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وعد من الصحابة وطلب كعب منه (ان يشفع له يوم القيامة) يدل عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحارث جده لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال التلمسانى نوفل والده هو ابن معاوية بن عروة الدولى من كنانة سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومات فى زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله الواقدى وقال البرهان الحلبى الحارث هو ابن عبد المطلب قال ابن عبد الغنى المقدسى انه لم يدرك الاسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبو سفيان وعبد الله ونوفل أسن اخوته واسن من أسلم من بنى هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم أبى سفيان والصحيح خلافه وانه غيره ولم يتعقب أبا الفتح اليعمرى حين ذكره وقال الذهبى فى التجريد أبو سفيان اسمه المغيرة قاله ابن المنذر ولم يتعقبه (وقال سهل بن عبد الله التسترى) تقدم ضبطه (لم يؤمن بالرسول) صلى الله عليه وسلم ايمانا كاملا (من لم يوقر أصحابه) بتعظيمهم ومحبتهم (ولم يعز) من أعزه اذا نصره وقواه وجعله عزيزا موقرا مبجلا معظما (أوامره) جمع أمر وقد تقدم الكلام عليه قبل وهذا يقتضى ان سب الصحابة وتنقيصهم كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشى وينبغى ان يقيد الخلاف بغير من فعل ذلك بهم لكونهم صحابة لا لامر آخر وهو مقتضى مذهبنا أيضا وفى منظوم ابن وهبان رحمه الله تعالى أخاف على من قال أبغض عالما من الكفر اذ لا مقتضى الكفر يظهر وسياتى تفصيله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى

(فصل ومن اعظامه واكباره صلى الله عليه وسلم) اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره واجلاله وفى القاموس أعظمه فخمه وكبره واستعظمه رآه عظيما أى من تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان على المؤمن (اعظام جميع أسبابه) قيل هو بالمعنى العرفى وهو كل ما ينسب اليه من فراشه ولباسه عما لا روح له أوله روح كعبده ودوابه وقال الراغب السبب الحبل الذى يصعد به النخل قال الله تعالى فليرتقوا فى الاسباب ويسمى كل ما يتوصل به سببا ويسمى العمامة والخمار والثوب الطويل سببا

من أنصار على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وله جماعة اخوة ووالده نوفل اسر يوم بدر ففداه عمه العباس رضى الله تعالى عنه وهو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأما جده الحارث بن عبد المطلب فهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى قال الحافظ عبد الغنى المقدسى لم يدرك الاسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبو سفيان وعبد الله وكان نوفل أسن اخوته وأسن من أسلم من بنى هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم وقد ذكره الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى استيعابه فيكون خامسا غير انه يقال ومنهم من يجعل المغيرة اسم أبى سفيان والصحيح الاول يعنى انه غيره انتهى ولم يتعقب هذا الحافظ أبو الفتح اليعمرى حين ذكره وأما الذهبى فقد ذكره فى كنى التجريد أبا سفيان فقال اسمه المغيرة قاله ابراهيم بن المنذر انتهى ولم يتعقبه

وقال فى المغيرة بن الحارث ابن عبد المطلب قال ابن عبد البر هذا أخو أبى سفيان فوهم بل هو أبو سفيان انتهى والله تعالى أعلم (قال سهل بن عبد الله التسترى لم يؤمن بالرسول) أى حق ايمانه (من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره) أى ولم يترك زواجره

*(فصل * ومن اعظامه)* أى تعظيم قدره فوق قدر غيره (واكباره) أى اعظام أمره زيادة على اعظام أمر غيره (اعظام جميع أسبابه) أى أسباب وصلته ومودته وفى حديث كل سبب ونسب ينقطع الا سببى ونسبى والمراد جميع ما ينسب اليه ويعرف به صلى الله عليه وسلم

(واكرام مشاهده) أى مواضعه التى حضرها أو نزل لها (وامكنته) أى مساجده (من مكة) ٤٣٣ كبيت خديجة رضى الله تعالى عنها

مهبط الوحى ودار الارقم ابن أبى الارقم وغار حراء وثور ومولده (و) من (المدينة) كمسجده وبيوته ومواطنه (ومعاهده) أى واكرام معاهده التى يتعاهدها كقبا اذ قد ورد انه كان يزورها كل سبت راكبا أو ماشيا (وملمسه) أى مسه (عليه الصلاة والسلام أو عرف به) بصيغة المجهول أى مما يمكن اكرامه الآن واعظامه فى هذا الزمان (وروى عن صفية بنت نجدة) بفتح نون وسكون جيم فدال مهملة (قالت كان لابى محذورة) وهو مؤذنه عليه الصلاة والسلام بمكة ولم يزل مقيما بها يؤذن حتى مات سنة تسع وخمسين قال الواقدى وتوارث الاذان بعده بمكة ولده وولد ولده الى اليوم فى المسجد الحرام وقيل كان مؤذنه بقبا أيضا وهو قرشى جمحى روى عنه ابن أبى مليكة وغيره أخرج له مسلم والاربعة وأحمد فى المسند (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة ما اقبل على الجبهة من شعر الرأس (فى مقدم رأسه) سمى بذلك لانه يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهرى شعر الناصية (اذا قعد وارسلها) أى لم يقعدها (اصابت الارض) أى وصلت اليها (من طولها فقيل له) أى لابى محذورة (الا تحلقها) أى الا تقصرها بحلق أو بقص

شبيها تشبيها بالحبل فى الطول انتهى (واكرام مشاهده) جمع مشهد وهو محل الشهود أى الحضور ومن المشاهدة وهى الادراك بالبصيرة والبصر ومشاهد الحج مواضع المناسك (وامكنته) جمع مكان عطف تفسير (من مكة والمدينة) بيان للامكنة فالمراد بهما كنه ومحل اقامته لا مطلق المكان (ومعاهده) أى المحال التى عهد الفه صلى الله عليه وسلم فيها كالاساطين التى كان يصلى عندها ومحل صلاته فى المساجد والاماكن المباركة ومنازله (وملمسه) بيده أو بغيره من اعضائه كالحجر الاسود والركن اليمانى والمس والمس المتقارب ان (أو عرف به) كالاماكن التى جاهد فيها والغار الذى دخله صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم ان ابن عمر كان يتحرى الصلاة والنزول والمر وحيث حل صلى الله تعالى عليه وسلم ونزل وما روى عن ابيه فيخالف ذلك فهو جرى على عادته فى سد الذرائع وكذا ما جاء عن عمر انه رأى الناس فى الرجوع من الحج ابتدروا مسجدا فقال ما هذا قالوا مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا اهلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا من عرضت له منكم الصلاة فليصل ومن لم تعرض له فليمض وكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا غير موفق لما مر عن مالك لا يقال يمكن حمل كلامه على اكرام ذلك بغير نحو الصلاة ليوافق ما مر عن امامه لانا نقول يمكن لكنه بعيد من ظاهر عبارته ويؤيد ظاهرها ان محققهم الشيخ خليل لما قال يسن زيارة البقيع ومسجد قباء قيد ذلك بمن كثرت اقامته بالمدينة قال والا فالمقام عنده صلى الله عليه وسلم احسن ليغتنم ثم نقل عن العارف ابن أبى جمرة انه من حين دخل المسجد ما جلس الا للصلاة حتى رحل الركب ولم يخرج لبقيع ولا لغيره ولما خطر له ذلك قال هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين والمتضرعين وليس ثم من يقصد مثله (وروى عن صفية بنت نجدة) فى الحواشى التلمسانية ان هذه المرأة زوجة أبى محذورة الآتى ذكره وقد روى عنها أيوب بن ثابت وروت هى عن زوجها أبى محذورة واختلف فى ضبط اسم أبيها نجدة فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء وقيل نجداد بدال مهملة تليها ألف وهاء وقيل نجراة براء مهملة بدل الدال المهملة وقيل الصواب بحرة بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء (قالت كان لابى محذورة) بحاء مهملة وذال معجمة بعدها راء مهملة وهاء بزنة اسم مفعول وهو محذورة بن معير بميم مكسورة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة وراء مهملة وقيل معين بنون بدل الراء ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة القرشى مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفى عقبه واختلف فى اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل أوس وقيل سلمان وقيل سلمة وهو جمحى صحابى توفى سنة تسع وخمسين أو سبعين وأخرج له مسلم وأحمد وأصحاب السنن (قصة بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهى خصلة من شعر الرأس (فى مقدم رأسه) مما يلى وجهه من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهرى هو شعر الناصية وسبب توفيرها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسحها بيده وابقاها تبركا بمسه وهو محل الشاهد وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة واذن له بها وهو مع فتية من قريش سمعوا الاذان فاستهزؤا به وجعل أبو محذورة يحاكى الاذان استهزاء فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبى يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله فاسلم وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وأمره ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ستة عشر سنة فكان مؤذنهم حتى مات (اذ قعد وارسلها) أى حل عقصها وسدل شعرها (أصابت الارض) أى أو صلت اليها لطولها (فقيل له) أى قال الناس لابى محذورة (الا تحلقها) بكسر اللام مضارع حلق الشعر بفتحها والا للعرض أو الاستفتاح

فقال لم اكن بالذى احلقها) آثر التكلم رعاية للمعنى على الغيبة باعتبار المبنى مع انها هى القياس بدلالة اعادة الضمير الى الذى ولفظه لفظ الغائب ايثار التغليب التكلم عليه الان الذى وان كان بلفظه هو الغائب الا انه فى المعنى عبارة عن المتكلم (وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده

و روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) ماض مجهول من الرؤية ابصر حال كونه (واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) و يمسح بها تبركا بموضع لمسه (وكانت فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتحتين فسكون فضم أى فى قبعته أو كوفيته (شعرات) بفتحتين (من شعره) بفتح العين و يسكن و يروى من شعراته (عليه الصلاة والسلام فسقطت قلنسوته فى بعض حروبه فشد عليها شدة) بفتح الشين أى ربطة طالت فيها المدة (انكر) وفى نسخة حتى انكر (عليه أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بعضهم (لكثرة من قتل فيها) أى فى مدة تلك الشدة وهى يحتمل ان يكون مفعولا به لانكر أو مفعولا له (فقال) أى خالد معتذرا (لم افعلها بسبب القلنسوة) أى ذاتها كما توهمتم لانكم شبهتم ما عرفتم (بل) أى فعلته (لما تضمنته من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم

مقدما

لئلا اسلب) بصيغة المجهول أى لئلا انزع (بركتها) بالنصب على انه مفعول ثان (وتقع) ولئلا تقع (فى ايدى المشركين) أى الانجاس الذين لم يعرفوا قدرها (ولهذا) أى ولتعظيم مشاهده وآثار معاهده (كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول) أى فى وجهه أو فى جواب سائله

(فقال لم اكن بالذى احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده) الشريفة فابقاها تبركا بملامسه بيده و بهذا زالت الكراهة وان قيل بها فى غيره (و) فى حديث رواه أبو يعلى قال (كانت فى قلنسوة خالد بن الوليد) بن المغيرة الصحابى المخزومى المشهور والقلنسوة ما يوضع على الرأس تحت العمامة وتسمى شاشيه وقبعا و يقال قلنسية وهو بفتح القاف وضمها وضم السين وكسرها ففيه لغات (شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم جعلها فى داخله تبركا بها (فسقطت قلنسوته) عن رأسه (فى بعض حروبه) قيل هو فى غزوة اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (فشد عليها شدة) أى كرة قوية أى رجع لاخذها وهو يعدو عدوا شديدا سريعا يقال شد اذا جرى جريا قويا أى كارا عليها لياخذها خوفا من ضياعها (انكر عليه أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) رجوعه لاجل عمامته لظنهم انه حرص عليها لذاتها (كثرة من قتل فيها) أى فى شدته هذه ممن رجع معه لجانب العدو بسببه و كثرة منصوب مفعول انكر او هو مفعول لاجله (فقال لم افعلها) أى هذه الشدة والكرة (بسبب) أخذ هذه (القلنسوة) كما ظننتم (بل) فعلتها (لما تضمنته) أى لما فى ضمنها وداخلها (من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتح العين وسكونها (لئلا تسلب) بالبناء للمجهول ونائب فاعله (بركتها) وتسلب بمعنى تذهب بركتها منى وذلك أمر عظيم يخاطر بالارواح لاجله وفى نسخة اسلب و يحتمل انه من السلب بفتحتين أى ياخذها العدو ويدل عليه قوله (وتقع فى ايدى المشركين) الذين لا يليق ان تكون عندهم آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ورئى) مبنى للمجهول بهمزة قبل الياء آخره (ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) أى مسحه بها تبركا بمس ما مس جسده وثيابه وهذا رواه ابن سعد و ياتى الكلام على ذلك عند اعادة المصنف رحمه الله تعالى وهذا يدل على جواز التبرك بالانبياء والصالحين وآثارهم وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة أو فساد عقيدة وعلى هذا يحمل ما روى عن عمر رضى الله عنه من انه قطع الشجرة التى وقعت تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم بالجاهلية فلا منافاة بينهما ولا عبرة بمن أنكر مثله من جهلة عصرنا (وفى معناه انشدوا) أى تمثلوا

أمر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

قيل الشغف باطن القلب وقيل شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه وقيل هو وسط القلب والمعنى فى هذه الاقوال متقارب أى ما وصل حب الديار الى شغاف قلبى فغلب عليه قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك داخل * دخول الشغاف تبتغيه الاصابع

وروى الشعف بالعين المهملة ومعناه الاحراق وعلى الاول العمل قال الجوهرى وشغفه الحب احرق قلبه وقال أبو زيد امرضه وقد شغف بكذا فهو مشغوف وروى عن الشعبى انه قال الشغف بالغين المعجمة حب وبالمهملة جنون وقيل الاول حجاب القلب والثانى سويداء القلب و يقال ان الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التى لا ترى وهى الجلدة البيضاء وهذا المنشد وقع

(استحيي من الله ان اطا) أي من ان أدوس (تربة) أي جملة تراب (فيها) أي دفن في اجزاء تلك التربة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابة) متعلق باطا اذ لو أمكن للانسان ان لا يطأها برجليه وكان يقدر على ان يمشي فيها بعينيه لكان لائقا التعظيم ماالديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى عنه) أي عن مالك رحمه الله تعالى (انه وهب للشافعي كراعا) بضم أوله أي خيلا (كثيرا كان عنده فقال له الشافعي رحمه الله تعالى امسك منها دابة) أي واحدة تركبها عند الحاجة (فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي) بضم ففتح وهو الامام الجليل (عن أحمد بن فضلويه بضم اللام وهو نظير نفطويه وعمرويه ونظائرهما في التلفظ بالوجهين على ما تقدم الزاهد وكان) أي أحمد (من الغزاة الرماة) بضم أولهما جمع الغازي والرامي يعني ممن يحسنهما والجملة معترضة (انه قال ما مسست) بكسر الاولى وتفتح أي ما لمست (القوس) أي قوسي أو قوس غيري (بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ القوس) أي تناول قوسه أو قوس غيره (بيده وقد أفتى مالك رحمه الله تعالى فيمن قال تربة) ويروى ان تربة (المدينة رديئة) بالهمز وقد تشدد وهي فعيلة من الرداءة أي خبيثة غير طيبة (يضرب) بصيغة المجهول وفي نسخة تضرب بالباء السببية والصيغة المصدرية المضافة الى (ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير ونصبها على التمييز (وأمر بحبسه) أي تغليظا لامره (وكان له) أي والحال انه كان لهذا المعذر (قدر) أي جاه وعظمة أم عنده ومنزلة عند غيره (وقال) أي مالك رحمه الله تعالى زيادة على ما هنالك (ما أحوجه) ما تعجبية

مقدما في بعض النسخ (ولهذا) أي للتبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم (كان) الامام (مالك لا يركب بالمدينة دابة) فرسا ونحوها مما يركب رجاء لان يمس جسده ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما ذكره بقوله (وكان يقول) اذا سئل عن ذلك (استحيي من الله تعالى) أي أخشى وأهاب (ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة) أي أرضا ذات تراب ونسب الوطء له مع انه للدابة لانه منسوب له والحافر للفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم للانسان ثم بين ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وروى عنه) أي عن الامام مالك (انه وهب) للامام (الشافعي) لما كان عنده بالمدينة وضمن وهب معنى أهدى فعداه باللام وهو متعد لاثنين بنفسه (كراعا) بوزن غراب وهو جمع من الخيل وله معان أخر فيطلق على الخيل والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع (كثيرا كان عنده) أي في ملكه وحيازته وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعي (فقال له الشافعي) لما وهبه جميع دوابه (امسك منها دابة) أي ابقها عندك لتركبها (فاجابه بمثل هذا الجواب) الذي أجاب به من تقدم بانه يستحيي من الركوب بالمدينة (وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي) بضم السين وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام القشيري صاحب الرسالة (عن أحمد بن فضلويه) بفتح الفاء وسكون الضاد المعجمة وفتح اللام والواو وسكون الياء ويجوز ضم اللام وهو طريقة المحدثين يقولونه كراهة من لفظة ويه فانه كلمة تدل على مكروه كالويل وقال المعري انه كلمة تصغير عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله (الزاهد وكان من الرماة الغزاة) كان مكثر المجاهدة في سبيل الله مجيد الرمي بالسهام ملازما لمجاهدته بها (انه قال ما مسست القوس بيدي) ولمسته بها حال الرمي وغيره (الا على طهارة) أي متوضئا (منذ بلغني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ القوس بيده) أي أمسكها وهو كناية عن الرمي بها وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم حث على الرمي وأمر به فهو سنة ففي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الا ان القوة الرمي وكررها ثلاثا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه والرامي به ومنبله أي من يناوله النبل ليرمي به وصح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رمى بالسهام في غزوة أحد وكان له قسي ست مذكورة في السير ثم انه قيل ان تخصيصه الطهارة بمس القوس دون السيف وغيره مما يمسه وتعظيمه أزيد من غيره من آلات الحرب لما فيه من دفعه عنه دون مشقة كما في غيره ولذا كانت العرب تسميها أي السهام رسل المنايا وما قيل انه يحتمل انه كان يفعل ذلك في كل نوع من الآلات لا يساعده لفظه (وقد أفتى مالك فيمن قال ان تربة المدينة) أي أرضها (رديئة) لمن يحل فيها غير طيبة ذات وباء متعفنة الهوى وردية مهموز وغير مهموز مأخوذة من الردى (بضرب ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهي آلة من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفي الكلام مقدر أي وقال انه يضرب أو يضرب بدل من أفتى (وأمر بحبسه) تعزيرا له (وكان) الذي حبسه (له قدر) عظيم وشرف بين الناس وذكر هذا لان التعزير يختلف حاله بحال من عذر ففيه اشارة الى انه أذنب ذنبا عظيما اذ لو كان أمراً سهلا لصدر من شريف لعذره باللسان والزجر والى هذا أشار بقوله (وقال) الامام مالك (ما أحوجه) تعجب من استحقاقه العقاب أشد مما فعله وفيه تجوز لانه

(الى ضرب عنقه) أى فى جريمة ذلك (تربة دفن بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) أى مع انه عليه الصلاة والسلام سمى المدينة طابة وطيبة (وفى الصحيح) أى عند الشيخين عن على وأنس رضى الله تعالى عنهما (انه قال عليه الصلاة والسلام فى المدينة) أى فى شانها (من أحدث فيها حدثا) أى أمرا مبتدعا منكرا لا يعرف فى السنة وقيل هو عام فى الآثام (أو آوى) بالمد ويقصر أى ضم اليه أو اليها (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل أى جانيا بان اجاره ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه أو بفتحها فيكون نفس الامر المبتدع وايواؤه الرضا به والصبر عليه وافشاؤه فمن رضى ببدعة وأقر عليها محدثها ولم ينكرها مع القدرة على انكارها فقد آواها وقواها (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا) أى نافلة (ولا عدلا) أى فريضة (وحكى ان جهجاها) بفتح أوله وفى نسخة جهجاه بلا تنوين (الغفارى) بكسر أوله قال الحلبى وهذا هو ابن مسعود وقال أبو عمر هو ابن سعد بن حرام وقال الطبرى المحدثون يزيدون فيه الهاء والصواب جهجا بدون هاء انتهى قال الذهبى جهجاء بن قيس وقيل ابن سعد الغفارى مدنى روى عنه عطاء وسليمان ابنا يسار وشهد بيعة الرضوان وكان فى غزوة المريسيع أجير العمر الى ان ذكر عن ابن عبد البر انه هو الذى تناول العصا من يد عثمان رضى الله تعالى عنه فذكر القصة ثم قال وتوفى بعد عثمان بسنة وسياتى قريبا انه مات قبل الحول أى من كسر العصا وقد تقدم الكلام على حديث كسر العصا فيما مضى (أخذ قضيب النبى) أى عصاه (صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله ليكسره على ركبته) أى معتمدا عليها (فصاح به الناس) أى لمنعه عنه (فاخذته الآكلة) بمد وكسر كاف مرض معروف (فى ركبته فقطعها) أى فقطع ركبته خوفا من سرايتها الى بقيته (ومات قبل الحول) أى الحول الذى وقع كسره فيه

جعل استحقاقه يقتضى ما صدر عنه كانه له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل ما لا يحتاج اليه ففيه تهكم به يومئ الى عدم شعوره بمصالحه (الى ضرب عنقه) أى الى القتل (تربة) وأرض (دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) أى رديئة متغيرة الهواء ذات وباء وهى وان كانت ذات حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنقل حماها وعفونة هواها الى الجحفة فصارت معتدلة طيبة كما هو مشاهد فيها وعبر بيزعم للاشارة الى انه قول باطل وان كان الزعم يجئ بمعنى القول ولذا قالوا زعم مطية الكذب وهذا مبالغة عن زجره تفاديا عن تنقيص ما هو من أفضل الاماكن عند الله وان أمكن حمله على محل آخر من ان بعض أماكنها سباخ ولكونها كانت ذات وباء لما قدم الصحابة لها وأخذتهم الحمى قال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار ترابها شفاء من الجذام كما ورد فى الآثار قال الابوصيرى

لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم

(وفى الصحيح) أى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن أنس (أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فى المدينة) أى فى حقها وشانها (من أحدث فيها حدثا) أى من فعل فيها أمرا قبيحا ابتدعه فيها كالمظالم وأصل الحدث كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من البدع المنكرة شرعا كما فى النهاية ومن موصولة أو شرطية (أو آوى) بالمد ويجوز قصره (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل من أحدث أى أدخله وضمه لاهلها يقال آوى اليه كذا اذا نضم اليه أى أدخلها جانيا فاجاره ونصره على خصمه وفتح داله كما قيل على انه بمعنى الامر المبتدع وايواؤه الرضى به تكلف لا حاجة اليه (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ فى الزجر أو مأول كما قدمناه وفيه من تعظيم المدينة لكونها مكانه ما لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه وسياتى (وحكى) بالبناء للمفعول والذى حكاه ابن عبد البر رحمه الله كما تقدم (ان جهجاه الغفارى) بن سعد بن حرام قال الطبرى كذا رواه المحدثون والصواب جهجا بلا هاء وقال الذهبى هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعد وهو مدنى صحابى شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات وتوفى بعد عثمان بسنة وقد تقدم وسياتى انه مات قبل الحول (أخذ قضيب النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله) منه (ليكسره على ركبته) كما هو معتاد فى كسر ما يحتاج كسره لقوة والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها صلى الله تعالى عليه وسلم فى يده وكذا فعله الصحابة بعده رضى الله تعالى عنهم (فصاح به الناس) تحذيرا له وزجرا له عما أراده (فاخذته الآكلة) أى اصابته وبدت به (فى ركبته) لوضعه القضيب ليكسره عليها (فقطعها) لان العضو المتآكل ان لم يقطع سرت أكلته للبدن وأهلكته (ومات قبل الحول) الذى بعده أو قبل تمام الحول الذى فعله فيه وروى انه مات عقبه كما تقدم قال فى القاموس الآكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وورد

(وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (من حلف على منبري) أي فوقه أو عنده أو حوله (كاذبا) أي يمينا فاجرة (فليتبوأ مقعده من النار) تهديد شديد ووعيد أكيد (وحدثت) بضم الحاء وتشديد الدال أي حكي لي (ان أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة) أي السكينة (زائرا) أي مريدا للزيارة (وقرب من بيوتها) بضم الباء وكسرها (ترجل) بتشديد الجيم أي نزل عن دابته (ومشى باكيا منشدا) حالان متداخلان والانشاد قراءة شعر نفسه أو غيره والبيتان لابي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي وسيأتي ترجمة المتنبي ان شاء الله سبحانه وتعالى (ولما رأينا رسم من لم يدع لنا) رسم الدار أثرها (فؤادا) أي قلبا (لعرفان الرسوم ولا لبا) أي عقلا (نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة) الكور بالضم رحل الناقة باكافة كالسرج بآلته للفرس وكرامة نصب على العلة (لمن بان) أي ظهر رسمه (عنه) بالاشباع (ان نلم) من الالمام أي ننزل (به ركبا) من اسماء الجمع كرهط أو جمع راكب كصحب وصاحب فهو تمييز أو حال من ضمير نلم أي راكبين

كسرها أيضا قال بعض الفقهاء٢ وما اشتهر من مدهمزته خطا وفيه نظر فقد روى الثعالبي في ثمار القلوب شعرا فيه ذكر الآكلة ولم ينكره وهو ما قيل في هجاء الاصمعي

ومن أنت هل أنت الامرء ٭ اذا صح نسلك من باهله

وللباهلي على خبزه ٭ كتاب لآكله الآكله

والآكلة كالاكال مرض يفسد الاعضاء كالجذام معروف وليس في كلام القاضي هنا وفيما تقدم ما يقتضي انه كسر القضيب وروى الطبري في الرياض النضرة انه كسرها وروايته انها عصا ليست مخالفة لما ذكر لان القضيب يسمى عصا وكان هذا في الفتنة لما حصب الناس عثمان وهو على المنبر فلما نزل أخذ الجهجاه منه العصا التي كانت بيده وكان ممن قدم عليه في قصته المشهورة وقد تقدم الكلام عليها في فضل الكرامات وانقلاب الاعيان له (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة (من حلف على منبري) المراد بكونه على المنبر انه عنده ويجوز ابقاؤه على ظاهره بان يصعد عليه ويحلف وقد نص عليه الشافعية وانه يجوز أن يؤمر بصعوده ولكن الاصح الاول وهذا بناء على اليمين تغلظ بالمكان والزمان فيذهب بالحالف للمسجد وكان في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم يحلف عند المنبر لان ما بينه وبين القبر الشريف أفضل بقعة بالمدينة بعد مرقده الشريف وما ضمه جسده العظيم المنيف (كاذبا فليتبوأ مقعده من النار) يتبوأ يعني يتخذه مباءة أي مقرا ومسكنا يقال بوأه اذا أسكنه وهو دعاء أو أمر أريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله فأمر بان يجعله مقرا له على طريق التمثيل وهو من بليغ الكلام وبديعه الذي يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة (وحدثت) بالبناء للمجهول (ان أبا الفضل الجوهري) ليس هو عبد الله بن الحسن المصري الواعظ بجامع مصر في حدود السبعين وأربعمائة وكان من العلماء الصالحين يتبرك به ويقتدى به في السلوك وانما هو كما في تاريخ الاندلس عبد الله بن الحكيم الرندي الاندلسي ذو الوزارتين له فضل وحسب وفضل باهر وأدب عالم بالقرا آت والحديث والعربية وله شعر رائق ونثر فائق وارتحل للمشرق فاخذ بها عن ابن عساكر وأكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره صار بها كالمثل السائر الى ان ردت منه الايام ما وهبت فانقضت أيامه وذهبت فقتل لما خلع سلطانه فنهبت أمواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله تعالى (لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل) أي نزل عن دابته التي كان راكبها تأدبا (ومشى باكيا) خضوعا وخشية وعليه شوق أو مسرة فان من المسرة قد يحصل البكاء (منشدا) انشاد الشعر قراءته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة المتنبي أولها

فديناك من ربع وان زدتنا كربا ٭ لانك كنت الشرق للشمس والغربا

(ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ٭ فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا)

ومنها (نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ٭ لمن بان عنه أن نلم به ركبا)

وغيره قليلا لانه في ديوانه وكيف عرفنا رسم الى آخره والقصيدة في مدح سيف الدولة ولقد أجاد في تمثله به ونقله لمحل لائق به وقد ضمنه المصنف رحمه الله تعالى أيضا في قصيدة نبوية له فقال بعده

وتهنا باكناف الخيام تواجدا ٭ نقبلها طورا ونرشفها حبا

ونبدي سرورا والفؤاد بحبها ٭ تقطع والاكباد أورى بها لهبا

أقدم رجلا بعد رجل مهابة ٭ واسحب خدي في مواطنها سحبا

واسكب دمعي في مناهل حبها ٭ وارسل حبا في أماكنها النجبا

وأدعوا دعاء البائس الواله الذي ٭ براه الهوى حتى بدا شخصه شبحا

٢ كذا في عامة النسخ لكن الظاهر أهل اللغة اه

(وحكى) يروى وروى (عن بعض المريدين) أي للزيارة (انه لما أشرف على مدينة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

أنشا) ويروى انشد جعل (يقول متمثلا) أي شاهدا أو واقفا فان حقيقة المثول هو الانتصاب على القدمين وقد يراد به القيام في الأمر والنهوض فيه بالهمة ولعله المراد هنا (رفع الحجاب لنا) بصيغة المجهول أي كشف الذي كان بيننا وبين من قصدنا جناب حضرته وباب عزته (فلاح لناظر) أي لمع ولاح (قمر تقطع) بصيغة المضارع مجهولا أو بحذف احدى التائين أو بصيغة الماضي معلوما أي تضمحل (دونه) أي عنده (الأوهام) وتنقطع لديه الافهام بسطوع نوره بكمال ظهوره (واذا المطى بنا بلغن محمدا) جمع مطية وهي التي يركب مطاها أي ظهرها أو يقال يمطى بها في السير أي يمد ومنه قوله تعالى يتمطى (فظهورهن على الرحال) بالمهملة جمع رحل البعير وفي نسخة بالجيم (حرام) مكافاة لهن على ايصالهن كما قال (قربننا من خير من وطئ الثرى) أي التراب أو الارض (فلها علينا حرمة وذمام) بكسر أوله أي عهد وأمان والابيات لابي نواس الحكمي يمدح بها الامين أي أمين الدولة كذا بخط السخاوي وقد ذكر السهيلي في روضه في غزوة مؤتة كقول أبي نواس وقال

والرسم آثار الديار الدارسة والمراد آثاره صلى الله عليه وسلم في معاهده ومساكنه والفؤاد القلب أو داخله والعرفان والمعرفة بمعنى واللب العقل الخالص من الشوائب سمي به لانه خالص ما في الانسان في قواه كاللباب من الشئ وأما تفسيره بمطلق العقل أخذا من القاموس ففيه نظر والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد أي لا يليق به الركوب لمن قرب من مقامه تادبا ولم نأتيه لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب ومن فسر بان بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وقديم وقد شرح البيت هنا بعضهم بما استحي من ايراده (وحكى عن بعض المريدين) والمريد صاحب الارادة لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من هو طالب الحق على يد المرشد الكامل بجعل ارادة ما عدا الحق عبثا (انه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قرب منها بحيث يراها وأصل الاشراف النظر من مكان عال أريد به لازمه (انشأ) أي شرع والانشاء يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد ابتداء (يقول متمثلا) التمثل انشاد شعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابي نواس أبن هانئ في مدح محمد الامين الخليفة ابن هارون الرشيد العباسي من قصيدة قصد المتمثل به لمدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لموافقة اسمه اسمه وهذا نوع من البلاغة قريب من التضمين وهو أن يورد شعر الغيره في مقام يكون أحق به من صاحبه ولم يتعرض له أصحاب البديع الان الامام محمد التوزري أورده في كتابه الغرة اللائحة وأورد منه ماذكر المصنف رحمه الله تعالى هنا بقوله

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر * قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

وأول هذه القصيدة المذكورة

يادار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تسام

والمراد برفع الحجاب في كلام أبي نواس ستائر أبواب الملوك والعظام وهو هنا بمعنى انقضاء المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح فيها وتقطع ماض أو مضارع حذف احدى تائيه تخفيفا والاوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها باليقين وناظر اسم فاعل من نظر أو ناظر العين وانسانها والمطى جمع مطية ناقة تمتطى أي تركب ولاح بمعنى بدا أو ظهر ودونه بمعنى قريبا منه ويجوز في تقطع بناؤه للمجهول أيضا وقوله فظهورهن الى آخره جمع ظهر وهو معروف والرحال بحاء المهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج للخيل أو بجيم جمع رجل ذكر من بني آدم والمعنى تتقارب أي اذا أوصلتهم لمقاصدهم كان لها حرمة تقتضي رعايتها وراحتها فلا يركبها بعد ذلك رجل ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة منعمة في مرعاها ومعناها ظاهر ثم بين علة هذه الرعاية بقوله قربننا وهي جملة مستانفة استئنافا بيانا والحرمة الحق الذي يلزمه احترامه والذمام مفرد بمعنى ما يلزم احترامه أو جمع ذمة وهي العهد وما يجب الوفاء به والمعنى ظاهر لا حاجة للتطويل بشرحه ومن وطئ الثرى وهو التراب كناية عن الناس كلهم وما قاله أبو نواس من تحريم ركوبها كناية بديعة لانه يشير الى ان من وصل له لا يرحل بعدها لعدم حاجته لسواه ولانه لا يقدر على مفارقة من هو غاية ما يتمناه وقد كان ذلك وكما قال عبد الله بن رواحة في قصيدة له

اذا أديتني وحملت رحلي * مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلي ورائي

وفيه رد على الشماخ في قوله
اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقال المبرد بعدما أنشد قول ابن رواحة المذكور لقد أحسن كل الاحسان حيث قال لا أحتاج الى ان أرحل لغيره وقد عاب الرواة قول الشماخ المذكور ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم للانصارية التى أتته على ناقته لما وقالت انى نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها بئس ما جزيتها وقال فى الموازنة ان الشماخ رأى ناقته شقها السير وهزلت ودبرت كما قال

اليك بعثت راحلتى لتشكى * كلوما بعد مخفدها السمين

فقال اذا بلغتنى عرابة فلا أبالى ان تهلكى وليس دعاء عليها وانما أراد انه بلغ المنى وليس هذا مضاد القول أبى نواس وانما يضاده قول الانصارية وللشعراء والادباء هنا كلام كثير لا يسعه هذا المقام وقلت أنا فى معناه

اذا بلغتنا النوق حين تلفتت * قريرة عين فى أعز المسارح

وحق لها تحذى الخدود وتفتدى * بانفسنا من قادحات الطوائح

فياليتها تمشى لاكرام مثلها * جميع نياق الارض ناقة صالح

(وحكى عن بعض المشايخ) يعنى به كبار الصالحين والعلماء (انه حج ماشيا) تواضعا وقصد الزيادة فى الثواب وقد قال الفقهاء انه أفضل لمن قدر عليه من داره فان لم يقدر فمن الميقات فان لم يقدر فمن دون الميقات فان لم يقدر فعند الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام حجا ماشيين وحج الحسين رضى الله عنه ماشيا ونجائبه تقاد معه (فقيل له فى ذلك) أى سئل لم فعله (فقال العبد الآبق) أى الفار من سيده اذا رجع اليه (لايأتى الى بيت مولاه) أى سيده (راكبا) وفى نسخة يأتى بدون لا وتقديرها أيأتى بتقدير الاستفهام الانكارى وأراد بالآبق المذنب المقصر فى خدمة مولاه مجازا أى أنا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل (لوقدرت ان أمشى على رأسى ما مشيت على قدمى) مثنى قدم مضاف لياء المتكلم والمشى على الرأس عبارة عن غاية الجد والاجتهاد والتذلل كما قيل

* سعيا على الرأس لا مشيا على القدم * (قال القاضى) يعنى المصنف عياض رحمه الله تعالى فى بيان ايضاح انه ينبغى للزائر المشى واظهار الخضوع والذلة (وجدير) أى خليق وحقيق وهو خبر مقدم (لمواطن) أى أماكن ومساكن جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة وأراد بها مكة والمدينة (عمرت) أى صارت معمورة (بالوحى والتنزيل) من عطف الخاص على العام والباء للسببية أوهى للتعدية بجعل الوحى بمنزلة ساكن عمرها (وتردد بها) التردد بمعنى المجىء والذهاب من قولهم فلان يتردد الينا وليس من التردد بمعنى الشك (جبريل وميكائيل) اما تردد جبريل عليه الصلاة والسلام فظاهر واما ميكائيل عليه الصلاة والسلام فكان ينزل عليه أحيانا (وعرجت) أى صعدت من عنده (منها) أى من المواطن (الملائكة والروح) هو جبريل عليه السلام عطف عليهم عطف الخاص على العام وقيل ملائكة كالحفظة على الملائكة لانراهم الملائكة كما لانراهم واما ان المراد به أرواح الناس فمما لايليق ذكره هنا (وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح) هما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد الله تعالى وذكره كقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والضجيج والضجاج الصياح ورفع الاصوات المختلفة وأصله صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة وهى الارض والساحة المتسعة من غير بناء والمراد هنا الارض مطلقا واسناد الضجيج للعرصات تجوز المبالغة فى كثرة الذكر والدعاء والتلاوة (واشتملت تربتها) أى تضمنت وحوت أرضها (على جسد سيد البشر) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف المخلوقات فالمكان الذى حواه أفضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعى اليه ماشيا بالذلة والادب ثم ذكر بعد فضيلتها الذاتية ما نشأ عنها وعرض منها فقال (وانتشر) أى شاع وتفرق واشتهر

(وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك) حذرا عليه من النصب هذا لك (فقال) أى فى الجواب (العبد الآبق) أى الهارب الشارد من سيده (يأتى) أى أيأتى (الى بيت مولاه راكبا) وفى نسخة الى باب مولاه وفى أخرى لايأتى (لوقدرت ان أمشى على رأسى) بل على عينى (ما مشيت على قدمى) وهذا علامة الحب الصادق والادب الفائق وفى نسخة بتشديد الياء مثنى (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وجدير) خبر مقدم أى حقيق ولائق وخليق (لمواطن) أى بمكة والمدينة (عمرت) بصيغة المجهول مخففا ومشددا (بالوحى) أى بوحى النبوة (والتنزيل) أى وتنزيل القرآن (وتردد فيها) وفى نسخة بها أى فى الاتيان اليها (جبرائيل) أى دائما (وميكائيل عليهما السلام) أى أحيانا (وعرجت) أى صعدت (منها الملائكة) أى المقربون (والروح) أى وأرواح الانبياء والمرسلين أو الروح الامين (وضجت) بتشديد الجيم أى صوتت (عرصاتها) أى اماكنها وجهاتها والمعنى ارتفعت الاصوات فى عرصاتها وهى جمع عرصة وهى بكل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء (بالتقديس) أى التطهير عن التشبيه (والتسبيح) أى التنزيه (واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر

عنها) أى عن تلك الاماكن (من دين الله) أى المأخوذ من كتابه (وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات) جمع مدراس مفعال من الدرس
وهو مكانه وفى الحديث تدارسوا القرآن أى تعاهدوه بتلاوته وهذا خبر مبتدأ محذوف أى وهذه مدارس آيات (بينات) أى
واضحات أو مبينات (ومساجد وصلوات) أى دعوات أو عبادات (ومشاهد الفضائل) أى من مكارم الشمائل (والخيرات) أى
الطاعات والمبرات (ومعاهد البراهين) أى الدلالات الواضحات (من الآيات) أى الخارقة للعادات (والمعجزات) أى على وفق الكرامات
(ومناسك الدين) أى مذابحهم ومعابدهم (ومشاعر المسلمين) أى معالمهم ومعارفهم (ومواقف سيد المرسلين)

فى الارض منتقلا (عنها) أى عن تلك المواطن وفى نسخة منها (من دين الله وسنة رسوله ما انتشر) أى
أمر عظيم كثير لا يعلمه الا الله ولذا عبر بما المبهمة كقوله الحاقة ما الحاقة (مدارس آيات) عطف بيان
أو بدل من مواطن أى محال يدرس فيها القرآن جمع مدرس من درس اذا قرأ أو تلى وقيل جمع مدراس
ومفعال غريب فى اسم المكان كالمرصاد ولا حاجة لارتكابه (ومساجد) جمع مسجد بالكسر موضع
السجود وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس المراد به الموضع المعد للعبادة وان صحت
ارادته (وصلوات) جمع صلاة وهى العبادة المعروفة وأصل معناها الدعاء ويجوز ارادته هنا وفى نسخة
مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب
(ومشاهد الفضائل والخيرات) المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه والفضائل
جمع فضيلة كالعلم وتعليم الآداب وغيرها من الكمالات والخيرات هى خير الدنيا والآخرة (ومعاهد
البراهين والمعجزات) أى عهد فيها ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته الدالة على صدقه
وهو عطف تفسير وقيل البراهين أعم من المعجزات (ومناسك الدين) جمع منسك وهو محل العبادة
والنسك (ومشاعر المسلمين) أى محال معالمهم التى يجب القيام بها من الواجبات وغيرها (ومواقف
سيد المرسلين) أى المحال التى قام فيها صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله واظهار دينه كمحاربيه ومحال
صلاته (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الباء وكسرها أى مساكنه ومحال اقامته (حيث انفجرت النبوة)
أى ظهرت وفاض على جميع الخلق منافعها وأشرق فى القلوب أنوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية
اما بتشبيه النبوة بالفجر والصبح الصادق فى ظهوره الماحى لظلمة الكفر أو بمنبع الماء المروى للناس
بعد ظماء الجهل فقوله (وأين فاض عبابها) بضم العين وهو الماء الكثير كالسيل والماء الكثير المتدفق
الفائض وحيث يكون ظرف زمان ومكان وفيه لغات مشهورة وأين اسم يستفهم به عن المكان فجرد
عن الاستفهام لمجرد المكان وقيل انها باقية على أصلها أى هى جواب من سال وقال أين فاض عباب
النبوة فيقال فى هذه الاماكن (ومواطن مهبط الرسالة) مهبط مصدر ميمى بمعنى الهبوط أى محال نزول
الوحى برسالته وأمره بتبليغ الخلق ما أرسل به لهم والمراد مكة لان مراده مدح الحرمين كما فسرنا به المواطن
أولا ولذا قال (وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها) هو يكنى به عن مولد كل أحد لانه لو فرض انه سقط
على أرضها كان كذلك كما قال

بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

ومنه أخذ المصنف رحمه الله كلامه ولمح به (ان تعظم عرصاتها) جمع عرصة وهى كما تقدم أرض
لا بناء فيها فالمراد بها هنا مطلق الارض أو معناها الحقيقى فهو ساحة المدينة ومكة وفناء أرضها
فيعلم منه غيرها بالطريق الاولى وهذا هو المبتدأ الذى قدم خبره وطول ليتشوق سامعه اليه وينتظره

أى أماكن وقوفه ومواطن حضوره ومنابع نوره (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الواو وكسر تاء خاتم وفتحها وروى مثواه بسكون المثلثة أى منزله ومأواه من مكة (حيث انفجرت النبوة) أى ظهرت ظهور الماء النازل من السماء (وأين) أى من مكة وعينها (فاض عبابها) بضم أوله معظم السيل وارتفاعه وكثرة تموجه كذا فى القاموس أى سال عذبها الغمر بها (ومواطن مهبط الرسالة) بكسر الموحدة أى أماكن انزالها أو نزولها من مكة حين ايصالها أو وصولها وفى نسخة ومواطن طويت فيها الرسالة (وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها) بالرفع كذا فى بعض الاصول والاظهر نصبه والمراد به بعد الموت وفيه تلميح
الى قول الشاعر بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها (وتنسم
(ان تعظم) بتشديد الظاء المفتوحة (عرصاتها) بفتحتين جمع عرصة بفتح فسكون وهى فى الاصل كل مكان واسع لا بناء فيه
والتقدير تعظيم اماكنها وهو المبتدأ المقدم خبره وانما قدم عليه لمزيد تشويق السامع اليه ومن ثمة طول الكلام فى المسند ليحسن
كل الحسن فى المرام اذ بازدياد طوله يزداد حسنه وطوله كما ان بازدياده عليه يزداد الشوق اليه ومنه قول الشاعر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

(وتشم) بالبناء للمفعول أي تنشق وفي نسخة وتشم (نفحاتها) جمع نفحة من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وفي رواية فتعرضوا للنفحات رحمه الله تعالى (وتقبل) بتشديد الموحدة المفتوحة (ربوعها) بضمتين جمع ربع بفتح فسكون موحدة وهو المنزل ودار الاقامة وفي حديث مكة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم حين قال اسامة بن زيد أين تنزل غدا يا رسول الله وهل ترك لنا عقيل من رباع جمع ربع أيضا (وجدرانها) بضم الجيم وبالفوقية في آخرها الا بالنون وان كان هو أيضا جمع جدار وهو مخاطبة لها لمراعاة السجع (يا دار خير المسلمين) ويروى زين المرسلين (ومن به) قال الحلبي الذي ظهر لي ان هذا الشعر من قول المصنف انتهى وناداها من لوعة الاحتراق ولذعة الافتراق عن تلك البقعة المنيعة وسكان تلك الرقعة الرفيعة وقال يا دار خير المرسلين لحديث البخاري انا سيد المرسلين والآخرين ثم قال ومن به أي

بسبب وجوده وكرمه وجوده (هدى الانام) أي هداية الخلق (وخص) أي هو (بالآيات) أي المنزلة والمعجزات المكملة (عندي لاجلك لوعة) أي شدة محبة وكثرة مودة موجبة لزيادة حرقة في حالة فرقة (وصبابة وتشوق وتوقد الجمرات) الصبابة بفتح أولها أي رقة الشوق ودقة الذوق وعن النخعي كان يعجبهم أن يكون للغلام صبوة لانه اذا تاب فربما كان ارعواؤه باعثا له على شدة اجتهاده وكثرة ندمه على ما فرط من عمله في سبق قدمه وأبعد له عن أن يعجب بحاله أو يتكل على كماله ولان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص (وعلى عهد) أي وعد وعقد (ان ملأت محاجري) بفتح الميم مدار بالعين أي نواظري (من تلكم الجدرات) بضمتين (والعرصات) بفتحتين (لاعفرن) بتشديد الفاء المكسورة أي لالوثن وأغبرن (مصون شيبي) أي شيبي المصون ووجهي المكنون بتقليبي لهما (بينها) أي بين المذكورات من الجدرات والعرصات (من كثرة التقبيل) أي تقبيل تلك الاماكن الشريفة (والرشقات) بفتحتين فقاف كذا في الاصول ولعل معناها رمي سائر الاعضاء على تلك الاجزاء المنيفة من الرشق وهو الرمي بالنبل ففيه تجريد وتشبيه وفي أصل الدلجي بالفاء وكذا في بعض النسخ المصححة وقال جمع رشفة وهي المص المحب ريق محبوبه انتهى ولا يخفى انه مع عدم وجوده في كتب اللغة غير موافق لكلام الشاعر ومطلوبه نعم لو صحت الرواية بالفاء لتعين أن يقال المراد بها رشفات المشتاق ريقه لكمال حرارة شوقه ومرارة ذوقه في ذلك المكان الموصوف بحسنه وبريقه ففي القاموس رشفه مصه ورشف الماء قليلا قليلا أسكن للعطش

(وتنسم نفحاتها) تفعل من النسيم مبني للمجهول والمراد ما في النسيم من نفحاتها الطيبة والنفحة في الاصل دفعة من الريح يتجوز بها عن الطيب الذي ترتاح له النفس من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث (ان لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا لها) فشبه ما فيها من بركاته وطيب نسيم ونحوه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية (وتقبل) أي تلثم وتباس بالشفاه (ربوعها) جمع ربع وهو المنزل في الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو المراد هنا (وجدرانها) بضم الجيم وسكون الدال وبالراء المهملتين والف ونون جمع جدار وهو أصل الحائط ويطلق عليه أيضا ويجوز أن يكون بتاء التأنيث جمع الجمع ثم لما تزايد شوقه لما عهده صلى الله تعالى عليه وسلم قال مخاطبا لها بتنزيلها منزلة العقلاء في شعر له مروي عنه وهو قوله أعني المؤلف

(يا دار خير المرسلين ومن به * هدى الانام وخص بالآيات)

اراد بداره محل قره فيشمل مكة والمدينة وفي نسخة المسلمين والاولى أولى وهدى مبني للمجهول أي هدى الله تعالى به والانام الخلق مطلقا أو كل ذي روح كما مر وقوله خص بالآيات المراد بها القرآن أو جميع المعجزات لان الله تعالى خصه منها بما لم يكن لغيره أو التعريف فيه للعهد

(عندي لاجلك لوعة وصبابة * وتشوق متوقد الجمرات)

اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال والتشوق زيادة الشوق وشبه ما في القلب منه بجمرات متوقدة ومتوقد بكسر القاف من اضافة الصفة لموصوف وضبط بفتحها أيضا كما في المقتفى

(وعلي عهد ان ملأت محاجري * من تلكم الجدران والعرصات)

وعلي عهد أي توثق التزمته وهو يمين كما يقال علي عهد الله تعالى والمحاجر جمع محجر وهو جوانب العين وملؤها مجاز عن النظر اليها وابصارها والجدرات جمع مؤنث لجدر جمع جدار كما تقدم والعرصات تقدم تفسيرها

(لاعفرن مصون شيبي بينها * من كثرة التقبيل والرشفات)

التعفير تمريغه في التراب ويقال له عفار وأراد بشيبه لحيته المبيضة وبينها أي بين ترابها وأرضها وجعله مصونا لانه محفوظ عما يلوثه ويشينه والتقبيل اللثم والرشفات جمع رشفة وهي مص الريق ونحوه

وفسر هنا بالتقبيل أيضا وتفسيره بصريق المحبوب بغير مناسب هنا واللام جواب القسم الذى تضمنه قوله على عهد

(لولا العوادى والاعادى زرتها * أبدا ولو سحبا على الوجنات)

العوادى جمع عادية وهى الامور التى تمنع عن زيارتها والعوائق أو الظالمة بمعنى غائرة ظالمة والاعادى جمع عدو وهو جمع أعداء جمع الجمع والوجنات جمع وجنة وهى أعلى الخد وهو ما ارتفع منه وغلظ وسحبا منصوب بمقدر أى أسحب وجهى على الارض بذلة وخضوع وضمير زرتها للدار وأبدا ظرف مستغرق لما يستقبل من الزمان والمعنى لولا عوائق الدهر لم أفارقها ولم أتخلف عنها

(لكن سأهدى من حفيل تحيتى * لقطين تلك الدار والحجرات)

استدراك على ما أفاده ما قبله أى ان منعت عن زيارتها والاقامة بها والتضمخ بتربها تبركا فانى أهدى لمن سكن بها يعنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين دفنوا بها والاهداء الارسال والحفيل بحاء مهملة مكسورة وفاء وياء تحتية ساكنة ولام بمعنى كثير نفيس يحتفل به والتحية من الحياة بمعنى السلام والقطين بقاف مفتوحة وطاء مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ونون بمعنى المقيم ويطلق على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهى بيت صغير من تلك الدار يفرز ويحجر اشارة الى حجراته التى كان بها زوجاته أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أجمعين وكان سيدى الشيخ أحمد بن الرفاعى كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده وأنشد

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها * تقبل الارض عنى فهى نائبتى

وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يديك لكى تحظى بها شفتى

فقيل ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيئا له ثم هنيئا

(أزكى من المسك المفتق نفحة * تغشاه بالآصال والبكرات)

أزكى بمعنى أكثر طيبا ورائحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك والطيب اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كماء الورد ونفحة تقدم تفسيره وهو منه وب تمييز وروى بالرفع واضافته للهاء أى رائحته نائب فاعل المفتق وتغشاه تعرض له أو تغطيه وتحله من الغشاو الآصال جمع أصيل أو جمع أصل جمعه فهو جمع الجمع وهو ما قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهى أول النهار وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهواء فيهما

(وتخصه بزواكى الصلوات * ونوامى التسليم والبركات)

وتخصه بتاء التأنيث فاعله ضمير التحية أو بنون المتكلم مع الغير والزواكى جمع زاكية وهى الزائدة بمعنى النوامى جمع نامية وحركت ياءهما لكسر الضرورة والصلاة والتسليم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم معناهما ظاهر ويأتى قريبا ولقد أجاد فى الختم بهما والبركات جمع بركة ولا وجه لما قيل

(لولا العوادى) جمع عادية وهى شغل يصرفك عن الشئ تريده والله تعالى أعلم بما يعترى الانسان من العوارض التى تكون عوائق (والاعادى) جمع عدو (زرتها) أى تلك المنازل بسير المراحل (أبدا) أى دائما (ولو) أى وان كانت زيارتى (سحبا) من قولك سحبت الشئ فانسحب أى جررته فانجر أى سيرا ومشيا (على الوجنات) بفتحتين جمع وجنة بفتح فسكون ويكسر أولها ويضم وهى أعلى الخد (لكن سأهدى) تكلما من الاهداء (من حفيل تحيتى) أى تحيتى الحافلة الكثيرة الكاملة (لقطين تلك الدار والحجرات) أى لمقيمها وخادمها من قطن بالمكان اذا لزمه وفى حديث الافاضة نحن قطين الله تعالى أى سكان حرمه بحذف المضاف ومنه قول زياد ابن حارثة فانى قطين البيت عند المشاعر والحجرات بضمتين جمع حجرة بضم فسكون وهى بيت صغير من الدار منفرد عنها من الحجر وهو المنع أو من الحجر لكونها مبنية منه (أزكى) بمعجمة أى أهدى من كثير التحية والثناء ما هو أضوع (من المسك المفتق) بمثناة فوقية مشددة أى المشقق ويقال فتق المسك اذا خلط به ما يزكى رائحته وقيل معناه المستخرج الرائحة (نفحة) تمييز للنسبة فى أزكى أزيل عن أصله للتفصيل بعد الاجمال ليكون أوقع فى نفس أرباب الاحوال (تغشاه) أى تحل بركاته وتغطيه (بالآصال) جمع أصيل من بعد العصر الى المغرب كذا قاله الدلجى تبعا للحلبى والاولى أن يقال من بعد الزوال (والبكرات) بضمتين جمع بكرة بضم فسكون أى أول النهار والمراد بهما الدوام فى الايام والليالى انه تابعة لهما كما لا يخفى على الانام وفى القاموس الاصيل العشى والعشاء أول الظلام أو من المغرب الى العتمة أو من زوال الشمس الى طلوع الفجر والعشى والعشية آخر النهار (وتخصه بزواكى الصلوات) بفتح الياء أى بطواهرها وكذا فى قوله (ونوامى التسليم والبركات) أى بنواميها ويروى بفضائل الصلوات ولطائف التسليم ولو روى بشرائف الصلوات ولطائف التسليم لكان ألطف

انه فاسد الوزن وصوابه ان يقول وتخصه ازكى صلاة دائما بنوامى التسليم والبركات مع انه وقع فيما هرب منه روى ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحج ولم يزره صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا على ما فاته كما وقع للعارف بالله تعالى ابى العباس بن العريف نفعنا الله به فقال متأسفا على فوات ذلك

سار الركاب وسوء الحظ اقعدنى * ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا

يا سائرين الى المختار من اضم * سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا

انا اقمنا على عجز ومسكنة * ومن أقام على عجز كمن راحا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

(الباب الرابع)

من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) والصلاة أصل معناها الدعاء والعبادة المخصوصة لما فيهما من تحريك الصلوين والمراد بها ان يقال صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم مصدر سلم تسليما ككلمه تكليما اذا انقاد له وسلم أمره اليه (وفرض ذلك) أى وجوبها على أمته فى أى مقام (وفضيلته) أى فضيلة ما ذكر من الصلاة والتسليم وليس الضمير للتسليم فقط والمراد بفضيلته ما هو أعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال أبو ذر رضى الله عنه ابتداء مشروعية الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى السنة الخامسة من الهجرة وقيل كان الابتداء بمكة لانه ورد فى حديث الاسراء وما قاله أبو ذر رضى الله عنه هو ابتداء اظهاره للناس وهذا مما خص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الانبياء عليهم السلام كلهم فانه لم يشرع ذلك لاممهم وان كانت الصلاة والسلام عليهم مشروعة (قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) صدر بهذه الآية لاثبات مدعاه لان الامر يحتمل الايجاب والندب واعلم ان معنى الصلاة لغة الدعاء ويطلق شرعا على العبادة المخصوصة واختلف هل هى منقولة من المعنى اللغوى لمعنى آخر وضعه الشارع له لمناسبته لمعناه الاصلى لاشتمالها على الدعاء ولما فيها من تحريك الصلوين وهما طرفا العجز أو هى مجاز لاشتمالها على الدعاء والظاهر الاول وقال ابن القيم و بعض المتأخرين انها باقية على معناها اللغوى ولا نقل فيها ولا تجوز لان المصلى فى جميع صلاته فى دعاء وعبادة غايته ان الشارع خصها بفرد من افراد الحقيقة كالدابة لذوات الاربع ورد بانه كلام من لم يعرف معنى النقل وأهل الشرع اذا استعملوها لا يلاحظون معناها اللغوى ولا ينظرون اليه وهو كلام غير مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى فيه المعنى الاصلى ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية شرعية فالمآل واحد والخلاف لفظى وهذه الآية مدنية أخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده وان الله وملائكته يثنون عليه فى الملأ الاعلى ثم امر أهل العالم السفلى بان يفعلوا كفعلهم وفى الكشاف لما نزلت هذه الآية قال جبريل ما خصك الله بشرف الأشركنا فيه فنزل هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقال الحافظ السخاوى لم اقف على أصله الى الآن وقال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمى هو موافق لما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل فى ترجمة سفيان بن عيينة انه سئل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فقال أكرم الله أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الانبياء فقال هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقال لنبيه وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم أى سكينة فصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وهؤلاء الانبياء مخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلاة وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يدخل فى شئ الا ادخل فيه أمته ثم تلى أن الله وملائكته الآية وقال هو الذى يصلى عليكم الخ واشار الى مزيد خصوصية على أمته باسناد الصلاة عليهم اليه والى ملائكته وصلاة الملائكة على الامة لا تكون لا بعينه وجمهور القراء على نصب الملائكة عطفا على اسم ان

(الباب الرابع) أى من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) أى عليه أو لديه واختير التسليم على السلام مع ان كليهما مصدر سلم لافادة زيادة التوكيد والتحقق مطابقة لفظ التنزيل صلوا عليه وسلموا تسليما (وفرض ذلك) أى فرضيته (وفضيلته) وفى نسخة وفضله أى وفضل ذلك والمعنى فى بيان الحكم فى كميتها او كيفيتها واختلاف العلماء فى حقيقتها (قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) أى يعظمونه بالثناء عليه (الآية) تمامها يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أى ادعوا له وقولوا اللهم صل وسلم عليه والواو تفيد الجمعية لا المعية كما عليه الاصولية وارباب العربية فلا دلالة فى الآية على كراهية افراد الصلاة عن السلام وعكسه كما ذهب اليه النووى واتباعه من الشافعية وقد أوضحت المسألة فى رسالة مستقلة

(قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي) أي ان الله يبارك له في أمره ويزيد في قدره وتدعو الملائكة ربه ان يرفع ذكره ويظهر امره وفيه اشارة الى ان في قوله يصلون مجاز امرسلا لاجمعا بين الحقيقة والمجاز والاستعمال المشترك في معنييه كما هو مبين في الاصول لاهل الوصول (وقيل ان الله يترحم على النبي) أي يبالغ في انزال الرحمة عليه فكأنه يطلب من نفسه الرأفة اليه (والملائكة يدعون له) أي ويتواضعون لديه (قال المبرد وأصل الصلاة والترحم وهي) وفي نسخة فهي (من الله رحمة) أي انزالها وايصالها (ومن الملائكة رقة) أي موجبة للرحمة (واستدعاء للرحمة من الله تعالى) أي على نبي الامة وكاشف الغمة (وقد ورد) ويروى وقد روي (في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس) أي في مسجد ونحوه (ينتظر الصلاة) أي الآتية أو اذانها واقامتها اللهم اغفر له (اللهم ارحمه فهذا دعاء) لكنه يليق بالامة ولا يبعد ان يكون دعاؤهم للنبي بان يقولوا اللهم عظم شانه وعم برهانه واكثر أمته وأظهر ملته وارفع درجته (وقال بكر) وفي نسخة أبو بكر (القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي) أي لغيره (رحمة) أي عامة (وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف) وهو رحمة خاصة (وزيادة تكرمة

ويصلون خبر عنهما وقيل خبر ملائكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير الصلاتين ورجح الاول أبو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي والملائكة استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره اعظم من سجود الملائكة لآدم الذي وقع وانقطع وقال على النبي دون محمد أو الرسول تنويها بقدره صلى الله عليه وسلم والنبوة أشرف من الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمؤمنين قيل لان الصلاة مؤكدة معنى بصدورها من الله وملائكته فكيف لا تصلي عليه أمته أو لانها مؤكدة بان والجملة اسمية والسلام سواء كان بمعنى الانقياد أو بمعنى السلامة من الايذاء لا يليق اسناده الى الله والملائكة ولذا استحق التأكيد لصدور خلافه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى سلام على ابراهيم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم كما أورده السخاوي لانه تحية واكرام وبقي هنا كلام بيناه في رسالة مستقلة ثم شرع في بيان معنى الصلاة فقال (قال ابن عباس معناه) أي معنى الصلاة وذكره لتأويله بالدعاء أو لان تأنيث المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (ان الله وملائكته يباركون على النبي صلى الله عليه وسلم) أي يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشرف قدره وسيأتي فيه كلام وأصل معنى البركة النمو وزيادة الخير اللازم (وقيل) في معناه انه بمعنى (ان الله يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم) أي يدعوله بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه وترحمت والاولى الفصحى وهو رد على من قال ترحمت عليه لحن كما نقله الصاغاني ورد بانه ورد في الحديث وتأتي الاشارة اليه أيضا (وملائكته يدعون له) ولم يبين الدعاء لتفسيره بقوله (قال المبرد وأصل) معنى (الصلاة الترحم) أي الانعام أو الدعاء للرحمة ومعنى الدعاء من الله ارادته أو التبشير به لان معناه الحقيقي لا يتصور في حق الله تعالى فاريد به لازمه وغايته ولذا فسره بقوله (فهي من الله رحمة) أي انعامه أو ارادته (ومن الملائكة رقة) أي شفقة عليه ومحبة (واستدعاء للرحمة من الله) له أي طلبها والدعاء بها (وقد ورد في الحديث) الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة (صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة) في المسجد (اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء) لهم بالمغفرة والرحمة وقد صرح بهذا في حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وفي قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقد بينا وجه الدعاء بخصوص الاستغفار فيما يأتي في فصل المواطن ولفظ الحديث في مسلم لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث (وقال) الامام (أبو بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي) اي لمن منزلته دون منزلته من الامة (رحمة) أي طلب ان يرحمه الله وأما النبي فمرحوم باعلاء أنواع الرحمة فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفي فتاوى الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا كما رحمت أو ترحمت على ابراهيم قال الصغار انه مكروه في حق الانبياء والرسل وحكي عن محمد انه كان يكرهه ويقول فيه ظن نوع تقصير بهم فانه لا يستحق الرحمة الا من أتى بما يلام عليه وقد أمرنا بتعظيم الانبياء وتوقيرهم فاذا ذكر النبي لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه وسلم بل لا يقال للصحابة رحمه الله بل رضي الله عنهم وكذا قال خواهر زاده وصاحب المحيط والظهيرية وانا اقول اللهم ارحم محمدا وآل محمد جائز متوارث وكان الشيخ الزاهد الرستغفني يقول معنى ارحم محمدا ارحم أمة محمد والترحم لامته لاله كما يقال لمن يراد عقابه وله أب حاضر يتوجع لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو لم يجن ولم يؤاخذ كما في جامع المضمرات وقال الزيلعي الصحيح انه لا يكره لانه صلى الله عليه وسلم من أشوق الناس الى رحمة ربه انتهى (وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة) بميم في أوله وراء مضمومة وفي

وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة) أي المقربين (وصلاة الملائكة الدعاء) أي بزيادة الاكرام والانعام للنبي عليه الصلاة والسلام (وقال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (وقد فرق) بتشديد الراء وتخفيفها وهو أولى أي فصل (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة) أي في الحديث الذي رواه الشيخان وغيرهم من أصحاب السنن اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على

ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (فدل انهما) أي الصلاة والبركة (بمعنيين) أي متغايرين لان المراد بالصلاة الثناء وبالبركة كثرة الخير والنماء (وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده) أي بقوله وسلموا تسليما وهو يحتمل أن يكون بمعنى الانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ويحتمل ان يراد به التسليم الذي بمعنى التحية فان السلام تحية أهل الاسلام أو خصوص الدعاء بالسلامة من الآفة للنبي عليه الصلاة والسلام (فقال القاضي أبو بكر بن بكير) بضم موحدة فكاف مفتوحة فتحتية ساكنة (نزلت هذه الآية على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر الله تعالى أصحابه ان يسلموا عليه) وكذا أمرهم النبي ان يسلموا عليه (في الصلاة بان يقولوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وكذلك من بعدهم) أي من التابعين وغيرهم (امروا) أي تبعا لهم (ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره) أي خصوصا (وعند ذكره) أي عموما (وفي معنى السلام عليه ثلاثة) وجوه أحدها السلامة لك) أي حاصلة لك أو السلامة الكاملة من الآفات الشاملة خاصة لك (ومعك) أي مصحوبة معك لا تنفك عنك في جميع أحوالك (ويكون السلام مصدرا) أي كالسلامة (كاللذاذ واللذاذة) فانهما مصدران من لذ بذ الا انهما من الثلاثي المجرد والاول من المزيد

نسخة تكرمة بتاء بدل الميم وراء مكسورة وهما مصدران وظاهره ان معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غير الرحمة وانها في حقه بمعنى التشريف والتعظيم اللائق به وقد علمت ما فيه وانه ورد الدعاء بالرحمة ولكن استحبوا الدعاء له بلفظ الصلاة تأدبا وفرقا بينه وبين غيره (وقال أبو العالية صلاة الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثناؤه عليه) بمدحه وبيان منزلته عنده (عند الملائكة) أي بحيث يطلعون على ذلك (وصلاة الملائكة الدعاء) كما مر (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل) تفريقه بينهما بعطف أحدهما على الآخر على (انهما بمعنيين) متغايرين وحديث تعليمهم الصلاة سيأتي بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلاة بالبركة وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلاة كما تقدم معناه الرحمة والبركة كما قال الراغب أصلها من البرك وهو صدر البعير ومنه برك البعير اذا ألقى بركه واعتبر فيها معنى اللزوم ولذا سمي محبس الماء بركة فالبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الشيء ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر قيل لكل ما شاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة وكل ما ذكر فيه مبارك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة معه فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وأدم خيراتك التي لا تحصى عليه ثم ان اطلاق الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى غيره فهي على أنبياء الله تعالى تفضيل على غيرهم رحمة من رحمته التي وسعت كل شيء وقال الغزالي لفظ الصلاة مشترك في الاستعمال في الصلاة عليه ثم اسم الصلاة وذكر الاقوال فيها ذكر تفسير السلام الذي هو قرينها فقال (وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده) في قوله وسلموا تسليما (فقال القاضي أبو بكر بن بكير) بالتصغير وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمي المالكي البغدادي الفقيه الثقة صاحب التآليف الجليلة التي منها أحكام القرآن وهو عراقي من أقران ابن الجهم وقيل اسمه أحمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غير فبكير أبوه أو جده (نزلت هذه الآية) يعني قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ان يسلموا عليه) امتثالا لامر الله (وكذلك من بعدهم أمروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره) في سائر مجالسهم كما سيأتي بيانه وهذا مبني على ان الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص بالموجودين أو يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط في كتب الاصول وعلى الاول اذا قام دليل أو قياس جلي على شموله لمن بعدهم يعمل به ونحن فيه من هذا القبيل (وفي معنى السلام عليه) صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أوجه) وفي نسخة ثلاثة وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جائز شائع في كلامهم (أحدها) انه بمعنى (السلامة) من النقائص والآفات ثابتة (لك ومعك) أي مصاحبة وملازمة لك (ويكون) على هذا التفسير (السلام مصدرا) بمعنى السلامة (كاللذاذ واللذاذة) من التلذذ باللذة ومعناهما واحد بتاء ودونها ومثله كثير كالملام والملامة والمقال

(والثانى) أى من الوجوه (أى السلام) أى اسمه (على حفظك) أى محافظتك من موجبات قصورك (ورعايتك) أى مراعاة جميع أمورك (متول له) أى متصرف لما ذكر من حفظك ورعايتك أو متول عونه ونصره له (وكفيل به) أى ضمين بقيامه ومتكفل بنظام مرامه (ويكون لها) أى فى الوجه الوجه الثانى (السلام اسم الله) أى مصدر وصف به مبالغة ومعناه ذو السلامة من كل نقص وآفة (الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له) أى المصالحة والموافقة (والانقياد) أى بالاذعان وترك المخالفة (كما قال تعالى فلا) أى فليس الامر كما زعموا (وربك) وقيل التقدير فوربك بشهادة فوربك لنسئلنهم زيدت فيه لا لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى (لا يؤمنون) جواب القسم لان استواء النفى والاثبات

فى زيادتها للتأكيد كما فى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون يأبى ذلك (حتى يحكموك) أى يجعلوك حاكما (فيما شجر بينهم) أى فيما وقع لهم من التنازع والاختلاف (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) أى ضيقا شرعا لا طبعا أو شكا (مما قضيت) أى حكمت به (ويسلموا) أى وينقادوا لما حكمت به (تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره أى وينقادوا انقيادا ظاهرا وباطنا لا ريبة فيه

(فصل) (اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فـرض) أى واجب مقطوع به (فى الجملة) وفى نسخة على الجملة أى اجمالا (غير محدد) وفى نسخة غير محدود أى غير مؤقت ومقدر (بوقت) أى بزمان معين (لامر الله بالصلاة عليه) والاصل فى الامر الوجوب كما عليه الجمهور. (وحمل الائمة) يحتمل ان يكون مصدرا أو ماضيا كما فى نسختين صحيحتين والمراد أئمة المجتهدين (والعلماء) أى من المفسرين والمحدثين (له) أى لامر الله (على الوجوب) بمعنى الفرض (وأجمعوا عليه) أى على الوجوب والمراد باجماعهم اتفاق أكثرهم لقوله (وحكى أبو جعفر) أي محمد بن جرير الشافعى (الطبرى ان محمل الآية) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية أى الآية محمولة باعتبار أمرها (عنده

أبى

والمقالة ولما فى السلام من الثناء عدى بعلى لا لانه بمعنى القضاء والمعنى قضى الله عليك السلام كما قيل لان القضاء كالدعاء لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية والاستيلاء لانه وجه آخر ذكره بقوله (الثانى أى السلام مداوم على حفظك ورعايتك) أى اكرامك وعنايته بك ومراقبتك (ومتول له) أى قائم به بحيث لا يكل أمرك لغيره (وكفيل به) أى متكفل ملترم له (ويكون هنا) أى فى هذا الوجه (السلام اسم الله تعالى) ومعناه ذو السلامة وليس فى أسماء الله مصدر غيره (الثالث) من الاوجه (ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد) عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال الله تعالى (فلا وربك) قسم جوابه (لا يؤمنون) أى لا يظهر ايمانهم ولا يكمل (حتى يحكموك) أى يفوضون الحكم اليك (فيما شجر بينهم) أى وقع بينهم من المنازعات والدعاوى (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) أى ضيقا لعدم رضاهم (مما قضيت) حكمت به عليهم (ويسلموا تسليما) أى يذعنون وينقادون لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال الراغب السلام والسلامة التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة والسلام من أسمائه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى وقال الحطاب صيغته خبر معناها الدعاء والطلب ومثله يحتاج للنية الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينئذ للنية انتهى ومعناه من الله فى صلى الله عليه وسلم على محمد ونحوه فانه لا يتصور فى حقه الطلب من غيره اذ هو المطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير والسلامة والعزة حتى ينقاد الناس كلهم له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتبارى ومثله يكفى فى هذا المقام وقد أفرد السلام بتأليف نفيس السيد السمهودى وقفت عليه وفيه أمور يضيق المقام عنها وفى الشرح الجديد هنا كلام غير محرر رأينا ترك التعرض له أولى وفى الاذكار للنووى انه يكره افراد الصلاة عن السلام فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى فيه كلام وهذه الآية الاخيرة نزلت فى حق من خاصم الزبير فى سقاية الماء وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى

*(فصل اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض فى الجملة) أى اجمالا من غير تعيين زمان أو محل (غير محدد) بحاء ودال مشددة مهملتين أى غير معين وأصله ماله حدود فاستعمل فى لازم معناه (بوقت) من الاوقات المعلومة واستدل على مطلق الوجوب بقوله (لامر الله) وأصل الامر الوجوب (بالصلاة عليه) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وحمل الائمة) من السلف (والعلماء) من أهل التفسير (له على الوجوب) اى على انه أمر ايجاب لا ندب أى فسروه بان المراد منه ذلك يقال حملت كلامه على كذا اذا فسرته به (وأجمعوا عليه) أى على انه للوجوب من غير تعيين محل أو زمان والآية تدل على ذلك عند الجمهور ولانه الاصل فى الامر وحقيقته عند الاكثر وتقريره فى كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الآية وما عضدها من الاحاديث لا الآية فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله (وحكى أبو جعفر الطبرى) هو الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه (ان يحمل الآية) أى المراد منها وما فيها من الامر (عنده) أى عند

(على الندب وادعى فيه الاجماع) أى على الندب (ولعله أى الاجماع المذكور فيما زاد على مرة) أى لئلا يخالف الاجماع المذكور (والواجب منه) مبتدأ وهو واسم فاعل مشتق فلابد له اسم موصول صلته (الذى يسقط به الحرج) بفتح الجيم وسكون الراء أى الطعن والقدح (ومأثم ترك الفرض) أى يسقط به الاثم المترتب على تركه (مرة) خبر المبتدأ المتقدم لانها أقل ما توجد فيها الماهية المطلوبة فيحمل عليها (كالشهادة له بالنبوة) أى المقرونة بالرسالة لوجوبها مرة اجماعا (وما عدا ذلك) أى وأما ما زاد على مرة فيها (فمندوب) أى مستحب ومطلوب (مرغب فيه) أى مرغوب (من سنن الاسلام وشعار أهله) أى علامتهم فى أحكام الاحكام (قال القاضى أبو الحسن بن القصار) من المالكية (المشهور عن أصحابنا) أى علمائنا (ان ذلك) أى ما ذكر من ان الصلاة (واجب فى الجملة) أى فرض غير مؤقت بوقت معين (على الانسان وفرض عليه) أى على كل فرد من افراد الانسان من المؤمنين (ان يأتى به) أى بهذا الفرض وفى نسخة بها أى بالصلاة (مرة من دهره) انه يخرج من عهدة أمره (مع القدرة على ذلك) أى على الاتيان بها اذ هى شرط له ولهذا تسقط عن الابكم (وقال القاضى أبو بكر بن بكير) بضم موحدة وفتح كاف أحد المالكية (افترض الله على خلقه) أى من المؤمنين (ان يصلوا على نبيه) أى تعظيما وتكريما (ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك) أى الافتراض (لوقت معلوم) أى فى وقت معين وزمان مبين (فالواجب) أى مروءة أو احتياطا أو المراد به الوجوب الذى دون الفرض (ان يكثر المرء منها) أى من الصلاة (ولا يغفل) بضم الفاء أى لا يذهل

أبى جعفر (على الندب) وفيه تقدير أى تبعا لغيره والا فلا معنى لحكايته عنده ويدل على المقدر قوله (وادعى فيه) أى فى ان الامر فيها للندب (الاجماع) وفى قوله ادعى اشارة الى ان ما قاله ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم وفق بينه وبين ما ذكره قبله فقال (ولعله) أى ما ادعاه (فيما زاد على مرة) واحدة فى العمر فانه لا خلاف فى عدم وجوبه على كل أحد (والواجب منه) مبتدأ خبره مرة الآتى (الذى يسقط به الحرج) أى التضييق على الناس لو وجب دائما أو كلما ذكر او الاثم فان الحرج ورد بهذين المعنيين كما صرحوا به (ومأثم ترك الفرض) أى يسقط به الاثم عن تركه اذا كان فرضا والمأثم بالمثلثة مصدر ميمى بمعنى الاثم مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب (مرة) مرفوع على الخبرية (كالشهادة له بالنبوة) والرسالة فانها واجبة فى العمر مرة فاذا سقط الوجوب بمرة تحقق فى ضمنها ماهية المأمور به فالصلاة بالطريق الاولى وهو أحد المذاهب والصلاة كما يأتى بيانه (وما عدا ذلك) أى المرة الواحدة فى الصلاة والشهادة (فمندوب من مرغب فيه) بكثرة ثوابه وفوائده (من سنن الاسلام وشعائر أهله) أى دأبهم الذى هو علامة لهم وهو لغة بمعنى العلامة وله معان أخر وهو جواب عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذى حكاه المصنف رحمه الله وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح وما نقله المصنف صرح به ابن عبد البر من غير عزو له للمذهب وهو ظاهر (وقال القاضى أبو الحسن بن القصار) بقاف وصاد مشددة وراء مهملتين وهو على بن عمر بن أحمد الفقيه الثقة له كتاب فى الخلاف كثير الفوائد لم يصنف فى بابه أحسن منه وفى بعض النسخ الصفار بصاد مهملة بعدها فاء مشددة وألف وراء قال التلمسانى والاول هو المعتمد وهو عن أئمة المالكية منسوب لصنعة قصار الثياب وهى تبييضها والثانى لبيع الصفر وهو النحاس (المشهور عن أصحابنا) يعنى المالكية (ان ذلك) أى الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واجب فى الجملة) أى اجمالا ومطلقا من غير تعيين وقت له (على الانسان وفرض عليه) اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى كالشافعية خلافا للحنفية (ان يأتى به مرة من دهره) أى فى مدة عمره لخروجه بذلك عن عهدته (مع القدرة على ذلك) أى شرط فى وجوبه مرة فى عمره ان يقدر على التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنده كسائر الواجبات كمن اخترمته المنية وقوله لا ينافى ما تقدم من الاجماع لانه لا مفهوم له وقصده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الائمة أيضا وهو اشارة لما نقله عن الطبرى وان كان عنده لا ينافى الاجماع لكونه واهيا أو مؤولا كما تقدم ولم يتعرضوا لحكم السلام عنده وما نقله عن الحطاب من متأخرى المالكية عن الرصاع ان الذى يظهر ان السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجب مرة مثل الصلاة عليه والزائد مستحب لقول ابن عباس رضى الله عنهما فريضة من الله علينا أن نصلى على نبينا ونسلم تسليما وما نقل عن مشايخ المغاربة من التوقف فى وجوبه لا أصل له والحق ان حكمه حكم الصلاة انتهى (وقال القاضى أبو بكر بن بكير) وتقدمت ترجمته (افترض الله تعالى عز وجل) افترض وفرض بمعنى وفيه زيادة تأكيد لزيادة بنيته (على خلقه) جميعا (أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما) كما مر نقله عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام وينبغى ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا للأمور (ولم يجعل ذلك) الافتراض (لوقت معلوم) واللام فيه للتوقيت والظرفية كما يقال كتبته لست عشرة مثلا (فالواجب) على الخلق (أن يكثر المرء) أى الرجل والمراد به الانسان ولو امرأة تغليبا (منها) أى من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (ولا يغفل)

(عنها) أي يتركها ويشتغل عنها بغيرها وفي كلامه شيء لأنه بصدد بيان وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها مناف مالاقتضائه مرات كثيرة فان أراد أنه ان فعلها في وقت ما يكررها مرارا في ذلك الوقت فايجاب مثله غير ظاهر مما نقله قبله فان كان قولا آخر فسياقه لا يساعده وأما الاعتراض عليه بأنه أمر مطلق لا تعرض فيه لعدم تعين وانتهاء لا معنى له وفي بعض الشروح انه قول ثالث انه يجب الاكثار منها مطلقا من غير تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن (وقال القاضي أبو محمد بن نصر المالكي) وهو القاضي عبد الوهاب بن نصر بن أحمد بن حسين وقيل ابن الحسن بن أحمد بن هارون بن مالك أدركه الشيرازي وسمع منه في النظر وكان فقيها شاعرا أديباله شعر كثير وكتب كثيرة في كل فن وارتحل في آخر عمره لمصر فحصلت له ثروة وتوفي في سنة احدى وعشرين وأربعمائة (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة) أي من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره (قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد) قيل هو محمد بن سعيد بن بشر بن شرحبيل الفقيه كتب في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقي مالكا رضي الله تعالى عنه فقرأ عليه ثم انصرف للاندلس والتزم ضيعة بباجة الى ان توفي سنة ثمان وتسعين ومائة كما قاله القاضي في المدارك (ذهب مالك وأصحابه وغيرهم وأهل العلم الى ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة) أي اجمالا من غير تعيين مقدار ووقت (بعقد الايمان) أصل معنى العقد ربط اطراف الشيء كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها واعتقادها يقينا فقوله بعقد الايمان وهو بكسر الهمزة والباء سببية أو بمعنى بعد أي هي أول ما يفرض بعد الايمان بالله ورسوله (لا يتعين في الصلاة) أي ليس وجوبا مخصوصا ومؤقتا بها (وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره) ومدة حياته الى موته (سقط الفرض عنه) لخروجه عن عهدته قيل حاصل ماذكره المصنف رحمه الله تعالى عنه غير مانقله عن الطبري ولم يرتضه قولان الاول انها فرض في الجملة تسقط بمرة الثاني انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وقد تقدم ما فيه والفرق بين القول بانها تجب في الجملة مطلقا انما زاد على المرة في القول الاول يقع نفلا وعلى الثاني يقع الكل فرضا ويثاب عليه ثواب الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ماقاله الشافعي رحمه الله في مسح الرأس انه يجب مسحها مطلقا فلو مسح شعرة حصل الفرض ولو مسح الجميع وقع فرضا وبقي أقوال غير ما ذكره المصنف منها انها تجب في كل مجلس مرة في جلسته وهل هي فرض كفاية على أهل المجلس فلو صلى واحد كفى على الجميع أو فرض عين ومنها انها تجب كلما ذكر أو سمع ونقلا عن الطحاوي وبعض الحنفية والشافعية للحديث الآتي رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقيل انه مبني على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف وقيل عليه انه يلزمه شغل المرء عن غيرها من العبادة وانه يقتضي وجوب ذلك على المصلي وقارئ القرآن والمتشهد ويلزمه التسلسل وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن أحد من الصحابة والتابعين ولو كان كذلك وجب الثناء على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقله أحد وأجيب بانه منقول عن الائمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن في الصلاة ونحوها ولا حرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثناء على الله أيضا أو نقول بالفرق بينهما بانه تعالى غني مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبني على المسامحة دون المشاحة والقول بانه حق الله أيضا الامر به ناشئ من عدم فهم المراد بحق الله (وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي أمر الله به) في الآية المذكورة أولا (و) أمر به (رسوله عليه الصلاة والسلام) كما سيأتي بيانه (هو في الصلاة) أي هو عقب التشهد قبل التحلل وسيأتي تفصيله وذكر الاحاديث التي استدل بها الشافعي وأصحابه كما

(عنها) والمعنى انه تعالى لم يوقت ذلك ليشمل سائر الاوقات هنالك كما قيل في الذكر انه سبحانه وتعالى قال اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا فجعل الكل عبادة وقتا معينا الا ذكره عز وجل فانه لم يجعل له زمانا مبينا سواء يكون ذكرا لسانيا أو جنانيا وكذلك الصلاة عليه غير مؤقتة حيث قرن ذكره بذكره البتة (قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة في الجملة) هذا قول مجمل وفي بيان تفصيله (قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم) أي من الامة المجتهدين (الى) وفي نسخة بدونها (ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان) أي بقيد الايمان المذكور في القرآن فلا تجب على أهل الكفر والكفران (لا تتعين في الصلاة) بمعنى انها لا تجب فيها أولا انها لا تصح الا بها كما قال الشافعي (وان) أي وذهبوا الى ان (من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي) أي تبعا له (الفرض منها) أي من الصلاة (الذي أمر الله) أي في قديم كلامه (به) أي باتيانه (ورسوله) أي وأمر به رسوله (عليه السلام) أي في حديثه (هو في الصلاة) أي منحصر فيها وهو عقب تشهدها قبل سلام تحللها واستدلوا بحديث أبي مسعود البدري في صحيحي ابن حبان والحاكم أما السلام عليك يا رسول الله فقد عرفناه أي علمناه من تشهد الصلاة وهو

(السلام عليك أيها النبى و رحمة الله وبركاته) فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره زاد ابن ماجه وغيره والسلام على كما قد علمتم وفيه انه لادلالة على فرضيتها على وجه خصوصيتها او بحديث ابن مسعود فيما رواه ابن أبى شيبة وسعيد بن منصور والحاكم بسند صحيح يتشهد الرجل فى الصلاة ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعوا لنفسه بعد وفيه ان هذا اخبار عن أقوال تقال فى الصلاة ولادلالة على وجوب الصلاة بشهادة كون الدعاء مستحبا اجماعا او بحديث ابن عمر فيما رواه العمرى بسند جيد لاتكون صلاة الابقراءة وتشهد وصلاة على فى الصلاة اللهم صل على محمد وآل محمد الخ وفيه انه يحتمل ان المراد لاتكون صلاة كاملة مع وجود الاحتمال يمتنع الاستدلال وقال الشافعى قد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم علمهم تشهد الصلاة وورد انه علمهم كيف يصلون عليه فيها فلم يجز أن نقول بوجوب التشهد فيها دون وجوب الصلاة عليه انتهى ولا يخفى انه يجوز أن يقع الامران ويكون أحدهما للوجوب والآخر للندب على ان لفظ الحديث الصلاة المشتملة عليه وعلى آله والشافعى لم يقل بوجوب الجمع بينهما مع انه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالدعاء فيها أيضا وهو مندوب أيضا قال الدلجى وزعم القرافى فى ذخيرته انه يستدل على وجوب الصلاة عليه عليه السلام فيه بالاجماع ولم يصب فى زعمه اذ لا اجماع على وجوبها فيه أقوال ولعله أراد ان الاجماع على وجوب الصلاة فى الجملة وتعين الوقت فيه بالسنة وهذا معنى قوله (وقالوا) أى أصحاب الشافعى رحمهم الله تعالى (واما فى غيرها) أى غير الصلاة (فلاخلاف فى أنها غير واجبة) أى فيتعين كونها فى الصلاة واجبة اذ لابد من وجوبها مرة كما مر فقول الدلجى الامر واحدة كما مر غير مستقيم فتدبر (واما فى الصلاة فحكى الامامان أبو جعفر) وفى نسخة أبو جعفر بلفظ التثنية فانه كنية لهما (الطبرى) وهو محمد ابن جرير من أكابر الشافعية (والطحاوى) وهو محمد بن أحمد بن سلام من أكابر الحنفية (اجماع المتقدمين) أى من الصحابة والتابعين (والمتأخرين) أى من علماء الامة المجتهدين (على ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد غير واجبة) وعارضهما الدلجى بنقل النووى فى شرح المذهب ومسلم وابن كثير وابن قيم الجوزية وكثيرين نقلوا وجوبها عليه فيه عن أئمة من الصحابة كعمر وابنه عبد الله وابن مسعود وأبى مسعود البدرى وجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهم ومن التابعين محمد بن كعب القرظى والشعبى والباقر ومقاتل رحمهم الله تعالى ومن غيرهم أحمد بن حنبل كما قال ابو زرعة الدمشقى الآخر عملا حتى ان بعضهم أوجب أن يقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وقد ألزم من قال من الحنفية بوجوبها فيه لتقدم ذكره فيه وفيه أن لهم أن يلتزموه ولذكره لا لصحتها والظاهر ان الصحابة المذكورين وغيرهم لم ينصوا بوجوبها اذ هذا اصطلاح حادث وانما كانوا يقولون بوقوعها من غير أن يتعرضوا لكونه واجبا أو مندوبا للهم الا ان صرحوا بعدم صحة الصلاة بدونها أو بصحتها من غير وجودها فحينئذ يعرف الاجماع بثبوتها أو نفيها ولهذا قال ابن حجر العسقلانى لم أر من الصحابة أحد صرح بعدم الوجوب الا مانقل عن النخعى وبهذا الاعتبار قال المصنف (وشذ الشافعى) أى انفرد هو ومن تبعه (فى ذلك) أى القول بوجوبها وعدم صحة الصلاة بدونها (فقال) اى الشافعى (من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير) وفى نسخة الآخر وهو وأشهد أن محمدا رسول الله (قبل السلام) أى سلام التحليل (فصلاته فاسدة) أى لانها ركن عنده تفسد بتركه

صرح به فى الام وقول القرافى فى الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صرح بخلافه ولا اجماع على وجوبها (وقالوا) أى أصحاب الشافعى (واما فى غيرها) أى غير الصلاة وهو خارجها (فلاخلاف) فى (انها غير واجبة) المراد انه لاخلاف عند الشافعى وأصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقدير الامرة واحدة كما لايجدى نفعا الا ان نفى الخلاف بناء على المشهورة عندهم وفى الشرح الجديد ما نقله المصنف عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة فى الخطبة الاولى والثانية للجمعة لانه لم ينقل عن الخلفاء الراشدين تركها فيهما ووافقه أحمد وهما اماما السنة وقال الشافعى أيضا بوجوبها فى صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية كما سيأتى ووافقه أحمد واتباعه أيضا وروا فيه أحاديث صححوها (وأما فى الصلاة) أى حكمها فيها (فحكى الامامان أبو جعفر) يعنى محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته (الطبرى والطحاوى) أحمد بن محمد بن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها فى الصلاة (وغيرهما) من الائمة (اجماع) جميع (المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد) الاول والاخير منها (غير واجبة وشذ الشافعى) أى أتى بقول شاذ انفرد به عن جميع أئمة الدين ولم يقل به أحد قبله ولم يوافقه عليه أحد (فى ذلك) أى بقوله بوجوبها فى تشهد الصلاة الاخير (فقال من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير قبل السلام فصلاته فاسدة) لانها ركن من أركان الصلاة تفسد بتركها فى التشهد الاخير فقط

(وان صلى عليه قبل ذلك) أى قبل أشهد أن محمدا رسول الله على ما قاله الدلجى أو قبل ذلك التشهد بان يقول بعد التشهد الاول (لم تجزه) كان حقه أن يقول لم تجزئه كما فى نسخة صحيحة لانه مهموز من أجزأه يجزئه اذا كفاه (ولا سلف) أى لا سابقة قدم (له) أى للشافعى والمعنى ان أحدا من السلف ما وافقه (فى هذا القول) أى من الصحابة والتابعين وسائر المجتهدين (ولا سنة يتبعها) بتشديد التاء وتخفيفها أى من الاحاديث الدالة على وجوبها فيه ومن أعجب العجائب قول الدلجى وان تعجب فعجب قوله بعدم وجوبها عليه فيه منكرا على رأس المجتهدين الشافعى الى آخر ما ذكره فان الشافعى لم يكن رأس المجتهدين أصلا بل رأسهم وأساسهم أبو حنيفة ومالك وامثالهما قطعا فيما يتعلق بالاجتهاد فضلا فضلا فلهما على غيرهما فى الفقه والحديث فضل واما قوله من ان موضوع هذا الكتاب يقتضى وجوب الصلاة عليه عليه السلام فامر خارج عن تحقيق المرام ثم قوله ان هذا من ورطة العصبية فالمصنف منزه عن حمية الجاهلية ثم أغرب فى قوله لم أقل ذلك غمصا لمن شذ عما هدى امام الامة اليه من طيب القول بل امتثالا لقول عمر اذا رأيتم من يمزق أعراض الناس لا تقربوا عليه قالوا نخاف لسانه فقال ذلك أحرى أن لا تكونوا شهداء

(وان صلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل ذلك) أى قبل التشهد الاخير وقوله فيه أشهد ان محمدا رسول الله (لم تجزه) صلاته أى لم تصح ولم يسقط عنه الفرض فتجب عليه اعادة صلاته (ولا سلف له فى هذا القول) بوجوبها فى التشهد الاخير أى لم يقل به أحد من السلف (ولا سنة يتبعها) أى لم يثبت فى السنة والاحاديث النبوية ما يكون دليلا على ما قاله الامام الشافعى (وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه) من الائمة والسلف (جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها) مفعول شنعوا بمعنى قبحوا أى عدوا ما قاله أمرا قبيحا وقولا مبتدعا منه (منهم) محمد بن جرير (الطبرى و) الامام (القشيرى) قيل المراد به أبو ناصر بن صاحب الرسالة أو أبو بكر بن العلاء القشيرى المالكى واما الامام القشيرى صاحب الرسالة فهو شافعى لم ينكر عليه شيئا مما ذكر (وغير واحد) أى ناس كثيرون من الفقهاء والعلماء (وقال أبو بكر بن المنذر) بصيغة اسم الفاعل وهو الامام الاوحد أبو بكر محمد بن ابراهيم النيسابورى الثقة الحجة امام عصره وشيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع أو عشرة وثلاثمائة (يستحب ان لا يصلى أحد صلاة) ما فرضا كانت أو نفلا أو جنازة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد التشهد وبعد التكبيرة الثانية (فان ترك ذلك تارك) أى واحد كان فى أى صلاة كانت (فصلاته مجزئة) أى صحيحة وان كان الافضل عدم الترك (فى مذهب مالك وأهل المدينة) أى علمائها وهو من عطف العام على الخاص (وسفيان الثورى) صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب (وأهل الكوفة) أى علمائها (من أصحاب الرأى) المراد بالرأى القياس فى عرف الفقهاء والمالكية والشافعية يريدون بهذه العبارة اتباع أبى حنيفة ويقابلهم أهل الحديث لاقتصارهم فى العمل عليه (وغيرهم) من العلماء (وهو قول جل اهل العلم) الجل بضم الجيم المعظم والاكثر من كل شئ (وحكى عن مالك وسفيان) الثورى (انها فى التشهد الاخير مستحبة) لا واجبة وخص الاخير لانه محل الخلاف (وان تاركها فى التشهد) الاخير (مسئ) غير محسن لارتكابه أمرا مكروها قصده (وشذ الشافعى) أى انفرد بهذه المقالة المخالفة عن غيره من الائمة (فاوجب على تاركها فى الصلاة الاعادة) لتركه ركنا به يتم سواء تركها عمدا أو سهوا (وأوجب اسحق) بن ابراهيم بن مخلد وهو الامام الجليل أبو يعقوب بن راهويه

(وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه) أى على الشافعى (لمخالفته فيها من تقدمه) أى من السلف عمن لم يقل بوجوبها عليه (جماعة) أى من علماء الخلف (وشنعوا) بتشديد النون أى طعنوا (عليه الخلاف فيها) أى فى هذه المسئلة (منهم الطبرى) وهو محمد بن جرير من الشافعية (والقشيرى) أى صاحب الرسالة منهم أبو بكر بن العلاء المالكى (وغير واحد) أى وكثيرون من غيرهم (وقال أبو بكر بن المنذر) هو الامام الاوحد محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابورى شيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع أو عشر وثلثمائة (يستحب أن لا يصلى أحد صلاة) أى فرضا أو نافلة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى عقب التشهد الذى بعده التحليل (فان ترك ذلك) أى الاستحباب (فصلاته مجزئة) أى كافية له (فى مذهب مالك وأهل المدينة) أى من علمائها السبعة (وسفيان الثورى وأهل الكوفة من أصحاب الرأى) أى أهل الرأى الثاقب الذى هو من أعلى المناقب وقد سماهم أئمة الحديث به لاخذهم فيما أشكل من الحديث أو فيما لم يرد به حديث بارائهم (وهو قول جل أهل العلم) بضم الجيم وتشديد اللام وفى نسخة جمل بضم جيم وفتح ميم وتخفيف لام أى أكثرهم وجمهورهم (وحكى عن مالك وسفيان) أى الثورى (انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها فى التشهد) أى الاخير (مسئ) أى ملام بترك السنة (وشذ الشافعى فاوجب على تاركها) أى عمدا أو سهوا (فى الصلاة) فرضا أو نفلا (الاعادة) لانها عنده ركن من أركانها الثلاثة عشر التى لا تتم الصلاة الا بها ولا تجبر بسجود السهو (وأوجب اسحق) أى ابن ابراهيم بن راهويه المروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة الا ابن ماجه ثقة حجة توفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين

عالم

(الا اذا تعمد تركهما دون النسيان) موافقة الجزولى من الحنابلة (وحكى أبو محمد بن أبى زيد عن محمد بن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو (ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) أى فى مذهب المالكية وهذا يحتمل أن يريد مرة أو كلما ذكر أو فى تشهد الصلاة (قال أبو محمد) هو ابن أبى زيد (يريد) يعنى ابن المواز (انهما) أى الصلاة عليه (من فرائض الصلاة) أى من اركانها (وقاله) أى وكذا قاله (محمد بن عبد الحكم وغيره) ومحمد بن عبد الحكم هذا هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى صاحب الشافعى يروى عن ابن وهب وطائفة وعنه النسائى وابن خزيمة والاصم وآخرون قال ابن خزيمة ما رأيت فى الفقهاء أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين منه مات سنة ثمان وستين ومائتين (وحكى ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد (وعبد الوهاب ان ابن المواز يراها أى يرى الصلاة (فريضة فى الصلاة كقول الشافعى) وصححه ابن الحاجب فى مختصره وابن العربى فى سراج المريدين وقال عبد السلام المالكى وهو ظاهر كلام ابن المواز (وحكى أبو يعلى العبدى) بفتح مهملة وسكون موحدة (المالكى عن المذهب) أى مذهب مالك (فيها ثلاثة أقوال الوجوب) أى كما قال الشافعى واشياعه (والسنة) أى المؤكدة كما قال أبو حنيفة واتباعه (والندب) أى كما ذهب اليه مالك وبعضهم ولا فرق عند أكثر الشافعية بين السنة والندب وأما عند غيرهم فتغايرهما بان السنة ما واظب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه وبه قال بعض الشافعية كالقاضى حسين (وقد خالف الخطابى من أصحاب الشافعى وغيره) بالرفع أى وغير الخطابى منهم الحافظ العراقى وأبو امامة ابن النقاش (الشافعى فى هذه المسئلة) أى حيث لم يروا له حجة واضحة من الادلة (قال الخطابى وليست) أى الصلاة عليه (بواجبة فى الصلاة وهو) اى عدم وجوبها (قول جماعة الفقهاء) أى من السلف والخلف (الا الشافعى) أى بالاصالة اذ ما وافقه من وافقه من الخلف على سبيل التبعية (ولا أعلم له فيها) أى فى المسئلة (قدوة) بضم القاف وكسرها ويحكى فتحها أى مقتدى من السلف (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) وفى نسخة من فرائض الصلاة (عمل السلف الصالح) أى اقبل (الشافعى) أى وجوده وظهوره (واجماعهم عليه) أى على ان ترك الصلاة عليه غير مفسد للصلاة (وقد شنع الناس) أى من المتأخرين (عليه) أى على الشافعى (هذه المسئلة) أى فيها (جدا) أى بطريق المبالغة أو مبالغين له فى التخطئة (وهذا تشهد ابن مسعود) الذى هو أصح ألفاظ التشهد حيث رواه أصحاب الكتب الستة ولذا اختاره بعض العلماء والمشايخ من الشافعية أيضا وقد ذكر ابن الملقن التشهدات الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى تخريج أحاديث الرافعى

عالم خراسان ومحدثها توفى وسنه سبع وتسعون سنة فى شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين (الا اذا تعمد تركهما دون النسيان وحكى) الشيخ (أبو محمد بن أبى زيد) هو صاحب الرسالة المشهورة وهو من أئمة المالكية (عن محمد بن المواز) بفتح الميم والواو المشددة وآخره زاى معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم ومن أجل الائمة فى مذهب مالك وعليه المعول فيه وهو اسكندرانى تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم الآتى واعتمد على أصبغ وتوفى ببعض حصون الشام اختفى به وقد هرب فى فتنة ووفاته سنة احدى وثمانين ومائتين (ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) ولم يبين لوجوبها وقتا ولا غيره (قال أبو محمد) هو ابن أبى زيد السابق ذكره قريبا فى تفسير كلام ابن المواز (يريد ليست من فرائض الصلاة) بل انها فرض فى الجملة كما تقدم وسيأتى ما يخالفه (وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصرى صاحب الامام الشافعى لم يكن فى عصره أجل منه ولا أعرف بأقوال الصحابة والتابعين ولد سنة اثنين وثمانين ومائة وتوفى ليلة خلت من ذى القعدة سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وأخرج له النسائى (وحكى ابن القصار وعبد الوهاب) من أئمة المالكية (ان محمد بن المواز يراها فريضة فى الصلاة كقول الشافعى) وقد نقل الاسنوى أيضا ان للشافعى قولا آخر غير ما اشتهر عنه انها سنة فى الصلاة لا ركنا ولا واجبا وقال ابن عبد السلام المالكى هو ظاهر كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب فى مختصره الفرعى وابن العربى فى سراج المريدين (وقد حكى أبو يعلى العبدى المالكى عن المذهب) أى مذهب الامام مالك رحمه الله (فيها) أى فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أقوال فى الصلاة) الاول (الوجوب و) الثانى (السنة و) الثالث (الندب) جريا على اصطلاحهم فى التفرقة بين السنة والندب (وقد خالف) الامام (الخطابى من أصحاب الشافعى وغيره الشافعى فى هذه المسألة قال الخطابى وليست بواجبة فى الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى) فانه ذهب لوجوبها فيها (ولا أعلم له فيها قدوة) أى ما يقتدى به من الائمة والسلف وسيأتى رد هذا (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) كما قاله الشافعى (عمل السلف الصالح قبل الامام الشافعى) من الصحابة والتابعين وهذا لا وجه له كما سيأتى بيانه (واجماعهم عليه) سيأتى أيضا انه لا اجماع فيه (وقد شنع الناس عليه فى هذه المسئلة جدا) أى قبحوه وأنكروه أى تشنيعا كثيرا اجتهدوا واجتهدوا فيه جدا ثم بين وجه الانكار بقوله (وهذا تشهد ابن مسعود) جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير اليه

فبلغت ثلاثة عشر تشهدا ثم أجمعوا على جواز جميع ألفاظ التشهد الواردة وانما الخلاف في الاختيار فاختار أبو حنيفة تشهد ابن مسعود لكونه أصح سندا واختار الشافعي تشهد ابن عباس واختار مالك تشهد عمر الذي قرأه فوق منبر النبي صلى الله عليه وسلم وأما قوله (الذي اختاره الشافعي) فغير مشهور عنه بل الثابت عنه في كتب أصحابه ان الذي اختاره تشهد ابن عباس لزيادة المباركات فيه الموافقة لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة (وهو) أي تشهد ابن مسعود (الذي علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة عليه وكذلك) مثل تشهد ابن مسعود (كل من روى التشهد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير) أي وغيرهم لما سبق (لم يذكروا فيه صلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ولو كانت الصلاة فرضا كالتشهد لما تركوا ذكرها وفيه بحث لا يخفى اذ كل واحد منهما فرض على حدة ولا يلزم من ذكر أحدهما ذكر الآخر لا سيما وقد اختلف مقام التعليم مع انه يمكن تأخير وجوب الصلاة بعد تقديم فرض التشهد (وقد قال ابن عباس) كما في مسلم (وجابر) كما رواه الحاكم والنسائي (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) أي ولهذا خص بالوجوب بخلاف الصلاة عليه فانه ما ورد فيها مثل هذا الاهتمام (ونحوه) أي ونحو ما ذكر عنهما روى (عن أبي سعيد) أي الخدري (وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) أي وهو فوقه (كما يعلمون) أي الفقهاء وفي نسخة بصيغة الخطاب أي كما تعلمون أنتم (الصبيان في الكتاب) بضم فتشديد أي في المكتب وموضع تعليم الكتاب (وعلمه) أي التشهد (أيضا على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه) أي ولم يروعن أحد منهم ذكر الصلاة عليه في هذا الباب (وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي) رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه قال وليس على شرطهما اذ لم يخرجاه والطبراني والدارقطني قال وليس عندهم بقوي واليعمري والبيهقي بلفظ لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على نبيه ولا صلاة لمن لم يحب الانصار (قال ابن القصار معناه كاملة

(الذي اختاره الشافعي) رحمه الله تعالى أي رجحه على غيره فان التشهد له طرق مختلفة (وهو الذي علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وما قاله مردود أيضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذي فيه زيادة لفظ المباركات لموافقته لقوله تعالى تحية من عند الله تعالى مباركة طيبة ولتأخره عن تعليم ابن مسعود كما قاله البيهقي رحمه الله تعالى (وكذلك) أي مثله في عدم ذكر الصلاة عليه فيه (كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم) من الصحابة الذين علمهم التشهد (كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير) كلهم (لم يذكروا فيه) أي في تشهدهم الذي تعلموه (صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) هذا أعظم ما تمسك به المصنف في رده لما ذكر لما يلزم من عدم ذكرهم انه لم يأمرهم به وهو مردود أيضا لان تعليمهم ذلك كان في ابتداء الهجرة قبل نزول الآية والامر بها في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه الآية فلذا لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بما لم يؤمر به فلما نزلت أمرهم وهذا مصرح به في الحديث وسيأتي نقله مفصلا بطرقه (وقد قال ابن عباس وجابر) في حديث رواه مسلم (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) فيقرؤه عليهم ويأمرهم بتلقنه بالفاظه وحفظه فكيف يترك ما هو مذكور فيه وقد عرفت جوابه (ونحوه) أي مثل ما ذكر (عن أبي سعيد) الخدري كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) وهو يخطب عليه في خلافته (كما تعلمون الصبيان في الكتاب) بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية وهو اسم للمحل الذي فيه الصبيان منقول من جمع كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى في كلامهم كما ذكره الزمخشري في الاساس وغيره ولا عبرة بمن أنكره أو قال انه مولد والصواب المكتب (وعلمه) أي التشهد (أيضا على المنبر عمر بن الخطاب) كما علمه عليه أبو بكر في خلافته يعني بذلك شهرته بحيث لا يخفى على أحد ولا يترك ولا دليل له فيه لان ما علم على المنبر لم ينقل ولم يذكر بدون ذكر الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم أشار الى الجواب عن بعض ما استدل به الشافعية فقال (وفي الحديث) الذي رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه والطبراني والدارقطني والبيهقي وفي بعض ألفاظه اختلاف ما (لا صلاة لمن لم يصل علي) بالتشديد وروي لمن لم يصل على نبيه وهو بظاهره دليل للشافعي على ان الصلاة لا تصح بدونها (قال ابن القصار معناه) المراد منه (كاملة) الاجر وهو صرف للنفي عن المتبادر منه من نفي الصحة الى نفي الكمال فتصح وان لم تكمل وهذا مبني على قاعدة أصولية وهي ان النفي اذا دخل على شيء ليس بمنفي هل يقدر الصحة أو الكمال فقال الشافعي الارجح تقدير الصحة لانه أقرب الى نفي ذات الشيء وقال غيره يقدر الكمال وقد بينه البيضاوي

أولمن لم يصل على مرة فى عمره) وانما أوله بحديث البيهقى الدال على ان المراد به نفى الكمال اذ الاجماع منعقد على صحة صلاة من لا يحب الانصار والاتفاق على صحة من لم يذكر اسم الله على وضوئه خلافا لاحمد فاندفع قول الدلجى بانه تحكم وترجيح بلا مرجح وصرف للنفى عن المتبادر منه وضعا عن الحقيقة المجزئة الى ناقص لا غناء له ثم هذا كله لو ثبتت صحته (وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) أى بجميع طرقه ويعمل بالحديث الضعيف ولا يستدل به قال السخاوى فى القول البديع وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا وضوء لمن لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه ابن ماجه وابن أبى عاصم وسنده ضعيف وفى بعض طرقه من الزيادة لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ومعناه لا وضوء كامل الفضيلة والتسمية عندنا من الفضائل ولا اعلم من قال بوجوبها الا ما جاء عن أحمد فى احدى الروايتين عنه وبه قال اسحق بن راهويه وأهل الظاهر فيتعين حمل الحديث على ما تقدم وهو مثل قوله لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد وما أشبه ذلك (وفى حديث أبى جعفر) الصادق محمد الباقر ابن زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهم (عن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة) أى فرضا أو نافلة (لم يصل فيها على وعلى أهل بيتى لم تقبل منه) أى قبولا كاملا وفى نسخة وقد روى موقوفا من قبل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (قال الدارقطنى الصواب انه من قول أبى جعفر محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه) أى ابن على ابن أبى طالب قال الحلبى وعلى كونه مرفوعا ايضا يكون منقطعا لان أبا جعفر لم يدرك ابن مسعود وابن أبو جعفر من ابن مسعود فانه على ما قيل ولد سنة عشر ومائة وابن مسعود توفى سنة اثنتين وثلاثين (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت) من الرأى أو معناه لظننت (انها لا تتم) أى لا تكمل وليس معناه انها لا تصح فبطل قول الدلجى قد حكم القاضى ولم يشعر على نفسه بان الشافعى فيما قاله سلفا وأبو جعفر وقد انقلب عليه قوله الشاهد له به

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ✽ وينكر الفم طعم الماء من سقم

على ان الصلاة على أهل البيت ليست من فروض الصلاة اجماعا عليه الشافعى وغيره فلو سلم ان مراد جعفر الصادق عدم صحة الصلاة بدونها فيكون ممن انفرد بها على انه لم يسنده الى نفسه بل يرويه غايته ان حديثه مسند متصل أو منقطع وقد حكم بانه حديث ضعيف لا يصح الاستدلال به وزيد فى بعض النسخ (وراويه) أى ناقل هذا الحديث عن أبو جعفر (جابر الجعفى) بفتح الجيم وسكون العين (وهو ضعيف)

فى شرح المصابيح فى حديث انما الاعمال بالنيات (أولمن لم يصل على مرة فى عمره) وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسيأتى تفصيله ثم بين ما فيه بحسب الرواية بقوله (وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) لانه كما قاله الامام الخيضرى فى كتاب اللواء المعلم من حديث عبد المهيمن بن عباس عن أبيه عن جده وعبد المهيمن ليس بحجة وروى من طريق أخرى لم يثبت انتهى (وفى حديث أبى جعفر) محمد الباقر بن زين العابدين (عن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل على فيها وعلى أهل بيتى لم تقبل منه) وهذا يفيد ان الصلاة على الآل فى التشهد الاخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وفيها قولان للشافعى والصحيح فى المذهب انها غير واجبة واما فى التشهد الاول فمن قال انها واجبة فى الاخير قال باستحبابها وبما ينسب للشافعى رضى الله عنه فى ذلك

يا أهل بيت رسول الله حبكم ✽ فرض من الله فى القرآن انزله

كفاكم من عظيم القدر انكم ✽ من لم يصل عليكم لا صلاة له

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق أظهر قوليه (قال الدارقطنى الصواب انه من قول أبى جعفر بن محمد) الباقر بن زين العابدين (ابن على بن الحسين) بن على بن أبى طالب (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت انها لا تتم) وهذا يوافق ما قاله الامام الشافعى ففيه تاييد له دون ما قاله المصنف واعلم ان الامام الخيضرى صنف فى هذه المسئلة كتابا اسماه زهر الرياض فى رد ما شنعه القاضى عياض طالعته بتمامه وقد قال فيه ما قصدت به تنقيص مقدار فانه طراز هذه العصابة وتلخيصه ان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه قال فى الام فرض الله تعالى عز وجل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته الآية فلم يكن فرض الصلاة عليه فى موضع أولى منه فى الصلاة ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ساق باسناده الى أبى هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك يعنى فى الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد الى آخره وساق بسنده أيضا الى كعب ابن عجرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول فى الصلاة اللهم صل على محمد الى آخره فلما روى انه كان يعلمهم التشهد فى الصلاة وانه علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان يقول التشهد واجب

والصلاة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى كل مسلم وجبت عليه الفرائض ان يتعلم التشهد والصلاة عليه فمن صلى ولم يتشهد ولم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى ثم ذكر ما قاله المصنف رحمه الله وقال هذا قول لا ينبغي الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت منه كيف اقدم على هذه المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهي قوبلة غير صحيحة ينادي مدعيها على نفسه بفضيحة واى فضيحة وسترى حججا بالغة وسننا متنوعة وغمار براهين لا مقطوعة ولا ممنوعة فمن الادلة على وجوبها في التشهد الاخير الآية المذكورة لاتفاقهم على ان الامر المطلق يقتضي الوجوب ما لم يقم الدليل على خلافه والله قد أمر عباده بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وثبت ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره والسلام الذي علموه هو السلام في الصلاة والتشهد فخرج الامرين والتعليمين والمحلين واحد ويوضحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما علمهم التشهد علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلاة عليك المأمور بها فقال اللهم صل الى آخره وهما في الصلاة في ظاهر الحال ويؤيده انه لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة عليه بهذه الالفاظ بتمامها والمنقول انهم كانوا يقولون في تحية الصلاة السلام عليك يا رسول الله أو نبي الله صلى الله تعالى عليك وسلم ونحوه فما تعلموه زائد على التحية في الصلاة فخرج هذا مخرج البيان لما في القرآن وظهر وجه دلالة الآية عليه وأورد عليه ان قول الصحابة قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة يحتمل انه يراد به السلام في الخروج من الصلاة كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال وان غاية ما ذكرتم دلالة اقتران الصلاة بالسلام على الوجوب في الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا سلم وجوب السلام وهو غير مسلم وأجيب بان الاول فاسد يرده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام عليك لا السلام فقط حتى يكون المراد السلام من الصلاة والسائل لم يستدل باقترانه وانما استدل بالامر بها في الآية وبهذا سقط ما بعده والدليل الثاني من السنة ما في البخاري مسندا قال عبد الرحمن ابن أبي ليلى لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمتنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وأخرجه مسلم وغيره من طرق ساقها واصحاب السنن * فان قلت قد علمنا من الاحاديث صفة الصلاة لكنها مطلقة لم تقيد بالصلاة * قلت علم هذا من اطباق العلماء والمحدثين من غير نكير على ان المراد بها في الصلاة ولذا وردت مذكورة في التشهد في كتبهم دون باب الادعية ولا نكتفي بهذا بل نقول ورد التصريح بذلك في الحديث أيضا فيما رواه أحمد في مسنده من طريقين عن ابن اسحق قال حدث في الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا المرء المسلم صلى عليه في صلاته وساقه الى آخره والعجب من المصنف رحمه الله تعالى انه قال في شرح مسلم في سؤالهم عن الصلاة يحتمل انه في غير الصلاة وفي الصلاة والاظهر الثاني لقوله والسلام كما علمتم انتهى فسبحان الله كيف ينكر بعد هذا على الشافعي وهذا من زيادة الثقة فهي مقبولة وقد رواها الشافعي في مسنده فدعاه ذلك الى حمل الآية عليها * فان قلت بعد تخصيصه بالصلاة ليس في الحديث ما يدل على الوجوب * قلت الوجوب معلوم من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي ولا يلزمه وجوب ما في صلاته من السنن لقيام دليل من خارج على عدم وجوبها ثم ذكر أحاديث أخر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم صريحة فيما ذكروها بمعنى ما تقدم أي ما سبق ومن الادلة

الآتية مما في مسند أحمد الآتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى أيضا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سمع
رجلا يدعو في صلاته فلم يحمد الله تعالى في صلاته ولم يصل عليه فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم
دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميده والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم يدعو بما شاء هو حديث صحيح أخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان وقال إنه على شرط
الشيخين فإن قلت إن هذا يدل على عدم الوجوب لأنه لم يأمر بإعادة الصلاة وقد يقال أيضا إن هذا الدعاء
كان خارج الصلاة لأن الترمذي روى هذا الحديث في جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قاعد إذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال له عجلت أيها المصلي
إذا صليت فقعدت فاحمد الله تعالى بما هو أهله وصل علي ثم ادع وفي رواية عجب قلت إنه كان غير
عالم بوجوبها فلم يأمره بالإعادة ويحتمل أنه أعادها أو أنها نفل لا تجب إعادتها وما ذكر من الحديث رواية
غير ثقات فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الآخر مع قوته ورواته على شرط الشيخين وقد ورد
التصريح بأنه يتشهد ويصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعده في الصلاة ثم أورد على قول المصنف
إن الشافعي لا سلف له فيما قاله أنه قال به جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن مسعود روى
حديث التشهد وروي عنه أنه كان يراها واجبة في الصلاة وأبو مسعود البدري روي عنه مرفوعا وموقوفا
ومنهم ابنه عبد الله بن عمر وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين والشعبي كما نقله البيهقي ومقاتل بن حيان
ومحمد بن كعب القرظي كما نقله الماوردي وإسحق بن راهويه كما نقله المصنف وأحمد بن حنبل في
رواية عنه ومن العجائب أن المصنف أنكر على الشافعي ما ذكر وقال في شرح مسلم ما نصه حكى بعض
البغداديين عن مذهب مالك في المسألة ثلاثة أقوال الوجوب والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن
المواز على الوجوب في الصلاة كمذهب الشافعي وكلامه محتمل للوجوب على الجملة ونقله أيضا في كتابه
هذا وعبارة ابن القصار في كتابه عيون الأدلة وهو من أجل كتبهم بعدما نقل ما سيأتي من أدلة المخالفين
في فرضيتها في الصلاة وجه ما نقل عن ابن المواز ما استدل به القائلون بالوجوب فيكون الجلسة الأخيرة
للسلام عليه إن الصلاة لما تضمنت ذكر الله وتمجيده كما في فاتحة الكتاب وجب أن يذكر فيها الصلاة
والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا تخلو الصلاة عن ذكره مع الله كما في الأذان والإقامة فذكر
وجه يدل على أنه مال إليه وقال ابن العربي في أحكام القرآن إن الصحيح ما قاله ابن المواز فعينت
كيفية ووقتا كما بيناه في مسائل الخلاف انتهى وهو إمام مشهور من أئمتهم وكذا ذكره ابن الحاجب في
منهاجه ونازعه ابن عبد السلام فظهر منه أنه قول راجح في مذهبهم وأنه ذهب إليه كثير من السلف
فنسبته إلى الشذوذ خطأ ظاهر مع ما يناقضه من كلامه هنا إذ انتقل هذا عن الصحابي ولم يصرح غيره
بخلافه يصير إجماعا سكوتيا وحكمه مفصل في الأصول وعمل الناس على الصلاة عليه بعد التشهد
وتعليمها للصبيان فكيف يدعي خلافه وأما أدلة المخالفين للشافعي كأبي حنيفة وأتباعه ومالك في
أحد قوليه وإليه ذهب بعض الشافعية كابن المنذر والخطابي والقشيري والطبري كما نقله المصنف رحمه
الله تعالى فمن أدلة حديث التشهد المروي عن نحو أربعة وعشرين من الصحابة وليس في رواية منه
ذكر الصلاة ثم سردها ورواتها وفصلها تفصيلا لم يسبق إليه ثم قال الجواب عنه من وجوه منها أنه لم يقل إنه
جميع الواجب في الجلسة الأخيرة فإيجاب الصلاة فيها بدليل آخر لا ينافيه ومنها أنكم قلتم بوجوب السلام ولم
يأمرهم به في هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد أوجبتموه فما كان جوابكم فهو جوابنا ثبوته بدليل
آخر وأيضا التشهد ثبت بتعليمه كذا الصلاة فأي فرق بينهما وقد بينا أنه مخصوص بالصلاة كالسلام
ومنها أن أحاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب متقدما عليها لأن النافي مستصحب

(فصل)(في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام) وفي نسخة التسليم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بصيغة المجهول من الترغيب وهو ضد الترهيب وفي نسخة ويترغب (من ذلك) أي مما ذكر من المواضع وكان الاظهر ان يقول منها (في تشهد الصلاة كما قدمناه) أي من الادلة واقوال الائمة (وذلك) أي محلها (بعد التشهد) أي الاخيرة على ماعندنا (وقبل الدعاء) أي قبل الدعاء لحديث ثم ليتخير من الدعاء ماشاء (حدثنا أبو علي القاضي) أي ابن سكرة (رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال ثنا) أي حدثنا (الامام أبو القاسم البلخي ثنا الفارسي) بكسر الراء (عن أبي القاسم الخزاعي) بضم أوله (عن الهيثم) بفتح الهاء وسكون التحتية وفتح المثلثة وهو ابن كليب وفي نسخة صحيحة عن أبي سعيد الهيثم بن كليب وعلى ابن سعيد ضببه وكنية الهيثم أبو سعيد فلعله اراد بالضبة ان الكنية ليست في الاصل والله أعلم (عن أبي عيسى الحافظ) أي الترمذي صاحب الجامع

للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو مقدم على المستصحب لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه رأسا وورد أيضا بان التشهد فرض حين فرضت الصلاة وفرضت الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزلت آية الاحزاب بعد تخييره ازواجه فالتشهد كان تعليمه قبل فرضها فلا يضر عدم ذكره في تلك الرواية فلذا قالوا له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا السلام فكيف نصلي عليك فان قلت فما تقول في الصحيح المروي الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى قوله أشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك ان شئت ان تقوم فقم وان شئت ان تقعد فاقعد فانه يدل على الصلاة عليه فيها ليست بواجبة ولا سنة كما قاله ابن عبد البر في التمهيد قلت هذا مطعون فيه وقد قال الدارقطني في العلل انه من زيادة زهير مدرجة في الحديث وصله بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس منه وتتبع طرق الحديث شاهدة لما قالوه وأيضا انه يحتمل أيضا انه قبل ايجاب الصلاة عليه وأيضا هو ورد نفيا لما كانوا يقولون السلام على الله فقال لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا كذا مع سائر ما علمهم وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه مع ان المستدل بهذا أصحاب أبي حنيفة القائلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب الجلوس بمقداره فلو تم هذا كان دليلا عليهم لا لهم لتعليقه تمام الصلاة على التشهد وهم لا يقولون به فيطلب المعارضة ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليها عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضري مما يهمنا هنا وقد بالغ الشافعية في الرد على المصنف رحمه الله تعالى وتخطئته فيما قاله كما سمعته حتى قال بعضهم هذا المشنع انما هو يشنع على نفسه لا على الشافعي اذ لم يخالف كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا مصلحة راجحة بل تمسك بادلة واضحة تامة وعد ذلك من محاسن مذهبه ولم ينفرد بذلك قال بعض المحققين ولو سلم تفرده بذلك لكان حبذا التفرد انتهى وقال شيخنا ابن قاسم قلت وأي محذور في تفرد ابن ادريس وأي حاجة له أي موافقة غيره له انتهى ولكن اذا أمعنت النظر علمت انه ناقل لما قاله الطحاوي ومن تبعه وما على الناقل الا تصحيح نقله وما على الرسول الا البلاغ ففيما قالوه أيضا تحامل عليه لكن الجزاء من جنس العمل وهذا من لباب الالباب الذي لا تجده في غير هذا الكتاب وههنا بحث ذكره الاسنوي في التمهيد وهو ان الامر بعد سؤال التعليم كالامر بعد الاستئذان أو بعد التحريم يفيد الاباحة عند الشافعية والوجوب عند أبي حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على وجوب الصلاة عليه بقوله قولوا اللهم صل الى آخره بعد قولهم كيف نصلي عليك الا ان يقول استفيد الوجوب من امر خارجي فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفية بيان واجب انتهى وفيه نظر

(فصل في المواطن) أي في الاماكن فهو من قبيل المستقر لان معناه مكان التوطن والاقامة (التي يستحب) ويسن (فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بالبناء للمفعول وتشديد المعجمة من الترغيب ويجوز تخفيفها وهو عطف تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوائد والثواب (من ذلك) المستحب المرغب فيه (في تشهد الصلاة) وهو الثناء على الله في الجلسة فيها وسمي تشهدا باسم جزئه وهو قوله تعالى فيه أشهد أن لا اله الا الله الخ واطلقه ليشمل الاول والاخير فان مستحب في الاول واجب في الاخير كما تقدم تفصيله (كما قدمناه) في الفصل الذي قبله (وذلك) أي موطنه ومحله المعلوم مما قبله (بعد التشهد) أي قوله أشهد أن محمدا رسول الله (وقبل الدعاء) المأثور في كتب الفقه أو بما شاء (حدثنا القاضي أبو علي) هو ابن سكرة شيخه كما تقدم (بقراءتي عليه) لا بغيره من طرق الاجازة قال (حدثنا الامام أبو القاسم البلخي) نسبة لبلخ مدينة معروفة قال (حدثنا الفارسي) تقدمت ترجمته (عن أبي القاسم الخزاعي عن أبي الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ) هو الترمذي

(ثنا محمود بن غيلان) مروزى حافظ يروى عن ابن عيينة وغيره وعنه أصحاب الكتب الستة سوى أبي داود (ثنا عبد الله بن يزيد) وفى نسخة زيد والصواب الاول وهو ابن عبد الرحمن (المقرئ) اسم فاعل من الاقراء وهو تعليم القراءة بتجويد الاداء وهو القصير مولى آل عمر بن الخطاب أصله من ناحية البصرى نزل مكة روى عن أبي حنيفة وموسى بن على بن رباح بالموحدة وحرملة وحيوة بن شريح وغيرهم وعنه البخارى وأحمد وابن راهويه وابن المدينى بخلق كثير وثقه النسائى وغيره توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (ثنا حيوة) وفى نسخة عن حيوة (ابن شريح) وحيوة بفتح حاء وسكون ياء وشريح بالتصغير (حدثنى) وفى نسخة حدثنا (أبو هانئ) بكسر نون فهمز (الخولانى) بفتح الخاء (ان عمرو بن مالك) وفى نسخة عمر والصواب بالواو (الجنبى) بفتح الجيم وسكون نون فموحدة فياء نسبة الى جنب بطن من مذحج البصرى وثقه ابن معين توفى سنة اثنتين وثلاثمائة أخرج له أصحاب السنن الاربعة (أخبره انه سمع فضالة) بفتح الفاء (ابن عبيد) وفى نسخة ابن عبيد الله والصواب الاول وهو انصارى أوسى شهد أحدا والحديبية وولى قضاء دمشق لمعاوية (يقول سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته) أى فى آخرها (فلم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبل الدعاء بها (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا) بكسر الجيم مخففة أى استعجل فى دعائه لنفسه قبل ثنائه على ربه الذى هو وسيلة القبول وفى نسخة عجل بتشديد الجيم المفتوحة أى عجل أمر الدعاء على الصلاة (ثم دعاه) أى طلبه (فقال له ولغيره) أى فخاطبه خطابا عاما

غير مختص به (اذا صلى أحدكم) أى وقعد فى التشهد الاخير (فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه) أى بقوله التحيات لله الخ (ثم ليصل على النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم أى كامر (ثم ليدع بعد) أى بعد الصلاة عليه (بما شاء) أى بما احتاج اليه أى بما لا يسأل من الناس والحديث أخرجه الترمذى فى الدعوات وقال صحيح وأخرجه أبو داود ونحوه فى الصلاة وكذا النسائى (ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله) أى بتعظيمه وهو بتقديم الميم على الجيم بدل بتحميده بتقديم الحاء على الميم ومعناهما متقاربان (وهو) أى اللفظ الثانى أو سنده (أصح) أى مما قبله عند المصنف وفيه بحث اذ روى الاول أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم ثم دلالة فى الحديث على وجوب الصلاة كما توهمه لدلجى لان هذا أمر شفقة ونصيحة فى مراعاة السنة بدليل امره بالدعاء المجمع على انه للاستحباب بل فيه دليل على عدم الوجوب حيث انه لم يأمر باعادة الصلاة

صاحب الشمائل والسنن وقد تقدم قال (حدثنا محمود بن غيلان) أبو أحمد الحافظ المروزى أخرج له أصحاب السنن وتوفى سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى) وفى نسخة زيد بدون ياء والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصرى نزيل مكة ومولى آل عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن أبي حنيفة وغيره وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن حيوة بن شريح) تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس فى الاعلام وقياسه حية قال (حدثنى أبو هانئ الخولانى) اسمه حميد بن هانئ وهانئ بهمزة فى آخره يجوز ابدالها ياء وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفى سنة اثنين واربعين ومائتين (ان عمر بن مالك الجنبى) وفى نسخة عمرو بواو وهى الصواب وهو أبو على الجنبى بفتح الجيم ثم نون ساكنة وباء موحدة نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصرى ثقة وذكره فى الميزان توفى سنة اثنين أو ثلاث ومائة (أخبره انه سمع فضالة) بضم الفاء وفتح الضاد المعجمة ولام وهاء تأنيث (ابن عبيد) بالتصغير بن نافذ بن قيس الانصارى الاوسى أبو محمد الصحابى ولى قضاء دمشق وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وأخرج له أحمد وغيره (يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته) بعد التشهد فى الجلسة الاخيرة (فلم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد تشهده (فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا) بفتح العين وكسر الجيم أى اسرع بدعائه وأتى به فى غير محله قبل ان يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الدعاء معلق حتى يصلى عليه كما يأتى فان من سأل حاجة لا بد له ان يقدم وسيلة توصل لقضاء حاجته (ثم دعاه) أى طلب ذلك الرجل وقربه اليه (فقال له أو لغيره) أو وجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام وفى نسخة ولغيره بالواو (اذا صلى أحدكم فليبدأ) بالهمز أى يقدم على دعائه قبل (بتحميد الله والثناء عليه) عطف تفسير لبيان ان المراد ما يفيد المدح والثناء لا خصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفى كيفيته روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل فى محله (ثم ليصل على ثم ليدع) بلام مكسورة أو ساكنة للامر (بعد بما شاء) من الخير والدعاء بالمأثور افضل (ويروى من غير هذا السند) الذى رواه المصنف عن الترمذى ورواه أبو داود (بتمجيد الله) بميم وجيم ودال مهملة ومعناه التعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن حبان بسند آخر (وهو اصح) رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر وانما تم استدلال المصنف رحمه الله به ان كان فى الصلاة وقد استدل به الشافعى على وجوبها فيها كما مر وقد نوزع فيه فانه ورد من طريق آخر تقدمت

وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة) أى المكتوبة والنافلة (معلق) أى كل منهما (بين السماء والارض لا يصعد) بفتح أوله وضمه أى لا يطلع ولا يرفع (الى الله) أى محل قبوله أو مكان عرشه (منه) أى مما ذكر من الدعاء والصلاة (شئ) أى منهما (حتى يصلى) أى الداعى وفى نسخة بصيغة المجهول فى صلاته (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبل دعائه رواه الترمذى الا انه فى الحصن الحصين بلفظ حتى يصل على نبيك وفيه تنبيه نبيه على ان منشأ الحكم المذكور هو وصف النبوة ونعت الوسيلة (وعن على كرم الله تعالى وجهه عن النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم بمعناه) رواه أبو الشيخ فى الثواب عنه (وقال) أى على فى رواية زيادة (وعلى آل محمد) ولفظ البيهقى فى شعب الايمان الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته وفى رواية وآل محمد وهذا معنى قوله (وروى ان الدعاء محجوب) أى ممنوع عن كمال حصوله وجمال وصوله (حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى الاقتصار عليه مرة وضم آله اخرى اشعار بان ذكر أهل بيته انما هو لبيان الأحرى ثم أعلم ان حديث على رواه الطبرانى فى الاوسط موقوفا وروى الحسن بن عرفة عن على مرفوعا وسنده ضعيف والصحيح وقفه لكن قال المحققون من علماء الحديث ان مثل هذا لا يقال من قبل الرأى فهو مرفوع حكما (وعن ابن مسعود) كما روى عبد الرزاق والطبرانى بسند صحيح عنه (اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيا)

أى فى الصلاة وغيرها (فليبدأ بحمده) وفى نسخة بحمده (والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلى) أى هو بضم

(على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ويمكن ان يكون يصلى مجزوما وبقاء الياء على لغة نحو قوله تعالى انه من يتقى ويصبر على رواية قنبل عن ابن كثير وهو الملائم لما قبله وما بعده من قوله (ثم ليسأل) أى مطلوبه (فانه اجدر) أى أحق وأليق حينئذ (ان ينجح) بضم الياء وكسر الجيم أو بفتحهما من نجح ينجح وانجح اذا اصاب طلبته وتيسرت حاجته ونجحت وانجحت وأنجحه الله وفى الحديث دليل على استجاب الصلاة حيث عالى بقوله فانه اجدر ان ينجح فتأمل فتدبر

قريبا بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذا دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لى وارحمنى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم له عجلت أيها المصلى اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل على ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه * اقول قد اجاب الخيضرى عنه باجوبة حاصله انه ليس نصا فيما ذكر لان المراد بالقعود الجلسة الاخيرة فى التشهد وقد ورد التصريح به فى رواية أخرى فاندفع الايراد (وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه) كما رواه الترمذى (قال الدعاء والصلاة) عطف تفسير والمراد به العبادة المخصوصة الا انه قيل ان هذا اللفظ أى الصلاة ليس مذكورا فى الترمذى وهو المشهور (معلق) كل منهما أى موقوف قبوله فهو استعارة أو حقيقية لان الملائكة لا تصعد به (بين السماء والارض لا يصعد الى الله منه شئ) لعدم رضاه برفعه اليه (حتى يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم) لان اعمال المؤمنين تكتب وترفع الى السماء اذا قبلت وقبولها متوقف على الصلاة عليه لانه هو الذى هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا اليه وقد فسر قوله تعالى لا تفتح لهم أبواب السماء بهذا والرفع والصعود من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولا مانع منه (وعن على ابن أبى طالب) رواه عن البيهقى وابن عساكر وغيره (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) أى بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه عن عائشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال وعلى آل محمد) فلا بد من الصلاة على الآل مع الصلاة عليه وهذا هو الاكمل ووجوبها تقدم الكلام عليه (وروى) رواه عبد الرزاق والطبرانى بسند صحيح (عن ابن مسعود ان الدعاء محجوب) عن السماء فلا تفتح له ويلزمه انه لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول (حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وليس فى هذا دليل على وجوبه فى الصلاة اذ القبول ليس من شرائط الصحة ومن اعاده فقد تبرع بما لا يدركه ولا يقبل ولو عد المصنف هذا موطنا مستقلا كان أولى كما فعله غيره لكنه ادرجه فى التشهد لانه محل الدعاء أيضا (وعن ابن مسعود) فى حديث صحيح مسند (اذا اراد احدكم أن يسأل الله شيأ فليبدأ بحمده والثناء عليه) كما أرشدنا لذلك فى سورة الفاتحة قال ابن برجان فى تفسيره اذا قيل لك ان أحدا أحيى ميتا بقراءة الفاتحة فلا تنكره وليقرأها ملاحظا الثناء عليه وحمده لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والأخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الخ ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم يفوض أموره اليه لقوله اياك نستعين ثم يسأله حاجته لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعاء (بما هو أهله) اى بما يستحقه ويليق به (ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ليستشفع باقرب مخلوقاته وأحبهم اليه فانه الوسيلة العظمى (فانه) أى دعاءه بهذه الكيفية (اجدر) أى أحق وأليق (ان ينجح)

بضم أوله مبنى للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا الحديث رواه عبد الرزاق والطبرانى وابن أبى الدنيا باسناد صحيح فيقدم صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويختم بها ويوسطها فى دعائه كما قال الخيضرى ويدل لها أى فكلما أكثر من صلاته عليه صلى الله عليه وسلم تحقق الاجابة (وعن جابر) بن عبد الله فيما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقى فى شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب) قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب) أى من يريد ركوب راحلته لسفر ونحوه (يملأ قدحه) وهو اناء صغير من خشب يشرب به ونحوه (ثم يضعه) عنده (ويرفع متاعه) الذى يريد حمله على راحلته (فان احتاج الى شراب) أى شرب ماء (شربه) أى شرب ماء قدحه الذى وضعه فيه (أو الوضوء) من ماء قدحه (توضأ) بالهمزة ويجوز ابدالها ألفا (والا) أى وان لم يكن محتاجا لشرب أو وضوء (هراقه) بتقدير مضاف أى هراق ماءه أى صبه على الارض لاستغنائه عنه وأصل هراقه أراقه فابدلت همزته هاء وقد يجمع بينهما فيقال اهراقه وتفصيله فى كتب العربية قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخرونى اذا صليتم على فى الذكر وتجعلوا ذكرى تبعا لغيره بل اعتنوا به فقدموه واذكروه فى وسطه واختموا به كما أشار اليه بقوله (ولكن اجعلونى) أى اجعلوا ذكرى فى الصلاة على (فى أول الدعاء وأوسطه وآخره) ففيه تشبيه تمثيلى بليغ لتأخر ذكره عن دعائه كما ان من يريد الركوب لراحلته يبدأ بمتاعه فيحمله ويجمع ماله وقدحه موضوع على الارض ثم ينظر لقدحه فيأخذ ما فيه أو يريقه وهذا كقول حسان رضى الله عنه فى هجائه

فانت هجين نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والراكب يجعل القدح خلفه وفى هذا الحديث زيادة على ما قبله بجعله أولا ووسطا وآخرا (وقال ابن عطاء) أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل الآدمى وهو من أجل مشايخ الصوفية توفى سنة تسع وثلاثمائة (للدعاء أركان) أى أمور مهمة لا بد منها شبهت باركان البناء ومنه أركان الصلاة عند الفقهاء (وأجنحة) جناح الطير كاليد للانسان يحصل بها ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه ما هو مقدمة لقبوله ورفعه الى السماء بالاجنحة للطائر (وأسباب) أى وسائل للوصول للمطلوب والفوز به (وأوقات) مخصوصة يكون فيها أسرع اجابة كأوقات الصلاة (فان وافق أركانه) أى قارنها وكانت تامة (قوى) أى كمل وتم كما يتقوى البناء والبدن باركانه (وان وافق أجنحته) بان كان له أجنحة كاملة (طار فى السماء) أى صعد اليها وقبل كامر (وان وافق مواقيته) جمع ميقات بمعنى الوقت أى ان وقع فى أوقاته (فاز) أى بالاجابة وحصلها (وان وافق أسبابه أنجح) أى تم وكمل نجاحه وسعادته ثم بين ذلك فقال (فاركانه حضور القلب) أى توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه (والرقة) أى رقة القلب وفسرها بقوله (والاستكانة) أى الخضوع والانقياد (والخشوع) بالمذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر

(وعن جابر) فى رواية البزار وأبى يعلى والبيهقى فى شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلونى) أى مؤخرا مع كونى مقدما (كقدح الراكب) أى حيث يعلقه من ورائه ويلتفت اليه عند حاجته قال الهروى معناه لا تؤخرونى فى الذكر كما أخبر الراكب تعليق قدحه فى آخر رحله بعد فراغه من التعبية ويجعله خلفه قال حسان * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد * انتهى ونحوه لابن الاثير وقد أخذ منه أو التقدير لا تجعلونى مثل ماء قدح الراكب فى الالتفات اليه عند الحاجة وتركه عند حال السعة قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه) أى فى رحله (ويرفع متاعه) أى على مركوبه أو يضع القدح حيث وقع ويرفع متاعه حيث ارتفع (فان احتاج الى شراب) أى شربه (شربه أو الوضوء) أى أو احتاج اليه (توضأ والا) أى وان لم يحتج الى شربه ولا الى وضوئه (هراقه) أى صبه وفى نسخة اهراقه بسكون الهاء وقيل بفتحها والهاء فى هراق بدل من همزة اراق يقال الماء يريقه وهراقه يهريقه هراقة ويقال فيه أهرقت الماء اهريقه اهراقا فتجمع بين البدل والمبدل قال الحجازى ولا تفتح الهاء مع الهمزة (ولكن اجعلونى فى أول الدعاء وأوسطه وآخره) أى اذكرونى بالصلاة على فى هذه المواطن خصوصا فانكم لن تستغنوا عنى عموما (وقال ابن عطاء للدعاء أركان) أى يقوم بها كالاخلاص (وأجنحة) أى يطير بها ويصعد بسببها ولا بد من وجودها كأكل الحلال (وأسباب) أى أحوال للاجابة كحالة السجود والقراءة (وأوقات) أى أزمنة خاصة قابلة كالسحر وساعة الجمعة وقد بيناها كلها فى شرح الحصن الحصين (فان وافق) أى الدعاء (أركانه) بان قارنها (قوى) أى باستناده اليها (وان وافق أجنحته طار فى السماء) أى صعد اليها (وان وافق مواقيته) أى أزمنته وأمكنته (فاز) أى نجح اجابته وقضيت حاجته واستجيب قوله (وان وافق أسبابه أنجح) أى ظفر بطلبته (فاركانه حضور القلب) أى لمشاهدة الرب (والرقة) أى الليونة من أثر الرحمة (والاستكانة) أى الخضوع والتضرع والمذلة (والخشوع) أى الانكسار والافتقار والخشية

(وتعلق القلب بالله) أي بنفي ما سواه (وقطعه) أي الداعي (للاسباب) وفي نسخة عن الاسباب أي اعتمادا على رب الارباب (وأجنحته الصدق) بان لا يجري على لسانه الكذب ونحوه ويكون صادقا في قوله وفعله وبارا في عهده ووعده (ومواقيته الاسحار) أي ونحوها من مواقيت الاذكار وخصت بالاسحار لانها وقت الخلو عن الاغيار والخلوص عن الاكدار (وأسباب الصلاة) أي أنواعها بجعلها في أول الدعاء وأوسطه وآخره (على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد) أي بلا اجابة بل يستجاب البتة وقد قال الشيخ أبو سليمان

الداراني اذا سألت الله حاجة فابدأه بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ادع بما شئت ثم اختم بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبحانه بكرمه تقبل الصلاتين وهو أكرم من ان يدع ما بينهما (وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء) وهو مضمون حديث الترمذي عن عمر (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش) بفتح مهملة ونون فشين معجمة وهو ابن عبد الله شيباني صنعاني دمشقي نزل أفريقية روى عن علي وغيره وثقه أبو زرعة وغيره توفي سنة مائة (فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تصلي) أي بان تصلي وفي نسخة فتقول اللهم اني أسألك أن تصلي (على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين) تاكيد لما قبله (آمين) بالمد ويقصر قال الحلبي هذا الحديث الذي أشار اليه القاضي ليس هو في الكتب الستة والذي لحنش عن ابن عباس حديث يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الحديث أخرجه الترمذي في الزهد وحديث آخر عن ابن ماجه انه عليه السلام قال لابن مسعود ومعك ماء قال لا نبيذ في سطيحة الحديث أخرجه ابن ماجه في الطهارة وليس له عن ابن عباس شئ في بقية الكتب ولا فيها الا هذين لحنش هذا ترجمته في الميزان وصحح عليه انتهى والحاصل ان الحديث ليس له أصل صحيح لكن الضعيف يذكر في الفضائل والمصنف امام جليل في حسن الشمائل ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم والله أعلم

(وتعلق القلب بالله) بقطع النظر عما سواه (وقطعه الاسباب) بان لا يرجو غيره كما في الدعاء المأثور اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عما سواك (وأجنحته الصدق) بان يوقن بانه لا معطي ولا مانع غيره وفي الحديث الصدق يهدي الى البر فالصدق معناه خلوص النية والطوية (ومواقيته الاسحار) أي أواخر الليل لانها محل الاجابة وتجلي الرحمن وقرب عباده منه وهو أقوى في التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة ونسمات الخير كما قال الله تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون) وقال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) (وأسبابه) المسرعة لحصول المراد (الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم) كما تقدم وقال أسبابه والمراد أسباب اجابته ففي ذلك اشارة الى انه بدون الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا في الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له كما في الصحيحين وقد اختلفوا أهل الدعاء أفضل لما فيه من التذلل والافتقار أو السكوت لما فيه من التسليم والرضا فذهب الى كل طائفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس هذا محله (وفي الحديث) لم يذكروا من رواه (الدعاء) الواقع (بين الصلاتين على) بان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده (لا يرد) أي فيستجاب ذلك الدعاء فان الصلاة عليه مقبولة ومن كرم الله اذا قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسئل السنوسي رحمه الله عن القطع بقبول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لو قطع بها المؤمن المصلي عليه لقطع له بحسن الخاتمة اذا دعي بها مع الصلاة وبين الصلاتين عليه وهي مجهولة لكل أحد وأجاب بان معنى القطع بقبولها انه اذا قضى الله له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهي مقبولة بلا ريب فيها بفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه لا وثوق بقبولها ويحتمل انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها يقطع بانتفاعه بها في الآخرة بوجه ما ولو بتخفيف العذاب وفيه نظر (وفي حديث كل دعاء محجوب دون السماء) كما مر في حديث الترمذي عن عمر (فاذا جاءت الصلاة على) أي ذكرت معه (صعد الدعاء) الى السماء أي قبل واستجيب وقد أخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال الدعاء محجوب حتى يصلي على محمد وأهل بيته (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة وهو ابن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن مهد أبو راشد التابعي الصنعاني أحد الداخلين الى الأندلس في صدر الاسلام وله رواية عن علي وابن عباس وغيرهما الا ان هذا الحديث لم يره عنه في الكتب وروى له غيره توفي بافريقية سنة مائة وقيل ان قبره بسرقسطه (فقال في آخره) أي آخر الدعاء (واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قبل ما تدعو به وتقول أسألك (أن تصلي على محمد عبدك ورسولك) صلاة من (أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين) أي استجب وهو اسم فعل له * فان قلت هل يحسن أن يقال صلى

على

على سيدنا محمد قلت نعم يجوز اتباع الأثر وفيه ولكن اختلف في أيهما الافضل رعاية الادب أو امتثال الامر ذهب الى كل من القولين بعض وقيل امتثال الامر عن الادب وهو الظاهر لما عودة الى بسط الكلام فيه مع اطلاق السيد عليه صلى الله عليه وسلم جائز وكذا على الله وفيه خلاف ليس هذا محله (ومن مواطن الصلاة عليه) واماكنها (عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته) وتقدم القول بان ذلك واجب كلما ذكر أو سمع ذكره أعم من أن يكون في الصلاة أو عند قراءة القرآن كما ذكره الخيضري في كتاب اللواء المعلم ورواه عن السلف قوله أو كتابته أي وعند كتابته اسمه وهل يكتفي بكتابة الصلاة عليه أو الافضل ان يتلفظ بها تردد فيه بعضهم والافضل أن يكتبها ويتلفظ بها ليحصل له الثواب الآتي في حديث من صلى علي في كتاب الخ على ما يأتي فيه وقال بعض الحفاظ كنت أكتب الحديث فلا أكتب الصلاة فيه فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي اما تتم الصلاة في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت عليه وسلمت (أو عند الاذان) أي بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه مسلم أنه عليه السلام قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا الحديث وهل يقتصر على الصلاة أو يذكر معها السلام لما ذكر من كراهة الاقتصار عليها مطلقا بلا مخالفة كما صرح به النووي وقال غيره يقتصر عليها الظاهر حديث مسلم قال الخيضري وتستحب الصلاة عليه أيضا بعد الاقامة لما رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن أبي الدرداء انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استمع المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا سؤله يوم القيامة فيسمعها من حوله ويحب أن يقولوا مثله وهذا مما سكتوا عنه انتهى وفيه ان الذي فيه انما هو استجابة الدعاء عندها الا الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه مسلم عن أبي هريرة (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي) فيدخل فيه ما في هذا الموطن كله لان الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة ذكر معنى وهذا دعاء عليه بان يذله الله لعدم اعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده فلم يصل عليه ورغم يرغم كسأل يسأل رغما وارغمه الله أذله وهو من الرغام بمعنى التراب فجعل عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف الذي من أنف رفعه يقال رفع أنفه اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ولفظه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم أيضا وقال هو صحيح الاسناد وسيأتي الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى برمته (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك ابن حبيب بن سليمان بن هرون السلمي من ولد العباس بن مرداس الصحابي وقيل عبد الملك بن سليمان وهو فقيه نحوي طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام في الحديث توفي سنة ثمان أو تسع وثمانين ومائتين (ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب لما ذكره لئلا يكون مما أهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما في المحيط وخالفهم الشافعي فقال في الام وتسن التسمية على الذبيحة عند الذبح باسم الله ولا أكره ان يقول وصلى الله على رسول الله بل أحبه وقال المزني انها لا تستحب ولا تكره فهي مباحة وقال الاوزاعي تختص ذلك بما اذا كان قربة كالاضحية وقال الرافعي لا يجوز أن يقول باسم الله واسم محمد ولا باسم محمد وذهب بعضهم الى ان من ذبح باسم غير الله لا يحل أكله وكذا ما ذبح للكعبة أو عند قدوم سلطان وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا قيل انه لا يستحب عند العطاس كما يأتي وقيل انما يكره اذا لم يقصد بعد الحمد الصلاة على من سنه وقال الحطاب الذي تحصل من كلام المالكية ان في الصلاة على النبي عند الذبح والعطاس قولين ويكره عند الجماع والحاجة انتهى (وكره سحنون) الفقيه المشهور المالكي واسمه عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان التنوخي وهو بمرتبة من الكمال فضلا

(ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره أو سماع اسمه أو كتابته) وفي نسخة أو كتابه (أو عند الاذان) أي الاعلام الشامل للاقامة (وقد قال عليه السلام) كما في رواية مسلم عن أبي هريرة (رغم) بكسر الغين ويفتح أي لصق بالتراب وذل (أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي) وفي حديث بعثت مرغمة للمشركين وفي هذا دعاء عليه أي لحقه هوان ومذلة مجازاة بترك تعظيمي بالصلاة علي حين سمع اسمي (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك القرطبي أحد الائمة ومصنف الواضحة (ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) ولعل وجه الكراهة توهم اشتراك اسمه باسم الله سبحانه بان يقول بسم الله وصلى الله تعالى عليه وسلم واما ان قال بسم الله والنبي ونحوه فلا شك انه حرام ولا يحل أكل تلك الذبيحة وربما يكفر قائله والحاصل ان أصحاب أبي حنيفة كرهوا الصلاة في هذا الموطن كما ذكره صاحب المحيط وعلله بان قال لان فيها ايهام الاهلال لغير الله تعالى (وكره سحنون) بفتح فسكون فضم وهو منصرف وهو أبو سعيد عبد السلام

(الصلاة عليه عند التعجب وقال) أي في تعليله (لا يصلي عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب) عطف تفسير لما قبله ويؤيده ما قال بعض أئمتنا من ذكر الله عند فتح سلعته أو نشر سلعته وارادة ترويجها واجتماع الناس عليها بكفر وفي تحفة الملوك ومنحة السلوك للعيني ويحرم التسبيح والتكبير والصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند عمل محرم أو عرض سلعة أو فتح متاع انتهى فاذ كره الانطاكي من قوله كذلك كره أصحابنا الحنفية للسوقي أن يصلي عليه عليه السلام عند فتح بضاعته وعرضها على المشتري لانه يقصد بذلك تحسين بضاعته وترغيب المشتري في تجارته لا الاحتساب وطلب الثواب ينبغي أن يحمل على الكراهة التحريمية واذا قصد المثوبة وغيرها فتكون الكراهة تنزيهية والله أعلم (قال) وفي نسخة وقال (أصبغ) بفتح فسكون فوحدة مفتوحة فغين معجمة وهو غير مصروف وهو ابن فرج ابن سعيد بن نافع أبو عبد الله الاموي مولى عمر ابن عبد العزيز المصري الفقيه روى عن ابن وهب والدراوردي وطائفة وعنه البخاري وجماعة قال ابن معين كان أعلم خلق الله برأي مالك صدوق عالم ورع (عن ابن القاسم) وهو أبو عبد الله المصري الفقيه صاحب مالك وثقه غير واحد ورع زاهد أخرج له البخاري والنسائي وروى عنه قال خرجت الى مالك اثنتي عشرة مرة أنفقت كل مرة ألف دينار (موطنان لا يذكر فيهما) بصيغة المفعول (الا الله الذبيحة والعطاس) بضم أوله وهو العطسة (فلا تقل) بصيغة الخطاب وفي نسخة بصيغة الغيبة مجهولا (فيهما) أي في الذبيحة والعطاس (بعد ذكر الله محمد رسول الله) أي لاختصاص ذكر الله تعالى بهما ويؤيده ما رواه أبو محمد الخلال بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال موطنان لا حظ لي فيهما عند العطاس والذبح وأخرج الديلمي في مسند الفردوس له من طريق الحاكم عن أنس وهو عند البيهقي في السنن الكبرى عن الحاكم من غير ذكر الصحابي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تذكروني في ثلاثة مواطن عند العطاس وعند الذبيحة وعند التعجب (ولو قال بعد ذكر الله تعالى) وفي نسخة وصلى الله تعالى (على محمد لم يكن تسميته) وفي نسخة تسمية (له مع الله) لانها جملة منفصلة عما قبلها

وزهدا وسماحة ولد في رمضان سنة ستين أو احدى وستين ومائة وتوفي لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين وعمره ثمانون سنة كما في الميزان وسينه مضمومة ويجوز منع صرفه وفتح سينه أيضا كما سيأتي (الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عند التعجب) لرؤية أمر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما في الاذكار للنووي وقال الحليمي من الشافعية لا يكره كسبحان الله لان التسبيح تنزيه لموجد العجائب والصلاة عليه لانه أعظم المخلوقات وأعجبها والشيء بالشيء يذكر وقال قاضيخان لو رأى شيئا جيدا فقال اللهم صل على محمد لان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما ونثرا قال عرفلة أقبل يهتز في غلالته * من ليس يشفي لعاشق عمله فقال كل امرئ تأمله * ألف صلاة على رسول الله

وقلت في مطلع قصيدة ظبي على الصب حين سلم * صلى على المصطفى وسلم

(وقال) سحنون (لا يصلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الا على طريق الاحتساب) أي من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبة (وطلب الثواب) لا للتعجب وغيره كما أمرنا الله به تعظيما له وأما عند الضحك ورؤية مستقذر فقالوا يخشى عليه الكفر وقال العيني لا يؤمر بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله النووي في اذكاره عن بعض الشافعية وأقره عليه (وقال أصبغ) هو أبو عبد الله بن أصبغ بن فرح بن سعيد بن نافع الاموي مولى عمر بن عبد العزيز المصري الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين في قول (عن ابن القاسم) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصري امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفي سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى الامام مالك اثني عشر مرة أنفق في كل مرة ألف دينار (موطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما محمد رسول الله) أي لا تقول فيهما باسم الله وباسم محمد رسول الله لئلا يكون الاهلال في الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على قوة الدماغ الدافعة لاذى البخار فهو نعمة من الله خفية لا يقدر عليها غير الله فيذكر اسمه شكرا له على نعمه دون غيره قال أصبغ (ولو قال بعد ذكر الله) فيهما وصلى الله على محمد (ولم يكن) ذلك (تسمية له مع الله) ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى الله بالصلاة عليه فلا يكره وعن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته أخرج الله عز وجل من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها أخرجه الديلمي في الفردوس بسند لا بأس به وعطس رجل عند ابن عمر فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه ولذا رجح البيهقي استحباب الصلاة عليه عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال الآخرون لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واستدلوا بحديث لا تذكروني في ثلاث مواطن عند العطاس والذبيحة والتعجب وروي بعد تسمية الطعام بدل التعجب أخرجه الديلمي في مسنده

وفيه من اتهم بالوضع وقال الخيضري يستحب لمن تعجب ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره شيخنا وقال أخذته من نص الشافعى رحمه الله تعالى فى قوله أحب ان تكثر الصلاة عليه فى كل الحالات فدخل ذلك فى عمومه وفيه نظر (وقاله أشهب) أى كما قال أصبغ وأشهب هو أبو عمر لقب مسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم العبسى ولد سنة أربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفى سنة ثلاث أو أربع ومائتين بعد الشافعى بثمانية عشر يوما وسنه أربع وستون أخرج له أصحاب السنن وهو أحد فقهاء مصر المالكية حتى فضل على ابن القاسم (قال) اشهب (ولا ينبغى ان يجعل الصلاة فيه) أى فيما ذكر من الذبيحة والعطاس (استنانا) أى سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى الفرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى فى غير طريق وهو خلاف الظاهر والذى عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية عند الذبح وانه سنة أو واجب مفصل فى الفروع (وروى النسائى) وأبو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه (عن أوس بن أوس) الثقفى الصحابى ويقال أوس بن أبى اوس كما فى الاستيعاب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) وليلتها لانه أفضل الاوقات ولما ورد ان الصلاة عليه تعرض عليه فيه والحديث المذكور طرف من حديث أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة واكثروا من الصلاة فيه على فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعنى بليت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء وفيه أحاديث أخر بمعناه وهذا أحد موطن الصلاة عليه (ومن مواطن) استحباب (الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخول المسجد) أى عند ارادة دخوله والخروج منه كما سيصرح به لورود الامر به فى الحديث (وقال ابو اسحق بن شعبان) هو محمد قاسم المصرى وقد تقدم بيانه (وينبغى لمن دخل المسجد ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له كما مر (وان يترحم عليه وعلى آله) أى فيقول اللهم ارحم محمدا وآل محمد وقد تقدم الكلام فى الدعاء له بالرحمة وما فيه (ويبارك عليه وعلى آله) أى يقول اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد أى زد البركة وأدمها لهم كما تقدم شرحه (ويسلم تسليما) أى يقول صل عليه وسلم تسليما فيأتى بالسلام مؤكدا كما ورد الامر به فى الآية الكريمة وتقدم ان النووى كره افراد الصلاة عن السلام (ويقول) بعد الصلاة والسلام وفى الاذكار تقول أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك) وروى النسائى وابن ماجة اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم انى أسألك من فضلك وروى أجرنى من الشيطان وما فى معناه وفيما ذكره النووى زيادة وسيأتى للمصنف ذكرها فى آداب

(وقاله) أى ذكره أيضا (أشهب) وهو ابن عبد العزيز بن داود أبو عمر القيسى المصرى الفقيه روى عن الليث ومالك وطائفة وعنه سحنون وجماعة توفى بعد الشافعى بثمانية عشر يوما وله أربع وستون سنة أخرج له أبو داود والنسائى قال ابن يونس هو أحد فقهاء مصر وذوى رأيها وقال ابن عبد البر كان فقيها حسن الرأى والنظر فضله ابن عبد الحكم على ابن القاسم فى الرأى (قال) أى أشهب (ولا ينبغى ان تجعل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أى فيما ذكر أو فى كل منهما (استنانا) فى نسخة استثناء أى سنة واستحبابا خلافا للشافعى حيث قال لا أكره مع التسمية على الذبيحة ان يقول صلى الله تعالى عليه وسلم على محمد بل أحب ذلك (وروى النسائى) وكذا أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه (عن أوس ابن أوس) ثقفى صحابى سكن دمشق أخرج له أصحاب السنن الاربعة وأحمد فى المسند قال الحلبي وفى الصحابة من اسمه أوس خمسة وأربعون (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) ولفظه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه الصعقة فاكثروا فيه من الصلاة على فان صلاتكم معروضة على قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت أى بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء ورواه أيضا أحمد وابن أبى عاصم والبيهقى والطبرانى وابن خزيمة وصححه النووى فى الاذكار وجاء فى هذا الباب أحاديث كثيرة وفى بعضها تعيين عدد الصلاة بثمانين وفى بعضها بمائة وفى بعضها بالف وكذا ورد أحاديث فى الصلاة عليه ليلة الجمعة (ومن مواطن الصلاة عليه والسلام) أى الجمع بينهما (دخول المسجد) أى بعد تحققه وحصوله أو قصد دخوله ووصوله (قال أبو اسحق ابن شعبان) أى المصرى المالكى (وينبغى لمن دخل المسجد ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم) أى عليه وعلى آله كما فى نسخة (تسليما ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك

المسجد النبوي قيل وينبغي ذكر السلام أيضا وسيأتي ما يصرح به وذلك لان المساجد محل العبادة والثواب والرحمة والمراد بابواب الرحمة أنواعها وفتحها تيسيرها واعطاؤها وعبر بالفتح وابوابها لمناسبته للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى وكذا في قوله (واذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) أي يقول ما قاله بعينه (وجعل موضع رحمتك فضلك) لان من خرج من المسجد يخرج بكسبه ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال الله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وسيأتي بسط الكلام على ذلك والحديث في مسلم الى قوله وترحم وبارك (وقال عمرو بن دينار) هو أبو محمد مولى قيس الامام المكي التابعي توفي سنة ست وعشرين ومائة وله ترجمة في الميزان (في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم الآية) فهذا أحد المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المرء منزله وفي هذه الآية أقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد كما يأتي وفي قوله على أنفسكم وجهان أيضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد به من فيها بجعله كنفسه لاتحاد جنسه وأهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عنده انه أمر بها وكونها مباركة لحصول البركة وسعة الرزق بها وطيبها الذلك وأطيب الانفس بها * (فائدة) * قال الامام الخيضري في اللواء المعلم روى أبو موسى المديني عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الفقر وضيق العيش أو المعاش فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه أحد اولم يكن ثم سلم على ثم اقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى أفاض عليه خيرانه (قال) أي ابن دينار (ان لم يكن في البيت أحد) يسلم عليه (فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) من الملائكة وغيرهم (السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته) كلام المصنف هنا في استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه لانه لم يذكر فيه صلاة وهو مبني على ان المراد بالبيوت المنازل فاما ان يقال ذكره استطرادا أو تتميما لكلام المفسرين فيها أو يقال انه اذا شرع التسليم على أهل كل بيت فبيت الله وأهله أولى ولكن حمل التحية على هذا على الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر لم يقله المفسرون فان التحية عندهم على هذا بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك كذا قيل وهو تكلف لا داعي له (قال ابن عباس) رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن أبي حاتم (المراد بالبيوت هنا) أي في هذه الآية (المساجد) لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة فاذا دخلها سن له الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله (وقال النخعي) بفتح المعجمة نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفي سنة خمس أوست وتسعين لا الاسود بن يزيد الكوفي كما قيل

اذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) أي من الصلاة والدعاء ويروى يقول مثل ذلك (واجعل موضع رحمتك فضلك) وهذا مأخوذ من حديث أحمد وأبي يعلى والترمذي وحسنه عن فاطمة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج قال صلى الله على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وأصله في حديث مسلم ليس فيه ولا في غيره وترحم وبارك ثم لا يخفى مناسبة طلب الرحمة في دخول المسجد للطاعة وملاءمة طلب

الفضل وهو الرزق عند خروجه على وجه الاباحة كما يشير اليه قوله سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله (وقال عمرو بن دينار) هو أبو محمد مولى قيس مكي امام يروي عن ابن عباس وابن عمر وجابر وعنه شعبة وسفيانان وحمادان وهو عالم حجة أخرج له الائمة الستة (في قوله) أي الله سبحانه وتعالى (فاذا دخلتم بيوتا) بضم الباء وكسرها (فسلموا على أنفسكم) أي على أهليكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال) أي ابن دينار وهو من كبار التابعين المكيين وفقهائهم (ان) وفي نسخة فان (لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته) أي لان روحه عليه السلام حاضرة في بيوت أهل الاسلام (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) أي من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين (السلام على أهل البيت) لعله أراد بهم مؤمني الجن (ورحمة الله وبركاته) وظاهر القرآن عموم البيوت لان لاسيما وسابقه بيوتكم وبيوت آبائكم الآية ويؤيده حديث أنس متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (قال ابن عباس) أي في رواية ابن أبي حاتم (المراد بالبيوت هنا المساجد) ولعله أراد انها تشمل المساجد فانها أفضل البيوت كما يشير اليه قوله سبحانه في بيوت اذن الله ان ترفع الآية فالتنوين للتنكير أو أراد ان التنوين للتعظيم فيختص بالمساجد لانها أعلى المشاهد (وقال النخعي) وهو ابراهيم بن يزيد العالم الجليل

(اذا لم يكن في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) لا منع من الجمع بينهما ومن طلحة [illegible] اذا دخل المسجد [illegible] السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) أي الجمع بين السلام والصلاة عليه (ونحوه عن كعب) أي كعب الاحبار (اذا دخل المسجد واذا خرج) أي في الوقتين (ولم يذكر الصلاة) أي كعب بخلاف علقمة (واحتج ابن شعبان لما ذكره) أي فيما ذكره من انه ينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي الخ برواية ذكر (بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد الخ) الذي سبق ثم ذكر فيه ترجمة الأئمة الترمذي وحديثه أخرجه الترمذي في الصلاة وفيه ارسال فاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه ابن

ماجه في الصلاة أيضا (ومثله) أي ومثل حديثها أي مثل حديث علقمة (عن أبي بكر بن عمرو بن حزم) أي الانصاري قاضي المدينة وأميرها يروى عن السائب بن يزيد وغيره وعنه الاوزاعي ونحو أخرج له الأئمة الستة (وذكر) وفي نسخة فذكر (السلام والرحمة وقد ذكرناه هذا الحديث) حديثها (آخر القسم) أي الثاني وفي نسخة في آخر هذا القسم (والاختلاف في لفظه) أي من رواية عنها (ومن مواطن الصلاة عليه أيضا الصلاة على الجنائز وذكر) أي وروى (عن أبي امامة انها من السنة) قال الحلبي أبو امامة هذا الظاهر انه سعد بن سهل ابن حنيف بن واهب بن الحكم بن ثعلبة أبو امامة

الانصاري ولد في زمن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه عليه السلام وكناه وبرك عليه وحديثه مرسل وروى عن عمر وعنه الزهري ويحيى بن سعيد وخلق مات [illegible] ان أبا امامة هذا الظاهر انه سعد فالجواب أن حديثه المشار اليه في مستدرك الحاكم [illegible] عن الزهري أخبرني أبو امامة بن سهل انه أخبره رجال من الصحابة في الصلاة على الجنازة ان يكبر الامام ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويخلص الدعاء في التكبيرات الثلاث ثم يسلم تسليما خفيفا حتى ينصرف والسنة ان يفعل من وراءه مثل ما فعل امامه قال الزهري حدثني بذلك أبو امامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر ذلك قال فذكرت الذي قال أبو امامة [illegible] فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة في صلاة صلاها على الميت مثل الذي حدثنا أبو امامة في شرطهما [illegible] عليه الذهبي ولم يتعقبه وله حديث في سنن النسائي السنة في الصلاة على الجنازة ان يقرأ في التكبيرة الأولى

لان الاول هو المتبادر [illegible] (اذا لم يكن في المسجد أحد) وقت مار رجل (فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم) تحية من عند الله مباركة عليه (واذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وهذا يقتضي استحباب السلام عليه ولم يذكر معه الصلاة عليه وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن الصلاة عليه دخول المنزل والمسجد كما علم (وعن علقمة) بن قيس أو شبل الفقيه كما تقدم (اذا دخلت) [illegible] (المسجد قول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) كما تقدم من [illegible] الداخل المسجد الخارج منه ان يصلي صلى الله عليه وسلم وفي هذه زيادة السلام عليه مع الصلاة تقدم عليها (ونحوه) مروى (عن كعب) الاحبار وقد تقدم بيانه (اذا دخل المسجد واذا خرج) منه (ولم يذكر الصلاة) على النبي صلى الله عليه وسلم وهي مستحبة أيضا (واحتج ابن شعبان لما ذكره) فيما تقدم من استحباب أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما (بحديث فاطمة) الذي تقدم الا انه ليس فيه ترحم وتبرك (بنت النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله) أي مثل حديث [illegible] روى (عن أبي بكر بن عمرو بن حزم) هو محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة وأميرها ولد قبل وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فسماه صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا وقيل انه ولد بنجران [illegible] عاملا عليها من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم في سنة عشر من الهجرة فسماه أبو سليمان وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر أن يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك [illegible] وتوفي سنة عشرين ومائة وأخرج له الستة (وذكر) أي ابن حزم (السلام والرحمة) أي الدعاء بهما (وقد ذكرنا هذا الحديث) يعني حديث فاطمة الزهراء (في آخر القسم) الثاني من هذا الكتاب (و) ذكرنا (الاختلاف في) بعض (ألفاظه) [illegible] وتغاير بعض ألفاظه (ومن مواطنها أيضا) أي الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم التي تستحب فيها (الصلاة على الجنائز) وهي عند الشافعي من أركانها بعد التكبيرة [illegible] بعد الاولى وهو الفاتحة ثم يدعو للميت بعد الثالثة كما بينه الفقهاء وتجزئ الفاتحة بعد غير الاولى (عن أبي امامة) وأسعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن العليم بن ثعلبة الانصاري ولد في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] وبرك عليه ولم يسمع منه وحديثه مرسل وتوفي سنة مائة أخرج له الستة (انها من السنة) انه تستحب في صلاة الجنازة عنده وليست من أركانها

بأم القرآن مخافتة ثم يكبر ثلاثا والتسليم عند الاخيرة ثم اعلم أن التكبيرات عندنا أركان وأما الثناء بعد الاولى والصلاة بعد الثانية والدعاء بعد الثالثة فسنن ولو قرأ الفاتحة بنية الثناء جاز وذكر الدلجي ان الصلاة على النبي عند الشافعي من أركانها ومحلها كما جزم به في المنهاج الكبيرة الثانية لحديث النسائي ومحمد بن نصر المروزي عن أبي امامة بن سهل الصحابي لا أبي امامة الباهلي قال السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبر ثم يقرأ بأم القرآن ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا في التكبيرة الاولى ثم يسلم حديث صحيح صححه الحاكم وحكمه الرفع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن مواطن الصلاة

التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها) أي على عاملها (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الرسائل) أي المكاتيب والوسائل (وما يكتب بعد البسملة) أو الحمدلة لا قبلهما (ولم يكن هذا) أي ابتداء الرسائل بها (في الصدر الاول) أي في زمنه عليه السلام مطلقا أو في زمن أصحابه شائعا فلا ينافي ماذكره الدلجي من انه أول من فعله من الخلفاء أبو بكر بشهادة ما في سيرة الكلاعي أن بني سليم لما ارتدوا كتب الى عامله عليهم طريفة بن حاجر بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله الى طريفة بن حاجر سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأسئله أن يصلي على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد الخ وفي أذكار النووي عن حماد بن سلمة أن مكاتبة المسلمين كانت من فلان الى فلان أما بعد سلام عليك الخ وأصله كتابه عليه السلام الى هرقل عظيم الروم ثم أحدث هذه الزنادقة هذه المكاتبات المبدوءة بالطليقة أي أطال الله بقاءك (وأحدث) بصيغة المجهول أي وابتدع ابتداء الرسائل بها (عند ولاية بني هاشم) أي بني عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وأولهم السفاح (فمضى به عمل الناس في اقطار الارض) أي نواحيها (ومنهم من يختم به) أي بما ذكر من الصلاة عليه السلام (أيضا) مع الابتداء به أو بدونه (الكتب) أي المكاتب

(وقال

وذهب الشافعي في أحد قوليه انها واجبة واستدل بقول أبي امامة لان مراده بالسنة طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم فيشمل الواجب وغيره وقول الصحابي ونحوه من السنة كذا في حكم المرفوع واختلفوا في الصلاة على الآل هنا أيضا فقيل واجبة وقيل سنة وروى المزني انه يحمد الله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات وقيل ان التحميد لا يعرف هنا ويصلي عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند ادخال الميت قبره أيضا فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذي وأبو داود وهذا الحديث رواه الشافعي في الام الا ان في سنده ضعفا كما قاله الخيضري ورواه الحاكم والبيهقي وغيرهما وهذا وجه عند أبي حنيفة وأحمد ومالك (ومن مواطنها) مواطن الصلاة التي يستحب فيها (الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (التي عليها عمل الامة ولم تنكرها) الامة (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له (في الرسائل) جمع رسالة كعصائب وعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذي يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه بما يكتب بين الاخوان كما قيل (وما يكتب بعد البسملة) أي كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب النحت كالحوقلة والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه الثقة وكتابة البسملة سنة في الكتب المقررة في القرآن والسنة لقوله تعالى (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان للكتاب لا فاتحة له كما ذكره المفسرون (ولم يكن هذا) أي ابتداء الكتب بالصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (في الصدر الاول) أي في ابتداء الاسلام وزمن الخلفاء الراشدين فالصدر مستعار للابتداء والاول صفة موضحة ومفسرة له (وأحدث عند ولاية بني هاشم) يعني بني العباس واختلف في أول من كتبه فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقيل هرون الرشيد وأورد عليه ان الكلاعي قال في كتاب الاكتفاء عن الواقدي بسنده ان أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كتب في ردة بني سليم الى طريفة بن حاجر عامله ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى طريفة بن حاجر سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأسأله ان يصلي على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد الى آخره فهذا يدل على ان أول من فعله الصديق الا انه ترك ذلك في زمن بني أمية وفي الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا غفلة عن وروده عن قوله بعد البسملة فانهم أحدثوا ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى عليه وسلم فتصديره بذلك على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم اختلفوا في الصلاة هل تعطف أولا على قولين فمن عطف فظاهر ومن قطعه رآه انشاء وفي عطفه على الخبر كلام طويل في كتب النحو والمعاني (فمضى عليه عمل الناس في أقطار الارض) أي استمر فصار سنة أو بدعة حسنة مستحبة (ومنهم من يختم به أيضا الكتب) أي كما بدأها به فجعل في الاول والآخر لتشمل بركته جميع ما كتبه

(وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب) رواه الطبراني في الاوسط بسند حسن والخطيب في شرف أصحاب الحديث وأبو الشيخ في الثواب وغيرهم (ومن مواطن السلام) أي بانفراده (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلاة) أي في أثنائه (قال) كذا في نسخة أي المصنف (حدثنا أبو القاسم خلف بن ابراهيم

(وقال عليه الصلاة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي) مكتوبا (في ذلك الكتاب) أي المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات كما يتوهم حتى يقال ان تدوين الكتب حدث بعد العصر الاول هو من المغيبات التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ زروق في معنى ذلك يحتمل ان المراد كتب الصلاة وهو أظهر أو قرأ الصلاة المكتوبة وهو أوسع وأرجى انتهى وقال بعضهم انه يشترط في حصول الثواب المذكور ان يتلفظ بالصلاة في حال الكتابة وهو خلاف ظاهر الحديث وكلام العلماء وقال السخاوي في كتابه القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط والخطيب في شرف أصحاب الحديث وأبو الشيخ والمستغفري وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروى من كتب في كتابه صلى الله تعالى على محمد لم تزل الملائكة تستغفر له مادام في كتابه انتهى والمراد باستغفار الملائكة دعاؤهم لبني آدم مطلقا حيث ورد حتى للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاستغفار وقال الله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وكان وجهه انهم لما علموا ما ركب في طبيعة النوع الانساني من الشهوات والمشاغل التي هي من لوازم البشرية يقتضي الاشتغال بغير الله وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يفعلون الا ما يؤمرون واشفقوا عليه ورأوا ان الله لا يؤاخذه بشيء من تبعاته فاعرفه فاني لم أر من نبه عليه وذكروا في ذلك آثارا عن السلف الصالحين ومنامات منها ان الشافعي رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ولم يحاسبني وأكرمني لصلاة صليتها عليه صلى الله عليه وسلم في أول الرسالة وهي اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وصل عليه في الاولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلى عليه أحد من خلقه وقد روى هذا من طرق بالفاظ مختلفة (ومن مواطن السلام عليه صلى الله عليه وسلم) أي الاماكن التي يستحب فيها السلام عليه (تشهد الصلاة) الذي يذكر في آخرها وأطلقه ليشمل الاول والثاني كما مر وأورد في ذلك حديثا رواه البخاري وهو (حدثنا أبو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد) وتقدمت ترجمتها (قالت حدثنا أبو الهيثم) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربري كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخاري كما تقدم قال (حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دكين عمرو بن حماد الحافظ توفي في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومائتين أخرج له الستة وترجمته في الميزان قال (حدثنا الاعمش) سليمان بن مهران وقد تقدم (عن شقيق بن سلمة) الاسدي المخضرم توفي سنة احدى وثمانين كما تقدم (عن عبد الله بن مسعود قال) أي ابن مسعود فهو موقوف له حكم المرفوع وفي نسخة (عن النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرفوع (قال اذا صلى أحدكم) صلاة فرضا أو نفلا (فليقل التحيات) الى آخره والتحية تفعلة من الحياة ومعناها الاحياء والابقاء والملك والبقاء وكل منها صحيح هنا أي كل تحية يحيى بها الملوك والعظماء ثابتة (لله) لا تليق بغيره (والصلوات) أي انواع الدعاء الذي يراد به الثناء وقيل الصلاة المعتادة يعني العبادة (والطيبات) أي جميع كلمات الثناء الطيب لله لا لغيره (السلام عليك أيها النبي) حكاية لما علمه لهم حال حياته ثم استمروا على ذلك بعده وعن ابن مسعود كنا نقوله وهو بين أظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبي

المقرى الخطيب رحمه الله تعالى وغيره) أي من مشايخه المعروفة عنده ولا يضره قول الحلبي لا أعرفه (قال) أي أبو القاسم (حدثتني كريمة) وفي نسخة صحيحة قالوا حدثنا (بنت محمد) وفي نسخة بنت أحمد وقد تقدمت (قالت ثنا) أي حدثنا (أبو الهيثم) أي الكشميهني (ثنا محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا محمد بن اسماعيل) أي الامام البخاري (ثنا أبو نعيم) بالتصغير هو الفضل بن دكين الحافظ روى عن الاعمش وطائفة وعنه البخاري وجماعة (ثنا الاعمش) وهو سليمان ابن مهران (عن شقيق بن سلمة) أي الاسدي مخضرم سمع عمر ومعاذا وقال أدركت سبع سنين من سني الجاهلية وكان من العلماء العاملين أخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن مسعود) وقد رواه أصحاب الكتب الستة وعنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم)

عند الدلجي على أصله السقيم قال ظاهره على انه موقوف عليه وهو في حكم المرفوع (قال اذا صلى أحدكم) أي فرضا أو نفلا فليقل) أي في كل قعدة من صلاته وجوبا (التحيات لله والصلوات والطيبات) أي العبادات القولية والفعلية والمالية كلها لله تعالى السلام عليك أيها النبي

ورحمة الله وبركاته) قال الدلجي وانما قال عليك دون على النبي تبعا للفظه عليه السلام وقت علمهم وعدوله اليه ليخاطبوه اذا كان حيا فلما توفي ذهب بعضهم الى الغيبة بشهادة حديث البخاري عن ابن مسعود كنا نقول السلام عليك وهو بين ظهرانينا ولما قبض قلنا السلام على النبي قلت ان ثبت عنه انه أراد بهذا في الصلاة فهذا مذهبه المختص به اذا جمع الاربعة على ان المصلي يقول أيها النبي وان هذا من خصوصياته عليه السلام اذ لو خاطب مصل أحدا غيره ويقول السلام عليك بطلت صلاته (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها) أي جملة السلام علينا الى آخرها (أصابت) أي السلامة أو كلمة السلام (كل عبد صالح في السماء) من الملائكة (والارض) من الانبياء والاولياء والصالح من يقول باداء حقوق الله وحقوق عباده (هذا) أي وقت اداء الصلاة أو تشهد الصلاة (أحد مواطن ٤٦٨ التسليم عليه وسنته أول التشهد) أي بعد الثناء على الله سبحانه وقيل ان يقول أشهد

(وقد روى مالك) أي في الموطأ (عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه كان يقول ذلك) أي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده واراد أن يسلم) أي ايخرج من صلاته (واستحب مالك في المبسوط) وفي نسخة في المبسوطة (انه يسلم بمثل ذلك) أي استحب فيها ان يقال ما رواه ابن عمر (قبل السلام) أي من صلاته قال الدلجي وليس هذا من مشهور مذهبه (قال محمد بن سلمة أراد) أي مالك (ماجاء عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين   علينا

(ورحمة الله وبركاته) أي كل نعمة وخير كثير لازم ثابت له في كل زمان (السلام علينا) معاشر الامة (وعلى عباد الله الصالحين) من جميع الامم السالفة وملائكة السماء والارض ومن الجن المؤمنين كما قال (فانكم اذا قلتموها) أي قلتم هذه الكلمات وهي السلام علينا الخ (أصابت) أي نالت رحمتها وبركتها (كل عبد) لله (صالح في السماء والارض) لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن هنا علم ان المصلي محسن لنفسه ولجميع خلق الله وان تارك الصلاة ظالم لنفسه ولجميع خلق الله قيل الفصل المعقود لمواطن الصلاة عليه وهو وان لم يقل بوجوبها الا ينكر كونها سنة وأجيب بانه لما ذكر الصلاة شرع في مواطن السلام عليه وقد يقال انه طوى ذكر الصلاة لعلمها مما تقدم (هذا) أي التشهد في الصلاة (أحد مواطن التسليم عليه) اشارة الى ان له مواطن أخر (وسنته) أي استحبابه وفي نسخة سنيته بياء النسبة وهي أولى (أول التشهد) أي قبل ان يقول أشهد أن لا اله الا الله وبعد التحيات لله وفي التشهد وفي كيفيته روايات مفصلة في كتب الفقه (وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك) أي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم) سلام التحليل أي الخروج من الصلاة (واستحب مالك في المبسوط) اسم كتاب له وفي نسخة المبسوطة (أن يسلم بمثل ذلك) المذكور من السلام على النبي الى آخره (قبل السلام) من صلاته وهو فيما قيل خلاف المشهور من مذهبه (قال محمد بن مسلمة) بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام ابن الوليد بن المغيرة توفي سنة ست عشرة ومائتين (أراد ما جاء) مرويا (عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما) أي قبل سلام الخروج (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) وهو خاتمة الصلاة (واستحب أهل العلم ان ينوي الانسان) المصلي اماما او مقتديا أو منفردا (حين سلامه) أي قوله السلام في صلاته (كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة) ونوع (بني آدم) ومؤمني (الجن) وقيل الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون الرد عليه وغيره ينوي به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوي من حضر أو غاب (قال مالك في المجموعة) قيل أراد بها المدونة (وأحب للمأموم اذا سلم امامه أن يقول) قبل أن يسلم هو (السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام

السلام عليكم) أي ورحمة الله (واستحب العلماء ان ينوي الانسان) أي المصلي اماما أو مأموما أو منفردا (حين سلامه) أي من صلاته عن يمينه وفي نسخة عند سلامه (كل عبد) وفي نسخة على كل عبد (صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن) أي ممن حضره فان أصحاب أبي حنيفة على ان الامام ينوي بطرفيه من ثم من الملك والبشر وكذا المقتدي الا انه ينوي امامه أيضا في تسليمة واحدة اذا كان في أحد طرفيه وفيهما اذا كان محاذيا والمنفرد ينوي الملك فقط وذكر الدلجي ان أصحاب الشافعي على ان الامام ينوي بسلامه المقتدين به وهم ينوون بسلامهم الرد عليه وغيره ينوي به من عن يمينه ويساره وهو الرد (وقال مالك رحمه الله في المجموعة وأحب للمأموم اذا سلم امامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام

علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم) قال الدلجي وهذا غريب ليس عن مشهور مذهبه ثم اعلم ان مواطن الصلاة عليه تزيد على أربعين موضعا ولعله سبحانه وتعالى ان وفقني على جمعها اجعلها في رسالة مستقلة مع ما ورد فيها من الادلة

•(فصل)• (في كيفية الصلاة عليه والتسليم) أي بالفاظ وردت عنه عليه الصلاة والسلام وثبتت عند العلماء الاعلام (قال) كذا في نسخة أي المصنف (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي أبو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة فغين معجمة عيسى بن سهل (ثنا أبو عبد الله بن عتاب) بتشديد الفوقية (حدثنا أبو بكر بن واقد) بالقاف المكسورة (وغيره) أي من المشايخ (حدثنا أبو عيسى) المفهوم من كلام الدلجي انه الامام الترمذي وهو الظاهر عند اطلاقه وقال الحلبي هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير (وفاقته الانطاكي ويؤيده قوله ثنا عبيد الله) قال الحلبي هذا عم أبي عيسى الذي قبله وهو عبيد الله ابن يحيى الليثي (ثنا يحيى) هذا هو يحيى ابن يحيى الليثي أحد رواة الموطأ عن مالك (ثنا مالك) وهو الامام (عن عبد الله بن أبي بكر ابن حزم) وفي نسخة أبي بكر ابن عمرو بن حزم روى عنه السفيانان (عن أبيه عن عمرو بن سليم) بالتصغير (الزرقي) بضم الزاي وفتح الراء مخففة فقاف فياء نسبة أنصاري يروي عن أبي قتادة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وعنه الزهري وطائفة (انه قال أخبرني أبو حميد) بالتصغير (الساعدي) منسوب الى بني ساعدة من الانصار خزرجي مدني له صحبة بقي الى حدود ستين (انهم) أي بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم (قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك) وهو مطلق يشمل حال الصلاة وغيرها (قال قولوا) ربما يستدل به على فرضية الصلاة عليه في الصلاة لان الاصل في الامر الوجوب والاجماع على عدم وجوبها في غير الصلاة ولعل الجمهور حملوه على الاستحباب مطلقا الا انها في الصلاة آكد والله أعلم (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم) قيل الآل مقحمة وقيل المراد آل ابراهيم معه والتشبيه من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر لا من الحاق الناقص بالكامل فانه صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل الخلق فالصلاة المطلوبة له من الحق محمولة على الافضل فالمعنى صل عليه صلاة مشهورة كشهرة صلاة الملائكة على ابراهيم لقوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد وقد ورد في بعض طرق الحديث زيادة انك حميد مجيد

علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) واعلم ان عقد الفصل الذي قبل هذا الوجوب الصلاة عليه وعقبه بفصل عقده للمواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد أفرد له الخيضري كتابا مستقلا سماه اللواء المعلم في المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما أتم المصنف رحمه الله تعالى ما قصده شرع في بيان كيفيتها فقال

•(فصل في كيفية)• أي في بيان ألفاظ (الصلاة عليه) وهو لفظ مولد نسبة لكيف اسم الاستفهام لانها من شأنها ان يسأل بها عن مثله (والتسليم) عليه أي كيف يذكر السلام عليه والمراد بيان الهيئة الفاضلة اذ أصلها معلوم وبدأ بحديث رواه في الموطأ وهو قوله (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) وقد تقدم وقوله (بقراءتي عليه) هو أحد طرق الرواية قال (حدثنا القاضي أبو الاصبغ) عيسى ابن سهل صاحب كتاب الاعلام في نوازل الاحكام قال (حدثنا أبو عبد الله بن عتاب) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو بكر بن واقد وغيره) بالقاف وهو معروف قال (حدثنا أبو عيسى) هو عم يحيى بن كثير الذي تقدم بيانه قال (حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى) الليثي أحد رواة الموطأ عن مالك كما تقدم قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن عبد الله ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه) تقدم ترجمته (عن عمرو ابن سليم الزرقي) سليم بضم السين وفتح اللام والزرقي بضم الزاي المعجمة وفتح الراء المهملة قبل القاف وهو الانصاري وترجمته في الميزان (قال أخبرني أبو حميد الساعدي) اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد وهو خزرجي مدني له صحبة أخرج له الستة وأحمد في مسنده وتوفي في حدود الستين (انهم) أي الصحابة (قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك) سألوه عنه بعد ورود الامر به في الآية ان الله وملائكته الى آخره فقال صلى الله عليه وسلم (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) أزواجه أمهات المؤمنين معلومة والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعيلة من ذرأ بمعنى خلق ترك الهمزة في الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى الذر لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل أولاد البنات كما ذكروه مفصلا في كتب الفقه وسؤالهم بكيف المراد به السؤال عن العبارة التي يعبر بها أو باي كيفية تؤدى وقيل عن معناها ولا يخفى ما فيه فانهم لما سمعوا السلام عليه في التشهد وامروا بالصلاة سألوه عما يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم ما لا يخفى فانه أمرهم ان يطلبوا من الله ان يصلي هو عليه فكأنهم قالوا لا نقدر على اداء الصلاة حق الاداء فافعل انت ما يليق به (كما صليت على آل ابراهيم) أي أزواجه وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتقررهم وفي الرواية الآتية المسلسلة اللهم صل على محمد وعلى

(وبارك) وفى رواية اللهم بارك (على محمد) أى أثبت وأدم ما منحته اليه وأنعمته عليه (وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد) أى محمود بذاتك وصفاتك سواء حمدت أولم تحمد على لسان مخلوقاتك أو حامد بكمالاتك على ما أظهرت من آلائك فى مصنوعاتك فهو الحامد والمحمود وسبحانه وتعالى لاتحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وأسنده اليه بنحو قوله فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (مجيد) أى كريم كثير الاحسان عظيم كبير الامتنان والحديث قد أخرجه القاضى من موطأ يحيى بن يحيى كما ترى وقد أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه كلهم عن مالك به فان قيل لم عدل عن اخراجه من الكتب المذكورة فالجواب انه يقع له من الموطأ أعلى لان بينه وبين مالك فيه ستة أشخاص من غير اجازة فى الطريق (وفى رواية مالك) أى فى الموطأ (عن أبى مسعود الانصارى رضى الله تعالى عنه) أى البدرى لنزوله بدرا وقيل لحضوره اياه وأبو مسعود هذا هو عقبة بن عمرو وقد تقدم (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله) أى آل محمد (كما صليت على آل ابراهيم) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا من أشرف آله فتكون الصلاة مضاعفة عليه فى خاله واذا دخل فى الآل يرتفع ما سبق فى التشبيه من الاشكال والله أعلم بالحال واعلم انه استشكل هذا الحديث بناء على القاعدة الاغلبية من ان المشبه يكون أفضل من المشبه به فقيل ان ذلك كان قبل ان يعلم انه أفضل من ابراهيم عليهما السلام وقيل صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضعا عند ربه أو هضما لنفسه أو تأدبا مع جده وقيل سأل صلاة يتخذه بها خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وهذا لا يتم الا بما قيل من انه أراد المشابهة فى أصل الصلاة لا قدرها كما فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وقيل التشبيه وقع فى الصلاة على الآل والكلام تم عند قوله صل على محمد وقوله وعلى آل محمد كلام مستأنف والمعنى وصل على آل محمد كما صليت ويحكى هذا عن الشافعى لكن تكلفه لا يخفى وقيل هو على ظاهره والمراد اجعل لمحمد وآله صلاة كصلاة ابراهيم وآله فالمسؤل مقابلة الجملة بالجملة لان المختار من القول فى الآل انهم جميع الاتباع فيدخل فى آل ابراهيم خلائق لا يحصون من الانبياء كذا ذكره الانطاكى ولا يحتاج الى تفسير الآل بالاتباع لان الانبياء عليهم السلام بعد ابراهيم كلهم من ذريته فانبياء بنى اسرائيل من نسل اسحق ونبينا من نسل اسمعيل فهو صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة آله فآله باعتبار هذا المعنى وما له أعظم والله أعلم (فكمت ... وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد) أى فى جميع الاحوال (مجيد) أى كثير البر والنوال (والسلام كما قد علمتم) بكسر لام مخففة مع فتح أوله أو مشددة مع ضم أوله أى كما عرفتم فى التشهد

آل محمد كما صليت على ابراهيم الخ وآله فيهم أنبياء ورسل فشبه المجموع بالمجموع أو الآل بالآل فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به فكيف شبه صلاة نبينا بصلاة ابراهيم وهو أفضل منه فى السؤال المشهور وقد أجيب عنه باجوبة هذا محصلها وللجلال الدوانى رسالة فيه مشهورة شهرتها تغنى عن ذكرها ويأتى الكلام عليه أيضا قريبا * فان قلت الذى فى الآية الامر بالصلاة عليه فقط من غير تشبيه بابراهيم وآله * قلت لما كان معنى الصلاة الرحمة وهو صلى الله عليه وسلم مرحوم ومنعم عليه فى الدارين باعظم النعم ضم ذلك للصلاة عليه اشارة الى ان المقصود من رحمته رحمة أهل ملته كما يقال لمن يراد عقوبة ولده ارحم هذا الشيخ كما أشار اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم) أى أدم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما أدمت ذلك لابراهيم وآله (فى العالمين انك حميد مجيد) أى رحمة وبركة منتشرة فى جميع الخلق وحميد فعيل من الحمد وهو الثناء الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف والكرم وفعيل فيهما بمعنى فاعل أو مفعول أى أنت فاعل الجميل وواهبه أو أنت المحمود المعظم فكل حمد واكرام لرسلك واتباعهم عائد اليك فانه لاجلك وامتثال أمرك وهو تذييل فى موقع جليل ومما ذكرناه علمت معنى قوله على آل ابراهيم دون ابراهيم فتفطن لهذه الدقائق (وفى رواية مالك) فى الموطأ (عن أبى مسعود الانصارى) الصحابى البدرى (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد) ذكره اشارة الى ان له طرقا كثيرة وانه انما قدم رواية الموطأ لعلو سنده فيها فلا وجه لما قيل انه لا فائدة فى ذكره وهو بعينه ما قبله (والسلام) أى كيفيته ولفظه (كما قد علمتم) فى التشهد كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى سابقا وسيأتى أيضا شرحه فى كلامه وعلمتم بفتح العين وكسر اللام المخففة مبنى للفاعل أو بضمها وتشديد اللام مبنى للمجهول من العلم أو التعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووى وقيل الاول أصح ولفظ الموطأ عن أبى مسعود قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله ان نصلى عليك يارسول الله فكيف نصلى عليك

(وفى رواية كعب بن عجرة) بضم مهملة وسكون جيم وهو من أصحاب الشجرة روى عنه الشعبى وابن سيرين وغيرهما مات سنة احدى وخمسين والحديث رواه الائمة الستة عنه مرفوعا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم) وفى نسخة على آل ابراهيم (وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) أى مبالغ فى المجد والشرف والكرم وعن على كرم الله وجهه اما نحن بنو هاشم فانجاد امجاد أى اشراف كرام (وعن عقبة بن عمرو) أى كما رواه مسلم وغيره عنه مرفوعا (فى حديثه اللهم صل على محمد النبى الامى) أى الذى على أصل خلقته لم يتعلم قراءة ولا كتابة بعد ولادته فيكون ظهور كمال علمه من خوارق عاداته

(وعلى آل محمد) قال الشافعى رحمه الله هم من حرمت عليهم الزكاة قال الدلجى ويؤيده قول الحسن بن على انا آل محمد لا نأكل أو لا يحل لنا الصدقة والاظهر ان المراد جميع أقاربه وأهل بيته وقيل أزواجه وذريته أو جميع أمته ورجحه النووى فى شرح المهذب وقيده القاضى حسين بالاتقياء منهم فى حديث البخارى وربما يقال أمة الاجابة كلهم اتقياء فان أقل التقوى ترك الشرك وقد ورد كل تقى آلى نعم على قدر مراتب التقوى تحصل المشاركة فى المقام الاعلى (وفى رواية أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه اللهم صل على محمد عبدك) أى الاكمل (ورسولك) أى الافضل فالاضافة للتعظيم والتكريم أو للعهد الخارج توهم التعميم وفيه ايماء الى الاعتراف بالعبودية والتحدث بنعمة رسالة الربوبية (وذكر معناه) أى معنى الحديث ومبناه ويروى وذكر بمعناه (وحدثنا القاضى أبو عبد الله التميمى سماعا عليه وأبو على الحسن بن طريف) بفتح مهملة (النحوى) أى المنسوب الى النحو لمهارته فى علمه وشهرته فى فنه (بقراءتى عليه قالا) أى كلاهما (ثنا) أى حدثنا (أبو عبد الله بن سعدون) بفتح سين وضم دال مهملتين ممنوع وقيل مصروف (الفقيه) أى العالم بالفقه (ثنا أبو بكر المطوعى بفتح الواو مشددة) قال ثنا أبو عبد الله الحاكم أى النيسابورى شيخ أهل الحديث فى عصره وصاحب التصانيف فى دهره ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة فى الربيع الاول وطلب من صغره الحديث باعتناء أبيه وخاله فسمع سنة ثلاثين وثلثمائة ورحل الى العراق وهو ابن عشرين وحج ثم جال فى خراسان وما

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (وفى رواية كعب بن عجرة) فى الترمذى بضم العين وسكون الجيم وراء مهملة وهو أبو محمد او أبو عبد الله أو أبو اسحق من بنى سالم بن عوف أو من غيرهم صحابى شهد بيعة الرضوان وتوفى سنة اثنتين أو احدى وخمسين وأخرج له الستة وغيرهم قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمناه وكيف الصلاة عليك قال قولوا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) قال الترمذى حديث كعب بن عجرة حديث حسن صحيح وهذا الحديث أيضا رواه الشيخان عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن كعب بن عجرة قال قلت يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل الخ وهو متفق عليه الا ان لفظ البخارى على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى الموضعين وسقط منه آل فى الموضعين ورواية المصنف رحمه الله تعالى تخالفه (وعن عقبة بن عمرو) عبد الله الانصارى الصحابى توفى بالمدينة سنة احدى وأربعين فى أيام على أو معاوية رضى الله عنهما وكان على كرم الله وجهه استخلفه على الكوفة لما خرج لصفين (فى حديثه) الذى رواه (اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آل محمد) هم المؤمنون من أزواجه وذريته ومن يحرم عليه الصدقة من أقربائه على الراجح وفسر بجميع أمته أيضا كما يأتى فى كلام المصنف وهذا الحديث أخرجه أحمد وابن حبان والدارقطنى والبيهقى ومسلم بدون لفظ النبى الامى (وفى رواية ابن سعيد الخدرى) وهو سعد بن مالك بن سنان كما تقدم (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك) أخرجه الحاكم بسند فى بعض رجاله كلام (وذكر معناه) أى معنى الحديث السابق من قوله كما صليت الى آخره ورواه البخارى أيضا ثم أورده من طريق آخر مسلسل فيه زيادة والمسلسل ما وقع معه أمر من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قول أو فعل ونحوه ووقع مثله قصدا من جميع رواته تبركا بمحاكاته فى حال صدوره كالعد فى اليد هنا وهو قوله (حدثنا القاضى ابو عبد الله التيمى) تقدم بيانه (سماعا عليه) بقراءة غيره عليه (وأبو على الحسن بن طريف النحوى) طريف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وفاء أحد شيوخ المصنف رحمه الله تعالى ولم يذكره فى كتابه الا فى هذا الموضع توفى تاسع ذى الحجة سنة احدى وعشرين وخمس مائة وفيها توفى ابن رشد (بقراءتى عليه قالا حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه) يعرف به كما تقدم فى ذكر الشوق اليه قال (حدثنا أبو بكر المطوعى) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الواو المشددتين وعين مهملة تليها ياء نسبة غلب على المجاهد تطوعا بلا أجرة وهو محمد بن على الغازى النيسابورى قال (حدثنا أبو عبد الله الحاكم) محمد بن

رأى الشهر وسمع من أبي شيخ تقريبا وفي مستدركه أحاديث ضعيفة وموضوعة أيضا لا يخفى بطلانها على من له معرفة بها وقد
وثق جماعة قد ضعفهم هو في مواضع أخر وذكر انه تبين جرحهم بالدليل توفي في صفر سنة خمس وأربعمائة (عن أبي بكر ابن أبي دارم)
بكسر الراء (الحافظ) أي الشيعي التميمي محدث الكوفة سمع ابراهيم بن عبد الله بن القصار وأحمد بن موسى الحمار وغيرهما روى
عنه الحاكم وتكلم فيه وأبو بكر بن مردويه وآخر وكان موصوفا بالحفظ لكن كان يترفض واتهم بالكذب توفي في سنة اثنتين وخمسين
وثلثمائة (عن علي بن أحمد العجلي) بكسر مهملة وسكون جيم (عن حرب) بالموحدة وفي نسخة حارث بالمثلثة (ابن الحسن) وهو
الطحان قال الازدي ليس حديثه بذاك قاله في الميزان قال الحلبي لكن ذكره ابن حبان في ثقاته (عن يحيى بن المساور) بضم الميم وكسر
الواو وقال الذهبي فيه عن جعفر الصادق قال الازدي كذاب عن (عن عمرو بن خالد) هو أبو خالد القرشي مولى بني
هاشم كوفي نزل واسط
يروي عن حبيب بن
ثابت وزيد بن علي وأبي
جعفر الباقر وجماعة
وعنه حجاج بن أرطاة
واسرائيل واسمعيل
ابن أبي عياش وخلق
كذاب له ترجمة قبيحة في
الميزان (عن زيد بن علي
ابن الحسين) أي ابن علي
ابن أبي طالب وهو أبو
الحسين العلوي المدني
أخو محمد الباقر وعبد الله
وعمر وعلي وحسين
روى عن أبيه وأبان بن
عثمان وعروة بن الزبير
وغيرهم وعنه الزهري
وزكريا ابن أبي زائدة
وشعبة وعمرو بن خالد
وخلق ذكره ابن حبان
في الثقات وقال رأى
جماعة من الصحابة استشهد
سنة اثنتين وعشرين
ومائة (عن أبيه علي
أبو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين يروي عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وجمع وعنه بنوه محمد ابراهيم
وزيد وعمر والزهري وأبو الزناد وخلق قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه ثقة مأمون (عن أبيه الحسين عن أبيه علي ابن
أبي طالب قال) أي علي (عدهن) أي الكلمات الآتية فالضمير مبهم مفسر بما بعده (في يدي) وفي نسخة بصيغة التثنية (رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع على انه فاعل عد (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (عدهن في يدي جبريل وقال هكذا)
أي الكلمات المعدودة (نزلت) بتسكين تاء التأنيث وفي نسخة نزلت بهن (من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) وفي نسخة ربنا أي يا ربنا (انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وهذا المقدار تقدم انه صحيح رواه أصحاب الكتب الستة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم وترحم)
بتشديد الحاء على صيغة الدعاء أي اظهر الرحمة الوافية والرأفة الكافية (على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على

عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ الحديث في عصره عرف بابن البيع
صاحب التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلث مائة وتوفي في صفر سنة
خمس وأربعمائة وله ترجمة في الميزان وفي مستدركه أحاديث ضعيفة وموضوعة انتقدت عليه (عن أبي
بكر ابن أبي دارم الحافظ) المسند الشيعي الحاكم أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري التميمي
الكوفي محدث الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفي في المحرم سنة اثنتين أو ست
وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان (عن علي بن أحمد العجلي) هو ممن روى عنه أبو بكر المذكور ولم
يعرف (عن حرب بن الحسن) وفي نسخة ابن الحسين وهو الطحان قال في الميزان ليس حديثه بذاك
وذكره ابن حبان في الثقات (عن يحيى بن المساور) بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب
(عن عمرو بن خالد) أبو خالد القرشي مولى بني هاشم الكوفي روى عنه خلق الا أنه كذاب له قبائح
مذكورة في الميزان (عن زيد بن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب وهو أبو الحسين العلوي المدني أخو
محمد الباقر النسيب الامام الثقة رأى جماعة من الصحابة واستشهد رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين
ومائة (عن أبيه) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال الزهري ما رأيت قريشا أفضل منه توفي سنة
أربع وتسعين وهو امام ثقة جليل أخرج له الستة (عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال) علي
رضي الله تعالى عنه (عدهن في يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة لمقدر أي كلمات تذكر في
التشهد أو صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حال ذكرها يعدها في يدي باشكالها
يشير الى انه حديث مسلسل بالعد في اليد الى جبرائيل تنبيها على حفظها وان لا يترك واحدة منها (وقال
عدهن في يدي جبريل وقال هكذا) أي بهذا العدد (نزلت من عند رب العزة) سبحانه وتعالى والعزة كما
قال الراغب حال يقتضي الامتناع من القهر والغلبة من الارض العزاز وهي الصلبة فرب العزة اما بمعنى
من له العزة وهو مالكها كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله أو من يعطيها من يشاء كما قال الله تعالى
تعز من تشاء وتذل من تشاء وله موقع هنا لاعزازه واكرامه لرسوله (اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد) أي افض عليه وعلى آله رحمتك وانعامك (كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) جعله مشبها
به لشهرته لا لانه أفضل وأعلى كامر (انك حميد مجيد) أي محمود وممجد أو المستحق للثناء والشرف من
أثنيت عليه وشرفته (اللهم بارك على محمد) أي انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى (وعلى آل محمد كما
باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على

ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وفيه انه يدل على جواز الدعاء للانبياء بالرحمة والترحم عليهم كما تقدم (اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) تحنن تفعل من الحنين صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من أسماء الله بمعنى الرؤف المنعم (اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال السيوطي في الجامع الكبير قال الحاكم هكذا بلغنا هذا الحديث واسناده ضعيف وأخرجه الديلمي وابن منده والترمذي وقال العراقي ضعيف جدا وعمرو بن خالد كذاب وضاع وكذا ابن مساور وحرب بن الحسن أورده الازدي في الضعفاء وقال حديثه ليس بذلك وقال ابن حجر في أماليه اعتقادي انه موضوع وفي سنده ثلاث ضعفاء وبعضهم ممن نسب الى الوضع والكذب قلت وجدت له متابعات تجبره وان لم يخل من الضعف ووجدت له طريقا آخر عن أنس في مسنده انتهى قلت ذكر البرهان انه رواه مسندا أيضا فتعدد هذه الطرق يقتضي انه غير موضوع غايته ما يقال فيه انه ضعيف فاعرفه وقد علمت ان الحديث مسلسل وتقدم ان المسلسل ما توارد رواته على حالة واحدة أو وصفة في اسناده أو صيغ أدائه ومن قوله وترحم يرد قول ابن العربي ان زيادة الترحم في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدعة وقال الصيدلاني انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفي الترحم معنى التكلف ولا يصح اطلاقه على الله ويأتي رده وفي الاذكار زيادة ارحم محمدا بدعة لا أصل لها وقال ابن أبي زيد المالكي وبعض المالكية يستحب زيادة ارحم محمدا في التشهد ويأتي نقله عنه في كلام المصنف مع رده وفي شرح مسلم الاختيار تركه ان لم يأت في خبر صحيح وقال السخاوي من زاده رآه من فضائل الاعمال ويأتي فيه الحديث الضعيف وقال أبو جعفر والسرخسي من الحنفية باستحبابه لتوارث العمل به ورحمه الله لا يستغني أحد عنها وذهب كثير الى انه لا يدعى للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالرحمة وفي شرح البخاري لابن حجر انه غير مسلم لوروده في أحاديث كثيرة ففي التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابي له صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحمني وارحم محمدا وتقريره له وفي حديث ابن عباس أسألك رحمة من عندك وفي الحديث عنه استغفرك لذنبي وأسألك رحمتك ويا حي يا قيوم برحمتك أستغيث وفي الذخيرة من كتب الحنفية كراهته وجزم الغزالي بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص وانه كغيره يدعى له بالرحمة أقول هذا كلام مضطرب وتحريره ان يقال دعاؤه لنفسه بالرحمة لا منع منه أصلا وأما دعاء غيره له فيما لم يؤثر فعلى الافراد مكروه وبالتبع للصلاة ونحوها لا كراهة فيه وهذا هو الحق عندي ثم ان الصاغاني نقل في العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت ترحيما وفي الحديث ما يرده وخص ابراهيم عليه السلام بالتشبيه قال البغوي عن مقاتل لانه أفضل الانبياء بعد نبينا ومكافأة له على دعائه لامة محمد بقوله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين أو لمشاركته على دعائه لامة محمد في التأذين للحج والايمان أو أمر بذلك اجابة لدعائه بقوله اجعل لي لسان صدق في الآخرين ولانه أمر بالاقتداء وأما التشبيه له والمشبه دون المشبه به فقد أجيب عنه بانه قاله قبل أن يعلم انه أفضل منه أو لسبق زمانه واشتهاره لا لعلو رتبته وقيل المشبه آل محمد وفيه تحقيقات في رسالة الجلال الدواني وفي الدر المنضود لشيخ مشايخنا ابن حجر ان التشبيه لمجموع بالمجموع فمن الانبياء من آل ابراهيم كثيرون فاذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من ابراهيم وآله بالصفات الكثيرة التي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم امكن انتفاء التفاضل ويقرب منه قول ابن عساكر وابن عبد السلام ما حاصله ان الصلاة على النبي والمشبهة بالصلاة على ابراهيم وآله يحصل لنبينا وآله من آثار الرضوان ما يقارب الحاصل لابراهيم وآله الذين هم معظم الانبياء ثم قسم الجملة فلا يحصل لآله

ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن) أى أظهر الحنان وهو على ما في القاموس كسحاب والرحمة الرزق والبركة والوقار والهيبة ورقة القلب والحنان كشداد من أسمائه سبحانه وتعالى ومعناه الذي يقبل على من أعرض عنه فلا يبعد أن يقال المعنى على قصد التجريد في المبنى اللهم وأقبل (على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال الحلبي هذا الحديث مسلسل وقد رويته عن غير واحد مسلسلا وقال الدلجي ما أورده المصنف هنا عن أبي عبد الله الحاكم فقد قال النميري اسناده ذاهب وفيه عمرو بن خالد الواسطي وهو متروك لوضعه على أهل البيت وفيه حرب بن الحسين الطائي ويحيى بن المساور وهما مجهولان قلت غايته ان الحديث ضعيف وقد اجمع العلماء على انه يعمل به في فضائل الاعمال

(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي برواية أبي داود عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره) أي أعجبه (أمان يكتال) بفتح الياء وروى بضمها أن يأخذ الاجر الاعلى (بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت) بالنصب على المدح أو بتقدير يعني وفي نسخة بالجر على انه بدل من الضمير في علينا (فليقل) أي في صلاته أو في جميع حالاته (اللهم صل على محمد النبي) أي الموصوف بالرسالة (وأزواجه أمهات المؤمنين) ايماء الى قوله تعالى وأزواجه أمهاتهم (وذريته) أي أولاده وحفدته (وأهل بيته) أي أقاربه وهو تعميم بعد تخصيص مشيرا الى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (كما صليت على ابراهيم) أي بقولك رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ولهذا اختتم بقوله (انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) وهو الخزرجي الحارثي المتكلم بعد الموت على الصحيح وقيل هو أبوه وذلك وهم لانه قتل يوم أحد وهذا تكلم في زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال ابن منده شهد بدرا والحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عنه (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا) أي الصلاة بشرائطها وأركانها وسننها (واجتهدوا في الدعاء) أي بعد التحريمة وفي الركوع والسجود وفي آخر الصلاة (ثم قولوا) أي وقولوا وعبر بثم للترقي أو للتراخي في الاخبار ولا يبعد ان يراد بالاجتهاد في الدعاء المبالغة في الثناء بالتحيات الواردة عن سيد الانبياء ثم قولوا بعد السلام المندرج في ضمن التحيات قبل السلام الصارف عن الصلاة (اللهم بارك) أي أكثر الصلاة والرحمة (على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) لم

وفي الحديث دليل على انه يجوز الاكتفاء بهذا اللفظ الوارد وان كان ما سبق أفضل وأكمل فتأمل (وعن سلامة الكندي) بكسر الكاف ذكره ابن حبان في الثقات (كان علي رضي الله تعالى عنه يعلمنا) وفي رواية يعلم الناس (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لداخل الصلاة وخارجها وهو موقوف وقد صح سنده قال الدلجي لكن أعل وان صح سنده بان روايته عنه مرسلة اذ لم يدركه انتهى وهو مردود بما ذكره ابن حبان انه روى عن علي وروى عنه نوح بن قيس الطاحي انتهى ومثل هذا لا يقال في الارسال ثم رأيت قال الشيخ ابن كثير في تفسيره روينا من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن الحباب ويزيد بن هرون ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس

منها ما حصل لآل ابراهيم اذ غير الانبياء لا يساويهم شيء فتوفر ما بقي من آثار الرضوان الشاملة لمحمد وآله على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يشعر بانه أفضل من ابراهيم انتهى واعترض بانه جاء في رواية مقابلة الاسم بالاسم فقط ولفظها اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انتهى (وعن أبي هريرة) في حديث رواه أبو داود وغيره (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت) أي من أحب ان يأتي بأحسن صلاة وأعظمها أو من أراد ان ينال أجرا لا يساويه فيه غيره فالاكتيال عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة أو شبه الاجر بما يشترى من الحبوب والتمر وشبهه ذكره أو مثله له بالاكتيال له لاستيفائه على طريقة المكنية والتخييلية والاجر ظاهر وارادته في قوة المذكور ووجه الشبه انه به البقاء والمكيال بكسر الميم آلة الكيل والاوفى أفعل التفضيل من الوفاء وهو استيفاء الشيء وحيازته والمراد الترغيب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته بهذه العبارة المخصوصة (فليقل) اذا صلى عليهم (اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) ففضل هذه الصلاة لما فيها من شمول آل بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التي هي أقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه بما يحبه وذكر الصلاة على أبيه ابراهيم والايمان به وبغيره من الانبياء وهذا الحديث صحيح أخرجه أبو داود والطبراني وغيرهما كما علمت (وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه بعد موته وهذا أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وأبو نعيم والنسائي والطحاوي والبغوي (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك) هذه الجملة معمولة لسألت لتضمنه القول أو لقول مقدر (فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء) المراد به الصلاة وعبر به تفننا أو المراد الدعاء لانفسهم بما يريدون واجتهدوا أي بالغوا في ذلك بالاتيان بجهدكم وطاقتكم (ثم قولوا) بعد الصلاة عليه وعلى آله وأزواجه وذريته (اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم ما يغني عن اعادته (وعن سلامة الكندي) هو سلامة بن قيصر الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وانه يروي عن علي كرم الله وجهه (كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي رواية يعلم الناس ويقول قولوا وفي الدر المنضود ان ذلك جاء عن علي بسند ضعيف وله طرق أخر رجالها رجال الصحيح الا انها مرسلة لان راويها

(اللهم داحى المدحوات) بتشديد الواو وفى رواية المدحيات بتشديد التحتية فيهما اسم مفعول من دحا يدحو ويدحى أى يا باسط المبسوطات كالارض اذ خلقها ربوة ثم دحاها اى بسطها ومدها مد الاديم قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها والى الارض كيف سطحت وفى الآيتين رد على أهل الهيئة القائلة بغير هذه الكيفية من الكرة المخالفة للادلة النقلية بمجرد التوهمات العقلية (وبارئ المسموكات) من برأ الشئ أى خلقه بريئا من التفاوت قال تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وفى قراءة من تفوت أى نقصان وزيادة وقصور فى مادة أى خالق المرفوعات من سمكه اذا رفعه كالسموات فانها مرتفعة عن السفليات مسيرة خمسمائة عام كما ثبت فى الروايات وروى يا سامك المسموكات أى رافعها وما أحسن المناسبة بين الفقرتين فان معنى الاولى واضعها وخافضها كما قال تعالى والارض وضعها للانام وفى العبارة ترق فى الكلام وفيه ايماء الى انه سبحانه وتعالى يرفع قوما ويضع آخرين كما تقتضيه اسماؤه الجمالية وصفاته الجلالية (اجعل شرائف صلواتك) أى خيارها وارفعها قدرا واعمها نورا وقيل للاعمش لم لم تستكثر من الرواية عن الشعبى فقال كان يحقرنى كنت آتى مع ابراهيم النخعى فيرحب به ويقول لى اقعد ثمه أيها العبد ثم يقول

لا يرفع العبد فوق سنته * ما دام فينا بارضنا شرف

ولعله كان يعمل بما روى نزل الناس على قدر منازلهم فلا يكون تحقيرا له (ونوامى بركاتك) أى الاضافة فيهما وفيما قبلها من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف أى بركاتك النامية الزاكية الدائمة فى الزيادة الكافية (الوافية ورأفة تحيتك) أى اجعل رأفة تنشأ من تحيتك والرأفة أشد الرحمة وفى نسخة تحننك بتاء فوقية فمهملة فنونين أى رحمتك ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا أى واجعل أشد تعطفك وترحمك (على محمد عبدك ورسولك) أى الجامع لوظيفة العبودية والقيام بحق الربوبية (الفاتح لما أغلق) بصيغة المجهول أى المبين لمشكلات الامور قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فهو فاتح لما عسر من أبواب كنوز المبرات واسباب رموز المسرات اذ قد فتح باقامة الحجة واشاعة المحجة أبواب الهداية واسباب الرعاية المانعة عن الوقوع فى الغواية وفى الحديث أوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض وكأنه أراد ما سهله الله تعالى له ولامته من فتح البلاد واخراج كنوزها للعباد وفى حديث آخر أوتيت مفاتيح الكلام أى ما منحه الله تعالى من البلاغة والبراعة والفصاحة والنصاحة بالوصول الى حقائق المبانى ودقائق المعانى مما اغلق على غيره من الخلق أجمعين (والخاتم) بكسر التاء وفتحها (لما سبق) أى من النبيين والمرسلين وفيه تلويح الى قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولا يبعد ان يراد بالفاتح الاسناد المجازى مشيرا الى انه الذى افتتح به الموجودات وابتدئ به الكائنات كما قال أول ما خلق روحى أو نورى أو لانه كالعلة الغائية فى ظهور المراتب الاسمائية كما ورد لولاك لما خلقت الافلاك وكما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو الاكمل فى مقام العبادة وحالة العبودية

ليدرك عليا (اللهم داحى المدحوات) وروى المدحيات ودحى بمعنى بسط قال الله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أى مدها وبسطها لانها خلقت أولا ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات الاراضى السبع وفيه اطلاق الداحى على الله تعالى واستدل به من قال الاسماء ليست توقيفية وانه يكفى ورود مادتها كدحى (وبارئ) بالهمز اسم فاعل من برأ بمعنى خلق على غير مثال أى ميز وأبرز (المسموكات) بمعنى المرفوعات والمراد بها السموات وروى سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعد ولازم (اجعل شرائف صلواتك) أى أفضل صلواتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار من الشرف واصله ما علا من الارض على غيره (ونوامى بركاتك) الى ما زاد غير النهاية من خيراتك أى بركاتك النامية فهى من اضافة الصفة لموصوفها (ورأفة تحننك) أى لطفك ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية (على محمد عبدك) قدمه لشرف العبودية على غيرها ابدا لانتهائها الى القرب (ورسولك) الذى ارسلته لجميع خلقك (الفاتح لما أغلق) بضم الهمزة وكسر اللام مبنى لما لم يسم فاعله من أغلق الباب والقفل ونحوه اذا قفله وهو ضد الفتح هذا حقيقته ويستعار لما صعب واشكل وابهم فالمعنى انه فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لارساله بعد الفترة الجاهلية أو انه فتح الله به على عباده أنواع الخيرات وأبواب السعادات الدنيوية والاخروية أو بين لامته ما أوحى اليه بتفسيره وتيسيره وايضاحه وفك قيد اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتفسير ما به أول الناس خلقا وآخرهم بعثا كما فسر به جعلك فاتحا خاتما كما قيل بعيد هنا كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله عليه السلام أوتيت مفاتيح الكلام لما أوضحه ببراعته وبلاغته ويجوز ان يراد به ما فتح الله به عليه وعلى أمته من تيسير الفتوحات وتسخير الممالك كما فى قوله أوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض (والخاتم لما سبق) من النبوة

والرسالة فانه لانبى ولا رسول يرسل بعده ولا فى عهده وعيسى اذا نزل كان على شريعته ومن أمته والخضر
والياس ان قيل بنبوتهما بعد بعثته من أمته أيضا ولا حاجة لتفسير ماسبق بالانبياء والرسل وجعل
مابعنى من (والمعان) اسم فاعل بمعنى المظهر من الاعلان وهو الجهر (الحق) بالنصب مفعول المعان
والجر باضافته له وليس منصوبا بنزع الخافض أى (بالحق) أى بالامر الحق لا بالقهر والغلبة والمراد
بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير أو الحق الثانى المراد به الله عز وجل فانه من
اسمائه أى بمعونة الله وتأييده (والدامغ) أى الدافع والمزيل ومنه حجة دامغة وهو مستعار من دمغه
اذا كسر دماغه كما قاله الراغب قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (لجيشات الاباطيل)
جمع جيشة وهى المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق على خلاف
القياس أو جمع مفرد مقدر أى الدافع لما ظهر من الباطل وشاع ففيه استعارة وتمثيل لما ظهر من
الكفر والفساد بامر علا وألقى عليه صخرة رضته وألصقته تراب الذلة وتفسير الجيشات بالاجناد لا ينبغى
وقيل الاباطيل جمع ابطولة أو ابطيلة أو ابطالة ولم يسمع (كما حمل) بضم الحاء المهملة وكسر الميم المشددة
مبنى للمجهول (فاضطلع) بضاد معجمة وطاء مهملة بمعنى قوى على حمله ونهض به لشدة تحمله عليه
وقيامه باعبائه وهو افتعال من الضلاعة وهى القوة وأصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه وجوز
أن يكون للتعليل وان تكون بمعنى على والاول أولى واظهر فهو متعلق بما قبله أو خبر مبتدأ مقدر أى
هذه الحالة المذكورة ثابتة له كما ثبت له تحمله اثقال الرسالة واعباءها فقام بها أتم قيام أو صلى وسلم عليه
لقيامه بذلك أو فعل به هذا جزاء له على ذلك (بامرك) أى قام بها بسبب أمرك امتثالا له لا لغرض آخر
والمراد بامره تيسيره واعانته وقوله (بطاعتك) بدل مما قبله أو متعلق به لامره بطاعتك فامتثله وأدى
ما كلفته به وفى نسخة لطاعتك باللام (مستوفزا) حال من الضمير فى حمل أو اضطلع والاستيفاز الوثوب
والانتصاب من قعود والمراد به التقيد وعدم الاهمال أى مسرعا مستعجلا فى الاتيان بما أمرته به جادا
غير متوان ومنه قولهم القيته على أوفاز أى على عجلة جمع وفز ومن العجيب ما قيل انه اسم مكان بزنة
المفعول يشير به الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام وتأخر عنه جبريل وفيه خبط لا يخفى على
عادته (فى مرضاتك) مصدر ميمى بمعنى الرضى وفى ظرفية ويجوز كونها بمعنى لام التعليل كما فى حديث
دخلت امرأة النار فى هرة وفى بعض النسخ (بغير نكل فى قدم ولا وهن فى عزم) أى لا جبن يطر وعليه فى
اقدامه ولا ضعف فى عزيمته ويروى واهيا بالمثناة التحتية (واعيا) أى حافظا ضابطا (لوحيك) الذى
أوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله من الاعباء وما تقيه من المشاق فى تبليغه الرسالة ومنه اذن واعية وأصل

(والمعان الحق) بالجر على الاضافة وبالنصب على المفعولية بنزع الخافض أى المظهر لامر الحق (بالحق) أى بطريق الصدق وليس
المراد به ما بمعنى واحد حتى يصح للدلجى ان يقول وضعه موضع ضميره قصد الزيادة تمكنه وتلويحا بانه صلى الله عليه وسلم لا يعلن
الا به نعم يمكن ان يراد بالحق اسمه تعالى فالمعنى انه مظهر للحق بمعاونة الحق ايماء الى مقام الجمع من ملاحظة فنائه وبقائه (والدامغ
لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهى المرة من جاش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل على غير قياس وفى نسخة الاباطل بلا ياء وأصل
الدمغ اصابة الدماغ ومنه ... والمراد به هنا الدفع ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق أى القامع
لظهورها والدافع لشرورها (كما حمل) بضم الحاء وتشديد الميم المكسورة وهو خبر مبتدأ محذوف أى هذه الحال
من وصفه صلى الله تعالى
عليه وسلم بما ذكر من
الكمال مثل حال وصفه
بما حمله من اعباء الرسالة
واثقال النبوة (فاضطلع)
بالضاد المعجمة افتعال
من الضلاعة وهى القوة
ومنها الاضطلاع أى
فقوى على ما حمله ونهض
(بامرك) أى باذنك
وتيسيرك واعانتك
اياه عليه وتوفيقك له
أو فقام بأمورك الذى
كلفته حمله (لطاعتك)
أى لاجلها أو ممتثلا لها
وفى نسخة صحيحة
بطاعتك فالباء للسببية
فتشارك اللام فى معناها
(مستوفزا) بكسر الفاء
بعدها زاى أى منتصبا
ناهضا أو قائما مستعجلا
(فى مرضاتك) أى اطلب
ما فيه رضاك أو فى تحصيل
مرضاتك وزاد الدلجى فى
أصله بغير نكل فى قدم
بضم نون وسكون كاف
وكسر قاف وسكون داله من نكل
به اذا جعله عبرة لغيره ومنه قوله تعالى فجعلناها نكالا والمعنى بغير جبن فى اقدام ولا وهن فى عزم أى ولا ضعف فى أمر حزم وحكم حتم
وجزم وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لابى بكر متى توتر قال أول الليل وقال لعمر متى توتر قال آخر الليل فقال لابى
بكر أخذت بالحزم ولعمر أخذت بالعزم ولا خير فى عزم بلا حزم وأما قول المصنف (واعيا لوحيك) فهو من وعى يعى وعيا اذا حفظ
وفهم ومنه قوله تعالى اذن واعية ويقال للاناء الوعاء لحفظه ما فيه من نحو الماء أى مراعيا لما أوحيته اليه وفاهما لما بينته لديه صلى الله
تعالى عليه وسلم

(حافظا لعهدك) أى الذى عاهدك عليه من الايمان بالوهيتك والاقرار بوحدانيتك والاخلاص فى عبوديتك والقيام بحق رسالتك وفى هذا تلويح الى قوله عليه الصلاة والسلام وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أى مقيم عليهما ومتمسك بهما مدة استطاعتى حالتى وحالة طاقتى لعجزى عن بلوغ كنه ما أوجبته على من اطاعتى فى عبادتى وطاعتى أو عن دفع ما قضيته على فى سابق قضائك أى ان كنت قضيت على ان انقض العهد وقتاما فانى أتنصل منه معتذرا اليك (ماضيا) أى جاريا ومستمرا أو مقدما (على نفاذ أمرك) بالذال المعجمة أى على امضائه ترغيبا اليك وترهيبا لما لديك (حتى أورى قبسا) من أوريت الزند اذا قدحته فاخرجت ناره والقبس بفتحتين ما اقتبس أى أخذ من النار فهو شعلة منها ومنه قوله تعالى ٤٧٧ بشهاب قبس واستعير النار هنا للنور والحق ... لما قبلها أى لم يزل مجاهدا فى ابلاغ ما أمر به مرغبا فى موافقته مرهبا من مخالفته حتى أظهر دينا بينا كالقبس نورا نيرا (القابس) أى الطالب النور الموجب للحضور والسرور (آلاء الله) بالرفع مبتدأ أى نعمه (تصل باهله أسبابه) بالنصب أى وسائله التى قدرها وذرائعه التى قررها وفى اللوح المحفوظ حررها وفى أصل الدلجى لقابس آلاء الله بالاضافة أى لمبتغى سوابغ نعمه ومواهب كرمه تصل باهله أى باهل القبس يعنى بالمبتغين له أسبابه بالرفع أى وسائله الموصلة اليه من العناية وتوفيق الهداية من البداية الى النهاية بما به الفوز أبدا معاشا ومعادا

(به) أى به عليه الصلاة والسلام (هدية القلوب) بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة الفاعل أى قلوب أهل السلام من بين الانام فانقادت مذعنة ... (بعد خوضات الفتن والآثام) أى بعد دخول القلوب فى ميدان فتن الايام وشروعها فى مهاوى المعاصى والآثام (و...) عين وبين (موضحات الاعلام) وسقط فى أصل الدلجى لفظ وانهج فقال موضحات متعلق بهديت والاصل الى موضحات ... او أوصل الفعل أقول وعلى تقدير صحة تركه وأنهج لا يبعد أن يقال المعنى حال كون تلك القلوب مبينات أعلام الغيوب ... كى هو بفتح الضاد على بناء المفعول أى فاصبحت القلوب بما رزقت من الهداية به عليه الصلاة والسلام منشورات الاعلام انتهى ولا يخفى ان ما قدمنا أولى وأنسب بقوله

الوعى جعل الشئ فى وعاء قال * والشر خبث ما أوعيت من زاد * وحفظه شامل للعمل به (حافظا لعهدك) أى متمسك ومداوم على ما عهدته عليه من الايمان بك والاخلاص فى طاعتك وامتثال أمرك ونهيك كما قال صلى الله عليه وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت (ماضيا) أى مجتهدا مستمرا على امضاء ما عهدته وأنزلته مداوما (على نفاذ أمرك) بذال معجمة من أنفذ كذا اذا أمضاه وبلغ أقصاه (حتى أورى قبس القابس) الايراء قدح الزناد لخروج النار شررا توقد منه والقبس ما يتناول من الشعلة قال الله تعالى (أو آتيكم بشهاب قبس) والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهتدى به الناس وفى المثل ما كل قادح زنده يورى أى لم يزل صلى الله عليه وسلم مجاهدا قائما على الحق حتى أظهره أبلج نيرا فاهتدى بنوره من كان فى ظلمات الجهالة وقوله لقابس أى لقابل وطالب نور الحق والهداية التى هى من (آلاء الله) بالمد جمع الى وفيه لغات بكسر الهمزة وبفتحها وبالتنوين فيهما والخامسة الى بكسر فسكون فتنوين ومعناها النعم الالهية والسعادة الابدية فى الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم (تصل باهله أسبابه) الجملة صفة قبس أى ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من أهله الذين أهلهم الله تعالى له ووفقهم لقبوله ونور بصائرهم بانواره والسبب تقدم ان معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة ووصلة (به) أى بذلك القبس الذى أوراه فرآه من رآه وقيل الضمير له صلى الله عليه وسلم (هديت) بالبناء للفاعل والمفعول (القلوب) الضالة عن طريق الحق فى ظلمة الجهل (بعد خوضات الفتن والاثم) جمع خوضة بمعجمتين وهى المرة من الخوض وهو الدخول فى الماء ويستعار للشروع والدخول فى كل أمر يذم والاثم الذنب والفتن جمع فتنة وهى ما يفتتن به المرء ويطلق على الكفر وبه فسر قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل) وهو المراد هنا بعد كفرهم وارتكابهم الآثام (وانهج موضحات الاعلام) وقع فى النسخ هنا اختلاف فسقط من أكثرها لفظ انهج فموضحات بفتح الضاد اسم مفعول لهديت بنزع الخافض أى الى موضحات الاعلام وهو حال من القلوب والاعلام جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر وهو ضمير القلوب أى هى ظاهرة أدلة هدايتها وجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو الكشف والبيان أى صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات الاعلام أو ناشرة لها فالعلم بمعنى اللواء استعارة لما ذكر ومن أثبت انهج ... فهو بالنون من النهج بمعنى أوضح وبين وسهل وقوم كما ذكره ابن القوطية كما فى بعض الشروح و... ابهج بالباء الموحدة من البهجة أى انار واشرق وهذا ساقط من خط المصنف كما

(ونائرات الاحكام) من نار لازما بمعنى ظهر أى واضحاتها وبيناتها وقول الحلبى نائرات بالنون أوله ومثناة تحتية بعد الالف محمول على ماقبل الاعلال والافيقرأ بالهمزة فلا اشكال (ومنيرات الاسلام) من أنار متعديا أى ومظهرات أحكامه ورافعات أعلامه (فهو) بضم الهاء واسكانها لغتان مشهورتان وقراءتان متواترتان والضمير راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (أمينك المأمون) أى حافظ دينك وعهدك الذى ائتمنته عليه وفوضت أمر بيانه اليه (وخازن علمك المخزون) أى وسائر مااستودعته من اسرار الربوبية التى تعجز عن ادراكها عامة أرباب العبودية كما قيل صدور الاحرار قبور الاسرار (وشهيدك) أى الشاهد عندك للانبياء والاصفياء وعلى أممهم الاشقياء (يوم الدين) أى يوم الجزاء وفصل القضاء قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقيل المراد بالاشارة الى هؤلاء أمته من العلماء والاولياء وهم شهداء على أمم سائر الانبياء ويدل عليه قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ولا منع من الجمع بين الشهادة للاصل والفرع (وبعيثك) أى مبعوثك الذى بعثته أى أرسلته (نعمة) أى للمؤمنين أى هداية ودلالة للكافرين (ورسولك بالحق) أى الى الخلق (رحمة) أى للعالمين لمن آمن فى الدنيا والاخرى ولمن كفر فى الدنيا لا فى العقبى (اللهم افسح له) أى وسع لاجله المقام الاعلى (فى عدنك) أى فى جنة عدنك ودار كرامتك فعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة من عدن بالمكان اذا أقام به ولم يبرح منه سمى بها جنته العلاقة الظرفية قيل عدن اسم جنة من جملة الجنان فهو فى الجنان كآدم فى نوع الانسان والصحيح انه اسم لجملة الجنان فكلها جنات عدن قال تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب وقال جنات عدن يدخلونها وقال ومساكن طيبة فى جنات عدن وجنان عدن التى وعدتهم والاشتقاق أيضا يدل على انه أعم والله أعلم ويروى فى عدنك ولعله بكسر العين وتخفيف الدال بمعنى وعدك أى فى موضعه ومحله (واجزه) بهمزة وصل فسكون جيم فزاى مكسورة ومنه قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وهذا هو الاصل المطابق للرواية الموافق للدراية وكانه تصحف عن الدلجى حيث لم يذكره هذا

قاله التلمسانى * فان قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ انهج فالمعنى ظاهر لان مآله الى انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ماهداهم الله له من أحكام الشريعة الظاهرة ولما يظهر الاسلام ويؤيده من نصرة الاسلام باليد واللسان واما على النسخة الاخرى التى فيها ابهج بمعناه ففيه تحصيل الحاصل لان مآلها اظهار الظاهر والمظهر * قلت على هذه الرواية انه ظاهر فى نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم واظهاره اشاعته وانتشاره الى أن يصل الى أقصى الارض فتدين له الجبابرة والملوك (ونائرات الاحكام) جمع نائرة اسم فاعل من النور والضياء من نار لازم بمعنى ظهر واتضح والاحكام أحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وفى القاموس نار نورا وأنار واستنار ونور وتنور وانتهى (ومنيرات الاسلام) من أنار المتعدى والاسلام بمعنى الدين أو الاستسلام والانقياد لامر الله تعالى (فهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (أمينك) على وحيك واسرار ملكك وملكوتك التى أطلعته عليها (المأمون) الذى ارتضيته لحفظ اسرارك أو خلقته حفيظا عليها كما أشار اليه بقوله (وخازن علمك المخزون) فى خزائن ملكوتك وكنوز عرشك حتى أنزلته له وأمنته عليه دون غيره وامرته بايصاله لمن يليق له الاطلاع عليه (وشهيدك) فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة فارتضاه للشهادة على الانبياء وأممهم أى تصديقهم على تبليغهم لهم كما قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم (يوم الدين) أى القيامة والجزاء بما يعلمه الله (وبعيثك) فعيل بمعنى مفعول أى مبعوثك ورسولك الذى بعثته وأرسلته لتبليغ أوامرك ونواهيك (نعمة) مفعول لاجله أى بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين (ورسولك) الذى أرسلته للناس كافة خاتما للنبوة والرسالة (بالحق) متعلق برسول أى أرسلته بالدين الحق الثابت فى نفس الامر (رحمة) عامة لجميع خلقك وهو منصوب بمفعول له أيضا فهو رحمة فى الدنيا والآخرة لمن آمن به وفى الدنيا لمن كفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد يحصل لبعضهم رحمة فى الآخرة بتخفيف عذابه أيضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة هنا بان يقال النعمة ماحصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هدايتهم بسببه التى كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال لئلا يكون تكرارا (وأفسح له فى عدنك) الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة ومعناها دار للاقامة والخلود من عدن بمعنى أقام وهو اسم للجنة مطلقا ولها أسماء أخر ويكون اسما لجنة مخصوصة أيضا عرفها لهم والمراد بالدعاء له بالفسحة طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل أمر مستحسن ولذا قالوا احسن المنازل ماسافر فيه النظر والافسعة الجنة معلومة قيل روى عدلك باللام أى معدلتك وجزائك له بما يليق به (واجزه

مضاعفات

الوجه الوجيه وقال يجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاى من أجازه اذا أعطاه انتهى ولا يوجد فى القاموس هذا المعنى ثم قال ويجوز ان يكون بوصل وجيم مضمومة وراء اى اعطه أجره وفيه انه لا يتعدى الى مفعولين ويجوز فى مضارعه الكسر والضم ويجوز قطع همزه ممدودا مع كسر جيمه يقال آجره يأجره ويأجره جزاء كآجره فيرجع الى المعنى الاول فتأمل ثم رأيت الحلبى قال فى النسخة المذكورة بفتح الهمزة ثم جيم ساكنة ثم بالزاى المكسورة والصواب بوصل الهمزة انتهى وبه تبين خطأ الانطاكى حيث قال هو بهمزة مفتوحة مقطوعة وقوله (مضاعفات الخير) أى أنواع الخير المضاعفة اضعافا كثيرة (من فضلك) اذ لا يجب عليك شئ من عندك (مهنئات) بكسر النون المشددة وفى نسخة بفتحها وهو حال من مضاعفات من هنأنى الطعام يهنأنى اذا ساغ بلا تنقيص وكل ما أتاك بلا تعب كذا ذكره الدلجى وهو توهم انه من الثلاثى المجرد وليس كذلك بل هو من باب التفعل (غير مكدرات) بكسر الدال المشددة وفتحها صفة لمهنئات أى غير منقصات (من فوزنوابك) بالزاى أى من أجل الظفر باجرك (المحلول) أى الذى يحل فيه وفسر بالمنزول وتصحف الفوز على الدلجى فقال من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة أى من سريع فضلك الذى لا بطء فيه (وجزيل عطائك) أى كثيره (المعلول) مأخوذ من العلل بفتحتين وهو الشرب ثانيا بعد النهل بفتحتين وهو الشرب أولا وقد وهم الدلجى حيث قال فى الاول بفتحات ثلاث وفى الثانى بثلاث فتحات والمعنى عطاؤك المضاعف تعل به عبادك مرة بعد أخرى فشبه وافر عطائه بمنهل عذب يرده العطاش ومنه قول كعب بن زهير رضى الله عنه * كأنه منهل بالراح معلول (اللهم اعل) بفتح الهمزة وكسر اللام أمر من الاعلاء وفى نسخة عل بفتح العين وتشديد اللام المكسورة أمر من التعلية أى ارفع (على بناء الناس) وفى رواية على بناء البانين جمع بان اسم فاعل من بنى يبنى بناء بالكسر (بناءه) والمعنى ارفع على عمل العاملين عمله أو على منازلهم فى الجنة منزله أو أعل بناء دينه على بناء أديان سائر الناس فيكون ايماء الى قوله تعالى ليظهره على الدين كله أى ليعليه ويغلبه وفى نسخة بالمثلثة المفتوحة فى الموضعين بدل الموحدة المكسورة وقال الدلجى أو أطل على ذواتهم ذاته حتى لا يطوله أحد بشهادة قول سليمان عليه السلام من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون يعنى من قتل انسانا ظلما من حيث ان أصل البناء ضم شئ الى شئ وهو اجزاء خلقها الله مضموما بعضها الى بعض مركبة فشبه بالبناء لذلك انتهى ولا يخفى ان هذا الدعاء انما يناسب فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان لا يكتنفه طويلا لان الاطالة مع انه كان ربعة الى طول أقرب فى سائر أحواله المناسب الى التوسط فى اعتداله اللهم الا ان

مضاعفات الخير من فضلك) المعنى اعطه من انعامك وفضلك ما تضاعفه له من الخيرات الاخروية مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وهو ظاهر الا انه اختلف فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاى معجمة فقيل انه بهمزة وصل وجيم ساكنة من الجزاء فانه ثلاثى وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاى ساكنة من الجائزة وهى العطية وقال السخاوى فى القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة وجيم ساكنة وزاى مكسورة من الجزاء كما ضبط فى بعض نسخ الشفاء والصواب كما وجد فى بعض الاصول المعتمد بها وصل الهمزة لان فعله ثلاثى كما قال الله تعالى وجزاهم بما صبروا انتهى أقول ان صحت الرواية بما ذكره أولا فتوجيهه انه من الاجزاء بمعنى الكفاية أبدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كادم والمعنى اكفه عن سؤالك لما كلفته به من القيام باعباء رسالتك والضعف المثل فازاد وليس بمحصور كما حققه أهل اللغة وقوله من فضلك اشارة الى ان الثواب تفضل من الله تعالى لانه لا يجب عليه شئ خلافا للمعتزلة كما بينه المتكلمون (مهنئات له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع مهنأة بتشديد النون والهمزة اسم مفعول من الهنئ وهو السائغ وكل ما اتى من غير تنغيص وتعب وهو حال من مضاعفات (غير مكدرات) أى منغصات وهو حال أيضا أو صفة لهنات مؤكدة (من فوز) بفاء وزاى معجمة عند الاكثر وهو الظفر بنيل البغية وقيل انه براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل اهنؤ البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت (نوابك) الثواب العطاء فى مقابلة عمل (المحلول) بحاء مهملة اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه اذا نزل أى الكائن فى الجنة أو الذى أوصلته له فصار صفة حالة فيه وقيل معناه المستوجب بفتح الجيم أى الذى استوجبه واستحقه من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف وفى رواية المضنون بدل المحلول أى الذى يضن به لنفاسته (وجزيل) اى كثير عظيم (عطائك) أى احسانك وانعامك (المعلول) أى المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى ويقابله النهل وهو الشرب مرة قال كعب * كأنه منهل بالراح معلول * فشبه عطاءه بمنهل عذب يرده العطاش كما تريد مرارا فهو استعارة والمراد انه كثير لا ينقطع (اللهم اعل) بقطع الهمزة (على بناء الناس) بموحدة ونون وروى بدل الناس البانين جمع بان (بناءه) بموحدة ونون أى اجعله عاليا رفيعا أى اجعل مقامه فى الجنة فوق كل مقام أو اجعل مقداره أرفع من كل مقدار

يقال المراد باطالة ذاته بقاء جسده الشريف بعد مماته على ما كان عليه مدة حياته فان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء عليهم السلام و بالائمة قوله (وأكرم مثواه لديك) أى منزله ومأواه عندك (ونزله) بضمتين و يسكن الزاى أى أجره وثوابه و جزاءه وهو فى الاصل الطعام المهيأ للضيف (وأتم) بتشديد الميم المفتوحة وفى نسخة واتمم (له نوره) أى الذى سألك ان تجعله فى قلبه و بصره وسمعه وعن يمينه وعن شماله ليتجلى بانوار المعارف و يتجلى باسرار العوارف وفى الحديث تلميح الى قوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا (وأجره) بفتح الهمزة وسكون الجيم فراء أى جزاء الذى يوجب سروره قال الحلبى الاجر معروف وهو منصوب بمعطوف على ماقبله من قوله نوره والمفهوم من قول الدلجى واجره الجزاء الاوفى انه تصحف عليه الراء بالزاى وانه جعله أمرا معطوفا على أكرم أوأتم وكأنه تبع الحجازى فى قوله و يروى واجزه بهمزة وصل من الجزاء (من انبعاثك) مصدر من باب الانفعال من البعث أى من بعثك اياه وفى نسخة من الافتعال والجار متعلق باكرم وهو انسب أو باتم وهو أقرب والمعنى لاجل اقامتك اياه من قبره (له مقبول الشهادة) أى تزكية لامته اذا شهدوا للانبياء انهم قد بلغوا أممهم الرسالة بعدما جحدوا تبليغهم أى اياهم يوم القيامة ونصبه على الحال من ضميرله أوعلى المفعولية وكذا قوله (مرضى المقالة) أى مقبول الشفاعة (ذا منطق عدل) فمصدر سمى به فوضع موضع عادل مبالغة فى جعل منطقه عدلا أى ذا منطق مستقيم وذا كلام قويم ووهم الدلجى حيث قال مبالغة فى جعل نفسه عدلا فانه لوأريد به هذا المعنى لنصب عدل فى المبنى كمالا يخفى (وخطة فصل) أى وذا خطة فصل والخطة بضم المعجمة وتشديد المهملة الامر والحال والقصة والفصل القطع أوالفرق أو بمعنى الفاصل أى ذا حالة رشد وهداية واستقامة والمعنى اذا ألم به خطب عظيم وأمر مشكل جسيم فصله برأى قويم وفى حديث الحديبية لايسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها (وبرهان عظيم) أى وذا دليل واضح و بيان قاطع عظيم فى ميدان البيان بحيث يصير الشئ الغائب كالامر العيان (وعنه) أى وعن على كرم الله وجهه (أيضا فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى جملة ألفاظها الواردة عنه كرم الله وجهه (ان الله وملائكته يصلون على النبى) أى فنحن أولى بذلك (الآية) يعنى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما يعنى لاسيما وقد أمرنا بذلك تصريحا بعدما أشير اليه تلويحا فيجب علينا اداء اجابته والقيام بحق اطاعته بان نقول

أوذاته أشرف من جميع الذوات لان الذوات بنساء الله كما ورد فى الحديث وصحح فى بعض النسخ ثناء الناس وثناه بمثلثة أى اجعل مدحه والثناء عليه فوق ما يثنى به الناس عليه فانهم لا يقدرون على اداء حق الاداء (وأكرم مثواه لديك) أى اجعل مقامه عندك كريما أى حسنا مرضيا من ثوى بالمكان اذا أقام به (ونزله) بضم النون وسكون الزاى المعجمة ويجوز ضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد به ثوابه وأجره وحسن استعارته هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم (وأتم له نوره) أى اجعل النور الذى أودعته فيه تاما كاملا فيكون فى سائر جهاته وحواسه وقلبه كما ورد فى دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى سائر جهاتى نورا (واجزه) فيه ما تقدم من الضبط قريبا (من انبعاثك) افتعال من البعث بموحدة ومثلثة أى بعثك له بالنبوة والرسالة فقوله (له) متعلق به وليست اللام تعليلية متعلقة باجزه كما قيل أى كافئه على ما قام به من أمور الرسالة (مقبول الشهادة) أى شهادته فى المحشر للانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم (ومرضى المقالة) أى ما يقوله ثمة من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قول (ذا منطق عدل) مصدر ميمى بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال أيضا والمراد به ما يقول بعد الشفاعة من حمده تعالى بمحامد لا تضاهى (وخطة فصل) بتقدير مضاف أى وذا خطة وهى بضم الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وهى الامر والشان والفصل الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيامة (وبرهان عظيم) أى دليل نبوته ورسالته القوى القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب القاموس فى كتابه المسمى بالصلات والبشر فى الصلاة على خير البشر مع ما فيه من الزيادات واختلاف الروايات وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد وزاد أبو بكر بن أبى شيبة فى روايته فيها بمجهول اللهم اجعلنا سامعين مطيعين وأولياء مخلصين ورفقاء مصاحبين اللهم ابلغه منا السلام واردد عليه منا السلام (وعنه) أى عن على كرم الله وجهه (أيضا فى) كيفية (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لكن قال الحافظ السخاوى انه لم يقف على أصله انه صلى الله عليه وسلم قال (ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) أى وتلا الآية الآمرة بذلك الى آخرها لتقع صلاته بعدها امتثالا

لامر

لامر الله فى قوله عقبها (لبيك اللهم ربى وسعديك) أى اجابة بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد فى طاعتك وامتثال أوامرك والتثنية فيهما لمجرد التكرار وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل فى كتب النحو (صلوات الله البر الرحيم) أى المنعم المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف اللطيف بعباده وهو من أسمائه تعالى ولم يسمع بار لان البر أبلغ منه وصلوات (والملائكة المقربين) كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم (والنبيين والصديقين) المبالغين فى الصدق والاخلاص من أشراف المؤمنين الصالحين (والشهداء والصالحين) لكل خير القائمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل أو مفعول وهو من قتل مجاهدا فى سبيل الله لاعلاء كلمته تعالى ومن الحق بهم كالمبطون والغريق ونحوهما سمى به لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة أو لانه حى فكانه شاهد حاضر او لان ملائكة الرحمة تشهده أو لقيامه بشهادة الحق أو لشهوده ما أعد له من الكرامة حين قتل (ما سبح لك من شئ) ما مصدرية ومن زائدة وهو للتأبيد أى صلوات هؤلاء دائمة مستمرة مدة تسبيح الاشياء لك وان من شئ الا يسبح بحمده وهذا على ما وقع بدون واو وفى قوله تعالى ما سبح الى آخره وفى نسخة وما سبح فما موصولة معطوفة على الاسم ومن بيانية أى وصلوات الله وصلوات كل شئ سبحك (يا رب العالمين) أى جميع المخلوقات فهو شامل للعقلاء وغيرهم تغليبا كما حقق فى كتب التفسير (على محمد بن عبد الله) متعلق بمقدر خبر لصلوات الله (خاتم النبيين) أى آخرهم بعثة (وسيد المرسلين) أى أفضلهم وأشرفهم وأضاف خاتم للنبيين متابعة لما فى القرآن وسيد المرسلين تفننا واطلاق السيد عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأما قوله لا تسمونى سيدا فأول بلا تصفونى بسيادة كسيادتكم أو هو تواضع منه وورد اطلاقه على الله أيضا بمعنى المالك كما فصلناه فى غير هذا المحل (وامام المتقين) الذين يقتدون به فى العلم والعمل (ورسول رب العالمين) الى الخلق أجمعين (الشاهد) على الانبياء بانهم بلغوا أممهم وعلى أممهم بما بلغوهم يوم القيامة كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم تحقيقه (البشير) للمؤمنين بسعادة الدارين (الداعى اليك) أى الذى دعا الخلق الى طاعة الله تعالى وتوحيده (باذنك) أى بامرك اذ بدعوتهم أو بتيسيرك وتسهيلك (السراج المنير) شبه به بذلك لازالته ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المؤمنين بنور هدايته وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة ولان ذاته صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل كما مر (وعليه السلام) أى السلامة من كل وصمة ونقص (وعن ابن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقى فى كيفية أخرى للصلاة عليه (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك) المراد بجعلها انزالها ولذا عداه

(لبيك) أى أقمنا مرة بعد أخرى بخدمتك ودمنا بحضرتك (اللهم) أى يا الله أمنا برحمتك واقصدنا بمنتك ونعمتك (ربى) أى يا ربى (وسعديك) أى ساعدنا بعبادتك مساعدة بعد مساعدة فى طاعتك (صلوات الله البر) بفتح الموحدة وتشديد الراء وهو أبلغ من البار ولذا لم يرد فى أسمائه ومعناه كثير البر بعباده المؤمنين من أولى البر وفى الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة أى عليكم مشفقة كالوالدة البرة بولدها البار يعنى ان منها خلقكم وفيها معاشكم ومنها بعد الموت معادكم وقد قيل البر بر باهله وقال تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وأما البحر فانه يغرق أهله ولا يفرق حزنه وسهله وقد ورد البحر من جهنم رواه الحاكم والبيهقى عن يعلى بن أمية (الرحيم) أى كثير الرحمة بالمؤمنين وكبير العناية بالمحسنين (والملائكة المقربين) أى وصلواتهم (والنبيين) وهم اعم من المرسلين (والصديقين) أى العلماء العاملين (والشهداء والصالحين) أى القائمين بحقوق الله تعالى وبحقوق الخلق أجمعين (وما سبح لك من شئ) أى وصلوات جميع الاشياء فهذا تعميم بعد تخصيص كقوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فما موصولة معطوفة على ما قبلها ومن بيانية لها وفى نسخة بدون العاطفة فما مصدرية ومن زائدة أى صلواتهم دائمة مستمرة مدة تسبيح شئ لك أى مادام يسبحك شئ (يا رب العالمين) أى مربيهم ومدبر أمورهم (على محمد بن عبد الله خاتم النبيين) بكسر التاء وفتحها (وسيد المرسلين) لكونهم تحت لوائه يوم الدين (وامام المتقين) أى من أرباب اليقين (ورسول رب العالمين) أى الى كافة الخلق أجمعين (الشاهد) أى للانبياء (البشير) للاولياء (الداعى اليك باذنك) أى بامرك وتيسيرك (السراج المنير) أى من أبصر بنوره ذو العماية واستبصر بظهوره ذو الغواية (وعليه السلام) أى مما يغشى غيره من الملام وسوء المنام ومن دعائه عليه الصلاة والسلام اذا دخل رمضان اللهم سلمنى من رمضان وسلمه لى وسلمنى منه أى لا يغشانى فيه ما يحول بينى وبين صومه وسلمه لى أى حذرا من ان يغم على الهلال أوله وآخره فيلتبس على صوم او فطر اوسلمنى منه أى بعصمتى فيه (وعن عبد الله بن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الايمان (اللهم اجعل صلواتك) أى أجناسها (وبركاتك) أى أنواعها (ورحمتك) أى الخاصة

(على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) أى الكثير على الامة (ورسول الرحمة) أى على الكافة (اللهم ابعثه مقاما) نصبه على الظرفية أى مقاما عظيما وهو المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون بالشفاعة الكبرى والصغرى لقوله عليه الصلاة والسلام هو المقام الذى أشفع فيه لامتى ولا يبعد ان يراد بأمته جماعته المحتاجة الى شفاعته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لاملجأ ولامنجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا معنى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (يغبطه) بكسر الموحدة أى يتمنى مثل مقامه (فيه الاولون والآخرون) وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط أى يخبط ورقها دون قطعها والمقصود ان الغابط كالخابط ينتفع بالمغبوط والمخبوط من غير ان يحصل هنالك ضرر لاحدهما (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) أى من الانبياء من ذريته (انك حميد مجيد) وقد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه (وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من أراد أن يشرب بالكأس الاوفى) أى بالحظ الاعلى (من حوض المصطفى) أى من بحر شرعه المرتضى فى الدنيا ومن نهر كوثره فى العقبى (فليقل) أى دائما أو كثيرا بالقلب الاصفى (اللهم صل على محمد وعلى آله) أى من يؤل اليه أمره ويعظم لديه قدره وهو يحتمل التعميم والتخصيص ويروى وعلى آل محمد (وأصحابه) أى من أدرك جمال صحبته وتشرف برؤية طلعته (وأولاده) أى الشاملة لبناته واحفاده (وأزواجه) أى زوجاته وسرياته (وذريته) ولو كان بواسطة كثيرة فى نسبته (وأهل بيته) أى المتناول لمواليه وخدمه (واصهاره) أى من بينه وبينه مصاهرة كالشيخين والختنين (وانصاره) أى من المهاجرين والانصار (واشياعه) أى اتباعه من أهل القرى والامصار

بعلى فقال (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد) بالجر بدل مما قبله (عبدك ورسولك) قدم وصفه بالعبودية لشرفها بالاختصاص وتقدمها (امام الخير) أى امام الاخيار أو المقتدى به فى كل خير (ورسول الرحمة) أى الذى أرسل رحمة للعالمين وقد ورد فى حديث مسلم أنا نبى الرحمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا) يحمده فيه جميع الانبياء وسائر الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا ومقاما منصوب على الظرفية بابعثه بمعنى أقمه وفسر بعضهم البعث بالاحياء والتنكير للتعظيم (يغبطه فيه الاولون والآخرون) أى يتمنون نيل مثله من غير زوال له وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور بما رأوه فقط وهو اللائق بمقام الرسل والكمل فان منهم من تمنى مقام غيره الذى خصه الله تعالى به كأنه يقول هلا ساويته فى مقامه وفيه اعتراض خفى ولذا لما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط فأشار الى انه فيه ضرر ليس كضرر تمنى الزوال فان الخبط يقطع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم بيانه (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من أراد ان يشرب بالكأس الاوفى) أراد به اناء فيه ما يرويه ويزيد من الوفى وهو الكثرة وفى القاموس وفى واوفى ونمى وكثر فهو وفى ووافى وهو المراد ورده الزبيدى فى لحن العوام بانهم يقولون درهم واف اذا كان يزيد فى وزنه وقال أبو بكر الوافى الذى لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذى وفى بزنته انتهى (من حوض المصطفى) الذى يسقى منه العطاش يوم القيامة وهل هو الكوثر أو غيره فيه ما فيه (فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته) بضم المعجمة وقد تكسر كما مر نسل الانسان من ذكر وأنثى وقد يخص بالنساء والاطفال ومنه ذرارى المشركين من الذرء وهو الخلق ولكثرتها أسقط الهمزة وقيل من ذر فرق أو من الذر لانهم خلقوا أولا مثل الذر وهو النمل الصغير وعليهما فلا أصل له فى الهمز ويدخل فيهم أولاد البنات اتفاقا على ما قاله ابن الحاجب لكن رد بان مذهب أبى حنيفة انهم لا يدخلون وهو رواية عن أحمد نعم أجمعوا على دخول أولاد بنات فاطمة فى ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية لهم لشرف هذا الاصل العظيم والجد الكريم وبين الازواج والآل عموم وخصوص من وجه وبين الذرية والآل عموم وخصوص مطلق (وأهل بيته واصهاره وانصاره وأشياعه) أى اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على حدة ويقع على الواحد المذكر وغيره وغلب بعد ذلك على طائفة ادعت

(ومحبيه) أى من العلماء الاخيار والصلحاء الابرار (وأمته) أى الداخلين فيهم المؤمنون المذنبون (وعلينا معهم أجمعين يا أرحم
الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس) فى رواية عبد بن حميد وعبد الرزاق بسند جيد واسمعيل القاضى فى فضل

تفضيل على كرم الله وجهه على غيره كما سيأتى بيانه فى محله (ومحبيه) المراد بهم من بلغت محبته منه
محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله (وأمته) من عطف العام على
الخاص ليشمل جميع الامة (وعلينا) يعنى المتكلم ومن يختص به (معهم أجمعين يا أرحم الراحمين)
والتعميم فى هذا الدعاء وتفصيله تفصيلا انما كان جزاء من صلى عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له بهذا
الدعاء من جنس عمله بان يكون مشربه أوفى (وعن طاوس) هو الامام أبى عبد الرحمن بن كيسان كما
تقدم (عن ابن عباس انه كان يقول) اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم (اللهم تقبل شفاعة محمد
الكبرى) يوم القيامة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم اشفع تشفع وقال الكبرى لان له صلى الله عليه وسلم
شفاعات عدة بلغها النووى خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل القضاء لا لاخراج عصاة
المؤمنين من النار كما قيل * فان قلت شفاعته مقبولة فما فائدة الدعاء له بهذا * قلت هذا أمرنا به
تعبدا لنيل الثواب وان كان أمرا محققا كما فى قوله (وارفع درجته العليا) مرتبته فى جنات النعيم
والمراد بهذا كله تعظيمه (وآته) أى اعطه وأنعم عليه (سؤله) فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز أى
مسؤله ومطلوبه وما يحبه ويبتغيه (فى الآخرة والاولى) أى الدنيا وسميت أولى لتقدمها على الآخرة
ومطلوبه فى الآخرة درجات قربه ونجاة أمته وفى الدنيا اعلاء كلمة الله ونصره ونصر أمته وسعة
ملكهم وان لا يسلط عليهم أعداءهم ولا يستأصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد فى الحديث
(كما آتيت ابراهيم وموسى) فان قلت الفصل معقود لبيان كيفية الصلاة وليس فى هذا ذكرها
* قلت المراد بالصلاة الدعاء وهو دعاء فيه تعظيم وثناء عليه بما يليق به (وعن وهيب) بالتصغير (ابن
الورد) ويقال ابن أبى الورد المخزومى المكى الزاهد الثقة مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه
وكنيته أبو عثمان روى عن عطاء مرسلا وغيره وروى عنه كثير وأخرج له مسلم وأصحاب السنن وله
أحاديث ومواعظ توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وفى بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف الاول (انه
كان يقول فى دعائه) له صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه) أى أجب دعاءه
بما أحبه لنفسه (وأعط محمدا أفضل ما سألك له) أى لاجله (أحد من خلقك) واستجب دعائهم له
(واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له الى يوم القيامة) تعميم بعد تعميم (وعن ابن مسعود) رواه عن ابن
ماجه والبيهقى والديلمى والدارقطنى وتمام فى فوائده (انه كان يقول اذا صليتم على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه) أى اقصدوا أحسنها وقولوه (فانكم لا تدرون) انها تبلغه أم لا
(لعل ذلك) الدعاء والصلاة (يعرض عليه) وتبلغه صلاتكم عليه فينبغى ان يتحرى الاحسن حتى
يسر صلى الله عليه وسلم بما يبلغه منه قيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه صلى الله عليه وسلم
وسئل ابن حجر هل الافضل والاحسن فى الصلاة عليه ان يقول صلى الله على محمد أو على سيدنا
محمد بصفة السيادة فأجاب بان اتباع الآثار الواردة أرجح لا يقال لعله تركه تواضعا منه كما لم يكن يقول
عند ذكر اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك جاء عن الصحابة
والتابعين ولم يرو عنهم الا فى حديث ضعيف فى الشفاء عن ابن مسعود وذكر الشافعية انه لو حلف
أحد أن يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل صلاة فبر بان يقول اللهم صل على محمد كلما
ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون وقال النووى رحمه الله أفضله ما فى التشهد والحاصل انه
لم يرد ذكر سيدنا عن أحد من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفى عليهم والخير كله فى الاتباع انتهى وهذا
قريب من مسئلة أصولية وهى ان سلوك الادب أحسن أو الاتباع والامتثال ورجح الثانى وقيل انه

الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ابن عباس (انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) أى العظمى وهى التى يفصل القضاء بين أهل الموقف بما يستحقون من الجزاء (وارفع درجته العليا) أى مرتبته العالية ومنزلته الغالية (وآته سؤله) أى اعطه مسؤله (فى الآخرة والاولى) أى الدنيا وسميت أولى لتقدمها على الاخرى (وعن وهيب) بالتصغير وفى نسخة وهب (ابن الورد) وهو عبد الوهاب المكى الزاهد روى عن حميد بن قيس وجماعة وعنه عبد الرزاق وطائفة ثقة حجة (انه قال يقول فى دعائه اللهم اعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه) أى من الخيرات (واعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك) أى من المقامات (واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له الى يوم القيامة) أى من الكرامات (وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) أى فى رواية ابن
ماجه والبيهقى والديلمى والدارقطنى وتمام فى فوائده انه كان يقول اذا صليتم على النبى عليه الصلاة والسلام فاحسنوا
الصلاة عليه) أى فى المبنى والمعنى (فانكم لا تدرون) أى ما يترتب عليه هنالك (لعل ذلك) أى اذا قبل (يعرض عليه) أى يبلغ اليه

(وقولوا) أى مثلا (اللهم اجعل صلواتك) أى انواع دعواتك العامة (ورحمتك وبركاتك) أى الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) أى لنفسه (وقائد الخير) أى لغيره (ورسول الرحمة) أى لجميع الامة فانه كاشف الغمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما بارکت على ابراهيم) زيد فى نسخة فى العالمين (انك حميد مجيد) وقد سبق ان هذه الجملة الاخيرة من أصح أنواع الصلوات مما ورد فيه الروايات (وما يؤثر) أى ما يروى (من تطويل الصلاة) وفى نسخة فى تطويل الصلاة (وتكثير الثناء على أهل البيت) قال الحجازى ويروى عن أهل البيت وهو الملائم لقوله (وغيرهم) أى من اصحابه وأزواجه وأتباعه واشياعه (كثير) أى يطول ذكره ويحتاج الى مؤلف مستقل حصره (وقوله) أى وقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه موقوفا أو مرفوعا (والسلام كما قد علمتم) أى بالوجهين المتقدمين (هو ما علمهم فى التشهد من قوله السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفى تشهد على رضى الله تعالى عنه) هذا غير معروف سنده (السلام على نبى الله السلام على أنبياء الله ورسله) تعميم بعد تخصيص (السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم) السلام أى بالموت (وغيره ومن شهد) أى حضر عنده (اللهم اغفر لمحمد) وسيأتى الكلام على غفرانه عليه الصلاة والسلام (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته) أى من أزواجه وذريته (واغفر لى ولوالدى وما ولدا وارحمهما) سيأتى تحقيقه (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

هو الادب كما مر ٢ وقوله (وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك) الى قوله (انك حميد مجيد) تقدم بيانه بما يغنى عن اعادته الا انه قيل انه بيان للحسن الذى ذكره ابن مسعود وارشاد لما أمر به من الاحسان فى الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه ما هو أحسن منه وانه هو الظاهر وفيه نظر (وما يؤثر) بالبناء للمجهول أى ينقل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وما اسم موصول مبتدأ خبره كثير الآتى (من تطويل الصلاة وتكثير الثناء على أهل البيت وغيرهم) من الصحابة وتفضيلهم كما مر (كثير) فى الآثار المروية عن السلف حتى أفرد بتأليف من أحسنها القول البديع للسخاوى المتقدم ذكره (وقوله) فى الحديث المتقدم فى التشهد (والسلام كما علمتم) يعنى فى تشهد الصلاة فى قوله السلام عليك أيها النبى الخ وهو اشارة الى تفسير ما سبق فى رواية مالك عن ابن مسعود لما سألوه كيف نصلى عليك آخره الى هنا وهو اشارة الى ما علمهم من التشهد وقوله علمتم بالبناء للمجهول وبتشديد اللام أو بالبناء للفاعل وتخفيف اللام كما تقدم والمعنى ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا علموا الكن ما بعده يقتضى الاول أعنى قوله (هو ما علمهم فى التشهد من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) تقدم تفسيره (وفى تشهد على) رضى الله عنه وتقدم ان التشهد روى عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وهذا لم نر من رواه عن على (السلام على نبى الله السلام على انبياء الله ورسله) قدمه لبيان شرفه وتفضيله عليهم (السلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم قيل أخر وصفه بالرسالة اشارة الى تاخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام (السلام على محمد بن عبد الله) كرر السلام عليه باسمه ونسبه تأكيدا (السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد) أى حضر (اللهم اغفر لمحمد) سيأتى بيان الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لى ولوالدى) بالتشديد مضاف لياء المتكلم (وما ولدا) زاده ليشمل اقرباءه المسلمين وحواشى نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا هو الذى قاله فكيف يدعو لوالديه وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهى أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وتوفيت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قميصه واضطجع فى قبرها وقال جزاك الله من أم خير الاجزاء بته صلى الله عليه وسلم وأحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبرى فى الرياض النضرة وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم فى قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر كما صرح به فى الحديث وأبو طالب مات كافرا وادعاء بعض الشيعة انه أسلم لا أصل له وقد نهى عن الاستغفار للمشركين كما فى الآية الكريمة انتهى وأجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه آدم وحوى ولا يخفى بعده وقيل المراد تعليم من يدعو من المؤمنين ان يقوله وهو أقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاد فيه ألفا وانما هو ولدى يعنى الحسن والحسين وأولادهما ليس بشئ وكذا ان كان من كلامه صلى الله عليه وسلم أو هو بناء على اسلام أبويه على ما ارتضاه السهيلى وسيأتى بيانه (وارحمهما) فيه ما تقدم (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

---

٢ وقيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه وسيأتى نسخه

(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وفيه اشكال حيث دعا بالمغفرة لوالديه وما ولدا والرحمة لهما مع ثبوت موت أبيه وبعض اخوته كافرين قال الدلجي ولعل الناسخ زاد الالف سهوا وانما الدعاء بهما لولديه الحسنين ومن ولداه انتهى والاظهر انه قال ذلك انتعام غيره لا الدعاء لنفسه وفيه اشكال آخر وهو ما بينه المصنف بقوله (جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة) بالاضافة أي الذي سنده (أيضا) ويروى في حديث الصلاة عليه والضمير له عليه الصلاة والسلام ويروى عنه أي عن علي قبل ذلك وهو المذكور في أوائل هذا الفصل (قبل) أي من طريق الحافظ أبي عبد الله الحاكم فقبل مبني على الضم وقوله (الدعاء له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام (بالرحمة) خبر أي الدعاء له بالرحمة في حديث الصلاة على النبي المروي عن علي (ولم يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة) فهل يجوز الدعاء له بهما أولا والظاهر انه يجوز أما الرحمة فظاهر فانها أحد معاني الصلاة وقد قال تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت مرادا به ابراهيم عليه السلام وآله وأما المغفرة فحيث وقع له عليه الصلاة والسلام طلب المغفرة لنفسه سبعين مرة وفي رواية مائة مرة امتثالا لقوله تعالى واستغفر لذنبك جاز لغيره غايته ان ذنبه المترتب عليه الغفران مأول بالغفلة عن المولى وارتكاب خلاف الاولى أو الاشتغال بالامور المباحة أو رؤية التقصير في مقام الطاعة وامثال ذلك عما يليق بشأنه وعلو مكانه فحسنات الابرار سيئات المقربين مع انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه فهو من باب التأكيد في القضية أو من قبيل التلذذ بذكر العطية نحو الدعاء بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فمعنى اغفر له وارحمه أي أدم له المغفرة الشاملة والرحمة الكاملة (وقد ذهب أبو عمرو بن عبد البر) وهو من أكابر علماء المالكية (وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به) وفي كون البركة تختص به نظر ظاهر (ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة) ويروى بالغفران نعم هذا هو الاولى ولكن لاجل النهي يحتاج الى دليل مثبت لدعوى وقد أغرب الدلجي حيث قال لانتقارهم اليهما دونه ووجه غرابته ان كل أحد محتاج الى غفران الله تعالى ورحمته وكم ورد من دعائه له عليه الصلاة والسلام بقوله اللهم اغفر لي وارحمني وانما الكلام في دعاء غيره له بهما لانه كان في مقام التواضع والادب كما يقتضي استغناء الرب ثم رأيت في شمائل الترمذي ان واحدا من الصحابة قال له عليه الصلاة والسلام غفر الله لك فقال ولك وهذا تقرير منه عليه الصلاة والسلام على جواز مثل هذا الكلام (وقد ذكر أبو محمد ابن أبي زيد) أي المالكي في رسالته زيادة الترحم (في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بقوله (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت) بتشديد الحاء وفي نسخة تراحمت (على ابراهيم وآل ابراهيم

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) تقدم بيانها (جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران) وهي المغفرة وهي كما قال الراغب الباس الشيء ما يصونه فهي من الله صون عبده عن مس العذاب والدعاء بها له صلى الله تعالى عليه وسلم من أمته لا ينبغي لايهامه القصور من المدعو له كالدعاء له بالرحمة وأما قول الله له ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ودعاؤه لنفسه بالمغفرة فلا يقاس عليه (وفي حديث الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عنه أيضا) أي عن علي مثله (قبل) بالبناء على الضم أي قبل هذا تقدم من طريق الحاكم (الدعاء له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالرحمة) وانما يدعى له بالصلاة والبركة اقتصارا على ما ورد في حقه وان كان معناها الرحمة لكنها رحمة خاصة مشعرة بنوع تعظيم (ولم يأت في غيره) أي في غير هذا الحديث (من الاحاديث المرفوعة المعروفة) المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره (وقد ذهب أبو عمرو بن عبد البر) الامام الجليل القدر كما تقدم (وغيره) من علماء المالكية والحديث (الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة) فهو مكروه عندهم لايهامه التقصير (وانما يدعى له بالصلاة) أي بهذا اللفظ المأمور به في القرآن (والبركة التي تختص به) يعني التي بمعنى الدوام والثبوت على التشريف والتكريم بكثرة الخيرات الالهية وفيض المواهب اللدنية (ويدعى لغيره) من المؤمنين (بالرحمة والمغفرة) لانه غير معصوم ولا يخاف من تقصير فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته أشد لا كالرسول المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم وما تأخر والمراد غيره صلى الله عليه وسلم من أمته لا الانبياء فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك أيضا وكذلك الصحابة ينبغي ان يقال فيهم رضي الله تعالى عنهم ولا يرد على هذا ان الصلاة معناها الرحمة فانه لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ انه يستعمل في محله مع انه غير مسلم فان الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق الرحمة لزم استعمالها في حق غيره وليس كذلك (وقد ذكر) الامام (أبو محمد بن أبي زيد) في مذهب مالك صاحب الرسالة المشهورة كما تقدم (في الصلاة على النبي) صلى الله عليه وسلم في تشهد الصلاة (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم) ورده المصنف بقوله

ولم يأت هـذا) أي الدعاء له عليه الصلاة والسلام بالمغفرة والرحمة وبروي ولم تأت هذه الرواية (في حـديث صحيح) قال الدلجي اذ ما ورد بزيادتهما كله ضعيف وفيه انه يعمل بالضعيف في فضائل الاعمال وانما يحتاج الى الحـديث الصحيح أو الحسن في الاحكام من الاقوال واما قول النووي في شرح مسلم المختار ان الرحمة لا تذكر فسلم لانه خلاف الاولى واما ما جزم به في الاذكار بأن ذكرها بدعة ففيه بحث لانه قد ورد في بعض الطرق ولو كان ضعيفا فلا يعد بدعة لاسيما وهي لا تنافي سنة وعلى تقدير التسليم فليكن بدعة حسـنة ويقويه ما ذكره المصنف بقوله (وحجته) أي دليل ابن أبي زيد الذي أخذ به استحباب طلب الرحمـة (قوله) أي قول النبي عليه الصلاة والسلام حال تعليم أمته (في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) ومما يؤيده قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت وينصره ان رحمته عامة للخواص والعوام ولا يستغنى أحد عن هذا الانعام العام ثم اعلم ان الرافعي ذكر في شرح الكبير عن الصيدلاني انه قال ومن الناس من يزيد وارحم محمدا كما رحمت على ابراهيم وربما يقولون ترحمت وهذا لم يرد في الخبر وانه غير فصيح فانه لا يقال رحمت عليه وانما يقال رحمته واما الترحم ففيه معنى التكلف فلا يحسن اطلاقه في حق الله سبحانه وتعالى انتهى ولا يخفى ان نفي الصيدلاني ورود الخبر بلفظ ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم غلط نشأ من جهله بطريق الحـديث فمن حفظ حجة على من لم يحفظ فهذه الرواية في مستدرك الحاكم من رواية ابن مسعود باسناد صححه وقال في موضع آخر

بل قد ورد به خبر صحيح قال الحلبي وقد راجعت تلخيص المسـتدرك للذهبي فرأيت سالفظه بعد انتهاء مسنده الى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد انتهى وقد جاء في جملة حديث وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكذا جاء في رواية علي وابن عباس وجابر وجاء أيضا في حديث مسلسل وترحم محمدا الى آخره وقد ذكر القاضي مثل هذا فيما تقدم ومما يؤيد جواز الرحمة ما في النسائي الصغير باسناده عن عكرمة قال ظاهر رجل امرأته واصابها قبل ان يكفر فذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ما حملك على ذلك فقال رحمك الله يا رسول الله رأيت خلخالها وساقها الحديث وقد جاء مرسلا ومسندا ففي تقريره عليه الصلاة والسلام دليل على جوازه ورد على من عده بدعة أو حكم عليه بالكراهة واما قوله ان الترحم فيه معنى التكلف فممنوع بل يراد به المبالغة في انزال الرحمة فاندفع به قول الغزالي انه لا يجوز ترحم وقول الرافعي انه لا يحسن ولعلهما ما بلغهما الرواية فبنيا الحكم على ظاهر الرواية والعجب من النووي انه قال واما ما قاله بعض أصحابنا وابن أبي زيد المالكي من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد فهذه بدعة لا أصل لها وكانه غفل عما ورد وذهل عن قول الشافعي في الرسالة وكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته وختم نبوته الى ان قال محمد عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورحم وكرم انتهى فقد قال رحم في حقه فهذا رد على مقلده هـذا وقد قال شمس الائمة السرخسي من أصحاب الحنفية لا بأس بقوله ارحم محمدا لان الاثر ورد به ولا عتب على من اتبع الاثر ولان أحدا لا يستغني عن رحمة الله تعالى

(ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجته) في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة الذي منعه غيره (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما روى عنه (في السلام) المروي في التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فاطلاق الرحمة عليه هنا يدل على جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذ لا فرق بينهما وقال الرافعي في الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت على ابراهيم وربما يقولون وترحمت على ابراهيم بالتاء ولم يرد في خبر صحيح وانه لا يقال ترحمت عليه وانما يقال رحمته وفي الترحم تكلف لا يحسن اطلاقه على الله وقال الاسنوي فيه أقوال وقد أسقطها النووي من الروضة وقول الرافعي انه لا يقال رحمت عليه غير مستقيم فان الصغاني قال يقال ترحمت عليه وقال الغزالي لا يجوز ترحم بالتاء وهو مراد الرافعي بقوله انه لا يحسن وقال النووي انه بدعة وتابع ابن العربي في انكاره وتخطئة ابن أبي زيد وفي الاذكار ما قاله بعض أصحابنا وابن أبي زيد من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد بدعة لا أصل لها وقد جهل ابن العربي في شرح الترمذي قائله لانه ليس في التشهد الذي علمه رسول الله الصحابة فالزيادة استدراك عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم رواه في مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وكذا رواه الذهبي وقد قاله الشافعي في رسالته وهو رد لما قاله مقلدوه كما قاله البرهان الحلبي في حواشيه * أقول محصل ما قالوه باسرهم انهم اختلفوا في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة والمغفرة وفي وروده في الحديث والذي صححه أكثر الفقهاء والحفاظ ثبوته وجوازه ومنشأ الخلاف ان الرحمة والمغفرة تقتضي قصورا وذنبا حماه الله تعالى منه واعطاه

(فصل) (في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له) أي وفي فضيلتهما (حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا) أي حدثنا (القاضي يونس بن مغيث) بضم فكسر (ثنا أبو بكر بن معاوية) أي ابن الاحمر الاندلسي وقد روى النسائي الكبير بعضه سماعا وبعضه اجازة (ثنا النسائي) أي صاحب الجامع (انا) بالموحدة أو النون أي أخبرنا أو انبأنا (سويد) بالتصغير (ابن نصر) بالمهملة وهو المروزي يروي عن ابن المبارك وابن عيينة وعنه الترمذي والنسائي ثقة (انا) أي اخبرنا أو انبأنا (عبد الله) أي ابن المبارك ابن واضح الحنظلي التميمي مولاهم المروزي أبو عبد الرحمن شيخ خراسان يروي عن سليمان التيمي وعاصم الاحوال والربيع بن انس وعن ابن مهدي وابن معين وأبوه تركي مولى تاجر وامه خوارزمية وقبره بهيت يزار ويتبرك به أخرج له الأئمة الستة (عن حياة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال أخبرني كعب بن علقمة) أي التنوخي المصري تابعي يروي عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة ذكره ابن حبان في الثقات وأخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (انه سمع عبد الرحمن ابن جبير) بالتصغير مولى نافع قرشي مصري مؤذن ثقة فقيه مقرئ توفي سنة سبع وتسعين أخرج له مسلم وغيره (انه سمع عبد الله بن عمرو) بالواو وفي نسخة بدونه والحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي أيضا عنه (يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) أي أذانه (فقولوا مثل ما يقول) أي جوابا له واختلف في الحيعلتين والاصح انه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وقيل يجمع بينهما (وصلوا علي) أي بعد اجابة المؤذن

براءته منه اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وهو وعد بسبقه الى ان المتقدم كالمتأخر في عدم الوقوع ولذا قيل المراد بذنبه ذنب أمته كما تقدم فينبغي ان يقال بجواز انه مقرونا بغيره من غير منفرد بعد ارتباطه بالثواب والمغفرة وانه ليس ذنبا كالذنوب بل بمقابل أمور تقتضيها الجبلة البشرية وتأباها العادة الملكية من الاشتغال بالدنيوية وان كانت مباحة أو لازمة لمقامه صلى الله عليه وسلم ولذا قال انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وسيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى

(فصل في فضيلة الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي ثوابها وآثارها لمن قالها (والتسليم عليه) أي قوله السلام عليك أيها النبي ونحوه (والدعاء له) المأثور ونحو اللهم آته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم باظهار محبته وطلب بغيته فليس من تحصيل الحاصل ولا لاحتياج له صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم حديثا مسندا بروايته تبركا به رواه النسائي ومسلم عن ابن عمر (حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه) فلو من روى عنه المصنف رحمه الله تعالى من مشايخه واسمه أحمد بن محمد عدة ناس منهم أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن غلبون الخولاني وأحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي وهو ابن الرضي أبو جعفر وأحمد بن محمد ابن عبد الله الشارقي والمراد الاول لانه أشهر مشايخه وكان عليه ان يذكر ما يعينه فكأنه اعتمد على شهرته قال (حدثنا القاضي يونس بن مغيث) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو بكر بن معاوية) بن الاحمر الاندلسي وهو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحق بن عبد الله بن هشام بن عبد الملك بن مروان أبو بكر القرشي الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين ومائتين وسمع من النسائي وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة قال (حدثنا النسائي) امام الحديث صاحب السنن المشهور واسمه أحمد بن شعيب كما تقدم بيانه قال (حدثنا) وفي نسخة أخبرنا من هنا الخ (سويد بن نصر) أبو الفضل المروزي المعروف بالشاه الامام الثقة روى عن ابن المبارك وغيره وأخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة أربعين ومائتين قال (أخبرنا عبد الله عن حياة بن شريح) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح التميمي مولاهم المروزي شيخ خراسان وأبوه تركي تاجر وأمه خوارزمية ولد سنة ثمان وعشرين ومائة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة وقبره بهيت يزار وأخرج له الستة كما تقدم وحياة بن شريح تقدمت ترجمته وسابيه (قال أخبرني كعب بن علقمة) بن كعب بن عدي التنوخي المصري التابعي الثقة توفي سنة ثلاثين ومائة وأخرج له أصحاب السنن وفي بعض النسخ كعب عن علقمة وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث (انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع) الامام الجليل الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة سبع وتسعين (انه سمع عبد الله بن عمر) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنهما (يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) وهو يؤذن للصلاة أو غيرها مما يشرع (فقولوا مثل ما يقول) من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة تصديقا وهو سنة معروفة وقيل انه واجب وتقدم بسط الكلام فيه (وصلوا علي) وفي مسلم ثم صلوا علي والمعنى واحد وقد علمت ان هذا أحد المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه كما تقدم وانه يقرن فيه الصلاة

(فانه) أى الشان (من صلى على مرة) أى واحدة كما فى نسخة (صلى الله عليه عشرا) أى لوعده سبحانه وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا أقل مراتب أضعاف أعمالها وهو لا ينافى ماورد فى مسند أحمد بسند حسن موقوفا على عبد الله بن عمرو وهو مرفوع اذ لا مجال للاجتهاد فيه من صلى على النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم مرة صلى الله تعالى عليه بها سبعين مرة نعم لا يبعد ان هذه المضاعفة تكون بخصوص يوم الجمعة اذ ورد ان الاعمال كلها فيه بسبعين ضعفا وهو يؤيد ما ورد انه اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة كان حجه بسبعين حجة (ثم سلوا) أى الله تعالى كما فى نسخة (لى الوسيلة) وهى المرتبة الجليلة (فانها منزلة) أى درجة جميلة (فى الجنة لا تنبغى) أى لا تليق أو لا تحصل (الا لعبد) أى عظيم (من عباد الله) أى الصالحين (وأرجو ان أكون أنا هو) أى ذلك العبد فقوله هو خبر كان ووضع موضع اياه وانا تأكيد لاسمها أو مبتدأ خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون موضع اسم اشارة أى ان كون انا ذلك العبد كما اشرنا اليه (فمن سأل لى الوسيلة) أى وهى نهاية مراتب الفضيلة (حلت عليه الشفاعة) ويروى شفاعتى أى غشيته ونزلت به وفى نسخة حلت له الشفاعة أى ثبتت وفى رواية وجبت له شفاعتى أى حقت (وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه) كما فى شعب الايمان رواها (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) أى واحدة (صلى الله عليه عشر صلوات) أى قياما بشكر عبده (وحط) أى وضع (عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفى رواية) أى لابى يعلى

بالسلام فانه الافضل وارتكاب خلافه مكروه ولا يحتج لتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لان السلام سبقها فى التشهد فلا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة مقرونا بالسلام فى مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الدارقطنى فى الدعاء مرفوعا وكذا فى غيره وانما حذف فى بعض المواضع اختصارا وكذا يستحب الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاقامة كما ذكره الخيضرى فيما تقدم (فانه من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا) فان الحسنة بعشرة أمثالها وكون الله عز وجل يصلى عليه فيه من الرحمة له واعلاء قدره ما لا يخفى وقال يقول بالمضارع اشارة الى أنه يقوله من غير تأخر لما بعد الاذان وظاهره انه يتابعه فى الحيعلتين وهو قول فيه وفى قول معتمد أنه يقول عندهما لا حول ولا قوة الا بالله أى لا قدرة للعبد على طاعته التى دعى اليها الا بتوفيقه وكان ابن جبير يقول سمعنا وأطعنا ويسن أنه لا يرفع المجيب صوته فى الاجابة لان التشبيه ليس من كل الوجوه (ثم سلوا الله لى الوسيلة) بان يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته فان من قال ذلك حلت له شفاعتى يوم القيامة والوسيلة لغة ما يتقرب به الى كل كبير وفسرت فى الحديث بقوله (فانها منزلة فى الجنة) من أعلى منازلها وقد يرد هذا لمعناها اللغوى فانها تقربه الى الله (لا تنبغى لاحد من عباد الله الا لعبد) أى لا تليق بكل أحد فانها أعلى المنازل فلا تليق الا باقرب البشر وقد فسرت الوسيلة أيضا بالشفاعة العظمى كما مر وجمع بينهما بان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى أيضا (وأرجو أن أكون أنا هو) عبر بالرجاء وان كان الله تعالى أعطاه ذلك لوعد من لا يخلف الميعاد تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وتفويضا الامر فيما يستقبل الى الله وتعليما لامته وارشادا لهم لان يكونوا بين الخوف والرجاء دائما لا سيما فى أمور الآخرة وانا تأكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها وضع موضع اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل اسمها ضمير مستتر وانا هو مبتدأ وخبر والجملة خبر أكون وما قيل من ان هو وضع موضع اسم الاشارة أى ان أكون ذلك العبد كما فى قول رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق

لا وجه له فان مثله انما ذكروه فى وضع الضمير المفرد موضع غيره لا فى وضع المرفوع موضع غيره كما ذكره النحاة (فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) أى استحقت ووجبت له بفضل الله تعالى عز وجل من حل بمعنى نزل وفى البخارى حلت له وهما بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا خاصته شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم من العذاب والا شفع له باعلاء درجته أو بادخاله الجنة من غير حساب وفى شرح مسلم للمصنف ان هذا مختص بمن قال مخلصا قاصدا بذلك تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم لا مجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضى ولو أخرج الغافل كان أشبه وتقدم الكلام على ذلك كله وفيه الحث على الدعاء فى أوقات الصلاة لانه محل الاجابة كما قالوه (وروى انس بن مالك) كما فى شعب الايمان للبيهقى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) واحدة فى وقت ما (صلى الله عليه عشر صلوات) أى رحمه الله رحمة مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها الان اضافتها الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جاء بحسنة له عشر أمثالها (وحط عنه عشر خطيئات) ان كان ارتكب خطيئة (ورفع له عشر درجات) باعلاء مقاماته فى جنة النعيم وعلو منزلته بقربه من الله (وفى رواية) أخرى

(وكتبت له عشر حسنات) أى ثوابها (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن أبى شيبة فى مسنده (عنه عليه الصلاة والسلام ان جبريل ناداني) أى خاطبنى (فقال من صلى عليك صلاة صلى الله تعالى عليه عشرا) أى عشر مرات (ورفعه عشر درجات

ومن رواية عبد الرحمن ابن عوف) كما رواها الحاكم وصححها والبيهقى فى شعبه (عنه عليه الصلاة والسلام لقيت جبريل فقال لى انى أبشرك) أى أخبرك بما يسرك (ان الله تعالى) بكسر ان وفتحها (يقول من سلم عليك سلمت عليه) أى عشرا أو أكثر (ومن صلى عليك صليت عليه) وفى الحديث ايماء الى جواز انفراد كل منهما عن الآخر فتدبر (ونحوه) أى نحو مروى ابن عوف (من رواية أبى هريرة ومالك بن أوس) بفتح فسكون (ابن الحدثان) بفتحهما أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى أبا بكر وسمع عمر وعثمان وبقية العشرة رضى الله تعالى عنهم وعنه الزهرى وابن المنكدر وقال أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عنه انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من ترك الكذب بنى له فى ربض الجنة وأحمد بن صالح صحح هذا الحديث

والاصح عند الذهبى انه عنده تابعى وحديثه مرسل (وعبد الله ابن أبى طلحة) أى زيد بن سهل الانصارى وفى بعض النسخ عبيد الله مصغرا والصواب الاول ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وهو أخو أنس لامه حنكه عليه السلام وسماه توفى زمن الوليد فهو تابعى له رواية روى عن أبيه ثقة أخرج له مسلم والنسائى ولد له عشرة بنين كلهم قرأوا القرآن

رواها أبو يعلى (وكتب له عشر حسنات) قال الصلاة عليه حسنة وكل حسنة بعشر امثالها والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله وانه فعل ذلك بنفسه ولم يوكله للملائكة الكتبة فيدل على انها أعظم من سائر الحسنات وصلاة الله كما علمت رحمة ورحمة خاصة به فهى على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل (وعن أنس) بن مالك أنه روى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن أبى شيبة فى مسنده أنه قال (ان جبريل) عليه الصلاة والسلام (ناداني) أى قال لى ويحتمل انه رآه فى الافق فناداه بصوت عال قال فيه له من صلى الى آخره ويؤيد الاول قوله فى بعض النسخ (فقال من صلى عليك صلاة) أى خالصة يقصد بها تعظيمك كما مر (صلى الله تعالى عليه عشرا ورفعه عشر درجات) فوق مقامه الذى يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة فى أحاديث كثيرة مسندة صحيحة وفى بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفى الاكثر (وفى رواية عبد الرحمن بن عوف) التى رواها الحاكم والبيهقى وصححها (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لقيت جبريل فقال لى أبشرك) أى أخبرك بما يسرك سرورا عظيما يظهر فى وجهك وبشرتك وهو أصل معناه (ان الله) أى بان الله (يقول من سلم عليك) أى قال السلام عليك أيها النبى داعيا لك بالسلامة من كل نقص وسوء وملقيا اليك عنان تسليمه (سلمت عليه) أى سلمته من كل سوء وحفظته عنايتى وعبر به للمشاكلة (ومن صلى عليك صليت عليه) ليس فى هذه الرواية عدد ولا غيره فهو محمول على ما مر والحديث صحيح روى من طرق وسببه ان عبد الرحمن بن عوف كان يلازم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويخدمه ليلا ونهارا فاتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حائطا وسجد سجودا طويلا حتى ظن انه قبض روحه فبكى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك فاخبره بما خطر بباله فقال له جاءنى جبريل وأخبرنى بان الله يقول لى من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا له وهو حديث صحيح المتن والسند وقال الحاكم لا أعلم فى سجدة الشكر اصح منه والاحاديث فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى (ونحوه) أى مثل هذا الحديث لفظا ومعنى (من رواية أبى هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان) بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة والالف ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا هوازنى مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وأخرج له الستة واختلف فيه هل هو صحابى رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه احاديث مرفوعة وتابعى روايته مرسلة والاصح عند الذهبى وغيره انه تابعى وتوفى سنة اثنين وتسعين وهو ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه ففزع عمر واتبعه بطهرة فوجده ساجدا فى شربة فتنحى عنه حتى رفع رأسه فقال له احسنت يا عمر اذ تنحيت عنه اذ رأيتنى ساجدا ثم قال لى ان جبريل أتانى فقال من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات أخرجه البخارى فى الادب وغيره (وعبيد الله بن أبى طلحة) الانصارى وعبيد الله بالتصغير وفى نسخة عبد الله مكبرا قال البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن أبى طلحة زيد بن سهل الانصارى أخو أنس لامه وولد اسحق واخوته وهو صحابى له رواية توفى فى زمن الوليد وحنكه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه وحديثه رواه أحمد والحاكم وابن حبان والنسائى قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى فى وجهه فقال لما سئل عن سبب بشره جاءنى جبريل فقال لى أما يرضيك يا محمد ان لا يصلى عليك أحد من أمتك

(وعن زيد بن الحباب) بضم المهملة وبالموحدتين (سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل) وفي رواية المقعد (المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي) وهذا الحديث سقط منه رجال فان زيد بن الحباب ليس من الصحابة ولا من التابعين ولا من اتباعهم وانما روى عن مالك بن انس والضحاك بن عثمان ومالك بن مغول وعبد الله بن لهيعة وعنه أحمد بن حنبل نعم هذا الحديث محفوظ من رواية رويفع بن ثابت الانصاري مرفوعا وقد رواه زيد بن الحباب هذا عن ابن لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء عن بكر بن سوادة عن زياد ابن نعيم عن وفاء بن شريح الحضرمي قيل واهل المصنف أورده في أصله عن زيد بن الحباب عن رويفع ابن ثابت على جهة الارسال وسقط ذكر رويفع من بعض نسخ الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب (وعن ابن مسعود) أى مرفوعا (أولى الناس بي) أى أقرب الناس مني وأحقهم بشفاعتي (يوم القيامة أكثرهم على صلاة) رواه الترمذي وابن حبان (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام قال من صلى على في كتاب) أى بان كتب فيه الصلاة (لم تزل الملائكة تستغفر له مابقي اسمى) يروى ما دام اسمى (في ذلك الكتاب) رواه الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ في الثواب بسند ضعيف لكنه يعتبر في هذا الباب وربما يقال يكتب له الثواب ما نقل أيضا من ذلك الكتاب والله أعلم بالصواب (وعن عامر بن

واحدة الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وأخرجه ابن الجوزي في الوفاء بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الا قال صلوا على قائلها كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم (وعن زيد بن الحباب) بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما الف (قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول) الظاهر من السياق أنه صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر النسخ وهو كما قالوا وهم أو بيض له أو سقط من الكاتب فان ابن الحباب ليس بصحابي ولا تابعي وأين هو وأين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه وان صحت روايته وقيل انه لم يكن به بأس ورحل في طلب الحديث الى الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المصنف رحمه الله تعالى لما اراد كتابة الحديث سقط أول سنده ولذا قال يحيى بن على القرشي المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس بتابعي ولا من اتباعه وانما روى عن مالك وامثاله وليس له تغيير في اسمه واسم أبيه من الصحابة وهذا الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الحضرمي عن رويفع بن ثابت الصحابي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو معضل لا مرسل كما قيل وابن الحباب توفي سنة ثلاث ومائتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار أعظم من الذنب فانه ليس بمعضل أيضا لان المعضل اذا قيل سمعت يكون كذبا فالصواب انه وهم وجواب الشمني عنه بان المصنف رحمه الله تعالى أسقط ما عدا زيد لانه لا غرض له في ذكر رواته لا وجه له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيد هذا هو أبو الحسين الحافظ الخراساني والذي يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو قول أبي هريرة وهو المقصود بالرواية وما بعده متابعة له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية ما يمكن في توجيهه بحسن الظن به وليس ببعيد الا ان نظر لزيادة قوله وعن (من قال) في صلاته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم صل على محمد وأنزله) أى أعطه (المنزل المقرب) بصيغة المفعول ويجوز كسر رائه (يوم القيامة) هو على ظاهره أو المراد في الآخرة والقرب منه رفعة معنوية المراد منه تعظيم الثواب وفيض المواهب الربانية لا قرب مكاني لان الله تعالى منزه عنه (وجبت له شفاعتي) أى تعينت وتحققت بلا تردد لان الله تعالى لا يجب عليه شيء عندنا (وروى ابن مسعود) في حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود (أولى الناس يوم القيامة) أى أحقهم بشفاعتي وعنايتي أو أقربهم مني منزلة (أكثرهم صلاة على) فان ذلك يدل على محبته والمرء مع من أحب (وعن أبي هريرة عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم من (صلى على في كتاب) كتبه من تأليف ورسالة وغيره كما مر بيانه (لم تزل الملائكة تستغفر له) أى تدعوله بالمغفرة (ما بقي اسمى) أى مدة بقائه مكتوبا (في ذلك الكتاب) والمراد التأبيد كقوله تعالى ما دامت السموات والارض فان الطبراني في الاوسط رواه أبو الشيخ في الثواب والمستغفري وقال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء رواه بسند فيه ضعف ومثله يعمل به في فضائل الاعمال وقال خاتمة العلماء المالكية الحطاب في معنى ذلك يحتمل ان المراد انه كتب الصلاة عليه في كتابه ويحتمل انه قرأ الصلاة عليه المكتوبة وهو اوسع وأرجى والاول أظهر وأقوى انتهى وتقدم نقله عن شيخ زروق * قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سببا لقراءته فله أجره وأجر من قرأه أجرا غير مقطوع ولا ممنون (وعن عامر بن

ربيعة

ربيع سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة) أي واحدة أو أكثر (صلت عليه الملائكة عشرا على على) أي مدة صلاته على (فليقل) أمر من التقليل أو من الاقلال (من ذلك) أي من قول الصلاة أي عبد كان نفسه (أو ليكثر) أمر من التكثير أو الاكثار والمراد به الاخبار والحث بما هو مختار رواه أحمد وابن ماجه والطبراني في الاوسط بسند حسن (وعن أبي بن كعب) على ما رواه الترمذي وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) بضمهما وبسكون الثاني وفي رواية له ربع اذا ذهب ثلثا الليل (قام) أي من نومه أو فراشه (فقال يا أيها الناس) كأنه ينادي أهل بيته أو خواص أمته (اذكروا الله) أي في حال الانتباه وتركوا ما عداه (جاءت الراجفة) أي النفخة الاولى التي ترجف الارض بأهلها والمعنى قرب مجيئها أو يموت كل أحد عنده (تتبعها الرادفة) أي تعقبها النفخة الثانية ويبعث الخلق كلهم بعدها وثبت ان ما بين ٤٩١ النفختين أربعون سنة يقول الله سبحانه

وتعالى لمن الملك اليوم ويجيب بذاته عز شأنه لله الواحد القهار أو يقول الخلق بلسان الحال في جواب ذلك السؤال لله الواحد القهار واليوم كذلك في نظر أرباب الاسرار وأصحاب الانوار لا ملك الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث (جاء الموت بما فيه) أي من سكراته ومنكراته أو بما فيما بعده ولا منع من الجمع من البعث والحساب والميزان والكتاب وما يترتب عليها من الثواب والعقاب ويحتاج كل أحد الى شفاعته عليه الصلاة والسلام في ذلك الباب

(فقال) الظاهر وقال الا انه روعي جعل الرابطة بالفاء (أبي بن كعب) وهو أقرأ الصحابة (يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك) أي لكثرة محبتي اليك ورجاء حصول الشفاعة لي لديك فهل يجزي أني أكثر من الصلاة عليك (فكم أجعل لك من صلاتي) أي من زمان دعائي لنفسي أو من أوقات عبادتي النافلة (قال ما شئت) أي قدر ما أردت من تقربك لي (قال) أي أبي (الربع) بالنصب أي أجعل لك من صلاتي ربع أوقاتي (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (ما شئت) أي اخترت قليلا أو كثيرا (وان زدت) أي على الربع (فهو خير) أي لك كما في نسخة صحيحة (قال الثلث) بضمتين وبسكون الثاني وهو بالنصب كما مر (قال ما شئت وان زدت فهو خير) قال الحجازي وذكر بعد الربع النصف الى آخره وفي غالب نسخ الشفا ذكر الربع ثم الثلث ثم النصف الى آخره وهذا الحديث في الترمذي ولم يذكر فيه الثلث (قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

ربيع سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة عشرا على على فليقل من ذلك عبد أو ليكثر) العطف للتخيير والفاء فصيحة أي اذا عرفت بقاء هذا ودوامه ونفعه للشافع فشأنك أكثر من كثرته كما استفيد من الاول أو اقتفه كما استفيد من هذا الترجيح مما كثيرا دائما أو ان شئت فاقتصر على قليل منه عالما بأنه هذا في الحقيقة حث له على الاكثار في الحقيقة فان العاقل لا يترك الخير الكثير بما لا ينبغي لذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو خير أكثر تحذيرا من التفريط في تحصيله قريب من التهديد وفيه من البلاغة ما لا يخفى (وعن أبي بن كعب) في حديث رواه الترمذي وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) أي الاول وكان فعل ماض لكنها تستعمل عرفا للدوام نحو وكان الله غفورا رحيما كما ذكره ابن جني في الخصائص (قام) من نومه وانتبه بعد استراحته (فقال) لمن عنده من زوجاته وأهل بيته (يا أيها الناس اذكروا الله) بتمجيده وتحميده بأسمائه الحسنى ثم ذكرهم ووعظهم وقيامه لتهجد وخص هذا الوقت بالذكر لانه وقت غفلة يقتضي الطبيعة البشرية (جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) والراجفة من الرجفة وهي الحركة بشدة والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف وقد تظرف ابن نباتة المصري في قوله في وصف من حدثت له رعشة في كفه

ما كان من رجاف كفك منكرا * فالبحر من أسمائه الرجاف

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدي الساعة من الفتن والهرج والمرج والزلازل والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة أو الصيحة أو النفخة أو زلزلة أخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها (جاء الموت بما فيه) من سكراته وأهواله وهو أقرب لكل أحد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وايقاظهم من نوم الغفلة (فقال أبي بن كعب) لما سمع ما قاله صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك) واشتغل بها أوقاتي بعد أداء الفرض ونحوها (فكم أجعل لك من صلاتي) أي مقدار الوقت الذي أصلي عليك فيه (قال ما شئت) أي أي قدر تريده وتيسر لك (قال الربع) أي أصرف ربع أوقاتي لها (قال ما شئت وان زدت) على الربع (فهو خير لك) نافع في الدنيا والآخرة (قال الثلث) أي أصرف لها ثلث وقتي (قال ما شئت) أي يكفي هذا (وان زدت فهو خير) وأحسن لك (قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

فاجعل صلاتى) أى أوقات دعائى (كلها لك) أى لذكرك وما يتعلق به من الصلاة عليك (قال اذا) بالتنوين أى حينئذ (تكفى) بصيغة المفعول المخاطب وفى رواية همك أى ما يهمك من امر دينك ودنياك وهو بالنصب على انه مفعول ثان لتكفى وفى نسخة يكفى بصيغة المجهول الغائب وهمك بالرفع على نيابة الفاعل ويلائمه قوله (ويغفر ذنبك) بصيغة المجهول منصوبا وذنبك مرفوعا والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم يران يعين له حدا

مقدارا من الليالى والايام لئلا يغلق عليه باب المزيد فى مقام المراد أولا به يحصل

اجعل صلاتى كلها لك قال اذن تكفى) أى تغنيك عما عداها لان فيها خير الدنيا والآخرة وزيادة الرزق ببركتها (ويغفر ذنبك) لانها مكفرة لسائر الذنوب * اقول الصلاة فى هذا الحديث بمعنى الدعاء كما ذكره فى كتاب الصلاة والبشر ومعناه انه فى مواطن الدعاء كعقب الصلاة ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله تعالى عليه وسلم هل يزيد فى دعائه لنفسه على الصلاة عليه أو يسوى بينهما أو يزيد فى الصلاة عليه أو يجعل دعاءه كله ويترك دعاءه لنفسه فانه اذا فعل ذلك كفاه عن الدعاء لنفسه فان الله يصلى عليه اضعاف صلاته فينال كل خير من الله تعالى من غير طلب وهذا أولى وأحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فما قيل هنا من ان هذا الحديث يقتضى ان الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر العبادات لان الشارع اذا خص وقتا بعبادة تكون فيه أفضل من غيرها كاذكار الركوع والسجود فانها أفضل من غيرها وان كان غيرها فى نفسه أفضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعاء أفضل من قول لا اله الا الله وان ورد فى الحديث أفضل ما قلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وقد سئل شيخ الاسلام السراج البلقينى عن قراءة القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها أفضل فاجاب بان كلا منها أفضل فى محله فالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى وقت الدعاء وهى فى الصلاة واجبة فهى أفضل من غيرها فاذا جعل الانسان دعاءه كله صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فانه يكفى ما أهمه وهى أفضل من الاستغفار وغيره من الدعاء وهذا له أوجه ولا حاجة بنا اليه فان الحديث كما علمت انما يدل على ان صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم تغنى عن دعائه لنفسه ولا يقتضى انها أفضل من سائر العبادات ولا من قراءة القرآن ونحوها كما لا يخفى وقد اطال هذا القائل من غير طائل وبعد عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا مساس له بهذا المقام وهذا الحديث فى المعنى كالحديث القدسى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين (وعن أبى طلحة) زيد بن سهل الصحابى وفى الصحابة أبو طلحة آخر وهو الذى نزل فيه قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف فى الصحابة من اسمه أبو طلحة غير ابن سهل هذا وحديثه هذا أخرجه النسائى (دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت) فى وجهه (من) آثار (بشره) أى مسرته وانشراحه (وطلاقته) الطلاقة مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا انتهى وهو فى الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير للبشاشة والسرور (ما لم أره قط) فيه لان دأبه الخشوع والسكون (فسألته) عن سبب ذلك (فقال وما يمنعنى) من المسرة وانشراح الصدر (وقد خرج جبريل) من عندى (آنفا) أى قريبا من مجيئك (فاتانى ببشارة من ربى) الظاهر ان فيه قلبا أى أتانى ببشارة ثم خرج ومثله فى كلامهم والحديث صحيح أخرجه أحمد وأصحاب السنن (أن الله) بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهى الخبر السار (بعثنى) أى أرسلنى (اليك ابشرك انه ليس احد من أمتك يصلى عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها) أى بصلاته التى صلاها (عشرا) وقد تقدم هذا وتفسيره (عن جابر بن عبد الله) فى حديث رواه البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال

كفاية المهمات الدينية والدنيوية والاخروية على وجه النظام ونظيره قوله عليه السلام عن الله من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وكان الحديث السابق مستند الطائفة السنية الاويسية حيث يداومون على الصلاة المصطفوية (وعن أبى طلحة) وهو زيد بن سهل وحديثه هذا رواه النسائى وابن حبان والبيهقى فى شعب الايمان بسند صحيح انه قال (دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت من بشره) بكسر الموحدة أى بشاشة بشرته (وطلاقته) أى بساطته وطلاقته (ما لم اره قط) أى ابدا قبل ذلك (فسألته) أى عن سبب ما هنالك (فقال وما يمنعنى) أى عن هذا السرور (وقد خرج جبريل عليه السلام) أى ظهر (آنفا) بالمد والقصر وقد قرئ بهما فى السبعة أى هذه الساعة فكانها قدام الانف من كمال قربها (فاتانى ببشارة من ربى حين

أن) بفتح الهمزة أى هى ان أو بان (الله بعثنى اليك ابشرك انه) بالكسر والفتح (ليس احد من أمتك) أى أمة الاجابة (يصلى عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها) أى بدلها أو بسببها (عشرا) فهذا الذى يوجب بشرا ويفيد بشرى ويقتضى نشرا (وعن جابر بن عبد الله) على ما رواه البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال

حين يسمع النداء) أى الاذان أو الاقامة أو الاعلام أحدهما (اللهم رب هذه الدعوة) أى الدعاء الى العبادة (التامة) أى الكاملة
الشاملة (والصلاة القائمة) أى الدائمة الفاضلة لا يغيرها ملة ولا ينسخها شريعة (آت محمدا الوسيلة) أى الزيادة المنيعة وفى نسخة
والدرجة الرفيعة فى نسخة بزيادة الفضيلة وقد يراد بالوسيلة منزلة فى الجنة والفضيلة أعم من الوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) وفى نسخة
المقام المحمود وقد ورد هو المقام الذى أشفع فيه لامتى أى خصوصا بعد أن أشفع للخلق عموما (الذى وعدته) أى انه فى الآخرة الذى
بدل من مقاما محمودا وقوله وعدته أى فى القرآن قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (حلت له الشفاعة)
أى الخاصة (يوم القيامة
وعن سعد بن أبى وقاص)
كما رواه مسلم (من قال)
يروى انه قال من قال
(حين يسمع المؤذن)
أى صوته (يتشهد وأنا
أشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له)
مقول (وأن محمدا عبده
ورسوله رضيت بالله ربا
وبمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم رسولا وبالاسلام
دينا) نصبه وما قبله من
الاسمين على التمييز
(غفر له) أى ذنبه
(وروى ابن وهب) أى
بسند منقطع (ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من سلم على عشرا
فكأنما أعتق رقبة)
أى فى الاجر والمثوبة
(وفى بعض الآثار
ليردن) من الورود
بمعنى ليأتين (على أقوام
ما أعرفهم) يروى
لا أعرفهم الا بكثرة
صلاتهم على) رواه
الاصبهانى فى ترغيبه عن
أنس (وفى آخر) أى وفى أثر آخر (ان) بكسر الهمزة وفتحها (أنجاكم) أى أسبقكم نجاة (يوم القيامة من أهوالها ومواطنها) أى مواقفها
(أكثركم على صلاة وعن أبى بكر) أى الصديق كما فى نسخة (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمحق للذنوب) أى أطفأ (من
الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب) رواه الاصبهانى فى ترغيبه بلفظ الصلاة عليه أفضل من عتق الرقاب وحبه عليه
الصلاة والسلام أفضل من مهج الانفس أو من ضرب السيف فى سبيل الله وفى الجامع الصغير الصلاة على نور على الصراط فمن صلى
على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما على ما رواه الطبرانى والدارقطنى فى الافراد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه

حين يسمع النداء) أى الاذان فتعريفه للعهد (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة) أى الدائمة
أو التى تقوم للناس فهو كعيشة راضية (آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته
حلت له شفاعتى) أى تحققت (يوم القيامة) وظاهره انه يقول وهو يسمع الاذان من غير اجابة وبها استدل
الطحاوى على عدم تعين الاجابة أو المراد انه يقول حين يسمع النداء بتمامه فيكون بعد الاجابة
والرواية تنكير مقاما حكاية لما فى القرآن وهو منصوب مفعول آت والذى بدل أو عطف بيان أو هو
منصوب على الظرفية والذى مفعول وروى المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووى ولا وجه لانكاره وقد
تقدم بيانه (وعن سعد بن أبى وقاص) فى حديث صحيح رواه مسلم (من قال حين يسمع المؤذن) أى أذانه
(وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا
وبالاسلام دينا غفر له) أى جميع ذنوبه وذكره استطرادا لمناسبته لما قبله لانه ليس فيه شئ مما نحن
فيه من فضيلة الصلاة عليه وما قيل انه يعلم منه التزاما لان مجرد الرضاء به اذا كان سببا للمغفرة فكيف
اذا قرن به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس فى الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه (وروى ابن
وهب) هو الامام أبو محمد عبد الله الفهرى كما تقدم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم على
عشرا) أى قال السلام عليك يا رسول الله عشر مرات (فكأنما أعتق رقبة) أى عبدا عبر بالجزء عن
الكل أى كان ثوابه مثل ثواب ذلك (وفى بعض الآثار) جمع أثر بمعنى الخبر الذى يؤثر أى ينقل
والمراد به هنا الحديث (ليردن على أقوام) أى يأتون على الحوض (لا أعرفهم الا بكثرة صلاتهم على)
وفى نسخة ما بدل لا يعنى انه صلى الله عليه وسلم يرى فى وجوههم نورا وعلامة من آثار الصلاة عليه
(وفى) حديث (آخر ان أنجاكم) أى أسرعكم نجاة وخلاصا (يوم القيامة من أهوالها) أى شدائدها
وخوفها (ومواطنها) الضمير للاول أو للقيامة التى تخوفونها (أكثركم على صلاة) يعنى ان بركتها تسهل
عليه شدائدها وهذا الحديث رواه الاصفهانى فى ترغيبه عن أنس رضى الله عنه موقوفا أيضا (وعن أبى
بكر الصديق الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمحق للذنوب) أى أشد ابطالا واذهابا من محق
الشئ اذا أبطله (من الماء البارد للنار) فانه اذا صب عليها أطفأها وأذهب ضررها ففيه تشبيه للصلاة
بذلك (والسلام عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أفضل من عتق الرقاب) انما خص السلام بجعل ثوابه
كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه تسليم له من سائر النقائص ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو
منها عضوا منه من النار فسلم مما يخشاه فى الآخرة فلذا جعل السلام عليه أجره كالاعتاق وأجر وشبهه
بدون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لا تنافى ما مر لان وجه الشبه قد يكون أقوى فى المشبه وفى الدر المنضود
بعد كلام الصديق هنا وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الانفس أو قال من ضرب
بالسيف فى سبيل الله وله حكم المرفوع اذ مثله لا يقال من قبل الرأى وأخرجه التيمى وعنه أبو القاسم

(فصل) (فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه) أى واثم من لم يصل عليه وفى معناه من لم يسلم عليه لانه ثبت فى الآية الشريفة وجوبهما فى الجملة الا انه ليس فيها ما يدل على لزوم الاتيان بهما على وجه المعية (حدثنا القاضى الشهيد أبو على) أى ابن سكرة (رحمه الله ثنا) أى حدثنا (أبو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف وهو البغدادى (وأبو الحسين الصيرفى) وفى نسخة أبو الحسين والصواب بالتصغير (قالا) أى كلاهما (ثنا أبو يعلى) أى ابن زوج الحرة (ثنا السنجى) بكسر السين ثنا محمد بن محبوب (ثنا أبو عيسى) أى الامام الترمذى صاحب الجامع (ثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى) أى البغدادى والدورقى نسبة الى نوع من القلانس ووهم من اعترض على المزى بانه منسوب لبلد فقد صرح أبو أحمد الحاكم فى الكنى فى ترجمة يعقوب بما قاله المزى وله تصانيف قال أبو حاتم صدوق اخرج له مسلم وغيره (ثنا ربعى) بكسر الراء وسكون الموحدة (ابن ابراهيم) أى ابن مقسم الاسدى روى عنه أحمد والزعفرانى (عن عبد الرحمن بن اسحق) أى ابن عبد الله ابن الحارث بن كنانة القرشى العامرى مولاهم المدنى يروى عن المقبرى والزهرى وعنه يزيد بن زريع وابن علية قال أبو داود قد روى ثقة وضعفه بعضهم وقال البخارى ليس ممن يعتمد على حفظه (عن سعيد بن أبى سعد) أى المقبرى (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) وكذا رواه مسلم عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم) بكسر الغين وفتحها (أنف رجل) أى ذل والصق بالتراب (ذكرت عنده) بصيغة المفعول (فلم يصل على) أى اعراضا أو تهاونا لا كسلا أو نسيانا ورغم انف رجل (دخل رمضان) أى عليه (ثم انسلخ) أى خرج عنه (قبل ان يغفر له) أى بان لم يفعل فيه ما يستحق به غفران ذنوبه. كانت

ابن عساكر ومن طريقه اليمن بن عساكر بلفظ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب أو قال من ضرب بالسيف فى سبيل الله وسنده ضعيف قيل وانما كان السلام عليه أفضل من عتق الرقاب لان ثواب العتق انما علم من جهته ولان العتق يقابله العتق من النار لما فى الحديث الصحيح من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه حتى الفرج بالفرج والسلام عليه يقابله سلام الله على المصلى عشرا وسلام الله عز وجل أفضل من مائة ألف ألف ألف جنة فناهيك به من منقبة انتهى وفى بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه

(فصل فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه) لتركه الواجب عليه وذمه بترك الافضل فى حقه ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كما مر ولهذا أخر هذا الفصل عما قبله وصدره بحديث مسند رواه الترمذى كما هو دأبه فى كتابه هذا فقال (حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله) هو ابن سكرة وقد تقدم مرارا قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) هو أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادى الحافظ الناقد وقد تقدم أيضا (وأبو الحسن الصيرفى) كذا فى النسخ والصواب أبو الحسين بالتصغير وقد تقدمت ترجمته أيضا (قالا حدثنا أبو يعلى) هو أحمد بن عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا السنجى) تقدم بيانه وبيان نسبته وضبطها قال (حدثنا محمد بن محبوب) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو عيسى) محمد بن عيسى بن سورة الامام الترمذى المشهور وقد تقدم بيانه قال (حدثنا أحمد ابن ابراهيم الدورقى) هو أحمد بن ابراهيم البغدادى الحافظ والدورقى بفتح الدال والراء المهملتين بينهما واو يليها قاف وياء نسبة منسوب لبلدة وفى الاصل اسم اناء للماء كالجرة ولنوع من القلانس شبهت بالاوانى لطولها ووهم من غلط المزى فى قوله انه اسم بلد فانه سبقه اليه الحاكم فى كتاب الكنى والمعترض اعتمد على كتاب الرشاطى وقد ورده البرهان الحلبى فى المقتفى والدورقى كان امام الحديث فى عصره أخرج له الستة وغيرهم وتوفى سنة ست وأربعين ومائتين قال (حدثنا ربعى بن ابراهيم) هو ربعى بن مقسم الاسدى الثقة الحافظ توفى سنة سبع وتسعين ومائة (عن عبد الرحمن بن اسحق) بن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشى العامرى المدنى ويقال له عباد بن اسحق وثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة فى الميزان (عن سعيد بن أبى سعيد) هو المقبرى وقد تقدم (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم أنف رجل) أى أذله الله وأخزاه وحقيقته ألصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكنى به عما ذكر وأضيف للانف لتقدمه (ذكرت عنده فلم يصل على) لان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لقائله وعزة له باعزاز نبيه فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه (ورغم أنف رجل دخل رمضان) أى جاء زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقة عرفا أى فى عرف اللغة (ثم انسلخ) أى تم ومضى وأصل السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعه أى نزعته ومنه سلخ الشهر لآخره قال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ومما قلته

ادهم الليل حين كان حرونا * سلخت بذى الاهلة سلخا

(قبل ان يغفر له) أى ولم يغفر له وفى التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكونه محل المغفرة

(ورغم أنف رجل أدرك) أي بلغ (عنده أبواه الكبر) بالنصب على المفعول من أدرك والفاعل أبواه وإنما خص حال الكبر لأنه أحوج حال الإنسان إلى الخدمة والإحسان (فلم يدخلاه الجنة) بضم الياء وكسر الخاء أي بأن لم يبرهما حتى يكونا سببا لدخوله الجنة والمعنى أن برهما عند كبرهما ينفعه بما بالخدمة وينفقه سبب لدخول الجنة (قال عبد الرحمن) أي راوي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (وأحسبه) أي أبا هريرة (قال أو أحدهما) أي بطريق الشك أو على سبيل التنويع ويؤيده قوله تعالى إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وأبعد الحنفي في جعل ضمير أحسبه راجعا إليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي حديث آخر) كما رواه الطبراني عن ابن عباس وأنس وعبد الله ابن الحارث بن جزء وكعب ابن عجرة ومالك بن الحويرث ورواه البزار عن جابر بن سمرة وأبي هريرة وعمار بن ياسر (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) بكسر العين أي طلع عليه (فقال) أي عقب صعوده (آمين) بالمد ويجوز قصره قيل معناه اللهم استجب وفي الحديث آمين خاتم رب العالمين (ثم صعد درجة فقال آمين ثم صعد درجة فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك) أي عن قوله آمين وسبب تكراره هنا ثلاثا (فقال إن جبرائيل أتاني فقال يا محمد من سميت) بضم السين وتشديد الميم المكسورة على لفظ الخطاب أي ذكرت (بين يديه) أي عنده والمعنى من ذكر اسمك له وهو حاضر يسمعه (فلم يصل عليك) أي عقيب ذكر اسمك (فمات) أي تاركا للصلاة لأنه عليك غير تائب عما وقع له من التقصير بالنسبة إليك (فدخل النار) أي بسبب ترك صلاته لاستهانته أو عدم مبالاته أو لغيره من خطيئاته مع حرمان شفاعته في شدة حالته (فأبعده الله تعالى) أي عن ساحة رحمته وميدان مغفرته واحتمل أنه خبر بمعنى إنشائية معنى ولذا قال جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام (قل آمين فقلت آمين) وهذا في الدرجة الأولى من المنبر وإنما قدم هذه الحالة على البقية لأنها كالمقدمة في التصفية (وقال) أي جبرائيل في الدرجة الثانية (فمن أدرك رمضان فلم يقبل منه) أي صيامه وقيامه

حاجات كالمجودة فذهب قبلها (ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر) أي أدرك الشيخوخة وعمرا وهو معهما إلا أنه لم يبرهما ... (فلم يدخلاه الجنة) لأنه لو فعل ذلك أثابه الله وأدخله الجنة لأن الجنة تحت أقدام الوالدين كما ورد في الحديث (قال عبد الرحمن) بن إسحق الذي تقدم قريبا (وأحسبه) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (أو أحدهما) أي أحد أبويه وتجويز عود الضمير لأبي هريرة فيه بعد من الراوي وسيأتي تتمة الكلام على هذا الحديث والجامع بين هذين أن في صوم رمضان ... ولد بر من هو سبب لوجوده وفي الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ... من هو سبب لبقائه في النعيم الخالد والصوم ... بأمر ليس عليه فيه كلفة كالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبر الوالدين فقد أحرم نفسه من فائدة عظيمة بترك أمر لا مشقة فيه ورواه مسلم ثم بدل الفاء لاستبعاد ... على القاعدة ... كون ذلك وتعقيبه لأن الفاء بمعنى ثم كما توهم وفي ... الوالدين لحال الكبر لأنهما حالة العجز ... والإسناد في قوله يدخلاه إسناد مجازي للسبب (وفي حديث آخر) رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة بطريق أطول من هذا (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) صعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل كما قاله البرهان الحلبي والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبره ... ارتفع لارتفاع الخطيب عليه (فقال آمين) إذ صعد درجة وآمين اسم فعل بمعنى استجب ... وقوله آمين يقتضي أنه سمع داعيا يدعو ولم يكن معه أحد فلذا سأله عن سبب قوله هذا كما سيأتي (ثم صعد) درجة أخرى من درجات المنبر (فقال آمين ثم صعد) درجة (فقال آمين فسأله معاذ) راوي الحديث (عن ذلك) أي عن قوله آمين ثلاثا وسببه (فقال) مجيبا لسائل عن سؤاله (إن جبريل أتاني) لما صعدت المنبر وروي أنه أتاه قبله (فقال يا محمد) وروي أنه قال ... (من سميت) بالبناء للمجهول وتاء الخطاب المفتوحة نائب الفاعل أي ذكر اسمك (بين يديه) أي عنده وهو حاضر يسمع (فلم يصل عليك فمات) تاركا للصلاة عليك والتعقيب عرفي ... قوله (فدخل النار) عقوبة له على ترك الصلاة وقد قدمنا أنه يقتضي وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه (فأبعده الله) عن رحمته ونعيم جنته وقال له جبريل (قل آمين) طلب منه التأمين على دعائه ليستجاب وفيه تعظيم له ... (فقلت آمين) امتثالا للأمر الذي بلغه عن ربه قال ابن حجر في الزواجر ولهذا الوعيد بتكرر الدعاء عليه بالبعد والسحق وعده أبخل الناس عد ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره من الكبائر بناء على وجوبها كلما سمع ذكره كما ذهب إليه طائفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلاة عليه لاشتغاله بلهو ولعب على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله عليه وسلم فيكون الترك حينئذ كبيرة مفسقة فلا منافاة بين هذا وبين القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا أمر مهم لم أر من نبه عليه انتهى (وقال فيمن أدرك رمضان) وصومه (فلم يقبل منه) مبني

(فمات مثل ذلك) بالرفع ويجوز نصبه بل هو الاظهر فقدبر أى فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وهذا فى حق من حقوق
الله سبحانه (ومن أدرك) وفى نسخة وقال أى جبريل من أدرك (أبويه أو أحدهما فلم برهما) بفتح الباء والباء والراء المشددة أى لم
يقم بواجبهما (فمات مثل ذلك) وفى نسخة مثله وهذا ما يتعلق بحقوق العباد (وعن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه)
كما رواه الترمذى وصححه والبيهقى فى شعب الايمان والنسائى من حديث ابنه الحسين عن أبيه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
أنه قال البخيل) أى كل البخيل كما فى رواية (الذى) أى هو الذى (ذكرت عنده فلم يصل على) أى حيث

بخل على بزيادة الفضيلة
وعلى نفسه بزيادة
المثوبة الجزيلة (وعن
جعفر بن محمد) كما رواه
البيهقى فى شعب
الايمان عنه (عن أبيه)
أى مرسلا فان جعفرا
هذا هو الصادق وأبوه
هو الباقر وهو تابعى
فالحديث مرسل ورواه
الطبرانى فى الكبير عن
محمد جد الحسين
موصولا (قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من ذكرت عنده فلم
يصل على أخطئ طريق
الجنة) بضم الهمزة
وكسر الطاء وجوز
الحجى كونه مبنيا
للفاعل أيضا وكأنه
قصد به النسبة المجازية
(وعن على بن أبى طالب
أن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ان البخيل
كل البخيل) أى كامل
البخل حيث بخل بما لم
ينقص من ماله ويزيد
من جماله وكماله فى حاله
ومآله (من ذكرت عنده فلم يصل على) وقد تقدم هذا
الحديث والظاهر ان هذا من زيادة الكتاب والله أعلم بالصواب وفى الجامع الصغير بلفظ البخيل من ذكرت عنده لم يصل على
رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن الحسين مرفوعا (وعن أبى هريرة) كما رواه أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم
وصححه عنه (قال أبو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا) أى مكان جلوس أو جلوسا وفى نسخة صحيحة مجلسهم
(ثم تفرقوا) أى قاموا ويروى ثم تفرقوا عنه (قبل ان يذكروا الله

للمجهول أى لم يقبله الله منه بان أبطله وأحبط عمله (فمات مثل ذلك) أى فدخل النار فابعده الله قل
آمين فقلت آمين (ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما) أى لم يقم بواجب حقوقهما وما يستحقانه
يقال بره بفتح عين الماضى يبره بضمها لانه مضاعف متعد والمطرد فيه ذلك الا افعالا قليلة جاء فيها الضم
والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل فى كتب التصريف (فمات مثله) بالنصب أى وذكر مثله
أى فدخل النار فابعده الله الخ وعدم قبول رمضان اما لانه لم يأت به على وفق أمر الله به بان أخل به أو اما
لانه لم يخلص نيته فيه وهذا حديث صحيح روى من طرق كثيرة باسانيد متعددة (وعن على) ابن أبى
طالب كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذى وصححه والبيهقى والنسائى رحمهم الله (عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال البخيل) كل البخيل (الذى) اذا (ذكرت عنده فلم يصل على) وتعريف
الطرفين يدل على الحصر أى لا بخيل الا هذا والبخل الامساك عن بذل ما ينبغى شرعا أو مروءة والشرع
يقتضى ذلك لانه أمر به وكذا المروءة لانها تقتضى الثناء على ما أنعم وأحسن وأى منعم مثله صلى الله عليه
وسلم فانه واسطة لكل أحد فى جميع النعم التى وصل اليها والبخل بكلمة تنفع فى الدنيا والآخرة بخل
لا يضاهيه بخل وفى الحديث روايات مختلفة فروى البخيل كل البخيل ومؤكدا كما أتى وفيه مبالغة
لا تخفى وهو هنا استعارة تبعية بتشبيه ترك الصلاة بترك الانفاق أو مكنية وتخييلية بتشبيه الصلاة
بالمال الذى ينبغى انفاقه (وعن جعفر) الصادق (بن محمد) الباقر (عن أبيه) محمد الباقر وهو تابعى
فالحديث مرسل كما فى شعب الايمان للبيهقى ورواه الطبرانى فى الكبير متصلا عن الحسين بن على جده
رضى الله عنهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على اخطئ به
طريق الجنة) رضى الله عنهم اخطئ بضم الهمزة وكسر الطاء فى أكثر النسخ مبنى لما لم يسم فاعله
وجوز بناؤه للفاعل أيضا أى دخل النار لانه أخطأ عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه قد
أضله الله عن طريقها وهذا رواه جماعة من طرق متعددة وفى بعضها خطئ (وعن على بن أبى طالب
قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على)
وكل هنا صفة البخيل للمبالغة كأنه جمع افراده كلها وتجب حينئذ اضافته لظاهر مماثل لموصوفه
لفظا ومعنى كما هنا وكقوله

وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقد يضاف لمماثله معنى فقط وهذا الحديث أخرج من طرق متعددة أخرجه النسائى والبيهقى
والبخارى فى تاريخه (وعن أبى هريرة) رواه أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه (قال أبو القاسم
صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم) أى هنا للعموم وما مزيدة أى كل قوم (جلسوا مجلسا) أى فى مجلس
ما (ثم تفرقوا) أى قاموا من مجلسهم (قبل ان يذكروا الله) أى من غير ذكر له تعالى فى مجلسهم أو عند

قيامهم

فيه بهم منه (و) قبل أن (يصلوا على نبيهم الا كانت عليهم من الله ترة) ترة بكسر التاء المثناة وفتح الراء المهملة
وهاء تأنيث عوض من الفاء المحذوفة كعدة وزنة وهي مرفوعة اسم كان وعليهم خبره مقدم ويجوز نصبها
على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة المفهومة مما قبله والترة الحسرة أو النقص والذنب
والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة هنا فقربها لانه يرد كذلك في رواية كما سيأتي بقوله (ان شاء عذبهم
وان شاء غفر لهم) يقتضي انه بمعنى الذنب والخطيئة فهو كالتفسير لما قبله والمعاني كلها متقاربة وقيل
من أنها بمعنى الحسرة والندامة عليهم فهم في مشيئة الله ان شاء عذبهم بترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
وان شاء غفر لهم لانه الغفور الرحيم قد علم أن الترة هي في الاصل النقص قال تعالى ولن يتركم أعمالكم
ومعناها هنا التبعة كذا في شرح السنة وفي غريب الحديث ونقل بعض الفقهاء عن غيره وقرأه بالثاء المثلثة من
الثأر مهموزة أي طالب بدم من القاتل وأين هو منه لفظا ومعنى اذا علمت هذا فيسن لمن أراد القيام من
مجلس أن يقول لا اله الا الله وصلى الله على رسوله ليكون ما كفر لما في ذلك المجلس (وعن أبي
هريرة) رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي في الشعب (من نسي الصلاة على نسي) بضم أوله وتشديد
ثانيه مبني للمجهول وفي نسخة بفتح وتخفيف مبني للفاعل (طريق الجنة) الخ فجعل الصلاة كأنها دليل
يرشد الطريق الى الجنة أو مذكر يذكر بها ففيه استعارة أو النسيان بمعنى الترك مجاز من ذكر المقيد وارادة
المطلق كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله وكذا اليوم تنسى (وعن قتادة) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم) في حديث رواه عبد الرزاق عن معمر والحديث مرسل يستدل به في الفضائل دون الاحكام كما
علم تمامه (من الجفاء) الجفاء ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل للاعراب أهل الجفاء
والجفا يمد ويقصر وهو ضد الصلة (ان أذكر عند الرجل) وفي نسخة رجل وفي أخرى أحد (فلا يصلي على)
المراد بالرجل الجنس كالاثيم في قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني (وعن جابر) رضي الله عنه في حديث رواه
البيهقي (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا منه على غير صلاة على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم الا تفرقوا على) رائحة فيفرح منهم (أنتن) افعل من النتن وهي الرائحة الخبيثة أي
يكرهها كل طبع ويتأذون كلحوم المتغيرة بعد الموت وفعلها نتن بالكسر والضم عند ابن قوطية فافعل
من الثلاثي على القياس أو من أنتن على مذهب سيبويه فما قيل ان صوابه أشد نتنا لا وجه له مع أنه يكفي
لصحته وروده في كلام أفصح الناس صلى الله عليه وسلم (من ريح الجيفة) الريح اما على ظاهره أو بمعنى
الرائحة والجيفة في الاصل رمة الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم اتوا بامر مذموم فشبه المعقول
بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم شرعا من غيره لكفرانه وتقييده من غير دليل
وقيل انه ريحهم في الملأ الاعلى أو يوم القيامة يشمه أهل الموقف وهو بعيد لا يلائمه السياق والظاهر أنه
على التشبيه أو المراد انه كذلك في الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من أهل الغيبة رائحة
خبيثة وهذا الحديث رواه الطيالسي والبيهقي والنسائي والضياء في المختارة بسند صحيح الا أنه ليس فيه ذكر
الله ثم الصلاة كما مر والمشبه به المراد من انواع الجيفة أو شيء غيرها أشد نتنا منها (وعن أبي سعيد)
الخدري في حديث رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق صحيحة (عن النبي صلى الله تعالى

(ولم يصلوا) أي وقبل أن يصلوا (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا كانت) أي وقعت (عليهم من الله ترة) بمثناة فوقية مكسورة وراء
مخففة مفتوحة أي منقصة أو تبعة وهاء ترة عوض عن واوه الموتورة كعدة وصلة ومنه قوله تعالى ولن يتركم أعمالكم وروي ترة
بالحب أي كانت الجلسة أو التفرقة عليهم مضرة (ان شاء) أي الله (عذبهم) أي بتر اهم الفارة المجالس لما
صدر عنهم ويكون عدلا
(وان شاء غفر لهم) أي
مع تقصيرهم ويكون
فضلا (وعن أبي هريرة)
على ما رواه البيهقي في
الشعب عنه مرفوعا (من
نسي الصلاة على) أي
تركها ترك المنسي (نسي
طريق الجنة) أي تركها
واخطأها وضبطه
الدلجي بضم أوله وتشديد
ثانيه وتبعه الانطاكي
(وعن قتادة) أي من
رواية عبد الرزاق عن
معمر عنه (عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم
من الجفاء) بفتح الجيم
والمد ضد الوفاء وقد يراد
به الاذى (ان اذكر عند
الرجل) لم يرد به رجلا
معينا فهو كالنكرة في
المعنى وان كان معرفة في
المبنى ونظيره قوله تعالى
فأكله الذئب (فلا يصلي
على) لغلظ طبعه وعدم
مراعاة شرعه (وعن
جابر) كما رواه البيهقي
(عنه عليه الصلاة
والسلام ما جلس قوم
مجلسا ثم تفرقوا) أي
منه (على غير صلاة)
حال وفي نسخة من غير صلاة صفة مصدر محذوف أي تفرقا صادرا عن غير صلاة (على النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم) أي في حال من الاحوال (الا تفرقوا عن انتن) أي الا حال كونهم متفرقين عن مثل انتن ويروى على انتن (من
ريح الجيف) بسبب ما صدر عنهم من رديء الكلام ومده ومدحه في مقام المرام (وعن أبي سعيد) كما رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور
(عن النبي صلى الله تعالى

عليـه وسـلم قال لا يجاس قوم مجاسا) أى فى مجاس يتحدثون فيه و (لا يصلون فيه على النبى صـلى الله عليه وسـلم) فى اثنائه أو فى آخره (الا كان) ذلك المجاس (حسرة عليهـم) أى ندامة وتأسفا على مافاتهم فيه (وان دخلوا الجنة لمايرون من الثواب) لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال خاصة لقوله
*أقوم آل حصن أم نساء * ويطلق على مايشملهم تغليبا وقيل انه عام لكل جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى الحسرة وهى فى الاصل بمعنى الانقطاع من حسرة الناقة اذا انقطعت عن السير لكلال ويجوز فى كان ان تكون تامة وناقصة وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله تعالى وانه لحسرة على الكافرين أو اسناده مجازى (وحكى أبو عيسى الترمذى) امام الحديث وصاحب الجامع والشمائل وقد قدمنا ترجمته وشهرته تغنى عن ذكره (عن بعض أهل العلم) انه (قال اذا صلى الرجل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرة فى المجاس اجزأ) بالهمزة (عنه ما كان فى ذلك المجاس) أى كفت المرة عن تكريرها بقدر ماذكر اسمه فى ذلك المجاس فهو سنة كفاية أو فرض كفاية بناء على الخلاف السابق وفى بعض الحواشى اختلفت الرواية فيه فعن صاحب المجتبى من الحنفية انه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره وقيل لا يتكرر كما لو تكررت آيات سجدة فى مجاس فانه يكفى فيها سجدة واحدة وقيل المراد بما كان فى ذلك المجاس اللغو ونحوه مما يحتاج للكفارة ويؤيده ماورد فى الحديث من صلى على مرة واحدة محا الله عنه بها ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ماذكر بالطريق الاولى وكذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجاسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر الله له ما كان فى مجاسه ذلك فاذا ضم الى ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما وكفر عنه ماصدر منه ومن أهل مجلسه * واعلم انه قال فى الخزانة انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجب عليه ان يصلى على نفسه انتهى قيل فاذا كان لا يجب عليه ذلك فهل كانت صلاته صلى الله عليه وسلم على نفسه فى صلاته بطريق الاستحباب أو لم يكن يصلى على نفسه فيها قيل لم يصرح به أحد وفى فتاوى السبكى الحلبيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة بالاجماع وكونها ركنا من الصلاة مذهب الشافعى والظاهر ان النبى صلى الله عليه وسلم مشارك لامته فى هذا الحكم من كونها واجبة عليه فى صلاته ركنا فيها فان نقل اجماع انه لم يكن يجب على الامم المتقدمة ان يصلوا على أنبيائهم فينبغى ان تعد من الخصائص واما غيره الانبياء فاقل من ان يتوهم مشاركتهم فى الوجوب حتى يقتضى خصوصية وما نقله الجرجانى من انها لا تجب على غيره استقلالا بالاجماع ان أريد فى غير هذه الملة ان صح ثبتت الخصوصية وان أريد انه لا يجب علينا فى ملتنا ان نصلى على غيره استقلالا فيفهم انه يجب بغير استقلال ولا نعرفه انتهى
* (فصل فى تخصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الانام) كسحاب مطلق او كل ذى روح أو الجن أو الانس خاصه ويقال آنام بالمد كساباط وأنيم كاسير وبدأ بحديث رواه أحمد وأبو داود والبيهقى باسناد حسن وهو قوله (حدثنا القاضى أبو عبد الله التميمى) قال (حدثنا الحسين بن محمد) أبو على الغسانى وقد تقدما قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) قال (حدثنا ابن داسة) تقدم ترجمته قال (حدثنا أبو داود) امام الحديث وصاحب السنن كما تقدم قال حدثنا ابن عوف) محمد بن عوف الطائى الحمصى راوى سنن أبى داود عنه

عليـه وسـلم قال لا يجاس قوم مجاسا لا يصلون فيه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أو لا يذكرون الله تعالى فيه كما فى رواية (الا كان) أى ذلك المجاس (عليهم حسرة) أى يوم القيامة كما فى رواية ولان الجنة لا حسرة فيها فلا بد من هذا القيد ليستقيم (قوله وان دخلوا الجنة) والمراد بالحسرة الندامة اللازمة لمقامهم من سوء آثار كلامهم فقول الدلجى بعد قوله وان دخلوا الجنة فتزدادوا حسرة ليس فى محله (لما يرون) أى فيها (من الثواب) أى الاجر العظيم بالصلاة على النبى الكريم (وحكى أبو عيسى الترمذى) أى صاحب السنن (عن بعض أهل العلم قال اذا صلى الرجل) أى الرجل بل أى شخص (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرة فى المجاس) أى فى مجاس (اجزأ) بالهمزة واجزى لغة فيه أى كفى (عنه ما كان فى ذلك المجاس) أى ما دام فيه دفعا للحرج وهذا هو قول الطحاوى من أصحابنا وهو المعتمد المعتقد والله أعلم وعن صاحب المجتبى من أئمتنا يتكرر الوجوب بتكرره وان كثر وفى الجامع الصغير كرر آية السجدة فى المجاس الواحد يكفيه سجدة واحدة وكذا فى الصلاة ولا تسن السجدة لكل مرة وفى الصلاة تسن لكل مرة
*(فصل) * فى تخصيصه) أى تخصيص الله اياه (عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه) أو سلم عليه (من الانام) أى الخلائق من طوائف الاسلام (ثنا) أى حدثنا كما فى نسخة (القاضى أبو عبد الله التميمى ثنا الحسين بن محمد) هو أبو على الغسانى (ثنا أبو عمر الحافظ) أى ابن عبد البر حافظ المغرب (ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة) بالمهملتين (ثنا أبو داود) أى صاحب السنن (ثنا ابن عوف) أى الطائى الحافظ الحمصى شيخ أبو داود والنسائى وغيرهما توفى

(ثنا المقرى) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير مولى عمر بن الخطاب أصله من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن أبى حنيفة وغيره وعنه البخارى وأحمد وابن راهويه وابن المدينى أخرج له الأئمة الستة (ثنا حيوة) بفتح مهملة فسكون تحتية (عن أبى صخرة) بفتح مهملة وسكون معجمة (حميد) بالتصغير (ابن زياد) وصخر هذا هو الخراط أى شهل بن سعد وروى

توفى سنة اثنين وسبعين ومائتين قال (حدثنا المقرى) أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد القصير المقرى مولى عمر رضى الله تعالى عنه وهو ثقة وأخرج له الستة توفى سنة ثلاث عشر ومائتين كما تقدم قال (حدثنا حيوة) بن شريح كما تقدم قريبا (عن أبى صخر حميد بن زياد) الخراط قال احمد لا باس به وله ترجمة فى الميزان (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بالتصغير الليثى التابعى الثقة توفى سنة اثنين وعشرين ومائة وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان (عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام) أى أجيبه وكلام المصنف فى تبليغ الصلاة وهذا فى تبليغ السلام واذا قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان نوزع فيه كما يأتى فاما ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة أو فهم منه ان المراد بالسلام قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم حى حياة مستمرة لان الكون لا يخلو من مسلم يسلم عليه فى كل لحظة وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء احياء حياة حقيقية كالشهداء وان كان حال البرزخ لا يقاس على حال الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله ان رد الروح يقتضى الموت وهو خلاف المقصود وقد أجيب عنه باجوبة منها ما قاله صاحب القاموس فى كتاب الصلاة والبشر ان البيهقى قال معناه ان الله تعالى رد روحه الشريفة لاجل رد سلام من يسلم عليه ثم استمرت فى جسده وقال عبد الكافى السبكى شيخنا انه يحتمل انه رد معنوى بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الاعلى عن عالم الدنيا فاذا سلم عليه اقبلت روحه على هذا العالم لرد السلام قال السخاوى فى كتابه القول البديع ورد روحه الشريفة يلزمه تعدد حياته ووفاته فى اقل من ساعة اذ الكون لا يخلو من مسلم يسلم عليه بل قد يتعدد فى آن واحد كثيرا وأجاب الفاكهانى بعضهم بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكانه قال يرد الله على نطقى والنطق من لوازم وجود الروح بالفعل أو بالقوة فعبر باحد المتلازمين عن الآخر ويؤيده ان الحياة مرتين لا غير لقوله تعالى أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقيل انه على ظاهره بلا مشقة وقيل المراد بالروح ملك موكل بابلاغه السلام وفيه نظر انتهى وفى رواية كما قاله السبكى ما من احد يسلم على عند قبرى فان ثبتت فهو مخصوص ولا يرد بالرأى * أقول هذا جملة ما فى الحديث من القيل والقال وللنظر فيه مجال اما أولا فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة غير معروفة لاهل اللغة وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية وفيه لم الكلام ركيكا لان قوله حتى ارد عليه السلام يأباه ولو قيل انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر عادت له روحه واخذته راحت روحه ولولا خوف الاطالة أوردت له شواهد وهذا يكون جوابا سادسا وجواب البيهقى خلاف الظاهر كما لا يخفى وكون المراد بالروح الملك تأباه الاضافة لضميره الا ان يقال انه لما كان ملازما له صلى الله عليه وسلم فاختص به على انه اقرب الاجوبة وقد ورد فى بعض الاحاديث وقال أبو داود بلغنى ان ملكا موكلا بكل من صلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يبلغه سلامه ويأتى الكلام عليه وقد ورد أيضا اطلاق الروح على الملك فى القرآن واذا خص هذا بالزوار فان أمره وجملة رد الله على روحى حالية ولا تلزمها قد اذا وقعت بعد الا كما ذكره السهيلى وهو استثناء من اعم الاحوال وبالجملة فهذا الحديث لا يخلو من الاشكال * اقول الذى

عن أبى صالح السمان وأبى سلمة وخلق وعنه ابن وهب وجماعة قال أحمد ليس به باس (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بضم قاف وفتح سين مهملة وسكون تحتية ليثى يروى عن ابن المسيب وعنه مالك والليث ثقة النسائى أخرج له الائمة الستة (عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه) أى على من سلم على (السلام) مفعول ارد والحديث رواه أبو داود وأحمد والبيهقى وسنده حسن وظاهره الاطلاق الشامل لكل مكان وزمان ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان والمعنى ان الله سبحانه يرد روحه الشريف على استغراقه المنيف ليرد على مسلمه جبرا لخاطره الضعيف والاظهر المعتقد المعتمد انه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره كسائر الانبياء فى قبورهم وهم احياء عند ربهم وان لارواحهم تعلقا بالعالم العلوى والسفلى كما كانوا فى الحال الدنيوى فهم بحسب القلب عرشيون وباعتبار القالب فرشيون والله سبحانه أعلم باحوال ارباب الكمال هذا وقال الانطاكى يمكن ان يقال رد الروح كناية عن اعلام الله تعالى اياه بان فلانا صلى عليك أو عن علمه عليه السلام باحوال المسلم من بين الانام

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة) وهو الحافظ الكبير الحجة صاحب التصانيف روى عن ابن المبارك وجماعة وروى عنه الشيخان وطائفة ووثقه الجماعة قال الذهبي أبو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى فى الثقة (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عند قبرى سمعته) أى من غير واسطة (ومن صلى على نائيا) أى بعيدا عنى (بلغته بصيغة المجهول مشددا) أى بلغنيه الملائكة وفى رواية ابلغته والحديث أيضا رواه أبو الشيخ فى الثواب والبيهقى فى الشعب (وعن ابن مسعود) قال الشمنى هو الصواب وقال الحلبي عن أبى مسعود وهو عقبة بن مسعود الانصارى (أن) بفتح الهمزة وكسرها (لله ملائكة سياحين) أى سيارين (فى الارض يبلغونى) بتخفيف النون وتشديدها وهو من باب التفعيل أو الافعال أى يوصلونى (عن أمتى السلام) أى على فارده عليهم رواه احمد والنسائى وابن حبان والحاكم والبيهقى فى الشعب (ونحوه عن أبى هريرة وعن ابن عمر) أى موقوفا ويحتمل ان يكون مرفوعا (اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه) أى السلام (يؤتى به) أى يبلغه (منكم فى كل جمعة) لا يعرف من رواه لكن ورد أكثروا من الصلاة على فى كل يوم جمعة فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلاة كان اقربهم منى منزلة رواه البيهقى عن أبى امامة ورواه عن أنس بلفظ اكثروا من الصلاة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا أو شافعا يوم القيامة وروى ابن ماجه عن أبى الدرداء اكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها وهذا معنى قوله غيره

يظهر فى تفسير الحديث من غير تكلف ان الانبياء والشهداء احياء وحياة الانبياء اقوى واذا لم يسلط عليهم الارض فهم كالنائمين والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى يتنبه كما قال الله تعالى التى لم تمت فى منامها الآية فالمراد بالرد الارسال الذى فى الآية وحينئذ فمعناه انه اذا سمع الصلاة والسلام بواسطة أو بدونها تيقظ وردلان روحه تقبض قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها الان روحه صلى الله عليه وسلم مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه يبلغه الملك سلامه كما ذكر بعده فلا اشكال أصلا الا لمن لا يتدبر وما قيل ان رده صلى الله عليه وسلم مختص بسلام زائره مردود لعموم الحديث فدعوى التخصيص تحتاج لدليل ويرده أيضا الخبر الصحيح ما من احد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم يكن له خصوصية به لما علمت ان غيره يشاركه فى ذلك قال أبو اليمن بن عساكر واذا جاز رده صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره جاز رده على من يسلم عليه من جميع الآفاق من أمته على بعد مسافة (وذكر أبو بكر ابن أبى شيبة) هو عبد الله بن محمد العبسى الكوفى الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة أخرج له الائمة الستة وتوفى فى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة فى الميزان (عن أبى هريرة رضى الله عنه) كما رواه البيهقى وأبو الشيخ (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا) أى بعيدا عنى والنأى بالهمز البعد (بلغته) بالبناء للمفعول أى بلغتنى الملائكة سلامه وصلاته كما ورد مصرحا به فى الحديث وفى بعضها له ملك معين وقوله (وعن أبى مسعود) عقبة بن عمرو الانصارى وفى نسخة ابن مسعود وهو غلط (ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن أمتى السلام) وفى أخرى ان لله ملائكة يسيحون فى الارض يبلغونى صلاة من صلى على من أمتى وهذا يقتضى انهم جماعة كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة من السياحة وهى الطواف فى الارض والدوران فيها والذهاب الى البلاد البعيدة وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لا سياحة فى الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الماء اذا جرى على وجه الارض أما الملائكة اذا أمروا بذلك لهذه الخدمة فهو عبادة لهم لانهم لا يفعلون الا ما يؤمرون وقوله يبلغونى الى آخره صفة الملائكة أو جملة مستانفة استئنافا بيانيا وليس هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه أحمد والنسائى والبيهقى والدارمى وابن حبان وأبو نعيم والخلعى بسند صحيح (ونحوه عن أبى هريرة) أى بمعناه ما رواه فى الترغيب عن أبى هريرة وفى الحلية لابى نعيم واللفظ الذى فى الترغيب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله تعالى عز وجل سيارة من الملائكة اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم امنوا على دعائهم فاذا صلوا على صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء فانهم مغفور لهم وفى الحلية انه تبلغ صلاتهم ويكفوا امر دنياهم وآخرتهم (وعن ابن عمر) رضى الله عنهما لم يخرجوا هذا الحديث (اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة) المراد به الصلاة والسلام عليه فى يوم الجمعة وليلتها ويحتمل ان يريد السلام وحده (فانه) أى السلام (يؤتى به منكم فى كل جمعة) لانه يوم يعرض فيه الاعمال وللصلاة فيه فضل على

(وفي رواية فان أحدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها) أي أول ما يفرغ من غير توقف بخلاف سائر الايام فانه يكون موقوفا الى مجيء يوم الجمعة وفي نسخة حتى يفرغ منها والمعنى ان جميع صلاته وان أطال في كلماته تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وروى البيهقي عن أبي هريرة وابن عدي عن أنس وأبو يعلى عن الحسن وخالد بن معدان مرسلا أكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر فان صلاتكم تعرض علي (وعن الحسن) برواية الطبراني وأبي يعلى باسناد حسن (عنه عليه الصلاة والسلام حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني) أي تصل الي بواسطة الملائكة يوم الجمعة وروى ابن مردويه عن أبي هريرة صلوا علي فان صلاتكم على ذكرة لكم وروى ابن عدي عن ابن عمر وأبي هريرة صلوا على صلى الله عليكم وروى أحمد والنسائي وجماعة صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد (وعن ابن عباس) كما رواه اسحق بن راهويه في مسنده والبيهقي في شعبه موقوفا (ليس أحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه) بضم موحدة وتشديد لام مكسورة ويجوز فتحها مخففة (وذكر بعضهم ان العبد) أي من عباد الله (اذا صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه) أي اسم المصلي عليه بخصوصه (وعن الحسن بن علي) كما رواه ابن أبي شيبة وعنه أبو يعلى عن زين العابدين علي بن الحسين (اذا دخلت المسجد) أي أردت دخوله أو اذا حققت وصوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي) أي قبري كما في رواية لانه في بيته (عيدا) والمعنى لا تجعلوا زيارة قبري عيدا ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته عليه السلام اجتماعهم للعيد من الايام وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور أنبيائهم ويشتغلون باللهو والطرب مع آبائهم وابنائهم ونسائهم فنهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك تحذيرا لهم مما يقع من الفساد هنالك ويؤيده حديث لعن الله اليهود

لهم وذكر في الدر المنضود ان في رواية ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة الا عرضت علي صلاته صححها الحاكم والبيهقي وفي سندها راو وثقه البخاري وضعفه غيره (وفي رواية) أخرى (فان أحدا لا يصلي علي) في ذلك اليوم والليلة (الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها) قال السخاوي رحمه الله هذا الحديث لم أقف عليه وفي الدر المنضود وفي رواية رجالها ثقات الا انها منقطعة أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قال راويه أبو الدرداء وبعد الموت قال وبعد الموت وروى البيهقي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أقربكم مني يوم القيامة أكثركم علي صلاة في الدنيا ومن صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وورد في الاحاديث الحث عليه في يوم الجمعة فانه يوم مشهود والانبياء أحياء في قبورهم كما تقرر فان قلت ورد تبليغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مطلقا في أحاديث تأتي وفي بعضها مقيدا بيوم الجمعة كما مر وبأتي فما وجهه قلت وجهه يجوز أن يكون عرضها وتبليغها في كل يوم من بعض الملائكة وما في يوم الجمعة من آخرين أو ذلك عرض لها افرادي وهذا جملة على وجه خاص أو تكتب في صحف عنده كما وقع في بعض الروايات (وعن الحسن) بن علي بن أبي طالب في حديث رواه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو يعلى باسناد صحيح (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني) أي تبلغها له الملائكة كما تقدم وحيث اذا اتصلت بما فهي شرطية وهي ظرف مكان وتأتي للزمان كما في قوله

حيثما تستقم يقدر لك الله * نجاحا في غابر الازمان

(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث موقوف رواه البيهقي وابن راهويه (ليس أحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم أو يصلي عليه الا بلغه) بضم الباء وكسر اللام المشددة مبني للمفعول أي بلغته الملائكة سلامه وصلاته وهذا يحتمل تعيين المصلي وعدمه فلذا أردفه بقوله (وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى) أو سلم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم صلاته وسلامه و(اسمه) واسم أبيه وعشيرته فيثبت عنده في صحيفة كما ورد في حديث مرفوع وقيل المراد ببعضهم النميري عن حماد ويأتي قريبا ما يؤيد صحة ما قاله (وعن الحسن بن علي اذا دخلت) بتاء الخطاب لغير معين (المسجد) تعريفه للجنس فان كل من دخل مسجدا أي مسجد كان يستحب له ان يصلي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذكر الخيضري في كتابه اللواء المعلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاول والذي حمله على هذا قوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا) فان بيته عند مسجده ولذا قيل المراد ببيته قبره فانه في بيته دفن ويأتي

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ويحتمل أن يراد به الحث على كثرة زيارته اذ هي أفضل القربات وأكد المستحبات بل قريبة من درجة الواجبات فالمعنى اكثروا من زيارتي ولا تجعلوها كالعيد تزورونني في السنة مرتين أو في العمر كرتين بدليل أحاديث كثيرة وردت بالحث عليها أو بوجوب الشفاعة لمن أتى اليها وقيل يحتمل أن يكون نهيه عليه الصلاة والسلام لدفع المشقة عن الامة بناء على كمال الرحمة ويؤيده قوله الآتي وصلوا على حيث كنتم أو لكراهة ان يتجاوزوا في تعظيم قبره زيادة على قدره بنحو السجدة لغيره (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) أي كالقبور لا يصلى فيها والمعنى اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم لما روى أحمد عن زيد بن خالد لا تتخذوا بيوتكم قبورا صلوا فيها ويؤيده قول الخطابي لا تجعلوها وطنا للنوم فقط لا تصلون فيها فان النوم أخو الموت والميت لا يصلى أو لا تجعلوها قبورا لموتاكم تدفنونهم فيها قال الخطابي وليس بشيء فقد دفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ودفع بان هذا من خصوصيات الانبياء بدليل قوله عليه الصلاة والسلام ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يجب ان يدفن فيه كما رواه الترمذي عن أبي بكر (وصلوا على حيث كنتم) أي قريبا أو بعيدا (فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه الطبراني وأبو يعلى بسند حسن

في رواية أخرى ولا تجعلوا قبري عيدا مع الكلام عليهما والعيد الموسم الذي يجتمع فيه وياؤه منقلبة عن الواو لانه سمي به لعوده في كل عام وجمع على أعياد وقياسه الجمع على أعواد للفرق بينه وبين جمع عود ونهيه صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم من الزينة واللهو والطرب وقيل النهي عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها حتى لا يتخذوثنا يعبد وقيل المراد لا يتخذوها كالعيد تزورونها في العام مرة بل اكثروا من زيارتها (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) أي لا تتركوا الصلاة والعبادة فيها فتكونوا فيها كأنكم أموات وكذا قيل

فيا نائم الليل هنيئته * فقبل الممات سكنت القبورا

وقيل المراد لا تدفنوا في البيوت بل في الجبانة ولا يرد عليه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دفن في بيته لانه اتبع فيه سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كما ورد ما قبض نبي الا دفن حيث يقبض فهو مخصوص بهم (وصلوا على حيث كنتم) أي في أي مكان فلا يحتاج للاتيان لمسجده لا لقبره الشريف حتى يسلم عليه وهذا دليل على ان المسجد في أول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم (فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) أعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه ممن كان عنده في مسجده الشريف أو عند قبره الشريف وليس تأكيدا لما قبله لافادته تعميما آخر لا يعلم مما قبله وهذا الحديث أخرجه الطبراني وأبو يعلى (وفي حديث أوس) ابن أوس الصحابي الثقفي (أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة) خصها لما فيها من الفضل فهي يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه صلاة من صلى عليه وللصلاة عليه فيه فضل على غيرها لما فيه من الصلة ولانه يوم يزار فيه وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي وأحمد في مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وقيل انما خص يوم الجمعة لانه كما ورد في الحديث أفضل الايام الجمعة وفيه خلق آدم عليه السلام وقبضت روحه وفيه النفخة والصعقة قيل وحد أقل الكثرة من الصلاة ثلثمائة وبضع عشرة كما في قوت القلوب وقال السخاوي لم أقف له على مستند فلعله تلقاه عن أحد من الصالحين عرفه بتجارب أو غيره أو رآه أقل ما تحصل به الكثرة (فان صلاتكم معروضة على) تقدم بيانه قريبا (وعن سليمان بن سحيم) بالتصغير وسين وحاء مهملتين وهو مولى آل العباس وقيل آل الحسين وهو من علماء الحجاز المشهورين وحيث أطلق في النقل فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم آخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو الثقة توفي في خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن أبي الدنيا والبيهقي في حياة الانبياء (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام) ومن رآه في المنام فقد رآه حقا فان الشيطان لا يتمثل في صورته (فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك) اذا زاروا مقامك بعد الانتقال (أتفقه سلامهم) أي أتسمعه وتفهمه (قال نعم وارد عليهم) وفقه يفقه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت الى القبر الشريف فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته من داخل القبر يقول وعليك السلام ووقع للسيد نور الدين بن العفيف الايجي

(وفي حديث أوس) هو أوس بن أوس الثقفي صحابي وفي الصحابة خمسة وأربعون نفرا يسمون أوسا انه (اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على) أي من غير واسطة أو من غير انتظار رابطة رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه (وعن سليمان بن سحيم) بضم السين وفتح حاء مهملتين فتحتية ساكنة مدني يروي عن ابن المسيب وجماعة وعنه ابن عيينة وطائفة أخرج له مسلم وغيره (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك) أي للزيارة (فيسلمون عليك أتفقه سلامهم) أي أتعرف كلامهم وتدري مرامهم (قال نعم وارد عليهم) أي سلامهم وأقضي مرامهم

انه سمع جواب السلام من داخل القبر الشريف وعليك السلام يا ولدى وفى مسند الدارمى ان الاذان والاقامة تركا أيام الحرة وان ابن المسيب لم يبرح مقيما فى المسجد فكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله واردعطف على قول السائل اتفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل فى شروح الكشاف فى قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ويكون فى الجمل والمفردات كما تقدم وانما وقع فى الجواب عما سئل عنه وهو ظاهر * (تنبيه) * اذا رأى أحد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى منامه وأمره بأمر هل يلزمه العمل بما قال فيه تفصيل فان وافق الشرع لزمه العمل به ولا يلزمه أمر غيره به وما لا فلا يلزمه العمل به لان الرؤيا لا يضبطها النائم ويحتمل التأويل وهذا هو الصحيح وفيه كلام ليس هذا محله (وعن ابن شهاب) هو الزهرى كما تقدم وهذا رواه عنه النميرى (بلغنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) وفى نسخة بلغنا ان رسول الله قال (أكثروا من الصلاة على فى الليلة الزهراء واليوم الازهر) يعنى ليلة الجمعة ويومها ويعنى بالازهر الابيض المستنير ولذا كان الازهر لا يطلق فى وضع اللغة على اللون الابيض وأشاع بعد ذلك مطلقه ونورهما البركة ما وقع فى ذلك اليوم من العبادة التى خص بها وما فيه من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر فى فضائله وهو عيد المؤمنين وتنزل فيه الملائكة كثيرا (فانهما) أى يوم الجمعة وليلتها (يؤديان عنكم) بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة أى يوصلان صلاتكم على ويبلغانها لى والاسناد الى الزمان اسناد مجازى أى يؤدى الملائكة فيهما ذلك وكونهما يخلق لهما نطق بذلك الاداء خلاف الظاهر وان جاز لان التصريح بعده بحمل الملك لذلك يأباه وبما تقرر فى هذه الاحاديث علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه الصلاة والسلام عليه اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة سواء ليلة الجمعة وغيرها وأفتى النووى فيمن حلف بالطلاق الثلاث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك فى ذلك والورع ان يلتزم الحنث (وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء) لانهم عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم لا تبلى أجسادهم وهذا جواب عن سؤال مقدر كانه قيل كيف يكون ذلك لمن مات وأكلته الارض كما ورد مصرحا به فى حديث آخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية أو بفتحها بتقدير وبلغنا ان الارض الى آخره وقيل انه بيان لخاصية أخرى والاول أولى ولا ينافى ما تقرر من حياتهم ما فى صحيح ابن حبان فى قصة عجوز بنى اسرائيل انها دلت موسى عليه السلام على الصندوق الذى فيه عظام يوسف فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر الى الارض المقدسة اما لانها أرادت بالعظام كل البدن أو لان الجسد لما لم تشاهد فيه روح عبر عنه بالعظام الذى من شأنه عدم البلى أو ان ذلك باعتبار ظنها ان ابدان الانبياء كابدان غيرهم فى البلى (وما من مسلم) من مزيدة للتعميم أى كل مسلم (يصلى على) وهو بعيد (الا حملها) أى صلاته وسلامه (ملك حتى يؤديها) أى يوصلها (الى ويسميه حتى انه) بكسر الهمزة (ليقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا) فيذكر ما قاله بعينه بعد تعيينه باسمه واسم أبيه ومكانه وشهرته وأخرج جمع انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا أعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبرى اذا مت فليس أحد يصلى على صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان فيصلى الرب تعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وفى رواية فهو قائم على قبرى حتى تقوم الساعة ليس أحد من أمتى يصلى على صلاته الا قال يا أحمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه يصلى عليك كذا وكذا وضمن لى الرب ان من صلى على صلاة صلى الله عليه وسلم عشرا وان زاد زاده الله وتقدم انه كان من عادة السلف أيضا ان يرسلوا السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الزوار أيضا كل عام كما قيل

رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى حياة الانبياء وفى شعب الايمان (وعن ابن شهاب) أى الزهرى كما رواه النميرى مرسلا (بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة على فى الليلة الزهراء) أى البيضاء النوراء (واليوم الازهر) أى الانور وروى فى الليلة الغراء واليوم الاغر يعنى ليلة الجمعة ويوم الجمعة (فانهما) أى اليوم والليلة (يؤديان) أى ذلك (عنكم وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء وما من مسلم يصلى على) أى صلاة (الا حملها ملك) أى تحملها عنه (حتى يؤديها) أى يوصلها (الى ويسميه) أى لدى (حتى انه) أى الملك (ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا) كناية عن الفاظ الصلاة والسلام اجمالا وتفصيلا وتكثيرا وتقليلا فناهيك به تعظيما وتبجيلا

(فصل) (في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي) وزيد في نسخة أبو الفضل يعني المصنف (وفقه الله) وفي نسخة رحمة الله تعالى فالاولى من كلامه والاخرى من كلام غيره (عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من سائر الانبياء وأقول بل هي مستحبة لما روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه والخطيب عن أنس مرفوعا صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني فيستحقون الصلاة كما أستحقها الان المراد بها تعظيم من يصلى عليه ويؤيده الحديث الصحيح كما صليت على ابراهيم وهو في المدعى كالصريح (وروى عن ابن عباس)

ألا أيها الغادي الى يثرب مهلا * لتحمل شوقا ما أطيق له حملا

تحمل رعاك الله مني تحية * وبلغ سلامي روح من طيبة حلا

(فصل في الاختلاف) الواقع بين العلماء (في الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في جواز الصلاة على غيره من المؤمنين غير الانبياء كالصحابة ونحوهم (وسائر الانبياء) أي بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهما وسائر بمعنى باقي كما تقدم والخلاف في جواز الصلاة على من ذكر استقلالا لا بطريق التبعية له كالصلاة على آله وأزواجه (قال القاضي) عياض المؤلف وفقه الله (عامة أهل العلم) أي جميعهم (متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) من الانبياء والملائكة والمؤمنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليست بمسلمة وقد قال النووي في الاذكار أجمعوا على طلب الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك أجمع من يعتد به على استحبابها على سائر الانبياء والملائكة استقلالا واما على غيرهم ابتداء فالجمهور على انه لا يصلى عليهم واختلف في هذا المنع فقال بعض أصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذي عليه الاكثر كراهة تنزيها لانه شعار أهل البدع انتهى ملخصا فدعواه الاتفاق مخالفة للمنقول وقال الجويني ان السلام مثل الصلاة فلا يقال علي عليه السلام اللهم الا ان يقال مراده بغير النبي بقية الانبياء الا انه تخصيص من غير دليل (وروى عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور في سننه والطبراني وابن أبي شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية أمته لقوله فيه ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله (وروى عنه) أي عن ابن عباس رواه القاضي اسمعيل في أحكام القرآن (لا تنبغي الصلاة) من أحد (على أحد الا النبيين) وهذا مفسر لما قبله (وقال سفيان) الثوري (يكره ان يصلى الا على نبي) وهو موافق لكلام ابن عباس ولما في الكراهة من معنى النفي عم وصح وقوع الاستثناء المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقي والاخرى تفرد بها البيهقي يكره ان يصلى على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلى هذا لا يصلى على غيره من الانبياء استقلالا وهو احدى الروايتين عن الثوري كما تقدم (وهذا غير معروف من مذهبه) أي مذهب الامام مالك وأيد كونه غير معروف من مذهبه بقوله (وقد قال) الامام (مالك في المبسوط) اسم كتاب كالمدونة (ليحيى بن اسحق) الذي روى المبسوط عن مالك وهو يحيى بن اسحق بن عبد الله بن اسحق بن المهلب ابن جعفر ويكنى أبا بكر وله بيت شريف بقرطبة (أكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى

كما في شعب الايمان للبيهقي وسنن سعيد بن أبي منصور (انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله رضي الله تعالى عنه أخذ من قوله تعالى في حق الانبياء عليهم السلام سلام على نوح سلام على ابراهيم سلام على موسى وهرون وسلام على المرسلين ومن مفهوم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما حيث يستفاد منه ان الجمع بينهما من خصوصيته عليه السلام مما بين الانام (وروى عنه) أي عن ابن عباس كما في فضل الصلاة عليه عليه السلام لاسمعيل القاضي (لا تنبغي الصلاة على أحد الا النبيين) ولعله رجع عن قوله الاول أو مراده به الجمع على ما ذكرنا فتأمل فانه يمكن الجمع به على ما هو المعول (وقال سفيان) أي الثوري أو ابن عيينة (يكره ان يصلى) ما أي على أحد اصالة (الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي) وفي حاشية الحلبي قوله وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي بالفاء والسين المهملة نسبة الى بلد بالمغرب قال ابن ماكولا أبو عمران الفاسي فقيه أهل القيروان في وقته (مذهب مالك انه لا يجوز) أي لا ينبغي (ان يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد وهذا) أي النقل (غير معروف من مذهبه) لكن يمكن ان يكون مراده الجمع بين الصلاة والسلام فانه حينئذ يكون وفق مشربه (وقد قال مالك) أي الامام (في المبسوطة) وفي نسخة صحيحة في المبسوط (ليحيى بن اسحق أكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى) أي بالجمع بين الصلاة والسلام

(ما أمرنا به) أى من الجمع بين الصلاة والسلام مختصا به فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (قال يحيى بن يحيى)
أى الليثى عالم الاندلس راوى (الموطأ لست آخذ بقوله) أى بقول مالك انه لا يجوز أن يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد (ولا باس
الصلاة على الانبياء كلهم) أى بالاصالة (وعلى غيرهم) أى تبعا ويحتمل انه أراد به استقلالا لانا ننزهه عن مخالفة العلماء اجلالا
(واحتج) أى يحيى لما قاله وفى نسخة صحيحة واحتجوا أى هو ومن تبعه (بحديث ابن عمر) أى الآتى انه
كان يصلى على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلى أبى بكر وعمر (وبما
جاء فى حديث تعليم النبى
صلى الله تعالى عليه
وسلم) أى اصحابه فيما مر
(الصلاة عليه وفيه) أى
وفى حديث تعليمه عليه
السلام (وعلى آله
وأزواجه) وفيه انه
لا خلاف فى جواز الصلاة
على غير الانبياء تبعا
وزيد فى بعض النسخ
هنا (وقد وجدت معلقا
عن أبى عمران الفاسى)
بالفاء والسين وفى نسخة
القاسى بالقاف وبعده
بعد الالف فسين مهملة
(روى عن ابن عباس
كراهة الصلاة على غير
النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم قال وبه أقول) وفى
نسخة وبه نقول (ولم يكن
يستعمل فيما مضى وقد
روى عبد الرزاق عن
أبى هريرة رضى الله
تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم صلوا على
أنبياء الله ورسله فان الله)
وفى نسخة فان الله (بعثهم كما بعثنى قالوا) أى يحيى واتباعه أو جمهور العلماء وهو الظاهر من قوله
(والاسانيد) أى الواردة (عن ابن عباس) من نحو قوله لا تجوز الصلاة على غير النبى عليه السلام (لينة) أى ضعيفة لا يصلح شئ منها
للاحتجاج به على عدم جواز الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (والصلاة فى لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء) أى ونحوهما
من الاستغفار وحسن الثناء (وذلك) أى جوازه (على الاطلاق) أى بالاتفاق

ما أمرنا به) فلا نتجاوزه لغيره لانه امر تعبدى لا يعقل معناه بالرأى ويقتصر فيه على ما روى عنهم (وقال يحيى
ابن يحيى) الليثى عالم الاندلس وراوى الموطأ عن مالك رحمه الله تعالى (لست آخذ بقوله) أى لا أتمسك
بقول مالك ما ينبغى لنا ان نتعدى ما أمرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقط يعنى قوله تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبى الآية ومن عزا لمالك عدم الجواز حمل قوله ما ينبغى على عدم الجواز
فمراده وهى تستعمل لهذا المعنى وهو ردت لغيره أيضا (ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم)
من الملائكة والمؤمنين (واحتج) يحيى بن يحيى لما قاله (بحديث بن عمر) الآتى انه كان يصلى على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر تبعا (وبما جاء فى حديث تعليم النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم الصحابة الصلاة عليه) كما مر (وفيه) أى فى حديث تعليمه أيضا (وعلى ازواجه وعلى آله) فهذا
ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبياء جائزة الا ان هذا بطريق التبعية والخلاف فى الصلاة على
غيرهم استقلالا كما مر وحينئذ فما ذكر لا ينافى ما قوله مالك ولا يتجه ما قاله يحيى بن يحيى رحمه الله وفى
بعض النسخ زيادة وهى (وقد وجدت معلقا) أى مكتوبا فى بعض الكتب وقيل التعليق هنا
ما اصطلح عليه المحدثون من ذكر حديث بطى سنده أو بعضه وقوله وجدت من الوجادة وهى فى
اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا بخط من يعرفه سواء عاصره أم لا فيرويه عن أبى عمران الفاسى هو موسى
ابن عيسى الغفجومى بفتح الغين المعجمة وسكون المثلثة وجيم وواو وميم نسبة لقبيلة من البربر والفاسى
نسبة لفاس بلدة بالمغرب وقوله فى القاموس انه بهمزة لا اصل له وأبو عمران فقيه المغرب توفى سنة
ثلاثين وأربعمائة فى ثالث شهر رمضان (روى عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم) نبيا أو غيره (قال) أبو عمران (وبه نقول) أى نعتقده ونعمل به (ولم تكن) الصلاة على
غير نبينا استقلالا (تستعمل فيما مضى) من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم كما تقدم (وقد روى
عبد الرزاق) وهو امام الحديث أبو بكر بن همام بن نافع الحميرى وله تصانيف جليلة وروى عنه أحمد
وغيره توفى سنة احدى عشر ومائتين (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثنى) تعليل للصلاة عليهم بانهم ساووه صلى الله عليه وسلم
فى أصل البعثة وينبغى ان يصلى عليهم كما صلى عليه وهذا الحديث رواه الطبرانى والقاضى اسمعيل
والتميمى فى الترغيب وغيرهم بسند صحيح (قالوا والاسانيد عن ابن عباس) الواردة فى منع الصلاة على
غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (لينة) أى ليست بقوية فلا تعارض ما روى عنه وعن غيره من طرق
متعددة باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين اذا كان
لا يصلح للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه يقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح فليس بلين
فتأمله ثم رده بوجه آخر مقبول فقال (والصلاة) معناها التى وضعت له (فى لسان العرب) اى فى لغتهم
واللسان اسم للجارحة التى هى آلة النطق فتجوز بها عما ذكر كما قال الله تعالى وما أرسلنا من رسول
الا بلسان قومه (بمعنى الترحم والدعاء) بالرحمة (وذلك) أى الدعاء بالرحمة (على الاطلاق) أى يجوز مطلقا

(حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع) أى صريح وقد قال الله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته الآية تمامها ليخرجكم من الظلمات الى النور وفى المعالم للبغوى فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين وقال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركتنا فيه فانزل الله تعالى هذه الآية (وقال) أى الله تعالى لنبيه عليه السلام (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) أى من رذيلة البخل (وتزكيهم) أى وتنمى مالهم (بها) أى بسببها (وصل عليهم) أى التفت اليهم وترحم عليهم واقبل عذر مالديهم (الآية) وهى ان صلاتك سكن لهم أى تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وفيه ايماء الى خصوصيته بهذا الدعاء (وقال) أى الله سبحانه (أولئك عليهم صلوات من ربهم) أى تحيات ومدحات (ورحمة) أى أنواع رحمات وظاهره ان الصلاة عامة للمؤمنين ولا يبعد ان يكون من باب التوزيع والتقسيم وان تكون الصلوات خاصة للانبياء والرحمة عامة للاصفياء (وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن عبد الله بن أبى أوفى (اللهم صل على آل أبى أوفى) ومن تتمة الحديث قوله (وكان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) كناية عما ينسبون اليه وقد رواه أبو داود والنسائى عن قيس بن سعد بن عبادة انه عليه السلام قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة ومرادهم كابى أوفى (وفى حديث الصلاة) أى فى التشهد (اللهم صل على محمد وأزواجه) وفى نسخة وعلى أزواجه (وذريته وفى آخر) أى حديث آخر (وعلى آل محمد قيل) أى المراد بهم (اتباعه) أى الى يوم القيامة (وقيل أمته) أى أمة الاجابة وهو قريب مما قبله ورد بما يقال هو أعم والاول أخص (وقيل آل بيته) أى أقاربه وأزواجه وذريته (قيل الاتباع والرهط والعشيرة) أى جميعهم ويروى الاتباع وهم الرهط وقيل رهط الرجل قبيلته وعشيرته قومه

ما

على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك اشارة الى قول يحيى لا بأس بها على الانبياء وغيرهم كما قيل (حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع) لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه دلالة المعنى الا ان هذا غير مسلم لانه لم يوضع لمطلق الدعاء بالرحمة بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه أورد دليلا أقوى من هذا فقال (وقد قال الله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته) ففى هذه الآية دليل على انه تجوز الصلاة على كل مؤمن فضلا عن الانبياء لان سبب نزولها كما مر انه لما نزل عليه ان الله وملائكته يصلون على النبى قال الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شئ فنزل الله هذه الآية وتقدم ان صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار لسائر المؤمنين (وقال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الآية وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم فامره بالدعاء لهم بلفظ الصلاة لمن أدى الصدقة وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل على آل أبى أوفى كما يأتى وفى دعائه بذلك دليل على جوازه مطلقا وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمئنان قلوبهم (وقال الله تعالى أولئك) الاشارة لمن صبر عند المصيبة من المؤمنين (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها اعم لانه يجوز التفسير بالاعم المقصود فلا يرد عليه ان العطف يقتضى المغايرة لان الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (اللهم صل على آل أبى أوفى) وهذا الحديث روى عن عبد الله بن أبى أوفى وتتمته (وكان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) فأتاه بصدقته فقال اللهم صل على آل أبى أوفى والصدقة المراد بها هنا الزكاة وان كانت عامة ومعنى صل عليهم ارحمهم وطهرهم وزك أموالهم التى بذلوا زكاتها وآله أهله واتباعه وقيل المراد نفسه وذاته كما فى قوله لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود أى من مزامير داود عليه الصلاة والسلام نظير ما ذكره المصنف فى تفسير آله صلى الله عليه وسلم كما يأتى وأبو أوفى هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمى الصحابى وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابى أيضا شهد مع أبيه بيعة الرضوان وهذا الحديث من أقوى ما استدل به على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا (وفى حديث الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد وقد تقدم بيانه وبيان سنده وطرقه مفصلا (اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته) وهم نسله وأولاده كما تقدم (وفى حديث آخر) روى فى صلاة التشهد (وعلى آل محمد) وفسر الاول بقوله (قيل) آله (اتباعه) جمع تابع أو تبيع وهو من يقفو أثره ويلحقه وخص عرفا بمن يخصه من الاهل والخدم (وقيل) آله (وأمته) والمراد أمة الاجابة وهم كل من آمن به وأمة الدعوة أعم منهم (وقيل) هم (الاتباع والرهط والعشيرة) والرهط القبيلة مطلقا وهو فى الاصل

بدون العشيرة ثم عمومة العشيرة بنو أب دالأدنون وفيلته (وقيل آل الرجل ولده) أى نسله مطلقا (وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة) لانها أوساخ الناس فلا تليق بهم وقد طهرهم الله تعالى وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من خمس الخمس بكل بيتهم (وفى رواية أنس سئل النبى صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى) هذا حديث صحيح روى من طرق رواه الطبرانى والديلمى وغيرهم وهذا معنى مجازى كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا آل البيت لان الله طهر أهل البيت وعدهم بنفى الذنوب عنهم فالذى على كل تقى أكرمه الله تعالى بنفى سيئاته وهذا معروف فى لسانهم كما قيل محمد أخ لى لم تلده أمى * (ويجىء على مذهب الحسن) البصرى رضى الله عنه والمشهور المستقر فى معنى الآل (ان المراد بآل محمد) الوارد فى الصلاة عليه (محمد نفسه) أى فعنده ان الآل بمعناه الذات والنفس فيقال آل فلان بمعنى ذاته وغيره من النحاة واللغويين جعله فى مثله زائدا مقحما والزيادة فى الاسماء خلاف الاصل وهذا من كلامهم ان أمكن حمل كلامه عليه الا ان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك * (فائدة) روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال تكون أرض يقال لها البصرة أقوم الارضين قبلة قراؤها أقرأ الناس وعابدها أعبد الناس ومتصدقها أعظم الناس صدقة وتجارها أعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة أربعة فراسخ يستشهد عند مسجدها تسعون ألف شهيد من أفضل الشهداء قتلى وعلماؤها أقرؤهم فى العربية متقدمة على غيرهم لمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم لها (فانه كان يقول فى صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى التشهد (اللهم اجعل صلاتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل) بضم الياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام أى لا يترك والخلل يأتى بمعنى الترك والنقص (بالفرض) يعنى به الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويأتى بالنفل) يعنى به الصلاة على آل النبى صلى الله عليه وسلم اعترض عليه بما تقدم من ان الصلاة عليه فى التشهد ليست بفرض الا عند الشافعى وعند المصنف انه شذ فيه ولم يوافقه غيره فيه كما مر (لان الفرض الذى أمر الله به) فى آية صلوا عليه وسلموا تسليما (هو الصلاة على محمد نفسه) لا على آله كما ذهب اليه الشافعى فوافقه الحسن لانه فى الشذوذ الذى ذكره وشنع به عليه والجواب عنه ان مراده بالفرض ما لابد منه لمن أراد الصلاة فانه يلزمه أن يذكره ولا يترك مقتصرا على غيره أو يقول انه مذهب الحسن وموافقه واحد لا تنافى الشذوذ عنده (وهذا) أى ذكر الآل وارادة الذات منه (مثل قوله صلى الله عليه وسلم) فى حق أبى موسى الاشعرى لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه (لقد أوتى) أى والله لقد آتى الله أبا موسى (مزمارا من مزامير آل داود يريد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مزامير داود) نبى الله صلى الله عليه وسلم فالآل بمعنى نفسه كما فى صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر الميم وهو اسم آلة ويقال مزمور أيضا والزمر النفخ فى المزمار والصوت الحسن بغير آلة لان أصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

زنان حنان بينهما * رجل أحسن غناء وزمر

أى حسن كما قاله ابن الانبارى فزامير بمعنى ترغناته لا انه كان له الآلة المعروفة والمنقول انه الة نفسه لا الآلة وكان لحسن صوته اذا قرأ يتلاحين الزبور وأدعيته تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الماء

(وقيل آل الرجل ولده) أى أولاده وأحفاده (وقيل قومه) أى المؤمنون من قريش أو بنى هاشم (وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة) عن زيد بن أرقم آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حرم الصدقة عليهم وهم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس (وفى رواية أنس) كما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه (سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى) الظاهر ان كل تقى منهم والمعنى من ليس بتقى ليس بآلى ولا يبعد أن يكون المعنى كل من يكون تقيا يكون آلا وعلى التقدير يؤيده قوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون (ويجىء على مذهب الحسن) الظاهر انه الحسن البصرى (ان المراد بآل محمد محمد نفسه) أى فى بعض التراكيب (فانه) أى النبى عليه السلام أو الحسن (كان يقول فى صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على ما رواه النميرى (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد) زيد فى نسخة يريد نفسه الشريفة الا انه لا يلائم قوله (لانه) أى قائله (كان لا يخل بالفرض) أى فى الجملة وهو الصلاة على محمد (ويأتى بالنفل) وهو الصلاة على آله (لان الفرض الذى أمره الله به) أى فى قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه (هو الصلاة على محمد نفسه) أى ذاته دون غيره بشهادة رواياته الاخرى من طرق متعددة على محمد دون آله (وهذا) أى كون الآل مقحما (مثل قوله عليه السلام) فيما رواه الشيخان (لقد أوتى) أى أبو موسى الاشعرى (مزمارا) أى صوتا حسنا (من مزامير آل داود يريد) أى النبى عليه الصلاة والسلام (من مزامير داود) لانه لا يعرف أحد من آله كان له من ذلك طرف هذا من التنزيل ولا نعرف الجمع فى العرب

(وفى حديث أبى حميد الساعدى فى الصلاة) أى فى ألفاظها (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفى حديث ابن عمر انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى عند قبره (وعلى أبى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى) بفتح همز ودال وضم لام وقيل بضم الثلاثة وقيد به احترازا عن يحيى بن يحيى النيسابورى وزيد فى نسخة والصحيح من رواية غيره

ويدعو لابى بكر وعمر (وروى ابن وهب) وهو المصرى العلم (عن أنس ابن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) أى للتهجد والاستغفار (ويصومون بالنهار قال القاضى) يعنى المصنف وفى نسخة قال الفقيه القاضى (والذى ذهب اليه المحققون وأميل اليه ما قاله مالك) أى امام المذهب (وسفيان) أى الثورى أو ابن عيينة رحمهما الله وروى أى وما روى (عن ابن عباس واختاره غير واحد) أى كثيرون (من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء) وهم أعم من الرسل (عند ذكرهم) أى انفرادا وانما تجوز اتباعا (بل هو) أى الصلاة وذكر باعتبار خبره وهو قوله (شئ يختص) بروى يخص (به الانبياء) أى عرفا وعادة وفيه رد على الرافضة (توقيرا لهم وتعزيزا) أى تعظيما وتبجيلا (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه) أى فيما ذكر (غيره) فيقال قال تعالى عز وجل وان كان الانبياء أعزة واجلاء وعن العيوب براء (كذا يجب تخصيص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك) بالبناء للمفعول أو الفاعل وفى نسخة ولا يشاركهم (فيه) أى فى كل واحد منهما (سواهم كما أمر الله) أى المؤمنين (بقوله

صلوا

الجارى يقف له وهو مبالغة فى نهاية حسنه وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر هو وعائشة رضى الله تعالى عنها على بيت أبى موسى وهو يقرأ القرآن ليلة فوقفا استمعا له وكان من أحسن الناس صوتا فلما أصبح أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بانصاته له وقال له لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود فقال لو علمت بذلك لحبرته تحبيرا أى لزدت فى تحسين صوتى لاستماعك لى (وفى حديث أبى حميد) بالتصغير (الساعدى) وهو أبو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد الخزرجى كما تقدم الذى رواه (فى الصلاة) عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) وهو يدل على جواز الصلاة على غير الانبياء لكن تبعا لهم (وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه) أى ابن عمر (كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى) عن مالك وانما قيده بالاندلسى لان الموطأ رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى أحدهما يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسى الليثى مات سنة أربع وثلاثين ومائتين والآخر أبو زكريا يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمى النيسابورى توفى سنة ست وعشرين ومائتين وله رواية فى الصحيحين كما قاله السيوطى فى مناقب مالك وتقدم ضبط الاندلسى بفتح الهمزة والدال وضمهما (والصحيح من رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر) رضى الله عنهما (وروى ابن وهب عن أنس ابن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب) حال أى فى حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا (فنقول) فى دعائنا لهم (اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) للتهجد والعبادة (ويصومون بالنهار) ففى هذا دليل على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا وقوله الذين بدل من قوم مفسر له (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى والذى ذهب اليه المحققون وأميل اليه) أى أرجحه واعتقد صحته والميل فى الاجسام معروف وشاع فى المحبة والمصنف رحمه الله تعالى تجوز به عما قلناه (ما قاله مالك) بن أنس امام أهل الحديث (وسفيان) الثورى رحمهما الله تعالى (وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد) أى كثير (من الفقهاء والمتكلمين) أى أهل علم الكلام لان منهم من ذكرها فى السمعيات كمسائل الامامة (أنه) بفتح الهمزة بدل من ما (لا يصلى على غير الانبياء) بانفراده ولا (عند ذكرهم) أى ذكر الانبياء والصلاة عليهم فلا يصلى على غيرهم تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير ذكر لغير واحد يأباه قوله (بل هو) أى المذكور وهو الصلاة أو ذكر رعاية للخبر (شئ يختص به الانبياء عليهم الصلاة والسلام) لا يشاركهم فيه غيرهم مطلقا وقيل لا يشاركهم فى الانفراد به وفيه نظر (توقيرا لهم وتعزيزا) أى تعظيما وتبجيلا يجعله شعارا لهم (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه) أراد به قوله سبحانه وتعالى فان معناه أنزهه والانبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن النقائص ولكن لا يجوز ان يقال فى حقهم ذلك (والتقديس) باطلاق قدس وقدوس ونحوه وهو بمعنى التطهير (والتعظيم المخصوص به نحو جل جلاله وعز وجل فتعريفه للعهد وليس المراد به هذه المادة لعدم صحته (ولا يشاركه) أى لا يشارك الله (فيه) أى فيما ذكر التنزيه وما بعده (غيره) من نبى وغيره (كذلك يجب تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم) أى بهما معا (ولا يشارك) مبنى للفاعل أو المفعول هنا (فيه) أى فى ذكر الصلاة والتسليم (سواهم) من غير الانبياء وفى نسخة ولا يشاركهم (كما أمر الله بقوله

صلوا عليه وسلموا تسليما) ويذكر من سواهم من الائمة المجتهدين من الصحابة والتابعين (وغيرهم) من العلماء الصالحين (بالغفران والرضى) وفيه ان الرضى مختص عرفا بالصحابة وان كانوا يدخلون في المغفرة تحت عموم الدعاء (كما قال الله تعالى يقولون) أي الذين جاؤا من بعدهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أي ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقال تعالى والذين اتبعوهم) وفي نسخة والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم (باحسان) أي بايمان وايقان وطاعة واتقان الى يوم القيامة (رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه وأيضافهو) أي ذكر الصلاة والسلام على غير الانبياء (امر) ويروى فهذا أمر (لم يكن معروفا في الصدر الاول) أي من السلف والخلف (كما قال أبو عمران) أي الفاسى (وانما احدثته الرافضة) أي التاركة محبة اكثر الصحابة (والمتشيعة) أي المظهرة انهم السابقون والمتابعون (في بعض الائمة) أي من أهل بيت النبوة (فشاركوهم) أي أئمتهم كعلى والحسنين وغيرهم (عند الذكر لهم بالصلاة) وكذا بالسلام فيقولون مثلا على عليه الصلاة والسلام (وساووهم) أي أئمتهم (بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك) أي مقام المرام وهذا لا يليق بالكرام وذكر الانطاكى ان الرافضة فرقة من شيعة الكوفة وسموا بذلك لان زيد بن على بن حسين بن على بن أبي طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر وعمر فمنعهم عن ذلك فرفضوه ولم يبق معه الا مائتا فارس فقال لهم رفضتمونى أي تركتمونى فلقبوا بذلك ثم لزم هذا اللقب كل من غلا في مذهبه واستجاز الطعن في الصحابة والمتشيعة هم الذين ينسبون الى الشيعة وتقدم انهم فرقة يفضلون عليا ويزعمون انهم من شيعته أي اتباعه

صلوا عليه وسلموا تسليما) وقوله المذكور بيان لما ذكر لا دليل لما ذكر لانه ليس فيه جواز الصلاة على غيره ولا منعها عمن عداهم لان التخصيص بالذكر لا يفيده ثم بين كيفية الدعاء لغيرهم فقال (ويذكر من سواهم) أي من سوى الانبياء والرسل في الدعاء لهم (من الائمة) أي أئمة الدين أو الخلفاء (وغيرهم) من سائر العلماء والمؤمنين (بالغفران والرضى) فيقال غفر الله تعالى لهم ورضى عنهم (كما قال الله تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال الله تعالى) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار (والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم) فيدعى بذلك المذكور من المغفرة والرحمة والترضى لسائر المؤمنين والصحابة وقيل في الاستدلال بما ذكر نظر فان قوله رضى الله عنهم ليس دعاء لهم بل اخبار بان الله رضى عنهم وأعد لهم جنات النعيم ولا يلزمه جواز الدعاء به كما ان اخبار الله بالصلاة على المؤمنين بمعنى رحمتهم لا يدل على جواز الصلاة عليهم وهو مردود بان من رضى الله عنه يدعى له بزيادة رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق وأما ما قيل من انه لا يدعى للصحابة الا برضى الله تعالى عنهم فهو أمر حسن للادب وليس بلازم فلو قال للصحابى رحمه الله تعالى أو غفر له كان حسنا الا اذا أوهم وقوع ذنب ونحوه ومن لا يعلم صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى عليهم وقال النووى لا بأس به والارجح ان يقال رضى الله تعالى عنهم وقول امام الحرمين في الارشاد مريم ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم الى نبوتها ورجحه ابن السيد (وأيضا فهو) أي الصلاة عليهم (أمر لم يكن معروفا في الصدر الاول) أي عصر الصحابة ومن قرب منهم والفاء في فهو جواب شرط مقدر أي فان اردت دليلا اوضح مما ذكرته والى آخره وفيه بحث سيأتي في آخر هذا الفصل (كما قال أبو عمران) موسى ابن عيسى الفاسى فقيه القيروان كما تقدم قريبا (وانما أحدثته الرافضة والمتشيعة) هما طائفتان من أهل البدع والاهواء المخالفين لاهل السنة والرافضة قيل انهم فرقة من الشيعة وكلاهما ممن اتفق على تفضيل على كرم الله وجهه وان الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن على بن الحسين لما طالبوا منه ان يتبرأ من الشيخين وان يقول امامتهما باطلة فابى وقال ان الخلافة فوضت لابى بكر لمصلحة رآها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى قتل وصلب وليست الشيعة قوما الظاهر وابغض على كما توهم واصل معنى الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهؤلاء والذى احدثه هؤلاء انما هو الصلاة على على وحده فترك ذلك لكونه شعارهم ولطرده في سائر الصحابة حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام في الصلاة على غير الانبياء مطلقا والشيعة انما يصلون على على فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة اسم جمع لرافضى والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفي نسخة الشيعة بدل المتشيعة (في بعض الائمة) المراد على وأولاده وفي نسخة في بعض أئمتهم (فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة عليهم) بانفرادهم وان لم يكونوا اتبعا له صلى الله عليه وسلم (وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك) أي في قولهم في الدعاء لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى لهم كالنبي صلى الله عليه وسلم نص صلوا عليهم

(وأيضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) أي وجعلوه شعارا لهم هنالك (وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) أي له صلى الله تعالى عليه وسلم (والاضافة اليه) أي فهو جائز (لا على التخصيص) أي بحكم الاستقلال (قالوا) أي العلماء المحققون (وصلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على من صلى عليه) أي من آل أبي أوفى ونحوه (مجراها مجرى الدعاء) أي مجرى تلك الصلاة محمول على مجرى الدعاء والرحمة (والمواجهة) أي بحسن المقابلة حال المعاشرة (ليس فيها معنى التعظيم والتوقير) أي الذي اختص بارباب الكمال (قالوا) أي العلماء وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي في المناداة باسمه وفي رفع الصوت عنده (فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) أي ليتميز به عن غيره (وهذا اختيار الامام أبي المظفر الاسفرائني) بكسر الهمزة وتفتح وفتح الفاء وتكسر (من شيوخنا) أي الفقهاء المالكية (وبه قال أبو عمر بن عبد البر) هو حافظ الغرب في البحر والبر

(فصل) في حكم زيارة قبره عليه السلام

وصار

استقلالا كما صلوا عليه (وأيضا) مما يدل على عدم الصلاة على غير الانبياء (فان التشبه باهل البدع) المراد بهم أصحاب المذاهب الباطلة (منهي عنه) شرعا (فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) أي الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتأمله ثم أجاب عما ورد عليه بقوله (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) والكلام في ذكر الصلاة فلا يرد هذا نقضا عليه (والاضافة اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي انما ذكر الصلاة عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه صلى الله عليه وسلم فتعظيمهم تعظيم له في الحقيقة (لا على التخصيص) لهم بذلك (قالوا) أي جمهور العلماء الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده مجيبين عما استدل به من خالفهم (وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه) بانفراده كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى كما تقدم (مجراها مجرى الدعاء) بضم الميم وفتحها فيهما والجرى المشى السريع والمجرى محل الجرى أو الاجراء وجريه في مجراه جعله مثله ومن نوعه أي المقصود بها الدعاء بالرحمة لهم (والمواجهة) لهم بالدعاء لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهي كالسلام يقال تحية لكل احد تواجهه ولا يقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه في المواجهة يقصد به مجرد معناه الحقيقي وفي ذكره في الغيبة زيادة توقير لا يليق لكل احد كما قال (وليس فيها) أي في المواجهة (معنى التعظيم والتوقير) الذي في الغيبة فانه من خصائص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف (وقالوا) تاييدا لما ذكر من الفرق بين المواجهة وغيرها تمسكا بقوله (وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بالدعاء وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضا فلا يقال يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم شأن يخصه فيما يطلق عليه مواجهة ليس لغيره فكذا الدعاء له بغير مواجهة ينبغي ان يكون بغاية التعظيم والتوقير اللائق به دون غيره فسقط ما قيل من انه ليس في هذه الآية مناسبة لمقصوده وما هو بصدده (فكذلك) أي مثل ما يجب له في الدعاء مواجهة (يجب ان يكون الدعاء له) في غير حال المواجهة (مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) فلذا خص بالصلاة عليه التي قصد بها التوقير وغاية التعظيم (وهذا) أي اختصاصه بالصلاة استقلالا وفي نسخة وهو (اختيار الامام أبي المظفر الاسفرائني من شيوخنا) أي من كبار علماء أهل السنة بقرينة مقابلة الرافضة واسفرائن بلدة بخراسان معروفة وأبو المظفر كنية طاهر بن احمد وهو الملقب بشاه كما تقدم (وبه قال) الامام (أبو عمر بن عبد البر) رحمه الله وتقدمت ترجمته واعلم ان التصلية والتسليم على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة أمرنا بالتعبد بها فهي واجبة له على اختلاف محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا استقلالا مستحبة وما نقل عن مالك انها منهي عنها مخالف للقول الصحيح وقال القرطبي انه مجمع عليه والصلاة على غير الانبياء تبعا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مستحبة أيضا كما في التشهد فلا عبرة بمن خالف فيه أيضا فلم يبق محل الخلاف غير الصلاة على غير الانبياء بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل الصلاة مخصوص بالانبياء أيضا فلا يقال في غيرهم عليه السلام كما صرح به الفقهاء فهو مكروه تنزيها

* (فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم) * أي ذكر ما يتعلق به من سننه وآدابه وما لزم من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة ومزارا فالمزار مصدر واسم مكان أيضا والزيارة تختص بمجيء بعض الاحياء لبعض مودة ومحبة هذا أصل معناه لغة واستعمالها في القبور للاموات لاعطائهم حكم الاحياء

وصار حقيقة عرفية فيها لشيوعه فيها (وفضيلة من زاره) بالجر عطفا على الحكم أو على ما أضيف اليه والضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم أو للقبر وفضيلته بما يستحقه من الثناء والثواب (وسلم عليه وكيف يسلم) من زاره صلى الله تعالى عليه وسلم أى ما يقوله ويفعله عند الزيارة (ويدعو له) أى وكيف يدعو له صلى الله عليه وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه (وزيارة قبره سنة) مأثورة مستحبة (مجمع عليها) أى على كونها سنة ولا عبرة بمن خالف فيها كابن تيمية كما سيأتى بيانه (وفضيلة مرغب فيها) بصيغة المفعول مشددة الغين المعجمة أى رغب السلف فيها وحثوا عليها وزيارة القبور لما فيه تذكر به الموت ويتعظ وهذا يجرى فى جميعها أولا عاما لاهلها المسلمين كما زار صلى الله تعالى عليه وسلم البقيع وهذا مستحب أو للتبرك بمن فيها من الانبياء والصالحين فينتفع بزيارتهم فذهب بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبياء وانه فى غيرهم بدعة واما فى الانبياء فهى مشروعة وتوقف فيه السبكى وقد يقصد بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم كالحى وقد يقصد بالزيارة تأنيس الميت ورحمته وهو مستحب أيضا لما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الميت آنس ما يكون اذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعانى كلها فلهذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدعاء وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام (روى عن ابن عمر) رواه ابن خزيمة والبزار والطبرانى والذهبى وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن فى رواته مردود كما بينه السبكى وأطال فيه وقول البيهقى انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به رواته والفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله أحمد فى حديث دعاء الاستخارة مع انه فى الصحيحين وقول الذهبى طرقه كلها لينة يقوى بعضها بعضا لا ينافيه لان غايته انه بتسليم ذلك حسن أو هو يطلق عليه الصحة كما بين فى محله وفى نسخة هنا (حدثنا القاضى أبو على) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدم أيضا قال (حدثنا الحسن) بن جعفر قال (حدثنا أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى) المشهور كنار على علم قال (حدثنا القاضى المحاملى) قال (حدثنا محمد بن عبد الرزاق) قال (حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله) بن عمر عن نافع (عن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما فذكره (انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى) أى سؤالى الله ان يتجاوز عنه بكادوئه ومعنى وجبت تحققت وثبتت فهى ثابتة له بالوعد الصادق لابد منها وليس المراد به الوجوب الشرعى وروى حلت له شفاعتى والمراد انه يخصه بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال شيخ والدى الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى وافاد قوله له مع عموم شفاعته له ولغيره انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما بتخفيف الاهوال عنه فى ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب واما برفع درجات فى الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما بغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله ان أريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره ويحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما يحصل لغيره والافراد للتشريف والتنويه بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرى بموته مسلما فيجرى على عمومه ولا يضمن فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم يكن لذكرها معنى لان الاسلام وحده كاف فى نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه على الاولين وافادت اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة جليلة اذ هى تعظم بعظم الشافع ولا اعظم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أعظم من شفاعته ثم اشار الى ان هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تحصل الا لمن أخلص وجهته فيها بان لا يقصد بها أو معها أمرا آخر ينافيها بقوله (وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى فى المدينة محتسبا) أى ناويا بزيارته وجه الله تعالى من غير غرض مخل فى نيته وقصدا كرامه

وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع) ويروى مجتمع (عليها) أى مجتمع على كونها سنة وممن ادعى الاجماع النووى وابن الهمام بل قيل انها واجبة (وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر) فيما رواه ابن خزيمة والبزار والطبرانى وله طرق وشواهد حسنه الذهبى لاجلها (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى) أى حقت وثبتت وفى رواية حلت رواه الدارقطنى وغيره وصححه جماعة من أئمة الحديث (وعن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زارنى فى المدينة محتسبا) أى ناويا ذلك الجناب وطالبا للثواب ليس له غرض آخر فى هذا الباب فعن عمر رضى الله تعالى عنه أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته

(كان في جواري) بكسر الجيم أي مجاورتي وفي نسخة بضم الجيم أي في ذمتي وعهدي وجيرتي (وكنت له شفيعا يوم القيامة) قال الذهبي لا أعرف من رواه قلت قد رواه العقيلي وغيره بلفظ من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة ورواه البيهقي ولفظه من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة وروى أبو عوانة من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة (وفي حديث آخر) أي عمار رواه البيهقي وسعيد بن منصور في سننهما والدارقطني والطبراني وأبو يعلى وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما (من زارني بعد موتي) وفي رواية بعد وفاتي (فكأنما زارني في حياتي) والاحاديث في هذا الباب كثيرة والروايات فيها شهيرة منها ما رواه علي مرفوعا من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني وقد استدل به على وجوب الزيارة بعد الاستطاعة وعن أنس بسند ضعيف بلفظ ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر وعن ابن عدي بسند يحتج به من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني (وكره مالك رحمه الله) قال ابن تيمية وتبعه طائفة في ذلك (ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك) أي الداعي كراهية مالك (فقيل كراهية الاسم) وفي نسخة كراهية للاسم وفي أخرى كراهة الاسم أي اسم الزيارة (لما ورد) أي في رواية أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه (من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور) بفتح الزاي وتشديد الواو أي المبالغات في زيارة القبور وفيه انه عليه السلام انما لعنهن لانهن مأمورات بالقرار في بيوتهن فلا يصلح زيارتها لهن نعم قد يؤخذ منه انه لا يسن في حقهن زيارته عليه السلام كما قال به بعض الاعلام لكن الاصح انه لا يكره لهن ذلك اذا أمن شرائط فيما هنالك (وهذا) أي الاستدلال (يرده قوله) أي فيما رواه مسلم (كنت نهيتكم) وفي نسخة من الكتاب نهيتم (عن زيارة القبور فزوروها) وفي نسخة بزيادة ولا تقولوا هجرا بضم الهاء وسكون الجيم أي كلاما يوجب اثما وفيه بحث اذ يحتمل ان يكون خطاب الرجال بعد خطاب النساء فيكون الحكم الثاني في حقهم ناسخا لا في حقهن ويؤيده التعليل في حقهن بانهن قليلات الصبر كثيرات الجزع والفزع لا يملكن أنفسهن من الصياح والنياح واما التعليل في حقهم فلان أمواتهم في صدر الاسلام كانوا كفرة فمنعوا عن زيارة قبورهم فلما كثر أموات المسلمين أجازهم زيارتهم لما فيها من العبرة لاهل الحياة ومنفعة الدعوة للاموات فهذا حديث اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ (وقوله) أي ويرده أيضا قوله فيما رواه عن ابن عمر وغيره مرفوعا

لا ينوي غيره والاحتساب افتعال من الحساب معناه الاعتداد والاسم منه الحسبة وعن عمر رضي الله عنه أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته فالمراد ان يقصد بالزيارة اكرامه صلى الله عليه وسلم وتفويض أجره فيه الى الله تعالى (كان في جواري) أي له منزلة رفيعة في الآخرة أو المراد انه يكون في امانه وعهده فلا يناله مكروه أصلا والجوار مصدر بكسر الجيم وضمها والكسر أفصح (وكنت له شفيعا يوم القيامة) المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة فان له شفاعات كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم يموت بالمدينة ويدفن بها فهو من اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وان كان لا تدري نفس باي أرض تموت (وفي حديث آخر) رواه البيهقي والدارقطني والطبراني وسعيد بن منصور عن ابن عمر (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يدري بمن يزوره ويرد سلامه كما تقدم وروى هذا بلفظه من طرق كثيرة (وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) هكذا روى عنه (وقد اختلف في معنى ذلك) وما أراده مالك رحمه الله لانه خلاف المعروف بين الناس (فقيل كراهة الاسم) أي اسم الزيارة واطلاقها (لما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله زوارات القبور) فلعنهن من حيث انهن زوارات يقتضي ذم الزيارة وهذا رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة (وهذا يرده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (نهيتم) بالبناء للمجهول والرواية كنت نهيتكم (عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا) فهذا ناسخ له لانه أمر بعد نهي وهذا الدليل وجوابه أوهن من بيت العنكبوت لان الاول في حق النساء المكثرين للزيارة وهذا المطلق زيارة الرجال ودخول النساء تغليبا لا يسلمه المعترض ولكن عهدته على قائله لا على المصنف رحمه الله فانه ناقل غير مرتض لما نقله وقيل ان الحديث الاول خاص بزوارات القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به في حديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان مرويان في السنن من طرق صحيحة ولما كان هذا في غير ما نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره صلى الله عليه وسلم أورد ما يدل عليه أيضا فقال (وقوله) صلى الله عليه

وسلم

(من زار قبرى) أى وجبت له شفاعتى أو حلت له شفاعتى (فقد أطلق اسم الزيارة) أى فلم تكن الكراهة لاسم الزيارة (وقيل) أى فى توجيه كلام مالك (لان ذلك لما قيل) أى القول به عنهم (ان الزائر أفضل من المزور وهذا) أى الاستدلال (أيضا ليس بشئ) أى معتد به وفى نسخة ليس بين أى بظاهر لم يلتفت اليه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) بل الغالب عكسه فى العرف والعادة (وليس هذا) أى هذا القول (عموما) أى عاما فى كل زائر (وقد ورد فى حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ) أى اطلاق لفظ الزيارة (فى حقه تعالى) أى فى حق نبيه عليه السلام بالاولى فلا يصح الاستدلال بها المبنى على هذا المعنى وزيد فى بعض النسخ هنا (وقال أبو عمران) أى الفاسى وفى كثير من النسخ أبو عمر وهو ابن عبد البر (انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض) أى فيما بينهم (فكره تسوية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس) أى عمومهم (بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ان السلام أيضا يستعمل عاما فلا يكون التعليل تاما (قال وأيضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال) وفى نسخة شد المطى (الى قبره عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض)

أى موجب تهديد وفيه ان لفظ الزيارة قضية لغوية كالحج والعمرة والصلاة والزكاة وأمثالها والوجوب والندب والنافلة من الاحكام الشرعية (والاولى عندى ان منعه) أى منع هذا القول هنالك (وكراهة مالك له) أى لذلك (لاضافته الى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه) بكسر الهمزة وفتحها (لو قال زرنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكرهه) أى مالك ومن تبعه وانما ذلك (لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم لا تجعل قبرى وثنا) أى كالوثن وهو الصنم (يعبد بعدى) أى بعد موتى (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أى يسجدون لها كما يسجدون للاوثان كما فعله بعض النصارى

وسلم فى الحديث الذى تقدم روايته عن ابن عمر (من زار قبرى فقد أطلق اسم الزيارة) فدل على ان الكراهة التى رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم (وقيل) وجه كراهته (لان ذلك لما قيل ان الزائر أفضل من المزور) هو من يزار ولا يقال فيه مزار بضم الميم وقول العامة الزائر فى قبضة المزار خطأ قبيح (وهذا أيضا) كالذى قبله (ليس بشئ) يعتد به بل عكسه أقرب الى الصواب منه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) وهى لا فضلية فقد يكون مساويا له وأدنى منه (وليس عموما) فى كل زائر (وقد ورد فى حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم) فى الجنة وهم عبيده لا مناسبة بينهم وبينه فى العظمة فكيف يتوهم هذا (ولم يمنع) اطلاق (هذا اللفظ فى حقه تعالى) ولو كان كذلك لم يجز وحديث الزيارة روى على وجوه منها ما رواه أبو نعيم عن على كرم الله وجهه اذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك يقول ان الله تعالى يأمركم ان تزوروه فيجتمعون ثم توضع لهم مائدة الحديث وقال أبو عمران رحمه الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض فكره تسوية النبى صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وارخص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطى الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد (والذى عندى) فى وجه الكراهة عنده وفى نسخة والاولى عندى أى فى اعتقادى وحكمى فى توجيه الكراهة عنده (ان منعه) من اطلاق الزيارة على قبره (و) وجه (كراهة مالك له) أى لقولهم زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (للاضافة) أى نسبة الزيارة الى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بايقاعها عليه فليست الاضافة هنا نحوية بل عرفية وذلك بذكر القبر وجعله مزورا (وانه لو قال) كل قائل (زرنا النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم بدون ذكر القبر (لم يكرهه) أى على ما قيل وهو مناف لما قدمه من حديث ابن عمر من زار قبرى وجبت له شفاعتى الا ان يقال انه ضعيف وان الصحيح حديث أنس من زارنى بدون ذكر القبر الا انه غير مسلم لان عبد الحق رواه فى الاحكام ولم يتعقبه وتقدم الكلام أيضا فيه (لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا) أى كالوثن وهو الصنم من الحجارة (يعبد بعدى) أى بعد وضعى فيه وقيل الفرق بين الوثن والصنم الاول ما كان نحتا من حجارة وغيرها والثانى ما كان صورة مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان عليهما وهو المشهور (اشتد غضب الله تعالى على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أى يسجدون لها كما يسجدون للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما تقدم لان نبى النصارى عيسى صلى الله عليه وسلم ولا قبر له فانه رفع الى السماء اللهم الا ان يقال انه تغليب أى قبور كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه الا انه بعيد جدا ولا حاجة لتفسير الحديث هنا بهذا نعم وقع فى حديث آخر لعن

(فحمى) أى صان مالك (اضافة هذا اللفظ) أى لفظ الزيارة (الى القبر والتشبه بفعل أولئك) أى العامة (قطعا للذريعة) أى الوسيلة (وحسما) أى قطعا (للباب) أى لفتح هذا الباب (والله أعلم) أى بالصواب وفيه انه قد ورد بروايات متعددة التصريح بهذه اللفظة فلا يلتفت الى هذه العلة منها ما رواه أبو داود والطيالسى من زار قبرى كنت له شفيعا أو شهيدا ومنها حديث على مرفوعا من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وجاء عنه موقوفا من زار قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى جواره عليه السلام على أنا اذا قلنا زرناه فالمعنى زرنا قبره لانه لا يتصور زيارة ذاته حقيقة ولهذا المعنى ورد من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى بلفظ التشبيه مع ان المعتقد انه وسائر الانبياء فى قبورهم من الأحياء فانهم أولى بذلك من الشهداء بل قولنا زرنا قبره أولى من زرناه عند التحقيق والله ولى التوفيق هذا وما وقع للشعبى والنخعى مما يقتضى كراهة زيارة القبور شاذ لا يعول عليه لمخالفته اجماع غيرهما وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلومة من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثانى أقرب الصواب لان تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه فى هذا الباب نعم يمكن حمل كلام من حرم أو كره على صورة خاصة من الزيارة من الاجتماع فى وقت خاص على هيئة منكرة أو صفة مكروهة من اجتماع الرجال والنساء فى وقت واحد لما فيه من اتخاذ قبره عيدا الموجب لما أورد فيه وعيدا

الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهذا يشكل عليه ما ذكرناه ويحتاج الى الجواب بما قلناه والمصنف لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه واعلم ان هذا الحديث هو الذى دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التى كفروه بها وصنف فيها السبكى مصنفا مستقلا وهى منعه من زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل

لمهبط الوحى حقا ترحل النجب * وعند ذاك المرجى ينتهى الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغى ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن فاضل سامحه الله تعالى عز وجل واما قوله صلى الله عليه وسلم الآتى لا تتخذوا قبرى عيدا فقيل كره الاجتماع عنده فى يوم معين على هيئة مخصوصة وقيل المراد لا تزوروه فى العام مرة فقط بل أكثروا الزيارة له كما مر واما احتماله للنهى عنها فهو يفرض انه المراد محمول على حالة مخصوصة أى لا تتخذوه كالعيد فى العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له فى الاعياد بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف (فحمى) أى صان مالك رحمه الله (اضافة هذا اللفظ) أى لفظ الزيارة اضافة معنوية (الى القبر) يعنى قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم (والتشبه بفعل أولئك) الكفرة الذين اتخذوا قبور الانبياء مواطن للسجود (قطعا للذريعة وحسما) أى قطعا وسدا (للباب) أى باب الذريعة وهذا مبنى على سد الذرائع التى هى من قواعد مذهب مالك وقد قدمنا تحقيقه (والله تعالى أعلم) بمراد مالك فيما قاله وهذا كما قيل مما يتعجب منه فانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه أصلا بفعل أولئك فالظاهر انه لم يصح عنه وانما المروى عنه كما وقع هنا فى بعض النسخ (وهو كما قال أبو عمران) موسى بن عيسى الفاسى فقيه القيروان وقد تقدمت ترجمته (انما كره ان يقول طواف الزيارة) الذى يكون بعد رمى الجمار فقال انما يقال له طواف الافاضة وطواف الصدر لانه لا معنى للزيارة هنا عنده وان خالفه فى اطلاقه غيره فالتبس عليهم كراهة اطلاق الزيارة فى كلام مالك وفى نسخة بدل هذه النسخة قبل قوله والذى عندى الى آخره وقال أبو عمران انما كره مالك الى آخر ما تقدم *(تنبيه)* ما ادعى المصنف رحمه الله تعالى انه الاولى لا وجه له رواية ودراية فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره فى أحاديث كثيرة منها ما رواه ابن عمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى وصحبنى الا ان قوله وصحبنى تفرد به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر انها زيارة منكرة ورد بان له متابعات وليس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافى خبر لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا الحديث وروى أيضا فى معناه أحاديث كثيرة قال السبكى كأنهم لم تبلغ مالكا رحمه الله مع انه روى عنه أيضا كراهة ان يقال زرنا النبى لانه أعظم من ان يزار ولانه اشتهر فى الموتى وهو صلى الله عليه وسلم حى فى قبره وقيل كرهه لان الذهاب ليس لصلته ونفعه وانما هو رغبة فى الثواب قال السبكى وهو الاقرب فى توجيه كلام مالك وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شئ من ذلك وقيل كرهه لان الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وهى كالواجب عنده واختار ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه صلى الله عليه وسلم حى

(قال

(قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل) أى من قديم الايام (من شأن من حج) أى من تريد من قصد (بيت الله الحرام المرور بالمدينة) أى مدينة السلام لزيارته عليه الصلاة والسلام أى اما قبل الحج واما بعده (والقصد) أى ايضا (الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما ورد فيه من مزيد المضاعفة فى ثواب اعمال الكرام اذ قد ورد ان الصلاة فيه بمائة ألف (والتبرك برؤية روضته) أى خصوصها (ومنبره وقبره ومجلسه) أى محل جلوسه فى المسجد ومكان صلاته عند الاسطوانات وغيرها (وملامس يديه ومواطئ قدميه) أى فى نحو المنبر (والعمود الذى كان يستند اليه) وفى نسخة يسند وفى الصحاح سندت الى الشئ واستندت اليه بمعنى (وينزل جبرائيل بالوحى فيه) أى فى حال استناده (عليه وبمن عمره) أى والتبرك بمن عمر مسجده مبنى ومعنى وقيل أى زاره (وقصده) أى بمن قصده (من الصحابة وأئمة المسلمين) أى من التابعين واتباعهم من المجتهدين والعلماء والصالحين (والاعتبار) بالرفع (بذلك) أى بما ذكره (كله) أى جميعه والحاصل انه لامنع من الجمع بين النيات فى تحصيل الطاعات لكن ينبغى أن يكون الغرض الاصلى بعد حج فرض الاسلام زيارته عليه الصلاة والسلام ويتبعها حضور مشاهدة الكرام (وقال ابن أبى فديك) بالتصغير وثقه جماعة واحتج به أصحاب الكتب الستة (سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا) أى فى الحديث (انه) أى الشأن (من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الآية) وهى قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى) الظاهر انه يقرأ ما بعدها أيضا وهو يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ثم قال صلى الله تعالى عليك) الاولى أن يزيد وسلم (يا محمد) الاولى أن يقول يا نبى الله ونحوه (من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله تعالى عليك يا فلان) أى باسمه (ولم تسقط له) وفى نسخة لك (حاجة) بل ترفع والمعنى قضيت كل حاجة له دنيوية أو أخروية والحديث رواه البيهقى من طريق ابن أبى الدنيا

(قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج) أى انه استمر من عادة السلف اذا حجوا أن يأتوا (المرور) قيل انه بكسر الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الواو مصدر ميمى بمعنى الزيارة وقوله (بالمدينة) متعلق به … والظاهر كما فى بعض النسخ انه بضم الميم والراء بمهملتين مصدر مر أى من حج مر بالمدينة وقصدها ويدل عليه قوله (والقصد الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه (والتبرك برؤية روضته) وهى ما بين قبره الشريف (ومنبره) سميت روضة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اشتهر روضة من رياض الجنة (وقبره) وكيفية التبرك به ستأتى (ومجلسه) أى موضع جلوسه فى الروضة المنورة (وملامس يديه) أى المحل التى لمسها بيده الشريفة حقيقة … (ومواطئ قدميه والعمود الذى استند اليه) باسناد ظهره الشريف اليه فى جلوسه (ومنزل جبريل بالوحى فيه عليه) وكان مراده انه يقصد التبرك بمسجده الشريف لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك منه بعينه لان فى كل بقعة منه شئ من ذلك فمن عمل بذلك رزقه الله تعالى عز وجل الفوز بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وبمن عمره) بتخفيف الميم أى سكنوا وأما بتشديد الميم فمن التعمير وهو بلوغ العمر بضم الميم أى مدة الحياة كما اعتمده أهل اللغة (وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله) أى الاعتناء به تعظيما وتذكر ما لهم … فيه وفى مآثرهم (وقال ابن أبى فديك) محمد بن اسمعيل بن مسلم بن أبى فديك بضم الفاء ودال مهملة وياء تصغير وكاف الامام الثقة روى عنه الستة وأحمد وتوفى سنة مائتين وله ترجمة فى الميزان وحديثه هذا رواه البيهقى (سمعت بعض من أدركت) يقال أدركت فلانا اذا أدركت زمانه ورأيته والمراد من أدركه من العلماء والصلحاء (يقول بلغنا من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) متوجها اليه (فقال) تاليا (هذه الآية ان الله وملائكته الخ ثم قال) بعد تلاوتها (صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة) وفى رواية ولم تسقط لك اليوم حاجة أى لا ترد ولا تخيب شبه عدم قبولها بسقوط شئ يضيع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة وقد قيل على هذا انه ينافى ما قالوه كما مر من انه لا يجوز ندائه باسمه يا محمد فى حياته وبعد مماته لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال يا رسول الله ونحوه تعظيما وكذا لا ينادى بكنيته كأبى القاسم وقد تقدم فان كان هذا مأثورا فينبغى اتباعا للمأثور والتقديم عليه هنا بقوله صلى الله عليك فليتأمل هذا وفى الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقى لما ذكر عن ابن أبى فديك ما نصه ولا دليل فيه لجواز ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه … صرح أئمتنا بحرمة ذلك فظاهره انه لا فرق بين أن يقصد معه تعظيما أو لا وهو ظاهر

خلافا لمن بحث تخصيصه بالثانى وذلك لما فى النداء بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو جلى من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما تقدمه لا نظر اليه لانقضائه قال أئمتنا وانما ينادى بنحو يا نبى الله يا رسول الله فقول الزين المراغى رحمه الله تعالى الاولى لمن عمل بالآثار ان يقول يا رسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لا أولى انتهى (وعن يزيد ابن أبى سعيد المهرى) بفتح الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور أخرج له مسلم رحمه الله تعالى وغيره قال (قدمت على عمر بن عبد العزيز) أى أتاه قاصدا له واجتمع به (فلما ودعته) أى لما أردت الانصراف من عنده (قال لى اليك حاجة) أسألك قضاءها وهى انك (اذا أتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اذا زرته فاذا رأيته (فاقرأه منى السلام) أى بلغه سلامى وانى مسلم عليه يقال قرأ عليه واقرأه السلام اذا بلغه سلاما من غائب عليه وقيل لا يقال اقرأه الا اذا كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذى يناسب الحديث الذى نحن فيه (وقال غيره) أى غير يزيد المذكور والقائل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقى فى شعب الايمان (وكان) أى عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور والجليل المقدار (يبرد) بضم أوله من ابرد بمعنى أرسل (اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (البريد من الشام) لانها كانت مقر الخلفاء أى يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه سلامه ويقرأه السلام لا لقصد غير ذلك البتة وكان ذلك فى صدر زمن التابعين ولم ينكر ذلك أحد منهم فالبريد كما علمت هو الرسول الذى يكون مستعجلا لتبليغ أمر الخلفاء ونحوهم وهو فى الاصل فارسى معرب من بريدة دم أى مقطوع الذنب لانهم كانوا يضعون فى المنازل بغالا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار بعجلة ويجعلون قطع أذنابها علامة لها ثم أطلق على الرسول وصار حقيقة فيه مطلقا وقيل سمى الرسول بريدا لانه يقطع البريد وهو اثنى عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار وأحوال البلاد والولاة وأصحاب البريد قوم معدون لذلك عندهم براذين سيارة فاذا وقع أمر عظيم وجههم صاحب البريد للاخبار به وكان من دأب السلف انهم يرسلون السلام الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة والسلام السلام ولابى بكر وعمر رضى الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان بعيدا عنه لكن فى هذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه لا يجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لى على فلان فانه يجب عليه أداء أمانته له أى ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر ويجب على المسلم عليه الرد بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما بان القصد بالسلام ابتداء وردا من الاحياء التواصل وعدم التقاطع الذى يغلب وقوعه بين الاحياء وحينئذ فارسال السلام للغائب القصد به مواصلته وعدم مقاطعته واذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسببا أو وسيلة الى المقاطعة المحرمة أى من شأنه ذلك وللوسائل حكم المقاصد وأما ارسال السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم فتركه ليس فيه الا عدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ سنة لا واجب ولا يقال تفويت الفضائل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير * (فائدة) * قال صاحب القاموس فى رسالة الصلاة له أن السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند قبره الشريف أفضل من الصلاة عليه أى للاخبار الكثيرة ومنها ما من أحد يسلم على عند قبرى الخ وفيه نظر ثم رأيت فى الدر المنظم بعد ذكره له ويعارضه ما تقدم انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى بدل الصلاة الواحدة عشرا أو مائة على ما مر وصلاة الله أفضل من رده صلى الله تعالى عليه وسلم على انه مر انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى

(وعن يزيد ابن أبى سعيد المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء فياء نسبة (قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك حاجة) أى وهى انك (اذا أتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حقيقة أو مجازا وهو محله وحوله (فاقرأه منى السلام) يجوز قطع همزة وكسر رائه ويجوز وصل أوله وفتح عينه والحديث رواه ابن أبى الدنيا من طريق البيهقى فى الشعب عنه (قال غيره) أى غير المهرى وهو حاتم ابن وردان كما رواه البيهقى فى الشعب الايمان (وكان) أى عمر بن عبد العزيز (يبرد) بضم ياء وسكون موحدة وكسر راء أى يوجه ويسير (اليه البريد من الشام) أى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القاصد من الشام ليقرأه منه السلام

(قال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف) أي بين يديه (فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف) لا يعرف استحباب رفع اليدين في ذلك المقام عن أحد من الاعلام ولعله دعا الله سبحانه وتشفع به عليه السلام (وقال مالك في رواية ابن وهب) أي عنه (اذا سلم) أي هو أو أحد (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة) وذهب بعض أرباب المناسك أن الزائر يسلم أولا وهو متوجه الى القبر ثم ليدع الله وهو مستقبل القبلة فوق رأسه عليه الصلاة والسلام (ويدنو) أي ويقرب الى القبر قربا يناسب الادب (ويسلم ولا يمس القبر) وكذا جدار قبته وشبكة حجرته عليه السلام (بيده) ولا يقبله لعدم وروده عن الصحابة الكرام ولانه أقرب الى مقام الادب ولان ذلك من عادة النصارى على ما نقله الغزالي (وقال) أي مالك (في المبسوط لا أرى) أي لا أجوز (ان يقف) أي أحد (عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي) هذا بظاهره يناقض ما سبق عنه اللهم الا أن يقال هذا بيان الاكمل فتامل (قال ابن أبي مليكة) بالتصغير تابعي تيمي مؤذن ابن الزبير وقاضيه قال بعثني ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت اسأل ابن عباس وأبو مليكة صحابي (من أحب ان يقف وجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الواو ويضم أي في مواجهته ومقابلته

أن يوجه أفضلية السلام بأنه شعار اللقاء والتحية وحينئذ تختص أفضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة أما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه (قال بعضهم رأيت أنس بن مالك) الصحابي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتى قبر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارته (فوقف) عند القبر الشريف (فرفع يديه) للدعاء فانه يستحب لمن زاره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعو ويستشفع به ويتضرع (حتى ظننت انه افتتح الصلاة) لانه يسن رفع اليدين لافتتاح الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة فظن المذكور (فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم) بعد رفع يديه ودعائه (ثم انصرف) من عنده (قال مالك في رواية ابن وهب) عنه وهو عبد الله بن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى عن الامام مالك (اذا سلم) الزائر لقبره الشريف (على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا) عند ارادة الدعاء به (يقف) عنده (ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة) كما يستحب للداعي في غير هذا الموطن لان استدباره خلاف الادب (ويدنو) أي يقرب من القبر في حال الدعاء (ويسلم) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يمس القبر بيده) فيكره الصاق الظهر أو البطن بجدار القبر المكرم ويلحق بجداره جدار الساتر عليه المستور بالحرير الآن لما في ذلك من مخالفة الادب معه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ثم تعين على كل أحد ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما أذن الله فيه لامته صلى الله عليه وسلم في جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك تفضي الى الكفر والعياذ بالله بل مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تؤدي الى محذور فليقتصر على الوارد ما أمكن واستقبال وجهه صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعي والجمهور ونقل عن أبي حنيفة وقال ابن الهمام ما نقل عن أبي حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روى عن ابن عمران من السنة ان يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول الكرماني ان مذهبه بخلافه ليس بشئ لانه صلى الله عليه وسلم حي في ضريحه يعلم بزائره ومن يأتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب القيام في حال الزيارة كما نبه عليه المصنف بقوله يقف وهو أفضل من الجلوس عند القبر الشريف عند الجمهور ومن خير بينهما أراد الجواز دون المساواة فان جلس فالافضل أن يجثو على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربع لانه الاليق بالادب (وقال) مالك (في المبسوط) اسم كتاب له كما تقدم (لا أرى) أي لا أستحسنه وأعده رأيا (ان يقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) أي في حال كونه داعيا لما أراد (ولكن يسلم) عليه (ويمضي) أي ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهره ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل الشافعية عنه ان استحباب عدم الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها لا للغرباء الزوار فانهم يستحب لهم الوقوف للدعاء له صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره الشريف كالمسجد يأتيه في أكثر أيامه للعبادة والقربة بناء على قاعدته في سد الذرائع وسيأتي أيضا بيان ذلك في كلام المصنف عن المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني وغيره في استحباب الاكثار من زيارته والوقوف عنده للدعاء وسيأتي ما يعلم منه ان في المسئلة ثلاثة مذاهب (وقال ابن أبي مليكة) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين وأبوه أبو مليكة صحابي جليل وابنه توفي سنة سبع عشرة ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (من أحب ان يكون) وفي نسخة يقوم (وجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في مواجهته ومقابلته ووجاه مثلث الواو بمعنى

(فليجعل القنديل) بكسر القاف معروف وأما بفتحة فهو عظيم الرأس (الذى فى القبلة) أى فى جهتها (عند القبر على رأسه) أى محاذيا برأسه (وقال نافع) هو مولى ابن عمر من أئمة التابعين وأعلامهم (كان ابن عمر يسلم على القبر) أى على من فيه (رأيته) أى ابن عمر يفعل ذلك (مائة مرة وأكثر) وفى نسخة أو أكثر بمعنى بل أكثر (يجئ الى القبر فيقول السلام على النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام على أبى بكر السلام على أبى) وفى نسخة السلام على أبى حفص وهو كنية عمر وهذا أقرب الى الادب (ثم ينصرف) أى ولم يزد على ذلك رواه البيهقى وغيره (وروى) وفى نسخة ورئى أى أبصر (ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها) أى يده (على وجهه) رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى انه رآه واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابن قسيط) بفتح قاف فكسر مهملة أو بالتصغير وهو الاصح (والعتبى) بضم عين فسكون فوقية فموحدة (كان أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خلا المسجد) أى من عامة الناس (جسوا) بفتح الجيم وتشديد السين المهملة أى حسوا ومسوا (رمانة المنبر) أى العقدة المشابهة للرمانة (التى تلى القبر) يعنى التى كان يأخذها عليه السلام بيمينه (بميامنهم) متعلق بجسوا أى تمسحوا بأيمانهم طلبا لليمن والبركة فى زيادة الايمان وايقان الاحسان (ثم استقبلوا القبلة يدعون) أى الله سبحانه بهذه الوسيلة المشتملة على الفضيلة رواه ابن سعد (وفى الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثى) هو عالم الاندلس (انه) أى ابن عمر (كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم) أى عند قبره كما فى نسخة (فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر) أى وهو فى مكان يجمع بينهم فى السلام من غير تغيير المقام فى القيام (وعند ابن القاسم) وهو فقيه مصر (والقعنبى) وهو أحد الاعلام روى عنه البخارى ومسلم وغيرهما (ويدعو لابى بكر وعمر) أى بدل لفظة وعلى أبا بكر وعمر (قال مالك فى رواية ابن وهب) وهو عالم مصر (يقول المسلم) بتشديد اللام المكسورة أى الزائر (السلام) ويروى سلام (عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته قال) أى مالك (فى المبسوط ويسلم على أبى بكر وعمر) باى لفظ كان (قال القاضى أبو الوليد الباجى)

نجاه وهو مثلث التاء أيضا كما فى مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان يقابل وجهه وجهه وتاء تجاه مبدلة من الواو كتخمة (فيجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر) الشريف (على رأسه) أى محاذيا لها والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق وهو معروف وبفتح القاف معناه العظيم الرأس ووزنه فعليل وقيل فنعيل ونونه زائدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة وان يكون بينه وبين القبر فاصل فقيل انه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع وقيل ثلاثة وهذا مبنى على ان البعد أولى وأليق بالادب كما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب أولى وقيل يعامله معاملته فى حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان فى العصر الاول وأما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك (وقال نافع) هو ابن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبى خراسان وهو تابعى جليل توفى بالمدينة سنة سبع عشرة وهو غير نافع بن عبد الرحمن المدنى المقرى وهذا رواه البيهقى وغيره (وكان ابن عمر) الصحابى المشهور (يسلم على القبر) الشريف (رأيته مائة مرة وأكثر يأتى الى القبر) بدل من قوله يسلم مفسر له (فيقول السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على أبى) وفى نسخة أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه (ثم ينصرف ٢) قيل وفيه اشارة الى انه لا ينبغى أن يطيل الكلام عند السلام ويختصر وقيل يطيل ما شاء فى الثناء والدعاء والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس والاحوال ويأتى للزيارة من قبل رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر لابى بكر وعمر رضى الله عنهما فيبدأ بالاشرف فالاشرف تعظيما لهما كما يليق وقيل يأتى من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتأخر قليلا قليلا وفى كيفية وضع القبور الثلاثة اختلاف مذكور فى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى مفصل ليس هذا محله (وفى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثى) تقدم ان يحيى بن يحيى راوى الموطأ عن مالك اثنان (انه كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) على هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب منه صلى الله عليه وسلم كما مر (فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر) تبعا له أو يصلى بمعنى يدعو (وعند ابن القاسم) عبد الرحمن فقيه مصر كما تقدم (والقعنبى) بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها باء موحدة وياء نسبة وهو عبد الله بن سلمة بن قعنب الحارثى أبو عبد الرحمن أحد الاعلام روى عنه البخارى وأبو داود وغيرهما وهو ثقة حجة توفى سنة عشرين أو احدى وعشرين ومائتين أخرج له الشيخان وغيرهما كما علم فى روايتهما عن مالك بلفظ (ويدعو لابى بكر وعمر) لا بلفظ يصلى كما مر (قال مالك فى رواية ابن وهب) عنه يقول المسلم أو الزائر (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) و (قال) مالك (فى المبسوط ويسلم على أبى بكر وعمر) بعد السلام عليه و (قال القاضى أبو الوليد

٢ وقد وقع فى نسخ المتن وشرح على القارى هنا عبارة وهى قوله (ورئى ابن عمر الى قوله وفى الموطأ فليراجع الى المتن مصحح

الباجى) بالموحدة والجيم وهو أحد الاعلام (وعندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلاة) أى بأن يقول الصلاة عليك يانبى الله أو الصلاة على رسول الله ولاشك ان الجمع بينها وبين السلام أفضل وأكمل كما نزل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ولابى بكر وعمر) يعنى ويدعو لهما أيضا (كما فى حديث ابن عمر من الخلاف) أى المتقدم حيث جاء فى رواية أخرى عنه انه كان يقول السلام على النبى صلى الله عليه وسلم السلام على أبى بكر السلام على أبى وفى رواية أخرى عنه انه كان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر وقد تقدم ان الصلاة على غير الانبياء تكره استقلالا فكيف يصح قول الباجى عندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلاة ولابى بكر وعمر وغايته ان حديث ابن عمر فى الرواية الثانية ان ذكر الصلاة عليهما وقع تبعا أو تغليبا والحاصل ان الافضل هو الجمع بين الصلاة والسلام للنبى الا كمل واما صاحباه فتخصهما بلفظ السلام فتأمل فانه القول المعول (وقال ابن حبيب) أحد الائمة ومصنف الواضحة (ويقول) أى الزائر (اذا دخل مسجد الرسول) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كره بعض العلماء اطلاق الرسول من غير الاضافة الى الله سبحانه لتوهم معناه اللغوى (بسم الله وسلام) أى تمامه (على رسول الله عليه السلام) وفى نسخة عليه الصلاة والسلام (السلام علينا) أى وعلى عباد الله الصالحين (من ربنا) أى من جانبه ومن لطفه وكرمه (صلى الله وملائكته) الاولى زيادة وسلم (على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وجنتك) أى بتوفيق اكتساب طاعتك واجتناب معصيتك (واحفظنى من الشيطان الرجيم) أى من وساوسه وهواجسه (ثم اقصد) فيه التفات أى ثم توجه (الى الروضة) أى الشريفة (وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها) أى صل (ركعتين) أى قياما بحق الربوبية كما اقتضته العبودية (قبل وقوفك بالقبر) أى للزيارة المصطفوية واداء التحية النبوية (تحمد الله تعالى) أى حال كونك تثنى على الله سبحانه (فيهما) أى فى الركعتين وفى نسخة فيها أى فى الصلاة أو فى الروضة (وتسأله) أى الله فيهما أو بعد الفراغ منهما (تمام ماخرجت اليه) أى من المقاصد (والعون عليه) أى فى جميع المراصد (وان كانت ركعتاك) وهما تحية المسجد (فى غير الروضة أجزأتاك) أى كفتاك عن السنة (وفى روضة) وكذا فى المواضع الفاضلة فى المسجد (أفضل) اى لورود الاحاديث فى فضلها (وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتى) المختص بعائشة المعبر عنه فى رواية ما بين قبرى (ومنبرى روضة من رياض الجنة) أى اما حقيقة بان ينتقل اليها حال وصولها واما وسيلة بان تكون العبادة فيها سببا لدخولها وباعثة لوصولها فقد قال القرطبى معناه ان الصلاة والذكر فى هذا الموضع يورثان الجنة فكأنه قطعة منها الاول ولا منع من الجمع والله أعلم (ومنبرى على ترعة) بضم فوقية فسكون راء فعين مهملة أى عتبة أو روضة مرتفعة

الباجى) تقدمت ترجمته (وعندى) أى الراجح عندى (انه يدعو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلاة) لما فيها من التعظيم كما تقدم (و) يدعو (لابى بكر وعمر كما جاء فى حديث ابن عمر) الذى تقدم وقوله فيه السلام على أبى بكر السلام على عمر فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلى عليهما لما مر (من الخلاف) أى مخالفة الدعاء لهما للدعاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المناسك هنا تفصيل طويل فيما يقوله الناس ليس هذا محله (وقال ابن حبيب) عبد الملك بن حبيب القرطبى الامام الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا يلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته فى الميزان (ويقول الزائر (اذا دخل مسجد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله وسلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم (السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وجنتك) أى يسر لى ما يوصلنى اليهما فان دخوله من باب المسجد الموصل لجنة روضة شوقه الى الجنان وقوى رجاءه فناسب دعاءه بما ذكر ولما سلك الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها بقوله (واحفظنى من الشيطان الرجيم ثم اقصد) بعد الدعاء (الى الروضة وهى ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين) تحية المسجد شكرا لهذه النعمة (قبل وقوفك بالقبر) أى عنده (تحمد الله تعالى فيها) أى فى تلك الصلاة (وتسأله تمام ما خرجت اليه) من زيارتك وسفرك (والعون عليه) أى المساعدة بتيسيره له (وان كانت ركعتاك فى غير الروضة) من المسجد النبوى (اجزأتاك) بالهمزة أى كفتاك فى اداء السنة (وفى الروضة أفضل) أى اكثر ثوابا اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال عليه السلام ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة) وياتى الكلام عليه وما بين القبر والمنبر نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يؤدى الى دخولها فكأنه منها فاطلق السبب واراد المسبب أو هو تشبيه بليغ وقيل انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة وفى حديث آخر يأتى وان أوهم كلامه هنا أنه من تتمة الاول (ومنبرى على ترعة

(من ترع الجنة) رواه أحمد بتمامه عن جابر والبزار عن أبي بكر والدارقطني عن عمر بلفظ قبري بدل بيتي ورواه بدون الجملة الاخيرة البيهقي عن أبي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابن عمر ورواه فقط أحمد وأبو عوانة عن سهل بن سعد والترعة في الاصل الروضة على مكان مرتفع خاصة فان كانت في مطمئن فهي روضة وورد ارتعوا في رياض الجنة يعني مجالس الذكر

من ترع الجنة) ترعة وترع بمثناة كغرفة وغرف قيل هي الروضة تكون في مكان مرتفع مطمئن وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا أو في مكان مطمئن تجمع اشجارا ورياحين والترعة تكون أيضا محل الماء وبمعنى الدرجة كما ذكره أهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة من رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة ويأتي بيان الحديث في كلام المصنف (ثم تقف بالقبر) أي عنده (متواضعا متوقرا) أي بتواضع ووقار أي سكون تأدبا بهيبة واجلال وغض طرف وقال الكرماني الحنفي في مناسكه انه يضع يمينه على شماله كما يقف في الصلاة وقال غيره الاولى الارسال لئلا يتشبه بالمصلي فانه منهي عنه (فتصلي) بالخطاب لكل زائر (عليه صلى الله عليه وسلم وتثني) عليه بثناء يليق به (بما يحضرك) أي يخطر ببالك من غير تكلف لامور تستعد لها بسجعة ونحوها ويقبح الانحناء وتقبيل الارض وما يظنه جهلة العوام من ان فيه زيادة تعظيم ليس بشئ (وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما) بما يناسب مقامهما كما مر (واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار) والمراد بمسجده هنا هو المراد بقوله صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره كما يأتي وهو ما كان مسجدا في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ما زيد فيه كما قاله النووي وغيره والاشارة بقوله هذا تعينه واعتراض ابن تيمية عليه بما ورد في الحديث لو زيد في مسجدي الى ذي الحليفة كان مسجدي رد بانه لا يقتضي مساواته من كل وجه ولا شك في ان الاول أفضل من غيره وفي حديث الزيادة معجزة واخبار بالغيب ولا ينبغي للزائر جعل القبر خلف ظهره ولا بجانبه كما قاله ابن عبد السلام (ولا تدع) بالخطاب والجزم أي تترك (ان تاتي مسجد قباء) بضم القاف ويمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم موضع قريب من المدينة بنى فيه عمرو بن عوف الانصاري مسجدا أتاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى لمسجد أسس على التقوى على الراجح كما يأتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا في كل سبت وحكمة تخصيصه ان في اتيانه زيارة أهله والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده وأعطى أهل أحد يوم الخميس لانهم أفضل فبقي السبت لاهل قبا وقال صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتين فيه كعمرة ويقال له مسجد الفتح وكان عمر رضي الله عنه يأتيه في كل اثنين وخميس وقال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ينقلون حجارته على بطونهم فلو كان في طرف الارض لضربنا اليه اكباد الابل وقال صلاة ركعتين فيه أحب الي من ان نأتي بيت المقدس مرتين وكذا يستحب اتيان غيره من المساجد المأثورة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كمسجد القبلتين (وقبور الشهداء) المعهودين وهم شهداء أحد رضي الله عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي أن لا تدع زيارتهم وان تبدأ منهم بحمزة سيد الشهداء في الدنيا والآخرة (وقال مالك في كتاب محمد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج) أي اذا دخل مسجد المدينة وخرج منه أي بالفعل لا عند ارادة ذلك (وفيما بين ذلك) اى في أيام اقامته بالمدينة يدخل المسجد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم كما دخل وخرج (قال محمد واذا خرج) من المدينة من أتاها زائرا (جعل آخر عهده) بالمدينة

وفي رواية اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ونحو ذلك (ثم تقف) خبر معناه أمر أي قف أيها الزائر (بالقبر) أي قريبا منه ومقبلا عليه (متواضعا) أي متذللا في نفسه (متوقرا) أي معظما لمن في حضرته (فتصلي عليه وتثني بما يحضرك) أي لديه (وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما) أي بالغفران والرضوان (واكثر من الصلاة) أي الطاعة والعبادة أو الصلاة على صاحب السعادة والسيادة (في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل والنهار) أي في ساعاتهما ولا تدع ان تاتي مسجد قبا) أي ولا تترك اتيان ذلك المسجد وزيارة ذلك المشهد فانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيها كل يوم سبت راكبا وماشيا وقباء يمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ويمنع والاشهر الاكثر مده وتذكيره وصرفه (وقبور الشهداء) أي شهداء أحد وغيرهم أي ولا تترك اتيان زيارتهم واستدعاء شفاعتهم (وقال مالك رحمه الله في كتاب محمد) يعني واحدا من أصحابه ولعله محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة فانه روى عنه الموطأ (ويسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل) أي سلام القدوم والزيارة (وخرج) أي واذا أراد أن يخرج سلام الموادعة (يعني) اي يريد بذلك وهو (في المدينة) أولا وآخرا (وفيما بين ذلك) أي احيانا (قال محمد واذا خرج) أي اراد الزائر ان يخرج من المدينة (جعل آخر عهده

الوقوف

(الوقوف بالقبر) اى عند الوداع (وكذلك) كل من خرج مسافرا من المدينة يجعل آخر عهده بروضته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه (وروى ابن وهب عن فاطمة) الزهراء (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) اى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم او الاعم منه (فصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولى اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك) وفيه مناسبة تامة لان العبادة مكفرة للسيئات والدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم رحمة (واذا خرجت) من المسجد النبوى أو الاعم منه (فصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولى اللهم اغفر لى ذنوبى) بيركة العمل الصالح (وافتح لى ابواب فضلك) وذكر الفضل هنا أنسب لان الخارج من المسجد يخرج لكسب معاشه والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل اموره وتيسير مسالكه وأسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة فى الدخول والفضل فى الخروج وحاصلها ان المساجد محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب قصده وعبادته فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال الاسباب والاكتساب التى بها تحصل الارزاق والغناء عن الناس وهذا مظهر الفضائل التى تفضل بها على عباده فسئل عند التوجه ليفيض عليه منه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى فلو اراد ان يصلى ركعتين نفلا مطلقا وقيل انها سنة الوداع واختلف هل يقدم الوداع على الصلاة او يؤخرها ليكون آخر عهده ملاقاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن ان يقول لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم ويسره لى العود اليه وارزقنى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ويتأسف على مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه اصحاب السنن على انه سنة لدخول كل مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوى كما ذكره الخيضرى فى اللواء المعلم الا انه يكفى انه يدخل فيه دخولا أوليا وزاد بعضهم فى المسجد النبوى رب وفقنى وسددنى واصلح لى واعنى على ما يرضيك عنى ومن على بحسن الادب فى هذه الحضرة الشريفة (وفى رواية اخرى) من طريق آخر وحديث فاطمة رواه احمد وابو يعلى والترمذى وحسنه (وليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم انى اسألك من فضلك وفى) رواية (أخرى اللهم احفظنى من الشيطان الرجيم) وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج ومظانه (وعن محمد بن سيرين) التابعى المشهور (كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد) النبوى (صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا) أى ندخل ونخرج وعبر بالماضى مشاكلة واشارة الى ان المساجد انما هى للعبادة وليست محل مكث واقامة لغير المعتكف (وعلى الله توكلنا) أى فوضنا أمورنا كلها التركك من دخل المسجد أمور دنياه فان توجهه فيه خالص لله (وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك) وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب فى كل مسجد كما تقدم واستحب الصلاة عليه عند دخولها والخروج منها لانه هو الذى بين لنا العبادة فيها وهدانا الطريق الخير فكان حقا علينا ان نذكره ثمة والدعاء له والمراد بالناس هنا الصحابة وفعلهم يدل على انه سنة مأثورة فلا يتوهم انه كيف يكون دليلا على انه سنة ولذا أردفه بما يوضحه من قوله (و) روى (عن فاطمة ايضا) أى كما

الوقوف بالقبر) اى للزيارة قياسا على طواف الوداع (وكذلك من خرج) ولو من أهل المدينة (مسافرا) أى من كونه مريدا السفر وهذا داخل بطريق الاستحباب واستعمال الآداب الموجبة لزيادة الثواب (وروى ابن وهب عن فاطمة) أى البتول الزهراء (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) قال الدلجي بفتح تاء الخطاب ولا أعلم من رواه قلت بل الصواب ان المراد به عموم الخطاب وقد سبق روايته مع مخرجها فى الكتاب (فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فى نسخة ضبط دخلت بكسر التاء ونصلى بياء المخاطبة (وقل) وفى نسخة وقولى فيه وفيما بعده (اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك وفى رواية أخرى) أى لابى داود عن أبى حميد وأسيد (فليسلم مكان فليصل وفيه) اى فى هذا المروى (ويقول اذا خرج اللهم انى أسألك من فضلك وفى أخرى اللهم احفظنى) اى احرسنى واعذنى واعصمنى (من الشيطان الرجيم) اى المطرود المبعود (وعن محمد بن سيرين) احد أعلام التابعين (كان الناس) اى الصحابة (يقولون اذا دخلوا المسجد) اى المسجد النبوى أو جنس المسجد الالهى (صلى الله وملائكته على محمد) جملة خبرية مبنى انشائية معنى (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا) أى لا باسم غيره (وباسم الله خرجنا) والمعنى دخلنا مستعينين باسمه وخرجنا متمسكين باسمه فى الحالين باسمه تعلقنا (وعلى الله توكلنا) اى وفى جميع احوالنا عليه اعتمدنا وجميع أمورنا اليه فوضنا (وكانوا يقولون اذا خرجوا) أى حين خروجهم من هنالك (مثل ذلك وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها ايضا)

أى كما تقدم عنها (كان النبى اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم) وفى نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه أحمد والبيهقى فى الدعوات (ثم ذكر) أى ابن سيرين (مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية حمد الله وسمى وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مثله) وهذا نقل بالمعنى وقد ثبت باختلاف المبنى فلا عبرة بقول الدلجى لا أدرى من رواها (وفى رواية) أى للترمذى وابن ماجة (بسم الله والسلام) وفى نسخة والصلاة (على رسول الله وعن غيرها) أى وروى عن غير فاطمة من الصحابة من طرق متعددة فلا يضر قول الدلجى لم أقف عليه لان من حفظ حجة على غيره وكذا الالتفات الى قول الحلبى لا أعرفه بعينه لانه يكفى ان المصنف رواه وهو حافظ ثقة حجة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد) أى حقيقة أو اذا أراد دخوله (قال اللهم افتح لى أبواب رحمتك) أى الدنيوية والاخروية (ويسر لى أبواب رزقك) أى الحسية والمعنوية (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى آه) أى أبواب رحمتك رواه ابن ماجه والنسائى فى عمل اليوم والليلة وابن حبان وابن خزيمة (وقال مالك فى المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة) أى كلما دخل به وخرج منه (الوقوف بالقبر) أى للزيارة (وانما ذلك) أى لازم (للغرباء) أى من الزائرين دون المقيمين وهذا كما قاله العلماء من ان الصلاة النافلة فى مكة أفضل لاهل الاقامة والطواف أفضل للغرباء النازلة (وقال) أى مالك رحمه الله تعالى (فيه) أى فى المبسوط (أيضا لا بأس لمن قدم) بكسر الدال أى نزل (من سفر) أى من أهل المدينة وغيرهم (أو خرج الى سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلى عليه ويدعو له) أى بالسلام (ولابى بكر وعمر فقيل له) أى لمالك (فان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون) بفتح الدال أى لا يجيئون (من سفر ولا يريدونه) أى ولا يقصدون السفر غالبا (و) هم مع ذلك (يفعلون ذلك) أى الوقوف على القبر للزيارة (فى اليوم مرة أو أكثرور بما وقفوا) أى تأخروا (فى الجمعة) بضم الجيم والميم ويسكن أى فى الاسبوع (أو فى الايام) أى ولو أكثر من الجمعة (المرة) أى تارة (أو أكثر) أى أخرى (عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال مالك رحمه الله لم يبلغنى هذا عن أحد من أهل الفقه) أى من المتقدمين (ببلدنا) يعنى المدينة (وتركه واسع) اى جائز يعنى ولو فعله فسائغ شائع لانه كما قال ابن مسعود ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وا قياس يوقف الرفاة على حال الحياة صحيح ولا شك ان الصحابة كانوا يكثرون السلام عليه فى حال حياته ويتشرفون بتكرار ملاقاته ويتبركون باخذ الفيض من أنوار بركاته فاى مانع من التردد على بابه والتوسل الى جنابه على

روى عنها ما قبل هذا (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية حمد الله) الذى وفقه للعبادة (وسمى) الله تيمنا وتبركا ليتم ما شرع (فيه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم) المار (وذكر مثله) أى ماهو بمعناه (وفى رواية يقول اذا دخل المسجد (بسم الله والسلام على رسول الله) فهذا صريح فى ان ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فهم مقتدون به (و) روى (عن غيرها) أى غير فاطمة رضى الله عنها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لى أبواب رحمتك) وانعامك بنعم الدنيا والآخرة (ويسر لى أبواب رزقك) أى سهلها ويسر أسبابها والتعبير بالتيسير اشارة الى انه مما مضى وفرغ منه (وعن أبى هريرة رضى الله عنه اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى) يعنى ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد أو خرج منه أو مر به أى مسجد كان يستحب له ان يسمى الله ويصلى ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بخير من خيرى الدنيا والآخرة والمأثور أفضل وهذا مما اتفقوا عليه ووردت فيه أحاديث صحيحة مسندة فى باب الدعوات (وقال مالك فى المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد) النبوى (وخرج منه من أهل المدينة) المقيمين بها (الوقوف بالقبر) أى عنده للزيارة (وانما) يلزم (ذلك) أى الوقوف لازم (للغرباء) الذين جاؤا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعى بل التأكيد فى حقه (وقال) مالك (فيه) أى فى كتاب المبسوط (أيضا) كما نقل عنه أولا (لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر) من أهل المدينة (ان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى يقوم عنده زائرا (فيصلى عليه) صلى الله عليه وسلم (ويدعو له ولابى بكر وعمر) بعد الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقيل له ان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه) أى الخروج للسفر فهم مقيمون (يفعلون ذلك) أى الوقوف عند القبر والصلاة عليه والدعاء لصاحبيه (فى اليوم) الواحد (مرة أو أكثر وربما وقفوا فى الجمعة أو الايام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون) عليه صلى الله عليه وسلم (ويدعون) لابى بكر وعمر (ساعة فقال) مالك لما ذكر له ذلك (لم يبلغنى هذا) أى وقوف المدنى من غير سفر عند القبر (عن أحد من أهل الفقه ببلدنا) يعنى المدينة لان عمل أهلها حجة عنده (وتركه) أى ترك هذا الفعل (واسع) أى أكثر وأولى

انه قد ثبت من صلى عليه نائيا بلغه ومن صلى عليه عند قبره سمعه ثم ان كانت الكثرة توجب الملالة فلا شك أن يقال في حقهما الكراهة كما يشير اليه حديث زر غبا تزدد حبا وأما عند كثرة الشوق ومزية الذوق فلا سبيل الى المنع من تلك الحضرة ولو على سبيل المداومة كما يدل عليه حديث أبي بن كعب في تكثير الصلاة والسلام عليه والحاصل ان تكثيرها مستحب بالاجماع فاتيانها أولى في أفضل البقاع ولعل السلف الصالح كان عندهم أمور أهم من ذلك فكانت تشغلهم عن كثرة الوقوف هنالك وكذا نقول ان طالب العلم تحصيله وتدريسه وتصنيفه اذا كان ذا حاجة الى طريقه أفضل من كثرة الطواف والزيارة بل أكمل من حج النافلة وقصد العمرة وقد يدفع عساكر ونحوها تقع ساهرين نائمين فهم من ظاهر قوله (ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك) وقد تقدم عذرهم انهم كانوا يشتغلون بما هو كانت أهم هنالك (ويكره) أي الوقوف للزيارة من أهل المدينة (الا لمن جاء من سفر أو أراده) أي السفر (قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة اذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا) لا شك ان الزيارة في تينك الحالتين أكثر استحبابا وأظهر آدابا لكن لا يلزم منه انهم لم يكونوا ائتموا بين ذلك من الواقفين هنالك وقد سبق عن نافع أن ابن عمر كان يسلم على القبر رأيته مائة مرة أو أكثر ولا شك انه كان من أهل المدينة فتدبر (قال) أي ابن القاسم (وذلك رأيي) أي المختار المطابق لظاهر قول مالك (قال الباجي) وهو بالموحدة والجيم (ففرق) أي مالك في نسخة بفتح فيكون أي فصل وفارق (بين أهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك) أي في رحلتهم (وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم) أي على صاحبه وفيه انه لا يلزم منه ترك ذلك وأي مانع لما هنالك فهل ترى أحدا قال ان الغرباء لهم الطواف حول الكعبة لانهم قصدوها في سفرهم دون أهل مكة حيث لم يقصدوها في اقامتهم (وقال عليه الصلاة والسلام) كما روى مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلا وعبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) أي صنما يعبد من دون الله تعالى وانما دعا له خوفا على أمته وأهل ملته أن يفعلوا مثل جهلة أهل الكتاب بالنسبة الى قبور أنبيائهم ومشاهد أصفيائهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أي مسجودا بها أو مشهودا بها حيث عبدوها (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (لا تجعلوا قبري عيدا) رواه ابن أبي شيبة موصولا عن علي وسعيد بن منصور في سننه مرسلا من طريقين وتقدم تحقيق بيانه وتدقيق برهانه

(ولا يصلح آخر هذه الامة) المحمدية وآخرها من بعد الصحابة والعصر الاول (الا ما أصلح أولها) أي لا يصلح لآخرها الا ما صلح لأولها ولا يستحب لهم الا ما استحبوه أولا (ولم يبلغني) أي لم أسمع بنقل صحيح (عن أول هذه الامة وصدرها) من الصحابة ومن ألحق بهم (انهم كانوا يفعلون ذلك) أي الوقوف للزيارة من غير الغرباء بلا ارادة سفر (ويكره) ذلك (الا لمن جاء من سفر أو أراده) من أهل المدينة (قال ابن القاسم) من أتباع الامام مالك (ورأيت أهل المدينة اذا خرجوا منها) للسفر (أو دخلوها) قادمين من السفر (أتوا القبر فسلموا) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) ابن القاسم (وذلك رأي) أي قول لمالك وفي نسخة رأيي بالاضافة أي انه يقول به (قال الباجي) بباء موحدة نسبة لباجة اسم بلدة بالمغرب وهو أبو الوليد الحافظ من أئمة المالكية وقد تقدم (ففرق) مالك أو ابن القاسم رواية عنه (بين أهل المدينة والغرباء) فاستحب للغرباء الزيارة في الدخول للمسجد في كل حين ولم يستحبه للمدني الا اذا خرج لسفر أو قدم منه (لان الغرباء قصدوا) المدينة (لذلك) أي لأجل الزيارة فينبغي له فعل ذلك في كل حين (وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها) من أوطانهم (من أجل) زيارة (القبر والتسليم) عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكي في كتابه شفاء السقام بعد نقل ما هنا ان مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته في سد الذرائع وغيره من أهل المذاهب قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذي لا شبهة فيه والذريعة ليست بممنوعة من كل مقام كما تقدم عن القرافي (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه عبد الرزاق ومالك في الموطأ عن عطاء بن يسار (اللهم لا تجعل قبري وثنا) أي كالوثن وهو الصنم الذي (يعبد) أي يتخذ معبودا وتقدم فيه زيادة بعدي (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أي يسجدون لها كما يسجدون لله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه ابن أبي شيبة وغيره بسند متصل (لا تجعلوا قبري عيدا) أي كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تأويل الحديث وانه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره فان اجماع الامة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهمه وما هو الا نزغة شيطانية وتواد وقال الخ يحتمل انه من كلام الباجي أو من كلام مالك أو ابن القاسم تأييدا لما قاله وهو الظاهر واحتمال انه من

(ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر لا يلصق به) لانه ناشئ عن قلة الادب مع رسول الرب (ولا يمسه) أى اعدم وروده بل ورد النهى عن مسه ولمسه (ولا يقف عنده طويلا) أى وقوفا طويلا أو زمانا طويلا لاخوفا من الرياء والسمعة أو من الملالة والسآمة (وفى العتبية) بضم العين المهملة

وسكون الفوقية وكسر موحدة وتشديد تحتية منسوبة الى فقيه الاندلس محمد ابن أحمد بن عبد العزيز العتبى القرطبى مصنفها وهو من موالى عتبة ابن أبى سفيان أخذ عن يحيى ابن يحيى الليثى وطبقته (يبدأ بالركوع) أى بصلاة التحية للمسجد (قبل السلام) أى على سيد الانام حين دخوله (فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قياسا على حال حياته فانه قد ورد أن واحدا من الصحابة دخل المسجد فجاء وسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ارجع وصل ركعتين ثم سلم على وفيه ايماء الى تقديم حرمة الربوبية على تعظيم الخدمة النبوية (وأحب مواضع التنفل منه مصلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق) بضم ميم وفتح خاء معجمة ولام مشددة مفتوحة أى المبخر المطلى بالخلوق بفتح أوله وهو نوع من الطيب المعبق (وأما فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف) أى أفضل للمأمومين وأما الامام فلا شك ان مقامه الافضل مصلاه الا كمل (والتنفل فيه) أى فى مصلاه بل فى جميع مسجده أفضل (للغرباء) دون أهل في المدينة لحديث ورد بذلك (أحب الى) وكذا الى غيره (من التنفل فى البيت) ولعل وجهه ان لا مضاعفة فى الصلاة فى غير المسجد من مواضع المدينة بخلاف ذلك فى مكة فان الحرم كله تتضاعف فيه الحسنة بمائة ألف فالنوافل فى البيوت أفضل لهم ولو كانوا من الغرباء

كلام المصنف رحمه الله تعالى غير مناسب لما عقد له هذا الفصل (و) نقل (من كتاب أحمد بن سعيد الهندى) عالم الاندلس توفى سنة تسع وتسعين وثلثمائة وعمره سبع وسبعون سنة وترجمته مبسوطة فى التواريخ وفى نسخة سعد الهندى والصحيح الاولى (فيمن وقف بالقبر) الشريف أى قال فى حقه وبيان حاله انه ينبغى له ان (لا يلصق به) صدره (ولا يمسه) بشئ من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله والصاق صدره لانه ترك أدب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك وهذا أمر غير مجمع عليه ولذا قال أحمد والطبرى لا بأس بتقبيله والتزامه وروى ان أبا أيوب الانصارى كان يلتزم القبر الشريف قيل وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة وهو كلام حسن (ولا يقف عنده طويلا) بل بمقدار الصلاة والدعاء تأدبا منه فهذا مستحب عنده (وفى العتبية) بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر الموحدة وياء نسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة أى مما سمع من مالك من مسائل المدونة وصاحبها يسمى العتبى نسبة لعتبة بن أبى سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن أبى سفيان القرطبى وتوفى منتصف ربيع سنة خمس أو أربع وخمسين ومائتين وأخذ عن يحيى بن يحيى الليثى وطبقته ويقال انه من موالى عتبة وله رحلة الى المشرق وفى تاريخ الاندلس محمد العتبى هو أحمد بن محمد بن عتبة الاموى من أهل قرطبة قيل هو مولى لآل عتبة ابن أبى سفيان وهو الاصح وسمع من سحنون وأصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة أكثر فيه من الشواذ والمسائل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها فى المستخرجة وقال ابن وضاح فى المستخرجة خطأ كثير (يبدأ بالركوع) المراد به الصلاة أى تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة (قبل السلام) على قبره عليه الصلاة والسلام وزيارته وهو أحد القولين كما تقدم (فى مسجد النبى) صلى الله عليه وسلم وقبل يسلم أولا ثم يصلى ويتحرى بصلاته محلا كان يصلى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وله علامة ذكروها وتبعهم المصنف وهو على يسار محراب الشافعية (و) شمل ذلك عموم قوله و(أحب) أفعل تفضيل من المحبة (مواضع التنفل فيه) أى أفضلها للصلاة النافلة وتحية المسجد والزيارة (مصلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى محل صلاته المأثور وبين محله بقوله (حيث العمود المخلق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وقاف وهو ما طلى به الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب أصفر فيه زعفران والعمود هو السارية والاسطوانة وسمى مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف وقيل انه محلق بحاء مهملة أى له حلقة من حديد ونحوه وقيل هو محل جذعه الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل عمل المنبر وهذه الاماكن الشريفة وأسماؤها وفضائلها من أراد الوقوف عليها فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى (و) فضيلة هذا المحل والصلاة عنده انما هو للمتنفل الزائر (وأما فى) صلاة (الفريضة فالتقدم الى الصفوف) أى التقدم فى الصف الاول أفضل من غيره مطلقا (والتنفل) أى صلاة النافلة (فيه) أى فى المسجد النبوى (للغرباء) الذين قدموا للزيارة وليسوا من أهل المدينة المقيمين بها (أحب الى) أى أفضل عندى (من التنفل فى البيوت) أى مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله الفقهاء وأطلقوه ان الافضل فى الفرض الصلاة فى المساجد والنافلة الافضل فيها ان يصلى فى المنازل ووجه المخالفة ان الصلاة

(فصل) * (فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) وفي نسخة من الآداب (سوى ما قدمنا) أي من أنواع الاستحباب (وفضله) أي فضل مسجده (وفضل الصلاة فيه) أي وما يتعلق به (وفي مسجد مكة) طرد للباب وما يتعلق به من بعض الابواب (وذكر قبره ومنبره) أي وشرف ما بينهما وقدره (وفضل سكنى المدينة ومكة) أي سكانهما مجاورين بهما وقدم المدينة بناء على معتقده المتيمن وفقه على ذلك (قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) واختلف المفسرون في المراد به (روي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل أي مسجد هو فقال مسجدي هذا) رواه مسلم والترمذي وصححه النسائي عن أبي سعيد وأحمد عن أبي بن كعب وسهل بن سعد في رواية لمسلم هو مسجدكم هذا مسجد المدينة فكان الاولى للمصنف أن يقول فقد ورد أو وردت اذ روي صيغة تضعيف وهو موضوعه لتمريض ما له (وهو قول سعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها وهو من أكابر التابعين فكان الاولى ان يؤخره عن قوله (وزيد بن ثابت وابن عمر) ثم يقول بعده (ومالك بن أنس) وأما ما ذكره الحلبي من ان اللائق تقديم ابن عمر على زيد بن ثابت فغير سديد لان زيدا من أكابر الصحابة وممن أخذ عنه ابن عباس وغيره وهو أجل كتبة الوحي وقد ورد في حقه أفرضكم زيد أي أعلمكم بالفرائض وهو امام في علم القراءة والكتابة وغيرهما وابن عمر من صغار الصحابة والطبقة الثانية منهم رضي الله تعالى عنهم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) أي لانه أسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه أيام اقامته بها من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وهو أوفق للقصة في سبب نزول الآية فقد روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا فقالوا وقد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة فصل فيه حتى نتخذه مصلى فقال أنا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما رجع كرروا عليه فنزلت ويؤيده انه روى البخاري في تاريخه وجماعة عن محمد بن عبد الله بن سلام انه قال لما أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء قال ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور خيرا أفلا تخبروني فقالوا يا رسول الله انا نجده مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء ونحن نفعله اليوم كذا ذكره شيخ مشايخنا الحافظ السيوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور ويقويه ما رواه الترمذي وأبو داود ان هذه الآية نزلت في أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا وأيضا ما رواه ابن ماجه ان هذه الآية لما نزلت فيه رجال قال عليه الصلاة والسلام واقفا على باب مسجد قباء يا معشر الانصار ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور خيرا فما طهوركم الحديث وعندي ان الجمع ممكن بان يراد به جنس المسجد الذي أسس على التقوى وان ما ذكره من الطهور لاهل قباء لا ينافي الحمل على أهل مسجده من الانصار والله أعلم بحقائق الاخبار ودقائق الاسرار

في مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة في غيره على ما يأتي وهذا مبني على ان المضاعفة تختص بمسجد المدينة وذهب بعضهم الى ان الصلاة في المدينة مطلقا مضاعفة لا فرق بين فرضها ونفلها ومسجدها وغيره فعلى هذا نفلها كغيرها الا ان الغريب يستحب له الاكثار من المكث في مسجدها والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فله شأن يخصه وهو الظاهر

* (فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) * اللازم لمن حضر عالمه في حياته (سوى ما قدمناه) في الفصل الذي قبل هذا (وفضله) أي المسجد النبوي (وفضل الصلاة فيه) أي زيادة ثوابها على ثواب غيرها (وفي مسجد مكة) وفضله وفضل الصلاة فيه (وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة) والمجاورة فيهما ولم يتكلم في الشفاء على المجاورة الا ان الشارح أشار الى ذلك بما يأتي (قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) وضع اساسه فيه (أحق ان تقوم فيه) للصلاة من غيره وقد اختلف فيه كما سيأتي (روي) عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل) عن المراد به في هذه الآية (أي مسجد هو فقال مسجدي هذا) يعني الذي هو داخل المدينة وهو معروف (وهو) أي كونه المراد في الآية (قول ابن المسيب وزيد ابن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم) من كبار الصحابة قيل كان ينبغي له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك هكذا لكنه مقدم بالاسن والترتيب في الذكر ليس بلازم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) الذي تقدم بيانه وهو المراد في الآية عنده لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أسسه وصلى فيه أيام مقامه من الاثنين الى الاثنين وكلاهما صحيح انهما أسسا على التقوى الا ان تأسيس مسجد قباء كان في بدء دخوله صلى الله عليه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه وأسس الآخر فالاولية ظاهرة فيه الا ان تحمل الاولية على حقيقة التقييد والمراد بالتقوى الاخلاص في رضى الله لا كمسجد الضرار وما ذكره ابن عباس هو الذي ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول أيضا مروي عن كبار الصحابة مسندا له صلى الله عليه

(حدثنا هشام) وفي نسخة هاشم (بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين) بالتصغير والاصح كما في نسخة الحسن (ابن محمد الحافظ) أي حافظ عصره ومحدث دهره وهو الغساني (ثنا) أي قال حدثنا (أبو عمر النمري) بفتح النون وكسر الميم وهو ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ثنا أبو بكر بن داسة ثنا أبو داود) أي صاحب السنن (ثنا مسدد) بفتح الدال الاولى مشددة (ثنا سفيان) أي ابن عيينة (عن الزهري) وهو الامام ابن شهاب (عن سعيد بن المسيب) من قيل فيه انه أفضل التابعين (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاتشد الرحال) جمع راحلة وهي الصالحة لان ترحل أو يشد الرحل عليها والرحل للبعير كالسرج للفرس والمعنيان يحتملان هنا وفي النهاية الراحلة من الرحيل البعير القوي على الاسفار والاحمال للذكر والانثى والهاء للمبالغة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة والمعنى لاينبغي ان تركب دابة لزيارة مسجد من المساجد (الا الى ثلاثة مساجد) لفضلها على غيرها في كونها مشاهد (مسجد الحرام) بالجر بدل من الثلاثة وفي نسخة المسجد الحرام والمراد به المسجد الذي في بلد الله الحرام المحترم عند سائر الانام وهو أفضلها كما يشير اليه تقديمه في هذا الحديث ومزيد المضاعفة فيها كما في أخبار كثيرة وآثار شهيرة (ومسجدي هذا) يعني مسجد المدينة احترازا من نحو مسجد قباء فلا يدل على حصر فضل مسجده على ما كان مشارا اليه في مشهده (والمسجد الاقصى) وهو الابعد من المساجد بالنسبة الى العرب وهو الذي ببيت المقدس وهو مسجد كبير وقد دخله عليه الصلاة والسلام وصلى فيه في ليلة الاسراء وقد أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغي للعاقل ان لايشتغل الابما فيه صلاح دنيوي وفلاح أخروي ولما كان ماعدا المساجد الثلاثة متساوي المرتبة في الشرف والفضيلة وكان التنقل والارتحال لاجله عبثا من غير المنفعة نهى الشارع عنه لان لاتشد خبر وقع نفيا وأراد به نهيا (وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام) ويروى التسليم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد) أي مطلق المساجد فبالاولى مراعاتها في أفضل المساجد

وسلم وقد رواه مسلم وأصحاب السنن ولذا قيل كان ينبغي للمصنف ان يقول صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا روي بصيغة المجهول التي تغلب استعمالها في الضعيف فكأنه ايماء الى ان الاقوى ماقاله ابن عباس وهو مشكل وغاية مايقال فيه ان الاولية اضافية باعتبار مابني بعد الهجرة ومسجد مكة فيشمل مسجد قباء ومسجد المدينة والمراد اخراج مسجد الضرار ولا ينافيه مابعده لانه أثنى على أهل أحد المسجدين بزيادة الطهارة وانما فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده لاجل قوله أحق ان تقوم فيه لانه انما كان أكثر قيامه به فلو فسر بمسجد قباء لكان صلى الله تعالى عليه وسلم تاركا للاحق ففسره بما يدل على دخوله مع مسجد قباء في الحكم ونص على ماخرج عن منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق جدا (حدثنا هشام بن أحمد الفقيه) هو أحد شيوخ المصنف رحمه الله لقوله (بقراءتي عليه) قال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) هو الغساني وقد تقدم قال (حدثنا أبو عمر) هو ابن عبد البر كما تقدم (النمري) تقدم بيانه أيضا قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو بكر بن داسة) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن تقدم أيضا قال (حدثنا مسدد) تقدم قال (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة وقد تقدم (عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة) تراجمهم تقدمت كلها (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (لاتشد الرحال) لانافية وتشد مضارع مجهول وهو خبر أريد به النهي وهو أبلغ في النهي لانه جعل كأنه أمر لايقع في الخارج أخبر عنه لتحققه والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للجمال كالسروج للخيل كما مر لاجمع راحلة كما توهم وهو البعير ونحوه والمقصود منه المنع أو نفي شدها كناية عن منع السفر أي لاينبغي السفر وقطع المسافة (الا الى ثلاثة مساجد) جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة وأصله موضع السجود (مسجد الحرام) بالحركات الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما جائز هنا والاول من اضافة الموصوف للصفة أي المسجد الذي جعله محترما وهو مشهور غني عن البيان (ومسجدي هذا) أي مسجد المدينة المعروف (والمسجد الاقصى) بالاضافة كالاول وفي نسخة والمسجد الاقصى أي الابعد لانه أبعد من مكة بالنسبة للمدينة وفيه كلام مشهور وليس هذا محله واختلف في هذا النهي هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح انه مأول أي لاتشد الرحال لنذر العبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها لم تلزمه فلا يكره له شد الرحل لبعض الاماكن المتبرك بها أو لزيارة من فيها من الصالحين أو طلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه (وقد تقدمت الآثار) والاحاديث (في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد) النبوي في الفصل الذي قبل هذا كما سمعته آنفا والآثار كل مأثور أي مروي فيشمل الحديث وغيره ويطلق

على

(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما) انه جواب ترك الياء في نحو كاس ناو حبه اولا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخل المسجد) أي جنسه (قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم) أي ذاته (وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) رواه أبو داود (وقال مالك) أي فيما رواه البخاري والنسائي (سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صوتا) أي عظيما (في المسجد) أي مسجد المدينة (فدعا بصاحبه) أي طالب صاحب الصوت (فقال من أنت) يروى من أنت (قال رجل من ثقيف) أي من أهل الطائف (قال لو كنت من هاتين القريتين) أي مكة والمدينة أي لفعلت نكالا أو لعذبتك أو لعذرتك وفي نسخة صحيحة لأدبتك (ان مسجدنا) أي أهل المدينة خصوصا (لا يرفع فيه الصوت) أي لما ورد من قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وهو حي حاضر بعد مماته كما كان في حال حياته فيكون موجبا لمراعاته وقد قال بعض علمائنا ان رفع الصوت في المساجد ولو بالذكر حرام لما يشوش على أهلها العبادة ويشغل خاطرهم عما تتعلق به الارادة قال الدلجي وقد اتفق العلماء عليه بشهادة الحصر في حديث انما بنيت المساجد للذكر والعبادة هذا وفي صحيح البخاري بسنده الى السائب بن يزيد وهو الكندي له صحبة كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فأتني بهذين فجئته بهما فقال من أنتما أو من أين أنتما قالا من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله سامحهما لكونهما قريبي العهد من الايمان والاسلام وآدابهما أو لكونهما من الغرباء فأوجب مراعاة حالهما (وقال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعتمد) وفي نسخة صحيحة أن يتعمد أي يقصد

على ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر والأثر مشهور في مصطلح الحديث ككتاب ابن الصلاح وغيره (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) في حديث رواه أبو داود باسناد جيد حسن كما في الاذكار للنووي (ان النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان اذا دخل المسجد) أي مسجده بالمدينة وتقدم ان هذا يستحب في دخول كل مسجد (قال أعوذ بالله العظيم) أي التجئ في أموري كلها وفي التوفيق للعبادة واخلاصها الى عظيم لا يخاف من التجأ اليه (وبوجهه الكريم) لوجهه معروف فاذا أضيف الى الله تعالى فالمراد به ذاته المكرمة المبجلة (وسلطانه القديم) سلطانه بمعنى قهره وغلبته والقديم صفة سلطان وذلك ثابت له في الازل والقدم (من الشيطان الرجيم) المطرود عن رحمة الله وقربه واستعاذ منه لئلا يصده عما نواه من العبادة ويشغله بوسوسته وتتمة الحديث فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم (وقال مالك) بن أنس رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البخاري والنسائي فيه (سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صوتا) عاليا كالصياح (في المسجد) أي مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فدعا بصاحبه) أي أمر بمجيئه اليه فجيء له به وسقط هذا من بعض النسخ فالفاء في قوله (فقال من أنت) فصيحة أي من أي قبيلة وطائفة من الناس (قال من ثقيف) قبيلة من العرب مشهورة من هوازن (قال) عمر رضي الله عنه له (لو كنت من أهل) (هاتين القريتين) يعني مكة والمدينة (لأدبتك) كما في نسخة وفي أخرى لدورتك بالدرة بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهي سوط عريض يضرب به وعلوتك بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضرب به على رأسه وأعالي بدنه يقال علاه بالدرة وجلده وقمعه بالسيف وهذا ساقط من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال ونحوه وانما قال له هذا لان من كان من أهل الحرمين وهما مهبط الوحي ومقر الدين لا يعذر في الجهل بالشرع وآدابه ثم بين له وجه مقاله بقوله (ان مسجدنا) يعني مسجد المدينة أو الاعم منه (لا يرفع فيه الصوت) فعلى الاول يعلم غيره بالقياس وعلى الثاني هو داخل نصا وهو الظاهر لانه ورد من طريق آخر ومساجدنا وذهب كثير من الفقهاء الى ان رفع الصوت في المساجد مطلقا مكروه وفي الحديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها متخذة للعبادة ولذا يكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لا يعذر وكلام عمر رضي الله عنه يدل على انه لو كان من أهل القريتين عذره لانه لا يعذر بجهله وأجيب بانه علم منه عدم اكتراثه بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حرام يؤدي الى الكفر والعياذ بالله قلت ليس كما قاله بل لانه يمتنع رفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أي عنده صلى الله عليه وسلم وهو في حياته كما تقدم الآن قوله ان مسجدنا يأباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شيء فاعرفه ويستثنى من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة وكذا التلبية كما صرحوا به على ما يأتي (قال محمد بن مسلمة) بميمين مفتوحتين كما تقدم (لا ينبغي لأحد أن يعتمد

(المسجد) أي فيه (برفع الصوت ولا بشئ من الاذى) أي من دخوله فيه أو رميه من بصاق ونحوه (وان ينزه عما يكره) أي من بيعه وشرائه وحلاقة رأسه وقص ظفره وقتل قملة ونحوها فان المساجد لم تبن لذلك وانما بنيت لذكر الله ولما يناسب هنالك (قال القاضي) يعني المصنف (حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه) وهو الامام شيخ الاسلام اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد الازدي مولاهم البصري ثم البغدادي المالكي الحافظ صاحب التصانيف ولد سنة تسع وتسعين ومائة وقرأ على قالون وتفقه وأخذ علم الحديث وقاله عن ابن المديني روى عنه جماعة وتفقه عليه طائفة قال الخطيب كان عالما متقنا فقيها شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند وصنف في علوم القرآن وله كتاب احكام القرآن لم يسبق الى مثله وكتاب معاني القرآن وكتاب القراآت واستوطن بغداد وولي قضاءها الى ان توفي وقال غيره صنف موطأ وصنف كتابا كبيرا نحو مائة جزء في الرد على محمد بن الحسن لم يتمه توفي اسمعيل فجأة في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وروى النسائي في الكنى عن ابراهيم بن موسى عن اسمعيل القاضي عن ابن المديني والحاصل انه ذكر فيه (في باب

والعلماء متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) أقول لكن لا شبهة في تفاوت مراتب المساجد في هذا الحكم وغيره من المقاصد (قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر) أي رفع الصوت (على المصلين فيما يخلط) بتشديد اللام المكسورة أي يلبس ويشبه (عليهم صلاتهم) أي من جهة قراآتهم وعدد ركعاتهم (وليس مما يختص به المساجد رفع الصوت) أي بالكلام فرفع الصوت مرفوع على انه اسم ليس ومما يختص محله النصب على الخبر والمساجد مرفوع يعني على انه نائب الفاعل (قد كره) بصيغة المفعول أي كره جماعة (رفع الصوت بالتلبية) أي مع كونه اذكرا وسنة (في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد مني) اقول هذا الاستثناء انما هو على مقتضى مذهبه ومختار مشربه والا فالصحيح من مذهبنا انه يكره رفع الصوت مطلقا في جميع المساجد لانه لا فرق في العلة المانعة منه في كل المساجد وفي نسخة ومسجدنا قال الانطاكي كذا وقع في النسخ التي وقفت عليها والظاهر انه تصحيف اذ لا معنى لاضافة المسجد الى القائل هنا ولعل الصواب ومسجد مني فقد قال السروجي في شرح الهداية وقال مالك لا يرفع المحرم صوته بالتلبية في مساجد الجماعات لانها لم تبن لها الا في المسجد الحرام ومسجد مني قال وخالف الجماعة وقد لبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مسجد ذي الحليفة دبر صلاته ورووا تلبيته صلى الله تعالى عليه وسلم ولو لم يرفع بها صوته لما حفظوها منه هذا لفظه بحروفه انتهى كلام الانطاكي وفيه ان تلبيته في مسجد ذي الحليفة ليس كسائر المساجد اذ هو ليس من مساجد الجماعات بل مسجد موضوع للاحرام وما يتعلق به من الصلاة والتلبية والحاصل ان مذهب الحنفية يستحب التلبية في المسجد الحرام وفي سائر المساجد التي في بقاع الحرم لانها موضع النسك ولا يستحب اظهارها في مساجد الامصار والحل لما روي

المسجد) أي يقصده وفي نسخة يتعمد (برفع الصوت) فيه فيقال عمده واعتمده اذا قصده فان فعله لا عن عمد لجهل أو غيره جاز له ذلك (ولا بشئ من الاذى) هو كل مستقذر لان الطبع يتأذى به (وان ينزه) بالبناء للمجهول أي يبعد منه فيبعد هو (عما يكره) مجهول أيضا والمكروه المراد به أيضا المستقذرات ولا ينبغي تحمل الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقهاء بمنع جعل النجاسة والمستقذرات في المساجد حتى النخامة والروائح الخبيثة كرائحة البصل والثوم الى غير ذلك مما فصل في احكام المساجد وقد افرده بالتأليف الامام الزركشي فلا حاجة لذكره هنا الا ان لسنا بصدده (قال القاضي) عياض هو المصنف رحمه الله تعالى (حكى ذلك) المذكور (كله القاضي اسمعيل) بن اسحق بن اسمعيل الازدي البصري العلامة الرحلة في سائر الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه حتى عد من أقران المبرد حتى قيل لولا اشتغاله بالقضاء اندرس ذكر المبرد ومات سنة اثنين وثمانين ومائتين ببغداد فجأة (في مبسوطه) اسم كتاب له كما تقدم (في باب فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) لان المقصود منها واحد وشرفها كلها لكونها محلا لعبادة الله تعالى فاذا استوت في ذلك كان حكمها واحدا (قال القاضي اسمعيل) ابن اسحق المتقدم (قال محمد ابن مسلمة) المتقدم (يكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم) أي يشوش عليهم والخلط مزج شئ بشئ من المائعات ونحوها بحيث لا يتميز احدهما عن الآخر كالدقيق والشعير بالبر فالمراد ان اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراءتهم وصلاتهم فاستعير لذلك الخلط (وليس) أي كراهة رفع الصوت (مما يختص به المساجد) فثبتت كراهة (رفع الصوت) رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور وقبله (فيكره رفع الصوت بالتلبية) أي قول الحاج لبيك اللهم لبيك (في مساجد الجماعات) التي تجمع فيها صلاة الجمعة ونحوها (الا المسجد الحرام) يعني مسجد مكة (ومسجدنا)

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه سمع رجلا يلبى فقال ان هذا لمجنون انما التلبية اذا برزت كذا فى الكافى وفى أحكام المساجد للشافعية تستحب التلبية فى المسجد الحرام وفى مسجد منى وابراهيم بعرفات وفى استحبابها فى سائر المساجد قولان الجديد الاصح انه يستحب والقديم لا لئلا يشوش انتهى وقد علم مما ذكر ان الخلاف فى رفع الصوت المشوش وأما امر الاضافة فسهل اذا كان القائل مثلا فى مسجد نمرة أو مسجد الخيف والله تعالى اعلم (وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه) أى فيما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام صلاة فى مسجدى هذا) أى مسجد المدينة وقال النووى المضاعفة فيه

مختصة بما كان فى زمنه عليه الصلاة والسلام وتحت نظر أصحابه الكرام (خير من ألف صلاة فيما سواه الى المسجد الحرام قال القاضى) يعنى المصنف (اختلف الناس) أى العلماء فانهم هم الناس (فى معنى هذا الاستثناء) يعنى الا المسجد الحرام هل يفيد الزيادة أو النقصان أو الاستواء (على اختلافهم) قال الدلجى أى مع اختلافهم والاظهر ان على على بابها أو المعنى اختلافا مبنيا على اختلافهم (فى المفاضلة بين مكة والمدينة) أى كون أيهما أفضل فى حق المجاورة (فذهب مالك رحمه الله تعالى فى رواية أشهب) أى ابن عبد العزيز (عنه) أى عن مالك (وقال ابن نافع صاحبه) أى صاحب أشهب أو صاحب مالك (وجماعة أصحابه) كذا بالاضافة وفى نسخة وجماعة من أصحابه أى من أصحاب مالك عنه (الى ان معنى الحديث) أى مراده ومقتضاه بحسب مبناه ومفهوم معناه (ان الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فى سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الالف) يعنى فالاستثناء لبيان النقص فى الخصوصية أى ما يرد هذه المقولة (واحتجوا بما روى) أى فى مسند الحميدى (عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) وفيه انه يدل على ان صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فى مسجد المدينة لانه داخل فيما سواه من غير ذكر استثناء فى مبناه فلا يتم قوله تبعا لهم

يعنى مسجد المدينة لان محمد بن مسلمة كان من سكانها فرفع الصوت فى التلبية مأمور به لحديث أفضل الحج العج والثج والعج رفع الصوت والثج اراقة الدماء ورفع الصوت مستحب لغير المرأة والخنثى وهذا مذهب مالك ومذهب غيره ان استحبابه فى جميع المساجد وانما كرهه مالك فى المساجد لانها محل الخشوع (وقال أبو هريرة فى حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام) انه قال (صلاة فى مسجدى هذا خير) أى أفضل وأكثر ثوابا (من ألف صلاة فيما سواه) من جميع المساجد (الا المسجد الحرام) يعنى مسجد مكة المشرفة وسمى حراما لحرمة القتال فيه وكذا الصيد وقطع اشجاره وتتمة الحديث وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى هذا (قال القاضى) أبو الفضل مصنف هذا الكتاب وهو عياض رحمه الله (اختلف) بالبناء للمجهول أى اختلف العلماء والفقهاء (فى معنى هذا الاستثناء) يعنى المراد بقوله الا المسجد الحرام واختلافهم فيه مبنى (على اختلافهم فى المفاضلة) أى القول بايهما افضل من الآخر (بين مكة والمدينة فذهب) الامام (مالك فى رواية أشهب) بن عبد العزيز أبو عمرو العبسى المصرى تلميذ مالك فى مروياته (عنه) أى عن مالك (وقال عبد الله (ابن نافع وصاحبه) أى صاحب الامام مالك الذى يروى عنه (وجماعة أصحابه) أى أصحاب مالك (الى ان معنى الحديث) المذكور والاستثناء فيه لانه ان لم يكن خيرا من ألف صلاة فيما سواه احتمل ان تكون الصلاة فى المسجد الحرام أكثر ثوابا من الصلاة فى المسجد النبوى وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد الحرام بقل من ألف وان الصلاة فى المسجد النبوى لا تفضله بل تساويه والكل محتمل وهذه رواية أشهب منصورة وابه ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من أصحاب مالك عنه واتفق للجمهور فى تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان معناه (ان الصلاة فى مسجد الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم (أفضل من الصلاة فى سائر المساجد) أى باقيها (بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه) أى فى المسجد الحرام (بدون ألف) أى أقل منه وهو تأويل بعيد ومن استبعده من المالكية ابن عبد البر رحمه الله ونادى عليه بما ثبت فى مسند أحمد عن عبد الله بن الزبير انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة فى مسجدى هذا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى قريبا وهو حديث حسن كما ذكره البيهقى كيف لا وقد مدحه الله تعالى وأمر بالحج اليه وفى الحديث أيضا انه صلى الله عليه وسلم وقف على راحلته بمكة وهو يقول والله انك لخير أرض الله وأحب ارض الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ما خرجت كما رواه الترمذى والنسائى وقال انه حديث حسن (واحتجوا) لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة (بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) أى غير المسجد الحرام لما علم مما

(فيأتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف) وسيأتي ماينافضه ويعارضه اهو أصح في هذا الباب مماروى عن عمر ابن الخطاب والله أعلم بالصواب (وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة) أقول بل تفضيل المدينة على مكة مبنى على هذا اذسبب تفضيل المكانين بموجب تشريف المسجدين والافلاشك ان مكة لكونها من الحرام المحترم اجماعا أفضل من نفس المدينة ماعدا التربة السكينة فانها افضل من الكعبة بل من العرش على ماقاله جماعة على انه لافضيلة في العبادة بالمدينة خارج مسجدها العدم تعلق المضاعفة في الحسنة بها بخلاف مكة وماحولها من الحرم المحترم والله تعالى أعلم والحاصل انه ان ثبت أفضلية مسجد المدينة يدل على أفضلية المجاورة بها الان المقصود من السكون فيها اتيان العبادة بها على ماقدمناه (وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وفيه ان رواية الحديث السابق ليس لها دلالة على مذهبه اللاحق (ومالك وأكثر المدنيين) أي علماء أهل المدينة وفقهائهم من التابعين (وذهب أهل مكة والكوفة) ومنهم أبو حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وسفيان الثورى وحماد وعلقمة وأصحاب الشافعي وغيرهم (الى تفضيل مكة) لحديث النسائي وابن ماجه والترمذى حسنه وصححه عن عبد الله بن الحمراء قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير ارض الله الى الله تعالى ولولا انى أخرجت منك ماخرجت (وهو قول عطاء) وهو من اكابر التابعين (وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه الساجى) بالسين المهملة والجيم محدث البصرة وعنه أخذ الاشعرى مقالة أهل الحديث وله كتاب جليل في علل الحديث ذكره الشيخ أبو اسحق في طبقاته فقال أخذ عن الربيع والمزنى وصنف كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب علل الحديث وتوفى بالبصرة سنة سبع وثلثمائة ذكره في الميزان وقال أحد الاثبات ماعلمت فيه جرحا أصلا وقال أبو الحسن بن القطان مختلف فيه في الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون (عن الشافعي) أي نصا في هذا الباب (وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم) أي عن أبي هريرة برواية الشيخين (على ظاهره) أي للزيادة (وان الصلاة في المسجد الحرام أفضل) أي منها في مسجده عليه الصلاة والسلام (واحتجوا) أي لتفضيل مكة على المدينة (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه) أي صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام (وفيه) أي وزيد في حديث ابن الزبير (وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدى هذا بمائة صلاة) فهذا منطوق وقع صريحا لا يعارضه مفهوم ولو كان صحيحا والحديث هذا انما ثبت في مسند أحمد بن محمد بن حنبل وغيره من حديث عبد الله بن الزبير ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدى هذا وقال النووى في شرح مسلم هذا حديث حسن رواه احمد بن حنبل في مسنده والبيهقى وغيرهما باسناد حسن انتهى وقد رواه ابن حبان في صحيحه هذا وقال الدلجى في قوله بمائة صلاة أسقط منه المضاف الى صلاة أي بمائة ألف صلاة اذ قد ورد كذلك عند أحمد وابن ماجه عن جابر باسنادين صحيحين بلفظ صلاة في مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه فحديث ابن الزبير هذا روى أبو هريرة صدره وعمر آخره

تقدم (فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه) أي على المسجد الحرام (بتسعمائة وعلى غيره بالف) أي غيره من المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ ماروا سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلفظ صلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فان فضله عليه بمائة صلاة وقد روى من طرق (وهذا) أي ماذكره من ان الصلاة في مسجد الرسول أفضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الالف (مبنى على تفضيل المدينة على مكة على ماقدمناه) قريبا (وهو) أي تفضيلها عليها (قول عمر بن الخطاب ومالك) في احدى الروايتين عنه (واكثر المدنيين) أي علمائها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مابين قبرى ومنبرى الخ ونحوه (وذهب أهل مكة و) علماء (الكوفة الى تفضيل مكة) على المدينة (وهو قول ابن وهب وعطاء وابن حبيب من أصحاب مالك) وفي رواية عنه (وحكاه الساجى) بسين مهملة وجيم نسبة الى ساج بلدة وهو أبو يحيى زكريا بن يحيى الضبي البصرى (عن الشافعي) رضى الله عنه لانه من أئمة الشافعية توفى بالبصرة سنة سبع وثلاثمائة وله كتاب جليل في علل الحديث وكتاب في اختلاف الفقهاء وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان (وحملوا) أي المفضلون لمكة (الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره) من استثنائه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه بل دونه لما عرفته فلا يرد انه يحتمل المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لقربه (وان الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا) لما قالوه (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) الذى أخرجه أحمد وابن حبان (بمثل حديث أبي هريرة وفيه) أي في حديث ابن الزبير (وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدى هذا بمائة صلاة

وروى

وروى قتادة مثله) أى مثل حديث ابن الزبير فى أفضلية مكة (فيأتى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا) الذى رواه ابن الزبير وقتادة (على الصلاة فى سائر المساجد مائة ألف) وفيما قاله شئ لانه كما قيل أسقط منه مضاف الى صلاة أى مائة ألف صلاة وهو كذا فى رواية أحمد وابن ماجه باسنادين صحيحين فلا يخفى ما فيه وحديث ابن الزبير هذا روى صدره أبو هريرة وعجزه عمر رفاعرفه (ولا خلاف) بين العلماء والمحدثين فى (ان موضع قبره) أى الموضع الذى قبر فيه صلى الله عليه وسلم وضم جسده الشريف (أفضل من) سائر (بقاع الارض) كلها بل هى أفضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكى رحمه الله تعالى لشرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافى فى القواعد للتفضيل أسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة العبادة له أولما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله تعالى عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكاره فى الشفاء ان الافضل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال لا عمل على القبر فانه ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف مفضلا وبطلانه معلوم من الدين بالضرورة انتهى ووافقه السبكى رحمه الله فقال الاجماع على ان قبره صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة كما قيل

جزم الجميع بان خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكى مأواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الامكنة لتجلى الله له بما ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة لا حاجة الى ما قيل انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره له اعمال فيه مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان لا أفضل له فى ذاته فالفضل كفى انه لاجل ما حل فيه وقول السروجى من الحنفية لم نجد من تعرض لهذا فى مذهبنا ليس يتوقف فيه بل لعدم وقوفه عليه ويكفى لفضله ما اشتهر من ان كل احد يدفن فى التربة التى خلق منها قلت وفى هذا فضل لضجيعيه وفخر كفى شرفا لهما حتى قال فى عوارف المعارف روى عن ابن عباس ان أصل طينته صلى الله تعالى عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما أجاب ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو أصل التكوين والكائنات تبع له ولما تموج الطوفان ألقى بطينته لمحل دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم ففى الحقيقة لم يدفن الا فى أصل الكعبة الذى خلق منها صلى الله عليه وسلم انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو قول ثقة ويؤيده ما جاء فى بعض الآثار ان سليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثم أربعمائة من اخبار بنى اسرائيل ينتظرون بعثته وهجرته اليهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وههنا بحث وهو ان البقعة التى ضمت الجسد العظيم اذا كان أفضل من سائر البقاع يلزم ان يكون المدينة أفضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هى تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل نقول المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ لان شرف المكان بالمكين فلا بد من تحرير الخلاف حتى يقام عليه الدليل وفى كلام شيخنا ابن قاسم ما يقتضى ما تقدر ان أفضل البقعة التى ضمت أعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت قبل دفنه فيها وقبل موته بل وقبل هجرته نعم قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسى انما ثبت بعد دفنه فيها لشرفها به لا قبله لانها حينئذ ليس فيها الا انها جزء من الكعبة مجرد فلا تزيد على بقية اجزائها الا ان يقال اعداده لدفنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها اقتضى مزيتها على بقية الاجزاء قبل دفنه فيها أيضا وهل البقعة المذكورة أفضل من منزله عليه الصلاة والسلام فى الجنة أو منزله فيها أفضل

(وروى قتادة مثله) وفى نسخة روى عن قتادة أى مثل حديث ابن الزبير (فيأتى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا) أى القول المحتج المجتمع له بحديث ابن الزبير (على الصلاة فى سائر المساجد) أى ولو مسجد المدينة (بمائة ألف) قال الحجازى يروى بمائة وألف اقول الظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف المعنى ثم اعلم ان العلماء صرحوا بان هذه المضاعفة فيما يرجع الى الثواب فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب مائة ألف فيما سواه ولا يتعدى ذلك الى الاجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى فى مسجد المدينة أو المسجد الحرام أو المسجد الاقصى صلاة لم تجزئه عنهما وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء خلافا لما يغتر به بعض الجهلاء (ولا خلاف) أى بين علماء الامصار (ان موضع قبره صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل بقاع الارض) أى بشرف قدره وكرمه عند ربه

(قال القاضي أبو الوليد الباجي) بالموحدة والجيم (الذي يقتضيه الحديث) أي الوارد في فضل المسجدين (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) ومن جملتها مسجده عليه الصلاة والسلام بدليل حمل الاستثناء في حديث أبي هريرة على ظاهره وحديث عمر رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه (ولا يعلم منه) أي من الحديث المذكور (حكمها) أي حكم مكة (مع المدينة) في أيتهما أفضل من الاخرى الا انه يدل على ان المجاورة بمكة والمداومة في مسجدها بالجماعة أفضل من المجاورة بالمدينة لما يترتب عليها من مزيد المضاعفة الا ان حديث حسنات ٥٣٢ الحرم بمائة ألف ان ثبت صريح في ان نفس مكة أفضل من نفس المدينة ما عدا البقعة السكنية ومما يدل عليه أيضا ماتقدم من حديث ابن الحمراء فانه حديث صحيح ودلالته على المدعى صريح (وذهب الطحاوي) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة العالم المشهور في مذهب الحنفي (الى ان هذا التفضيل) أي في المسجدين (انما هو في صلاة الفرض) أي لان النافلة في البيوت أفضل (وذهب مطرف) بضم ميم وكسر راء مشددة وهو اليساري المدني مولى ميمونة يروى عن خاله مالك ونافع القاري وعنه البخاري وأبو ذرعة (من أصحابنا) أي المالكية (الى ان ذلك) أي التفضيل الوارد في الصلاة فيهما (في النافلة أيضا) أي منضمة الى الفريضة أخذا بظاهر عموم الحديث وكذا قاله أيضا أصحاب الشافعي على مانقله الحلبي (قال) أي الطحاوي أو مطرف في تفضيل الصلاة والصوم فيهما (وجمعة خير من جمعة) أو في غيرهما بما سبق في فضلهما كصيام (ورمضان خير من رمضان) أي كذلك (وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) أي من البلاد والظاهر على غيرها (حديثا نحوه) أي نحو ماذكر قبله رواه الطبراني عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة خير من رمضان وجمعة بها خير من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم كذا ذكره الدلجي وفي الجامع الصغير رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان رواه الطبراني والضياء عن بلال بن الحارث المزني وورد رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة رواه البزار عن ابن عمر

كما سبق الى الفهم وقد يقال هذه أفضل مادام فيها فاذا صار في الجنة صار بمزاد أفضل وقد يقال يجوز ان يكون هذه منقولة من منزله في الجنة أو ينقل اليها فلها حكمة فليتأمل * واعلم ان العز بن عبد السلام لما قال ان الامكنة والازمنة متساوية بان لا تفاضل بينهما ظن بعضهم ان القبر الشريف لا يتصور تفضيله لذاته فان التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه ورد بان التفضيل له أسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال في المدينة على أعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيها أعمال كثيرة ليست بغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهي تزيد بذلك واذا قال مالك في المدينة أيضا ما ليس في غيرها مجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه والخلاف لفظي فتدبر (قال القاضي أبو الوليد الباجي) بموحدة وقد تقدمت ترجمته (الذي يقتضيه الحديث) المتقدم الذي في فضل مسجديهما (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) حتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة في المسجدين (ولا يعلم منه) أي من الحديث الذي استدلوا به (حكمها) أي حكم مكة في التفاضل (مع المدينة) أي بالقياس اليها بالتفاضل فايتهما أفضل وهو الذي ذكر الخلاف فيه بين مالك وغيره (وذهب الطحاوي) هو الامام أبو جعفر أحمد بن محمد الحنفي كما تقدم (الى ان هذا التفضيل) بالضاد المعجمة أي تضعيف أجر الصلاة باحد المسجدين مسجد مكة أو المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المسموع عن المصنف في الاصول والظاهر الاول (انما هو في صلاة الفرض) وانه الذي يضاعف ثوابه وعممه بعضهم في الفرض والنفل وهو المختار واليه أشار بقوله (وذهب مطرف) بضم الميم وفتح الطاء وكسر الراء المشددة المهملتين وفاء وهو أبو مصعب مطرف النيسابوري المدني ابن أخت الامام مالك روى عنه البخاري وهو ممن حاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه في الفقه توفي سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة (من أصحابنا) أي من المالكية وقيده به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري الزاهد توفي سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم (الى ان ذلك) أي مضاعفة ثواب الصلاة (في النافلة أيضا) أي كالفرض لظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعي اذ لا داعي للتخصيص بل شامل لسائر العبادة بدلالة النص كما أشار اليه بقوله (قال) أي مطرف وقيل الضمير للطحاوي (وجمعة خير من جمعة) أي ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة في غيره ويحتمل انه جمع جمعة مضاف لضمير المسجد والاول أولى لقوله (ورمضان) فيه (خير من رمضان) في غيره وهو منون مصروف لتنكيره (وقد ذكر عبد الرزاق) بن همام المحدث الحافظ كما تقدم (تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) من البلاد (حديثا نحوه) أي مثل الحديث المذكور في فضل الصلاة وهو مارواه الطبراني وغيره عن بلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صيام شهر رمضان في المدينة

كصيام ألف شهر فيما سواها ثم رجع الى بيان فضائل المدينة فقال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم
فى حديث رواه الشيخان (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) تقدم الكلام عليه وان الروضة
أرض فى مكان مطمئن ذات أشجار وعياه (ومثله) فى معناه ولفظه (عن أبى هريرة وأبو سعيد) الخدرى
(وزاد) فيه أبو سعيد كما فى الموطأ (ومنبرى على حوضى) قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والايقاظ
يورث الرى من العطش فى هول القيامة (وفى حديث آخر) تقدم (منبرى على ترعة من ترع الجنة)
تقدم بيانه وهو تمثيل أيضا وتقدم تفسير الترعة (قال الطبرى) محمد بن جرير لا الكيا كما قيل (فيه
معنيان) أى وجهان واحتمالان (أحدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه) الذى كان يسكنه وهذا مبنى
(على الظاهر) المتبادر من لفظه (مع انه ورد) فى بعض الروايات (ما بينه) ويعين المراد منه وهو (ما
بين حجرتى ومنبرى) لان الحجرة بضم الحاء محل السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة فلم يبق
الاحتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة (والثانى ان البيت هنا) أى فى الحديث المذكور والمراد به
(القبر) فانه يطلق عليه بيت مجازا لان معناه ما يبيت فيه الحى وقربه هنا انه صلى الله عليه وسلم حى فى
قبره (وهو قول زيد بن أسلم) الفقيه العمرى كما تقدم (فى هذا الحديث) وفسره به (كما روى ما بين قبرى
ومنبرى) فهذا يؤيده ووفق بين القولين بما (قال الطبرى واذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات
ولم يكن بينها خلاف) بحسب المعنى (لان قبره فى حجرته وهو بيته) واخباره صلى الله عليه وسلم به قبل
موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم (وقوله) فى هذا الحديث
(ومنبرى على حوضى) فى تفسيره أقوال منها ما (قيل) انه (يحتمل انه منبره) المعروف (بعينه الذى
كان فى الدنيا وهو الاظهر) المتبادر من غير داع لتأويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذى كان
يخطب عنده يغرس فى الجنة كما مره يأتى (و) القول (الثانى ان يكون له هناك) أى فى المحشر عند
الحوض (منبر) آخر يوضع له عند الحوض تكريما له صلى الله عليه وسلم فيقوم عليه لدعوة الخلق
لحوضه تكريما له ولامته (و) القول (الثالث) انه ليس على حقيقته بل من باب ذكر السبب وارادة
المسبب فالمراد (ان قصد منبره والحضور عنده) فى الدنيا (لملازمة الاعمال الصالحة) متعلق بقصد أو
حضور وأوهو علة مقدمة لقوله (يورد الحوض ويوجب الشرب منه) لاعماله الصالحة فى الدنيا (قاله
الباجى) تقدم بيانه (وقوله) فى الحديث (روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين) وتفسيرين (أحدهما
انه موجب لذلك) أى مقتض له اقتضاء محققا فكأنه موجب له أى لدخول روضة من رياض الجنة
لمن دخله فى الدنيا (وان الدعاء والصلاة فيه) أى فيما بين المنبر والقبر (يستحق) صاحبها (ذلك من
الثواب) بيان لذلك أو تعليل له ففيه تجوز (كما قيل) فى حديث صحيح فى الترغيب فى الجهاد والشهادة
(الجنة تحت ظلال السيوف) كناية عن دنو المجاهدين من الجنة حتى كأنه اذا رفع سيفه للضرب به أو

(وقال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) رواه أحمد والشيخان والنسائى عن عبد الله بن زيد
المازنى والترمذى عن أبى هريرة (ومثله) أى مثل هذا اللفظ (عن أبى هريرة وأبى سعيد) أى فى الموطأ (وزادا) وفى نسخة صحيحة
زاد أى أبو سعيد الخدرى (ومنبرى على حوضى) أى حقيقة أو مجازا كما سيأتى (وفى حديث آخر) وقد سبق مخرجه (منبرى على ترعة
من ترع الجنة) بضم الفوقية وسكون الراء وقد تقدم معناها (قال الطبرى) الظاهر انه محمد بن جرير (فيه) أى فى الحديث الاول
(معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه) أى مع عائشة فى مدته ومثواه (على الظاهر) أى المتبادر من المعنى
اللغوى للبيت (مع انه روى ما بينه) أى هذا المعنى وهو قوله (بين حجرتى ومنبرى والثانى) أى ثانيهما (ان البيت هنا القبر) أى باعتبار ماله (وهو قول زيد ابن أسلم فى هذا الحديث كما روى) أى فى بعض الروايات (بين قبرى ومنبرى قال الطبرى) أى جمعا بين الروايات (واذا كان قبره فى بيته) أى فى آخر أمره (واتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف) فى مبانى الاعتبارات (لان قبره عليه الصلاة والسلام فى حجرته وهو) أى حجرته (وذكره التذكير خبره وهو بيته وقوله) أى فى الحديث الآخر (ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه) منبره أى موضعه (بعينه الذى كان موضعه فى الدنيا وهو اظهر) أى من غيره من الاقوال
وذلك ان تنقل تلك البقعة بعينها الى أرض الآخرة فيقع من بقع أرض الحوض فيها (والثانى أن يكون له هناك منبر) أى عند
الكوثر (والثالث ان قصد منبره والحضور) عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة
(من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما انه) أى أيضا (موجب لذلك) أى لما سبق هنالك كما بينه بقوله (وان الدعاء والصلاة فيه)
أى فيما بين بيته ومنبره (يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف) كان حقه أن يقول كما روى فانه حديث رواه
الحاكم فى مستدركه عن أبى موسى وفى معناه الجنة تحت أقدام الامهات رواه القضاعى والخطيب فى الجامع عن أنس رضى الله تعالى عنه

(والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى) قيل هو الذى شرح البخارى (وروى ابن عمر) أى كما
رواه مسلم (وجماعة من الصحابة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى المدينة) أى فى فضلها (لا يصبر على لأوائها)

علاه سيف لمن يضربه وظهر ظله فالجنة تحت ذلك الظل أو ظلال السيوف كناية عن القتال بها فحصله
سبب الدخول من أظلته الجنة وهذا مراد القاضى هنا (والثانى) من معانيه المحتملة (ان تلك البقعة) من
بقاع المسجد التى بين القبر والمنبر (قد ينقلها الله) من الدنيا الى الآخرة (فتكون فى الجنة بعينها)
فهو على حقيقته (قاله الداودى) هو أحمد بن نصر شارح البخارى وهو أبو جعفر الاسدى اليشكرى
التلمسانى توفى بتلمسان سنة أربعين وأربعمائة وتلمسان بكسر التاء واللام ويقال تلمسين ويجوز
تسكين لامها وفى نسخة الماوردى وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة الى آخره انه كروضة من رياض
الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حق ذكرها لاسيما فى عهده صلى الله عليه وسلم فهو
تشبيه بليغ ومعناه ان العبادة فيه تؤدى الى الجنة أو هو على ظاهره بان ينقل من الدنيا للآخرة
قال ابن حجر والوجوه الثلاثة على ترتيبها فى القوة فالوجه الاخير أضعفها وقال بعضهم انه قواها لان
الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر الهيتمى والاظهر الجمع بين المعنيين يعنى انها تنقل الى
الجنة وتؤديه الى رياضها ويؤيده ويقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة فى غيره وان الجذع الذى كان صلى
الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس فى الجنة فهذا يقتضى ان البقعة تنقل اليها أيضا ولا يخفى ما بين أول
كلامه وآخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف حديث صحيح كما مر رواه الشيخان عن
عبد الله بن أبى أوفى وأوله انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام
فى الناس خطيبا فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا
واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم
وانصرنا عليهم وفى النهاية انه كناية عن الضراب والجهاد والدنو منه والظل والفىء بمعنى وقد يقال الظل
لما قبل الزوال والفىء لما بعده كما فصله أهل اللغة وقلت فى قطعة

قلت له لما دنا طرفه * بناظر أهدى الينا الحتوف
أوجنة من تحت أهدابه * أم جنة تحت ظلال السيوف

(وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم (وجماعة من الصحابة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى) حق
(المدينة) والساكنين بها انه (لا يصبر على لأوائها) بفتح اللام وسكون الهمزة وواو بعدها مد
(وشدتها) عطف تفسير لان اللأواء هى الشدة والمشقة والضيق وجاءت بمعنى القحط وجمع الاخير
ليكون تأسيسا (أحد) فاعل يصبر (الا كنت) عبر بالماضى لتحققه أى أكون (له شهيدا أو شفيعا يوم
القيامة) قال المصنف رحمه الله تعالى والنووى أو هنا ليست للشك من الراوى لانه رواه نحو عشرة من
الصحابة كذا ولا يظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله تعالى عليه وسلم قاله هكذا أو للتقسيم أى شهيدا
لبعض وشفيعا لبعض أو شهيدا للمطيعين أو لمن مات فى حياته وشفيعا للعاصين أو لمن مات بعده وشهادته
بانهم ماتوا على خير وشفاعته لهم بتضعيف ثوابهم أو تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغى ان تكون هذه
خصوصية زائدة لعموم شفاعته صلى الله عليه وسلم وشهادته كما قال الله تعالى (وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا) وأو بمعنى الواو فيه وقال بعضهم انها للشك وعليه فرواية شهيدا ظاهرة ورواية شفيعا انها شفاعة
خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم فى جواره دنيا وآخرة وفى الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين
ومن كرهه لامر خاص بمن لا يراعى حقوقهما لمضاعفة الاعمال ثمة (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث

بفتح اللام وسكون
الهمزة والمد أى ضيق
المدينة وعنائها (وشدتها)
أى وشدة بلائها (أحد
الا كنت له شهيدا)
مبالغة شاهد أى أشهد
له بما أعلم من صبره عليها
(أو شفيعا) مبالغة شافع
أى وأشفع له (يوم
القيامة) وأو هنا ليست
للشك لانه رواه جابر
وسعد ابن أبى وقاص
وابن عمر وأبو سعيد وأبو
هريرة وأسماء بنت
عميس وصفية بنت أبى
عبيد وهى تابعية على
الصحيح فحديثها
مرسل عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بهذا
اللفظ ويبعد اتفاقهم
على الشك وكذا
يستحيل اتفاق رواتهم
على الشك فأو هنا بمعنى
الواو أو للتقسيم كما صرح
به النووى فيكون شهيدا
لبعض شفيعا لباقيهم أو
شهيدا لمطيعهم شفيعا
لمذنبهم أو شهيدا لمن مات
فى حياته شفيعا لمن عاش
بعد وفاته وهذه خصوصية
زائدة على شهادته فى
القيامة على جميع الامم
أو على أصفياء هذه الامة
وزائدة على شفاعته الكبرى للخلق أجمعين والصغرى للمذنبين وقد ورد شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وقد قال
صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء أى شهادة خاصة توجب مزيد الرفعة والعلاء والحاصل انه عليه الصلاة
والسلام له شهادات عديدة كثيرة وشفاعات متظاهرة فى مواقف الآخرة (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

رواه

(فيمن تحمل) أى رفع حمله وأمتعته ونقلها (من المدينة) وتحول عنها الى غيرها (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) رواه الشيخان عن سفيان ابن أبى زهير والمعنى لو علموا خيريتها لما فارقوها أو لو كانوا من أهل العلم لعلموا خيريتها واصبروا على بليتها (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وهو كير الحداد وهو المبنى من الطين أو هو الزق الذى ينفخ به النار والمبنى الكور وقاله ابن الاثير (تنفى) أى المدينة (خبثها) بفتحتين أو بضم فسكون وهو منصوب على المفعولية (وينصع) بنون ساكنة فصاد مفتوحة فعين مهملة أى ويخاص وقيل يبقى ويظهر (طيبها) بفتح طاء مهملة وتحتية مشددة مكسورة أو بكسر فسكون وهو مرفوع على انه فاعل ولو روى تنصع بالتأنيث وطيبها بالنصب لكان وجها وجيها قيل هذا القول صدر عنه عليه الصلاة والسلام على وجه التمثيل لحال المدينة وما يصيب ساكنها من الجهد والبلاء والقحط والغلاء كمثل الكير يتميز به الخبيث من الطيب فيذهب الوسخ ويبقى نحو الذهب أزكى ما كان واخلص وقد روى فى سبب ورود الحديث ان اعرابيا بايع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاصاب الاعرابى حمى بالمدينة فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا محمد أقلنى بيعتى فابى ثم جاء فقال اقلنى بيعتى فابى فخرج الاعرابى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وعن عمر بن عبد العزيز لما خرج من المدينة التفت اليها وبكى ثم قال نخشى ان نكون ممن نفته المدينة (وقال) أى فى حديث آخر رواه مسلم عن جابر (لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها) أى للزهد فيها والاعراض عنها وعدم الميل اليها (الا أبدلها الله تعالى خيرا منه) أى راغبا فى سكناها صابرا على بلواها

رواه الشيخان (فيمن تحمل عن المدينة) أى رحل عنها وفارقها واختار السكنى غيرها عليها ومعنى تحمل رفع حمله وامتعته معها فكنى به عما ذكر وفى نسخة يحتمل وهما بمعنى (والمدينة خير لهم) من غيرها من البلاد (لو كانوا يعلمون) فيه ايجاز أى لو كانوا يعلمون فضلها لما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شئ والمعنى لو كانوا من ذوى العلم لادركوا ذلك وهو أبلغ فى أداء المراد ولو شرطية أو للتمنى أى ليتهم علموا ذلك وهو حديث طويل معناه انه سيفتح بلاد اليمن والشام ويأتى منها قوم يسوقون باهلهم ودوابهم ثم يترحلون عن المدينة وهى خير لهم والحديث فى البخارى بشرحه وفيه معجزة له باخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات لانها افتتحت فى عهد الخلفاء واختاروا سكناها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وراء مهملة وهو آلة الحداد معروفة ينفخ بها النار لايقادها على الحديد والكور البناء من طين ونحوه يوضع عليه وقيل هما بمعنى والياء منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير حانوت الحداد وفى النهاية الكير الطين الذى يبنيه الحداد لاجل النار وقيل هو الزق والحصر فيه اضافى فى الصحيح خلافه ووجه الشبه انها (تنفى خبثها) بفتحتين وآخره مثلثة نصب على المفعولية أى تخرج ما خبث منها ولا تقبله كما ينفى الكير خبث الحديد لان ما فيه من الصدأ والاجزاء التى ليست خالصة منه تغير عنه مع الشرر وتبقى خالصة فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار غيرها من غير ضرورة الا من خبثت طويته فيه ولا يترك فيها من فى قلبه غل وعدم صدق فتميزه عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه (وينصع طيبها) بكسر الطاء وسكون المثناة التحتية وموحدة وروى طيب بزنة سيد وهو مرفوع فاعل وينصع بفتح الياء وسكون النون وفتح الصاد المهملة وبعدها عين مهملة أى يخاص ويبقى صافيها مستطاب كما يبقى من الحديد جيده ويذهب رديه من النصوع وهو صفاء البياض ومنه ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد يائه وان ينصع بمثناة تحتية ورفع طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وروى تنصع بمثناة فوقية ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط القزاز طيبها بكسر اوله واستشكله فان النصوع لا يعرف والمعروف فيه ينضوع بضاد معجمة وواو مشددة واغرب فى الفائق فقال انه بموحدة وضاد معجمة من أبضع التاجر اعطى البضاعة أى تعطى طيبها من يسكنها وتبعه فى النهاية وقال الصاغانى انه خالف فيه جميع الرواة وكأنه تصحيف وروى ينضخ بضاد وخاء معجمتين ففيه روايات مختلفة أصحها بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم الاظهر ان هذا مختص بزمنه صلى الله تعالى عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لا يصبر على الهجرة والاقامة بها الا من ثبت على ايمانه لا المنافقون وجهلة الاعراب كما وقع للاعرابى الذى أصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقلنى فقال هذا الحديث فى حقه وقال النووى ليس هذا بظاهر لما فى صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها يعنى فى زمن الدجال والمدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل ان يكون هذا فى أزمنة متفرقة انتهى وقلت ان أراد

(وروى عنه عليه الصلاة والسلام) كما في سنن البيهقي والدارقطني عن عائشة بسند ضعيف (من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا) أي قاصدا لاحدهما وهو أعم من قول الدلجي حال كونه محرما بهما (بعثه الله تعالى يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر) للبيهقي في الشعب عن عمر والطبراني عن جابر وسلمان (بعث من الآمنين يوم القيامة) وفي الجامع الكبير من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين رواه الطبراني والبيهقي وضعفه عن سلمان (وعن ابن عمر) أي مرفوعا رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وابن حبان (من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها) تحريض على لزومه لها واقامته بها ليتأتى له ان يموت فيها اطلاقا للمسبب على سببه كما في قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون (فاني أشفع لمن يموت بها) أي قبل ان أشفع لمن مات في غيرها قال التلمساني وروى فانها تشفع وقد أجمعوا ان الموت بالمدينة أفضل مما عداها وقد ورد عن عمر رضي الله تعالى عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتا في بلد رسولك وقد استجاب الله تعالى دعاءه وجمع له بين ما تمناه (وقال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس) أي جعله الله تعالى معبدا لهم وقبلة يعبدونه فيها ويستقبلون ويتوجهون في عباداتهم اليها (للذي ببكة) وهي لغة في مكة من بكه اذا دقه لانها تدق أعناق الجبابرة أو لان الناس يزاحم بعضهم بعضا في الطواف وقد روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال أربعون سنة

المصنف انه المراد بهذا الحديث بقرينة سببه وقصة الاعرابي لا يرد عليه ما قاله النووي (وروى عنه) وفي نسخة وقال صلى الله عليه وسلم كما في مسلم رواية عن جابر (لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها) من غير داع له ولا ضرورة (الا أبدلها الله خيرا منه) يقال رغب عنه اذا كرهه فالمنهي عنه ذلك فلا ينافي ان بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال ومعاذ وأبي موسى الاشعري أو هو مخصوص بزمنه اذا كانت الهجرة لها واجبة (وروى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال في حديث رواه البيهقي والدارقطني عن عائشة رضي الله عنها باسناد ضعيف (من مات في أحد الحرمين) حرم مكة والمدينة (حاجا أو معتمرا) أي قاصدا الاحرام بحج أو عمرة وهو حال من الفاعل (بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب) وانما فسرناه بقاصد الذلك لان الاحرام من المدينة لا يتصور الا لمن أحرم من دويرة أهله أو لقرب ميقاتها والاحرام من الميقات أفضل عند بعضهم وقيل انه بتقدير أو زائرا او اكتفى بما لاحد الحرمين بعلم ما لغيره وهو متجه أيضا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة أو مأولة بمبشر ونحوه (وفي طريق آخر) في هذا الحديث للبيهقي والطبراني (بعث) أي أحيي بعد موته (من الآمنين يوم القيامة) أي آمنا من مناقشة الحساب والعذاب (وعن ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه ابن ماجة وابن حبان والترمذي وصححه (من استطاع ان يموت بالمدينة) أي يقيم بها حتى يموت لان الموت ليس بقدرته واختياره (فليمت بها) أي فليقم بها حتى يأتيه الموت كما سمعته آنفا والامر للاستحباب (فاني أشفع لمن يموت بها) شفاعة خاصة كما مر لانه في جواره وحمايته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بالجار وروى فانها تشفع على الاسناد المجازي فان قيل قد جاء ما يعارض هذا وهو ما رواه النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات بغير مولده قالوا لم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده يقاس له من مولده الى منقطع أثره في الجنة وذكره ابن طاهر في الصفوة وبوب عليه ايثارهم الغربة على الوطن فالجواب ان صح ذلك فلا معارضة بل الحديث خاص بمن لم يولد في المدينة وقد أحسن المصنف بختم ما يتعلق بالمدينة مع ذكر الحرمين لذكره بعده ما يتعلق بمكة كما أشار اليه في الترجمة وقوله (قال تعالى ان أول بيت وضع للناس الى قوله آمنا) شروع في بيان فضل مكة ووضعه للناس جعله معبدا وقبلة لهم وبكة ومكة بمعنى عند جماعة والباء تعاقب الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال آخرون مكة الحرم كله وبكة المسجد خاصة حكاه الماوردي عن الزهري وزيد بن أسلم وبكة من بكه اذا دقه وهي تدق

(الى قوله آمنا) بتمامه (مباركا) أي كثير النفع خصوصا لمن حجه أو اعتمره وطاف حوله وشاهد حاله (وهدى للعالمين) أي مرشدا لهم لانه قبلتهم ومتعبدهم (فيه آيات بينات) أي علامات واضحات على قدرته سبحانه وتعالى وعزته وعظم شانه (مقام ابراهيم) أي منها مكان قيامه وأثر قدم من أقدامه في حجر صلد قام عليه لرفع الحجارة في البناء أو حين أذن بالنداء (ومن دخله) أي البيت أو حرمه (كان آمنا) من التعرض في الدنيا ومن العذاب في العقبى وأما ما توهمه بعض العوام من ارجاع الضمير الى المقام فلا يصح في المرام لانه لا يتصور الدخول في حقيقة المقام والمعنى حوله من حوادث الايام

أعناق

(قال بعض المفسرين آمنا من النار) ويدل عليه حديث يبعث الله من هذا الحرم سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وحديث الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وقيل مبناه خبر ومعناه أمر أي أمنوه ولا تتعرضوا له وهذا توجيه قوله (وقيل كان) وفي نسخة بل كان (يأمن من الطلب) أي طلب النار (من أحدث حدثا) أي جنى جناية

من قتل نفس أو قطع جارحة (خارجا عن الحرم ولجأ) بالهمزة أي التجأ وعاذ وأما قول التلمساني وروي أولجا بالتنوين فلا يصح مقام التفريع (إليه في الجاهلية) وكذا في الأحكام الإسلامية على مقتضى قواعد علمائنا الحنفية فإنه لا يتعرض إليه ما دام في الحرم المحترم إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى حتى يضطر إلى الخروج فإذا خرج منه اقتص منه ولعل عادة الجاهلية كانت على الإطلاق وأما في الإسلام فمن أحدث حدثا في الحرم ولو دخل الكعبة يخرج منها ويقتص منه بالاتفاق (وهذا) أي قوله تعالى ومن دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى وإذ جعلنا البيت) أي الكعبة وما حولها من أرض الحرم (مثابة للناس) أي مرجعا لهم أو مكانا منوبا لهم (وآمنا على قول بعضهم) أي العلماء الحنفية على ما قدمناه عنهم أو معناه يأمن من حجه أو اعتمره أو دخله من عذاب الآخرة أو موضع أمن لا يتعرض لأهله كقوله سبحانه وتعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم (وحكي أن قوما أتوا سعدون) بفتح السين وسكون العين وضم الدال والقياس صرف سعدون وحمدون ولكنهما وقعا غير مصروفين في كتب الحديث من الأصول المعتمدة (الخولاني) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو فنون قبل ياء النسبة (بالمنستير) بضم ميم وفتح نون ويكسر وسكون سين مهملة وفوقية مكسورة وتحتية ساكنة فراء مكان بالقيروان

أعناق الجبابرة إذا قصدوه بسوء أو هو إشارة إلى ازدحام الناس إذا طافوا وسئل صلى الله تعالى عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال أربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لأن وضع المسجد في زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ووضع بيت المقدس في زمن داود وسليمان عليهم السلام وبينهما زمان أطول من تلك الأربعين بأضعاف مضاعفة وأجيب بأن داود عليه الصلاة والسلام لم يضعه وإنما عمره كما بيناه في حواشي البيضاوي وتفسير الآية ظاهر تكلفت به التفاسير وبركته كثرة الخير فيه ومضاعفة ثواب العمل فيه (قال بعض المفسرين) في هذه الآية معنى قوله ومن دخله كان (آمنا) أمنه (من النار) يعني أنها في الآخرة إذا دخله مؤمنا به ووردانه يدخل الجنة بغير حساب (وقيل) المراد بالأمن أمنه في الدنيا وفي بعض النسخ بل إضراب عن التفسير الأول (كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا) أي فعل أمرا يستحق به العقوبة كالقتل (ولجأ) بالهمزة بوزن ضرب بمعنى التجأ واعتصم من عدوه (إليه) أي المسجد الحرام بدخوله فيه هاربا (في الجاهلية) هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم سمي بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل إذا جنى جناية ودخله لا يمسكه أحد حتى يخرج وقال أبو حنيفة من لزمه القتل ودخل الحرم لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى يضطر للخروج منه وغيره يقول إن الحدود تقام ويؤخذ من دخله فارا وإليه أشار المصنف بقوله كان إشارة إلى تغير هذا الحكم بعد مجيء الإسلام (وهذا) أي قوله ومن دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى وإذ جعلنا البيت) أي الكعبة وحرمها (مثابة للناس) أي ملجأ أو مرجعا من ثاب يثوب إذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجأ لكل مطلوب بجرم ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيارة لأنه يأباه سياق المصنف لقوله (وآمنا في قول بعضهم) إشارة إلى أن في الآية أقوالا أخر منها أنه محل الثواب (وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني) بخاء معجمة نسبة لخولان قبيلة من اليمن مشهورة واسمه أبو بكر بن أحمد بن مالك وهو من أهل القيروان وعظماء علمائها وسعدون لقب له بصورة الجمع ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض الشراح إنه منصرف ولا وجه لما وقع في بعض كتب الحديث من ضبطه غير منصرف غفلة منه (بالمنستير) الباء بمعنى في والمنستير بميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية وراء مهملة وهذا اللفظ رومي معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق لينزل فيها أبناء السبيل والذي سمعناه منهم فتح الميم والف مع سكون السين وكسر التاء الفوقية وياء تحتية وقد يخفف بحذف الألف والياء وهذا مما لا شبهة فيه عندهم فقوله في القاموس منستير بضم الميم وفتح النون موضع بإفريقية معبد الزهاد والمنقطعين وبلد آخر بإفريقية أهله من قريش بينه وبين القيروان ستة مراحل وموضع بشرقي الأندلس انتهى مخالف لما صح سماعا فإن ظنه عربيا فهو خطأ وإن قال عرب وغير كان عليه أن ينبه عليه وقال التلمساني إنه بضم الميم والنون ويجوز كسر نونه والعامة تفتحها وعليه اقتصر الشمني وهي

(فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف ففوقية قبيلة من البربر (فقتلوا رجلا وأضرموا) بالضاد المعجمة أى أشعلوا وأوقدوا (عليه النار طول الليل فلم تعمل) أى لم تؤثر (فيه) أى شيأ كما فى نسخة (وبقى) أى الرجل (أبيض اللون) أى زيادة على ما كان عليه أو تبدل سواده بياضا وهو الاظهر وفى نسخة أبيض البدن (فقال) أى سعدون (لعله) أى المقتول (حج ثلاث حجج) أى مقبولة وهى بكسر الحاء وفتح الجيم الاولى جمع حجة بفتح الحاء أو كسرها (قالوا نعم) أى حج ثلاث حجج (قال حدثت أن من حج حجة) أى واحدة (أدى فرضه) أى ان قام بشرائطه وأركانه (ومن حج ثانية داين ربه) أى أقرضه قرضا حسنا وفى أصل الدلجى دان ربه أى أطاعه وعبده والظاهر انه تصحيف لما فى نسخة من زيادة فينادى غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم (ومن حج ثالثة حرم الله تعالى شعره وبشره) أى ظاهر جلده من باهر جسده (على النار) أى فى الدنيا والآخرة (ولما نظر رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى الكعبة) أى يوم الفتح أو وقت هجرته الى المدينة أو فى حجة الوداع (قال مرحبا بك) يحتمل التأنيث والتذكير أى سهلا وفضلا (من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك) أى قدرا رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر (وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ما من أحد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) هو حيث فيه الحجر الاسود (الا

وفى الترمذى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم قال الترمذى حسن صحيح وقال المحب الطبرى وقد اعترض بعض الملاحدة فقال كيف يسود الحجر خطايا أهل الشرك والكفران ولا يبيضه توحيد أهل المعرفة والايمان وأجيب بان بقاءه أسود انما كان للاعتبار ليعلم ان الخطايا اذا أثرت فى الحجر فتأثيرها فى القلوب أعظم وأكثر وللحجر الاسود آيات بينات منها انه يطفو على الماء ومنها انه لا يسخن بالنار ومنها حفظ الله تعالى له من الضياع منذ أهبط الى الارض مع ما وقع من الامور المقتضية لذهابه كالطوفان ومنها انه يقال هلك تحته ثلثمائة بعير والله تعالى أعلم

بلدة بساحل البحر أو حصن رباط بافريقية له سور بناه هرثمة بن أعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة تسع وسبعين ومائة وهو الذى بنى سور طرابلس الغرب (فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية وألف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر وأصلهم فيما قيل من حمير (فقتلوا رجلا وأضرموا عليه النار) أى أوقدوها وقودا شديدا (طول الليل) منصوب على الظرفية والطول بضم الطاء المهملة مصدر طال وطول الليل بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا ووجهه ان الطول أبعد الامتداد بين وما شغله شغل غيره بالطريق الاولى وقد سمع فى كلامهم كقول الوزير المهلبى

قال لى من أحب والبين قد جد * وفى مهجتى لهيب الحريق

ما الذى فى الطريق تصنع بعدى * قلت أبكى عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض (فلم تعمل فيه) هو مجاز بمعنى لم تؤثر فيه (وبقى أبيض اللون) لم يتغير لونه ولو حرق أسود لونه وفى نسخة أبيض البدن (فقال لعله) أى الرجل المقتول والفاء فصيحة أى وسئل عن وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز عن الظن اذ لا وجه للترجى هنا (حج ثلاث حجج) بكسر الحاء بمعنى حجة وهى المرة من الحج (قالوا نعم) أى الامر كذلك (قال حدثت) بالبناء للمجهول أى روى لى من سمعت منه الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان من حج حجة) أى مرة (أدى فرضه) لانه فرض على كل أحد أن يحج فى عمره مرة لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية (ومن حج ثانية) بعد أداء الفرض (داين ربه) أى أقرضه كقوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا والدين والقرض دفع شئ الى غيره ليرد مثله أو بدله قال الراغب قال أبو عبيدة يقال داينته اذا أقرضته فهو دائن وذاك مدين ومديون وهو لما لم يكن هذا الحج فرضا عليه كأنه أعطاه الله قرضا يرد عليه ثوابه الذى هو كبدل القرض فهو استعارة ومن فسر دان هنا بمعنى أطاع وعبد لم يصب وفى نسخة داين مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث فينادى غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم (ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره) أى ظاهر جلده وبدنه (على النار) أى لم يعذبه ولم يدخله نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله فينادى الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم القيامة وأصل معناه اليوم الذى قبل يومك فعبر به ايماء لقربه وهذا الحديث لا يعرف من رواه (ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة) لما هاجر أو فى حجة الوداع أو يوم الفتح كما رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله تعالى عنه (قال مرحبا بك) بفتح الكاف وكسرها أصله دعاء للقادم بالرحب والسعة أريد به هنا اظهار محبته لها والقرب منها (من بيت) بيان للمدعو له (ما أعظمك) عند الله وعند الخلق (وأعظم حرمتك) أى احترامك وشرفك وهو تعجب أريد به المبالغة فى عظمته وتعظيمه (وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من أحد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) المراد به الركن الذى فيه الحجر الاسود وهو معروف

(الا استجيب له ان شاء الله تعالى له وكذلك عند الميزاب) لا يعرف مخرجه الا أنا قد روينا في رسالة الحسن البصري الى أهل مكة ان الدعاء يستجاب في حرمها عند البيت وفي الركن الاسود والملتزم وتحت الميزاب وهو الذي يقال له ميزاب الرحمة قال الحسن البصري وسمعت ان عثمان بن عفان أقبل ذات يوم فقال لاصحابه ألا تسألوني من أين جئت قالوا من أين جئت يا أمير المؤمنين قال مازلت قائما على باب الجنة وكان رضي الله تعالى عنه تحت الميزاب يدعو الله تعالى وذكر الازرقي في تاريخه عن عطاء قال من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (وعنه عليه الصلاة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) رواه الديلمي وابن النجار ولفظهما من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر الله ذنوبه كلها بالغة ما بلغت لكن قال السخاوي لا يصح وقد ولع به العامة كثيرا لاسيما بمكة حيث كتب على بعض جدرها الملاصق لزمزم وتعلقوا في [illegible] ونشروها لا يثبت الاحاديث النبوية بمثله وقد ذكره المنوفي في مختصره وقال فيه انه باطل لا اصل له والله أعلم ثم على تقدير صحته فهو محمول على تكفير الصغائر لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات (قال الفقيه القاضي أبو الفضل) يعني المصنف (قرأت على القاضي الحافظ أبي على رحمه الله) هو ابن سكرة (حدثك) وفي نسخة حدثنا (ابو العباس العذري) بضم العين وسكون الذال المعجمة (قال ثنا) أي حدثنا (أبو أسامة محمد ابن أحمد بن محمد الهروي) بفتح الهاء والراء منسوب الى هراة بكسر أوله مدينة عظيمة بخراسان (ثنا الحسن بن رشيق) بفتح الراء وكسر الشين المعجمة هو العسكري مصري مشهور عالي السند ابن الحفاظ وثقه جماعة وانكر عليه الدارقطني انه كان يصلح في أصله ويغير (سمعت أبا الحسن) وفي نسخة أبا الحسين محمد ابن الحسن بن راشد) أي الانصاري يروي عن وراق الحميدي (سمعت أبا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي) بالتصغير وهو القرشي المكي الفقيه الامام أحد الاعلام وهو من أصحاب الشافعي مات بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وهو أول رجل أخرج له البخاري في صحيحه (قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم) بضم الميم وفتح الزاي وهو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة قال الازرقي ذرعه أربعة أذرع سمي بذلك لان الناس يلتزمونه في الدعاء ويقال له المدعى والمتعوذ بفتح الواو

(الا استجيب له) دعاؤه أي قبل وأعطاه ما دعا به أو خيرا له منه (والحجر الاسود) لما نزل من الجنة كان أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم وأبقى سواده ليكون عبرة والكلام عليه مبسوط في تاريخ مكة (وكذلك) يستجاب الدعاء (عند الميزاب) والملتزم والصفا والمروة وغيرها من المواطن التي ساقها في الحديث الصحيح استجابة الدعاء عندها والميزاب هو المسمى الآن ميزاب الرحمة وهو مسيل ماء السطح وهو معروف من جانب الحجر وفي كتاب المعال لابن فارس الميزاب مهموز والعامة لا تهمزه ولون ليس فيه همز لانه من وزب يزب [illegible] ووزب بمعنى سال وقيل انه فارسي معرب معناه بل الماء [illegible] التكلم في هذا وذكر مساحة البيت والحرم وغيرهما [illegible] هذا محله (وعنه) أي روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي هو الحسن البصري في رسالته الى أهل مكة (من صلى خلف المقام) أي مقام ابراهيم الخليل المعروف الذي قام عليه لما بنى الكعبة (ركعتين) نافلة (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) من العذاب وهول الحشر والمغفور الصغائر والكبائر وقيل الصغائر فقط والمقام معروف [illegible] الذي كان [illegible] وتفصيله في تاريخ مكة (قرأت على القاضي الحافظ أبي على) هو ابن سكرة وقد تقدم (قلت حدثك أبو العباس العذري) قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية يقول فيها التلميذ للشيخ ويصدقه عليه (قال حدثنا أبو أسامة محمد ابن أحمد الهروي) قال (حدثنا الحسن بن رشيق) عبد الغني بن سعيد العسكري الحافظ العالي السند وترجمته في الميزان بطولها (سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد) في الميزان محمد بن الحسين بن علي ابن راشد الانصاري وفيه كلام (سمعت أبا بكر محمد بن ادريس) ذكر [illegible] الالتباس بمحمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه فان كنيته أبو عبد الله لا أبو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمرو وهو من أهل مكة (سمعت الحميدي) بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشي الاسدي المكي صاحب الشافعي ورفيقه في رحلته لمصر وهو شيخ البخاري وهو لاهل الحجاز كأحمد ابن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من أسد بن عبد العزى وقيل نسب للحميدات وهي قبيلة توفي سنة تسع عشرة وعشرين ومائتين (قال سمعت سفيان بن عيينة) تقدم بيانه (قال سمعت عمرو ابن دينار) تقدم ترجمته (قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم) بزنة اسم المفعول من التزمه اذا أمسكه سمي به لالتصاق الناس في الدعاء

(الا أستجيب له قال ابن عباس وأنا فادعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ) ويروى مذ هنا وما بعده (سمعت هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا أستجيب لي وقال عمرو بن دينار) أي الراوي عن ابن عباس (وأنا فادعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا أستجيب لي وقال سفيان) أي ابن عيينة الراوي عن عمرو بن دينار (وأنا فادعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) ابن دينار (الا أستجيب لي وقال الحميدي) وهو الراوي عن ابن عيينة (وأنا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان) أي ابن عيينة (الا أستجيب لي وقال محمد بن ادريس) يعني الراوي عن الحميدي (وأنا فادعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا أستجيب لي قال أبو الحسن) وفي نسخة أبو الحسين (محمد ابن الحسن) وهو الراوي عن ابن ادريس (وأنا فادعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا أستجيب لي قال أبو اسامة وما أذكر الحسن ابن رشيق) يعني شيخه (قال فيه شيأ) أي مثل ما سبق عن بقية مشايخ السلسلة وعلى هذا فالمسلسل هنا منقطع (وأنا فادعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا أستجيب لي من أمر الدنيا) أي مما طلبته (وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة) أي مما دعوته (قال العذري) أي الراوي عن أبي اسامة (وأنا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي اسامة الا أستجيب لي قال أبو علي) وهو تلميذ العذري وشيخ المصنف (وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأنا أرجو من سعة فضله) بكسر السين وفتحها أي واسع كرمه (ان يستجيب لي بقيتها) والاحاديث المسلسلة قل ان تكون متصلة وندر ان تكون صحيحة هذا وقد ذكر شيخ مشايخنا أبو الخير محمد بن الجزري في الحصن الحصين أنا قدرويناني استجابة الدعاء في الملتزم حديثا مسلسلا من طريق أهل مكة كذا ذكره مجملا من غير أن يبينه مفصلا وقد روى سعيد بن منصور والبيهقي في سننهما من طريق أبي الزبير عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لا يسأل الله تعالى أحد فيه شيأ الا أعطاه قال أبو الزبير وقد دعوت الله مرة هنالك فاستجاب لي (قال القاضي أبو الفضل) لعله يعني المصنف نفسه

عنده وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة أشبار وأربعة أذرع وتسميته بهذا ورد في الحديث ويسمى المدعى والمتعوذ بفتح الواو المشددة وهو أحد المواضع التي ورد استجابة الدعاء فيها وقد جرب كذلك (الا استجيب له قال ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما (وانا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا) الحديث (من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي) الى آخر الحديث وهو ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه والفاء في قوله فادعوت الله الخ اما زائدة بناء على انه يجوز زيادتها في الخبر مطلقا والمشهور زيادتها في الخبر اذا تضمن المبتدأ معنى الشرط نحو وما بكم من نعمة فمن الله وبعضهم قيد زيادتها بكون الخبر أمرا أو نهيا كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * واما عاطفة على مقدر تقديره وأنا جربت ذلك فما دعوت الخ واما جواب شرط مقدر أي ان سألت عما عندي فيه فما الى آخره وقوله منذ في الجميع روي مذ بدون نون ومنذ بضم أوله وكسره معناه أشهر من أن يذكر (وقال عمرو بن دينار) الراوي عن ابن عباس (وأنا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان) المتقدم ذكره (وأنا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) بن دينار (الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس) المكني بابي بكر (وانا فادعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال أبو الحسن محمد ابن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس) المتقدم (الا استجيب لي) وهذا الحديث مسلسل بالسماع رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق بينوها (قال أبو اسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيأ) أي لم يحفظ عنه انه قال كغيره وانا فما دعوت الله بشيء الا استجيب لي والتسلسل قد يقطع بعض منه في أوله وآخره أو وسطه فلا يضر التسلسل مع ان هذا ليس بقطع في الواقع والاحاديث المسلسلة صحتها قليلة وتقدم ان التسلسل يقع بامور متغايرة من الاقوال والافعال والامكنة والازمنة كما فصل في مصطلح الحديث (وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من أمر الدنيا وانا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي اسامة الا استجيب لي قال أبو علي وانا قد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها) أي أرجو ذلك لزيادة كرمه وسعة بفتح السين وكسرها بمعنى الوسع (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى

(ذكرنا

(ذكرنا) وفي نسخة وقد ذكرنا (نبذا) بضم النون وفتح الموحدة وذال معجمة أي قدرا يسيرا (من هذه النكت) بضم وفتح جمع النكتة وهي النقطة والمراد بها الفوائد اللطيفة والعوائد المنيفة (في هذا الفصل) أي عظيم الفضل (وان لم يكن) أي النبذ والنكت (من الباب) أي باعتبار الاصل وانما ذكرناها في اثناء الوصل (لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة) أي غاية منفعته (والله الموفق للصواب برحمته) وكرمه ولطفه ❊ (القسم الثالث) ❊ (فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يثبت له ولا بد من وقوعه (وما يستحيل في حقه ويمتنع) مع امكان وجوده (أو يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال تعالى وما محمد الا رسول) أي من جملة الرسل لا من الملائكة الذين لا يموتون الا عند النفخة الاولى (قد خلت من قبله الرسل) أي مضوا وانقرضوا أو بعضهم ماتوا وبعضهم قتلوا واستمر دينهم في أممهم وسيخلوا محمد كمن قبله (أفان مات) أي محمد (أو قتل انقلبتم على أعقابكم) وهمزة الانكار التوبيخي منصبة على الانقلاب وفي الآية الايماء الى موت الناس حتى الانبياء وتمام الآية (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) وانما يضر نفسه حيث يحبط دينه (وسيجزي الله الشاكرين) أي الثابتين على دينهم والصابرين على يقينهم كانس بن النضر عم أنس بن مالك فانه لما قيل له في أحد الا ان محمدا قد قتل قال يا قوم ان كان محمد قد قتل فان ربه حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل (وقال) أي الله سبحانه (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) أي لا الوهية لهما بلا نبوة وانما هي كثيرة الصدق والتصديق بالحق (كانا يأكلان الطعام) وهو مما ينافي الربوبية ولذا قيل هو كناية عن يبولان ويتغوطان فهما محتاجان الى أكله أولا ومفتقران الى دفعه ثانيا (وقال وما أرسلنا قبلك) أي أحدا (من المرسلين الا انهم) أي ان شأنهم (ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما أنا بشر مثلكم) أي لا أدعي اني ملك وانما تميزت عنكم باني (يوحى الي انما الهكم اله واحد

(ذكرنا نبذا) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة أي شيئا قليلا وأصل معناه الطرح والرمي كأنه لقلته مما يطرح ويجوز ضم أوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذة كما (من هذه النكت) جمع نكتة وتقدم بيانها (في هذا الفصل) الذي نحن فيه (وان لم يكن من الباب) أي من المعاني التي عقد لها الباب فانه معقود للصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدمه فذكر فضائل مكة وحرمها ليست منه بل من موضع كتابه (لتعلقها) أي مناسبتها (بالفصل الذي قبل) من ذكر مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعلق به (حرصا على تمام الفائدة) بافادة أمور مهمة يرغب فيها والشيء بالشيء يذكر (والله الموفق للصواب برحمته) أي بفضله وانعامه لا بكدنا وكدنا

(القسم الثالث) ❊ من هذا الكتاب (فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) المراد به الوجوب الشرعي أو العقلي لقوله (وما يستحيل في حقه) أي يعد كالمحال عقلا لانه لا يليق بجنابه العظيم أو عادة وأصل معنى الاستحالة التغير من حالة الى أخرى ومنه استحال الخمر خلا (أو يجوز عليه) مما لا يخل بشريف مقامه (وما يمتنع) في حقه شرعا وعادة وعقلا (أو يصح) وصفه به واطلاقه عليه كما سيأتي (من الاحوال البشرية) أي التي تطرأ عليه باعتباراته وهو بيان لما (ان يضاف اليه) أي تنسب اليه والاضافة بمعناها اللغوي لا النحوي ثم صدر الكلام بآية دالة على ما سيأتي اجمالا فقال (قال الله تعالى) في حقه صلى الله عليه وسلم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل الآية) فهذا بيان لما يجوز عليه ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما ان الرسل قبله منهم من مات ومنهم من قتل والقصر فيها قصر افراد أي ليس بمخلد حتى يستبعد موته أو قتله وهذا كما وقع باحد لما نادى ابليس لعنه الله ان محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال المؤمنون ان كان محمد مات فرب محمد لا يموت فما تصنع بالحياة فقاتلوا على ما قاتل عليه وكما وقع لبعض الصحابة لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم ذهلوا من عظم المصيبة فخطبهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه وتلا هذه الآية كما مر والقصة مشهورة وقوله أفان الى آخره انكار توبيخي لمن توهم خلافه والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين (وقال الله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام الآية) أي ليس المسيح الا رسول كغيره من الرسل له آيات ومعجزات مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى وأمه صديقة أي صادقة في أقوالها وأفعالها ومصدقة للرسل وهذا غاية أمرهما دون ما يزعمون فيه ولذا أتى باثبات صفات بشرية تنافي الالوهية من الاكل ونحوه ولذا قال الله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون (وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) فهو كغيره من البشر يصح له ما صح لهم (وقال قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي الآية) فلا يزيد على البشر الا

فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) أى وباقيهم عليهم السلام (من البشر) أى من جنس بنى آدم وهو أبو البشر وسموا بشر الظهور رجلودهم اذ البشرة ظاهر الجلد (ارسلوا الى البشر) أى من نوعهم (ولولا ذلك) أى التناسب بان كان أرسل اليهم الملائكة (لما أطاق الناس مقاومتهم) أى لما استطاعوا مقابلتهم وملابستهم لضعف البنية البشرية وقوة القدرة الملكية فقد ورد ان جبريل قلع قرى قوم لوط من أصولها على جناحه ثم قلبها أى جعل عاليها سافلها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين وأرى ابليس يكلم عيسى على عقبة بالارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة فالقاه على أقصى جبل بالهند (والقبول) أى ولما أطاقوا قبول الاحكام وأخذ الاسلام (عنهم) أى فى تبليغهم ما ارسلوا به اليهم اذ الجنسية علة الضم قال الحجازى ويروى عليهم أقول الظاهر انه تصحيف (ومخاطبتهم) أى ولما أطاقوا حال مكالمتهم لهم ومخالطتهم معهم (قال الله تعالى) أى فى جواب جمع اقترحوا وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون (ولو جعلناه) أى الرسول الذى اقترحوه (ملكا لجعلناه رجلا) أى لارسلناه فى صورة رجل وهذا معنى قوله (أى لما كان الا فى صورة البشر الذى) أفرد نظرا الى لفظ البشر وفى نسخة الذين نظرا الى معناه (يمكنهم) يروى يمكنكم (مخاطبتهم) كما كان جبرائيل يتصور له عليه السلام فى صورة دحية وغيره وفى نسخة مخالطتهم (اذ لا يطيقون) أى جنس البشر (مقاومة الملك ومخالطته ورؤيته اذا كان على صورته) أى وهو على حقيقة ذاته الا نادرا على وجه خرق العادة كما وقع لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انه رأى جبريل فى صورته الاصلية مرتين وتتمة جواب المقترحين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أى ولو جعلناه فى صورة رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فانهم اذا رأوه فى صورته قالوا ما هذا الا بشر مثلكم فيكذبونه كما كذبوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) أى الله تعالى لنبيه (قل) أى جوابا لقولهم أبعث الله بشرا رسولا انكارا منهم ان يرسل الله بشرا واقرارا بان يصلح ان يكون الاله حجرا (لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) أى ظاهرين كما يمشى بنوا آدم فيها ساكنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) أى لتمكنه من مخالطته وتلقنه من مخاطبته (أو لمن خصه الله تعالى واصطفاه) أى بان صفى مرآة روحه (وقواه على مقاومته) أى مقابلة الملك ومواجهته (كالانبياء والرسل) فيقومون بدعوة الخلق الى طريق الحق وكان المصنف ذهب فى الفرق بين النبى والرسول الى ما قاله بعضهم ان الرسول صاحب كتاب أو شريعة مجددة والنبى بخلافه (فالانبياء

بما خصه الله من الوحى والرسالة والتوحيد فهذا تميز عنهم ولذا قال (فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) أى باقيهم فهو من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وانما يكون كذلك لو فسر بجميع ما تقدم (من البشر) أى من جنسهم تميزوا عنهم بانهم (ارسلوا الى البشر) لتبليغ ما أمرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير (ولولا ذلك) أى كونهم من جنس البشر بان كانوا ملائكة (لما أطاق الناس مقاومتهم) أى مقابلتهم فى الامور الدنيوية لقدرة الملائكة على ما لا يقدر عليه غيرهم (والقبول عنهم) أى ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به (ومخاطبتهم) حتى بلغوهم عن الله ثم أثبت هذا بقوله (قال الله تعالى ولو جعلناه) أى النبى صلى الله عليه وسلم المرسل اليهم (ملكا) أى قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا (لجعلناه رجلا أى لما كان الا فى صورة البشر) تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان الملك يتصور باى صورة أراد ثم بين وجهه بقوله (الذين يمكنكم) بحسب الطاقة البشرية (مخالطتهم) أى معاشرتهم والاختلاط معهم وفى نسخة مخاطبتهم وفى أخرى مخالتهم أى اتخاذهم اخلاء وهى متقاربة معنى (اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته) الاصلية التى خلق عليها ابتداء (وقال) الله تعالى (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) هذا جواب عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة لا آيات التى ألقمتهم الحجر فقالوا لم يرسل الله ملكا يبلغ أوامره ونواهيه فقال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل الله الملائكة لو كان أهل الارض ملائكة من جنسهم كما قال المصنف رحمه الله تعالى (أى لا يمكن فى سنة الله) أى طريقته وعادته المستمرة (ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) حتى يمكنه مخالطته وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر ارسال الرسل من الملائكة الى الانبياء بين وجهه بقوله (أو من خصه الله) معطوف على من هو من جنسه أى خصه بنفس قدسية ملكية (واصطفاه) أى اختاره من نوع البشر لتلقى وحيه من الملك (وقواه على مقاومته) أى مقاومة الملك ومخالطته لمناسبة تامة بينه وبين الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس (كالانبياء والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وأرواح ملكية فكانوا ادون غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال (فالانبياء

والرسل وسائط بين الله تعالى) أى بواسطة ملائكته (وبين خلقه أى) المأمورين بطاعته وعبادته (يبلغونهم أوامره) أى ليمتثلوها (ونواهيه) ليجتنبوها (ووعده) أى على طاعتهم (ووعيده) أى على معصيتهم (ويعرفونهم بما لا يعلمون من أمره) أى من أمر ذاته وصفاته وأفعاله فى مصنوعاته وقضائه من ايجاد وامداد وافناء وابقاء

وغفران ذنب وتفريج كرب ورفع قوم ووضع آخرين (وخلقه) أى وما لم يعلموه من أحوال خلقه ابتداء وانتهاء (وجلاله) أى ومن بيان عظمته وهيبته وجماله من رأفته ورحمته وكماله من عنايته ورعايته (وسلطانه) أى علو شأنه وظهور برهانه (وجبروته) أى قهره وقدرته (وملكوته) أى عزته وغلبته وحاصل الكل بيان تصرفه فى ملكه ومملكته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه (فظواهرهم) أى الانبياء (وأجسادهم وبنيتهم) أى أبدانهم المركبة من أشباحهم وأرواحهم أو الممتزجة من العناصر الاربعة بالوجه المعتبر (متصفة باوصاف البشر طارئ عليها) أى هو جار وهو من طرأ مهموز الفاء (ما يطرأ على البشر من الاعراض) أى العوارض فى الاجسام (والاسقام) كسائر الانام (والموت والفناء) أى ولعله عطف تفسير والا فالفناء لا يطرأ على مطلق الارواح وأما الاشباح فقد ورد أن الارض لا تأكل أجساد الانبياء (ونعوت الانسانية) وفى نسخة الآدمية أى من القوى الشهوية والغضبية

والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وسائط بين الله وبين خلقه) وتوسطهم لامره وانهم (يبلغونهم) عن الله (أوامره ونواهيه) أى كل أمر ونهى لهم وفى كتب الاصول تبعا لصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على أوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع على أمور ولم يوافقهم عليه أحد من النحاة وأهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن هشام فى تذكرته انه صحح بوجهين أحدهما انه جمع آمر اسم فاعل لما لا يعقل وسمى القول أمرا مجاز باد لالة لامه ولا يدل عليه والثانى انه جمع آمرة مصدر كالعافية أى صيغة آمرة للامر بها وقد نقله ابن سيده وقيل انه جمع الجمع لجمع آمر على اءمر كالكاب ثم جمع على أوامر ككالب فهو فواعل أو أفاعل وقال الاصفهانى فى شرح المحصول ان هذا التوجيه لا يتم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجاز تكلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه استعمل مفردا انتهى وقد تقدم أيضا ذكر لهذا (ووعده ووعيده) الوعد يستعمل فى الخير والوعيد فى الشر كما فصلوه فى محله (ويعرفونهم ما لم يعلموه من أمره) هو الفعل والشان وأحد الامور كما مر أى أقواله وأفعاله فيما سبق قضاؤه فى كل شئ وقيل يجوز أن يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله (وخلقه) وعالم ما أبدعه الله تعالى من غير مادة وتولد من أصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال الله تعالى ألا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد (وجلاله) أصل معناه العظمة وهو فى صفاته تعالى كما يقتضيه كلام الغزالى والقشيرى الصفات الثبوتية وكلام غيرهما يقتضى انه الصفات السلبية أو ما يعمهما وقال الغزالى فى معنى ذى الجلال والاكرام ان الجلال كماله فى ذاته والاكرام ما كان منه لغيره (وسلطانه) أى قهره وغلبته أو حجته الباهرة أو ملكه أى انهم يبينون للناس ذلك (وجبروته وملكوته) التاء فيه زائدة أى كونه جبارا قهارا ومالكا الملك الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله (فظواهرهم) أى ما يظهر من حال أنبياء الله ورسله وصفاتهم (واجسادهم) أى ذواتهم الظاهرة المشاهدة (وبنيتهم) بكسر الباء أى هيئة تركيب أبدانهم التى خلقهم الله تعالى عليها لانه بناء الله تعالى وهو فى الاصل مصدر ثم أطلق على الهيكل المخصوص والبدن المحسوس (متصفة باوصاف البشر) من الخلق والتركيب ونحوه (طارئ) بهمزة فى آخره وابدالها ياء أى حادث متجدد (عليها ما يطرأ على البشر) لان الاجسام كلها متساوية فى قبول ذلك (من الاعراض) جمع عرض والمراد به مطلق الآلام أو ما لا يكون قارا منها ويقابله عند الاطباء الامراض (والاسقام) جمع سقم وسقم كحزن وحزن (والموت والفناء) الموت ضد الحياة واختلف فيه هل هو عدمى أو وجودى كما بين فى محله ويطلق مجازا على النوم والجهل كما فى قوله ۞ ذو الجهل ميت وثوبه كفنه ۞ وأما الفناء فهو تفرق الاعضاء وتفتتها حتى تضمحل وهذا لا يكون فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء كما ورد فى الحديث المتقدم ولذا قيل انه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى ان يبدل قوله السابق متصفة بقوله قابلة وقد قال المراد بالفناء هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفانى الا ان اقترانه بالموت يبعده (ونعوت الانسانية) جمع نعت وفسره النحاة واللغويون بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق على الله تعالى ولم يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرأ من العوارى وهذه قضية مطلقة فلا يقتضى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يصيبهم بعض الامراض المنفرة وهى ما يفسخ بها النكاح

(وأرواحهم وبواطنهم متصفة باعلى) أي باوصاف أعلى (من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى) بل متوجهة بالكلية الى المولى
وهو الاولى (متشبهة) يروى مشتبهة (بصفات الملائكة) أي في دوام الذكر والحضور من غير السآمة والفتور وفي القوة على الطاعة
والعبادة من غير الملالة ففي البخاري انه أعطى قوة ثلاثين رجلا (سليمة من التغير) أي تغير العقل المورث لتغير النقل (والآفات)
أي المنافية لارباب النبوات وأصحاب الفتوات (لا يلحقها) أي أرواحهم وأشباحهم (غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية) بفتح
الضاد وضمها أي فتورها وقصورها فهم أتم افعالا وأصدق أقوالا وأكمل أحوالا الا أنهم قد يغشاهم

فترة لطبيعتهم على نعت العلة لكن لاتخرجهم من كمال القوة وعلو الهمة (اذلو كانت بواطنهم) أي أسرارهم العلية (خالصة للبشرية) أي من دواعيها (كظواهرهم) أي لزوم مراعيها (لما أطاقوا الاخذ) أي أخذ العلم وتلقي الوحي (عن الملائكة ورؤيتهم) بالنصب أي ولا أطاقوا ملاقاتهم (ومخاطبتهم) أي مكالمتهم (ومخالتهم) بتشديد اللام أي مخالطتهم كما في نسخة مخاللتهم بالفك وهي موادتهم ومصاحبتهم (كما لا يطيقه) أي ماذكر من الاخذ ومابعده (غيرهم) أي غير الانبياء (من البشر) أي ولو كانوا من الاولياء (ولو كانت أجسامهم) أي أجسادهم كما في نسخة (وظواهرهم) أي أبشارهم (متسمة) أي متصفة (بنعوت الملائكة وبخلاف
صفات البشر لما أطاق البشر) أي من غيرهم (ومن أرسلوا) بصيغة المجهول (اليه) (ومن
أي من أممهم (مخالطتهم) وفي نسخة مخاطبتهم أي الاخذ منهم والانتفاع بامرهم ونهيهم (كما تقدم) أي مما يدل على هذا (من قول الله
تعالى) أي ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
(فجعلوا) بصيغة المجهول أي خلقوا متوسطين بين الارواح الملكية والاشباح البشرية جامعين بين الانوار الباطنية والاسرار الظاهرية
فجعلوا (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) أي مشاركين

كالبرص والجذام والعمى وأماما أصاب أيوب ويعقوب عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك
ويعقوب انما ضعف بصره وقيل ان بعضهم يطرأ عليهم بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع عند ابتداء
الدعوة والحق انها لا تطرأ عليهم أصلا (وأرواحهم وبواطنهم) كالقلب والدماغ ومالا يدرك بالحواس
الظاهرة والباطن خلاف الظاهر (متصفة باعلى من أوصاف البشر) أي باوصاف أعلى منها من
الفضائل الروحانية والتبري من العلائق الجسمانية كحب المال والتنعم بالمآكل والمشارب
فارواحهم وبواطنهم (متعلقة بالملأ الاعلى) هو كالرفيق الاعلى الملائكة العلوية وتعلقها به اتصالها
قال الراغب الملأ جماعة تملأ العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء (متشبهة بصفات الملائكة) في القوة
والتجرد من العلائق الدنيوية وترك الشهوات والانهماك ولا يفعلون الا ما يؤمرون غالبا (سليمة من
التغير) أي تبدل أحوالهم الصالحة بغيرها (والآفات) وهي النقائص (لا يلحقها) أي لا تطرأ على
أرواحهم وبواطنهم (غالبا عجز البشرية) كالجبن والخوف المفرط من تحصيل المهمات وقال غالبا لانه
قد يلحقهم شيء منه كما في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة (ولا ضعف الانسانية) فانه لا يلحقهم وان
كان الانسان خلق ضعيفا الا انه قد يعرض لهم شيء من ذلك بحسب الجبلة البشرية ولا يخرجهم عن كمال
القوة والهمة (اذلو كانت بواطنهم) أي أمورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا (الخالصة للبشرية
كظواهرهم) ظواهر غيرهم وبواطنهم (لما أطاقوا الاخذ) أي قدروا على تلقي الوحي (عن الملائكة
ورؤيتهم ومخاطبتهم) أي مكالمتهم (ومخالطتهم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وألف ولام مشددة مفاعلة
من الخلة بالضم وهي اتخاذه خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة ويجوز مخاللتهم
بفك الادغام كما مر والاول أفصح (كما لا يطيقه) أي ومابعده (غيرهم) أي غير الانبياء (من البشر)
اضعف أرواحهم وبواطنهم (ولو كانت أجسامهم) أي الانبياء وفي نسخة اجسادهم (وظواهرهم
متسمة) أي موصوفة مستعار من السمة وهي العلامة والوسم بمعنى الكي (بنعوت الملائكة) أي
صفاتهم الذاتية وهيئتها الحقيقية (وبخلاف صفات البشر) مما خلقت عليه الملائكة وصورهم التي
صور وا عليها عظما ونورانية (لما أطاق البشر) غير الانبياء (ومن أرسلوا) أي الانبياء (اليهم) من أممهم
(مخاطبتهم) ورؤيتهم ومخالطتهم (كما تقدم من قول الله تعالى) يعني قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وهو يدل على انهم لا يطيقون رؤية الملك على خلقته الاصلية بخلاف ما لو تمثل بصورة البشر فانه
يمكن البشر رؤيته كما كان يأتي بصورة دحية وتراه الصحابة وكما كان يتمثل لمريم فما قيل من ان هذا
لا يتم ان لو كان رؤيتهم مخالطتهم وهم على خلقتهم والوارد في القرآن والحديث خلافه وقد رآهم
بعض الصالحين وأصحاب الرياضة خلط وخبط ناشئ من عدم الفهم (فجعلوا) أي الانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم أجمعين (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) أي موافقين لهم في صورتها

(ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة) أى متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية المشاكلة فى الروحانية والقوى الباطنية حتى أنها فى أنوار قوتهم ومخالصتهم ومخالطتهم (كما قال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه البخارى وغيره يشهد بمخالطته للملائكة (لو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) فانه أقرب الناس اليه وأصدقهم محبة له وأعظمهم مواساة بماله ونفسه وأسبق الناس لاتباعه فاذا لم يتخذه خليلا لم يتخذ أحدا غيره وهذا دليل على انه لم يكن مع البشر بباطنه فهو لا يعتمد على غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على ما يتوهم من نفى خلة أبى بكر من انه لا مناسبة بينه وبينه فقال (ولكن) بينى وبين أبى بكر (اخوة الاسلام) أى ان لم يكن خليلى فهو أخى فى محبة الله وفى دين الاسلام لاشتراكه معى فى محبة الله تعالى وطاعته واتباع دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر أى كونه أخا لى ويقال خوة بضم الخاء وحذف الهمزة وهى لغة قليلة فيه والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق الارض ومغاربها وتسمع أطيط السماء وتشم رائحة جبريل عليه الصلاة والسلام اذا أراد النزول اليهم كما شم يعقوب عليه الصلاة والسلام رائحة يوسف صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء ولما نفى الخلة عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه استدرك توهم نبوتها لغيره من الناس فقال (لكن صاحبكم خليل الرحمن) وقال صاحبكم ولم يقل ولكنى وهو أخصر وأظهر اشارة الى أن مناسبته لهم بحسب الظاهر وانه بين أظهرهم لا بحسب الحقيقة وقال خليل الرحمن دون خليل الله اشارة الى أن خلته لله برحمته وبخلقه بصفة الرحمة فليس خليله الا الله لان الخلة تخلل المحبة فى باطنه وباطنه مشغول بمحبة الله تعالى عما سواه وهذا لا ينافى ما ورد فى حديث آخر لم يكن نبى الا وقد اتخذ من أمته خليلا الا ان الله تعالى اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا لان النفى للخلة الحقيقية المقتضية لاعتماده عليه ظاهرا او باطنا والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث يكون وزيره ووكيله فى أمور الدنيا وأيضا خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وأبو بكر رضى الله تعالى عنه خليله بمعنى الفاعل وليس مخاللا له بمعنى المفعول أو انه كان خليله أولا ثم نحضت خلته بعد ذلك لله عند ما قربت رحلته للقاء ربه فان أول الحديث كما فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس فقال ان الله تعالى عز وجل خير عبده بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى أبو بكر رضى الله تعالى عنه فعجبنا لبكائه من اخبار عن عبد خير فكان أعلمنا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين فى المسجد باب الا سد الا باب أبى بكر وهو نص منه صلى الله تعالى عليه وسلم على خلافته كما عرفه من له بصيرة (وكما قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكى وظاهره بشرى (تنام عيناى) بتغميض الاجفان والنوم ظاهر (ولا ينام قلبى) لبقاء احساسه وتعلقه بالملأ الاعلى وكذا سائر الانبياء تنام أعينهم دون قلوبهم كما ورد مصرحا به فى حديث البخارى فليس ذلك من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه القضاعى ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى وباطنه ملكى ولذا قالوا ان نومه عليه الصلاة والسلام لا ينقض وضوءه كما صرحوا به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم وتوضيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه استحبابا أو تعليم لغيره أو لعروض ما يقتضيه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان فى النهى عن صوم الوصال فى الصوم مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم له (انى لست كهيئتكم) أى لست فى حالى وأمورى مثلكم فان لى خواص خصنى الله تعالى بها اكراما منه وأصل معنى

أى فيما رواه البخارى وغيره (لو كنت متخذا من أمتى خليلا) أى حبيبا تتخلل محبته خلال قلبى (لاتخذت أبا بكر خليلا) الا ان هذه المحبة الخالصة لقلبى مختصة بمودة ربى كما يشير اليه ما روى عنه عليه الصلاة والسلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل والتحقيق ان المراد بالنبى المرسل ذاته الاكمل فانه فى مقام جمع الجمع يفنى عن ذاته ومقاماته ويستغرق فى مشاهدة ذات الله تعالى وصفاته (ولكن اخوة الاسلام) أى حاصلة بيننا بنعت الدوام ووصف التمام (لكن صاحبكم) يعنى نفسه الانفس (خليل الرحمن) لتخلل حبه فى قلبه بحيث لا يسع فيه غير ربه (وكما قال) أى فيما رواه ابن سعد عن الحسن مرسلا (تنام عيناى ولا ينام قلبى وقال) أى فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وأبى هريرة وأنس وعائشة جوابا لقولهم انك تواصل فكيف تنهانا (انى لست كهيئتكم) أى على صفتكم وماهيتكم

انى أظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام أى أصير وأداوم نهارا (يطعمنى ربى ويسقينى) محلهما النصب على الخبرية لاظل ان كانت ناقصة أو على الحالية المتداخلة ان كانت تامة وفى رواية أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى اما بافاضته سبحانه عليه ما يقوم مقام طعامه وشرابه بدفع عنه مس الجوع وألم العطش الناشئ لديه ويتقوى به على الطاعة وما يجب القيام اليه أى أو بايصال رزق من الجنة له ليالى صيامه كما ورد انه عليه الصلاة والسلام كان يبيت يتلوى من الجوع ثم يصبح شبعان وهذا مبنى على ان طعام الجنة لا يفطر على ما قاله ابن الملقن ان كان يظل على ظاهره الموضوع للنهار وقيل اطعام الله تعالى لا يفطر والصحيح الاول وهو ان المراد بالطعام ما يقوم مقامه من القوت لانه لو أكل حقيقة لم يكن مواصلا ويمكن الجمع بانه يتقوى فى النهار ويأكل من طعام الجنة فى الليل كما يشير اليه رواية أبيت فالوصال حاصل فى الجملة له بخلاف غيره (فبواطنهم منزهة عن الآفات) أى المخلة بنعوتهم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) أى الممللة على الاجسام الحيوانية (وهذه) أى النبذة (جملة) أى قضية مجملة (لن يكتفى بمضمونها كل ذى همة) أى علية (بل الاكثر) أى من ذوى الهمم الجلية (يحتاج) ويروى محتاج (الى بسط) أى الكلام فى أحوالهم (وتفصيل) ولما يتعلق بافعالهم (على ما نأتى به) أى نبينه ونذكره (بعد هذا) أى البيان الاجمالى (فى البابين) أى الموضوعين للمقام التفصيلى (قال) (بعون الله تعالى) أى بمعونته وتوفيق هدايته (وهو) أى الله ربى (حسبى) كافى أمرى الجليل والقليل (ونعم الوكيل) أى هو أفضل من توكل اليه الامور ويعتمد عليه وتطمئن اليه الصدور

(الباب الاول)

(فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين

الهيئة الصورة الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات النفسانية بتنزيل المعقول منزلة المحسوس ثم بين ذلك بقوله (انى أظل) بفتحتين أى أكون (عند ربى) خص الرب اشارة الى تربيته له باعطائه ما يقويه فلذا وقع موقعه هنا ولم يقل عند الله ونحوه (يطعمنى ويسقينى) أى يهبنى قوة على ذلك حتى أكون كأنى أكلت وشربت وليس المراد انه يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما قيل لانه ينافى الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر ليس لغيره مع ان قوله أظل يأباه بحسب الظاهر وان أمكنه التجوز فيه لان ظل حقيقته فعل نهارا ولو كان كذلك لم يكن صائما وكون طعام الجنة لا يفطر لم يقل به أحد وهذه القوة تدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملكى الباطن وقول ابن حبان وغيره اذا أعطاه الله تعالى قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم أجر فهو لا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاى معجمة وشد الحجر لا معنى له فى اذهاب الجوع غير ظاهر لان جوعه صلى الله تعالى عليه وسلم وشكواه منه وخروجه لاصحابه وسؤالهم له فاخبرهم فشكوا له مما شكاه وشدوا الحجارة على بطونهم أمر ثابت فى أحاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف ألم الجوع ببرده واقامة صلبه ومنع امعائه من الارتخاء ولا ينافى هذا انه يطعمه ربه لاختلاف الحالتين فان فى الصوم رياضة وانجذابا للملأ الاعلى واشتغال الروح عن البدن بمنع الجوع ألا ترى المريض يمكث أياما لا يأكل ولا يضره وقد بين وجهه الشيخ فى آخر كتاب الاشارات فهذه القوة ملكية روحانية واستبعد القرطبى ما قيل ان الله تعالى عز وجل يخلق فيه شبعا كما يخلقه فيمن أكل ومراده ما ذكرناه فلا وجه لاستبعاده (فبواطنهم) أى بواطن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم (منزهة عن الآفات) أى ما ينقص قواهم الملكيه (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) أى العلل المضعفة لهم (فهذه جملة) فيما يختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اجمالا (لن يكتفى بمضمونها) أى ما تضمنته ودلت عليه (كل ذى همة) فى تحصيل الفضائل (بل الاكثر يحتاج الى بسط) أى تطويل (وتفصيل على ما نأتى به) صفة لبسط وتفصيل أى تفصيل على نهج ما نأتى به (بعد هذا فى البابين) المذكورين عقب هذا (بعون الله) أى اعانته على ما قصده (وهو حسبى ونعم الوكيل) الذى لا يكل من توكل عليه لغيره

(الباب الاول)

فيما يجب للانبياء عليهم الصلاة والسلام ويمتنع عليهم (فيما يختص بالامور الدينية) أى ما هو من الدين والشرائع النبوية (والكلام فى عصمة نبينا) أى وفى الكلام فى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى عصمة (سائر الأنبياء) أى باقيهم (صلوات الله وسلامه عليهم) والعصمة قالوا تخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية أو خلق مانع فيه عن المعصية لكن لا بحيث أن يلجئه ويسلب اختياره ويجبره على الطاعة بل هى لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والتكليف كما قاله الماتريدى ويأتى الكلام على ذلك مبسوطا

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه) يعني المصنف وهذا من ملحقات بعض تلاميذه كما أشير اليه الترضية عنه (اعلم ان الطوارئ) بالهمز جمع الطارئة وهو ما يطرأ أو يحدث (من التغيرات) أي الموجبة لاغورا تصوير وفي التغيرات بيانين والاولى هو الاولى كما يخفى (والآفات) أي الحاصلة بالعاهات (على آحاد البشر) أي عوامهم ويروى اجساد البشر أي ابدانهم (لا يخلوان تطرأ) أي من ان تعرض (على جسمه) أي جسم البشر (أو على حواسه) وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس (بغير قصد واختيار) أي من البشر بل يخلق الله تعالى لها فيه (كالامراض والاسقام) أي الاوجاع والآلام (أو بقصد واختيار) أي أو ان تطرأ بهما (وكله) أي وكل ما ذكر مما يطرأ بغير اختيار أو باختيار (في الحقيقة عمل وفعل) بل وعقد (ولكن جرى رسم المشايخ) أي دأبهم (بتفصيله الى ثلاثة أنواع) أي باعتبار مواردها (عقد) بالجر والرفع (بالقلب) أي جزم وقصد به وعزم (وقول باللسان) أي يترجم عن الجنان (وعمل بالجوارح) أي الاعضاء والاركان (وجميع البشر) أي افرادهم من خواصهم وعوامهم (تطرأ عليهم الآفات والتغيرات) بضم الياء التحتية المشددة أي الحالات المختلفة بالانتقال من حالة الى حالة كنعمة ومحنة وملك وهلك ونصر وقهر وكسر وجبر (في هذه الوجوه كلها والنبي) أي جنسه (وان كان من البشر) أي من جملتهم وعلى طبيعتهم (ويجوز على جبلته) بكسر جيم فموحدة ولام مشددة أي خلقته (ما يجوز على جبلة البشر) أي سائرهم (فقد قامت البراهين القطعية) أي الادلة اليقينية (وتمت كلمة الاجماع) أي ثبتت (على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات

(قال القاضي أبو الفضل) المصنف عياض رحمه الله تعالى بتمهيد مقدمة لما سيأتي (اعلم ان الطوارئ) أي ما يحدث من غير مقارن خلقته (من التغيرات) المغيرة لما خلق عليه (والآفات) جمع آفة وهي ما يفسد ما أصابه والمأوف ما أصابته وانكره أبو حاتم وقال انما هو مئيف كمخوف في افعال المرقسطي (على آحاد البشر) بالمد جمع احد وأصله احدات واو بهمزة ثم الف لانه من الوحدة أي افرادهم واشخاصهم (لا يخلوان تطرأ على جسمه) أي الظاهر بدنه وجسده (أو على حواسه) جمع حاسة وهي ما يدرك به من البصر والسمع والشم واللمس والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة ومعناهما ادرك وحواس وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة (بغير قصد واختيار) بل يخلق الله ما يأتيه (كالامراض والاسقام) السقم بمعنى المرض كما في الصحاح وقيل السقم مسبب عن المرض فانه مرض وتغير البدن وضعفه سقم ويقال سقم وسقم وسقام بمعنى (أو تطرؤ بقصد واختيار) كافعال العبد واعماله (وكله) أي كل ما يطرؤ باختيار وغيره (في الحقيقة) أي حقيقة الامر في الواقع (عمل وفعل) قال في القاموس الفعل بالكسر الانشاء وكناية عن كل عمل فهما على هذا بمعنى وقال الصاغاني بينهما فرق فالفعل احداث شيء من عمل أو غيره فهو اعم وقال الخوى الفعل ما يكون في زمان يسير من غير تكرير والعمل ما تكرر وطال زمنه وقيل الفعل يختص بمن يعقل ورد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث يا أبا عمير ما فعل النغير (ولكن جرى رسم المشايخ) أي استمرت عادتهم والرسم التصوير بكتابة ونحوها والفقهاء استعملوه بمعنى العادة وهو المراد هنا والمراد بالمشايخ العلماء (بتفصيله) أي تفصيل ما يطرأ (الى ثلاثة أنواع) الاول (عقد بالقلب) أي نيته نية جازمة وعزمه مما صادفا والعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل معناه الربط المحكم (و) الثاني (قول باللسان و) الثالث (عمل بالجوارح) جمع جارحة وهي العضو من اعضاء البدن من الاجتراح وهو الاكتساب (وجميع البشر تطرؤ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار) أي لهم حالات مختلفة تنتقل منها من حال الى حال من نعيم وبؤس ونصر وقهر وهذا أمر عام شامل وليس المراد به العزائم واحوال القلب كما قيل (في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم) أي جنس النبي أو كل نبي فتعريفه جنسي أو استغراقي لا ان المراد نبينا مخصوصا لاستوائهم فيما ذكر (وان كان من جنس البشر ويجوز على جبلته) بكسر الجيم وكسر الباء الموحدة وفتح اللام المشددة بمعنى الطبيعة والخلقة التي خلق عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة (ما يجوز على البشر) سواء وما موصولة في محل رفع فاعل يجوز والذي تقدم (فقد قامت) أي تحققت وظهرت (البراهين) جمع برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم (القاطعة) أي القطعية دلالتها على ما ثبت بها (وتمت كلمة الاجماع) أي انعقد اجماع من يعتد باجماعهم واتفقوا عليه حتى كأن كلامهم كلمة واحدة تامة (على خروجه عنهم) أي خروج النبي عن جنس البشر غيره (وتنزيهه) أي تبرئته بنفي ذلك عنه وتبعيد ساحته (عن كثير من الآفات) أي

العوارض التى تطرؤ على البشر فتنقص مقاماتهم العلية (التى تقع) أى تصدر وتحقق فى الواقع والخارج (على الاختيار وعلى غير الاختيار) لتكريم الله لهم بالعصمة من امثالها كالامور القبيحة والاخلاق الذميمة (كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما انا آتى به) من هذا الكتاب وهذا القسم (من التفاصيل) الموضح لها

التى تقع على الاختيار) اى لعصمة الله تعالى لهم منها (وعلى غير الاختيار) أى لكراماتهم على الله سبحانه فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما اناتى به من التفاصيل) أى تبيين كل منهما فى فصل على حدة

(تم بعون الله الجزء الثالث من شرح الشفا ويليه الجزء الرابع أوله فصل فى حكم عقد قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)

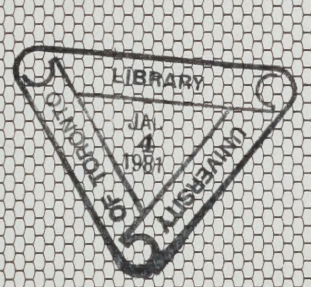
(فهرس المجلد الثالث من شرح الشفا للشهاب)

(تمت)








LIBRARY
JAN
4
1981
UNIVERSITY OF TORONTO





